

مَجَلَّةُ الْأَنْفَرِ

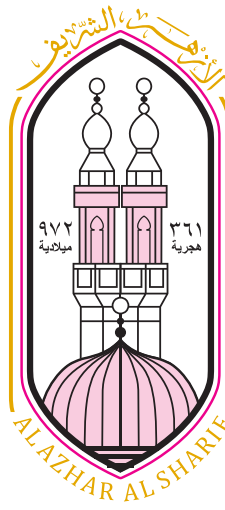
مَجَلَّةُ شَرْيَةِ جَامِعَةِ

تَصَدَّرَ عَنْ شَيْخِ الْأَنْفَرِ فِي أَوَّلِ كُلِّ شَهْرِ عَرَبِي



المجلد الثاني والثلاثون

السنة ١٣٨٠ هـ



مشيخة الأزهر الشريف

تليفون : 25907497 / 25899823

فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123

www.azhar.eg

جميع الحقوق محفوظة للأزهر الشريف

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

سقيفة الصفا العلمية

SAQIFAT AL-SAFAT TRUST

لبوان - ماليزيا

www.saqifat-alsafa.org

E-mail : info@saqifat-alsafa.org

مدير المجلة ورئيس التحرير
 أحمد حسن الزيات
 العنوان
 إدارة اجتماع الأزهر
 بالقاهرة
 ت ٤٦٤١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

يشتري في القاهر
 عبّاس محمد العقاد
 بدل الاشتراك
 ٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
 ٥٠ خارج الجمهورية
 وللمدّرسين والطلّاب تخفيض خاص

تصدر عن شيخنا الأزهر في أول كل شهر عربي

الجزء الأول - المحرم سنة ١٣٨٠ هـ - يونيه سنة ١٩٦٠ م - المجلد الثاني والثلاثون

سنة ١٤٠١

س. ذكريات المحرم

هجرة في سبيل الله وشهادة في سبيل الحق

بسم: أحمد حسن الزيات



- ١ -

مسلط ، فحول مكة المشركة جبلا من السعير
 سد على الرسول طريق الدعوة ، فكان
 يخطو في طرقها وشعابها على أرض تمور
 بالفتن وتفور بالعذاب ، وتفجّر عليه في
 كل خطوة سفاهة أبي لهب بالأذى والهون
 والمعايبة والمعارضة — وكل قرشي كان
 يؤمّد أبا جهل أو أبا لهب إلا من حفظ الله.
 واذن كفر مكة ومشركو الطائف في أذى
 الرسول فعذبوه في نفسه وفي أهله وفي صحبه
 ليحملوه على ترك الدعوة فالان ولا

بعث الله النبي الكريم على فترة من الرسل
 في عصر غير ذي دين ، وجيل غير ذي خلق ،
 وبلد غير ذي زرع : فلقى صلوات الله عليه
 من سفه الجاهلية وكلّاب المادية وكيد العصية
 وحرمان الفقر وخذلان القلة ما لا يسعه
 طوق بشر إلا بروح من الله وسند من
 الإيمان وعون من الخلق .
 حمل محمد رسالة الله وهو فقير ضعيف ،
 وحمل أبو جهل رسالة الشيطان وهو غني

والأنصار ، وعاهد بين المسلمين واليهود ، حتى تكتسب في يثرب جيش الله الذي فتح الدنيا بفتح مكة .

لم تسكن هجرة الرسول هرباً من وجه الموت كما يسميها كتاب الفرنج . فإن الأمر لو كان أمر الحياة لترك الرسول الدعوة وظل عزيزاً في قومه آمناً في سربه ، ولكنه أمر الله الذي قال فيه لعمه أبي طالب : والله ياعم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما تركته . إنما كانت الهجرة خروجاً من أرض نبت على الغراس الإلهي فلم تدعه ينبت ، وتحولاً عن قوم صدوا عن سبيل الله فلم يدعوها تؤدى . وما كانت دعوة الحق في مكة إلا غيثاً أنزله الله في يباب القفر فغاض بعضه في سباح الأرض واحتبس بعضه في أصلاد الصخر ، ثم نفس الله عنه من شدة الضيق والحصر فانبثقت عنه الحواجز الصم فجرى سيولا في السهول والأودية ، وتشعب يتابع في القرى والمدائن ، يحمل الخصب والثماء ، ويوزع الرى والغذاء ، فأحيا موات الأرض ، وروى غلة الناس وكان منه العماره والحضارة والخير .

كانت هجرة الرسول إلى المدينة هي هذا الانبثاق الذي انساح به الاسلام في أقطار الأرض يحمل الهدى للأرواح الحائرة ، والسلام للنفوس المحروبة ، والآفة للقلوب

استكان ولا خضع . وحينئذ تدخل الشيطان بنفسه في (دار الندوة) فقرر القتل ، وتدخل الله بروحه في (غار ثور) فقدر النجاة ١ .

كانت ليالى الغار أحلك ليالى الهم في تاريخ الدعوة : سيوف الغدر مصلته في أكف الفتية المختارين من قبائل قريش يرقبون مشى الرسول بعيون لا تغفل ، وعلى نائم في فراش ابن عمه متسجياً ببرده يوم القوم أن طلبتهم بين أيديهم حتى لا يطلبوها في مكان آخر . والمهاجر الفار بدينه من صولة الكفر لا نذ بالغار في أسفل مكة محصن نفسه بذكر الله ، ويطمئن قلبه بسكينة الصبر ، ويقول لصاحبه وهو لا يتقار من الخوف ولا يتأسك من الأسى : « لا تحزن إن الله معنا » . والمؤتمرون حين كشف لهم الصباح عن وجه الخديعة يطالبونه في كل مكان ويرصدونه بكل سبيل ، حتى إذا لم يبق بينهم وبين الرسول والصدِّيق إلا نظرة وخطوة ، أراد الله أن تدرك قدرته كلمته فطمس عين الباطل فلم ير ، وزلزل قدم الشرك فلم يلحق ، وانطلق محمد هو وصاحبه ودليله وخادمه على عيون المشركين في الطريق الموحد الوعر حتى بلغوا طيبة . وهناك بالصبر والصدق والإيمان والرجولة أثمر غرس الدعوة وتم نور الله . جمع الرسول شتات الجماعة ، ووثق عقدة الدين ، وأعد أهبة الجهاد ، فألف بين الأوس والخزرج ، وآخى بين المهاجرين

المختلفة ، ويحقق لهذا الانسان طريد العدوان وعبد الطغيان أحاديث أحلامه وهو اجس أمانيه ، من الأخوة التي يعم بها النعيم ، والمساواة التي يقوم عليها العدل ، والحرية التي تخصب بها المدارك .

كان حادث الهجرة الذي جعل عامه عمر الحكيم العظيم تاريخاً للسليين يحسبون منه أيامهم ويؤرخون به أحداثهم ، ملحمة من ملاحم البطولة استمدت لإهامها من إوحى الله ، وروحها من خلق محمد ، وعملها من صدق العرب ، واستقرت في مسامع الأجيال والقرون مثلاً مضروباً لقواد الانسانية يعلمهم الصبر على مكاره الرأي ، والاستمسك في مزلق الفتنة ، والاستبسال في مواقف المحنة ، والاستشهاد في سبيل المبدأ .

ثم كانت الهجرة أساساً لصرح الوحدة العربية أرساه الرسول في المدينة ، ثم قواه بفتح مكة ، ثم أعلاه خلفاؤه الراشدون بجمعهم العرب بأديهم وحاضرهم على نظام ديمقراطي حر ، وفي حكم تيوقراطي منزه . فأصبحت السيادة للدين لا للنسب ، والإخاء في الله لا في العصب .

— ٢ —

ثم انصدع هذا الصرح بالفتنة الكبرى واشتداد النزاع على الإمامة بين علي ومعاوية ، أو بين هاشم وأمية ، وما اقتضته سياسة الأموي الأول من تغليب العصبية القبلية على القومية العربية ، وإثارة السياسة

الدينوية على السياسة الدينية ؛ وجعله ولاية العهد لابنه المستهتر بطريق لاسليم ولا مستقيم ، واستبداد الأموي المريض بقلب خليفته يزيد . وكان بنو علي قد ورثوا عنه ماورثه هو بحكم مولده ومرباه من مناقب النبوة ومواهب الرسالة ، فتولوا المعارضة بصراحة المؤمن ، وقادوا حركة الإصلاح ببسالة المجاهد ، وساسوا الناس بسياسة أبيهم ، فما قارفوا الأثرة ، ولا حاولوا الفرقة ، ولا راقبوا الفرصة ، ولا أثاروا العصبية ، ولا استخدموا المال ؛ ولكن دنيا الفتوح كانت يومئذ قد أخضعت تتجاهل دنيا البساطة والزهد ، فلم تعد السياسة الدينية وحدها قادرة على كبح النفوس المفتونة بسرف القصر في الشام وترف طغيان في العراق ، ففسد أمر بني علي بين طغيان الحكومة وخذلان الشعب . وشق على الحسين أن يرى دعوة جده تصير دعاية ، وخلافة أبيه تنقلب ملكا ، ووحدة قومه تصبح شتم ، فنهض بنفسه للأمر وأخذ يستنفر القبائل ويستنصر الأحزاب فما رجع من سعيه لديهم بباطل . ورأى له القدر المقدور أن يلتمس النصرة عند شيعة أبيه في العراق ، وكانوا قد وعدوه بالرسول ، ومنوه بالرسائل ، أن يرضوا له الأمر ويجمعوا عليه البيعة . فشخص إليهم بقومه ، وكانوا لا يزيدون على الثمانين ، فيهم نساؤه وأولاده ، وهو يردد في نفسه ما قاله

لأخيه محمد في وصيته : « إني لم أخرج أشرا ولا بطرا ، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي ، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر ، فمن قبلني بقول الحق فإله أولى بالحق ، ومن رد على هذا صبرت حتى يقضى الله بيني وبين القوم بالحق ، وهو خير الحاكمين » .

ولكن جيش يزيد وكله من أهل العراق اعترض سبيله إلى السكوفة وفي قلب قائده العدوان وعلى لسانه التحدى ، فقابل ابن زياد الحلم بالسفه ، والمنطق بالعناد ، والإباء بالتحرش ، وحمل الحسين حملا على قتال يائس ، ثم منعه ورد الفرات وأورده ظمآن حوض المزون ، فقتل سبط الرسول ومن معه قنلة لا يزال يردد من هولها الدهر !

— ٣ —

هاتان ذكريان يخطرهما على البال حلول شهر المحرم من كل عام : ذكرى هجرة الرسول ، وهى عيد انطلاق الدعوة المحمدية من حصار مكة ، وانبثاق الرسالة الإلهية في أفق المدينة ، وانعتاق الإنسانية كلها من رق الجهالة . وذكرى مصرع الحسين ، وهى مأتم الحق المقتول والمحق المخنول والوحدة التي

أحمد موسى الزينات

مَنْ يَنْبِيعُ الْهَجْرَةِ

لِلْإِمَامِ الْمُسْلِمِينَ الْأَكْبَرِ

رَبِّهِ مُحَمَّدٌ صَلَاتُهُ

دعوتهم ويكون لهم فيه وجود وكيان يمكن لهم من حياة تحوطها العزة وتؤيدها الكرامة ويدعمها التعاون والحب لتؤتي ثمرتها وتؤدي رسالتها .

وهكذا أصحاب الدعوات القوية : دعوات الحق واليقين التي يضيق بها أهل الباطل في أجوائهم التي يعيش بها . أصحاب هذه الدعوات يرتادون لها الجو الذي يناسبها والمكان الذي يقبل الغرس والتربة الخصبة ليكون نباتها حسناً وزرعها يانعاً (والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا) .

ولقد ارتاد رسول الله صلى الله عليه وسلم مكاناً خصبت تربته حيث غرس بيده الكريمة ولسانه الطيب وخلقه العظيم ، ودعوته الحكيمة وقلبه المليء بالخير يحمله إلى الإنسانية في حب وإخلاص - غرس شجرة التوحيد الخالص في قلوب أظهرت استعدادها للذود عن هذه العقيدة التي حلت في نفوسها واستقرت في حنايا ضلوعها ؛ وبذا كانت الهجرة حدثاً من الأحداث الإسلامية الكبرى التي يجب

ثلاثة عشر عاما تقضيها دعوة الإيمان القوية في أصولها العميقة في فكرتها بين أرجاء مكة وشعابها وبين هضابها ووديانها لا تضي في طريقها إلا في كبت وضيق ، وفي عنق وإرهاق ، وبين بأس وشدة - هذه المدة الطويلة دفعت المؤمنين بهذه الدعوة التي امتلأت قلوبهم بها إلى أن يفكروا - وهم يومئذ قلة في العدد في أن يهجروا هذا الجو الذي أفسدته العقائد الفاسدة والشرائع الباطلة والعادات الهزيلة التي كان لها في هدم الإنسانية والقضاء عليها ما ليس للمعاول ولا لأدوات التخريب .

أجل ، لقد استقر في نفوسهم أن يهجروا هذا الجو الخافق الذي ضاق بهم وبدعوتهم إلى مكان آخر امتلاً برجال يقتحمون العقبة عن إيمان وصدق وحب ووفاء ، بل ويمدون إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يد البيعة على بذل المهج دونه والوقوف من ورائه ، يمنعونه مما يمنعون منه أهلهم وأبناءهم ويتم بينه صلى الله عليه وسلم وبينهم العهد على توحيد الله وعبادته سبحانه عباداً خالصة . لقد رأى المؤمنون على قاتنهم أن يهجروا جو مكة إلى مكان تستقر فيه

ولا غاية سامية يقصدون إليها ولقد منيت بهذه الروح أمم كما منيت بها أفراد تعميمهم الأهواء والشهوات عن إدراك رونق الحق

وبهائه فيتسكبون الطريق السوى ويضلون ضلالاً بعيداً ، فإذا بهم عقبات أمام كل إصلاح وظلمات في طريق النور ، ولكن سرعان ما تزول هذه العقبات وتبدد هذه الظلمات وتنقشع كل سحابة في هذا الطريق ، وإذا بنصر الله يؤيد ، وبقوة الله تدفع مادام صاحب الدعوة مؤمناً بها ورجل الإصلاح حريصاً عليه فلا غرو أن افسد الله سبحانه مؤيداً لنبيه كل تدبير للشركين وأحبط عملهم ؛ أصمهم وأعمى أبصارهم وأخرج رسوله محفوفاً بالعزة والكرامة ، إذ أخرجهم الذين كفروا ثانی اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا .

لقد كانت الهجرة بداية انتصار كما كانت بداية بناء لأعظم صرح حمى الإنسانية وأعلى شأنها وبذا تركت قلوب قريش تغلى كالمرجل فوق النار المتقدة تنبخر منها أفانين الخلق على سهام طاشت ، ومكر ردت نصاله في نحورهم ومكايد ذهبت أدراج الرياح وهكذا يذهب الله كل عبث يراد به تثبيط الهمم أو الوقوف أمام المثل والأهداف .

أجل إن الهجرة التي تمت آتت أكلها وأثمرت ثمرتها فامتدت غصون الدعوة مابين المشرق والمغرب فأبدل الله بها ظلمة الإنسانية

أن تظل في قلوب المسلمين تحمل لهم سمات العظمة التي تدفعهم إلى بناء أجدادهم ودعم حياتهم .

لقد كانت الهجرة التي هاجرها الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه هجرة إلى المبادئ السامية، فهي هجرة التوحيد البرى والإخلاص في أعظم صوره وأبقى ألوانه . هجرة يحوطها التوكل الصحيح ومحبة الخير للخير: هجرة صحبتها العقيدة الصحيحة التي ترجع بالحوال والطول إلى الله سبحانه لا تعرف إلا الإنابة إليه والاستعانة به .

هذه المعاني السامية التي نهضت بالإنسانية من كبوتها ، وأنفذتها من وهاد جاهليتها ، كشفت لها أنها ما خلقت عبثاً ، وأنها خلقت للإصلاح لا لتفسد في الأرض ولا لياكل قوى الناس ضعيفهم أو يفسكوا دماء بعضهم أو يقيموا على التحاسد والتباغض فتعمهم الفرقة ويسودهم التخاذل وضعف الشوكة .

تلكم هي بعض المعاني التي هاجر إليها النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه .

إن لأهل المبادئ والإصلاح والمثل العليا والقيم الذاتية أعداء يندفعون وراء أهوائهم الماجنة وشهواتهم الضالة ليحولوا دون انتشار الحق وذبوعه وأمثال هؤلاء خفافيش لا يحيون إلا في ظلام ولا يعيشون إلا في وهم وضلال . ليس لهم هدف صحيح يدركونه ،

صدورنا لترسم خطته صلى الله عليه وسلم في الإصلاح؟ تربط العقيدة الواحدة بين أفراد الأمة، والاخوة بين عواطفهم لا أثره ولا طوائف ولا سيد ولا مسود؟.

هل لنا أن نتخذ من حادث الهجرة عظة وعبرة فنجهر الرذيلة لنبي في أمتنا صرحا عالياً من الفضيلة وأن نملا فراغنا وفراغ شبابنا بالعمل النافع الجاد وأن نخلق فيهم رقابة الضمير الذي يدفعهم إلى أن هجروا كل فساد وبغى ويسيروا إلى كل نهضة وإصلاح.

إننا نريد أن نتخذ منه عنوان حياتنا الذي يتطرق فيها مصباح الهداية الإلهية فيضيء ويوجه ويعمل جاهداً في تخليص الإنسانية من تلك الظلمات التي تجعلها على شفا حفرة من نار العداوة والحقد والتحاسد، وفي تخليصها من الباطل الذي يكاد يغطي على عقول كثير من أهل البغى والظلم والعدوان وفي تخليصها من الباطل إلى الحق الذي بينها وبينه الخير لها إن آباءنا قد بنوا أجدام على أساس من الإيمان بفكرتهم وصدق في دعوتهم وحرص على دينهم وعقيدتهم فهل لنا أن نكون كذلك لتكون منهم ومثلهم نرجوه حقق الله الآمال للأمة الإسلامية الجامعة. والله المستعان.

محمد سلووت

نورا وجهلها علما وفوضاها نظاما وجمعت في الوقت نفسه بين قلوبهم بعد التفرق فأصبحوا بنعمة الله إخوانا، وصاروا أمة واحدة ذات هدف واحد ومنهج واحد لإيمانهم بالله رائدهم، وتلصص مصلحة الجميع عنوان حياتهم، لا أثر للفردية فيهم ولا للانانية بينهم ولا تعرف العصبية الهوجاء طريقهم، وإنما التواد والتعاون والمساواة والتراحم والتعاطف والإيثار دستورهم ومبادئهم وكل أمة تعتر بمثل هذه المبادئ أمة تقف في وجه اللطائف فتردها وفي طريق البغى والعدوان فتصدده فتحيها عزيزة لا تعرف الهوان كريمة لا تقبل الذل وبذا يتضاعف الخير عندها وتزايد سعادة أفرادها.

وهكذا ظهر بالهجرة الوجود الدولي للأمة الإسلامية في هذه البيئة الجديدة التي أحسن الله بنيانها بقوله تعالى: «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها».

فهل لنا ونحن في فاتحة العام الهجري نودع عاماً هجرياً ونستقبل عاماً آخر. هل لنا أن نتخذ لحياتنا عبراً من هذا الحادث العظيم الذي أسس به محمد صلى الله عليه وسلم أمة وحصن دعوة، وبلغ رسالة وأدى أمانة؟ وهل لنا أن نتخذ من حادث الهجرة ما ينير لنا الطريق ويشرح

فَنِّ جَدِيدٍ مِنْ فَنُونِ الدَّعْوَةِ

للأستاذ عباس محمود العقاد

وربما صح أن يسمى فن الإقناع الآلى ، فى تفكيره ومسلكه ؛ لأنه من أثر علاج أو فن الاضطراب إلى الاختيار ، ولكن لابد - على أية حال - من التفرقة بينه وبين ضروب أخرى من المعارف والفنون تشاركه فى الإقناع وتختلف أحيانا كثيرة فى الوسيلة والأداة ، ومنها علم المنطق وهو الإقناع بالبرهان ، وفن الخطابة وهو الإقناع بالكلام المؤثر ، وفن الدعاية وهو تصوير الأفكار والآراء على الصورة التى تسوق للمخاطبين إلى القيام بعمل مرغوب فيه أو اجتناب عمل مرغوب عنه ، فإن الفن الجديد من فنون الدعوة يعتمد على وسائل شتى للإقناع وتبديل الآراء والأخلاق غير البرهان والكلام المؤثر وأساليب العرض بالدعاية العامة سواء منها أساليب الكتابة والخطاب وأساليب التصوير والتمثيل .

فى تفكيره ومسلكه ؛ لأنه من أثر علاج جسدى أو دماغى ، كعلاج البتر وتبديل الأعضاء فى بعض العمليات وأنماط العلاج بالعقاقير .

ويطلق أصحاب هذا الفن أسماء ثلاثة على هذه الدعوة الجديدة ، تختلف باختلاف الوسيلة وقوة الفعل وحالة المعالج ومقدار خضوعه لمن يتولاه بالعلاج . وهذه الأقسام الثلاثة هى :

أولا : بث المذاهب والآراء ويصح أن نسميه بالتلقين أو الإيحاء ، ترجمة لكلمة Indoctrination ومعناها الحرفى « المذهبية » أو الإظهار من « النظر ، أو النظرية .

وثانياً : غسل الدماغ ترجمة حرفية لكلمتي Brain washing .

وثالثاً : توجيه الأفكار ترجمة لكلمتي Thought Control وقد تترجم بالسيطرة أو الرقابة على الأفكار .

ويكفى أن نذكر فارقا واحداً تظهر منه سائر الفوارق بين هذا الفن الجديد وبين تلك الفنون ، فنقول إن هذا الفن قد يصل إلى تبديل آراء الإنسان من النقيض إلى النقيض بعملية جراحية أو تبديل الشخصية ، فى تكوينها العقلى ، فلا يدرى صاحب الشخصية كيف حدث التحول

والتلقين هو أهون هذه الأساليب ؛ لأنه يستخدم فى الحالات التى تحاط فيها قدرة الملقن ببعض القيود ، فلا يستطيع أن يتسلط كل التسلط على الشخصية التى يحاول تلقينها ما يريد ، ويلجئون إليه أحيانا فى معاملة

وقد يسأل الأسير عن أسباب وقوعه في الأسر وعن الفرقة التي كان فيها عند أسره . وعن زملائه الذين وقعوا مثله في الأسر أو تمكنوا من الهرب فهربوا ولم يستطع هو أن يهرب مثلهم لعجزه عن المقاومة أو قلة اكتراثه أو غير ذلك من الأسباب التي تتم على معدنه ومزاجه ولو عمد فيها إلى المغالطة واختلاق المعاذير .

فإذا اطلع الخبير النفساني على مائة جواب لمائة سؤال من هذا القبيل لم يعسر عليه أن يتفهم طبيعة المسئول واستعداده لقبول بعض الآراء ونفوره من غيرها وأن يتفهم منها مكان من الهوى الضعيف أو القوى التي ينقاد منها للإغراء أو للخوف أو للتأثير أو للخداع أو للطاوعة والنفاق لإثارة العافية واستخفافاً بمسائل السؤال والجواب .

وهم يقسمون المسئولين إلى ثلاثة أقسام : أحدها عسير لا أمل في تحويله وقد يكون العناية في تحويله أكبر من الفائدة المرجوة من بذل ذلك العناية .

والقسم الثاني عسير يخضع للعلاج بعد حين مع بذل بعض المجهود المستطاع .

والقسم الثالث سهل مطيع خاضع للإقناع والتأثير ، وقد يبدو من أجوبته أنه راغب في التحول عن رأيه قليل المعارضة في موضوع السؤال أو قليل المعارضة للبخافين له على الإطلاق

الأسرى الذين يخشى أسروهم أن يشتدوا في معاملتهم لأن أمثالهم من الأسرى موجودون في المعسكرات الأخرى ، وقد ينتهي الأمر بعد فترة محدودة إلى تبادل الأسرى بين الطرفين ، فإذا اشتد هذا الفريق في معاملة أسراه فقد يشتد الفريق الآخر مثله أو يذيع الأمر في الهيئات الدولية إذا كان فيه شيء من المخالفة للعهادات والشرائع المتفق عليها .

وتقوم وسائل التلقين على الإكثار من الأسئلة التي لا خطر لها في ظاهر الأمر غير استطلاع حالة المسئول والنفاذ إلى أسرار مزاجه من مجرد ميله إلى التبسط في الكلام أو إلى التحفظ في الجواب أو إلى المراوغة التي يعرف لها سبب من الأجوبة نفسها أو تدل على سبب يتيسر الوصول إليه من معاودة السؤال .

فإذا كتب السائل للمسئول مائة سؤال فمنها السؤال عن اسمه وأسماء أبويه وإخوته والسؤال عن معيشته الأولى وعن مسكنه وعن جيرانه وعشرائه في صباه ، ومنها السؤال عن شعوره نحو نظام من النظم الاجتماعية أو نحو عظيم من عظماء قومه وعظماء الأقسام الآخرين ، ومنها السؤال عن زواجه أو عن خطبته أو عن خطيبته أو عن أصهاره ، ومنها السؤال عن علاقاته الجنسية وعن رأيه في المحرم منها والمباح والمألوف منها وغير المألوف .

لأخوانهما عليها بالمقاطعة والاحتقار ، فندما على ما فاهما به بعد أيام ، وهذا مع نجاح الملقنين في تحويل ألوف من الأوربيين والأمريكيين حتى رفض بعضهم أن يعود إلى وطنه بعد نهاية القتال .

أما وسيلة « غسل الدماغ » ، فقد يقع فيها ما هو أعنف وأسرع وأبلغ أثراً من التلقين بالإيجاب ، وبث الأفكار في الجماعة وعلى أفراد ، وقد تستلزم سحق الشخصية حتى تعجز عن المقاومة بل عن مجرد الرغبة فيها ، فيقبل الإنسان كل ما يلقي إليه ثم يصدقه ويؤمن به ويتعصب له بعد معاودته لرغباته ونشاط فكره وجسده ، ويخرج من العلاج مخلوقاً آخر غير المخلوق الذي بدأت معه المحاولة أول الأمر على غير هواه .

ومن وسائل غسل الدماغ إجراء عملية جراحية في مقدم المخ على الطريقة التي اتبعها بعض الجراحين في ترويض الحيوان الشرس أو الحيوان المريض .

ومن وسائله استئصال الغدد وحقنها بما يضعفها تارة ويضاعف نشاطها تارة أخرى ؛ ومنها المعالجة بالعقاقير التي تشل الإرادة ولكنها لا تشل الدماغ عن العمل والاستماع إلى التلقين والتوكيد .

ومنها استخدام العقاقير لتخدير المصاب واستعادة بعض المزعجات التي تغلغلت في

ومتى تم هذا التقسيم بدأت وسائل التأثير واستخدمت فيها وسائل التخويف والإغراء ومنها العزلة وزيادة المشقة والإذلال والتمييز في المعاملة ، وأبلغ ما يكون الإغراء أثراً حين يلبس كوا من الأحقاد الاجتماعية ،

والعصبيات القومية والدينية ، ونوازع الغرور والعاطفة ، وأبلغ من ذلك أثراً حين يزول قواعد الثقة بالماضي والحاضر والمستقبل ، ويعم فيه الشك والقلق حتى ينتزع من نفس الفرد كل طمأنينة إلى أمثاله وإلى المجتمع الذي نشأ فيه ، وإلى الأمثلة العليا التي يعلق عليها آماله في الحياة ، ويتم التحويل بمقدار نجاح الملقن في عزل « الشخصية » التي يعالج تحويلها إلى أن تصبح هذه « الشخصية » على أفراد بينها وبين سائر الناس ، فلا تنعقد الثقة بينها وبين أحد ممن حولها ، ولا يكون العالم الإنساني في نظرها غير مجموعة من « النسكرات » لا تتميز فيه الملامح والأشكال ، ولهذا شوهب أن المقاومة تشدد وتستعصى على العلاج كلما بقيت للإنسان صلة دينية أو قومية أو فكرية على نحو من الأنحاء ، وقد لوحظ أن الأسرى المسلمين في الحرب الكورية بطلت فيهم الحيل ، فلم يفلح الملقن في استخلاص شيء منهم غير كلمات انتقاد لحكوماتهم فاه بها اثنان بين مئات من الأسرى ، وعاقبهما

وقد امتلأت مكتبة الدراسات النفسية بمئات المؤلفات التي يكتبها علماء النفس والأطباء الجراحون وأطباء الأمراض العصبية والباطنية في موضوع التلقين وموضوع غسل الادمغة ، فثبت من هذه المؤلفات أن كثيرا من التجارب التي أجريت بعد الحرب العالمية الثانية بصفة خاصة كان لها أثر فعال في انتزاع الأوهام التي غرستها مخاوف الحرب في أذهان المقاتلين وغير المقاتلين ، وأنها قد يساء استخدامها في محاولات غير مشروعة لتخدير الإرادة وإملاء الخواطر التي يرفضها المصاب كل الرفض لو رجع الأمر إلى اختياره ، وقد يعالج بمثلا للخلاص مما أقحم على ذهنه من الدوافع والخواطر ليملك حريته في العودة إلى ما كان عليه قبل إخضاعه لذلك ، الإقناع بالإكراه .

أما المتقصد الثالث من هذا الفن الجديد وهو توجيه الأفكار ، فالجديد منه محدود بما حدث من مخترعات أو بما تداوله الاصطلاح العصري من أسماء العلل وضروب العلاج ولا نذكر فيما عدا ذلك كشفا جديدا يزيد به المعاصرون على فنون الدعاية التي عرفها الأقدمون وبخاصة دعاة الدولة الفاطمية قبل ألف سنة ، فليس في دعاية العصر من جديد ذي بال يضاف إلى دعاية السر والعلانية التي

باطنه ثم إطلاق العنان لها لكي تبلغ مداها من الثورة الشعورية فيستريح المصاب من المزيجات المكتومة بتصرفها وتحويلها من الباطن المجهول إلى الظاهر المكشوف ، وتنتج هذه المحاولة في أحوال الخوف والغضب ولكنها لا تنتج مثل هذا النجاح في أحوال السامة والكآبة والاستسلام ، بل لا بد في هذه الأحوال من رد المصاب إلى النشاط النفساني ، ولو بتعريضه لتيارات الكهرباء أو نقص بعض المقادير من المواد الجسدية وزيادة بعضها على نسب مقدورة يختارها الأطباء المختصون لكل مريض على حسب الضرورة .

وقد يعمدون فيما يسمونه غسل الدماغ إلى تحطيم المقاومة الشخصية بالتعب المفرط أو التهويل المرعب أو بالتجويع والإظاء إلى المدى الذي يبطل بعده كل ثبات على المقاومة ، ثم يعمدون إلى علاج العقاقير والكهرباء والوسوسة بالأفكار والنوازع النفسية خلال ذلك بغير إكراه ولا إظهار للرغبة في الإقناع ؛ لأن المصاب ينتهي بعد ضروب العلاج المتقدمة إلى حالة كحالة الطفل الذي يحكى كل ما يراه ويسمعه حكاية آلية لا تفكير فيها ، ثم يرسخ في طويته كل ما رآه وسمعه كذلك بغير تفكير .

وماذا كان يصنع الناس والهداة كلها
اعتصموا بالصيام والعزلة وجاهدوا الجسم
والنفس بالرياضة على الشدائد والزهد في اللذة
والراحة والإعراض عن مزالق الإغراء
والترغيب والصبر على ألوان التعذيب
والغريب ؟ .

إنهم جميعاً كانوا يعلمون أثر الخوف
والغضب في تهية النفوس والأذهان للإصغاء
إلى الوعد والوعيد ، وكانوا يعلمون جميعاً
أن زمام الروح مرهون بزمام الجسد وأن
الفكرة التي تكسر الشره وتمنع الشهوة
ضرورة لازمة لتمهيد سبيل الاعتقاد وتغليب
العزيمة على وساوس الشك والغواية .

وقديماً عرف الهداة كيف يغسلون
القلوب أو يغسلون « الأدمغة » ، إذا طاب لنا
أن نتحدث برموز العصر الحديث ، ولكنهم
أقنعوا الناس كما أقنعوا أنفسهم ولم يعلموا
آلات تدار إلى اليمين أو إلى اليسار ؟

عباس محمود العقاد

حذقها أقطاب الدعوة الفاطمية في تخريج
المريدين على درجات إلى التشويق بالأسرار
والكنايات إلى اختراع النحل وتنظيم
الندوات وعرض المناقشات وتسيير المواكب
 وإقامة الموالد واستغلال الخفيايا والرموز
وتسيير وصول بعض الأفكار وتعسير
وصول بعضها أو الاحتيال على وصوله بعد
إثارة الشكوك حوله وإحاطته بالتهمم والشبهات .
وعلينا أن نذكر في هذا الصدد كما نذكر
في كل معرض من معارض البحث ذلك
السؤال الخالد : هل من جديد تحت الشمس ؟
والجواب الخالد على ذلك السؤال الخالد
أنه لا جديد كل الجدة في أمر من أمور
هذا العالم الإنساني المتكرر المتجدد المستعاد
على شتى الوجوه والأشكال .

فماذا كان يصنع الرعاظ الأقدمون كلها
أنذروا الناس وخوفوهم غضب السماء أو
شوقوهم إلى النعمة والغفران أو استثاروا
غضبهم على أعداء الحق وأشياع الباطل
وفرقوا أمامهم بين حزب الله وحزب الشيطان ؟ .

الحديث المطول

قال أحمد بن الطيب : كنا عند بعض إخواننا فتكلم وأعجبه من نفسه البيان ومنا
حسن الاستماع حتى أفرط . فصل لبعض من حضر ملل فقال : إذا بارك الله في الشيء
لم يقن ، وقد جعل الله في حديث أخينا البركة .

الكرامة والعزة في القرآن الكريم

للمؤلف محمد محمد المصطفى

ب - العزة

- ٢ -

عن المنكر ، و يقيمون الصلاة و يؤتُونَ الزكاة و يطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرهم الله ، إن الله عزيز حكيم ، ٧١ / التوبة .
تذكر هذه الآية الكريمة صفات المؤمنين و المؤمنات ، و تتحدث عن هذه الصفات بأسلوب الإثبات ، و أنها شأن من شئونهم و طابع هم به مطبوعون .

الفقرة الأولى :

« بعضهم أولياء بعض » . و الولاية صفة تجمع المحبة و التكافل و التضامن ، ففلان ولى لفلان أى حبيب له و صديق حميم : « ادفع بالتي هى أحسن فإذا الذى بينك و بينه عداوة كأنه ولى حميم » . و فلان ولى فلان أى متولى أمره و صاحب شأنه و كافله ، و فلان و فلان بينهما ولاية أى تكافل و ترابط ، كلاهما يرى لصاحبه من الحق ما يراه لنفسه ، و كلاهما يفرح لفرح الآخر و يألم لألمه ، و هما متناصران ينصر كل منهما صاحبه .

هذه هى المعانى اللغوية فى اللغة العربية

أثبت القرآن الكريم العزة الحقيقية للمؤمنين ، و لم يقصد أن الناس فريقان مؤمن و كافر ، فلا أولين العزة هبة من الله و منحة و محابة ، و الآخرين الذلة عقوبة و لعنة و طردا من رحمة الله .

لا ! ولكن القرآن يجعل العزة للمؤمنين ثمرة لنوع من السلوك و الصفات من شأنه أن يكون فى المؤمنين ، و من تتبع الأوصاف التى وصف بها القرآن المؤمنين ، فإنه يرى المنهج الرشيد ، و الصراط المستقيم ، الذى ينبغى أن يتخذه الإنسان مثالا له فى الحياة ، و أن يطبع نفسه فى جميع تصرفاته بطابعه ، ليكون كاملا و ليقنع مكانة العزة الحقيقية عن جدارة و استحقاق .

و أحب أن أعرض لبعض الآيات الكريمة التى جاءت ببعض صفات أهل الإيمان كماثلة لما نريد :

يقول الله تعالى :

١ - « المؤمنون و المؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف و ينهون

للولاية والأولياء ، والمؤمنون متصفون بهذه الصفة ، مرتبطون بهذه الرابطة ، فالأساس فيما بينهم هو المحبة الصادقة الصافية ، والقاعدة عندهم هي التكافل في الخير والشر ، في الغنى والفقر ، الحرب والسلم ، مصلحتهم واحدة غير متجزئة ، وأهدافهم واحدة غير متفرقة ، وبينهم تناصر ، فإذا اعتدى على طرف من أطرافهم هبت جموع الأطراف لتنتصر له ، وتدافع عنه وتشاركه في بأسائه حتى تنكشف عنه البأساء ، وتقاسمه ألوان ضرائه حتى تزول عنه الضراء ؛ فهذا هو مجتمعهم ، فهل يمكن أن يذل مثل هذا المجتمع وأن يركع أمام حدث من الأحداث ، أو طاغية من الطغاة ؟ كلا والله !

الصفة الثانية :

« يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » ، وهي صفة لازمة للصفة الأولى ، فإن الولاية بين الوليين تقتضى النصيحة ، وأن تقوم العلاقات على أساس المكاشفة والمناصحة ، لا على أساس المخادعة والمصانعة ، فالولى ينصح لوليه ، يأمره بالمعروف فيؤدى بذلك حتى ولايته ونصيحته ، وينهاه عن المنكر فيؤدى بذلك حتى ولايته ونصيحته .

وهذه الصفة أيضاً تدلنا على أن المجتمع الصالح ، وهو مجتمع أهل الإيمان ، أو أهل

صفات الإيمان ، هو المجتمع الذى يكون فيه رأى عام حساس غيور ، قوى مسموع ، نافذ الكلمة ، ذلك أن المجتمع الذى ينطوى فيه كل إنسان على نفسه ، وينقطع عن الآخرين ، ولا يهيمه أن يصلح الأمر من حوله أو أن يفسد ، إنما هو مجتمع منحل لا يمكن أن يستقر أمره ، وأن يكون سعيداً ولا بد أن يستشرى فيه الفساد ، ويكثر المنكر ، ويقل العمل الصالح ، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فى مجتمع ما هو صمام الأمن ، وميزان الصلاحية والاستقامة ، ولذلك يخطئ من يظن أن الإسلام يكتبى من المؤمن بأن يرعى شئون نفسه ، وألا يعبأ بما حوله ، وأن يعيش فى مجتمعه غيشة المنكش المنطوى على نفسه ، تمسك بما قد يفهم خطأ من قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » نعم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ولكن ما معنى « اهتديتم » أليس أن آخذ بتعاليم الحق ، وأن أؤدى واجبي حق الأداء ؟ وهل أكون « مهتدياً » ، إذا فرطت فى ذلك ، وعشت على جانب الحياة لمعة ؟ هل أكون مهتدياً إذا عطلت مواهبي ، وحرمت الأمة من قواى التى هى جزء من قواها وحق من حقوقها ؟ هل أكون مهتدياً إذا اعتزلت المصلحين فلم أعاونهم ، والضالين فلم

يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر ، فإن الولاية بين الوليين تقتضى النصيحة ، وأن تقوم العلاقات على أساس المكاشفة والمناصحة ، لا على أساس المخادعة والمصانعة ، فالولى ينصح لوليه ، يأمره بالمعروف فيؤدى بذلك حتى ولايته ونصيحته ، وينهاه عن المنكر فيؤدى بذلك حتى ولايته ونصيحته .

وهذه الصفة أيضاً تدلنا على أن المجتمع الصالح ، وهو مجتمع أهل الإيمان ، أو أهل

الصفاته الثالثة والرابعة :

« و يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ، بإقامة الصلاة لإصلاح للنفس ، وتقوية للروح ، وارتباط بين العبد وربه من شأنه أن يهذب و يقربه وينها عن الشر والفساد ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وإيتاء الزكاة هى صفة المجتمع المتراحم ، الذى يتعاون أغنياؤه وفقراؤه ،والذى لا يخل فيه ولا أثره ولكن إحسان وبر ومعروف .

فمثل هذا المجتمع الراشد العزيز الذى تقوم عزته على أساس من العمل الصالح ، لا على مجرد إدعاء الإيمان .

الصفة الخامسة :

« ويطيعون الله ورسوله ، وهى جماع الصفات الراشدة ، ما ذكر وما لم يذكر ، فإنه لا عز إلا فى طاعة الله ورسوله ولاصلاح إلا بهذه الطاعة يستوى فى ذلك الأفراد والأمم .

ولذلك ينحتم الله هذه الصفات التى وصف بها عباده المؤمنين بقوله : « أولئك سيرحمهم الله ، إن الله عزيز حكيم ، .

والرحمة هى تيسير أمورهم ، وإصلاح شئونهم ، وكف الأحداث العامة عنهم ، ودرء المصائب أن تحل بهم وتطهير مجتمعاتهم

أحاول ردهم ، ولم أنحايه لإبلاغ كلمة الله إليهم ؟ .

كلا ! ولذلك أجدنى دائماً حريصاً على أن أفهم المعنى فى قوله تعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » ، على أنه أمر للأمة حاسم بأن تكون أمة هذا طابعها ، وهذا لونها ، أمة دعوة إلى الخير . أمة إحساس بالخير وبالحق ، أمة غيرة على المعروف تريده وتحب أن يفعل ، أمة غيرة ضد المنكر تتمقته ، وتمقت أن يفعل ، فهذه الأمة هى التى تفلح وهى التى تقتعد منزلة العزة (١) ، أما التفسير الآخر الذى يقوم على أن الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجبات كفائية إذا قام بها البعض سقطت - كما يقولون - عن الباقين ، فإنه تفسير ضيق ، تفسير لا يتفق وغرض القرآن الواضح فى مثل هذه الآية التى تقول فى صراحة « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، فهى تجعل هذا شأننا عينياً لكل مؤمن ومؤمنة لا شأننا كفائياً .

(١) و « من » على هذا التفسير « من التجريدية » لا تبعية ، على حد قول القائل لى من فلان صديق حيم أى هو صديق حيم .

وقد أتى على العروبة والإسلام حين من الدهر ظنوا فيه أن الله ينصر (المسلمين) أو (العرب) ليجرد أنهم هم المنتسبون إلى دينه أو رسوله ، فإن كانوا لم يظنوا ذلك علما وفهما ، فقد ظنوه عملا ، حيث اكتفوا بالانتساب وبلقب الإسلام أو العروبة ، وتركوا ميادين العلم خالية منهم ، وميادين القوة خالية منهم ، وميادين الجهاد والنضال خالية منهم ، وبرزوا في ميادين أخرى من التخاذل والتهافت والتقاطع والتدابروالارتقاء في أحضان الأعداء ومساعدتهم على تقطيع الأوصال ، وإذلال الرجال وتشريد الأحرار ورضوا بالفتات قانعين ، وهم يرون مستعمرهم يخبون وينعمون في خيرات بلادهم ويسخرونها ما كرين في مصالحهم ومنافعهم ومعايشهم . فهل يتفق هذا وما يزعمونه لأنفسهم من الإيمان أو الإسلام أو عزة العروبة ؟ .

كلا والله . فإن سنن الله لا ترتبط أبدا بالألقاب ، ولا تنخدع عن الماء بالسراب .

٣ — إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا . إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا . فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله

من أهل الفساد والباطل والشر ، وارتفاع قيمتهم ومنزلتهم بين الأمم ، وإيقاع هيبتهم في قلوب غيرهم ، وتلك هى مظاهر العزة والشرف والرفعة ، يهبها الله لمن يستحقونها فيرحمهم بها ، وهو عزيز ، لا يغلب على أمره ، حكيم ، لا يضيع أجر من أحسن عملا .

٢ — ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون . .
١٠٥ (الأنبياء) :

تحدث الآية عن سنة من سنن الله الكونية التى لا تبدل ولا تتحول ، والصالحون الذين يرثون الأرض ليسوا هم المدعين الصلاحية أو الصلاح دون عمل وسعى ومثابرة وإخلاص ، ولكن هم العاملون ، وقد وصفهم الله فى آية أخرى حيث يقول : الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ورب الأكوام ومدبرها ليس رب ألقاب ولا دعاوى ، فهو إنما يعطى من يستحق العطاء ، ويمنع من يستحق المنع ؛ لأنه ربط عطاؤه ومنعه بأسباب ، ولم يجعل هذا ولا ذاك ارتجالا ، ولم يتركه للصدافات والحظوظ التى تخبط خبط عشواء ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، فلكل عامل عمله ولكل مجتهد نصيبه .

عفوا غفورا . ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيمًا ، ٩٧ - ١٠٠ / النساء .

ولا نريد أن نتوسع بشرح هذه الآية الكريمة تفصيلا ، ولكننا ننبه إلى أنها نزلت في سياق نعى القرآن على المتخلفين عن الهجرة حين كانت الهجرة هي السبيل إلى عزة الإسلام ، وهي الوسيلة إلى التقوى والاستعداد لإبطال كلبة الكفر ، فقد وجد فريق ضنوا بأنفسهم وبأموالهم وديارهم فلم يهاجروا ، ولم يكن هذا الضن اعتزازا بها وثقة بأنهم سيقون أقوياء فيها لهم كرامتهم وعزتهم ، ولكنهم كان خضوعا وتقبلا لما لا ينبغي أن يقبله المؤمن الحق ، من الإقامة على الضيم ، والرضا بالذل ، كان إشاراً للعيش الدليل المهيّن على العيش الكريم ، عيش الجهاد والنضال والتحول إلى ديار ترسم فيها خطة العودة إلى الوطن ، وتخليصه من براثن المفسدين والمبطلين ولذلك اعتبرهم ملومين ظالمين لأنفسهم ؛ لأن الذي يقبل الذل ظالم لنفسه مهين ، ومثل لنا القرآن صورتهم وهم بين يدي الملائكة حين تحضرهم الوفاة ، وقد عجلوا بلومهم وتعنيفهم قائلين لهم ، فيم كنتم ؟ استنكاراً لمكانهم الذي كانوا فيه أذلة

قابعين ، فإذا اعتذروا بأنهم كانوا مستضعفين لم يقبلوا عذرهم وزادهم تأنيباً ، ثم نرى الآيات بعد ذلك تستثني المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، فتفيدنا أنه لا ينبغي للمؤمن أن يسكت على ضيم ، أو يقيم على ذل ، إلا إذا فقد كل حيلة ، وانسد عليه كل سبيل ، فإنه حينئذ مرجو أن يعفى عنه ، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم . وانظر إلى هذا الاحتياط العظيم في العبارات التي عبر بها في هذا المجال ، حيث قال : « لا يستطيعون حيلة » ، هذا التعميم الدال على انتفاء أية حيلة ، « ولا يهتدون سبيلا » ، هذا التعبير الدال على انسداد كل سبيل ، ثم باستعمال اسم الإشارة الخاص بالبعيد ، « فأولئك » ، كأنه يشير إلى صنف بعيد ، ثم باستعمال « عسى » ، الدالة على أن هذا أمر يحتاج إلى أن يقرب بالرجاء لبعده ، ثم بالتعبير بقوله : « يعفو عنهم » وهو مؤذن بأنهم مع هذا أخطئوا لأن الذي يعفى عنه هو الذي قارف الذنب ، ولكن كان له عذر أو بعض عذر ، ثم يثبت أن مرجع ذلك إلى أن الله « عفو غفور » ، أى كبير العفو ، عظيم الغفران ، كأنه يقول : لولا كبر عفوه وكثرة غفرانه لما استطاعوا أن يتخلصوا من موقفهم الذي وقفوه . فانظر إلى هذا الأسلوب وإلى ما يوحى به

يعلم أن الله عنده أمانات قد ائتمنه عليها ، وأن لرسول الله أمانات يجب أن ترعى ، وأنها له مع إخوانه المؤمنين ، وإخوانه المؤمنين معه أمانات كل واحد منهم مطالب بأن يؤديها ، فالدين أمانة ، والعلم أمانة ، والحق أمانة ، والانطواء على النية الصالحة أمانة ، والحكم أمانة . والقضاء أمانة ، والعدل أمانة ، والتعليم أمانة ، وبين الزوج وزوجه أمانة ، والأولاد أمانة ، والأموال أمانة ، إلى غير ذلك من جميع وجوه العمل والنشاط والفكر والسلوك ، فإذا اعتقد المؤمن أنه قد أؤتمن على كذا ، وأن عليه أن يكون أميناً على ما أؤتمن عليه ، وجد معنى الرقابة ، التي يسميها القرآن « التقوى » ، والتي يسميها الناس « الضمير الحى » ، وقد يصف القرآن نفس المؤمن التي بوصف يفيد معنى الحساب ، وذلك في قوله تعالى : « لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة » ، فيوم القيامة معروف ، وهو يوم الحساب ، يوم أن يأتى الإنسان جزاء ما قدمت يداه ، إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، والله تعالى يقسم به ، إذنانا بعظمته وخطره ، ثم يقسم معه بشئ آخر هو « النفس اللوامة » ، أى التي تراجع صاحبها وتساؤه دائماً عما عمل أو عما قال ، أو عما لم يعمل ولم يقل ، وتلومه إن قصر حيث كان يجب أن يعمل أو يقول ، أو إن أسرف

من أهمية العزة والكرامة في نظر القرآن ، ومن سوء مصير الذين يرضون بالذلة والإقامة على الضيم .

لا شك أن هذا بناء قوى لصرح العزة التي يريد بها الله للؤمن ، ولا يجب أن يراه في غير مستواها الرفيع .

٤ - يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون ، واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم . يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ، ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم . ٢٧ - ٢٩ / الأنفال .

وهذه آيات ثلاث تتضمن برنامجاً عملياً لإيماننا إذا أحسننا فهمها ، وفقهنا ما ترمى إليه من تكوين مجتمع ذى ضمير يراقب كل أفراد أنفسهم وأعمالهم رقابة دقيقة .

فالله تعالى ينادى المؤمنين بهذا النداء الحبيب المؤثر « يا أيها الذين آمنوا » ، وفيه إيماء بأن رابطة الإيمان وعقده الذى عاقدوا الله عليه « له تكاليف عملية يجب أن يوطنوا أنفسهم عليها .

فمن هذه التكاليف أن يكونوا أمناء على ما أؤتمنوا عليه ، فلا يخونوا الله والرسول ولا يخونوا أماناتهم وهم يعلمون .

وهذه عبارة قوية عن وصية جامعة ، فالمؤمن

خبيرا بالأمور ، بصيرا بها ، ذا حاسة تفرق بين الخير والشر وبين الحق والباطل ، وبين ما ينفع وما يضر ، فذلك هو الفرقان الذى يجعله الله لمن يتيه .

وأحب أن أقول هنا كلمة : وهى أن كثرها من الناس ربما فهم أن «التقوى» خلق دينى روحى يتصل بأنواع العبادات والتقربات الروحية من صلاة وصوم ونحو ذلك . ولهذا نجد لفظ «التقى» فيما بيننا يطلق على كل من أرخى لحيته ، وحرك سبخته ، وتمتم وهو سائر فى الطريق ، أو جالس بين الناس ،

بآيات يقرؤها ، أو دعوات يرددها... إلخ . ولكن التقوى أوسع من ذلك ، وقد

توجد فيمن ليس كذلك ، وتنعدم فيمن يحرص على المظاهر الجوفاء والأساليب الخلابه ، إن التقوى - كما قلت ، وكما تدل عليه آيات القرآن وأحاديث الرسول وكلام العلماء هى ذلك الخلق الذى لا يفارق الإنسان حينما

كان ، فى أى تصرف ، فى الملأ وفى الخلاء لأنها هى السر بين العبد المؤمن وربه ، وهى المعيار والمقياس والمكيال والباعث والحاجز فإذا استقر هذا الخلق فى مجتمع ، فلا بد أن يصلح أمره وأن يبلغ منازل العزة والرفعة ، وأن يكون سعيدا .

إن التكليف الروحية المطلوبة يسيرة ، فالصلاة مثلا لا تشغل الإنسان أكثر من

حيث كان يجب أن يقتصد . . إلخ ، فهذا هو للضمير الحى أو هو التقوى ، وقد ورد التعبير فى القرآن عن هذا المعنى بعبارات أخرى منها قوله تعالى : «إن الله كان عليكم رقيبا» . «ألم يعلم بأن الله يرى» ، «وكان الله سميعا عليا» ، «ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم» ، فهذه كلها هى أساس تربية المؤمن على خلق المراقبة وغرس معنى الأمانة فى نفسه ، وبث هذا فى كل ما يتصل به من قول أو عمل أو سلوك أو نية أو دخيلة نفس .

ثم تأتى الآيات بعد ذلك بتحذير قوى من الفتنتين العظيمتين فى الحياة : فتنة الأموال وفتنة الأولاد ، وهما السر فى أكثر ما يقع فيه الناس من خيانة للأمانات وتجعل فى مقابلهما ما عند الله من أجر عظيم لمن لم يتخذ بهما ، ولم يملأ أحدهما عن الصراط السوى لأهل الإيمان .

ويأتى بعد ذلك أسلوب النداء باسم الإيمان مرة أخرى «يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم» ، إذانا بأن سنة الله فى خلقه أن من راقب ضميره . وحاسب نفسه ، فلن يضيع أبدا ، ولا بد أن يخلصه الله من المآزق والخرج ، ويجعل له فرقانا ، وربما فر هذا أيضا بأن صاحب الضمير الحى يكون فى العادة

تعالى يقول : وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنّة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين . الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين . والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ؟ - ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون .

فالقُرآن لم يفرض الناس ملائكة لا يخطئون . ولكن فرض فيهم أنهم قد يقعون في الخطأ أو الإثم والفاحشة ، فلا ينافي ذلك وصفهم بالتقوى ، ولكن الذي ينافيها هو الإصرار على الخطأ والاستمسك بالسوء والفحشاء . هذه التربية الإيمانية ، إنما هي تربية عملية دنيوية روحية معا ، وهى التربية التى يصلح عليها المجتمع ، ولا تجدى دعوى الإيمان بدونها ، ولا تقتعد منازل العزة والكرامة إلا فى ظلها وتحت رايها .

محمد محمد المرنى

عميد كلية الشريعة

بضع دقائق فى كل فريضة ، بينما يوم الإنسان كله ليله ونهاره ، فيه كثير من التصرفات الأخرى التى تحتاج إلى أن يكون المرء فيها متقيا لله كما تحتاج الصلاة إلى رعايتها وإقامتها وتقوى الله فيها .

فهل ترى الإسلام يهتم بأن يقيم الإنسان على نفسه رقبيا فى زمن الصلوات فقط ولا يقيم على نفسه رقبيا فى سائر التصرفات والأزمان ؟

ثم إن التقوى كخلق لا تتجزأ ، فلا يمكن أن أكون تقيا لمجرد أنى أؤدى صلاتى فى أوقاتها وأحافظ عليها ، بينما أنا مقصر فى عملى أو مسىء لوطنى ، أو مفرط فى شئون أولادى وأهلى أو كذا أو كذا .

على أن التقوى أيضا لا تستلزم أن الإنسان لا يخطئ أبدا ، ولا يهفو أبدا ، فإن الإنسان خطأ ضعيف ، ولكنها تستلزم عدم الإصرار على الخطأ ، تستلزم محاسبة النفس ولومها عند الهفوة والذنب ، ومصادق ذلك أن الله

الصادق والكاذب

لو صور الصدق لكان أسداً ، ولو صور الكذب لكان ثعلباً . وما صاحبهما ببعضين

من هاتين الصورتين

نَفْحَاتُ الْقُرْآنِ

لمحات زاجرة من صدر التاريخ

للأستاذ عبد اللطيف السبكي

(أ) إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام

(ب) ثم استوى على العرش

(ج) يغشى الليل النهار ، يطلبه حثيثا .

من طريقه منتهانا فى هذا الوجود وما بعد هذا الوجود .

وفى العلم بأولنا وآخرنا من طريق القرآن ما يكفى ، وأكثر مما يكفى للتدبر ، والإقناع ، والإيمان ، والتجاوب مع دعوة الله ، والتصديق بكل آياته المتلوة فى كتابه ، أو المنشورة فى سمائه ، وأرضه ، وفيما بينهما : والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا ، وجعل لكم السمع ، والأبصار ، والأفئدة ، لعلكم تشكرون .

وفى الآية التى أسأفنا من سورة الأعراف يحدثنا الكتاب :

أولا : بأن ربنا هو الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام .

وثانياً : بأنه تعالى استوى على العرش بعد خلق السموات والأرض .

ومنذا يحدثنا فى صدق عن الحلقة الأولى لهذا الوجود : سوى القرآن الذى لا يأتيه الباطل بين يديه ولا من خلفه ؟ ؟ .

أمكن للإنسان أن يتعرض باجتهاده فى العلم لتقدير الزمن الذى اجتازته الدنيا ، قبل الميلاد ، أو بعده : استيحاء من الآثار ، أو متابعة لبقول مروية عن سلف ، ولكنه لم يقطع على وجه التعيين بضبط هذا الزمن ، فظلت روايات التاريخ فى مد وجزر ، كما ظلت تكهنات الفلاسفة - فى تصوير الشخصية الإنسانية قديما ، وتدرج الحياة بها ، قابلة للإضافة والحذف والتصديق والتكذيب .

أما الجوانب المتعلقة بخلق السموات والأرض ، وما يتصل بهما ، فقد زودنا القرآن بشيء من المعرفة عنه ؛ لندرك - ولو إجمالا - أولنا فى هذا الوجود ، كما عرفنا

وثالثاً : بأنه يغشى الليل النهار : يطالبه حيثاً .
 فآله - سبحانه - يفتحنا في هذا المقام بأمور
 ثلاثة يسوقها مساق التعليم لنا بما كنا نجهله ،
 ومساق التنبيه على ما نحن بغفلة عن التفتن
 لأسراره - وفي العلم بذلك ، والتفتن لأسراره
 حافظ على النشاط العقلي ، وتحرر الأذهان من
 هدأة الركود إلى توثبها في مجال العلم ،
 واستجلاء ما هنالك من خفايا تزداد بها
 المعرفة ، وتتجلى بها حضارة الإنسان في دنياه .
 ففي توجيهات الدين وإشادته بما أبدع الله
 في ملكه أضواء تتيح للعقول أن تكشف
 عن كثير وكثير . ١١ .

ثم مامقدار اليوم من الأيام الستة التي خلق
 الله فيها السموات والأرض ؟؟ قالوا : المراد
 باليوم الوقت مطلقاً ، دون تقيد بقدر معين ؛
 لأن التقدير إنما حصل بعد تمام خلق
 الأفلاك وتنظيمها ، ولم يكن شيء من هذا
 حين خلق السموات والأرض .

والراجح : أن اليوم هو المعروف لنا
 الآن ، من طلوع الشمس إلى غروبها ، فإن
 الله يخاطبنا ويخاطب عباده من قبل ، بعد
 تمام الخلق ، واستقرار النظام للأفلاك ،
 ومعرفة اليوم الذي يخاطبنا به ، ونستطيع
 بمعرفته أن ندرك قدرته على إيجاد السموات
 والأرض في ستة أيام بما نعهده ، فلا ضرورة ،
 بل لا وجه لتفسير اليوم بغير هذا المعروف .

ثم لماذا كان الخلق في ستة أيام ، ولم يكن
 دفعة واحدة ، والله قادر على كل شيء ؟؟ .
 لهذا التاني حكمتان : إحداهما - تعليم
 الناس أن يترشوا في صنعهم بالقدر المستحسن
 حتى لا يأخذهم التسرع ، ويكون التعجل
 عرضة للخطأ ، وفوات المنفعة ، وفي ذلك
 ورد قول النبي صلى الله عليه وسلم : « التاني
 من الله تعالى - يعني من سنته في خلقه ، وهدية
 لعباده - والعجلة من الشيطان ، يعني من
 نزغاته ، وفتنته ، ليفوت على الإنسان فرصته ،
 كما تعجل الشيطان آدم وحواء في تحريره
 لما على الأكل من الشجرة التي نهاها عنها ،
 حتى خدعهما بالقسم والإلحاح ، ثم كان ما كان .
 وليس القصد من التاني التراخي في بطن ،
 ففرق بين التريث لتمحيص الرأي ، وجمع
 الفكرة ، ثم العزيمة والتوكل ، وبين الفتور
 أو التخلف عن انتهاز الفرص ، فإذا عزمك
 فتوكل على الله » .

الحكمة الثانية - أن إبداع السموات والأرض
 على وجه التدرج في ستة أيام يبنى عن ترتيب
 شيء على شيء ، وتوقف إيجاد على إيجاد كما أحاط
 عليه ، وتعلقت إرادته ، وقدرته - سبحانه -
 فلكل صفة من هذه الصفات وظيفة
 تؤديها في إبراز الممكن من العدم .

وكما يفكر الإنسان منا في إقامة منزل مثلاً ،
 فيكون المنزل حاضراً في ذهنه وشخصاً في

خياله إجمالاً ثم يختار له الرسم الذى يرتضيه ، ثم يستخدم قدرته فى التنفيذ - والله المثل الأعلى - وما يشهد لذلك أن بعض الآيات يفصح عن هذا فى مثل قوله : « ثم استوى على العرش ، يدبر الأمر » ، « وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لالعين » ، « وما خلقناهما إلا بالحق » . ثم ما هى الأيام الستة ؟ تحديدها بالذات لا يتوقف عليه عقيدة ، ولا يتعلق به تكليف عمل . ولذلك لم يرد بتسميتها نص قاطع ، وفى هذا آثار مروية تكفى فى الجملة تمييز بعضها عن بعض . وأقربها إلى الحق أن ابتداء خلق السموات والأرض كان فى يوم الأحد ، ثم الاثنين ، ثم الثلاثاء ، وهكذا إلى انتهاء يوم الجمعة فتكون المدة سنة أيام فقط وتكون التسمية مطابقة ، فالأحد هو الأول ، والاثنين هو الثانى ، وآخرها الجمعة ، وفيه تم اجتماع الخلق وخلق آدم ، على ما أراد الله .

وقد بقى يوم السبت ، وأكثر العلماء على أنه لم يكن فيه خلق ، ويبدو واضحاً أن حكمة الله فى هذا نعييد الناس على عدم الانهماك المتصل ، وتفرغهم للراحة ، ولإصلاح شئونهم الخاصة فى يوم من أيام الأسبوع ، فإن الدأب والانهماك يذهبان بالصحة ، ويهددان بالانقطاع ولذلك نهى النبي عليه الصلاة والسلام عن إجهاد النفس ، حتى فى العبادة - إن لبدنك عليك حقاً . إن هذا الدين متين فأوغل فيه

برفق . . وإن يشاد الدين أحد إلا غلبه . وكان من تشريع الله لليهود أن يتركوا العمل الدينى يوم السبت للسبت للاستجمام والراحة ، فالسبت معناه الراحة ، وكان عليهم أن يعظموا هذا اليوم ، فلا يزاولوا عملاً غير العبادة المطلوبة منهم ، فى حدودها المعينة ومع عليهم بذلك التشريع يومئذ فقد كانوا يمتنعون حرمة السبت ، إذ تسكر الاسماك فى البحر أمامهم فيتهاقون على صيد الاسماك ، ناقضين عهد الله ، وناكثين لحرمة يوم السبت وكانت حكمة الله تعالى تقابل صنيعهم باختفاء الاسماك بعد ظهورها : فلا يقومون بحق الله ، ولا يصيبون شيئاً مما طعموا فيه . إذ تأتيتهم حيثانهم يوم سبتهم شرعاً ، ويوم لا يسبتون - أى لا يحترمون السبت - لا تأتيتهم ، كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون . وهكذا شأن بنى إسرائيل حتى اليوم : لا يدينون لله بدين حق ، ولا تشبعهم الدنيا بأسرها وقد تملكهم الجشع المفرط حتى رخص عندهم كل شيء يعز به سواهم وحتى زعموا سلفاً أن يد الله مكتوفة عن العطاء والسخاء . وقالت اليهود : يد الله مغلولة ، غلت أيديهم ، ولعنوا بما قالوا ، بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء .

٢ - المرتبة الثانية بما فى الآية - « ثم استوى على العرش » .

هناك عرش ولا جرم ، وقد تحقق الاستواء عليه من جانب الرحمن سبحانه ، وتقرر ذلك

الليل يعقب النهار ، وفي القرآن آيات تشهد بكل ذلك ، فالله تعالى يقول : « والنهار إذا جلاها - يعنى الشمس بعد الظلام - والليل إذا يغشاها ، يعنى يطرأ على النهار ، ويغشى الشمس فيكون الظلام بعد الضوء .

وقد اجتمع المعنيان فى قوله عز شأنه « يكور الليل على النهار - يجعله محيطا به - ويكور النهار على الليل ، يجعله كذلك غاشيا له . وسواء أكان هذا أم ذاك فهو نظام رتيب وسير حثيث ، لا يلاحقه خلل ، ولا وهن وإلى هنا تسكون آية الأعراف بينة المعنى وكافية الهداية .

وقد عززتها آيات أخر ، فآية سورة السجدة تؤكد ذلك ، وتزيد عليه أن الستة الأيام كانت لخلق السموات والأرض وما بينهما ثم تأتى آية سورة ق - فتزيد على ما فى الآيتين قوله تعالى : « وما مسنا من لغوب - يعنى مع ما فى هذا الخلق العجيب من عجب ، وماله من شأو ، لم يكن فى الأمر بالنسبة لله تعالى أدنى لغوب : تعب كما يحصل لنا من مزاوله عمل نهتم به ، ضرورة أن طاقتنا محدودة وذلك تنويه على عظيم قدرته ، وتنزيهه له عن شائبة العجز ، وتقديس له تعالى عن الحاجة إلى راحة ما ، كما يزعم بنو إسرائيل قبحهم الله : أن الله خلق ما خلق فى ستة أيام ثم استراح من عمله يوم السبت وبعد الذى أسلفنا بقيت لنا حاجة إلى العلم بأمرين :

فى جملة من الآيات ، فالإيمان بما أخبرت به حق ، وعقيدة ، لا تقبل شائبة من تردد ، ولا ترقى إليه شبهة ولكن : مامعنى الاستواء بالنسبة لله ؟ هل هو جلوس بجلوسنا على الكرسي تعالى الله عن ذلك !! أو هو استيلاء وتملك كما نستولى نحن على شئء مملوك ، دون تصويره باستيلائنا ؟؟ ذلك كلام اضطرب فيه علماء !! . ثم ماهو العرش ؟؟ هل يقال : إنه فلك الأفلاك يعنى أعظمها ويحيط بها أو يقال كذا وكذا ؟ والحق الذى لا يحصى عنه ، ولا محذور فيه أن الاستواء والعرش مما استأثر الله بعمله فنحن نعرف العرش باسمه فقط ، ولا نحاول تفسير الاستواء عليه بل نؤمن ونطمئن ولا نكلف أنفسنا شططا فيما لم يكلفنا الله بيعثه والتهكن فيه !! .

وطالما ثار حول ذلك الشأن جدل ، واحتدمت خصومات مذهبية أو اختلطت بحوث وفلسفات ، وركضت أذهان وعقليات وراء تحديد المعنى لهاتين الكلمتين ، ثم لم يكن لهذا نهاية ، فلا حاجة بنا إلى التعلق بلجاج عقيم . المرتبة الثالثة لما فى الآية - « يغشى الليل النهار ، يطلبه حثيثا

يجعل الله الليل غاشيا للنهار وطارئا عليه فيحيل ضوهه ظلاما أو يجعل النهار غاشيا ليل ، فيحيل ظلامه ضووا ، وكلا التوجيهين صحيح ، وواضح أن النهار يعقب الليل ، وأن

أحدهما - مقدار المدة التي خلقت فيها الأرض وحدها ، والسماء وحدها ، وجواب ذلك في قوله تعالى من سورة فصلت : « قل أنتم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين ، فهذا إيضاح ؛ لأن الأرض لم تستغرق سوى يومين ... ثم يقول بعد ذلك : « وجعل فيها رواسي من فوقها ، وبارك فيها ، وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام ، سواء للسائلين ، يعني وهو الأعم - بعد خلق الأرض في يومين جعل فيها جبالا رواسي من فوقها ، لتحفظ توازنها ، ولم يجعلها في جوفها ، ولا تحتها لتلك الحكمة ، كما نضع نحن على أطراف الشيء ، أو في وسطه ما يثبته ، ويحفظه من التمايل ، وهذا ما صرح به في قوله « وجعل فيها رواسي أن تميد بكم ، أي : أن الجبال تحفظ الأرض أن تهبط إلى ناحية من نواحيها وكان خلق الجبال ووضع البركة في الأرض لتصلح معاشا ، ومزرعة ومنبعاً للأرزاق وكان كذلك تقدير الأقوات اللازمة للحياة فيها : كل ذلك كان في تمام أربعة أيام : أعني في يومين آخرين أي بعد يومين سابقين في خلق الأرض وحدها ، فتسكون مدة الأرض بما فيها أربعة أيام من الستة ويؤكد الله ذلك بقوله : « سواء للسائلين » يعني أنها أربعة أيام مستوية متكاملة وهذا لبيان حاجة السائلين .

خلقت السموات وما فيها ، وتم نظامها على وجه السكال وهذا هو قوله تعالى : « فقضاهن سبع سموات في يومين ، وأوحى في كل سماء أمرها ، وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ، الأمر الثاني مما تحتاج الى معرفته - أسبقية أيهما على الآخر : السماء أم الأرض ؟ وأنت ترى ذكر السموات سابقا على ذكر الأرض في طائفة من الآيات ! ففي أول سورة الأنعام - « الحمد لله الذي خلق السموات والأرض ، وجعل الظلمات والنور » - وفي سورة الأعراف : « إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض ، وفي سورة السجدة - الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما وفي سورة ق ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما الخ وفي سورة النازعات يذكر السماء ، ويذكر شيئا من صفاتها ، ثم يقول : « والأرض بعد ذلك دحاها » يعني بعد السماء وهذه ظواهر تشعر كلها بأسبقية السماء على الأرض في خلقها كما هي سابقة عليها في هذا القصص !! .

ولكنك تجد الأمر على عكس هذا في آيات أخرى : فالأرض مذكورة قبل السماء في سورة البقرة « هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات » الآية - وفي سورة فصلت التي أخذنا منها تقسيط الأيام الستة بين الأرض والسماء كما سبق . . . وفي سورة طه - « تنزيلا من خلق الأرض والسموات العلى » .

ويكون الباقي من الأيام يومين ، وفيهما

في هذا ، وقالوا : إنما ذكرت الأرض قبل السماء في كثير من الآيات ؛ نظراً لاتصال الإنسان بها ، فهو يعيش فيها ، ويستثمرها ، ويشهد معالمها ، ويدرك من منافعها أكثر مما يدرك من معالم السماء ، فخطب بها قبل أن يخاطب بشأن السماء ، وقوله : « بعد ذلك دحاها ، قاطع عندهم بما يرونه .

وعلى كل من التوجيهين حقيقة العلم بذلك عند باري السموات والأرض ، ولاضير علينا من تعدد الاجتهاد في استنباط معلوم لا تناط به عقيدة ، ولا يتفاوت به إيمان ، وهو بحث على يفيد ، ومعرفة تزداد .

والقصد المنشود من هذه الأخبار في الذكر الحكيم إيقاظ الوعي عند الناس لما خلق الله في ملكوته ، وتبصيرهم بما أبدع من آياته ، واستدعائهم إلى اليقين بربوبيته ، والاستقامة على طاعته ، واللياذ إلى جانبه ، والاستعانة به من معصيته .

وهذا توجيه علوي رحيم : والاهتمام به لا يحتاج إلى أسبقية سماء على أرض ، أو أسبقية أرض على سماء ١١ ونسأل الله جل جلالته قدرته وتباركت آلاؤه : أن يهدينا بهديه إلى كمال الإيمان به فهو نعم المولى ونعم النصير ؟

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

فيين الآيات مغايرة في ترتيب ذكر السموات والأرض ، فيكون بينها تعارض في إفاضة الأسبقية في الإيجاد لها ١١ فنحن بحاجة إلى قول فصل .

وقد أشكل الأمر قديماً على أحد الناس فذهب إلى ابن عباس ، وسأله عن التعارض بين ذكر الأرض قبل السماء في آية فصلت وذكرها بعد السماء في آية النازعات ، والأرض بعد ذلك دحاها فقال ابن عباس رضى الله عنهما : أما خلق الأرض في يومين الخ . .

فإن الأرض خلقت قبل السماء ، وكانت السماء دحاناً فسواهن سبع سموات في يومين بعد خلق الأرض . . وأما قوله تعالى « والأرض بعد ذلك دحاها ، يعنى بعد خلق الأرض ، والسماء بسط الأرض ، وجعل فيها جبالا ، ونهرا ، وبحرا الخ . انتهى ويبدو من هذا أن تأخر الأرض عن السماء في الآيات الأولى ، ليس تأخراً في إيجاد ذاتها بل هي سابقة ، وإنما هو تأخر لما فيها من كائنات تتبعها ، فلا يكون بين نسق الآيات تعارض ، ولا يكون في الأمر إشكال كما يسبق إلى الوهم .

ولكن : هل هذا هو القول الفصل الذي تطلعنا إليه من قبل ؟ لا ندعى ذلك . . فقد تبسط علماء آخرون وخالفوا ابن عباس ، وأكدوا أن السماء سابقة في الإيجاد على الأرض ، وأن الأرض بما فيها كانت بعد السماء ، فخلقت أودحيت ، وخلق ما فيها بعد السماء ، واستبعدوا أن يرتاب الإنسان

الدِّينَ وَالْعِلْمَ الْحَدِيثَ

نَزَعَتْ ضَاةً خَاطَتْ

لَهُ سَنَاءٌ مَحْمُودُ الرَّقَاوِي

لها قانونا من قوانين هذا العلم ولا نظرية من نظرياته .

يسأل بعض المسلمين النبي عليه السلام عن الهلال: لم يظهر أول الشهر صغيراً ثم يكبر . ولم لا يكون على حال واحدة كالشمس . فينزل الله تعالى في ذلك قرآنا هو : « يسألونك عن الأهلة ، قل هي مواقيت للناس والحج » (١) .

فإذا تأملنا السؤال وجوابه أدركنا ما بينهما من فرق بعيد . فسؤال بعض المسلمين كان عن « السبب » في ظهور القمر صغيراً في أول الشهر . وعن « السبب » في تدرجه بالكبر ليلة بعد ليلة حتى يصير بدرأ كاملاً . ثم السؤال عن « السبب » في اختلاف ما بين القمر والشمس في ذلك . فالشمس ، كما يشاهدون ونشاهد ، تظهر في كل يوم على حالة واحدة وفي حجم واحد لا يتغير بالتدرج من الصغر إلى الكبير .

والجواب : كما نرى في الآية الكريمة ، لم يذكر سبباً ولا علة . بل تحدث عن مشيئة الله

مفهوم العلم عندنا - نحن رجال الدين - أوسع وأشمل من مفهومه الحديث . فنحن نقول : « علم النحو ، و « علم الأصول ، و « علم العروض ، كما نقول : « علم الجغرافيا ، أو « تقويم البلدان ، و « علم الحساب ، و « علم الفلك ، والهندسة ، وكانوا في وقت من الأوقات يجعلون « خصائص الحروف ، علماً :

ولكن « العلم ، الآن له مفهوم أضيق . فهو يطلق على العلوم التي تقوم على التجربة والاختبار كعلم الطبيعة والكيمياء ، والتشريح أو التي تقوم على نظريات حسابية أو هندسية ثابتة . أو فروض علمية تؤيدها القرائن أو الملاحظة .

وليس المفهوم الأول - أى مفهوم رجال الدين عن العلم - خطأ . بل هو اصطلاح قام عليه فهم خاص في زمن خاص . وليس فيه ذلك شيء من الخطأ أو العيب .

القرآن والظواهر الكونية :

تعرض القرآن الكريم لبعض الظواهر الكونية التي تخضع لمفهوم العلم الحديث ، فلم يضع

(١) الآية ١٨٩ من سورة البقرة .

وسواء فُرت « الروح » في هذه الآية
الكريمة بالوحي أو القرآن ، كما يرى الفخر
الرازي ويستدل على ذلك بسياق الكلام
والآيات السابقة اللاحقة^(١) وأُفسرت بالنفس
أو السر الإلهي ، على أى تفسير وضيئناه للآية
الكريمة فقد جاء الجواب ، مبيناً لهم أن العلم
الذي آتاه الله لهم ليس إلا شيئاً قليلاً إلى
جانب ما يحملون . وأن هذا الذي يسألون
عنه إنما هو من « أمر » الله الذي اختص
بعله . وبعض الروايات تقول : إن السائلين
كانوا من اليهود ، أو من المشركين .

وقد وهب الله للإنسان عقلاً ليبحث به
ويفكر ويتأمل ويخترع ، أى ليستخدمه
في ميدانه ويفيد منه بما يحقق سعادته
وخيره في هذه الحياة ، وليتدبر بعقله هذا
وبصيرته في حكمة الله وقدرته وبديع صنعه :
« إن في خلق السموات والأرض واختلاف
الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر
بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء
من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها
من كل دابة ، وتصريف الرياح والسحاب
المستخر بين السماء والأرض ، آيات لقوم
يعقلون »^(٢) .

التي أرادها من ذلك ، وفائدة الناس التي يجب
أن يفيدوها من مشيئته تلك في ظهور الهلال
صغيراً ثم يكبر . فمن هذا التدرج يعرف
الناس موافقتهم ويقسمون أزممتهم ويضبطون
شئون يومهم وعملهم وسعيهم كما يعرفون
موافقت الحج .

فإنه تعالى يقول للسائلين عن السبب في
ظهور القمر صغيراً ثم يكبر : أفيدوا من
حكمة الله ومشيئته تلك في شئون معاشكم
ودنياكم بتنظيم الزمن ، وفي شئون عبادتكم
بمعرفة موافقت الحج . وترك سؤاها عن
عن السبب والعلّة من غير جواب .

ثم عاد في مواضع أخرى من الكتاب الكريم
فبين ذلك وأبرزه واستدل به على قدرة القادر
وحكمة الصانع الحكيم . مثل آية : « هو الذى
جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره
منازل لتعلوا عدد السنين والحساب ،
ما خلق الله ذلك إلا بالحق ، يفصل الآيات
لقوم يعلمون »^(٣) .

ففي هذه الآية الكريمة يذكر الفائدة والعبرة
وما فيها من التفصيل لقوم يعلمون فيعتبرون .
ويسأل قوم النبي عليه السلام عن الروح
فينزل الله تعالى عليه قرآناً هو : « ويسألونك
عن الروح قل الروح من أمر ربي ، وما أوتيتم
من العلم إلا قليلاً »^(٤) .

(١) هذا أيضاً رأى فضيلة الأستاذ الأكبر

الشيخ محمود شلتوت

(٢) الآية ١٦٤ من سورة البقرة .

(١) الآية ٥ من سورة يونس .

(٢) الآية ٨٥ من سورة الاسراء .

في هذه الآية : « أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم . فبأى حديث بعده يؤمنون » . (١)

فقد جعل الله ثمرة النظر في ملكوته : أرضه وسمائه هي التأمل والإيمان والامثال وقرن ذلك باقتراب الموت ونهاية الأجل . ولم يتعرض للسبب والعلة والتفسير ، فذلك أمر جعله الله منوطاً بملكة أخرى وهبها للناس : هي العقل والبحث التجريبي .

الألوهى والطيرانية :

هذا من ناحية سياق القرآن وفهمه الذى لا تعسف فيه . وهناك ناحية أخرى واقعية نستطيع بشيء من التأمل أن ندرکها ، وبشيء من الإخلاص أن نجزع من أثرها على القرآن والدين والعقيدة : فهذه النظريات ، العلمية - كما نعرف وكما هو واضح من تسميتها - هي فروض واستنتاجات يذهب إليها العلماء الدارسون لهذه الظواهر ، ويختلفون فيها ويذهب كل فريق منهم حيالها مذاهب شتى . ويتنازعون عنها ويتجادلون ويخطئ بعضهم بعضاً فيها . وليس من الخير ولا من التقديس والسكرامة التى يجب أن نحصر عليها في شأن القرآن والدين والعقيدة

ففي هذه الآية نجد أمر الله الحكيم للناس هو أن يتأملوا ويتدبروا في خلقه السماء والأرض ، وفي اختلاف الليل والنهار ، وفي « النظرية الطبيعية » التى تجعل السفن تسير على الماء فتحمل الناس ومتاعهم ومتاجرهم ، « والظاهرة الطبيعية » التى تنزل الماء من المطر فتنبث الحب والزرع والشجر وتجعل « من الماء كل شيء حى » كما قال الله تعالى وكذلك مسير السحاب وسوقه من مكان إلى مكان ، وتسخيره بين السماء والأرض ، وتصريف الرياح .

نجد في هذه الآية السكرامة أمر الله الحكيم للناس بأن يتدبروا هذه « الظواهر الطبيعية » كلها ويتأملوها . فسيجدون فيها عبرة وآية لكل من يعقل . كما يجدون فيها مظهراً ودلالة على قدرة القادر وحكمة الحكيم . فهي دعوة للاعتبار بها في تثبيت الإيمان والإحساس ثم الاعتراف بقدرة الله وحكمته .

وكذلك نجد في الآية السكرامة : « إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض آيات لقوم يتقون » ، (١) .

والأمر في ذلك أوضح وأبين وأصرح

ارتفعت أنت الريح رخاء فسارت به فساروا معه ، (١) .

بعد أن يذكر الألوسي هذه التفاصيل عن مركب سيدنا سليمان الطائر . لا يكفي بذلك بل يتعرض لظاهرة « أو نظرية عليية » أو « اختراع » كان يجرى علماء مختصون تجارتهم عليه . هي نظرية استخدام الهواء واختراع الطيران .

فالألوسي يسمع عن محاولة اختراع الطائرة وعن تجربة أجريت فيها فسقطت الطائرة ، فيدخل فيما لا يحسن ويتكلم فيما ليس أهلاً له ويتعرض « للعلم » فيربط بينه وبين القرآن . مستدلاً - أو محاولاً أن يستدل على معجزة النبي سليمان في ركوب الريح وتسخير الله إياها له . فيقع فيما نرى من الخطأ الكبير . الذي ندرك مسداه الآن ونحن نرى ونسمع ونركب طائرة من صنع الإنسان تسير بسرعة تزيد أضعافاً مضاعفة عن سرعة الصوت . ونسمع ونشهد قذائف أخرى وكواكب تطير إلى القمر وتدور حوله آلاف المرات .

ونحن لا نشك في إخلاص الألوسي حين تعرض للعلم التجريبي واستخدمه في تفسير القرآن الكريم . ولكن لا سبيل إلى الشك أيضاً في خطأ هذا المنزع وضرر هذا الاتجاه

أن نربط بين آيات من الكتاب الحكيم وبين نظريات وآراء وفروض يضعها الناس ويختلفون فيها ويتجادلون عنها ويخطئ بعضهم بعضاً بشأنها . ثم هي قد تخطئ وقد تصيب ، وقد تثبت اليوم ويعترف بها ، ثم تسقط غداً وتنكسر . وما أعتقد أن أحداً يحرص على قداسة القرآن وكرامة العتيدة وقدسسية الإيمان يرى من الخير أو من السداد أن يربط بين هذه المقدسات وبين « نظريات » هذا شأنها

وليس هذا الذي أقوله فرضاً محتملاً - وإن كان محض احتمالاً وتقديره كافياً للجزع والمعارضة - بل هو أمر وقع فعلاً في تاريخ التفسير ، وفي تفسير القرآن الكريم بالذات . ومن مفسر لا ينازع أحد في أنه من كبارهم وشيوخهم ورؤسائهم : هو الألوسي .

يفسر الألوسي قوله تعالى : « ولسليمان الريح عاصفة تجرى بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين » (١) فيذكر كلاماً كثيراً عن مركب سليمان الذي « كان فيه ألف ركن ، في كل ركن ألف بيت ، يركب فيه معه الإنس والجن . تحت كل ركن ألف شيطان يرفعون ذلك المركب . فإذا

(١) ص ٣٨٠ ج ٥ من تفسير الألوسي « روح المعاني » . الأميرية ١٣٠١ .

(١) الآية ٨٩ من سورة الأنبياء .

الألوسى لآية سليمان ، وما يتعرض له كتاب الله المنزل إذا سائرنا هذه النزعة في تفسيره .
« فمنهم من تورع أن يتول في القرآن شيئاً برأيه ، كالذى روى عن سعيد بن المسيب أنه كان إذا سئل عن شيء من القرآن قال : أنا لا أقول في القرآن شيئاً ، وقال ابن سيرين : سألت عبيدة عن شيء من القرآن فقال : اتق الله وعليك بالسداد ، فقد ذهب الذين يعلمون فيم أنزل القرآن » (١) .

فهذا الفهم ، وهذا التسليم بالقرآن ، الذى فهمه عمر وأمر به كان بعض التابعين يلتزمون به أيضاً ويأمررون به .

كم من « الحقائق » العلية أى النظريات والفروض التى اعتقد رجال العلم أنها أصبحت من الحقائق الثابتة التى لا شك فيها والتى لم تعد ثم حاجة لمعاودة البحث فيها . كم من هذه « الحقائق » عاد العلم نفسه فنقضها وأقام على أنقاضها فروضا ونظريات أخرى يظن يوماً أنها أصبحت « حقائق » ثابتة ، ثم يجرى عليها ما جرى على سابقتها ، وهكذا . وكل من درس شيئاً من تاريخ العلوم والنظريات العلية ، يستطيع أن يجد عشرات الشواهد الدالة على صحة ذلك .

على العقيدة والقرآن . وهى عبرة يجب أن نعتبرها من تجربة الألوسى هذه .
ونحن نرجو أن يكون بعض القوم الذين يزعون هذا المنزع الخطر فى مثل إخلاص الألوسى فينصرفون عن نزعتهم هذه حين يدركون خطأها وخطرها .

فهم الصحابة للقرآن الكريم :

وهذا الذى يسمونه : « التفسير العلى للقرآن » فوق أنه تكلف ومجازفة وشطط ، يجافى نظرة الصحابة ، رضوان الله عليهم ، للقرآن وفهمهم عنه .

سأل رجل عمر بن الخطاب عن معنى قوله تعالى : « وفاكمة وأبا ، ما هو الأب .. ؟ » فقال له عمر : نهينا عن التكلف والتعمق (١) وما كلفنا هذا ، أو ما أمرنا به .

ونحن نعرف مكانة عمر وفقهه وعلمه . والكلمة التى سئل عنها ليست من « العلم » ولا تفسر ظاهرة كونية ولا تقيم نظرية من نظريات العلم التجريبي ولا تتعرض لكشف عن تلك الكشوف التى يريد بعض القوم أن يحملوا القرآن عليها ، أو يحملوها مالا تحتمل وما لا يجب أن تحمل عليه أو تفسر به . وقد رأينا كيف انتهى تفسير

(١) ص ٢٣٥ من فجر الإسلام لمرحوم أحمد أمين ج ١ الطبعة الثانية .

(١) للمواقفات للشاطي : ص ٥٦ ج ٢ - السلفية ١٣٤١ .

غير موجود عندهم. وذلك دليل على أن القرآن لم يقصد فيه تقرير لشيء مما زعموا (١) فالبحث عن نظريات العلوم، والمخترعات الحديثة، والمستكشفات، كإضافة كل علم يذكر للمتقدمين أو المتأخرين، هذا البحث كهذه الإضافة التي يرى الشاطبي أنها تجاوزت في الدعوى على القرآن لا يحتملها، ولم يفهمها منه الصحابة والتابعون الذين هم أقرب الناس إليه، وأدراهم بمقاصده وإدراك معناه.

والكلمة الحكيمة الصادقة المؤمنة التي قلها مالك . هي خير ما يجب أن نلتزمه في فهم الآيات المتشابهة من القرآن الكريم، وهي حصانة لنا من الخطأ والزلل. والله تعالى يقول: «وما يعلم تأويله إلا الله، والراشخون في العلم يقولون آمنا به. كل من عند ربنا، وما يذكر إلا أولو الأبالب».

«الراشخون في العلم». يقولون: «آمنا به كل من عند ربنا». فكيف بنا - نحن غير الراشخين - على أطف التعابير وأيسر الأوصاف...؟

محمود الشرفاوى

فن الضرر والبلبله للؤمنين أنفسهم، كما ذكرنا من قبل، أن نجعل شيئاً أو أمراً من أمور الدين والعقيدة خاضعاً لهذه النظريات والفروض العلمية أو دائراً معها. فسينال هذا الشيء - أو الأمر - من أمور الدين من التناقض والتضارب والسقوط، ما ينال هذه النظريات والفروض.

وهذا الفهم للقرآن الكريم حقيقة أدركها ونبه إليها من قبل الإمام الشاطبي الذي يقول: «ما تقرر من أمة الشريعة وأنها جارية على مذاهب أهلها، وهم العرب، يبنى عليه قواعد منها أن كثيراً من الناس تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحد، فأضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين أو المتأخرين من علوم الطبيعيات، والتعاليم، والمنطق، وعلم الحروف، وجميع ما نظر فيه الناظرون من هذه الفنون وأشباهاها. وهذا إذا عرضناه على ما تقدم لم يصح، ولهذا فإن السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن يلهم كانوا أعرف بالقرآن وعلومه وما أودع فيه، ولم يبلغنا أنه تكلم أحد منهم في شيء من هذا المدعى سوى ما تقدم وما ثبت فيه من أحكام التكليف الآخرة وما يلي ذلك. ولو كان لهم في ذلك خوض ونظر لبغنا منه ما يدلنا على أصل المسألة، إلا أن ذلك لم يكن فسدل على أنه

(١) ص ٥٢ من اللواقف ج ٢ - السلفية

الخنزير وأخواتها رجسٌ من عمل الشيطان

للأستاذ الدكتور سيدي أن دنيا

لقد سولت له نفس أن ينتقم من زوجته في شخص أطفالها وأطفاله ، فحمل ابنه « طرزان » وعمره ثمانى سنوات ، داخل حجرة وذبحه بالسكين ، ولم تنقذه من الموت دموعه وتضرعاته ، لقد استحال هذا الوالد إلى وحش ، وتحول قلبه إلى قطعة من الصخر . ثم فتح باب الحجرة ليستقبل جريمة ثانية : لقد استدراج الوالد القتال ضحيته الثانية : ابنته « تريزة » وعمرها ست سنوات إلى الحجرة التي اختارها لارتكاب جرائمه ، وإلى جانب جثة « طرزان » ألقي الطفلة « تريزة » ، ثم انحنى عليها وفصل رأسها من جسدها ، ورمى بالسكين ، وحمل الجثتين ليلقيهما على الباب وأخذ يصيح « تعالوا شوفوا » وسرعان ما تجمع أهل البلدة ليشاهدوا أبشع منظر يمكن أن تقع عليه عينا لإنسان .

هذه واحدة من الجرائم التي تؤدي إليها وتنسب فيها المسكرات ، فهل رأيت ، أو سمعت عن حادث يقشعر له جلدك ، وتدور من هوله رأسك ، كهذا الحادث ؟ ماذا جنت

وأقصد بأخوات الخنزير هنا ، المخدرات من الخشيش والافيون وأضرابهما ، فهن أخوات في الشر والإثم والفساد ، يفسدن أحوال الناس وصحتهم وعقولهم .

ولعل القراء قد وقفوا على الخبر الذي نشرته (الأهرام) الصادرة في التاسع من شوال سنة ١٣٧٩ تحت عنوان (مزارع في « أنبوب » يذبح أطفاله ويلقى جثثهم على الباب وينادى أهالي البلدة ليشاهدوا مصرعهم) .

ومما جاء تحت هذا العنوان (أن المزارع « محمد الصبحي » عاد إلى منزله في حالة سكر شديد ، وكانت رائحة الخشيش تفوح من فمه مع رائحة الخمر ، وعابته زوجته « بخيته عبد العزيز مصطفى » وهي ترضع طفلها الصغير ، فثار الزوج واستل سكيناً وأخذ يطن بها زوجته ، فاستغاثت ثم سقطت على الأرض فاقدة النطق ، وعندئذ أغلق الزوج باب منزله ليرتكب أبشع جريمة يرتكبها إنسان .

تارة ، وفي أديارها تارة أخرى ، وإن اقتضى الحال نازلوا رجال الأمن وحفظه الحدود ، واشتبكوا معهم في معارك دامية لا يخففهم ما ينال أمثالهم من الأشغال الشاقة المؤبدة .

وأذكر أني قرأت أخيراً ، أن المشرع العربي أحس بضرورة تشديد العقوبة على هؤلاء المجرمين ، فجعلها أو سيجلها (الإعدام) بدلا من (الأشغال الشاقة المؤبدة) وهذا إجراء تشكر عليه حكومتنا أعظم الشكر ، فإنه يدل على سداد في الرأي وأصالة في التفكير ورعاية للصالح العام ؛ فإن العقوبة علاج للجريمة يقصد به القضاء عليها وتطهير المجتمع من أضرارها ، كالعلاج الذي يقصد به التخلص من المرض ، ولا شك أنه إذا لم يصلح دواء لعلاج مرض ، عدل الطبيب إلى دواء آخر ، وهذا هو نفس ما فعله المشرع العربي مشكوراً .

وكما يصارع الدواء المرض ، والمرض الدواء ، تصارع العقوبة الجريمة ، والجريمة تمثل العقوبة - أعني الحكومة والمجتمع - فأيهما أقوى كان له الغلب على صاحبه .

فحين تظل الجريمة فاشية - رغم أنف العقوبة - يكون معنى ذلك أن العقوبة أضعف من الجريمة ، وأن الجريمة أقوى من العقوبة ، والطمانينة لا تتوفر للجماعة والأمن .

هذه الطفولة البريئة ؟ وأين كان حنان الأبوة وعطفها حين أضجع هذا الوالد ولديه ، أحدهما إلى جانب الآخر ، وأجرى السكن على رقبتيهما ، واحدا إثر الآخر ، يجزهما جزأ ، كما يجز القصاب رقاب الماشية ؟ أين غاب قلبه الذي كان إذا سمعهما يبكيان تفطر لبكائهما ؟ أين ذهب قلبه الذي يرضى له بل يحتم عليه أن يجوع ليشبعهما ، وأن يظلم ليرويهما ، وأن يتعري ليكسوهما ، وأن يمرض ليوفر لها الشفاء ، وأن يسهر ليمنحهما النوم ، وأن يشقى ليجلب لها السعادة ؟ كيف تحول قلب هذا الوالد الذي كان مليئاً بحب لا ينضب ، فأصبح مليئاً بقسوة صارت مثلاً في الحاضرين ، وستبقى مثلاً في اللاحقين ؟ ما سر هذا التحول في قلب الوالد الأب ؟ .

إنه المخدر الذي ستر العقل ، وواراه ، بل أودى به ... المخدر الذي سلب الأب الإدراك والتمييز ، المخدر الذي سلب الأب الحنان والشفقة والمحبة ، إنه السم القاتل الذي لا يقتل متعاطيه قتلاً بطيئاً فحسب ، ولكن يقتل معه الطفولة البريئة الغضة ، التي تشبه الزهر في نضرتة ، والورد في بهجته . إنه المخدر الذي يهجم علينا من الخارج كما يهجم السيل الذي يجرف كل ما في طريقه فيتلف ويخرب ، ويأبى المروجون له إلا أن يدخلوه علينا بكل الوسائل ، فهم يخفون في بطون الإبل

شأنه أن يفقد الجماعة أمنها وطمأنينتها ، مع أن توفير الأمن والطمأنينة أول واجبات الحكومة نحو الأمة .

إن التجارب كفيلة بأن تكشف عن خطأ الأفكار الفجة التي يدفع إليها التسرع والغفلة عن العواقب ، وأضع أمام عيني القارئ هذا الخبر الذي نشرته صحيفة الأخبار في العاشر من شوال سنة ١٣٧٩ تحت عنوان (عصابة سرقة الأطفال بشبين القناطر تخطف تليذا ، وتطلب مائة جنيه لإعادته ... الشرطة تعثر على التليذ قبل ذبحه بساعات) .

ومما جاء تحت هذا العنوان (أن حسين دراهم كان مشغولاً بتشجيع جنازة شقيقه ، ولما عاد لم يجد ابنه في المنزل . فظل يبحث عنه طول الليلة ، فلم يجده ، ولم ينم الأب ولم تتم الأسرة كلها هذه الليلة ... وفي الصباح حضر إلى منزل حسين : والد الطفل المخطوف ، شخصان قالا : إنهما واسطة خير بين الجناة وبين والد الطفل ، وأنهما الوالد أن الجناة يطلبون مائة جنيه ثمناً لإعادة الطفل ، فلم يجد الوالد إلا خمسين فقط ، دفعها ووعده بدفع الباقي عند عودة الطفل ، فأخذ الجناة الخمسين جنبها وامتنعوا عن تسليم الطفل إلا بعد دفع الخمسين الباقية .

ولما علمت الشرطة ، وضيق على الجناة الخناق ، حمل الطفل أحد الجناة ، وذهب به

لا يستتب ، إلا إذا كانت العقوبة أقوى من الجريمة ، قادرة على إفنائها ، أو تقلييلها . فمدول المشرع العربي عن عقوبة (الأشغال الشاقة) إلى عقوبة (الإعدام) حين لم تقدر الأولى على التغلب على الجريمة ، ذهاب مع المنطق السديد الذي يتخذ من العقوبة وسيلة للقضاء على الجريمة .

وإنا لنرفع أكف الضراعة إلى الله أن يجعل التوفيق دائماً لحليف حكومتنا الرشيدة فتجعل من العقوبة بجميع أنواعها ، وسيلة للقضاء على الجريمة بجميع أنواعها ، وكلما لم تجدد في عقوبة ضامناً كافياً للقضاء على الجريمة ، استبدلتها بنا يكفل القضاء عليها . ولعل في هذه الخطوة الموفقة التي خطتها الحكومة بخصوص تشديد عقوبة الاتجار في السموم المهلكة المسماة بالخدترات ، بعد ما ثبت لها أن العقوبة الأولى ، لم تعد كافية للقضاء على الجريمة أو تقلييلها .

أقول : لعل في هذا المبدأ الرشيد ما ينبغي إلى خطأ الفئمة التي تقوم بين الفينة والفينة تدعو إلى إلغاء (عقوبة الإعدام) فإن الجريمة والعقوبة متكافئتان ككفتي الميزان ، بل المفروض أن تكون كفة العقوبة أرجح ، ليتحقق للجماعة أمنها وطمأنينتها . وإلغاء عقوبة الإعدام سوف يجعل كفة بعض الجرائم أقوى وأرجح ، وهذا من

أولادهم أسواراً من حديد ، فإذا لم تكن هناك عقوبة رادعة تحمي الطفولة من العبث بها وخطفها وقتلها ، أصبحت حياة الناس جحيماً لا يطاق . فليتب الله أولئك الذين يشجعون على الجريمة بإلغاء العقوبة العادلة المناسبة لها ، الكفيلة بالقضاء عليها ، إن كانوا يؤمنون بالله !! فإن لم يكونوا يؤمنون بالله ، فليرعوا حق الوطن وحق أهله ، فإن التهوين من شأن الجريمة إغراء بها ، وفي الإغراء بالجريمة تغرير بالجناة وتضييع للجنى عليهم ، وإن تطيب لقوم حياة نقشو بينهم الجريمة ، فهم بين غسرجان ومجنى عليه مضيع . فهذه العصابة تستحق أن تلقى عقاباً يكون رادعاً لها ولأمثالها ، ولعل في القانون ما يكفل ذلك ، فإن لم يكن فباب التعديل مفتوح .

* * *

وأعود إلى الرجل الذي ذبح طفليه ، فأقول : إن الخمر كانت شريكة المخدرات في جريمته ، فقد جاء في الخبر (أن المزارع عاد إلى منزله في حالة سكر شديد ، وكانت رائحة الحشيش تفوح من فمه ، مع رائحة الخمر) . ويوم تنال الخمر على يد المشرع العربي ما يليق بها من جزاء كما نالت المخدرات ، نكون قد قضينا على عاملين خطيرين من عوامل الشر والفساد في مجتمعنا العربي ، وفقنا الله وهدانا إلى سواء السبيل ؟ .

المركتور - إيمانه دنيا

إلى الزقازيق ليقتله هناك ، ولما لم يتمكن من قتله تركه في أحد شوارع الزقازيق وهرب) . فتأمل أيها القارئ كيف تبلغ الاستهانة بالأرواح عند غلاظ الأكباد من الناس إلى هذا الحد !! .

فلم يكن الغرض من سرقة الطفل وقلته ، الانتقام من والد الطفل ، أو الأخذ بثأر قبله ، ولكنه الحصول على المال ، ولم يكف الجناة أن يأخذوا من المال كل ما يملكه والد الطفل . بل أبوا إلا أن يأخذوا ما يطلبون . ولما لم يستطع الوالد تقديم ما يطلبون ، حملوا الطفل ليدبحوه بعيداً ، كما تذبح الشاة ، بعد أن أخذوا من والده كل ما تملك يده .

فهل مثل هؤلاء يستحقون أن يتقدم منصف في قلبه ذرة من حب للإنسانية ليشفع لهم بعدم القتل لو كانوا قد تمسكوا من تنفيذ جريمتهم ، وذبحوا الطفل ، ولم يرحلوا مصيبة والده في أخيه ، فانتهزوا فرصة انشغاله بمواراة جثة شقيقه ، وراحوا يبيعون له دم ابنه بشمن لا يملكه .

فإذا إذن يمكن أن يردع عن أمثال هذه الجرائم البشعة ، لو أمن الجناة القصاص العادل ، الذي يردع عن شيوخها وفشوها ؟ . وماذا يؤمن الناس على أرواح أطفالهم ويحمي دماءهم من أيدي السفاحين السفاكين الذين يتجرون بدماء الأطفال وأرواحهم ؟ . إن الناس لا يستطيعون أن يضربوا على

سِجَرَةُ الْوَحْدَةِ :

الْعَمَادُ الْأَصْبَهَانِي

لِلأَسْتَاذِ عَلَى الْعَمَارِي

٥١٩ - ٥٩٧ هـ

- ٢ -

يبقى بعض ما قالوا من مدائح نهبها العدو لما نكسب العزيز . وقد أشار العماد في بعض شعره إلى أنه من بيت كريم حين استشفع برئيس الرؤساء عماد الدين بن المظفر عند الخليفة العباسي :

وقل : استجار كريم بيتي ، وذو الـ
بيت الكريم يحمي في أحيائه

وكان من خصائص بيت العماد (الشقاف بالثقافتين العربية والفارسية ، ويظهر من استقرار أحوالهم أن العناية بالآداب العربية وبرواية الشعر العربي وقرضه كانت عريقة عند رجال هذا البيت) فكان العماد يحمي الكتابة بالفارسية لإجاداته بالعربية : وقد ترجم كتابين من الفارسية إلى العربية هما : (فتور زمان الصدور ، وصدور زمان الفتور) تأليف الوزير أنوشروان بن خالد ، وكتاب (كيميا السعادة) لابن حامد الغزالي . وقد وفد العماد إلى بغداد مع والده في

واشتهر بالعماد الكاتب ، وهو محمد ابن صفى الدين ، ويرتفع بعض المؤرخين بنسبه إلى قریش ، وإن كانت نشأته بأصبهان ، وهي مدينة فارسية ، ومن رجال أصبهان الذين ينتمون إلى الأصول العربية أبو الفرج صاحب الأغاني ، وأبو العباس أحمد بن محمد الأبيوردی الشاعر المشهور ، وهما أمويان .

نشأ أبو عبدالله عماد الدين في بيت رياسة ، ونبل ، وكان عمه العزيز من أعمدة الدولة في عصره حتى لينسب العماد إليه . فيقال : (عماد الدين ابن أخى العزيز) . وقد ذكر العماد في سبب تأليفه كتاب الخريدة أن الذى بعثه على جمع الكتاب أنه وجد المعاصرين لعمه الصدر الشهيد عزيز الدين الذى ولى المناصب العلية فى الدولة السلجوقية ، ما فهم إلا من أم قصده ووفد عليه واسترفده وكانت المدائح المجموعة فى عمه مجلدات ، فاحب أن يحيى ذكر هؤلاء المادحين ، وأن

كامل الدين الشهرزورى وكان ذا مكانة سامية فى حكم نور الدين ، وكان إماما فاضلا فقيها وكان صاحب قلم وسيف ، فنوه بذكر الاماد عند نور الدين ، وعدد فضائله ، وأهله لكتابة الإنشاء ، فولاه الإشراف على ديوان الإنشاء فى سنة ٥٦٨ هـ . ثم اتصل بعد ذلك بصلاح الدين ، وعلا شأنه فى الدولتين النورية والصلاحية ، (ثم لزم الباب - باب صلاح الدين - ينزل لنزول السلطان ، ويرحل لرحيله فاستمر على عطلته مدة مديدة ، وهو يعشى بمجالس السلطان ، وينشده فى كل وقت مدائح ويعرض بصحبته القديمة ، ولم يزل على ذلك حتى نظمته فى سلك جماعته ، واستكتبه واعتد عليه ، وقرب منه فصار من جملة الصدور المعدودين ، والامثال المشهورين ، يضاهى الوزراء ، ويجرى فى مضارهم ، وكان القاضي الفاضل فى أكثر أوقاته ينقطع عن خدمة السلطان ويتوفر على مصالح الديار المصرية والعماد ملازم للباب بالشام وغيره ، وهو صاحب السر المكتوم^(١) وقد زار القاهرة فى سنة ٥٨٢ هـ . ولكنه قضى بقية أيامه فى الشام إلى أن توفى فى دمشق ، ودفن فى مقابر الصوفية فى سنة ٥٩٧ هـ .

عصره :

كانت الفترة التى عاش فيها العماد من سنة

سنة ٥٣٤ هـ وعمره إذ ذاك خمسة عشر عاما ، فى أيام المقتدى بالله ، وفى ذلك يقول : « وكان وصولى إلى بغداد فى الأيام المقتضوية ، وفى ظلها المنشأ ، وفى فضلها المربى ، وفى جوارها حصل الأمن ، ووصل المن ، وبخدمتها عرفت ، وبنعمتها تعرفت ، وفى جناحها حلا الجنى ، وعلا الشنا »^(١) .

واشتغل فى صغره بسماع الحديث ، ودراسة الفقه ، وكان قد بدأ يتعلم العربية بأصبهان ، وقد نبغ فى فنون كثيرة ، وتصدر للتدريس - فيما بعد - فأقبل الناس على سماع الحديث عنه وتلقى الفقه وغيره عليه ، قال ابن كثير : وكان بارعا فى درسه يتزاحم الفضلاء لفوائده وفرائده . وكانت دروسه فى دمشق فى المدرسة النورية التى عرفت فيما بعد بالمدرسة العمادية لكثرة إقامته بها وتدريسه فيها . وقد نخر العماد بنفسه ، وقبلها كان يفعل ذلك . فقال :

ابدا بين همى وزمانى

فى اقتراحى وفى اطراحى ملاحم
عظمت همى وهأنا أستصغر

فى المطلب العظيم العظام

ما نجا من مطاعن العجز راض

بملاء من عيشه ومطاعم

وفى عهد الملك العادل نور الدين محمود

فى سنة ٥٦٢ هـ بلغ دمشق واتصل بالقاضى

(١) ابن خلكان ج ٤ ص ٢٣٥ طبعة النهضة .

(١) الحريرة - النعم العراقي ص ٣٦ .

يقف عند حدودها ، ويتروسم خطى النبي صلى الله عليه وسلم في كل أقواله وأفعاله . وكان في أكثر الليالي يصلي ويناجي ربه مقبلا بوجهه عليه ويؤدي الصلوات الخمس في أوقاتها حتى قال الصليبيون إنه ما ينتصر عليهم بكثرة جنده ، وإنما يظفر عليهم بالدعاء وصلاة الليل . وكان يسمع شكوى المظلوم ويتولى كشف حاله بنفسه ولا يكل ذلك إلى حاجب ولا أمير ؛ لأنه كان يكره الظلم أشد الكراهية ، حتى أنه كان يرى أن الحسنات وإن كثرت لاتفى بظلم رجل مسلم ، وقد أكثر الغزو والجهاد حتى فتح أكثر من خمسين حصنا ، قال ابن الأثير : « قد طالعت سير الملوك المتقدمين فلم أر فيها بعدد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز أحسن من سيرته ، ولا أكثر منه تحريا للعدل . »

وقد اتسع ملكه فشمّل الشام وديار الجزيرة ومصر وخطب له بالحرمين الشريفين وباليمن وقد تضمنت مدائح العماد شمائل هذا السلطان ، فمن ذلك قوله :

يا محي العدل الذي في ظله

من عدله رعت الأسود مع المها

يا من أطاع الله في خلواته

متأدبا من خوفه متأوها

مانمت عن خير ولم يك نائما

من لا يزال على الجليل منها

٥١٩ هـ إلى سنة ٥٩٧ هـ من أكثر الفترات أحداثا في تاريخ الإسلام ، وقد ارتبطت حياة العماد ببعض الخلفاء العباسيين أولا ، ثم بنور الدين محمود ، ثم بصلاح الدين الأيوبي .

وفي هذا العهد قويت شوكة الفرنج وأكثروا الغارات على البلاد الإسلامية واتسعت بلادهم وكثرت أجنادهم ، وعظمت هيبتهم ، وزادت صولتهم ، وامتدت إلى بلاد المسلمين أيديهم ، وضعف أهلها عن كف عاديهم ، وتتابعت غزواتهم . وساموا المسلمين سوء العذاب ، واستطار في البلاد شرهم وامتدت مملكتهم من ناحية ماردين إلى عريش مصر لم يتخللها من ولاية المسلمين غير حلب وحماة وحمص ودمشق ، وكان أهل الرقة وحران معهم في ذل وهوان ، ثم زاد الأمر وعظم الشر حتى جعلوا على أهل كل بلد جاورهم خراجا يأخذونه منهم ليكفوا أذيتهم عنهم ، كما يقول أبو شامة في الروضتين وقد أبلى ملوك المسلمين بلاء حسنا في دفع شر هؤلاء واستئصال شأفتهم ، وعاصر العماد وخدم ملكين من أعظم ملوك الإسلام هما كما سبق نور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبي .

أما نور الدين فقد عطر التاريخ بسيرته وقد عم عدله ، وانتشر بره وفضله ، وكان إلى جانب شجاعته ، متمسكا بأحكام الشريعة

من الكتاب ، ذلك أن الديباجة الثانية معناها أنه كاتب ، والشعر صناعة إضافية عنده ، كما تقول : إن شوق من كتاب الشعراء ، فشوق شاعر ، والكتابة شيء ثانوي في فنه .

هذا هو ما استقر في أذهان الدارسين للأدب العربي غير أن صلاح الدين الصفدي يقول : (أرى أن شعره ألطف من ثره) وعلل ذلك بكثرة من الجناس في ثره ، وقد وافقه على ذلك ناشر القسم العراقي من كتاب الخريدة ، وزاد في الأسباب جودة طبعه الشعري ، وسماحة قريحته وانسياقه في مذاهب الفصاحة والركة والسلاطة واتساعه في أفكاره وعباراته في غدير اجتلاب ولا تمكلف ، وانكشاف معانيه مع استواء لغته ومتانتها وشدة قوافيه أحياناً .

ويبدو أن هذا الحكم نظر إلى ثر العباد بعامية : النثر العلمي ، والنثر الأدبي ، ولكن الإنصاف يقتضي أن نفرق بين هذين النوعين من النثر ، فلا شك أنه لا يمكن المفاضلة بين النثر الذي دون به التاريخ وبين الشعر ، وإنما الذي يمكن أن نضع ثره الأدبي وشعره في الميزان وبعد إطالة النظر واستعراض كثير مما كتبه العباد وما نظمته تأكد لي أن العيوب التي هجنت ثره الأدبي من تحميله فوق ما يطيق من ألوان البديع بارزة واضحة في شعره ، وأن الرقة والسلاسة وجودة الطبع

أخلت ذكر الجاهلين ولم تزل ملكاً بذكر العالمين منوها وبما به أمر الإله أمرتهم من طاعة ونهيهم عما نهى وأراك تحلم حين تصبح ساخطاً ويكاد غيرك ساخطاً أن يسفها وهي قصيدة طويلة ، قال أبو شامة بعد أن أوردها : « رحم الله العباد فقد نظم أوصاف نور الدين الجليلة بأحسن لفظ وأرقه . وهذا البيت الأخير مؤكداً قلناه في أول الكتاب من قول الحافظ أبي القاسم رحمه الله في وصف نور الدين رحمه الله : إنه لم تسمع منه كلمة فحش في رضاه ولا في ضجره ، وقل من الملوك من له حظ من هذه الأوصاف الفاضلة والنعوت الكاملة (١) .

وأما صلاح الدين ، فأمره مشهور ، وفضله معروف ، ولا أظن أن أحداً ممن يشدو قليلاً من تاريخ أبطال المسلمين يجمل فضل هذا السلطان .

في العماد :

سبق أن أشرت إلى أن شهرة العباد كانت (الكاتب) وهذا هو ما استقر في نفوس الأجيال المتعاقبة ، فإذا جاء ذكر الشعر فإنما ينسب إليه على أنه من شعر الكتاب ، وشتان في ميدان النقد الأدبي بين شاعر وشاعر

وهذه التي زينت شعره ، واضحة في نثره الأدبي ، وكل الفرق بين الأثرين أن شعر العماد عبر كثيرا عن عواطفه الذاتية من حب وكره وشكوى فكان ألصق بالقلوب ، أما الشعر الذي قاله في سرد الحوادث أو في المديح أو في السياسة بصفة عامة فلا يعلو أبدا عن نثره الأدبي الذي قيل في هذه الأغراض . فمن شعره الذي يذهب ما فيه من البديع بحلم الحلم قوله :

وسقى الله عيشنا المقتضى

ورعى الله عهدنا المتقدم

حين عصر الصبا كحالي حال

وهو في مره كالأحلام حالم

فليالي العراق بيض من البيض

غوان من الغواني غوانم

وبذاك الجنب أوطان أوطاري

كما أنها مغاني المغانم

ومراد المراد بالعرف زاه

ومراح المراح بالعرف فاهم

وقوله :

وتداه ناد فإن أنذية المنى

مخضرة الأكناف من أندائه

ومن نثره الجيد قوله في خطبة الخريدة :

وكننت منذ شمت بارقة الأدب ، وركبت

في استفادة العلم صهوة الطلب ، ذاك وصبا

الصبا في ريعان الهبوب لها مسرى ومسير ،

أما الغبار فإنه

بما أثارته السنابك (١)

والجو منه مظلم

لكن أثارته السنابك

(١) السنابك الأولى حوافر الخيل والثانية أعلى

البيضة التي يلبسها الفارسى .

يا دهر لي عبد الرحـ

سيم فلست أخشى مس نابك
ومن طبعه على البديع أنه لقي القاضي
الفاضل يوما وهو راكب على فرس فتمال له :
سر فلا كبا بك الفرس ، فقال له الفاضل :
دام علا العباد . وكلا القولين يقرأ عكساً
وطردا . وهذا ضرب من البديع يسمونه
القلب ، وهو من المحسنات اللفظية .

والناقد - وإن أغضى الطرف - عن إكثار
العماد من ألوان البديع فإنه لا يستطيع أبداً
أن يقره على استخدامها في الكتب العلمية .
والعماد واحد من كتاب قليلين جداً أنقلوا
على أنفسهم وعلى القراء فسجعوا حيث
لا ينبغي السجع ، ألف أبو النصر العتي
(٤٢٧ هـ) كتابه (اليميني) الذي أرخ به
يمين الدولة السلطان محمود الغزنوى . لجاء به
مسجوعا وتبعه العباد فألف كتابين مسجوعين
في التاريخ (الفتح القسى في الفتح القدسى)
و (البرق الشامى) فبالغ في استخدام ألوان
البديع ، مما جعل الذين جاءوا بعده يعيرون
عليه هذا النهج في كتابة التاريخ ، قال أبو شامة
في الروضتين : ووصف الإمام العالم عماد الدين
الكاتب أبو حامد محمد بن محمد بن حامد الأصفهاني
كتابين كلاهما مسجوع متقن بالالفاظ
الفصيحة والمعاني الصحيحة ، أحدهما الفتح
القدسى اقتصر فيه على فتوح صلاح الدين

وسيرته فاستفتحته بسنة ثلاث وثمانين
 وخمسمائة ، والثاني البرق الشامى ذكر فيه الوقائع
 والحوادث من الغزوات والفتوحات وغيرها
 مما وقع من سنة وروده دمشق وهى سنة
 اثنتين وخمسين وخمسمائة إلى وفاة صلاح الدين
 وهى سنة تسع وثمانين فاشتمل على قطعة
 كبيرة من أخبار أواخر الدولة النورية إلا أن
 العماد فى كتابيه طويل النفس فى السجع والوصف
 يمل الناظر فيه ويذهل طالب معرفة الوقائع
 عما سبق من القول وينسيه .

والحق أن كثيرا من نثر العماد فى كتابه
 (الفتح) يغنى النفس ، ويسكد الخاطر ،
 وحسبنا أن نعلم أن كل عناوين الكتاب
 مسجوعة ، ومنها هذا العنوان (ذكر رأى
 رائب ، عن النظر فى الغاى الغائب ، أسفر
 عن داء دائب ، وأبان عن غرارة بغرائب)
 وربما عمد - مضطرا - إلى استعمال الكلمات
 التى زادها علماء البلاغة عن دائرة الفصاحة
 ولكن ليس هذا الكتاب ، ولا صنوه البرق
 الشامى هما كل ما كتب العماد ، بل إن له
 مؤلفات كثيرة ، وحسبه خريدة القصر وهو
 فى عشر مجلدات وديوان شعره الذى يقول
 فيه الصفدى (يدخل فى أربع مجلدات كبار)
 والذى شبهه ابن السبكي بالبحر الذى لا ساحل له ،
 ورسائله الكثيرة المنشورة فى كتبه ، ومن
 هنا قال عنه ابن خلكان أنه أتى فى صناعة

فأنت ترى أن ما أودعه فيها من الصناعة ليس بديعا ، وإنما هو إلى لعب الأطفال أقرب .

العماد والورمة .

علت منزلة العماد عند نور الدين محمود وسار صاحب سره ، ولزمه لزوم ظله يقيم بإقامته ويرحل برحيله ، ويعدد مفاخره ، ويشد أزر جيوشه التي ظلت تعمل دائبة لاسترجاع البلاد العربية من أيدي الفرنج ، كما لزم فيما بعد باب صلاح الدين ، واشترك معه في كل فتوحاته وغزواته ، وقد اعتمد عليه صلاح الدين كما اعتمد عليه من قبل نور الدين ، فأخذ يتغنى بمناقب هذين البطلين العظيمين ويسجل ما يحرزانه من انتصارات على الفرنج ، فكان القول في الحروب الصليبية ووصفها ، غرضا من أهم الأغراض التي عاجلها العماد نثرا وشعرا ، وقد قال أبو شامة المقدسي في كتاب (الروضتين) . (ولم يبق بعد موت القيسراني وابن منير غل من الشعراء يصف مناقب نور الدين كما ينبغي إلا ابن أسعد الموصلي إلى أن قدم العماد الكاتب الشام في سنة اثنتين وستين بعد الخمسة ، فتسلم هذا الأمر ، وعبر عن أوصاف نور الدين ، ومناقبه وغزواته بأحسن العبارات وأتمها نظما ونثرا) (١) . ومن مدحه في نور الدين .

الكتابة بالغرائب ، وقال يا قوت الحموى أنه باشر كتابة الإنشاء وأجاد فيها حتى زاحم القاضي الفاضل بمنسكب ضخم ، وكان ينشئ الرسائل بالفارسية فيجيد فيها إجادته بالعربية . وبالعالم زكي الدين المنذرى فعده (إمام البلغاء وشمس الشعراء ، وقطب رحي الفضلاء ، فاق الأوائل طرا ، نظما ونثرا ، واستعبدت رسائله المعاني الأ Bakar ، وأخجلت الرياض عند إشراق الأنوار ، .

غير أن هؤلاء قد تحملهم عقيدتهم في العماد إلى استحسان ما لا يستحق الاستحسان ، فابن خلكان مثلاً - وهو عندي من أصحاب الأحكام الدقيقة ، والذوق السليم - يمدح هذه القطعة ويعده مبدعا فيها ، وهي ثقيلة متكلفة ، وهذه هي - وكان كتبها لما حج القاضي الفاضل - : (طوبى للحجر والحجون من ذى الحجر والحجا ، منيل الجدا ومنير الدجى ولندي الكعبة من كعبة الندي ، وللهدايا المشعرات من مشعر الهدى ، وللقيام الكريم من مقام الكريم ، ومن حاطم فقار الفقر للحطيم ، ومتى روى هرم في الحرم ، وحاتم ماتح زمزم ؟ ومتى ركب البحر البحر ، وسلك البر البر ، لقد عاد قس إلى عكاظه ، وعاد قيس لحفاظه ، ويا عجبا لكعبة يقصدها كعبة الفضل والأفضال ، ولقبلة يستقبلها قبلة القبول والإقبال .

محمد محمد عيش بلدة
 مالمها بعدله محمودها
 قد أسبغ الله لنا بعدله
 ظلال أمن وارف مديدها
 غدا ملوك الروم في دولته
 وهم على رغبتهم عبيدها
 لما أبت هاماتهم سجدوها
 لله أضحي للظبي سجدوها
 إن فارقت سيوفه غمودها
 فإن هاماتهم غمودها
 وهكذا يمعنى يتحدث عن أثر نور الدين
 وجهاده لأعداء البلاد وفتح مغالق الحصون
 وذهل الفرنج أمام جيشه المتحمس لإعادة الوطن
 إلى أصحابه ، وأن البلاد مقبرة لغورها ،
 محفوظة حدودها ، ومثل هذا الشعر مما يبعث
 في النفوس العزة ، ويدفعها إلى أن تحافظ
 على أوطانها ، وتعمل جاهدة لاسترداد ما في
 أيدي الأعداء منها .

وكما فتحت بلد تهلل وجه العاد وشعره
 وغنى على قيثارته أهاليج النصر ، فتح نور الدين
 (منبج) فغاضت شاعرية العادتهنى بفتحها
 وتحث على فتح القدس ، وقد كان هذا الأمل
 فتح القدس دائما نصب أعين قادة المسلمين ،
 وشعرائهم وكتابهم ، وكان العاد من أكثرهم
 تحمسا لهذا الفتح ، قضى شطراً من عمره يحث
 عليه ، ويستنهض الهمم له ، فلما تم الفتح في

عهد صلاح الدين نثر وشعر ، بل وكتب
 كتاباً وسماه (الفتح) . يقول في فتح منبج
 يهني نور الدين :
 أبشر فبيت القدس يتلو منبجا
 وكسبيج لسواه كالأنموذج
 فانفض إلى البيت المقدس غازياً
 وعلى طرابلس ونابلس عج
 قد سرت في الإسلام أحسن سيرة
 مأثورة وسلكت أوضح منهج
 وجميع ما استقرت من سنن الهدى
 جددت منه كل رسم منهج
 كان توحيد البلاد وتخليصها من أيدي
 الأعداء هدفهم الأكبر ، وغرضهم الأسمى .
 والقلم كالسيف ، كلاهما يجاهد في ميدانه .
 وميدان السيف يتلو ميدان القلم ، وقد كان
 المحاربون آنذاك في حاجة إلى من يحمى
 ظهورهم بسيفه ، ومن يقوى فيهم الروح
 المعنوية ، فنه كانت شوكة الفرنج قد قويت
 حتى طمعوا في مصر ، ووجدوا فيها غائناً
 اسمه (شاور) يواهم ويتجيب إليهم ويكاتبهم
 ولكن نور الدين وجيوشه وعلى رأسها أسد
 الدين شيركوه وابن أخيه صلاح الدين استطاعت
 أن تنقذ البلاد من أيدي الفرنج ومن خيانة
 شاور ، فهب العاد يهني شيركوه ويندد بشاور :
 في كل دار من الإفرنج نادية
 بما دهاهم فقد باتوا على ندب

من شرشاور أنفذت البلاد فكم
وكم قضيت لحزب الله من أرب
هو الذي أطمع الإفرنج في بلد الإسم
لام حتى سعوا للقصد والطلب
فتحت مصر وأرجو أن تصير بها
ميسرا فتح بيت القدس عن كشب
وإن ذلك عند الله محتسب
في الحشر من أفضل الطاعات والقرب
ويستمر العماد مع صلاح الدين يذيع محامده
ويحمس جيوشه حتى يكون يوم فتح بيت
المقدس فيكتب عنه رسالة إلى الخليفة العباسي
ببغداد يقول فيها : د وعد الله الذين آمنوا
وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض
كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم
دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد
خوفهم أمنا ، ويمضى يتحدث عن الفتح
العظيم ، والنجاح الكريم ، الذي كان أمنية
عند الملوك الماضين ، وفي القرون الخالية
والذي تقاصرت عنه طوال الهمم ، وهياته
الأقدار لصلاح الدين (وهذا الفتح قد أقدر
الله على اقتضاضه بالحرب العوان ، وجعل
ملائكته المسومة له من أعز الأنصار وأظهر
الأعوان) ويذكر في الكتاب فصولا عن
الوقائع التي تقدمت فتح القدس ، ثم يترك
للشعر أن يسجل هذا الفتح المبين ، فيمتدح
صلاح الدين بقصيدة يطول فيها نفسه ، ويوفي

بها على الغاية ، ومنها :
رأيت صلاح الدين أفضل من غدا
وأشرف من أضفى وأكرم من أمسى
وقيل لنا في الأرض سبعة أبحر
ولسنا نرى إلا أنامله الخمسا
جنودك أملاك السماء وظنهم
أعاديك جنا في المعارك أو إنسا
ويتحدث عن هزيمة الإفرنج فيقول
خطابا صلاح الدين .
كسرتهم إذ صح عزمك فيهم
ونكستهم من بعد أعلامهم نكسا
بواقعة رجعت بها أرض جيشهم
ومارت ، كما بثت جبالهم بسا
بطون ذئاب البرصارت قبورهم
ولم ترض أرض أن تكون لهم رمسا
ومن قبل فتح القدس كنت مقدسا
فلاعدمت أخلاقك الطهر والقدسا
جرى بالذي تهوى القضاء وظهرت
ملائكة الرحمن أجنادك الخمسا
ويعيد صلاح الدين الخطبة للخليفة العباس
وكانت قد قطعت الخطبة لبنى العباس من ديار
مصر سنة ٣٥٩ هـ في خلافة المطيع العباسي
حين استولى الفاطميون على مصر أيام المعز
إلى سنة ٥٦٧ هـ وذلك مائتا سنة وثمان سنين
فيتخذ العماد من هذه الحادثة أنشودة يتغنى
بها ، لأن ذلك إيذان بجمع كلمة الشعوب

غير المسلمين — أثناء الحروب الصليبية —
في مصر أو في الشام أو في غيرهما من البلاد
الإسلامية ناله أذى من قبل المسلمين ؛ بل كان
الأذى يلحق الرجل الذي يضر بمصالح البلاد
ويعين الأعداء ، ولو كان مسلما ، وحادثة
(شاور) مشهورة متعالة .

والقرآن الكريم واضح كل الوضوح
في هذا الاتجاه ، جاء في سورة الممتحنة قول
الله تعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم
في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم
وتقسطوا إليهم والله يحب المتقسطين . إنما
ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم
من دياركم ، وظاهروا على إخراجكم أن
تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » .
وهؤلاء الشعراء الذين عاصروا الحروب
الصليبية كانوا مدركين تمام الإدراك لرسالتهم ،
وكانوا يعلنون حق العلم تعالىم الإسلام ، والعماد
نفسه كان فقيها كبيرا ، والذي كان يهتمهم ،
إنما هو أن تتخلص البلاد التي كانت وحدة
ومزقت ، وملك الفرنج جزءا كبيرا منها ، أن
تتخلص من أيدي الأعداء ، وتعود إلى سابق
عهدا يرفرف عليها علم واحد ، ينعم تحت
ظلاله أهلها الحقيقيون على اختلاف مللهم ،
وقد أسهموا بنصيب مشكور في تحقيق هذه
الغاية النبيلة .

العربية مرة أخرى ، فهنيئ الخليفة المستضيء
ويعلن فرحته وابتهاجه بإعادة الخطبة .

قد خطبنا للمستضيء بمصر
وارث المصطفى إمام العصر
وخذ لنا لنصره العصد العاضد
والقاصر الذي في القصر
وأشعنا بها شعار بني العباس
فاستبشرت وجوه النصر
فشكرنا لله إذ تم لنا النصر
ونرجو مزيد أهل الشكر

هكذا كان العماد داعية قويا من دعاة الوحدة
فكل عمل يقرب منها يستثير شاعريته ويحرك
قلبه ، فيرفع صوته ، والسكلمة التي كانت
تجرى على ألسنتهم ، وتملأ أذهانهم وتشيع
في شعرهم وترثم هي كلمة (الإسلام) . ولا عجب
في ذلك فقد كانوا يحاربون قوما جاءوا من
بلادهم سافرين غير مقنعين يقاتلون باسم
الدين ، فكان من الطبيعي أن يردوا باسم
الدين أيضا .

ولم تكن تعنى كلمة الإسلام أن يقاتل غير
المسلمين على الإطلاق ؛ ذلك أن من مضمون
الإسلام معاملة غير المسلمين الذين يعيشون
في بلاد الإسلام ولا يضررون بالمسلمين معاملة
المسلمين ، وتعاليم الإسلام صريحة في ذلك ،
لهم من الحقوق ما للمسلمين ، وعليهم من
الواجبات ما عليهم ، ولم نعرف أن أحدا من

نشأة النحّو العبرني

للكسور تمام حسان

تحميها من غارات البدو ، فكان من ذلك المناذرة في العراق والغساسنة في الشام .

وأما من الناحية الاجتماعية فإن الحياة البدوية نصف الوحشية في الصحراء لم تخل من المناسبات الاجتماعية التي يجتمع فيها العرب من القبائل المختلفة كاللحج والأسواق التجارية والأدبية الشهيرة ، كما كان العرب ينتقلون لأغراض التجارة والميرة من مكان إلى مكان ، ثم كانوا يغشون الحاضرة في طلب البيع والشراء أو بحثاً عن أمور دنياهم ومعاشهم ، أما سكان مدن الجزيرة فلم يكونوا أقل حظاً من الرفاهية ممن كانوا حولهم من سكان البلاد العريقة في الحضارة ، وقد استعانوا في الوصول إلى هذا المستوى برحلات التجارة التي خلقت لهم صلات قوية بالأمم ذات الحضارة والمدنية ، بل إن القبائل الصحراوية نفسها لم تسلم من التأثير بآثار من جاورها من الأمم كما تأثرت تغلب بالروم وقضاة بمصر والشام وغان بالشام وإياد بسكان الجزيرة وبكر بالنبط والفرس ، وعبد القيس بالهند والفرس ،

كانت بلاد العرب عشية ظهور الإسلام تخضع لتيارات مختلفة من النواحي السياسية والاجتماعية والفكرية ، فأما من الناحية السياسية فقد كانت أطراف بلاد العرب نهبا مقسما بين الدولتين القويتين في ذلك الوقت وهما فارس وبيزنطة أو كما اشتهرتا على ألسنة العرب بلاد الفرس وبلاد الروم ، كانت فارس تحتل اليمن وتبسط نفوذها على العراق وكان للروم نفوذ سياسي وعسكري في بلاد الشام ، وبين هذه وتلك وقفت قبائل الصحراء في عزلتها المنيع الفقرة لا تثير طمع الطامعين من ملوك الدولتين ولا تخضع إلا للنظام القبلي الذي يمنح قدراً من السلطة لشيخ القبيلة ، ويسميه ملكاً إذا بسط هيئته على عدد من القبائل ، وكان عرب الصحراء يطعمون دائماً فيما تشتمل عليه الأراضي الخصبة من خيرات فكانوا يغيرون على العراق والشام ومن ثم رأى الفرس والروم على السواء أن يقيموا بينهم وبين الصحراء حاجزاً عربياً فأنشأت كل دولة منهما إيالة عربية على تخومها

يضىء سناه أو مصاييح راهب
 أمال السليط بالذبال المقتل
 ذلك هو مبلغ سكان شبه الجزيرة من العلم .
 أما في الشام والعراق فقد كان الأمر مختلفا
 عن ذلك تماما . فأكثر قبائل هذين
 الإقليمين كانوا من النصارى . كذلك كانت
 قضاة وإياد وتغلب وكلب . ولقد انتهى
 الاختلاف على مسائل اللاهوت المسيحي إلى
 انشقاق مذهبين هامين عن كنيسة القسطنطينية
 هما المذهب النسطورى والمذهب اليعقوبى .
 ولقد اتجه اليعاقبة في التبشير بدينهم إلى رعايا
 الامبراطورية في الداخل ولكن النساطرة
 اتجهوا إلى الشرق والجنوب في سبيل كسب
 الاتباع وكانوا وثيق الصلة بعرب الجاهلية .
 وحين اتجه النساطرة إلى الشرق وجد مذهبهم
 أتباعا في دولة الفرس وفي قبضتها العراق في
 ذلك الحين فغلب العنصر النسطورى على
 نصارى العراق كما انتشر العنصر اليعقوبى
 في الشام ومصر . وكان السريان يقيمون في
 الشام والعراق على السواء ؛ فأهل العراق
 منهم تسود فيهم النسطورية وأهل الشام
 تنتشر فيهم اليعقوبية . وعندما اشتد العداء
 بين السريان المنشقين وبين كنيسة الدولة
 صمم السريان على قصم كل عروة تربطهم
 بالكنيسة الرسمية فأطرحوا لغتها وهى
 الإغريقية وبدأوا يترجمون تراثها الفكرى

وأزدهمان بالهند والفرس كذلك ، والين
 بالحبشة . ولعل هذا هو السبب الذى جعل
 اللغة العربية تقاسى المؤثرات الأجنبية في العصر
 الجاهلى وتقبل بعض الكلمات من اللغات
 المجاورة ، ثم يظهر في الجاهلية بين أبنائها
 من يلحن في نطقها ، وذلك أمر معروف
 لمؤرخى الأدب العربى .

أما من الناحية العسكرية فلم يكن لعرب
 شبه الجزيرة حياة فكرية بالمعنى الصحيح وكل
 ما ينسب إليهم من علم أو فكر لا يعدو أن
 يكون تقاليد ورسوم مورثة على مر الأجيال .
 ولسنا نعرف منهم من طلب العلم حقيقة إلا
 الحارث بن كعدة الطيب الذى تلقى العلم في
 جنديسابور وأدرك الإسلام وداوى سعدا
 بأمر النبي . والحارث هذا سمية أم زياد ،
 وأبو النضر بن الحارث الذى أمر النبي بقتله
 فرمته أخته بقصيدها المعروفة التى فيها :

أحمد ولدتك خير نجية

في قومها والفحل فحل معرق
 ولكن البيئات التجارية في الصحراء كانت
 تعرف القراءة والكتابة وقد تعلمها هؤلاء
 الصحراويون من رهبان النساطرة الذين
 كانوا يحوسون خلال بلاد العرب للتبشير
 بمذهبهم وإليهم بشير امرؤ القيس بقوله :

أصاح ترى برقاً أريك وميضه

كلح اليمين في حبي مكلل

يعرفونها كلاما وكتابة على نحو ما ذكرنا
عند الكلام على رهبان النساطرة .

وفي هذا الجو اللغوي المعقد في الشام
والعراق كان مشاهير الشعراء من أبناء شبه
الجزيرة يقصدون دمشق والحيرة بقصائدهم
كما كان رؤساء العشائر يقدمون على ملوك
الغسانيين والخميين وقيمون بينهم وبينهم
الصلات القوية . كلنا يعرف طرفة والنايفة
وعمر بن كلثوم وصلتهم بالحيرة ، وكلنا
يعرف حسانا وصلاته بدمشق بل إن زعيم
شعراء الجاهلية أوغل فيما وراء دمشق حتى
طرق أبواب الامبراطور البيزنطي .
فالصلات بين العرب في شبه الجزيرة وبين
أهل الشام والعراق حينئذ صلات متعددة
ما في ذلك شك .

وكان خطأ السريان من عرب الشام
والعراق يعرفون أن اللغة السريانية قد وضع
لها نحو يضبط استعمالها ويعين على تعلمها ،
ولاشك أن العرب في ذلك الزمان والمكان
كانوا يحسون إحساسا قويا بأنهم غير الأمم
التي يخالطونها وهم كانوا يحسون كذلك
بالروابط التي تربط بعض العرب إلى بعض .
ولاشك أن اللغة كانت أقوى هذه الروابط
في قهرم ، وإذا صح أن نسمى الإحساس
بروابط العروبة في ذلك الوقت باسم القومية
العربية فلربما كان العرب بدافع هذه القومية

إلى لغتهم السريانية وازدهرت لغتهم فكان لها
أدب وكان لها نحو وكان لها تراث فكري خالد .
فأما النحوف نحن نعرف أن أحد قدمائهم ويسمى
يوسف الأهوازي قد وضع نحوًا للسريانية
على غرار النحو الإغريقي الذي وضعه أرسطو
فاتتبع من هذا النحو الأخير بطريقة التقسيم
والتبويب والتعريف والتعبير وتعرف كذلك
أن حنين بن إسحق كان من مشاهير النحاة
باللغة السريانية في العصر العباسي .

أما من الناحية اللغوية فقد كان العرب في
شبه الجزيرة يتكلمون لهجات قبلية مختلفة
ويلتقون جميعا في لغة واحدة أدبية مشتركة
هي اللغة الفصحى . وكان المجتمع اللغوي
والمجتمع الغساني يستخدمان عددا من اللغات
فكانت اللغة الإغريقية لغة الدواوين في
الشام وكانت البهلوية لغة الدواوين بالعراق
وكانت الإغريقية لغة الصلاة عند الملكانيين
أتباع كنيسة القسطنطينية كما كانت السريانية
لغة الكنيسة عند اليعاقبة في الشام والنساطرة
في العراق بل كانت لغة الثقافة عند هؤلاء
وأولئك . وكان العرب المسيحيون الحاكمون
والمحكومون على السواء يتكلمون العربية
ويصلون بالسريانية أو الإغريقية على حسب
المذهب الذي يتبعونه . وكان السريان في
الشام والعراق يتقربون بمعرفة العربية إلى
الحاكمن من الغساسنة والمناذرة فكانوا

تأملت كلام العرب فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الجحراء (يعنى الأعاجم) ، فأردت أن أضع شيئاً يرجعون إليه ويعتمدون عليه إلخ ٢ - ويروى صاحب النزهة أيضاً أن أعرابياً قدم المدينة في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فقال : من يقرئني شيئاً مما أنزل الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فأقرأه رجل سورة براءة فقال : إن الله برئ من المشركين ورسوله (بالجر) فقال الأعرابي : أوقد برئ الله من رسوله ؟ إن يكن الله تعالى برئ من رسوله فأنا أبرأ منه فبلغ عمر عليه السلام مقالة الأعرابي فدعاه . فقال يا أعرابي تبرأ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال يا أمير المؤمنين إنى قدمت المدينة ولا علم لي بالقرآن فسألت من يقرئني فأقرأني هذا الرجل سورة براءة ... (إلى آخر القصة) فقال عمر ليس هكذا يا أعرابي . فقال كيف هي يا أمير المؤمنين فقال إن الله برئ من المشركين ورسوله فقال الأعرابي وأنا والله أبرأ من برئ الله ورسوله منهم . فأمر عمر رضى الله عنه ألا يقرئ القرآن إلا عالم باللغة وأمر أبا الأسود أن يضع النحو ٣ - ويروى كذلك أن زياد بن أبيه بعث إلى أبي الأسود الدؤلى وقال يا أبا الأسود إن هذه الجحراء قد كثرت وأفسدت من ألسن العرب فلو وضعت لهم شيئاً يقيمون به كلامهم

يحدسون السريان لتمسكهم من دراسة لغتهم بهذه الطريقة التى جعلتها لغة علم وأدب وفن ودين . بل إنهم ربما تمنوا أن يأتى اليوم الذى يستطيع العرب فيه أن يضعوا لغتهم أداة كهذه الأداة التى تمسكن أبناء عمومته من السريان من وضعها . أقول إنه ربما جاشت هذه الأمانى فى صدور عرب الشام والعراق فى العصر الجاهلى ولم يكن يخطر لهم أن هذا اليوم الذى كانوا يرونه بعيداً كان فى الحقيقة أقرب مما يظنون وأنه قد قدر للغتهم العربية التى كانت محصورة فى إقليمها الضيق أن تصبح لغة عالمية للعلم والثقافة بعد ظهور الإسلام .

وجاء الإسلام ونشأت دراسة النحو العربى . فكيف بدأت هذه الدراسة ؟ للإجابة على هذا السؤال يحسن بنا أن نورد الروايات المختلفة التى تروى قصة هذه النشأة .

١ - يقول أبو البركات الأنبارى فى نزهة الألباء إن أول من وضع علم النحو وأسس قواعده وحدد حدوده أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام وأخذ عنه أبو الأسود الدؤلى ، ويروى الأنبارى عن أبى الأسود أن سبب وضع على عليه السلام لهذا العلم أن أبا الأسود دخل على أمير المؤمنين فوجد فى يده رقعة فقال لعلى ما هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال على : إنى

عندنا إذن روايات مختلفة تقول أولها وأخرتها إن غيرة على* على لغة العرب دفعته إلى أن يكلف أبا الأسود وضع النحو وتقول الأخرى إن عمر بن الخطاب هو الذى طلب إلى أبى الأسود أن يضع النحو وتروى الثالثة أن زياداً هو الذى أمر بذلك وتنسب الرابعة والخامسة الفسكرة إلى أبى الأسود نفسه وتقولان إنه أحس بسبب خطأ ابنته أو نفشى الخطأ فى الناس إن الوقت قد حان للقيام بعمل ما فى سبيل حفظ اللغة بواسطة دراسها دراسة نحوية .

والذى تجمع عليه هذه الروايات المذكورة أن أبا الأسود هو الذى وضع النحو . ولست أجد سبباً واحداً هنا يدعو إلى الشك فى أن أبا الأسود من أول من وضع هذا العلم وأنه أحق الأسماء التى وردت فى قصة النحو بأن يكون أبا لهذه الدراسة فعلاً . غير أننى ألمح الخلاف السياسى الذى كان بين الأمويين والعلويين يطل برأسه من هذه الروايات حين تعتمد هذه الروايات إلى أمير بعينه فتجعله هو الذى نصح أبا الأسود أن يضع النحو . والذى نعلمه أن الخلاف السياسى بين الشيعة والأمويين لم يكن قاصراً على مسألة حق الخلافة فحسب وإنما أضافت الأيام إلى نار هذا الخلاف وقوداً حتى رأينا كل فريق منهما يسخر التاريخ والفكر

نحائى عليه فبعث زياد رجلاً وقال له أقعد على طريق أبى الأسود فلما مر به رفع صوته وقرأ : إن الله برىء من المشركين ورسوله ، (بكسر اللام) فاستعظم أبو الأسود ذلك وقال عز وجه الله أن يبرأ من رسوله ، ورجع من فوره إلى زياد فقال يا هذا قد أجبتك إلى ما سألت ورأيت أن أبدأ بإعراب القرآن . ثم جاءه زياد برجال اختار منهم رجلاً من عبد القيس أعانه على وضع نقط لدى الحروف تدل على الحركات . ٤ - وفى رواية له عن عاصم قال جاء أبو الأسود إلى زياد وهو أمير البصرة فقال إني أرى العرب قد خالطت هذه الأعاجم وفسدت ألسنتها أفأذن لى أن أضع للعرب ما يعرفون به كلامهم فقال له زياد لا تفعل . قال فجاء رجل إلى زياد فقال أصلىح الله الأمير . فقال له زياد : توفى أبانا وترك بنونا ؟ أذع لى أبا الأسود فلما جاءه قال له ضع للناس ما كنت نهيتك عنه ففعل .

٥ - وعن عاصم أيضاً أن أبا الأسود قالت له ابنته ما أحسن السماء ، فقال لها نجومها . فقالت إني لم أرد هذا وإنما تعجبت من حسنها فقال لها إذن فقولى ما أحسن السماء فحينئذ وضع النحو وأول ما رسم منه باب التعجب . ٦ - وعن أبى هاشم السجستاني قال ولد أبو الأسود الدؤلى فى الجاهلية وأخذ النحو عن على بن طالب رضى الله عنه .

قالت الشيعة بالمهدى المنتظر وقال الأمويون بالسفياني المنتظر .

كانت الكوفة شيعية وكانت البصرة أموية عثمانية وليس من البعيد أن يكون الشيعة الكوفية قد رأوا قصة نشأة النحو أمرا يستحق الفخر وغازهم أن تكون هذه النشأة في البصرة وأرادوا أن يسلبوا البصرة هذا الشرف فتلسوا السبيل إلى ذلك حتى وجدوه . إن واضع النحو أبا الأسود إن كان بصريا فهو شيعي كذلك وهو إذا كان شيعيا فما أحرأه أن يكون قد تلقى علم هذا النحو من الإمام المعصوم ومن ثم وضع الكوفيون أغلب الظن هذه الرواية ، لينسبوا الفضل إلى إمامهم وليكيدوا للبصرة . ولقد كان مالك بن أنس على أى حال يسمى الكوفة « دار الضرب » أى دار صناعة الرواية . وما ظنك بالبصرة الأموية العثمانية حين ترى الكوفة قد طلعت على الناس بهذه الرواية أفلا يكون من المنطقي أن يردوا على الرواية بمثلها وأن يتلصوا لأنفسهم أمويا لم يكن بعيداً عن مدينتهم أيام وضع النحو ؟

نعم لقد وجد البصريون ضالتهم في زياد بن أبيه أولا حين كانت الدولة أموية حتى إذا ما ارتقى العباسيون كرسى الخلافة وأشاعوا في الناس كراهية الأمويين ولعنهم جهرة بحث البصريون عن زعيم آخر غير مغضوب عليه عند العباسيين ويراها الشيعة رأيا آخر . ذلك هو عمر بن الخطاب وقد اقتضاهم ذلك

في خدمته . والمعروف أن أهل العراق وفارس كانوا من أشياع علي ، بل المعروف كذلك أن الغالبية العظمى من الشيعة كانت من غير العرب . ومن الثابت أن أبا الأسود الدؤلى نفسه كان مشايخا لعلى حتى لينسب إليه شعر ينم عن هذا التشيع :

يقول الأزدلون بنو قثير

طوال الدهر لا نفسى عليا ١٩

فقلت لهم فكيف يكون تركي

من الأشياء ما يحصى عليا

أحب محمداً حباً شديداً

وعباسا وحمزة والوصيا

فإن يك جهم رشدا أصبه

وفهم أسوة إن كان غيا

فكم رشدا أصبت وحزت مجدا

تقاصر دونه هام الشريا

وبالرغم من وضوح الصنعة في هذا الشعر

وأنه قد وضعه قوم يتقربون به إلى بني العباس

ويجعلون به أبا الأسود هاشميا لا علويا ،

أقول بالرغم من ذلك فالمعروف أن أبا الأسود

كان من الشيعة ، وكتم تنافس الأمويون والشيعة

في اختلاق الأخبار والروايات بل والأحاديث

المنسوبة إلى النبي حتى إن إحدى الفرقتين

حين قالت بحاكم منتظر من أبطالها لم تسلم لها

الأخرى بالانفراد بهذا الشرف وإنما

شركتها فيه وأرادت الإنفراد به دونها .

بأرفيق الأعلى وولى أبو بكر الخلافة ومن بعده عمر وعثمان بدأ على بحس شيئا من الظلم في تحطى شخصه إلى غيره وقد انعكس هذا الشعور في تقاعسه عن نصر عثمان ابن عفان حين أحاط به الثاترون عليه . ولا شك أن مثل هذا الشعور بالظلم يصرف التفكير عن القضايا العامة إلى التفكير فى الأمور الشخصية بل يحصل المرء سلبيا فى الشئون العامة كما كان على سلبيا فى نصرة عثمان ولا شك أن انتشار اللحن قضية عامة لا توقع من على أن يهتم بها فى غمرة السلبية التى ألمت به حتى إذا ما ولى الخلافة شغله معاوية عن الأمور كلها فيما عدا الرغبة فى استتباب الأمن الداخلى وجمع كلمة المسلمين . فمتى فكر على فى النحو ؟ ومتى حصل على الدربة التى تمسكه من مثل هذا التقسيم للكلام ؟ لا شك أن عليا وعمر وزبادا مقحمون جميعا على قصة نشأة النحو بسبب التنافس بين الميول السياسية والمدن الإسلامية . فكيف نشأ النحو إذن ؟

روى أبو سلة موسى بن اسماعيل عن أبيه قال : كان أبو الأسود أول من وضع النحو بالبصرة ، وزعم قوم أن أول من وضع النحو عبد الرحمن بن هرمز الأعرج ، وزعم آخرون أن أول من وضع النحو نصر ابن عاصم ، وهنا نجد النقاش محتدا لا حول

أن ينقلوا قصة اللحن إلى المدينة . وإذا تذكرنا أن المدينة كانت ثالثة المدن العلمية المتنافسة وكانت زبيرية النزعة فى ذلك الوقت لم نستبعد احتمال أن تكون الرواية التى تدور حول عمر قد وضعت فى المدينة فى العصر الأموى وبذلك يكون البصريون مسئولين عن قصة زياد فقط .

بقى شىء آخر أحب أن أناقشه قبل أن أزعم الطريقة التى وضع بها النحو وذلك هو الادعاء أن على بن أبى طالب قد اخترع هذا التقسيم النحوى للكلام إلى اسم وفعل وحرف ولا شك أن فى ثنايا ذلك دعوى ضمنية بنسبة قدر من المراتب العلمى والممارسة للبحث والتدرب عليه إلى على بن أبى طالب وتلك أمور تقتضى تفرغا وعدم انشغال وتلقى دراسة منظمة ، والمعروف أن عليا لم تتح له فرصة الدراسة ولا التدريب ولا الفراغ فهو رجل لم يتلق دراسة فى أى فرع من فروع العلم وقد نشأ مشغولا بالدعوة إلى الإسلام شغلا أخذ عليه فكره وجهده ثم اقتضاه نصر النبي أن يقاسى الاضطهاد فى مكة حتى إذا ما خرج منها اضطر إلى خوض معارك الإسلام الأولى واحدة بعد الأخرى وأظهر فى كلها بطولة وحماسة لم تكن تدع له من الوقت ما يصرفه فى التفكير فى أمر غير الدعوة ، وعند ما لحق النبي صلى الله عليه وسلم

من الأسماء التي ارتبطت بنشأة النحو من أبناء العراق يعيشون جنبا إلى جنب مع علماء السريان ويخالطونهم مخالطة المواطن للمواطن وكان هؤلاء العلماء السريانيون يتكلمون العربية والسريانية كما ذكرنا من قبل . ولقد قلت إن اللغة السريانية كانت ذات نحو مكتمل الدراسة له علماءه والمهتمون به . وقد افترضنا كذلك أن العرب عشيّة ظهور الإسلام كانوا يحسدون السريان على أن تكون لغتهم لغة مدروسة متقدمة يمكن لها أن تكون وعاء علم وأدب وفن ودين ، وأن العرب بدافع من إحساسهم بقوميتهم كانوا يتمنون لو أتى اليوم الذي يستطيعون فيه أن ينشئوا اللغة العربية مثل هذا البناء النحوي المكتمل . فلما جاء الإسلام كان من شأنه أن وحد العرب ونفخ فيهم من روحه وأقام لهم دولة وفتح بهم البلاد وأخضع العباد فقوى من شعورهم القومي حتى رأينا شاعرهم يقول :

إننا من النفر الذين جياهم
طلعت على عاد بريخ صرصر
وسلبن ناجى ملك كسرى بالقنا
واجتزى باب الدرب لابن الأصفر

وجاءهم الإسلام بكتاب هو في حقيقته نص لغوي معجز فبرزت به اللغة والتفكير فيها حتى احتلت المقام الأول من الأهمية والخطورة ولا سيما حين اتخذت لغة دين

الأمراء فقط وإنما يتعداهم إلى من وضع النحو كذلك . فلا تسلم الرواية إذن تسلياً تاماً بأن أبا الأسود الدؤلي هو الذي وضع النحو وإنما تورد أسماء غير اسمه تنافسه . ولقد كان هؤلاء جميعاً أبناء عصر واحد وإقليم واحد هو العراق ، وكان العراق من قبل أيامهم ولم يزل في تلك الأيام مسرحاً للثقافة السريانية التي كانت تجد دافعها الحقيقي في المذهب النسطوري ، ولقد ظلت هذه الثقافة النسطورية بعد ذلك تحيا جنبا إلى جنب مع الثقافة العربية في العراق والشام واستعان الخلفاء من أمويين وعباسيين برجال من السريان في الشؤون المختلفة فاتخذ معاوية وزيرا له من السريان هو سرجون بن منصور . وكان يحيى بن سرجون أو كما يسمونه القديس يحيى الدمشقي ممن يغشى البلاط الأموي ويجادل المسلمين في الأمور الدينية كما كانت أسرة بختيشوع تمد العباسيين بالأطباء المهرة وكانت أسرة بني إسحق من أفاضل المترجمين في أيام المأمون وظلت اللغة السريانية لغة علم وأدب إلى أن كان آخر كاتب عظيم من كتبها هو المؤرخ أبو الفرج بن العبري أو عز يغوريوس برهبرايوس الذي عاش في القرن الثالث عشر الميلادي .

٧ — كان أبو الأسود وعبد الرحمن بن هرمز ونصر بن عاصم وميمون الأقرن وغيرهم

أن واضع النحو قد أخذوا التفسيرات السريانية أو قلدوها فجعلوا كلامهم إسما وفعلًا وحرفا كما جعله السريان من قبلهم . ولا شك أن أبا الأسود الدؤلي من أول من وضع النحو ولكنه قد لا يكون أول واضع له على الإطلاق . والراجح عندي أن عبد الرحمن ابن هرمز ونصر بن عاصم وميمون الأقرن لم يكونوا مجرد تلاميذ لأبي الأسود وإنما كانوا شركاء له في القيام بهذا الجهد سواء أكان ذلك عن طريق الشركة بين الجميع أم أن كل واحد منهم قد استقل بجهد الخاص حتى تكاملت هذه الجهود على يد تلاميذهم من بعدهم وأصبحت على الصورة التي دونها عيسى بن عمر في كتابيه الجامع والإكمال ، ونماها من بعده واستكملها سيبويه في كتابه .

قد يكون أبو الأسود سمع من ابنته خطأ نحويا ، وقد يكون سمع من يلحن في القرآن وقد يكون الفرس في ذلك الوقت من الكثرة في بلاد العرب بدرجة جعلتهم يؤثرون حقا في ألسنة العرب وفي عاداتهم النطقية ولكن ذلك كله ما كان ليوحى وحده إلى العرب بالقيام بعمل من هذا النوع لو لم يكونوا على علم بأمر جيرانهم السريان ولغتهم وما لها من نحو ، ولو لم يكونوا قد أحسوا الرغبة في إنشاء ثقافة بلغتهم كالثقافة التي في أيدي

ودنيا يقرأ العرب بها في صلاتهم ويطبقونها بها أمر حياتهم . ولا شك أن العرب في العراق والشام قد فكروا في تحويل الكتابة الديوانية إلى العربية قبل عبد الملك والحجاج بزمان لأن مثل هذه الأمور لا تتم عند سنوح الفكرة العارضة وإنما يسبقها التفكير والتدبير الذي قد تذهب جذوره إلى أيام الخلفاء الأوائل . ولا شك أن التفكير في أمور اللغة كان شاملا بحيث أصبح من المرغوب فيه بل من المتوقع أن تقوم للغة دراسة اقتضتها طبيعة الأشياء ونفوس المجتمع وحاجات الحياة ثم أن تكون هذه الدراسة حفظاً للغة التي أصبحت أداة الدين والدنيا معا . فأصبح الجو كله مشحونا باحتمالات ظهور هذه الدراسة فمن هم المرشحون الطبيعيون للقيام بهذا المشروع ؟

كان لا بد أن ينسج العرب على منوال ما يعرفون من تجارب غيرهم وكان أهل العراق من العرب يعلون من أمر النحو السرياني دون ريب وقد مال بعض الباحثين إلى دعوى أن أبا الأسود كان يعرف اللغة السريانية ويغلب على الظن أن كثيرين غيره قد كانوا على معرفة بهذه اللغة أيضا فلا غرو أن تكون البدايات الأولى لهذا النحو قد تمت على أيدي أهل العراق . والظن عندي

السريان ، ولم تكن دوافع الغيرة القومية والرغبة في استكمال النضج الثقافي للمجتمع والأبهة والعظمة للدولة موجودة ومتصلة بفكرة اللغة . فالمسألة في نظري لم تكن وليدة تفشى اللحن فقط ، وإنما اتصلت بنفوس العرب في العراق والشام منذ العصر الجاهلي وارتبطت في نفوسهم بالنزعات القومية حتى إذا ما سنحت الفرصة بعد ظهور الإسلام حقق العرب أحلامهم السياسية ووحدهم

القومية ولم يبق لهم إلا أن ينشئوا لأنفسهم حياة ثقافية على مثال ما عرفوا في أيدي الناس ، وهكذا نشأ النحو العربي في بدايته مهتديا بتجربة السريان ؟

دكتور تمام حسانه

أستاذ مساعد بكلية دار العلوم

جامعة القاهرة

أما هذه فنعم

قال حفص بن محمد الأردبيلي : فاجلس سعيد بن حجر البردعي في منزله وأغلق بابه وقال : ما أحدث الناس فإنهم قد تغيروا . فاستعان عليه أصحاب الحديث بمحمد بن سلم بن دارة الرازي فدخل عليه وسأله أن يحدثهم فقال : ما أفعل . فقال بحق عليك إلا حدثتهم فقال : وأي حق لك علي ؟ قال أخذت يوما بركابك . قال : قضيت حقاً لله عليك . وليس لك حق علي . فقال : إن قوما اغتابوك فرددت عنك ، قال : هذا أيضاً يلزمك جماعة المسلمين ، فقال عبرت بك يوماً في ضيعتك فتملقت بي إلى طعامك فأدخلت على قلبك سرورا . قال : أما هذه فنعم .

دراسات في التصوف

للدكتور محمد غلاب

الحركة التنسكية في القرنين الأول والثاني للهجرة

ودمشق . وقد وصلت إلينا أسماء الأولين منهم عن طريق القوائم التي سجلها الجاحظ وابن الجوزي ومن إليهما . ومن مشاهيرهم في القرن الأول الربيع بن الخيثم المتوفى في سنة ٦٧ هـ . وعلقمة الكوفي ، ومجاهد ابن جبير المخزومي المكي المتوفى في سنة ١٠٤ هـ وكان تلميذا لابن عباس قد نشر تفسيره للقرآن ، ولكن أعظم هذه الطبقة على الإطلاق هو الحسن البصري الذي عده بعض أدق المؤرخين القدماء بين أقوى الشخصيات الإسلامية في عصره ، وسواء في باب الزهادة بعمر بن الخطاب في باب سياسة الدولة .

ولد الحسن البصري بالمدينة في السنة الحادية والعشرين من الهجرة ، وربى بالبصرة وكان في الرابعة عشرة حين قتل عتيان فهاله - وهو لا يزال في زهرة شبابه - ذلك الحادث المفزع وما أحاط به من فرقة بين صفوف المسلمين ، أثر في قلبه البريء وعقله الساذج تأثيرا شديدا دفعه إلى الامتناع من تلك الحركة السياسية التي بلبلت العقول ،

لا يرتاب باحث متعمق في التراث الإسلامي المجيد في أن الحركة التنسكية الإسلامية التي بهرت القدماء وفنت المحدثين قد انبثقت بقضها وقضيضها من الكتاب الكريم والآحاديث القدسية والنبوية ، واتبعتها أربابها من الحياة المحمدية ظاهرها وباطنها ؛ وقد بدأها النبي صلى الله عليه وسلم باعتزاله في غار حراء قبل البعثة ، وباعتكافه في المسجد بعدها ، وسار الصحابة رضوان الله عليهم على نهجه السامي واقتبسوا من أنواره السبوية المتلألئة دون أن يشوه جمال ذلك أجنبي أو يدنس نقاء دخيل كما يزعم السطحيون الذين يتخرون بأن عناصر التصوف الإسلامي أجنبية .

توالت هذه الحركة عند التابعين في كثير من البساطة بحيث كانت مقوماتها الذاتية هي التأمل في آيات القرآن ، ومحاولة استكشاف أسرارها العميقة ، واقتناص مراميها البعيدة ، والزهادة وكبح جماح النفس ، والاعتكاف والتأمل والتهدج . وكان هؤلاء الزهاد أو العباد في الكوفة والبصرة ومكة والمدينة

الحسن يدعو للحزن والورع الذى هو أصل الدين، وللخوف والاستماع إلى كلام الله. وعندما وصل إلى هذه المنزلة كان قد أسس ما سماه «علم القلوب والخواطر»، أو ما يدعوه الباحثون المحدثون «السيكولوجية التنسكية». وما يلفت النظر في مذهب الحسن البصرى، أنه كان يؤسسه على التدخل الدائم للفكر في حياة المؤمنين المتأملين. وكان يأمر مستمعيه بالالتجاء إلى العقل في تحليل عظاته، ليسكون تأثيرها في إرادتهم عن اقتناع وإيمان. ولقد كان لمواعظه رنين أخذ يجلجل في أنحاء البلاد الإسلامية ويكون عقائد شبابها ويمتن أخلاقهم، ويظهر سرائرهم، ويدفعهم إلى الاستقامة. ولقد كانت غايته الأولى والأخيرة هي العثور على المنزلة التنسكية الكاملة، وهي الفوز بالرضى. وقد أحقق عليه ذلك بعض الطوائف واستكثروا عليه هذه الميزة التي سما بها عليهم فجعلوا يكيدون له ويعلنون عليه العداء الصريح، ولكن كافة الأمة والمخلصين من خاصتها وصفوتها، لم ينسوا له هذا الجهاد النفسى الأكبر، بل إن بعض مؤسسى الطرق الصوفية فيما بعد قد أرجعوا إليه — عن طريق الإسناد — أسس طرقهم، وأعلنوا رجوعها إلى مبادئه التنسكية الرفيعة، وصرحوا بأنه كان قطب الغوث في زمانه. وسنرى أهم مميزات مدرسة هذا التقى الورع العظيم فيما بعد.

وزعزعت القلوب، ولم يسعه إلا أن يقف من تلك الفتنة موقف المحاييد القار بدينه من الشبه واختلاط الآراء. وقد كان من طلائع أولئك الذين حملهم هذا الاضطراب على أن يلقوا بأنفسهم في بحر التأمل والتفكير لينجوا ببعيدتهم من هذا الجحيم. وبعد أن استقرت الأمور السياسية، نفر إلى الجهاد مع المقاتلين في سبيل الله فيما بين سنتي خمسين وثلاث وخمسين، ثم عاد إلى البصرة، وهناك أسس مدرسته. وحوالى سنة ٦٥ هـ أزهرت مدرسته، وسطح اسمه كخطيب مفوه، ومجادل متفوق، وظل يتألا في سماء العالم الإسلامى إلى سنة ٨٥ هـ. وفي سنة ٩٩ عين قاضيا. وأخيرا توفى في سنة ١١٠ هـ.

وقد ترك مؤلفات قيمة في المواعظ والتفسير والحديث، وعددا ضخما من الآراء الثاقبة والنظريات الممتازة في المبادئ الإسلامية التي كانت قد نشأت من نتائج الفتنة السياسية، ودار حولها ذلك الجدل العنيف الذى سجله التاريخ بين فرق المسلمين، ولكن الذى يعيننا هنا من إنتاجه الواسع هو مذهبه التنسكى فحسب. وقد صدر في هذا المذهب عن أساس واضح هو احتقاره هذه الحياة التى نهايتها الهلكة ومصيرها الفناء، والتى احتقرها الله فسامها بالدنيا، ووصفها بأنها لعب ولهو، والتى قال عنها النبى صلى الله عليه وسلم. إنها لا تساوى جناح بعوضة. وكان

أن يحتفظ نساك البصرة بشئ من هذه الصفات ، وهذا هو الذى حدث ، فكان رئيس نساكها حسن البصرى زاهداً من الطراز الأول ، وناقداً عميقاً ، ومنطقياً سليم العقل ، وقوى الحجة بهيمة تسترعى الانتباه ، وسنياً معقولا من أنصار حرية الفرد كما أسلفنا .

أما الكوفيون فقد كانوا بطوناً يمنية تنزع نحو المثالية العليا فى كل شئ : كان شعرهم أفلاطونياً دون أن يعرفوا أفلاطون ، وخیالهم متطعلاً نحو الكواكب . وكانوا يقولون بوجود الأخذ بظاهر الحديث ، وبتشجيع الإمام على كرم الله وجهه ، ويدنون بمبادئ المرجئة . وقد ظهرت هذه النزعات كلها فى نساكهم ، فكانوا مثلاً رائعة فى التدليل على ما نقره من الفروق الواضحة بين البصريين والكوفيين . ومهما يكن من الأمر ، فأليك هذه الإمامة العاجلة عنهم :

استمرت هذه الحركة بعد وفاة الحسن البصرى فى أول القرن الثانى ، فأخذت تنمو وتكبر بفضل تلاميذه من البصريين كحماد بن واسع الذى توفى فى إحدى حروب الجهاد فى سبيل الله فى سنة ١٢٠ هـ . ومالك بن دينار المتوفى فى سنة ١٢٨ هـ ، والذى أسس بدوره مدرسة تنسكية ضمت عدداً من التلاميذ كان لهم فى نشر التقوى والورع أثر بعيد الغور . وحسبنا أن نذكر من هؤلاء

أما فى القرن الثانى فإن التنسك الإسلامى ، قد صار أقوى منه فى القرن الأول أثراً ، وأبعد انتشاراً ، وأصبح طابعه المميز له هو أنه لا ينفصل من الحياة العامة ، فكل زاهد قد انتهى إلى إدراك أن واجبه يقضى عليه بالخروج من عزلته ، ومداومة النصح المخلص لكل من يتصلون به أو يتصل بهم من أعضاء الجماعة الإسلامية . ولا ريب أن النتيجة الأولى لهذه الجهود المبذولة من جانب الشيوخ المتنسكين لإرشاد الأفراد والجماعات هى الترابط الوثيق بينهم وبين الشعب ، ذلك الترابط الذى لا يزال نشاهده اليوم بين شيوخ الصوفية ومريديهم من المؤمنين . وسنلج إلى هذه الحركة التنسكية فى القرن الثانى لإماعة عاجلة بادئين بالبصريين ، مشين بالكوفيين . ولسكننا نرى من الحق علينا قبل التعرض لهذين الفريقين ، أن نشير إلى الخصائص الذاتية لكلهما .

كان البصريون من التميميين المنعطفين بفطرتهم إلى الواقعية والنقد الجاف ، ووضع القواعد التى يسند فيها الاستثناء وتحديد قواعد اللغة العربية ، وكبح جماح الشعر وحصره فى دائرة الحقيقة بقدر الإمكان ، وكانت آراؤهم سنية مع النزعة إلى حرية الفرد من آراء القدرية . وكانوا يقولون بوجود استكناه بواطن الأحاديث ورفض الأخذ بظواهرها . ولهذا كان من الطبيعى

والذى اشتهر - إلى جانب ورعه وزهده - بالفصاحة والبلاغة والمقدرة الفائقة على الخطابه .

أما نساك الكوفة السنيون فمنهم أبو هاشم عثمان الكوفى المتوفى فى سنة ١٦٠ هـ ، وأبو ذر عمر المتوفى فى سنة ١٥٠ هـ والذى كون عدداً عظيماً من التلاميذ كان لهم أثر لا يحجده أحد من المؤرخين .

وأما صوفية الشيعة من الكوفيين فهم كثيرون . ولكننا نكتفى منهم بذكر عابدك النباى مؤسس النحلة النباية التى كانت تدعى بالعابدكية .

وأما صوفية أهل الحديث فمن أعلامهم سفيان الثورى ، وهو أبو عبد الله سفيان ابن سعيد بن مسروق الكوفى . وقد ولد فى ما بين سنتى ٩٥ - ٩٧ هـ . ولما نشأ تلقى الحديث عن والده الذى كان أحد مشاهير علماء الكوفة والذى توفى حوالى سنة ١٢٦ هـ . ولما تم الأمر لبني العباس كان سفيان أحد الذين أرادوا أن يعلنوا كراهتهم للحكم الجديد برفضهم مناصب الدولة التى عرضتها عليهم السلطات الجديدة . وفى سنة ١٥٠ هـ عرض أبو جعفر على سفيان منصب القضاء فرفض وفر إلى اليمن ، ولكن حكومة بغداد جعلت تتبعه ، فأحس بذلك فارتحل إلى مكة . غير أن أمير مكة محمد بن إبراهيم تلقى أوامر الخليفة بتعقبه . ويقول بعض المؤرخين إنه

التلاميذ رباح بن عمر القيسى . وعلى الأخص عبد الواحد بن زيد المتوفى فى سنة ١٧٧ هـ ، والذى أسس جماعة النساك الشهيرة فى مدينة عبادان ، والذى قام بتليذه أبو سليمان عبد الرحمن الداراني المتوفى فى سنة ٢١٥ هـ بتأسيس المدرسة البكرية فيما بعد . وما هو جدير بالعناية عند الداراني أنه هو الذى رسم الخطوط الأولى لهيكل فكرة الأحوال والمقامات الصوفية التى كان لها على التوالى كل هذا الرنين الذى صك الأسماع ، وبهر الأبصار فى الشرق والغرب على مر الحقب وكر الأزمان . ومن أصدقاء الداراني ، أحمد ابن عاصم الأنطاكي المتوفى فى سنة ٣٢٠ هـ ، والذى كان الداراني يلقيه بحاسوس القلوب لفطر تحليلاته السيكولوجية للأفئدة والحواطر ، وتغلغلته إلى أعماق النفوس ، وكشفه خفايا الضمائر . ولا جرم أن هذه الشخصية العظيمة تعتبر فى مقدمة الشخصيات التى شرفت البيئة الإسلامية . وكانت مؤلفاته التى نشرها تلاميذه منبعاً لتعريف العلماء والباحثين بتفاصيل النماذج الأولى للزهادة الإسلامية قبل المحاسبي .

ومن أعلام مؤسسى المدارس التنسكية فى البصرة ، فضل بن عيسى بن أبان منشئ المدرسة الفضلية التى حكم عليها المتعصبون من خصومها بأنها قدرية . ومنهم أيضاً أبو بشر صالح المرى المتوفى فى سنة ١٧٢ هـ

ويمضى على ذلك عشرون عاما حتى ظهرت فيها طلائع المتنسكين . وأجدرهم بالعناية هو ابراهيم بن أدهم المتوفى في سنة ١٦٠ هـ ، وهو عربي الأرومة والأصل وقد ولد ببلخ . ولا يعرف ما بين أيدينا من تاريخ الحركة التنسكية الأولى عن مبدأ حياته شيئا ذا بال ، إذ هو يحدثننا أنه حين رغب في الزهد ، اتخذ نموذجه العلي من بين زهاد البصرة كابن دينار ، ثم تلقى تعاليم المتنسكين بالعراق ومكة حيث أقام بينهم ردحا من حياته . ولما خاب أمه بسبب فشله في استماع الناس إلى مواعظه اعتزل المجتمعات واتجه إلى سورية مع عدد من تلاميذه . وهناك انزوى في أحد أرجائها واقتصر على هداية أولئك التلاميذ وإرشادهم . ومما هو خليق بالعناية أن أولئك التلاميذ بعد وفاته ارتحلوا إلى خراسان وجعلوا ينشرون مذهبه فظفروا في ذلك بنجاح عظيم لم يرهو في حياته بصيصاً منه ولو ضئيلاً . أما مذهبه المقتبس من مدرسة الحسن البصري مثل فكرة الخلعة ، ومعناها الصداقة الإلهية الثابتة والمراقبة ، التي هي أعمق من الفكر . والكمد الذي هو أشد من الحزن . والمعرفة وهي إذ ذاك فكرة جديدة ناشئة في محيط التنسك الإسلامي .

ويقال إن ابراهيم بن أدهم قد ظفر بمائة وعشرين شهوداً إلهياً عرض فيها سبعين مسألة

أمر بقتله . ولعل هذه شائعة ، منشؤها أن الشعب في ذلك العهد كان يتندر في الخلفاء بأوامر العباسيين قائلا: إذا عثرت عليه فاصلبه ، ومن شككت فيه فاقتله . إلا أن النوى ، وابن حجر يؤكدان أنه كان أمراً جدياً . ومهما يكن من شيء : فإن سفيان قد تنبه إلى ذلك قبل فوات الفرصة ، ففر إلى البصرة وفيها اختبأ في منزل أحمد بن سعيد . وهناك نصح له بعض أصدقائه أن يحسن علاقته بالقصر . وبالفعل بدى في المفاوضات بينه وبين بغداد ، ولكنه مرض قبل تمامها وتوفى في شعبان من سنة ١٦١ هـ .

هذا هو ما يحدثننا به التاريخ عن ذلك الصوفي ، ولكن حياته قد أحيطت بسياس من الخرافات آثرنا أن نغضى عنه .

ومن غرائب الأمور أن بعض المؤرخين يضعونه في الصف الأول ويقدمونه على مالك ابن أنس ، وأن الذهبي يدعوه بالحجة والثب . وسواء أصححت نسبة هذه المنزلة العلية إليه أم لم تصح ، فإن الذي لا ريب فيه ، وهو الذي يعيننا هنا ، أنه كان يباشر الزهادة العملية بين جماعة من رفاة المتنسكين ، منهم السيدة رابعة العدوية المتوفاة بالبصرة في سنة ١٣٥ هـ .

كان هناك في القرن الثاني مركز ثالث للتنسك ، وهو خراسان ، فلم تكد تلك الأصقاع تهتدى إلى الإسلام ، وتشر فيها تعاليمه الرفيعة

كيف تحاول الاتصال بالله وأنت جالس فوق العرش؟ فأثرت هذه العبارات في نفسه فأثيراً دفعه إلى مغادرة قصره وهجران ثروته . ومنذ ذلك العهد انقطع عن العالم وتفرغ للعبادة والتأمل في مصنوعات الله حتى صار من أجلاء المتفكرين ، وأصبحت الوحوش والطيور تأتمر بأمره .

هذه هي الصورة التي قدمتها إلينا الأساطير عن إبراهيم بن أدهم ، وهي في رأينا تشبه الصورة التي نسجها خيال الهنود عن بوذا وتخليه عن الإمارة والجاه والسلطان وإلقائه بنفسه في بحار التنسك ، بل لعل أسطورة ابن أدهم منقولة عن أسطورة بوذا .

بقي - بعد الذي قدمناه عن القرنين الأول والثاني - أن نعلن أن نسا كهما كانوا إلى ذلك العهد الذي تحدثنا عنه لا يزالون محتطين بالفقراء والمساكين وأبناء السبيل ونزلاء المساجد الذين ليس لهم مأوى خاصة ، وقد عصمتهم هذه الحالة من حملات الفقهاء ورجال الكلام إلى ذلك الحين ، أما في القرن الثالث فإن عظم شأنهم وارتفاع مكانتهم ، وتلاؤ أسماءهم ، وبروز منتجاتهم ، كل ذلك سيثير سخط رجال الشريعة الظاهرية كما سنرى ذلك حين نعرض لمدارس القرن الثالث وما بعده وللطرق الصوفية ونتائجها .

الدكتور محمد مصطفى

لم يشرح منها سوى أربع مسائل ، ثم توقف عن الشرح عندما رأى أن الناس يسيثون فهمه ومعرفته .

« غزلت لهم غزلاً رقيقاً فلم أجد لغزلي نسا جاً فكسرت مغزلي ، هذا هو ما يحدثنا به التاريخ الصحيح . أما الخرافات التي نسجت حول حياته ، فمنها أنه كان أحد أمراء بلخ ، وأنه كان في أحد الأيام يصطاد الظباء في جمع من أفراد حاشيته ، فطار دظبية حتى ابتعد عن أتباعه ، فلما اختلف به الظبية سأله في لغة فصيححة رشيقة قائلة : ألمثل هذا أنت خلقت في هذا العالم؟ ومن الذي أمرك أن تعيش على هذا النحو؟ فلم يكمد يسمع هذه العبارات حتى ندم واعتزل الناس وعاش عيشة الفقراء يأكل من عمل يده . وأخيراً ترك العمل وتغلغل في الصحراء ، فجعل الطعام يأتيه من طريق غير طبيعي ، وأخذ يستقبل الخضر الذي كان يزوره كثيراً ويلقى عليه دروساً في العلم والتنسك .

وتذكر رواية أخرى أنه وهو أمير في بلخ كان نائماً في غرفته ذات ليلة ، وكان الحارس نائماً فوق سطح هذه الغرفة ، فسمع ضجيجاً ووقع أقدام فوق السقف ، فسأل عن مصدر هذه الجلبة ، فأطلت كائنات من نوافذ الغرفة وأجابته قائلة : إمتنا نبحت عن إبل . فسأل إبراهيم قائلاً : وهل يبحث عن إبل فوق السقف؟ فأجابته الأشباح قائلة : وأنت

الإسلام دين المحبة والسلام

للأستاذ حمّوده عبد العاطي

الظلمة والجهل، وإنما أراد بهم الخير وأحب لهم الهداية ودعاهم إلى معرفته والتقرب منه والعمل على كسب محبته ورضاه . والقرآن الكريم كتاب الإسلام يؤكد في أكثر من موضع وفي أكثر من آية وفي أكثر من سورة أن الله سبحانه وتعالى يحب عباده ويحب التوابين ويحب المتطهرين ويحب الذين يقعون تعاليمه ويسرون على هدايه .

ويحب الذين يتقربون إليه بالتقوى والعمل الصالح . قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله .

المحبة في الإسلام ليست فقط رمزاً ولا معنى مجرداً، وإنما هي صفة إيجابية بناءة، ومبدأ أصيل في تعاليم الإسلام . هي صفة من صفات الله عز وجل، وهي خلق فرضه على عباده . لأنه جعلهم خلفاء وأمرهم أن يتخلقوا بخلقهم . وهو الذي جعلكم خلفاء الأرض،،،، وإذا قال ربك لللائكة إني جاعل في الأرض خليفة .،،،، وغاية الإنسان الكامل في نظر الإسلام هي أن يكون الله في صفاته وكماله هو مثله الأعلى يحتذيه ويتقرب إليه بالمحاكاة والطاعة التي مبعثها حب الله وحب طاعته وحب تعاليمه حباً يظهر في الاعتقاد ويتجلى في القول ويتمثل في العمل . المحبة

الإسلام هو بحق دين المحبة والسلام . والمحبة والسلام من المبادئ الرئيسية ومن الدعائم المتينة التي قام عليها الإسلام وشيدت عليها تعاليمه السامية الحكيمة . ولكي نفهم هذه القضية فهما واضحاً ومستقيماً يجب علينا أن نبحث معاً مصدر الإسلام، ومن أين جاءت تعاليمه، وعلى من نزلت تلك التعاليم، ولماذا نزلت من السماء .

الإسلام هو رسالة الله إلى البشر أوحى به إلى عباده عن طريق أنبياء ورسلكرام، اختارهم سبحانه ليكونوا معلمين للبشر وهداة للناس . والله سبحانه وتعالى أوحى برسالة الإسلام ليبصر الناس بحقيقته وذاته وصفاته، وليوجه الناس إلى معرفة ربهم ومعرفة أنفسهم لأنهم متى عرفوا الله أحبه، وإذا عرفوا أنفسهم عاشوا في ظله وتمتعوا بحبه، وعاشوا في سلام مع أنفسهم . إذ المعرفة الحقة هي سبيل المحبة وهي طريق السلام .

جاء الإسلام من الله ليعلم الناس أن من أهم صفات الله سبحانه وتعالى الرحمة والحب، والغفران . جاء الإسلام ليعلم البشرية أن الله لطيف بعباده محب لهم، وأنه سبحانه (بناء على هذا الحب) لم يتركهم يتخبطون في دياجير

والهدف من رسالة الإسلام هدف إنساني عام شامل . فرسالة الإسلام لم تأت فقط لتدعو الناس إلى عبادة الله فانه غنى عن عبادة « إن الله لغنى عن العالمين » . إنما جاءت رسالة الإسلام لتعلم الناس وتعرفهم برب الكون وخالقه وتدعوهم إلى حبه حتى تربي فيهم ملكة الحب وتجتمع لديهم طاقات المحبة فيما رسوها فيما بينهم وتصبح شعاراً لهم وخلقاً فيهم وفطرة سليمة في نفوسهم . ولذا بدأ الإنسان من نقطة حب الله استطاع أن ينمي عاطفة المحبة هذه واستطاع أن يمارسها في صلاته الاجتماعية وفي علاقاته العامة .

جاءت رسالة الإسلام لتقضى على عوامل الانانية وأسباب الإثارة ، وتغرس في النفس الإنسانية خلق الإيثار وحب الغير ولأن المسلمين أحبوا الله . وأحبوا رسوله ، وأحبوا رسالته ، وأحبوا الإنسانية بوجه عام ، استطاعوا أن يخلقوا أمة ذات مبادئ ، وأن يكونوا شعباً ذا حضارة إنسانية ، وأن يبنوا ثقافة ذات قيم عالمية ، وأن يؤسسوا حضارة ثابتة الأركان أفادت عليهم وعلى العالم الخير وأشاعت في الدنيا المحبة والسلام . وبذلك كانوا بحق - كما قال القرآن الكريم - خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

إن رسالة الإسلام جاءت تعلم البشرية أن الله جل وعلا هو مصدر الكون والحياة ،

في الإسلام ليست مجرد شعور وليست محض فكرة . وإنما هي شعور قوى خلاف ينبعث من قلب عامر بحب الله ويتبعه تصرف سليم مهذب وسلوك قويم يفيض الخير والمحبة على صاحبه وعلى الناس أجمعين .

من تعاليم القرآن الحكيم أن الجن والإنس خلقوا فقط لعبادة الله « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون . ما أريد منهم من رزق ، وما أريد أن يطعمون . إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين » . والإسلام حين يحدد الغرض من خلق الجن والإنس بعبادة الله لا يريد لها عبادة فيها إكراه إذ « لا إكراه في الدين فقد تبين الرشد من الغي » ، ولا يريد لها عبادة صورية ظاهرة . وإنما يريد لها عبادة صادرة عن حب عميق لله وإيمان برسائله وتعاليمه ، ورغبة صادقة في كسب رضائه ومحبته . والعبادة التي مصدرها حب الله والتي هي الغاية من خلق الجن والإنس ليست فقط في الفرائض البدنية والمالية وإنما هي أيضاً في المعاملات مع الناس وفي سلوك الإنسان مع نفسه وفي موقفه من الوجود كله . فإذا كيف الإنسان علاقته مع ربه ومع نفسه ومع الناس في إطار من الحب والإخلاص والتفاني والإيثار فهو العابد الحق ، وهو الإنسان الذي فهم مبدء المحبة في الإسلام وطبقه على خير صورة وأحسن مثال .

وطريقها واحد ، « يأيتها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأُنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم . إن الله عليم خبير » ، « يأيتها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا » . والقرآن حين يقرو هذه المبادئ الخالدة يوضح البشرية معالم السعادة ويضع يدها على مفاتيح الخير والاستقرار والسلام . إنه يعلن بذلك مبدأ الحرية والإخاء والمساواة ؛ إذ يقول القرآن الكريم : « إنما المؤمنون إخوة » ، ويقول الحديث الشريف « كلكم لآدم ، وآدم من تراب » ، « والناس سواسية كأسنان المشط » ، لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى .

إن الإسلام جاء يغرس فى النفس البشرية معاني الحب والسلام عن طريق هذه المبادئ الإنسانية الرفيعة . لأن الإسلام يريد أن يعلم الناس كيف يمارسون عاطفة الحب عن اقتناع ووعى ومنطق إنسانى سليم . وكيف ينشرون السلام ويدعون إليه على مبادئ إنسانية عامة وثابتة أساسها الوحي ومصدرها رب السماء حتى يكون هذا الحب إيجابياً صادقا ، وحتى يكون ذلك السلام عاما ودائما .

جاءت رسالة الإسلام تحمل إلى الأرض السلام وتنفذ المحبة بين الناس ؛ فلفظ الإسلام

وهو المثل الأعلى فى الوجود يظله بحبه ويسيره برحمته ورعايته ، فإن الإنسان لبنة قوية فى بناء الوجود كله ودعامة يستند إليها الكون فى حركته وعنصر فعال من العناصر التى يستمد منها الحياة والبقاء . والإنسان بحكم طبيعته هذه وبحكم هذا المركز الذى يشغله لابد أن يكون منسجما مع العناصر الأخرى فى الكون . وهذا الانسجام لا يتحقق إلا إذا كان هناك حب عميق بين الإنسان وخالقه من جهة ثم بين الإنسان وأخيه الإنسان من جهة ثانية ، ثم بينه وبين بقية المخلوقات من جهة ثالثة . وهذا الانسجام المطلوب لا يتحقق الغرض منه إلا إذا كان مستمرا دائما . واستمراره متوقف بالتالى على أن يكون الإنسان فى سلام مع ربه ، ومع نفسه ، ومع أخيه الإنسان .

إن الإسلام يؤكد معنى من المعاني الإنسانية النبيلة ، ويعلن حقيقة إنسانية خالدة حين يقرر أن البشرية كلها تنتمى إلى أصل واحد وتنحدر من مصدر واحد وأن التفاضل والامتياز بين الناس لا يرجع إلى الجنس ولا إلى الحب ، ولا إلى اللون ، ولا إلى اللغة وإنما يرجع أولا وأخيراً إلى التقوى والعمل الصالح ورعاية حقوق الله وحقوق الناس . إن القرآن يعلنها صريحة واضحة أن الإنسانية كلها عبارة عن أسرة واحدة ، أبوها واحد ، وربها واحد ، وغايتها واحدة

وأساس العلاقة بين عناصر هذه الوحدة هو الحب والسلام . والإسلام يقرر أن الإيمان له حلاوة ، وأن الإنسان لا يشعر بهذه الحلاوة إلا إذا أحب ، وكان حبه صادقا وعميقا . يقول الرسول محمد عليه السلام : ثلاث (خصال) من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار .

الإسلام يقرر وحدة الإنسانية كما سبق ، ويقرر وحدة الدين . يقول القرآن الكريم « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، . » « فقلوا آمنا بالله وما أنزل إلينا ، وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ، . »

وعلى هذا الأساس من وحدة الله ووحدة الدين ووحدة البشرية أرسى الإسلام دعائم المحبة ، واقام مبادئ السلام

مشتق من السلام . وتحمية المسلمين حين يلتقي بعضهم ببعض هي تحية لسلام . وتحية الملائكة للمسلمين هي السلام . والسلام اسم من أسماء الله عز وجل فالله هو السلام المؤمن .

واقفه أوحى برسائله ليبصر الناس ويعلمهم فيعرفوه ويعيشوا في ظل رحمته في سلام معه ، وفي سلام مع أنفسهم ومع غيرهم . إن الإسلام يدعو بقوة إلى سلام دائم مبنى على دعائه هوية في علاقة الإنسان بالله وفي علاقته مع نفسه في شعوره وضميره ووجدانه ، ثم في علاقته بأخيه الإنسان . وإذا كان الإسلام قد فرض على الإنسان حقا وفاقا وخصص له واجبات ، فذلك كله ليحقق أسمى معاني المحبة وأعظم مبادئ السلام . ومعنى الإسلام ومعنى الإيمان لا يتحقق إلا إذا كان هناك حب إنساني نبيل ، إذ يقول الرسول محمد عليه الصلاة والسلام : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، . »

إن المحبة والسلام من الأهداف الرئيسية في الإسلام . بل إننا لا ندرك إذا قلنا أنها من أهم أهداف الرسالة الإسلامية .

إن اختلاف الرأي أو العقيدة . أو اللون أو الجنس ، أو الدين ، لا يدعو إلى الكراهية في الإسلام . ولا يبرر التشناء والبغضاء . ولا يبرر الحرب والعدوان .

إن الكون كله وحدة كاملة . الله فيه هو الخالق والمدبر ، والإنسان هو مركز الثقل

صحيفة مبر العالمى

إدارة الثقافة الإسلامية

الزّواج في الإسلام

للاستاذ محمد سلام مذكور

أستاذ الشريعة بكلية الحقوق

جامعة القاهرة

٣ - والإسلام يوجه نظر الزوجين إلى ملاحظة النواحي المعنوية لا الحسية إذ هي باقية مع الزمن والإعجاب بها يتجدد مع تجدد الزمن يقول الرسول عليه السلام : لا تزوجوا النساء لحسنهن فمسي حسنهن أن يوردين ، ولا تزوجوهن لأموالهن فمسي أموالهن أن تطفين ، ولكن تزوجوهن على الدين ، ولأمة سوداء ذات دين أفضل . ، ويقول : « تنكح المرأة لأربع : لمالها وحسبها وجمالها . ودينها . فاظفر بذات الدين تربت يدك ، أي التصقت بالتراب

٤ - والزواج حجر الأساس والدعامة الكبرى التي يقوم عليها بناء الأسرة إلى هي الخلية الأولى في بناء المجتمع الإنساني ، ولها دور أساسي في بناء المجتمع إذ يتكون فيها الفرد ويخرج للمجتمع بالصورة التي اكتسبها من الأسرة ، فإن صلحت الأسرة صلح المجتمع كله وإن تفككت وتقطعت روائطها انهار البناء وفسد المجتمع .

ومن هنا نفهم أهمية تنظيم الأسرة في كل

١ - الزواج أساس العلاقات بين الرجل والمرأة في الإسلام ، والطفل الذي يمشي في أسرة من نسب شرعي يكون أقوى عاطفة ونمواً ، وأسرع نطقاً من الطفل الذي ينشأ في ملجأ ، لأن طعل الأسرة يعيش في جو مليء بالحب والرحمة والحنان ، فينأثر بذلك وتهذب غرائزه ، أما الطفل الذي يتربى في غير جو الأسرة فإن غرائزه تجمحها السيطرة ، وإن وجدت مع السيطرة رحمه فإياها مشوبة بالعطف لا بالاندماج .

٢ - والعلاقة الناجمة عن الزواج روحية أكثر منها حسية ، ومعنوية أكثر منها مادية يقول الله تعالى : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، ولا شك في أن الزواج تدبعه تبعيات والزامات لكنها ضريبة وجود الإنسان وبقائه ، على أن كل شيء حتى المذات والمنع لا بد لمناها من مشاق . فالترضي ومضغ الطعام ، والاستقامة والمجد لا يكون شيء من ذلك إلا مع المشقة .

الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج) .

٦ - وإعراض الشباب عن الزواج مع القدرة عليه وعلى تبعاته يضر بهم وبالمجتمع ضرراً بليغاً وإن من هذا الضرب من الشباب من يتعلل بما يراه من عدم نجاح كثير من الزوجات ، ولكن هذه التعللة لا تبرر إعراضهم عن تكوين أسرة ، فإن ذلك مرجعه إلى سوء فهم حقيقة الزواج ومقاصده ، وإساءة استعمال هذا النظام الإلهي الذي لا بد منه للمجتمع ، فالعيب في الأفراد الذين تفشل عقود زواجهم لا في نفس التشريع ، ويمكن القضاء عليها أو تقليلها إذا فهم كل من الزوجين ماله من حقوق وما عليه من واجبات ، وكانت رغبة كل منهما في الآخر صادقة خالصة .

* * *

٧ - وقد كانت للأمم قبل الإسلام طرائق مختلفة في تنظيم الصلاة الجنسية فنها من كان يعيش أفرادها في إباحة تامة ، ومنها من عرف الزواج وأباح تزوج الأمهات والبنات ، ومنها من ألف تعدد الأزواج لامرأة واحدة ومنها من ألف تعدد الزوجات لرجل واحد دون تقييد بعدد معين . فتعددت الزوجات كان معروفاً في الصين واليابان والهند والصقالية والفرس والعرب

المجتمعات أهمية جماعتها محل العناية والرعاية في جميع الأديان والقوانين ، وتنظيم الأسرة يكاد أن يتركز في تنظيم الزواج ، والدين هو أكثر العوامل الاجتماعية أثراً في قواعد تنظيم الزواج .

وأثره في ذلك لا يقف عند وضع القواعد العامة لهذا التنظيم ، وإنما يضع القواعد التفصيلية المنظمة لأحكامها تنظيمًا كاملاً لأن نظام الأسرة هو نظام الحياة الإنسانية العالمية إذ الهزات التي تضطرب بها الأسرة هي هزات للمجتمع ذاته . من أجل هذا نجد التشريع الإسلامي عن هذه الرابطة أتم العناية وقدّر أسبابها وأحكامها وكل ما يتصل بها في تفصيل وإفاضة .

٥ - والروابط التي تربط الناس بعضهم ببعض عرفتها الإنسانية منذ البداية ، وأصل هذه الروابط رابطة الزواج ، وهي رابطة مقدسة مباركة توجد علاقة روحية بين الزوجين ، ويسموا بها عن أن يكون الرابط بينهما الشهوة البهيمية ، فيطمئن كل من الزوجين للآخر في بدنه وماله وتهدأ إليه نفسه ويفضى إليه بما عنده . يقول الله تعالى : ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها ، ولهذا المعاني حث الإسلام على الزواج ودعى إليه . يقول الرسول (يا معشر

الخالص، أما الإسلام فحد من فوضى الزواج التي كان عليها العرب خاصة وجعله واحدة للرجل إلا إذا كانت به حاجة للتعدد .

٩ - وفي الحق أن الإسلام وإن أباح التعدد فإنه لا يبيحه إلا مع قدرة الزوج على تحقيق العدالة والقدرة على الإنفاق والمعاشرة ، أما إذا لم تتحقق هذه القيود فليس له إلا واحدة وإلا فهو آثم يقول الله تعالى : « ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن ، ويقول : «... فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة ، ولم يرد نص في القرآن يفيد إباحة تعدد الزوجات إلا ما جاء ضمن التكلم عن اليتامى وخوف الأوصياء من مخالطتهم مخافة النفس والهوى... » وإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة ، فأنكحوا ما طاب لکم من النساء مثنى وثلاث ورباع ... » ، وبذا يكون الشرع قد اعتبر حالة مخالطة اليتامى لرعايتهم وإصلاح شأنهم ضرورة بتليح التعدد إذا وقع في نفس القائم على شئونهم تعلق بالآيم أو بإحدى اليتيمات ، كما أن التدرج في تشريع الأحكام الذي هو أحد دعائم التشريع الإسلامي اقتضى الحد من حرية الرجال في الجمع بين الزوجات دون أن يشق عليهم بالوقوف عند الواحدة ، بالإضافة إلى العامل السياسي الذي استحث الرسول من أجله الناس على التناسل « تناكحوا تناسلوا فإنني مباه بكم الأمم يوم القيامة »

وبعض الشعوب السكسونية وكان حقاً لرؤساء قبائل الهنود في أمريكا الجنوبية ، وقد كان لبعض النبلاء في الشعوب الجرمانية حق تعدد الزوجات ، كما جمع بعض ملوك أسبرطة أكثر من زوجة ، كذلك فإن الإمبراطور قسطنطين وابنه كان لكل منهما عدة زوجات ولم يكن على الناس من حرج في الاقتداء بهم رغم انتشار المسيحية وشيوعها حتى منع جستنيان التعدد ، كما عرفت بروسيا التعدد وأخذت به حتى القرن الثالث عشر . وقدماء المصريين وإن عرفوا تعدد الزوجات إلا أنهم كانوا أول أمة عرفت الاقتصار على الزوجة الواحدة .

٨ - والتوراة لم تمنع التعدد ، بل فيها ما يدل على بقاءه ، وفي التشريعات اليهودية المتأخرة نجد التلود تنص على أن الحكام ينصحون الرجل أن لا يتزوج بأكثر من أربع زوجات ، بل بقي تعدد الزوجات ذا ثلما عند اليهود الأوروبيين حتى العصور الوسطى والمسيحية لم يرد فيها ما يدل على منع التعدد إلا ما جاء على لسان القديس بولس خاصا برجال الدين على أن الثائر (مارتن لوثر) يقول : إن تعدد الزوجات لم يمنعه الله ، وإذا كانت أوروبا والدول المسيحية انتهت إلى منع التعدد فإن هذا المنع لا يستمد مصدره من المسيحية بقدر ما يستمد من العرف

ذلك من الدوافع السياسية والإنسانية التي تدل على أن الرسول إنما كان يضحي من ذات نفسه . على أن ذلك كله كان قبل تحديد الزواج بأربع ، وما كان له أن يطلق منهن ، وإلا لكان ذلك منافيا للحكمة التي من أجلها تزوج بهن .

أما زواج الكثير من الصحابة والتابعين بأكثر من واحدة فإنه لا ينقض ما نراه من أن التعدد استثناء يباح عند وجود المقتضى ، وقد كانت الرغبة في التكاثر ، وكثرة الحروب والقتلى من الرجال ، والترابط بين القبائل من العوامل التي اقتضت ذلك عند تحقق العدالة وعدم الجور والقدرة على القيام بشئون الزوجية .

١١ - ويدل على أن الأصل الزواج بواحدة أن الشارع لم يرث ميراثا للزوجات يختلف عن ميراث الواحدة فالله تعالى يقول : « ولکم نصف ما ترک أزواجکم إن لم یکن لهن ولد فإن کان لهن ولد فلیکم الربع مما ترکن ولهن الربع مما ترکتم إن لم یکن لکم ولد فإن کان لکم ولد فلهن الثمن ... » وأساليب التعبير في اللغة العربية تقتضي أن مقابلة الجمع بالجمع تقتضي القسمة آحاداً ، وهنا قبل الجمع الذي هو الأزواج بالجمع الذي هو الزوجات . فدل على أن الأصل أن يكون لكل زوج زوجة وأن يكون لكل زوجة زوج .

وقد كانت الدعوة جديدة والمسلمون قلة . هذا فوق ما كانت تنتجها الحروب عامة من ترميل النساء وكثرتهن وقلة الرجال .

١٠ - فالإسلام وإن أباح التعدد عند توافر القيود التي وضعها فإنه لم يوجب التعدد ، ولم يجب إليه بل ولم يجعله أصلاً وإنما جاء بحكميه على أنه استثناء بدليل سياق النص الفريد الذي جاء بحكم التعدد ، ولا ينقض هذا تعدد زوجات الرسول والكثير من أصحابه وتابعيه .

لأن زيجات الرسول لم يكن الباعث لها الغرض والهوى والدوافع الجنسية وإنما كانت لمثل عليا سامية ودوافع سياسية تتطلبها تكوين الدولة وانتشار الدعوة ، وإلا لما تزوج بعد وفاة زوجته الأولى التي بقيت معه بمفردها ثمانى عشرة سنة - صبية لم تَم سن السابعة وقد نيف على الأربعين ، ولما جمع معها الأرامل ولا ذوات الأولاد ، فقد كانت زوجاته كلهن غير الصبية عائشة أرامل وثنيات خلعت ثوب الشباب ، وطمس الترميل ونكبات الحياة فيهن معالم الجمال ، وكان غرضه من وراء زواجهن الربط بين القبائل المتشاحنة ، وإيواء الأرامل المسلمات اللاتي لم يدخل أهلن في الإسلام ، والتحريض على إعطاء الأسرى بغضاً في الاسترقاق وتحبيبا للأسرى وقومهم في الإسلام إلى غير

المعامل والمصانع قد تفتك بالكثير من الرجال بما يتزايد معه تعداد النساء . ومن يحتجن إلى رجولة الزوج كما يحتجن إلى الطعام والشراب . وهذه بعض دول أوربا التي أفقدتها الحرب السابقة الكثير من رجالها وشبانها وخلفت الأيامى والعوانس . وقد جارت أصواتهن بالشكوى مما هن فيه من حرمان وعذاب نفس . ولا علاج لهذا إلا بإباحة تعدد الزوجات والإبقاء على نسب المولود أو الإباحية والانهيار الخلقي وتزايد الأبناء غير الشرعيين .

١٣ — فالإسلام يواجه الحقيقة والواقع ويجعل التعدد مشروعاً في مثل هذا مخافة ضياع نسب الأطفال . بينما القوانين المتحضرة تعترف بالولد غير الشرعى وترتب له بعض الحقوق . وتأبى أن تعمل على تصحيح نسبه . كما أن نظام الخليلات قائم فيها معروف . والخليلة بالنسبة للزوج في حكم الزوجة الأخرى والفرق أنه في الإسلام تعدد واضح . وعندهم تعدد في الظلة والخفاء . والواضح البين أشرف وأفضل من العمل في الخفاء بما يترتب عليه إفساد الأزواج على زوجاتهم وأولادهم بل وعلى مسلكتهم في الحياة ونظرة الناس لهم . والقاعدة أن الضرر الأكبر يدفع بالضرر الأدنى .

* * *

على أن الفقهاء مجمعون على حرمة التعدد عند خوف الجور ، وهذه الحرمة الناتجة من خوف الجور بينهن مفسدة لعقد الزواج نفسه على ما يراه البعض تخريجاً على أصل مذهب مالك وإحدى الروايتين عن أحمد .

* * *

١٢ — وإباحة التعدد في الإسلام على هذا الوجه قد تتطلبه الطبيعة ويدفع تشريعه ضرراً أكبر وفساداً أخطر . فالطبيعة اختصت المرأة بدورة شهرية وبالحمل والوضع والرضاع ، وكثيراً ما تكون منحرفة المزاج في هذه الفترات فضلاً عن تحريم مخالطتها في أيام الطمث والنفاس ، وقد تمرض الزوجة مرضاً يمنعها من الاختلاط بالزوج والقيام بشئون البيت ، وقد تكون عاقراً لا تنجب ، والرجل مع كل هذا قد لا يستطيع بطبيعته الاستغناء عن النساء ، ولا يمكن أن نमित فيه حب التناسل حباً في البقاء . ولو غلق على الذين تتحكم فيهم شهواتهم باب التعدد لطرقتوا باب الحرام وتوغلوا فيه وليس من العدالة والمروءة أن نجعل زواجه حينئذ مشروطاً بطلاق زوجته المريضة أو العاقر . فقد يكون لها منه أولاد ترعاهم في كنفه ، وقد تكون لا عائل لها ولا رغبة فيها للزواج .

كما أن الحروب على ما أشرنا وأخطار

فهم حقيقة تشريع التعدد أو انحرفوا فيه فإن هذا لا يعيب التشريع وإنما يعيب الأفراد . وعلاجه في أن يشرف ولى الأمر على تنفيذ هذا الحق ليتأكد من تحقق القيود . وأن يضع من القواعد ما يمنع الوقوع في الخطأ . ويضع من الجزاء ما يوقف المستهترين . وقد كتبنا في ذلك من قبل في جريدة الأهرام سنة ١٩٥٣ تحت عنوان كيف نعالج فوضى تعدد الزوجات . وقد استجابت الحكومة إلى ذلك وأعدت مشروعا بقانونين . غير أننا نود أن يعرض على المشتغلين بهذه الأمور لإبداء الرأى فيه قبل أن يصيح قانونا نافذا — حتى يخرج قانونا ناضجا خاليا من المآخذ ؟

محمد سلام مذكور

أستاذ الشريعة بكلية حقوق القاهرة

١٤ — والنتيجة أن الزواج في الإسلام هقد مقدس وأن الأصل في مشروعيته الزواج بواحدة . وأن التعدد استثناء يباح عند توافر العدالة والقدرة وهى أمور وجدانية وتقديرية تتفاوت فيها الأنظار والتشريع الإسلامى ليس فيه ما يمنع من أن يستند تقدير هذه الأمور والأسباب التى تدفع الرجل إلى تعدد زوجاته إلى هيئة من الهيئات تنظره وتوصى فيه برأى معين . إذ تقدير الضرورة صرجعه إلى جماعة الأمة ممثلة فى السلطة التى تلى أمر التشريع . بل هو أيضا من باب ما لولى الأمر من الإشراف على تحقيق ما شرطه الشرع أو ما له من تقييد المباح لأن فى هذا ما يحقق المصلحة ويدرك المفسدة وليس فيه ما يحس أصل الحكم الشرعى ويرفعه .

١٥ — ومع هذا فإن الناس إذا أساءوا

صلى لسانك

قال عبد الله بن المقفع : اعلم أن لسانك أداة مسيطرة يتغالب عليه عقلك وغضبك وهواك وجهلك ؛ فكل غالب عليه ، مستمتع به ، وصارفه فى محبته ، فإذا غلب عليه عقلك فهو لك ، وإن غلب عليه شئ . من أشباه ما سميت لك فهو لعدوك ، فإن استطعت أن تحتفظ به وتصونه فلا يكون إلا لك ، ولا يستولى عليه أو يشاركك فيه عدوك فافعل .

من مشاهد الهجرة :

إنه عربيّ ...

للسيد سمير المغربي

قرأت عن عربية من بني مخزوم عاشت
 زمن الرسول في محبته ثم في بئسه وكشفه ،
 ثم بعد وفاته ، وعشت مع قصتها ساعات
 طويلة كنت أتنقل فيها على مهل ، مأخوذة
 بما أصادف من معان ، يكاد كل معنى يقف
 في عنقه .

وفي الوقت الذي أقارب فيه إتمام الإطار
 الجميل لهذه الصورة الرائعة لشخصية المرأة
 العربية المسلبة . في هذا الوقت ترتفع الستارة
 عن مشهد آخر من مشاهد الرواية ،
 لا أكذبك أيها القارئ — إذا حدثتك أنه
 كاد ينسيني ما شاهدت من قبل ، ولم يكن
 هذا المشهد الجديد عن امرأة ، ولكن عن
 رجل ، نعم عن رجل ، ورجل عربي ،
 وعربي وكفي .

لقد تسكشفت لي الآن سر اختيار الله لأن
 تشرق شمس الإسلام من جزيرة العرب ،
 ويحمل أشعتها الهادئة عرب ، وينقذ بها
 الإنسانية عرب ، ويضع أصول الحضارة
 والمدنية عرب .

اخترت هذا العنوان من بين عدة عناوين
 تصلح لهذه القصة التي ملكت على إعجابي
 حين خلوت إلى تراث العرب وأمجاد
 الإسلام ، أغذى نفسي بالمثل الحية ، وألتقي
 بالبطولة في صورتها الرائعة الأصلية بعد
 أن سئمت قراءة الروايات الأجنبية ،
 وملك أخبار غواني باريس في بلاط الملوك ،
 التي لا تسلم إلى مثل حي من الأمثلة الإنسانية
 الرفيعة ، ولا تبعث في النفس إعجاباً بخلق
 يتصل بحياتنا الشرقية الإسلامية .

خلوت ليلة — وكانت من أحلى ليالي
 العمر — إلى كتب السيرة النبوية وآثار
 السلف الصالح ، وقصدت إلى المظان التي
 تتحدث عن المرأة العربية المسلبة لا كما
 يتحدث عنها الشعراء حين يتغزلون ، ولكن
 أردت أن أراها في أدوارها الجدية ، وأنظر
 موقعها من الإسلام الذي حدد معالم الطريق
 المستقيم للبشر ، بهذيب الغرائز والعواطف
 والاتجاه بها إلى الآفاق السامية والمساكنة
 الرفيعة .

أبوسلة عبدالله المخزومي قد هاجر إلى الحبشة ثم قدم على رسول الله بمكة . فلما آذنه قریش وبلغه إسلام من أسلم من الانصار خرج إلى المدينة مهاجراً قبل بيعه العقبة بسنة .

وأراد أن يصحب معه زوجته أم سلة هند بنت سهيل ، فأعد البعير وحملها عليه ، وجعلت ابنها سلة في حجرها ، ثم خرج بها يقود البعير ، فلما رآه بنو المغيرة أقارب زوجته قاموا إليه معترضين سفرها معه ، وقالوا : هذه نفسك غلبتنا عليها ، أرأيت صاحبتنا هذه . علام تترك تسير بها في البلاد ، ثم نزعوا خطام البعير من يده وأخذوا منه أم سلة ، وهنا بلغ بنى عبد الأسد رهط أم سلة ، أن بنى المغيرة أخذوا أم سلة وابنها ، فثار في نفوسهم ما يثور عند العربى يرى ولدا من صلب عشيرته يربى في بيت غير بيت أهله ، مع ما للولد عند العرب من منزلة ، فهو قوة وكسب لا ينبغي أن يعتز به غير قومه . فأقسموا ألا يتركوا ابنهم سلة عند أمه وأهلها ، وهناك اشتد النزاع وتجادب البيتان الولد حتى خلعلوا يده ، وانطلق به بنو عبد الأسد عشيرة أبيه ، وهنا أصبحت أم سلة وحيدة ، هاجر زوجها وانتزع منها ابنها ، وتصور أيها القارى كيف تتحمل أعصاب المرأة هذه

وبينا أنا في هذه النشوة الحاملة ، ظهر لى مشهد آخر في صفحات أخرى ، رائعة ، وليست روعته لذاته ولكن لصلتها بموضوعى الأول ، تلك الصلة التى زادتني إيماناً وإعجاباً بالعرب ، وأرتنى بوضوح خسة أخلاق اليهود ونذالهم المتأصلة ، امرأة عربية أخرى تسوقها ظروف مشابهة لظروف أختها الأولى إلى أن تلتقى في طريقها المتقطع يهودى ، فيتجلى الفرق الواسع بين أصالة العربى ونذالة اليهودى ، اليهودى الذى يعيش آمناً بين العرب الذين آووه وأكرموه حين ظردته الدول ولم ترض به مواطناً يعيش فيها ، ومع هذا لم يعترف بالجميل حتى بالتظاهر ، ولكن هذا طبعه الملازم له : كفران النعمة وعداء للرحمة ، وعدم تحمله عيش السلام ، فحياته دائماً قائمة على الفتن والقلق والاضطراب .

أروى لك أيها القارى تلك القصة التى ملكت على إعجابى ، ولعلك إذا انتهيت منها أحسست بما أحس به أو أشد ، ورأيت أن تعجلى للحكم عليها لم يكن إغراء لك بقراءتها .

عندما اشتد أذى الكفار للنبي وصحبه فى مكة ، وعرض دعوته على القبائل فى مواسم الحج ، ودخل الإسلام بعض بيوت المدينة أذن الله للنسليين بالهجرة إليها ، وكان

عند حدود الحرم بالنعيم قريبا من مكة ،
قابلها عثمان بن طلحة وهو يومئذ على دين
قومه ، فسألها إلى أين ؟ فقالت أريد زوجي
بالمدينة ، فقال وهل معك أحد ؟ فقالت لا
والله ، إلا الله وابني هذا . فإذا يفعل الرجل
المشرك ، وكان من اليسير أن يردها إلى مكة ،
أو يسلبها بغيرها ويتركها وحيدة ، أو يطعمه
جمالها الذي اشتهرت به في أن يعمل شيئا
آخر ، حيث الجو مهيا والظروف مواتية ،
ولكن الرجل عربي ، وكما قلت من قبل :
عربي وكفى ، أخذته الغيرة والحمية والنخوة
العربية فقال لها : والله مالك من مترك ،
أى لا ينبغي أن تتركى وحدك ، وهنا أترك
السيدة الطاهرة الوفية البارة تروى لك
بأسلوبها كيف كانت معاملته لها في الطريق
وهو الذى كانت له مندوحة أن يتخلى عنها
ولا يتحمل مشقة السفر الطويل الذى
لا حاجة له به ، وكانت هى تتوقع منه ألا
يقربها بسوء وأن يدعها تواصل سيرها إلى
حيث تريد ، ولكنه كان على العهد بالعربي
الأصيل ، تقول السيدة أم سلمة :

فأخذ بخطام البعير ، فانطلق معه يهوى بي ،
فوالله ما صحبت رجلا من بني العرب قط
أرى أنه كان أكرم منه ، وكان إذا بلغ المنزل
أناخ بي ثم استأخر عني ، حتى إذا نزلت عنه
استأخر ببعيري فخط عنه ثم قيده في الشجر

الصدمة ، كيف تعيش بغير زوج وولد وهما
حيان ، ولكن لاسيل إلى اللقاء ، فثلبها
كبسط كفيه إلى الماء ليلغ فاه وما هو
ببالغه كانت المسكينة تعزى نفسها بالخروج
صباح كل يوم إلى الأبطح تتعلل بالنظر إلى
حيث سافر زوجها ، وتنسم أخبارا تخفف
من لوعتها ، وما تزال تبكى حتى يأتى المساء
فتعود لا لتنام ولكن لتظل ساهرة تفكر
فيمن يبعث إلى عينها النوم من زوج يحميها
ويقاسمها هموم الحياة ، ومن ولد هو فلذة
كبدها الذى فقد صدرها الحنون وفقدت
في جوارحه القرار .

وبينا هى على عادتها بالأبطح تبكى إذ مر
بها رجل من بني عمها ، فرق لها وتوسط في
حل مشكلتها ، فسمح لها أهلها بالسفر إلى
زوجها ، وأعطاه بنو عبد الأسد ولدها ،
ولكن كيف تستطيع السفر وأهلها أعداؤها ؟
من الذى يصحبها في طريقها الموحش
الطويل ؟ ومن الذى يزودها بما تبلغ به
الأيام الطوال ؟ لم يكن عندها إلا بغيرها
فارتحلت وجعلت إنها أمامها ، وخرجت
متوجهة إلى المدينة ليس معها إلا الله ، ولا
زاد لها إلا ما يسوقه لها القدر في الطريق ،
ولكن الله سخر لها من يرعاها ويحميها ،
وكانت الحماية والرعاية من رجل ، ومن رجل
ليس على دينها ، إذ قابلها في الطريق وهى

فقد كانت أم شريك الدوسية في سفر فعطشت ، ففرت برجال في الطريق فخرجت عليهم تسأل ماء كعادة العرب ، فإذا بهم يهود ، ولم تتحرك فيهم معاني الانسانية ، فينقذوا امرأة كاد يقتلها الظمأ في الصحراء ، ولكنهم لا يرون لغيرهم حقاً في الحياة ، فسألوها أولاً عن دينها، فقالت مسلمة. فعرضوا عليها الرجوع عن دينها ليسقوها فأبى وأصرت ، وقد كان لها من الرخصة وهي مشرفة على الهلاك . أن تنطق بكلمة الكفر وقلبها مطمئن بالإيمان ، ولكنها مؤمنة مخلصه تأتي العار في أدنى صوره ، فكافأها الله بأن صرف عنها ألم العطش بأن خيل لها أن دلوا تدلى من السماء فشربت ورويت .

وسواء أصبح هذا المخرج من المأزق على هذه الصورة أم لم يصح ، فقد استبان الفرق البعيد بين العربي واليهودي . وأيقنت حقاً أن أمة لها مثل هذه المقومات الأدبية الرفيعة لن تذلل ولن تهون . وأن شذمة من اليهود ورثت الحسة في أحط مداركها لن يكون لها شأن في الوجود . والله العزة ورسوله وللؤمنين وللسن المتأقين لا يعلمون ؟

سيرة المغربي

ثم تنحى الى الشجرة فاضطجع تحتها ، فإذا دنا الروحاق قام إلى بعيرى فقدمه فرحله ثم استأخر عنى فقال : اركبى ، فإذا ركبت فاستويت على بعيرى أتى فأخذ بخظامه فقاد بي حتى ينزل بي ، فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقدمنى المدينه ، فلما نظر إلى قرية عمرو بن عوف بقاء ، قال زوجك في هذه القرية ، وكان أبو سلة نازلاً بها ، فادخلها على بركة الله . ثم انصرف راجعاً الى مكة . الى هنا تنتهى القصة التى كانت كلها ذكرتها أم سلة قالت : والله ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبى سلة ، وما رأيت صاحباً قط أكرم من عثمان بن طلحة .

ولقد أكرم الله أم سلة بعد ذلك فتزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم بعد وفاة زوجها في السنة الرابعة من الهجرة ، وكانت صاحبة رأى سديد حلت به أكرامات ، وأكرم الله عثمان بن طلحة فأسلم عام الحديبية على ما أسلف من خير وهاجر الى المدينة مع خالد ابن الوليد قبل الفتح .

قابل هذه الصورة الرائعة الناطقة بعراقه العربى فى النبيل والشهامة والمروءة والتجدة وبين خسة اليهودى التى تصورها هذه الحادثة كما ذكرها ابن اسحق فى رواية غير ابن هشام:

من رجال الإسلام:

عامر بن شراحيل الشَّعْبِي

لأستاذ محمد إبراهيم الجيوشي

شهد له أعلام عصره بالعلم الغزير والمعرفة الواسعة ، والبيان القوي فقد مر به ابن عمر رضى الله عنه . وهو يتحدث القوم عن المغازي . فقال : شهدت القوم ، وإنه لأعلم بها مني .

وقال الزهري : العلماء أربعة : ابن المسيب بالمدينة ، والشعبي بالكوفة ، والحسن البصري بالبصرة ، ومكحول بالشام .

وقد ساعد الشعبي على الوصول إلى هذه المكانة التي استرعت انتباه الأعلام من رجال عصره . ودفعتهم إلى الإشادة بفضله حافظه قوية وذهن وقاد لم يمر به شيء إلا سجله ووعاه حتى يقول هو عن نفسه في ذلك - ردأ على من سأله عن مبلغ حفظه - : ما كتبت سوداء في بيضاء ، ولا حدثني رجل بحديث إلا حفظته .

وهذه العبقرية الفذة ، وهذا العقل الراجح ، والفكر اللامع والبيان الطلق استوقفت رجلا مثل الحجاج ، وأثارت دهشته ، فقد أتى بالشعبي في قوم خرجوا عليه ، فقال الحجاج : خرجت علينا يا شعبي ؟

كلما رددت الطرف من قديم في كتب التاريخ والأدب يسترعى انتباهي ، وتستوقفني أخبار منشورة هنا وهناك عن عامر بن شراحيل الشعبي .

ذلك النموذج الفذ للفقيه الإسلامي في القرن الأول من الهجرة .

فقد ولد عامر الشعبي سنة ١٩ على خلاف في ذلك ، وأنهى رحلة الحياة في عام ١٠٣ من الهجرة ، وبين بدء رحلة الحياة ونهايتها ترك الشعبي من الأخبار والأحداث ما استعصى على الموت أن يطويه مع صفحة العمر التي طواها .

ولئن كان الشعبي قد ودع الحياة في أول القرن الثاني للهجرة فإن أخباره وسيرته لاتزال تترامى أضواؤها على مشارف الزمن كما تلتألأ النجوم الهادية للسائر في خضم المحيط .

يستوقف الناظر في سيرة الشعبي تلك الجوانب الخصبة المتعددة لهذه الشخصية الفذة . فهو فقيه ، ومحدث ، وراوي ، وساخر بارع النكتة حلو الفكاهة ، ورجل سياسة من الطراز الأول .

ولكن كما قال لبيد بن ربيعة وقد بلغ سبعين حجة .

كأنى وقد جاوزت سبعين حجة خلعت بها عن منكبي رداً

ولما بلغ سبعا وسبعين سنة قال :
بانت تشكى إلى النفس موهنة

وقد حملتك سبعا بعد سبعينا
فإن تزدى ثلاثاً تبغى أملاً

وفى الثلاث وفاء لثمانينا
ولما بلغ تسعين سنة قال :

ولقد سئمت من الحياة وطولها
وسؤال هذا الناس : كيف لبيد ؟

ولما بلغ عشرين ومائة قال :
أليس ورأى أن تراخت مني

لزوم العصا تحنى عليها الأضالع
أخبر أحبار القرون اتى خلت

أنوء كأنى كلما قت راعع
ولما بلغ ثلاثين ومائة وحضرته الوفاة قال :

تمنى ابتئى أن يعيش أبوها
وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر

فوما فةولا بالذى تعلمانه
ولا تخمشا وجها ولا تحلقا شعر

وقولا : هر المرء الذى لا صديقه
أضاع ، ولا خان الخليل ولا غدر

إلى سنة ثم السلام عليكما
ومن يبك حولا كاملاً فقد اعتذر

قال الشعبي : أجذب بنا الجناب ، وأحزن بنا المنزل ، واستعلمنا الخوف ، واكتحلنا السهر ، وأصابتنا خزية لم نكن فيها بررة أنقياء ، ولا جرة أقوياء .

فلم يتالك الحجاج إزاء هذا البيان المحكم ، والفكر المشع إلا أن يرسله ضناً به على الموت ، وهو يقول : لله أبوك !

وقد أهله هذه المواهب إلى أن يكون محل شناية رجال الدولة وتقديرهم . ولهذا لم يتردد الحجاج حينما بعث إليه عبد الملك بن مروان يسأله أن يختار له رجلاً يصلح للدين والدنيا يتخذه محدثاً وسميراً ، أن يبعث له بالشعبي .

مع عبد الملك :

ولما دخل الشعبي على عبد الملك وجده قد أطرق منها ، فقال : ما بال أمير المؤمنين ؟ قال عبد الملك : ذكرت قول زهير .

كأنى وقد جاوزت سبعين حجة خلعت بها عنى عذار لجامى

رمتنى بنات الدهر من حيث لا أرى فكيف بمن يرمى ، وليس برامى

فلو أنتى أرمى بنبل رأيتها
ولسكنى أرمى بغير سهام

على راحتين تارة ، وعلى العصا أنوء ثلاثاً بعدهن قيامى

قال له الشعبي : ليس كذلك يا أمير المؤمنين ؟

وقد سأله ذات يوم عن ذكر يائه ونوادره
في القضاء . فقال الشعبي : اختصم إلى امرأة
وبعلها ، وكانت حسنة المظهر جميلة الوجه ؟
وعلى حق في دعواها ، فقضيت لها وأتمنى
زوجها بالتجنيز لها ، وكتب لـ رقعة فيها :

فمن الشعبي لما

رفع الطرف إليها

فقتله بقسوام

وبخطى حاجبها

ومشت مشيا رويدا

ثم سزت منكبها

قال للجلواز قرب

ها وأحضر ناهديها

وقضى جورا على الخصم

م ولم يقض عليها

كيف لو أبصر منها

نحرها أو ساعدتها

لصبا حتى تسراه

ساجدا بين يديها

فسأله الخبيثة : وماذا فعلت عندئذ ؟
فأجاب . أمرت بضربه حتى أوجمت ظميره .
ثم أخذ الشعبي في إلقاء نوادره على الخليفة
وهو في غاية السرور والبهجة ولما احتاج
الأمر إلى سفارة بين الدولة الأموية
وامبراطور بيزنطة على أثر ضرب الدبنار
الإسلامي في عهد عبد الملك لم يجد عبد الملك

فسر عبد الملك وتهلكت أساريه حتى قال
الشعبي : فلقد رأيت السرور في وجه عبد الملك
طمعا أن يديشا .

رأى عبد الملك نموذجا فريداً من الرجال ،
وخشى أن يبدل منه ما يغيره عليه فيحرم
من حديثه ومناذمته فقال له :

يا شعبي ، لا تساعدني على ما قبح ، ولا ترد على
الخطأ في مجلس ، ولا تخلفني جواب التسميت
والتهنئة ، ولا جواب السؤال والتعزية ، ودع
عك ، كيف أصبح الأمير . وكيف أمسى ،
واجعل بدل المدح لصواب الاستماع
منى ، واعلم أن صواب الاستماع أكثر من
صواب القول ، وإذا سمعتني أنحدث فلا
يفوتك منه شيء ، وأرني همك من طرفك
وسمك ، ولا يجهد نفسك في تطرية صوابي .
ولا نستدع بذلك الزيادة في كلامي ، فإن
أسوأ الناس حالا منهم من استخف بحقهم .
واعلم يا شعبي أن أقل من هذا يذهب بسالف
الإحسان . ويسقط حق الحرمة ، فإن
الصمت في موضعه ، ربما كان أبلغ من المنطق
في موضعه وعند إصابته وغرضه .

وكانت روح الشعبي المرحمة ، وفكاهته
الحلوة ، ودعابته العذبة مما يقربه إلى
نفس عبد الملك ، وجعل الأمر يصل بينهما
إلى حد المزاح والمداعبة ، وزاد في إعجابه به

وقول الخطيئة :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه
لا يذهب العرف بين الله والناس
عند ذلك لم يخالج الخليفة أدنى شك في أن
الشعبي سيقوم بسفارته في نجاح ، وعلى خير
وجه ، وأخذ الشعبي يتأهب للسفر إلى
بلاد الروم .

الشعبي في بلاط الإمبراطور :

وفي بلاد الروم التقى الشعبي بالإمبراطور ،
وكان شديد الحرص على أن يمثل الدولة
الإسلامية خير تمثيل ، ويوفر لها كرامتها
ومكائنها . وأراد الإمبراطور أن يعرف
مقدار ولاء السفراء المسلمين لدولتهم .
فقال له : أنت أحق بموضع صاحبك منه ،
فأجابه الشعبي على الفور إجابة رائعة مفحمة
« على بابه عشرة آلاف كلهم خير مني . .
فقال الإمبراطور : « هذا من عقلك » .

وقال الإمبراطور للشعبي : أريد أن أسألك
عن ثلاث خلال ، فإن أجبتني عنهن فأنت
أعلم الناس ، فقال الشعبي : فليسألني الملك
عما أحب . .

قال الإمبراطور : يا شعبي ، هل للعرب
من الأمثال مثل أمثال العجم ؟

قال الشعبي : نعم . وعندنا مثل ليس لأهل
الأرض مثله .

أجدر من الشعبي بالقيام بهذه المهمة الخطيرة ،
ولكنه أراد أن يطمئن قلبه ، فعقد امتحانا
للشعبي أشبه بما نسميه اختبارات الذكاء
اليوم ، وجرى بينهما الحوار التالي .

الخليفة : يا شعبي ، ما العلم ؟
للشعبي : هو ما يقربك من الجنة ، ويباعدك
من النار .

الخليفة : يا شعبي . ما العقل ؟
الشعبي : ما يعرفك عواقب رشدك ،
ومواقف غيك .

الخليفة : متى يعرف الرجل كمال عقله .
الشعبي : إذا كان حافظا للسانه ، مداريا
لأهل زمانه ، مة بلا على شأنه .
الخليفة : يا شعبي أنشدني أحكم ما قالته
العرب وأوجزه .

الشعبي : يا أمير المؤمنين قول زهير .
ومن يجعل المعروف من دون عرضه
يفره ومن لا يتق الشتم يشتم
وقول النابغة :

ولست بمستبق أخا لا تلبسه
على شعث أى الرجال المهذب
وقول عدى بن زيد :

عن المرء لا تسأل ، وسل عن قربنه
فكل قرين بالمقارب يقتدى
وقول طرفة :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا
ويأتيك بالأخبار من لم تزود

وحسد الدولة الإسلامية على ظفرها بمثله
فبعث برسالة إلى عبد الملك يحاول فيها أن
يغري الخليفة بالشعبي . ولكن عبد الملك
نقبه إلى غرضه ، وأضاع عليه تدبيره .

طرف منه أقواله :

والشعبي رجل خبر الحياة وفهم حقائقها ،
وكان ذا بصر بأخلاق الناس وطبائعهم .
وله أقوال تدل على عمق النظرة وسر غور
الحياة ، ومن ذلك قوله : تعايش الناس زمانا
بالدين والتقوى ، ثم رفع ذلك فتعايشوا
بالحياء والتذم ، ثم رفع ذلك فما يتعايش
الناس إلا بالرغبة والرغبة ، وأظنه سيجي .
ما هو أشد من هذا .

وقد أورثه ذلك حلما وسعة صدر أسمع
رجل كلاما يكرهه فلم يكن جوابه إلا أن قاله
إن كنت صادقا فغفر الله لي . وإن كنت
كاذبا فغفر الله لك ، وكثيرا ما كان يتمثل
بقوله مسكين الدارمي .

ليست الأحلام في حال الرضا

إنما الأحلام في حال الغضب
والشعبي ردود تفيض بالسخرية ولتهمك ،
وكثيرا ما يكون ذلك حينما يلتقي به بعض
الثقلاء . وكثيرا ما هم في حياة الشعبي . فقد مر
به حمال على ظهره دن خل ، فلما رآه وضع الدن
وأقبل عليه يسأله : ما كان اسم امرأة إبليس ؟
فقال الشعبي : ذاك نكاح ما شهدناه .

(البقية على صفحة ٨٩)

قال الأميراطور : وما هو ؟
قال الشعبي : يا ابن آدم إذا لم تستح فاصنع
ما شئت .
فقال الأميراطور : ما سمعت بهذا المثل
قط إنه لا يشبهه مثل .

وكان الشعبي قد خضب لحيته باللون الأصفر
تجملا منه وحرصا على التقاليد الإسلامية ،
إذ كان الخضاب الأصفر يعتبر سنة عن النبي
فقال الأميراطور : يا شعبي لم غيرت لحيتك
بصفرة ، ألا صبرت على البياض كما ابتليت
أورددتها إلى نسجها الأول فخصبت بالسواد
فأجاب الشعبي : هذى سنة نبينا .

فقال الأميراطور : ما جاء به النبيون
فليس فيه حيلة ، ثم قال أخبرني يا شعبي أنت
خير أم أبوك ؟

فقال الشعبي : أبي خير مني .
فقال الأميراطور : وأنت خير من ابنك .
فقال الشعبي : نعم ؟

فقال الأميراطور : الحمد لله الذي أظفرك
بك يا شعبي . آخركم قردة إذا كنتم تردادون
في قرن شرا .

غير أن الشعبي أخذ يمين للأميراطور
وجهة نظره من حديث النبي الذي يفيد أن
الموازن ستنعكس آخر الزمان ، ويغلب على
الناس الهوى والنزعات النفسية .

وقد أعجب الأميراطور بمواهب الشعبي ،

الدين للضرورة أم للكمال؟

للأستاذ محمد فتحي عثمان

من خلقنا تفضيلاً .. وهو يقرر لكل إنسان حقه في العيش الكريم . مؤمناً كان أو كافراً ، مخلصاً أو جاحداً . من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم لا يبخسون ، . من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد . ومن كان يريد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً . كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً .

وعلى هذا الأساس الفلسفي الاعتقادي قررت شريعة الإسلام حقوق غير المسلمين المعاشية في دولة الإسلام ، وفرض عمر بن الخطاب من بيت المال ليهودي رآه يسأل : الجزية والحاجة والسنن ، وضمن خالد بن الوليد في عهده لأهل الأقاليم المفتوحة : أيما شيخ يحجز عن العمل ، أو أصابته آفة من الآفات ، أو كان غنياً فافتقر ، وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته ، وعيل من بيت مال المسلمين هو وعياله .

وهذا الميدان من ميادين الدين ، يشترك فيه دعاة الدين مع دعاة الإصلاح من كل لون . قد تكون الدعوة إلى إصلاح الدنيا عن طريق

هل كان الدين وقاء للإنسان البدائي - فحسب يستحبه جهوده - ويعالج مخاوفه ، فإذا استطاع الإنسان أن يقضى حاجاته المعيشية عن طريق التعامل مباشرة مع سنن الكون وكشوف العلم ونظم الاجتماع والاقتصاد والحكم فقد صار الدين (غير ذي موضوع) كثير ممن يتظاهرون بالإنصاف يقولون هذا . . . ويجعلون الدين (ذا فضل تاريخي) قد مضى زمنه ، واستنفد أغراضه ، وغدت الإنسانية نستطيع أن نحقق بوسائلها الحاضرة من رغد لعيش وسعادة النفس ما لا تحتاج معه إلى دين يتحدث عن المغيّب المجهول .

والحق أن الدين لا يسهدف الحفاظ على قوى الفرد ونوع الإنسان فحسب ، بل السمو بها وترقيتهما أيضاً . . . ولنتناول الإسلام مثلاً على تحقيق هذه المهمة بشطريها .

إن الدين يقضى ضرورات العيش .. يحفظ (للإنسان) كنوع مستوى يليق به . ولقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ، . . . ولقد كرمنا بني آدم ، وحملناهم في البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير

آلهة إلا الله لفسدنا ، ، ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء ، فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرايب سود . ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك ، إنما يخشى الله من عباده العلماء ، ، وفي أنفسكم أفلا تبصرون ، ١

وأنى لمن تستهلكه مطالب القوات ، وهو يعيش من يده لفسه ، تهدده قرقرة البطن ومتربة العيال ، وأنى لمن تفزعه سياط الجلادين ومقارع الطغاة ... أنى لهذا أو ذاك أن يجد فسحة وقت وهدوء بال وحصافة عقل وحصية علم ليفكر فى الديانات والمذاهب والآراء ؟

يقولون إن هؤلاء الجياع العراة هم طليعة المتحمسين للدين ، المضحين من أجله ، المستشهدين فى سبيله ... ويقولون إن هؤلاء (الشهداء) آمنوا فى سر بالآخرة لأنهم لم يجدوا ما يخسرونه فى الدنيا ...

والحق أن شهداء العقائد والديانات جموع لا نستبين كل أفرادهم ، وقد يكون فيهم كثير أو قليل من الضائقين بحياتهم ، ولكن الذى لاشك فيه أن بين هؤلاء الأتباع أصحاب نظر وفكر ، وجاه وثراء ، وصدق وشجاعة ، آمنوا بالدين إيماناً لم يكونوا يفرون به من واقع مهيب إلى خيال عريض !!

الدين أعمق جذوراً - لأسباب سنتناولها بعد وقد عرضنا لبعضها فى مقالات سابقة - ولكن موضوع الدعوة نفسها : وهو تحقيق ضرورات المعاش من مأكل وملبس ومأمن يشترك فيه الدين مع كل داع إلى الخير والمعروف والإصلاح ، واذكروا إذ أتم قليل مستضعفون فى الأرض ، تخافون أن يتخطفكم الناس . فأواكم ، وأيدكم بنصره ، وروى فكم من الطيبات ، ، فليعبدوا رب هذا البيت ، الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ، .

لكن الدين يرقى بالحياة ويسمو بالإنسان إلى السكال . . إنه لا تستغرقه معركة القوات والأمن ، بل يتولى تعميق الجذور وتوسيع الآفاق .

وبراءة الإنسان من ضغوط الضرورات والحاجات لا تغنى عن الدين ، بل تزيد التشوق إليه إن الإنسان حين يأكل وبأمن يستطيع أن يفكر فى هدوء ، وقد تخلص من شغب المسغبة والحاح الحاجة .

وقضية الدين قضية فكر ونظر ، وتأمل وتبصر ، أن تقوموا لله مثنى وفردى ثم تفكروا . . . أحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون ، ، أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ، ، ولو كان فيهما

ودعاة الدين لا يضيّقون بالمدينة والحضارة التي خففت عنهم أعباء معركة العيش والأمن ، لأنهم يعتقدون أن هذه المدينة والحضارة قد أسدت إليهم خدمة كبرى ... إنها نعمة من نعم الله السابغة الى سحر بها للإنسان ما يسد حوائجه لكي يجتهد والوقت للذين يستخدمهما في أعمال فكره واستخدام عقله وتحتيق إنسانيته .

مهمة الدين إذن مزدوجة ... وهي تحقق للناس الضرورات لكي يجدوا الفرص ليفسكروا في الكمال ... إن دولة الإسلام دولة العدالة والرخاء حتى يرتقى مستوى البشر عن أن يكون صراعا من أجل اللقمة أو فرارا من الأذى والضيق لا غير !!

والدين يهيب بالعلماء أن يكتشفوا ويخترعوا ، لتسخو الطبيعة بقواها فتوفر من جهد الإنسان ، ويهيب بالحكام أن يعدلوا ليأمن الناس المظالم والمغارم فيفرغوا للإنتاج والإبداع . ويهيب بالناس جميعا أن يتناصفوا لتخف ضغوط الحاجة وشرور التنافس والخصام ... وإلى هذا الحد لا ينفرد الدين بالعمل ، ولا يأتي الوحي للاقتصار على هذا المجال ، فالإنسان قد سعى طويلا وكسب طويلا في هذا السبيل ، والدين لا يخاصم ثمار الجهود الإنسانية في العلم والتنظيم التي يسرت

إن بولس في تاريخ المسيحية علم خفاق ... كان موظفا رومانيا قد ضمن عيشه وكره المسيحية حتى كان أداة في حملة اضطهادها ... وبولس هذا آمن بالمسيحية فكان إيمانه عجيبا رائعا . وتردد (أعمال الرسل) التي تلى الأناجيل الأربعة رحلته وكمالاته ومجاداته ، فترى فيها قوة العارضة وبراعة المناقشة ... وما أروع وهو يجادل الموظفين الرومان الذين يتصدون لحركته ويحاولون أن يحولوا بينه وبين الجماهير ! وما أبلغه وهو يطالب بحقوقه كاملة كمواطن روماني !

هذا رجل حقق له وظيفته في دولة الرومان ضرورات العيش والأمن ... ورأى في المسيحية ما هو أبعد وأعمق وأجل من مجرد العيش والأمن !

وجيوش الإسلام المظفرة قد يكون فيها طلاب الغنائم أو الضائقون بحسرات حياتهم الدنيا ... ولكن لم تلغ أسماءهم مثلما لمعت أسماء أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعبد الله ابن عباس ، ومعاوية وعمر بن العاص وابنه عبد الله ... هؤلاء الذين لم يؤمنوا بإحياء الوعود البراقة واستهوا الهرب من شقاوة العيش ... ولم تسعد الإنسانية حين يكون المؤمنون أمثال هؤلاء الصادقين ... ولا يكونون من أتباع كل ناعق الذين يتطلعون لأي تغيير !

الحياة أيما تيسير ، ولا يعتبرها انتزعت منه ميدانا - بل إنها وفرت عبثا لم يكن من مهمته الأصلية ، ولا ينظر إليها أنها أقفلت أمامه القلوب - بل إنها فتحتها أمامه على مصاريعها بما وفرت عليها من الشواغل والهواجس والهموم .

يقول تعالى : « وعد الله الذين آمنوا منهم وعملوا الصالحات ليستخلفهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلهم من بعد خوفهم أمنا ... يعبدونني لا يشركون بي شيئا ... »

وهذه الآية كما توحى بأن المؤمنين إذا عبدوا الله مخلصين له الدين استخلفهم في الأرض ويمكن لهم الدين ورزقهم الأمان بعد الخوف ... توحى كذلك بأن استخلاف المؤمنين وتمكينهم لتحقيق الحرية والسلام والسعادة . ومن هنا يعبد الله في الأرض دون فتنة ولا صد بإغراء أو رهبة ، كأنه قيل : ما لهم يستخلفون ويؤمنون ؟ فقال يعبدونني موحدين ، كما ورد في تفسير النسفي ... وعلى هذا يمهّد الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي والسياسي الطريق أمام حرية الفكر والضمير في عبادة الله ، ويأمن الناس من فزع الناس فلا يعبد في الأرض غير الله ، ولا يستعلى على خلقه إلا العزيز الجبار المتكبر ، وهو الواحد القهار .

والمقصد العام للشارع من تشريعه الأحكام هو تحقيق مصالح الناس بكفالة ضرورياتهم، وتوفير حاجياتهم وتحسيناتهم... وكل فرد أو مجتمع تكون مصلحته من أمور ضرورية، وأمور حاجية . وأمور كالية ، مثلا الضروري لسكنى الإنسان مأوى يقيه حر الشمس وزمهرير البرد ، والحاجي أن يكون المسكن مما تسهل فيه السكنى بأن تكون له نوافذ وأبواب، والتحسين أن يحمل ويؤث وتوفر فيه وسائل الراحة ، وهكذا طعام الإنسان ولباسه وكل شأن من شئون حياته . والبرهان على أن كل حكم في الإسلام إنما شرع لإيجاد ؛ وحفظ واحد من هذه الأمور الثلاثة هو استقرار الأحكام الشرعية السكّية والجزئية ... (خلاف : أصول الفقه)

ولكن ماذا بعد هذا ؟

ما الذي يريد أن يحققه الدين فوق كفالة

الضرورات ؟ ؟

• يريد إطلاق الفكر الإنساني ...

إن الاعتقاد تفكير ، وطريق الإيمان هو التبصر في آيات الله في الآفاق ، وقد خاطب الله الذين يعقلون ويتفكرون ويتدبرون ... ولن يوجد هؤلاء إلا إذا تحققت خصائص الإنسانية التي تتفرد بها في مستواها الرفيع . وكما يسخر القرآن من الذين حجروا على عقولهم ، وغلّوا

أكثر بما عمروها ... ، . كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون .

وهكذا يستريح الإنسان في السراء والضراد حين يعلم سنن الكون وحكمة الخلق . إن تسكونوا تألمون ، فإنهم يألمون كما تألمون ، وترجون من الله ما لا يرجون . .
وحتى في باب تحقيق الضرورات للدين خصائصه وميزاته إلى تعمق الاستفادة من آثار العلم والتنظيم:

فهو يجعل مطالب الحياة السكوية من فرائض الدين ويوكل الكفاح من أجلها وصيانة ثماره . هذا الكفاح إلى حراسة العقيدة ... ، يكون هناك تعارض بين الدين والدنيا . ولا تناقص بين احتياجات المعاش وقضايا الفكر والوجدان . والدين يرحب بكل جهود مشمرة تيسر المعاش للناس ولا يريد أن تستغنى البشرية بالوحى والدين عن العقل والاجتهاد .

وهو إذ يضع الإنسان في مستواه الرفيع فيقرن بين تحقيق ضرورات الحياة المادية والاستجابة لأشواق النفس الإنسانية ... يسوى بين كل أفراد النوع الإنسانى في تقرير هذه الحقوق وتحصيلها لأن الجميع عباد الله .

فذلكم الله ربكم الحق ...

فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟

فأنى تصرفون !

تفكيرهم ، وقنعوا بأن يكونوا أسرى الهوى أو السلطان (١) .

ويريد الدين تحقيق راحة النفس الإنسانية ... عن طريق إحكام الرابطة بين الفكر والوجدان . بين المنطق والعاطفة ، بين العقل والروح ... فتتنامى النفس بسياحة العقل في محاولة كشف العلاقات ، والتعمق إلى ما وراء الجزئيات ، وتتهدى إلى موضع الإنسان من الأرض ، وموضع الأرض من الكون ، وموضع الكون في قصة الوجود والفناء ...

« وكأين من آية في السموات والأرض . يمدون عليها وهم معرضون » .

« قل هذه سبيلي أدعو إلى الله ... على بصيرة ... أنا ومن اتبعنى » .

« أفلم يسيروا في الأرض ... فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها ... فإنها لا تعمى الأبصار ، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » .

« وتلك الأمثال نضربها للناس ... وما يعقلها إلا العالمون . خلق الله السموات والأرض بالحق . إن في ذلك لآية للؤمنين » .

« أولم يسيروا في الأرض ، فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ... كانوا أشد منهم قوة ، وأناروا الأرض وعمروها

(١) مقال : أصول الحربة في منهج التفكير

الإسلامى - مجلة الأزهر صفر ١٣٧٧ هـ .

جزيرة لامو

مركز الثقافة الإسلامية في شرق إفريقيا

بقلم: ابن سليم

١ - تعريف :

الإفريقي وذلك لتأمينها من غزوات الإفريقيين ،
ونطور وضع هذه الولايات نتيجة للحروب
التي كانت تقوم بين المدن فسيطر القوى منها
على الولايات الضعيفة . فنشأت سلطنة أسرة
المخزومي في شرق «شوا» في أثيوبيا .
وسلطنة المظفر في مقدشيو الخ . الخ .

ويتكون أرخبيل «لامو» أو - أم -
كما يسميها أهلها من مجموعة من الجزائر
المرجانية القريبة من الساحل الإفريقي الذي
تقوم عليه سلطنة ويتو . وتقع جنوبي
كسايو مركز الباجوني الذين يسكنون الزائر
الساحلية ، ويسكن جزء منهم على الساحل .
ولهؤلاء الباجوني صلات وثيقة مع مصر ،
لا محل للتعرض لها الآن . وتقع لامو شمالي
ملندي . ويخرج من الشاطئ المقابل لجزيرة
لامو طريق القوافل التجارية الذي يدخل
البلاد في حذاء نهر التانا . وتميزت منطقة
لامو بموقعها على الطريق البحري الموسمى
للتجارة .

جاء العرب إلى شرق أفريقيا - ما بين
بوغاز باب المندب شمالا وسوفاة جنوبا -
كما سبقت إليه هجرات كثيرة من آسيا
وخاصة من الهند منذ عهود مغرقة في القدم ،
كما كانت مصر ترسل سفنها التجارية إلى هذه
المنطقة التي كانت تعرف ببلاد (بنت) للحصول
على العطور المختلفة وغيرها . وكان سكان
جنوبي غرب وجنوبي شرق الجزيرة العربية
وسكان الخليج الفارسي يتنقلون إلى شرق
إفريقية ؛ وأخذت هذه الهجرات تتزايد
وتشترك فيها مجموعات من التجار من الصين
والهند وبلاد الشرق الأقصى . وعمل العرب
على احتكار وساطة التجارة بين الشرق والغرب
وذلك بنقلها إلى البحر المتوسط ، الأمر
الذي خلق مشكلات أخذت في التطور مع
التقدم الحضاري الذي أكسبها ألواناً من
الصراع .

وبدأت تجارة العرب بقيام «مدن الولايات»
التي كانت تقوم في الجزائر الواقعة على الساحل

وقد تعرضت لامو لأحداث تاريخية

بسبب الأمراض الفتاكة وبسبب الحروب التي كانت تؤثر في وضع مدن الولايات . ولأمو اليوم مدينة بنشأتها إلى سلطان زنجبار وكانت مدينة لامو غنية تضرب بها الأمثال في الثراء ، وبخاصة مدينة ولاية جزيرة بتي التي كان عطاؤها يستخدمون السلم المصنوع من الفضة للصعود عليه إلى أسرتهم المصنوعة من من القيل . وقد أسهمت لامو بنصيب وافر في تزويد لهجات اللغة السواحلية القديمة بما أدخلته عليها من كلمات كما أخذت هذه اللغة من لهجة القصر في بتي . وتطورت في لامو صناعاتها الخاصة ومنها الحفر على الخشب والمنسوجات الملونة وذلك في القرن الثامن عشر الميلادي .

٢ - الثقافة الدينية :

اهتم الوافدون من العرب بإنشاء المدارس للتعليم ونشر الرسالة الإسلامية واتخذ الفقهاء الذين أسندت إليهم مهمة القيام بهذا العمل مدارسهم أو بمعنى أدق كتاتيبهم في أكواخ من القش أرو في المساجد الكثيرة العدد فقد وجد بلامو تسعة عشر مسجداً . وتقام صلاة الجمعة في مسجد واحد يقوم في القسم الشمالى من المدينة . والمدينة مقسمة قسمين أولهما شمالى ويعرف بالمكامونى ، والثانى جنوبى ويعرف بالأتونى . وتسكن القسم الشمالى العائلات القديمة العريقة ومن بينها

بيت الأمويين الذى جاءوا إلى هذه المنطقة بأمر من الخليفة عبد الملك بن مروان الذى يقال إن ابنه حمزة قد قام بنشر الديانة الإسلامية ويقوم من البيت الأموى هذا فقهاء يتولون صلاة الجمعة ، وصلاة الاستسقاء عند ما يتأخر المطر . وقبل اليوم المحدد لصلاة الاستسقاء يخرج مناد إلى البلد ومعه مزمار يطلب من الأهالي المساهمة في شراء ثور وإعطاء الخبز لإعداده للأكل ، وفي اليوم الثانى يسحب الثور من أمام مسجد (موانالو) في القسم الشمالى ؟ وبعد أن يؤخذ إلى الجانب الشمالى من المدينة يذبح بعد الصلاة ، ويكون ذلك تحت ظلال شجرة معينة من نوع البوباب - (العبارة بلغة السودان) ويدفن العظم ومالا يؤكل من الأحشاء ملفوفين في الجلد بالقرب من الشجرة . وفي الماضى كان أخذ أى جزء من اللحم إلى المدينة يعتبر كارثة كبرى .

ويعرف هؤلاء الأمويون الذين يمارسون سداية مسجد الجمعة وصلاة الاستسقاء باسم « الماخطيبو » - من كلمة خطيب - أى المبشر برسالة الإسلام .

وتطورت شئون الدراسة الدينية ، كما تطورت قراءات المولد النبى الشريف ، فكانت قراءة مولد البرزنجى ، ثم انتقل إلى قراءة المولد الذى كتبه حبيب على الحبشى . وكلمة حبيب عنده معناها السيد أو الشريف -

والهنود المسلمين من بمباسة وزنجبار دار السلام ، وبمبا وغيرها من المناطق المجاورة . ولهذا المعهد نشاط في نشر الرسالة الإسلامية بين المذاهب الأخرى كالأباضية التي استطاع أن يعيد مجموعة منها إلى السنة المحمدية .

ويتولى التعليم في المعهد ابن حبيب صالح ويدعى حبيب أحمد بدوى . وهناك مشكلات كثيرة تواجه هذا المعهد في تأدية رسالته الدينية ، فهناك الاسماعيلية والقاديانية ، وهذه أساليبها الخاصة في نشر دعايتها الشيعيرية . وهناك محاولات لإنشاء معاهد دينية أخرى في كينيا وتنجانيقا . وكل هذه المحاولات جديرة بالأخذ مابين الاعتبار والدراسة لتقوية الدعاية الإسلامية في ذلك المحيط .

بن سلم

ولهؤلاء نفوذ كبير في مدينة لامو في المنطقة التي يسكنها الباجون شماليها .

وأراد حبيب صالح في عام ١٨٨٥ م تقريبا إنشاء مدرسة دينية في لامو ، فأقام كوخا من القش ، ومن ثم أنشأ معهده الديني : « المدرسة الجامع » الذي أطلق عليه اسم رباط الرياضة ، لتعليم العلوم الدينية والرياضية ، وجانب من علم السحر والفلك . وتقوم العلوم الدينية أساسا على التصوف - ولا يعلم بالضبط التاريخ الذي أنشئ فيه هذا المعهد . وقد توفي العلامة « حبيب صالح » في ٦ إبريل من عام ١٩٣٥ عن عمر زاده على الثمانين عاما ويتمتع هذا المعهد الديني بالسمعة الطيبة والاحترام ، ويحضر إليه سنويا في ذكرى مولد النبي صلى الله عليه وسلم جماعات كثيرة من الباجون والصومال - الحالا ، والعرب والسواحلية « بقية المنشور على صفحة ٨١ »

وسأله آخر عن لحم الشيطان فقال : نحن نرضى منه بالكفاف .

وكثيرا ما كانت تغلب عليه روح الفكاهة فيداعب من يلقاه . فقد مر به خياط ، فقال له : عندنا حب مكسور تخطيه ؟ فقال الخياط : إذا كان عندك خيوط من ربح .

ودخل عليه رجل مرة البيت ومعه امرأة ، فقال : أيكما الشعبي فقال الشعبي : هذه .

هذا هو الشعبي مثال رائع للثقافة الإسلامي

في القرن الأول من الهجرة ، كان رجل دين ودنيا في الوقت نفسه ، وكان يعالج أمر السياسة كما يعالج القضاء بين الناس ، ويشارك في الحياة مشاركة الخبير بها العالم بدروها ومسالكها .

فلعل في حياته من الجوانب ما يحفزهم ناشئنا ، ويدفعهم إلى الأخذ بأسباب الحياة حتى يكونوا مثلا تحتذى ومنارات هادية للأجيال من بعدهم .

محمد ابراهيم الجيوشي

العبادة في الإسلام لا يجوز أن نصحبها الموسيقى

للأستاذ مصطفى أحمد الزرق

ما يزيد القرآن روعة وتأثيرا . فإذا دعنا
موسيقى التلاوة بموسيقى خارجية ناصحها
وتقويها لا تكون قد أدخلنا شيئا غريبا
ليس له أصل في نظام عبادتنا . فما هي حجتنا
المقتنعة في الموضوع ؟

قلت لصاحبي: إن الحجة نجدها في الرجوع
والنظر إلى نظام العبادة في الإسلام .
فنظام العبادة في الإسلام قد بني على
أساسين :

الأساس الأول يتعلق بغاية العبادة ،
والثاني بطبيعتها :

(١) فأما الأساس الأول فإننا نجد
أن الإسلام قد بني عباداته على أساس يكفل
قيادة المسكف إلى غاية روحية يتحقق له فيها
إصلاح نفسه لتكون عنصرا طيبا نافعا في
هذا المجتمع البشري ينفخ بالخير والنصح .
وبتوق الشر والضرر؛ وذلك عن طريق محاسبة
النفوس ومراقبة الله واليوم الآخر .

ولذلك جعل الإسلام بعض عباداته يجب
مرة في العمر كالصيام والزكاة ، وبعضها مرة في السنة
كالصيام والزكاة ، وبعضها يتكرر كل يوم عدة

نقل إلى أستاذ في جامعة دمشق سؤالا
من أحد الموسيقيين الأجانب الذين اعتنقوا
الإسلام حديثا : « إنه لمزيد إعجابه بتلاوة
القرآن العظيم وتأثره بترتيبه يريد أن يصوغ
بعض سور القرآن في مقطوعات من الموسيقى
المجردة الصامتة على طريقة السمفونيات ،
بحيث تكون القطعة الموسيقية الواحدة
معبرة بألحانها عن السورة الفلانية وتخلدها
في الحن فني ، وذلك لأن الرجل من
الموسيقيين البارعين . فيريد أن يخدم القرآن
من ناحية اختصاصه الفني ، فهل هذا العمل
مستحسن من الناحية الإسلامية ؟ » .

وقد أجبت بـأن هذا العمل لا يجوز شرعا ؛
فالقرآن خالد بإعجازه القائم على بلاغته
وصياغته وحقائقه العليا وحكمته وإحكامه .
وليس خلوده قائما على الألحان والأنغام .

قال الأستاذ : وما حكمة هذا الحظر ؟
وبماذا نقنع مثل هذا الرجل بأن الموسيقى
لا يجوز أن تدخل في العبادة الإسلامية ؟
فقد يقول لنا : أليس القرآن يرتل ترتيلا
في الصلاة ، وهذا الترتيل فيه من الموسيقى

بصورة يحفظ فيها حق النفس في الحياة ودواعيها ولوازمها كما يحفظ حق الله ، وحق الأسرة . وحق المجتمع ، دون أن يطغى فيها جانب على جانب . فإن جار المسكف على أحد هذه الجوانب لأجل الآخر أصبحت عبادته معصية ، كما لو أهمل نفسه في سبيل العبادة . أو أهمل زوجه أو ولده ، وفقا لقول الرسول عليه السلام لمن انتزع للمعبدة : « إن لنفسك عليك حقا ، ولزوجك عليك حقا ، ولربك عليك حقا . فأعط كل ذي حق حقه » . وبما أن دواعي الأهواء والشهوات والإطاع والمغريات وسائر أسباب الغفلة عن الله كثيرة متكررة فإن الصلوات الخمس إذا أدبت بخشوع وتدبر كفيلة بأن ترد الإنسان الى الجادة ، وتذكره أو تنبهه كلما حدثت له غفلة ، ليبقى دائما مع الله تعالى : وفي الوقت نفسه وسع الاسلام مفهوم العبادة فجعل الاستمتاع واستيفاء الحظوظ من مطعم ومشرب وزواج وراحة ونزهة وغير ذلك من المتع الحلال كلها تصبح عبادات إذا استوفاهما الإنسان بنية الطاعة ، أى على أناس أن الله أباحها وأنها وسيلة لتقوية نفسه على القيام بالواجبات .

وبذلك تكون جميع المتع اللذيذة المباحة هي من المؤمن المتذكر عملا لإنسانيا ملحقا بالعبادات : وتكون من غير المؤمن عملا

مرات كالصلاة . والأصل في العبادة التكرار لأن الغاية منها التذكر للواجبات بمراقبة النفس والتوجه إلى الله تعالى كي يسمو الإنسان سما ووحيا يتغلب فيه جانب الخير على جانب الشر .

ولذا كان في الاسلام عبادات ذات غاية سياسية واجتماعية كالحج والزكاة ، لأثر غاية العبادة تمحيض المسكف لخير نفسه وخير المجتمع عن طريق التصفية الروحية ومحاسبة النفس ومراقبة الله والتحذير من المصير الأخير . وبحسب المشقة الطبيعية في العبادة يكون التكرار فيهما :

فالحج مرة في العمر لما فيه من سفر وثقفة ووقت .

والزكاة سنوية لتعلقها ببناء المال ، وهذا البناء دورته الطبيعية سنوية .

وصيام الشهر دورة سنوية أيضا لأنه لو كان مستمرا لأصبح طبيعة عادية ، فيزول الإحساس به ولا تتحقق وظيفته الروحية والصحية والاجتماعية . أما الصلاة فهي الأخف عبثا من حيث المشقة ، وهي الأكثر ذكرا ومناجاة لله تعالى وتوجها إليه ، ولذا كانت متكررة في اليوم الواحد مرات

وقد جعلت لهذه العبادات مراحل أساسية هي الفرائض في دوراتها العمرية أو السنوية أو اليومية ، وترك ما يزيد عنها للتطوع

بالعبادة إلى مستوى رفيع يليق بالإنسان العاقل المتميز بعقله وتفكيره عن سائر المخلوقات .

ولذا نجد العبادات في الاسلام تشتمل كلها على عنصرى التفكير والعزيمة الانشائية .

فالتفكير والعزيمة هما من أركان العبادة في الاسلام ، كما يتضح من الملاحظات التالية :

أولاً : أن العبادات كلها أعمال إرادية تنشأ بها العبادة بعزيمة إنشائية ، وتعتقد العقاد في نظر الشرع كما تنعقد العقود ، وتشترط لها شرائط ، وتخضع للصحة والبطالان كما تخضع العقود .

ثانياً : أن العبادات في الاسلام تشترط فيها جميعها النية . والنية عمل عقلى باطنى وعزيمة فكرية .

ثالثاً : أن هذه النية العقلية هى كل شئ فيما أسميناه «العبادات الملحقة» وهى الأفعال الحيوية والمتع المباحة من مأكل ومشرب وزواج ومتنزه ، فتتقلها النية كما أشرنا ، من استمتاع حيوانى إلى عبادة عقلية . ولذلك يقول علماء الاسلام : «إن النية هى المميز الفارق بين العادة والعبادة» .

وتتجلى هذه الناحية التفكيرية في جميع العبادات الاسلامية الاربعة الأساسية : فالحج يقوم فيه المسلم بعمل فيه تفكير روحى واجتماعى وسياسى .

حيوانيا ، كما يقول الله تعالى : «والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام» ، وذلك بحسب الفكرة النيلية أو الوضيعة التى تصاحب الاستمتاع .

فالهم أن يكون المؤمن دائماً مع الله غير غافل عنه .

(ب) وأما الأساس الثانى المتعلق بطبيعة العبادة فإن الإسلام أراد أن يجعل العبادة عملاً عقلياً وتفكيراً بعد ما أصبحت في كثير من المذاهب الوثنية وغيرها مراسم شكلية أو أنعاماً موسيقية .

فقد انتشرت قبل الإسلام وبعده إلى اليوم طرائق التعبد بالموسيقى ، فاختلطت الأحاسيس والمشاعر الفنية الجميلة وما ينشأ عنها من نشوة وطرب ، وامتزجت بالعبادة ومناجاة الله ، بينا أن الأحاسيس الفنية والعبادة هما أمران متباينان .

فإذا أصبحت العبادة موسيقى وأنعاماً حق للفاسق فى الملاحى أن يعد نفسه متعبداً بالنشوة والإحساس الفنى من الموسيقى التى يسمعها فى الملهى كمن يسمعها فى المعبد .

وهكذا ربأ الإسلام بالعبادة عن مستوى المراسم العمياء والطقوس الشكلية المحضة التى يقصد بها السيطرة على أوهام الناس دون معنى عقلى ، كما ربأ بالعبادة عن النشوة والطرب الناشئين من العمل الفنى كالموسيقى ، وهذا سمر

رداء النشوة الفنية ، فنخرج من حيز العبادة والفكر السامى إلى حيز الطرب الذى يكون حظ الحس فيه أكبر من حظ العقل ، كما قد يكون حظ غير المتعبد فيه أوفى من المتعبد ، فيضيع معنى العبادة .

ولذا نعى القرآن على الجاهليين أن صلاتهم عند البيت لم تكن إلا مكاء وتصدية ، أى مراسم من تصويت وتصفيق .

والخلاصة : أن الاسلام ميز بين الأحاسيس الفنية التى هى مشاعر نفسية غريزية لاصلة لها بالعقل والتفكير ، وبين العبادة المزكية للأنفس البشرية ويجب أن تكون تأملا وتفكيراً .

ولما رقى الاسلام بالعقيدة فجعلها عقلية محرومة من الأوهام والخرافات ، رقى أيضاً بالعبادة فجعلها عملاً عقلياً سامياً وتأملاً وتفكيراً ، وعزيمة ونية وتعبيراً .

مصطفى احمد الزرقا

أستاذ القانون المدنى والشريعة الاسلامية
فى كلية الحقوق من جامعة دمشق

والزكاة والصيام تتجلى فيهما أجلى صور التفكير الروحى والاجتماعى .

والصلاة تبرز فيها وتتجلى هذه الصورة من العمل العقلى السامى أكثر من سواها . فهى كلها أدعية ، وأذكار ، وقرآن ، ومناجاة ، وتضرع ، وتوجه إلى الله . والأعمال والحركات فيها مناسبة للعانى التى يرددها المصل .

وأما الموسيقى التى تتجلى فى ترتيل القرآن فإنها التوقيع الطبيعى الذى يتجلى فى حسن القراءة وجودة النطق الصحيح والأداء المحكم فهى كالجمال الطبيعى والنظافة وحسن التجميل بالحدود الطبيعية ، فكل كلام حسن الأداء توجد فيه موسيقى طبيعية ذاتية . وهذا غير الموسيقى الخارجية الصناعية التى هى عمل فنى مستقل .

وعلى هذا الأساس لا يقبل الاسلام أن تصاغ سور من القرآن قطعاً موسيقية ، كما لا يقبل أن تصحب العبادة موسيقى خارجية ؛ لأن العمل العقلى فى العبادة عندئذ يغيى تحت

مَا يَقَالُ عَنِ الْإِسْلَامِ

أَدْيَانُ الدَّعْوَةِ

لِلْإِسْلَامِ دُعَاةُ مُحَمَّدٍ الْعَبْدِ

الهندوكية هي الديانة القومية العنصرية للهنود . وإياها تخصهم وحدهم وتخص بلادهم وحدها ، وليس لها مؤسس معين معروف ، بل ترجع نشأتها إلى ما قبل التاريخ ، فلنعلم إن الشنتية هي من هذا القبيل ديانة أهل اليابان ، فهي مقصورة على اليابانيين لا يعرف لها مؤسس معين منذ نشأتها قبل التاريخ ، وكلتا الديانتين لا عناية لها بالدعوة إلى الدخول فيها ، فكل منهما تعبير طبيعي لشعب خاص ، وجزء من ثقافة اجتماعية لا تقبل الغرباء .

ويعود الكتاب فيقول تمهيداً للكتابة عن الديانة اليهودية : « إن ديانة اليهود أيضاً ذات ارتباط بشعب معين كما يؤخذ من تسميتها باليهودية أو العبرية ، وهي لهذا تشبه الهندوكية والشنتية في أنها ديانة مغلقة أي ليست من ديانات الدعوة ، وإنما تختلف بأن الهندوكية والشنتية كلتاهما ديانة شعب

من التقسيمات المتواترة عند علماء المقارنة بين الملل والعقائد تقسيم الأديان في العالم إلى أديان دعوة ، وأديان مغلقة ، أو محصورة في بيئة خاصة ، وأكبر أديان الدعوة عندهم في العصر الحاضر ثلاثة : البوذية والمسيحية والإسلام ، وأولها تنحصر الدعوة إليه في التلذة ، ومصاحبة المريدين للأئمة والرؤساء في الهياكل والصوامع ودور العبادة .

ظهرت في العهد الأخير طبعة جديدة من كتاب « المطالعات في الأديان العالمية » وجمّلها أحد عشر ديناً هي الهندوكية والشنتية واليهودية ، والزردشتية أو المجوسية والطاوية ، والكنفوشية ، والجانانية ، والبوذية ، والمسيحية والإسلام . والسيخية . ويقول الكتاب في التمهيد للديانة الشنتية : Shintocsnr وهي ديانة أهل اليابان : « إننا رأينا في ختام الفصل السابق إن

الصالح والعمل الطالح بمعزل عن الحدود الجغرافية وحدود العنصر والنسب وأصول الأسلاف .

فالدين عند أصحاب المثل التي تدعو إليه عقيدة إنسانية تقوم على التوحيد وليس بصيغة محلية محدودة ، ولا بفريضة سياسية تملئها السلطة الحاكمة ، ويخضع لها الرعايا المحكومون .

هذا الفارق في تطور الإنسانية واضح جدا لو شاء علماء المقارنة بين الأديان أن يستوضحوه ، ولكنهم لا يشاءون ولا يحبون أن يشاءوا مختارين ، لأن النتيجة المحتومة لو نظرنا إلى هذا الفارق أن يرفعوا الإسلام إلى القمة العليا من العقائد الدينية ، وأن يتمتع عليهم تحليل انتشاره بموافقة للشعوب المتأخرة كما يقولون كلما عرضوا لمسألة الدعوة والشيوع .

فالإسلام قد جاء للناس بعد أن بلغوا من التطور في فهم الدين حد التمييز بين هداية الضمير وبين فوamel الأمكنة والأنساب ، فعرفوا أن الحق الإلهي ، محصول روحاني وليس بالمحصول الأرضي الذي يرتبط بالترتبة كما ترتبط محاصيل الزروع والضررع .

وآية الإعجاز في هذا التطور ، أن يطلع على العالم من بلاد العصبيات والأنساب ، وأن تكون له آيات بينات في الإيمان بالعقيدة

مستقر في وطنه منذ عهد بعيد ، وأن اليهود تعرضوا للشتات غير مرة ، فوقعوا في أسر مصر وبابل وفتقدوا وطنهم بعد أن استولى العاهل الروماني (تيتوس) على أورشليم سنة سبعين للميلاد . . .

ولما عرض الكتاب للدين الإسلامي قال إنه دين دعوة وإنه لا يزال ينتشر في القارة الإفريقية وبين الشعوب المتأخرة . ولكنه لم يحاول أن يبحث عن حقيقة الفارق بين أديان الدعوة والأديان ، المقفلة التي لاتعنى بإدخال الغرباء في ملتها . . . إلفارقا واحدا ذكره غير مرة وهو الفارق بين الدين الذي يعبر عن بيئة محدودة والدين الذي يسرى الإيمان به إلى أقطار لا يحدها المواضع الجغرافية أو الروابط العنصرية .

على أن الفارق الأصيل ظاهر ، بل مفرط في الظهور ، حتى ليكنفى في تلخيصه بضعة سطور ، غنية عن الإفاضة في الشروح ، والإكثار من الأسانيد .

إن ديانات الدعوة مفهومة في حالة واحدة وهي حالة الإيمان بالضمير الإنساني واستعداد الإنسان في مختلف البلدان والأجناس للإيمان بالتوحيد ، ولا يتأنى أن ينتشر دين دعوة يعم الناس جميعاً قبل أن يفهم الناس أن الدين هداية يتقبلها كل من له عقل يعي وضمير يميز بين الخير والشر وبين العمل

يعجب لكل ماضٍ درج عليه الأولون وطال بهم عهده . وهو في رأيهم الآن لم يكن ليحتمل البقاء بضع سنين لو حكموا عليه يومئذ كما يحكمون عليه الآن .

فقد خطر لبعض بني آدم قديماً أنهم رُحِمَ أصحاب الخطوة عند الله . وأن أضعاف أضعافهم من بني آدم الآخرين ملعونون محرومون ! وقد خطر لبعض بني آدم قديماً أنهم ضائعون صالحين أو غير صالحين ، وأنهم كتب عليهم الموت لأنهم هالكون ولأنهم يولدون .

وقد كانت الأديان يومئذ لا تحتمل الدعوة ولا معنى للدعوة عند أصحابها لأن الدعوة إنما تكون للهداية الممكنة وللضمير الذي يقدر عليها ولا تكون مع الاحتكار والاستئثار ، في حدود رسمها الجبال والبحار ، أو ترسمها سجلات الأنساب والآثار .

وها هنا مفترق الطريق التي سلكها الإسلام بالعالم الانساني . وكان من أجل هذا دين دعوة تهدي إلى ذلك الطريق .

* * *

ويتصل بأمر الدعوة كل مبحث يتناول عدد المسلمين في العالم وتاريخ الدعوة إلى الإسلام في الأزمنة الماضية وفي الزمن الحاضر ، كما يتصل بأمر الدعوة كل مبحث يتناول صلاح الإسلام للشيوع والاقتناع وما ينتظر

الإلهية ، والإيمان بالنبوة ، والإيمان بضمير الإنسان .

فإنه في الإسلام هو « رب العالمين » يتساوى عنده الناس ولا يتفاضلون بغير العمل الصالح .

والنبي في الإسلام هو المبشر بالهدى والمنذر بالضلال ، وليس هو بالمنعم الذي يكشف الطوابع والأسرار ولا بصاحب الخوارق ، والأعاجيب التي تشل العقول وتهول الضمائر وتحاطب الناس من حيث يخافون ويعجزون ولا تحاطبهم من حيث يعقلون ويتأملون ويقدرّون على التمييز .

والإنسان في الإسلام مخلوق عاقل ذو ضمير مسئول يحاسب على عمله ولا تلحق به جريمة قبل مولده ، وبعد انقضاء حياته .

ولا حاجة إلى الإطالة في المقابلة بين الأديان ليعلم المطلع عليها من قريب أن هدف العقيدة في الله وفي النبوة وفي الضمير الإنساني هي غاية التقدم الذي ارتقى إليه الناس ، بعد الديانات الجغرافية . والديانات العنصرية ، والديانات التي تنحصر في بيئة ضيقة ، أو واسعة ، ولكنها لا تحيط بجميع بني الإنسان .

ولم يتهياً بنو آدم وحوا هذه المرتبة من مراتب الإيمان إلا بعد أطوار بعيدة يعجب لها العقل الإنساني كلها فطر إليها اليوم . كما

ومن لاحظ تلك الأخطاء المعتمدة في إحصاء المسلمين الأميرشكيب أرسلان صاحب التعليقات على كتاب حاضر العالم الإسلامي فقال في باب إحصاء المسلمين : . . أما مسلمو الصين فلا تزال الأقوال متضاربة في عددهم . فمن الجغرافيين من يحزروهم بعشرين مليوناً ومنهم من يحزروهم بأكثر من ذلك بكثير ، وفي هذه الأيام لما وقعت الفتنة بين الصين واليابان من أجل منشورية أبرقت الجمعية الإسلامية في الصين إلى أوروبا بتلغراف احتجاج قالوا فيه إنهم يتكلمون باسم خمسين مليوناً من مسلمي الصين ، ثم ورد تلغراف من طوكيو يرد على مسلمي الصين زاعماً أنهم خمسة عشر مليوناً لا خمسون مليوناً ، وفيه أن في منشورية مليونين من المسلمين ينزعون إلى تحرير منشورية ، وبما لا شك فيه أن التلغراف الياباني بخس مسلمي الصين عددهم بما رأى من شدتهم على اليابان ، .

ثم قال : . . ولقد حزرنا عدد المسلمين في العالم في مجلتنا الأمة العربية التي تصدرها أنا وسعادة أخي إحسان بك الجابري في جنيف . . . وذلك بنحو من ثلثائة وثلاثين مليوناً . هذا على تقديرات مسلمي الصين عشرون مليوناً فقط . أما إذا ثبت أنهم خمسون مليوناً فيكون المسلمون ٣٦٣ مليون نسمة . وتفصيلها هكذا : الجزيرة العربية ١٢ مليوناً ، سورية ٣ ملايين ، وفلسطين

من زيادة عدد المسلمين في المستقبل بمختلف الوسائل التي تنتشر بها الأديان في سائر الأزمان .

ولا يخفى على قارىء يطالع على هذه المباحث أن يلاحظ نفور أصحاب الاحصاءات من زيادة عدد المسلمين وإسراعهم إلى قبول التقديرات التي يزيد في عدد أبناء الملل من غير المسلمين مع تحفظهم الشديد في قبول التقديرات التي تكثر من عدد الداخلين في الاسلام قديماً وحديثاً ، ولا يشذون عن هذه القاعدة إلا إذا تعمدوا التحويل والتنبيه إلى خطر انتشار الإسلام في المستقبل وضرورة المبادرة إلى اتخاذ الحيلة لهذا الخطر بوسائل التبشير والضغط السياسي أو الاقتصادي حيث يستطيع الاعتماد على هذه الوسائل بغير التجاء إلى المجاهرة بالعدوان .

وقد قرأنا في مطلع القرن العشرين أن عدة المسلمين في العالم مائة مليون ، وقيل في بعض الاحصاءات المتأخرة أن عدد المسلمين في الصين لا يزيد على عشرة ملايين ، ويقول الكتاب الذي نحن بصده أن عددهم اليوم نحو ثلثائة مليون ، ولكسبه لا ينزل بعدد البوذيين عن خمسمائة وعشرين مليوناً مع صعوبة التفرقة في الاحصاءات العامة بين الطوائف البرهمية وبين البوذية في الصين والتبت واليابان وبين البوذية على تعدد فروعها في الهند الشمالية والهند الجنوبية .

في البحر المحيط بالاسفنيك. فيكون جملة المسلمين ثلاثمائة وثلاثة وعشرين ألفاً وثلاثين مليوناً أما إن صح أن المسلمين في الصين فيكون الجميع ثمانية وثلاثة وستين مليوناً. هذا بالتقريب. ومن المحقق بعد مراجعة هذه التقديرات أن العدد الذي أثبتته الأمير شكيب أرسلان في تعليقاته ينقص عن العدد الصحيح بكثير، لأن المقارنة بين تقديراته عند كتابة تعليقاته وبين الواقع في الوقت الحاضر ممكنة على وجه الرجحان إن لم نقل على وجه اليقين. فالمسلمون في الباكستان والهند يزيدون على مائة مليون والمسلمون في أندونيسية وسائر البلاد التي كانت تابعة لهولندة يقاربون هذا العدد، وفي وادي النيل ما يزيد على ثلاثين مليوناً عدا غيرهم من المتوسطين بين الوادي وشواطيء البحر الأحمر، وأبناء البلاد العربية في القارة الآسيوية يزيدون اليوم على ذلك التقدير بنحو عشرة ملايين، فلا مبالغة إذا قدرنا عدد المسلمين اليوم في العالم بأربعمائة وخمسين مليوناً وأيقنا على الدوام بأن عددهم يزيد في كل حقبة على كل تقدير أربى يذيعه الساسة والباحثون في شؤون الدعوات الدينية، وأن زيادة هذا العدد مستمرة يقابلها أولئك الساسة والباحثون بالحدز ويدكرونها منذرين لأقوامهم بما يستفهم إلى الحيلة ومقاومة هذا الازدياد المستمر حيث تستطيع المقاومة في الخفاء

وشرقي الأردن مليون، والعراق ثلاثة ملايين ونصف، وتركيا أربعة عشر مليوناً، وإيران عشرة ملايين، وأفغانستان تسعة ملايين، والهند الانجليزية ثمانية وسبعون مليوناً والصين عشرون مليوناً وسيام نصف مليون والروسية الآسيوية خمسة وعشرون مليوناً. فهذه ٢٧٦ مليوناً في آسيا، والروسية الأوروبية قازان والقريم أربعة ملايين ولتوانيا وبولونيا عشرون ألف نسمة ويوغسلافيا مليون ومائتان وخمسون ألفاً، والمجر ثلاثة آلاف، ورومانيا مائتان وخمسون ألفاً وبلغاريا نصف مليون، وبلاد اليونان مائة ألف، وألبانيا تسعمائة ألف، فهذه سبعة ملايين وثلاثة وعشرون ألفاً. مصر مع سودانها ١٨ مليوناً وطرابلس سبعمائة ألف، وتونس مليونان، والجزائر خمسة ملايين، ومراكش ثمانية ملايين، والصحراء الكبرى ثلاثة ملايين، والحبشة ثلاثة ملايين، والغالا والصومال ستة ملايين، وشرقي إفريقيا - زنجبار وسواحله ودار السلام - ستة ملايين، والكونغو والأوغندة مليون، والإداموا والكمرون مليونان، وغينيا وفوتاجلون مليون، والسنغال مليون، وسلطنة سوكوتو خمسة ملايين، وبرنو خمسة ملايين ووادي خمسة ملايين، وكانم مائة ألف فهذه ثلاثة وثمانون مليوناً في أفريقيا، والمستعمرات الهولندية أربعة وستون مليوناً، والفلبين مليونان - فهذه ستة وستون مليوناً

في نظرهم إلى أديان الدعوة وإلى الدين الإسلامي منها على التخصيص فلا ينبغي أن ننسى أولئك الباحثين في حقائق الدعوات الدينية على التعميم ، فإنهم لو أخلصوا البحث للعلم والحقيقة لما فاتهم عند المقابلة بين أديان الدعوة والأديان المقفلة المحدودة أن يقرروا النتيجة العذية التي يخلصون إليها من مباحثهم جلية واضحة لا تخفى على طالبها ، ولكنهم لا يطلبونها ولا يستريحون إليها ، لأنها تبشرهم أن انتقال الأديان من الملل العنصرية إلى ملل الدعوة ظاهرة تدل على الانتقال من العقائد الجغرافية المحلية إلى عقائد الضمير الإنساني وعقائد التنزيه والتوحيد ، وأن الإسلام قد ارتفع بالضمير والتوحيد إلى أعلى مرتقاهما بما يهدي إليه في العقيدة الإلهية وفي رسالة النبوة وفي الإيمان يرشد الضمير الإنساني الذي يسأل عن عمله ولا يحمل وازرة غير وزره ، وليس فهم التطور في أديان الدعوة على هذا الوجه مطلباً يسعى إليه من يريدون أن يعلموا شيوع الإسلام فلا يستريحون إلى علة غير ما يزعمونه في موافقته للأُمم المتخلفة ، ولولا أنها علة تريخهم وتلائمهم لكان أقرب منها إلى مشاهدات الحس - فضلاً عن تفكير العقل - إن الإسلام حقيق بالانتشار والإقناع لأنه خاتمة التطور في أديان الدعوة وفي أحوال العالم الانساني بعد أن بلغ إلى مرحلة الوحدة الانسانية ومرتبة الهداية المطلقة المتحررة من حدود الأقاليم والأنساب ؟

عباس محمود العقاد

وفي العلانية إن لم يكن لهم بد منها .
ونرجع إلى أديان الدعوة لنقول إن الإحصاءات الحديثة تحصرها في ثلاثة أديان كبرى : وهي البوذية وعدة أتباعها على قولهم خمسمائة وعشرون مليوناً ، والمسيحية وعدة أتباعها خمسمائة مليون ، والإسلام ويختلفون في عدة أتباعه بين ثمانية مليون على التقدير الأقل وأربعمئة مليون أو يزيدون على التقدير الراجح الموافق لأحدث الإحصاءات . أما البوذية فلا ننظر إليها بكثير ولا قليل من الحذر ، لأن دعوتها محصورة فيها لتحويل أتباعها من النحل البرهمية الأخرى بوسائل التعليم التي قلما يبلغ متناولها الألوف فضلاً عن الملايين ، ولم يحدث في تاريخها القريب أنها حولت إليها أناساً من أبناء الديانات الكبرى بل حدث أحياناً كثيرة أن أتباعها يتحولون عنها إلى الإسلام أو المسيحية أو الجانية التي تلغى تعدد الطبقات وتناسب التفكير العصري في أطوار السياسة والاجتماع وفي العلاقات الدولية بين الشعوب والأقوام . أما نظرة الحذر فهي ديدن المشتغلين بالتبشير والاستعمار كلما نظروا إلى شيوع الدعوة الإسلامية وسهولة انتشارها بالإقناع والقوة مع اطراد عدد المسلمين في الزيادة بازدياد النسل من حقة إلى حقة ، كما يرى من الفارق بين عدد المسلمين في أواخر القرن التاسع عشر وعددهم في منتصف هذا القرن العشرين . وإذا خصصنا المبشرين والمستعمرين بالذكر

فَحَنَّا فَرْشَ الشَّعْرِ الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ

هجرة الرسول

لِلْأُسْتَاذِ أَنْوَرِ الْعِطَّارِ

يا سيد الخلق يا نور الوجود سرت
رفت حياتي بها بشراً وزغردة
من جود كفيفك أنعمي وأخيلني
أحببت فيك قريضي حين قربني
وبحث بالحب في سري وفي علني
لولا هواك لما أبدعت قافية
والقلب لو لم يعذب لم يصغ نغما
وأنت أيقظت في الحب فانتشرت
وأنت أغنيتني حساً وعاطفة
وأنت فجرتي حبا ومرحمة
وأنت صفيتني كالنبيع منسكبا
وأنت أزهدتني في الناس كلهم
مالي وللناس لا أحيأ بألفهم
مذهام قلبي بكم ما اختار غيركم
أقضى ليالي في نجواك منفطرا
كأنما خاطري شدو رهينة
شدت لها الورق ألحانا مسلسلة
ظلت تنغم في صدري وفي خلدي

الكون ما الكون؟ شطر من روائعها
رنت إليها الدراري في مباحيها
وبش في الفجر إصباح يمور سنا
تلسم رعادة دنيا قد كلفت بها
أملت علىّ بليغ القول محكمه
كانت بصدري أسراراً مغلقة
ما أفصح الشعر عنها حين أعلنها
والمصطفى روحها والناس أجزاء
وفاض منها على الأيام نعام
وهش في عتبات الليل لمساء
أولت نداها وكم للسعد لإبلاء
إن البلاغة إحياء وإملاء
ما إن يعاودها بوح وإفضاء
وكيف يفصح تلييح وإيماء

* * *

يا هجرة لك فاضت همه وعلى
تركت مكة والأحلام تغمرها
والقلب رهن الحى ما انفك مدتها
إن غبت عنها يراها الشوق واحتدمت
وعشت دهرك في تذكراها وترأ
كلا كما ذاب تهيأما بصاحبه
والمرء ما زال حناناً إلى وطن
إن عاش عاش بهم حتى إذا رحلوا
يشدها خافق بالعزم مضاً
وللطفولة أطياب وأشداء
به وللأرض أشواق وأصبا
نيراه واستفاق الجرح والداء
له الهوى نغم في الصدر بكاء
والأرض أم وأهل الأرض أبناء
وإنما وطن القلب الأحباء
فإنما هو أصداء وأنباء

* * *

وأنت في الغار والصديق لفكاً
مشيت عناكب تحميه مناسجها
وأرسلت سرحة أفنانها فنمت
وأقبلت من بنات الدوح ساجدة
لا الظن حام على الغار الحبيب ولا
وكان يحميه من بغى العداء قر
من كان يعلم أن الظبية اتشحت
ففي النهار غدت عيناً مراقبة
وفي المساء استحالت رحمة وندى
من جانب الله تثبيت وإرساء
وتدفع البغى، والعدوان مشاء
على مداخلة فالنار أفياء
كأنما الغار عش فيه ورقاء
بدت من الشك للسايرين سماء
تدرع الطهر إن الطهر أبا
بما ينوء به العد الأشداء
ما حاكه في غمار الكفر أعداء
على النطاقين منها الزاد والماء

جناتها من مجالى السحر أسماء
أسدت يداها ، وللإحسان إسداء
كأنها مقلة بالسهد كحلاء
وما لعين الهوى والحب إغفاء
بين على الرمل فى الليل الأدلاء
من الملائك ، والإيمان حداء
ويثرب القصد ، والأهل الأوداء
تلايلات بفريد الموج دأماء
وكم تشوقك أنجاد وأوداء
وكل نفس من الأشواق رمضاء
ويفتدونك والأجساد أنضاء
وفى يمينك للشادين إرواء
وفى العيون من الأفراح لآلاء
وللصباية فى العشاق إذكاء
إن التوجد تضحاك وتبكاء
وكم يطيب إلى الأحباب إصغاء
والحب مذ كان وشاح ووشاء
على بحياه أنوار وأضواء
رسالة الله منها وهى غراء
أنوار أنفسهم ، والكفر ظلماء
صحراء كالحاة الأعطاف غبراء
كأنها القبر فاضت منه أشلاء
ومقلة الفجر فيها الدهر عياء

بالنفس والأهل والدنيا وما حفلت
ذات النطاقين أسماء الرسول بما
باتت على الغار ترعاه وتحرسه
أغفت عيون الدرارى فى مطالعها
حتى إذا غمر الليل الشعاب ولم
نشطت للسير والصديق فى ملاء
يرعا كما الله فى حل ومرتحل
وحين أشرفت ماجت بالسرور كما
هبت تلقاك أنجاداً وأودية
مشى إليك بنوها والهوى غرم
يستقبلونك أرواحاً وأئسدة
ذاب الحنين على أفواههم نفما
على الشفاء أناشيد مزغردة
أذكى الهوى أنفساً للحب قد خلقت
أبكاكم الوجد فى اللتىا وأضحكهم
أصغت إليهم عيون الليل رأنسة
وشت تسايحهم للحب أنملة
طوبى ليثرب ضمت خير من سطعت
طوبى لها أن حمت جارا وأن طلعت
طافت على الأرض نور الآلى فقدوا
كان كل سبيل من ضلالهم
ضجت جفاء وبجت وحشة وبلى
نامت عليها الدياجى وهى جاهمة

* * *

ما فى تضاعيفه ريب وإخفاء
وقد جلته يد للحسن بيضاء

لله شرعك شرعا واضحا جردا
أنقى من الزهر فى فينان نضرة

ما زال غضا على الأيام مؤتلقا
كم طهر القلب من بغى ومن دنس
والدين يمن وإحسان وميسرة
من ضاق بالعيش ذرعا أو جفته منى
من صد عن بابه لم يرثف أملا
ولا اطمأنت له نفس ولا هدأت
بطوى الحياة جحيجا لا نعيم بها
كالخلد ليس له ند وأكفاء
وكم صفت بصفاء القلب حوباء
وفرحة تسع الدنيا وأنداء
فالدين تعزية كبرى وتأساء
وعاودته من الكفران غما
وكيف تهدأ في الطغيان أنواء
كأنما هي أوجاع وأدواء

* * *

يا هجرة فجرت حبا ومرحمة
تقاسموا نعمات العيش واثلفوا
كل يرى لأخيه الخير أجمعه
جرى الإخاء عليهم بهجة وسنا
كان ألفتهم للآمين شجا
و (طيبة) الخير بيت ضم شملهم
لو أن قومي وعوا أسرار هجرته
إن الحياة إذا يسرتها يسرت
وإن أردت بها شؤما ومعصرة
خلت من الهجة الكبرى جوانبها
كل له ما يرى فليتعظ فطن
والحب أثنى ما أمتار الفؤاد بها
فقل ليعرب إما رمت مكرمة
فالقوم فيها الأحباء الأخلاء
كما تآلف في الأجساد أعضاء
والخير موطنه الرهط الأعزاء
فاستعذبه ، ودنيا الود فيحاء
وطعمة في صميم الكفر نجلاء
جلاله الدهر أبناء وآباء
لما تنامى بهم بغض وشحناء
كان إمرارها في الطعم إحلاء
فإنما هي أنقال وأعباء
كان إضحاكها في العين إبكاء
فصرها اليسر والبأساء سراء
وفيه للنفس إحياء وإسلاء
فوثق الحب إن الحب بناء

أنور العطار

آراء وأحداث

فإن رسالتي هي تقوية العلاقة بين حكومتى وبين الجمهورية العربية المتحدة .

فقال الأستاذ الأكبر ، ان الاعتصام بحبل الله هو السبب الموصل إلى ذلك ، ونحن إذ نعمل على توثيق هذه العلاقة فإنما نبني دعوة الحق في قوله تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » فهو يخاطب المؤمنين أجمعين ، المجاهدين والسياسيين والعاملين والمتعلمين وغيرهم .

ولما سأل السيد الزائر : هل هناك وسيلة التقريب الصلة العلمية عن طريق الإشراف والاتصال المنهجى حتى تنهض بطلابنا في الملايو ؟

أجاب الأستاذ الأكبر : ان الأزهر يرحب بمثل هذه الفكرة لأنه يهيمه أن تكون عناصر الطلاب عندكم على جانب عظيم قوى ، وذلك عن طريق الإشراف والتصحيح الفعلى كما همنا تثقيف أبناء المسلمين - وخاصة الملايوين - وتتخذ لذلك العدة من كل جانب ونعمل على التقريب العلمى والفكرى لتحقيق أهدافنا السامية ، وأعتقد أن ذلك وسيلة لجمع شمل المسلمين ودعم قوتهم .

لا يزال مكتب الامام الأكبر شيخ الجامع الأزهر مقصدا للطلاب العلم ورواد الثقافة من جميع الاقطار الإسلامية يستمدون عنه التوجيه فى كل أمر ، والرأى فى كل حكم ، فيصدرون عنه بما يدفع الحيرة ويبين الطريق . من هذه المقابلات :

الأزهر والملايو :

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر بمكتبه السيد محمد الغزال سفير الملايو فى القاهرة . وقد دار بينهما الحديث حول النواحي الثقافية التى تهتم بالبلدين .

(قال السيد السفير عند ما رحب به فضيلة الأستاذ الأكبر « أنا سعيد كل السعادة لأنكم أتحنتم لى هذه الزيارة على الرغم من أعمالكم ومهامكم » . فقال فضيلة الأستاذ الأكبر ، وأنا أسعد بهذه الزيارة ، فرد السيد السفير « لقد جئت لأشكر باسمى وباسم حكومتى عنايتكم بطلاب الملايو فى الأزهر ، وعلى إرسال مبعوثيكم إلى الملايو واهتمامكم بنا جميعا ، وأنا باعتبارى أمثل سلطان الملايو

الإسلامية حيث لمس بنفسه مدى العناية التي يلقاها أبناء البعوث الإسلامية وبخاصة الملايوين ، وقد سره أن وجد البشر يرسم على وجوه مواطنيه وهو يزور المدينة ، كما أسعده أن حملوه شكرهم للسادة المشرفين على المدينة والذين يحيطونهم لعنايتهم ورعايتهم .

المسلمون في تاريخهم العظيم :

ثم استقبل فضيلته السيد سلطان أحمد رئيس تحرير جريدة ذي الليدر للباكستانية . وبعد أن رحب به فضيلته سألته عن رحلته إلى الجمهورية العربية المتحدة ، فأجاب السيد الزائر بأنه زار عدة مدن منها المحلة الكبرى ، وبور سعيد ، ثم زار الأزهر ومدينة البعوث الإسلامية .

ولقد سأل الصحفي الزائر فضيلة الأستاذ الأكبر عن السبب الذي يترك من أجله المسلمون تاريخهم العظيم . فأجاب فضيلته :

لقد غرهم بريق المدنية الغربية التي أتى بها الاستعمار فتمكن الشباب من ممارسة حريتهم الشخصية ، ولم يقفوا عند حد في هذه الممارسة . أما حرية الإسلام فهي حرية خلقية بناء على عكس الحرية الغربية . فالإسلام أساسه الأخلاق ، إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق

ثم أضاف فضيلته : ولاني ليسعدني أن أرى سفيرا سياسيا يسمى لتثقيف أبناء بلاده دينيا .

فقال السيد السفير : ان هذا جزء من مهمتي كسفير مسلم .

ثم انصرف السيد السفير شاكرا لفضيلته حسن استقباله ، وروحه الطيبة .

كذلك استقبل فضيلته الدكتور برهان الدين الحلبي رئيس الحزب الإسلامي في الملايو ، وقد دار الحديث حول النواحي الثقافية .

فشكر السيد الزائر فضيلة الأستاذ الأكبر على عناية الأزهر بأبناء الملايو الذين يدرسون في الأزهر ثم قال : اننا نرجو أن يكونوا رسلا نافعين لوطنهم بعد تخرجهم في الأزهر حيث يكونون قد اكتسبوا ثقافة وخبرة وقدرة على علاج المشاكل الدينية .

وقد لاحظ فضيلته أن ضيفه يجيد اللغة العربية فعلق على ذلك قائلا : لقد سرفى منكم معرفتكم اللغة العربية كما يسرفى أن تعلموها أولادكم ، والأزهر يعاهدكم على أن يأخذ بيد أبنائكم الذين يتعلمون فيه إلى الطريق الصحيح طريق الإسلام القويم .

ثم زار السيد الزائر المكتبة الأزهرية وقاعة المحاضرات ثم زار مدينة البعوث

المسلم شئونه بنفسه، ويوجه بعضهم بعضا
« كنتم خير أمة أخرجت للناس » ، تأمرون
بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ،
قال السيد الزائر : ما هي الأسباب التي
دعت إلى إنقسام بعض الدول الإسلامية
وما رأيكم في علاج حاسم لهذه المشكلة ؟
فأجاب فضيلته :

إن الاستعمار سبب الفركة بين المسلمين
وعدم تضافر القوى بين الحكام ليعيش
بين صفوفهم ، والعلاج لذلك الوحدة
والتشاور وقيام العلماء بواجبهم نحو التعاون
الفكرى والثقافى والخلقى بين جميع الدول
الإسلامية والعربية .

الكتاب والاسلام :

ثم سأل الصحفي قائلا : لماذا ينصرف
المفسكرون العرب عن الكتابة فى الإسلام ؟
فأجاب فضيلته : إنهم متأثرون بزخرف
الحضارة الغربية وبريقها . وأنى أحملكم تحياتى
إلى المسلمين جميعا فى الباكستان ، تحيات الأاخ
إلى إخوته وبخاصة ، علماء الباكستان الذين
ندعوهم إلى التعاون مع علماء المسلمين فى
الجمهورية العربية المتحدة لنشر مبادئ
الاسلام وغرسه فى نفوس المسلمين ،
والصحفيون والعلماء سواء فى المساواة للدعوة
إلى المبادئ الإسلامية التى تؤكد أنه ان يسعد

وأهم أسس الأخلاق المحافظة على العرض ،
والمحافظة على الفضيلة . فالاسلام يحرم ما يفسد
العقل من خمر ومخدرات ، وما يفسد الخلق
من قمار وميسر ، أما المدنية الغربية فقد
خطفت بعض شبابنا وأصبح هؤلاء الشباب
ينقادون لمبادئ زائفة ذات بريق خلاب ،
ولكنها لا تقود إلى نهضة ولا إلى رخاء .

ورجال الصحافة مسئولون مسئولية تضامنية
عن الانحلال الخلقى ، لأنهم الآمرون
بالمعروف الناهون عن المنكر ، وهم الموجهون
والمعالون .

وبمقرطة الاسلام :

ولما سأل السيد الزائر فضيلته قائلا : إنه
على الرغم من أن الإسلام يدعو إلى
الديمقراطية ، فإننا نرى أن كثيرا من الدول
الإسلامية قد فشلت فى تحقيقها .

فأجاب فضيلته : أن العلة أيضا فى ذلك هي
الاستعمار ، فهو داء عضال لا يستعمر الاوطان
فحسب ، وإنما يستعمر العقول والقلوب ،
وعلى رجال الصحافة أيضا أن يكافوا هذا
الوباء ، وعلى الرغم من أن الاستعمار قد زال
من معظم الدول الإسلامية فإنها ما زالت
تجهل مبادئ الاسلام التى تقوم على أساس
من الشورى وشاورهم فى الأمر ، وأمرهم
شورى بينهم ، فإذا استبد الحاكم وجب على
الشعب أن يطرده ، إذ لا بد أن يعالج الشعب

وقد اتجهت المشيخة إلى تعديل المناهج
تعدلياً يلائم روح العصر مع المحافظة على التراث
الإسلامي والعربي .

في كلية الشريعة

في هذه الكلية تدرس الشريعة الإسلامية
أصولاً وفروعاً دراسة عميقة مستمدة من
الكتاب والسنة . وفيها يدرس الفقه المقارن
بين سائر المذاهب الإسلامية بما فيها مذهب
الشيعة الإمامية والزيدية ، وفي ذلك كسب
للفقه الإسلامي وربط بين العالمين الإسلامي
والعربي وبحول لطفانية التي أوجدها الاستعمار .
وقد أدخلت الدراسات القانونية التي تدوس
في كلية الحقوق في منهج كلية الشريعة وقسم
إجازة القضاء بصورة واسعة ليكون الطالب
ملماً بما يدور حوله من التفكير الفقهي ،
وتقرر تنقيح المناهج في المواد الشرعية .
كما تقرر وضع نظام جديد للدراسات العليا
ونفذت هذه المناهج في العام الدراسي ٦٠/٥٩
وتعمل الكلية على نشر التراث الإسلامي
وبحث المسائل التي استحدثت في المعاملات
ليبان حكم الشريعة فيها .

في كلية أصول الدين

وضع مشروع جديد لمناهج كلية أصول الدين
يقوم على استبقاء المفيد وإضافة ما يحتاج إليه
لرفع مستوى الواعظ بما يعينه على أداء رسالته

العالم ويسود السلام إلا إذا رسيخت مبادئ
الإسلام في نفوسهم .

الأزهر في ماضيه ومستقبله :

تحدث فضيلة الأستاذ الأكبر إلى مندوب جريدة
« الأزهر » ، هذا الحديث المستفيض الذي
بين فيه ما يؤديه الأزهر إلى العالم العربي
والإسلامي من خدمة للثقافة ، ونشر للعقيدة
وتوحيد للرأى ، وتوثيق للسكمة ، ورعاية
لأبناء المسلمين الوافدين إليه من أقطار
الأرض وهذا نص الحديث .

رسالة الأزهر خالدة :

الأزهر هو الجامعة الإسلامية الكبرى
التي سلخت أكثر من ألف عام ، وهي التي
تحمل التراث الإسلامي عقيدة وشريعة ولغة
وتاريخاً وأدباً .

والأزهر من حقه على الأمة أن يظل باقياً قوياً
لأنه يحمل أعباء رسالة خالدة هي رسالة
الإسلام .

والأزهر كليات ثلاث : كلية الشريعة ،
وكلية اللغة العربية ، وكلية أصول الدين ،
تمدها روافده وهي المعاهد الدينية وعددها
يقارب الثلاثين ، غير المعاهد الحرة التي يعمل
الأزهر على ضمها . وطلاب هذه المعاهد ممن
حفظوا القرآن الكريم وتمكنوا في القراءة
والحساب بمدارس جمعيات المحافظة على
القرآن الكريم .

الطالب على فهم الدين واللغة فهما يمكنه من الالتحاق بإحدى الكليات أو الكفاح والجهد في نواحي الحياة ، وقد حرصت المشيخة على تعديل مناهج المعاهد الدينية تعديلاً يربطها بالحياة العامة مع المحافظة على علوم الشريعة واللغة ، تحقيقاً لرسالة الأزهر ، كما حرصت على ضم بعض المعاهد وإنشاء فرق بالقسم الثانوى في بعضها ، وبخاصة في معهد غزة تيسيراً لأبنائها وتلبية لرغبة أهلها ، وسينى معهد الاسكندرية في حوالى ١٢ فداناً .

مفسات جديدة :

وقد أنشئت ثلاث مراقبات للعلوم العربية والشرعية واللغات الأجنبية كما أنشئ في كل معهد اتحاد للطلاب ، واشترك الطلاب في الخدمات العامة . وشجعت حركة التأليف ، ونفذ مشروع الدراسات الشعبية في المساجد والأندية ، وقد أفاد الناس منها كثيراً ، لأنها تمد كلاهما يحتاج إليه في دينه وفي حياته . وعناية بالقرآن الكريم ومحافظة عليه أنشئ مكتب للإشراف على جمعيات المحافظة ورقابتها حتى تؤدي رسائلها وتشر الوعي الدينى تحقيقاً لرغبة السيد جمال عبد الناصر . وقدمت مونات لطلاب مدارس هذه الجمعيات من الغذاء والكتب والأدوات بالاشتراك مع وزارة التربية والتعليم .

كدراسة التيارات المذهبية واللغات الغربية والشرقية ، إلى جانب دراسة الحديث والتفسير دراسة موضوعية تقوم على الربط بين أطراف الموضوع تمكيناً له من القيام برسالة الأزهر التى هى رسالة الاسلام وسينفذ ذلك في العام الدراسى ١٩٦١ / ٦٠

في كلية اللغة العربية

تسير مناهج هذه الكلية وكتبها وأقسامها في الخطة التى تؤدي إلى الغاية المقصودة منها وتزويدها بمادة النقد الحديث وبما يحقق الارتباط الفكرى بين أنحاء العالم الإسلامى والعربى . فضلاً عن أن هذه الكليات الثلاث أدخلت فيها منذ سنتين اللغة الانجليزية وسيتم إدخال غيرها إجبارياً في المستقبل . كما تقرر أن تدرس مادة المجتمع العربى ، في سنة ١٩٦٠ / ٦١ . وفى الكليات تدرس التربية العسكرية التى انفردت بها كليات الأزهر ، وللطلاب اتحاد عام له نشاط اتحاد الجامعات ، وستعمل المشيخة على دعم هيئات التدريس فى الكليات بإعداد (كادر جامعى خاص) أسوة بسائر الجامعات .

في المعاهد الربنية

المعاهد الدينية روافد الكليات وهى تساعد

والأندونيسية ودراسة المعهد عليا للدرسين والوعاظ والمستجدين والطلاب بالسنوات الأخيرة في السكليات .

٢ - قاعة المحاضرات : التي لم تؤد رسالتها إلا من سنة ١٩٥٩ حيث أقيمت فيها محاضرات دينية واجتماعية واقتصادية وغيرها وهدفها محاربة المبادئ المنحرفة والسمو بالوعي الديني والاخلاق كما عقدت فيها المؤتمرات القومية والوطنية ومؤتمر الشباب الآسيوي الأفريقي سنة ١٩٥٩ وكانت مركزاً لالتقاء الأزهر بقيادة الشعوب الإسلامية .

٣ - مدينة البعوث : المكونة من ٤١ عمارة مزودة بأحدث وسائل الراحة لاستقبال ٤٠٠٠ طالب وبها الآن ٧٦٨ طالباً يمثلون أكثر من خمسين جنسية ، والسكن فيها بالمجان بل يمنح الطالب ١٥٠ قرشاً أو ٢٠٠ قرش وهو يكلف الأزهر ١٥ ج شهرياً وسينشأ فيها ملاعب رياضية وحدائق ومستشفى ومسجد كبير ومكتبة ومعهد ، وسيخصص منها قسم لبعض طلاب الإقليم الجنوبي .

٤ - قسم البحوث والترجمة : يقوم به أزهريون للبحث والترجمة باللغات الانجليزية والفرنسية والألمانية ، ويقبل المسجلون على هذه الترجمات التي تنشر في مجلة الأزهر . وترسل

وقد عنيت المشيخة بمعهد البعوث لأن طلابه يجب أن يكونوا قدوة صالحة وسفراء صادقين للجمهورية العربية في بلادهم ، لذلك شجعت لجان مختلفة لتعديل مناهجه بما يحقق رسالته .

وستنشأ مراقبة لرعاية الشباب اجتماعيا وثقافيا ورياضيا كما ستنشأ مراقبة لجمعيات المحافظة على القرآن الكريم وسيزود الطلاب في المعاهد بما يمكنهم من دراسة الشريعة واللغة العربية وستدرس اللغات الأجنبية من السنة الأولى الابتدائية وستعزز الاعتماد الخاصة بجمعيات المحافظة والتربية العسكرية .

ادارة البحوث والثقافة الإسلامية :

تعمل هذه الادارة على صيانة التراث الإسلامي ومقدسات الأمة العربية وتشر الوعي الناضج بين الشعوب الإسلامية وتعي برفع المستوى الثقافي والفني وتوثيق الروابط بين المسلمين وتستقبل الوافدين من الطلاب وتهتم بشأن المبعوثين ، ولها وسائلها التي تحقق هذه الأهداف وهي .

١ - معهد الإعداد والتوجيه : الذي أنشئ ١٩٥٩ لإعداد المبعوثين إعداداً سليماً ، وفيه تدرس الانجليزية والفرنسية والألمانية والأردية ،

البعوث ٢٨٢٩ طالباً من ٥٤ جنسية يجمعهم الإسلام في الأزهر وينهلون من ثقافته .

وأما البعثات الموفدة إلى البلاد الإسلامية فيختار أعضاؤها من الممتازين علماً وخلقاً ليقوموا بواجبهم خير قيام وفي كل عام يزيد عددهم . فالأزهر له بعثات في أمريكا وكندا وسيلان والملايو عدا بعثات آسيا وأفريقيا والهند وأن إدارة البحوث تحرص على أن يشارك الأزهر في بناء الحضارة الإنسانية مع المحافظة على القيم الأصيلة في الثقافة الإسلامية العربية

قسم الوعظ والإرشاد

يقوم بهذه الرسالة طائفة من العلماء لتوضيح الدين وتقوية الوعي القومي والخلق والاجتماعي وثقافة المواطنين ثقافة حرة لا تخضع لمناهج معينة . وعدد الوعاظ ٤٠٠ واعظ موزعين في داخل الجمهورية وخارجها ، في ليبيا والسودان والصومال والسعودية ولبنان . ولهم أثر بارز في توثيق الصلات بين جمهوريتنا والبلاد الإسلامية ، وكذلك لهم يد طويلة في النواحي العامة كشتيق المرأة وعقد المصالحات التي بلغ عددها ٢٠٠ ألف مصالحة ، وإنشاء مساجد مجموعها ٥٠٠ مسجد و ١٠ معاهد و ٣٠ جمعية للحفاظ على القرآن الكريم ، وهم يحاربون البدع والخرافات والمبادئ الزائفة والاجرام بصوره المختلفة ويحفظون

عن طريق السفارات بحوث تلقى في المؤتمرات العلمية الدولية ، ويشرف على طبع المصحف الشريف ويراجع السكتب المطبوعة في الداخل والخارج ليقرر صلاحيتها للنشر والقراءة أو عدم صلاحيتها ، وقد بحث على حداثة عهده أكثر من ٨٠ كتاباً بمختلف اللغات . ويتتبع انجازات الصحافة والسينما والمسرح والاذاعة لينبه إلى نواحي الضعف فيها ، ويستقبل الضيوف من جميع العالم الإسلامي .

• — المطبعة والمجلة : تقوم المطبعة

بنصيب كبير في نشر التراث الإسلامي عن طريق الكتاب والمجلة والنشرات بالعربية أو الإنجليزية . فأما المجلة فقد اتسع نطاق توزيعها وتنوعت بحوثها وأصبحت صلة قوية بين العالم الإسلامي والجمهورية العربية ، وتحرص وزارة الخارجية والسفارات العربية على أن تحصل عليها ، ولها ملحق انجليزي يخطفه القراء ، ويعاد طبعه ونشره لتناوله بحوثاً في الدين والتشريع والأخلاق .

٦ — البعثات : وافدة أو موفدة

فالوافدة من البلاد الإسلامية يستقبل أعضاؤها ويعنى بإسكانهم وإشعارهم بمحني الأخوة الإسلامية .

والطلاب الممتازين أو القادمين لمدد قصيرة عناية خاصة وتسكتب عنهم تقارير شهرية للوقوف على حالتهم . ويبلغ عدد طلاب

مكتب ثقافى ، وفى كل مراقبه سيارة مجهزة بأدوات الإذاعة والتسجيل .

هذا هو الأزهر وهذه هى أقسامه وكلياته ومعاهده التى تتعاون على مكافحة الأمية وجعل العقيدة وضعف الآداب وانحلال الأخلاق . وتعمل جميعها للقضاء على كل ذلك بين المسلمين من مشارق الأرض إلى مغاربها . هذا هو الأزهر الذى يربط الشعوب الاسلاميه بالجمهورية العربية المتحدة حتى أصبحت منارة للعالم ومركزاً للثقافة الدينية والعربية السليمة .
نسأل الله تعالى رعاية لرائد النهضة العربية وتأيداً للأمة الاسلامية وتوفيقاً إلى أقوم طريق .

على البر والعمل الصالح ، ومنهم مجموعة فى القوات المسلحة لفشر الوعي الدينى ، وزاد نشاط القسم فى عهده الجديد ، وسائر ركب النهضة ، فأنشأ مكتباً فنياً للإشراف على مجلة نور الإسلام ودراسة المشكلات وعلاجها وإخراج دراسات إسلامية والقسم اتصال بالوزارات المختلفة لتنسيق التعاون بينها وبينه .

ويتخذ القسم الوسائل الحديثة لتساعده على بث الدعوة كمكبرات الصوت وآلات التسجيل . وستعمل المشيخة على أن يكون فى كل مخفر شرطة وفى كل مركز أو منطقة

من الحكم العالمية

- * عالم ذو همة يحى أمة . . . ١١ .
- * القادر يعمل والعاجز ينظر .
- * خير للإنسان أن يحلى من العمل من أن يصدأ بدونه . . . ١
- * إذا كان رأسك من شمع فلا تمش فى الشمس .
- * الذى يملك القمح يسهل عليه أن يقرض الدقيق .

المكتبة

نقد وتعرّيف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

١ - تفسير القرآن الكريم : لمؤسّسة الأَكْبَر الشَّيْخ مُحَمَّد مَحْمُود سَلَمُون

٢ - الإسلام في أمريكا : للدكتور محمد يوسف الشواربي

- ١ -

في التفسير ، واضطروا إلى أن يكونوا فقهاء في كثير من العلوم ، حتى يؤدوا مهمتهم على أكمل وجه ، ويقوموا برسالاتهم خير قيام . إلا أن جل هؤلاء المفسرين من المفسرين للقرآن - وإن كانوا خلفوا لنا تراثاً فكرياً خصباً - زحموا بتفسيراتهم بكثير من الحشو الذي تاهت خلاله معاني القرآن العذبة ، التي يجب أن يكون استخلاصها وتحليلها الهدف الأساسي من التفسير ، وأبرزوا تعصبهم المذهبي ، فتركوا الحاذق اللبيب يقرأ بدقة وحذر .

تزخر المكتبة الإسلامية بمئات من التفسيرات للقرآن الكريم ، هي بمثابة تراث ضخم للفكر الإسلامي في شتى المعارف الإسلامية ، وعناية العلماء المسلمين القدامى والمحدثين بتفسير القرآن ضرورة من الضرورات الملحة ، إذ القرآن هو الأصل الأول للإسلام من ناحية ، ودسامة معانيه من ناحية أخرى تحتاج على مر العصور إلى عقليات ناضجة تناقشها وتخرجها في إيجاز أو إطّاب واخمين .

والحق الذي لا مراء فيه أن تفسيرات القرآن القديمة على كثرتها وضخامتها لم تكن لتغني أي مفسر في هذه الآونة عن تفسير - كتفسير المنار للرحوم الشيخ رشيد رضا ،

والذين تصدوا لتفسير القرآن من المفسرين المسلمين القدامى ، أثبتوا وجودهم بتفسيراتهم حيث إنهم قطعوا من الوقت شوطاً بعيداً

في مقدمته :

فهو يقرر أن عناية العلماء الأولين بالتفسير كانت لإحدى الضرورات ، وأن اشتغالهم بالعلوم المختلفة كان هدفه خدمة القرآن ، سواء في اللغة ، أو الفقه ، أو علم الكلام ، أو البلاغة ، أو الأصول ، أو الفلك ؛ أو ما إلى ذلك ، كما يقرر أن اختلاف التفسير مردود إلى اختلاف ثقافة المفسر ولذا جاءت التفسيرات ذات ألوان شتى . . . وأن التفسير السليم يجب أن ينزه عن ناحيتين برزت إحداهما في صورة واضحة في التفسيرات القديمة ، وهي التعصب المذهبي ، وتأويل القرآن وفق هذا المذهب أو ذاك ، وبرزت الأخرى في بعض التفسيرات المحدثه ، وهي محاولة تفسير القرآن على مقتضى النظريات العلمية الحديثة ، حتى تكلفوا في التأويل وحلوا القرآن ومعاتبه فوق طاقته .

فالمتعزلة الذين يمثلون الرأي في تفسيراتهم وأهل السنة الذين يمثلون النقل ، والمتصوفة الذين يمثلون النظريات الفلسفية هذه المذهبية - لا شك - أنها أرمقت الأذهان والعقول قديما ، ولا ترهقهما حديثا ، وسقط إلى أن يشاء الله هكذا ، كما أنها أحدثت تذبذبا في الأفكار ، وأشعلت فتنا منذ أمد بعيد ، حينما كانت السياسة تقتضى التدخل لحماية مذهب ، واضطهاد آخر .

الذى استوعب أفكار المرحوم الإمام الشيخ محمد عبده أحد المفكرين الإسلاميين القلائل ، الذين لم تجد يمثلهم الأيام .. إلا أن هذا التفسير الجديد لم تشأ له الظروف العديدة أن يتم ، فترك فراغا واسعا في عالم التفسير . وجاء الزمان بعقليات ناضجة تصلح أن تكون امتدادا لعقلية الإمام المفسر ، ومنها عقلية المرحوم الإمام المراغي ، وعقلية الأستاذ الأكبر الشيخ شلتوت شيخ الأزهر مد الله في حياته . أما المرحوم الإمام المراغي فلم تشأ له الظروف أيضا أن يفسر القرآن أو على الأقل يواصل ما وقف عنده الشيخ رشيد رضا ، فظل الفراغ مطلا علينا بشبحه ، وأما الأستاذ الأكبر الشيخ شلتوت ، فقد بدأ فعلا في أن يقوم برسالة نحو كتاب الله واستطاع أن يقدم للكتبة الثلث الأول من القرآن ، والأمل في الله وحده أن يمده بالصحة والعافية حتى يكمل ما بدأ .

وقد يرى من يرى أن الأستاذ الأكبر لم يقصد أن يقدم تفسيراً للقرآن يزخر بالمعارك الجدلية فلدينا منها الكثير ، وهذا هو الحق وإنما قصد أن يستعرض كتاب الله ، ليقدم لنا المعاني ملخصة مركزة تلهمها الأفهام دون أن تبذل جهدا أو مشقة ، وتستعذبها الأذواق دون امتعاض أو تردد .

والأستاذ الأكبر خطه منهجه في التفسير

ثانياً : إبراز القيم الأخلاقية العليا والمثل الإنسانية الرفيعة ، لتكون مدياً للناس يضيء لهم الطريق إلى الحياة الصحيحة .

ثالثاً : التنسيق الجليل في صورته لمعاني القرآن ، والذي حرمت منه التفسيرات القديمة ، فهو يجعل من السورة موضوعاً ذا عناصر مركزة . يسهل للقارىء الإمام العام بالسورة واتجاهها ومقاصدها .

رابعاً : الحقوق والواجبات لها مكان بارز في عرض الأستاذ الأكبر للقرآن ، حتى يخيل إلى القارىء أنه أمام دراسة اجتماعية مرة ؛ وسياسية مرة ثانية ، واقتصادية مرة ثالثة دون أن يكون للحشو والتعقيد أى أثر يذكر .

خامساً : لشخصية الأستاذ الأكبر في تناوله للقرآن وجود ملبوس ، فهو ليس معقبا فحسب ، وإنما له رأيه الحر في آراء غيره ، ولو كانت آراء أستاذه ، الإمام محمد عبده أو الأئمة السابقين .

سادساً : تحديد المفاهيم ، فالأستاذ الأكبر يوضح منهج السورة ، ومنهج في دراستها ، ثم الموازنة بين منهج هذه السورة ومنهج غيرها ، وهو حريص كل الحرص على أن يحدد المفاهيم ، وألا يتركها فوضى يأخذ بعضها بخناق بعض .

سابعاً : لم يفت الأستاذ الأكبر ؛ أن

وحسبك أن تعلم أن التعصب للذهب أخرج بعض العلماء القدامى عن وقارهم ، إلى درجة تسميه رأى المعارض بقسوة .

أما هؤلاء المحدثون المتكلفون الذين يخضعون القرآن للنظريات العلية متأولين تأويلاً فاسداً ، فالأستاذ الأكبر يرى أن الله لم ينزل القرآن ليكون كتاباً يتحدث فيه إلى الناس عن نظريات العلوم ودقائق الفنون وأنواع المعارف ، وهذا اتجاه خاطئ ، لأنه يحمل أصحابه على تأويل القرآن تأويلاً متسكماً يقتنافي مع الإعجاز ولا يسيغه الذوق السليم ، ولأنه يعرض القرآن للدوران مع مسائل العلوم في كل زمان ومكان ، والعلوم لا تعرف الثبات ولا القرار ولا الرأى الأخير . فقد يصح اليوم في نظر العلم ما يصبح غداً من الخرافات .

* * *

والأستاذ الأكبر في عرضه للقرآن في هذا الجزء بهم :

أولاً : باستخلاص المعاني الإجمالية للسورة كلها وأهدافها الأساسية ، ويتجنب تفهيت الآيات إلى كلمات بل إلى أجزاء الكلمة كما كان مستساغاً في التفسيرات القديمة ، حتى لا تنصل المعاني طريقها إلى الأنهام .

لقد قضى الدكتور عامين أستاذا زائرا بجامعةتين من جامعات أمريكا، وانهز الفرصة فقام بواجب إنساني نحو إخوانه المسلمين هناك، ونحو الأخوة الإنسانية عامة. فقدم لنا في هذا الكتاب عرضا مبسطا عن الإسلام في أمريكا، هو في الحقيقة مرجع واثق في هذا الصدد.

قدم لنا نبذة تاريخية عن هجرة المسلمين إلى الدنيا الجديدة، وأن التاريخ سجل هجرة بعض العرب المسلمين إلى الدنيا الجديدة قبل رحلة كولومبس، مكتشف هذه الدنيا الجديدة. وذكر أن توافد المسلمين من شتى البلاد إلى أمريكا جعل أمريكا تتبادل الثقافة بينها وبين العالم الإسلامي، كما ذكر أن في أمريكا اليوم هيئات إسلامية منها: المركز الثقافي الإسلامي بواشنطن وهو الهيئة الرسمية الوحيدة هناك، وبرعاه مجلس يضم جميع سفراء الدول الإسلامية، يختص بجميع شئون المسلمين، وقد أصبح إحدى المؤسسات العامة التي يصددها الزائر الأمريكي العادي القادم من الولايات الأمريكية المختلفة لزيارة عاصمة بلاده.

ثم المركز الثقافي الإسلامي بنيويورك، يضم معهدا إسلاميا لنشر الثقافة الإسلامية والعلوم الإسلامية، وناديا إسلاميا ومسجدا كبيرا.

يجري القرآن عن الجدل الملل، وينأى به عن الإسفاف في مناقشة عبارة اقتضت حكمة القرآن أن تأتي موجزة لتهدف إلى معنى واحد مستقل.

فإذا ذكر أن إخوة يوسف باعوه بثمن بخس دراهم معدودة. فأى إسفاف هذا الذي يحمل المفسر أن يأتي لنا بأراء متشعبة في تحديد عدد هذه الدراهم؟ وهكذا.

وبعد: فهذا عرض سريع لتفسير الأستاذ الأكبر ونحن حين نقول: إننا كنا محتاجين إلى مثل هذا التفسير؛ لا نقصد الزلف؛ فإن رواج هذا التفسير وطبعه مرتين في خلال أسابيع معدودة دليل على أن حاجة المثقفين شديدة إليه، وحاجتهم أشد إلى أن يهب الله للأستاذ الأكبر الصحة حتى يكمل ما بدأ.

- ٢ -

الإسلام في أمريكا: كتاب جديد للدكتور الشواربي كتب مقدمته الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر وكذلك فضيلة الشيخ عبد اللطيف دراز رئيس جمعية التعريف الدولي بالإسلام والدكتور الشواربي أستاذ بجامعة القاهرة وسكرتير جمعية التعريف الدولي بالإسلام، وكتابه هذا أول بواكير إنتاجها في الميدان الإسلامي.

نقد كتاب

(الأئمة الاثنا عشر)

لابن طولون المتوفى سنة ٩٥٣

نشر كتاب (الأئمة الاثنا عشر) لشمس الدين محمد بن طولون ، بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد مدير معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية ، وهو الكتاب الأول من نواذر المخطوطات التي ينوي الدكتور نشرها . والكتاب في ١٤٣ صفحة مصدر بمقدمة ومذيل بفهارس وكان طبعه في بيروت سنة ١٣٧٧ .

والدكتور المنجد غنى عن التعريف بما له من بحوث أدبية وتعليقات قيمة سواء فيما يؤلفه أو فيما ينشره ، كما أن ابن طولون من أئمة المسلمين المكثرين من التأليف النافعة ، فهو في دمشق مثل الحافظ السيوطي في مصر وكلاهما توفي في القرن العاشر .

وقد وقعت في الكتاب أوهام وأخطاء أحبت تصحيحها إتماماً للفائدة المرجوة من نشر الكتاب الذي سماه مؤلفه (الشذرات الذهبية في تراجم الأئمة الاثني عشر عند الإمامية) . ونشره الدكتور باسم (الأئمة الاثنا عشر) .

ص ٢٨ - ذكر الدكتور في مقدمته أن تاريخ ميفارقين مفقود اليوم ، والصواب أن تاريخ ميفارقين وآمد لأحمد بن يوسف

ثم المركز الثقافي الإسلامي في ديترويت ، وهي مدينة تقع في قلب الولايات المتحدة بولاية ميتشجن ، وكذلك المركز الثقافي الاسلامي بسان فرانسيسكو ، ثم بمدينة شيكاغو . ثم المجلس الاسلامي الأعلى بنيويورك ، وبعض المساجد بكثير من المدن الأمريكية .

وقد قدم لنا المؤلف صورة من المؤتمرات الاسلامية التي تعقد في ولايات أمريكا لاسيما شيكاغو وكندا ، وصورة عن اتحاد الجمعيات الاسلامية في الولايات المتحدة وكندا ، وما إلى ذلك من المؤسسات العديدة .

والدكتور قد أسدى خيراً للعالم الاسلامي بهذا الكتاب الجليل ، وقدم لنا إحصائيات دقيقة عن الاسلام والمسلمين في أمريكا ، وهو يرى أن الاسلام يجب أن يكون فكرة متحركة في أى بقعة يحل بها ، وعلى العالم الاسلامي أن يعرف واجبه ويؤديه نحو الجاليات الاسلامية الموزعة في شتى بقاع المعمورة .

هذه كلمة عابرة ولا أراها جديرة بهذا الكتاب الجليل ؟

محمد عبد الله السمان

هاشمي الأبوين ولد ابنين هاشمي الأبوين .
وذلك لأن كل هاشمي بلد هاشميا ، وإنما ميزة
سيدنا علي عليه السلام أنه أول هاشمي الأبوين
ولد ولدين كل منهما أبواه هاشميان .

ص ٤٩ . س ١ : (حبان) بالمهمله وفي
الآخر نون . صوابه (خباب) بالخاء المعجمة
وبموحدهتين .

ص ٤٩ . س ٢ : ورد ضبط (الخدرى)
بكسر المعجمة والصواب ضمها ، وقد ورد
خطأ أيضاً في ص ٥٠ وص ٥١ .

ص ٥٣ . ذكر حديث في صحيح مسلم وفي
أثنائه تعذر على الدكتور قراءة الأصل
فوضع بعض نقط وقال في الهامش (ثلاث
كلمات غير واضحة في الأصل) ولو رجع
الدكتور إلى صحيح مسلم لوجد أن هذه الكلمات
هي (بما يدعى خما) وغدير دخم ، مشهور
والكلمة بضم المعجمة وتشديد الميم .

ص ٥٤ . س ١ : (والفسوز) صوابها
(والنور) . س ٥ (أهل) ضبطت بضم
اللام والصواب كسرهما ، س ٦ (بعد)
صوابها (بعده) بزيادة الهاء . وتصويب
الكلمات الثلاث عن صحيح مسلم .

ص ٥٥ . س ٢ : حسن بن جيادة (جاء)
هذه الجملة هكذا . وفي الهامش (كذا
في الأصل ولم أجد هذا الاسم في تهذيب
التهذيب) . قلت الصواب (حبشي بن جنادة)

ابن علي بن الأزرق الفارق موجود بالمتحف
البريطاني بلندن برقم ٥٨٠٣ كما أن صورة
الكتاب الشمسية موجودة بمكتبة السيد الأستاذ
أحمد خيرى الخاصة بروضة خيرى باشا .
ص ٣٩ - ورد في مقدمة المؤلف جملة :

(شهادة تشرق بنورها الخافقين) ، ووضع
الدكتور علامة (١) على الخافقين ، وفي
الهامش قال (كذا في الأصل) . وذلك أن
الدكتور ظن أن (الخافقين) فاعل . ولا
يمكن أن يكون هذا من تعريف النساخ ،
فالمقدمة كلها تنتهى فواصلها بالمين ، والرين ،
والزين . الخ . وابن طولون أجل من
الوقوع في هذا الخطأ . والصواب أن فاعل
« تشرق » ضمير يعود إلى « شهادة » ، وأن
« الخافقين » مفعول به ، ففي أساس البلاغة
(وأشرقته بالصبح) فدل ذلك على أن الفعل
(أشرق) متعد .

ص ٤٢ - جاء في هاشم رقم (١) . عن
(منى) أنه موضع بمكة . والصواب أنه
بضواحي مكة وهو يبعد عنها ٦ كيلو مترات .
ص ٤٢ - جاء في هامش رقم (٦) ما نصه
(... لأنه يجمع فيه بين صلاتي العشاءين)
وكان الواجب إضافة جملة . وذلك ليلة عيد
النحر . لئلا يظن أن الجمع بين العشاءين
في مزدلفة مطلق على طول الأيام .

ص ٤٧ . س ١٤ : وردت جملة (وأول
هاشمي ولد ابنين هاشميين) والصواب (وأول

- فالاسم بضم الحاء المهملة بعدها موحد فشين معجمة واسم أبيه بجمع بعدها نون .
- ص ٥٦ . س ١ : ورد لفظ (أنه) وفي الهامش أن الأصل (أن) قلت ما كان في الأصل هو الصواب ، والحديث في صحيح مسلم . وما كان ينبغي للدكتور أن يغير لفظ الحديث بل كان ينبغي له الرجوع إلى صحيح مسلم ، فقد ذكر المؤلف أن الحديث رواه مسلم .
- ص ٦٣ . س ٩ : ورد (أبو الحوراء) ووضع الدكتور علامة رقم (١) وقال في الهامش أنه (أبو الجوزاء بالمعجمة اه) . قلت الصواب أنه (أبو الحوراء) بالحاء والراء المهملتين . وما في تهذيب التهذيب خطأ مطبعي وقد جاء الاسم صحيحا في الجرم الثالث ص ٢٥٦ من تهذيب التهذيب .
- ص ٦٥ . س ٢ : (أمام) صوابها (أيام) بالياء آخر الحروف بدل الميم الأولى .
- ص ٧٧ . س ٢٢ : (ابتنه) صوابها (ابنه) بدون التاء المشناة من فوق .
- ص ٧٨ . س ٣ : (كرنابة) صوابها (كرنافة) بالفاء بدل الموحدة . وأما الكرناب بالباء الموحدة فهو التمر واللبن ولا محل له في سياق القصة ، فالمراد كرنافة النخل وهي بالفاء .
- ص ٨٥ . س ٩ : وردت كلمة (سنة) وبعدها نقط وفي الهامش (كلمة غير واضحة في الأصل) قلت هذه الكلمة هي (الجحاف) بضم الجيم بعدها حاء مهملة وهو الاسم الذي أطلق على سنة ثمانين من الهجرة الشريفة .
- ص ٨٥ . س ١٠ : سنة ثلاث وثمانين ومائة . الصواب ثلاث وثمانين بدون مائة .
- ص ٩٣ . س ٧ ، ص ٩ : لفظ (مائتين) صوابه (مائة) في الموضوعين .
- ص ١١٧ آخر سطر : (سنة ست وخمسين) الصواب (ثمان وخمسين) . فهنا نقل ابن طولون عن ابن الأزرق في تاريخ ميفارقين وبالرجوع إلى اللوحة (١١٢) من مصورة مكتبة روضة خيرى نجد ما نصه (وقيل ولد ثامن شعبان سنة ثمان وخمسين ومائتين لاشك فيه) يعنى الإمام الثانى عشر .
- هذه هي الأخطاء والأوهام التي وقفت عليها في الكتاب المذكور ، ولا يفوتني أن أنوه بالمجهود المشكور الذي بذله الدكتور المنجد في إبراز الكتاب في صورته المشرقة التي ظهر بها . والله ولي التوفيق والهادي لأقوم طريق ؟
- عبد السلام محمد النجار

بريد المجلة

فتاوى في الشيعة

لأئمة الشيعة في العراق

الجواب

باسمته تعالى شأنه

الشيوعية ضلال والحاد فلا يجوز الانتماء إليها ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .
(عبد الهادي الحسيني الشيرازي) خاتم

السؤال الثاني

حضرة مولانا حجة الاسلام السيد محسن الحكم المحترم .

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أسأل الباري أن يديمكم ذخرا للمسلمين .

مولاي ، اتنى من مقلديكم ولكي تنتمى إلى الحزب الشيوعي أقنونا بأمركم واتنى أنتظر الجواب للسير عليه .

والسلام عليكم ورحمة الله .

محمد السيد قنديل

الجواب

لا يجوز الانتماء إلى الحزب الشيوعي فإن ذلك كفر والحاد أو ترويج للكفر والاحاد . أعاذكم الله وجميع المسلمين من ذلك وزادكم إيماناً وتسليماً . والسلام عليكم ورحمة الله .
(محسن الحكم) خاتم

ما زال المجتهدون من علماء الشيعة بالعراق يبصرون المسلمين بحقيقة الشيوعية ويحذرونهم شر التورط فيها من طريق الوعظ وبطريق الفتوى ، وقد وقعت في أيدينا ثلاث صور لثلاث فتاوى أصدرها ثلاثة من جلة العلماء هذه نسختها .

السؤال الأول

آية الله العظمى المجتهد الأكبر السيد ميرزا عبد الهادي الشيرازي حفظه الله وأبقاه ذخرا لعموم المسلمين . أقدم لساحتكم بالسؤال الآتي راجيا التفضل بالإجابة : هل الشيوعية تتصادم مع الدين وهل يجوز الانتماء إليها وتأييدها . بينوا لنا الأمر فأتنا من مقلديكم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

عبد السكاظم محمد

فعلى افراد الشعب أن ينهض للمحافظة
على دينهم وأعراضهم . والله الموفق
والمستعان .

حرره محمد الحسين آل كاشف الغطاء

مطالب الإمام الشيرازي
ذهب وفدأ إلى كربلاء لاستطلاع آراء
العلماء في بعض الشؤون .

وزار الوفد سماحة الإمام الشيرازي وكبار
رجال العلم في داره ، وكبار رجال العلم في المدرسة
الهندية ، والعلامة الطباطبائي وأصحابه في المدرسة
المسلمية ومدرسة العلامة الخطيب .

وهذا ما طلبه الامام الشيرازي شفاهها وفي
كتاب قدمه للوفد .

ينبغي الاهتمام بالنقاط التالية :

١ - تعديل القوانين السابقة بما يوافق
الشريعة الإسلامية بما في ذلك قانون الزواج
والإرث .

٢ - الاهتمام بمناهج المعارف بإبعادها
عن النظريات الملحدة وبشروح الإسلام
والفضيلة وتطهير الاذاعة من الأغاني الفارغة
وإنشاء ركن فيها لنشر الإسلام .

٣ - الاهتمام بالشعائر الإسلامية كإقامة
الصلاة في المعاهد والدوائر
والمواصلات . والمنع عن الافطار في شهر
رمضان وتسهيل وسائل الحج . وإعطاء

السؤال الثالث

حجة الاسلام والمسلمين اية الله الشيخ
عبد الكريم الجزائري دام ظله . هل
الشيوعية تصادم مع الدين وهل يجوز الانتماء
اليها أو تأييدها . افتونا مأجورين .

خادمكم

عباس العلي شامية

الجواب

الشيوعية هدم للدين وكفر وضلال فلا
يجوز الانتماء اليها بوجه من الوجوه . كفى الله
المسلمين شرها .

(عبد الكريم الجزائري) خاتم

فتوى الامام كاشف الغطاء

بسم الله الرحمن الرحيم

المبدأ الشيوعي مبدأ هدام لكل المقدسات
محطم ومصادم لكل شريعة ودين . والركون
إليه من أعظم المحرمات وأكبر الكبائر .
والمعول بعد الله جل شأنه في مكائده
وتخطيطه على زعماء العشائر ورؤساء القبائل
أهل الخيعة والحمية الذين يغارون على الدين
كما يغارون على الأعراض وسائر النواميس
المقدسة .

وبعد إلقاء المحاضرة قرر الحاضرون من الفلاحين الامتناع عن الصيام .
وتعلق الجريدة على ذلك بقولها إن هذه المحاضرة ساعدت القرويين كثيرا على التحرر من الأفكار الدينية .

وليس ذلك غريبا من رجل يدعى الإمامة في الدين ولم يتعمق أصوله ولم يتصل بروحه في مصادره الصحيحة ومنابعه النقية .

حول ماء بئر زمزم

استفتت جريدة الندوة الحجازية العلماء فيما نقلته عن مجلة الدكتور القاهرية حول ماء بئر زمزم . والقول في ماء زمزم لا يحتاج إلى سؤال العلماء عما فيه من بركة ؛ فإن هذا مقطوع به وإن جحدته صاحب مجلة الدكتور وجحدته معه من جحدته .

يقول الدكتور إن ماء زمزم ملوث بماء المجارى .

فإذا يقول في التاريخ الذي يحدثنا أن زمزم قُبعت حيث لا بيوت ولا مجارى وعلى لغتنا حسب المثل القائل (لا حادى ولا منادى) ويحدثنا التاريخ أيضا أن السيدة (هاجر) بعد أن سعت السبعة الأشواط بين الصفا والمروة طلبا للبا رأتَه يفور من تحت

الحرية الكاملة لاقامة الشعائر الإسلامية .
٤ - وضع حد لتبرج الفتيات وخاصة الطالبات وإيقاف الفساد على حدودهن المقررة في الإسلام وإلغاء طلب الصورة في الجفسيه .

• - وضع حد للمنكرات التي تضر المجتمع كالخمر والقمار والربا وما إليها .

٦ - تطهير الأعتاب المقدسة من كافة المنكرات . والأمر بفتحها ليالى الزيارات وشهر رمضان والأمر بتعميرها تعميراً كاملاً وتسهيل الأمر على الزائرين .

عالم فننه الشيرجه قارنم عن دينه

جاء في التقرير الصحفي لسفارة الجمهورية العربية المتحدة في صوفيا أن صحيفة «فرونه» البلغارية نشرت في عددها الصادر يوم ٢٢ مارس الماضى خبراً عن (عود جيف) يذكر فيه أن أحد أئمة المسلمين البلغار ويدعى «بشيموف» ألقى محاضرة عن جوهر الإسلام حضرها جميع الفلاحين المسلمين في قرية «تريم» من أعمال «كولارجراد» ، وقد كان الغرض من هذه المحاضرة هو الغض من حكمة صيام شهر رمضان . وقد ذكر هذا (الإمام) أسباب ارتداده عن الإسلام وتحرره من التعسف الدينى .

بين الأستاذ العقاد والأستاذ الأكبر

بعث فضيلة الأستاذ الأكبر بهذه البرقية إلى الأستاذ عناس محمود العقاد ، مهنتاً سيادته بنيله جائزة الدولة التقديرية .

« لقد أرسيتم قواعد الأدب العالم ، وأسسه العريقة في النهضة الحديثة ، ثم أقمت صرحه العالى ، وبناءه الأشم ، فامتلت به نفوس الشيب والشبان .

وحين لم تتركوا مكاناً إلا ونثرتم فيه أزهار الأدب ووروده انبثق تقدير الأمة لكم من قلوب تمجد العاملين المخلصين ، فألتج ذلكم صدرى وامتلا بشرا وسرورا ، اعتزازا بأمة أنجبت ثم قدرت . فحياكم الله ومد في عمركم ، لنظل أمة الأدب تنزل في خاتل أدبكم ، تنفياً ظلاله ، ويعطر أيامها شذا عرفه . والسلام عليكم ورحمة الله .

محمود شلتوت

فتلقى فضيلة الأستاذ الأكبر من الأستاذ العقاد هذه البرقية رداً على الهنئة :

« دمتم للعلم والدين ، والأدب المبين ، ودامت جهودكم في خدمة الإسلام والمسلمين ، والحق اليقين ، عباس العقاد

قدم طفلها إسماعيل ، فجاءت مهرولة تحوط الماء وتقول كلمتها المشهورة (زمزم) ولذلك جاء في الحديث الصحيح عن الرسول صلى الله عليه وسلم (رحم الله أم إسماعيل لو تركتها لسالت حتى ملأت الوادى) هذا حديث صحيح وإن لم يصدقه الدكتور .

ويحدثنا التاريخ كذلك أن قافلة من جرم كانت في طريقها بتجارة إلى الشام فأرسلت رائدها لطلب الماء فرأى على بعد طائر أهبط إلى الأرض فعرف الرائد أن هذا الطائر لابد أن يكون قد هبط على ماء ، فثنى نحوه فوجد إسماعيل وأمه فرجع إلى قافلته يحدث بما رأى من العجب ، وأى شيء أعجب من طفل وأمه يجلسان في العراء و (لا جار ولا نافخ نار) حتى ولا كعبة ولا بناء ، إلا عين هذا الماء ؟ : فإذا يمنع من أن الله يحفظ ماء زمزم ببركته على ما كان عليه يوم نبع ؟ أو أن حضرة الكاتب بنى البركة عنه يومذاك ؟ ثم أين البعثات الطبية التي توفدها الجمهورية العربية المتحدة والحكومات الأخرى ؟

عبد المرحمن أبو السمح

إمام المسجد الحرام

مجلة المعهد الدينى بالمنصورة

أصدر معهد المنصورة الدينى العدد الاول من مجلته ، بإشراف طائفة من أسانذة المعهد وهيئة تحرير من الطلبة .

والعدد مصدر بصورة للسيد الرئيس جمال عبد الناصر ، وأخرى لفضيلة الأستاذ الاكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر ، ويتضمن طائفة كبيرة من الموضوعات الدينية والأدبية والعسكرية وكثيراً من الصور .
وفى السدد بضعة قصائد من شعر الطلبة تبشر بمستقبل لأصحابها إذا داوموا على تنمية مواهبهم الشعرية والأدبية .

حول استشهاده بآية :

قرأت مقالا للأستاذ منصور رجب فى عدد رمضان من مجلة الأزهر فلفت نظرى استشهاده بآية : « وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين ، وعند التأمل الصادق لا نجد صلة بين هذه الجملة فقال إنها أرسيت على فكرة - الشك باب اليقين - وبين الآية الكريمة ولعل للشيخ مقصدا حسنا ، فهو يريد أن يبين أن القرآن الكريم سبق الغرب وفلاسفته ديكرات وأمثاله ، وهذا كلام يفرح الشباب الذين لم يتذوقوا بلاغة ولم يغوصوا فى علم . والآية الكريمة وردت لجذب الخصم ليدخل ميدان الجدل والمقاش والحوار لعله يصل إلى الحق ، فالخصم إذا قبول بما يدل على تجهيله وتجرىحه نقر من

البحث والتوجه إلى مرید الخير له ، فالسياسة الرشيدة تكون بمثل هذا التعبير . وكلمة الشك باب اليقين اشتهرت عن الغزالى ؛ وهذه الكلمة لها باب آخر وهو أن المرء إذا شك فى أمر حله ذلك الشك على القادى فى البحث ؛ ومن بحث ، فهو فى الغالب يصل إلى الحق بخلاف المنكر ، فإنه لا يهتم بالبحث ولا بالوصول إلى الحقيقة فهو مقتنع بحالة أفكاره .
والخلاصة أنه لا يصح الاستشهاد بهذه الآية على الجملة المتقدمة ، فبينهما فرق عند من له معرفة بالأساليب المتنوعة .

سبر على الطوبخى

رجاء الى السادة العلماء

ترجو إدارة هذه المجلة من السادة العلماء أسانذة الكليات والمعاهد أن يخصوها ببحوث ومدرسة فيما تخصصوا فيه من شريعة وفلسفة وأدب وتاريخ ولغة . وستكون المكافأة على قدر ما يبذل فى الموضوع من جهد ، وما يحصل منه من فائدة .

الى السادة المشتركين

ترجو الإدارة ممن انتهى اشتراكهم من السادة المشتركين أن يبادروا إلى تجديده حتى تستمر فى إرسالها إليهم .

أَنْبَاءُ الْأَزْهَرِ

لوحاتهم لعرضها بمكتب جنيف الدولى
وعدها سبع عشرة لوحة .

احتفال الأزهر بعيد العلم

احتفل الأزهر فى مساء ٢٣ / ٦ / ١٩٦٠
بعيد العلم فى قاعة المحاضرات الأزهرية ،
ووزعت الجوائز على المتفوقين من الطلاب
فى الشهادات ، وفى العلوم التى حددتها لجنة
المكافآت .

مؤتمر معسكر الرواد

يبدأ مؤتمر معسكر الرواد فى مدينة البعوث
الإسلامية فى الساعة السادسة من صباح يوم
٨ / ٧ / ١٩٦٠ وينتهى يوم ١٣ منه وفيما
يلى موضوعات المحاضرات التى ستلقى فى المؤتمر
وأسماء السادة المحاضرين :

١ - الاتحاد القومى وسيلة لتطبيق
الاشتراكية والديمقراطية لفضيلة الأستاذ
الشيخ عبد الحكيم سرور .

٢ - المذاهب السياسية فى العالم للأستاذ

هذا - ومن بين هؤلاء طلاب اختبرت أحمد مختار قطب .

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر بمكتبه
السيد الأستاذ ناصر المنقود مستشار المعارف
السعودية ، وقد دار الحديث حول البعثات
الأزهرية فى المملكة العربية السعودية وفى بعض
النواحي الثقافية .

شهد فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود
شلتوت شيخ الجامع الأزهر مؤتمر الاتحاد
القومى العام الذى عقد فى الساعة السابعة
من مساء يوم الإثنين ٢٠ / ٦ / ١٩٦٠ بقاعة
المحاضرات بجامعة القاهرة

جوائز المتفوقين فى الفنون الجميلة

من طلبة الأزهر

احتفل الأزهر فى الساعة الثانية عشرة من
صباح الثلاثاء ٢٨ / ٦ / ١٩٦٠ بتوزيع الجوائز
على المتفوقين من طلاب الأزهر فى الفنون
الجميلة والتربية الفنية ، وذلك بمكتب فضيلة
الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ
الجامع الأزهر .

كما تقرر أن تكون الكتب والموضوعات التي يجرى التسابق فيها كما يأتي :

١ - فى معهد القاهرة

يؤدى المتسابقون امتحانا تحريريا فى المواد الآتية :

١ - مادة التاريخ :

دراسة غزوة بدر وأحد من حيث أسباب كل غزوة ونتائجها وموقف المسلمين فى كل منهما والحديث عن سير المعركة فيهما .

ب - مادة الأدب :

دراسة الشاعر محمود سامى البارودى تحريريا وحفظ ما لا يقل عن مائة بيت من ديوانه مع فهمها .

على أن يكون الامتحان فى حفظ القصائد وفهمها شفويا .

٢ - فى كلية الشريعة

١ - تاريخ علم الحديث (موعظاً مالك ، صحيح البخارى ، صحيح مسلم) .

يؤدى المتسابقون امتحاناً تحريريا فى الدراسات الآتية :

تاريخ أصحاب هذه الكتب ، ومناهجهم فى تأليفها وشروط القبول عند كل منهم وميزات كل كتاب وماوجه إليه من نقد مع المقارنة بينها جميعاً من حيث المزايا والنقد .

٣ - الاستعمار فى الشرق الأوسط للأستاذ الدكتور محمد البهى .

٤ - القومية العربية للأستاذ الدكتور عبد الشافى غنيم .

٥ - الاتحادات الطلابية للأستاذ عبد الحالى عسلام .

٦ - الحياض الإيجابية للأستاذ الدكتور مراد غالب .

٧ - "صحافة فى طورها الجديد" للأستاذ فكرى أباطه .

٨ - القيادة للأستاذ محمد على حافظ .

٩ - مقوماتنا الروحية لفَضيلة الأستاذ الشيخ محمد المدنى .

١٠ - اعرف بلادك ومشاكلها للأستاذ نصر السيد نصر .

١١ - دور المرأة فى الإسلام للدكتورة يفت الشاطىء .

مواثى المسابقات الصيفية

بين طلاب الأزهر

تقرر أن يباح الدخول فى مسابقات الدراسات الصيفية للطوائف الآتية : من الطلبة

١ - طلاب السنة الرابعة المنقولون إلى السنة الخامسة من القسم الثانوى بمعهد القاهرة

٢ - طلاب السنة الثالثة المنقولون إلى السنة الرابعة للكلية الثلاث .

ب تاريخ الفقه

ابن عطاء . أبو الحسن الأشعري .
عضد الدين الإيجي) .

(الأئمة الأربعة : أبو حنيفة . مالك .

يؤدي المتسابقون امتحانا تحريريا في
الدراسات الآتية :

الشافعي . أحمد بن حنبل) يؤدي المتسابقون
امتحانا تحريريا في الدراسات الآتية :

(تاريخ كل منهم وآراؤه التي اشتهر بها
في علم الكلام وهؤلوفاته .

تاريخ كل منهم ، ونشأة مذاهبهم الفقهية
وما يمتاز به كل مذهب من ناحية أصوله

نشأة علم الكلام وأشهر للكتب المؤلفة
فيه .

التي قام عليها ، وأشهر الكتب المؤلفة فيه ،
والجهات التي راج فيها وأسباب هذا الراج

٣ - في كلية اللغة العربية :

(ب) في علم التفسير (ابن كثير . الفخر
الرازي ، ابن جرير) .

١ - في علم النحو

يؤدي المتسابقون امتحانا تحريريا في
الدراسات الآتية :

(سيدييه . ابن مالك . ابن هشام) .
يؤدي المتسابقون امتحانا تحريريا في

تاريخ هؤلاء المفسرين ودراسة مناهجهم
في كتبهم التي فسروا بها القرآن الكريم مع

الدراسات الآتية :
(تاريخه ، شيوخه ، تلامذته ، كتبه ، أثره

الموازنة بينها وبين مزية كل كتاب منها ،
وما وجه اليه من نقد .

في النحو ، ما وجه اليه من نقد) .
(ب) في علم البلاغة (عبد القاهر ،

هذا وقد اعتمد ستون جنبا لكل جهة
دراسة مباح لها الدخول في امتحان المسابقة ،

أبو يعقوب السكاكي ، الخطيب الغزويني)
يؤدي المتسابقون امتحانا تحريريا في

على أن توزع المكافأة على المادتين المحدد
فيهما المسابقة لكل مادة ثلاثون جنبا توزع

الدراسات الآتية :
(تاريخ كل منهم . شيوخه . تلامذته .

كالآتي :

مؤلفاته . أثره في البلاغة . ما وجه اليه من
نقد) .

الأول من كل مادة ١٢ ج والثاني ١٠ ج
والثالث ٨ ج .

٤ - في كلية أصول الدين :

(١) في علم الكلام (التوحيد) (واصل

اعتذار

تعتذر إدارة المجلة من تأخر هذا العدد عن مواعده المقرر لأسباب قاهرة لم يكن لنا
في التغلب عليها حيلة .

الفهرس

صفحة	صفحة
١	من ذكريات المحرم : هجرة في سبيل الله وشهادة في سبيل الحق
٥	من ينابيع الهجرة
٨	لإمام المساميين الأكبر الشيخ محمود شلتوت فن جديد من فنون الدعوة
١٣	للأستاذ عباس محمود العقاد
٢١	الكرامة والعزة في القرآن الكريم - ب -
٢٦	للأستاذ محمد محمد المدني
٢٧	نقعات القرآن : لمحات زاجرة من صدر التاريخ
٢٧	للأستاذ عبد اللطيف السبكي
٣٣	الدين والعلم الحديث : نزعة ضارة خاطئة
٣٣	للأستاذ محمود الشرفاوى
٣٧	الحر وأخواتها رجس من عمل الشيطان
٤٧	للدكتور سليمان دنيا
٥٧	شعراء الوحدة : العماد الأصمى
٦٣	للأستاذ على العمارى
٦٣	نشأة النحو العربى
٦٧	للدكتور تمام حسان
٧٣	دراسات في التصوف - الحركة التنسكية في القرنين الأول والثانى للهجرة
٧٧	للدكتور محمد غلاب
٧٣	الإسلام دين المحبة
٧٧	للأستاذ حمودة عبد العاطى
٧٧	الزواج في الإسلام
٧٣	للأستاذ محمد سلام مذكور
٧٧	لأنه عربى (من مشاهد الهجرة)
٧٧	للبيدة سميرة المغربى
٨٢	من رجالات الإسلام - عاصم بن شراحيل الشعبى
	للأستاذة محمد إبراهيم الجبوشى
	الدين للضرورة أم للحال
	للأستاذ محمد فتحى محمد عثمان
٨٧	جزيرة لامو (مراكز الثقافة الإسلامية في شرق إفريقيا)
٩٠	للأستاذ ابن سليم
٩٤	العبادة في الإسلام لا يجوز أن تصحبها الموسيقى
	للأستاذ مصطفى أحمد الزرقا
٩٤	ما يقال عن الإسلام : أديان الدعوة
١٠٠	للأستاذ عباس محمود العقاد
١٠٤	مختارات من الشعر القديم والحديث : هجرة الرسول
	للأستاذ أنور الطاهر
	آراء وأحاديث : الأزهر والملايو - المللون
	في تاريخهم العظيم - ديمقراطية الإسلام -
	الكتاب والإسلام - الأزهر في حاضره
	ومستقبله - رسالة الأزهر خالدة - في كلية
	الشربعة - في كلية أصول الدين - في كلية
	اللغة العربية - في المعاهد الدينية - منشآت
	جديدة - إدارة البحوث والثقافة الإسلامية
	(معهد الإعداد والتوجيه - قاعة المحاضرات -
	مدينة البعث - قسم البحوث والترجمة -
	الطبعة والمجلة - البعثات : وافدة أو موفدة -
	قسم الوعظ والإرشاد)
١١٢	السكت : تفسير القرآن الكريم : للأستاذ
	الأكرم الشيخ محمود شلتوت - الإسلام في
	أمريكا : للدكتور محمد يوسف الشواربى
١١٩	بريد الأزهر : فتاوى في الشيوعية - فتوى الإمام
	كاشف الظلم - عالم فتنه الشيوعية فارتد
	عن دينه - حول ماء بر زمزم - مجلة المعهد
	الدينى بالمنصورة - رجاء إلى السادة العلماء -
	إلى السادة المشركين
١٢٤	أنباء الأزهر : حوائز المتفوقين في الفنون الجميلة
	من طلبة الأزهر - احتفال الأزهر بعيد العلم -
	مؤتمر معسكر الرواد - حوائز المسابقات
	الصيفية - في معهد القاهرة - في كلية الشريعة -
	اعتذار

source of Islamic legislation and teachings. Thus *free judgement* from qualified doctors based on the Qur'an and Traditions, and harmonious with sound use of itellect is considered valid and authoritative. It is due to this principle that the Muslims during their glorious ages made valuable contributions to human culture and civilization, [and that they have had a very legacy of intellectual schools and legal systems. Again it was this very principle which made the Muslim doctors

tolerant toward each other and prepared to accept whatever is proved to be sound even if it was against their own former notions.

The Qur'nic truth is universal; the genuine Traditions are ever valid, and the sound intellect is continually urged to reflect. Upon three bases Islam has been established, and from them it has come down to mankind with truth and righteousness, good and security, peaceful prosperity and incessant happiness.

Translated and elaborated by Hummudah Abd-al-Ati & Abd-al - Muhsin El-Biyali, both of the Islamic Culture Administration, al-Azhar University.

they agree on and excuse each other for that which they may disagree on. It is in this way that the Qur'an is conceived as the Book of integration and unity, the Book of the whole humanity throughout ages and regions. Had the Qur'an been different from what it is, it could not possibly have been the Divine Book of God and the source of intellectual illumination and human happiness.

The second source of Islam is the prophetic Traditions which include his words and deeds. The Messenger did not speak or act out of personal desire or capricious inclinations. His words were interpretations of the Qur'an and his actions were applications to the Qur'anic teachings. It is with this spirit that the doctors of Islam have adopted to the Traditions. They have done everything humanly possible to examine the Traditions and distinguish the genuine from the otherwise. They exhausted all possible means of investigation and criticism. To authenticate the genuine Traditions those doctors created the sciences of *terminology*, *text*, *narration* and *narrators*. They laid down logical rules and moral requirements as well as accurate criteria to examine the authenticity

of the Traditions. Besides, any Tradition must be examined by the intellect and in the light of the Qur'an and its general spirit. With all this and by the mentioned precautionary measures it is only logical to say that Islam has the most authentic collection of Traditions, and that the care which these enjoyed from the Muslim doctors is unique indeed. It is on these bases and with all these considerations that the Traditions of the Messenger serve as the second source of Islam.

Side by side with these two inspired sources of Islam, there is the third human factor, that is, the intellect or *free judgement* of qualified authorities. Not only do the Qur'an and Traditions vigorously urge the intellect merely to reflect but even to reflect on them and draw conclusions. They are the main sources of Islam, yet they are the object of intellectual meditation. They constitute a very large scope for thinking.

Because the two Divine sources were never meant to arrest the intellect by adopting a rigid attitude in every minor detail, they were made open to the intellect which has become accepted as the third

The Qur'an has been reported to us through most reliable authorities and in the most authentic manners. The validity of the text is indisputable and beyond any questioning. Many historical and personal factors as well as rational arguments attest this statement and place the Qur'an in a position to enjoy authenticity the like of which has never been enjoyed by any other book, Divine or otherwise. This is why it is the first source of Islamic beliefs, laws, morals and guidance. It is also why it has been the main object of reflection and study by all Muslim doctors, with everyone in his own field. Because they were familiar with the philosophy of the Arabic Language and appreciated the profound indications of the Qur'an. These doctors did not find any contradiction or inconsistency between the Qur'anic verses. On the contrary, the Qur'an to them seemed harmonious and self-complementary: "Will they not then meditate on the Qur'an? And if it were from any other than God, they would have found in it many a discrepancy" (Surah. 4, V. 82).

It is true, however, that the Qur'an contains verses which are decisive and definite in giving one meaning, and some others that are allegorical or equivocal which many suggest more than one possible

meaning (Surah. 2, V. 6. cf. 11:1). But this should not be misunderstood or considered as a deficiency of the Qur'an. None is justifiable to ask: Why has not the total Qur'an been revealed decisive? What is it for this allegorical language? Such a question would be a non-intelligent one. Those who know the value of man's responsibility, the philosophical nature of languages, the intellectual differences between mankind, the unconditioned universality of the Qur'an and, finally, the nature of Islam which demands reflection and meditation will find it easy to welcome such an allegorical tendency in the Qur'an because this will inspire them and attract their minds to reflection.

God the Merciful, and the Wise, has chosen the decisive verses to be the basis of the Book to which basis all disputes or controversies must be referred. But other verses instigate the mind and encourage intellectual discussions. Disagreement on the interpretations of such verses is tolerable and sound arguments are welcomed. The only thing which is intolerable is defamation and slander. Because these allegorical verses do not, thank God, deal with fundamental articles of faith, the Muslims are urged to look to them with broad mindedness in such a way as to co-operate in that which

inevitable; because when the Qur'an was revealed people were in a state of common ignorance, particularly of science.

This is the attitude of Islam towards knowledge in the broadest sense. It does not influence the authentic nature of the Qur'an therefore, if it stands in opposition to some questionable ideas or human doctrines, because the only criterion by which the Qur'an can be judged is the Qur'an itself. It is the Divine revelation which excels man for his intellect and honours knowledge as the leading course to exploration of self and nature. So it would be illogical and even a contradiction in terms, if the Qur'an were to contradict any scientific fact or authentic data.

The Sources of Islam :

Islam has definite sources from which it has come and by which only it can be judged regardless of any other consideration. These are : the Qur'an, the Prophetic Traditions and *free judgement* by qualified doctors. The Qur'an, meaning and text, is the word of God Who revealed it to the Messenger Muhammad through the angel Gabriel. It could not be the composition or work of Muhammad, who did not speak out of personal desire. " It is

naught but revelation that is revealed " (Surah. 53, V. 4). His role, however, was : (i) to receive the Qur'an, learn it and keep it : " We shall make thee recite so thou shalt not forget " (Surah. 87 V. 6); (ii) to convey it and make it known : " And it is a Qur'an We have made distinct, so that thou mayest read it to the people by slow degrees, and We have revealed it in portions " (Surah. 17, V. 106) ... " O Messenger, deliver that which has been revealed to thee from thy Lord; and if thou do (it) not, thou has not delivered His message " (Surah. 5, V. 67); (iii) to teach the revelation and give explanation to what was revealed : " And We have revealed to thee the Reminder (the Qur'an) that thou mayest make clear to men that which has been revealed to them, and that haply they may reflect " (Surah. 16, V. 44); and (iv) to apply its teachings and give practical examples : " Surely We have revealed the Book to thee with truth that thou mayest judge between people by means of what God has taught thee " (Surah. 4, V. 105). As a result of all this he has been the highest model of virtue for the faithful under all circumstances and " an excellent exemplar for him who hopes in God and the Latter day, and remembers God much " (Surah. 33, V. 27).

piety. Et says : "Seest thou not that God sends down water from the clouds, then We bring forth there-with fruits of various hues? And in the mountains are streaks, white and red, of various hues and (others) intensely black. And of men and heasts and cattles there are various colours likewise. Those of His servants only who are possessed of knowledge revere God." (Surah 35 V.27-28)

The Qur'anic tune urging for knowledg is not confined to any particular field. The Divine exhortation embraces all departments of research and study. The Qur'an makes no secret of its attitude towards knowldge. It excels the lear-end people and gives to them utmost preference to those who do not know; "Say : Are those who know and those who know not alike?" (Surah. 39, V. 9). It forbids the Muslim to yield to superstition or follow mere conjecture or make any conclusion without proof. It does not tolerate blind imitation and unquestionable authority of traditions or ancestral legacy; "And when it is said to them (the disbelievers) : 'Follow what God has revealed,' they say : 'Nay, we follow that wherein we found our fathers : What! Even though their fathers had no sense at all, nor did they follow the right way" (Surah. 2, V. 170).

Although the Qur'an is mainly

a Divine revelation meant to give moral guidance in the sphere of behaviour and legislation, nevertheless it calls for scientific discoveries and urges for the exploration of every department of knowledge in the universe. It is not a book of physics or astronomy or the like, but it enjoins the study of such subjects and contains a great deal of them. If this is the attitude, which the Qur'an adopts with regard to the scientific and intellectual knowledge, how can it be said, then, that the Qur'an contradicts science or impedes knowledge? The Qur'an cannot be contradictory to any valid and proved fact in science, although it may be in disagreement with some thinkers and scientists who uphold mere opinions or unproved conjectures. If, however, it seems to be in disagreement with some scientific rules or indisputable data, it is so elastic that it can be intepreted in a figurative sense, which does not affect the basic meanings and which will make conform to scientific facts. Such a method does avoid any kind of intellectual embarrassment to the Muslim, and it is, at the same time, in complete accordance with the nature of the Qur'anic style which employs general terms when referring to scientific matters or speaking of natural phenomena. This generality of the Qur'anic terminology was

When the Qur'an excels man over woman by the degree of guardianship and responsibility (Surah. 2 V. 228 ; S. 4, V. 34), it is in accordance with factual rules of existence and laws of nature. The male of every species is by nature more prepared to be endowed with guardianship and tasked with responsibility for the female. Beyond this said degree, the Qur'an and the Traditions prescribe that woman is man's partner in opinion on many respects. For example, the Qur'an says: "But if both (wife and husband) desire weaning by mutual consent and counsel, there is no blame on them " (Surah. 2, V. 233). Moreover, the mother in particular is entitled to give her opinion concerning her daughter's marriage. The attainment of the mother's consent is strongly recommendable. Furthermore, woman has the final word on her marriage. Nobody is authorized to force her to accept matrimony against her will. If she disapproves of any contract made on her behalf, she has every right to object and annul the contract. Thus we see that Islam honours woman and entitles her to all legitimate rights. Unjust discrimination between man and woman on the basis of the latter's nature is inconceivable to Islam. The natural differences between them are recognized by Islam to maintain

justice and keep life going in a balanced manner.

Islam and Sciences :

Unlike any other religion or doctrine Islam establishes its faith on the foundation of thinking and meditation, not of blind imitation and unquestionable authority as has been the case with other religions. Practically in every chapter of the Qur'an there is a vigorous demand for knowledge and research. Throughout we come across passages and verses which press mankind to discover themselves, the universe and nature at large. Knowledge in scientific as well as intellectual terms is the supreme quality of man on the basis of which he is honoured and made superior to other beings. It is the logical introduction and premise to faith. Once man *knows*, he is bound to end within faith, because Islam does not accept faith unless it comes as a result of conviction, which is the leading guide to the truth: "And that those who have been given knowledge may know that it is the Truth from their Lord, so they should believe in it." (surah. 22, V. 54).

The Qur'an refers to the *appreciation* of the working forces in the universe and to the knowledge of the natural phenomena as the leading course of man to dutifulness and

principles of peace and equality. The achievements of the Muslims in this respect have been very impressive and deeply convincing even to many outsiders.

The relation Between Man and

Woman:

Before Islam woman was considered a mere object of bodily pleasure for man. She did not enjoy any sense of value for herself nor did she exercise any right of expressing her opinion or demonstrating her well. Even her very nature as a human being with an immortal soul was a questionable matter. The universally prevailing conception of woman was that she was a worthless and inferior being. But the position of woman was fundamentally changed after the propagation of Islam whose book assured woman of equality and established a balanced course of relation between man and woman. The Qur'an says : "O mankind, surely We have created you from a male and a female . . ." (Surah. 48, V. 13,) and "Whoever does good, whether male or female, and is a believer, we shall certainly make him live a good life, and we shall certainly give them their reward for the best of what they did" (Surah. 16, V. 97.) Again it announces that "the believers, men and women, are friends one of another..."

(Surah. 9, V. 71.) Practically in every place in the Qur'an where references to man are made, the same is true of woman. Thus woman gained her freedom, and it was Islam which broke her fetters and stressed her equality to man and explored her personality. So far as natural rights and responsibilities are concerned, Islam admits no discrimination between man and woman but equality is the rule in this respect. It is a sufficient argument to prove this faint that the Qur'an says : "And women have rights similar to those against them in a just manner . . ." (Surah. 2, V. 228.) The Messenger also says ; "Women are men's sisters."

There is nothing in the Qur'an or the Traditions to give man superiority over woman or to speak of the latter as inferior to the former. The Qur'an, nevertheless speaks of men as having a degree above women, but this should not be misunderstood. This degree does not mean superiority or favouritism. It is the degree of guardianship and responsibility for maintaining the family and running the home, not that of suppression or injustice. The degree of man is really an additional burden to him and an extra responsibility. It does not affect the woman's freedom of belief or thought or conscience or enterprise. It does not upset any of her established right.

ISLAM: ITS ORIGIN AND ITS FUTURE

This is a rejoinder to Series number II of All-Union Society for Propagation of Political and Scientific Knowledge which discusses the same topic under the same caption, and which appeared in Moscow in 1956 and was introduced to the Arab readers as "The Grey Note- Book".

" Continued "

in Jordan with dreadful threats to frighten the Muslims and disturb their peace. When the Prophet knew these aggressive intentions and mischievous inclinations, he did not wait for the Romans to knock his door and attack him at home. He thought it wise, and so it proved to be, to shift the field of the inevitable battles with the Roman to a remote area under their illegal and unjust control. These battles were designed to prevent any more penetration by the enemies into the land of Islam, and to expel them out of the territories which they conquered against the will of the settlers. They were also meant to insure the liberty of the Muslims to exercise their freedom and to give the non-Muslims a chance to emancipate themselves and embrace Islam if they would be guided by its lights. Thus started the open conflict between the Romans and the Muslims.

It was not, therefore, the intention of the Muslims to fight, and when they had to fight they did not

mean to impose their religion on other people nor to make their race superior to others nor to seek personal benefit or sustenance. When Islam came it brought principles designed to narrow the sphere of war and justify it for honest reasons only. It was a long-standing tradition of the Arabs in the Pre-Islamic era to fight for spoils or for demonstration of power or for mere tribal solidarity regardless of any other moral consideration. But with the declaration of Islam a new concept of war was taught and a moral approach to it was established. This was derived from the conclusive statement of the Messenger in which he said: Whoso fights to make the world of God the uppermost is the fighter in the way of God."

It is a well-attested historical fact that the Muslims did not fight for imperialistic gains or usurpation; they fought to abolish oppression, to secure freedom and to spread the

Ghazali's view :

It would be advisable to quote here Ghazali's view concerning the plurality of wives and the reason for its permissibility from the point of view of the sexual drive to which we had referred on discussing the views of Connoisseurs and social researchers in accounting for plurality. He said: "There are some human natures whose sexual drive are overpowering that it could not be satisfied with one woman only. To such natures it would be suitable to marry more than one wife up to four. It by so marrying they felt satisfaction, love and security then it is a blessing of God. If they do not feel satisfaction and ease it would be better for them to change their wives".

In such a manner all the companions of the prophet did behave.

Scarcely there was any amongst them who had not more than one wife.

Then Al ghazali added "However clear are the motives one should take of the medicine what deems enough to cure the illness. Self-satisfaction is really what is aimed at so one should take that aim into account when resorting to marry more than one wife". By so saying Al ghazali is referring to the fact that the plurality of women is legally permitted to chastise oneself on condition that one should take himself by fair dealing between his women. He is referring too to the fact that those who marry more than one wife simply to satisfy their tastes for change without any real need to keep one's chastity or to evade sin are in fact behaving in a way contrary to the directives of the Islam law.

Nevertheless the fact remains that nothing of these suppositions have any existence for actually the wording of the verse has given priority to plurality as a means to rid the believers of the criticality of being married to the orphans. Then the restriction to one wife only was ordained as a suspended measure to be resorted to when one is suddenly exposed to the fear of being unable to deal fairly between women.

Consequently one can say that there are no indications in the wording of the verse to determine what is radically demanded and whether is it the plurality or the one wife only. Notwithstanding that one can say that the radical issue is the plurality, it is also the needed as a reaction to the natural human drives which are instinctive in man and as a response to the factors of human sociology which have enjoined the plurality of wives through the ages from the olden times up till now.

In fine if the plurality was limited by any condition other than the fear of injustice between women, such restriction would have not been overlooked by the original source of legislation since the question was of a major importance to the human society and had a direct impact upon the law and order of such society.

Had there been any other restrictions, the attitude of the prophet, peace be upon him, towards those who had embraced Islam while keeping more than four wives, would have been otherwise than just asking them to keep only four if they wished and to divorce the rest. Had there been any other restrictions, it would have been incumbent upon the prophet to explain to the believers that such sight is not absolute but it is restricted by satisfying certain conditions such as the barrenness of the first wife or her illness or the ability to sustain and bring up his children or the ability to cover the expenses of his relatives whose sustenance is his personal responsibility. It would have been incumbent upon the prophet to clarify the situation and to direct the believers to the right path since the time was the proper occasion for laying the foundations of legislation. But actually, nothing of that had happened. This would undoubtedly show that plurality was not an accidental measure resorted to on emergencies and that its permissibility was not conditioned by anything other than the sense of safety to deal with women justly which lies within the power of man such as equality in covering their expenses in clothing and in lodging.

that is the ability to pay her the dowry and to ensure her living expenses.

The verse has put the plurality of women in a radical position while trying to get rid of the unfairly dealing with orphans. Then the restriction to one only on fearing injustice between wives was mentioned. From that we can deduce that justice is a radical trait in man. Being so it would lead to the conclusion that the permission of plurality is the radical decree since justice is original in man and injustice is an extraneous deviation which comes upon man suddenly and causes him to fear it. The existence of such fear impels him to marry only one wife.

This explanation complies with the conclusions of the researchers who have been trying to account for the phenomena of plurality and whose views were mentioned before.

The reasons mentioned whether taken as a whole or in detail enjoin the plurality of wives either to satisfy man's needs or the woman's need.

If the decree is taken to mean the prohibition of plurality then the wording of the verse must need to be changed as thus " If ye fear to deal unfairly with the orphans marry only one from amongst other women.

If she proves to be barren or sick and ye were obliged to marry another one then marry two or three or four as ye wish ".

Undoubtedly this view will cause the purpose aimed at by decreeing the plurality of wives to be missed that is the extension of the scope of choice before them and making them at ease when they have to leave the orphan in fear of dealing unfairly with them.

The mode of expression should have been as such accustomed in the style of the holy Qur'an when it does need to permit something forbidden necessity. Such a style can be observed in the following verse wherein God says :

" Forbidden unto you (for food) are carrion and blood and swine flesh, and that which has been dedicated unto any other than God " . .

... up to the end of the verse wherein He says " Whoso is forced by hunger, not by will, to sin : (for him) Lo ! God is Forgiving Merciful." Again taking this view into consideration will make the verse indicate that the sticking to one wife is the radical decree and the binding one, and that the permission of plurality is only resorted to when there is an impelling need.

himself to decide whether he fears the lack of justice when marrying more than wife or not.

It is he who is responsible before God to take the suitable measure which complies with his intrinsic feelings in that direction. The law has nothing to do with such inner traits. It is a personal responsibility which is left to the person to judge by himself his ability to perform. It is just the same as the other enjoinders which are left to the believer's discretion such as fast breaking and when one fears illness or the augmentation of illness if one fasts or uses water.

When does the law interfere?

The law has to interfere in the case of a person who married already a second or a third wife and proved to be unjust towards one of them conditional the persecuted wife should declare that to the ruler and complain to him of ill-treatment. There the law interferes by advise admonition and then by sending two judges; a judge out of her family and a judge out of his family to tackle the question and seek reconciliation between the two parties. Then by all means prescribed by God to make reconciliation possible. Should this course fail to mend matters and reconciliation seem futile the judge is empowered

to divorce her. Such procedure was guaranteed by both the Islamic law through the enactment of admonitions and by the legislation through the enactment of the principles of divorce for fear of injury which Imam Malik proposed.

The permission of plurality is the rule :

From the aforesaid one can conclude that plurality has been permitted since the dawn of legislation both by word and action whenever the believer does not fear to deal unfairly between his wives. If he fears injustice between his women it will be incumbent upon him to marry only one woman to rid himself of the sins of such fright. Again it is quite clear with reference to what we have mentioned before that the permission of plurality does not depend upon satisfying conditions other than the ensuring of justice and the lack of fear of being unfair. It does not depend upon motives such as the barrenness of the woman, her illness which exposes her husband to divert from chastity, and the out numbering of women in a way that endangers their chastity. However it is necessary on marrying a second wife that one should satisfy the same conditions of marrying the first wife

able to deal equally between your wives, however much ye wish (to do so). But turn not altogether away (from one), leaving her as in suspense.

The practice of the nation is the clearest proof

This indicates clearly that the second verse co-operates with the first one to determine the principle of plurality of wives in a way that confirms its permissibility and dissipates all the clouds of criticalness. In the light of this principle the prophet, may peace be upon him, married more than one wife and so did his companions and followers. After them Muslims through the ages used to marry more than one wife whenever they wished. They used to see in the performance of such plurality in the light of the justice they are asked by God to observe a benevolent deal to women as well as men themselves and that by so doing they are doing good to the nation at large,

Fourteen centuries have passed since then and in each century there appeared a host of illuminated savants well versed in the Islamic studies all over the Islamic World. Their views and opinions were recorded and widely spread by education and

publication in a generation after generation yet we never heard that any one of them had said that the second verse abrogates the first one or tries to abrogate any of the principles decreed by the first verse. In fact they all agreed that it was an explanation to what was meant by the demanded Justice which the fear of its lacking was made a binding motive for sticking to one wife only.

The individual alone can judge his ability to behave justly.

Again they all agreed that God's decree "if ye fear that ye can not do justice (to so many) then one only" was addressed to the individuals concerning matters in which they are the sole judges. In deciding it they have to refer to themselves, to their conscience and to their will. [Such behaviour had no regular and true manifestation or even predominant features that it would be easy to the ruler to detect and appreciate and thus could easily arrange to issue a legislation based on his experience with a view to either prohibiting polygamy or permitting it.

So many people who may look apparently rough and unmannerly may prove when married to be courteous and dutiful.

Thus It is up to the person

this condition is not possible since the second verse indicates that man will not be able to deal equally between his wives.

Such explanation is a plain misuse of God's words. It is a misconstruction of these verses and a deviation from its real meanings. It is unreasonable that God advises polygamy when fearing to deal unfairly by the orphans and makes equal dealing between wives a condition for permitting polygamy in a way that suggests its feasibility and then denies its possibility.

The proper meaning of the

two verses.

The proper explanation of these two verses which agrees with the holiness of the revelation, the raison d'être of the legislation, the order of the context and the motives for the revelation of the second verse lies in the fact that when it was said in the first verse "And if ye fear that ye can not do justice (to so many) then one only" it was understood that justice between women is binding. Some thought that the conception of justice if generalised must imply the practice of equality in every detail of dealing between women whether in one's power or not. Such explanation did put the believers in a critical situation. Really it was

a critical situation for the conception of justice as contemplated by some believers was impossible to be put into effect simply because these are sides which are beyond one's control. To evade this criticalness contemplated by the believers and to guide to the true meaning of justice and its implications the second verse was revealed.

It was revealed to tell the believers that Justice meant by God was not the conception you were driven to that made you feel awkward and annoyed about the plurality of wives and thus prohibited what God had permitted. It meant only that you should not turn altogether away from one leaving her as in suspense.

This heavenly decree was an explanation expected by the believers after the revelation of the first verse and the dilemma they were driven to by their understanding to the conception of that verse.

The wording of the 127th verses of the same surah guides to this view. The verse starts by saying: "They consult thee concerning women. Say God giveth you decree concerning them" then mention many issues which were the object of their consultation. The last of which was God's decree that "Ye will not be

If such severity is only demonstrated by the wars almost waged against human race all over the world, it would be enough to prove the immense sufferings and sacrifices of men in this belligerent universe. What would be the result if we add to the catastrophes of war which annihilate men by thousands leaving the majority of living souls barely women and children, the hardships of life which men and specially labourers suffer. Labourers who perform their duties exposed to fire and steel, endangering their lives in the depths of seas and oceans, in utter darkness of mines, in the debris of demolished houses, and in the quarries wherein all the brunt falls upon man's shoulder.

The Islamic law has refined the natural craving.

These are the reasons given to account for this social phenomenon. In fact they are reasons derived from tangible realities in the life history of human beings. In the light of these natural human experiences it was concluded that Polygamy is an old and a well established social tradition. Such tradition has continued up till the advent of Islam. When Islam came it did not revoke the natural drives which are the sources of Plurality but it did refine them from two angles. Firstly it has rest-

icted polygamy to a certain number by which human cravings can be satisfied uninfluenced by the periods wherein women lose their sexual drive.

Secondly it has enjoined that man should fairly satisfy the needs of life of his women and to be just in dealing with them for such behaviour will contribute much to maintain peace, to foster a sense of safety and to evade injustice, favouritism and deviation.

These two conditions are unanimously acquired by all Muslim jurists and corroborated by all Islamic legal texts. The Holy Qur'an enjoins these two points in the 3rd verse of the women's Surah by saying "two or three or four and if ye fear that ye cannot do justice to so many then one only", and by saying in the 129th verse of the same Surah "But turn not altogether away (from one), leaving her as in suspense".

The misuse of God's words.

It is strange to see that some people have come to the conclusion that these verses account for the illegality of plurality. Their pretext in that is that plurality was permitted on the condition of justice as seen from the wording of the first verse and that the satisfaction of

reign of Charlemagne. Charlemagne himself married more than one wife. But at his time the priests advised polygamists to choose only one of their wives to be the legal wife and to keep the others as concubines.

Since then the plurality in Europe has turned to be a sort of abominable concubinage which derogates the moral standard of man and mars his dignity. It is thus evident that to Europeans plurality through legal marriage was not permissible while it was allowed practically through illegal intercourse.

Raison d'être of Plurality

Researchers who had discussed the problem of polygamy, gave various reasons to account for this tendency in man. Some of them refer these phenomena to the egoism in men's nature and the wish to keep for themselves as many women as they can. If the existence of such egoism is admitted and accordingly it is accepted as a true reason for plurality of wives, it is then clear that its aim is not the mere wish to possess and to keep for himself as many women as he can but it is as well the wish to satisfy a natural craving in man. Such aim could be easily understood if the second reason for plurality is taken into account. The second reason

refers polygamy to a sexual factor inherent in the nature of both males and females. This factor necessitates the continuity of the sexual drive and the extension of the time limit of its functional ability. On the other hand it necessitates occasional absence of such drive in women. As a result women are apt to lose completely at certain intervals that drive. Such loss is often felt during the monthly periods, conception, confinement and delivery. It necessitates too that women's functional sexual ability extends a shorter period than it does in man. A woman's ability is naturally nulled when she comes to menopause. Menopause is almost arrived at by the age of sixty. Such failure to keep the drive any longer after menopause will leave the male efficient to perform the sexual indulgence with no response from the other sex a period that may extend between forty and fifty years. As such he will be liable to suffer either physically or morally or to suffer both physically and morally.

Some other researchers account for such plurality to be a result of a natural phenomenon which increases the birth rate of women while it lessens the birth rate of men. Such phenomenon has actuated nature to treat men so severely that the rate of death amongst them is higher than the rate of death amongst women.

the criterion of fair dealings amongst all creatures. Consequently such treatment will be dealt with in tow chapters :

- 1) Polygamy in the light of legislative texts.
- 2) Polygamy in the light of factual social cases.

Polygamy in the light of legislative texts

Plurality of wives is an old tradition.

There is no doubt that the Holy Qur'an has decided the legitimacy of the plurality of wives. This is seen plainly in the 3rd verse of the fourth Surah "An-Nisa" "Women".

"And if you fear that ye will not deal fairly by the orphans, marry of the women, who seem good to you, two or three or four ; and if ye fear that ye cannot do justice (to so many) then one (only) or the captives that your right hands possess. Thus it is more likely that ye will not do injustice ". and in the 129th verse of the same Surah. " ye wish not be able to deal equally between your wives, however much ye wish (to do so). But turn not altogether away (from one), leaving her as in suspense. If you do good and keep

from evil, lo ! God is ever Forgiving and Merciful ".

However Islam in instituting both marriage and the plurality of wives was not initiating something which had not been prevalent before its inception. In fact it was approving the natural cravings of man with certain moral modifications which it had felt necessary to impose to ensure a moderate standard for humanity and to save man from abnormality and depravity and to keep for the society the best elements of these natural cravings. Such was its method in dealing with all human relations and ways of life which society calls for.

Marriage has been a natural craving in man since the dawn of human race. Plurality of wives has been practised as well since the ancient times. It was widely spread and mentioned in many of the holy scriptures. History gives us so many examples of plurality as such mentioned in the history of Abraham, Jacob, David, Solomon and other prophets and Messengers of God.

History provides us with striking examples of plurality as such spread amongst the Arabs and the other nations. Europeans were not an exception in that. Plurality has been permitted since the early day up to the

THE PLURALITY OF WIVES "POLYGAMY"

by

His Eminence Shaykh Mahmoud Shaltout

Rector of Al-Azhar University

Part 1

The plurality of wives was one of the topics so maliciously exploited by the fanatic organs of the west that it excited a train of critical thoughts. Such attacks have even actuated groups of Muslims at successive periods to ask for a legislation to impose restrictions not enjoined by God upon such institution.

Such institution was weighed on different scales. It has been looked upon from two different angles: the angle of the legislative text and the angle of social cases. Such diversity of approach has led to controversial treatment.

Thus it is not strange to see that some thinkers have come to the conclusion that the ban of plurality is the criterion and that polygamy is a provision for urgent emergencies; while some others have come to the conclusion that the permission is the criterion and the ban is resorted to only when it is feared that the evil of practicing such institution outweighs the good.

On the other hand the social researchers have widely differed on such matter. Some have seen in polygamy a social crime which endangers both the status of the family and the nation. So they urge the necessity of enforcing the limitation of such provision. Others see in such an attitude a turn to the extreme in dealing with the problem and a judgement as such is based solely on grounds derived from studying abnormal cases which can not be looked upon as a sound basis for restricting a legislation which has proved beneficial in both social and moral spheres. Moreover the abuses of the abnormal cases can not be mentioned beside the countless advantages of such legislation.

In the light of such circumstances the problem has to be tackled. This indeed necessitates to review the Problem in details from both angles: the legislative and the social, and to weigh justly the justifications of both using the scales of justice prescribed in the holy Qur'an to be

fulfil His promise". No Sooner had the prophet finished his prayers than the word of God was revealed that victory would be assured and that paradise would be the abode of the martyrs who die in the battle. On hearing the news the Muslims gave themselves soul and mind to fulfil the deed and to gain the victory. They had nothing to ponder upon but the promised paradise. Thus they attached their enemies with hearts full of confidence and trust in God whereupon God put in the hearts of the unbelievers fear and distrust. As such the umbelievers were driven to meet their death.

When the battle was over the multitudes of the unbelievers were completely defeated and the great dam of idolatry was thus demolished under the pressure of the flood of the new spring rushing forth from the rocks of Badr and the illuminating light of true faith emanating from Yathrib dissipated the heavy clouds of darkness. Consequently the result of the battle proved the fulfillment of God's promise and the victory of three hundreds of believers over nearly a thousand of unbelievers which is obviously a heavenly miracle.

However the battle of Badr is not noticed and recorded in history because of its strategy, equipment and expenses for there are nothing compared with great battles recorded in history. In fact it was no more

than a fight between two quarters of one city. But its importance arises from the fact that its consequences had changed the march of history and influenced the future of the world. It had a great impact on the history of peace. It had been a decisive decree of fate which changed the attitude of the human race and enabled the Arabs to play their part and give their contribution to the advancement of science, preservation of civilization and the dissemination of the message of God.

The victory in such battle was not the result of arms and men but it was the result of truth and deep faith. True faith is always a strength bestowed by God in which Angels and heavenly spirits contribute. It is enforced by hope, love, altruism and idealism. It never cares for numbers nor fears arms. It never hesitates in face of danger.

By such true faith pushed by God into the hearts of true believers. He created strength out of weakness at Badr, Kadisieh and Yarmuk, a civilization and Prosperity which spread good and plenty all over the world out of the barrenness of the desert and disintegrity of the arabs. a state which regulated the world and reduced it to order by enforcing justice and religion which unite the souls by fostering mercy and sympathy.

and that their arms were better than theirs they became dead sure of victory.

On the 14th of Ramadan the war broke between the two armies. The Muslims though poor and scanty were only one third of the unbelievers army.

The unbelievers though numerous and rich were chosen from the best warriors of Quraysh. In such a stead Islam was passing a critical examination. The battle of Badr was the turning point in the history of humanity. Humanity had to be led either upon by Muhammed to the way of God and be guided to salvation or by Abu Sufian to the way of ignorance and be dragged into error and confusion to face their utter destruction. At Badr their stood on one side Muhammad and his followers defending the human civilization with its religions and all its aspects of progress. On the other side stood Abu Sufian representing the Barbarians with their idols and fancies. Humanity was then facing a decisive battle. It had to choose between a way leading to its happiness and a stumbling block hindering its progress and causing it to relapse into ignorance and confusion, between illuminating light and utter darkness and between submission to God and subjugation to Devil.

The result of such campaign between the forces of right and the hords of wrong was either the loss of human heritage and the eclipse of heavenly guidance or the revival of the good and the victory of the servans of God. To ensure the victory of good and to save the human civilization under such circumstances as afore mentioned a heavenly miracle was needed to support the few hundreds of Muslims against such a threat.

Muhammad, the messenger of God, faced the Qiblah (niche) and spent the night praying to God and begging Him for help against the deadly attack of the enemies saying "O' God. There is Quraish coming in all its pride to attack your messenger and to charge him with falsehood. O'God, give me the victory you had promised. O'God, If the unbelievers succeed in their attack and this group of believers perish, Islam will be abolishd forever and none will be left to pray for you on this earth".

Vehemently the prophet was calling on his Creator for help that he took no heed to his cloak which dropped down more than once to the ground. Abu Bakr who was standing behind picked the cloak and put it on the shoulders of the prophet saying unto him. "Take it easy ' messenger of God! Surely God will

17th OF RAMADAN

by

AHMED HASSAN EL-ZAYAT

Editor - in - Chief

Islam on immigrating from Mecca, the seat of ignorance, to Yathrib was still lacking support and strength. The Pioneers in embracing Islam, whether immigrants or the helpers, were subjected to brutal torments. The Almighty was trying their patience by the pains fallen upon their heads and by the temptations put in their way to find out the staunch supporters to the Islamic creed and the persistent preachers and heroic fighters ready to carry out and disseminate the cause of Islam.

Qurashites were inciting the other Arabian tribes against the pioneers of Islam. Jews were setting traps to pull their legs and the hypocrites were trying to betray them by servile flattery. But when God willed His religion to survive, His glory to dominate and His light to shine forever He ordered three hundred of his true servants to mount to the Valley of Badr. There they went riding successively on seventy gaunt camels armed with the Patience of

warriors to bear the paucity of material, supported by the enthusiasm of the true believer to overcome the lash of prestige and by the content of the ascetic to mitigate the challenge of poverty. In their march they were moving deep in the trance of mystics looking forward to meet one of the two groups which God had ordained them to meet; the commercial caravan or the hostile army, and ready to face either victory or martyrdom. Unfortunately Abu Sufian succeeded to escape with the rich caravan through the sea route. They were thus left to face the furious Meccans who were enraged against the attack waged against their creeds, wealth and authority. They were left with no other alternative but to fight the Meccans who had camped under the leadership of Abu Gahl at the remote end of the Valley. They were 950 warriors iron-clad and armed to their teeth. Their hearts were full of indignation against Muhammad and his followers. Seeing that their fighters outnumbered those of the Muslims

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة أجمع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

يشترك في التحرير
عبد الرحمن محمد العقاد
بدل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدربين والطلاب تخفيض خاص

الجزء الثاني — صفر سنة ١٣٨٠ هـ — يولييه سنة ١٩٦٠ م — المجلد الثاني والثلاثون

أسما الله العزيم

ليس بعد الدين وادع

بقلم : أحمد حسن الزيات

التقوى ، وهي استشعار الخوف من الله
طبيعة في الشعب الكادح غرسها فيه افتقاره
الدائم إليه ، واعتماده المطلق عليه ، ورجاؤه
المتصل فيه ؛ أما الملوك والسراة فهم خليقون
باستغنائهم عنه بطغيان الملك وسلطان المال
ألا يخشوه وألا يرجوه إلا إذا حملوا على
تقواه حملا منذ النشأة بآثرية الدينية
والثقافة الروحية والقدوة الحسنة . فإذا ولد
السرى أو الغنى في مهد غير نظيف ، ونشأ
في بيت غير شريف ، لا يجد أباً يصى ولا أما
تستغفر ولا مربياً يرشد ، شب على غرائز

البهيم : هوى من غير عقل ، وشهوة من غير
كبح ، وسطوة من غير ضمير ، وإذا مكن له
بحكم الوراثة أو بفعل الظروف أن ينحط
على عرش أمة ، ستره بالسلاح عن عيون
الشعب ثم استعان بغفلة الوعي القومى
على أن يجعل العرش فرشا والقصر ماخورا
والحكومة مطية والوطن ضيعة . ثم يتدفق
في الفجور ويستتر في الفساد لا يتقى الله لأن
الشیطان يعدده ويمنيه ، ولا يخشى الشعب لأن
الجيش يحرسه ويحميه ، حتى إذا انكشفت
الأغشية عن البصائر فتنبه الغافل وأحس

الفترة ، فوهى السند وانقطع المدد ؛ وقضى الله على هؤلاء الصغار بما أفسدوا وبددوا وعربدوا أن يكون كل منهم آخر فرع يذوى ويسقط من شجرته الملعونة .

* * *

أول الثلاثة وأكبرهم كان ملكا على مصر قبل يوم ٢٣ يوليو ، وكان آية من آيات إبليس فى الجرأة على دين الله وعلى حرم الناس ، بلغ من جرأته على الله أنه كان كما حدثنى أحد بطانته المقرئين إليه إذا اضطرتة رسوم الملك أن يشهد صلاة الجمعة خرج إليها من المضجع الحرام ، فصلالها من غير غسل ولا وضوء ، وأداها من غير فاتحة ولا تشهد . وكان يقول : إن أخوف ما أخافه أن يغلبنى الضحك وأنا أتابع الإمام فى هذه الحركات العجيبة . وبلغ من جرأته على الحرمات أنه كان يغتصب الزوجة ، ويقتل الزوج ، ويسرق الدولة ، ويسفك الحق ، ويأخذ الرشاً . ثم أملى له الغرور فتبجح وتوقع وطنى ، حتى إذا استنأس الشعب وظن أن الليل سرمد ، وأن الذل خلود ، أظهر الله المصلح المنتظر من بين رجال الجيش ؛ لأن العسكريين بحكم تنشئتهم أعجاب فداء ومضاء ، وإلاف نظام وعمل ، وأحلاف شرف ومجد ، يطلبون الحياة بالموت ، ويغسلون الرجس بالدم ، ويقرنون الرأى بالعزيمة فرأى هو ورفاقه من خلال الظلام السكيف

البليد وأدرك القطيع السائم المستغل أن فروته الملايين أقوى من عصا الراعى الفرد ، وأنه هو صاحب اللين والصوف ، ومالك المرعى والحظيرة ، انتفض الشعب المظلوم المسكظوم انتفاضة الأبي المريد فنفض عن جسده العلق الماص والدود السام ، وضرب ضربته القاضية فتدكدك العرش ؛ وتدرج التاج ، وتقوض القصر ، وعاد الطاغية الفاجر أصغر من أن ينظر ، وأحقق من أن يذكر ، وشيئا من القدر الملعون ، يجر على الأرض ، أو يوطأ بالقدم ، أو يقذف إلى الخارج ، والمزية الوحيدة لهذا الضرب من الملوك أنهم يظهرون حين يريد الله أن يبدل نظاما بنظام ، ويديل دولة من دولة ؛ لأنهم بفضل ما يجتمع لهم من ضروب الفساد ، وما يصدر عنهم من فحش الاستبداد ، يضغطون على مشاعر الشعب فينتبه ، ويلحون على أعصابه فيثور . من هؤلاء الغواة الضالين ثلاثة من الشبان الرقعاء وضعهم المستعمر المحتل على عروش أمهم بالكراهة منها ، ثم ظل يسندهم بياس الحديد . ويرفدهم بفيض الذهب ، ويسلطهم على الأخلاق يفسدونها بما لا يلىق ، وعلى الأرزاق يبددونها فيما لا يحل ، حتى قضى عبد الناصر على الاستثمار فى أكثر الشرق الأوسط ، فلم يبق إلا فى بعضه يتسلل إليه فى ثياب الخونة والعلماء ، كما تتسلل الجرائم إلى الأجساد على أرجل الذباب وأفواه الكلاب وقروح

الخيف عرش مصر يرتطم في الوحل ، وجيش مصر يضطرب في الفساد ، وشعب مصر يتعرج في الذل ، فشبوا شوب النار الهادئة تقتل المكروب ولا تحرق المريض ؛ وهبوا هبوب الريح اللينة تدفع الشراع ولا تفرق المركب ، وأخذوا ذلك الملك الماخن من قفاه الغليظ وألقوه في البحر ، ثم عاجلوا أمر هذه الأمة بعلاج الرسول الكريم ، فطمعوا الأوثان كما حطم ، وكرموا الإنسان كما كرم ، وأزالوا الفروق بين الناس كما أزال ، وأدالوا الفقير من الغنى كما أدال ، وقيدوا الحق بالواجب كما قيد ، وأيدوا الحجة بالسيف كما أيد ، ثم أذاقوا الناس لأول مرة في تاريخ مصر نعمة الحرية والكرامة والمساواة .

وثاني الثلاثة وأمرهم خليفة مزدك أو شاه إيران . نشأ نشأة فاروق ، فلم ييسر الرقابة دين ولا رعاية خلق ، ولم يهيا لولاية عهد ولا وراثته ملك ، وإنما أعجله كما أعجل حماء القديم الحكم الباكر عن تثقيف نفسه بالعلم وتهذيب غرائزه بالأدب ، فلم يتعلق من الحياة إلا بأسبابها المادية الوضيعة ، وجرى في حكمه لإيران على سياسة الخليع الوارث ، لا يعرف من أمور ضيعته إلا الخزانة يفرغ ما فيها من يوم إلى يوم في جيبيه ، أما كيف يستعمرها ويستثمرها فذلك شأن لا يعنيه ، لذلك لا

تسمع في إذاعة إيران ولا تقرأ في صحف العالم أن الشاه - اسم الله عليه - أنشأ مدرسة أو بنى مستشفى أو عبد طريقاً أو أقام جسراً أو أصلح فاسداً أو عمر خراباً ، وإنما تسمع كل مساء وتقرأ كل صباح خبراً جديداً عن زواج الشاه وطلاق الشاه وخطبة الشاه ، وعشق الشاه ، وعن رحلته المباركة إلى هوليد ، وجولته الموقفة إلى الريفييرا ، وسفرتة المربحة إلى لندن ، وزورته المريبة إلى الأردن ، أما الأمة الإيرانية والأمة العربية فلا تدخلان في دنياه لأن التخلف العاجز في أمته يخزيه ، ولأن التقدم المعجز في أمته يؤذيه ، وهو يحرص على أن تعيش طهران في الظلام لتعمى ، ويخشى أن تسطع في أفقها أضواء القاهرة فتبصر ، ولكن هيات أن تحجب الشمس بالكف ، أو يدفع السيل الآتي بالحواجز . إن ساعة الشاه آتية لا ريب فيها ، لقد تعدى حدود الله وتحدى إرادة شعبه . نصر الاستعمار وخذل الحرية ، وناوأ العربوبة ومالاً الصهيونية ، وخسرج على قرارات باندونج وإجماع المسلمين ، فاعترف لإسرائيل الأفاقة باغتصابها فلسطين العربية المسلبة ، وطردها مايونان من أهلها إلى العراء القفر ليعيشوا في المضارب والملاجئ عيش الحرمان والذل ، وهم ينظرون إلى ديارهم وأمواهم يعث فيها الواغل الدخيل ولا يملكون

من استقلال الأردن ، وما خان من أمانة فلسطين ، وما أوهن من وحدة العرب ، وما نبسح (في الهواء) على عبدالناصر ، ولكن الليالى الحمر لن تعصمه من الأيام السود حين تقبل ، والحرس البدوى الخافى لن ينقذه من براثن الشعب ساعة يغضب ، والأموال المهربة إلى أوروبا لن تفديه من المنون يوم نقول .

* * *

هؤلاء الفجار الثلاثة هم الأثافي الثلاث فى مطبخ الاستعمار . ركب عليهم قدوره الضخام وجعل فى بعضها الدسم وفى بعضها السم ، فتدسم قوم وتسم آخرون ، وبات الأبرار الأحرار على الطوى حتى نالوا بصبرهم وجهادهم كريم المأكل .

فأما نائلة الأثافي فقد أطاحتها ريح ثورتنا المباركة ؛ وأما الأثافيتان الأخريان فلا تزالان تحاولان حمل القدور وإشعال التنور وتوزيع الطعوم والأطعمة ، ولكنهما ظلتا باردتين على الرغم من الوقود الجزل بالجنيه والدولار ، وعماقريب تسحقهما أقدام الثوار فتذروهما الرياح مع الاستعمار . .

أهمر من الزيات

لأنفسهم ولا لها إلا الرجاء فى العرب والأمل فى أمثال هذا الفهلوى الذى يسمونه الشاه ، وهو أهون على الله من كراع شاه . والذى بعثه على كل هذه المخازى بعده عن الإسلام ، وحقده على العرب ، وكيده للوحدة ، وحرصه على بقاء الاستعمار ليأمن ثورة الأحرار وعودة مصدق ، ويضمن وفرة الدولار ومتعة العيش .

* * *

وثالث الثلاثة وأحقهم (عاهل) الأردن وحده وجاهل العالم كله ! أصغر تاج على أصغر عرش ، وألام ملك على أكرم شعب ، وأنجس لإنسان على أطهر أرض ! ولكن الاستعمار نفخ فيه فدوى كاطبل وصوت كالبوق ، وتوهم أنه بهذه النفخة الكذابة والظنطنة الفارغة يطاول الجمهورية العربية المتحدة ، ويصاول زعيم العروبة العملاق فطن طنين البعوضة ، ثم اشتد واحتد فثق نفيق الضفدع ، ولكنه لم يستطع أبدا أن يخور خوار الثور ، ولا أن يزار زير الأسد ، من أين ينفق (عاهل) الأردن على لياليه الحمر ، وعلى عشيقاته الشقر والسمر ؟ .

ومن أين يأتيه المال الذى يصبه صبا فى خزائن البنوك المأمونة ؛ ويشترى به الحرس الخاص من البدو الجياع ؟ من ثمن ما باع

الشورى في الإسلام

للإمام المسلمين الأستاذ الأكبر
الشيخ محمود شلتوت

أساس الترابط بين المسلمين :

لقد جعل الإسلام أساس الترابط بين المسلمين وحدة العقيدة ووحدة الاتجاه فلم ينظر إلى وحدة المكان أو وحدة الجنس أو إلى وحدة تلك الوحدات البشرية التي يحارب الناس بعضهم بعضاً من أجلها فقد قرر في وضوح وصراحة أن الأخوة أساسها الإيمان ودعا إلى الاعتصام بحبل الله ونهى عن التفرق : « إنما المؤمنون إخوة » ، « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » . وامتن عليهم بتأليف القلوب وإتقائهم من الوقوع في نار العداوة والبغضاء التي كادت تقضى عليهم : « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها » . إن هذه الأخوة الإسلامية ربطت بين قلوب المسلمين فأصبحوا أسرة واحدة كبرى وإن بعدت الدار ، أو اختلفت الأقطار يفرح المسلم لفرح أخيه ويحزن لحزنه ويمد إليه يد المعونة عند الحاجة ، يرشده إذا غوى ، ويهديه

بزغت شمس الإسلام وسطح نوره فتنبط الإنسان ، واندكت صروح الطغيان واطمأنت النفوس إلى دعوة الإخاء والمحبة والسلام . إذ كان المبدأ الأول من مبادئ الدين أن الناس جميعاً لهم رب واحد : هو الخالق والرازق وهو الذى بيده الأمر كله فلا خضوع إلا له ولا معبود إلا هو : « يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم » ، « وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم » . ثم كان مما قرره وأكد تقريره أن الناس لا يتفاوتون في أصلهم ولا يختلفون في نشأتهم ، بل إنهم متساوون في بدء الخلق ولم يجعلوا شعوباً وقبائل للفاضل والتافر ، ولكن للتعارف والتعاون : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » . فلم يفرق الدين بين فقير وغنى ، ولا بين جنس وجنس ، فالناس كلهم لآدم وآدم من تراب ، ولا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أبيض ، إلا بما يقدم من عمل صالح يراقب فيه ربه ويساعد به مجتمعه .

في يدها جميع سلطاتها ، فقد استخلفها الله في أرضه لعمارتها وإقامة أحكامه فيها .

وحيث إن هذه الجماعة الإسلامية لا تستطيع - مجتمعة - مباشرة سلطاتها كان من حقها أن تختار من ينوب عنها في مباشرة تلك السلطات - فرداً أو جماعة - وهذا الاختيار يجب أن يكون عن رضا وأن تراعى فيه المصلحة العامة ويظل تحت رقابتها لأنه وكيل عنها يخضع لما يخضع له الوكيل في سائر العقود من رقابة الأصيل الذي يرسم له كل تصرفاته وهذا ما يسمى بالبيعة ولا بد أن تكون على كتاب الله وسنة رسوله وصالح المؤمنين .

ومن هنا نرى أن المسلم له الحق في الإشراف على شئون المجتمع ومراقبة حكامه ؛ لأنه مسئول عن نفسه وعن الجماعة التي هو لبنة في صرحها : (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) . ثم الدولة الإسلامية لا بد أن تعمل على إسعاد الفرد ومساعدته ليعيش عيشة كريمة وتحفظ حياته وماله وحرية ؛ حتى يتمكن من أداء واجباته العامة فإن منعت الدولة حقوقه وحرمة حرته بلامبرر شرعي فلا طاعة لها عليه .

الشورى :

وإذا كان الحاكم وكيلاً عن الأمة ، ومن حقها أن تراقبه في تصرفاته الخاصة والعامة ، كان لزاماً عليه أن يستعين بذوى الرأى بمن

إذا ضل ، ويرحمه إذا ضعف ، ويعامله بما يجب أن يعامل به ، ويحفظه في ماله وعرضه وولده غائباً وحاضراً . وإن أروع مثل في سمو الأخوة الإسلامية موقف الأنصار مع المهاجرين عندهم إلى المدينة إذ آثرهم الأنصار على أنفسهم وسجل القرآن هذا الإيثار الكريم بقوله تعالى : **يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة .**

الشورى الإسلامية :

إن المجتمع الإسلامى يقوم على أسس قوية سليمة إذ يرتبط أفراداه ارتباطاً لا انفصام له باعترافهم بالله رب العالمين وبالأخوة في الإيمان وبوحدة الغاية في نشر الإسلام وبوحدة التكليف إذ لا اختيار ولا امتياز لأحد في هذه التكليف لا فرق في ذلك بين الرسول عليه السلام أو الخليفة وأصغر المؤمنين شأناً ، ثم يرتبطون بمسئولية عامة عن سلامة الدين وسلامة الفرد والجماعة .

ومن هنا خوطبوا جميعاً بتكليف الله إيجاباً وسلباً : **يا أيها الناس اعبدوا ربكم ، يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ، واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً .** وقد شمل هذا

الخطاب التكليف الفردية والجماعية فكان دليلاً على مسئولية الجماعة الإسلامية عن كل شئونها وإذا كانت كذلك وجب أن تكون

صلى الله عليه وسلم بمشاوره أصحابه فيما يطرأ من شئون ربطا للقلوب وتقريراً لما يجب أن يكون عليه المؤمنون من حسن التضامن فى سياسة الأمور ، وذلك فى قوله من سورة آل عمران : « وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله » ، وإن الرسول صلى الله عليه وسلم كان كثيراً ما يشاور أصحابه فيما لم ينزل عليه فيه الوحي ، وكان بعض الأحيان يعدل عن رأيه ويأخذ برأى الصحابة .

ومن بعد الرسول صلى الله عليه وسلم خلفاؤه رضوان الله عليهم ، فإنهم أخذوا بمبدأ الشورى لإيمانهم بأنها أصل فى إدارة الجماعة الإسلامية . وتحرى الحق الموافق للمصلحة من ألزم الواجبات على صاحب الأمر . وإن عمر كان يجمع كبار الصحابة لأخذ رأيهم بل كان يمنعهم من الخروج من المدينة لمكان حاجته إلى استشارتهم .

على أن الشورى لم يضع لها الإسلام نظاماً خاصاً وإنما هو النظام الفطرى وذلك لأنها من الشئون التى تتغير فيها وجهة النظر بتغير الأجيال والتقدم البشرى ؛ فلو وضع نظام خاص فى عهد الرسول لأصبح أصلاً لا يحيد عنه أحد وفى ذلك من الحرج والضيق ما فيه ، فالشورى من الأمور التى تركت نظمها دون تحديد ؛ رحمة بالناس غير نسيان توسعة عليهم وتمكينها لهم من اختيار ما يتاح للعقول وتدركه البشرية الناضجة .

تعرفهم الأمة بآثارهم وتمنحهم ثقتهم وتنبيههم عنها فى نظمها وتشريعها والهيمنة على حياتها وسياسة أمورها التى لم يرد فيها نص سماوى حاسم وهؤلاء هم « أهل الإجماع » الذين يكون اتفاقهم حجة يجب النزول عليها والعمل بمقتضاها مادام الشأن هو الشأن والمصلحة هى المصلحة ، فإذا تغير وجه المصلحة بتغير المقتضيات كانت عليهم أو على من يخلفهم إعادة النظر على ضوء ما حدث من أمور وحل الاتفاق اللاحق محل الاتفاق السابق .

ومعرفة رأى أولئك الذين اختارتهم الأمة والسير على هديه أصل من الأصول التى تقوم عليه الدولة الإسلامية وهو المسمى « بالشورى » ، ويعرفه الناس الآن بكلمة الديمقراطية : وهى أساس الحكم الصالح وهى السبيل إلى تبين الحق ومعرفة الآراء الناضجة وقد جعلها القرآن عنصراً من العناصر التى تقوم عليها الدولة الإسلامية ، وفى كتاب الله سورة عرفت باسم « سورة الشورى » ، لأنها تقرر أن الشورى عنصر من عناصر الشخصية الإيمانية الحققة . وحسن التضامن بالشورى ، والإنفاق فى سبيل الله سبيل الانتصار على البغى والعدوان وذلك كما فى قوله تعالى فى تلك السورة : « وأمرهم شورى بينهم وبما رزقناهم ينفقون » . والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون » . وقد أمر الله نبيه

ذات النظر والاجتهاد أو بما يترجح عن طريق الأغلبية أو قوة البرهان .

والشورى لا تؤتى ثمرتها ما لم تكن أمراً ثابتاً مقرباً مأموراً به كحق للأمة تأخذه ، وهو واجب عليها تأثم جميعها بتركه ، ولا بد من أثرها العملى فى الحكم وسياسة الجماعة . وإذن فالشورى التى تنسج خيوطها بكثرة العدد ، أو عن طريق الإغراء والإرهاب ، لا وزن لها عند الله . والشورى التى تجعل من الفرد مفسداً ، أو الفرد حاكماً بأمره فى الأمة ، لا وزن لها عند الله . والشورى التى لا تساعد المخلصين على إبداء آرائهم والكشف عن عبث العابثين وفساد المفسدين لا قيمة لها عند الله . والشورى التى يلبس فيها المنافقون مسوح الصدق والإخلاص ، ويكتمون عن الحاكم المخلص النصيحة الخالصة لا قيمة لها عند الله . ولقد طبق المسلمون الأولون مبدأ الشورى فى حياتهم وسادت الديمقراطية بينهم فكانت لهم العزة ولم يكن لعدوهم سلطان عليهم وحققوا وصف الله لهم فى قوله تعالى : محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً . وفق الله الخلف ليسيروا على منهج السلف . والله الموفق والمستعان .

محمد سلوت

شيخ الجامع الأزهر

والقرآن حين قرر مبدأ الشورى قضى على أكبر أعداء الإنسانية الفاضلة ومبيدها وهو : (الاستبداد بالحكم والرأى) وحقق للفرد وجوده الفكري ، وللجماعة حقها الطبيعي فى تدبير شئونها . على أن من مقومات الشورى الحرية التامة فى إبداء الرأى ما لم تمس أصلاً من أصول العقيدة أو العبادة .

وقد أورد القرآن المصادر التى يجب على المؤمنين اتساع الأحكام والنظم والأوامر الصادرة عنها فى قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، وليس أولو الأمر هم الأمراء والحكام فحسب كيفما كان شأنهم . وليس أولو الأمر أولئك المعروفين فى الفقه الإسلامى باسم (الفقهاء أو المجتهدين) فإنهم — مع تقديرنا لهم — لا تعدو معرفتهم ما تعمقوا دراسته من الفقه والعلوم المتصلة به ، وليست لهم صلة بأمور الحرب والسلم أو الزراعة والصناعة والإدارة والسياسة .

وإذا كانت جوانب الحياة متعددة ومطالبها مختلفة فإن لكل جانب رجالاً ولكل مطلب وسيلة التى يعرفها أهله ولذا يكون المقصود من قوله تعالى : وأولى الأمر ، هؤلاء الذين عركتهم الحياة وصقلتهم التجارب فأصبحت لهم خبرة خاصة متصلة بما يعملون وتكون طاعتهم هى الأخذ بما يتفقون عليه فى المسألة

أوزان الشَّعْرِ العَرَبِيِّ

للأستاذ عباس محمود العقاد

نشأت دعوة النظر في تعديل أوزان الشعر العربي والاستغناء عن القافية بعد اطلاع قراء العربية على تاريخ الأدب المقارن بين اللغات وابتداء حركة الترجمة من اللغات الأوروبية . عند منتصف القرن التاسع عشر . ففي تلك الفترة كثرت المقارنة بين موضوعات الشعر في لغات الغرب وموضوعاته في لغتنا العربية . وقيل : إن المسرحية الشعرية ومعها ملاحم الأبطال والأرباب قد ظهرت في اللغات الأوروبية القديمة والحديثة ولم تظهر عندنا قديماً أو حديثاً بسهولة النظم في تلك اللغات وصعوبة النظم في اللغة العربية مع التزام القافية وأوزان العروض . وقامت الدعوة - كما رأينا - على فكرة متعجلة خاطئة ؛ لأن الاختلاف بين منظوماتهم ومنظوماتنا إنما جاء من اختلاف الأحوال الاجتماعية والنفسية ولم يجر من اختلاف أوزان العروض . وإنما المألوف أن يتولد الشعر على حسب الحاجة إليه من دواعي التقاليد والعادات وأصول العبادة والعلاقات بين الناس . وليس المألوف أن تنتظر الأُمم حتى يتيسر لشعرائها النظم على الأوزان التي يستطيعونها ثم تبني شعائرها وعباداتها على تلك المنظومات . وقد كانت

المسرحية الشعرية وليدة الشعائر المقدسة في مراسم الهياكل كما يؤخذ من اسم «التراجيدي» الذي اشتقوه من كلمتين وهما كلمة تراجوس Tragos بمعنى المعزة وكلمة (أود) Ode بمعنى الأنشودة ؛ لأنهم كانوا يحيون مراسم التمثيل في الهيكل بعد التضحية بمعزة ينحرونها تقرباً إلى الأرباب واستنزالاً للوحى والنبوءة على أسنة الكهان .

ولو كانت للعرب شعائر تمثيلية كهذه الشعائر لوجدت عندهم المسرحية الشعرية بقافية أو بغير قافية ، أو وجدت مسجوعة تارة ومرسلة تارة أخرى على وتيرة واحدة يرددها الكهان وأصحاب القرايين . ومن المحقق - كذلك - أن المسرحية الشعرية لم تكن لتوجد في الغرب على صورتها الأولى أو على صورها الحديثة لو لم يتطلبها العرف الديني ولم يألفها جمهرة الناس في مراسم العبادة ، ولو كان نظمها من أسهل المطالب الفنية خلوا من كل قاعدة مرعية في أشعار الأُمم بل في كلامها المنشور .

على أن خطأ الدعوة إلى الاستغناء عن القافية وتعديل أوزان العروض ظاهر لمن يكلف نفسه قليلاً من البحث في حقيقة الصعوبة التي يتوهمونها للأوزان العربية ويحسبونها حائلاً

لامتلات بها المجلدات وظهر أنها جميعها أو أكثرها من نظم النائحات الجاهلات فى القرى الريفية التى لا تتلقى أناشيدها من معلمى الآداب أو أساتذة العروض .

وقد نظمت المسرحيات وترجمت الإلياذة وغيرها من أشعار الملاحم فأتسع لها الشعر العربى بعروضه وقوافيه ، لم يكن نقص الترجمة — حيث يوجد النقص — راجعا إلى عيب فى أوزاننا وقواعد عروضنا كما توهم المتعجلون من نقاد هذه الأوزان والقواعد ولكنه كان شديدا بالنقص الذى يعرض للشعر المترجم من لغة إلى لغة ولو ترجم من اليونانية إلى الإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية ، وكلها تجرى على قواعد متشابهة فى الأوزان . وفى الاستغناء عن القافية أو التزامها حيث يلتزمونها من أناشيد الرقص والغناء .

والثابت من تجربة الناظرين فى تعديل الأوزان منذ ستين سنة أن إلغاء القافية كل الإلغاء يفسد الشعر العربى ولا تدعو إليه الحاجة ؛ وهى تجربة أشرك فيها ثلاثة من أعلام الأدب العربى الحديث فى القاهرة وبغداد والإسكندرية وهم . توفيق البكرى وجميل صدق الزهاوى وعبد الرحمن شكرى وهم من أقدر أدباء عصرهم على الموازنة بين محاسن النظم فى اللغة العربية وبعض

دون الشاعر وما يختاره من موضوعات النظم ، على اختلافها بين آدابنا وآداب الأمم الغربية . فإن أوزان العروض العربية على إحكامها وإتقانها سهلة الأداء قابلة للتوسع والتنويع إلى الغاية المطلوبة فى كل موضوع يتناولها الشعراء . وتبين هذه السهولة من مراجعة التاريخ كما تبين من مراجعة التطور الأدبى فى العصر الحديث منذ أواخر القرن التاسع عشر إلى أواسط هذا القرن العشرين .

فقد اختار شعراء اللغات الفارسية والعبرية والأوردية أن ينظموا بلغاتهم فى أوزان العروض العربية وفضلوها على أوزانهم القديمة ؛ لأنها أسهل منها وأجل فى موقعها من الأسماع والنفوس .

وقد رأينا أن شعراء العامة لم يتعذر عليهم أن ينظموا الملاحم أو يتخللوا بالقصائد الموزونة المقفاة فى القصص المطولة من قبيل قصص الزير سالم والغزوات الهلالية وأخبار النبى أيوب عليه السلام وحكايات البطولة والغرام فى اللهجات الدارجة ، وكلها تنظم فى بحور العروض وتلتزم فيها القافية ، ويقدر عليها شعراء أميون لم يدرسوا الأدب ولم يتعلموا وزن الشعر ولم يرجعوا فى منظوماتهم وموضوعاتهم إلى غير السليقة والسماع .

ولو جمعت أناشيد الأعراس والمآتم التى تنظم على الوزن وتلتزم فيها القافية

أما في بني الأرض العريضة قادر
 يخفف ويلات الحياة قليلا
 أفى الحق أن البعض يشبع بطنه
 وأن بطون الأكثرين تجوع
 ولكنه أراد أن يرى ذمته ويكل الأمر
 إلى حكم التاريخ فأبقى هذه التجربة تمضى في
 طريقها حيث يستقر بها قرارها وقال في مقدمة
 الديوان : « ولا أرى مانعا من تغيير القافية
 بعد كل بضعة أبيات من القصيدة عند الانتقال
 من فصل إلى آخر ، كما فعلت في عدة قصائد ،
 لا دفعا للملل السامع من سماع القافية الواحدة
 في كل بيت كما يدعى بعضهم . فتلك حجة من
 يعجز عن إجابتها وإلا للمل الناظر وجوه
 الناس لوجود أنف بارز في وسط كل وجه ،
 بل لإراحة للشاعر من كد الذهن لوجدانها ،
 فإن الإتيان بها متمكنة ليس في قدرة كل
 شاعر . وأجيز للشاعر أن ينظم على أى وزن
 شاء ، سواء كان من أوزان الخليل أو غيره .
 وهذه وجهة نظر أخرى لعلاج هذه
 الصعوبة ، وهى وجهة نظر الشاعر الذى
 يرى أنه يتورط في اختيار القوافي القلقة إذا
 أطال النظم على قافية واحدة ، ويرى أن
 يخرج من هذه الورطة بالوقوف عند الحد
 الذى تنتهى عنده قدرته على القافية المتمكنة
 والاحتياط على ذلك بتغيير القافية من فصل
 إلى فصل في القصيدة الواحدة ، ولا ضرورة
 عنده لإلغاء القافية كل الإلغاء ولا لإطلاق

اللغات الشرقية والغربية . ومنهم من كان
 يقرأ الشعر بالتركية والفارسية عدا ما يعده
 من أشعار الإفرنج المحدثين والأقدمين .
 تناول الشارحان لكتاب صهاريج اللؤلؤ
 موضوع القافية العربية وصعوبتها . وهما :
 الأستاذ أمين الشنقيطى ، وأبو بكر المنفلوطى
 فقالا في التمهيد لقصيدة ذات القوافي :
 « أما العرب فقد جعلوا القافية واحدة
 فأصبحت الإجادة في الشعر عندهم أو البلوغ
 به إلى التعبير عن المقاصد المختلفة من أصعب
 الأمور ... وللعرب نوع من نظم الشعر يشابه
 ما قلناه عن شعر العجم وهو النوع المسمى
 بالمسمط ... وهو ما قفى أربع بيوت وسمط
 في قافية مخالفة ... والرجز أيضا من هذا
 القبيل . وقد أراد المؤلف - حفظه - الله بهذه
 القصيدة التى أسماها بذات القوافي إيجاد مثال
 للشعر المتعدد القوافي فى العربية وفك هذا
 القيد الشديد المانع للشعر من الارتقاء .
 وهذا رأى أديب يجارى القائمين بصعوبة
 القافية العربية على رأيهم ويذل هذه الصعوبة
 بتعديد القافية فى القصيدة الواحدة .
 أما جميل صدقى الزهاوى فقد عالج النظم
 بغير قافية وترك لنا قصائد مطلقة ولكنها
 على أوزان العروض ، كقوله فى واحدة منها :
 يعيش رخي العيش عشر من الورى
 وتسعة أعشار الأنام منكيد

وخلصة التجارب الواقعية - في الزمنين القديم والحديث - أن القافية لم تكن سبباً لاختفاء المسرحية الشعرية من الأدب العربي القديم ، ولم تحل في الزمن الحديث دون ترجمة الملاحم أو وضع الروايات المسرحية في شتى الموضوعات من حوادث الحاضر أو حوادث التاريخ ، وأن كل صعوبة تعزى إلى القافية العربية لم تكن لتعجز العامة الجاهلاء عن نظم الملاحم والقصص ونظم الأمثال والعبر على الأسلوب الذي يتداولها جبهة الأميين ، فضلا عن الشعراء والدارسين .

فإذا تجددت الدعوة إلى النظر في القوافي والأعارض فالذين يطلبون إلغائها يثبتون بذلك عجزهم عن مزاولة النظم الذي يستطيعه العامة والاميون ، ولا خير للأدب العربية في عمل فني يتصدى له من لا يقدر على عمله ومن لم يخلفوا له ومن ليس عندهم فيه استعداد فطري يضارع استعداد شعراء الرابة وناظمي القصص الهلالية وما إليها .

فإن لم يكن طالب القضاء على فن العروض العربي عاجزاً هذا العجز المعيب في مقاصده الفنية فهو طالب هدم صريح لغرض غير صريح ولكنه كذلك غير مجهول ، لأنه يلحق في هذا العصر بمن يهدمون كل تراث ويقتلون كل أساس ولا يقنعون بشيء دون فوضى الآداب والعقائد والأخلاق ؟

عباس محمود العقاد

الشعر من أوزان العروض ، وإن جاز عنده أن ينظم على غير الأوزان التي أحصاها الخليل . أما عبد الرحمن شكري فمن أمثلة شعره المرسل قوله :

خليلي والإخاء إلى صفاء
إذا لم يغذيه الشوق الصحيح
يقولون الصحاب ثمار صدق
وقد تبلى المرارة في الثمار
شكوت إلى الزمان بنى إخائي
فجاء بك الزمان كما أريد
ومن أمثلته قوله في نظم القصيدة من قصيدة نابليون والساحر المصري :

خرج العظيم يخط في ترب العرا
خط المدلس في تراب الطالع
يمشي وحيداً في الخلاء وحوله
جيش من الآراء والعزمات
إلى آخر القصيدة التي ينفرد فيها كل بيت بقافية ، ولا يخفى على ناظمها موضع الضعف فيها من الوجهة الموسيقية - وهي قوام فن الشعر - ولكنه كان يعتقد أن مصير الحكم في ذلك لألفة السماع ، ويترك الحكم الأخير لصقل الأسماع كما قال أبو العلاء ، ثم يقرن هذا التصرف المطلق في القافية بالتصرف المحدود في الرباعيات والمزدوجات ، أو المقطوعات من فصول متعددة تتغير قافيتها بعد عشرة أبيات أو اثني عشر بيتاً ، أو ما شاء الشاعر من تقسيم الفصول على حسب الأبيات .

الاستعمار في الشرق الأوسط

للأستاذ الدكتور محمد البهتي

١ - الاستعمار في الشرق الأوسط له صور مختلفة ، وإن كانت غايته واحدة : هي تفتيت الوحدة في كل شعب ، أو خلق نزاع أساسي بين شعب وآخر . وهو وإن ظهر سافراً منذ بداية القرن التاسع عشر إلا أن محاولات تركيزه في منطقة الشرق الأوسط كانت جدية ومتكررة في القرن السابق على القرن الذي ظهر فيه ظهوراً واضحاً ، وهو القرن السابع عشر .

وأولى صور هذا الاستعمار تتمثل في رأس المال وسيطرته عن طريق إقامة الشركات ، أو طريق التجارة ، أو طريق القروض . فإذا استقر رأس المال الأجنبي في بلد من بلدان الشرق الأوسط صحب استقراره هذا نفوذ سياسي وتدخل في شئون الحكم ، ثم تبسّع هذا وذاك احتلال عسكري . والاحتلال العسكري للهند سنة ١٨٥٦ ، وكذلك الاحتلال العسكري الآخر لمصر سنة ١٨٨٢ ، سبقته هنا وهناك سيطرة رأس المال الأجنبي ، وتدخل سياسي ، ونفوذ في توجيه الحكم من قبل أصحاب رأس المال .

الاستعمار في التوجية :

هذا النوع يصل به المستعمر إلى مقومات الشعب وتراثه الفكري والروحي . يصل به إلى تاريخه وإلى لغته . يصل به إلى امتداد في الماضي ، وإلى أسسه التي يقوم عليها مجتمعه . فيضعف صلة الأجيال القادمة بما

من أفرادها أن الدول الصناعية الكبرى متفوقة في الإنسانية لتفوقها في الحضارة الصناعية. ولذلك تسعى من جانبها إلى أن تقبل قيمها ومثلها في الحياة، أو على الأقل - إن لم تسع إلى ذلك - فهي على استعداد لتقبل وليس هناك من عامل مفر يدفعها إلى تقبل

ذلك سوى تلك الفجوة في مستوى الحضارة الصناعية بين الفريقين. فبين الشعوب الإفريقية والآسيوية أفراد كثيرون يتأثرون مرة بالحضارة الأمريكية فيقبلون على قيم الحياة الإنسانية فيها، ويتأثرون مرة ثانية بالصناعة الروسية فيقبلون على قيم الحياة الإنسانية فيها. وهم لم يقبلوا على هذه أو تلك لأنهم أدركوها إدراكاً واضحاً، وإنما وقعوا تحت التأثير بالحضارة الصناعية هنا أو هناك؛ إذ لو أنهم تريثوا قليلاً، وخصوا قيم الحياة في النطاق الغربي، أو النطاق الشرقي، لخرجوا حتماً بهذه النتيجة، وهي: أنه لا يلزم من ارتفاع مستوى الحضارة الصناعية ارتفاع القيم الإنسانية. فالقيم الإنسانية تتبع تهذيب الإنسان وسلوكه الخلقي في علاقته بإنسان آخر، وفي ارتباطه به ارتباط المتعاون، أو المتآخي، أو المحب. بينما ارتفاع مستوى الحضارة الصناعية يرجع إلى الآلة ودقتها، وإلى الإنتاج الصناعي وسعته. نعم، وراء الآلة، ووراء سعة الإنتاج تدير عقل، ولكن

كان لآبائنا من تراث، ومن قيم، ومن أسس في بناء مجتمعاتهم، وبما لها من فن ولغة. حتى تنسى هذا الماضي وتلك القيم. وكثيراً ما نتجمل من الانتساب إلى ماضيها، أو نتحدث عن قيمها، أو التكلّم بلغتها، فضلاعن أن تعنى بذلك كله.

هنا، يرغب المستعمر فيما له من وضع اجتماعي، وأسلوب في الحياة، وطريقة في التفكير. كما يرغب في لغته وآدابه وفنه. وبما أنه توجد عادة فجوة بين الدول المستعمرة والشعوب التي تستعمرها في المستوى الاقتصادي للحياة، وفي مستوى المعيشة للأفراد - يتخذ المستعمر من هذه الفجوة دليلاً على ارتفاع قيمته في الإنسانية من جانب، وعلى خفض قيمة الإنسانية للشعوب المستعمرة من جانب آخر. وبذلك يخلق في نفوس الشعوب المستعمرة ميلاً إلى التقليد، ورغبة في التخلص من وضعها القائم. وهذا بدوره يرتبط في نفوس هذه الشعوب المستعمرة بماضيها، وبما كان لها فيه من تراث وقيم. فإن نظرت إلى هذا الماضي نظرت إليه نظرة استخفاف، أو نظرت إليه على أنه كان سبب تخلفها عن مستوى حياة المستعمر، ومستوى معيشته. ومثل ذلك ما يحدث اليوم من تأثير الدول الصناعية الكبرى على الشعوب المتخلفة في الصناعة، فهذه الشعوب المتخلفة يعتقد كثير

من الماضي والنظر إليه . والطائفة الرجعية هي التي تقف عند الماضي فلا تفرط فيه . والطائفة المتطورة هي التي تصوغ من نفسها صورة تلائم بها وضعها مع ما يدعو إليه الجديد ، وتدفع إليه عوامل الإغراء .

وإذا انقسم الشعب المستعمر على هذا النحو إلى طائفتين وشيعتين ، تحقق بهذا الانقسام مجال للكساح بين طائفتيه ، إحداهما ضد الأخرى . وهنا يبدأ المستعمر في نصرة طائفة على أخرى توسيعا للفجوة بينهما ، ودفعاً إلى استمرار الكساح الطائفي . فيقرب طائفة ويبعد أخرى . وهو إذ يقرب طائفة يقرب بها على أساس أنها هي التي يعتمد عليها في تنفيذ سياسته الاستعمارية . وإذا يبعد أخرى يبعدها على أساس أنها لا تصلح للحياة الجديدة المستحدثة .

وبقدر ما يدعو المستعمر - ويحدد صدى لدعوته بين الطائفة التي يعتمد عليها - إلى لغته ، بقدر ما تهجر هذه الطائفة لغتها الموروثة ، وتعتمد في حياتها إما على تلك اللغة الجديدة ، أو على لهجة متخلقة عن لغتها القديمة . وهذا بدوره يؤدي من جانب آخر إلى إضعاف الصلة بين الأجيال التي تنشأ وتنمو في ظل الاستعمار ، وبين اللغة الموروثة ، بحيث تفقد هذه اللغة خصيصتها من كونها منفذا يطل منه الجيل الناشئ على ماضيه ، لأنها لم تعد وسيلة

ليس بل لازم أن يكون وراءه إيمان قلب بمحبة لإنسان آخر ، وليس بل لازم كذلك أن يكون وراءه سلوك مهذب . وهو السلوك الذي لا تغطي عليه الأنانية وحب الذات .

وعادة الشعوب في تأثرها بإغراء الغير ، وبدفعها من طريق غير مباشر إلى ترك ماضيها وإهماله والانتقال إلى حديث جديد عليها - أن أفرادها لا يتأثرون بدرجة واحدة بهذا الإغراء والدفع . بل فيهم من ينزع إلى قبول الإغراء ، ويتحرك في غير احتياط في اتجاه الدفع . وفيهم في مقابل ذلك من يبطئ في القبول أو الحركة ، أو يجمد بحيث تبدو معارضته للإغراء ، ويبدو عدم تأثره في الدفع .

وإذا كان هذا من عادة الشعوب ، وإذا كان هذا قانوناً لا تتخلف عنه جماعة إنسانية . فإن الشعوب التي تستعمر في صلتها بإغراء المستعمر إياها على ترك ماضيها وقبول جديدها لا تبقى على وحدة فيما بين أفرادها . بل تصبح شيعاً وطوائف : شيعة للقديم ، وأخرى للجديد . طائفة رجعية ، وأخرى متطورة . وشيعة القديم هي التي تمسك بالتراث الماضي وبقيمه ، وبلغة المجتمع الذي تعيش فيه . وشيعة الحديث هي التي تسعى أو تسرع إلى قبول الإغراء بالجديد . وبقدر ما تسرع إلى قبول الإغراء بالجديد ، بقدر ما تنفر

وبين العرب والكرد . وكذا في شمال إفريقيا
وبين السنينة والأباضية في ليبيا ، وبين العرب
والبربر في المغرب والجزائر ، وكذلك الأمر
في السودان بين المهديّة والحتمية ، وبين
الشمال والجنوب .

فإذا أدرك المستعمر أن الشعوب التي يحتلها
تتقسط لعوامل الفرقة هذه ، وتيقظت
لأساليبه في بعث العصبيات المختلفة ، وعملت
على إضعافها أو تلاشيها بقوة الوعي إلى
الروابط التي تربطها ، كرابطة القومية العربية
في محيط الشعب العربي ، أو رابطة الدعوة
إلى الإسلام كأساس للحياة كما في باكستان -
أوجد المستعمر من المشاكل ما يستنفد
قسماً كبيراً من النشاط السياسي والاقتصادي ،
وما يشكل خطراً على كيان الشعب الذي
حاول أن يدفع بالاستعمار إلى ما وراء
حدوده . كما نراه هنا في منطقتنا العربية
قد أوجد مشكلة إسرائيل ، وفي منطقة آسيا
الوسطى قد أوجد مشكلة كشمير .

فإسرائيل لم توجد لتكون أمة ودولة ،
ولنما لتكون مصدر تهديد دائم للعرب إذا
ما سعوا إلى رفع وصاية الغرب
والتخلص من نفوذه السياسي والاقتصادي .
لأن مصلحة اليهود أنفسهم - وهي مصلحة
مادية تتمثل في استغلال رؤوس الأموال -
تدعوهم إلى أن يعيشوا متفرقين في أمم عديدة

صالحة له . إذ صلاحية أية وسيلة بالنسبة
لإنسان ما ، هي إمكانه أن
ينتفع بها .

ولا يقف المستعمر عند هذا الوضع من
تفتت الشعب الذي يستعمره إلى طائفتي
القديم والجديد ، وعند هذا الحد في خلقه
مجال السكفاح بينهما ، ودفعهما إلى الاستمرار
فيه - بل يفتش عن أسباب أخرى تزيد في
الانقسام والتفتت : يفتش عن المذاهب التي
يتمذهب بها الشعب في العقيدة ، ويفتش عن
الأصول التي يرجع وينتسب إليها ، ويفتش
عن الحضارات المتعاقبة التي تعاقبت عليه ،
ثم يحيي ويذكى الميل إلى العصبية المذهبية ،
والعصبية الشعبوية ، والعصبية الحضارية .
ولذا نراه في الإقليم الجنوبي - بجانب ما كان
يشجع من استخدام العامية ، والاستخفاف
بالفصحى ، وبجانب ما كان يمجّد من شأن
التعليم المدني ، ويسخر من شأن تعليم الأزهر -
كان يعمل على بعث العصبية الفرعونية والغض
من الميل إلى العربية . وفي الإقليم الشمالي
لم يهدأ في العمل على بعث العصبية الاشتورية ،
بجانب إذكائها بين الطوائف الإسلامية وبينها
جميعاً وبين الطوائف الأخرى .

وعلى هذا النحو كان يثير الفرقة على أساس
مذهبي وشعوبي في العراق : بين السنة والشيعة

وإلى ما فيه من أجداد وبطولات ، وإلى تفكير العرب في تاريخهم الطويل الذي تعبر عنه أوضح تعبير لغتهم الفصحى ، وإلى تلك القيم الخالدة ، وهى القيم الروحية التى تعبر عنها رسالة السماء ، وأن هذا الأثر لدور القومية العربية ليس أثراً هيناً . إنه أثر أحياء أمة ، وبعث شعباً غير متقطع الأوصال ولا مفرق الهدف ، إنه أثر ربط أجزاء الوطن العربى ، ومحا معالم الفرقة فيه ، والفواصل المفتعلة التى صنعها المستعمر فى أحقاب طويلة من التاريخ .

ولذا فالقومية العربية بالنسبة لنا ، كما هى حركة بعث وإحياء ، هى عامل فى وصل حاضرنا بماضينا ، وفى تمييز شخصيتنا عن شخصية غيرنا إن منطق القومية العربية هو أننا عرب ولسنا طوائف ولا شعبا وأنتا عرب فحسب ، ولسنا عرب مشرق ولا عرب مغرب ، وأن وطننا هو من المحيط إلى الخليج ، لا حدود فيه إلا بمقدار ما بين إقليم وإقليم ، ورقعة وأخرى .

إن القومية العربية بقدر ما هى مصدر إحياء وبعث وربط واتصال . هى تحديد لاتجاه التفكير ، ولأهداف المجتمع ، إذا فكرنا فنفكر على أساس من الإيمان بماضينا أو الإيمان بوجودنا فى حاضرنا ، وإذا سعينا فى مجتمعنا فإنما نسعى لتحقيق قيمنا التى ارتضيناها ، والتى تنبعث من تاريخنا ، وهى أن نكون

كى يتمكنوا من استغلال رءوس أموالهم فى القطاعات المختلفة فى تلك الأمم . وليس لليهود مصالح أخرى وراء استغلال رأس المال ، وأيسر الوسائل لاستغلال رءوس الأموال هو عدم تركيزها فى رقعة ضيقة من الأرض ، وعدم حبسها فى خدمة بضعة ملايين . وتاريخ اليهود ، والخصائص النفسية التى تسيطر على طبائعهم ، تعلن فى غير لبس أنهم لا يهتمون بسيادة الدولة ، وبما لها من قوة وكيان ، بقدر ما يهتمون بربا المال وهو الحصول على ربح كثير لقاء مجهود قليل غير شاق .

ولكن الاستعمار هو الذى أراد لإسرائيل دولة ، ويشجع على بقائها كما شجع على قيامها ؛ كى يتخذ منها مصدر تخويف للعرب كلما خالفوا نصحه ، ولم يتبعوا مشورته .

دور القومية العربية :

وهنا ندرك دور القومية العربية ، وندرك أن أول أثر لهذا الدور ، هو أنها نقلت نشاط العرب من مجالات الطائفية المذهبية والشعوبية ، ومن نطاق العصبية لأدوار الحضارات المختلفة ، إلى المقومات التى تكون المجتمع العربى ، وتجعل منه شخصية متميزة عن شخصيات المجتمعات الأخرى ، نقلت هذا النشاط إلى تاريخ العرب أنفسهم كأمة ،

إلى الإسهام في تحقيق الإنسانية والعمل من أجل الأخوة البشرية .

والقومية العربية إذن مذهب فلسفي وليس لوناً من ألوان النشاط السياسي المؤقت . هي مذهب تفكير واتجاه سلوكي في الوقت نفسه .

وكما اشتد الوعي بهذا المذهب الفلسفي وتحول إلى إيمان تصدر عنه في تصرفاتنا وسلوكنا وتوجيهنا في يسر — كلما كانت مقاومتنا للاستعمار في أية صورة أقوى وأبقى .

ومن هنا ندرك أن صلة القومية العربية بالاستعمار ليست صلة الحليف للحليف وإنما هي صلة المقاوم لاعتداء المعتدى وصلة الدافع لظلم المستغل .

إنه لم يزل في مجتمعاتنا وفي حياتنا بعض الرواسب التي خلفها الاستعمار والتي تعد أثراً من آثاره وقد كانت يوماً ما غاية من غاياته .

وكما اقتربت النفوس وتآخت ، وكما صح التعبير باللغة الفصحى ، وكما ازداد القلب إيماناً بقيمتنا الروحية ومثلنا العليا في الحياة ،

كلما خفت هذه الرواسب حتى تتلاشى . وبذلك لا يكون هناك استعمار وإنما يكون هناك استقلال . وليس هذا الاستقلال انفصالية عن البشرية ، وإنما هو فقط حفظ لكيان المجتمع ووجود الأفراد في غير مهانة

ولا مذلة وفي غير ظلم ولا استغلال .

المركنور محمد البرهسي

المدير العام للثقافة الإسلامية

أمة متماسكة متعاونة ، تحب السلام وتكره الضيم والاعتداء .

وهي أن نكون أمة يختلف أفرادها في الرأي ولكن تتحد في أن تظل أمة عربية ذات سيادة ، وذات مثل وقيم .

ونحن إذا أخذنا عن غيرنا في تفكيرنا ، أو في حضارتنا ، أو في أسلوب حياتنا ، فإنما نأخذ ما يعيننا على إنماء ما لنا من تفكير وحضارة وأسلوب ، لا ما يبعدنا عما هو لنا في ذلك كله .

القومية العربية إذن ، هي الإطار الذي يدور فيه نشاطنا في كل جانب من جوانب النشاط . هي ليست عاملاً من عوامل اليقظة لوجودنا وكياننا فحسب . بل بالإضافة لذلك هي عامل في تحديد واجباتنا نحو مجتمعاتنا وحقوقنا فيه ، وعلاقتنا بغيرنا .

إن القومية العربية ليست دعوة شعبية تميز الشعب العربي عن غيره وتجعل له من المزايا ما يستغل بها على شعب آخر .

ولكنها دعوة للاحتفاظ بمقامات الأمة وخصائصها في مقابل المجتمعات والشعوب الأخرى ، حتى لا تنع ولا تذوب في أمة

أو في شعب آخر ؛ لأنها دعوة إلى الاحتفاظ بمقامات أمة تحمل في ثناياها الاحتفاظ بالاستقلال في غير قطيعة للشعوب الأخرى ، والعناية بأجدادنا

في غير زهو وفي غير استخفاف بأجداد الآخرين وما يميزون به في تاريخهم مما يرجع

الكرامة والعزة في القرآن الكريم

للأستاذ محمد محمد المدني

- ٣ -

فليعمل على أن يكون (معطيا) أى نافعا باذلا يشعر منه المجتمع بالانتفاع وبأنه ذو قيمة فعالة مؤثرة ، وليس فقط آخذا منتفعا عالة .

وهذا يقتضى أن يعمل الإنسان على أن يكون غنيا ليستطيع أن يكون (معطيا) للبال ، وعلى أن يكون عالما ليستطيع أن يكون (معطيا) للعلم ، وعلى أن يكون قويا ليستطيع أن يعطي من قوته وجهده ، وهكذا يريد القرآن من المؤمن أن يكون قوة فعالة مؤثرة ، لا مجرد شيء قابل متقبل منكش منتظر ذليل ، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا المعنى (اليد العليا خير من اليد السفلى) فقد أثبت ليد المعطى - أى النافع الباذل - أيا كان نفعه وبذله - علواً وخيرية ، وجعل اليد الآخذة أدنى حالا ، وأقل منزلة ، وتلك هى لبنات العزة الإسلامية .

(٢) والافتاء : وقد ذكرنا معناه وأنه خلق المراقبة ، والضمير الحى ، فلا نعيد القول فيه .

نستمر في عرض الآيات التى بدأنا الحديث عنها فى العدد السابق ، شارحين أهدافها وما توحى به :

هـ - « والليل إذا يغشى . والنهار إذا تجلى وما خلق الذكر والأثى . إن سعيكم لشتى . فأما من أعطى واتقى . وصدق بالحسنى . فسنيسره لليسرى . وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى . فسنيسره للعسرى . » .

قسم ومقسم عليه ، والذى يهنا الآن هو المقسم عليه ، فالله سبحانه وتعالى يرشدنا إلى أن النجاح فى الحياة وتيسير الناس فيها لليسرى ، أى للحياة الطيبة المتيسرة السعيدة العزيرة ، مرتبط بأسباب هى :

(١) الإعطاء ، أى أن يكون الإنسان معطيا ، واللفظ مطلق فلا يصح أن يقصر على إعطاء المال أو الصدقات ، ولكنه إعطاء لكل ما تستطيع أن تعطيه من مال أو علم أو جهد أو إرشاد أو حب ، فالذى يريد أن تيسر له حياته فى دنياه وآخرته

حقا ، وربما ظن كثير من الناس أيضا أن التيسير والتعسير والإعزاز والإذلال والإغناء والإفقار ، كلها بقضاء وقدر على معنى أنها حظوظ وقسم ، فقد ينجح المقصر ، ويسقط المجتهد ، ويرزق الكسول ويحرم الناشط ، إلى غير ذلك ... نعم إن كل شيء بقضاء وقدر ، ولكن ليس معنى هذا أنه لاسن للكون ، وليس معنى هذا أن القدرة الإلهية ترتجل ما تفعل ارتجالا ، أو تدبر الكون كما يدبر الصبي لعبته حينما اتفق ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، ولكن الله ربط بين المسببات والأسباب ، وأجرى الدنيا على سنن ثابتة لا يغيرها لمؤمن ولا لكافر ولا يحابي بها أحدا من خلقه أيا كان ، والناس يأخذون بعضا ويتركون بعضا ، ولو تأملوا لجمعوا واستقصوا ، انظر إليهم يستشهدون بقوله تعالى : « وما النصر إلا من عند الله » على أن الأمر معلق بالمشيئة والمشية مطلقة ، وهذا له وجه من الصحة ولكن يجب أن يضم إليه أن الله تعالى يقول : « ولينصرن الله من ينصره » ، « لانا لننصر رسلنا والذين آمنوا » ، « كتب الله لأغلبن أنا ورسلي » ، « والله العزة ورسوله وللمؤمنين » ، قاله يفعل ما يشاء — ما في ذلك شك — ولكنه لا يشاء إلا ما قضت به سنته ، وقضت به حكمته .

فيجب أن يفهم المسلمون هذا حق الفهم ،

٣) والتصديق بالحسنى ، هذا هو الإيمان النفسى بأن « الحسنى » فى كل شيء هى أساس النجاح والفلاح ، ومن الناس من يكفرون بالمثل ويرونها ضمنا ويستيقنون لأنفسهم الخروج عليها ، بل طعنوا وهدموا وتمزيقها ويقولون إن لنا زمانا غير زمان الأولين ، وإن حياتنا نواميس غير ما كان من نواميسهم فما لنا ترتبط بما كانوا به يرتبطون ، لذلك نراهم متحليلين من « الحسنى » غارقين فى « السوء » يرتكبونها ويحضون على ارتكابها ويريدون أن يقيموا المجتمع على أساس جديد كله مادية وإباحية وإلحاد وزيف وارتكاب واقتراف ، فهل مثل هؤلاء ينجحون مهما بدا من مظاهر الزبد الجفاء ؟ وهل بمثلهم تنجح أمة أو يسعد مجتمع ، أو تتوطد عزة ؟ . كلا ، فإنها سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا . والجلل المقابلة لهذه المعانى فى الآيات : « وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى » . إلخ ليست فى حاجة إلى الشرح بعد ما ذكرناه .

بيد أنى أعقب بكلمة لا بد منها : ذلك أن كثيرا ممن ينتسبون إلى الإسلام ، ولا سيما فى عصور الضعف والانحلال ، قد نهسوا أن الله تعالى يحابي المسلمين ، وأنه يكفى أن يعتقد الإنسان أن الله هو مقسم الأرزاق ، وإنه هو المعز المذل ، وإنه هو الميسر المعسر فمن اعتنق هذه العقيدة نظريا ، فهو مؤمن

ومن هنا ينبغي أن يلتفت إلى أن هذه السنة سنة كونية عامة في الأفراد وفي الأعمال ، نستطيع أن نلصق آثارها في كل ناحية من نواحي الحياة ، فمن التجار مثلا من يعمل في تجارته الأعمال الصالحة فيؤدي به ذلك

إلى النجاح والتركز ، والأعمال الصالحة في دائرة التجارة كل ما يركزها ويثبتها ويحمل الجمهور على تقدير صاحبها والثقة به ، فالتاجر الذي يدرس مكان تجارته ونوعها وما يحتاج إليه الناس ، والذي يعرف كيف يعامل الجمهور ، وكيف يغرس في نفوسهم الثقة به ، وغير ذلك لا بد أن يفلح ولا بد أن يعيش في ظل تجارته ، عيشة طيبة ؛ لأنه عمل صالحا فليس المراد أنه يفتح تجارة كيفما اتفق ،

ويديرها كيفما اتفق ، ويشترى ما يشتري ويبيع ما يبيع كيفما اتفق ، وهو يعتقد أنه بذلك قد أخذ في الأسباب واعتمد على الله ، ويكفيه أن يعمل صالحا أى يصلح الصلوات المفروضة ، ويؤدي الصدقات ويصوم شهره إلخ فحسب ، فهذا من غير شك بعض ما يصلحه ويستقيم به شأنه ، ولكنه ليس كل شيء في تجارته ، بل إننا لنجد الأجني الذي لا يعرف العبادة ، ولا يدين بالصلاة ولا بالصوم ولكنه يعرف كيف يحسن إدارة عمله ، وكيف يدرس تجارته والحى الذى يعيش فيه ، ووسائل الإعلان

ويجب أن يسيروا في أعمالهم على مقتضاه وأساسه ، ويجب ألا يغتروا بمجرد الانتساب إلى الإسلام ، فإن الأرض لله يرثها من يشاء ، ولكن من عباده الصالحين ، أى الذين يصلحون .

٦ - « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » .

٩٧ / النحل

وهذه الآية الكريمة بقدر ما فيها من إجمال وتركيز في المنهاج الذى يرشد القرآن الكريم إليه ، فيها استيعاب عجيب لجميع أركان هذه السنة الإلهية التى لا تتحول .
فمن ذلك أنها :

أولا : أنت بجملة شرطية هى قوله تعالى « من عمل صالحا ، ولفظ « من » يفيد العموم والاستغراق لجميع أفراد العقلاء ، أى لجميع المكلفين المسؤولين في الحياة و « صالحا » فى قوله « من عمل صالحا ، جىء به منكرا ليشمل أى صالح يعمل ، وإذن فأساس هذه القضية وموضوعها هو عمل الصالحات من أى عامل ، لا امتياز فى ذلك لعامل على آخر ، ولا اختصاص لنوع من الأعمال الصالحات على غيره ، وهذا نطاق واسع يدخل فيه كل الناس ، ويتسع لجميع الأعمال النافعة .

ولا مراثيا، عندئذ لابد أن يوصله هذا العمل إلى الحياة الطيبة، وإلى الفوز بالجزاء الحسن، وإننا لنشاهد بأعيننا في جميع وجوه العمل فرقاً بين صاحب العزيمة الصادقة، والإيمان الخالص، وذو الشك المتردد الذي يصانع في عمله، ويدأجى به فالأول يشمر ويوجد ويعرفه الناس بالقوة والأمانة والصدق والتجديد، فيعلو شأنه، وينبئ في الناس ذكره، وينجح النجاح الكامل في عمله، فيعيش عيش السعداء الأجزاء، والآخرون لا يشمر إلا لثمرات ضئيلة علية، وتخرج الأعمال من بين يديه غير متقنة ولا جيدة، ويعرفه الناس بذلك فينفضون عنه، ويتحاشونه ويحرمونه ثقتهم فتذبح عنه قالة السوء فيهجر فيبور عمله، ويكسد فلا يلبث أن يحيط به الشقاء والذل وأن يعيش عيشة الضنك ضئيلاً لا اعتداد به، ولا قيمة له.

إن السر في هذا وذاك هو إيمان العامل بما يعمل أو فقدانه هذا الإيمان.

ولست بهذا التفسير أننى الإيمان بالعقيدة الدينية أولوازمها فلا أجعل لذلك دخلاً في عمل العاملين، كلا فإن ذلك أول ركن، وأعظم أساس، ولكنى أقول: إن هذا وحده لا يكفي وإنه يجب أن ينضم إليه ما لا بد منه في صلاح الأعمال، ونجاح المساعي وقد يؤخر الله تعالى حساب المفرطين في العقائد والأعمال الدينية

واكتساب الثقة... إلخ نجد هذا الأجني ينجح ويتفوق ويكتسح، وما ذلك إلا لأنه أعطى عمله ما يجب أن يعطيه إياه، فهو من الذين يعملون الصالحات في خصوص نشاطه وسعيه، فلا بد أن تنطبق عليه سنة الله في العاملين.

ثانياً: نعم الآية تعميماً آخر فتقول «من ذكر وأثنى» وفي هذا تكريم للإنسان واعتداد بنوعيه، وإشعار بأن المرأة عضو عامل كأخيها الرجل، وهى مطالبة بأن تعمل صالحاً كما أن الرجل مطالب بذلك، وهى مطالبة بأن تستهدف بالعمل الصالح الحياة الطيبة العزيزة الكريمة كأخيها الرجل، وهى موعودة بالجزاء الحسن كما أن الرجل موعود به.

ثالثاً: نرى الآية بعد هذا التعميم في العمل وفي العاملين والعاملات تشترط شرطاً في قبول العمل وترتب الآثار المرجوة منه وحصول الفوز في الآخرة به، ذلك هو قوله تعالى «وهو مؤمن».

وليس الإيمان مجرد الإيمان بالله، أو بالقضايا الدينية العقيدية، وإنما يراد مع ذلك الإيمان بالعمل الذى يعمل المرء، على معنى أن يكون مطمئناً إليه واثقاً من أنه صلاح وخير، وذلك ليعمله مخلصاً فيه صادقاً لا متظاهراً ولا مسخراً ولا محارباً لغيره

لون ولون ، ولا بين ذكر وأثنى ولا بين فقير وغنى ولا بين ضعيف وقوى ... إلخ .

ولكنها متفاوتات وتتفاوت الناس فيها باعتبار السعى والعلم والتقوى ، فالناس في ذلك مراتب .

٢ - والعزة نوعان : حقيقية دائمة .

وهي لا تكون إلا للدؤمن لأنها عزة بالله ، ومن الله ، وعزة مصطنعة غير باقية ولا ثابتة الأسس وهي العزة بالإثم أو بالكفر أو بالجهل ، من كل ما لا مرجع له إلى الله .

٥ - وأن عزة الإيمان والمؤمنين ، هبة من الله ، ولكن لا على معنى أنها غير مرتبطة بسنته في كونه وفي خلقه ، ولكن على معنى أن المؤمنين هم الذين يسلكون في الحياة السلوك المؤدى إليها ، وأن مجرد ادعاء الإيمان أو الإسلام دون التماس سبيل العزة الصحيحة والحياة الطيبة ، غير مجد وليس من شأنه أن ينظر إليه .

تلك أركان خمسة للكرامة والعزة في القرآن الكريم : «إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم» ، « والله يقول الحق وهو يهدي السبيل » . والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

محمد محمد المرنى

عميد كلية الشريعة

ليجازيهم على ذلك في الآخرة ، ولكنه لا يضيع أبداً في الدنيا عمل عامل من ذكر أو أثنى ، فللدنيا نوااميسها وسنتها ، وهي نوااميس ثابتة لا يغيرها الله ولا يحولها .

على أن قوله تعالى « وهو مؤمن » ، إنما هو شرط في إيفاء العامل المصلح جزاءه في الدنيا والآخرة جميعاً ، فهو لا يجتمع له النجاح في الدنيا والفوز بدرجات الآخرة إلا إذا كان مؤمناً إيماناً صحيحاً بما كلفه الله أن يؤمن به ، ولسكننا إنما ننظر إلى آثار الإيمان في إتقان الأعمال وفي تأثير ذلك بالنسبة للحياة الطيبة والمعيشة الكريمة في الدنيا .

الخاتمة :

يتبين مما ذكرناه في هذا البحث أن القرآن الكريم يثبت ما يأتي :

١ - أن لبنى آدم كرامة .

٢ - وأن هذه الكرامة هبة إلهية لا يجوز لمخلوق أن يحرمه إياها ولا أن يمتنعها أو يهدرها .

٣ - وأن هذه الكرامة لا تفاوت فيها باعتبار أصلها ، فالناس جميعاً متساوون في ذلك لا فرق بين جنس وجنس ولا بين

الدِّينُ وَالْقَوْمِيَّةُ فِي افْرِيقِيَا الْجَدِيدَةِ

لِلأستاذ محمود الشرقاوى

- ١ -

سابقاً) . ومن قبل ذلك استقلت غانا وغينيا وسيلغ عدد الدول الإفريقية التي تنال استقلالها قبل نهاية هذا العام عشرين دولة يسكنها مائة مليون إفريقي سيكون لهم ولدوهم صوت مسموع في المنظمات الدولية .

ولكى ندرك الأثر الذى يحدثه هذا البعث الجديد لإفريقيا في عالم الغرب الاستعماري نكتفي بفقرة من حديث مسئول سياسى لكبرى هذه الدول يقول فيها : إن السنوات العشر القادمة ستكون السنوات الإفريقيات إن زيادة عشرين عضواً إفريقيا جديداً في الأمم المتحدة في السنوات القادمة ستخلق جواً من عدم التوازن في المنظمة الدولية ، ومعنى هذا الكلام واضح .

وقد نالت هذه الدول الإفريقية استقلالها بالكفاح والدم . والدول التي توشك أن تناله . بذلت وتبذل مثل ذلك . ولكن المحافظة على هذا الاستقلال وصيانته ستحتاج إلى مثل ذلك أيضاً ، بل لا أكثر منه . فقد

إفريقيا الجديدة هي تلك التي تخرج أهلها الآن من العبودية إلى الحرية ، من الاستعمار إلى الاستقلال ، من التبعية الذليلة والاستغلال - الذى فرضها عليها الاستعمار الغربى - إلى إبراز الشخصية وتثبيتها والانفراد أو المشاركة العادلة ، في ثروة البلاد العظيمة وخيراتها وإمكاناتها .

إفريقيا الجديدة هي التي تخرج الآن من الجهل إلى العلم ، من الظلمات إلى النور . ولكي ندرك قيمة هذا البعث الجديد لإفريقيا نذكر أن أربعاً من دولها نالت استقلالها في أسبوع واحد من شهر يونيو الماضى . وأن سكان هذه الدول التي استقلت يبلغون عشرين مليوناً من الناس ، وأن مساحة هذه الدول الأربع تبلغ نصف مساحة الولايات المتحدة الأمريكية .

استقلت من دول إفريقيا في أسابيع قليلة دول : الصومال ، اتحاد مالى ، توجو . الكاميرون ، الكونغو ، مالماس (مدغشقر

عدد الأحرار فيها) . فإذا رأينا بعد ذلك الرئيس الجديد لوزراء الكونغو المستقلة : « لو مومبا » ، يذكر في مواجهة ضيفه ملك بلجيكا : « بودوان » ، الذى قدم خصيصا لشهود حفلات استقلال الكونغو ، إذا رأينا الرئيس الجديد يذكر قسوة المستعمرين وشذوذهم أمام ملك بلجيكا . فلن نجد فى ذلك شيئا من العجب بعد الذى لقيته إفريقيا من ظلمهم وقسوتهم .

— ٢ —

قبل سنوات كنت أضع بحثاً عن رحلة ابن بطوطة فى السودان ، فوجدته يذكر بلاداً ومناطق لا تعرف الآن فى جغرافية تلك البلاد .

ومن البلاد التى عثاني وأعنى معرفتها إقليم « مالى » وقد بقيت أجهل مكانه حتى حصلت « غانا الفرنسية » و « السنغال الفرنسى » على استقلالهما وعرفتا باسم دولة جديدة هى : « اتحاد مالى » . وكذلك سعى المستعمرون الأوربيون بلدا إفريقياً باسم : « ساحل الذهب » فلما استقل سكانه عادوا به إلى اسمه القديم : « غانا » . وفى ذلك عبرتان ، فهما تهديد لما نريد أن نسوق من القول عن « الدين والقومية فى إفريقيا الجديدة » : « العبرة الأولى أن المستعمر الأوربى كان ينظر إلى إفريقيا نظرنه إلى سلب أو مغنم ، لا يرى فيه سوى

ترك الاستعمار هذه الدول على حال بالغة من الشذوذ والنقص والحرمان من مقومات الدولة ، بل من مقومات الحياة الإنسانية نفسها . ولنجعل من « الكونغو » ، مثلاً لذلك : فهذه « مستعمرة » حكمتها بلجيكا حكماً استبدادياً بالغ الشدة زهاء نصف قرن ، لم تسكن لها فيها غاية ، ولا نشاط ، سوى استغلال خيراتها العظيمة ومواردها الطبيعية الضخمة . ومع أن سكان الكونغو يبلغون أكثر من ثلاثة عشر مليوناً فإن عدد المتعلمين منهم لا يتجاوز العشرات . . . ١٠ . ويتكون سكان الكونغو من مائة قبيلة أو أكثر ، وتختلف كل واحدة منها عن الأخرى فى عاداتها وتقاليدها و « ثقافتها » . ولم يحاول المستعمرون التقريب بينها ، بل لعلمهم فعلوا عكس ذلك . كما تفصح عنه الحركات المريبة التى تقوم فى إقليم « كاتانجا » ، والدعوة لفصله عن الكونغو . وليس غريباً أن يفعل المستعمرون ذلك فى بلد إفريقيا . فقد وجدت فى إحصاء عن الرق فى إفريقيا فى القرن التاسع عشر أن : (ما نقل من العبيد لبيع فى أوروبا وأمريكا قارب عدده مائة ألف ، وأن هذا العدد الكبير نقل من بلد إفريقيا واحد هو ساحل الذهب وفى سنة واحدة هى سنة ١٨٢٢ وأن السفن الانجليزية وحدها حملت من هذا العدد ستين ألفاً . وأن عدد العبيد فى إفريقيا يبلغ ضعف

الأثر في تكييف الخطة لتحقيق الغايات وتحديد الواجبات .

من الحقائق التي يجب أن ندرکها لمعرفة تلك الأوضاع أن بعثات خاصة ظلت تعمل زمنا طويلا في الكونغو ، مثلا ، حتى اعتنق الكاثوليسكية ثلاثة ملايين من سكانه . وأنه ، من بين سبعين ألفا من الأوربيين يعيشون فيه ، يوجد عشرة آلاف من رجال هذه البعثات ، يحتسرون - بمقتضى القانون الذى وضعه المستعمرون - كل إشراف على التعليم ، وقد خرجوا مئات من رجال الدين الوطنيين ونصبوا منهم أسقفاً ، ولكنهم لم يخرجوا - على طول عهدهم بالإشراف على « التعليم » ، طبيباً واحداً ، ولا مهندساً واحداً ، ولا حاميا واحدا ... !

والدين عند هؤلاء قرن الاستعمار وخدينه وحليفه .

ومن الحقائق التي يجب أن ندرکها لمعرفة الاطّاع التي يحاول أصحابها أن يحققوها لأنفسهم في هذه الدول أن إسرائيل كانت على وشك الاشتراك في حفلات الاستقلال التي أقيمت في الصومال ، لولا أن رجاله حرصوا على مودة البلاد العربية والإسلامية وراعوا مصلحة وطنهم الجديد ، فأعلن السيد عبد الله عيسى رئيس وزراء الصومال الإيطالى سحب دعوة إسرائيل .

وجهه المادى . فالبلاد التي فيها معدن الذهب يسميها : « ساحل الذهب » ، والبلاد التي يوجد فيها العاج يسميها : « ساحل العاج » . وهو بذلك يمحو عن تلك البلاد الاسم القديم الذى كانت تعرف به ، ليقطع - عمداً - صلتها بماضيتها وتاريخها .

والعبرة الثانية أن سكان تلك البلاد لم ينسوا - رغم ذلك - ماضيهم وتاريخهم . فأعادوا أسماء بلادهم القديمة إليها بمجرد حصولهم على الاستقلال . فعندنا نعرف بلاد : « مالى » و « غانا » ونفهم المثلث العربى القديم الذى يقول : « من غانا إلى فرغانا » وندرك بذلك الصلة الوثيقة العريقة التي تربط بيننا ، نحن العرب ، وبين تلك البلاد ، كما تربط بين بعضها وبعض . وهى صلة تحدد لنا غايات كما تلمزنا بواجبات .

إدراك هذه الروابط والأواصر ، والإفادة منها بحكمة وكياسة هو الذى يحدد غاياتنا لخير هذه البلاد وخير المجموعة الإفريقية ، كما يحدد واجباتنا حيالها .

وإدراك الأوضاع التي تسود الدول التي استقلت وتستقل حديثا في إفريقيا ، والاطّاع التي يحاول أصحابها أن يحققوها لأنفسهم في هذه الدول ، إدراك هذه الأوضاع والاطّاع عامل آخر هام يحدد غاياتنا وواجباتنا ، ولا بد أن يكون ملحوظ

وأما التعليم والثقافة فالشأن فيهما يختلف في بعض هذه الدول الإفريقية الجديدة عن بعضها الآخر، ولكن أمراً واحداً يجمع بينها كلها، مختلفة ومختلفة. هذا الأمر الواحد هو ارتباط التعليم والثقافة بالدين. تختلف الصومال، واتحاد مالي بأن غالبية السكان فيهما من المسلمين، وهذا الوضع يميز لنا - أو يجب أن يميز - لون الثقافة والتعليم الذي نستطيع عن طريقه أن نحقق الغايات لخير هذه البلاد وخيرنا أيضاً، وأن نحدد الواجبات حيالها وحيال مستقبلها ومستقبل إفريقيا.

اجتمع في الصومال في شهر يونيو الماضي مؤتمر لمناسبة إعلان استقلال البلاد، وحضر المؤتمر نحو عشرين ألفاً من رجال القبائل ومعظم رؤسائها وأصدر المؤتمر عدة قرارات: منها أن يقوم الدستور الجديد للجمهورية الصومال على أساس الدين الإسلامي، وأن يعين وزير للشئون الدينية. والإبقاء على الحزب الديني: «حزب الله» مع وجوب تأييده للجمهورية.

وقبل ذلك قامت في الصومال مناقشات طويلة أدلى فيها المستعمرون بدلوهم حول اختيار لغة رسمية للبلاد، ثم جهرت الأغلبية برأيها في أن تكون العربية هي اللغة الرسمية، رغم ما حاوله الاستعمار من إحباط ذلك.

ومن هذه الحقائق التي يجب إدراكها لمعرفة الاطماع أن ليني أشكول، وزير مالية إسرائيل، سافر إلى غانا للاجتماع برئيس جمهوريتها ومباحثة وزيرها اليتها. وأنه - أي وزير مالية إسرائيل - سافر بعد ذلك إلى «لاجوس» في نيجيريا، ثم إلى «اتحاد مالي» ومنها إلى ليبيريا وساحل العاج، وأن إسرائيل أعارت غانا خبيراً في الزراعة - إسرائيلياً - لتنمية ثروتها الزراعية مدة سنتين. وقد نشرت الصحف العربية ذلك كله.

ثم تنتقل من الأوضاع والاطماع إلى ذكر شيء من الوسائل التي يجب إدراكها والتبصرة بها ونحن نرسم لأنفسنا - في الجمهورية العربية المتحدة - السبيل لتحقيق غاياتنا لخير هذه الدول الجديدة في إفريقيا، وتحديد واجباتنا حيالها. التعليم، الثقافة، والمشاركة في تعمير هذه البلاد الجديدة: هذه هي الوسائل التي نريد التبصرة بها في رسم السبيل للغايات والواجبات.

أما المشاركة في تعمير البلاد فنحن نتركها لأهل الاختصاص الذين يعرفون - أو يجب أن يعرفوا - ما تحتاجه تلك البلاد معرفة وثيقة شاملة في نوعه وفي كنهه. ونحن نقرأ عن جهود ووعود تعمل وتبذل في هذا السبيل وفي استعداد جمهوريتنا العربية للبذل في هذه المشاركة بذلاً كريماً مخلصاً.

ويدعوهم لأن يقفوا جميعاً صفاً واحداً بين يدي خالق البشر .

لنتأمل هذا وأثره بين سكان هذه البلاد الجديدة المتطلعة إلى الحرية ، الاجتماعية و الحرية ، الفردية والمساواة . ثم لننظر بعد ذلك في صورة مقابلة : فقد قرأت من قبل تقارير تتضمن نشاط بعض الهيئات في إفريقيا . ومع أن النشاط قائم على الدعوة المسيحية ، التي لا تفرق بين الناس أيضاً ، فإن رجال هذه الدعوة يحرصون كل الحرص ، على تمكين فروق اللون في هذه القارة و يلقنون من يدخل المسيحية من الإفريقيين ، أن الأبيض أفضل من الأسود ، و يزعمون لهم أنه في الحياة الآخرة ستقوم جنتان ، جنة للبعض وأخرى للبلونين . ! وأن هذه التفرقة أو سيادة الأبيض على غيره ، هي إرادة الله ، ولا بد من التسليم بها . وهذه الدعوة طبيعية من هؤلاء القوم ؛ لأن الهدف الأول لنشاطهم ودعوتهم هو الاستعمار . ولا يمكن أن يستقيم القول بالمساواة ، مع الاستعمار .

فدعوة الإسلام إلى المساواة الحق لا بد أن تقضى على دعوة الاستعمار هذه . وقريباً من ذلك الوقت اجتمع مؤتمر إسلامي في نيروبي ، دعى إليه مسئول من الجمهورية العربية المتحدة ، وأعلن يوم ذاك أن عقد هذا المؤتمر هو امتداد لموجة اليقظة إلى الشاطئ الشرق لإفريقيا ،

هذه بعض الملامح ، التي تبين لنا كيف يتكون المجتمع الجديد في الدولة الجديدة ، وأعتقد أن هذه الملامح أو ما يشهها ستظهر في يوم قريب في الدولة الأخرى التي يتكون أكثر سكانها من المسلمين : وهي اتحاد مالى . في البلاد الأخرى الجديدة من إفريقيا مسلمون تختلف نسبتهم فيها إلى نسبة أهل الأديان الأخرى . وهناك حقيقة لا ينكرها أحد ، هي أن الإسلام ينتشر بين سكان هذه البلاد انتشاراً كبيراً قائماً على قوته الذاتية أكثر مما هو قائم على السعى والنشاط والدعوة .

في الإسلام حقيقة كبرى تفيد أعظم الفائدة في تحقيق الغايات وتحديد الواجبات ، كما هي سبب من أكبر الأسباب لذيوعه بين سكان تلك البلاد وإقبالهم عليه ، هذه الحقيقة هي أنه دين يقوم على المساواة ، وعدم التمييز أو التفاضل ، أو التفرقة بين الناس بسبب اللون ، أو الجنس ، أو الأصل ، أو النسب ، أو المال ، أو المنزلة . دين يتعجب الملونون عندما يعرفون أن ابن لونهم بلالا الأسود ، كان من صحابة صاحب النبوة فيه والدعوة له ، ومن أحب الناس إليه وإلى صحابته من أشرف قریش وساداتها ، ومن أقربهم إليه ، عليه السلام ، وآثرهم عنده . وأن بلالا هذا - الأسود - هو الذي كان يؤذن فيهم للصلاة ،

على شرط أن ترسم لها الحدود والآماد . وأن تحدد لها الوسائل ، بحيث تختلط بكثير من البدع والخرافات ... بل إن ذلك قد ينفع النفوذ الأوربي ويمكن له . هذا ملخص مقال جريدة التيمس . والنفوذ الأوربي ومصالح الأوربيين كما نعلم ، تعبيرات مختلفة عن حقيقة واحدة هي « الاستعمار » .

وسواء اتخذ الأوربيون الطريق الأول ، طريق الصد ، والمنع . أم سلكوا طريق المرونة والكياسة ، فتركوا دعوة الإسلام تزحف زحفها إلى إفريقيا مشوبة بالخرافات - وهذا في رأي أشد ضررا بالإسلام وإفريقيا وبنا - أى الطريقين سلك الاستعمار الأوربي . فإن واجبا يتضاعف ، وتزيده الضرورة إلحاحا ووجوبا .

تتجه شعوب إفريقيا ودولها التي استقلت حديثا : والتي ستحصل على استقلالها . تتجه شعوب إفريقيا ودولها هذه إلينا لنكون لها أعوانا في كفاح الاستعمار ، وفي نيل استقلالها وفي تثبيتته بعد الحصول عليه ، وفي تقويم حياتها ، وستجد بلادنا بعد قليل ، أن احتمالات كثيرة بعيدة المدى تلوح لها ؛ وبقدر ما يزيد الوعي القوي لشعوب إفريقيا وتلتب عواطف أهلها رغبة في الاستقلال ، وحرصا على نواله ومحافظة عليه ، بقدر ما تزيد تبعات وطننا نحو هذه الشعوب . وتتسع احتمالات المستقبل

وأن المسلمين في كينيا ، وأوغندا ، وتنجانيقا ، وزنجبار ، يرون الضرورة ملحة لتنظيم أنفسهم . ليشتركوا كهيئة متحدة في تطور هذه الأقاليم .

— ٤ —

فيما يتعلق بالوضع في هذا البعض من الدول الإفريقية الجديدة : وهو الذي ليس فيه أغلبية إسلامية . فيما يتعلق بالوضع في هذه الدول - وقد ذكرنا انتشار دعوة الإسلام فيها انتشارا ذاتيا - نجد أمرا آخر جديرا بأعظم قسط من الاهتمام .

فقد نشرت جريدة التيمس - ونحن نعرف منزلتها بين صحف العالم - نشرت التيمس مقالا تبدى فيه عجبها وقلقها أيضا ، من انتشار دعوة الإسلام في إفريقيا . رغم ضعف ، بل فقدان ، الوسائل إليها وتقول : إن كثيرين من المفكرين ، يعتقدون أن انتشار الإسلام مرتبط بالبيئة الصحراوية ، ولاكنا نراه الآن يزحف إلى سهول إفريقيا وأحراشها وغاباتها . ونحن - أى الأوربيون - أمام هذه الدعوة ، لم نحدد موقفا تحديدا نهائيا : فبعضنا يرى أنه لا بد من وقف هذا الزحف ؛ لأن في نجاحه قضاء على نفوذ الأوربيين ومصالحهم في إفريقيا . وبعض آخر - وهم أقرب إلى العقل والكياسة والمرونة - يرى أنه لا ضرر من هذه الدعوة وتغلغلها في القارة ،

إن طريقنا الرئيسي أصبح واضح المعالم .
وعلينا أن نبعث إليهم بكتاب الله الكريم
في أيسر تفسير ، يحمل ثغرات من القوى
الروحانية المباركة التي تدفع عزائم هؤلاء
العالمة الذين يفد منهم على الحجاز سنويا
٢٠ ألف حاج من نيجيريا وحدها .

سبلنا للقيام بهذا الواجب نحو شعوب
إفريقيا ودولها الجديدة هو التعليم والثقافة .
والتعليم والثقافة في هذا المجال خاصة أمران
مقتربان بعقيدة الإسلام .
ولأسباب كثيرة مختلفة ، يقترب الإسلام
وتقترب دعوته وثقافته ، بالأزهر .
فإذا ذكرت هذه الدعوة وهذه الثقافة ،
ذكر الأزهر . وللأزهر في هذا السبيل ، جهد ،
ويمكن أن تكون له جهود .

محمود الشرفاوى

سكرتير التحرير

أمامنا في هذه القارة ، التي نحس الآن بأننا
نحمل الواجب الأول نحو بلوغها ما تريد
من الحرية ، لاتنا رأس هذه القارة ، وأسبق
شعوبها في ميدان الثقافة ، والقوة ،
والإمكانيات .

وهذه كلها - كما قلنا - أوضاع توجب علينا
تبعات ، وتحملنا مسئوليات ، وواجبات
علينا أن نتبها لها ونعرف أمثل السبل
لتحقيقها والوصول إليها .

السبيل - أو أوضح السبل - لذلك ندرکه
من حديث مسئول في جمهوريتنا العربية عاد
من الحج هذا العام فقال من حديث له :

« إن شعورى بعد عودتى أن الإسلام
جولة أخرى في معركة الحرية العالمية .
وأن كتاب حجج إفريقيا ، التي زحفت
إلى بيت الله الحرام ماشية على الأقدام ، تمثل
طلائع هذا النصر . بل إنها تمثل العرب
في مستهل فجر الإسلام .

القومية

قال المهاتما غاندى :

إنما أعنى بالقومية ، أو فكرة القومية : أن تصبح بلادى مستقلة ذات سيادة وكرامة ،
وتتفانى بأخر أفرادها لأجل البشرية وإبقائها ، إذا دعت الحاجة الى مثل ذلك . فهذه هي
القومية التي نتمناها .

الإمام عبد المجيد^{رحمة} سليم

بقية السلف الصالح في القرن العشرين

بمناسبة ذكره السادس

للأستاذ محمد وجب البيومي

الحق دائم الإشعاع ، فهو ينتقل من العصور الغابرة إلى العهود الحاضرة دون أن يطفأ له ضياء ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ١١ .
ولو أردت أن ترجع جميع مواقف الشيخ إلى سبب واحد ، تركز عليه أفعاله ، وتصدر عنه : أقواله فهو مفتاح شخصيته التي تدرك به أسرارها الكامنة ومواهبها المدخرة ، لوجدت هذا السبب ينحصر في شيء واحد لا لبس به ولا غموض ! إنه الثقة بالله وحده تسيطر على نفسه ، فيهنو دونه كل جليل يكبره الناس ١١ .

لقد وثق بالله حين أقبل على العلم إقبالا مخلصا ، ففتح ذات نفسه ، وتفرغ عن رغبة أكيدة لاقتناص شوارده ، واكتناه غوامضه ، ولم يقبل في عهد التلذذ أن يقتصر على علوم الأزهر وحدها ، بل جمع

اكتمل لإمام أهل السنة المغفور له الأستاذ الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم^(١) من جلال العلم وعظمة الحق وقوة الإيمان ما لم يكتمل لسواه من النظراء والأمثال ، فقد كان رضى الله عنه من أخلاقه المثالية في هبة منيعة ، يصغر دونها أعظم الرؤساء من ملوك ووزراء ! فلا يحاولون أن يصارحوه بما لا يرضى المؤمن المتحرز ، والعالم العيوف ، وقد جاءت سيرته الطاهرة كتابا مفصلا للرجولة العالية ، يقرؤه الناس فيجدون المثل الأعلى قد تجسم واقعا ملموسا ، في أعمال الرجل وأقواله ، وإذا كان من السلف الصالح من شابه الشيخ في إباته وترفعه ، فإن معاصرتنا الشاهدة لحقيقته المؤمنة في القرن العشرين تؤكد لنا أن مصباح

(١) انتقل إلى رحمة الله في ١٠ صفر سنة ١٣٧٤ هـ .

الرسالة عن منهج أستاذه في الفتوى ومنهجه الخاص الذي يحتذيه فقال نقلا عن العدد الممتاز (٤٤٩) .

وإن الناحية التي تجلت فيها مواهب الأستاذ الإمام : هي إدراكه الصحيح لمعاني القرآن الكريم ، وفهمه الدقيق لأغراضه ، وتذوقه لأسلوبه ومعجز بيانه ، مع بصر عظيم بأحوال الناس وعبر التاريخ ، وأسرار تقدم الأمم والشعوب . يوازر ذلك قلب جرىء ، وعقل متصرف وكان يعتمد في فتاواه على إدراك روح الشريعة ، وتبين أغراضها العامة ، لا على مناقشة المذاهب ، وترجيح آراء الفقهاء ، ولذلك تأتى فتاواه غالباً مختصرة ، وقد تثير خلافاً بين أهل العلم ، ومن أمثلة ذلك أنه أفتى فتواه المشهورة بجواز لبس البرنيطة ، فقامت من أجلها ضجة هائلة ، فلما أردت أن أفتى في الموضوع ، انتفعت بموضع العبرة فيه ، فأخرجت فتاوى التي تجيز ذلك إخراجاً فقهياً مؤيداً بأقوال العلماء ، جارياً على طريقته في الاستدلال والترجيح ، فلم يستطع أحد أن يشغب على .

وإذا كان الأستاذ الإمام لم يتقيد بمذهب معين في فتواه ، فإن خليفته الأستاذ عبد المجيد قد ورث عنه هذه السعة الفسيحة في قبول الآراء المختلفة ما دامت مؤيدة بالدليل ، فأنحى باللائمة على من يعتصمون بقول خاص

إليها المنطق والفلسفة ، حتى عرف بين زملائه بابن سينا ، وقد اختار من أسانذته في حلقات الأزهر من آنس فيه البراعة والاستيعاب ، فهو يحضر دروس الأستاذ الإمام محمد عبده في الرواق العباسي لمدة خمس سنوات فيدرس عليه كتب عبد القاهر في البلاغة حيناً وتفسير كتاب الله حيناً آخر ، وهو يتلقى شروح المنطق والفلسفة عن أستاذه الشيخ حسن الطويل فيلم بأفانين من الجدل والقياس لم تكن مألوفة للدان من الطسلا ب ، ثم هو يجد في أستاذه الشيخ أحمد أبى خطوة مورداً دافقاً في الفقه الإسلامى فيأخذ عنه التبحر في المسائل الفرعية ، والتعمق في الفتاوى الفقهية ، ويشهد له بالاطلاع الشامل ، والصبر الطويل ، بل إنه يقارن غير مرة بين أبى خطوة والأستاذ الإمام ، فيجد الأول أكثر إلماً بمسائل الفقه وأدلة الأحكام ، غير أن الإمام في رأى الشيخ يمتاز بسعة الأفق وسلامة التعليل وامتداد الصيت ١١ هذا إلى بيان مشرق يجذب إليه الناس ، فيصبح أقدر العلماء على الإفادة والتوجيه .

وقد شاء القدر أن يكون الأستاذ خليفة الإمام في الإفتاء ، فعالج في فتاواه الكشيرة معضلات العصر وقضايا المدنية الحديثة كما عالجها الإمام في فقه بصير ، وفهم مستنير ، وقد تحدث رحمه الله في بعض أعداد مجلة

من خمس عشرة ألف فتوى في مجلد خاص ،
 يكون مرجعاً متداولاً بين الفقهاء والدارسين
 وتلك رغبة ملحة طالب بها الكثيرون ،
 ولعلها تجد طريق التنفيذ ؛ ليلبس الباحثون
 أمامهم رأى الإسلام الصحيح في مشكلات
 العصر ومعضلات المدنية والحضارة مؤيداً
 بالقياس والدليل ، وقد اعترف أساطين الفقه
 وأساندة القانون بما لآراء الشيخ من قوة
 وسداد ، فقد كان مرجع الأفاضل الأعلام
 من ذوى التشريع يسألون فيجيب ، ويترددون
 فيجزم ، : حتى إن اللجنة التى ألقت للأحوال
 الشخصية في وزارة العدل برئاسة الأستاذ
 الأكبر محمد مصطفى المراغى ، وعضوية شيوخ
 المذاهب بالأزهر وأساندة الشريعة بالحقوق
 ورئيس المحكمة الشرعية العليا ووكلى وزارتى
 العدل والمعارف !! هذه اللجنة الممتازة كانت
 تعتمد اعتماداً كلياً على جهود الأستاذ وبحوثه !
 وقد كتب رئيس محكمة الاستئناف الأسبق
 الأستاذ محمد محمود يعلن ذلك بجريدة الأهرام
 عقب وفاة الشيخ فيقول من كلمة مخلصة
 فى الرثاء .

« وقد كان المرحوم الشيخ عبد المجيد سليم
 فى هذه اللجنة النجم اللامع والحركة الدائمة ،
 إذ كانت تعرض الموضوعات والمسائل على
 اللجنة ، بعد سبق بحثها ولخصها ، وعند ذلك
 يأخذ الراحل الكريم الكلمة ، فيتولى شرح

لا يحدون عنه . بل إن أثره كان قويا ملموساً
 فى جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية .
 وهى التى تنص المادة الثانية من قانونها على
 « العمل على جمع أرباب المذاهب الدينية .
 الذين باعدت بينهم آراء لا تمس العقائد التى
 يجب الإيمان بها . مع السعى إلى إزالة ما
 يكون من نزاع بين شعبتين أو طائفتين من
 المسلمين ، والتوفيق بينهما » . فقد كان رضى
 الله عنه وكيل الجماعة فأكسبها جلالاً ومقاماً .
 وجذب إليها الصفوة من أتباعه ومريديه .
 وقد تحدث فى أول عدد من مجلته : « رسالة
 الإسلام » فقال :

« ولقد أدركننا فى الأزهر على أيام طلبنا
 للعلم عهد الانقسام والتعصب للمذاهب ،
 ولكن الله أراد أن نحيا حتى نشهد زوال
 هذا العهد ، وتطهر الأزهر من أوبائه
 وأوضاره ، فأصبحنا نرى من العلماء من
 يخالف مذهبه الذى درج عليه فى أحكامه ؛
 لقيام الدليل عنده على خلافه ، وقد جريت -
 طول مدة إقامتى بالإفتاء فى الحكومة والأزهر
 وهى أكثر من عشرين عاماً - على تلقى المذاهب
 الإسلامية ولو من غير الأربعة المشهورة
 بالقبول ، ما دام دليلها عندى واضحاً ،
 وبرهانها لدى راجحاً . »

ولا نجد خدمة توجه إلى الفقه الإسلامى
 أجل من جمع فتاوى الشيخ وقد بلغت أكثر

فما ضعفوا وما استكانوا لما أصابهم ،
وارتفعت أصواتهم بجلجلة رنانة تنسد
بالطغيان السافر وتدعو إلى الحق الصريح !! .
فقد قدر على الأستاذ أن يعيش في زمن منافق
لثيم يسوده استعمار خارجي من أوروبا الظالمة ،
وداخل من فساد القصر وتشاحن الحزبية ،
وكان الظن بأبناء الأزهر أن يناوئوا جميعا
ذلك الفساد في شتى وجوهه ، وأن يحاربوا
الطغيان في مختلف صورته ، ولكنهم لم يكتفوا
بالسكوت على الباطل بل خب بعضهم ووضع
في الحزبية المتناحرة ، خبيأ عاد على العلماء
بالنكبة والخذلان ، وعلى الطلاب بالخيبة
والهوان !! ولم يسكت الشيخ كغيره ، بل
جاهر بالدعوة إلى نبذ الحزبية ، وعارض في
صراحة واضحة من يرون مشايعة القصر
ومسايرته ، مهما كان لهم من السطوة والنفوذ ،
ورأى أن واجبه الألزم يفرض عليه أن
يكون بمن يدعوون إلى الخير ويأمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر ، فأعلن رأيه
في السياسة الطائشة ، وتزعّم فئة من ذوي
الاتجاه الصائب والثقافة اللامعة ، والحفاظ
الغيور ، وهي اليوم بفضل الله تسيطر على
الأزهر ، وترسم له طريق التوثب والنهوض ،
فكافح بها البغي ما استطاع !! وقد دفعته
رجولته النادرة أن يعلن رأيه الصريح في
القصر الباغي والحزبية العمياء وهو شيخ

الموضوعات والمسائل ، الواحدة بعد الأخرى ،
مستعرضاً شتى الآراء ، ومختلف الصور
في كل مذهب من المذاهب ، مقررأ حكم
الشرع ، ذاكرأ رأى الأئمة المجتهدين ،
والفقهاء المؤلفين مسيراً روح العصر ،
منتقلاً من فن إلى فن ، وهو في ذلك كله
كالبحر المتدفق ، حتى إذا انتهى من جولته
العلية ، ومحاضراته الفقهية ، قامت اللجنة
بالبحث والتحصيل واستنباط الحكم الملائم
تمهيداً لإعطائه الصفة النهائية ، ! ! وإن فقيهاً
علامة تكون له هذه الفتوح التشريعية لجدير
أن تيسر آراؤه للناس ، لتمد القانون الإسلامي
بفيض غزير .

على أنك لو وجدت من رجال الفقه
الإسلامي في عصرنا الراهن من مائل الشيخ
في إلمامه التشريعي كالسيد محمد رشيد رضا
والشيخ محمد بنحيت المطيعي فلن تجد في فقهاءنا
المعاصرين من مائله في قوة الإيمان ، ومجاهدة
الباطل ، والاعتزاز بالله وحده ! ! وتلك
عجبية الرجل حقاً ! ! فقد كان حلقة ثمينة في
سلسلة ذهبية تمتد من لدن سعيد بن المسيب
وسعيد بن جبير ، وتضم في امتدادها أبا حنيفة
ومالكاً وابن حنبل وأحمد بن نصر وابن
السكيت والعز بن عبد السلام حتى تنتهي
إلى عبد المجيد ! فتجتمع نخبة مؤمنة من رجال
صدقوا ما عاهدوا الله عليه وأوذوا في سبيله

يدور على قضية غامضة تختلف حولها آراء الباحثين ، وليست مأساة معاصرة يعرفها الكبير والصغير على السواء .

ولم يكن القصر يحفل بالشيخ من صلابة في الحق ، وإباء للضم ، فقد ذاق فاروق من حملاته السافرة قبل المشيخة وبعدها ما أرق مضجعه وأزعج هدومه ، وأذكر أن مجلة المصور قد نشرت تحت عنوان مات الشيخ عبد المجيد سليم بتاريخ (١٤ أكتوبر سنة ١٩٥٤ م) مقالا منصفا عن الأستاذ الأكبر فأملت بكثير من مواقفه الرائعة ، وكان مما ذكرته أن الشيخ إذ كان مفتياً للديار المصرية تلقى سؤالاً عن حكم الشرع في رجل يراقص النساء ويشرب الخمر في الحفلات ، ويرتكب أعمالاً يحرمها الإسلام ، وقد أدرك المفتي أن المقصود بهذا السؤال هو فاروق . فقد كانت الجرائد آنئذ تتحدث عن حفلات ماجنة تقيمها (شويكار) احتفالاً بمسرحه ، ولكنه لم يتراجع ، بل أصدر فتوى جريئة وصف فيها المسئول عنه وصفاً يشين ويحرج ، ويقول المصور : إن الدوائر الرسمية والسياسية قد اضطربت لهذه الفتوى واتصل الملك السابق بالشيخ المراغي فطلب إليه أن يطلع منذ الآن على كل فتوى يصدرها الشيخ عبد المجيد قبل السماح لها بالذيع ١١ .

ولم تسكد الأيام تمر على ترص حذر من

للأزهر دون أن يحرص على منصب زائل ، أو يخاف مغبة متربصة ، فقال من حديث طويل نشرته جريدة الأهرام في ذكرى الأستاذ المراغي تحت عنوان « إمام يحيى ذكرى إمام » .

« لقد كنت أنا والشيخ المراغي صديقين حميمين ، كلانا يحب صاحبه ، ويقدر فيه مواهبه ، ولم تكن هذه الصداقة عارضة بل كانت أصيلة ، ولكننا مع ذلك اختلفنا بعد لآى من مشيخته الثانية للأزهر ، وكان خلافتنا معروفاً للخاصة والعامة من الأزهريين ، وسيه الجوهري ميله رحمه الله إلى ناحية السياسة الحزبية ، وشدة نفورى من ذلك فإنى أرى أن الخير كل الخير أن يتجنب العلماء السياسة الحزبية ومتاعها التى تقضى إلى ما لا يحمد من العواقب » .

ومعنى هذا الكلام بصريح العبارة أن الأستاذ المراغي قد دفع بالأزهر إلى تأسيس القصر ومعاونة من يرتضيه من رجال الأحزاب وليست تلك مهمة رجل الدين ، فالأجدد به أن ينأى عن مشايعة ذوى المآرب المريضة والأهواء المغرضة من الناس ، وقد هاج القصر وماج لذلك الحديث الجريء ، وسلط من أذئاب الكتاب من يهاجمون الشيخ على صفحات الجرائد ويزعمون دون استحياء أنه يتجنى على سلفه الراحل ١١ وكان الحديث

ثم خرج ساخطا دون استئذان ، ! ولم يأس
 القصر بعد . فأوفد إليه بعض رجاله يهدده
 بالعاقبة ويقول في صراحة : إن معارضة
 الملك خطر عليك ! فقال الشيخ في إيمان :
 أسيحول هذا الخطر بيني وبين المسجد ؟ !
 فجل رسول القصر ولم يجب ! ! وكان الشيخ
 جريئا حين أعلن نبأ هذه المحادثة بامضائه
 في بيان أصدره للناس ! وهى من الذبوع بحيث
 لا يجهلها مصرى واحد عاصر هذه الأحداث .
 أما حملته على استهتار الملك ومجونه ، فقد
 كانت شديدة منكرة ، ففي الوقت الذى تسابق
 فيه الزعماء إلى تمجيد فاروق وتقديسه ، كان
 شيخ الأزهر يصيح صيحته الغاضبة ، تقتير
 هنا وتبذير هناك ، منددا بما ينفقه الملك
 فى كبرى من الكسوز على الخور والقمار
 والنساء ! ! وكان رجال الحكومة إذ ذاك
 لا يسمون الشيخ ، لا عراضه الصريح على
 تدخلهم المنكر فى شئون الأزهر ، وتعيينهم
 اثنين من أنصارهم فى مجلسه الأعلى ليقوما
 بتنفيذ رغباتهم الحزبية مهما أجهفت بالعلم
 والعدالة والمساواة ! ! فانتهزوا الصيحة
 الغاضبة وطاروا بها إلى فاروق ، فاقبل
 الأستاذ من منصبه ، وقد ثبتت محبته فى القلوب
 وما ضره عزل دنى عن منصب رسمى يسمو
 بالشيخ دون أن يسمو به ، فهو من جلالته
 مكانه فوق المناصب دون استثناء ! !

القصر بالشيخ وآرائه حتى حاول فاروق
 أن يعين المغفور له الأستاذ مصطفى عبدالرازق
 شيخا للأزهر ، وكان القانون الرسمى للشيخه
 لا يسمح بذلك ؛ لأن الأستاذ عبد الرزاق على
 جلالة خلقه ووافر علمه وأدبه ، لم يكن عضوا
 فى جماعة كبار العلماء ، كما أن تعيينه فى هذا
 المنصب الخطير ، يعتبر دفعا جديدا للأزهر
 فى أتون السياسة الحزبية المتصارعة ! ! لأن
 الرجل عضو بارز فى حزب الأحرار
 الدستوريين ، ووزير ممتاز من كبار وزرائه ،
 وله فى السياسة هوى خاص يميل مع قوم
 دون آخرين ؟ فلا بد أن يكون عصره امتدادا
 محتوما لسياسة الأستاذ المراغى فى الانضمام
 إلى القصر وشيعته ! ! لذلك نجد الأستاذ
 عبد المجيد - نصر الله وجهه - يرفض فى عنف
 هذا اليقين ! ! وقد استدعاه النقراشى باشا كما
 ذكرت مجلة المصور وحاول أن يغريه بالمال ،
 إذ كان للشيخ عدة آلاف من الجنهيات بوزارة
 المالية ، مكافأة شخصية على مشيخته للأحناف
 بالأزهر مدة طويلة ، وقد تجمدت تلك
 المراتب بالوزارة لاعتراضها على أن يجمع
 الشيخ بين مرتبين فى وقت واحد ! ! فلوح
 له رئيس الوزراء بصرف تلك الألوف المتجمعة
 سريعا إذا وافق على تعيين مصطفى عبدالرازق ،
 فغضب الشيخ فى وجهه غضبة أزججتة ، وصاح
 به فى انفعال : أتريد أن تساومنى فى الحق ؟ .

الحرص على أن تكون موارد رزقه طاهرة مطهرة ، حتى فيما ضؤل وهان ! فقد ذكر أستاذي الكبير أحمد حسن الزيات بإحدى أعداد الرسالة أن إدارة الترام قد أهدت إلى فضيلته تصريحين بالركوب في الدرجتين الأولى والثانية ، أولهما للشيخ وثانيهما لخادمه ، فخرم الأستاذ على نفسه أن يستبيح شيئاً ما دون مجهود متكافئ وقد تسرع خادمه فاستغل التصريح مرة واحدة ! فغضب الشيخ وركب عربته حتى وصل إلى محطة السرام واشترى تذكرة ثم مزقها دون استعمال ؛ لتؤدي عن الخادم ثمن ما استهلك !! وللباحث النفسى أن يجد في هذا التصرف المتحرز ما يكشف عن أطواء تلك الروح الطاهرة التي تتجنب الشبهات ، وتحرص على أن تكون مثلاً مبرراً للسلم الورع الآبى ، ونبراساً وضيئاً للحقيقة المؤمنة بشئى صفاتها الساحرة من جلال العلم وعظمة الحق وقوة الإيمان ... ويا لها من صفات .

محمد رجب البيومي

المدرس بالمنصورة الثانوية

تلك دروس مثالية يجب أن تلقن للناشئة من أبناء الإسلام؛ لتكون موضع الأسوة الحسنة والندوة المصطفاة ، وهى فى حاجة ماسة إلى من يتناولها بالدرس والتحليل فى مؤلف مبسوط فهيئات أن يتسع المقال الواحد لغير الرد السريع ! على أنه لا يحيط بكل ما كان ، بل ينتخب من الحوادث المتزاحمة ما يغنى عن سواه ، ولن أغفل هنا موقفه الخالد من الملك فؤاد ، فقد حاول أن يستبدل ببعض ممتلكاته الجديية ، أرضاً مخصصة من أملاك الأوقاف ، وتلس الفتوى الميسرة من عبد المجيد فأعلن الأستاذ فى تحمس صادق أن الاستبدال باطل لأنه لا يجوز لغير مصلحة الوقف ! وهى هنا مفقودة ، بل إن الخسارة متحققة ، وقد ملأ رحمه الله فتواه الرائعة بنصوص ثابتة وافية قطعت كل اعتراض ، وتركت طاغية القصر من أطباعه المحرمة فى مأساة نكراء . إن الرجل الآبى الذى يحسّقر الآلاف المتجمدة ، فى سبيل مبدئه ، ويضحى بالمنصب الرائع إذا جر إلى ضياع مثله ، ليحرص كل

العصر الذهبي للتصوف الإسلامي للدكتور محمد غلاب

غير أنهم إلى ذلك العهد لم يكن لهم قواعد خاصة ولا مذاهب سرية، ولا تعاليم مضمون بها على غير أهلها مما جعل التصوف منذ ذلك الحين ينشأ وينمو، ويتخذ أعماقاً رصينة، وأغواراً بعيدة، ويرتدى صوراً متنوعة تبدو تارة تحت اسم الأحوال، وأخرى بعنوان المقامات إلى غير ذلك مما كان له في تاريخ الحركة التنسكية العالمية شأن عظيم وأهمية قصوى كما سنشير إلى كل ذلك في مواضعه.

وقد شئنا أن نبدأ حديثنا اليوم عن هذه النماذج العليا بالمحاسبى وإليك عنه هذه الإلماعة:

المحاسبى :

هو أبو عبد الله الحارثى العنزى، وقد ولد بالبصرة في سنة ١٦٥ هـ. ولما نشأ ارتحل إلى بغداد وفيها تلقى ثقافة واسعة، ودرس فقه الشافعية، فكان أحد أعلامهم الممتازين، ثم تبحر في علم الكلام.

ومما يبدو جلياً للباحثين أن تكون عقلية الممتازة، ومعارفه الواسعة كان نتيجة لجهود عدد غير يسير من الأساتذة دفعتهم الأقدار إلى التضافر على تربية هذه العقلية. ولكن الذى يلفت النظر في دراسة شخصيته، هو أنه

يعتبر القرن الثالث الهجرى عصر ازدهار لأشهر المدارس الصوفية إلى حد أن أطلق عليه المستشرقون اسم «العصر الذهبي».

وفي الحق أنه بعد أن كانت الحركة التنسكية تتمثل في أفراد منعزلين، أو في مدارس ناشئة تأسست في السكوفة أو في البصرة، أصبحت في ذلك العصر قوة صوفية يحسب حسابها قد اتخذت عاصمة العلم والثقافة مركزاً لها جعلت ترسل منه أشعة فتوحاتها الربانية، وأنوار فيوضها الصمدانية إلى بقية الأصقاع الإسلامية فتضى ظلماتها، وتبدد حنادسها.

كان أعلام الصوفية في تلك الحقبة من مشاهير أهل الحديث، وكانوا يبذلون جهودهم في أن يعيدوا الطقوس الدينية الظاهرية والحياة العملية للجماعة إلى المثل العليا التي تركها النبي الجليل والتي كانت مصابيح الأفكار والألباب والسلوك قبل أن تنشأ البدع، وتستقطظ الفتن. وكانوا أساتذة لعلوم السنة ومعارفها، وكان لهم تلاميذ يجتمعون حولهم، ويقسمون حياتهم، ويتسابقون إلى خدمتهم. ولكنهم كانوا يمتازون عن بقية الأساتذة بالزهادة والانصراف عن أعراض الدنيا، وبقوة الشكيمة والصبر على المكروه.

ردحا من الزمن فيما هو مقبل عليه . وبينان هذا أنه اهتدى إلى التصوف بعد أزمة باطنية حدثنا عنها فى كتابه « الوصايا » وهو نوع من الاعترافات السيكولوجية يشبه كتاب « المنقذ من الضلال » لآنى حامد الغزالى ، إذ أنبأنا فى ذلك الكتاب بأن القلق قد استولى على مشاعره النفسية حين رأى أن الجماعة الإسلامية قد انقسمت إلى اثنتين وسبعين فرقة دون أن يعرف أحد أيها على حق . وإذ ذاك جعل يتأمل فى القرآن طويلا ، فقذفت به تأملاته العميقة ، وملاحظاته الدقيقة فى بحر التنسك ، إذ أيقن بأنه هو الوحيد الذى يحول بين المرء وتلك اللذائذ الدنيوية التى هى منشأ الشرور ، ومصدر الأهواء التى مزقت جمع المسلمين ، وفرقت صفوفهم . كما آمن بأن هذا التنسك هو الضمان الوحيد الذى يحتفظ بالشخص فى إطار الحقيقة .

اشتهر المحاسبى بالزهد القاسى فى عصره حتى لقد قيل إنه كان إذا اشتهى لونا من الطعام ، ومد إليه يده تحرك فى إصبعه عرق إنذاراً له فيمتنع عنه . وقد أطلق عليه لفظ المحاسبى لكثرة محاسبته نفسه على ما تأتية من الأعمال . ولقد قال عنه القشبرى : « إنه كان عديم النظر فى زمانه علما وورعا ومعاملة وحالا » .

غير أن هذا الزهد - حتى فى عصر اعتزاله المجتمع - لم يحل بينه وبين استمرار الاستزادة من العلوم الظاهرية والارتواء منها ،

لم يحاك أحداً من أساتذته . ولقد كان من أنصار العقل ، ولكنه كان يهاجم المعتزلة فى آرائهم المتطرفة . وكان يستخدم مفرداتهم ومنطقهم فى حملته عليهم . ولعله بهذا هو الذى رسم الخططة البارعة التى سلكها الإمام الغزالى فيما بعد فى هجومه على الفلاسفة بسلاحهم ومنطقهم وعباراتهم واصطلاحاتهم مع وجوب تسجيل فروق الزمن وانتشار الثقافة ، واتساع الأفق ، ولكن العناصر الأولية لا ينبغى أن تمر أمام الباحث مهمة ، أو أن تسحب عليها أستار التغاضى والنسيان .

ولقد ظل يزاول التعليم والوعظ حتى نيف على الستين . وكان أول من تفرد بإخراج الاحترام العميق للوروثات الإسلامية والتنقيب الدقيق عن الكمال الخلقى الباطنى ، والانشغال التام بالتعريفات الفلسفية المضبوطة ، وأنه لم يكن يرى بين هذه العناصر التى تبدو أمام العامة متعارضة ، أى تتافر أو اختلاف ، بل كان مؤمنا بأن اجتماعها وتضافرها هما الوسيلة المثلى لنصر الدين والرفع من شأن الكمال البشرى الذى يجب أن يؤسس على العقل الذى وصفه الخالق جل وعلا بأنه أعز خلقه ، وعلى الوحى الذى هو تاج المعارف الإنسانية .

وأخيرا هجر التعليم فى سنة ٢٣٢ هـ واعتزل الحياة العامة زهاء عشرة أعوام ألقى بنفسه أثناءها بين أحضان التصوف بعد أن تأمل

والعمل بما فيه زمنا طويلا ، وظلت تعاليمه زاهية في البيئات الصوفية ، ولا سيما لدى الشيعيين عدة قرون رغم ما وجه إليه من حملات الخصوم المغرضين . ولقد وصفه الأستاذ ماسينيون بأنه : « مرشد جدير بالإعجاب للحياة الباطنية » .

أما آراؤه فمن أهمها وجوب العمل على تطوير القوة الباطنية للإنسان بوسيلة قاعدة مرنة تقتاد سلوك الحياة الخارجية ، وتخضع أنظمة أعمالنا الفردية وعلاقتنا الاجتماعية لذلك الواجب الأساسي الأول ، وهو العبودية لله وحده ، وتخليه القلب من كل من عداه وما عداه . ولا ريب أن قاعدة الحياة هذه إذا اتبعت كما ينبغي ، فإنها تولد في الروح أحوالا وفضائل يرتبط بعضها ببعض حسب نظام محدد .

أما تأثير مدرسته ، فقد كان قويا إلى حد بعيد ، وعلى الأخص في تنمية الوجدان البشري . وقد كان له عدد ضخم من التلاميذ المباشرين وغير المباشرين ، فقد استلهم الجنيد من معارفه ، واستضاء بأنواره ، وانتهل ابن عطاء من معين فتوحاته . ورأى الأشاعرة فيه طليعة إصلاح مدرستهم ، وداوم الغزالي على الالتجاء إلى تعاليمه ، وأكثر الاستشهاد بمنتجاته . وأخير كان أحد الأعلام الثلاثة الذين انعقد لهم لواء زعامة الشاذلية .

بل إن مؤلفاته في علم الكلام قد احتوت من النظريات ما أحق عليه فقهاء عصره ، كما أحق عليه جميع علماء الكلام . وقد ظهر هذا الحق في حملة أحمد بن حنبل وأنصاره عليه ، تلك الحملة التي كان من نتائجها أن اضطهد المحاسبي وانقطع عن المجالس العلمية العامة حتى توفي في سنة ٢٤٣ هـ .

ونحن لا نستطيع أن نقف صامتين بإزاء هذه المأساة التي كانت تمر ولا نزال نشاهدنا من حين إلى آخر مرتدية ثوب الدين ، والدين منها براء ، لأن ماصدره السماء يحل عن الفتنة والإيقاع . ويتعالى عن الأغراض الخاصة والأهواء الشخصية . ونحن - فيما يتعلق بالمحاسبي - إذا جزمنا ببراءة الإمام أحمد ابن حنبل لما نعلبه من نقائه وإخلاصه فيما يقول ويفعل ، ويرى ويحكم ، فإننا لا نستطيع الجزم ببراءة أشياعه ولو من التعصب والحدة وسرعة الغضب على أقل تقدير . وفوق ذلك فإن نزعة أولئك الأشياع كانت معادية للصوفية ميالة إلى المادية حتى وصلت بغلاتهم إلى منطقة التشبيه والتجسيم

أما مؤلفاته فمن أهمها كتاب « الرعاية لحقوق الله » وهو كتاب جليل في المبادئ التي يجب على المتصوفة اتباعها . ويعتبر منهجا كاملا للإرشاد النفساني . وقد عكف الغزالي قبل أن يؤلف كتاب الإحياء على دراسته

نساء المقامات ونحوها:

عما لا سبيل إلى الريب فيه أن منهج الصوفى الحقيقى هو بحث باطنى شخصى ، وتأمل فى حكمة الأوامر الإلهية ليرزها فى صورتها الحقيقية الناصعة ، وليظهر عبادة الله فى كمالها الذى خفى على العامة والجاهير ، فأحاطوه بكثير من الخرافات والأساطير .

وقصارى القول أن قوة أفكارهم تولد من تأملاتهم المتوحدة المستأنية العميقة المتحمسة العملية التى يديمونها فى تدبر معانى القرآن . ولا جرم أن الموفقين منهم يظنون عاكفين على هذا التأمل حتى لكأنهم يشعرون برنين القرآن يجلجل فى قلوبهم على صورة مصغرة مما كان يحدث للنبي صلى الله عليه وسلم .

ومما هو غنى عن البيان أن غاية أعلام الصوفية من بسط نظرياتهم ، وعرض عظائهم هى العمل المستمر المؤسس على الفسكر الدائم والصادر عن قوى النفس الثلاث : أى العقل والذاكرة والإرادة ، ولا شك أن العمل الذى هذا شأنه هو الذى يحقق اتجاه الفرد إلى ربه والسير نحوه من خلال الليل المظلم الخيم على الحياة المادية .

ومهما يكن من الأمر ، فإن هذا التأمل العميق من جانب صوفية المسلمين فى معانى القرآن ، وفى الحياة الروحية للرسول قد انتهى

بهم إلى الاستيقان بأن الزهادة التامة ، والإخلاص المطلق يلتقيان بقلب المؤمن على مسرح النقاء ، وأن الحالات السيكلوجية لهذا القلب تصير ثابتة ، وأن الوصول إلى هذه المرتبة يتحقق عن طريق التقدم المنظم المطرد الذى يؤلف المقامات المتتالية التى تسمح للسالك بأن يقتاد تأملاته فى نجاح حتى ينتهى إلى عتبة الاتصال المراد . ولا ريب أن هذه المقامات تختلف باختلاف أعمال الصوفية وثقافتهم الخاصة ، ونزعاتهم الشخصية ، واستعداداتهم الفردية ، ولقد كانت تلك المقامات فى مبدأ الحياة الصوفية الإسلامية قليلة العدد ، ولكنها - بوساطة التحليلات السيكلوجية المثابرة - جعلت تنمو وتتضاعف حتى لقد وصلت عند بعض أولئك الأعلام إلى مائة كما سجل ذلك عبد الله الأنصارى فى كتابه القيم : « منازل السائرين إلى رب العالمين » .

ولما كان هذا الكتاب من أروع الكتب التى عرضت لهذا الموضوع . فلنأثر أن نقف عنده هنيهة قصيرة بجملين منه ما يعيننا فى هذا الموقف على النحو التالى :

يقسم الأنصارى المنازل الصوفية إلى عشرة أقسام يشتمل كل قسم منها على عشرة منازل أو عشر مقامات .

فالتقسيم الأول يدعى بالبدايات ، ويلج الأنصارى - كما يلج جميع رؤساء الصوفية -

أن سلوك الصوفي المخلص مع ربه ، ينتهى به إلى اكتساب أخلاق فاضلة . ومن مقاماته : الرضى والشكر والحياء والصدق والإيثار والتواضع وما إلى ذلك .

والقسم الخامس هو الأصول ، وبمحملها أن مجرد اكتساب الأخلاق الفاضلة يمنح الصوفي الرغبة الزائدة فى شدة الاتصال بربه . وهو لتحقيق هذا يجب عليه أن يختار أحد تلك المبادئ العشرة التى هى مقامات هذا القسم ، وهى المقامات التى يؤسس عليها تقدمه فى طريقته الصوفية . وأهم هذه المبادئ : « الإرادة » ، التى بها يتم له الاختيار .

وهنا ينتهى الجانب الإيجابى من حياة الصوفي بوصف أنه مريد ، فيدخل فى إطار جديد ينتظر فيه الفضل الإلهى ، أو الفيض الربانى .

وقد آثرنا أن نقف اليوم عند هذا الجانب الإيجابى ، وربما عدنا فيما بعد إلى الجانب السلبي الذى يكون فيه الصوفي مراداً بعد أن كان مريداً ، ومحبوباً بعد أن كان محباً ، وإذا تقرب منى عبدى شبرا تقربت منه ذراعاً . وإذا تقرب منى ذراعاً تقربت منه باعاً . وما هذه المقاييس المادية إلا تقريب للأذهان . تعالى الله عنها علواً كبيراً .

الدكتور محمد غنيم

على ضرورة العناية بمقامات هذا القسم ؛ لأنها هى الأساس الذى عليه يقام البناء كله وبالتالي لا يكون هذا البناء متيناً إلا بمقدار متانة أساسه ، وهذه العناية تتلخص فى أنها يجب السالك أن يراقب نفسه فى دقة ونية طاهرة وعزيمة صادقة بإزاء تنفيذ أوامر الكتاب الكريم ، ومتابعة السنة الغراء . أى أن يكون مسلماً بالمعنى الكامل لهذه الكلمة ومن مقامات هذا القسم اليقظة وهى تهدف إلى دعوة القلب إلى هجران نوم الغفلة بأن يتنبه إلى النعم التى حباها الله بها . وأن يدرك خطورة الذنوب ونتائجها ، وأن يتأمل فى الأوقات الماضية الضائعة ، وفى ضرورة العمل على تعويضها بالعمل الصالح فى الحاضر والمستقبل . ومن هذه المقامات : التوبة والمحاسبة والإنابة والتذكر ، ومعناه مراقبة النفس والحيولة بينها وبين النسيان .

والقسم الثانى هو المسمى بـ « الأبواب » ، وهى المنافذ التى يدخل منها السالك إلى الرحاب الأسمى ومنها الإشفاق والخشوع والزهد والرجاء :

والقسم الثالث هو المعاملات ومعناها الخطط التى يسلكها المريد فى تصرفاته لمتابعة طريقته الأولى بعد أن يجتاز الأبواب ومن مقامات هذا القسم التوكل :

والقسم الرابع هو الأخلاق ، ومؤداها

الإسلام في أستراليا

لأستاذ عطية صير

البعثات العلمية والاستكشافية تفد إليها ، وتطلعت الأنظار من كل جنس ودولة إلى خيراتها البكر ، فتتابع سيل المهاجرين من الباحثين عن العيش والراغبين في الثراء . وكان نزول هؤلاء أولاً على السواحل ، فلم يستطيعوا المخاطرة بارتداد قلب القارة نظراً لوعورة الطرق وكثافة الغابات وعدم وجود الوسائل الكافية للانتقال .

وكان من هؤلاء المهاجرين جماعة مسلمون قدموا من الهند وأفغانستان وبلوخرستان حلوا معهم دين الإسلام لأول مرة إلى هذه القارة ، وكان ذلك في أوائل النصف الثاني من القرن التاسع عشر سنة ١٨٦٠ أو سنة ١٨٦٩ على اختلاف في الروايات ، وقد أرادت البعثات العلمية والاستكشافية أن تدخل قلب القارة ولكن وسائل الانتقال تنقصهم ، ففكروا في استخدام هؤلاء الأفغان الوافدين ، الذين مهرؤا بحكم طبيعة بلادهم في ارتياد الصحارى وتحمل مشاق السفر وتقلبات الجو ، فقاموا ومعهم دوابهم وإبلهم بتسهيل مهمة البعثات وانتقلوا معها في كل

في الجنوب الشرقي من خريطة العالم تقع قارة صغيرة نائية ظلت مجهولة للغرب آلاف السنين ، فلم يعرفها الأوربيون إلا في القرن السادس عشر حين مر بها البرتغاليون ، وارتادها الهولنديون في القرن السابع عشر ، ثم بدأ الانجليز في استعمارها في نهاية القرن الثامن عشر عندما ضاعت ممتلكاتهم في أمريكا سنة ١٧٨٣ ، فأنشئوا بها مستعمرات للجرحمين الذين ضجت إنجلترا من حوادثهم ، فأقلعت بهم إحدى عشرة سفينة في سنة ١٧٨٨ وأنزلتهم بهذا المنفى ، وبدءوا بالفعل استغلال هذه القارة التي يسكنها قوم من الجنس الماوري آخذون في الانقراض ، وإن كانت الجهود تبذل للإبقاء عليهم للإفادة منهم في دراسة النوع البشري وتطور الحضارات .

ولم يكن أحد من سكان القارات الكبرى يرغب في السفر إلى هذه الأرض الجديدة . التي تسكو أرضها الغابات وتمتد بها الصحارى وتقسو الطبيعة ، حتى كان اكتشاف مناجم الذهب سنة ١٨٥١ فبدأت

تحسينات في المساكن الملحقة به وغرسوا الأشجار في ساحته ، وأنشؤا دورة مياه بجواره يفيد منها المترددون على المسجد ، خصوصاً كبار السن، الذين يلزمون به في أغلب الأوقات .

كما أنشئ "مسجد في مدينة ماريه" ، غير أنه لسوء الحظ أصبح لا يؤمه المصلون بعد أن تصدعت جدرانها وأهمل شأنه ، وقد كان هذا المسجد آخر ما ينظر إليه الإنسان وهو يغادر جنوبي استراليا . وبعد سنة ١٩٥٢ أصبح عدد المسلمين المهتمين به قليلاً ، ولم يشأ الجيل الناشئ أن يعيد إليه سابق عهده ، بل تركوه للرياح وعوامل الطبيعة تقتص من أطرافه ، حتى اختفى إلى الأبد هذا المعقل الإسلامي العظيم .

وفي بداية القرن العشرين نزح بعض المسلمين إلى غربي استراليا، ووصلوا إلى ميناء "فريمانتل" Freemantle، لينتقلوا منه إلى سهول "نولاير"، فوضعوا الحجر الأساس لمسجد "برث" سنة ١٩٠٥ ، وما يزال هذا المسجد قائماً ، وقد ألحق به مسكن يأوي إليه المسلمون ، الذين يرفض الأهلالي إيواءهم بسبب التعصب العنصري وهو يبعد عن ميناء "برث" بنحو نصف ميل ، وقد استطاع هذا المسجد، الذي ظل مهجوراً عدة سنين أن يسترد نشاطه كسابق عهده ، بعد أن تعهده الأوروبيون الذين اعتنقوا الإسلام .

مكان ، وكانت هذه المهمة وسيلة لانتقال الإسلام وانتشاره من جوانب القارة من أديلايد Adelaide إلى داروين Darwin ومن برث Perth إلى سيدني Sydney . وفي هذه الأماكن كلها نودى باسم الله في كل أذان ، وذكر اسمه في كل صلاة .

وكان من سياسة هذه الطليعة الإسلامية أن يجتمعوا حول الآبار ، متخذين منها مراكزاً لنشر الدعوة الإسلامية ، وما لبثت أن تكونت حول هذه النقاط مدن صغيرة مثل ماريه Marree ، أليس Alice ، ويلز Wells بردسفيل Dirdsville ، كاترين Katherine . واستدعى المسلمون أسرهم وكونوا جالية إسلامية اعترف بها رسمياً في البلاد .

وأول مركز إسلامي أنشئ في القارة في مدينة "أديلايد" على الساحل الجنوبي ، ففي سنة ١٨٨٩ اشترى الحاج "ملايرين" Mairbain وهو أحد مهاجري الأفغان ، قطعة أرض أقام عليها مسجداً ساهم فيه المسلمون الذين كانوا يبلغون إذ ذاك ٤٠٠ مسلم وكان ذلك سنة ١٨٩٦ . وهو لا يزال إلى الآن تقام فيه الشعائر ويحمل اسم صاحبه ، وتشرف عليه الجمعية الإسلامية . وبعد وفاته وفد على المنطقة كثير من المسلمين واصلوا أعماله الخيرية في الإشراف على المسجد ، فأنشؤا كثيراً من الممرات وعملوا عدة

وفي سنة ١٩٥١ كانوا ٧٠٢. وفي سنة ١٩١٦ قدر بعض الباحثين عدد المسلمين جميعا بنحو ٣٩٠٨ نسمة (١). غير أن عددهم زاد بعد هذا التاريخ، فقد هاجر إلى استراليا كثير من مسلمي الهند والملايا والصين وشرق إفريقيا، وفي سنة ١٩٢٤ عقب الحرب العالمية الأولى هاجر إليها عدد من مسلمي ألبانيا وشبه جزيرة البلقان. ثم أوقفت الهجرة سنة ١٩٤٥ ولم تأت سنة ١٩٤٨ أى بعد الحرب العالمية الأخيرة حتى بدأت الهجرة مرة ثانية فوفد المسلمون إليها من أوروبا والشرقين الأقصى والأوسط. ويوجد الآن مسلمون من بولندة وألمانيا وانجلترا وبلغاريا ويوغسلافيا وألبانيا ولبنان وفلسطين وغيرها. ومن بين هؤلاء طلاب من الملايا والهند وباكستان وأندونيسيا وسيلان. يعودون إلى بلادهم بعد انتهاء بعثاتهم. كما يوجد بحارة مسلمون يتصلون بالمسلمين في الموانئ. وبهذا يكون في استراليا حوالى خمسة آلاف مسلم من المقيمين وحوالى ألف من الطلاب. هذا ما يقوله رئيس الجالية الإسلامية في أديلد (٢). وقد زار أحد المصريين استراليا سنة ١٩٤٨ وألقى محاضرات في «ملبورن»، ونشر بيانات عن الإسلام.

وعلى الشاطئ الشرقى للقارة يوجد مركز إسلامى ثالث في «بروكن هل Broken Hill» فقد أنشئ في سنة ١٩٠٨ مسجد صغير مازال يتردد عليه القلة الباقية من المسلمين والمسنين في هذه المنطقة، كما هو الحال في مسجد «برسبين» Brisbane.

ويلاحظ أن كثيرا من المساجد تقام عند ما يحل المسلمون بالمنطقة. فإذا ارتحلوا عنها إلى حيث النشاط الاقتصادى كما كتشاف منجم أو غير ذلك. أهمل المسجد. وترك مأوى للضالين والحيوانات المتوحشة. أو استعمل لغرض آخر. كما أهمل مسجد «ماريه» سنة ١٩٣٢. ومسجد «تاسمانيا» الذى اتخذته الجيش الأسترالى معسكرا له في الحرب العالمية الثانية، ولم يستأنف نشاطه بعد.

ولا توجد إحصاءات رسمية دقيقة تبين عدد المسلمين في القارة، نظرا لكثرة تنقلهم، وعدم وجود رابطة تجمعهم، كما أن عددهم يختلف من آن لآخر بالهجرة، والبعثات التعليمية والتجارية لا تطول مدة إقامتها هناك كثيرا.

ففي سنة ١٨٨١ كان عدد المسلمين في جنوبى استراليا ٤٧٦٢، وفي سنة ١٩٣٣ كانوا ٤٤٩١، وفي سنة ١٩٤٥ كانوا ٦٠٠. وفي سنة ١٩٥٥ كانوا ٣٠٠. كما كان عددهم ١٨٥٧ في فيكتوريا وتسمانيا ٢١٦، وفي سنة ١٩٠١ كانوا ٤٦٧.

(١) دليل العالم الإسلامى، الطبعة الثالثة.

الخارج . فلما صرّفوا عنها وقف تصديرها إلى البلاد الإسلامية . وبرز نشاطهم في أعمال الملاحة بالموانئ . فيوجد في ميناء «ملبورن» ٧٠ مسلماً من بين عمال الشحن والنقل والتخليص .

وقد نقلوا إلى البلاد زراعات لم تكن موجودة كالبلح وأدوا خدمات جليلة للبعثات الاستكشافية ، وبرز منهم في هذا المضمار «بيجاه درويش» الذي كان سبباً في نجاة بعثة «ويلز» بعد أن أشرفت على الهلاك إذ ضلت الطريق ، فوجهها درويش بالوصلة واقفاء الأثر وواصل بها السير في تحمل وصبر بالرغم من أن سنه جاوز التسعين ، فنجت من الهلاك

ومثله في ذلك ابنه «جاك بيجاه» الذي عبر ببعثة الدكتور «ماديغان» madigan سنة ١٩٣٩ مجاهيل صحراء «سيمبسون» إلى «أليس سبرنجس» .

وقد نقل الألبانيون إلى استراليا صناعة الدخان وإن كانوا هم قد انصرفوا عنها إلى الزراعة . وقام مهاجرو البلقان بإدارة الفنادق والمقاهي .

وما يدل على آثار المسلمين الطيبة التي تركوها في البلاد ما سجل من الأسماء لبعض المدن والأماكن التي حلّوها . ولعل من أهمها اسم «خان» الذي أصبح يطلق على سكة

ويقول إن كثير من الأهالي اعتنقوا الإسلام . ويقدر عدد المسلمين بنحو ١٢ ألفاً .

ومهما يكن من شيء فإن المسلمين هناك لهم جمعيات في الأماكن التي يكثرون بها فيكتوريا وسوث ويلز . وكوينزلند . وأهمها جمعية «أدليد» التي يرأسها مسلم انجليزى الأصل يدعى : حسين . ر . ل . بريستلي . Pristly . اعتنق الإسلام سنة ١٩٤٧ عند ما زال من نفسه الشك الذي ظل يساوره منذ الصغر ولم يجد له جواباً شافياً في الديانات الأخرى حتى أُلجأته الظروف إلى الانخراط في سلك الجندية في قوات الأمن بفلسطين واختلط بعلما المسلمين ووجد في الإسلام إنصافاً لجميع الأنبياء واعترافاً بهم فأسلم^(١) ونائب رئيس الجمعية بولندي وأمين الصندوق ألباني .

والجمعية تقيم الشعائر وتحفّض بالأعياد والمواسم الإسلامية وتلقن الكبار والصغار بعض الدروس الدينية وأصول العبادات . وقد اشتغل المسلمون أول ما نزلوا القارة بالزراعة والرعي والتجارة والعمل في المناجم وتعبيد الطرق . وبفضلهم اكتشفت مناطق مجبولة . وأمكن للبعثات أن تقوم بمهمتها في الكشف واستغلال موارد الثروة . وعند ما كان المسلمون يقومون بذبح الحيوانات راجت تجارة اللحوم المحفوظة وتصديرها إلى

ود عبد القادر ، وهو من د ماريه ، الذى أدخل زراعة النخيل إلى البلاد .

هذا والمسلمون متمسكون بدينهم ويدينون بمذهب أهل السنة . ويؤدون الشعائر على مذهب الإمام أبى حنيفة الذى حمله إليهم الأفغان كما يوجد نحو ٥٠٠ مسلم فى غينيا الجديدة التى تقع تحت الانتداب الأسترالى ، قدموا من إندونيسيا ، ومذهبهم شافعى .

تلك نبذة عن الإسلام فى ماضيه وحاضره ، فهل نستطيع أن نقدم للمسلمين فى مهجرهم هذا شيئا يفيدون منه فى مستقبلهم ؟ أعتقد أن أية خدمة يؤديها الأزهر إليهم ؛ سيكون لها صدى بعيد الأثر فى نفوس هؤلاء الذين ينظرون إلى الأزهر كمصدر إشعاع روحى وثقافى على العالم الإسلامى أجمع ، والله الموفق والمعين . ؟

عطية صفر

حديد د أدليد ، منذ أن أدخل فيها القطار البخارى وقطار الديزل ، كما يطلق على تل هناك اسم د تل بيجاه ، نسبة إلى بيجاه درويش ، تخليدا لذكره .

ومن الرجال الذين خدموا الإسلام فى استراليا شيخ مسن يدعى د محمد على ، وهو انجليزى الأصل وكان كبير الجالية الإسلامية الموجودة الآن فى جنوبى استراليا . ود محمد أيوب خان ، الذى يرعى المسلمين فى مينا د برث ، والمرحوم الحاج ملا مريين السابق ذكره ، ود عبد الوديع الأفغانى ، ود غلام ريزل ، . ود سعيد نيز محمد ، ود باهى خان ، وقد عاد هؤلاء إلى بلادهم وتركوا الإشراف على الجمعية إلى ابن عبد الوديع الذى بقى هناك يواصل نشاطهم . كذلك من خدموا الإسلام د محمد علوم ، الذى قام بطبع النشرات لصالح الدعوة الإسلامية فى د أدليد ،

كسب المعاش

شكا الفقراء ولام الصديق فأكثر
صلات ذوى القربى له أن تسكرا
من الناس إلا من أعدت وشمرا
وكيف ينام الليل من كان معسرا ؟

إذا المرء لم يكسب معاشا لنفسه
وصار على الأدنين كلاءً وأوشكت
وما طالب الحاجات من حيث تبتغى
فلا ترض من عيش بدون ، ولاتنم

من شعراء الوصف :

القاضي الفاضل

للأستاذ علي المتباري

٥٢٩ - ٥٩٦ هـ

- ٣ -

هياتم :

الوقت الموفق بن الخلال الذي وصفه العماد الأصهباني بقوله : « هو ناظر مصر وإنسان ناظرها ، وجامع مفاخرها ، وهذا الرجل يعتبر الأستاذ المباشر للقاضي الفاضل :

ويروى عبد الرحيم قصة وفوده إلى مصر فيقول : كان فن الكتابة بمصر في زمن بني عبيد غضا طريا ، وكان لا يخلو ديوان المكاتبات من رأس يرأس مكانا وبياناً ، ويقوم لسلطانه بقلبه سلطاناً ، وكان من العادة أن كلا من أرباب الدواوين إذا نشأ له ولد وشدا شيئاً من علم الأدب أحضره إلى ديوان المكاتبات ليتعلم فن الكتابة ويتدرب ويرى ويسمع ، فأرسلني والدي ، وكان إذ ذاك قاضياً بشعر عسقلان إلى الديار المصرية في أيام الحافظ وهو أحد خلفائها ، وأمرني بالمصير إلى ديوان المكاتبات ، وكان الذي يرأس به في تلك الأيام رجل يقال له ابن الخلال ، فلما حضرت الديوان ومثلت بين يديه وعرفته

هو عبد الرحيم بن علي بن الحسن ، ولقبه بجير الدين ، وكنيته أبو علي ، وشهرته القاضي الفاضل ، ولد بعسقلان إحدى مدن فلسطين ولذلك ينسب أحياناً إليها فيقال العسقلاني وتولى أبوه قضاء بيسان ، وهي من مدن فلسطين أيضاً ، وكثيراً ما ينسب القاضي إليها ، فيقال عبد الرحيم البيسانى ، وبهذا الاسم سمي الشارع الصغير ، في حي المنيرة بالقاهرة وينتهي نسب هذه الأسرة إلى لحم إحدى القبائل العربية ، ولذلك يقال في نسبها (اللخمي) .

نشأ القاضي بعسقلان ، وتلقى بها علوم العربية ، وشدا شيئاً من الأدب ، ثم أرسله والده القاضي الأشرف إلى مصر ليتحق بديوان المكاتبات ، في زمن الخليفة الحافظ الفاطمي وكان يتولى ديوان الإنشاء في ذلك

ثم كتب بعد ابن رزيك لأسد الدين شيركوه عم صلاح الدين الأيوبي ، ثم صلاح الدين وأصبح وزير دولته ، وصاحب الأمر الأول فيها كما خدم ابنه العزيز ، ثم اعتزل في بيته وعكف على التلاوة وقراءة القرآن ، وبالمخ العاد الأصهباني ، فيقول إنه كان يختم القرآن في كل ليلة ، وكان بينه وبين العادل أبي بكر بن أيوب وحشة ، وكان الفاضل يخشى أن يتولى العادل ملك مصر ، فلما بلغه مجيء العادل ملكا على مصر دعا الله على نفسه بالموت ، فمات قبل دخوله ، ويقال : إن العادل كان داخلا من باب النصر ، وجنازة الفاضل خارجة من باب زويلة ^(١) . وكانت وفاته في سنة ٥٩٦ هـ عن سبعة وستين عاما . وقد أجمع مؤرخو الفاضل أنه كان دميم الخلق فكان أحذب أوقص ^(٢) قصيرا ، ويروى أنه دخل حماما ذا قبة فقال بيتين يصف فيهما نفسه :

ما كان يكمل حر ذا الحمام
حتى ازداد قبلة

[١] زويلة كجينة أو كسفينة ، قبيلة من قبائل البربر الواصلين مع جوهر القائدين المغرب ، ويطلق على باب بناء بدر الجمالي ، وهو قائم إلى اليوم وتسميه العامة بوابة المتولى ، حيث كان يجلس في مدخله متولى حلبة القاهرة .

[٢] الوقص بالتحريك : قصر العنق وقمّله وقص كفرح ، وتواقص : تشبه بالأوقص .

من أنا وما طلب رجب في وسهل . ثم قال : ما الذي أعددت له لفن الكتابة من الآلات ؟ فنلت : ليس عندي شيء سوى أني أحفظ القرآن العزيز وكتاب الحماسة ، فقال : وفي هذا بلاغ ، ثم أمرني بملازمته ، فترددت عليه وتدربت بين يديه ، ثم أمرني بعد ذلك أن أحل شعر الحماسة فخلته من أوله إلى آخره ، ثم أمرني أن أحله مرة ثانية فخلته (١) .

وبعد أن تخرج كتب لقاضي الإسكندرية ابن أبي حديد ، ولما ظهر فضله استدعى للعمل بديوان الإنشاء بمصر وكان الذي استدعاه الملك العادل بن رزيك ، وزير الخليفة الفاطمي (العاضد) ، وقد أثنى عمارة النيني في كتابه (النكت) على الملك العادل فقال : « ومن محاسن أيامه وما يؤرخ به عنها ، بل الحسنة التي لا توازي ، واليد البيضاء التي لا يجازى ، خروج أمره إلى والي الإسكندرية بتسيير القاضي الفاضل الأجل أبي على عبد الرحيم بن علي البيسانى إلى الباب واستخدامه في حضرته ، وبين يديه في ديوان الإنشاء (٢) » .

(١) الروضتان ج ١ ص ١٩٢ ، وقد نقله عن ابن الأثير في أول كتابه (الوشي المرقوم) حيث قال إن القاضي حدثه بهذا الحديث .

[٢] النكت ص ٥٣ عن كتاب دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين ص ٢٠٧ .

هذا النحو الذي نجده في كتب معاصريه أو في الكتب التي نقلت عن معاصريه ، فالحقيقة التاريخية تقول إنه لم يتدع هذه الطريقة التي نسبت إليه بل كان مقلداً لمن سبقه ، وأصل هذه الطريقة عنده الكاتب ابن عبد كان من كتاب الطولونيين^(١) .

قلت : ومن من هؤلاء الذين نسبت إليهم طرائق الكتابة كان مبتدعاً لها ، لم يكن ابن المقفع مخترعاً لطريقته ، وإنما كان مقلداً فيها ، ثم عرف بها لما أكثر منها ، وبرز فيها ، وكذلك كان الجاحظ ، وكذلك كان ابن العميد ، فالطرق الكتابية لم تعرف بمبتدعها ، وإنما عرفت بالذين برزوا فيها . وهكذا كان الشأن في القاضي الفاضل ، صحيح أن معاصريه امتدحوه وأشادوا به وغلوا في مدحه ، ولكن الرجل كان مع ذلك أهلاً لكثير مما امتدح به ، وقد بالغوا في عدد الرسائل التي أثرت عنه ، ومهما يكن من شيء فما أظن أن لأحد من معاصريه أو ممن سبقه هذا القدر من الرسائل ، ولقد شهد الفاضل أقوى فترة في تاريخ محاربة العرب للصليبيين ، وكان فيها اللسان الناطق ، والكاتب المؤرخ ، والرأي الرشيد وتكاد تكون رسائله تاريخاً دقيقاً

فكأنني فيه خرو
خروف شواً ومن فوق في مكبة

ملته :

لا يكاد أحد شدا في تاريخ الأدب شيئاً يجهل القاضي الفاضل ، فهو يقرب ابن المقفع والجاحظ وابن العميد في أن لكل منهم طريقة في الكتابة الفنية عرفت باسمه ، والسمات البارزة في الطريقة الفاضلية هي الإكثار من المحسنات البديعية وخصوصاً الجناس والسجع والتورية والطباق ومرعاة النظير ، واختيار الألفاظ الجزلة ، والتلاعب بالألفاظ والإسراف في الصناعة حتى ولو أدى ذلك إلى التكلف والثقل ، وقد أشرت إلى هذه الطريقة في الحديث عن العماد الإصهاني .

وطريقته امتداد لطريقة كتاب الدواوين في العهد الفاطمي ، وقد أصبحت هذه الطريقة موسومة في كتب الأدب باسمه ، ولكن بعض الباحثين المحدثين ينكر أن يكون فن القاضي الفاضل أهلاً لكل ما قيل عنه ، وعنده أن نسبة المذهب إليه لون من ألوان التعسف في الحكم النقدي والتاريخي وأن الذي حمل الناس على أن يرفعوا من شأن القاضي ، هو أنه كان وزير مصر الأول في الأيام الصلاحية ، ولو لم يكن هو صاحب السلطان الفعلي في البلاد ما كان المؤرخون والنقاد يشيدون بنفسه على

[١] دكتور محمد كامل حسن في كتابه [في أدب مصر الفاطمية] و [دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين] .

الأصبهاني ، فقد ألف كتابه (الحريدة) وقال في أوله : (وقبل شروعي في ذكر أعيان مصر وأحاسنها ، ومزايا فضائلها ومزاينها ، أقدم ذكر من جميع أفاضل الدهر وأماثل العصر ، كالقطرة في تيار بحره ، بل كالذرة في أنوار فجره ، فهو كالشريعة المحمدية التي نسخت الشرائع ، ورسخت بها الصنائع) . وطريقة العباد في المبالغة واضحة ، ولكنها طريقة قديمة أيضاً ، شرعها الثعالبي في كتابه (القيمة) ، فكل كاتب عنده بكر الدهر ، وإنسان عين الفضل .

وقد كان صلاح الدين يحل الفاضل ، ويحرص عليه ، ويمثل هذا الحرص موقفه منه حينما أراد الفاضل الحج ، فقد استأذن من السلطان ، فكتب إليه السلطان بخطه توقيعاً (على خيرة الله تعالى ، يا ليتني كنت معكم فأفوز فوزاً عظيماً) ثم كتب السلطان إلى بعض النواب بخطه أيضاً : « وصلني كتاب القاضي الفاضل وهو يذكر أنه مصمم على الحج ، الله يجعله مباركا ميمونا ، ولكن لا أفسح له فيه إلا بعد اثنتين ، واحدة ، أنه لا يركب بحر ، يسير من العسكر إلى أيلة ، ومنها يتوجه ويقيم العسكر على أيلة ليلة ، وعلى أرم ليلة ودون أرم ليلة ، وقاطع أرم ليلة ، فيكون هو قد بعد وما يبقى عليه خوف ، إن شاء الله تعالى ، وثانية تأخذ يده ، وتحلقه برأسي

مفصلاً لهذه الفترة من حياة مصر ، فعنى بها المؤرخون والأدباء في حين اندثرت أو كادت رسائل السابقين له وكتاباتهم ، فكان طبعياً أن تنسب إليه هذه الطريقة في الكتابة ، ولا يكون في ذلك إجحاف بأحد ، لأنهم لم يبالغوا فيها كما بالغ ، ولم يكتب لأدهم الخلود كما كتب لأدبه ، وليست تعيننا الأسباب التي خلدت أدبه ، وإنما يعيننا أنه خلد . وقد جاء في كتاب طبقات الشافعية هذه العبارة : (أجمع أهل الأدب على أن الله تعالى لم يخلق في صناعة الترسل من بعده مثله ولا من قبله بأكثر من مائتي عام وهو بينهم كالشافعي وأبي حنيفة بين الفقهاء ، بل هم له أخضع) . قد يكون في هذه العبارة مبالغة لسبب أو لآخر ، ولكن الذي تقطع به الآن أنه لم يؤثر عن أحد من معاصريه ولا من السابقين له مثل ما أثر عنه ، وهذا يكفي في نسبة الطريقة إليه ، على أنها إذا كانت في عصره وظلت قروناً بعد ذلك شرفاً وفضلاً فإننا الآن نعيها ونثقفها ، ونعتبرها جناية على الأدب .

ولقد كان للقاضي الفاضل ، فضل على كثير من نوابغ الكتاب والشعراء في عصره ، وقد أظلمهم بجناحه ، ووصلهم بمعروفه ، ونفعهم بجاهه ، فامتدحوه ، وبالغوا في الثناء عليه ، ولعل أكثرهم امتداحاً وثناءاً للهاد

للمحافظة على حياة وزيره ومستشاره ، فقد جرى في الطريق التي سلكها خطوب وشترن وأحاديث كلها شجون ، وتعرض لهم العدو . ولكن كانت العقبي إلى سلامة - كما يقول القاضي - ووصل إلى السلطان ، فوجده في الغزاة جاهدا ، وللعُدو مجاهدا .

ولعل سر قوة هذا الرجل أنه كان معتبرا بشخصيته ، محبا للخير ، مخلصا لبلاده وسلطانه مؤثرا للحق ، صادعا بالرأى الذي يراه ، ولولم يكن فيه هوى السلطان ، حدثوا أن صلاح الدين ضاق ذات مرة بكثرة الوفود التي تفد على بابه ، ومل وضجر من كثرة المطالب التي تقدم إليه فشكا إلى القاضي ، وذكر أن الملوك قبله كانت تخافهم الرعية ، وتتوقع منهم البلية ، في حين أنه إذا ركب أو نزل تعاوره الناس بالقصص ، وساوروه بالغصص ، فنصحه الفاضل بأن يشكر الله ، وأقهمه أنه كان بمصر خليفة كان يرتع الخلق في رياض إنعامه ، وكان بالشام في كل بلد وال له على أهله نعم ومواهب ، وقال له : أنت اليوم سلطان الجميع ، وقد اجتمع أولئك المتفرقون على بابك فعليه أن يكرمهم ، فبكي صلاح الدين وأقسم أنه ما عاش لا يرد قاصدا ولا يصد وفدا ، وكتب القاضي إليه مرة يعرض بأنه قطع رزق بعض الفضلاء فكتب السلطان بخطه : وقفت على رقعة الفاضل وما يقطع لأحد رزق إن شاء الله تعالى .

أنه لا يجاور ، وثالثة تعطيه من مال الجوالى ثلاثة آلاف دينار ، وتقول له لا بد أن يخرج هذا عنى لا عنك في المجاورين بمكة والمدينة وفي أهلها ، هذا أمر لا بد منه ، فإن الناس لا بد لهم من الطلب . ولا بد لك من العطا ، وإن قال إن الشيء قليل فأنت تقرضني مثل هذا المبلغ من مالك وتعطيه لي ، فلا بد ، وإلا فلا إذن له في الرواح إلى الحج إلا على هذه الشروط التي قد شرطتها ، وأما مجيئه فيجئ إلى الشام ؛ فأنا ما بقي لي دار إلا هي حتى يقضى الله بيننا وبين الفرنج وهو خير الحاكمين (١) .

فهذا الكتاب من أدل الوثائق على ما كان يحمله صلاح الدين من الإكبار والإجلال والحرص على القاضي الفاضل ، فهو يشترط عليه ، إذا سار إلى الحج ألا يركب بحرا ، خوفا عليه وضنا به ، ثم يؤمن طريقه فيرسم خطة لإقامة العسكر حتى يبعد القاضي ويأمن ، وينجو من الخوف . وثانيا يشترط عليه ألا يبقى بمكة بعد الحج ، وألا يجاور فيها ، وما ذلك إلا لأن الدولة في أمس الحاجة إليه .

أما إكرامه له ، وإعطاؤه من المال ، فواضح الدلالة ، حتى إن السلطان بذل ما عنده وطلب من نائبه أن يقرضه إذا احتاج الفاضل إلى أكثر مما أمر به .

ومع كل الاحتياطات التي اتخذها السلطان

شعره :

للقاضي الفاضل ديوان لا يزال مخطوطا ،
وفيه أشعار في مختلف الأغراض من مدح
ورثاء وهجاء وغزل ووصف ، وقد أخل
فيه وأحمض ، وهو في جملته ركيك الصياغة
قليل الرواء ، ضحل المعاني ، وربما ظفرت فيه
بيتيت أو بيتين ، في الفينة بعد الفينة ، تكون
عليها مسحة من الجمال ، ولو كانت شاحبة ،
أما جمهرة شعره ، فلا خير فيها من الناحية
للفنية . وما يستحسن قوله في الشيب :

دام ولكنه دام بلا ألم

شيب ألم برغم العين في اللمم
أما وقد قيل ضيف للشيب فلا

يلقاء - والله - وجهي غير مبتم
إن تطلب العيش إن ولي الصبا فلبن ؟
أو تشكر الهم إن فات الهوى فلم ؟
وقوله .

وأكثرهم المرء من أهل وده

ألم تر أن الخمر مظهرة السر ؟
وقوله :

يقولون إن الصبر صفقة راج

فقلت ولكني خسرت بها العمر !
وقد نسب إليه صاحب النجوم الزاهرة
هذان البيتان :

وإذا السعادة لاحظتك عيونها

نم فالتخاوف كلهن أمان

واصطد بها العنقاء فهي حباتل

واقصد بها الجوزاء فهي عنان
وذكر ابن خلكان أنه كان يتمثل بهما
وليساله ، وأنا أرجح رأى ابن خلكان
فإن البيتين أعلى طبقة من شعره .

وقد استشهد علماء البديع بكثير من شعره
في أنواع كثيرة ، ولكن ذلك لا يدل على
أن الشعر جيد .

وله مدحة طويلة في شاور الوزير الفاطمي
وكان شاور قد طرد الصليبيين من بلبس
إبان وزارته الثانية .

وفي كتب المختارات بعض قصائده ،
ولكنها أيضا لا تصلح للاختيار ، كهذه
القصيدة التي اختارها أصحاب المنتخب والتي
مطلعها (قضى نحبه الصوم بعد المطال) .
وأحسن ما فيها غره بنفسه في قوله :

ولست لسانا لذل السؤا

ل وما زلت صدرا لعز السؤال
حديث يناجي فروع السحا
ب وأصل يناجي أصول الجبال

عمد في ومة البلاد :

سبقت الإشارة إلى مكانة الفاضل في
دولة صلاح الدين ، وإذا كان هذا السلطان
قد وحد البلاد ، وطرد الصليبيين ، ودانت
له مصر والشام واليمن وغيرها ، فإن القاضي

الخلافة يؤكد بها عمل صلاح الدين على لم
الشعث ، وتجميع المتفرق ، وقد كان
صاحب الموصل نازع في بعض الولايات
ووسط بينه وبين الفرنج جماعة من المارقين ،
فكتب الفاضل عدة كتب يتأسف على
الأوقات التي أضيع في جهات صاحب الموصل ،
وأولى بها أن تصرف في محاربة العدو : وقد
علم الله أنا لهدتهم كارهون ، وفي مصلحة أهل
الإسلام وفي مصالحهم راغبون ، ولكننا
بلينا بقوم كالفراراش وأخف عقولاً ولا أنعام
أو أضل سبيلاً ، إن بني معهم فعلى غير
أساس ، وإن عدد الغدر منهم فهو أكثر
من الأنفاس .

قلت : والتاريخ يعيد نفسه ، وما أقرب
بغداد وعمان من الموصل .

وقد أعلن القاضي في هذه الأزمة موقف
صلاح الدين ، فقال : وما يريد إلا من تكون
عليه يد الله وهي الجماعة ، ولا يؤثر إلا ما
يتقرب به إليه وهو الطاعة .

ويمتنع صاحب المين عن دفع مال
للمجاهدين فيكتب إليه الفاضل كتاباً يبين
له فيه مدى الضرر الذي يلحق بالمجاهدين
من احتجاز الأخوال عنهم ، ويقول له :
أنت مؤتمن على مال الله فأده إلى من يجاهد به
أعداء الله ، ويقم به كلمة الله ، وينصب
وجهه بين الهجير والزهرير عاماً في إثر عام .

ويكتب إلى بغداد عن السلطان بعد فتح
حلب ، فيكون أهم ما يعنيه أن ينص على

للفاضل يزاحم في هذا الفضل بمنسكب ضخم ،
فكل ما تم على يد صلاح الدين ، من الشئون
الداخلية والخارجية كان برأى وزيره
الفاضل ، وقد اعترف صلاح الدين نفسه
بهذه الحقيقة فكان يقول - كما روى صاحب
النجوم الزاهرة : « لا تظنوا أنى ملكت
البلاد بسيوفكم ، بل بقلم الفاضل ، وردد
أحد الشعراء وهو ابن الذروري هذا المعنى ،
فقال في مدحه :

لرأيتك هذا النصر للدين ينتمى

فلا ينتحله كل غضب ولهضم

وإن كان فيه للأسنة والظبي

مساعدة فالفضل للتقدم

وكان صلاح الدين إذا هم بغزاة بدأ بزيارة
للفاضل يستضيء برأيه فيما يريد فعله ، وكان -
كما يقول أبو شامة في الروضتين - لا يأتي
أمر إلا من بابيه .

وأكثر الشعراء من مدح الفاضل بهذا
المعنى ، ومن ذلك ما تردد في شعر العباد من
أن قلم الفاضل يقوم مقام الكتائب .

والذى يطالع رسائل الفاضل ، وهي
كثيرة لو جمعت لكانت مائة مجلد ، تبدو له هذه
الحقيقة واضحة ، فقد كان يرسم الخطة للقتال
في بعض المعارك . وكان يرسل الكتب
للاقاليم تدعو إلى توحيد الصفوف ، ومواجهة
الأعداء بقلب متحد ، ويرسلها إلى دار

في وصف أسياف صلاح الدين .

ماضيات على الدوام دواى
هى فى النصر نجدة الإسلام

فى يمين السلطان إن جردتها
أشبهتها صواعق فى غمام

تنثر الهام كالخروف فما أشبه
هذى السيوف بالأقلام

فى محارب حربى البيض صلت

وركوع الظى سجود الهام

وجامع الأمر أن هذا الوزير الخطير ،

والأديب الكبير ، قد خدم الوحدة أجل

الخدمات ، برأيه الثاقب ، وأدبه البارع ،

وتمكنه من الدولة الصلاحية ، وبجمعه

حوله الشعراء الذين تغنوا بأناشيد الوحدة ،

وأشادوا بفتوحات صلاح الدين ، وكانوا

من أقوى العوامل فى تحميس الجيوش

لاسترداد البلاد التى استولى عليها الفرنج .

وقد كتب العماد فصلاً رائعاً يذكر فيه وفاة

القاضى الفاضل ، وضمنه عظم الرزية فيه ؛

وذكر جلائل أعماله ، وإن كتابته كانت

كتائب النصر ، وبلاغته كانت ميزة العصر

الصلاحى ، وقد أشار إلى إقالته عثرات

الكرام وأن الكرام كانوا فى ظله يقيلون ،

ومن عثرات النوائب بفضله يستقيلون

رحمه الله رحمة واسعة . ٩

على العمادى

وحدة الأمة ، فيقول : (والأمة مجموعة الشمل

بإمامته جمع السلامة لا جمع التكسير) . وكل

ذلك يدلنا على مدى شعور هذا الوزير الخطير

بخطر الوحدة ، وما لها من أثر فى جمع

الكلمة ، وطرده الأعداء .

ويتخذ من يوم إعادة الخطبة للخليفة العباسى

عيداً ، يترنم فيه بكلمة الوحدة ، ويكون

أقوى ما يسب به الدولة الزائلة وأنصارها

لأنهم (تقطعوا أمرهم بينهم شيعاً ، وفرقوا

أمر الأمة وكان مجتمعاً) .

ويتجلى شعور الفاضل بالوحدة ، وخطورتها

حين يكتب إلى الملك الظاهر معزياً فى أبيه

صلاح الدين فيقول فى آخر الكتاب : (وأما

الوصايا فما يحتاج إليها ، والآراء فقد شغلنى

المصاب عنها ، وأما لائح الأمر فإنه إن وقع

اتفاق فما عديم إلا شخصه الكريم وإن

كان غير ذلك فالمصائب المستقبلية أهونها

موته وهو الهول العظيم . والسلام) .

ولكن وقع ما كان يحشاءه الفاضل واختلف

أبناء صلاح الدين فيما بينهم على تملك البلاد

وكان ذلك نذيراً بقتشت الشمل ، وتفريق

الكلمة ، فنهض الفاضل ليرأب الصدع ،

ويحول دون الكارثة ، ولكنه لم يفلح ،

فلزم بيته واعتزل الناس .

وللفاضل شعر فى مدح صلاح الدين

أكثره كان تهنئة بالفتوحات التى تمت على يده

ولكنه لا يبلغ درجة ثره ، ومن ذلك قوله

كيف نُصلح النحو العربي؟

للاستاذ عبد الله درويش

وسوف تدهشون عندما أعرض عليكم بعض الآراء التي تعد جزئية في الموضوع وهي لعلماء أجلاء ، قد يشاء البعض من الذين يريدون أن يبقوا النحو كما هو أن يسميهم بالمحافظين .

وبعض هؤلاء العلماء الأجلاء تناول جانباً واحداً من المسألة وبعضهم تناول الأسس العامة لهذه المسائل . .

وأول محاولة جزئية كانت لابن مضاء في هجومه على نظرية العامل ، ولكنه استبدل العامل - وهو الفعل أو شبهه بعامل آخر وهو الله سبحانه وتعالى ولعله كان متأثراً بمذهبه في التوحيد وهو مذهب أهل الظاهر . . لدرجة أنه رمى من يقدرون عوامل مخدوفة في القرآن ، بالكفر ؛ لأنهم يحرفون الكلم عن مواضعه . .

أولاً : أما صاحب إحياء النحو وهو الأستاذ إبراهيم مصطفى فقد نظر لنظرية العامل من زاوية أخرى فألغاه ولم يحل محله شيئاً . كما استعار اصطلاح أصحاب المعاني - المسند والمسند إليه للبتد أو الخبر والفاعل ونائبه . .

يكاد يكون هناك اتفاق على أن قواعد النحو في كتبه الموسوعة التي بين أيدينا ، وبأسلوب علمائها الذي كتبوه منذ قرون تقرب منا أو تباعد في حاجة إلى تعديل ما وليس هذا يعني أبداً تغييراً في اللغة نفسها أو تعديلاً في نصوصها . . والكل متفق على ذلك . ولكننا نحاول أن نبعد الشبهة التي قد يفهمها البعض من أن تعديل النحو يوضع ما سيؤثر على اللغة العربية نفسها التي هي لغة القرآن والحديث والدين الإسلامي ، ولغة القومية العربية ويحاول أن يؤثر على عواطفنا بإدخال ما ليس من البحث فيه . .

والذي استرعى نظري أنني لم أجد بيئة معينة من البيئات العلمية اختصت بشيء واحد معين من إصلاح النحو . .

ففي الأزهر الشريف أكثر من رأي ، وفي داخل كلية دارالعلوم أكثر من رأي . وفي المجمع اللغوي أكثر من رأي ، وفي وزارة التربية والتعليم أكثر من رأي .

وليس تعدد الآراء في المكان الواحد أو الأمكنة المتعددة يعنى التضارب دائماً .

- وكذلك تأثر باللغة الانجليزية والفرنسية
فسمى المفاعيل والحال والتمييز مكملات . .
وهي ما يسميها النحويون - الفضلة وقد طالب
صاحب إحياء النحو بالألا يقتصر الكلام
على الإعراب بمعنى حركة أو آخر الكلمات ،
بل يتسع فيشمل - إلى جانب هذا دراسة
تأليف العبارة والتقديم والتأخير ، وجمع
أساليب الكلام المتشابهة كاستفهام والنفي
والتأكيد لأن النحو عنده ، هو قانون تأليف
الكلام وبيان ما يجب أن تكون عليه الكلمة
في الجملة . والجملة مع الجمل ، حتى تنسق العبارة
ويمكن أن تؤدي معناها . .
- كما طالب باستبعاد الفلسفة الكلامية التي
تطفلت على هذه الدراسة . والتي ساعد
على توغلها ناس تأثروا بها وأعجبوا
بأساليبها . .
- وكانت المقومات الأساسية لمنهج الأستاذ
ابراهيم مصطفى في كتاب إحياء النحو هي :-
- ١ - ليس الإعراب حكماً لفظياً خالصاً ،
يتبع لفظ العامل وأثره ، بل هو إشارة
إلى معنى وإلقاء ظل على صورته . .
 - ٢ - الحركات أعلام لمعان ، فالضمة علم
الإسناد والكسرة علم الإضافة والفتحة ليست
علماً على شيء بل للتخفيف .
 - ٣ - ليس هناك علامات أصلية وعلامات
فرعية . بل الكل واحد .
- ٤ - التنوين علامة التنكير .
٥ - التوابع تابعان فقط . النعت والبدل .
فيدخل في النعت الخبر ، ويدخل في البدل
التوكيد وعطف البيان . أما عطف النسق
فليس من التوابع لأن المعطوف يشارك
المعطوف عليه .
- وقد أدى التشابه في نظرية العامل بين إحياء
النحو والرد على النحاة إلى القول بأن الأول
مأخوذ عن الثاني .
- وقد قال الأستاذ على النجدي في ذلك
بالحرف الواحد .
- « ليس « في إحياء النحو » ما يدل على أن
مؤلفه رجع فيه إلى « الرد على النحاة » ، وإن كان
لينحو منحاه ويستهديه في بعض المباحث
وقد رد العلامة الأستاذ محمد عرفة على إحياء
النحو ، وكان من أهم ما قال : إن أغلب ما ورد
في إحياء النحو موجود في حواشي الكتب
النحوية الكبيرة . .
- ولكن الأستاذ ابراهيم مصطفى كان حريصاً
في بعض الأحيان فذكر أن هذه المسألة
من كتاب أو تلك موجود نظيرها في كتاب
كذا من الكتب القديمة ، مما يعده النحويون
رأياً مرجوحاً أحياناً . .
- والباحث المدقق يرى رغم التشابه منهجين
مختلفين تمام الاختلاف عند ابن مضاء وعند
صاحب إحياء النحو .

ولكن هذا يتناول اللغة نفسها لا النحو وقد سبق أن قررنا أن النحو هو الجانب التحليل للغة العربية - التي تتمثل في القرآن الحديث ومأثور كلام العرب .

ثالثا : محاولة ثالثة ظهرت في كتاب النحو الجديد .

فقد ذكر المؤلف الفاضل في آخر كتابه نموذجا موجزا قسم فيه الفعل إلى قياسى وسماعى . وأغفل تقسيم الكلم إلى معرب ومبنى ، وجعل المبتدأ ثلاثة أنواع . مرفوع دائما منصوب دائما مبتدأ يرفع وينصب . وهكذا سار على هذا النحو . جعل بعض المصطلحات عامة وألغى البعض الآخر . وكان ذلك في ٢٨ صفحة من صفحات الكتاب .

وصاحبه هو العلامة الأستاذ عبد المتعال الصعیدی . وكما قال زميله في النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة . قال الأستاذ الصعیدی : إن إخوانه الأزهريين يسرهم أن واحدا منهم وصل إلى هذا التجديد في النحو قبل أن يصل إليه غيرهم .

رابعا : محاولة استطرادية في كتاب « سيويه لإمام النحاة » ، هو للأستاذ على النجدى جاء فيها ... والآن مالى لا أنكر من النحو شيئا كأنى عنه راض ، وإليه مطمئن . والواقع أنى عند رأى الذى قلت آتفا في

وقد رد عليه العلامة الأستاذ محمد عرفه - النحو والنحاة - بين الجامعة والأزهر .

ثانياً : الأستاذ أمين الخولى في بحث ألقاه في مؤتمر المستشرقين بعنوان (الاجتهاد في النحو العربى) واقترح فيه .

(أ) إعادة النظر في جمع الثروة اللغوية ؛ لأن جمع القدماء إياها بالرغم مما بذلوه من جهود كان غير مستكمل كما صرح به القدماء أنفسهم .

(ب) الاستفادة من علم اللغة العام ومن فروعه الخاصة ، بحيث يضع الدارس دراسته اللغوية على درجة السلم التى تقف فيها الحياة اليوم .

(ج) التخلّى عن التعليقات النحوية ، والتخلّى عن الصيغ التلقينية في الإعراب (الكلاشيات) كقولنا : « النون عوض عن التنوين في الاسم المفرد » ، وهذا لا ينصرف لعلتين هما ... ، .

ولكن الأستاذ الخولى في محاولة أخرى . طالب بتصحيح بعض اللهجات العامية وإدخالها ضمن الفصحى ، وقد اعتمد في ذلك على بعض الآراء اللغوية التى تقول كل اللغات حجة ، فمثلا هو يرى أن بعض العرب تعرب الأسماء الخمسة بالآلف وإنما فلنلتزم هذا وكذلك المثني والجمع نلتزم فيهما الياء وباقي الكلمات يسكن آخرها .

ونرجع النظر في علله لانبقي منها إلا ما يتصل بالمعنى ويتفق مع طبيعة البيان الرفيع ، إلى أن قال ص ٤٢ :

فإذا خلصت الحالة واستقامت على ما نريد رجعنا إليها نسلکہا في نظام التأليف الحديث ونجملوها في معرض من لغته العتيقة عسى أن يكون بذلك سفر العصر في مكتبة النحو ، يدعو به فيلبي الدعوة في غير إعانات ولا إضاعة وقت ، ونخلفه لمن بعدنا كما خلف لنا من قبلنا .

وهذا هو رأى الأستاذ على النجدي في كتاب سيوييه إمام النحاة ولسكنه عقب فقال هذا وغيره يكلف الجهد والمال .

أما الجهد فمن الممكن توفره .. وأما المال فعليه عند أصحاب أمره والقادرين على تدبيره .

خامسا : رأى للأستاذ عباس حسن (عالم جليل آخر معاصر) فقد شرعنا بحوث في مجلة « رسالة الإسلام » بعنوان :

« صريح الرأى في النحو العربي - داؤه ودواؤه » وقد نعى الباحث الجليل على النحاة تعدد الآراء النحوية في المسألة الواحدة .

واختلاف الأحكام فيها لدرجة أن من يسمع رأيا في مسألة ما يمكنه أن يقول وهو آمن : إن هناك رأيا آخر يناقضه من غير أن يكلف نفسه مشقة الاطلاع إلى أن قال : فلم تتفق أحكامهم على شيء من كليات النحو أو جزئياته فقد تصل في بعضها الآراء إلى عشرة أو تزيد .

شوائب النحو . لا أنكرها ولا أضيق بها وإنما أنكر الإسراف فيها والافتتان بها ، كما تتمثل في أسفار القرون الأخيرة ، قرون للتزبد والتكرار فانبهت المسائل واضطرب النظام ، وغمت المعالم والأصول .

فالذى علينا أن نصنع له أمران :

الأول : أن نرجع النظر فيه من جديد لأعلى أنه فاسد مختل ، يستحق الهدم ، ولكن على أنه صالح مشوب ، يغشاء غبار الزمن ، يختلط فيه الجوهر بالصدف ، والناق بالزيف - حاجته أولا وآخرا أن ينفض عنه الغبار وتنقى عنه الشوائب ، ويعرض عرضا جديدا .

نرجع النظر في أبوابه فنقدم منها ونؤخر ونضيف إليها ونحذف ، على نور من المنطق وتساقو النسق ، ونرجع النظر في مسأله فنلغى الشروط المنقوصة ونوحد الأساليب المكررة ، ونطلق الأصول المقيدة عند الحاجة المقتضية . وفي الحدود المرسومة ، وعلى هدى من أقوال الأئمة .

ثم استطرد : ونرجع النظر في شواهدة فنمحصها ونحقق روايتها ونعززها أو نقبلها غيرها أو نحذف منها ما نراه حقيقا بالحذف كشواهد اللهجات البائدة ، والزوائد اللاحقة .

الموافقة في تحديد عصر الاحتجاج بما قرره الجمع .

إن العرب الذين يوثق بعرييتهم . ويستشهد بكلامهم ، هم عرب الأمصار إلى نهاية القرن الثاني ، وأهل البدو إلى نهاية القرن الرابع . ثم انتقل إلى مشكلة القياس والسماعى ذا كراً عدم تحديد اللغويين لمصطلحات المطرد الشاذ القليل الكثير الشائع ٣ / ٢٨٤ ، من مخالفاته للقدماء قوله :

فأما النوع المطرد قياساً لا استعمالاً فنذهب فيه مذهب أشباهه ونرده إليها ، سواء أكان العرب قد سبقونا للرد أم لم يسبقوا فنقول : أبقلت الأرض فهى مبقل ، وودعته وودرته من يدع ويذر . كما أنه صحح المطرد فى الاستعمال دون القياس ، فيقيس عليه ما لم تنطق به العرب فنقول : استبيع واستصوب كما هو جار على ألسنة الناس فى مصر ثم تناول مشكلة العامل وخلص منها إلى قوله :

لا يعنيننا من العامل أن يكون هو المتكلم أو المعنوى أو اللفظ ظاهراً أو مقدراً أو محذوفاً فذاك أمر سطحي شكلى بحث .

ولكن للسهولة على المتكلم والقارىء نميل إلى اختيار العامل المعنوى واللفظى ونكتفى بهذا دون الخوض فى التأويل الذى يستتبع الخوف أو التقدير فمثلاً :

« لمة موحشا طلل » .

وقوله تعالى « وأن هذا صراطى مستقيماً » .

ومرد هذا التشعب فى الآراء إلى أشياء منها كما يقول « ٤ / ٣٨٩ » : إنهم عند جمع اللغة لم يتبعوا منهجاً سليماً ، فهم قد غفلوا أكثر القبائل وأهملوا الآخذ عنها مع ما لها من تراث لغوى فياض . فهم قصرُوا القبائل الفصيحة على ست . وبدية أن لغات القبائل الست ولهجاتهم لا تحوى جميع اللهجات فى باقى القبائل الكثيرة . فذلك يناقى طبيعة اللغة . ومن هنا ندت كلمات أصيلة وأساليب كثيرة صحيحة عما جمعه اللغويون .

ثم استطرد يقول :

إما أن نضع نحواً خاصاً لكل قبيلة ، ولكنا إذا استعملنا واحداً من هذه الأنحاء تفككت الروابط بين العالم العربى .

وإما أن نضع نحواً موحداً للقبائل كلها . لا يحوى لهجاتها مجتمعة . ولا يضم فى ثناياه خصائص كل لغة منها . وإنما يكون أساسه من لغة واحدة ممتازة يعترف لها بالسمو وليست لغة قريش هى المعينة .

وإنما عنى لغة القرآن الكريم التى لا تنتسب لقبيلة واحدة بعينها ثم الحديث ثم ما اشتهر من كلام العرب فنطلق بعض القيود مثلاً لا نشترط فى المبتدأ حين يقع أول الجملة ألا يكون نكرة . وهذا يؤذن بوقوعه نكرة ومعرفة وكذلك الحال لا نذكر أنه يمتنع بحجتها من المصدر ، وهكذا ثم تعرض لأصالة الكلام العربى بعد ذكر الخلاف وانتهى إلى

فتحة مثلاً؟ ولم كان الاسم ممنوعاً من الصرف؟ ولم ولم... الخ .

واستشهد بأمثلة كثيرة تخالف تعليقات النحويين في تركيب نعم وبئس ثم ذكر ما يترقب على تعليقات النحويين من فهم إجماع القراء السبعة على مرجوح في آية : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما » . إلى أن قال :

وكل التعليقات تنطق بأوضح بيان بما أصاب اللغة والنحو من إساءات بالغة بسبب إخضاعها للعلل والتعليقات واستبداد هذه بتلك . . ومن تعليقات أوسع الخلاف وعددت الآراء تعديداً ليس مصدره لهجات العرب ولكن مصدره المجادلات والمباحكات اللفظية . وينبغي أن نستعرض التعليقات في مواطنها ونبحثها في تودة ونصفه . ونقضي قضاء مبرماً على ما لا خير فيه وما أكثره - غير مترددين ولا هيابين . بهذا وذلك بما أشرنا إليه نطهر النحو من عيب أى عيب ونصفه من أذناس وأوشاب طغت عليه وأساءات إليه وإلى المشتغلين به والراغبين فيه .

سادساً : ولنغادر القاهرة لندخل إلى دمشق وبغداد .

١ - ففي دمشق : كتب الأستاذ سعيد الأفغاني كتاب : « في أصول النحو » ، تناول فيه أربع مسائل هي :

فوحشا ومستقيماً كل منهما حال منصوب بالمبتدأ على رأى سيبويه ولا داعى للتقدير كما هو رأى الجمهور .

وكا في قوله تعالى « وكانوا فيه من الزاهدين » . إني لكألمن الناصحين ، لا داعى لتقدير محذوف فلا تناول .

ومثل : « إذا السماء انشقت » . فهو يقول النحويون يحرمون أن يكون المرفوع فاعلاً مقدماً أو مبتدأ فلا ينبغي أن تناول « محمد هند مكرمها » ، خطأ عند البصريين إلى أن يقول لعل فيما أوردناه من الأمثلة ما ينهض دليلاً على أن العامل قد تجاوز حدود اختصاصه حين أخرجه النحاة من دائرته المحمودة إلى التحكم في الألفاظ والتراكيب مما يدعو إلى الدهش بل السخط ، بما أساء إلى اللغة وجعلها عسيرة على المتعلمين والراغبين فيها والناطقين بها ، فيجب أن نتخلص من كل هذه الفكرة السقيمة التي أوحى إلى بعض أصحابها قديماً أن يقولوا : لولا الحذف والتقدير لفهم النحو الخير .

مسألة التعليل :

ناقش الأستاذ الجليل النحاة الأقدمين فيما ذكروه في العلل الشوائب والثوات . فمثلاً يقولون : لم نبحت هذه الكلمة ؟ ولم بنيت على حركة ؟ ولم كانت هذه الحركة

٢ - أما في بغداد :

فهذا هو الدكتور مصطفى جواد عضو
المجمع اللغوي العراقي يعرض لمسائل جزئية
من صميم النحو ليحلها على ضوء الاستقراء
الذي قام به هو في كتب اللغة مثلاً .

النسب إلى فعيلة مثل طبيعة غريزة ، وفعيلة
مثل جهينة .

النسب للجمع دُولى - دولى - عمالى .

فهو يأخذ برأى ابن قتيبة أن الياء تحذف
عند الشهرة والعلمية مثل مدنى حنفى . أما سليق
طبيعى غريزى فليست أعلاماً وقد استعمل
الجاحظ وأبو حيان كلمة الكرم الغريزى
أما الجمع فهو يقول : إن المعنى يختلف بين صحفى
وصحفى وبين عملى وعمالى إلخ مثلى الجوالقى .
كذلك ذكر تطور معانى الكلمات من عصر
إلى عصر . وذكر أيضاً أوزان المطاوعة
وقال : إنه لا يتوقف معنى المزيد على المجرد
وغير ذلك من المسائل الاستقرائية المهمة .
سابعاً : رجال التربية والتعليم .

وهؤلاء لهم غرض تربوى خاص . وهو
تيسير قواعد النحو ، بحيث تناسب مدارك
التلاميذ في مراحل التعليم المختلفة . فلا يصح
أن نلزمهم والحالة هذه ، بذكر الخلاقات
والشواهد والتعليقات ؛ لأن ذلك لا يدخل
في منهجهم وقد بدأ التيسير بصورة جدية
مثلاً في مؤلفات حنفى ناصف ، ثم على الجارم ،

الاحتجاج . القياس . الاشتقاق . الخلاف
بين الكوفة والبصرة فهو يرى أن عصر
الاحتجاج كما صورته الكتب القديمة في الانتهاء
به عند إبراهيم بن هرمة غير صواب .
وأخذ على جامعى اللغة ما يأتى :

(أ) لم يصدروا في تنسيق شواهدهم
عن خطة محكمة شاملة . فهم خلطوا بين لهجات
القبائل ولم يميزوها ..

(ب) لم يدرسوا الرواة وأحوالهم ولم
يوثقوهم كما فعل رجال الحديث .

(ج) لم يحققوا من النصوص . ومن هنا
تعددت الروايات في الشاهد الواحد .

تناول في القياس مسائل المولد والمحدث
والدخيل والأصيل وانتهى إلى أن قرار المجمع
اللغوى في مصر بهذا الخصوص يعد مبتوراً
إذا لم تتم طائفة من العلماء بتطبيق نظرياته ..
أما الاشتقاق فانتهى إلى التوسيع فيه
حيث وردت من المادة صيغة أو صيغتان .
وعلى هذا فتأميم وتصنيع صواب وقد ذكر
مادة شرق كنموذج واستعرض أوزانها .
أما مدرستا الكوفة والبصرة فانتهى
إلى تقاربهما تقارباً كبيراً استمع إليه يقول :
ولا تظن أن ما مراك من مشاحنات بينهم
كان يصرف بعضهم عن الانتفاع بعلم بعض
وحسبك أن تعلم أن الفراء - كوفى مات
وتحت رأسه كتاب سيبويه .

أن يأخذ المجمع الموقر على عاتقه وضع الأسس والمبادئ لإصلاح النحو على مختلف أوضاعه ، ويقدم نموذجاً لذلك . كما فعل المجمع مشكوراً في « المعجم الكبير » .

كلمة صريحة :

إلى أين تصل بنا هذه المحاولات ؟ إن هدفها هو الإصلاح ولا شك ، ولكن ما موقف دار العلوم ، والأزهر ، والمجمع اللغوي ؟ . إنها وما يشبهها هي التي يجب أن تأخذ على عاتقها « النحو التحليلي » .

وما من شك في أنه قد جدت مذاهب في البحث اللغوي يعرفها أكثر من فرد في أكثر من هيئة . ومن الممكن تطبيق بعضها في النحو العربي ، فإذا لم تسعف النواحي الرسمية ، فلا أقل من أن يتسكتل هؤلاء الأفراد ليتعاونوا على وضع منهج يصلح لتعديل ما انفقوا عليه مما هو في حاجة إلى تعديل ، ولماذا لا نرى إحدى المحاولات الجزئية التي تطبق منها معينا على باب من أبواب النحو ، أو بعض مسائل متشابهة متفرقة في أبواب مختلفة .

وعلى سبيل المثال أذكر هناك نظرية المنهج الوصفي أو نظرية « النحو القالبي » Formal Grammar . وقد ترجمها زميلنا الدكتور

(بقية المقال في ذيل الصفحة التالية)

ثم في لجنه تيسير النحو ، ثم السكتب المقررة التي وضعها المدرسون ومفتشو اللغة العربية . ثم كتاب الأستاذ عبد الحميد حسن . الذي ألفه للدرسين . وآخرها النحو المنهجي والنحو الإعدادي للأستاذ محمد رائق وزملائه . ويتميز هذا المؤلف الأخير بالتعديل في بعض القواعد المتوارثة . وفي إدماج بعض المصطلحات في البعض الآخر .

وإذا أدخلنا في الاعتبار أن رجال وزارة التربية والتعليم لهم هدف تربوي خاص أمكننا أن نتركهم ليمسروا النحو حسب مراحل التعليم المختلفة ولكن دون إفراط في تعديل المصطلحات إلا بعد أن يبحث ذلك المختصون أو يقوموا هم ببحثه كمتخصصين . فهم يحدون على مجهودهم في الوصول إلى هدفهم . أما المادة العلمية التي في « النحو المنهجي » أو الإعدادي ، فنحن نفهم فيها بعض الشيء . ولنا معها مجال آخر .

ثامنا وأخيراً : محاولات المجمع اللغوي . فقد أصدر المجمع الموقر بعض قرارات في سبيل تعديل بعض القواعد النحوية . ولكنها جميعاً أخذت طابع التيسير الذي يخدم الغرض التربوي . وبعض البحوث القليلة العدد ، العظيمة القيمة كتبها أصحابها ونشرتها مجلة المجمع ، ولكنها ظلت كراي فردي لم يكتسب صيغة القرار . وكنا نأمل

أزهري في روسيا

للمؤلف الأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

ولد في إحدى قرى مديرية الغربية ونسب إلى عاصمتها (طنطا) ويقال إنه ولد حوالي سنة ١٨١٠ م كما أن نشأته غير معلومة تماما . ولما شب عن الطوق التحق بالأزهر وحضر على الشيخ حسن العطار الذي كانت له نزعات أدبية لم يألفها جل علماء الأزهر مما جعل كثيراً منهم يتعصبون عليه .

ولما أتم الشيخ الطنطاوى دراسته في الأزهر وتصدى للتدريس فيه حذا حذو

مصرى مغامر وأزهري جرى . خرج على الطريقة الأزهرية القديمة ومهد لتدريس الأدب والشعر فيه ، ثم ترك التدريس ، وغادر وطنه مرتحلاً إلى بلاد لم يكن الوصول إليها سهلاً ولا مبلغ علمنا عنها إلا قليلاً ، وهناك قضى بقية حياته يجاهد في سبيل نشر لغته وآدابها ، حتى أدركه الموت ودفن هناك في مقابر المسلمين .

ذاك هو الشيخ محمد عياد الطنطاوى الذى

أفاعل لا فواعل وأن جوار وغواش في حالتي الجر والرفع مثل قاض . وأما في حالة النصب فقط فهي ممنوعة من الصرف . وأن قضايا وزنها فعلى كما قال الكوفيون . انظر نقد النحو للدكتور أيوب ، ودراسات في علم الصرف لكاتب هذا المقال : أما التفصيلات عن هذه النظرية وأضرارها فله مجال آخر . وبعد : لعلمنا بذلك نكون قد ألقينا ضوءاً على على المشكلة ونرجو أن تمكننا الظروف من الإسهام في حلها أو حل بعضها حللاً إيجابياً .

الركنور عبد الله درويش

(بقية مقال كيف نصلح النحو العربى)
أيوب بالنحو الشكلى . ولكن كلمة الشكلى ، من معانيها ما يقابل الجوهر وكلمة From المنسوب إليها هذا اللون قد تكون التكوين أو الشكل أو القالب . فهذه النظرية يمكن أن تحل لنا كثيراً من المشاكل المعقدة . إذ أنها تنقذ عن النحو « الشوائب والعلل والفلسفة » وغيرها مما شغله الباحثون كأدواء للنحو . وقد ترتب على هذه النظرية أن نقول بأن المضارع مبنى مع نون التوكيد في حالة المفرد والجمع كذلك وأن أوصل في الصرف وزنها

وإفصاحه الشيخ ولباقته وارتقاء ذوقه
أصبح أثيراً عند كل من اتصل بهم .

* * *

ولما كانت روسيا قد أنشأت فرعاً للغات
الشرقية وبدأ اهتمامها بهذه اللغات يظهر شيئاً
فشيئاً حتى إنه حوالى سنة ١٨٣٦ خصص
قسم كبير منظم في جامعة بتروغراد لتدريس
اللغة العربية بجانب اللغات الشرقية الأخرى
كالصينية والمغولية والتركية والفارسية ،
وذلك بفضل وزير المعارف في ذلك الوقت
(م . بوشكين) وقد رأى هذا القسم إتماماً
للفائدة ، ولتكون دراسة اللغات الشرقية
متمشية مع دراسة تاريخ أقطارها ، أنه يجب
الاستعانة بأساتذة من الشرق نفسه فهم خير
من يقوم بتعليم اللغات الشرقية للطلاب
الراغبين من الروسيين وغيرهم من الأوروبيين .
لهذا كلفت روسيا قنصلها في القاهرة ليعوم
بالانفاق مع من يعرف فيه القدرة على
القيام بهذه المهمة ، فاتصل بالشيخ وعرض
عليه الفكرة وطلب منه الموافقة ولكن
الشيخ تردد في أول الأمر . غير أن إلحاح
القنصل وسخاء عرضه جعل الشيخ طنطاوى
يوافق على السفر . وفي حوالى سنة ١٨٤٠
غادر الشيخ وطنه ليحتل مقعداً بين أساتذة
اللغات الشرقية في بطسبرج . وهناك قبل

القطار ، فأخذ يدرس لطلابه مقامات
الحريري وديوان الحماسة لأبي تمام ويشرح
لهم غريب الألفاظ ويبصرهم بمواطن الجمال
والقبح فيها .

ولما كان الشيخ طنطاوى عربى الثقافة
لم يعرف شيئاً عن التيارات الأدبية الجديدة
التي وفدت على مصر مع أعضاء البعثات
الأزهرية العائدين من الخارج في ذلك الحين ،
فقد كان معتدلاً في نزعتة ولذلك لم يلق
المعارضة الشديدة التي قوبل بها هؤلاء ،
ولكن قاومه بعضهم فاضطر إلى ترك الأزهر
إلى التدريس في المدارس الأجنبية ، فاشتغل
بالتدريس في مدرسة (الإرسالية البروتستنتية)
بالقاهرة سنة ١٨٣٥ ، وهناك تعرف الشيخ
على كثير من المستشرقين الأوروبيين الوافدين
على مصر أمثال الدكتور (فراهن) الألماني
الذي كان أبوه مدرساً للشرقيات في كلية
قازان . والدكتور (برون) الفرنسى
الذى كان يقوم بتدريس الطبيعة والكيمياء
بمدرسة الطب المصرية وكان يجيد العربية
كتابة وقراءة وحديثاً . والأستاذ (فليمانس
فرنيل) الفرنسى الذى ترجم لامية العرب
للشلفرى إلى الفرنسية . و (جوستاف
ويل) الذى كان مدرساً لتاريخ المشرقيات
في كلية هيدلبرج .

ويعد الشيخ محمد عياد الطنطاوى من أعلام النهضة الأدبية فى القرن التاسع عشر للطريقة التى أنتهجها فى التدريس بالأزهر إذ أنجبه إلى دروس الشعر والأدب واللغة .

وقد عده بعضهم من النحويين لأنه ترك بعض الكتب المخطوطة فى اللغة العربية مثل كتاب (حاشية على متن الزنجاني) فى الصرف وكتاب (حاشية على شرح الشيخ خالد على متن الأزهرية) فى النحو وكتاب (حاشية على كتاب الكافى فى علمي العروض والقوافى) . أما فى الأدب فلم يترك شيئاً على الرغم من أنه شرح لطلابه فى الأزهر كما ذكرنا مقامات الحريرى وديوان الحماسة كما ترك رسالة إلى صديقه رفاعه الطهطاوى . يذكر فيها إعجابه بحياة الأوربيين وطرق معيشتهم وحسن ترتيبهم وتربيتهم وجمال ريفهم بما فيه من أنهار وبساتين .

والزائر لمقابر المسلمين فى مدينة ليننجراد يشاهد قبراً قائماً (شاهد أعلى عربية وجلد وبأس شديد ، فى بلاد العجمة والجلاد والجليلد) .

عبد المومجود عبد الحافظ

(أسيوط)

بالترحاب والتعظيم ورتب له مرتب سنخى ، واشتغل بالتدريس فى المدرسة الكبرى وديوان الخارجية فى بطرسبرج .

قضى ما يقرب من سبع سنوات مجاهداً فى تدريس اللغة العربية ، ثم عين بعد ذلك فى سنة ١٩٤٧ تقريباً مدرساً أولاً لمادة اللغة العربية فى كلية بطرسبرج وعين المستشرق الروسى (نفروفسكى) مساعداً له .

وقد تخرج على الشيخ محمد عياد الطنطاوى عدد غير قليل من المستشرقين وعلى رأسهم المستشرق الفنلندى الأصل (فالن) الذى أسهم بنصيب كبير فى الأدب العربى هو وغيره ممن تعلموا فى جامعة بطرسبرج على يد الشيخ .

وبما يذكر أن المستشرق فالن قدم إلى بلاد العرب سانحاً فاتخذ اسم عبد الولى وتبدلت بينه وبين أستاذه عدة رسائل جمعها (فالن) وطبعها مترجمة إلى اللغة الإيسوجية كما أن هناك مجموعة أخرى مخطوطة فى مكتبة جامعة هلسنغفور عاصمة فنلندا .

ولقد ظل الشيخ يقوم بعمله خير قيام حتى وافته المنية سنة ١٨٦١ تقريباً .

الدِّينُ فِي عَصْرِ الْحَضَارَةِ الصَّنَاعِيَّةِ

لِلأَسْتَاذِ مُحَمَّدٍ نَحْيِ عَثْمَانَ

ووسائل النشر وسبل المواصلات، مستغلا فرص الفراغ وأزمات القلق، ولم يتحقق هذا في أول الأمر، ووقف في طريق الدين رد الفعل المباشر الذي حدث في بداية عصر النهضة ...

وظن أناس أن العلم قد حمل معه الكفر، وأن المعابد لا بد أن تفسح مكانها للعامل والمصانع ... وأنه لم يعد مجال في حضارة الآلة الأنقياء والقديسين !! واستفادت من تهديد طرائق البحث والنشر والاتصال صرخات الإباحة والتحلل، والإلحاد والعريضة ... لكن جاء الدمار الذي أحدثته الحروب قاضيا على كل ثقة في الآلة العجيبة وحضارتها الهائلة .

و يبدو أن بعض العلماء الاجتماعيين قد خلطوا بين ظاهرتين مختلفتين تمام الاختلاف وهما : الانحلال أو التقهقر، وظهور الفروق بين الوظائف التي كانت مختلطة في أول الأمر فظهور الفروق هو بحق قانون التطور الديني، ومع ذلك فليس ثمة صلة بينه وبين التقهقر . فالدين يفقد بعض مناطق نفوذه ؛ لأنه يتخلى

لم تكن الحضارة الصناعية كلها شرا على الدين والروح كما يظن البعض . . . لقد حملت الحضارة الصناعية في طياتها هذه المزايا بغير جدال ! .

تقدم المناهج العلمية في البحث النظري والتجريبي .

رقى وسائل النشر والإعلام ، من طباعة وصحافه وإذاعة . إلخ .

نهوض سبل المواصلات وتهيئتها الفرصة لتحقيق الوحدة العالمية ورفع الحواجز المادية والمعنوية التي تعزل الأمم عن بعضها .

كثرة الخدمات الآلية ، التي توفر للإنسان جهده ووقته للبتعة النفسية والذهنية .

تقرير مبدأ التخصص وتقسيم العمل ، الذي أعان على الإتقان والتجويد بأقل التكاليف والجهود .

ونتيجة هذا كله . يتوفر وقت فراغ الإنسان يتيح له الراحة كما يمنحه فرصة تنمية طاقته وشحنه قواه وإن كان قد تخلف عن الحضارة الصناعية تزايد في حساسية الإنسان للقلق .

وينبغي أن يتنفع الدين من هذا كله في تقديم نفسه للناس ، مستفيدا من مناهج العلم

بها في حقول الهندسة والطب والطيران
والبسقروال والذرة ... وإنما أتى الوحي
بخطوط رئيسية في العقيدة والشريعة هي مفتاح
الطريق وأساس السلوك وملاك الهدى ،
لا يستطيع المؤمن أن ينفصل عنها وهو يكبح
في فجاج الأرض ويعمل على الانتفاع من
نواميس الكون ، لكن هذه الخطوط العامة
لا تسد عليه مسالك فكره ولا تجزم كابوساً
على عقله ولا تعوقه عن بحثه وسعيه . . . وكما
أودع الله سر الحياة في النواة والبويضة
والبيضة ، لتتولد عنها كائنات لها أجهزتها
وأعضاؤها ووظائفها ، ثم لا تلبث تنقل
بين دور ودور ، حتى تترك وراءها سر الحياة
في حلقة جديدة من سلسلة الأحياء ، وكما يتسع
امتداد الخلق والحياة ، في الزمان والمكان ،
فلا يأخذ من سر الخلق وبذرة الحياة إلا
القوة الدافعة والخصائص الكامنة دون الشكل
الظاهر والمظهر الخارج . . . كذلك الدين :
انطلاق للحياة على الأرض ، يشع الدين
خلاله على النفس والعقل والسلوك والتشريع ،
دون أن ينحصر في مجموعة من الكلمات
والتعاليم والمظاهر الجامدة المتناهية التي تضمها
الأوراق وتتناقلها الشفافة !! . . . إن الدين
يخلق حضارة في كل أرجاء الحياة ، حضارة
تتجدد وتتطور كلما تابعت الأجيال وتطورت
البيئات ، لا مجرد رسوم وتعايير هامة تكرر

عن بعض الميادين التي لا صلة لها بها ، ولكن
ما يفقده من جهة الامتداد يكتسبه من جهة
العمق . حقا كان الدين يحتل مكانا كبيرا جدا
لدى البدائيين ، ولكن ذلك يرجع إلى أنه
كان محتلا بعناصر أخرى اقتصادية وسياسية
وأسرية ، ومن ثم كان مجراه متسعا ، في حين
أن مياهاه كانت مجلحة بالأورام فليس القانون
الأكبر في علم الاجتماع هو السير إلى الفناء ،
بل هو الاتجاه نحو استقلال الوظيفة الدينية
التي تحقق اتصال المرء بربه . .

تلك كلمات دقيقة ، وضع بها (باستيد)
الأمر في نصابه .

وقد تحدث هذه الكلمات شيئا من لبس ،
عند من يحبون أن يعرفوا الدين على أنه
شامل لكل شيء ، وما فرط من شيء ، دين
ودولة وعقيدة وشريعة وروح ومادة ومعاد
الله أن يحصر الإله المعبود وهو رب كل شيء
في نطاق لا تتعداه ألوهيته ، وأحكامه
وشريعته ، وليس من الصواب أن يجعل
الإنسان أوزاعا وأشتاتا تتنازع السيطرة على
أشلائه والآلهة والأرباب .

إن الله الواحد يمنح الإنسان بكل قواه
وطاقاته ونواذعه عقيدة شاملة كلية تجعله
يراقب الله في اتصاله بالناس ، ويلتمس
الآخرة طلب الدنيا ، ولكن هذا لا يعني
أن الوحي قد أتى بخطة مفصلة للإنسان يعمل

نفسها دون جديد ١١ (١) ولا أجد إيضاحاً لهذه الحقيقة أوفى مما أدلى به الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر في حديثه لجريدة (أخبار اليوم) عند ما سئل عن محاولات الوصول إلى القمر، قال :

« هذا جانب بشري تركه الإسلام في ذاته وفي وسائله للعقل البشري، ولم يحدد له طريقاً ولم يبين له فيه حقيقة . نعم، حث الإسلام بوجه عام على النظر في الكائنات وترك ما وراء ذلك للعقل البشري، وليس من شأن الديانات السماوية أن تكشف الحقائق الكونية، وأقرب مثال لنا أن القوم في زمن التنزيل حينما رأوا القمر يصغر ثم يكبر ويكبر ثم يصغر ويتخذ أشكالاً مختلفة وراعاتهم هذه الظاهرة ولم يعرفوا عن أسبابها شيئاً اتجه بعضهم إلى النبي يسألونه، فكان جواب الحكمة الإلهية أن أخذت بهم عن البحث في هذا الجانب إلى بيان الثمرة والحكمة المترتبة على صغر القمر وكبره . يسألونك عن الآلهة، قل : هي مواقيت للناس والحج . وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى، وأتوا البيوت من أبوابها وانقوا الله لعلكم تفلحون . والآية تشير إلى أن التوجه إلى بحث الكائنات أو تفسير الشرائع السماوية بالسَّن الكونية إنيان للبيوت

من ظهورها . فعلى الناس أن يريحوا أنفسهم من تكلف تطبيق القرآن أو تفسيره أو احتوائه على مظاهر الكون، فالكون كتاب والقرآن كتاب، والقرآن يدفع بالناس إلى البحث عن مظاهر الكون وتقصى سنن الله فيه، وليس من شأن الرسالات الإلهية سوى ذلك فلا تحملوها أكثر مما حُمِّلها الله، (١) .

وشريعة الإسلام القانونية كذلك قد أتت بالقواعد الكلية والأحكام الثابتة، وتركت للناس التأويل والاستنباط، والاجتهاد والقياس في الفروع المتغيرة والجزئيات المتجددة . يقول ابن القيم في (إعلام الموقعين) : « قال ابن عقيل : السياسة ما كان من الأفعال بحيث يكون الناس معه أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد وإن لم يشرعه الرسول ولا نزل به وحى... قلت : هذا موضع مزلة أقدام ومضلة أفهام، فرط فيه طائفة فعملوا الحدود وضيعوا الحقوق وجروا أهل الفجور على الفساد، وجعلوا الشريعة قاصرة لا تقوم بمصالح العباد، وسدوا على أنفسهم طريقاً صحيحة من الطرق التي يعرف بها المحق من المبطل وعطلوها مع علمهم وعلم الناس بها أنها أدلة حق ظناً منهم منافاتها لقواعد الشرع، والذي أوجب لهم ذلك نوع تقصير في معرفة حقيقة الشريعة والتطبيق بين الواقع وبينها... »

في السماء لا في الأرض ، فلما عرف الإنسان أن الحل بيده اضطرب قليلا كرد فعل لفهمه السابق الساذج المعكوس ورد بصره عن السماء وتمسكه الزهو ... ثم شرع يعود إلى توازنه من جديد .

والإسلام لم يقم نفسه في كل شيء ليحول بين الإنسان وبين أن يفكر أو يتدع في أي شيء . ربما يكون المسلمون قد تخلفوا فحيات لهم أو هامهم شيئا من ذلك ، ولكن الحقيقة الصافية تسفر في ينابيع الدين الأصيلة : من كتاب وسنة .

فالناس أعلم بأمور دينهم في دين الإسلام ... إذا أردنا يوما أن نستحدث وجهة نظر دينية جديدة عن الحياة والعالم تحتل من جديد أذهان الأحرار وتوقظ مشاعرهم . وأول التغييرات إقامة أسس أخلاقية إيجابية ، لا أسس تدعو إلى الخنوع والتسليم . أخلاق يتسامى بها الأمل ، لا أخلاق يرتكس بها الخوف . إن الإنسان لم يخلق في هذه الحياة ليسكون كل عمله فيها أن ينسرق منها حيثما لكي يتجنب غضب الله ، إن الدنيا هي ديانا نحن ، ويتوقف علينا نحن أن نجعلها فردوسا أو جحما ، والقوة اللازمة لذلك هي قوتنا . والحياة الدينية التي يجب أن نجرى وراءها إن تكون شيئا من هذا الوفاق العارض أو الحرمات الخرافية ،

وأفرط فيه طائفة أخرى فسوغت منه ما يناقض حكم الله ورسوله ، وكلا الطائفتين أتيت من قبل تقصيرها في معرفة ما بعث الله به رسوله . فإن الله أرسل رسله وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط وهو العدل الذي قامت به السموات والأرض ، فإذا ظهرت أمارات الحق وقامت أدلة العقل وأسفر صبحه بأي طريق كان فتم شرع الله ودينه ورضاه وأمره ، والله تعالى لم يحصر طرق العدل وأدلت وأماراته في نوع واحد وأبطل غيره من الطرق التي هي أقوى منه وأدل وأظهر ، بل بين بما شرعه من الطرق أن مقصوده إقامة الحق والعدل وقيام الناس بالقسط ، فأى طريق استخرج بها الحق وعرف العدل وجب الحكم بموجبها ومقتضاها ، والطرق أسباب ووسائل لا تراد لذواتها ، وإنما المراد غاياتها التي هي المقاصد ، ولكن نبه بما شرعه من الطرق على أسبابها وأمثالها ... ولا نقول : إن السياسة العادلة مخالفة للشريعة الكاملة ، بل هي جزء من أجزائها وباب من أبوابها وتسميتها سياسة أمر اصطلاحى ، وإلا فإذا كانت عدلا فهي من الشرع .

الدين إذن لا يتراجع ولا ينحسر ، إلا عن مجالات كانت تظن البشرية في طفولتها أن حلها

لإنسان ومشاعره ، ولجميع علاقاتها بالآخرين . إنها تهى " الحلول لشكوكنا ... إنها تعيد الانسجام بين العقل والغريزة وترد" الشارد إلى مكانه في حياة الإنسانية . إن الذين ولجوا يوما في عالم الفكر ليؤمنون بأن السعادة والسلام لا يمكن أن يعودا إلى هذه الدنيا إلا عن طريق الروح ، اه . (نحو عالم أفضل) . تلك كلمات بصيرة هادية ... للفيلسوف الرياضى العملاق .

وعلماء الدين عندنا كانوا مندمجين مع الجماهير متفاعلين معهم ينطقون بآمالهم وآلامهم ... هكذا رأينا ابن تيمية والعز ابن عبد السلام وجمال الدين الأفغانى ، ومحمد عبده ، والكواكبي . وفى يوم من أيام ربيع الأول عام ١٢٠٠ هـ نهب حسين بك شفت وجنوده دارا لشخص ظلما وعدوانا فثارت ثائرة الأهل والأهل على الانتهاج إلى الإمام الدردير فقال : أنا معكم وغدا تجمع أهالى الأطراف والحارات وبولاق ومصر القديمة وأركب معكم ، فأرسل إبراهيم بك نائبه للدردير معذرا ووبخ شفت وطلب حصرا بما نهب لرده ... وفى ذى الحجة سنة ١٢٠٩ هـ اشتكى فلاحو قرية من بليس إلى الشيخ عبد الله الشراوى من ظلم محمد بك الألفى ورجاله ، فبلغ الشيخ الشكوى إلى مراد وإبراهيم فلم يفعلوا

لإنها لن تكون حياة حزن أو زهادة . . إنها يجب أن تستلهم الصورة التى يمكن أن تكون للحياة الإنسانية ، وأن تسعد بهجة الإنشاء مستروحة أنفاسها فى عالم شاسع حر قائم على البناء والأمل . إن أساس هذه الحياة ينبغى أن يكون محبة البشر لا لمظهرهم ، ولكن لما يتوسمه الفكر من الخير . إنها لن تدين بسرعة بل توجه الثناء للعمل الإيجابى أكثر مما توجهه للبداة السلبية من الذنب . إنها ستسبح بهجة الحياة وبالود الأصيل وبالبصيرة البناءة .

لقد قاست حياة الروح فى الأزمنة الحديثة بالجمع بينها وبين الدين التقليدى ، وبعداوتها الواضحة لحياة العقل ، وبما أخذ يبدر من أنها تتركز فى إنكار الذات . إن حياة الروح تتطلب الاستعداد لإنكار الذات حينما تتاح الفرصة ، إلا أنها فى جوهرها يقينية بقدر ما هى قادرة على إغناء الوجود الفردى ، شأنها فى ذلك شأن العقل الغريزى . إنها تجلب معها بهجة الرؤيا ، وما فى هذا العالم من بهجة الغموض والعمق وبهجة التأمل فى الحياة . وكل فوق شئ ، بهجة الحب العالمى ... إنها تحرر الذين يحصلون عليها من سجن العاطفة الشخصية الملحة والاهتمامات الدنيوية ، إنها تمنح الحرية وسعة الأفق والجمال لأفكار

والضمير ، فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، والصيام جُنة ، والحج لا رُفث فيه ولا فسوق .

والأخلاق فى الإسلام إيجابية ... دفا أظلم الصورة الشائعة بين الناس التى تحدد الأخلاق الدينية بأنها أداء الصلوات واجتناب الخمر والميسر ، والتى استفزت كتابتها من العلماء حتى قال : إن الأخلاق الدينية لا تسكنى أو لعلها لا تصلح مطلقا كى تكون أساسا لتقدير الأشخاص وتقويم الرجال ... إن القيام بالشعائر واجتناب الخمر والميسر من أحكام الإسلام ، لكن ليست وحدها هى الأخلاق الدينية ... هناك أخلاق للفكر تأمر بالتعقل والعلم وتنفر من التقليد والتضليل ، ثم هناك أخلاق للنفس تأمر بالصدق والأمانة والإحسان ، وهناك أخلاق للسلوك وهى الآداب العامة وقواعد اللياقة ، (١) . والقرآن جعل من وصف المؤمنين ، والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ، والذين هم بشهاداتهم قائمون ، . والمؤمن مأمور دائما بأن يكون إيجابيا (٢) ،

شيئا ، فدعا إلى عقد اجتماع العلماء بالأزهر فلبوا دعوته وأغلقوا أبواب الأزهر ، وأمروا الناس بغلق الأسواق والخوانيت استعدادا للقاومة بالقوة ، وركب الشرفاوى ومعه العلماء وتبعهم الجماهير ... وتخرج الموقف ، وفى اجتماع بين العلماء وإبراهيم ومراد تقرر ألا تفرض ضريبة إلا إذا أقرها مندوبو الشعب وأن ينزل الحكم على مقتضى أحكام المحاكم وألا تمتد يد ذى سلطان إلى فرد من الأمة إلا بالحق والشرع ، وكان القاضى الشرعى حاضرا فخر حجة وقع عليها الأمراء وشعائر العبادة فى الإسلام - وكما أوصت كتب الله المقدسة - كلها يقصد بها الجوهر لا المظهر . د وفرائض الشعائر الأساسية محدودة معدودة ، وهى لا تخلو بعد ذلك من رخص تخففها عند قيام الأعذار ... وما يزيد على ذلك من قربات ونوافل متروك لتباين الأفراد والعصور ويرتبط كل الارتباط بمدى (الفراغ) والواجب فى شغل الفراغ ، كما يرتبط بمستوى التكوين الأساسى للفرد . إنها دعوة للفلاح كما هى دعوة للصلاة ، أوصى بذلك الإنجيل كما أوصى القرآن ، (١) .

والعبرة بما تسكبه الشعائر فى أغوار النفس

(١) رسالة (الدين لواقع) .

(٢) مقال « الإيجابية الفعالة » مجلة الأزهر

في علاقته بالسكون وفي علاقته مع الناس :
 « هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا
 فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور .
 « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون
 بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون
 بالله . » وأخلاق الإسلام الإيجابية هى أخلاق
 الساحة واليسر وليست انفعالات التعصب
 والتزمت « ولا يجرمكم شأن قوم أن
 صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا ،
 وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا
 على الإثم والعدوان . »

والإسلام لا يسرق الإنسان من الدنيا ...
 إنه يعلن أن الله جل وعلا قد استخلف
 الإنسان على الأرض وسخر الكون للإنسان
 « إني جاعل فى الأرض خليفة ، » هو أنشأكم
 من الأرض واستعمركم فيها ، « خلق لكم
 ما فى الأرض جميعا ، » وسخر لكم ما فى
 الأرض جميعا منه ، « ولا تقولوا لما تصف
 ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام
 لتفتروا على الله الكذب ، إن الذين يفترون
 على الله الكذب لا يفلحون . » والدنيا
 فى ديننا هى معبد الآخرة « إنا جعلنا ما على
 الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا . »
 « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ،
 ولا تنس نصيبك من الدنيا . » والإسلام
 لا يجعل الصورة المثالية للؤمن هى العكوف

على شعائر العبادة ، والانقطاع عن الدنيا ،
 واعتبار كتابه المنزل مورد العلم الوحيد !!
 إنه لا يصرف الإنسان عن الدنيا ، ولا يحجزه
 عن العلم ، وشعائره لا تستهلك الوقت ،
 إنه يجعل طلب العلم فريضة ، ويجعل السعى
 والعمل فريضة ، ويلفت النظر دائما إلى
 التدبر فى الكون والنفوس والتاريخ
 « أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب
 يعقلون بها أو آذان يسمعون بها ، فإنها
 لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى
 فى الصدور ، » أفلم يسيروا فى الأرض
 فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ،
 كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا فى الأرض
 فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون . »
 إن الدين يقدر العقل إذ هو نفحة من
 صنع الله ، والمؤمن يتعبد بأعمال عقله تحدا
 بنعمة الله ، ويقدر النتائج التى يتوصل إليها
 إخلاصا فى أداء الأمانة التى ائتمن عليها الله ...
 والإسلام لا يفتأ ينمى طاقة العقل ويبارك
 ثمارها ، وكيف لا يكون هذا موقفه وقد
 ائتمن العقل على أخطر قضية فى الوجود -
 قضية إدراك حقائق الدين الأساسية نفسها
 فهل تستغنى عن هذا الهدى حضارة
 رشيدة ؟ ؟

حول الخطوة الثانية

للأستاذ عبد الرحمن العدوي

والثانوي ، وعلى ما يكون من امتحان أثناء هذا التعليم ، وأن تكون الشهادة الثانوية التي يظفر بها التلميذ الأزهرى حين يتاح له أن يظفر بها صادرة من وزارة التربية والتعليم .

وقد رأى أن يحدد الاشتراك الفعلي بإعطاء الوزارة حق التفيتش والإشراف على الامتحان ، وحق إعطاء الشهادات والإجازات .

فأى شئ بقي للأزهر في هذا الاشتراك ؟ . ألم يكن من الصواب أن يقول سيادته : « وإنما ينبغي أن تنفرد وزارة التربية والتعليم بالإشراف على التعليم الابتدائي والثانوي في الأزهر كما انفردت به في غير الأزهر .

فإذا كان الغرض هو توحيد التعليم الابتدائي والثانوي في الدولة كلها ، وأن يكون التخصص في الأقسام العالية فحسب ، فما معنى أن تفتش الدولة المدارس الإعدادية والثانوية الفنية التي تؤهل أبنائها للدراسة الفنية العالية ؟ ... وما معنى أن يكون في المدارس الثانوية قسمان أحدهما على وثانيهما أدبي ؟ أليس معنى

نشر الأستاذ الدكتور طه حسين مقاله الثاني في « الخطوة الثانية » . وهو ليس من الموضوعات التي يكتفى فيها برأى فرد . ذلك لأنه يتصل بكيان أقدم وأكبر جامعة إسلامية حملت لواء علوم الدين واللغة العربية أكثر من ألف عام بل يتصل اتصالاً وثيقاً بمستقبل الثقافة الإسلامية وعلوم اللغة العربية لا في جمهوريتنا فحسب بل في العالم الإسلامي الذي يوفد أبناءه لينهلوا من معين الأزهر ويبدى حاجته إلى علمائه يذهبون إليه مرشدين ومعلمين .

ولخطورة هذا الموضوع لا يكون من الخير أن تسرع في الحكم أو العمل قبل أن يدرس دراسة وافية تستبين منها مواطن الخطأ ،

يقول الدكتور : « ليس يكفي أن تكون الدراسة الابتدائية والثانوية في الأزهر ملائمة للدراسة في وزارة التربية والتعليم ، وإنما ينبغي أن تشترك وزارة التربية والتعليم مع الأزهر الشريف اشتراكاً فعلياً في الإشراف الدقيق على التعليم الابتدائي

ذلك أن الدولة تريد في وقت مبكر من سن التليذ أن تهيئه للدراسة العالية التي يرغب التخصص فيها ، ولن تعطى عناية خاصة للمواد التي سيكون فيها تخصصه فيما بعد ، فيكون لهذه المواد وضع امتياز بجانب ما يأخذ التليذ من ألوان الثقافة الأخرى ؟ وإذا كان الوضع كذلك في وزارة التربية والتعليم ، فلم يعاب على الأزهر أن يهيئ طلابه للتخصص في علوم اللغة العربية والدين فيجعل لهذه المواد وضع امتياز بجانب ما يدرس لهم من العلوم المدنية الأخرى ؟ وما يظن أحد أن الأزهر قصد أن يجعل من طلاب الثانوية الأزهرية نسخة مكررة لطلاب الثانوية العامة ، فللأزهر رسالته التي هو حفيظ عليها ضنين بها مرابط في سبيل أدائها في صدق وإخلاص .

وهو يعد أبناءه لتحملها من أول يوم تخطو أقدامهم فيه عتبة الأزهر الشريف ، وليس من الإنصاف أن نقول : إن صناعة ما أو حرفة ما يحتاج التخصص فيها إلى دراسة مبكرة تبدأ من التعليم الإعدادي ثم نقول في الوقت نفسه : إن التخصص في علوم الدين واللغة العربية لا يحتاج إلى مثل هذا التبكير في الدراسة ، وليس من الرأي في شيء أن نقول : إن التخصص في علوم الدين يكفيه ما يقضيه من سنوات التعليم العالي بينما ذلك لا يكفي طالب الطب أو الصيدلة أو الهندسة مثلا .

وللأزهر برامج الخاصة التي يعد بها أبناءه لغير ما تعد له الوزارة أبناءها ويهيئهم للون من العمل في الحياة غير ما يهيئ الوزارة أبناءها له ، ولا يعيبه في ذلك أن هذا الإعداد يبدأ من سن مبكرة في حياة طالب الأزهر ، كما أنه ليس من الحق أن يقال : إن طالب المدارس الثانوية قادر على أن يدرس في إحدى كليات الأزهر ليتخصص في علوم الدين ، وكيف يمكن لفرد أن يتخصص في علم لم يسبق له دراسته وتحصيل شيء فيه ؟ هل يكفي في تأهيله لهذا التخصص أن يكون لديه ميل لهذا العلم كما يذكر سيادة الدكتور ؟ وأي ميل هذا الذي يدفع الطالب إلى الإنقال على نفسه وزيادة أعباء دراسته والاتجاه إلى طريق لا تؤله له برامج مدرسته ولا يملك شيئا من مقومات النجاح فيه ؟ وهل تعتمد الكليات الأزهرية في بقائها على مثل هذا الميل بعد أن قطعت روافدها وفصات عنها معاهدها ؟ .

لعله يقول : أنالم أدع إلى تحويل المعاهد الدينية إلى مدارس ثانوية ، بل دعوت إلى إشراف وزارة التربية عليها إشرافا دقيقا يشمل في التفتيش والإشراف على الامتحان وإعطاء الشهادات باسم الوزارة لا باسم الأزهر ، وهذا لا يمنع الأزهر من أن يضيف في معاهده من المواد ما يراه ضروريا

يقول ذلك أراه عائدا على «خطوته الثانية» ، بالنقض مطالباً أن يتاح للتخصص في علوم الدين أن يتخصص في العلوم المدنية متى أراد ، وذلك لا يكون قطعاً بتحويل المعاهد الدينية إلى مدارس ثانوية ، بل رأى في ذلك أن تمكن وزارة التربية والتعليم أبناء الأزهر من الحصول على الثانوية العامة بعد أن تجرى لهم امتحاناً فيما تراه من المواد التي لم يدرسوها في معاهدهم أو درسوها بمقدار لا تكفي به الوزارة ، على أن يتخذ الأزهر خطوة مماثلة بتمكين طلاب المدارس الثانوية الذين لديهم ميل للتخصص في علوم الدين من الحصول على ثانوية الأزهر بعد أن يجرى اختبارهم فيما يراه ضرورياً لكياناته من علوم ، وبذلك تفتح الأبواب على مصاريعها بين الأزهر والجامعات ، ويتاح لرجال الدين أن يتخصصوا في العلوم المدنية كما يتاح لرجال العلوم المدنية أن يتخصصوا في علوم الدين واللغة . لو عدل الدكتور خطوته على هذا النحو لكانت أثبت وأقوى وأدعى إلى القبول .

عبد الرحمن العمري

من العلماء

تهيئة طلابه للتخصص في كلياته إن أرادوا ذلك . ولكننا نسائل أيكون لما يضيفه الأزهر من علوم الدين واللغة اعتبار في نجاح الطالب ودرسه . وفي المجموع والترتيب والتقدير العام أم لا ؟ إن كان له هذا الاعتبار فقد أثقلنا كاهل طالب المعاهد الأزهرية بدراسة مزدوجة تقلل فرص النجاح أمامه وتزيد متاعب دراسته فتسوء نفسيته ويحسد زميله الذي انتسب إلى المدارس الثانوية ، ويرى في علوم الدين واللغة عبثاً ما كان أغناه عن الارتباط به والانتساب إليه ، وهذا ولا شك وضع مهيئ لهذه الدراسة يأباه كل غيور على دينه ولغته . وإن لم يكن لعلوم الدين واللغة مدخل في النجاح والترتيب والتقدير فسينصرف الطالب عنها إلى ما يؤثر في نجاحه ، ويكثر درجات مجموعته ويأتي به في مقدمة الصفوف المتراسة أمام أبواب الجامعات .

وعند ما يقول الدكتور : « وما الذي يمنع الطالب من أن يجمع بين الدراستين إن استطاع » ، ولم لا يتاح لرجال الدين من المسلمين ، إلى جانب إتقانهم لعلوم الدين ، أن يتخصصوا فيما يميلون إليه ويجدون القدرة على التخصص فيه من العلوم المدنية ، عند ما

قال شداد بن أوس : نصح لك من أسخطك بالحق ، وغشك من أَرْضاك بالباطل .

الشريعة الإسلامية وحقوق الإنسان

للأستاذ عباس طه

أمرين : إما الإمساك بمخنةها بالحديد والنار وإما تركها وشأنها أشبه بحثة هامة يؤول أمرها إلى ما يؤول إليه . هذا كان شأن الأمم الضعيفة عندما كانت تقع تحت براثن أمة فاتحة ، وهذا نفسه كان حال الشعوب التي حملت نير استعمار الرومان ، وهي الأمة التي كان لها الزعامة في الأرض قبل المسلمين مباشرة فقد كانت الشعوب تخضع لها رهبا لا رغبا وكانت كثيراً ما تثور عليها فتحدث بين الفريقين معارك تسيل الدماء فيها أنهاراً فلما أدرك الدولة الرومانية الوهن انفصلت تلك الشعوب عنها مكسبة في أعماق قلبها أقصى ضروب الحقدها عليها ، حتى إنه لما داهمتها القبائل المتوحشة التي كانت نازلة في أطرافها من الهونيين والبلغار والفنداليين وغيرهم لم تمتد إليها يد بمعونة ولا أمدها قلب بعاطفة ، وكان التاريخ أقسى عليها حكماً من الناس — فقد جاء في دائرة معارف لاروس الفرنسية عند ذكرها نظم الرومانيين :

ماذا كانت نظم الرومان على وجه الإجمال ؟ كانت الوحشية والقسوة بعينيهما في صورة

الأمة الإسلامية بحكم الأعباء التي عهد الله بها إليها ، وهي جعل كلمته العليا في الأرض قدر لها أن تخالط من الأمم من يباينها أصلاً ولغة وعادات وديناً . وتلك الأمم لها نظم مقررة وقوانين وتقاليد خاصة ، فإخضاعها جميعاً لشريعة واحدة لا يعقل أن يكون إلا إذا كانت تلك الشريعة بالغة أرقى ما يدركه العقل من معنى العدل وما تطمح إليه النفس من نعمة المساواة وتهفو إليه الطبيعة البشرية من الحرية الصحيحة — وهذا ما لا سبيل إليه إلا إذا كان أساس تلك الشريعة الحقوق الطبيعية ، لا الحقوق التي تملها المصالح المادية وتحدها الأثرة القومية وتحيفها العوامل المحلية .

أجل : فإن تلك الشعوب لأجل أن تدخل في الوحدة يجب أن لا تجد في ذلك ما يثير حميتها ويهيج أنفقتها ويخرج كرامتها ويدفعها دفعا إلى التخلص مما وقعت فيه . لأنه متى تأثر كل شعب بمثل هذه الروح من التمرد نتجت من ذلك فتوق يتعذر على قاهريها رتقها فيضطرون للإيغال فيها قتلا وسلبا ثم يلجئون إلى أحد

البشرية ما يشبهه منذ تدوين التاريخ إلى اليوم؟
سببه سمو الشريعة الإسلامية سمو أذهل
الشعوب عن قومياتها وتقاليدها وموروثاتها
فألقت بنفسها بين يديها تستمد لها روحاً تحيا
بها وتنعم بالوجود تحت سلطانها . ولم
يكسب هذه الشريعة هذا السمو إلا قيامها على
أساس الحقوق الطبيعية المجردة من كل صبغة
قومية وجنسية وفردية ، الرئيس والمرئوس
فيها سيار ، والقوى والضعيف عندها
متكافئان .

لم يحدث في تاريخ العالم الإنساني أن أمة توخت
العدل المطلق في سن تشريعها فنظرت إلى
الناس من حيث هم أمثال في الإنسانية
لا فضل لواحد منهم على آخر لأى اعتبار
من الاعتبارات حتى ولو كان أجنبياً عنها
يخالفها أصلاً وديناً ولونا ولغة . لم توجد
أمة سلكت هذا المسلك في وضع شريعته
حتى ولا بالنسبة لأحاديها المؤلفين لمجموعها
إلا في أخريات القرن الثامن عشر بعد الثورة
الفرنسية وإعلانها حقوق الإنسان ومحوها
الطبقات الاجتماعية .

انفردت الشريعة الإسلامية بميزة التعميم
في حقوق الإنسان ، فهي تعتبره من حيث
هو لإنسان لا من حيث هو خاضع لسلطانها
أو داخل في ملتها . وهذا من أجل الأدلة
على أنها وحى إلهى لا وضع بشرى ، فقد دل

قوانين . أما من جهة فضائل روما القديمة
عاصمة الرومان يومئذ مثل الشجاعة والمسكر
والنظام والإخلاص المطلق للجماعة فهي بعينها
فضائل قطاع الطرق واللصوص ؟ أما وطنيتها
فكانت مكتسبة لباس الوحشية فقد كان
لا يرى فيها إلا شره مفرط للبال ، وحقد
على الأجنبي ، وتجرد من عاطفة الرحمة
الإنسانية ، أما العظمة في روما والفضيلة
فيها فكانتا مرادفتين لأعمال السوط والسيوف
في العالم ، والحكم على أسرى الحرب
بالتعذيب والأسر وعلى الأطفال والشيوخ
بجر عربات النصر ، انتهى .

قارن هذا بحكم المسلمين ، قال العالم الكبير
جوستاف لوبون في كتابه « تاريخ العرب »
« لم تر الأرض فاتحين أبر وأرحم من
المسلمين » .

على أن لسان الحوادث في هذا الشأن كان
أبلغ من لسان التاريخ فإن هذه الشعوب
التي خضعت لحكم المسلمين فضلاً عن أنها
لم تثر عليهم ، ولم تبطن نية النكاية قد تهافت
على الدخول في دينهم فأصبحت بلادها
معاقل للإسلام ولما يمس عليها غير سنين
معدودة حتى نبغ فيها حفظة للغة ، وأئمة
لشريعته مما لم يحدث له مثيل في أى عهد
من عهود البشر .

فما سبب هذا الأمر الجلل الذى لم تر

إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون .

فهو في هذه الآية لا يوصي بمعاملتهم بالعدل المطلق فحسب ، ولكن يوصي أيضاً ببرهم ، والبر هو أوكد الصلات التي تربط الناس بعضهم ببعض ، أمرها بالتوحيد بينهم في الوجهة والغاية ، وهذا أقصى ما يرى إليه الفلاسفة والمصلحون ، وقد أصاب الإسلام هذا المرمى فكانت نتيجة ذلك أن انقلبت الأمم التي كانت تناجزها إلى أمة صديقة له ، بل مؤمنة به ، فشهد العالم لأول مرة في تاريخه تطوراً لم يحدث له شبيه في نفسيات الشعوب المتباينة أصولاً ولغات وتقاليده وعادات ، إذ تحولت كلها إلى أمة واحدة مؤلفة لا كبر امبراطورية عالمية تجري وراء غاية واحدة هي المثل الأعلى لوجود إنساني كريم .

كل هذا كان بفضل العدل المطلق الذي جملة الحق أساساً لشريعته العامة الخالدة ، فانظر كم كانت تنجو الأمم لو عمت تطبيق هذا العدل ، من ثورات أهلية . ومن كوارث استعمارية ، وكل كانت تقتصد من أموال لا تنفد في اليوم إلا على التسليح بمبيدات للبشرية من قنابل ذرية ، وصواريخ موجهة وقنابل هيدروجينية خشية أن يبغي بعضها على بعض . إن الفيلسوف الانجليزي برناردشو لم يعد الحقيقة حين قال : « إن أوروبا لا تتأهل ولا

الاستقراء على أن الارتقاء في إقامة العدل لم يبلغ لدى البشر إلى حد أن يعاملوا الأجانب عنهم بمعاملتهم لأنفسهم ، ولا أن يطبقوا عليهم أصول الحقوق الطبيعية التي أدركتها عقولهم — ولكن الإسلام سبق العالم أجمع إلى تطبيق هذه الحقوق الطبيعية على السكافة ، ولم يستثن أحداً حتى الأرقاء فكان المثل الإلهي الأعلى الذي سينتهي إليه الناس كافة حين يبلغون من معارج الرقي إلى ذروتها العليا ، فقال الله تعالى يوصي المسلمين باتباع هذه المبادئ في معاملة الناس أجمعين « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ، إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ، وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً » .

وقد بين الله تعالى في آية أخرى بأن مراعاة أصول هذا العدل المطلق تشمل الخلق كافة إلا الذين يقاتلون المسلمين من أجل دينهم ، ويعملون على إخراجهم من ديارهم اضطهاداً لهم وعدواناً عليهم فقال : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوك في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوك في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على

الخير كل الخير في مناصرته والذود عن
بيضته .

ولا تزال الدعوة الإسلامية باقية حتى
يكسف القمران وتسكن هذه الأرض من
دوران ، ولا يزال ولن يزال الدليل قائما
على أن قبولها هو الدواء الشافي لأدواء الأمم
« والله يقول الحق وهو يهدي السبيل » .

عباس ط

ولا تبرأ من أوصابها التي تكاد تودي بها
إلا إذا أخذت بأصول الإسلام وعملت بها .
إن الإسلام لم يمد رواق سيادته على الأمم
التي تدين به اليوم إلا بالعدل المطلق الذي
أوصى شيعته بالقيام عليه ، فوجدت تلك
الأمم فيه ماتحم به من حياة اجتماعية لاثيوبها
شوائب الجنسيات المتنافرة ، والعصبيات
المتناظرة والطبقات المتحاقدة ، بل ما أنسته
في أصوله من مطابقة العقل ومسايرة الدليل
وفي آدابه من سمو ليس بعده غاية ولا وراءه
مذهب ، فألقت بنفسها في جماعته ، ورأت

القوة في التضامن

كان في أجرة أثوار ثلاثة : أبيض وأسود وأحمر ، ومعهن فيها أسد ، فكان لا يقدر
منهن على شيء لاجتماعهن عليه .

فقال الأسد للثور الأسود والثور الأحمر : لا يدل عليهما في أجمتنا إلا الثور الأبيض ،
فإن لونه مشهور ، ولوني على لونكما ، فلو تركتني آكله صفت لنا الأجمة .

فقالا : دونك فكله . فلما مضت أيام قال للأحمر : لوني على لونك ، فدعني آكل
الأسود لتصفو لنا الأجمة . فقال : دونك فكله .

ثم قال للأحمر : إني آكلك (لا محالة) .

فقال : دعني أنادي ثلاثة . فقال . إفعل . فنأدى ألا إني أكلت يوم أكل الثور الأبيض .

لغويات

للأستاذ محمد علي التجار

فعل في معنى مفعول

يأتي فعل في معنى مفعول جارياً بجري الأسماء لا يجري على موصوف ، وذلك إذ لا يراد وقوع الفعل عليه ويتخصص في بعض المعاني فيخرج عن إبهام الأوصاف . وهذا الضرب في أغلب أمره تلحقه تاء النقل من الوصفية إلى الاسمية . ومن ذلك الذبيحة لما يعدّ الذبح من الحيوان ، وإن كان حيّاً لم يذبح ، ويستوى في ذلك الذكر والأنثى . ومنه النطيحة للحيوان ينطحه آخر فيموت بالنطح وقد تخصص هذا بإضافة الموت إلى النطح فالتحق بالأسماء . ومنه للقيطة في قول الشاعر الحماسي :

لو كنت من مازن لم تستبح إيلي

• بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا قال المرزوقي في شرحه (ص ٢٥) :
• ولقيطة ألحق بها الهاء وإن كانت فعلاً في معنى مفعولة لأنه أفرد عن الموصوف به

وجعل اسماً . وهذا كما يقال : النشيطة والذبيحة والبنية في الكعبة ، والنشيطة ما يغنمه الغازي في الطريق قبل بلوغه الوجه الذي يغزوه . وكان هذا في نظام الجاهلية . وهي في الأصل وصف من نشط الشيء : اختلسه . وقد يجرد هذا الضرب من التاء كما قال ابن أحر :

تهدي إليه ذراع الجدى تكرمه

إما ذبيحا وإما كان حلاما

فالذبيح : الجدى الذي كبر وصلح أن يذبح

والحلام : الجدى الصغير لا يبلغ أن يذبح .

فأما فعل الذي لم يجر بجري الأسماء وبقي

على وصفيته فقد جاء عارياً من تاء التأنيث

مع المؤنث إذا وجد في الكلام ، نحو امرأة

قتيل وامرأة صريع . وقد اشتهر في هذا

النوع أنه يستوى فيه المذكر والمؤنث :

ويعلل ذلك بعض النحويين بأنه جاء على زنة

فقد جاء في الحماسة قول الشاعر بهجو بني أسد:
ولما رأيناكم لثاما أدقة
وليس لكم من سائر الناس ناصر
ضممناكم من غير فقر إليكم
كما ضمت الساق الكسير الجبار
فقال ابن جني في كتابه التنبيه (١) على
مشكل إعراب الحماسة: «الكوفيون يقيسون
تذكير فعتل إذا كان في معنى مفعول وجري
وصفا على مؤنث؛ نحو امرأة قتيل وصريع
وجريح؛ فعليه جاء (الساق الكسير) .
وقياس مذهبنا نحن (يريد البصريين)
ألا يجوز قياسه؛ بل يروى المسموع فيه
بحاله . . ويقول المرزوقي في شرحه (٢)
للحماسة: «وقال الكسير والساق مؤنثة لأنه
فعل في معنى مفعولة . وعن أصحابنا البصريين
هذا لا ينقاس، بل يتبع فيه المحكي عنهم» .
ويقول التبريزي في شرحه (٣): «وقال:
الساق الكسير وهي مؤنثة لأن فعلا إذا كان
في معنى مفعول ووصف به المؤنث كان بغيرها
قياس مطرد عند الكوفيين . وعند البصريين
لا ينقاس، بل يتبع فيه المحكي عنهم» .

المصدر كالزئير والصهيل فالتحق به في التعرى
من التأنيث . وهذا التعليل غير صحيح؛ فإن
فعيلا في معنى فاعل فيه هذا المعنى ،
ولا يستوى فيه المذكر والمؤنث . وإنما هو
استعمال العرب ، وسنتهم في الكلام . وهذا
كما أسلفت - إذا كان في الكلام ما يدل على
الموصوف المؤنث ، فأما إذا لم يكن فيه ذلك
فيؤتى بالتاء مع المؤنث دفعا للبس ، تقول :
هذه قتيلة بني فلان .

وهذا الحكم الذي أوردته نراه في كتب
متأخرى النحاة ، ولا يوردون فيه خلاف
البصريين والكوفيين وهذا يدل على اتفاقهم
عليه . ويقول سيبويه في الكتاب ٢/ ٢١٢ :
«وأما ففيل إذا كان في معنى مفعول فهو في
المؤنث والمذكر سواء ، وهو بمنزلة ففول ..
وتقول : شاة ذبيح كما تقول : ناقة كسير ...
وتقول : شاة رمى إذا أردت أن تخبر أنها
قد رميت . . وقالوا : نعجة لطيح . . فترى
من هذا النص أن سيبويه إمام البصريين
يقول بتجريد ففيل هذا من التاء إذا تبع
المؤنث قياسا لاجبا ، ومنها مطردا .

على أنه يروعا أن ابن جني وشيعة له
ينسبون إلى البصريين القول بعدم التعرية إلا
فما جاء وسمع عن العرب ، وأن القول
بالتعرية على الوجه السابق مذهب الكوفيين .

[١] انظر الورقة ١٧٠ من مخطوطة دار
الكتب .

[٢] ص ١٤٨٥

[٣] ج ٤ ص ٦٠ من طبعة ١١- مكتبة التجارية .

بمعنى فاعل قد يحمل عليه فيلحقه التاء مع ذكره الموصوف أيضا ؛ نحو امرأ قتيلة .
والأصل في هذا قول سيبويه في الكتاب :
« وقالوا : نعجة لطيح ، ويقال : لطيحة ،
شبهوه بسمين وسمينة » .

وجاء في اللسان (ذم) في حديث الشؤم والطيرة
ذروها ذميمة أى ذروا الدار . فذميمة فعيلة
في معنى مفعولة وقد جاءت على التأنيث .
وجاء فيه (رأى) قول الشاعر :
وما ذاك من ألا تـكـوـنى حبيبة
وإن ربى بالإخلاف منك صدود

وفيه في (جهم) قول الشاعر :

فيا جحمتى بكى على أم مالك

أكيلة قلوب بإحدى المذائب
الجمحة : العين والقلوب : الذئب ،
والمذائب : مجارى الماء . فانظر كيف جاء
التأنيث مع الموصوف المؤنث . وعلى هذا
ليس من الخطأ أن يقال : مصر الحبيبة ،
والفضيلة الصريعة .

ومن مباحث فعيل في معنى مفعول أنه
يثنى ويجمع ، غير أنه يتجنب به جمع المذكر
السالم وجمع المؤنث السالم أى يجمع جمع
التكسير فقط . فيقال : هما صريعان وهم
صرعى . ولا يقال : هما صريع وهم صريع
ويقول سيبويه في الكتاب في شأن هذا

على أن التبريزى سرعان ما ينسى ما ذكره
هنا فيجعل التجريد من التاء هو القياس . فقد
جاء في الحماسة بعد القطعة السابقة قول
وضاح بن إسماعيل :

من مبلغ الحجاج عنى رسالة
فإن شئت فاقطعنى كما قطع السلى
وإن شئت فاقتلنا بموسى رميضة
جما فقطعنا بها عُقَدَ العُرا
فقال التبريزى في الشرح ^(١) : « رميضة :
حادة ؛ رمضت النصل إذا رقعته وحددته .
وكان القياس أن يقول : رميضا ، إلا أنه
جاء على الأصل المتروك ، مثل أعوز
واسنوق الجمل » .

وأذكر هنا أن تجريد هذا الضرب من فعيل
من تاء التأنيث ليس ضربة لازب ، فإن مالك
يجعله أمراً غالباً في قوله :

ومن فعيل كقتيل إن تبع
موسعوفه غالباً التا تمتنع

ويقول الأشمونى في شرحه : « وأشار
بقوله : غالباً إلى أنه قد يلحقه تاء الفرق حملاً
على الذى بمعنى فاعل ؛ كقول العرب : صفة
ذميمة وخصلة حميدة » . ويقول الرضى في
شرح ^(٢) الكافية : « ولشبهه لفظاً بفعيل

وقد علمت من كلام سيويوه الرد على مثل هذا الكلام ، وقد جاء في كلامه التمثيل بجرحى الذى يرده الأستاذ حفى ناصف تبعا للخضرى .

وينزع الأستاذ حفى إلى الاستدلال على فتواه فى منع التثنية بأنها محمولة على جمع المذكر السالم . فإذا امتنع أن يقال : جريحون امتنع أن يقال جريحان . وهذا الاستدلال لا يقوم على النقد ألا ترى أنه لا يقال : أسودون ويقال أسودان ، والأسودان : التمر والماء عند العرب . وإنما يعنى النحاة بأن المثني وجمع المذكر السالم من باب واحد أنهما يعربان بالحروف .

وقد يذكر النحويون أن فعلا يستوى فيه المفرد وغيره ذكر واذلك فى قوله :

خير بنو لخب فلا تك ملغيا

مقالة لخبى إذا الطير مرت وقوله تعالى : والملائكة بعد ذلك ظهير . والبيت الأول نزع البصريون إلى هذا القول فيه خروجاً عما ألزمهم به السكوفيون ، فهو جواب جدلى . وقيل فى الآية : إن المراد أن الملائكة فى إعانتهم له يد واحدة فهم كالظهير . وأيا ما كان الأمر فإنما قالوه فى فاعل فى معنى فاعل لا فى معنى مفعول .

على أنه جاء قول أبى ذؤيب الهذلى :

الوصف : « ولا تجمعهم بالواو والنون ، كما لا تجمع فعول ؛ لأن قصته كقصته . وإذا كسرت كسرتة على فعلى . وذلك قتيل وقتلى وجريح وجرحى وعقير وعقرى ولديغ ولدغى . وسمعنا لأن العرب من يقول : قتلا شبهوه بظريف ؛ لأن البناء والزيادة مثل بناء ظريف وزيادته . »

وقد عرضت لهذا البحث لأنه سبق لأحد علماء العربية فى العصر الحديث الأستاذ حفى ناصف عليه رحمة الله أن منع تثنية هذا الضرب وجمعه . فجاء فى جواب (١) له عن بعض الأسئلة النحوية أنه لا يقال : جريحان ولا جرحى ؛ إذ كان جريح يستوى فيه الواحد وغيره كما يستوى فيه المذكر والمؤنث .

وقد استند فى ذلك إلى قول الخضرى فى حاشيته على ابن عقيل فى مبحث النعت : « محل مطابقة النعت للنعوت إذا لم يقم مانع ككون الوصف يستوى فيه المفرد والمذكر وأضدادهما ؛ كصبور وجريح ، . ويقول (٢) الأستاذ حفى ناصف عقيبه : « وهو صريح فى أنه يقال بلفظ واحد للمذكر والمؤنث ، مع كونه لواحد أو اثنين أو جماعة ، .

[١] انظر المجلد التاسع من المقتطف ص ٣٦٧ .

[٢] انظر المقتطف فى المجلد التاسع ص ٦٧٦ .

وسرب يُطلى بالعبير كأنه
 دماء ظباء بالنحور ذبيحُ
 وجاء عقبه في اللسان : ذبيح وصف
 للدماء ، وفيه شيطان . أحدهما وصف الدم
 بأنه ذبيح ، وإنما الذبيح صاحب الدم
 لا الدم . والآخرا أنه وصف الجماعة بالواحد ،
 فأسما وصفه الدم بالذبيح فإنه على حذف
 المضاف ، أى كأنه دماء ظباء بالنحور
 ذبيح ظبائه (كذا والصواب : ظبائها)
 ثم حذف المضاف وهو الظباء فارتفع الضمير
 الذى كان مجرورا لوقوعه موقع المرفوع
 المحذوف لما استتر في ذبيح .
 وأما وصفه الدماء وهى جماعة بالواحد
 فلأن فعلا يوصف به المذكر والمؤنث
 والواحد وما فوقه على صورة واحدة . قال
 رؤبة : (دعها فما النحوى من صديقها)
 وقال تعالى : وإن رحمة الله قريب من
 المحسنين . وهذا كلام لغوى أراد به تخريج
 كلام عربى جاء على خلاف المألوف والمعروف
 من أمرهم . وليس فيه دقة التحويين وحسن
 بصرهم ، ألا ترى أن ما استشهد به من كلام
 رؤبة والآية الشريفة فعيل فيه فى معنى فاعل

لا فى معنى مفعول . وفى الحق أن العرب
 جعلت العدو والصديق فى معنى الواحد
 إذ كانت العداوة والصداقة تتضمن التعاون
 والتوحد ، فأعداء المرء يجتمعون على عداوته
 كأنهم واحد ، وأصدقاؤه يتعاونون على
 نصرته ، فمن هذا جاء قوله تعالى : فإنهم
 عدوى ، وجاء قول رؤبة . فأما قريب
 فالأمر فى تذكيره مع أنه فى معنى فاعل أن
 المراد بالرحمة الغوث والعون أو نحو ذلك .
 والأحسن فى تخريج بيت أبى ذؤيب أن
 يقال : إنه أراد تشبيه العبير بدم الظبي ،
 فإن المفرد يشبه بالمفرد ، فلما أعجزه الوزن
 أن يأتى بدم الظبي أتى بدماء الظباء وهو يريد
 دم الظبي وجاء الوصف (ذبيح) مفردا على
 ما نوى وقدر وهو دم الظبي . مثل هذا
 كثير فى العربية ، ومنه ما يحتاج إلى تأويل
 فى كلامهم .

وقد عقد لهذا ابن جنى فى الخصائص بحثا
 سماه شجاعة العربية ؟

محمد على النجار

رَأْيِي فِي نَبِيِّ الْإِسْلَام بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ

لِلأَسْتَاذِ عِبَّاسٍ مُحَمَّدٍ الْعَقَّادِ

وأما المصلحون في مذاهبهم ففهم بولس ولوثر وليولا زعيم الطائفة اليسوعية .

ويظهر من آراء المؤلفين وتعليقاتهما أنهما يكتبان عن الأديان جميعاً كتابة المؤرخ الذي يحترم العقيدة الدينية ولا يتبع عقيدة خاصة منها ، لأننا إذا قابلنا بين كتابتهما عن محمد وكتابتهما عن موسى أو عيسى عليهم السلام ، كدنا نفهم منها أنهما أقرب إلى الإعجاب بنبي الإسلام وإن كانا قد ولدا وتريا على مطالعة التوراة والإنجيل ، ولكنه إعجاب تقدير واستحسان يتساوى فيه الإعجاب بالعظمة حيث كانت في مقامها الرفيع من قيادة بني الإنسان .

تبتدى * ترجمة النبي العربي بالأسطر القالية : « في القرن السابع ، حين بدا على الدنيا أنها قد أصيبت بالجفاف ، وحين فقدت اليهودية مولدها واختلطت المسيحية بموروثات الأمم الرومانية والبربرية ، نبع في المشرق - فجأة - يديوع صاف من الإيمان ارتوى منه نصف العالم ... وإن حكمة الله لعجيبة ذات قوة في قضائها العجيب ، فإن هذا الينبوع الصافي قد انبثق من أجذب بقعة بين بقاع الأرض قاطبة : صحراء الجزيرة العربية » .

من أشهر المطبوعات المتداولة عند الغربيين سلاسل التراجم والسير التي ينفرد كل كتاب منها بالترجمة لنخبة من قادة الإنسانية في ميادين الدين والحكمة أو ميادين العلم والفن ، أو ميادين الحرب والسياسة ، مشتملاً على عظماء كل ميدان في المشرق والمغرب وفي الزمنين القديم والحديث .

وهذه التراجم تنتشر وتنفذ وتعاد طبعها من حين إلى حين ، وآخر ما أعيد منها في العام الماضي كتاب القادة الدينيين Religious loaders لمؤلفيه هنري ثوماس ودانالي ثوماس Henry Thomas and Danalee Thomas .

وفيه تراجم ثلاثة من الأنبياء الكبار وثلاثة من أئمة الديانات الكبرى في الهند والصين والمشرق ، ونحو عشرة من المصلحين الدينيين في المذاهب المسيحية أو البرهمية ، آخرهم « المهاتما غاندي » زعيم الهند السياسي الديني المعروف .

أما كبار الأنبياء فهم موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام .

وأما أئمة الديانات الشرقية فهم زرادشت وبوذا وكشفيسوس .

وذكر الكلمة المصطلح عليها قديماً لاشتهارها ويقول المؤلفان : إن صاحب الدعوة الإسلامية لم يبدأ المخالفين له بالحرب بل هم الذين بدأوه بها واضطروه لإيها ، وكان من خلائقه المعروفة أن يرحم الضعيف ويأمر بالرحمة ويرفق بالحيوان وينهى عن التحريش بين البهائم ويدعو أتباعه إلى إدخال السرور على قلوب المحزونين ، وهو القائل : «أفضل الأعمال أن تدخل على أخيك المؤمن سروراً أو تقضى عنه ديناً أو تطعمه خبزاً» .
والقائل : «فسكوا العاني وأجيبوا الداعي وأطعموا الجائع وعودوا المريض» .

وأشار المؤلفان إلى الخبر الذي ورد عن وقوف النبي لجنازة اليهودي ، وإلى الأخبار الكثيرة التي وردت عن أدبه عليه السلام في معاملة الضعفاء والأتباع ، ومعاملة يتامى والأيتام فقالوا : إن هذا الأدب هو أدب النبوة الإسلامية في لبابها ، وليس أدب القتال عنواناً لها كما حسب بعض الناقدين للإسلام على السماع .

أما الجهاد فهو فريضة يؤمر بها المسلم ويتعلم معها من نبيه أن «أفضل الجهاد أن يجاهد الرجل نفسه وهواه» .

ويشير المؤلفان في هذا السياق إلى كلام كارليل عن استخدام السيف لنشر الدين فيعيدان قوله : إن شريمان لم ينشر الدين بين قبائل السكسون بالدعوة والموعظة ، وإن العبريين لم ينشروا بهما الدعوة بين قبائل

قال المؤلفان : «وتروى الأخبار الماثورة كثيراً من المعجزات والحوارق التي صحبت مولد محمد وطفولته... ولكن محمداً لم يذكر هذه المعجزات ولم يذكر قط معجزة تتصل بشخصه أو برسالته ، لأنه لم يأت كما قال بغير معجزة واحدة هي معجزة القرآن الذي تلقاه من وحى الله... وقد جاء بالدين ليدعو إلى ملة إبراهيم وموسى والمسيح على هدى جديد» .
قالا : «وقد كان محمد محباً لإخوته من بني الانسان ، بسيطاً في معيشتهم يأكل خبز الشعير ويخدم نفسه وإن اجتمعت له أسباب الثراء ، ويتورع أن يضرب أحداً أو يسوءه بكلمة تقريع... ولم يغتفر لنفسه أنه أعرض ذات مرة عن سائل ضرير... وقد حاول أن يقابل كراهة أعدائه بالحب لأنه يعلم الناس أن أحب الخلق إلى الله أحبهم إلى خلق الله» .
ولكن عباد الأوثان بمكة لم يستمعوا لدعوة الحكمة والمحبة ونظروا إليه فلم يفهموا من قوله ولا عمله إلا أنه «ثائر عليهم يسفه أحلامهم ويحطم أصنامهم ، فصادروه وتوعدوه واعتدوا على حريته وأوشكوا أن يعتدوا على حياته» .

ويتأدب المؤلفان في وصف الهجرة إلى المدينة فيختاران لها اسماً باللغة الإنجليزية غير الاسم الذي اصطلح عليه المبشرون والمترجمون للسيرة النبوية في لغات الغرب وهو اسم الفرار أو الهرب Flight... فقد سماها الهجرة باسم المفارقة أو الابتعاد Departure

الذى أسلم نفسه إلى الله لإسلام السمع والطاعة ، ولم يدع قط لنفسه صفة من الصفات الإلهية ، بل كل ما ادعاه وكرره أنه بشر يعلم الناس ما يستطيع كل إنسان أن يتعلمه لو ألقى السمع إليه ، ولا يصعب تلخيص تعليمه ببضعة سطور ، فإن المسلم لا يحتاج إلى الخوض في النظريات الكهنوتية ولا يجهل أن دينه دين عمل لتحقيق الحياة الصالحة وليس بمجرد نظريات وأقوال يطول فيها الجدل والمحال .

وبعد تلخيص الفرائض الإسلامية ختـمـا خلاصة الفرائض والعبادات بخلاصة السلوك العملى الذى يوجهه القرآن على المسلم فقال : « إن القرآن واضح فى منهج السلوك الذى يتطلبه من المسلم ... فإن واجبه الأول أن يرتفع غاية الارتفاع الذى يعالو به إلى الاقتراب من صفات الله ، وقد عمل على إدماج النزاع بين الأفراد والقبائل فى إخوة إسلامية وتوصل إلى تحقيق هذه الإخوة بتعليم كل رجل ، وكل امرأة ، وكل طفل ، منهجه الكامل من السلوك المستقيم ، فجاء بتحريم السكر والقمار . والحداد والأثرة ، والقسوة على أى وجه من الوجوه ، وألهم المسلمين أن يفرقوا بين حدود العبادة وحدود الأخلاق ، والنيات ، فليس البر أن يولوا وجوههم قبل المشرق والمغرب ، وإنما البر فى الإيمان والإحسان ... وعلى المسلم أن يدفع عن

كنهه . وأن من السخف أن يقال عن محمد إنه نشر دينه بالسيف ، لأن الذين يقولون ذلك يصورون لنا رجلا واحدا قائما وحده يحمل السيوف ويشهره على أمة كاملة تعاديه وتنكر دعواه ، وهى صورة غير معقولة يرفضها خيال المتخيل قبل أن يرفضها إدراك المتأمل ، ولا بد له من النظر قبل ذلك إلى الدعوة المقنعة التى آمن بها عدد من الناس كاف لحمل السيوف والجهاد به للدفاع أو الاقتاع ، وعبارة كارليل فى هذا السياق أن محمداً دافع عن نفسه دفاع الرجل ودفاع العربى ودفاع الرسول المستجيب لدعوة السماء . وملتفت الكاتبان الثغفانة حسنة إلى المثل الأعلى فى الحياة الباقية كما وصفها القرآن الكريم ، فيذكر أن أنها هى الحياة التى تصفو فيها القلوب ، ونزعنا ما فى صدورهم من غل تجرى من تحتهم الأنهار ، وأنها هى الحياة التى يتساوى فيها الناس ، فلا أنساب بينهم يومئذ ولا هم يتساءلون ، ومثل هذه القدوة السبوية لا توجد فى عقيدة تقوم على البغضاء وسفك الدماء ، ولكنها هى الصورة المنشودة لكل حياة يتحررها المسلم فى دنياه ، ويذكرها كلما ذكر الإله المعبود : باسم الله الرحمن الرحيم . قالوا : « إن من الحق أن يلاحظ أن صدق محمد لا يتجلى فى كتاب مقدس فحسب ، بل هو متجل كذلك فى حياة مقدسة . لأنه كان بأصدق معانى الكلمة نعم المثل للمسلم الفاضل

ومنهم من يتقبل أخبار السوء بأضعف سند يلقاه بين يديه ، ولا يتقبل أخبار الحمد والخير إلا أن تفحمه بالأدلة والإسناد التي يحار فيها الأفكار والارتياب .

أما القليل النادر جداً بين هؤلاء الكتاب فهو الذى يبحث ويطيل البحث بين المصادر المجهولة ، ليستخرج منها شواهد الحمد والإنصاف ، وهذه هى مصادر الأحاديث وأخبار السيرة المتفرقة التى عنى الكاتبان باستقصائها كما نرى من مواضع الاستشهاد بها فى الصفحات الموجزة التى خصصها لسيرة نبى الإسلام بين قادة الأديان ، وهى لا تزيد على عشرين .

* * *

إن رد التحية بمثلها ، أو بأحسن منها ، أدب من آداب الإسلام التى نوه بها الكاتبان ، ولكنها تحية - مع هذا - نبتنا عن شيء نحسبه فى عداد الأخبار التى لم تكلف لها مؤنة التزويد ، فإن سلسلة هذه التراجم من مطالعات الجمهور القارىء على أوسع نطاق ، ووجود هذا الاستعداد فى طائفة متعلة من ذلك الجمهور علامة لا يغفلها المسلم الذى يعنيه على الدوام ، أن يقيس موقف الإسلام من العالم ، وموقف العالم من الإسلام .

عباسى محمود العقاد

نفسه ، وأن يقاتل من يقاتله ، ولكنه لا يعتدى لأن الله لا يحب المعتدين .

قالا فى ختام السيرة المحمدية : « فالإسلام لا يخالف الديانات الأخرى ، بل هو دين يجمع ويؤلف ، ولا يطرد أو يستثنى ، ومن أدب المسلم أن يحترم عقائد غيره وأن يؤمن بأن العالم أمة واحدة تدين لإله واحد : هو رب العالمين . »

هذه هى زبدة الفصل الذى جاء فى كتاب القادة الدينيين عن محمد عليه السلام ، ولا إخال أن القارىء المسلم يطلع فى كتابات الغربيين المعاصرين على كلام عن نبيه ورسالاته هو أدعى إلى ارتياحه ، وحسن ظنه من كلام المؤلفين أو المؤلف والمؤلفة لهذا الكتاب .

فإن كتاب الغرب على درجات فى حسن الفهم وحسن النية ، وعلى درجات فى التعصب الدينى والشعور الإنسانى الذى يشعرون به نحو أبناء الديانات الأخرى ، ولا سيما الديانة الإسلامية واتباعها من الأمم العربية .

فمنهم من يطمس الحقائق ويأبى أن ينظر إلى خبر من أخبار التاريخ يستدعى الثناء على صاحب الرسالة المحمدية ، وينبئ عنه زعما من المزايم التى أشاعها الجهلاء المتعصبون فى ظلمات القرون الوسطى .

ومنهم من ينظر إلى حقائق التاريخ ويثنى حيث يلزمه الثناء كأنه ينصف فى الشهادة على كره منه .

فِي سَبِيلِ الْوَطَنِ

مُسْرِحِيَّةٌ وَطَنِيَّةٌ فِي فِصْلٍ وَاحِدٍ

لِلأستاذ إبراهيم محمد نجما

المشهد الأول

« حجرة استقبال متواضعة ، تجلس فيها سيدة عجوز تمارس
أشغال الإبرة ... يدخل ابنها عصام وهو طالب أتم المرحلة
الثانوية ... الوقت ليلا ... »

عصام : يقيقك أذى البرد ، والبرد قاس .
أمى ... سعدت مساء
الأم : يصب على الناس سوط البلاء
عصام :
سعدت في كل حين ولكننا لم نزل في الخريف ؟
عصام :
أراك منذ ليال
في الليل لا تهجين وقد صرت يا ولدى في المشيب
مشغولة بخيطوط
من أجلها تسهرين وصارت يداي على حالة
ولست أدرى لعمرى
ماذا بها تصنعين ؟ وعيناي قد كتتا بعدما
الأم : خبا في حياتي بريق الضياء
لأجلك أجعل هذى الخيوط
صداراً متينا بديع الرواء
لهذا سيكمل بعد شهور
صدارك ... إن شاء رب السماء

- عصام :
أماه حسبك إرهابا يضيق به
عزم الشباب قوى المتن عملاقا
أرهقت نفسك من أجل بلاملل
فلا تضيق إلى الإرهاق إرهابا
الأم :
- عصام :
من أجل عينيك يا نور الحياة ، ويا
سحر الوجود يهون السكد والتعب
أقسمت ما دام لي من صحتي أثر
وفضلة من قوى تبدو وتحتجب
فسوف أهديك من كدى وصنع يدي
ما تبتغيه ... وهذا بعض ما يجب
عصام :
- عصام :
متعت يا أمى بطول الحياه
وأسبغ الله عليك النعم
الأم :
- عصام :
ودمت لي ترعاك عين الإله
فأذكر النعمى ، وأنسى الألم
« تشكها الإبرة فتأوه ،
عصام « منزعجا ، :
مالك يا أماه ؟ ماذا جرى ؟
الأم :
- عصام :
« تشكك الإبرة ؟ ... هذا كثير !
هذا اعتداء ... هذه جرأة
من إبرة ليس لها من ضمير
أقسمت لن أترك « تأديها ،
حتى أراها فى يدي تستجير
ولتأخذى التعويض عن جرمها
منى . بشئ ما له من نظير
الأم .
أكلنا جرحت عوضتى ؟
عصام :
نعم
الأم :
- عصام :
بماذا يا فتاى الصغير ؟
عصام :
بقبلة تنسيك طعم الأمل
الأم « مبتسمة ، :
هذا وحق الله ربح كبير
« ثم تخاطب الإبرة مازحة ،
يا إبرتى شكى كما تشنهين
فقبلة التعويض شئ ثمين
« يضحكان ،
عصام « فى حد ، :
أى .. أعيرنى انتباهك لحظة
لأقول ما عندى من الأخبار
« وهى تبتم ، :
شكنتى الإبرة فى إصبعى
لأنزعج ... ذلك شئ يسيره

الأم :

بلى ، واجتاز مرحلة الصعاب

عصام :

ماذا لديك عصام ؟

وأصبح ضابطا في الجيش ، يحمى

أمر حاسم

حى الأوطان من بغى الذئاب

نفذته ، وبه استقر قرارى

وجاء المعتدون ذئاب قفر

بعد لحظة ،

فكنا فى الصراع أسود غاب

أى .. لقد قدمت أوراقى الى

وظل أخى مع الأبطال ، يرمى

كلية الأبطال والاحرار

فيصف بالعتاد وبالرقاب

الأم « مصدومة » :

إلى أن ناله الأوغاد غدرا

تعنى بها السكينة الحريية ؟

فقال بموته أسمى الرغاب

عصام

شهيد فى رحاب الله يحيا

أما .. أعنى هذه السكينة

فأكرم بالشهيد وبالرحاب !

الأم

الأم :

وكيف فعلت ذلك ، وأنت تدرى

عصام ... أخوك حين قضى شهيدا

بما ألقاه من هول المصاب ؟

وجدت لديك يا ولدى عزائى

فقدت أخاك فى يوم عصيب

وإنى - إن فقدتك - سوف أحيا

كئيب الوجه ، مسود الإهاب

مضيفة العزاء ، بلا رجاء

وكان أخوك نورا فى حياتى

عصام :

وكان شبابه زين الشباب

تذكرى أننا ملك لخالقنا

عرفت بموته شكل الأباى

وأن أعمارنا ليست بأيدنا

وذقت بفقدته نار العذاب

والموت حق علينا ، وهو يطلبنا

ألم يك طالبا فيها ؟ أجبني ؟

عصام :

حيث كنا بأرض الله بأيننا

أجيبك ؟ أنت أدري بالجواب

الأم .

الأم :

تذكر أنتى قاسيت وحسدى

ألم يذكر صعاب العيش فيها ؟

من الأيام ما يعي الجبالا

عصام :

أبوك مضى ، ولم يترك لقلبي
سوى الحشرات تشتعل اشتعالا
فناضلت الحياة ، ولم أحمل
شبابكما المشقة والنضالا
وحين مضى أخوك ، فقدت نفسي
وكدت أموت حزنا وانفعالا
ولكني صبرت على مصابي
لأجلك كي أجنبك الوبالا
فإذا بعد فقدك سوف يبق
لنفسى ، إن أطق له إحتمالا ؟
عصام :

لديك بنى تفكير سليم
وعاطفة أرق من الضياء
عصا :

إذن وافقتني ؟
الأم : مهلا فعندى حديث قد يريح من العناء
عصام :

فهمأتى ما لديك
الأم : ألسنتبغى أداء الحق للوطن المفدى ؟
عصام : بل
الأم :

فاعلم بأن الطرق شتى
تؤدى الحق أحسن ما يؤدى
فدع منها طريق الحرب ، واسلك
طريق السلم ، إن السلم أجدى
تريد بلادنا للحرب جنـداً
وتطلب غيرهم للسلم جنـداً
عصام :

أمى... قد اخترت الطريق ، وإنه
نعم الطريق لخدمة الأوطان
قد سار فيه أخى ، وإنى سائر
فيه إلى مجدى ورفعة شانى
إنى لأشعر حين أذكر صنعه
بالفخر يطفىء جذوة الأحزان
الأم :

أفلا ترق لحسرة فى أضلعي
ملأت زمانى بالأسى ومكانى ؟

سيتبقى خير ما يبقى لأم
تؤدى واجبات الأمهات
حياة بلادنا عزاً ومجداً
وفيهما ينطوى معنى الحياة
وإن رسالتى عمل وبذل
لرفعة موطنى ، مهد الهداة
وإنى كى أرى رطنى عزيزا
تهون على كل التضحيات
فيا أمى بربك ساعدينى
لأمضى فى طريق المكرمات
فقلبك فيه إيمان عميق
يشيع النور فى تلك السمات
وحب الله والوطن المفدى
عميق فى قلوب المؤمنين
الأم :

أفلا ترق ، وقد عرفت لجيعتى
 و عرفت أن الحزن هذه كيانى ؟
 « تبكى فيقترب منها عصام . ويربت
 كتفها ثم يقول ،
 عصام :
 أماء لا تبكى فدمعك فى الحشا
 نار تهيج بمسها أشجانى
 وتذكرى الأبرار من شهدائنا
 فصنيعهم أبقي من الأزمان
 صانوا بجر دماهم أوطانهم
 من كيد أهل البغى والعدوان
 فلم هنا ذكر ومجد خالد
 ولهم هنالك : جنة الرضوان
 وتذكرى الأحرار من أبطالنا
 وبهم عززنا بعد طول هوان
 حملوا على راحتهم أرواحهم
 وتسلحوا بالعزم والإيمان
 وأتوا إلى الدنيا بأكرم ثورة
 هدمت صروح الظلم والطغيان
 عنوانها حرية وعدالة
 أكرم بما اتخذته من عنوان !
 أماء ... إن صنيعهم من أجلنا
 أسمى من التقدير والشكران

« الأم تملك نفسها ، وتمسح دموعها ...
 عصام ينظر فى ساعته ثم يقول :
 عصام :
 والآن فلندع الحديث لفرصة
 أخرى ، فعندى موعد قد حانا
 وأحب أن أحظى ببسمتك التى
 أبداً تفيض بحبة وحنانا
 « الأم تبسم ،
 عصام :
 أجل هكذا ... واحفظى بسمتى
 إلى أن أعود من الموعد
 « يلوح لها بالتحية وهو خارج ،
 الأم : عصام
 عصام : نعم
 الأم « باسمه » : هذه لمبرتى أجابت ندائى ،
 وشكت يدى ،
 عصام « ضاحكا » :
 فهمت يا أماء ما تقصدين
 وذاك تعويضى الذى تطلبين
 « بقبلها فى جبينها ، فتقبله فى خده . ثم يلوح
 لها بالتحية ، ويخرج مسرعا ،
 (للشهد الثانى فى العدد القادم)

آراء وأحداث

للمستأذ الأكبر

المسلمون في الفلبين :

إليكم تحياتهم وخالص شكرهم . وشكر أولياء أمور الطلاب الذين يدرسون في الأزهر على العناية الفائقة التي يلقاها هؤلاء الطلاب من الأزهر .

فقال فضيلة الأستاذ الأكبر : إن الأزهر حريص على طلاب البعوث الإسلامية ، وخاصة أبناء الفلبينيين الذين أعتبر نفسي والدًا لكل منهم .

ثم أضاف فضيلته : وإنى ربما أسافر إلى أندونيسيا هذا العام ، فإذا اتسع الوقت فيسعدنى أن أزور الفلبينيين أيضا لأتعرف إخوانى وأبنائى مسلمى الفلبين .

هذا وقد طلب السيد الزائر من فضيلة الأستاذ الأكبر أن يوفد الأزهر بعض علمائه إلى الفلبينيين ليعلموا أبناء المسلمين اللغة والدين . فوعد فضيلته بأن يعمل على تحقيق ذلك متى كان ذلك ممكنا .

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت بمكتبه السيد باراليداسان نائباً عن السيد ألتو زعيم المسلمين بالفلبين ، وكان يرافقه بعض طلاب الفلبينيين الذين يدرسون في الأزهر .

وقد رحب به فضيلة الأستاذ الأكبر قائلاً : إن بينى وبين مسلمى الفلبين رابطة قوية ، فأنا أميل إليهم بطبعى وأشعر بأنهم يحبوننى كما أحبهم .

فقال السيد الزائر : إنى ليسعدنى أن أزور الأزهر وأرى فضيلتكم وأحمل إليكم تحيات المسلمين في الفلبين ، ثم قال : إننى أعبر باسمى وباسم السيد ألتو وباسم عامة المسلمين عن تقديرنا للجهود التى تبذلونها في سبيل دعم الصلات الوثيقة بين الفلبين والجمهورية العربية المتحدة .

في مدينة البعوث الإسلامية :

ثم زار سيادته مدينة البعوث الإسلامية حيث وقف على مدى تقدم الطلاب الفلبينيين

ولقد كان لاتصالكم بنا في عيد الفطر وعيد الأضحي أثره العظيم في نفوس المسلمين عندنا ، الأمر الذى دعاكم إلى أن يحملونى

في معهد الاعداد والتوجيه . على أن يقوموا بدورهم بالعمل على إدخال اللغة العربية في معاهد الصين وجامعاتها .

وكان يقوم بالترجمة السيد محمود ماويجي ، وهو أحد الذي درسوا في كلية الشريعة على يد الأستاذ الأكبر عند ما كان أستاذاً بها .

والبعثة الروسية :

كما استقبل فضيلته أعضاء بعثة الحج الروسية الذين حملوا إلى الأستاذ الأكبر تحيات المسلمين في روسيا ، وقد رحب بهم فضيلته قائلاً : « إن الأزهر في خدمة الشعوب الإسلامية كلها يخدمهم في الدين وفي اللغة ويمدهم بالعلماء الذين يوجهونهم نحو طريق الإسلام الصحيح . ويسرنى أن ألتقي بإخواني المسلمين دائماً فهم إخوة في الله .

فقال السيد رئيس الوفد : إننا ليسرنا أن نستمع لهذا الكلام القيم الذي نحب أن يستمع إليه كل مسلم ، وإننا يوم أن وصلنا إلى القاهرة وشاهدنا التطور العظيم الذي شمل معالمها تأكد لنا مدى النهضة البالغة التي تمت في عهد الثورة المباركة . ثم انصرف الوفد شاكرين للأستاذ الأكبر حسن استقباله دعياً له بتبام الصحة والسعادة .

المسلمون في سيام :

واستقبل فضيلة الأستاذ الأكبر بمكتبه الحاج مروان أحمد صالح قاضي ولاية جالا -

ولمس بنفسه العناية الشديدة التي يلقاها طلاب البعثات الإسلامية . وقد خطب فيهم قائلاً : « إنى ليسعدنى أن أقدم عظيم شكرى للسادة القائمين على شئون المدينة ، ثم وصاهم بأن ينهلوا من ينابيع الأزهر الفياضة ، حتى يعودوا إلى بلادهم وقد اكتسبوا علماً ومعرفة لينهضوا ببلادهم . كما أعلن استعداداه عن تنازله عن أربعة آلاف فدان هى كل ما يملكه لطلاب البعثات الإسلامية الذين يدرسون في الأزهر من الفلبين . ولقد كان لهذا التشجيع أثره العظيم في نفوس الطلاب الذين بدا على وجوههم البشر والسرور ، ثم اختتم حديثه بشكر فضيلة الأستاذ الأكبر على جهوده المشكورة نحو أبناء الفلبين ودعائه له بدوام الصحة والعافية .

بعثة الحج الصينية :

ثم استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر بمكتبه أعضاء بعثة الحج الصينية المكونة من السادة الحاج إيمانوف حامد والحاج ليوكافا والحاج حكيم شريف والحاج محمود ماديني ، وهم من أعضاء الجمعية الإسلامية في بكين .

وبعد أن رحب بهم فضيلته قال : « إن الأزهر حريص على خدمة الشعوب الإسلامية ويأمل أن تصير اللغة العربية هى اللسان الذى يتخاطب به المسلمون في جميع أنحاء الأرض . ثم وعدهم بأن يعمل على تدريس اللغة الصينية

الأزهر في سبيل نشر الثقافة الإسلامية في العالم وتقوية أواصر المحبة والصداقة بين شعوب العالم الإسلامي .

فقال الأستاذ الأكبر : إنى لأشعر أن باكستان صنو الجمهورية العربية المتحدة في الدعوة إلى الله وإلى مبادئ الإسلام القويمة فلها خطوات واسعة في القضاء على مظاهر التفرقة بين الأجناس المختلفة ، وقد سرى منكم تحدسكم باللغة العربية مما يؤكد اتفاقنا في الهدف والغاية فوق ارتباطنا الديني والثقافي .

ثم انتقل الحديث إلى القومية العربية فقال سيادته : إن الجنرال أيوب خان رئيس الباكستان الذي سيزور القاهرة في نوفمبر القادم في طليعة من دعوا إلى الاعتراف بالقومية العربية بزعامه الرئيس جمال عبدالناصر فقال الأستاذ الأكبر : إننا لسعداء بهذه الثقة سعادتنا بنبا هذه الزيارة التي ستقوى من الروابط الأخوية الدينية بين الشعبين الصديقين ، ثم أضاف : وإن تزاور رؤساء الحكومات من عوامل تأكيد المحبة والإخاء بين الشعوب والحكومات .

كما استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر بمكتبه السيد الدكتور محمد فضل الرحمن الأنصاري رئيس الوفاق العالمي للدعوة الإسلامية وأستاذ الشريعة الإسلامية بجامعة كراتشي بباكستان . وبعد أن رحب به فضيلة الأستاذ الأكبر قال السيد الزائر : إنها لفرصة طيبة أنعم

جنوب سيام - الذي جاء يحمل تحيات المسلمين في سيام إلى الأزهر وشيخه ، وقد رحب به فضيلة الأستاذ الأكبر قائلا :

إن الأزهر ليرحب بكم ويسعد أن يلتقي بأبناء سيام في شخصكم ، ثم أضاف : ويسرنا أن نحملك تحياتنا وتمنياتنا الطيبة إلى إخواننا المسلمين في سيام داعين الله لكم بالتوفيق . وقد طلب السيد الزائر من فضيلة الأستاذ الأكبر أن يعمل على إيفاد علماء من الأزهر إلى سيام ، وعلى قبول طلاب سيام الذين انتهوا من دراسة المرحلة الثانوية في كليات الأزهر أسوة بطلاب أندونيسيا ، فوعده فضيلته بالعمل على تحقيق رغبته متى كان ذلك ممكنا .

وسأل فضيلته عن التعليم الديني في سيام فأجاب السيد الزائر : إنهم يدرسون الفقه والنحو عن طريق الترجمة ، فأوصاه فضيلته بأن يعمل على تعليم اللغة العربية في سيام ، فهي لغة القرآن الكريم والسنة النبوية ، ورابطة بين المسلمين فإذا تعلموها استطاعوا بذلك فهم القرآن والسنة وتعاليم الإسلام السمحة التي تفيض بالتوجيه السديد والإرشاد القويم .

وفى بباكستانه :

ثم استقبل فضيلته السيد سفير الباكستان الذي حمل إلى فضيلته تحيات المسلمين في باكستان وتقديرهم للأعمال الجليلة التي يحققها

بهم فضيلته قائلاً . إن الأزهر لفخور بأن يلتقى بإخواننا أعضاء الاتحاد القومى بالإقليم الشمالى ، وبالروح الطيبة التى تسود أبناء الجمهورية العربية المتحدة الذين سلكوا طريقهم الصحيح للإسهام فى بناء مجتمع ديمقراطى اشتراكى تعاونى ، والأزهر يسره أن يضع يده فى أيديكم محييا هذه الروح التعاونية الصادقة .

ثم دار الحديث عن فكرة التقريب بين المذاهب الإسلامية ، ومدى إسهام الأزهر فى هذا الشأن فقام أحد أعضاء الوفد وقال : إن تصريحكم القوى فى هذا الموضوع ترك أثره الحميد فى نفوس المسلمين فى جميع أنحاء الأرض ، وخاصة أبناء الإقليم الشمالى الذين زاد هذا الأمر من رابطتهم ووحدتهم ، وإننا لشكركم على هذا التوفيق ، وندعو الله أن يمنحكم الصحة والعافية لتمموا هذه الدعوة التى حققت الكثير على أيديكم .

فقال الأستاذ الأكبر : إننا لو اعتصمنا بحبل الله جميعا ، واتحدت وجهتنا استولى الدين على القلوب وفاضت بالإيمان الكامل ، فإن محمداً لم يستول على القلوب والمشاعر بالعصى أو السيف ، بل بالحق والدعوة إلى الوحدة ونبد الضغائن والبعد عن التفرقة ، وهذا هو فتح القلوب ، فإن الإسلام لم يفتح بلاداً أو أمصاراً بقدر ما ففتح القلوب . وهذا هو المعنى الذى يتجلى فى قوله تعالى :

ففيها بلقائكم وأنا أقوم بجولتى الثالثة حول العالم لتفقد شئون المسلمين فى جميع أنحاء العالم الإسلامى ، ويسرنى أن أبلغ فضيلتكم تحيات المسلمين فى باكستان ، الذين يحمدون لفضيلتكم جهودكم العظيمة فى العمل على نشر الثقافة الإسلامية والتقريب بين المذاهب الإسلامية .

فقال فضيلته : إنه لمن دواعى السرور أن أسمع منكم هذا التقدير العظيم الذى يعتبر صدقاً لمهمة الأزهر السامية التى تقوم على أساس كتاب الله وسنة رسوله ، كما يسرنا أن نلتقى فى الدعوة إلى الله ومبادئ الإسلام الخالدة .

ثم حملة فضيلته خالص تحياته وتمنياته الطيبة إلى مسلمى باكستان ، وكافة المسلمين الذين سيلتقى بهم عند قيامه بجولته حول العالم

من الإقليم الشمالى :

ثم استقبل فضيلته وفداً من الاتحاد القومى بالإقليم الشمالى مكوناً من السادة عبد المجيد الطرابلسى نائب رئيس اللجنة التنفيذية بمحافظه حمص ومدير المعهد العربى الإسلامى ، ورفعت الدالاتى رئيس اتحاد نقابات الصناع وعضو الاتحاد القومى ، وعبد المجيد بالى عضو اللجنة التنفيذية بالاتحاد القومى لمحافظة حمص ، وعادل معمر وفضل الله الأنصارى ، ومحمد على مشعل أعضاء الاتحاد القومى فى حمص ، وقد رحب

وأهدافه وصلته بالعالم الإسلامي .
 ولقد قال فضيلته : إن الدين الإسلامي دين
 الأخوة ، دين التعاون ، دين المحبة والوفاء
 دين التراحم والتعاطف . ولقد خلق الله الناس
 ليتعارفوا ويتآلفوا ويتعاونوا بها أيها الناس
 إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا
 وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ،
 والإسلام لا يعرف العصبية ولا الطائفية
 كما لا يعرف التخريب ولا التدمير ولا البغى
 ولا الطغيان ، وإنما يعرف التعمير والبناء
 ويقرر مبادئ المساواة الصحيحة
 والديمقراطية الأصيلة . وعلى هذا الأساس
 يتعاون البشر جميعا على بناء الإنسانية ببناء
 قويما . ثم أضاف فضيلته - وإنه ليسرني
 أن تتعرفوا إلى الأزهر ، جامعة العالم أجمع ،
 التي تركز القيم والمثل وتقيم المبادئ الصحيحة .
 وقد عبر السيد الزائر عن شكره قائلا : إنني
 لسمعيد كل السعادة بهذه الزيارة وهذه الحفاوة
 التي لقيتها منكم ، وأنا أذكر أننا قريبون
 منكم ، ففي الوقت الذي اعتدت فيه الدول
 الثلاث على مصر كانت « إيرلندة » من بين
 الدول التي ساندت مصر وأيدتها . ويسرني
 أن ألتقي مع هذه العقلية الناضجة التي عليتي
 المبادئ القويمة في دقائق قليلة .

مفتي المال-كبير في الامعاء :

واستقبل فضيلته الشيخ محمد بن ابراهيم

« إذا جاء نصر الله والفتح ، ورأيت الناس
 يدخلون في دين الله أفواجا ، فسبح بحمد
 ربك واستغفره إنه كان توابا » .

ثم قام عضو آخر من أعضاء الوفد تخرج
 في الأزهر - وقال : إنني باسمي وباسم إخواني
 الذين تخرجوا في الأزهر من الإقليم الشمالي
 نحني فيكم الدعوة إلى وحدة المسلمين ويسرنا
 أن تعملوا على أن تكون لنا رابطة أزهرية
 في الإقليم الشمالي أسوة برابطة الإقليم الجنوبي .
 فقال الأستاذ الأكبر : إن الأزهر ليس
 في الإقليم الجنوبي فحسب ، وإنما هو في كل
 مكان ، فالأزهر مؤسسة دينية - فهما علما
 وتقريبا وتخريجا - عندنا أزهر ، وعندكم
 أزهر ، وفي كل بلد إسلامي أزهر ، وليس
 طلاب الأزهر هم الذين يدرسون في الأزهر
 فحسب ، وإنما يمكننا إطلاق ذلك على كل
 من يدرس علوم الأزهر في العالم الإسلامي
 جميعه - ثم حملهم فضيلته تحياته باسمه وباسم
 الأزهر إلى أبناء الإقليم الشمالي داعيا الله
 سبحانه وتعالى أن يوثق روابط الوحدة
 وأن يديم على جمهوريتها العربية التوفيق
 والرخاء بقيادة الشاب المؤمن القوى الرئيس
 جمال عبد الناصر .

طبيب إيرلندي كبير :

واستقبل فضيلة الأستاذ الأكبر بمكتبه
 مستر باتريك أوكز الكاتب الإيرلندي
 الكبير . وقد دار الحديث حول رسالة الأزهر

في الإسلام والديمقراطية في نظر الشريعة الإسلامية .

وقد أفاض فضيلته في هذا الموضوع بما يدعم أسس الديمقراطية ونظامها ، وقد شكر السيد اللواء لفضيلته رعايته وعنايته لشأن المسلمين والإسلام .

وقد نشرنا حديث فضيلة الأستاذ الأكبر عن «الشورى» في مكان آخر من هذا العدد .

واستقبل فضيلته السيد محمد صادق فهمي مستشار النقض السابق ، ودار الحديث بينهما حول شئون إسلامية وثقافية ، ثم قدم بعض مؤلفاته إلى فضيلة الأستاذ الأكبر ، كما أهدى إليه فضيلته بعض مؤلفاته .

ثم استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر السيد حسن عباس زكي وزير الاقتصاد التنفيذي ودار الحديث بينهما حول نواح عامة ، وبعض مسائل دينية عرضها السيد الوزير على الأستاذ الأكبر .

واستقبل فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد العزيز المسند ، المدير العام المساعد للكتليات والمعاهد الدينية في الرياض .

وقد دار الحديث حول الشئون الثقافية ، كما طلب السيد الزائر زيادة العلماء المبعوثين من الأزهر إلى المملكة العربية السعودية . فوعده فضيلته بالنظر في ذلك .

المبارك ، مفتى المالكية في الأحساء بالمملكة العربية السعودية . وقد قال سماحته بعد أن رَحَّب به فضيلة الأستاذ الأكبر :

لَمُنَى أَدْعُو اللَّهَ مِنْ كُلِّ قَلْبِي كَمَا يَدْعُوهُ الْمُسْلِمُونَ جَمِيعًا أَنْ يَبْقَى الْأَزْهَرُ لْخَيْرِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَنَحْنُ مِنْ وَرَثَةِ أُمَّةٍ وَاحِدَةٍ .

قال فضيلته : لَمُنَى لِمُسْرُورٍ بِإِحْسَاسِ الْمُسْلِمِينَ وَمَعْرِفَتِهِمْ قَدْرَ جَامِعَتِهِمُ الَّتِي أَشْعَتِ النُّورَ عَلَى الْعَالَمِ أَجْمَعَ مِنْ مَشْرِقِهِ إِلَى مَغْرِبِهِ . وَالسَّلامُ فِي ذَلِكَ أَنَّهَا تُوَدَّى رِسَالَةُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَتَدْعُو إِلَى أَسْسِهَا وَمِبَادِئِهَا .

والأزهر ليس ملكاً لأحد وإنما هو ملك المسلمين جميعاً . فمن حق المسلمين عليه أن يتزودوا منه وأن ينهلوا من منهل العذب ، ولذلك فأبوابه مفتوحة لأبناء المسلمين . ورسله موفدة إلى جميع بلاد العالم ، وإن الجمهورية العربية المتحدة تعمل على ذلك وتقويه وتؤكدده ، عرفانا منها بحق المسلمين عليها .

وقد أهدى إليه فضيلته بعض كتبه ومؤلفاته ، وشكره السيد الزائر قائلاً : إن هذا الزاد الروحي يسرني أن أكون حامله لنا وناقلاً معانيه إلى المسلمين في بلادنا .

ثم استقبل فضيلته السيد اللواء محمد كمال الدين عبد الحميد ، ودار الحديث بينهما حول الشورى

العالم الإسلامي يستكر اعتراف السّاءة بإسرائيل

من أسوأ الحوادث التي وقعت في العالم الإسلامي أخيراً اعتراف إيران المسلمة بإسرائيل المعتدية المغتصبة . فقد أعلن شاه إيران بنفسه في مؤتمر صحفي يوم آخر المحرم ٢٤ يوليو ١٩٦٠ ، اعتراف إيران القانوني بإسرائيل وقال إن إيران كانت تعترف بإسرائيل من قبل على أساس الأمر الواقع .

وكان هذا الاعتراف صدمة قاسية لشعور الدول العربية والإسلامية وإيمان شعوبها وإحساساتها . تبين مدى هذه الصدمة وإيلامها لجميع هذه الشعوب من تعليقات الصحف واجتماع الهيئات .

فقد بادرت الجمهورية العربية المتحدة باستدعاء سفيرها في طهران وقررت قطع العلاقات السياسية معها .

وكان فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر وكبار علمائه أول من أنكر على شاه إيران عمله هذا الذي أخط به الشعوب الإسلامية والعربية كافة .

ففي اليوم التالي لاعتراف الشاه عقد اجتماع كبير بمشيخة الجامع الأزهر حضره كبار علمائه برئاسة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر .

وكان في مقدمة المجتمعين السادة أصحاب الفضيلة .

الأستاذ الشيخ محمد نور الحسن وكيل الجامع الأزهر .

الأستاذ الدكتور محمد عبد الله ماضى مدير عام المعاهد الدينية .

الأستاذ الدكتور محمد محمد الفحام عميد كلية اللغة العربية .

• الشيخ محمد محمد المدنى عميد كلية الشريعة .

• عبد الله المشد مدير الوعظ والإرشاد .

• عبد الرحمن عيسى مدير التفيتش .

• أحمد حسن الزيات مدير مجلة الأزهر .

الأستاذ الشيخ ابراهيم جاب الله شيخ معهد القاهرة .

- ، ، محمد كرسون مدير الامتحانات .
- ، ، محمد الدينارى وكيل كلية أصول الدين .
- ، ، محمد شبانه مراقب تفتيش العلوم الشرعية .
- ، ، محمد عبد التواب مراقب الوعظ والإرشاد .
- ، ، عبد العزيز عيسى مراقب تفتيش العلوم العربية .
- ، ، محمد عبد التواب مراقب الوعظ والإرشاد .

وقد تولى سكرتارية هذا الاجتماع فضيلة
الأستاذ الشيخ محمد محمد المدنى عميد كلية
الشريعة .

بدأ فضيلة الأستاذ الأكبر الاجتماع باسم
الله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، ثم
تحدث عن الحادث الجلل الذى فوجئ به
المسلمون وهو حادث اعتراف إيران بعصبة
إسرائيل المغتصبة لحقوق جزء حبيب من
الوطن العربى الإسلامى وتشريد أهله . مبينا
أن الأزهر الذى عمل دائما على توحيد عرى
الوحدة الإسلامية يبدى أسفه العميق لهذا
الأمر ، ويستنكره أشد الاستنكار ، وأنه
يضع الأمر فى يد المجتمعين ليتخذوا فيه
ما يرون من قرارات .

وبعد المناقشة وتقليب الأمر على جميع
وجوه قرر المجتمعون ما يأتى : —
أولا : استنكار موقف الحكومة الإيرانية

المسلبة فى الاعتراف بعصبة إسرائيل واعتبار
هذا الاعتراف نوعا من موالة أعداء
المسلمين ، وتنافيا مع ما يجب عليهم من
صيانة الوحدة الإسلامية .

ثانياً : إرسال البرقية الآتى نصها إلى جلالة
امبراطور إيران من فضيلة الأستاذ الأكبر
شيخ الجامع الأزهر باسم جميع علمائه .

صاحب الجلالة امبراطور إيران :
بأن موقف حكومتكم فى الاعتراف بعصبة
إسرائيل لموقف هز شعورنا ، وشعور علماء
الأزهر المجتمعين بنا اليوم ، ونعتقد أنه هز
شعور جميع المسلمين فى مشارق الأرض
ومغاربها ، ولأنه لموقف يتنافى مع موقفكم
السابق يوم هنا تمونا بما قلنا به من العمل
على توثيق عرى الأخوة العلمية والدينية
بين المسلمين فى مختلف طوائفهم .

ولما لنبعث إليكم بهذا مؤملين أن تسارعوا
إلى إعادة النظر فى هذا القرار الخطير ، صونا
للوحدة الإسلامية ، وحرصا على عدم إعطاء
الفرصة لأعداء الائتلاف ، والتقارب
بين المسلمين .

ثالثاً : إرسال برقية إلى سماحة العلامة
الإمام البروجردى كبير علماء إيران هذا نصها :
أخى فى الله سماحة العلامة الكبير الإمام
الحاج محمد حسين أغا بروجردى . قم إيران .

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ، وبعد :
فإني وإخوانكم كبار العلماء بالأزهر ،
المجتمعين بنا اليوم لشديدو الأسف على
اعتراف إيران المسلمة بعصبة إسرائيل المقتضبة
لجزء محجب من الوطن الإسلامي الكبير .
ويرون أن الاعتراف بها نوع من موالاتة
الأعداء التي حرمها القرآن الكريم بصريح
نصه حيث يقول :

« لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون
المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء .. »
ويرجون من سماحتكم أن تتدخلوا بما لكم
في النفوس من مكانة دينية سامية لرد الأمر
إلى نصابه ، والمحافظة على وحدة المسلمين ،
ولنذكر قوله تعالى :

« واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا .. »
وإن لنا لأملاً في أن جلالة الشاه —
حين يبصر بما لهذا الأمر من عواقب خطيرة
سيبلي دعوتنا ، ويعيد النظر في هذا القرار
المفروق ، واضعاً نصب عينيه رضا الله
ووحدة المسلمين .

والسلام عليكم وعلى جميع إخوانكم العلماء .
رابعاً : موالاتة الاجتماع حتى ينجلي الأمر .

الأزهر والمؤتمر الإسلامي :

ثم سجل بعد ذلك التليفزيون العربي اجتماعاً
لفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت

شيخ الجامع الأزهر مع كبار علماء الأزهر
والمؤتمر الإسلامي للنظر في اقتراح اجتماع
الهيئات الإسلامية بمشيخة الأزهر لتقرير
ما يجب على المسلمين القيام به إزاء اعتراف
إيران المسلمة بعصبة إسرائيل .

وكان في مقدمة المجتمعين برئاسة الأستاذ
الأكبر السادة :

فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد اللطيف
دراز عضو مجلس الأمة .

فضيلة الأستاذ الشيخ محمد نور الحسن
وكيل الجامع الأزهر .

السيد الأستاذ سيد أبو المجد المستشار
بالمؤتمر الإسلامي .

السيد الأستاذ الدكتور محمد ماضي
المدير العام للبعاهد الدينية .

السيد الأستاذ الدكتور محمد البهي
المدير العام للثقافة الإسلامية .

فضيلة الأستاذ الدكتور محمد الفحام
عميد كلية اللغة العربية .

فضيلة الأستاذ الشيخ محمد المسدني عميد
كلية الشريعة .

فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الله المشد
مدير الوعظ والإرشاد .

فضيلة الأستاذ الشيخ محمد كرسون
مدير إدارة الامتحانات .

وقد افتتح الاجتماع فضيلة الأستاذ
الأكبر قائلاً :

فضيلة الأستاذ عبد الله المشد .

د عبد الحكيم سرور

وقد انقضى الاجتماع في الثانية مساءً على أن تنعقد اللجنة التمهيدية في الحادية عشرة من صباح الاثنين ١/٨/١٩٦٠ .

مؤتمر الهيئات الإسلامية :

وفي صباح يوم الأحد ١٤ من صفر ٧ أغسطس ، اجتمع مؤتمر الهيئات الإسلامية الذي دعاه فضيلة الأستاذ الأكبر للنظر في هذا الأمر الخطير .

وعقد الاجتماع في مكتب فضيلة الأستاذ الأكبر وبرئاسته ، واشتركت فيه سبع عشرة هيئة هي :

المؤتمر الإسلامي ويمثله الأستاذ سيد أبو المجد .

جمعية الشبان المسلمين ويمثلها فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد اللطيف دراز .

دار تبليغ الإسلام ويمثلها المهندس محمد توفيق أحمد .

جماعة الكفاح لتحرير الشعوب الإسلامية ويمثلها الأستاذ عمر مرعى .

جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية ويمثلها فضيلة الأستاذ الشيخ محمد المدني .

جماعة أنصار السنة المحمدية ويمثلها الشيخ عبد الرحمن الوكيل .

د إنه ليسرني ويشرح صدرى أن نجتمع للمرة الثانية تمهيداً لاجتماع عام نبحث فيه هذا الأمر الخطير الذى اهتزت له مشاعر العالم العربى والإسلامى ، وهو اعتراف إيران المسلبة بعصبة إسرائيل . وقد اجتمعت بالأمس مع السيد الأستاذ الكبير صالح حرب رئيس جمعية الشبان المسلمين ورأينا دعوة مختلف الهيئات الإسلامية يوم ٤/٨/١٩٦٠ لتقول كلمتها الأخيرة فيما اقتحم به شاه إيران قدسية القرآن الكريم ، وقدسية الوحدة الإسلامية وإتنا لندعو الله أن يوفقنا ويوفق المسلمين جميعاً للقضاء على هذه الفتنة التى أثارها شاه إيران ، والتى تعتبر موالاة لأعداء الإسلام والوطن العربى ، ولا شك أن الاعتراف بإسرائيل يتضمن الإقرار بوجودها .

وقد وافق السادة المجتمعون على اقتراح فضيلة الأستاذ الأكبر وقرروا تأليف لجنة تمهيدية لوضع خطة الاجتماع الكبير الذى سينعقد يوم ٤/٨/١٩٦٠ .

وتألف هذه اللجنة من السادة :

فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد اللطيف دراز .

السيد الأستاذ الدكتور محمد عبد الله ماضى السيد الأستاذ الدكتور محمد البهى .

فضيلة الأستاذ الشيخ محمد المدني .

كلمة الأستاذ الأكبر

إخواني العلماء ومثلي الهيئات الإسلامية :
 سلام الله عليكم ورحمته وبركاته . وبعد :
 فقد ألف الناس في مثل هذا الاجتماع
 أن يتجهوا فيه أولاً : بالشكر إلى الله الذي
 وفق لإليه ، وثانياً : إلى حضرات الذين
 شرفوا بالحضور على تلبية الدعوة . ولكن
 اجتماعنا هذا لم يكن تلبية لدعوة أحد إلى أحد
 وإنما هو تلبية لدعوة الضمير ، ودعوة
 الإيمان ، دعوة الوحدة الإسلامية ، دعوة
 النظر في مظهر من مظاهر التفرق اقتحم به
 بعض المسلمين سياج الوحدة الإسلامية ، التي
 قدسها القرآن وأمر بها وأعلى شأنها ، وهي
 دعوة الإهابة بهذا البعض للرجوع إلى خطة
 إخوانه المسلمين ، وما انعقد عليه إجماعهم
 أخذاً من الآيات القرآنية الكريمة ، التي
 حذرت ونهت عن اتخاذ أعداء الله وأعداء
 المؤمنين أولياء من دون المؤمنين ، والتي
 أشارت إلى أن هذا الصنيع شأن مرضي
 القلوب والمنافقين ، ولقد كنا نود أن يكون
 الاجتماع عاماً يمثل جميع الهيئات والجماعات
 الإسلامية في الوطن الإسلامي كله ، وسيكون
 هذا الاجتماع بإذن الله كما يكون اجتماعنا هذا
 بمثابة تمهيد له ، ونرجو من الله التوفيق

الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب
 والسنة ويمثلها الشيخ أمين خطاب .

مشيخه الطرق الصوفية ويمثلها الشيخ محمد
 محمود علوان .

جمعية مكارم الأخلاق ويمثلها الشيخ محمد
 أحمد عثمان .

جماعة شباب محمد ويمثلها الأستاذ محمد
 عطيه خيس .

العشيرة المحمدية ويمثلها الشيخ محمد زكي
 إبراهيم .

جبهة علماء الأزهر ويمثلها الشيخ أحمد
 فريد .

مركز التجمع القومي العراقي ويمثله
 الشيخ أحمد الجزائري .

إدارة المساجد بوزارة الأوقاف ويمثلها
 الشيخ محمد الغزالي .

جماعة الإصلاح الإسلامي ويمثلها الشيخ
 محمود المدني .

جمعية التربية الإسلامية ويمثلها الشيخ
 علي المنصوري .

إدارة الثقافة بوزارة الأوقاف ويمثلها
 الشيخ سيد سابق .

وافتح الجلسة فضيلة الأستاذ الأكبر
 بهذه الكلمة :

الكلمة تدارس المجتمعون الموقف ثم أصدروا القرارات الآتية :

أولا — استنكار هذا القرار الخطير الذى اتخذته شاه إيران بالاعتراف بإسرائيل وهو الملك المسلم لشعب مسلم تقوم بينه وبين سائر الشعوب الإسلامية أواصر الأخوة الدينية المقدسة التى قررها القرآن الكريم حيث يقول « إنما المؤمنون إخوة » و « المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » .

ثانيا — إن هذا الاعتراف يخالف لنصوص القرآن الكريم التى تنهى عن اتحاد أعداء المؤمنين أولياء ، وإنه عمل من الأعمال التى من شأنها التفريق بين المؤمنين ، وإظهارهم أمام العالم بمظهر المختلفين الذين لا يرمون عن قوس واحد ، ونزع هويتهم من صدور أعدائهم .

ولذلك يجب على شاه إيران وجوبا دينيا المبادرة بالرجوع عنه درأ لهذه الفتنة عن جماعة المسلمين .

ثالثا — يسجل المؤتمر أن الاسلام لا يرى فرقا بين الاعتراف على أساس الأمر الواقع والاعتراف القانونى بالنسبة لأعداء الله ، فكلاهما علاقة عملية بيننا وبين الأعداء لا يرضاها الله ورسوله والمؤمنون .

رابعا — يدعو المؤتمر جميع الشعوب العربية والإسلامية إلى الاتنكار هذه الفعلية

وتسديد الخطى نحو الهدف الذى تتجه إليه قلوب المسلمين فى كافة الأقطار .

هذا وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، إذا حزبهم أمر اجتمعوا له وتشاوروا فى شأنه على ضوء من كتاب الله وسنة رسوله . وقد حزب المسلمين اليوم أمر خطير هو اعتراف ملك مسلم لشعب مسلم بعصاة باغية طالما أوغلت فى الفتنة وأرقدت نيران العداوة ، ودبرت الكيد للمسلمين وألبت عليهم العالم بشتى الأساليب ، وإن وجود هذه العصاة نفسه إنما هو على حساب إخوة لنا كانوا فى فلسطين يعيشون آمنين مطمئنين فغزوه فى عقر دارهم ، لا بالحرب والفتح ، ولكن بالختل والمسكر ، والاستعانة بالمستعمرين .

إن اللاجئين من أهل فلسطين العزيزة يعانون ألوانا من البؤس والفقر والهوان يشيب لها الولدان ، فكيف يسوغ لمسلم مطلوب منه بحكم إسلامه أن يشترك فى إنقاذهم ونجدهم أن يؤيد ظالمهم وغاصبيهم ومشرديهم ؟

لهذا دعوتكم لتتشاوروا فى هذا الأمر الخطير ، وتتخذوا فيه مآزون ، وسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، فابدءوا على بركة الله موفقين راشدين .

وبعد أن ألقى فضيلة الأستاذ الأكبر هذه

سابعا — تبليغ هذه القرارات وبيان المؤتمر إلى جميع الشعوب العربية والإسلامية عن طريق السفارات وغيرها وبمختلف الوسائل حتى يقف المسلمون على جلية الأمر ويعملوا على أن يقفوا صفا واحدا أمام هذا الأمر الخطير .

ثامنا : دعوة جميع ممثلي الهيئات الإسلامية في الأمة الإسلامية جمعا إلى مؤتمر يحدد فيما بعد تكون كلمته الكلمة الأخيرة القاطعة في هذا الأمر ويكون اجتماعنا اليوم تمهيدا لهذا المؤتمر الذي يعقد في القاهرة .

تاسعا — التنويه بجهود علماء الوعظ والإرشاد وأئمة المساجد في تبصير المسلمين بتعاليم دينهم وشئون حياتهم .
وبالله التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل .
وقد قام بسكرتارية المؤتمر فضيلة الشيخ عبد الحكيم سرور مدير إدارة الشؤون العامة بالأزهر .

البيان العام :

من محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر بعناية الله تعالى ، وإخوانه العلماء ، وممثلي الهيئات والجماعات الإسلامية المجتمعين اليوم في مؤتمر عام بمشيخة الجامع الأزهر .

إلى جميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، خاصتهم وعامتهم ، حاكبيهم ومحكومهم .

استنكارا تبدو فيه قوة الوحدة وشدة التماسك وعظمة الرأي العام الإسلامي في الأمر المعروف والنهي عن المنكر والغيرة على حدود الله تحقيقا لقوله تعالى :

« لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ،

« إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم ، وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » .

خامسا — توجيه بيان عام من فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر وكبار علمائه وممثلي الهيئات والجماعات الإسلامية المجتمعين اليوم في هذا المؤتمر إلى جميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وحكامها ومحكومهم ، خاصتهم وعامتهم يبين فيه حكم الإسلام فيمن يتولى أعداء المسلمين ، وأن القرآن الكريم قد سوى بين اليهود والمشركين في تسجيل عداوتهم للبؤمنين ، حيث يقول الله جل جلاله : « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا » ، وتوجه إليهم فيه الدعوة إلى محاربة روح التخاذل والضعف بكل سبيل .

سادسا — يستمر المؤتمر قائما لمتابعة الجهاد ضد هذا الأمر الخطير ، حتى تنحسم الفتنة ويرجع شاه إيران عن هذا الاعتراف .

« لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم . »
« إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون . »
إلى غير ذلك من الآيات المثبتة في كتاب الله تعالى .

وقد قرر القرآن الكريم في غير آية منه انطواء اليهود على الغدر والخيانة ، وابتغاء الفتنة الزوئمين ، وأثبت عداوتهم لهم ، وسوى بينهم وبين المشركين في هذه العداوة ، حيث يقول : « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا . »
ومن هذا يعلم أن اليهود هم ألد الأعداء للمسلمين .

وقد قامت عصابتهم الباغية المسماة (إسرائيل) باغتصاب قطعة عزيزة غالية من الوطن الإسلامى هى (فلسطين) الشهيدة التى شتوا شمل أهلها ، وأخرجوهم من ديارهم ، وانتهبوا حقوقهم فلا يحل لمؤمن أن يوالى هذه العصاة الباغية المحاربة للإسلام وأهله ، ولا يسوغ له أن يقيم معهم أى لون من ألوان العلاقات ؛ لأن ذلك نصرة لهم وتأيد على المسلمين وتثبيت لأقدامهم فى البلاد الإسلامية

سلام الله ورحمته وبركاته عليكم أجمعين .
أما بعد :
فإن الله تعالى أمر المؤمنين أن يعتصموا بحبله المتين ، وهو كتابه العزيز ، فى ظل الألفة واجتماع الكلمة ، وحذرهم التفرق الذى أودى بالأمم من قبلهم ، مذكراً إياهم بنعمته عليهم ، إذ كانوا أعداء فألف بين قلوبهم ، فأصبحوا بنعمته إخوانا .

وقد قرر هذا الكتاب الكريم فى شأن للعلاقة بين المؤمنين أنفسهم ، وبين غيرهم أمرين قطعيين لا خلاف عليهما بينهما : أحدهما : ما أثبتته الله جل جلاله بقوله : « إنما المؤمنون إخوة » ، و « المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » . من أن الأخوة بين المؤمنين ، وتولى بعضهم بعضاً ، هما أساس العلاقة بين أفرادهم وشعوبهم ، وعليهم بحكم الإيمان رعاية هذا الأساس ، وتجنب الإقدام على أى شىء من شأنه أن يوهيه ، احتفاظاً بما جعله الله خاصة وشعاراً لهم .

والثانى : ما نهى الله عنه من اتخاذ الأعداء أولياء ، وقد ورد ذلك فى كثير من الآيات الكريمة ومنها قوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة ، وقد كفروا بما جاءكم من الحق . »

التي اغتصبوها وشردوا أهلها ، وليس للولاية معنى سوى النصرة والتأييد والتثبيت .

وقد أقدم شاه إيران على الاعتراف بإسرائيل وهو يعلم هذا كله ، ويعلم موقفها من فلسطين ، وأنها ما زالت تصر على اغتصاب حقوق أهلها رغم ما قرره هيئة الأمم المتحدة نفسها من وجوب رد الحقوق إلى أصحابها ، وإعادة اللاجئين إلى وطنهم ، كما يعلم أنها أداة استخدمها الاستعمار لمناوأة المسلمين ولتدمير المؤامرات ، وشن الغارات على بلادهم الآمنة ، لإقلاقهم وإضعاف لجهودهم التي يبذلونها في سبيل التحرر وبناء الوطن ، كما يعلم أنها كانت حجر الزاوية في العدوان الذي شنه الاستعمار على مصر في سنة ١٩٥٦ .

في ظل ذلك كله اعترف شاه إيران بإسرائيل ، ورضى بأن يوالى أعداء المسلمين على المسلمين ، وأظهر الأمة الإسلامية بمظهر التفرق والانقسام ، وأقدم على أمر من شأنه أن يوهن العزائم ، ويحل الروابط ، وينزع هبة المسلمين من صدور أعدائهم .

لذلك يجب عليه وجوباً دينياً أن يبادر بالرجوع عن هذا القرار الخطير لينقذ إلى أمر الله ، وينزل على حكم القرآن .

فإن لم يفعل ، وجب على المسلمين حينئذ أن يبادروا إلى إعلان العصيان على هذا القرار ، وأن يرفعوا يدهم عن أي تعاون مع إسرائيل ، وأن يعلنوا أنهم لن يعترفوا بحكومة إسرائيل ، وأن يعلنوا أنهم لن يعترفوا بحكومة إيران ، وأن يعلنوا أنهم لن يعترفوا بحكومة أي دولة أخرى تتعاون مع إسرائيل .

وبأنهم له مستنكرون .

وأول من يجب عليه ذلك هم شعب إيران عامة ، وعلماء الكرام خاصة ، وإن للمسلمين لأملاً كبيراً في أن يبينوا ما أنزل الله من الكتاب والحق ولا يكتفوا ، وأن يرعوا شجرة الألفة والقرابة التي اشتركوا في غرسها وإروائها استجابة لأمر الله ، ونزولاً على حكم كتابه العزيز . إنهم إن فعلوا ذلك - وهم إن شاء الله فاعلون - كانوا بأمر الله قائمين وبالحق صادعين وبالمعروف آمرين وعن المنكر ناهين ولإخوانهم مستجيبين وعلى البر والتقوى متعاونين .

نسأل الله جل جلاله أن يهب المسلمين من لدنه رحمة وأن يهيئ لهم من أمرهم رشداً إن الله سميع الدعاء لطيف لما يشاء وهو حسبنا ونعم الوكيل . ٩ . محمود شلتوت

قرارات المؤتمر

ولذلك أصدر المجتمعون القرارات السالف ذكرها .

جبهة علماء الأزهر :

وأرسلت جبهة علماء الأزهر باسم عشرة آلاف من علمائه برقية إلى الرئيس جمال عبد الناصر أعربوا فيها عن استنكارهم لموقف شاه إيران من وحدة المسلمين وحقوق عرب فلسطين .

المجلس الصوفي الأعلى :

الاعتراف اليوم ضربة قاضية على جميع الجهود الشريفة التي بذلت ابتغاء مرضاة الله فلهذا جلالة الامبراطور بنيء إلى أمر الله ويعدل عن هذا القرار خوفاً من وعيد الله الذي يقول : « إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين ، كتب الله لأغلبن أنا ورسلي لأن الله قوى عزيز - لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ، »

وأرسل أئمة المساجد في الجمهورية العربية المتحدة إلى سفارات الدول العربية بالقاهرة احتجاجاً على حكومة إيران .

الجامعة العربية :

وقد عقدت الجامعة العربية اجتماعاً يوم ٢٥ يوليو للنظر في الأمر ، وقررت بالإجماع استنكار الاعتراف ، وبحث ما يمكن أن تقوم به الدول العربية من الإجراءات ضد إيران بسبب ذلك . كما قرر المجلس بحث الموضوع في المؤتمر الذي سيعقد في بيروت يوم ٢٢ أغسطس القادم ، على أن تجرى دول الجامعة اتصالات مستمرة فيما بينها قبل موعد المؤتمر .

واجتمع المجلس الصوفي الأعلى بالقاهرة وأصدر بياناً أرسله إلى الهيئات الصوفية في العالمين العربي والإسلامي أعلن فيه تأييده لبيان فضيلة الأستاذ الأكبر والهيئات الإسلامية باستنكار اعتراف الشاه واعتبار هذا الاعتراف مشاركة للصهيونية في اعتدائها على المقدسات الإسلامية وأرض العروبة . كما أبرق المجلس إلى شاه إيران مطالبا بسحب اعترافه . فإن لم يفعل اعتبره العالم الإسلامي مرتداً عن الدين .

جماعة التقريب :

وأرسلت جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية إلى سفير إيران بالقاهرة البرقية التالية :

نرجو أن تبلغوا جلالة امبراطور إيران شديد أسفنا واستنكارنا للحادث المحزن حادث اعتراف إيران المسلمة بإسرائيل الباغية . لقد حرصنا على جمع كلبة المسلمين والتقريب بين طوائفهم منذ اشتركنا في جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية منذ اثني عشر عاماً وعملنا على توطيد وحدة الأمة الإسلامية في مختلف شعوبها وطوائفها ، ثم جاء هذا

ففى لبنان :

وفى لبنان استنكر الاعتراف النائب اللبناني جعفر شرف الدين ، نجل المجتهد الأكبر السابق للشيعة فى لبنان وقال إن الشيعة تبرأ منه ، وإنه نقض اليمين الدستورية التى أقسمها الشاه وأبوه من قبل على حماية مذهب الشيعة والمحافظة عليه .

وباكستان :

وأعرب السيد خاجا شهاب الدين سفير باكستان فى القاهرة عن أسفه الشديد لقرار حكومة إيران ، وأعلن أن ذلك لن يؤثر فى موقف حكومته تجاه إسرائيل .

وأندونيسيا :

وأعلن فى جاكرتا أن حزب نهضة العلماء الإسلامى - وهو أكبر أحزاب أندونيسيا - أبدى أسفه الشديد لاعتراف حكومة إيران بإسرائيل ، وقال : إن هذا الاعتراف سيؤدى إلى زيادة أسباب التوتر فى الشرق الأوسط .

حكومة العراق تستنكر :

وقد نشرت صحف بغداد تصريحاً أدلى به ناطق بلسان وزارة الخارجية العراقية نشره فيما يلى :

كان للتصريح الذى أدلى به جلالة الشاه حول اعتراف إيران بالدولة المزعومة لإسرائيل أثر

مؤلم فى نفوس أبناء الأمة العربية جمعاء . وقد استنكر فى جميع الأوساط الاجتماعية والسياسية فى الأقطار الإسلامية نظراً لصدوره من دولة مسلمة يعترز شعبها بإسلامه وبروابطه الدينية ببقية المسلمين فى العالم .

وقد تلقينا هذا النبأ هنا فى العراق بكثير من الدهشة والألم الشديد ؛ أولاً لعلنا أن إيران تدرك جيداً أن إسرائيل الدخيلة تحجم عدوانا صارخاً على حقوق العرب فى وطنهم فلسطين ،

وأنها كانت ولم تزال وستبقى عاملاً رئيسياً لعدم الاستقرار فى الشرق الأوسط وسبباً أساسياً لتشريد مليون عربى من أوطانهم وبقائهم منذ اثني عشر عاماً فى حالة بؤس وشقاء . وثانياً لأن إيران تعلم جيداً بأن

جميع الدول العربية والعرب ، أينما وجدوا يعارضون بشدة وجود إسرائيل فى أرض الوطن العربى وتؤيدهم فى ذلك دول وشعوب كثيرة مسلمة وغير مسلمة وأن هذا ليجد صداه العميق من العطف والتأييد الواسعين فى أوساط الشعب الإيرانى المسلم . وثالثاً لأن الاعتراف بإسرائيل وتوطيد العلاقات معها مناقض تماماً لما تمليه روابط الدين والتاريخ والموقع الجغرافى والمصالح المتبادلة بين إيران والدول العربية .

إن هذا الاعتراف إنكار صريح لكل ذلك ونجد للعواطف الصادقة التى يتحسس بها

الإيرانية لإيضاح واقع الأمر . ولها وطيد الأمل بأن تستدرك إيران الخطوة التي اتخذتها بشأن اعترافها بإسرائيل بالأسلوب الذي من شأنه أن يعيد ثقة الأمة العربية بها ويرد إيران إلى حظيرة الدول الإسلامية التي يحذوها العمل من أجل إحقاق الحق وإقامة العدل في فلسطين علما منها بأن الشعب الإيراني لن يرتضى فصح عرى الأخوة الإسلامية التي تربطه بالمسلايين من المسلمين من أجل شرذمة معتدية مارقة من اليهود الصهاينة .

الحزب الإسلامي في العراق

ونشرت جريدة « الحيات » التي تصدر في بغداد بتاريخ ٣ صفر ٢٧ يوليو ، في صدر صفحتها الأولى بيانا عنوانه : « الحزب الإسلامي يؤيد موقف عبد الناصر من حكومة إيران » .

ثم نشرت بيان الحزب الإسلامي في العراق على لسان رئيسه السيد الأستاذ نعمان عبد الرزاق ، وهذا هو البيان .

الاغتراف هريمة :

لا شك أن نكبة فلسطين تحز في قلب كل مسلم مخلص ، وعربي صادق لأنها اعتداء صريح على حقوق ثابتة ، وهي من وجهة النظر الإسلامية واجبة الرد حتى أن كل مسلم

العرب تحسب الشعب الإيراني المسلم وهو في الوقت نفسه مسعى لمرقلة الأهداف الوطنية التي تسعى من أجلها الأمة العربية والتي لا بد وأن يؤيدها فيها الشعب الإيراني الجبار .

هذا بالإضافة إلى أن واقع الأحوال الاجتماعية والسياسية في منطقة الشرق الأوسط - وإيران جزء منها - يدل بوضوح على أن إسرائيل دخيلة فيها وستبقى مصدراً للاعتداء على استقلال العرب وحرّيتهم فمازرتها معنويا وتقويتها ماديا يجعلان من إيران شريكا في استمرار العدوان على الأمة العربية ومبعثا للقلق وعدم الاستقرار في بلاد الوطن العربي كافة

إن العراق الذي تصله بإيران أكثر من غيره من الدول صلات الجيرة التاريخية الطويلة وروابط الدين والمصالح المشتركة ليعز عليه خاصة هذا التبدل المفاجيء في موقف إيران من إسرائيل - التبدل الذي يمثل اتجاها سياسيا غريبا ينطوى على نكران لجميع الروابط التاريخية والروحية والاقتصادية والذي لا ينسجم وموقف إيران من قضية فلسطين ذاتها في المحافل الدولية وخاصة في الأمم المتحدة .

ولهذا كله ونظراً لاعتقاد العراق بأن له موقعا خاصا بالنسبة لإيران تقوم الحكومة العراقية الآن ببذل الجهود لدى الحكومة

إن حكومة إيران قد خسرت سمعتها ومكانتها في الأوساط العربية والإسلامية وكشفت عن وجهه صفيق وقصر نظر باعتبارها هذا، لأنها قد صدمت الشعب الإيراني وأثارت غضب واستياء الشعب العربي والأمة الإسلامية، ولم تريح سوى رضاء المستعمرين وبشبه من ربح .

ونحن نعتقد أن هنالك مجالا واسعا لسحب هذا الاعتراف وهذا أمر طبيعي في العرف الدولي، فإن هي أقدمت فسوف لا تخسر شيئا . بل العكس . فإنها سوف تتلافى هذه السقطة وتستعيد رضاء جميع المعنيين بهذه القضية الخطيرة .

موقف الدول العربية :

أما بالنسبة للدول العربية ، فإن قضية فلسطين هي أخطر قضاياها ، ولذلك ينبغي أن تسارع إلى الاجتماع فورا لدراسة القضية واتخاذ موقف إيجابي موحد تجاه حكومة إيران فإما أن تسحب اعترافها ، وإلا وجب على الدول العربية جميعا أن تقاطع إيران وتسحب سفراءها ، وبهذه لا تكون متجاوزة الحدود المتعارف عليها دوليا .

موقف الحزب الإسلامي :

وإن الحزب الإسلامي درس القضية وأولاهها كبير اهتمامه ، وقد أبرق إلى آية الله

لتأثم نتيجة بقاء هذا العدوان الآثم على حقوق العرب في فلسطين . فمن المعروف أن الجهاد واجب على المسلمين كافة : رجالا ونساء ، إذا ما اعتدى على شبر من أراضيهم أية أرض كانت . وأن المرأة لتخرج للجهاد في مثل هذه الأحوال دون إذن زوجها . ومن هذا التقدير للقضية . فنحن نعتبر الاعتراف بإسرائيل جريمة وكفرا بالاسلام ومبادئه التي توجب جهاد اليهود المعتدين ، وإخراجهم من الأرض المقدسة . ولا شك إن واقع الاعتراف كان أليما جداً ، كوقع تقسيم فلسطين .

إيران والإستعمار :

وبما لا شك فيه أن ارتباط حكومة إيران بالأحلاف الاستعمارية جعلها ترضخ للضغط الموجه عليها من قبل أولئك الذين أوجدوا إسرائيل ودعموها بالمال والسلاح والتأييد الأدبي . . ولا زالوا يدعمونها ، وما هذا الاعتراف إلا ثمرة من ثمار جهودهم الخسيسة في هذا الميدان . كما أن فقدان التأييد الشعبي لحكومة إيران جعلها تلتزم جانب المستعمرين وتنفيذ مآربهم لتبقى في الحكم . إذ لا سند لها من الشعب ... وأن الشعب الإيراني الشقيق لن يقبل هذا التصرف الشائن ... ونحن نتحدى حكومة إيران أن تستفيق الشعب في هذه القضية .

الأكبر في العمل على استنكار اعتراف إيران المسلمة بعصبة إسرائيل الباغية . فقد أبرق كل من السادة الامام الجزائري والامام السيد عبد الله الشيرازي وجماعة علماء النجف إلى السيد آية الله البروجردى ، كما أبرق السيد الامام محسن الحكيم إلى السيد محمد البهبهاني من علماء إيران ، مستنكرين اعتراف إيران المسلمة بعصبة إسرائيل الباغية .

وفيما يلي نص البرقيتين :

برقية الامام الجزائري إلى السيد آية الله البروجردى .

اعتراف دولة إيران المسلمة بإسرائيل الباغية أو جب استياء كافة الطبقات . الكل ينتظرون من حضرتكم تدارك الأمر المسيء لعموم المسلمين .

عبد الكريم الجزائري

برقية الامام السيد عبد الله الشيرازي إلى الامام البروجردى .

اعتراف دولة إيران برسمية اليهود الغاصبين شق لعصا المسلمين وجرح في قلوبهم ، فالمسلمون كافة ينتظرون بلهفة نهضتكم الجبارة وكفاحكم الصارم ضد هذا العدوان

عبد الله الشيرازي

البروجردى ، المرجع الديني الأعلى في إيران مستنكراً الاعتراف ، طالباً منه العمل لإحباطه وسجبه .

وإن الحزب ليأمل بأن الشعب الإيراني سيحبط هذا التصرف أو يطيح بالعملاء والمأجورين في أقرب وقت ...

برقية الحزب الإسلامي :

وهذه هي البرقية التي أرسلها الحزب الإسلامي في العراق إلى سماحة السيد آية الله البروجردى كبير علماء إيران .

إيران — سماحة آية الله البروجردى المحترم :

السلام عليكم .

لا شك في أن سماحتكم تعلمون أن الاستعمار الكافر قد اقتطع جزءاً من بلاد العرب والمسلمين وسلها لليهود وهذا ظلم وإجرام فاعترف حكومة إيران بإسرائيل جاء تأييداً للظلم واسترضاء للمستعمرين وقطعاً لعرى الإسلام فنحنضكم على التوسط لسحب هذا الاعتراف وإلا تكن فتنة وفساد في الأرض كبير وقطع الأخوة .

علماء الأزهر يستنكرون

وقد استجاب العراق لنداء فضيلة الأستاذ

بَرِّ الْجِلَّةِ

الأشهر الحرم :

وردت هذه الأسئلة على المشيخة الجليلة فأجاب عنها فضيلة الأستاذ الأكبر بهذه الأجوبة .

السؤال الأول :

ورد ذكر (الأشهر الحرم) كثيراً في القرآن الكريم والسنة النبوية ، فما هي هذه الأشهر ؟ وما عددها ؟ وما معنى كونها حرماً ؟

الجواب :

لقد قال الله تعالى : « إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض ، منها أربعة حرم ، ذلك الدين القيم ، فلا تظلموا فيه أنفسكم » . وهذه الأشهر الحرم أربعة : هي رجب ، وذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم . واحد فرد وثلاثة سرد (أى متوالية) وهذا بإجماع المسلمين .

ومعنى أنها حرم : أن الله سبحانه وتعالى جعل لها حرمة خاصة ، بحيث تغمد فيها السيوف ، ويقف فيها القتال ، وتحقق فيها الدماء . كما أن الله تعالى جعل الإثم والمعصية أشد أثراً في ظلمة القلب وإبعاده عن الله عز وجل . وبالتالي تكون الطاعة وفعل الخير

أشد أثراً في تنوير القلب وقربه من الله سبحانه وتعالى . ولذلك قال الله تعالى - بعد أن ذكر هذه الأربعة الحرم - « ذلك الدين القيم ، فلا تظلموا فيه أنفسكم » . وظلم النفس محرم في كل شهر وفي كل وقت ، ولكنه في الأشهر الحرم أشد حرمة وأعظم خطراً .

السؤال الثاني :

لماذا اختيرت هذه الأشهر خاصة من بين اثني عشر شهراً لتكون أشهراً حرماً ؟

الجواب :

هذا شأن من شئون الألوهية ، فله تعالى أن يختار ويضطرني من خلقه ما يشاء ومن يشاء مفضلاً بعضها على بعض ، كما قال تعالى « وربك يخلق ما يشاء ويختار » .

وقد رأينا آثار هذا الاختيار والاصطفاء الإلهي واضحة في الأشخاص والأمكنة والأزمنة : ففي الأشخاص نقرأ مثل قوله تعالى « إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين » .

وفي الأماكن نقرأ قوله سبحانه « إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مبارك ، وهدى

وتسعى إلى إزالة التوتر والتدابير والتقاتل والخصام ، بوازع ديني تمتلئ به القلوب ، وتحشى من مخالفته سطوة المالك للرقاب ، المهيمن بقوته وجبروته على كل قوى متجبر ، والمؤيد برحمته وعطفه لكل ضعيف مستعبد .

ومن غريب أمر هذه الهدنة أنها أقرت الأمن في هذه الأماكن حتى بالنسبة للأشجار الصامتة والحيوان الأعجم الذى يغشاها ويتقل بين أرجائها ويطير في أجوائها ، يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم .

وقد جاء في السنة تحريم قطع أشجار مكة كما جاء تحريم قتل حيواناتها وصيده .
السؤال الرابع :

يجرى على السنة كثير من الناس - وربما حل عندهم محل العقيدة - أن عقود الزواج في شهر المحرم أمر يمنعه الدين ويحرمه ، فهل لهذا الاعتقاد أصل من الدين ؟
الجواب :

لا يعرف الدين لشهر المحرم صفة سوى أنه مبدأ السنة الهجرية ، وأحد الأشهر الحرم المقدسة ، وهو بهذين الاعتبارين يذكرنا بأمرين عظيمين .

أولهما : الهجرة المحمدية من مكة إلى المدينة وهى الحدث الفاصل في تاريخ الإسلام الذى فرق الله به بين الحق والباطل .

للعالمين ، فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً . وفى الأزمدة نجد الأشهر الحرم ، وشهر رمضان .

وهكذا يؤتى الله فضله من يشاء وما يشاء ، والله ذو الفضل العظيم . ويمكن أن نلِس بعض الحكمة في اختيار ذى القعدة وذى الحجة خاصة وهما يقعان في زمن الحج : أن في ذلك تأمين الطريق للحج ، وتوفير الأمن والطمانينة على من يؤم البيت الحرام وفي هذا تيسير للحج وتشجيع عليه ، كما أن اختيار (رجب) وحده وسط العالم فذلك ليكون مذكراً للإنسان ومتيحاً له فرصة أخرى للسمو الروحي وارتفاع الإنسان عن ظله لنفسه أو لآخيه الإنسان .

السؤال الثالث :

ما الحكمة التى يرى إليها الإسلام من إفراغ القدسية والاحترام على بعض الأزمدة كالأشهر الحرم . وبعض الأمكنة كبلد الحرام ؟

الجواب :

مبدأ احترام بعض الأزمدة وبعض الأمكنة مبدأ سام شرعه الله في الفديء وأقره في الإسلام كيف لا وهو فرصة تعين المتخاصمين على حسن التفاهم وإقرار الأمن والسلام . هو بمثابة هدنة إلهية غرس الله احترامها في قلوب الناس لينحوا حقهم عن الكسف عن المظالم والعدوان ، فتشعر النفوس ببلدة الأمن والطمانينة ،

وهذا موضوع قد كثر الخوض فيه وأثار الدهشة في نفوس الناس ، وكاد بعض المسلمين يفتنن حتى بعض المنتسبين إلى العلم . ووجه كثير من الناس اللوم إلى علماء الدين لأنهم لا يدينون للناس وجه الحق في أمثال هذه المحدثات التي لم تظهر من قبل .

شرق الأردن

محمد عبد الرحمن الخطيب :

مفتي ومرشد السكرك

« المجلة » : قال فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت :

الروح هي القوة التي تحدث الحياة في الكائنات الحية من نبات وحيوان وإنسان ، وقد غلبت على ما به حياة الحس والحركة والعقل والتفكير وأضيفت إلى الحيوان والإنسان .

ولم يرد في الدين نص واضح صريح يشرح حقيقة ما ويحدد وجودها وكانت في نظر الدين كغيرها من سائر الأمور الكونية تركت للبحث البشري يبحث عنها ويصيب أو يخطئ على حد سواء .

هذا ولقد خاض الإنسان قديماً وحديثاً ملياً وغير ملي في البحث عن حقيقة ما ، وأثرت عنه أقوال فيها آراء . قال فيها الإمام الألويسي بعد أن ذكر جملة منها : وبالعالم الناس

ثانيتها : إثارة الأمن والسلام المستمدة من الهدنة الإلهية - هدنة الأشهر الحرم .

واعتقد أن شهراً هذا شأنه لا يمكن أن يضيق صدره بالأعمال الطيبة التي من أبرزها الزواج ، بل إن مثل هذا العمل في هذا الشهر الكريم يكون طالعاً عيماً ، وبشير خير وبركة .

أما ما شاع بين بعض المسلمين من تلك الاعتقادات الفاسدة فهو من آثار البدع الضالة والأوهام الباطلة التي انحرفت بالمسلمين عن الطريق السوي في عهودهم الأخيرة .

وأولى لهم أن يعودوا إلى ما كان عليه سلفهم الصالح ، وما جاءت به شريعتهم المطهرة « ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم » .

محمود شلتوت

مكرم الدببة في استحضار الأرواح :

ما حكم الدين الإسلامي في استحضار الأرواح ومخاطبتها للأحياء وكتابتها بخط يدها ما هي فيه وما جرى لها في دار الجزاء كما يزعم بعض الناس ، لأنهم عند مباشرتهم لهذا العمل السيئ يضعون قلباً وقرطاساً في سلتهم ثم يقرءون عليها فيبدأ القلم يتحرك ويكتب على لسان الميت ويخطه كما ذكرنا

الإنسان كما لم يدل عليه نص موثوق به أو تجربة صادقة ، وكل ما نسمعه ويعلمه بعض الذين يريدون أن يصرفوا الناس عن البحث عن الحقائق بالاشتغال بالترهات والأباطيل ، كل ذلك لا يخرج عن كونه خداعاً وإلهاءاً بالخيالات لا يلبث أن ينكشف أمره .

وما دامت الروح لا يمكن استغلالها ولا استحضارها فما يرى من حركة السلة أو اضطرابها فلا يخلو أن يكون اضطراباً لحاملها أو تأثيراً بما امتلأ به خياله . أو هي حركة من حركات الجن وصلة الجن بالإنسان لا تعدو الوسوسة والتزيين على نحو ما يحدث للناس من الناس . يقول تعالى : في سورة الناس « من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس » . بل إن الشيطان نفسه يحدد ذلك في نص القرآن .

« وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ، ووعدتكم فأخلفتكم ، وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن أدعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم » . وإذن فليس للجن مع الإنسان شيء وراء الدعوة والوعد والوسوسة والإغراء والتزيين « فوسوس لها الشيطان » وقال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين » .

في القول إلى ما يزيد عن ألف قول ، ثم قال : والمعول عليه عند المحققين قولان ذكرهما واختار أولهما وهو أن الروح جسم نوراني علوى حتى يخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس سار فيه سريان الماء في الورد لا يقبل التجلل ولا التفرق ، يفيض على الجسم الحيـاة وتوابعها ما دام الجسم صالحاً لقبول الفيض وقد أبداه ابن القيم ، وقال إنه الصواب ولا يصح غيره وعليه دل الكتاب والسنة .

والعلماء كما اختلفوا في البحث عن حقيقة الروح اختلفوا أيضاً في موتها ، وبقائها ، وفي مستقرها بعد مفارقة الأبدان ، والذي ترشد إليه الآثار الدينية أنها تخرج من بدن الإنسان فيكون الموت ، وأنها تبقى ذات إدراك ، تسمع السلام عليها ، وتعرف من يزور قبر صاحبها ، وتدرك لذة النعيم ، وألم الجحيم ، وأن مقرها يختلف بعد مفارقة البدن بتفاوت درجاتها عند الله .

وعلى رغم كل ما جاء فيها فلا تزال حقيقةها من الغيب الذي لم يكشفه الله للإنسان ، وهي في ذلك ككثير مما ينتفع الإنسان بآثاره دون أن يعرف كنهه . وباب البحث عن حقيقة مفتوح لم يمنع منه نص ديني .

وكما أنه لم يرد نص في شيء من ذلك كله لم يرد فيما يختص بتحضيرها وتسخيرها لدعوة

يا - الامها وعلى رأسها ملك لازال يعتبر الإسلام دينه ، وفلسطين الشهيد هي أرض مسلمة أولاً وقبل كل شيء ، والعجيب ان الشاة قرران إيران قد اعترفت بإسرائيل او بالأمر الواقع - كما زعم - منذ سنوات ، ونعتقد نحن أن الاعتراف بدأ منذ أول يوم وقع فيه ميثاق بغداد المشؤم .

أن من حق شاه إيران ان يشغل صحافة العالم بأسره بمغامراته العاطفية ، وان يشغله شهوراً بزفافه الأخير ، ولكن بأى حق يملك أن يفرض على إيران المسئلة الاعتراف إسرائيل اللقيط ؟ فنحن نعلم أن ثورة مصدق التي انتزعت من عرشه وألقت به في بغداد ، حركت الاستعمار الغربى لتعيده إلى عرشه وتلقى بالزعيم مصدق في قاع السجن ، رايظل الشاه عميلاً وفيما خلاصاً متفانياً لرغباته ونحن نعلم أن الاستعمار كان وراء القضاء على جمعية فدائيان إسلام وشنق زعمائها ؛ لأنها الجهة الوحيدة التي كانت تستطيع ان تقول للشاه ؟ وقف من أنت ؟ ، وبذلك أسدى الاستعمار لعميله أجل خدمة . . .

ونحن نقسال : ما موقف الإسلام من الشاه وحكومته بعد الاعتراف بإسرائيل رسمياً ؟ .

وهل يتكرم علماء المسلمين في كل بقاع العالم بإعلان رأى الإسلام في هذا الشاه ؟ .

هذا تحديد لما ابتلى به جماعة من الناس في هذه الأيام مما بلبل أفسكار كثير من شبابنا فهديان الفكر السليم وقوض أركان العمل المنتج وأضاع عليهم الوقت وقتل الزمن .

إن الذين يتأثرون بوسوسة الجن وإغوائهم إنما هم ضعاف العقول وضعاف الإيمان وأما أقوياء وهما فهم بقولهم وإيمانهم بعيدون عن التأثير بها وقد استثنى الله من المتأثرين بها عباده المخلصين قال تعالى : « إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين » .

وأما ما وراء ذلك كله من استخدام الانسان لهم في جلب الخير ودفع الشر واستحضارهم كلما أراد ، ومن استطلاع الغيب وغير ذلك مما يقع في أوهام الناس فهذا كله مصدره خارج عن نطاق المصادر الشرعية ذات القطع واليقين .

أبىسى في ابراهه مسلمونه

جاء في الصحف نبأ اعتراف إيران المسئلة بإسرائيل رسمياً ، وذكر انبأ أن الشاه قال في مؤتمر صحفى : إن إيران لم يكن اعترافها بإسرائيل شيئاً جديداً فقد اعترفت بالأمر الواقع منذ سنوات .

أما الخبر في حد ذاته فقد عقد الألسنه عن الكلام ، فإيران مسلمة لم تزل متمسكة

على عائقهم تجاه دينهم ووطنهم ، إذن لكسبت البلاد الخير الكثير .

ماء زمزم بين الدين والعلم :

جاء في مجلة « نور الإسلام » التي تصدر عن إدارة الوعظ بالأزهر ما يأتي :

١ — عقد البخارى في كتاب الحج من صحيحه بابا فيما جاء في ماء زمزم ، فلم يورد في فضلها أو بركتها إلا حديث شق صدره عليه السلام وغسله من ماء زمزم ، وحديثا آخر فيه أنه شرب منه ، وليس في الحديثين ما يدل دلالة صريحة على فضل أو بركة . وهذا ما نص عليه الحافظ في الفتح حين شرحه للحديث ، قال : كأنه لم يثبت دنده في فضلها حديث على شرطه صريحا . وفي باب سقاية الحاج روى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء إلى السقاية فاستسقى ، فقال العباس : يا فضل اذهب إلى أمك ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بشراب من عندها . فقال صلى الله عليه وسلم : اسقني قال : يا رسول الله إنهم يجعلون أيديهم فيه ! قال : اسقني . فشرب منه . ثم أتى زمزم وهم يسقون ويعملون فيها ، فقال : « اعملوا فإنكم على عمل صالح . » ثم قال : لولا أن تغلبوا لنزلت حتى أضع الحبل

وأين الوعي العربي الإسلامى الذى هز أمريكا والغرب فى محنة الباطنة كليباترة ومحنة مصر خلال العدوان الثلاثى . ؟ .

وإذا لم نجد من يجيب ، فهلا كان فى إيران المسلمة مسلمون يتحركون ؟ .

محمد عبر الله السموات

القاهرة

جواهر فى سبيل الله :

شاب يبلغ من العمر ثلاثة وعشرين عاما يدرس مساحة المناجم بمعهد زيورخ بسويسرا مبعوثا من جامعة أسيوط . إنه المهندس محمد رجائي جودة الطحلاوي ، هاله أن يجد جهلا فاحشا بالدين الإسلامى ومبادئه . فأخذ على عاتقه مهمة الدعوة إلى الله ، فعكف على القرآن الكريم ، وما تيسر له من كتب الدين يقرؤها ويتمثلها ، ويترجمها إلى القوم المتعطشين إلى المعرفة الإسلامية

وقد كان من نتيجة جهوده فى التعريف بالإسلام والدفاع عنه ، أن أعادت له الجامعات قاعات فسيحة لمحاضراته كما ساهمت الجرائد الألمانية بالنشر والشرح والدعوة إلى محاضراته .

فبذا لو قام شبابة فى الخارج بمثل ما قام به هذا الشاب المجاهد ، وقدروا الرسالة الملقاة

٢ - أما صحيح مسلم فأبرز ما ورد فيه عن زمزم حديث أبي ذر « أنها طعام طعم » ومعنى « طعام طعم » أى يشبع من تناوله .

٣ - وروى أحمد وابن ماجه عن جابر حديث « ماء زمزم لما شرب له » . قال صيارفة الحديث : وفى إسناد عبد الله بن المؤمل ، وقد تفرد به وهو ضعيف ، وأعله ابن القطان به . وقد رواه البيهقي من طريق أخرى عن جابر وفيها سويد بن سعيد ، وهو ضعيف جداً ، قال فيه يحيى بن معين . « لو كان لى فرس ورح لغزوت سويده » وذلك لما يرى من خطره على الحديث . وروايته للناكيز .

٤ - روى الدارقطنى عن ابن عباس حديث « ماء زمزم لما شرب له : إن شربته تستشفى شفاك الله . وإن شربته لشبع أشبعك الله . وإن شربته لقطع ظمأ قطع الله الحديث .. » والصحيح أن هذا الحديث من قول ابن عباس نفسه ، وليس مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم . وقد خطأ الحافظ فى التلخيص الراوى الذى رفع الحديث إلى الرسول ، وحكم على روايته بالشدوذ ، ومخالفة الحفاظ الثقات . وإذا كان هذا قول ابن عباس رضى الله عنهما فهو مجرد رأى شخصى رآه ، لا يلزمنا اتباعه ، ولا الإيمان به معه ، ولا حجة فى أحد دون رسول الله .

على هذه ، يعنى عاتقه ، وأشار إلى عاتقه ، ؟ . وفى هذا الحديث نجد العباس - وقد كان يشرف على السقاية - أراد أن يسقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ماء آخر يجيىء به ابنه الفضل من البيت ، وحجته فى ذلك أنهم يجعلون أيديهم فيه ، ولكن الرسول الكريم أبى إلا أن يكون أسوة للؤمنين فلا يتميز عليهم ، بل يشرب مما يشربون ، ولم يكن النبي يرى فى الماء ضرراً أو يتوقعه . وإلا كان له موقف آخر ، إنما هو لون من التقرز أظهره العباس ، وكان عليه السلام أقوى على نفسه ، وأشد فى عزمه من أحاسيس المتقرزين ، كما كان تواضعه بأبى عليه أن يفرد بشيء عن سائر المسلمين . وفى رواية للطبرانى فى هذا الحديث أن العباس قال له : إن هذا قدم رث (أى أصابته الأيدى) أفلا أسقيك من بيوتنا ؟ قال : لا . ولكن اسقنى مما يشرب منه الناس .

هل فى هذا الحديث شيء عن قدسية زمزم ؟ لا ، كل ما فيه ما قاله ابن حجر : فيه الترغيب فى سقى الماء ، خصوصاً ماء زمزم ، وفيه تواضع النبي صلى الله عليه وسلم ، وكرامة التقزز والتكره للأكولات والمشروبات ، وأن الأصل فى الأشياء الطهارة لتناوله صلى الله عليه وسلم من الشراب الذى غمست فيه الأيدى .

من ماء زمزم بأحاديث شربه عليه السلام منها . ودفع هذا آخرون بأن ماء الشرب أمر جبلي ، فلا يدل على الاستحباب إذ لا تأسى في الأمور الجبلي . ي . ق

النحو الجبريد :

جاءنا من الأستاذ صبح سالم صبح المدرس بالعباسية الثانوية ، بالإسكندرية تعقيب على ما نشره الأستاذ على العماري في مجلة الأزهر حول الطريقة الجديدة في دراسة النحو التي تسير عليها وزارة التربية والتعليم ، وما جاء في هذا التعقيب :

١ — يقول الأستاذ العماري إن وزارة التربية والتعليم فرضت على التلاميذ دروسا في النحو هي مجرد آراء فردية وكان الواجب ألا تبيح الوزارة هذا حتى ترجع إلى المجمع اللغوية وإلى الهيئات العلمية التي تعنى بدراسة النحو العربي .

ولو قرأ الأستاذ المحاضرات التي جمعت في كتاب (توجيهات حديثة في النحو) لوجد فيها تاريخا أميناً للوضع .

٢ — يقيس الأستاذ النحو على الطبيعة والكيمياء ، ورأيه أنه كما لا يمكن أن يرى جماعة رأيا في الطبيعة والكيمياء فيؤخذ به كذلك لا يمكن أن يتناول النحو على هذا النحو . ولست أدري كيف يستقيم هذا القياس ؟

٥ — روى البزار عن أبي ذر حديث « زمزم طعام طعم وشفاء سقم » وصحح المنذري إسناده ورواه كذلك الطيالسي في مسنده

ولعل هذا هو الحديث الفذ الذي يمكن أن يستند إليه في شأن زمزم ومائها وأنه طعام وشفاء ، ولكن هل يعنى هذا الحديث حمايتها من الخضوع للقوانين العامة في الكون ؟ وهل ينفي أن يعرض لها التلوث بسبب ما وفق سنن الله المطردة ؟ . وإذا أثبت التحليل العلمي الصحيح أن ماءها قد اعتراه تلوث يخشى ضرره على الشاربين ، فهل نكذب نتيجة العلم اعتقاداً منا أنه ينفي هذا الحديث ؟ والحديث ليس قطعى الدلالة ولا الثبوت ، وبخاصة أن كلمة « شفاء سقم » لم ترد في أحد الصحيحين ولا في كتاب من الكتب الستة المعتمدة .

وهنا أمران لا بد أن نقررهما في هذا المقام : أولهما : أن الشرب من ماء زمزم ليس من مناسك الحج أو سنته في أى مذهب من المذاهب المعروفة لدى المسلمين بل قد نقل أن عبد الله بن عمر لم يكن يشرب من ماء السقاية في الحج - مع شدة تمسكه بالسنة واتباعه للأثار - وقد علل هذا منه بأنه خشى أن يظن الناس أن ذلك من تمام الحج . وقد استدلل بعضهم على استحباب الشرب

على الحقيقة أن يقولوا مثل هذا القول، وأن الأستاذ صاحب النحو المنهجي بالذات يعترف بكل صحيح من البحث غير أنه يختار أنسب الآراء التي توافق عقلية الطلاب في مراحل الإعداد والتنشئة ويدع ما عداه لمن أراد التخصص .

ولا شك أن الأستاذ الناقد يعاني كثيرا من المشقة والجهد حين يتناول النحو العربي على طريقته القديمة .

المستقى بالله :

وجاءنا من الأستاذ على بن يحيى بحضرموت تعقيب على مقال الأستاذ محمد عضيمة (دراسات في أسلوب القرآن) . والمعقب يرى أن رفع المستثنى في الكلام التام الموجب وجه جدير بالتقدير لأنه هو الذي يخرج عليه ما وجد من الرفع بعد إلا في الكلام التام الموجب من صحيح الكلام العربي من غير تعسف، ومقاله تأييد لهذا الوجه ، وبما جاء فيه : نحن نؤيد القول الذي يجوز إعراب ما بعد إلا مبتدأ في بعض الأحوال الظاهر فيها ونرجحه بما يأتي :

أولاً - أن النحاة قد صرحوا بوقوع الجملة الإسمية بعد إلا ، وذكروا شواهد من الكتاب والسنة .

ومن قال : إن طبيعة النحو من طبيعة الكيمياء ؟ إن علم النحو علم نظري اجتهدى يقوم على الشواهد التي يقوى بعضها إلى حد الاعتماد عليه وتضعف بعضها ، ولذلك اختلف النحويون ، أما الكيمياء فعلم تجريبي يخضع للشاهدة التي لا مجال فيها للشك أو القول .

٣ - يتحدث الناقد عن كتاب (إحياء النحو) باعتباره محاولة تجديدية قائلا : وكان على الوزارة أن تأخذ عبرة من كتاب إحياء النحو فإن هذا الكتاب أحدث دويا في الأوساط العلمية ولكن أحدا لم يأخذ بالنظريات التي جاءت فيه ، ولم تستطع هذه النظريات أن تأخذ طريقها إلى أية هيئة علمية فتدرس فيها دراسة علمية .

والحقيقة أن هذا الكتاب يدرس ويعنى به في جميع السكليات الجامعية التي تعنى باللغة العربية، وله قيمته التي لا يمكن أن يستهان بها .

٤ - وما يثير الدهشة قول الناقد : أما أن أستاذنا أو مجموعة من الأساتيد يفرضون آراءهم على آلاف مؤلفة من المتعلمين الناشئين ليقولوا لهم : إن هذا هو العلم ولا علم سواه، فذلك أمر خطير جد خطير . ذلك أني أعرف ويعرف الناس أن هؤلاء الأساتيد الذين يعينهم الناقد بمنعهم التواضع العلمي، والحرص

بنقيض ما قبلها كما هو حال المتصل . فقدروه
لكن الموتة الأولى قد ذاقوها في الدنيا

خامسا : جعل المتأخرون ما بعد إلا في
المنقطع مطلقا مبتدأ خبره محذوف وإلا
بمعنى لكن معنى وعملا ونقل ابن الحاجب
في ذلك الإجماع .

سادسا : حدد ابن هشام في المنى القراءة
السبعية في «إلا امرأتك إنه مصيها ما أصابهم»
بالرفع ، وجعلها استثناء من أهلك ، وجملة
من مبتدأ وخبر .

ملحوظتان :

الأولى : أن الأستاذ عضيمة ذكر نقلا
عن شرح الكافية للرضي (الناس كلهم
ها لكون إلا العالمون) على أنه حديث نبوي
وهو ليس كذلك .

الثانية : جعل (ما للشياطين من سلاح
أبلغ في الصالحين ... إلخ) . حديثا نبويا ،
وقد رده ابن القيم في فوائده ، وهو من
حفاظ السنة .

ثانياً - ومن صرح بذلك ابن هشام في المفتي ،
حيث أضاف إلى الجمل التي لها محل من الإعراب
الجملة المستثناة ومثل لها بقوله تعالى : «لست
عليهم بمسيطر ، إلا من تولى وكفر» .

ثالثا - قال ابن مالك في التوضيح على
الجامع الصحيح عن المستثنى بإلا من كلام
موجب أنه ينصب مفردا أو مكلاما معناه بما
بعده ، ولا يعرف البصريون إلا النصب ،
وقد أغفلوا وروده مرفوعاً بالابتداء ثابت
الخبر أو محذوفه ، فمن الأول قول أبي قتادة
(أحرموا إلا أبو قتادة) فإذا بمعنى لكن ،
وأبو قتادة مبتدأ ، ولم يحرم خبر ، ومن
الثاني قوله صلى الله عليه وسلم كل أمتي معافي
إلا المجاهرون .

رابعا - يؤيد ما قلناه من وقوع الجملة
الإسمية بعد إلا أنهم اعترضوا على تعريف
المتصل بدخول مثل قوله تعالى : « لا يذوقون
فيها الموت إلا الموتة الأولى » مع أن الاستثناء
منقطع ، لأنه لم تحكم فيها على ما بعد إلا

أَنْبَاءُ الْأَزْهَرِ

وقد تلقى فضيلة الأستاذ الأكبر من السيد
الرئيس جمال عبد الناصر البرقية التالية يشكره
فيها على النهضة :

فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت
شيخ الجامع الأزهر

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد
فقد تلقيت البرقية المعربين فيها باسمكم
وباسم السادة علماء الأزهر وطلابه عن أخلص
المشاعر وأكرم التهاني بمناسبة رأس السنة
الهجرية والعودة من اليونان ويوغوسلافيا ،
وإني إذ أبعث إليكم وإلى الجميع بأصدق
الشكر أرجو لكم موفور الصحة وأطيب
الأماني . جمال عبد الناصر

مول الطمون ونعمد الزوجات :

كان فضيلة الأستاذ الأكبر قد أرسل برقية
للسيد الرئيس جمال عبد الناصر يشكر فيها
لسيادته موقفه من موضوع الطلاق وتعدد
الزوجات ، فتلقي فضيلته من سيادة الرئيس
البرقية التالية :

فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت
شيخ الجامع الأزهر .

الأستاذ الأكبر هيء السيد الرئيس :

بعث فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود
شلتوت شيخ الجامع الأزهر إلى السيد
الرئيس جمال عبد الناصر بالبرقية التالية
بمناسبة رأس السنة الهجرية وعودة سيادته
من اليونان ويوغسلافيا :

السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس
الجمهورية العربية المتحدة .

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد
فإن من يمن الطالع أن تقترن عودتكم
المباركة بعد رحلتكم الميمونة بمطلع عامنا الجديد
عام الهجرة التي أيدت الحق وأيد الله الحق بها .

وإني بهذه المناسبة وباسم الأزهر علمائه
وطلابه أهنيكم بمقدمكم الكريم ، كما أهنيكم
بالعام الجديد داعيا الله أن يديم لكم التوفيق
وأن يجمع العالم على المحبة والوئام والسلام
وأن يؤيد المسلمين ويقوى شوكتهم وينصر
العرب في كل جولة من جولاتهم وفي خدمتهم
لمبادئ العزة والكرامة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

محمود شلتوت

الشرقاوى مراقب كلية اللغة العربية سكرتيراً
لتحرير مجلة الأزهر .

قسم الصحافة بالأزهر :

قررت مشيخة الأزهر إنشاء قسم للصحافة
يلحق بكلية اللغة العربية ، وتقرر أن تبدأ
الدراسة فى هذا القسم بكلية اللغة العربية
ابتداء من العام الدراسى المقبل ١٩٦١/٦٠
ومدة الدراسة فيه سنتان ، ويلتحق به خريجو
كلية اللغة العربية بعد اجتياز مسابقة نعقد لهم .

رواد الأزهر :

اتصلت الشئون العامة بالأزهر بجميع
المعاهد الدينية لإرسال الكشوف الخاصة
بالسادة الرواد لتمام الإجراءات المتعلقة بإعداد
المعسكر الذى سيقام بمدينة البعوث الإسلامية .

فى لجنة العادات والتقاليد :

وافق فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع
الأزهر على نذب فضيلة الشيخ عبد الله المشد
مدير الوعظ والإرشاد عضواً بلجنة العادات
والتقاليد بوزارة الشئون الاجتماعية والعمل .
وهى اللجنة التى تعمل على تنظيم الاحتفالات
الشعبية وخاصة الموالد ، بحيث تتفق وأهداف
مجتمعنا الجديد ، وللقضاء على البدع
والخرافات والعادات السيئة المنتشرة بالموالد
وتعمل على نشر وتثبيت العادات الحميدة
فى هذه الاحتفالات والموالد .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :
فإني أشكركم أصدق الشكر على برقيتكم
وقفنا الله إلى ما فيه الخير والإسعاد لشعب
الجمهورية العربية المتحدة ويسرنى أن أبعث
إليكم بأخلص تمنيات الصحة والسعادة .
جمال عبد الناصر

فى العيد الثامن للثورة :

وتلقى فضيلة الأستاذ الأكبر من السيد
الرئيس البرقية التالية فى الشكر على التهنية
بالعيد الثامن للثورة :

فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت
شيخ الجامع الأزهر :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته : وبعد
فإنه يسرنى أن أعرب عن أخلص الشكر
لكم وللسادة علماء الأزهر وطلابه على
ما تضمنته برقيتكم من كريم المشاعر وصادق
التهانى بمناسبة عيد الثورة داعياً الله أن يوفقنا
جميعاً إلى ما فيه رفعة الوطن العزيز ودعم
بنيانه ، كما أننى أبعث إليكم بأطيب تمنيات
الصحة والسعادة راجياً لكم وللجميع التوفيق
والسداد فى خدمة العروبة والإسلام .

جمال عبد الناصر

سكرتير تحرير مجلة الأزهر :

أصدر فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع
الأزهر قراراً بنسب السيد الأستاذ محمود

الكتاب

المؤلف: محمد عبد الله السمان

على عدم جدارتها بالبقاء ؛ لأن التاريخ الذي يقف دائماً في صف المنتصر حين سطر حكمه عليها لم ير من آثارها إلا أشلاء متناثرة وبيوتاً مهتمة .

ويرى المؤلف أيضاً أن الحركة الوهابية كانت نتيجة لازمة لمقدمات صحيحة اقتضتها حال المسلمين ودعت إليها ، فقد كانت العقيدة الإسلامية في الجزيرة العربية أشبه بالتقاليد والعادات فوق ما دخل عليها من الأوهام والباطيل . إلا أن هذه الدعوة أخطأت في أخذ الناس بالأسلوب الحاد العنيف ، دون أن تدخل في حسابها الأثر النفسي الذي يطغى على شعور المسلمين ، وفهم جذور عميقة من موروثات وتقاليد لا يمكن أن ينفصل عنها المرء بين يوم وليلة .

كنت أرجو أن يتحدث باستيعاب عن حملة محمد على للقضاء على الحركة في الجزيرة العربية ليوضح لنا فكرة المؤامرة على الإسلام . بدافع الشره من جانب محمد على . وإن كان التاريخ سجل لمحمد على صفحة سوداء في قضائه على المالكي في مذبح القلعة ، فإن هناك صفحات سوداء يجب أن تسجل عليه في قضائه على الحركة الوهابية .

١ - محمد بن عبد الوهاب :

بما لا ريب فيه أن الحركة الوهابية لم تزل بكرأ ، وأن وضعها في التاريخ لم يحدد بعد ، شأنها في ذلك شأن الحركات الفكرية التي لازمتها الثورات المسلسلة ، والذين قدر لهم أن يكتبوا عنها إما أتباع لها متعصبون ، وإما أعداء لها منتطعون ، وإما أجانِب ذوو أهواء إزاء الحركات الإسلامية بأسرها .

وحين قرأت مؤلف الأستاذ الخطيب عن « محمد بن عبد الوهاب » من الغلاف إلى الغلاف وبدقة وإمعان أكبرت المؤلف والمؤلف ، فقد جاء الكتاب على ما فيه من إنجاز مركز صورة معبرة بصدق عن محمد بن عبد الوهاب وحركته ، وألم إلماً شاملاً بمراحل حياتهما ، وكان الكاتب مؤرخاً نزيهاً أحاط بأدق المعاني وأعماقها ، وترك لقلبه العنان يصوغ لنا بحثاً تحليلياً عن الحركة الوهابية في غير تعصب أو تزمت أو مجاملة . والمؤلف يرى أن الحروب الوهابية معركة رأى ، وتعد من المعارك القليلة التي قامت على الرأي في التاريخ الإسلامي ، وأن هزيمة الحركة الوهابية في حروبها ليس دليلاً

وحساب فكرة متجسدة . كما يرى أن الغموض يكون العنصر الأساسي الذي يميز الصراع الفكري في البلاد المستعمرة ، وأن الاستثمار يبذل جهوده في إحاطة هذا الصراع بالغموض ويرى المؤلف ثالثاً : أن التاريخ السياسي الحديث في أي بلد مسلم سجل أن الاستثمار يستغل الأوضاع النفسية ، فهو يثير الغضب الأعمى عند الجماهير ، ويغذى شهوات القادة والمسؤولين ، وأن الاستثمار لإخصائين يشرفون على الصراع الفكري ، ويركبون أجهزة خاصة لتحطيم الأفكار كما يركب العلماء المختصون في علم المواد المشعة أجهزة لتحطيم الذرة ، وأن هذا الاستثمار قنان بارع في موسيقى الصراع الفكري ، فهو يبدع في سمفونية هذا الصراع ، إذ هو ينسجها من الخيال ، ثم يبلغ إيقاعها الساحر عن طريق الإيحاء ، وفي خاتمة الكتاب يتبنى الكاتب أن تقوم في بلادنا رابطة من المثقفين لكشف هجمات الاستعمار على الجبهة الفكرية . حتى لا تبقى الأفكار معرضة لتلك الهجمات دون نجدة ولا مدد .

هذا أول كتاب ينتجه المؤلف باللغة العربية فقد عودنا أن يكتب بالفرنسية ، وبعض الأخطاء اللغوية المعدودة لا تقلل من قيمة الكتاب الفكرية ، فالكتاب دراسة عميقة تخللتها النظريات الرياضية كسند لمنطق الأفكار .

وكنتم أرجو ألا يغفل الأستاذ المؤلف ، أن الحركة الوهابية بدأت حركة إسلامية عربية ذات مبادئ وأهداف .

٢ - الصراع الفكري في البلاد المستعمرة :
كتاب الأستاذ مالك الجديد دراسة عميقة للصراع الفكري في البلاد المستعمرة ، مستمداً براهينها من تجربة شخصية أضاءت الموضوع من الداخل بضوئها الخاص ، وهو يرى أن بعض الأشياء لا يجدى الحديث عنها إن لم يكن برهانه مستمداً من تجربة شخصية ، ومن هذه الأشياء الصراع الفكري في البلاد المستعمرة ، وقد عودنا المؤلف العلامة أن تمتاز مؤلفاته بطابعين أصيلين :

أولهما : التعمق في الدراسة والتحليل ، والعناية التامة بالإسلام كقضية ، يجب على كل مسلم أن يظل مدافعاً عنها .

جاء الكتاب في ستة فصول : عموميات عن الصراع الفكري ، في حلبة الصراع ، تركيب آخر لمראה الكفء ، مظاهر أخرى للصراع الفكري ، على هامش كتاب حياة الأفكار وقيمتها الرياضية ، ويرى المؤلف أن الصراع الفكري بدأ يأخذ طابعه في البلاد المستعمرة قبل نصف قرن على الأقل كعامل على امتصاص القوى الواعية في تلك البلاد حتى لا تتعلق بفكرة مجردة محاولاً تعبئتها

٣ - روائع إقبال :

الأستاذ أبو الحسن الندوى من الأعلام المبرزين والعلماء المسلمين العاملين في ميدان الفكر الإسلامى بالقارة الهندية ومؤلفاته الإسلامية باللغة العربية تعتبر في الطليعة ، وفي مقدمتها : ماذا خسر العالم بالخطاط المسلمين ؟ أما كتابه الأخير عن « إقبال » ، فهو ترجمة أصيلة لبعض روائع إقبال الشعرية بالنثر وهو يختلف عن ترجمة المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام الذى ترجم الشعر بالشعر ، ويقول الأستاذ الندوى تعليقاً على هذا : « إن ترجمة الشعر بالشعر يكاد يفقد شعر إقبال قوته وانسجامه ، وليس هذا راجعاً إلى ضعف فى الترجمة ففقدرة الدكتور عزام لا تحتاج إلى دليل ، إلا أن ترجمة الشعر بالشعر تضفى على هذا العمل الأدبى نوعاً من الغموض » .

والأستاذ الندوى التقي بإقبال وتعرف عليه عن كشب ، وتأثر بشعره كل التأثر ، ورأى أن ينقل روائعه إلى العالم العربى وفاء للرجل العظيم ، واختار من شعره : برلمان إبليس - إلى الأمة العربية - فى جامع قرطبة - فى أرض فلسطين - دعاء طارق - نياحة أبى جهل - رجعة الجاهلية - فى مدينة الرسول - ساعة مع السيد جمال الأفغانى

قدم لترجمة هذه الروائع بتمهيد تحدث

فيه عن صلته بإقبال وشعره ، وعن إقبال شاعر الإسلام وعن العوامل التى كونت شعر إقبال ومنها : مدرستا الثقافتين : العصرية والإسلامية ، والقرآن الكريم ، والغوص فى أعماق النفس ، وانصالة بالطبيعة من غير حجاب ، وفى هذا التمهيد تحدث المؤلف عن نظرة إقبال إلى التعليم العصرى ، وعن الإنسان الكامل فى نظره ، كما لم يفت الأستاذ الندوى أن يمد لكل قصيدة بملخص لفكرتها وهدفها ، مما يجعل القارئ يعيش مع الشاعر فى روحانيته الصافية .

والمؤلف يذكر فى مقدمته : « أن أعظم ما حمله على الإعجاب بشعر إقبال هو : الطموح والحب والإيمان ، حيث يحكى فى هذا المزيج الجميل فى شعره أعظم مما يحكى فى شعر معاصره . والشجاعة الأدبية التى عرف بها المؤلف ، جعلته يقول فى مقدمته : « إنى لا أعتقد فى إقبال عصمة ولا قداسة ولا إمامة ولا اجتهاداً فى الدين ، وقد كانت له أفكار فلسفية وتفسيرات للعقيدة الإسلامية لا نوافقه عليها . وإن جل ما أعتقده أن إقبال شاعر أنطقه الله ببعض الحكم والحقائق فى هذا العصر . ونحن نقول : حسب إقبال عظمت أنه كان صاحب فكرة واضحة وعقيدة جازمة عن خلود الرسالة المحمدية وعمومها ، وعن خلود هذه الأمة وصلاحتها للبقاء والازدهار ، وهذا ما لم ينكره المؤلف المبجل فى نفس مقدمته ... !

إقبال :

المؤلف شاب وأديب مطبوع . قدم للمكتبة العربية مجموعة من البحوث والقصص نال معظمها جوائز ووزارة التربية وغيرها . ومنها : كتاب إقبال الفائز بجائزة وزارة التربية عام ١٩٥٧ ، والعجيب أن المؤلف كتب جل بحوثه بين جدران السجن ، حيث الفراغ والعوامل النفسية لهما أثرهما في كل ما كتب ، وهو يقول في مقدمة كتابه من إقبال :

(إنه سطر هذه الصفحات عن إقبال أول من دعا إلى إقامة باكستان الإسلامية ، لأن فلسفته وشعره ونمط حياته وقصة كفاحه ، كل أولئك جدير بأن يقرأه شبابنا وخاصة في هذه الفترة الدقيقة التي تتجازها بلادنا الحبيبة .

تحدث المؤلف عن الهند عام ١٨٧٣ حيث الصراع على أتمه بين الاسلام والبرهمية ، وحيث ولد إقبال ، وفي الفصل الثاني عن العلم والعمل حيث كان إقبال ، يلتقط الآراء السليمة والحكمة العالمية والأفكار المستحدثة وغير المستحدثة . فيمتقدها ويفندها ويردها إلى أصولها .

أما في الفصل الثالث فقد تحدث عن فلسفة إقبال التي نبعت في عقله ، وعن بواعث ودوافع هذه الفلسفة التي أشعلتها وجعلتها ملتبه كالنار ، حمراء كالدم ، وأولها أن

الناس يجب أن يعودوا إلى ذاتهم فلا يحرصوا على الحياة . وثانيها أن عقيدتهم يجب أن تتحرر مما شابها ، وثالثها التحرر من الاستسلام ، والايمان بالخط ، واليأس والرهبة ، وخاتمة المطاف التهام ثقافة الغرب دون غص أو تمحيص . وكان هدفه من فلسفته أن يكون للمسلمين وجود .

والمؤلف يتحدثنا عن : إقبال والفن ، وكيف أن إقبال تذوق الفن وآمن به كباعث للنور في دياجي الحياة ، وفي الفصل الخامس عن إقبال والمرأة ، وكيف اعتبرها مخلوقا بشريا له احترامه وتقديسه ، وليست حيوانا حقيرا كما زعم البراهمة ، وفي الفصل السادس والأخير : تحدث المؤلف عن النزعات الانسانية في شعر إقبال ، وكيف نظر إقبال بعين الحقيقة والواقع إلى العالم الحديث في أمراضه وأدوائه ، فوضع فلسفته الخالدة التي ارتأى لأنها وقود الخلاص وروح البعث الانساني ، والتزم فيها جادة الاسلام ، واتخذها سبيلا إلى الحرية بعد أن درس وبحث وفكر

إن الأستاذ الكيلاني قدم لنا دراسة شاملة عن إقبال وفلسفته ، صاغها في أسلوب أدبي رفيع .

الفهرس

صفحة

صفحة

- ١٢٩ ليس بعد الدين وازع
للأستاذ أحمد حسن الزيات
- ١٣٣ الشورى في الإسلام
لإمام المسلمين الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت
- ١٣٧ أوزان الشعر العربي
للأستاذ عباس محمود العقاد
- ١٤١ الاستعمار في الشرق الأوسط
للأستاذ الدكتور محمد البهي
- ١٤٧ السكرامة والعزة في القرآن الكريم - ٣ -
للأستاذ محمد محمد المدني
- ١٥٢ الدين وقومية في إفريقيا الجديدة
للأستاذ محمود الصرافى
- ١٥٩ الإمام عبد المجيد سليم د بقية السلف الصالح
في القرن العشرين
- ١٦٦ العصر الذهبي للتصوف الإسلامي
للدكتور محمد غلاب
- ١٧١ الإسلام في أستراليا
للأستاذ عطية صقر
- ١٧٦ من شعراء الوحدة : القاضي الفاضل
للأستاذ على المامرى
- ١٨٤ كيف نصلح النحو العربي ؟
للدكتور عبد الله درويش
- ١٩٢ أزهرى في روسيا
للأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ
- ١٩٥ الدين في عصر الحضارة الصناعية
للأستاذ محمد فتحى محمد عثمان
- ٢٠٢ حول الخطوة الثانية
للأستاذ عبد الرحمن العدوى
- ٢٠٥ الفريضة الإسلامية وحقوق الإنسان
للأستاذ عباس طه
- ٢٠٩ لغويات : « فاعل في معنى مفعول » :
للأستاذ محمد على النجار
- ١٢٤ رأى في نبى الإسلام بين الأنبياء
للأستاذ عباس محمود العقاد
- ٢١٨ في سبيل الوطن (مسرحية وطنية)
للأستاذ إبراهيم محمد نجما
- ٢٢٣ آراء وأحداث : لصاحب الفضيلة الأستاذ
الأكبر : المسلمون في الفلبين - [في مدينة
البعوث الإسلامية - بعثة الحج الصينية - والبعثة
الروسية - المسلمون في صيام - وفي باكستان -
من الإقليم الشمالى - كاتب إيرلندى كبير - مفتى
المالكية في الأحساء .
- ٢٢٩ العالم الإسلامى يستذكر اعتراف الشاه
ياسرأبيل : اجتماع كبير بمخيم الأزهر - الأزهر
والمؤتمر الإسلامى - مؤتمرات الإسلامىة -
كلية الأستاذ الأكبر - جبهة علماء الأزهر -
المجلس الصوفى الأعلى - جامعة التقريب - الجامعة
العربية في لبنان - وباكستان - وأندونيسيا -
حكومة العراق تستنكر - الحزب الإسلامى في
العراق - الاعتراف بجرعة
- ٢٤٣ بريد الأزهر : تطور في العراق - الأشهر
الحرم - حكم الدين في استحضار الأرواح -
مجاهد في سبيل الله - ماء زمزم بين الدين
والعلم - النحو الجديد - للمستثنى يالا .
- ٢٥٤ أبناء الأزهر : الأستاذ الأكبر يحيى السيد
الرئيس - حول الطلاق وتمدد الزوجات - في
العبد الثامن لثورة - سكرتير تحرير مجله
الأزهر - قسم للمحافة بالأزهر - في لجنة
العادات والتقاليد
- ٢٥٦ السكتب : محمد بن عبد الوهاب - الصراع
الفكرى في البلاد المستعمرة - رواث إقبال

have different points of view, unanimously agree that their nation should remain independent sovereign Arab state having its own ideals and values.

Thus when we borrow from others their way of thinking, their way of life and their means which leads to civilization and progress, we take only what we deem it good enough to help develop ours not to drag us away from our heritage.

Arab Nationalism thus is the framework of all our activities. It is not only a factor of awakening but also of outlining our obligations towards our society as well as our rights therein and of clarifying our relationships with others. It is not a provincial call which separates Arab people from the whole of mankind to make them superior to any other people. But it is a call to maintain the specific characteristics of Arab nation in order not to be melted in or absorbed by any nation. It is only meant to preserve the independence of Arab people, ascertain well understanding between them and others and urge them to uphold modestly

their glories. Arab nationalism therefore is a philosophical doctrine not a temporary political movement. It is an intellectual ideology and a mood of conduct simultaneously.

The more we are conscious of this ideology, the stronger is our resistance of imperialism. It is clear then that Arab Nationalism and imperialism can by no means be allies.

However, in our society as well as in our daily life there are still some remnants left over by imperialism which had been previously from amongst its main objectives. The more unity and brotherhood flourish, the use of the standard Arabic prevails and the faith in our spiritual values and ideals increase; the lesser these remainders become until they entirely vanish. On realizing this goal there will be no longer imperialism but comprehensive independence which preserves dignity and prestige of all individuals and facilitate the road for them to lead a course of dignified life in which mutual co-operation and good understanding prevail.

domination. This is simply because the Jews' main interest, which is nothing but the investment of their capitals, imposes on them to live scattered all over the entire world in order to employ their wealth in the different sections of the various countries. The easiest way to achieve such an aim is the non-concentration of their capitals on a limited land or a narrow area serving only the few millions of population. The history of the Jews as well as their psychological characteristics, which control their characters, show us without any doubt that their principal concern is thoroughly devoted to the increase of their wealths through the taking of usury not to maintain the sovereignty or the power or the dignity of the state.

The rôle of Arab Nationalism:

The role of Arab Nationalism might be conceived as the decisive factor which helped in the extirpation of seeds of sectarianism and fanaticism, and which diverted the attention of the Arabs into the characteristics which form the general structure of the Arab society and its peculiar personality. It is Arab Nationalism that aroused the Arabs from their slumber and referred them to their history with all its glories and heroisms, to their intellectual heritage throughout the ages and to

their spiritual and ever-lasting values as ordained by the Heavenly message. The impact of Arab Nationalism has not been undoubtedly a slight one. It has awakened a nation, integrated a people and proved that the Arab nation, from the Atlantic Ocean to the Arab Gulf, is an integral whole. It has expunged all traits of discord and the artificial demarcations which imperialists had made long time ago.

Therefore Arab Nationalism is to us a revival movement and a linking chain between our present and past. The philosophy of Arab Nationalism stipulates that we are only Arabs united and not influenced by fanaticism or sectarianism; and that our homeland includes all territories stretching from the Atlantic Ocean to the Arab Gulf.

Arab Nationalism as well defines the intellectual trends and noble objectives of the Arab society. According to this ideology our intellectual outlook should emanate from our traditions as well as our present existence, and our values, which enjoin unity and consolidation of our nation, should spring from our glorious history.

Arab nation, however, welcomes peace and opposes subjugation and aggression. All Arabs, though they

Moreover, imperialists search for other reasons which help increase dissensions and dissolution of the people. They search for the ideologies and doctrines in which people believe, go back to the past to look for the origins to which people belong and study history to find out successive civilizations which people had passed by in order to revive the tendency of ideological, tribal and cultural fanaticism. What imperialists were actually doing in the northern region of the United Arab Republic is good enough to prove this argument. Apart from their encouragement of the use of colloquial language and the negligence of the classical language, from their glorification of secular education and from looking sarcastically at religious tuition and at the institution wherein religious teachings are being studied i.e., Al-Azhar, Imperialists had been attempting to arouse Pharaonic fanaticism and disregard Arab Nationalism. Similarly they had been trying hard to arouse Assyrianism in Syria. Moreover, imperialists had been exerting unflagging efforts to awaken sectarian dissension between the Sunnis and the Shiis on the one hand, and to put a wedge between Muslims and Christians on the other hand.

They had been trying the same in Iraq - between the Sunnis and the

Shiis, and between the Arabs and the Kords - ,in Libya between the Sunnis and the Abadis, in Morocco and Algeria between the Arabs and the Barbers and in the Sudan between the followers of Al-Mahdi and those of Al-Marghani, and between the northerners and southerners.

Imperialists have realized lately that their treacherous conspiracies as well as their filthy trials were exposed to and foiled by the occupied countries as a result of their vigilance of the unifying factors such as Arab Nationalism in the domain of Arab world or as the call to Islam as a comprehensive way of life as is the case in Pakistan. Therefore colonialists have created a lot of disputes quite enough to consume a great deal of the political as well as economical activities of the occupied countries and which stand as a permanent source of peril threatening any country which seeks emancipation from the fetters of imperialism. To carry out its new plan imperialism has created many disputes; Israel in the middle east, for instance, and Kashmir in Central Asia.

However, Israel was not existed to be a nation but to be a lasting source of danger directed against all Arab nations if they ultimately attempt to terminate western trusteeship and get rid of foreign political and economical

the sublimity of human values.

This is simply because the human values emanate from man's moral standard and his sublime conduct as regards his relationship with other men which should be erected on co-operative, fraternal and amical foundations; whereas the advanced standard of industrial civilization is a mere result of machine and the mass production of industry. In spite of the fact that such machine is invented and directed by man, yet it is not necessary that this man should have a benevolent heart which is above selfishness and egoism.

Actually any people, when allured or instigated to quit their traditional past and believe in new ideas, are not at the same level. Some individuals have no resistance and consequently yield to such temptation and move heedlessly forward under the force of instigation; meanwhile some other individuals hesitate before they accept such propaganda and stick to their own traditions as an expression of their opposition to such an enticement.

The logical conclusion of such divergence of views is the disintegration of people's unity and the creation of two diverse trends; the traditional group which upholds the old values and the modern one

which embraces the modern ideas and shuns their old traditions.

The decomposition of the colonized people as such mentioned gives rise to conflict between the inconsistent parties. Imperialists then seize this opportunity to sow the seeds of dissension among people by supporting a party against another in a bid to widen the gap between them and thus stimulate sectarian conflict. Imperialists, when supporting their favourite stooges, employ them to carry out their imperialistic policy, while their antagonistic attitude towards the national elements means that they are no longer fit for modern life.

As soon as colonialists propagate their own language amongst their clients, the latter hasten to abandon their inherited language and use either this new imperialistic tongue or a mortal accent of their original language. This misuse of language leads to the weakening of bonds between the generations which rise and grow under trusteeship of imperialism and their initial language in such a way that makes it lose its characteristic as an outlet thereby the rising generations can overlook their past. And this is because it is no longer valid for such a purpose as long as the validity of any means lies in the possibility of making use of it.

intellectual and spiritual heritage, their language, their history their deep-rooted traditions and the foundations upon which their society is built in such a way that realizes severing the rising generations from such traditions, heritage and values, and weakening their grasps of their language and arts. Bye and Bye they will forget completely their past and abandon their traditional values. They will even feel ashamed to be related to such past or to mention such values or to use their own language. Consequently they will pay no attention to all these characteristics.

On realizing these ends, the imperialists step forward to win the people to the side of their principles, their way of life and their way of thinking. They as well circulate their own language, literatures and arts. As there is almost a gap between the colonists and the colonized countries in the field of economy and the standard of living of individuals, the imperialists always seize this opportunity to give evidence of their superiority as regards human values and degradations of human values amongst the colonized nation. Hence they create in the colonised countries an inclination to imitate their way of life and a desire to get rid of their own. This tendency in turn has an effect upon the past, legacy and

values of the exploited countries. They often look upon this past with a scornful glance and hold it responsible for their backwardness.

The impact of the industrial nations of to-day upon the backward nations in the field of industry is another example. It arouses a feeling amongst those nations that the superiority of industrialists is due to their advancement in the industrial civilization. Thus they are tempted to accept their values and ideals or at least they are conditioned to accept them. However, there is no tempting factor other than the said gap between the two parties. Such temptation has led so many Africans and Asians to fall under the ferule of such impact and to believe sometimes in the American civilization and thus stick to its human values, and to believe some other time in the Russian industry and therefore welcome the communist ideals. Their adherence to either side is not based on sound perception but they are only captured by the attraction of the industrial civilization in either party. Had they pondered a little and examined both Eastern and Western domains, they would have inevitably come to the conclusion that the advancement of the standard of industrial civilization does not necessitate

IMPERIALISM IN THE MIDDLE EAST

by

Dr. Muhammad El Bahay

Director General of The Islamic Culture
Administration

Imperialism in the Middle East, though it has various forms, usually serves one object that is the disintegration of peoples' unity in every country or provoking main disputes between one nation and another. Imperialism, though has revealed its aims since the beginning of the nineteenth century, yet its manoeuvres to concentrate and fulfil its aims in the middle east had been actually started in the seventeenth century.

The first form of imperialism is represented in the influence of capitalism through the establishment of firms or through trade and loans. Such foreign capitals, when settled in any of the middle eastern countries, are always accompanied by political influence as well as by intervention in the state's own affairs. Such intervention is almost followed by military occupation. The military occupation of India in 1856 and in Egypt in 1887, for instance, were preceded by the domination of foreign capital as well as by political intervention. They

were preceded too by acquiring certain authorities in directing the governmental affairs. The same was the case with the military occupation of Indonesia and North Africa from Morocco to Libya.

The imperialistic countries—to ensure their continual exploitation of the raw materials which they need to develop their national economy, of manpower to obtain these raw materials at low prices and of the local markets of the occupied countries to consume their own products—use another sort of imperialism characterized by its effective, far reaching, deep-rooted and long-termed effects. This sort of imperialism is meant to enable imperialists to achieve their goals or to subdue the exploited and occupied countries through guidance.

Imperialism in guidance.

Through such imperialistic guidance, the imperialists deal with characteristics of the people, their

Factual life shows us that nature always gives birth to more women than men. It treats men rather severely than it does with women. Societies too are naturally tending to become stronger. This is a fact which all ages prove its authenticity. Man too is destined by nature through the increasing of his effective power to lead a longer life than woman. Moreover man is always fit to carry out his sexual cravings while the woman on the other hand loses her suitability at certain Periods. There are too certain men whose sexual drive is so predominant that a single wife could not satisfy his cravings. To be chaste and upright he has to marry another one. Richness and poverty are due to reasons other than marriage.

Let us again set a question to settle that problem. Which is more reasonable to admit: the banning of plurality or the limitation of it with its effects of the abounding of unmarried women who will be

obliged under the pressure of their numbers and their inhibitions to go astray and lose their honour, in such a manner as observed now a-days in the eastern countries after they had imitated the westerners in their way of life which allows the secret births and the concubinage or the permitting of plurality under no conditions other than those enjoined by God even when one marries in each city a new wife bringing forth from each legitimate sons who know their father perfectly well and whose relation to that father is known to all people.

I call upon those who propose the limitation to tell me with is just and sound diverse wiver with legitimate children or concubines who seek pleasure everywhere and with every passerby bringing forth loose children who have no fathers. Which of the two is more admissible you who seek the limitation if you are really well versed in this Question and have sound minds.. ?

in modern times. The heavenly wisdom never considered that the existence of machination amongst them and amongst their sons an obstacle in the way of approving polygamy. This attitude denotes that the aims of polygamy from the point of view of the law-giver is beyond these petty things caused by natural jealousy and conspiracy.

The hatred which prevails amongst the fellow wives happens as well between the wife and her mother-in-law. Such is permissible from the point of view of law for although it entails evil yet it is a slight one in contrast to the numerous good it realises.

Although God the Almighty had known in anticipation that jealousy is a natural craving in women, yet He made the plurality of wives a legal deed in both ancient and modern times. The heavenly wisdom never considered such jealousy between wives and their children a cause for prohibiting polygamy. Such tendency proves that the advantages aimed at in instituting such plurality by the Law-giver outweigh such drawbacks as visualized in the natural jealousy which crops out in the hearts of women.

However the hatred which occurs between wives, takes place too between the wife and her mother-in law

yet such hatred is overshadowed by legislation because although it is evil in itself yet it is nothing if it is weighed against the plentiful good which marriage realises.

The Islamic Law never neglects.

The Islamic law after all never neglects to mitigate such natural jealousy by giving wise counsels, right guidance and admonitions with a view to lessen the effects of human jealousy to enjoin the leaders of the nation to work laboriously for realizing means of living and good education for the poor and their children. It always puts the blame of any shortcoming in attaining such ends on the shoulders of the Islamic governments which fail to support the means for bringing up good and powerful children through extending the opportunities of work for their citizens and safe guarding the rights of the labour.

To add to the aforesaid grounds which support the permissibility of polygamy, the other reasons which every one sees plainly in factual life we will find it is incumbent upon us to submit to the decree of the Islamic law as ordained by God that is to permit plurality and never try to put conditions to limit it other than those enjoined by God as prescribed in the holy Qur'an is to satisfy the justice between wives in its proper sense as meant by the Law-giver.

in both social and moral fields leaving them to satisfy their cravings by resorting to illegitimate intercourse with those who fell into their hands and have none to look after or defend their chastity against such raping.

Another plunder to the supporters of limitation,

7 — The supporters of the proposed limitation have made the poverty and the inability to nurture their children and those whose expenses are their responsibility a basis for their demand of limitation of plurality of wives. This tendency means that they permit the rich to marry more than one wife as he wishes and ban the poor to marry another wife.

If it is feasible to make poverty and richness a basis for permitting plurality, the result ought to have been the very reverse of what they had concluded. It should be the permission of plurality to the poor and the banning of it to the rich, for the poor have sympathy with each other and are ready to co-operate in their search for attaining a living. The man as well as the woman spends every effort possible to contribute for realizing a good living to their family. The poor has nothing to give as a favour to one of his wives. On the other hand the

wives of the rich always look covetously to his wealth. He has the means which enable him to favour profusely any one of them. Such favouritism will lead to dissension and disintegration. So long the husband is rich and able he will be looked upon from the unfavoured wife as partial and turning altogether away from her. The poor's income and expenses are well known to his wives in detail and needs no suspicion.

The hatred which arises as a result of plurality amongst wives and their children is originated from a natural jealousy which can not be evaded. Such jealousy has existed in the upper classes of women i.e. amongst the mothers of the believers. Such existence had never stopped plurality for plurality realizes good deeds which outweigh the evils of such jealousy.

The ways of machination and conspiracies were practised amongst the children of the fellow wives in the higher classes. In this we can quote the example of Joseph and his brothers. However such natural tendencies could not be taken as a pretext to stop the enactment of legislation the advantages of which are great.

God the Almighty who realises that jealousy is a natural element in the souls of wives, has made plurality of wives legitimate in olden as well as

thinkers on facing such perilous situation with one exception that our call will find neither heed nor support.

That polygamy is continually decreasing is well attested by the census made by the Egyptian Administration of statistics in 1943. The table drawn by this administration showed that the percentage of men marrying two wives had dropped in a period of ten years from 4.49 % to 2.95 % and the percentage of men marrying three wives had dropped from 0.29 % to 0.17 % and that of those marrying four wives from 0.04 % to 0.02 %.

Such results imply a warning that polygamy is coming to an end and that the people are tending to give it up as a result of their disregard to marriage itself as a principle satisfying themselves through friendships and entertaining girl friends.

Our needs call reversal legislation.

6 — Such behaviour will lead the nation to moral deterioration from which the westerners had complained and from which an oriental nation had suffered. Their experience in that should urge the sensible people of our country to restrain from this tendency aiming at the limitation of polygamy or its abrogation to save

their country from the bad effect of demoralization. Instead they should think of a way to limit celibacy and to encourage marriage. In the meantime they have to plan for a legislation that aims at realising a reversal end to that preconceived by the supporters of the law prementioned. They should account for a plan to encourage polygamy by offering at least a premium to those who marry more than one to help them shouldering the expenses of life if they are not rich enough and to urge others to follow their steps.

However it is against common sense in the field of vital legislation to plan a legislation for prohibiting a deed which is in its way finality and non existence. A legislation is always resorted to as a means to prevent the rush of the citizens into actions which lead to troubles in their lives and expose them to fall in the meshes of evil. We never heard of a law issued with a view to help or to instigate people to fall into the abyss of evil. As well we never heard that such a law could find a supporter or a defender.

In the light of the proofs which we have previously mentioned we can judge that the legislation proposed to limit polygamy is a means to help people to rid themselves of the noble ties which have good effects

religions and legislations. So they turned to Islam to borrow its panacea and legislation.

It is unright however to take such narrow point of view when we are trying to make a legislation missing the other side which the nature of the two sexes dictates, and the law of God ordains and thus leaving both man and woman under the control of the cravings of nature and the traditions of the universe to be obliged to response to the call of nature and to indulge in adultery. To this effect God the Almighty has gently draw our attention by saying "You shall not force your slave-girls into prostitution in order that you make money, if they wish to preserve their chastity.

An admonition from the east:

To quote another example I will refer you to the life history of an oriental nation which was bred in the bosom of Islam. Then by time It was overcome by western tendencies to disentangle her from the ties of religion. It turned a deaf ear to Islam and adopted civil law under the ferule of which it issued a law in 1926 prohibiting the polygamy. It is astounding to state that eight years of issuing that law the government was appaled by the rise in the number of secret births, secret

marriages and hidden deaths of children. To prove this refer to the statistics issued by Ustaz Mohamed El Tabi the well known Egyptian writer in Akhr saa Magazine No. 556 published on the third of June 1945. He had collected these statistics personally while on a visit to Turkey.

Figures Speak :

Again if we refer to statistics concerning marriage lives and especially those of polygamy we will find out that the percentage of married people is decreasing as a result of the reigning of the idea of marriage avoidance in the minds of the young generation and as a result of their negligence to the rules of virtue. It is noteworthy to see that they not only had abandoned polygamy but they also had rid themselves of marriage itself as a rule. It is feared that if matters go ahead on such lines and I am sure it will; celibacy will then prevail and Polygamy disappear completely. By then the evils will increase and the situation will become very serious. Complaints will be incessantly raised. Thus we shall face the same situation which the French government had faced in 1901 and we shall be impelled to call for a reform as such which had been called for by the western

ed for its causes. Being a woman I always look at these girls with a heart rending from sadness and pity. But what will my pity and sadness even if they are shared by the whole nation do for them and contribute to lend a hand in saving them. No use of expressing only our sorrow for such miserable case. The situation needs action to prevent such abuses. God bless that great thinker Thomas who have realised the real cause and prescribed the effective panacea. It is the permission of plurality of wives. By such permission all evils could be evaded and our girls would become landladies and owners of homes. The root of all evils is the ban of polygamy and forcing upon the European citizen to marry only one. This restriction is the real cause for the going astray of our girls and the real motive that actuates them to share the men's jobs. The evil will abound and become more serious if plurality is not permitted.

Had polygamy been permissible such awful situations would have not happened.

She went on lamenting the misfortune of her sister girls whom the laws have prohibited their enjoying the home life by banning Polygamy.

This serious case which the French government had called for

its treatment and which that English writer had described is what we fear to become very serious in our country as a result of youths' avoidance of marriage and as result of banning the plurality of wives or its limitation.

It is the case the Premises of which and the motives of which are reigning the behaviour of the young generation to-day.

It is the case which the Holy Koran had aimed at its cure when it made plurality legitimate and expanded its practice. The Koran says with a view to urge people to marry.

"All women other than these are lawful to you provided you seek them with your wealth in modest conduct, not in fornication".

Again the Koran says with a view to urge the marriage of women.

"Marry them with the permission of their masters and give them their dowry in all justice, provided they are honourable and chaste and have not entertained other men.

Fornication and entertaining other men are the main spring of evil which befell the western nations leaving them unable to find out panacea arising from their own

prevalent causes such as poverty, mal-elevation of the parents, the severity of the master, the labourer and the remarriage of one of the parents after the death of the other the vicious society and the breakdown of the child's nervous system as a result of bad treatment and the ignorance of health preserving rules. It is the main duty of the governments alert to the needs of the nations and eager to raise their standards to combat such causes effectively. But plurality of wives has no effect in that direction to be counted as an effective cause to be combatted by issuing a law with a view to either its abrogation or limitation. However if we compare this low percentage caused by plurality with the percentage of foundlings and children buried alive picked up by the police and the citizens from the lanes and back sheets, the main cause of which is the avoidance of marriage and the abundance of widows, we shall find out that in the light of such comparison, we have to shun completely such percentage of vagrancy and to unite all our efforts to rid our society of such foundlings by searching for their real causes and trying to eradicate them completely.

A warning from the West :

If we carry on such research we would be able then to recognise and confess as the western writers have already recognised and confessed that the law of plurality of wives has a great effect on the increase of the percentage of foundlings and the buried above children. The western thinkers have realised this fact since the beginning of this century. Both their reformers and speakers have confessed it and made it a subject of their speeches and sermons. In the conference held by the French government in the year 1901 to discuss the best ways to combat the spread of debauchery, the question was raised. In the debate it was said that the number of foundlings picked up from the county of Seine only and put into the county's asylums to be nurtured at the expense of the government was about 50 thousand. Such foundlings were raped by some of the tutors who looked after them. The foundlings themselves commit adultery with each other with no restraint.

An English writer had treated this question as well. She said : " The girls who are going astray in our country have abounded. It is a serious question leading to the spread of debauchery but no one has taken it into consideration or even search-

future and what chances are hidden for them.

Justice as referred to in the verse though absolute, yet it is mentioned to denote a special aspect of Justice that is the justice between wives. Such view is accounted for by the explicit declaration of the second verse "ye will not be able to deal equally between your wives". It is also backed by so many traditions of the prophet concerning the equal dealing between wives. No commentator or jurist has said that such justice comprises the ability to afford the expenses of the origins and offsprings and the ability to nurture his children.

The Justice meant by the Koran and by the traditions of the prophet is demanded in both richness and Poverty.

The rich is ordained to deal justly with his women in the light of the traditions of his own environment. The poor as well is ordered to deal fairly with his wives under the circumstances prevalent in his environment. The justice demanded by the verse means that the husband should not turn altogether away from one wife and turn wholeheartedly to another leaving the former as in suspense. It is clear thus that the explanation of justice as concei-

ved by the supporters of the limitation of plurality is a misconstruction and a deviation from the authentic meaning of the verse.

The factual causes of vagrancy.

As to vagrancy which they referred to as an effect of polygamy, it is enough to confute their plea by quoting what was mentioned in the statistics made by the office of social service concerning vagrancy; its causes and effects. Therein the office after minute research has come to the conclusion that the percentage of vgrancy caused by polygamy is only 3. / such percentage is equal to the percentage caused by the severity of home in treating the child and the severity of the master in treating his servant.

No doubt this is a low percentage which could not stand as a reason for deciding that vagrancy is an effect of polygamy and as a basis for demanding the limitation of such plurality which has on the other hand social and moral advantages that immensely outweigh the disadvantages entailed by such percentage.

It is beyond doubt that vagrancy is a social disease which should be cured with a view to its eradication if possible. This end could be realized by waging a war against its

advantages of polygamy and its *raison d'être*. They have deliberately shunned discussing the good points which support the need for such plurality. In fact it was incumbent upon them to deal fairly with the subject by weighing its good points against its bad ones and try comparing between its advantages and its disadvantages for this is the right way which should be followed to evaluate justly a subject matter with two opposing effects: good and bad. Such comparative study will help them to give the verdict to the dominant side.

It is a well attested fact that wherein the good overweighs the evil in any institution one should stick to such institution for the scarcity of evil compared to the plenty of good is always overshadowed in case of legislation. However there is no legislation whatsoever though abounding with good that has no scarce evils which exist side by side with the good ones. Life itself by nature is not rid of evils caused by abnormalities and eccentricities. Such abnormalities never stopped legislations which ensure plenty of good to all citizens.

The justice meant by the verse :

3 — The supporters of the plan have expatiated upon the explanation of the meaning of justice mentioned in the vers "And if you fear that

you can not do justice (to so many) then one only" by saying that the plurality is only permitted when there is no fear of injustice either to the wives or to any other of his kith and kin. By so saying they put into consideration that on permitting a man to having a second wife he should satisfy the condition of ability to afford the expenses of those whom he is responsible for their sustenance whether of his origin or offspring and to rear and educate his sons whom he will bring forth from his two or three wives. Plainly this tendency is rather strange for it is supposed that he who marries a second or a third wife is doing so to defend himself against the evils which he may be exposed to during the periods when the wife loses the adaptability to sexual intercourse and to defend his country against the evils entailed in the outnumbering of women to men as a result of the Pressure of life and the wear and tear of time. Undoubtedly such satisfaction to an urgent need with a view to save himself and his country, has a priority in consideration to the ability to afford the expenses of his origins and offsprings. It has nothing to do with the possibilities of inability to nurture and educate expected children who may come or not. However on coming no one could foretell what would be their

PLURALITY OF WIVES IN THE LIGHT OF SOCIAL CASES

A Plan for the limitation of Plurality

by

His Eminence Shaykh Mahmoud Shaltout
Rector of Al-Azhar University

From time to time a controversy takes place concerning the plurality and its social drawbacks. Sometimes these controversies turn to be attacks implicitly waged against the permissibility of such plurality. Not only had plurality been attacked ostensibly but also motions have been raised to ask government to issue laws with a view to limit such right or even to abrogate it. The most conspicuous of such motions was that backed by the Egyptian ministry of social Affairs in 1945 when it had planned for issuing a law to the effect of restricting plurality by giving the right of permission to the judge in sharia courts who has to examine each case minutely and to investigate the behaviour of the man who applies for a permission to remarry and to inquire into his way of life to find out whether he can treat his second wife fairly and mannerly and whether he can afford the expenses of such wife over and above the expenses

of his first wife and his kith and kin.

Referring to the explanatory notes of such plan in its different stages one will come to the conclusion that all these motions were actuated mainly by one fixed idea that plurality disintegrates families, corrupts the offspring, shoulders the government with heavy burdens as a result of the increase of vagrants and delinquents and severs the family ties. These notes however concluded by stating that had plurality been only weighed by its bad effect on the education of the new generation and that it leads to the neglect of such education, it would have been enough to call for issuing a law to prohibit remarriage for those who cannot afford it.

The supporters of the plan overshadowed the advantages of plurality.

This Summary shows that the supporters of the idea of limitation of plurality have overshadowed the

with carelessness, his logic with obstinacy and his peaceful conduct with provocation. Thus he forced Al-Hussein to fight a desperate battle and cut off all access to the Euphrates, hoping to reduce him by thirst and killed him together with his family in such a barbrous way which makes one shudders when recalled.

— 3 —

The memories of two great events come to mind with the advent of Al-Muharram every year. The first is the memory of the Hegira of the Prophet which is celebrated in commemoration of the liberation of the Muhammedan Call from the siege of Meca, the upsurge of the heavenly message at Medina and the emancipation of humanity at large from the servitude of ignorance.

The second is the memory of Al-Hussein's assassination which is a great day of mourning over the filched right as well as over a unity which was split and is still so ever since.

Therefore Muslims recieve their new year of Hegira in two different ways and feelings. For some it brings with it the delightful memory of the victory of the first Great Immigrant i-e, Muhammad and so is an occasion for festivity and rejoicing while for others it is a sad and gloomy day when they recall the martyrdom of the noble striver i. e, Al-Hnssein and

thus regard it as a great day of mourning. Had our unity been comprhensive we would hav met this new year with one feeling and one heart, would have left aside this tragic calamity which seperated brethren and subdued faith and would have committed judgement between disputants, who no longer exist, to God, the Lord of resurrection to forgive or condemn. Such a stand is worthy of this monotheist nation whose leaders, whom God Almighty has chosen to renew His faith and unify His word, are on their way to realize the unity of all hearts in order to bridge the gulf between the different sects and reconcile all interests thus putting an end to disunity and starting a period of harmony and co-ordination.

However, this divergence of views and emotions had emerged from an old dispute between two of the prophet's companions; and it is not in the least wise for Muslims to-day to stick to such a dispute or behave according to its sordid spirit. Providence does not create evil but gives liberty and welcomes unity as well as amity, and if we misuse such a blessing or disregard this unity we are sure to suffer but have only ourselves to blame, and it is not in the least fair that fathers should eat sour grapes and the childrens' teeth are set on edge.

Mu'awiyah; a policy that favoured tribal kinship over Arab nationalism and preferred political interests to religious matters. It was largely due to his entrusting the caliphate to his reckless son Yazid, who was obsessed by prejudice, employing rather unsound and imperfect measures.

The children of Ali, having inherited from him the prophetic and apostolic gifts which he himself inherited, by virtue of his birth and training, took up opposition with the sincerity of the true believers. They led the reformation movement with the audacity of the warrior and followed their father's footsteps in their rule. They had neither fallen in the abyss of egoism nor tried to be separatists. They had never employed money to attain their aims or aroused tribalism or had they ever been opportunists.

The triumphant world, however, started to ignore piety and asceticism. Hence, religious incentives had no longer the power to restrain those who had been indulging in lavish and luxury in Syria and Iraq. The sons of Ali failed therefore as a result of the tyranny of the government as well as the deception of the people. It was painful then for Al-Hussein to see that the message of his grand-father had become nothing but propaganda; the caliphate of his

father a royalty and the unity of his people utter dispersion. Therefore he made a solemn pledge to settle forcibly this unjust deviation. Thus he appealed to the different tribes and clans to offer him their support, but unfortunately his appeal did not fall on favourable ground. Being disappointed he destined to seek support in another direction. Hoping that he might find such a help from the Shi'is of Iraq who had already given him their word through their messengers and messages as to pave the way for him and instigate the people to swear fealty to him. Al-Hussein thus intended to go there in person accompanied by not more than eighty of his people including his wives and children repeating to himself all the way the same words he wrote to his brother Muhammad in his bequest, : "I am not out for wealth but seeking reformation of my grand-father's people. I want to enjoin what is right and forbid what is wrong. He who accepts my plea I have nothing against him, but whosoever opposes me, I will exercise patience till God, who is the best Judge, decrees His decision between me and him."

But Yazid's army, which was entirely formed from the Iraqi people, blocked his way to Al-Kufah. Its commander; Ibn Zeyad, who had hostile feelings against Al-Hussein and his family met Al-Hussein's patience

the heavenly seeds had never grown, and a shifting from a people who kept off man from the way of God. The call of truth at Mecca was just like rain sent down by God on a sandy desert; part of which penetrated deep in the earth while the other was blocked by the solid rocks. Under the force of the great pressure it gushed forth from beneath these rocky barriers forming floods in valleys, streams in villages and rivers in towns and cities. It carried to all people fertility and abundance providing them with nourishment and prosperity. It awakened the dead earth, satisfied the peoples thirst and ensuing construction, civilization and good.

The immigration of the Messenger to Madinah meant the upsurge of Islam which pervaded the entire world offering guidance of the restless souls, peace to the belligerent universe and amity to the divided hearts. It realized the dream of man who had been victim of aggression and subject to oppression. It has realized for him the long sought dreams for a brotherhood that would emanate bliss, an equality upon which justice is erected and a freedom that nourished understanding. The "Hegira" or the era of the Hijra according to which the wise and great Caliph Omar had

made the Muslim calendar, was an epic that was inspired by God, that drove its very spirit from the morals of Muhammad and whose success was based on the truthfulness of the Arabs. It has echoed in the hearings of successive generations and centuries, and stood as a striking example to be followed by the leaders of humanity, to teach them how to be patient in times of hardships, steadfast in time of dissensions, courageous in face of tribulation and martyrs in the cause of the belief.

Moreover, the Hegira was the solid ground upon which the prophet had established the unity of the Arabs which was later on consolidated after the seizure of Mecca. It is noteworthy to state that the prophet's wise successors had proccaded on the same line and consequently ascertained this unity by linking all Arabs under a democratic and free system, as well as under an impartial theocratic rule. Thus mastery was based on religious foundations not tribal interests.

— 2 —

Soon afterwards this grand structure leaked profusely when the great dissension took place and strong disputation arose over the caliphate between Ali and Muawya, or let us say between the Hashimides and the Ommeyyads. It was also due to the policy of the first Ommeyyad

were really the darkest nights in the history of the call. The swords of treachery were raised in the hands of lads who had been chosen from amongst the tribes of Kuraish and who were watching over the dwelling place of the prophet with an open eye. Ali, the prophet's cousin, was inropped in the messenger's cloak in order to impose on the men outside that he was the wanted man i.e., the messenger, and thus keep them from looking for him elsewhere. The immigrant, who ran away with his message from the subjugation of blasphemy, was taking refuge in the cave in the remote end of Mecca, strengthening himself by the remembrance of God and reassuring himself by patience telling his companion who was trembling with fear and unable to control himself: "never grieve. There is no doubt that God is by our side".

Morning came and with it the trick was exposed to the plotters who began looking for him everywhere by all means until they reached a point where they could overtake the messenger and his companion. When God whose will was that His word would prevail and His religion survive. He blinded their eyes and shook the ground under their feet. Muhammed, his companion, his guide and his servant went away within sight of the dis-

believers taking the rough and deserted route until they reached Yathrib (Medina). In this sacred city the seeds of the call flourished and the light of God prevailed thanks to the exercise of patience, truthfulness, faith and manhood. The prophet united the scattering group, unified the bonds of religion and was preparing for the sacred struggle (Al-Jihad). He linked between the hearts of Al-Aws and Al-Khazrag tribes, made the immigrants and the companions brethren and held a peace treaty between the Muslims and the Jews. In Madinah God's army was formed which opened Mecca and the entire world.

The immigration of the messenger, however, was not a flight from death as it was maliciously held by the western writers. Had it been a matter of life the messenger could have given up the Call and stayed safe and secure amongst his people. But it was rather submission to God's command as the prophet had stated in his own words to his uncle: "I swear by God's name that if they put the sun in my right hand and moon in my left hand to give up this message. I would never do so until God makes it prevail or I am willing to die in it".

The immigration was a mere coming out from a land in whose soil

SOME MEMORIES OF AL-MUHARRAM

Immigration in the Way of God, martyrdom in the way of truth

by

AHMED HASSAN EL-ZAYAT

Editor - in - Chief

God sent the messenger Muhammad after the break in the series of the prophets. This was truly the dark age of the world. Religion was corrupted; the standard of morals fell low; false beliefs and heresies arose. Poverty and ignorance were prevailing in the Arab Peninsula. The messenger, peace be upon him, was subjected to unlimited hardships through foolishness of the heathens, from the domination of materialism, from the plotting of the fanatics, from the yoke of poverty and lack of support. God only helped him to overcome such adverse circumstances. He provided him with a power of His Own and strengthened his faith as well as his morality.

Muhammad, though poor and weak, undertook the message of God, while Abou Gahl carried out the mission of the devil, meanwhile enjoying wealth and authority. There-

fore he made of Makkah a seat of dissension which obstructed the way in the face of the messenger and hindered the spread of his call and the proclamation of the word of God. Muhammad was moving on land full of agitation and troubles. Whenever he went Abou Lahab met him with persecution, humiliation and ill-treatment. Every Kuraishi then was following the steps of both Abou Gahl and Abou Lahab except those whom God had preserved.

The disbelievers of Mecca and Al-Taif inflicted all sorts of torture upon the prophet, his family and his companions in order to enforce him to give up the call. The prophet never gave way. So Iblis (the devil) obtained admission to their council (Dar Al-Nadua) and confirmed death to the messenger. But God Almighty delivered him.

The nights of the cave of Thawr

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
المستشار
أمانة إجماع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦٢١٤

يشارك في التحرير
عبد الرحمن محمد العقاد
بدل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
ولمدرسين والطلاب بنصف غرام

الجزءان الثالث والرابع - ربيع الأول وريبع الآخر سنة ١٣٨٠ هـ - المجلد الثاني والثلاثون

سما الله الرحمن الرحيم

شهر ربيع الأول في حياة الرسول

بقلم : أحمد حسن الزيات

برسالته . ومن همسات هذا السر أن شهر ربيع الأول هو شهر اليمن والخصب والجمال في العام ، وأن يوم الإثنين هو يوم القمر عند القداى وللقمر شأن مذكور في الإسلام . فهو ميقات للناس والصوم والحج ، وشعار للأمة والمسلة والدولة . وعلاقة الأقدار والحظوظ بالفصول والبروج والأيام لا تزال من الأسرار المغيبة في فطرة الإنسان . فلو أن شهر ربيع الأول جعل بدءا للسنة الهجرية ، وأن يوم الإثنين جعل يوما للراحة الأسبوعية ، لكان ذلك متفقا مع تاريخ

من الموافقات العجيبة في حياة الرسول صلوات الله عليه أن شهر ربيع الأول كان شهره من بين الأشهر ، وأن يوم الإثنين كان يومه من بين الأيام ، فيوم الإثنين من الأسبوع الثاني من شهر ربيع الأول كان يوم استهلاله في مكة ؛ ويوم الإثنين من الأسبوع الثاني من شهر ربيع الأول كان يوم هجرته إلى المدينة ؛ ويوم الإثنين من الأسبوع الثاني من شهر ربيع الأول كان يوم انتقاله إلى الرفيق الأعلى . ولهذه الموافقات سر يعلمه من اصطفاه على خلقه واصطنعه لحقه ، واختصه

الهجرة ، و جلالة الذكرى ، ومكانة الرسول ، والسيادة للدين ، والحكومة للعرب ، والدنيا للجميع !

— ١ —

ثم درج يتيم الأبوين في دروب مكة وشعابها وأوديتها يتمرس بالحياة على أسلوب قريش ، فرعى على بعض أهله ، وسعى لبعض قومه ، ثم اتجر بمال زوجته . وكانت عناية الله ترعاه في كل طور وفي كل مرحلة . عاله وهو يتيم فقير ، وكفله وهو راع صغير . ووقفه وهو تاجر أجير . ثم شاء الله لأمر يريده أن يصنعه على عينه . فأدبه بأدبه ، وعلمه من علمه ، وعصمه من أرجاس الوثنية وأوزار الجاهلية ، فلم يشرب الخمر ، ولم يأكل الربا ، ولم يلعب الميسر ، ولم يشهد اللهو ، ولم يعن وجهه لصنم ، حتى صار اليتيم العديم سيداً للجزيرة ، والراعى الصغير راعياً للعالم ، والتاجر المتجول فاتحاً للأرض ، والظاهر النزيه مهياً لتلقى الوحى وتبليغ الرسالة .

وحينئذ انفتح باب من السماء على غار حراء تنزلت منه الملائكة والروح على أهل الأرض ، وانبثقت فيه الشعاعة الأولى من وحى الله على قلب محمد : فهبط الصادق الأمين من فوق جبل النور يحمل المصباح بالهدى ، ويحمل على الشرك بالتوحيد ، ويحمل في سبيل الدعوة إلى الله أذى أئمة الكفر من قريش .

الهجرة ، و جلالة الذكرى ، ومكانة الرسول ، وقداسة الشهر .

ففي يوم الإثنين الثانى عشر من شهر ربيع الأول للسنة الثالثة والخسين قبل الهجرة كان الفضاء الرحب الصافى بين بيت إبراهيم بالمسجد الحرام ، ودار السيدة آمنة بشعب بنى هاشم بمكة ، مستبجحا لأجنحة الملائكة ومسبجحا لأرواح الأنبياء ، يمدون الله ويشكرونه على أن تدارك الخليفة من جديد ، باستهلال هذا العربي الوليد . وكان العالم قبل مولد محمد بن عبد الله يضطرب فى الباطل ، ويتخبط فى الضلال ، ويتبسط فى المنكر

كهيمة عمية قاد زمامها

أعمى على عوج الطريق الأعوج
كان يسوق هذه الهيمة من الشرق الفرس على ما هم فيه من انحلال وفساد ، ويقودها إلى الغرب الروم على ما هم عليه من إباحية وفسوق . وكان إيوان كسرى وبلاط القيصر يتنازعان الولاية على الأرض ، بالكفران والطغيان والقهر . فلما قام بينهما فى مكة مهد العربى اليتيم هزته يد الله فتصدع لهزته الإيوان ، وتطامن لهيبته القصر ، وهتف بالعاقلين العظميين من جانب الغيب هاتف يقول : أليوم ينتهى تاريخ وينتدى تاريخ . ليس بعد اليوم ملك ولا كاهن ولا سيد .

--- ٢ ---

بنصر الله أوغلت . وإذا انقضت المدة ،
لم تنفع العدة ، ؟ فرد عليه المشفق المحذر :
« أسلك سبيلك حيث شئت ، فهذا عزم لا يفله
إلا الله » .

* * *

كانت الهجرة المباركة حداً فاصلاً من نور الله
بين الإسلام والجاهلية ، وبين الوحدة
والوثنية ، وبين القومية والعصية ، وبين
الإنسانية والحيوانية ، وبين ليل مظلم طال
في الهول والويل والضلال ، وصباح مسفر
ضاء بالآمن والسلام والهداية .

تسنى بعدها للرسول بفضل الله أن يفطم
المشركين عن الشر بالحكمة والقوة ، وأن يربي
المسلمين على الخير بالموعظة والقدوة . لجادل
المنكرين بمنطق القرآن ، وجاهد المكابرين
بمنطق السيف ، حتى جاء نصر الله والفتح
ورأى الناس يدخلون في دين الله أفواجا
فسبح بحمد ربه ، واطمأن على مصير دعوته
وشعبه ، وأخذ يسن السنن ويوضح المعالم
ويبين للناس ما لم يتبعوه من بعده فما ضلوا
ولا ذلوا . فلم تمض عشرين سنين على الهجرة
حتى كان الدين قد كمل ، والنعمة قد تمت ،
والقرآن قد ختم ، والعرب قد تهيأوا للولاية
الأرض وحكم الدنيا . فخرج صلوات الله عليه
حجة التمام ، وخطب في عرفة خطبة الوداع ،
أشهد فيها الله على أنه بلغ الرسالة وأدى الأمانة
وخرج من المهدة .

وفي يوم الإثنين الثامن من شهر ربيع الأول
للسنة الأولى من حادثة الفيل كان أذى قريش
لرسول الله قد بلغ حد الانثار به ليقتلوه .
وكان صلوات الله عليه قد رأى قفار مكة
المشركة قد جفت على غرس الدعوة فلم يخرج
نباته إلا نكدًا توشك السموم أن تأتى عليه ،
فهاجر به تحت عين الله إلى البلد الطيب الذي
اختاره الله ليكون قاعدة لصرحه وحقل
لغرسه وجمعاً لقوته ومناراً لهداه . وهناك
بالصبر والصدق والإيمان والثبات والجهاد
والخلق والرجولة ، أثمر الغرس وتم النور
واتحدت الكلمة واتسعت الرقعة ، فصارت
المدينة دنيا ، والقلة ملة ، والقرى ثلاث
وهي مكة والطائف ويثرب قارات ثلاثا هي
آسيا وأفريقيا وأوربا . وأصبح الإسلام الذي
بدأ بخديجة وعلى وأبي بكر وزيد دين الناس
ودنيا العالم ، يقف به في آخر المغرب عقبة
ابن نافع على شاطئ المحيط الأطلسي ويقول
وقد خوض جواده في الماء : « اللهم رب محمد !
لولا هذا البحر لفتحت الدنيا في سبيل إعلاء
كلمتك ، اللهم أشهد ! . ويتجه به إلى آخر الشرق
قتيبة الباهلي ويأبى إلا أن يوغل في بلاد الصين
فيقول له أحد أصحابه محذراً : « لقد أوغلت
في بلاد الترك يا قتيبة ، والحوادث بين أجنحة
الدهر تقبل وتدبر ، فيجيبه قتيبة : « بثقتي

وكقسط الليل المظلم يتبع آخرها أولها !
 ألا وإنكم لا تمكثون على شيئا . إني والله
 لم أحل لكم إلا ما أحل القرآن ، ولم أحرم
 عليكم إلا ما حرم . ألا وإن عبداً من عباد
 الله خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده فاختار
 ما عند الله . ثم أمسك . فأدرك الصديق
 أن الرسول يريد نفسه فأجهش بالبكاء وفداه
 بالأنفوس والبنين . ثم خرج من المسجد فدعا
 لأسامة بن زيد بالخير وأمره أن يسير بجيشه
 إلى غزو الروم . وارتد إلى بيته فتمكس النسكة
 التي انحزل عنها العلاج ، وانطفأ منها السراج ،
 وغام بعدها الأفق ، ونجمت في أرض السقيفة
 بذور الفرقة . فلم يبق بين أيدي الناس
 إلا كتاب الله يهتدى عليه الضال ، ويرجع
 إليه الشارد ، ويستقيم به الطريق .

هذا هو شهر ربيع الأول ، وهذه هي أثنانيه
 الثلاثة ، لخصت حوادثها تاريخ الرسول ،
 وسجلت مواقيتها أطوار الرسالة . فكانت
 إطاراً للصورة القدسية التي صاغت يد الباري
 المصور لتسكن جمالاً للتاريخ ومنالاً للإكبار .
 ومشكاة للبصباح الإلهي السرمدي الذي يوقد
 من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية
 يكاد زيتها يضيئ ولو لم تمسسه نار .

من أجل ذلك وجب الاحتفال بذكري
 هذا الشهر . وهذا اليوم ، ومن أجل ذلك
 استحب في أيام الإثنين الصدقة والصوم .

أصم من الزبات

وفي ذلك اليوم نزل عليه قوله تعالى :
 واليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم
 نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ، فعلم أن الله
 قد نعى إليه نفسه واصطفاه لجواره .

— ٣ —

وفي يوم الإثنين الثاني عشر من شهر ربيع
 الأول للسنة الحادية عشرة من الهجرة لحق
 بالرفيق الأعلى . وكان قد حم عليه الصلاة والسلام
 منذ أسبوعين قضاها في برحاء الحمى بين
 وجهها وغشيتها لا يفتر عن ذكر الله ولا يغفل
 عن أمر دينه . وكان أشد عليه من وجعه أن
 ينقطع عن المسجد وأن يؤذنه بلال بالصلاة
 فلا ينهض لها . وفي آخر يوم من أيام المرض
 وجد صلوات الله عليه خفة في جسده فعصب
 رأسه وخرج من بيت عائشة متاقلاً تخط
 قدماه الأرض وهو معتمد على علي والفضل
 ابني عميه ، حتى أتى المسجد والناس يقيمون
 الصلاة ، فلم يكادوا يرونه مقبلاً حتى أخذتهم
 هزة الفرع وفرجوا صفوفهم له فخطا بينها
 حتى جلس إلى يسار أبي بكر وصلى قاعداً
 وراءه . فلما قضيت الصلاة صعد المنبر ،
 وكان قد علم أن مرضه الشديد قد جراً بعض
 المنافقين على الانتفاض والردة فوثب الأسود
 بالين ، ومسيلة باليامة ، وطليحة في بني أسد ،
 فقال بعد أن حمد الله واستغفر لأهل أحد :
 « أيها الناس : سرعت النار ، وأقبلت الفتن

موالاة الأعداء وموقف الإسلام منها

لإمام المسلمين الأكبر

الشيخ محمود سلتوت

إن الأمة الإسلامية شخصية قوية كونها الإسلام عن طريق محور التعصب للجنس والاعتصام بمبدأ الخير العام والرحمة الواسعة والعدل المطلق، ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم، وبذلك تكون الجماعة الإسلامية مهما اختلفت أجناسها، وتباعدت أقاليمها، وتباينت ألوانها وألسنتها، تدور في اتجاهاتها وأعمالها في مدار المبدأ الثابت الذي لا يتغير ولا يزول، ولا يعتريه نقص ولا أقول، فتسرى إليها روحه فتشط في رفع شأنها والقيام بواجبها، تعم ولا تخرب، وتصلح ولا تفسد، وتعديل ولا تظلم، وتعرف مالها وما عليها من حقوق وواجبات، وبذلك تسمو الحياة، ويسعد الناس. وفي سبيل هذا المبدأ الذي يدعو إلى الترابط على أساس من الخير أمر القرآن بالنضحية في هذا السبيل بالنفس والمال والولد، وجعل الأخوة الإيمانية هي الأساس، يحس كل إنسان بإحساس أخيه كما تحس كل أمة بإحساس غيرها فيعم السلام الأرض، وبهذا كله تتحقق للمسلمين شخصية بارزة لها هيبتها ومكانها، ولها سلطانها وآثارها، وتتحقق بها سعادة البشرية عامة. وصونا لهذه الشخصية أن تتعرض للضعف والانحلال حرص القرآن على تقويتها وحذر التحذير كله من الميل إلى ما يضعفها أو العمل على ما يفسدها أو يقلل من شأنها.

ولقد كان من أبرز ما حرص القرآن على التحذير منه موالاة الأعداء الذين يكفرون بهذه الشخصية التي كونها الإسلام وبنائها ودعم بناءها في رباط قوى وتماسك متين، ويجدر بنا في هذا المقام أن نسوق بعض الآيات التي عرضت للنهي عن موالاة الأعداء وحشت على البعد عنهم وعدم الاقتراب منهم، يأياها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عندتم قد بدت البغضاء من أفواههم وماتخفى صدورهم أكبر. وتقديراً لهذه الشخصية واحتفاظاً بها

مصطرع الحياة ومعتركا وفي ترابط المسلمين وقوتهم ، وفي وحدة العروبة وتماسكها ، هذه الشرذمة الطاغية الباغية التي طألتا عاثت فسادا في الأرض وتسكرت للبهادى وهدمت القيم .

هؤلاء هم الذين أبوا الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم الذين أوجدوا الطائفة الثالثة بين المسلمين والكفار فكانت عبثا ثقيلا في المجتمع ، هم نقضوا عهودهم مع الرسول وكفروا بالحسن وحرفوا الكلم عن مواضعه ، وما ألوا الأعداء وتحزبوا معهم لإطفاء لنور الله وخانوا الرسول ، وهموا بقتله ، ودسوا له السم في الطعام فنبأه الله بنياتهم وعصمه من شرهم وسلطه عليهم فشردوا بما كسبت أيديهم وبما كانوا يفسقون . « إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون . الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون . فإذا تثقفنهم في الحرب فشردهم من خلفهم لعلمهم يذكرون » . وكم من شر أصاب المسلمين على أيديهم . وما غزوة الأحزاب التي زلزل فيها المسلمون إلا أثر من تفكيرهم وسوء تدبيرهم .

وهكذا فعل بهم الرسول صلى الله عليه وسلم ،

ولإحياء لهذه المعاني السامية التي تظل بها الأمة الإسلامية مرهوبة الجانب شديدة القوة نهى عن هذه الموالاة ولو لمن كانوا آباء يجب برهم أو إخوة تلزم صلتهم ومودتهم فقال : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان » . « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم » .

ولكن الأهواء الذاتية والمصالح الفردية قد تسد على بعض الأشخاص طرق الهدى فتعميهم عن مواطن القوة والإيمان وتعم آذانهم عن دعوة الخير ، وذلك حين يتخلون عن الاعتصام بالله واتباع هدايه ، فإن الاعتصام بالله دائما طريق الخير وسبيل الفلاح . فإذا ما طلعت المصالح الفردية وسيطر الهوى على بعض النفوس ألقوا بأنفسهم بين أحضان الأعداء مسارعين إلى ما يرجون من تحقيق نفع خاص ، وبذا يتعاونون معهم على حساب دينهم وأمتهم . « فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين » .

إن من أشد الناس عداوة لنا اليوم في

فشردهم وأدبهم ثم خلفه أصحابه فتعقبهم وأغمدوا سيوف الحق في رقابهم لأنهم عوامل شر ومثيرو فتن وجامع أحقاد وأضغان ، فلا بد من كبتهم وقتل هذه النزعات الشريرة فيهم ؛ ليستقيم أمر الجماعة الإنسانية ويصلح شأنها ويسودها الأمن والاستقرار والسلام الذي تنشده الحكمة للبشرية جمعاء ، وإن يهود اليوم لأسوأ حالا من أسلافهم ، عادوا إلى أخلاقهم فتحركت كوامن الضغن فيهم فهم يحاربون الله ورسوله ويفسدون في الأرض ، ولأنهم ليجدون في فترات متعاقبة من قوى البغي وعوامل الشر وسوا أعداء الفساد ما يغريهم بقوى الحق والإيمان ، ولكن الله وهو الغيور على عباده وضعهم من حيث لا يشعرون بين شقى الرحى ، بين عوامل التهلكة من جانب ، وبين وحدتنا وتماسكنا وإيماننا بحقنا في الحياة الكريمة من جانب آخر . إن القرآن الكريم ليسجل أن اليهود أشد الناس عداوة للؤمنين ويجعل عدوانهم للؤمنين في مستوى عداوة المشركين الذين لا يعترفون بالخالف ولا يؤمنون به ، اقرأ قوله تعالى : « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا » .

ولقد اغتصب اليهود جزءاً من الوطن

الإسلامى العربى عزيزاً علينا ، أخرجوا منه أهله وسلبوا أموالهم وشردهم في الصحراء فأصبحوا بلا مأوى ، أيمدوا النساء ، ويتموا الأطفال ، فأضاعوا حياة الملايين وحرموهم متعة الحياة ، والغصب في طبيعته عمل مذموم حرمة الشرائع السبوية ورفضته القوانين الوضعية ، فلا عجب أن يكون حكم الله في موالاة هذه الشرذمة أو الاعتراف بها كدولة تقيم في أراضينا المقدسة مهبط الوحى ، وموقع المسجد الأقصى ومصلى الأنبياء لا عجب أن يكون حكم الله في مثل هذا العمل أنه لا يتفق وإيمان من يقدم عليه أو يقوم به ، وهو من أقوى أنواع الموالاة التي جاء القرآن بالنهى عنها وتحريمها والبعد عنها ضماناً لسلامة الأمة وحرصاً على كيانها . إن المسلمين أمة واحدة تجتمع على رأى واحد وهدف واحد وغاية سامية واحدة ، وذلك مصدر قوتها في كل حين تقوى فيه ويعلو شأنها ويتألق نجمها ، ويد الله مع الجماعة ، ومن شذشذ إلى النار ، فلئن حاول لإنسان أن يمد يده لفتنة باغية يضعها الاستعمار لتكون جسراً له يعبر عليه إلى غاياته ويأج منه إلى أهدافه ، لو حاول إنسان ذلك لكان عمله هو الخروج على الدين بعينه والنكوص المعقوت : لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من

دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء ، ، ويقول تعالى : « بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيتبعون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً » .

الفكرية أو المساعدة المسالية ، أو ترويح سلمهم بيعاً وشراء ، فإن ذلك كله موالاة لهم تثبت أقدامهم ، وذلك كله خطر يهدر في حكم الشرع والدين دم القائمين به وبجعلهم في حكم الخارجين على الجماعة الإسلامية .

هذا هو ديننا يضع الخطط أمامنا واضحة والمعالم ظاهرة والصراط مستقيماً ونحن اليوم نبلى ونختبر فهل نحن مضيعون هذه الخطط وتلك المعالم ؟

إننا اليوم في حاجة إلى طرد هؤلاء الغاصبين وعودة أحساب الأرض إليها فكونوا أيدوا واحدة ولا تتناقلوا فإن التناقل عن رد عدوانهم أو مد يد المعونة العملية في كبح جماحهم موالاة الأعداء .

إن خصوم المسلمين اليوم هم خصوم دينهم ، حفدة اليهود الخائنين أخلاقهم من أخلاقهم ، كيد وإفساد . وقد ابتلانا الله بهم فخذوا حذركم منهم ولا تمدوا أيديكم لهم « ومن يتولهم منهم فإنه منكم ، إن الله لا يهدي القوم الظالمين » .

إن إسرائيل لا تقف أطماعها عند حد ، تمتد خططهم المدبرة فيما بينهم وبين الممالئين لهم إلى امتلاك البلاد العربية الإسلامية ؛ ولذا كان واجب المسلمين والعرب أن تجتمع كلتهم لدرأ هذا الخطر ، وأن يتبعوا عن كل ما يقوى هذه العصبية الطاغية سواء أكان عن طريق الاعتراف بها أم المعونة

أيها المؤمنون : « قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم ، هداًنا الله ووجهنا إلى الخير وحفظ أمتنا من دعاة الفرقة وموالاة الأعداء ، « وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » .

محمود شلتوت

خاتمة الأنبياء

للأستاذ عباس محمود العقاد

محمد رسول الله وخاتم النبيين .

عقيدة يصدقها المسلم تصديقه بعقائد الدين ، ولكنه يفهمها كذلك فهم المرم للحقائق العلية والقضايا المنطقية ، لأنه إذا فهم النبوة بصفاتها المقررة في الإسلام علم أنها نبوة تختتم بها النبوات وتفتح بها في التاريخ الإنساني رسالة الرشيد والضمير والإلهام .

إن ختام النبوات خاصة محمدية ، ولكنها خاصة لا يستأثر بها محمد عليه السلام لنفسه . لأن الخاصة التي يقتضيها تاريخ الأمم جميعا تعم كل مؤمن بالدين وكل مجيب للدعوة ولا تخص صاحب الدعوة في حياته ولا بعد مماته .

وقد يفهم المسلم ذلك بغير مشقة ، ولكنه على وضوحه للؤمنين بالرسالة المحمدية يساق عند غيرهم من المتدينين ومنكرى الأديان مساق الغرابة ، ويسمى بعضهم فهمه ، كما يسمى أدبه ، فيزعم أنها أثره لصاحب الدعوة يغلق بها أبواب النبوة على سواء كما يخلق صاحب

السطوة أبواب الملك على من يليه من غير أهله أو من يصطفيه .

ولاحاجة في هذا المقام إلى مناقشة المنكرين في أمر الإيمان بختام النبوة دون غيره من أمور النبوات الدينية على تعددها واختلافها ، فإنهم يبدون بإنكار كل نبوة فاتحة قبل أن ينكروها خاتمة ، ولا يقولون بضرورة النبوة ولا بنفعها في زمن من الأزمان ، فلا فرق عندهم بين الزمن الذي يستجاب فيه للأنبياء والزمن الذي لا يستجابون فيه ، وكلاهما عندهم زمن يستمع فيه لشيء لا يجوز الإصغاء إليه .

لكن المتدينين الذين يستغربون ختام النبوة إنما يستغربون في الواقع أمراً ينساق إليه المصدقون بالنبوات سواء فطنوا إليه عن فهم وروية أو أخذوه مأخذ العادة التي لا تحتاج من معتادها إلى تعليل . فقد آمن بختام النبوة كل من آمنوا بنبوات التواترة ، وقد ختم بعض هؤلاء دعوات الدين جميعا بما دانت به سلالة واحدة لا يوحى الله إلى غيرها ولم يوح إلى أحد من قبلها فيما اعتقدوه ويعتقدونه حتى اليوم .

الآحياء ، وخاصة الضمير المسئول الذي يحمل تبعته ولا تغنيه عنها شفاعاة ولا كفارة من سواء .

لأنها نبوة فهم وهداية وليست نبوة استطلاع وتنجيم ، ولأنها نبوة هداية بالتأمل والنظر والتفكير وليست نبوة خوارق وأهوال تروع البصر والبصيرة وتروع الضمائر بالخوف والرهبنة حيث يعيها قبول الإقناع .

لأنها نبوة مبشرة منذرة لا تملك لهم نفعا ولا ضرا ولا تعمل لهم عملا غير ما يعملونه لأنفسهم - بمشيئتهم إذا اهتموا بهداية العقل المتدبر - والضمير السليم : « قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ، إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون » .

نعم . ولا إغراء ولا مساومة على قربان أو جزاء بين الأخذ والعطاء : « قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إنى ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلى . قل هل يستوى الأعمى والبصير أفلا تتفكرون » .

وقد جاءت سمعة المعجزة مبشرة لصاحب هذه النبوة يوم مات ابنه إبراهيم وكسفت

وليس إيمان المسلم بخاتم النبيين على نحو من هذه الغرابة فى التصديق ولا فى التفكير . لأن النبوة التى ختمت النبوات فى عقيدة المسلم هى الدعوة التى تدوم مدى الزمن ، لأنها تكلل العقيدة إلى العقل وتقيم العقيدة على الإيمان برب واحد هو رب العالمين .

كانت الأمم - قبل البعثة المحمدية - تفهم أن النبوة استطلاع للغيب وكشف للأسرار والمخبات ، يستعينون بها على رد الضائع وإعادة المسروق أو الدلالة عليه ، ويستخبرونها عن طوابع الخير والشر ومقادير السعد والنحوس .

وكان من تلك الأمم من يحسب أن النبوة وساطة بين المعبود وعباده للتشفيع وتسليم القرابين .

وكانوا يطلبون وساطة الأنبياء دفعا للنوازل التى يستحقونها أو تنزل بهم لأنها قضاء مبهم يتوقعه الصالحون العارفون ويسألون المعبود فى رفعه قبل نزوله .

فجاءت نبوة الإسلام بجديد باق لم تسبق له سابقة فى الدعوات الدينية ، ولا حاجة بعده إلى تجديد ولا استطاعة فيه للتجديد ، لأنه يخاطب فى الإنسان صفته الباقية وخاصته الملازمة ، وهى خاصة النفس الناطقة بين

العقيدة ، ولكنك لو عرضتها على مؤرخ ينظر في أدوار التاريخ - كائنا ما كان معتقده في الدين - لم يستطع أن يختتم دور الذوة في تاريخ الإنسانية بدعوة من تلك الدعوات على جلالة شأنها وبعد أثرها في العصور اللاحقة بعصرها ؛ لأنها جميعا قد بدأت و انتهت قبل أن توجد في أذهان الناس فكرة الإنسانية العامة وفكرة الإنسان المسئول المحاسب على أمانة العقل والضمير .

فنبوات بني إسرائيل لم تزل مقصورة على سلالة بشرية واحدة تنزل بحاضرها ووعود مستقبلها عن سائر الأمم ، وعيسى عليه السلام قد نقل الرسالة ثقلة واسعة حين أدخل أبناء إبراهيم بالروح في عداد أبنائه بالجسد ولكنه أدى رسالته وبقى الإنسان بعده محتاجا أشد الحاجة إلى رسالة تخلصه من الاعتماد على غيره في النجاة من أوزاره والتكفير عن سيئاته والنهوض بتبعات صلاحه وتربية روحه ، ولن تفرغ أمانة النبوة في تاريخ الإنسانية قبل أن توجد للإنسانية فكرة عامة في نفوس أبنائها ، ولن تختتم النبوات قبل أن يوجد الإنسان الذي يخاطب بخطاب العقل ويحاسب بحسابه ويحمل تبعاته على عاتقه ويشترك على سواء بينه وبين إخوته من البشر في عبادة إله واحد هو رب العالمين أجمعين ، وليس بالرب الذي

الشمس فظن الناس أنها كسفت لموته وأبى النبي الصادق أن يسكت عليها فتكلم ليعلمهم (أن الشمس والقمر آيتان ... لا تخسفان لموت أحد ولا لحياته) .

وخلق بذوى العقل ، وأولى الأبواب ، أن يصدقوا هذا النبي حين يقول لهم : إن المعجزة لا تنفع من لا يتفجع بعقله وضميره ، ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون ، لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون .

فإذا جاء النبي بهذه الرسالة التي تكل الإنسان إلى « خاصة إنسانية » لانفارقه وتعطيه البيئة من شهوده فيما يراه حوله ولا يغيب عن حسه وفكره ، فأين تنتهي هذه الرسالة ؟ وماذا تعمل الرسالة التي تأتي بعدها لتنسجها وتخلفها ؟ ... إنها لا تعمل إلا أن تنسخ العقل أو تعود به كرة أخرى إلى القرون الأولى ، وليست هذه ولا تلك بدعوة يحتاج إليها إنسان من الراشدين بعد أن وكل إلى هدايه ، فمن لم يكن من الراشدين فحاجته إلى المعلم الذي يده له ما فاته من هداية النبوة ألزم من حاجته إلى نبي جديد معيد لما تقدمه ، كما أنه يسقط واجب التعليم .

ولقد تقدمت نبوة الإسلام دعوات كثيرة من أكبر الدعوات شأنا في تاريخ

رسائله لا يحيلها إلى النبوة الإسلامية بقواعدها وأركانها .

* * *

إن اختتام محمد للنبوات عقيدة يصدقها المسلم بوحى إيمانه ، ولكنها كذلك حقيقة علمية يفهمها بفكره ويشهد دلائلها في العصور الغابرة كما يشهدا في عصره مؤتمراً بأوامر دينه .

وإنه ليطيب للكثيرين من أبناء العصر الحاضر الفخورين بعلومهم ومخترعاتهم أن يهتفوا قائلين : (نحن في عصر العلم . . نحن في عصر العقل . . نحن في عصر الحقائق الواقعة . . نحن في عصر آيات الطبيعة) .

فليهتفوا بذلك ما طاب لهم أن يهتفوا ، وليذكروه ويعيدوه تحدياً لما شاءوا من النبوات إلا النبوة التي ختمت جميع النبوات . لأنها هي قالت للناس قبل أربعة عشر قرناً ما يقولونه الآن ، وهي أوحى إليهم أنهم يعيشون بعد اليوم بهداية بصائرهم ، وما يبصرونه من آيات تلك الهداية في مشاهد الطبيعة ، وأسرار الخلق ، وبراهين العيان . وكل أعجوبة من أعاجيب العلم فهي جزء من معجزات هذا الدين ، الذي جاء به خاتم النبيين : « وأبصر فسوف يبصرون » .

عباس محمود العقاد

يخلق نعمته لسلالة واحدة من خلقه أولعشيرة واحدة يدركها الخلاص بفضل لم تفضله . وحساب لم تضعه في موازينها بعمل يمينها .

فلما جاءت نبوة الإسلام صح في حكم العقل أن تختتم بها النبوة لأنها حاضرة في كل وقت يحضره الإنسان العاقل المسئول وتحضره آيات الله لقوم يعقلون : « إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » .

ونقول : إن ختام النبوة - بعد الدعوة المحمدية - قد صح في حكم العقل . ولنا أن نقول كذلك : إنه قد صح في حكم الواقع والتاريخ ، فإن العالم الإنساني الذي تعاقبت فيه النبوات قبل محمد صلوات الله عليه لم تظهر فيه نبوة مسموعة بعده ، ولم يظهر فيه غير أذعياء النبوة الذين ذهبوا ولم يستمع إليهم أحد في حياتهم أو بعد مماتهم ، ولم يظهر فيه من أولئك الأذعياء أنفسهم من يستند إلى

موقف الإسلام من التطور الاجتماعي

وفقاً لمقتضيات العصر

للأستاذ الدكتور محمد البهي

بينهم يسعون جميعاً لتحقيق هدفه ، والتعاون
جميعاً في سبيل بقائه .

إن الإنسان البدائي لا يكون مع إنسان
آخر بدائي مثله ، مجتمعاً ، وإنما يتكون منه
ومن نظيره ، مجموع ، تخضع العلاقات بين
الأفراد فيه للأناية ، ولغريزتي حب البقاء ،
والدفاع عن النفس دون سواهما من الغرائز
الاجتماعية السائدة في الإنسان والتي لم تبرز
بعد بتأثير التوجيه والإيقاظ . ومن ثم
لا تعرف هذه العلاقات السلم إلا عند مواجهة
ضعيف لقوى بين الأفراد ، أما قاعدة التعامل
فهى الاحتكاك عند السعى نحو ما يسد حاجة
البطن أو ينفس عن شهوة الفرج . ليست
هناك علاقات في واقع الأمر بين أفراد
المجموع إلا بمقدار ما يقع بينهم من احتكاك
واضطدام من أجل تحقيق ما أشرنا إليه من
هدف : ليست هناك علاقات أسرية . أى
ليست هناك علاقات أبوة وبنوة وأمومة ،
وأخوة ... إلى بقية أنواع القرى في الأسرة ،
التي تقوم على الدم المشترك ، والوراثة العقلية
والمادية ، والوضع الذي لهذه الأسرة . نعم

لكي يتضح الكلام في هذا الموضوع يجب
أن يشرح أولاً : معنى التطور الاجتماعي ،
ويشرح ثانياً : مقتضيات العصر .

معنى التطور الاجتماعي :

والتطور الاجتماعي هو تطور علاقات
الأفراد بعضهم ببعض ، بحيث يكون
الجانب الاجتماعي ، أو بحيث تكون النظرة
إلى رعاية الفرد للفرد لا تقل عن رعاية للفرد
لنفسه . التطور الاجتماعي هو نمو علاقات
الأفراد في دائرة المشاركة الوجدانية ، والتعاون
في سبيل العمل المشترك والخير العام للجميع ،
بدلاً من استمرار الفردية ، وتحكم الأناية
التي توحى بها طفولة الفرد ، وطفولة المجتمع .

ولكي ندرك معنى التطور الاجتماعي إدراكاً
لا لبس فيه نعود إلى الجماعات البدائية ، التي
لم تع بعد العلاقات المشتركة ، ولم تقر بعد
بالوجود المشترك بين الأفراد ، ولم تقر
كذلك بالهدف المشترك الذي يصح أن
يجتمع عليه فريق من الناس ، وجملة من
الأفراد ، وبقيمون بسبب ذلك ، مجتمعاً ،

الافراد - كلما برز المجتمع ، وكلما وضحت
الامارات مع وجوده القوى .

فإذا أدرك أفراد الأسرة فعلا علاقات
بعضهم ببعض ، وارتبطوا فيما بينهم على
أساس من التعاون والرعاية المتبادلة عند
الازمات التي تجسد بينهم ، أو تطرأ عليهم
من غريب عنهم ، وعرفوا حدود ما يجب
أن يفعل ، وما يجب أن يترك في سبيل هذا
التعاون وفي سبيل تلك الرعاية ، ووقفوا
على أن لهم جميعا هدفا واحدا هو أن تبقى
أسرتهم ، وتبقى قوية عزيزة ، في مواجهة
غيرها من الأسر - هنا يكون الوعي الاجتماعي
قد تيقظ بين أفراد هذه الأسرة وأخذ طريقه
نحو غايته ، ينتقل من مرحلة إلى مرحلة
أقوى منها ، حتى يصل الأمر بينهم إلى تكتل
أو وحدة .

وإذا ما تجاوزت أسرة مع أسرة في
العلاقات ، وارتبطت معها في الهدف - هنا
يكون المجتمع الكبير قد تأسس . فإذا ما اتسع
نطاق العلاقات المشتركة ، والترابط إلى عدد
من الأسر ، أو إلى كثير من الأفراد - عندئذ
يكون المجتمع الإنساني قد قطع جملة من المراحل
في سبيل وجوده ، وفي سبيل بقائه أيضا .

وهكذا : النمو الاجتماعي يسير في اتجاهين :
بينما يتجه نحو الامتداد والاتساع ، يتجه
أيضا نحو العمق والغور . أى في الوقت

ينسل الأفراد بصلة الذكر بالأنثى بحكم التفاعل
الطبيعي بين الموجب والقابل . ولكن قلبا
يوجد الشعور بنوع القرابة الأسرية . على
معنى أنه قلبا توجد هناك رعاية من أب لابنه ،
أو رعاية من ذكر لأنثى أنتج منها ولدأ .
وعلى معنى أنه قلبا يوجد هدف هو المحافظة
على الأسرة ، بالسعى في توفير العيش لها ،
وبالدفاع عن أفرادها ، إن احتاج الأمر إلى
الدفاع عنها ، وصيانتها من الإباداة أو الإفناء .
بل كثيراً ما يصطدم الذكر الأب بالأنثى
الأم ، أو يصطدم الأب بابنه ، والأخ
بأخيه في سبيل الحصول على لقمة العيش .
وكثيراً لا يعرف الذكر عند الاجتماع بالأنثى
حرمة لأمه ، ولا لأخته ، ولا للأخريات
اللواتي لا يقرن المجتمع ، نكاحهن من أفراد
معينين لأنهن محارم لهم . ولهذا ليس هناك
حد لتعدد الزوجات ، وليس هناك إطار للحل
والحرمة في التزاوج . بل ربما لا يوجد رقم
معروف يحدد الأفراد الذين ينتمون إلى نسل
رجل واحد في علاقته بعدد من الإناث .

فإذا ما ابتدأ الأفراد يحددون علاقاتهم
بعضهم ببعض . ويدركون الإطار الذي
تدور فيه هذه العلاقات - هنا يبتدىء قيام
المجتمع ، وكلما تحددت علاقات الأفراد
بعضهم ببعض ، وكلما وضع الإطار الذي
تدور فيه هذه العلاقات ، وبالتالي وضحت
الأهداف والغايات التي يسعى إليها هؤلاء

وتحرير المرأة ، على معنى تمكينها من أداء وظيفتها فى الأسرة كأم ، وفى المجتمع كعضو يقع عليه عبء تلمية طبيعته كأنثى - من مقتضيات العصر .

والدعوة إلى تعاون الزوجين ، وإلى منع التعسف ، والتحكم من القوى ضد الضعيف ، وإلى البر ، والتهديب فى معاملة كل منهما للآخر من مقتضيات العصر .

والدعوة إلى عدم إساءة استعمال الحق ، فى الجوار والمعاملة - وبالأخص بين الزوجين - من مقتضيات العصر .

لكن الدعوة إلى تحرير المرأة ، على معنى أن تكون رجلا آخر فى صورة امرأة ، فذلك ليس من مقتضيات العصر ؛ لأنه ضد طبيعة المرأة نفسها ، وضد التطور الاجتماعى ذاته . إذ التآلف ، والتواد ، والمحبة بين الأفراد ، التى هى نهاية التطور الاجتماعى ، لا تتحقق إلا إذا وقع انسجام بين الأفراد وتحول فيما بعد هذا الانسجام إلى تآلف ، وتواد ، وتحاب . والانسجام لا يكون بين متشابهين تماما . بل كلما كانت هناك مفارقة بين الطرفين ، وكلما كان هناك خروج عن التشابه التام بينهما - كان ذلك أدعى إلى الانسجام بينهما . إذ عندئذ تكون حاجة كل منهما إلى الآخر أمراً واضحاً ، وبذلك يكون التعويض ، ، والتعويض مبدأ دورى

الذى يسعى فيه إلى جمع أفراد كثيرين ، يسعى أيضا إلى تعميق العلاقات بين هؤلاء الأفراد ، وتقوية الروابط الإنسانية المشتركة بينهم . وعمق العلاقات بين الأفراد ، وقوة الترابط الإنسانى بينهم يبدو أولا : فى التعاون المشترك ، وثانيا : فى المحبة والأخوة . وبعبارة أخرى يبدو هذا وذاك فى تحقيق أهداف الإنسانية وهى التحرر من السيطرة الحيوانية ، وسيطرة الغرائز ، وسيطرة الطفولة ، على العلاقات بين الأفراد .

مقتضيات العصر :

وإذا كان التطور الاجتماعى هو التحرر من سيطرة الحيوانية ، والغرائز والطفولة البشرية ، أى التحرر من سيطرة الفردية والانانية - فمقتضيات العصر إن كانت دافعة على هذا التحرر تكون من عوامله ويكون التطور عندئذ أخذ طريقه الطبيعى نحو غايته الأخيرة ، وهى الإنسانية فيما تتميز به من محبة ، وتعاطف ، وتواد بين أفرادها .

وبذلك تحدد مقتضيات العصر تبعا لتحديد معنى التطور الاجتماعى نفسه ، وليس تبعا لما يوضع من رغبات ، ويوجه المجتمع نحوها بعض الكتاب والمفكرين .

فالطائفية ، والحزبية ، والمذهبية ، والعصية ، والقبلية ، لا تعد من مقتضيات العصر .

عاطفة الأنوثة، وتكون لها الإرادة الصلبة التي للرجل، ذلك الإنسان الذي مارس الحياة، وارتاد صعابها وأزماتها؟ وأية امرأة تريد رجلاً له التكوين الرقيق الذي للأنثى في عضلاتها؟ وأية امرأة تريد رجلاً تسيطر عليه العاطفة فيكون متردداً في قوله وفي تصرفاته؟ يميل حسباً تتجه به الرياح، وحسباً يكون التأثير عليه.

وهنا تكون «الرياسة» أو «القيادة» في المجتمع أمراً طبيعياً يقوم على طبيعة هذا المبدأ الضروري. على معنى أن يكون هناك راع، وتكون هناك رعية، وأن يكون هناك قائد أو رئيس، ويكون هناك من يتوجهون بتوجيهه، ويتبعون قيادته. ولو فرض أن الأفراد جميعاً أروداً أن يكونوا رؤساء لما كان إلا احتكاك بينهم. ولو فرض أنهم جميعاً مراء وسون بدون رئيس لما كان هناك مجتمع، ولما كان هناك سبب يحملهم على الانقياد في اتجاه واحد، وغاية واحدة. وعندئذ يكون الاحتكاك والاصطدام السائد على العلاقات بينهم إن كانت هناك علاقات.

وهنا ندرك: لماذا يعبد الله؟ ولماذا يجب على الناس جميعاً أن يخضعوا لقيادة موجه واحد، هو الله سبحانه وتعالى:

إن عبادة الله يفرضها هذا المبدأ الطبيعي للوجود. وهو مبدأ «التقابل» الذي هو

في الحياة، لأنه يتجاوب مع مبدأ آخر هو أصل الحياة نفسها وهو «الثنائية»: الفاعل والقابل. والموجب والسالب. فلو لا هذه الثنائية، ولو لا هذا التقابل بين القابل والفاعل، والموجب والسالب لما اجتمع أمران، ولما وقع انسجام في الحياة إطلاقاً.

إن «التشابه» الثام بين شيئين سبب من أسباب الاحتكاك والاصطدام، وليس سبباً من أسباب الالتقاء والانسجام. إذ عندئذ كلاهما لا يشعر بحاجة إلى الآخر، أو كلاهما لا يرى أن به فراغاً يسده الطرف الآخر. فتساوى الرجل والمرأة في الإرادة أو عدم الإرادة مدعاة إلى الفارقة بينهما وليس إلى اللقاء والانسجام، رغم أن هناك مفارقة أخرى بينهما هي الذكورة والأنوثة. والتشابه في الصفات الجسمية وفي تكوين البدن، وفي ملامح الوجه بين الرجل والمرأة. سبب من أسباب الفارقة، وإن كانت هناك مفارقة أخرى هي الذكورة والأنوثة، فالمرأة تريد رجلاً. أي تريد إنساناً مقابلاً لها في الخصائص النفسية والبدنية. والرجل يريد امرأة، أي يريد إنساناً مقابلاً له في الخصائص النفسية والبدنية. عندئذ يكون اللقاء بينهما أمراً طبيعياً، ويكون الانسجام بينهما ظاهرة اللقاء الأول. أي رجل يريد امرأة تكون لها عضلات الرجل؟ وأي رجل يريد امرأة تتجرد عن

فإذا كان معنى الإنسانية الأخير — كما شرحنا — هو لقاء الإنسان بالإنسان ، ومودة الإنسان للإنسان ، وأخوة الإنسان للإنسان ، وتعاون الإنسان مع الإنسان ، ومحبة الإنسان للإنسان — فالإسلام جاء ليوقظ فى الإنسان هذه المعانى وينمىها فيه ، ويحثه على رعايتها وعلى أن يتمثلها فى سلوكه وتصرفاته .

الإسلام جاء ليدفع الإنسان إلى الخروج من الطفولة البشرية إلى الرشد الإنسانى ، أى أنه جاء لتطوير المعنى الإنسانى فى الإنسان ، جاء لتطوير المعنى الاجتماعى فى الإنسان ، فليس المعنى الإنسانى إلا ذلك الترابط الاجتماعى . وإلا تلك العلاقات بين الأفراد التى تؤسس على التعاون ، وعلى شتى أنواع الرعاية بينهم . وقد رأينا أن معنى البدائية هو التفكك فى العلاقات بين الأفراد ، أو هو سيطرة الأنانية والفردية ، أو بعبارة أخرى سيطرة الحيوانية والغرائز ، دون ما يتميز به الإنسان من خصائص وينفرد به عن بقية الكائنات الأخرى الحية التى لها الحركة والتى لها السعى فى سبيل حب البقاء .

الإسلام جاء فحث على التعاون فقال : « وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، حث على البر فقال : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق

أصل الانسجام فى الحياة ، ومطلوب الإنسان فى حياته أن يكون منسجما مع نفسه ومع من عده فى وجوده الخاص والعام :

والنظور الصناعى فى وقتنا المعاصر إذا كان فى خدمة الإنسانية فهو فى خدمة التطور الاجتماعى ، وعندئذ يكون من مقتضيات العصر . ومعنى كونه فى خدمة الإنسانية أن يبقى الإنسان ذا سيادة ، وألا تكون الآلة هى السيد . معنى ذلك أن يستخدم الإنسان الآلة فى رفع مستوى معيشته ، وفى وضعه الاجتماعى وفى تخفيف المرض ، وفى إزالة الجهل والامية وفى التنوير والتبصير بالحياة والكشف عنها لا أن يكون عبدا ذليلا لها تفرض عليه الرق والعبودية ، ويكون مسخرا لها . إذ عندئذ تصبح مصدرا للقلق والاضطراب ، وبذلك تكون معوقا له عن أن يصل إلى الهدف الأخير للتطور الاجتماعى ، وهو التعاون ، والتواد ، والتحاب بين الناس جميعا .

البر — مكرم وموقف من التطور

الاجتماعى وفقا لمقتضيات العصر :

الإسلام هو رسالة السماء إلى البشر على هذه الأرض ، هو رسالة الله للناس جميعا ، لافرق بين عربى وأعجمى ، أى لافرق بين فرد وآخر ، جاء ليهدى البشرية إلى الطريق الذى يصل بها إلى تحقيق معنى الإنسانية فى حياة الإنسان

فالإسلام إذ يقول: «ولقد كرّمنا بني آدم». لا يقصد بتكريمهم إلا أنه ميزهم عن غيرهم بالخصائص الإنسانية. والله إذ أرسل الرسل برسائله لم يقصد إلا أن يمكنهم من الطريق الذي يهديهم إلى تحقيق هذه الخصائص في سلوكهم وتصرفاتهم.

وبهذا إذا فهم التطور الاجتماعي على نحو ما شرحنا، وفهمت مقتضيات العصر في ظل التطور الاجتماعي - كان الإسلام مصدر دفع لهذا التطور، مصدر تقدير لهذه المقتضيات التي من شأنها أن تدفع إلى هذا التطور.

أما إذا أريد بالتطور الاجتماعي مذهب سياسي خاص، أو مذهب سياسي معين فالإسلام نظام مستقل يتلام مع ما يتفق معه في الهدف والخطوة، ويتنافر مع ما يختلف معه في هذا وتلك.

وإذا أريد بمقتضيات العصر ضروب خاصة من التصرفات في المجتمعات القائمة - فقبل أن يحدد موقف الإسلام: سلبي أو إيجاباً منها، يجب توضيحها أولاً.

والإسلام على كل حال ليس إلا ذلك النور الذي يهتدى إلى الصراط المستقيم. وليس الصراط المستقيم إلا ذلك الطريق الموصل إلى غاية الإنسانية. وهي التواد، والتعاون، والتأخى، والمحبة.

المكتور محمد البرهوي

المدير العام للثقافة الإسلامية

والمغرب، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والنبيين، وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب، وأقام الصلاة وآتى الزكاة، والموفون بعهدهم إذا عاهدوا، والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون». حث على الإحسان فى المعاشرة فقال: «إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها»، وعلى الأخص بين الزوجين فقال: «فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان، حث على العدل فقال: «وإذا قتلتم فاعدوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا»، حث على رعاية البشرية وصيانتها من الظلم والعسف فقال: «ولا يجزى منكم شأن قوم على ألا نعدوا». اعدلوا هو أقرب للتقوى».

كل هذا وغيره مما حث عليه الإسلام هو دفع لنمو العلاقات الاجتماعية، والتطور الاجتماعى. ورسالة الإسلام تكاد تنحصر فى أمرين: ضغط الأبنية وكبت العردية من جهة، وإيقاظ المشاركة الوجدانية وتنمية العلاقات الاجتماعية من جهة أخرى. رسالة الإسلام هى إبعاد الطفولة الإنسانية عن تصرفات الإنسان، وإحلال الرشد الإنسانى محل هذه الطفولة ليبقى الإنسان متميزاً، ولتبقى له الكرامة والسيادة.

مقومات الروحية أمام المادية العالمية

للأستاذ محمد محمد المدني

- ١ -

والحياة لا يستقيم أمرها بالمادة وحدها ،
ولا بالروح وحدها ، ولذلك لم يستخلف الله
في الأرض ملائكة ، لا يعصون الله ما أمرهم
ويفعلون ما يؤمرون ، أو - بعبارة أخرى -
لم يستخلف هذا الخلق الروحاني الصرف ،
كما لم يستخلف خلقا مادياً صرفاً ، وإنما
استخلف هذا الصنف من المخلوقات وهو آدم
ونسله ، بعدد أن هياهم على نحو تثنائي ،
أو طبيعة مزدوجة من المادة والروح .

• • •

وقد اشتهر بين الناس : أن المسيحية تنجح
إلى الروحية ، وأن اليهودية تنجح إلى المادية ،
أما الإسلام فيجمع بينهما

فإن كان المراد بهذا : أن الأديان نفسها
تختلف في سياستها نحو الإنسان ، فاست
أعتقد أن هذا صواب ، فإن الدين واحد ،
والديان واحد ، وهو الذي خلق الإنسان ،
وخلق الحياة ، وشرع للإنسان ما يتفق
وطبيعته ، وما تستقيم معه شئون الحياة .

ولكن ينبغي أن يصحح هذا القول فيقال :
إن المسيحيين هم الذين تصوروا المسيحية
هكذا ، روحاً فقط ، وذلك أن المسيح

إن مقوماتنا الروحية ومقوماتنا المادية ،
كلاهما متماسك مع الآخر ، متعاون معه ،
غير منفك عنه .

وهما بهذا التماسك وهذا التعاون ، يسيران
وضعا فظرياً طبيعياً في الإنسان وفي الحياة
التي يجب أن يحياها ، ليؤدي الرسالة التي
من أجلها خلق ، ومن أجلها جعل خليفة
في الأرض .

وهذه ميزة تمتاز بها عن كل الذين يفصلون
بين المادية والروحية ، فيجعلون ما لقيصر
لقيصر ، وما لله لله . إنما نجعل المادة والروح
كليهما لله ، وفلسفتنا في الحياة قائمة على ذلك .
فالإنسان من حيث الخلق مادة وروح :

مادة عناصرها الجسم بجميع أعضائه وأجهزته
تحتاج إلى روافد مادية تغذيها وتنميتها ،
وتعنيها على العمل والبقاء المقدر لها ، وروح
عناصرها النفس والعقل والشعور . تحتاج
إلى معان . تكون روافد لها أيضاً ، تغذيها
وتنميتها وترضيها .

فليست حاجة الإنسان إلى المعاني التي ترضى
جانبه الروحي ، بأقل من حاجته إلى المواد التي
ترضى جانبه الجسدي .

يصدقني إني أخاف أن يكذبون ، ويقول الله له ولاخيه : « لا تخافا إني معكما أسمع وأرى ، ومن قبل ذلك قال الله عن موسى : « فأصبح في المدينة خائفاً يترقب ، . إلى غير ذلك من الآيات التي تحدث عن مواطن اشتد فيها الخوف فنتيجة لما كان منبثاً من الظلم والطغيان . وقد اقتضى ذلك انصراف الناس عن المعاني الروحية ، واشتغالهم بالنواحي المادية التي من شأنها أن تقيهم غوائل الظلم والبغى ، فبرزت في حياة أتباع موسى هذه الجوانب المادية التي جاءت في الأصل كتعويض ومقاومة ، فظن الناس أن اليهودية مادة صرف ، واشتهر هذا عند اليهود أنفسهم وعملوا به فاصطدموا بالعالم ، واصطدم بهم العالم ، فازدادوا خوفاً وتصوروا أنهم مظلومون وأن العالم عدو لهم ، فتنقموا عليه ؛ وعملوا على حذق جميع الأساليب المادية التي قدروا أنها تحميهم من العالم ، وعملوا في الوقت نفسه على بث وسائل الحرب والتدمير والتخريب فكانوا هم تجار الأسلحة ، ودعاة الحروب ، وعناصر الفتنة في كل جانب من الأرض .

وما كانت اليهودية في أصلها كذلك ، وإنما كانت ديناً هادياً ، وكتاباً سماوياً يتضمن رسالة إلهية ، وفي القرآن الكريم : « إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلبوا للذين هادوا ، .

* * *

أما نحن - المسلمين - فقد فهمنا ديننا على ما هو

أرسل من الله تعالى في ظروف اقتضت أن يقاوم سلطان المادية العاتية السائدة في الناس ، فبرزت التعاليم التي تمشي مع ذلك ، وجرت على لسانه الأقوال التي تصوره داعية للون خاص من التسامح ، وطلب المغفرة للذين يسيئون ، والتطلع إلى السلام والهدوء ، فظنوا أنه لا شيء في دينه إلا ذلك ، وأنه لا صلة للرسالات الإلهية بتنظيم الحياة المادية ، ورسخ هذا الظن في الناس حتى استقر عليه الأمر في فلسفة الغرب عامة . وبذلك فصل بين الكنيسة والدولة ، وقيل أتركوا ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله .

أما اليهودية فقد جاءت والخوف مسيطر على المجتمع الذي أرسل موسى إليه ، فقد كان فرعون يكتم الأنفاس ، ويقتل الأبناء ، ويستحي النساء ، يزعم أنه هو الإله الذي يجب على الناس أن يعبدوه ويطيعوا أمره في إخلاص وصدق .

ولذلك نجد ألفاظ الخوف ، تتردد كثيراً في قصة موسى : فأمه قد أصبح فؤادها فارغاً من شدة الخوف حتى قال الله لها : « فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني ، وموسى حين يتلقى رسالة ربه يرى العصا تتحرك فيخاف فيقول الله له : « يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين ، « إني لا أخاف لدى المرسلون ، ويقول لربه : « فأخاف أن يقتلون . فأرسله معي رداً

أحسن الله إليك ، ولا تبغ الفساد في الأرض
إن الله لا يحب المفسدين . فهذه الآية تذكر
نصيب الآخرة ، ونصيب الدنيا ، أى نصيب
الروح ، ونصيب المادة . ولكنها تخرج
الأمر في ذلك على نحو من الإدماج بينهما
فتقول : « فيما آتاك الله ، فالمادة معبر عنها
بلفظ « ما آتاك » ، والروح هى فى إسناد الإيتاء
إلى الله حيث قال : « فيما آتاك الله » .

وقوله تعالى : « وأحسن كما أحسن الله
إليك » ، هو أمر بالإحسان المادى ، سواء
أكان صدقة ، أم صدقا فى الحديث ، أم حسن
معاملة أو سلوك .. إلخ . ولكن فى تسميته
« إحسانا » ، إشعار بالمعنى الروحى ، وكذلك
قوله تعالى « كما أحسن الله إليك » ، هو تذكير
بأن المحسن حين يحسن إنما هو مستند فى
إحسانه إلى ما أحسن الله إليه ، شاكر له
تعالى على الإحسان بالإحسان .

وقوله تعالى « ولا تبغ الفساد فى الأرض
إن الله لا يحب المفسدين » ، فيه نهى قوى
عن الفساد ، من حيث إنه قال « ولا تبغ » ،
أى لا تقصده ولا تحبه فضلا عن أن تفعله .
ومن حيث إنه سماه فسادا ليصرف عنه
النفوس ، ومن حيث إنه أعلن فى تأكيد
أن الله لا يحب مرتكبيه ، ونفى الحب مؤذن
بشديد المؤاخذه ، دون أية رحمة .

فآية تتحدث عن الجانبين ، ولكنها
لا تسمح بأن تقسرب إلى هذا الحديث روح

عليه من رعاية لجانبى الروح والمادة جميعا ،
فهمنا ذلك وأقررناه وسرنا فى شئون حياتنا
عليه ، وأيدتنا تجاربنا التاريخية حيث رأينا كل
من أهمل الروح إلى المادة ، أو المادة إلى الروح ؛
لم يصـ خيرا ، ولم يأت بإصلاح ذى بال .

أما الذين زاوجوا بين الروح والمادة ،
وأخذوا من هذه بقسط ومن تلك بقسط ،
حسب تشريع الله وما استجبه لعباده ؛
فهم الذين نجحوا وأفلحوا وقادوا وسادوا ،
وأفادوا واستفادوا .

ولذلك كان السيد الرئيس جمال عبد الناصر
- أيداه الله تعالى - موفقا تمام التوفيق حين
قال فى بعض خطبه : « إننا نقيم صرح نهضتنا
على أساسين : هما المادة والروح ، ونعطى
كلا منهما حقه من الاعتبار ، فكما يجب علينا
أن نبني المصانع ، ونفتش عن الحديد والبترو ،
يجب علينا أيضا أن نبني الرجال ، ونفتش
عن الأخلاق ، ونعرف للدين منزلته ودوره
العظيم فى بناء المجتمع .

إن هذا المعنى الذى أشار إليه الرئيس
جمال منبثق من القرآن الكريم ، وحسبنا
أن نقرأه لنجد فى مئات المواضع يقيم
الحياة على هذين الأساسين ، ويدعو المؤمنين
إلى أن يطيروا فى آفاقها بهذين الجناحين ،
ولنضرب لذلك مثلا فى آية مشهورة ، هى قوله
تعالى : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ،
ولا تنس نصيبك من الدنيا » ، وأحسن كما

ثلاثة مقومات هي الينا يسع التي تستقي منها
سائر المقومات :

(١) الإيمان بالله .

(٢) الإيمان بالنفس .

(٣) الإيمان بالمثل العليا .

ولنا عن كل واحد من هذه الثلاثة
حديث إجمالي :

(١) فالإيمان بالله قوة دافعة مثبتة ، فوق أنها
تمد الإنسان بالسعادة والطمأنينة .

إن بعض الناس يتصور أن الإيمان بالله
وما يقتضيه هذا الإيمان من التزام بالدين :
عقائده وشرائعه ، إنما هو تسكيب للنفس
وتقييد لها ، وأن الناس قد وجدوا ليكونوا
أحراراً ، ولينطلقوا في الحياة على طبيعتهم ،
فليس من مصلحتهم أن يقيدوا بقيد خارج
عنهم وعن آفاق تفكيرهم ومراحل تجاربهم ،
وإلا فما معنى أن نفرض على الإنسان ذاتاً
يجب عليه أن يرهبها وأن يراقبها في كل صغيرة
من الأمر أو كبيرة ، أو أن يتملقها ويترضاها
ويعمل من أجل ثوابها ؟ إن الرهبة مضعفة
للإنتاج والتميز ، وأن الرغبة والملق مفسدان
للشخصية مضعفان لها .

ولذلك يقول هؤلاء : اتركوا الناس
لأنفسهم ولا تحاولوا أن ترهقوهم بملاحظة
القوة الخفية المخيفة التي أعدت دار العذاب ،
أو القوة المانحة المنعمة التي أعدت
دار الثواب .

ولمنا نقول لهؤلاء : لقد أثبت علماء

تشعر بالانفصالية حتى في الجملة التي تذكر
فيها المادة وحدها ، وفي الجملة التي تذكر فيها
الروح وحدها !

من هذا يقين أن مركز الإسلام هو المركز
الوسط بين الانفصالية في هذا الجانب
أو ذاك .

وأنه هو المركز الطبيعي الفطري الملازم لخلق
الإنسان ، ولخلق الحياة على طبيعة الأزواج .
وأن الإسلام هو إصلاح في ذلك لما انتهت
إليه المسيحية ، ولما انتهت إليه اليهودية .
وأن مصلحة البشرية جمعاء في أن تأخذ
بالمبدأ الذي أتى به الإسلام ، دون أن يصرقها
عنه تعصب ديني ، فإن الإسلام في هذا مطابق
لغيره في الواقع :

« وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصداقاً لما
بين يديه من الكتاب ، ومهيماً عليه ، فاحكم
بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما
جاءك من الحق » .

وبعد أن عرفنا حقيقة الوضع الفطري
والديني والحيوي للإنسان وأنه لا بد من
مادية بجانب الروحية ، أو من روحية بجانب
المادية ، فإننا نذكر « مقوماتنا الروحية »
موازنين بينها وبين ما عليه العالم من مادية
مظلمة تكاد تفضي به إلى الدمار .

ومقوماتنا الروحية يمكن إرجاعها إلى

وهذا تقرير لحقيقة ثابتة ، أو سنة من سنن الله التي لا تتحول ، وهي أن الذي يضل سبيل الله يقع من حيث يريد أو لا يريد في مهاوى التخبط ويصبح كالحيوان الأعجم ، بل أضل من الحيوان الأعجم سبيلا ؛ لأن الحيوان الأعجم محكوم إلى حد ما بسنن فطرية فيه ، تجعله يقف عند حد في تلبية دواعي خلقته .

ثم إن المؤمن بالله يشعر بعزته وكرامته بين بنى جنسه ؛ لأنه مؤمن بأنه (لا إله إلا الله) وهذه قضية معناها : ليس في الوجود من يستحق أن يخضع له بحق دون شك ، ودون أية محاولة للعصيان ، إلا الله ، وليس في الوجود من يجوز أن يذل له الإنسان ، إلا الله . وإذا كان هذا هو معنى قضية التوحيد فلا يحد المؤمن بنفسه حاجة إلى أن يذل لما سوى الله ، بل يشعر بأنه هو وجميع المخلوقين عباد الله متساوون أمام ربوبيته ، خاضعون لألوهيته ، وبذلك يحتفظ بعزة نفسه ، وكرامته بين بنى جنسه .

ثم إن المؤمن الذي يشعر بأن عليه رقبيا يراه في كل حال ، ويعلم ما تنطوي عليه نفسه ، وما تؤديه جوارحه ، يندفع إلى العمل الصالح ، وينتهى عن العمل الضار ، وليس صحيحا أن هذا الاندفاع إلى العمل الصالح ، أو الانتهاء عن العمل الضار ، من شأنه أن يفسد شخصية الإنسان ؛ لأنه صادر

النفس عن طريق الملاحظة والتتبع أن الفراغ حال ، ومعنى ذلك أن العقل البشري لا يمكن أن يفرغ ويخلو من الشيء وضده ، فإذا خلا من الإيمان بالله ، اشتغل تلقائيا بالإيمان بسواه ، فلا تصوروا أن الذي يخلو قلبه من الإيمان بالله بظل خاليا من الإيمان بشيء آخر ، ولكنه سيؤمن بنواح أخرى تضاد الإيمان بالله ، سيؤمن مثلامهواه فيشبع هذا الهوى على نحو بهيمي ليس له ضابط ، وسيجر بذلك على نفسه وعلى غيره ألوانا من الشقاء والبلاء .

سيؤمن مثلا بالمال فيجعله إلهه المعبود ، فيكون كمؤلاء اليهود الذين يستبحون في سبيل المال كل شيء ويهدمون في سبيل الحصول عليه كل معنى شريف .

سيؤمن باللذة ، فيشرب ويفسق ويتحلل فتضيع بذلك شخصيته ويصبح مصدر خطر على المجتمع أو مصدر ضعف وانحلال في هذا المجتمع .

والقرآن الكريم يشير إلى هذا المعنى فيقول : « فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون ؟ » أى أنه لا فراغ ، ولا يمكن أن يرتفع النقيضان .

ويقول : « أرأيت من اتخذ إلهه هواه ؟ أفأنت تكون عليه وكيفا ؟ . أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا . »

أحدهما خُشب، وإلا كان وجوده نصفياً أعرج وأغلب الظن أن هذه الدعوة الانحلالية دعوة صهيونية هدفها تحطيم الإيمان بالقوى المعنوية، ثم جر الناس إلى المادية الإباحية ليسهل شراء الأفراد من حكام ومحكومين بالثمن البخس من المال أو المراكز أو الشهوات فإنه لا يقف أمام هذه الصفقات الخاسرة إلا الإيمان بالله، فإذا زال الإيمان بالله زالت جميع مراكز المقاومة في الإنسان أو تزلزلت وسهل انهارها.

وكذلك شأن المجتمعات التي تقوم على المذاهب المادية حتى لو أحرزت تقدماً في ميادين العلم والصناعة.

ولا أقول ذلك تفضيلاً لمبادئ الرأسمالية، والدول الغربية، كلا فإن لها أيضاً عيوبها، ولكنها عيوب يمكن علاجها والتفاهم على تطهير العالم منها، وهو ما اتجه الناس إليه بعد الحربين العالميتين من محاولة لإيجاد رأى عام دولي تمثله هيئة الأمم أو ما يشبهها.

وهذا النظام قد سبق به الإسلام، إذ أمر بأن يُصلح بين المختلفين، فإن بغى أحد على أحد كان على الجماعة كلها أن تتعاون على رده عن بغيه، فإذا فاء إلى الحق كان عليها ألا تتخذ قيمته سبباً في ظلمه واهتضامه: « وإن طائفتان من المؤمنين اختلفتا فمات أحدهما على الأخرى فماتوا التي

(البقية على ص ٢٨٦)

عن رغبة أو رهبة، فإن هذه سطحية في التفكير، إذ الإنسان مخلوق مفطور بطبعه على الانسياق وراء عوامل الرغبة والرهبة، والذي خلقه وفطره عرف كيف يسوسه سياسة ملائمة لطبيعته، وماله من غرائز، وهؤلاء وأمثالهم إنما يتشدقون بمثل قولهم تضيق شخصيته، أو تتحطم إرادته، أو نحو ذلك، ولو تأملوا في أنفسهم، وخبروا أحوالهم، لعرفوا أن الواحد منهم لا يكاد يؤدي عمل بر إلا وهو منتظر عليه جزاء من الناس فإذا قطع بأنه لا جزاء عليه من الناس لم يفعله، أما المؤمن فإنه ينتظر في كثير من الحالات جزاء ربه فقط، لأنه يحسن في حالات لا يراه فيها إلا الله، وفي حالات لا يستطيع أحد أن يكافئه فيها إلا الله. وفي العالم الآن دعوة متحللة إلى ما يسمونه (الوجودية) هدفها الخروج بالناس عن دائرة الإيمان بالله. على أساس ما ذكرناه من فلسفتهم الباطلة التي تريد من الإنسان أن يحيا للحياة، وألا يعترف إلا بوجود نفسه، وامتصاصات هذا الوجود المادي فقط، وقد تناسوا طبيعة الإنسان المزدوجة التي شرحتها، ولو كانوا منطقيين مع أنفسهم ومع ما يزعمون من مراعاة وجود الإنسان، لأخذوا هذا الوجود من الناحيتين كليهما، ولعرفوا أن الإنسان يجب عليه أن يلبي دواعي فطرته في كل من المادة والروح لا في

في ذكرى صاحب الرسالة: الإسلام حقيقة وجوهر للأستاذ محمود الشراوى

في قلوبهم ونفوسهم وأخلاقهم وضمائرهم .
وأن يحرصوا عليها ويلتزموا حدودها آمرة
وناهية وملزمة ، ومهيمنة أسرة مسيطرة .
وأن تكون ضمائرهم وسرائرهم وراء أحاديثهم
وأقوالهم . وأعمالهم متساوية متلائمة مع هذا
« الانتساب للإسلام » : « ومن أحسن قولاً
من دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني
من المسلمين » (١) .

• • •

يحفظ المسلمون أو يتلون أو يسمعون قول
الله تعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير
ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر
وأولئك هم المفلحون » (٢) .

والآية الكريمة - في أقوم مفاهيمها -
لا تريد من المسلمين أن يكون « بعضهم » دعاة
إلى الخير آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر .
بل تريد أن يجعل المسلمون من أنفسهم جميعاً
هؤلاء الدعاة للخير ، الأمرين بالمعروف ،
الناهين عن المنكر . وأن يكون كل واحد منهم
على هذه الصفة وبهذه المثابة والمنزلة . كما يقول

في هذا الشهر : ربيع الأول يحتفل المسلمون
في بقاع الأرض بذكرى مولد الرسول الكريم
صاحب أعظم النبوات وآخر الرسالات
وأكرم الصفات .

وكان المسلمون إلى عهد قريب حين يحتفلون
بهذه الذكرى الكريمة الخالدة يرددون في ذلك
سيرة محفوظة تذكر انطفاء نار الفرس عند
مولده عليه السلام ، ونحو ذلك من العلامات .

ولعل بلاداً كثيرة من بلاد المسلمين ، ما يزال
أهلها يرددون ذكر هذه العلامات ويكتفون
بترديدها في ذكرى صاحب النبوة والرسالة
الذي بعث ليتم مكارم الأخلاق . ثم ظهر
بين علماء المسلمين والفاقيين منهم لدينه
ورسالته من أدرك أن الإسلام حقيقة وجوهر
وأن المسلمين لكي يكونوا « مسلمين » يجب
أن يعرفوا حقيقة دينهم وجوهره ويتمسكوا
بأخلاقه ويتأدبوا بأدبه ، وأن يحققوا ،
في ذوات نفوسهم ، مبادئه وغاياته ومثله .

لكي يكون المسلمون « مسلمين » يجب
أن يتقنوا أن وراء « الانتساب للإسلام »
حقائق بعيدة المنال وعليهم أن يحصلوها

(١) فصلت : ٣٣ (٢) آل عمران : ١٠٤ .

الرجل لابنه : سأحسن تربيتك ليسكون منك رجل أى رجل .

فهل يحاسب كل مسلم نفسه ، وهو يردد هذه الآية الكريمة أو يتلوها أو يسمعها ، هل يحاسب نفسه ويمتنح طويته وضميره عن مدى صدقها عليه ..؟ وتحققها فيه ..؟ ويحفظ المسلمون أو يتلون أو يسمعون قول الله تعالى وهو يصف الذين كفروا من بنى إسرائيل وبلغهم على لسان داود وعيسى بن مريم : « كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » ، (١) .

فهل يحاسب كل مسلم نفسه ، وهو يردد هذه الآية الكريمة أو يتلوها أو يسمعها ، ليعرف أمانة أخيه وصديقه وجاره ومجتمعه فيؤدى لهؤلاء جميعاً حقهم ، بل واجبهم ، فى التناهى عن المنكر والتناصح بالخير ..؟

والمسلمون يحفظون أو يتلون أو يسمعون من قول الله تعالى وصية لقمان لابنه وهو يعظه : « يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ، ولا تصغر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور ، وأقص فى مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الخير » ، (٢) .

فهل يحاسب كل مسلم نفسه ، وهو يردد هذه الآية الكريمة أو يتلوها أو يسمعها ، على إيمانه بهذه الوصية واستمساكه بأدائها وفضائلها وما تلزم به نفسه وخلقه وضميره ..؟

والمسلمون يعرفون من قرآنهم الكريم أن عباد الرحمن هم : « الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ، والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً ، والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً ، إنها ساءت مستقراً ومقاماً ، والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً ، والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق أثاماً » ، (١) .

فليضع كل واحد منا نفسه حيث تضعه المقاييس الصادقة من عباد الرحمن هؤلاء .

والمسلمون يحفظون أو يتلون أو يسمعون قول الله تعالى : « قد أفلح المؤمنون ، الذين هم فى صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون ، والذين هم لفروجهم حافظون ، إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين » ، (٢) .

(١) الفرقان : ٦٣ - ٦٩ .

(٢) المؤمنون : ١ - ٦ .

(١) للسائدة : ٢٩ .

(٢) لقمان : ١٧ - ١٩ .

من الصدقة يتبعها أذى أو منكر أو مكروه (١)
 فهل يحاسب كل مسلم نفسه ويستفتي
 سريره عن ذلك كله وعن مكانه منه
 وحرصه عليه ؟ .

والمسلمون يحفظون أو يتلون أو يسمعون
 قول الله تعالى وتأكيده : « إن الصلاة تنهى
 عن الفحشاء والمنكر » (٢) .

فهل يجد كل مسلم نفسه ، وقد انفلت من
 صلاته وأن صلاته تلك قد صفت بها روحه ،
 وطهرت نفسه ، واستقام ضميره . وأنها
 أصبحت له حاجزا عن الفحشاء والمنكر له
 منه وقاء وحصن .

والمسلمون يحفظون أو يتلون أو يسمعون
 آية في كتاب الله الحكيم تجعل الذي يدع
 اليتيم ويزجره ويستضعفه ويحجفوه ، والذي
 لا يبذل ولا يطمع المسكين أو يحض غيره
 على إطعامه . تجعل الآية الكريمة هذا وذاك :
 « مكذبا بالدين ، وتذرا بالويل من يصلون
 وهم ساهون عن ذكر الله غير مستحضرين
 خشيته أو محبته . فلا يعرفون للصلاة حقها
 وأدبها ولم تؤثر في قلوبهم وضمائرهم أثرها :
 الذين هم يراؤون ويمنعون الماعون .

فهل يحاسب كل مسلم نفسه ، وهو يردد
 هذه الآيات الكريمة أو يتلوها أو يسمعها ،
 وهل يستفتي سريره : أين هو من هؤلاء
 المفلحين المؤمنين ؟ .

وهل هو من أولئك المؤمنين ، الذين إذا
 ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم
 آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون ، (١)
 فلا يخشون غير الله ولا ينافقون يميلون
 أو يمالئون .

والمسلمون يحفظون أو يتلون أو يسمعون
 نهى الله تعالى عن المن بالبر والصدقة . وأنه
 يريد منهم أن يبروا ويتصدقوا مريدين وجه
 الخير المطلق وحده ، فلا يتبعوا صدقاتهم
 بالمن والأذى ، فهم عند ذلك قد أبطلوها
 وجعلوها رياء أو كالرياء الذي يرده الله
 فلا يقبله ولا يثيب عليه ولا يبق منه لصاحبه
 إلا كما يبق من التراب على الصخر الأملس
 قد غسله المطر الشديد المتدفق .

ويريد منهم أن يحفظوا الكرامة الإنسانية
 حتى على السائل المحتاج الذي يطلب الصدقة .
 فليردوه من غير صدقة ولا عطاء . ولكن
 ليقولوا له قولا معروفا وليغفروا له إلحافه
 إن ألحف في السؤال ، وشططه إن شط في
 الطلب ، لحفظ هذه الكرامة الإنسانية
 والاستمسك بهذه الفضائل والآداب خير

(١) ٢٦٤ : البقرة .

(٢) ٤٥ : العنكبوت .

كما وصفهم الله في كتابه العزيز وكما توحى لهم به سيرة النبي الكريم وشماله الطاهرة .

ولعل المسلمين ، وهم يختلفون في بقاع الأرض بمولد صاحب أعظم النبوات وآخر الرسالات وأكرم الصفات ، أن يؤوبوا لنفوسهم ، وأن يفيئوا لأمر الله . فيعملوا أنهم سيكونون مسلمين حقاً حين يجدون في سرائرهم وقلوبهم وضائرتهم أثر هذه النبوة والرسالة والخلق ، كما أمرهم الله أن يكونوا : خير أمة أخرجت للناس .

حين يعرفون أن الإسلام حقيقة وجوه ، وحين يحرصون على هذه الحقيقة وهذا الجوهر فيحققوها - أو يحاولوا تحقيقها - في حياتهم ومجتمعهم .

دأقن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمنه وأعمى ، إنما يتذكر أولو الألباب (١) .

محمود الشرفاوى

سكرتير التحرير

(١) : ١٩ : الرد

والمرءون المنافقون في الدرك الأسفل من النار (١) .

فهل يحاسب كل مسلم نفسه ويستفتى سريره وقلبه . . . ليعلم مكانه .

على المسلمين أن يختلفوا بذكرى نبيهم ونبي الإنسانية في يوم مولده . ولكن عليهم أن يعملوا في كل يوم ، عمل أهل الإسلام

(١) يقول الأستاذ الإمام محمد عبده في تفسير هذه السورة : إن كثيراً من الناس ، بل الأغلب فيهم ، يقولون إنهم يعتقدون بالدين ويصدقون بالله وبما جاء به رسوله وبالحياة الآخرة ويتحلقون لأنفسهم للزاي على غيرهم ويظنون أنهم المصطفون ، وأن من يخالفهم قد نحت عليه كلمة الشقاء . ويكتفون في هذه الدعوة ببعض أعمال رسماً الدين وإن لم يكن لها في قلوبهم أثر . . . مما لا ينص ما لا ولا يحشم مشقة . ثم يقول . . . : فإن الحكم واحد لا محابة فيه للأسماء المنتحلة التي لا قيمة لها إلا بما فيها الصيحة . فالكذب بالدين هو المحقر لحقوق الضعفاء كبراً وعتوا ، والذى يبخل بماله على الفقراء ويبخل بسمعه عند الأغنياء لإغاثة أهل الحاجة) : ص ١٦١ - ١٦٤ من تفسير جزء عم ، المطبعة الأميرية ١٣٢٢ هـ

أو نحو ذلك ، فهو لاء أيضاً فقدوا الإيمان بالله عملياً كما فقدوه أو لئلك نظرياً .

والعلاج الوحيد هو العودة إلى الله : عقيدة وعملاً ، فإن العالم حينئذ يهدأ ، ولا يبقى محل لطغيان قوى على ضعيف ، ويكون صوت الرأي العام فيه حاجزاً عن كل بغى وكل ظلم . والبحث ، وصول إن شاء الله .

محمد محمد المرنى

عميد كلية الشريعة

(بقية مقال مقوماتنا الروحية)

تبغى حتى تنق إلى أمر الله ، فإن قامت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين .

كما يتبين أن هناك شوائب تشوب إيمان هؤلاء (الرأسماليين) الذين يعبدون الدينار والدرهم ويريدون أن يستعبدوا الأمم والشعوب ويستلبوا خيراتها باسم الاستعمار أو التمدن

نفحات القرآن

فوجیهات علویہ من جانب اللہ إلى عباده للأستاذ عبد اللطيف السبکی

- (١) ادعو ربکم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين .
(ب) ولا تفسدوا فی الأرض بعد إصلاحها .
(ح) وادعوه خوفاً وطمعاً ، إن رحمۃ اللہ قريب من المحسنين .

الأمر الأول : ادعو ربکم تضرعاً وخفية
فالمفروض أن للناس دعاء ينبعث فی خواطرهم
ويجيش فی صدورهم ، وهو وسيلة يتخذونها
إلى استيفاء ما تتعلق به آمالهم ، وإلى تحصيل
ما تكمّل به رغباتهم .

فيمكون الدعاء على هذا التحديد ترجمة عن
شعور الإنسان بنقصه عن الكمال ، وعجزه
عن الوصول ، وب حاجته إلى قوة عليا تدنيه
من غاياته ، وتحقق له ما يقعد عن تداركه .

وهذه ظاهرة طبيعية تخالج كل امرئ منا
عندما تواجهه الأزمات ، أو تغريه المطامع
فيجد نفسه بين دوافع شرعية ، وموانع تحجبه .
فمذا الذي ينقذه من أزماته ، أو يكفل له
تحصيل غاياته سوى ذى قوة قادرة على ما يعجز

(١) هنا دعوة من جانب اللہ إلى عباده :
تألف من كلمات معدودة . ولكنها نمط
فسيح ذو توجيهات حيوية للإنسان فی توثيق
صلته بربه ، وفی تنسيق مسلكه فی الحياة بين
الناس ... وحينما يتاح للبر أن يكون على
الجادة فی حياته آخذاً نفسه بالعدل والاعتدال
روحاً ، ومسلکاً ، وعزيمة ، وقصداً ؛
يكون حقاً فی وضعه اللائق به ، والكفيل
بأهدافه الإنسانية حاضراً ، ومآلاً .

وذلك هو المسطح الذى ينشده الدين الحق
لمن استمع إلى دعوة الدين .

ولدينا أمر مقرون بالزجر مرتين ، وأمر
آخر مقرون بالوعد الصادق ، وبالحث على
انتهازه والتعلق بغاياته .

عامة تكون قولاً ، أو عملاً ، فيثاب عليها صاحبها بما شاء الله من أضعاف مضاعفة وإذا كانت مجرد عزيمة على فعل الخير ولم تنفذ لسبب مانع فثوابه عليها تفضل من الله ونعمة وكذلك الخواطر النفسية حول أعمال سيئة ، إذا لم تتجاوز حديث النفس المستتر فيها فإن الله - سبحانه - لا يؤاخذنا عليها . وكأن الله تعالى يعتبر من الإيمان وسلامة الاعتقاد شفيعاً للإنسان في حديث نفسه العابر ، وفي هذا أفادنا النبي صلوات الله وسلامه عليه : أن تجاوز لأمته عما حدثت به أنفسها .

هذا - ومن صفة الدعاء المنشود في الآية أن يكون في ضراعة وخفية ، ففي الضراعة : وهي المسكنة ، والأدب ، وفي الخفية : وهي عدم المجاهرة تمحيص للدعاء وبعد به عن الرياء ، وذلك هو الإخلاص المطلوب في الدين كله .

ومن هذا تكون الضراعة والخافة وصفين معتبرين في سلامة لدعاء من آفات الابتداع ، ومن وسائل قبوله عند الله .

وقد مر النبي عليه السلام يقوم يدعون الله في مجاهرة وإلحاح ، فقال لهم صلوات الله عليه « اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا أبكم ، وإنما تدعون سميعاً بصيراً ، أي :

عنه الإنسان ، وإن كان ذا جبروت ؟ هو الله وحده وتعالى شأنه !! .

غير أن المرء لسبب طارىء قد يضل عن جهة دعائه ، فيلحق برجائه في غير موضع الرجاء ويلتمس مبتغاه من غير سبيله : وهنا مزلة الفكر ، وخطأ التقدير ، وتبعات الضلال . لذلك : تفضل الله علينا فأمرنا أن نجعل دعاءنا للربنا وحده ، حتى لا نزل ، ولا نخطئ . ولا نكون في ضلال .

وفي التعبير بالرب غناء عن التعليل ، وعن الشرح ... إذ ما دامك الربوبية لله دون غيره وما دامت النعمة كلها من جانبه وحده ، فلا خير في دعاء غيره ، ولا أمل يرجى من سواه ولا صحة لما يعزى إلى من دونه من سائر خلقه .

وكل ما يحازف به الناس وراء هذه الدائرة فباطل مطروح ، وضلال محذور ، وأمل ضائع ، وإثم ولا جرم .

ومن تمام الرجاء وحسن الاتجاه به إلى رب الناس أن يكون الدعاء ذكراً باللسان لا مجرد خاطر محبوس في النفس ، فإن الخاطر لا يتعلق به حكم الشريعة ، ولا يعتبر فيه ثواب ، ولا عقاب .

والدعاء بالخير عبادة ، بل هو كما قال الرسول - نغ العبادة - والعبادة بصفة

حتى يكون في هذا تأليف للقلوب وتمكين للذخبة ، وهذا ما أفصح عنه النبي صلوات الله عليه وسلامه - بقوله « إذا دعوتهم فعمموا » فالتجاوز لهذه الآداب فساد ولا شك - والله لا يحب الفساد .

ومع هذا التوجيه إلى الخير ، ومع التحذير من مقارفة الشر ولو بمجرد الدعاء السلبي ، فهناك حالة يفعل فيها الإنسان ، ويستعجل الشر بالتأثر لنفسه من الغير حينما يلاقى ظلماً من سواء أو استهانة بحقه ، أو محاولة للإضرار به عن قصد .

وتلك حالة يقف المرء فيها بين طبيعة ثائرة من الإساءة ، وبين دين يزجر عن دعوة السوء ، والجنوح إلى الشر ، فلا يكون أقرب إلى الإنسان حينئذ من اللجوء إلى ربه ، والاستعانة بقوته وعدله .

فالقرآن الكريم لا يحمل الإنسان على غير ما يطبق ، ولا يغفل أحاسيسه بما يتصل به ، بل يأخذه بما له وما عليه في حدود قدرته .

لذلك جعل الله للظلم أن يجأر إلى الله بدعوة السوء على من ظلمه ، وفي هذه تنفيس للضاقة ، وتخفيف للكربة ، وكف للنفس عن الثورة والانتقام الذي يفسح مجال الشر ، ويضرم نار الخصومة ، ويجعل الفساد مستشرياً في الأرض بعد إصلاحها .

أشفقوا على أنفسكم وخففوا الجهد فإن الله يسمع ويرى ويعلم وليس بحاجة إلى هذه المشقة .

وقد لا يكون الدعاء لاجتلاب الخير ، بل يكون شراً على أحد ، والناس المكروه ينزل بالغير دون سبب يليق ذلك ، وهذا اعتداء ، وتحامل غير مشروع ، وحيث أمرنا بالدعاء تقرباً إلى الله في ضراعة فلا ينبغي أن نتحرف به عن بغية الخير . ونستخدم أمر الله به في طلب التكيل الذي هو وليد الخصومة ومظهر السخط ، لذلك جاء الأمر بالدعاء في هذه الآية مقروناً بالزجر مرتين إحداهما : الإعلان بأن الله لا يحب المعتدين فهذا خبر فيه نهى وهديد على الاعتداء كله وعلى الاعتداء في الدعاء خاصة .

(ب) والزجر الثاني قوله تعالى عقيب هذا ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها يعني إذا كان الدعاء مطلوباً لالتماس الخير فلا نصرفوه عن هذه الناحية ، ولا تجعلوه مجلبة للشر فإن هذا يكون فساداً وإفساداً لما بينكم والفساد كله منهى عنه فإن الله يجمع بينكم على دينه الحق ، وشرع لكم روابط الإخاء ورسم معالم المجتمع الذي يعيش في ضوء الدين وآدابه ، وجعل من أسباب الألفة بينكم أن يكون دعاؤكم بالخير عاماً ، ورجاؤكم شاملاً

مبتغاه ودون طمع وثقة في الله وطاعة له فيما طلب ، فذلك هو الأمل الكاذب الذي لم يقيم على أسبابه ، والذي لم تتوافر له مؤهلات القبول كما شرط الله في قوله : « إنما يتقبل الله من المتقين » .

نعم !! قال الله : « ادعوني استجب لكم » وهذا إطلاق في الطلب دون تقيد فيسه ، ولكنه محمول على الطلب المشروط بأن يكون الداعي غير ملوث بالحرام في مطعمه ومشربه وملبسه وإلا كان دعاؤه هباء ، وقد قال النبي صلوات الله عليه « يقول أحدكم : يا رب ، يا رب ، ومطعمه من حرام وملبسه من حرام فأني « يستجاب له ؟؟ » ، فالأصل أن يكون دعاء ، والشرط أن يكون صحيحا إذا راعينا الأوصاف المذكورة في آية الموضوع وجدناها أربعة :

التضرع والخفية .. وهذان يتعلقان بوصف الدعاء وصورته شكلا . ثم الخوف والطمع . وهذان يتعلقان بمنبع الدعاء ومبعثه وجوهره ؛ وإذا اكتمل للدعاء وصفه الكامل في شكله وحقيقته كان - بحق - عبادة ، بل كان مخ العبادة كما تحدث الرسول ؛ وكان دعاء المتقين وهو المقبول وسياق الآية واضح في أن سرية الدعاء أحب من الجهرية . إلا إذا كان دعاء مشتركا بين إمام ومأمومين أو في حالة

والدعاء بالسوء على الظالم أخف الضررين فأباحه الله للمظلوم ، بل أباح له الجهر به ، مع أن الجهر بدعاء الخير مرغوب عنه « لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم » فهذا استثناء من النهي ، وهو تنصيص على تحويل المظلوم حق المجاهرة بدعائه على ظالمه : ترضية لنفسه ، وإيضاحا لشكواه ، ولعل في المجاهرة بذلك زجرا للناس عن تماديهم في ظلم بعضهم بعضا ، ويؤكد هذا قول النبي صلوات الله عليه (اتقوا دعوة المظلوم ، فإنها ليس بينها وبين الله حجاب) .

(ح) وفي الآية أمر آخر أن يكون الدعاء كله تابعا من قلب خائف وطماع « وادعوه خوفا وطمعا » . وفي الخوف معدلة عن الشطط ، وعن شغل الإنسان نفسه بما يلهيه عن جانب العمل ، والاكتفاء بالتمنى كما كان يفعل السفهاء من قبل ، وفي الطمع الأمور به ثقة بالله ، وإيمان بقدرته على الاستجابة ، وبين الخوف والرجاء مقام الاعتدال ، وحسن القصد ، وترويج للدعاء في باب القبول : إذ المفروض أن الطمع في القبول يكون مسبوقا بالطاعة ، والاهتداء ، ما أن يدعو الداعي دون خوف وخشية من جانبه أن يسرف ويتكاسل ، ويحرم من

عامة ، أو كان مقصوداً معه تعليم من يتعلم ، فإن ذلك كله يكون الجهر به خيراً من السرية ، والاشتراك في الدعاء من وسائل قبوله عند الله وحين لا يكون مقتض للجهرية تكون السرية عن أسماع الغير تنزهاً عن الرياء ، وما دام الدعاء حينئذ مناجاة لله ، وضراعة إليه فلا حاجة بنا إلى إعلانه وقد نرى في آيات أخرى ما يشعرنا بترجيح السرية في الدعاء وفي التسيبحات عامة : مثل قوله تعالى (سورة ق) « وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب . ومن الليل فسبحه وأدبار السجود . . . » فهنا توجيهات إلى التسبيح لله قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وهذه أوقات يغلب فيها الصمت قبل أن ينهض الإنسان إلى عمله الدنيوى ، وبعد أن يفرغ من يومه ، ويخلد إلى الراحة آخر النهار ، وكذلك أوقات الليل وعقب سجدة الصلوات كلها ساعات خشوع والتسبيح فيها أقرب إلى السكال ، ومظنة القبول .

وكذا قوله تعالى في سورة الطور « وسبح بحمد ربك حين تقوم . ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم ، فالعبادة بالصلاة أو بالتسبيح مطلوبة حين القيام من نوم الليل وفي جوف

الليل وعقب إدبار النجوم من مطالعها ، وهذه أوقات تكاد تكون أوقات خلوة والدعاء فيها مناجاة لله وحده .

وكذا قوله تعالى في سورة طه : « وسبح بحمد ربك قبل ملوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى . » إلخ وهكذا نجد الكثير من التوجيهات إلى أدب الدعاء والإسرار به .

وليس حتماً أن يكون القبول بتحقيق نفس المطلوب فقد تكون حكمة الله في تحقيقه بالذات . وقد تكون في تحقيق شئ غيره لمصلحة العبد ، وقد تكون نتيجة الدعاء ثواباً عليه ، أو تكفير ذنب بسببه ، والعبد لا يدري من أمر نفسه ما يكون خيراً له والله هو الأعلم بأمورنا ، ثم قد يكون الدعاء من إنسان لإنسان والله تعالى يستجيب للصالحين من عباده ويحقق رجاءهم ، ويثيبهم على ذلك ولكن هذا لا يجعل الادعية بضاعة وتجارة يصطنعها المحترفون للدين ، فإن الله لا تخفى عليه خافية ؟ .

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

المَدَامُحُ النَبَوِيَّةُ فِي شَعْرِ شَوْقِي

لِلأستاذ على العمّار

هذا الشعر يفعل في كل نفس صافية سليمة
الفطرة فعل السحر .

وأنا ما نظرت في أشعار المديح ألا بكيت
مع هذا الصوفي المحب ، الصادق الصباية ،
عبد الرحيم البرعى ، وكثيراً ما استوقفتني
أبيات الشهاب محمود التي يصف فيها رحلته
إلى الحجاز ، ويعبر أجمل تعبير عن شوقه إلى
لقاء الرسول :

وصلنا السرى وهجرنا الديارا
وجئناك نطوى إليك القفار
أتيناك سعياً ننادى البدار
ر إلى سيد المرسلين البدار
ولما نزعنا شعار الرقا
د لبسنا الدجى وادعنا النهار
نميل من الشوق فوق الرحا
ل كأننا سكارى ولسنا سكارى
ونسرى مع الشوق أنى سرى
وتتبع حادى السرى حيث سارى
ونسأل والدار تدنو بنا
عن الدار فى كل يوم مرارا

لعلها من أسعد اللحظات تلك التي نعطيها
بقراءة المدامح النبوية ، وأن الرجل المؤمن
ليجد في هذه الأشعار لذة ومتعة ، وكلما مضى
في القراءة نسى شيئاً فشيئاً هذا العالم المادى
الذى يعيش فيه ، وعاش في ذكريات مجيدة ،
وماض جميل ، يحس فيه بصفاء الروح ،
وهدوء النفس ، ويقظة العواطف ، ومغالبة
الاشواق .

وإن أشد ما يأسرنى ، ويبلغ من نفسى
في شعر المديح ، هذا الحنين المشتاق الوثاب
إلى زيارة الرسول في طيبة ، أو إلى مشاهدة
الأماكن المقدسة في مكة .

والناس يختلفون في تذوق الأشعار ،
والتأثر بها ، فمنهم من يتصباه الغزل ، ومنهم
منهم من يستميله شعر الجود والكرم ، ومنهم
من يستغزه شعر الحماسة والشجاعة والحروب ،
وقد يكون في المديح الصادق ، وفي الشكوى
الآلمية ما يحرك بعض النفوس ، ولكن الذى
لا أشك فيه أن شعر الحنين إلى الأحبة ، وإلى
مشاهدة الديار التي حلوها ، والبقاع التي
طيبوا أثرها بعبير أنفاسهم ، لا أشك أن

وما ذاك أنا مللنا السرى
ولكن دنونا فزدنا انتظاراً
وكيف القرار إلى أن نرا
ك وتدنى المطى إليك المزارا
ومن كان يأمل منك الدنو
و ، أيملك دون اللقاء اصطبارا
ترى تنظر العين هذا البش
ير يرينى على البعد تلك الديارا
لأعطيه روحى سروراً بها
وأوطيه طرفى وخدى اعتذارا
وأمسح عن أرجل اليعملا
ت بأجفان عيني ذاك الغبارا
وأهدى على القرب منى السلا
م وحسبى بها رتبة وافتخارا
ترى هل أناجى هناك الرسو
ل جهارا كما أرتجى أو سرارا
وأعلم أنى على باب
وقفت وقبلت ذاك الجدارا
ولفته وامضه إلى الورا ترينما كان يلاقيه
زوار الرسول عليه الصلاة والسلام من الصعاب
والمشاق وخوف انقطاع الطريق ، والقلق
من فوات الأمل الحبيب . ومن هنا ندرك
صدق هذا الشاعر وأضرابه ، بمن جاشت
عواطفهم ، ووقفوا بين اليأس والأمل ،
ما ملوا السرى ، ولكن دنوا فزاد انتظارهم
وهذا من أدق وأروع ما يعبر به عن قرب

الحبيب الذى يخشى أن تحول الحوائل
دون لقائه .
أما الشاعر البرعى عبد الرحيم فلا أعدل به
أحداً فى صدق العاطفة ، وإشراق النفس
إلا عمر بن الفارض ، ولعل البرعى هو الشاعر
الوحيد الذى صور لنا أبلغ تصوير وأتمه
عواطف المحب الصادق حين تضعه الحياة
بين الرجاء واليأس .
بعد هذه المقدمة القصيرة ، نأخذ فيما أردناه
من كتابة هذا المقال ، وهو الحديث عن مدائح
شوقى ، وربما كانت هذه المقدمة التى أسلفناها
ذات صلة وثيقة بما نريد أن نشير إليه من رأى
فى مدائح شوقى .
لشوقى ثلاث قصائد طوال فى مديح الرسول ،
وهى - على حسب ترتيبها فى ديوانه - الحمزية
النبوية ، ومطلعها :
ولد الهدى فالكائنات ضياء
وفم الزمان تبسم وثناء
الروح والملا الملائك حوله
للدين والدنيا به بشراء
وثانها (ذكرى المولد) ومطلعها :
سلوا قلبى غداة سلا وتابا
لعل على الجبال له عتابا
ويسأل فى الحوادث ذو صواب
فهل ترك الجبال له صوابا
وثالثها (نهج البردة) ومطلعها :

الأدب - : يتعين على الناظم أن يحتشم فيه فيتأدب ويتضامل ، ويطرح محاسن المرد والتغزل في ثقل الأرداف ورقة الخصر وبياض الساق وحمرة الخد . وخضرة العذار وما أشبه ذلك ، وقل من يسلك هذا الطريق من أهل الأدب .

وهذا التقايد - كما هو معروف - ليس قصراً على المدائح النبوية ، بل هو تقليد جاهلي قديم ، صحب الشعر العربي منذ نشأ إلى يوم الناس هذا ، وقد ثار عليه الحسن بن هانئ في أول العصر العباسي ، ولكن ثورته لم تمنع شعراء عصره ولا الشعراء الذين جاءوا في عصور بعد عصره أن يتغزلوا في بدء قصائدهم ، وقد سخر من هذا التقليد المتنبي أيضاً فقال :
إذا كان مدح فالنسيب المقدم

أكل أديب قال شعراً متيم
ولكننا لم نر القصيدة العربية تتحرر
من هذا القيد إلا في أيامنا هذه ، وربما وقع لأفراد من الشعراء في العصور السابقة أن يتخلوا عن هذه السنة ، ولكن ما زال في الأقطار العربية وفي مصر من يلتزم هذا التقليد في بدء القصائد ولا سيما قصائد المديح ، وشعراء السودان بصفة خاصة مولعون بالغزل في بدء مدائحهم .

وهنا ملاحظة عابرة ، هي أن شوقي بدأ ميميته بالغزل كما فعل البوصيري في البردة ،

ريم على القاع بين البان والعلم
أحل سفك دمي في الأشهر الحرم
رمى القضاء بعيني جوذر أسدا
يا ساكن القاع أدرك ساكن الأجم
وقد عرض للإسلام كحادث تاريخي
في قصيدته (كبار الحوادث في وادي النيل)
بمقطوعة مبدؤها :

أشرق النور بالعوالم لما
بشرتها بأحمد الأنبياء
باليتم الأمي والبشر المو
حي إليه العلوم والأسماء
وقصائد شوقي هذه طويلة وجيدة ، وقد
ابتدأ اثنتين منها بالغزل ، وهو - في ذلك -
يترسم خطي شعراء المديح منذ كعب بن زهير
إلى البارودي ، وشوقي وإن لم يصرح بأنه
يتغزل متابعة للقدامي فقد صرح بذلك أستاذه
البارودي فقال غير موارب ولا متخف :

صدرتها بنسيب شف باطنه
عن عفة لم يشنها قول متهم
لم أتخذة جزافاً بل سلكت به
في القول مسلك أقوام ذوى قدم

تابعت كعباً وحساناً ولى بهما
في القول أسوة بر غير متهم
ويشير البارودي بكلمة (في عفة)
إلى ما يراه العلماء في الغزل الذي تبتدأ به المدائح
النبوية - كما قال ابن حجة الحموي في خزنة

وكنت لمت البوصيري على هذا في كتاب الموازنة بين الشعراء ثم تبين أن اختارتلك المواطن لصلتها بمولد الرسول ، وخاصة إذا لاحظنا أن النسب لم يقصد لذاته حتى يتحدث الشاعر عن هواء في بلبس أو فاقوس وإنما هو نسب وقع موقع التمهيد لقصيدة دينية ، ولولا حرص الشاعر على متابعة القدماء في افتتاح القصائد بالنسب لما كان للتغزل في مثل هذه القصيدة مكان .

وأحب هنا أن أجهر برأى طالما راودني أن أعلنه ذلك أن صنيع الجاهليين في ابتداء القصائد بالنسب إنما هو أجل تقليد شعري وأن هذه الفطرة الجاهلية هي أهدي سبيلا ، وأصنى موردا ، وأقرب إلى طبائع النفوس من كل أولئك الذين عابوا على العرب تقليدهم الجميل ، والشعر تعبير عن خطرات النفس ، وأشواق الروح ، وليس شيء يهيئ النفوس لتلقيه بالرضا أجل من استثارة عواطفها ، وهددة مشاعرهما ، ومن من الناس ليس له هوى ؟

فلست أعيب العرب ، ولست أعيب شوقي بأن ينتهج هذه الطريقة ، ويسير على هذا الدرب الجميل المفروش بالورد والريحان . وعندى أن العربي في باديته الأولى أشف روحاً ، وأصنى نفساً ، وأقوم فطرة من ألف أبي نواس .

وابتدأ بانيته بالغزل أيضاً كما فعل البوصيري في بانيته المنصوبة القوافي وإن لم تكن القصيدةتان من بحر واحد ، ومطلع قصيدة البوصيري :

أزمعوا البين وشدوا الركابا
فاطلب الصبر وخل العتابا
في حين أنه لم يبتدىء الحمزية بالنسب كما فعل البوصيري أيضاً في همزيته فإنه ابتدأها بقوله :

كيف ترقى رقيق الأنبياء
ياسماء ما طاولتها سماء
فهل بلغ حب التقليد بشوق هذا الحد ؟ وملاحظة ثانية وهي أن شوقي لم يختص المدائح النبوية بهذا الصنيع بل نراه يفتح قصيدته في مشروع ملزم المشهور بهذه الأبيات :
أثن عنان القلب واسلم به

من ربرب الرمل ومن سربه
ومن ثلثي الغيد عن بانه
مرتجة الأرداف عن كشه
ظباؤه المشكرات الظبا

يغلبن ذا اللب على لبه
وقد بدا لبعض الكتاب أن يعلل افتتاح الشعر بالنسب بأنه نوع من الرياضة لقرايح الشعراء ويعتذر الدكتور زكي مبارك عن النسب في قصيدة البوصيري فيقول : والنسب في البردة يتصل بالشوق إلى المعالم العربية ،

كما إنى أعد من هذا النوع - أعنى المدائح التى مصدرها العقل - هذا الشعر الذى تتجلى فيه قوة الشاعرية ولكنه يفقد الروح الدينية الخالصة العميقة ، وكثير من قصائد المديح من هذا القبيل ومن ذلك مدائح شوقى. وهذا الرأى الذى يشاركنى فيه كل ذواق للشعر ، وكل ذى إحساس صادق بمواطن الصدق والتزييف فى العواطف ، يريحنا من خبط النقاد والساكتين فقد أرادوا أن يوقفوا بين انكباب شوقى على الملاهى والملاذات ، وأخذه منها بالنصيب الموفور ، وبين قوله فى مدح الرسول ، أو فى الأغراض الدينية بعامة ، فقال قائل إن ذلك من ازدواج الشخصية ، يريد أن لشوقى شخصيتين ، فهو قد يخرج من الحان إلى المسجد ، ثم يعود من المسجد إلى المقصف ، وهو - فى زعمهم - صادق العاطفة فى الحالتين .

وقال آخرون : إن شوقى قال هذه القصائد بعد أن ودع طيبات الحياة وتقدمت به السن وهذا فيما أعتقد جهل بالتاريخ ، فما أعرف أن هذا الشاعر تخلى عن طيبات الحياة ، وأعرف أن بعض هذه القصائد قالها وهو يغذى شاعريته بالصغير والكبير .

ولست أستبعد أن يتوب المذنب وأن تصدق توبته ، ولا أن يكون الإنسان بشخصيتين ، ولكن شعر شوقى لا يضطرنا إلى هذه الافتراضات ، فهو لا يدل على أن

وقد أطلت النظر فى المدائح النبوية وأطلت التفكير فى مسالك الشعراء فيها ، وقد اهتديت إلى أن هذه المدائح ترجع إلى منبعين أساسيين فمنها مدائح مصدرها العاطفة الصادقة المشبوبة القوية الدافقة ، وآية ذلك هو ما نحسه فيها من الطبع والصدق ، وقوة الانفعال وجيشان المشاعر ، وترك النفس على سجيته ، وأمرأه هذا اللون من المدائح ثلاثة شعراء هم عندى على هذا الترتيب . عبد الرحيم البرعى ، والبوصيرى ، والشهاب محمود ، ومنها مدائح مصدرها العقل . وفى هذا اللون تتجلى الصنعة والتكلف كما نراه فى مسالك الشعراء الذين اتخذوا من المديح وسيلة لإظهار براعتهم فى النظم كمن ينظم قصيدة يلتزم فى كل بيت منها حروف المعجم أو يلتزم أن يكون أول حرف فى كل بيت كحرف القافية ، أو يلتزم أن تكون جميع القصيدة من حروف مهمة .

ومن ذلك الصنيع المشهور فى اتخاذ المدائح وسيلة لإظهار القدرة على الإتيان بالمحسنات البديعية وأبعد من ذلك فى التكلف ، وكذب العاطفة أن تتخذ هذه المدائح وسيلة للتسمية فدون البديع فيشتمل البيت على النوع البديعى مثالا وتسمية ، ومن أبطال هذا الفن صنئ الدين الحلى ، وابن حجة الجوى ، ولهذا الأخير بديعية شرحها بكتابه خزانة الأدب وهى فى اثنين وأربعين ومائة بيت وهذا العدد هو عدد ما عرضه من ضروب البديع .

لو لم تقم ديننا لقامت وحدها
ديننا تضيء بنوره الآناء

زانتك في الخلق العظيم شمائل
يغرى بهن ويولع الكرماء
ولم ينس أن يتحدث عن القرآن وأنه
الآية الكبرى، وعن دعوة الرسول لعقوبه،
وحالم عند الدعوة، فقال :

لما دعوت الناس لبي عاقل
وأصم منك الجاهلين نداء
أبوا الخروج إليك من أوهامهم
والناس في أوهامهم سجناء
ومن العقول جداول وجملامد
ومن النفوس حرائر وإماء
وقد كان المداح الأقدمون يضمنون
مدائحهم السيرة النبوية وشمائل الرسول
والحنين إلى زيارته والتوسل به، والشكوى
من الذنوب ورجاء العفو والمغفرة،
والحديث عن القرآن، وعن الصحابة، وقد
قال شوقي في كل ذلك ما عدا الحنين إلى زيارة
الرسول، لكنه زاد أموراً على جانب كبير
من الأهمية .

فمدائح شوقي يشيع فيها الحديث عن
الأخلاق، كما يشيع هذا الحديث في كل شعره
ويشيع فيها الحديث عن الفقراء، وعن
الزكاة، ويمتدح الشريعة الإسلامية بأنها

الرجل متدين، وإنما كان شاعراً كبيراً
يمجد بطلا عظيماً .

وباتية شوقي في ذكرى المولد نحو السبعين
بيتاً ليس منها في هذا الغرض إلا خمسة عشر
بيتاً، ولم يتدى فيه إلا في البيت السابع
والأربعين، ولو كان شاعراً صادق الحب
لعجل بذكر المولد، وذكر صاحبه ولكسبه
استنفذ أكثر قصيدته في الغزل، والحديث
عن الدنيا وعن الإحسان إلى اليتامى، فلما
جاء إلى ذكر الرسول سماه نبي البر، وأشار
إلى قربه من الله حين عرج به، ووصفه بأنه
صاحب البيان الذي هدى الناس إلى سواء
السييل، وصاحب الخيل التي كانت ملجأ
للحق ثم تحدث في خمسة أبيات عن المولد
النبوي، وبلغ ذروة الإجادة الفنية في قوله :

أبا الزهراء قد جاوزت قدرى
بمدحك بيد أن لي انتساباً
فما عرف البلاغة ذو بيان
إذا لم يتخذك له كتاباً
مدحت المالكين فزدت قدراً

فحين مدحتك اقتدت السجابا
أما الحمزية، فقد ضمنها شمائل الرسول،
وأشار إلى نسبة الطاهر الشريف وإلى يوم
مولده وإلى الإرهاصات التي صحبت هذا المولد
الكريم، وقد أبدع وأجاد في قوله :
يا من له الأخلاق ما تهوى العلاء
منها وما يتعشق الصبراء

كما يتحدث شوقي عن أسرار الشريعة الإسلامية ، ويقف بصفة خاصة عند سر حروب النبي ، ويرد على أولئك الذين يعيبون الإسلام باتخاذ الحرب وسيلة لنشر الدعوة ، ويظيل في ذلك ، ومن قوله :

قالوا غزوت ورسل الله مابعثوا
لقتل نفس ولا جاءوا لسفك دم
جهل وتضليل أحلام وسفسطة
فتحت بالسيف بعد الفتح بالقلم
والشر إن تلقه بالخير ضقت به
ذرا وإن تلقه بالشر ينحسم
وفي معنى هذا البيت الأخير جاء قوله
في الهزلية .

الحرب في حق لديك شريعة
ومن السموم الناقعات دواء
هذا ، وقد امتد بنا نفس القول وموعدنا
بالنظر في نهج البردة على حدة حديث يأتي إن
شاء الله ، وأصدق ما نختم به هذا الحديث
قول شوقي يخاطب الرسول :
أنت الذي نظم البرية دينه
ماذا يقول وينظم الشعراء

وقول البوصيري :
إن من معجزاتك العجز عن وصف
فك إذ لا يحسده إحصاء
ليس من غاية لوصفك أو
غيتها وللقول غاية وانتهاء
وأفضل الصلاة وأطيب التسليم على صاحب
الذكرى .

على العمري

راعت حق الفقراء ، ولكن الناس
لا يستجيبيون لداعي الله :

عجبت لمعشر صلوا وصاموا
ظواهر خشية وتقى كذابا
وتلفهم حيال المال صما

كأن الله لم يخص النصابا
ويبلغ ذروة الإجادة في هذا المعنى حين يقول :

الاشترأ كيون أنت إمامهم
لولا دعاوى القسوم والغلواء
داويت متئدا وداوو طفرة

وأخف من بعض الدواء الداء
أنصفت أهل الفقر من أهل الغنى

فالسكل في حق الحياة سواء
فلو أن إنسانا تخير ملة

ما اختار إلا دينك الفقراء
والشكوى من حال المسلمين وتأخرهم
وفسكك الروابط بينهم والاستغاثة بالرسول
أن يدعو الله أن يهدي قومه ويبصرهم طريق
السداد من الجوانب النبيلة التي عرج عليها
شوقي في مدائحه :

ماجئت بابك مادحا بل داعيا
ومن المديح تضرع ودعاء
أدعوك عن قوى الضعاف لازمة

في مثلها يليق عليك رجاء
متفككين فما تضم نفوسهم

نفقة ولا جمع القلوب صفاء
رقدوا وغرهم نعيم باطل

ونعيم قوم في القيود بسلا .

الدين حريّة

للمؤلف محمد فتحي عثمان

(يأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ،
ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم)

أعلى حقائق الإنسانية ... الحرية !
فإن الإنسان لا يسير وفق نواويس آلية مطردة
كالجماد ، ولا يسير بتوجيه الغريزة وحدها
من كفاح !!!

والدين ... ما باله في هذه القضية الكبرى ؟
كالحيوان .

الدين ... لا يذكر إلا ويذكر الانقياد
والخضوع ، والطاعة والاستسلام !
لكن الإنسان يتمتع بإرادة ... تتجلى
مظاهرها في الاختيار ، ومن هنا قد تتوفر

فهل يكون للدين شأن في قضية الحرية ؟
مقدمات بعينها في ظروف بعينها ولكنها
شأن الدين في مزاعم قوم ، أن يسد منافذ
الحرية ، وأن يطبع الإنسان على المهانة
لا تعطى النتائج نفسها بالنسبة لتصرفات
والاستكانة ويكون أفيون الجماهير !
والدين الصحيح براء ... من هذا الهراء !

* * *

إذا كانت حقيقة الإنسانية هي الحرية ،
فإن مهمة الدين هي تقرير هذه الحقيقة
وتقديسها ... إنه يعمق مشاعر الحرية في
مسالك النفس والعقل ، وفي أغوار الفرد
والمجموع ، وفي جذور الأمة والدولة ،
وفي أصول العقيدة والشرعية ... فتجاوب
فطرة الله في نفس الإنسان مع دين الله المنزل

* * *

تلك حقيقة قررها الفلاسفة بمنطقهم ،
وتغنى بها الفنانون بمختلف أساليبهم
وألوانهم ... وهي حقيقة سجلتها الوثائق

تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين .
 « أنلزمكوها وأنتم لها كارهون » ،
 « لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » ...
 ونزل الله العظيم آيات كتابه يناقش ويبرهن
 ويورد الاعتراضات ويرد ، سبحانه تقدرست
 أسماؤه وجل في علاه

تقرأ قول الله العظيم : « قل هاتوا برهانكم
 إن كنتم صادقين » ...
 وتقرأ قول الله العظيم : « أفلم ينظروا إلى السماء
 فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج ،
 والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا
 فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل
 عبد منيب » ...
 وتقرأ قول الله العظيم : « وفي أنفسكم أفلا
 تبصرون » ...

وتقرأ قول الله العظيم : « أم خلقوا من
 غير شيء ، أم هم الخالقون » ، « أحسبتم أنما
 خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون ، !!
 وتعجب من هذا النقاش الرائع الأمين ،
 والجدل الذي يجريه رب العزة مع مخلوقه
 العزيز ، وتطرب لهذا المنهج الرباني الأقدس
 في تربية المؤمن المفكر الحر

وتسمع في كتاب الله العظيم تسجيلاً دقيقاً
 لكل دعاوى المنكرين والمتشككين « وقالوا
 ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما
 يهلكنا إلا الدهر » ، « قال الذين كفروا

على رسله والمودع في كتبه ، وتتجارب
 نواميس الله السكونية مع نواميسه الشرعية ،
 ويتجارب كتابه المشهود مع كتابه المقروء !
 إن الله يريد أن يستخلص النفس الإنسانية
 حرة كريمة عزيزة كما برأها ... وهو يؤكد
 هذه الحرية والعزة والكرامة أيما تأكيد ...
 يؤكدها في قصة خلق الإنسان أصلاً ...
 فإن فيه من روح الله مالا ينبغي أن يذل
 أو يهون ، بل ما استوجب من أطهر خلق الله
 الإجلال والتكريم « فإذا سويته ونفخت فيه
 من روحي فقعوا له ساجدين » .

حتى إذا ما خلق الإنسان وهبط إلى الأرض
 أكد الله مكانه في الكون بين المخلوقات ،
 « لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم » ،
 « ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر
 ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن
 خلقنا تفضيلاً » .

والله يؤكد حرية الإنسان واختياره ،
 « وهديناه النجدين » ، « بل الإنسان على
 نفسه بصيرة » ، « فمن شاء فليؤمن ومن شاء
 فليكفر » ...

وعلى أساس هذه الأصول الكبرى عرض
 الإسلام نفسه على الناس ... فدعا بالحكمة
 والموعظة الحسنة ، وجادل بالتي هي أحسن ،
 ونبي - أقطع نبي - أن يكوم الإلزام والإرغام
 طريقاً لسوق العقائد إلى القلوب « أفأنت

المذهلة ، فيتصاغر المخلوق الحر العزيز أمام الشمس التي تبعث الضوء والحرارة والحياة ، أو أمام القمر الذي ينشر النور والجمال ، أو أمام أعاصير الرياح ، أو غيث المطر ، أو أمام ما يسخر بين يدي الإنسان من نقائات وذريات وصواريخ الفضاء !!

ويشفق الدين على الإنسان من أن تستعبده الأهواء ... من أن يسقيه إيماء الأفراد ، أو استهواء المجموع ... من أن يجرى المخلوق الحر العزيز الكريم خلف مطالب جزء منه ، فيجرجر كيانه كله تبعاً للقمة ، أو شهوة ، أو انقياداً لإنسان سواه من عباد الله !!

ويفجر الدين الطاقة الإنسانية العارمة البناءة ، حين يربط الإنسان - في استعلامه واستسلامه بالله الواحد القهار !! -

إن الله وحده - هو الذي ليس كمثله شيء ، « ولم يكن له كفواً أحد » ...

والله - وحده - هو الذي له الحكم والأمر ، وهو - وحده - إذا قضى أمراً فلا يكون لمؤمن خيرة من أمره ، بل عليه الطاعة والامتثال ...

والله - وحده - هو الذي لا يستل عما يفعل ، وهو - وحده - الذي يحمد على السراء والضراء ولا يحمد على مكروهه سواه ...

والناس ... ؟؟

الناس جميعاً - أيا كانت منازلهم - أنداد

للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه ، ، وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون : هل لنا من الأمر من شيء ؟؟ قل إن الأمر كله لله ، يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك ، يقولون : لو كان من الأمر شيء ماقتلناها هنا ... ، !!! .

ثم تقرأ بعد ذلك آية الآيات في أدب الخطاب والجدال ، فزى التحدى الذي لا يتخلى عن الذوق السامى الرفيع ، قل لا تسألون عما أجرمنا ، ولا نسأل عما تعملون ، ! .

* * *

هذا الإنسان الحر الكريم ... هل يكون

غنياً عن العالمين ؟؟

إنه مخلوق يأنس ويستوحش ، يقوى ويضعف ، يستكبر ويستخذى ... فتحريره وإطلاق قواه لن يلقى طبيعته كمخلوق ...

إنه دائم الإحساس بالحاجة إلى استمداد العون والتماس السكنى ، وتحرير الإنسان يبلغ أقصاه حين يرضى الدين فيه احتياجاته جمالا لا ينال من قوته وطاقته وحقيقته الكبرى .

والدين هنا ينقذ الإنسان من أن تستهلكه الشكوك والأهواء الباطلة ، ويعليه : من يعبد ، وبمن يستعين ! .

إنه يشفق على الإنسان من أن تستعبده الطبيعة الجميلة الجليلة بنواميسها الصارمة البديعة

ترضى فى الإنسان أشواق الروح للإيمان بالغيب ، فى الوقت الذى تطلعه فى عالم الشهادة يعبد الله بالتجانس مع الكون والناس ...

لأنها لا تتطلب من الإنسان (أتاة) خضوع . ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون . لا تتطلب عصية هوجاء ولا أحقاداً عمياء ، قاله ابن يزيد ملكه بطاعة الطائعين ولن ينقص بمعصية العصاة . فليس الخضوع لله لإعلاء لذكثاتورية فرد ، أو سيطرة حزب ، أو احتكار طبقة ، أو تغلب جنس أو أمة ، أو تحكم قبيلة أو أسرة ...

وليس فى الخضوع لله محاباة للخاضعين كطائفة ، ولا تحامل على المنكرين كطائفة . ولا يجرمنكم شئآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى ، ولا يجرمنكم شئآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا ، وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان .

هذا هو رب العالمين بحق ، رب المؤمن والكافر على السواء ، رب كل الأفراد والأجناس والأقوام والطبقات والطوائف على السواء .

لا عجب أن كانت قوته ... أنزه قوة كبرى يخضع لها الإنسان ، وأكرم قوة كبرى يخضع لها الإنسان ، فضلاً عن أن تكون أجدر قوة بأن يخضع لها الإنسان ...

وأمثال وأشباه ، فالعباد سواء لا يستعلي عليهم إلا الإله المعبود ، والخلق سواسية يتعاونون ويتحاسبون - وهم يسيئون ! -

هذه هى الحرية فى أبعد أعماقها ، ومن هنا تنطلق الطاقة الإنسانية فى أضخم إمكاناتها . إن الحرية عند المؤمن لم تعد صرخة بشرية ونداء فطرته فحسب ، إنما دينه الذى يعبد الله به ويلقاه عليه ، فيرضى نزعه فى الانقياد والاستسلام لقوة كبرى فى الوقت الذى ينطلق فيه إلى أرحب الآفاق ...

إسلام الله ... بالانطلاق فى الكون . وتعبد الله ... بالتحرر من كل سلطان سواء . وهكذا يكون نداء الكون هو نداء الدين ، ونداء الخضوع هو نداء العزة ، ونداء الإنسان هو وحى الله ، فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم - ولكن أكثر الناس لا يعلمون . ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً .

هذه القوة الكبرى التى يدين لها المؤمن فيعتز ، ويسلم فيتحرر ، هى أكرم قوة وقدرة يخضع لها الإنسان ، فضلاً عن أن تكون أجدر قوة وقدرة بوجوب الخضوع لها والتسليم .

إنها قوة الغيب ... علت عن كشافة الحس ومطالبه ، ونطاقه العاجز القاصر !!! إنها

« أرباب متفرون خير أم الله الواحد القهار ١١١١٩٩٩ » .

* * *

الإنسانية الكبرى ...

قد يمس التشريع مال الفرد لصالح المجموع ... فلا يكاد ميزان العدل يستوى حتى تعود للفرد حرمانه وحرياته ، وإن تبتم فلکم ردوس أموالکم ، لا تظلدون ولا تظلون ، .

ويعلم التشريع الحرب على الفئة الباغية صيانة لحق جماعة المسلمين ... ولكنها ليست حرب إبادة واستئصال ، فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ، إن الله يحب المقسطين ، .

وتقاوم دولة الإسلام المحاربين من المخالفين في الدين ، فإن كفوا عن العدوان عادت لهم حرمانهم الإنسانية ولو كانوا مخالفين . لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوك في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ، .

فما أولى الأحرار بالاحتفال برسالة الحرية الكبرى ... التي لا تغتفر للإنسان أن يفرط في حريته ، فهي إنسانيته وهي عقيدته في الوقت نفسه :

« إن الله لا يغفر أن يشرك به ... ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، . »

فسمى عثمان

هذا الإله العظيم الذي يدين له الإنسان الحر العزيز فتطلق طاقاته المذخورة من مكانها دون أن يتبذل في مراسم خضوع تمسخ بشريته وتشوه معالمة وتبدد قواه ...

هذا الإله العظيم الذي يرضى الناس جميعاً والمخلوق جميعاً ربوبيته الرحيمة ، يعلم أنه ما من فرد أو جمع يطبق أن يعيش منفرداً في الكون ، فلا بد لرعاية حرية فرد أو مجتمع من تمكين كل الأفراد والمجتمعات من ممارسة حرياتهم ، ومن هنا كان لا بد أن تتقابل الحقوق والواجبات وأنت شريعة الإسلام تنظم ما فجرته عقيدة الإسلام من طاقات الإنسان وقواه ... جاءت عقيدة الإيمان تعز الضعيف بعزة الله ، وتطامن القوى أمام جلال الله وجاءت شريعة الإسلام ترعى حق المجموع ولا تهدر اعتبار الفرد ، وتقرر المساواة ولا تغفل الحرية .

وقال الخليفة المسلم الصديق (والضعيف فيكم قوى عندي حتى آخذ الحق له ، والقوى فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه) .

فإذا ما دعت الضرورات التنظيمية إلى المساس بحرية الفرد من أجل حريات

من القيم الإنسانية في الإسلام :

حرية العقل والفكر والإرادة

للدكتور محمد يوسف موسى

مستشار الشؤون الدينية والثقافية بوزارة الأوقاف

لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيدا .

* * *

وقد صار العرب الذين آمنوا بالله ورسوله ، حاملي النور إلى العالم كله ، والهداة إلى الحق والخير في كل زمان ومكان ؛ وذلك بفضل القرآن الذي أنزل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ليخرج به الناس من الظلمات إلى النور ، وبفضل ما في الإسلام من قيم إنسانية نبيلة ، هذه القيم التي أوفت على الغاية وبلغت أرقى مراتب السمو والكمال .

وهذه المعاني والنزعات الإنسانية التي قامت عليها دعوة الرسول ، صلوات الله وسلامه عليه ، ودعت إليها ، وعملت على تحقيقها بمختلف الطرق والوسائل ، لا سبيل إلى حصرها ، ولا إلى الإشارة إليها جميعا في هذه الكلمة .

وإذن ليس لنا في هذا المقال إلا أن نكتفي

لا أريد أن أتجنى على التاخير أو الواقع في شيء ، ولا أن أذكر على الله أحدا ، ولكنه سبحانه وتعالى - وهو العليم الخبير بمن خلق ، والحكيم فيما قضى وقدر - هو الذي يقول في كتابه العظيم عن العرب المؤمنين : « كنتم خير أمة أخرجت للناس ؛ تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله » .

ولهذا جعل الله البلد العربي الأمين مهداً للإسلام ، وجعل العرب - بعد أن هدوا إلى الحق - حاة رسالته العظمى ، ومبلغها وناشريها للناس جميعا عبر المكان والزمان ؛ وذلك لما يعلوه سبحانه وتعالى من سلامة فطريهم ، وكريم خلاصهم ، وقيامهم بالقسط ، ونصرتهم للحق .

ومن ثم ، كانوا أهلا لحمل هذه الأمانة ، أهلا للقيادة والإمامة ، أهلا لأن يقول العليم الخبير فيهم : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا ؛

يريد أن يكون حراً ألا يخاف أو يرجو شيئاً يملكه غيره ، وإلا فلن يكون حتماً إلا رقيقاً .

ولكن الحرية تشمل أيضاً ، بجانب تلك المعاني ، تحرير العقل من الضلالات والتقائيد الباطلة التي ترين عليه وتمنعه من الانطلاق ، وتشمل تحرير الإرادة والعمل فيما لا يتعارض والصالح العام ، وتحرير المستضعفين من سلطان الأقوياء المستبدين وظلمهم وجبروتهم وتحرير المرء نفسه من أسر شهواته وهواه .

وهذا وذاك كله نراه ماثلاً في نزعة الحرية العامة الشاملة التي جاءت بها دعوة محمد صلوات الله وسلامه عليه . فقد جاء الإسلام بقرار للناس جميعاً ، على اختلاف أجناسهم وأزمانهم ، هذه الحرية على اختلاف أنواعها وضروبها : حرية العقيدة ، وحرية العقل والفكر ، وحرية الرأي والإرادة والعمل ؛ وكل ذلك لم يكن للإنسانية عهد به من قبل ، مع أن الحرية أمر طبيعي ، وأول حق إنساني نبيل يحرص عليه كل إنسان .

* * *

بدأ الاسلام بتحرير العقل من سلطان ما توارثه الناس من العقائد الباطلة ، هذا السلطان الذي دفعهم إلى عبادة ما يصنعون بأيديهم من أوثان وأصنام ، ويقدمون لها

بالكلام عن بعض هذه القيم الإنسانية التي جاء بها الإسلام ، فكرم بها الإنسان ، وأثار السبيل للناس جميعاً ، بادئين منها بالحرية والمساواة على اختلاف معانيها ، وتعدد مجالاتها وتطبيقاتها .

* * *

الإسلام هو دين « الحرية » ، بلا ريب بكل ما لهذه الكلمة من معان ومدلولات ، سواء في ذلك الغربيون والشرقيون ، وقد أعطى لهذه الكلمة من المعاني ما لم يسبق إليه ، كما قدرها تقديراً لم يقاربه فيه دين أو نظام فلسفي اجتماعي سبقه أو جاء بعده .

ذلك بأن « أوجست كونت » ، الفيلسوف الاجتماعي المعروف . يقول في بيان معنى الحرية : إن أحسن ما يكون لنا من حرية هو أن نعمل بقدر ما نستطيع لتسود العواطف والميول الطيبة على العواطف والميول السيئة .

ويرى « هيمون Hemon » أن الحرية هي سيادة الإنسان لنفسه ، وسيطرته على شهواته وهذا يكون بعمل العقل المفكر والإرادة الطيبة ضد الشهوة والهوى .

وفي العصر القديم ، يقول « لايبكتيت » ، الفيلسوف الرواق المعروف : إن على من

الحريص الحرص كله على أن يؤمن جميع من توجه إليهم برسائله بقوله تعالى : « أفأنت تسكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ، !

وكذلك يأمره صلى الله عليه وسلم ، في آية أخرى ، أن يقول : « قل يأياها الناس قد جاءكم الحق من ربكم ، فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فإنما يضل عليها ، وما أنا عليكم بوكيل .

* * *

وبعد هذا ، إن للبعض أن يتساءل : لماذا إذا كانت الحروب بين المسلمين والكافرين ، ألم يكن الدافع إليها إكراه هؤلاء على الإسلام فيكون الإسلام قد علا أمره وانتشر بجد السيف لا بالإقناع والدليل ؟ .

الجواب عن ذلك كله يجب عند الباحث المنصف أن يكون بالسلب لا بالإيجاب . فإن الذى يستعرض آيات القتال فى القرآن ويستقرئ التاريخ الثابت الصحيح ، يتبين له بلا ريب أن القتال كان لحماية الدعوة حتى تأخذ سبيلها من الذين يكيدون لها ويقفون ظالمين فى طريقها .

كما كان للدفاع عن المستضعفين من المؤمنين الذى آذاهم المشركون أذى كبيرا ونالهم منهم بلاء شديد ، وذلك رغبة فى فنتهم حتى يرتدوا عما آمنوا به من الدين الحق بعد أن

من القرابين وشعائر العبادة ما يعرفه التاريخ الصادق الأمين .

يعبدون هذه الأوثان والأصنام التى لا تسمع ولا تبصر ولا تغنى عنهم شيئا ، وإنما يعبدونها بحكم التقليد للآباء والأسلاف الذين لم يكونوا فى هذه الناحية يعقلون شيئا ولا يهتدون ، حتى إنهم كانوا إذا سمعوا القرآن يقول « اتبعوا ما أنزل الله ، ، كانوا يقولون : « بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا ، !

حتى إذا رفع هذا الحجاب عن قلوبهم ، وعرفوا بطلان ما كانوا عليه فى ناحية العقيدة وظفروا بحرية العقل والفكر ، هدوا بفضل ذلك إلى الحق الذى جاء به القرآن وأصبحوا يدخلون فى دين الله أفواجا ، وصاروا بعد هذا هم الهداة للحق الذى عرفوه وآمنوا به .

والإسلام حين حرر العقول من الأساطير والأوهام . وحرم عبادة الأوثان والأصنام وأمر بعبادة الله وحده ، قرر حرية العقيدة للناس جميعا بعد أن بين تماما ما هو حق فى هذه الناحية ، وبين ما يكون للؤمن وغير المؤمن من جزاء عند الله فى الدار الآخرة .

ولهذا نجد القرآن العظيم يقول : « وقل الحق من ربكم ، فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر ، ، ويقول : « لا إكراه فى الدين ؛ قد تبين الرشد من الغي ، ، ويخاطب رسوله

المقنع والموعظة الحسنة ، لا بالشدّة ، والغلظة
فما كانت الشدة ولا القتال في أى عصر سيباً
في تثبيت ما ليس صحيحاً أبداً .

ولتسمع في هذا قوله تعالى : « ادع إلى
سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ،
وجادلهم بالتى هي أحسن ؛ إن ربك هو أعلم
بمن ضل عن سبيله ، وهو أعلم بالمهتدين » .

ومن المثل الرائعة للدعوة إلى الحق
بالحكمة والموعظة الحسنة ، هذا المثال الذى
نجدّه في هذه الآية التى أمر الله رسوله أن
يتوجه بها لأهل الكتاب الذين اتخذوا
أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله
وصحوا آذانهم وقلوبهم عن دعوة الحق ،
وهى :

« قل يا أهل الكتاب ، تعالوا إلى كلمة
سواء بيننا وبينكم ؛ ألا نعبد إلا الله ولا نشرك
به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من
دون الله . فإن تولوا ، فقولوا اشهدوا بأيماننا
مسلمون » .

ومع هذا وذاك ؛ نرى الإسلام يقر
حرية الفكر والرأى بأوسع معانيها ، ويفتح
باب المعرفة والعلم على مصراعيه ؛ فالرسول صلى
الله عليه وسلم يقول : طلب العلم فريضة على
كل مسلم ومسلمة ، وآيات كثيرة من القرآن

استقر في عقولهم ، وامتألت به نفوسهم
وقلوبهم . ويكفى أن تذكر في هذا أو ذاك
هذه الآيات من سورة البقرة (١٩٠-١٩٣)

« وقالوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ،
ولا تعدوا إن الله لا يحب المعتدين ، واقتلوهم
حيث ثقتهم ، وأخرجوهم من حيث
أخرجوكم ، والفتنة أشد من القتل ، ولا
تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم
فيه ، فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين ،
فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم ، وقاتلوهم
حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ، فإن
انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين » .

إن في هذه الآيات من الصراحة ما لا يحتمل
اللبس ، وهى دليل - أى دليل ١ - على أن
الإسلام جاء بحرية الاعتقاد ، وأن ما كان
من قتال بين المسلمين وأعدائهم إنما كان
بعد أن بدأ هؤلاء بالعدوان الشديد الذى
كان لابد من رده ، ولهذا يقول الله تعالى بعد
ذلك في سورة الأنفال : « وإن جنحوا للسلم
فاجنح لها وتوكل على الله » .

إن الإسلام هو دين السلام ، ودين العقل
والفكر ، فليس به من حاجة إلى القوة لحمل
الناس عليه ؛ ومن ثم جاء بالحرية بأوسع
معانيها ، ومنها حرية الاعتقاد والرأى ولهذا
أمر الله رسوله بالدعوة إليه بالدليل الصحيح

إلى بعض الآراء التي لا تتفق والمذهب الرسمي كما هو معروف في التاريخ .

وبعد ! إن مجال القول ذو سعة في الحرية التي جاء بها الإسلام ، الحرية العامة الشاملة . ويسكني أن نشير بعدما تقدم إلى حرية الرأي في شئون السياسة العامة والحكم التي كانت من الصحابة رضوان الله عليهم أيام الرسول نفسه ، وبخاصة في الأمور التي لم يجي فيها الوحي الإلهي بالرأى الحاسم والقول الفصل ، وذلك أيام غزوة بدر وغزوة أحد وغيرهما كما نشير إلى قولة سيدنا عمر بن الخطاب إلى سيدنا عمرو بن العاص : يا عمرو ، متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟ هذه القولة التي لا تزال تدوى أبد الدهر ، ومنها نعلم أن الإسلام هو الذي وضع أسس الحرية والإخاء والمساواة لا الثورة الفرنسية كما يزعم الجاهلون بالإسلام وتاريخه ، أو المغرضون الذين يكذبون عليه وهم يعلون . بهذه القيمة الإنسانية النبيلة ، أحس الإنسان بأنه إنسان حقا ، وعرف لنفسه منزلتها وكرامتها ، وصار آمنا مطمئنا عزيزا كريما في كل حال .

(الحديث . ووصول إن شاء الله)

محمد يوسف موسى

تختم بأمثال هذه الجمل : « إن في ذلك لآيات لأولى الألباب » ، « لقوم يعقلون » ، « لقوم يتفكرون » ، « لقوم يذكرون » .

والقرآن أيضا يبين لنا في كثير من آياته أنه سخر لنا ما في السموات والأرض ، ويطلب منا أن نعمل عقولنا وحواسنا في فهمه . بل ويجعل من يهمل في ذلك ولا يستعمل عقله وحواسه في سبيل المعرفة أدنى من الحيوانات وذلك إذ يقول الله تعالى :

« ولقد ذرأنا لجنهم كثيرا من الجن والإنس ؛ لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون » .

ومن شأن طلب القرآن العلم والمعرفة بكل سبيل ، أن يجعل حرية الفكر والرأى أمرا لا بد منه ، لأن ذاك يستلزم هذا ، ولا يطلب من الباحث إلا بذل الوسع في استعمال عقله وحواسه كما ينبغي ، ولا عليه بعد ذلك من بأس إذا أخطأ في بعض ما يصل إليه ، بل إن لكل مجتهد بحق نصيب من الأجر .

وفضلا عن هذا ، فإن تاريخ الإسلام لم يعرف (محاكم للتفتيش) ، (ولا مجامع مقدسة) ، تحجر على العلم والمعرفة ، وتحكم على آلاف وآلاف من العلماء بالحرق وهم أحياء ، أو بالإعدام شتقا ؛ لأنهم وصلوا

تأليهة القرن الثامن عشر

وهل معنقدوها مؤمنون؟

للدكتور محمد غلاب

تاريخ العقائد البشرية . ولكي يتيسر لنا القيام بهذه المهمة ينبغي أن نضع على بساط البحث هنا ثلاث معضلات :

أولها كيف نمت التأليهية في القرن الثامن عشر إلى حد أن اختصمت معها المسيحية وجعلت تناوئها مناوئة الند للند؟ وثانيها كيف خلط بعض المؤلفين بين التأليهية والإلحاد ؟ .

وثالثها كيف كانت تلك التأليهية في حقيقة أمرها ؟ وما هي المبادئ التي كانت تمثلها إذ ذاك وهل يعتبر معتنقوها من المؤمنين أو من الملاحدة ؟ .

ولكي تتيسر الإجابة على هذه الأسئلة ، ينبغي إلقاء شيء من الضوء على الناحية العقلية في القرن الثامن عشر ، وإبانة الاتجاهات التي لعبت فيه أدوارا هامة كان لها في العقائد وغيرها آثار بارزة ، وإليك البيان :

مما لا ريب فيه أن القرن الثامن عشر هو الذي منح التطورات الغربية تلك الصور المتجلية التي نشاهد اليوم نتائجها واضحة المعالم

من بين العبارات المشهورة في البيئات العقلية قول أحد الباحثين الغربيين : (كان القرن السابع عشر مؤمنا ، والقرن الثامن عشر ملحداً . والقرن التاسع عشر مرتاباً ولا ندرى كيف يكون القرن العشرون ؟)

ولقد نزلت هذه العبارة من المثقفين في الشرق منزلة الحقيقة اليقينية التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها . ونحن حين نعمل في دراسة إنتاج ذلك القرن المفترى عليه من جهة ، وفي البحوث التي كتبها الأدقاء من معاصرينا عن إنتاجه وروحه وأهدافه من جهة ثانية ، تبين لنا في وضوح أن تلك العبارة سطحية أو عاتمة ، وأن الملحدين في ذلك القرن لم يكونوا سوى عدد ضئيل وأن الاكثرية الساحقة من أعلامه وأنداد مفكره ، كانت مؤلهة . وقد حملنا هذا التباين في الحكم على أن ندرس هذه المفارقات ، الهامة آملين أن نصل من وراء ذلك إلى الكلمة الحاسمة في هذه المرحلة الخطيرة من

السعادة غير ممكنة الاقنصاص وقد زعموا أنهم هم الذين سيجدون العلاج الناجع المبرأ من كل هذه الأدواء الخطيرة . وأنهم سيلاحتمون السعادة حتى يستولوا عليها بمعونة العقل وحده — ولكنها سعادة بشرية فقط تلك التي يعدون وراءها ذلك العدو المتواصل . غير أنه ينبغي أن نشير هنا إلى أن تعقلية

القرن الثامن عشر ، تختلف كل الاختلاف عن تعقلية المدرسة الديكارتية التي لم تكن تعتمد إلا على الجانب الأسمى من العقل ، أى أنها لا تسمح لغير النظر المحض بأن يتدخل في تشييد قضاياها ، بينما أن تعقلية القرن الثامن عشر كانت تقول — في استخراج قواعده الفكر والعمل — على التجربة والاستنباط الفرديين ، وفي هذا يقول «لوك» الذي كان يعتبر أستاذ العصر : (إن أفكارنا بل عقلنا نفسه هو نتيجة الأحاسيس التي تسجلها النفس وثمره العمل الذي تجر به على ذاتها ، أى أنه ليست هناك أفكار فطرية في النفس) .

ومعنى هذا أن الإنسان بجهوده الخاصة ، هو الذي يجب أن يكون مرشد نفسه في وسط هذا الخليط المظلم وأن ينشئ معارفه وينظمها وأن يختار تصرفاته حسبما يريد ويستطيع . ولقد نجم عن هذا المبدأ الصريح الذي

وأن تلك الحقبة من تاريخ أوروبا ، هي الآونة الحاسمة التي فصلت بين ماضيها ومستقبلها ومن ثم كان من المألوف أن يقرأ الباحث في منتجات المؤلفين المحدثين — سواء أكانوا من العلماء أم من النقاد أم من المرتابين أم من الماديين — هذه العبارة (نحن الورثة المباشرين للقرن الثامن عشر)

وفي الحق أن عددا ضخما من المؤلفات قد خصص لدراسة اتجاهات المدنية الغربية في تلك الحقبة ، وأنها جميعها عنيت بأن تقف وقفة المتمعن عند تلك الثورة العقلية والدينية التي سبقت الثورة السياسية وأعدت لها النفوس والعقول . والتي كانت شعار ذلك القرن الذي أطلق عليه أعلام مفكريه اسم (عصر الأنوار) لأنهم كانوا يهدفون إلى « تبديد تلك الكتلة الكبرى من الظلام الذي غمر الأرض ، على حد تعبير «ديديرو» .

وفي الواقع أننا نرى في جلاء أن ذلك القرن كان عصر العقلين وذوى الحجب المقنعة والفلاسفة التجريبيين أى أن أفذاذه كانوا أرباب عقول حادة قاسية ونفوس جافة لا تعرف سوى المكافآت والمناضلات ، والنقد الحازم الحاسم ، وأنهم كانوا يأخذون على أسلافهم أنهم ورثوه مجتمعاً سيئاً رديئاً اضطهد الطبيعة واسهان بالعقل ، وجعل

وفكرة الإنسانية . ومنها ما قدمه إلى البشرية في محيط العلوم التجريبية التي جعلت تخطو نحو السكال خطوات متمهلة حيناً ، وسريعة أحياناً .

أما فيما يتعلق ببحوثهم الدينية ، فإننا فعتقد أن أكثرها قد أخفق ، بل كان عنصر فناء مذاهبهم كما يسجل الأستاذ (بول هازار) هذه الحقيقة فيقول : (والآن نصل إلى أخطر أنواع سوء التفاهم الذي فكك مذاهبهم مادام أن الأمر فيه يتعلق بالصلوات بين الإنسان والإله) .

كان هذا الخصام أو سوء التفاهم الذي أشار إليه ذلك العالم السالف الذكر ناشئاً من حملة المفكرين على المسيحية لا على الألوهية من حيث هي ، إذ أنهم كانوا على الضد من ذلك يكادون يجمعون على أن العقل الذي يدنون به ، يحتم أن يكون لكل فعل فاعل ، ولكل نظام منظم حكيم . وفي هذا يقول فولثير : (كنت أتأمل في هذه الليلة وكنت منغمساً في مشاهدة الطبيعة ، وكنت أعجب بعظم وسير وعلائق هذه السكرات غير المنتهية التي لا يعرف الدهماء كيف يعجبون بها وكنت أعجب أكثر من ذلك أيضاً بالعقل الذي يرأس تلك المحركات الواسعة ، وكنت أقول لنفسى ينبغي أن يكون المرء أعمى لكي لا يبهـ

قويت حوله الدعايات ، أننا رأينا أولئك الجراء - منذ طليعة ذلك القرن - قد بدءوا أعمالهم بحملة قاسية من التقذ اللاذع تناولوا فيها كل شيء ، فلم تنج من أقلامهم وخطبهم ، بل من هدمهم وتقويضهم أية ناحية من تراث أسلافهم ، فهاجوا العلم والفلسفة والأخلاق والمسيحية والسياسة والحقوق واضعين نصب أعينهم هدم ما هو مألوف من كل تلك الجوانب وإعادة بنائه على أسس جديدة يزعمون أنها غير قابلة للترزل ، وإن كانت الأيام قد أثبتت فيما بعد أن كثير أمنها ممكن التزلزل ، بل قد تزلزل فعلاً وسقط خاوياً على عروشه . وما أبدع تصوير الكاتب العصري الفرنسي (بول هازار) لهذا الغرور في كتابه القيم : (الفكر الأوربي في القرن الثامن عشر) إذ يقول :

(سنعالج هنا أوضح ما وجد من العقول المستتيرة وإن كانت قد خلفت في فلسفتها الشفافة متناقضات سيفيد منها الزمن عند ما تقع هذه الفلسفة تحت فعله القارص) .

ومهما يكن من الأمر ، فإن إنتاج القرن الثامن عشر مشتمل - ككل نواحي الحياة - على الخير والشر ، والحسن والسوء . فمن محاسنه أنه سما بحقوق الإنسان ، كالعبدالة والمساواة أمام القانون ، والحرية والتسامح

لم يهوا في الإلحاد إلا بسبب شرفهم الطبيعي
ولسكنهم رضعوا الخرافات مع ابن مراضعهم
وحينئذ خطوا بين الخرافات والدين وذلك
سوء فهم خليق بالصفح ، ومع ذلك فإن
إصلاح الملحد أيسر من إصلاح المتحمس
أو المتعصب .

غير أن المسيحيين قد نظروا إلى هذه الرحمة
على أنها تودد إلى الملاحدة وانعطاف نحوهم
(وشيبه الشيء . منجذب إليه) كما يقولون .
وقد امعن أولئك المتدينون في اتهام هؤلاء
الأعلام إلى حد أن أعلنوا في صراحة أن
التأليهية ليست سوى إلحاد مقنع ، وأنه لافرق
بين معبودي المؤلهين والماديين إلا في التسمية
فالأول يدعى بالإله ، والثاني يدعى بالطبيعة .

ومما لا ريب فيه أن هذا الخلط بين الحق
والباطل والافتئات على أولئك المفكرين ،
والتهم الجزافية التي صوبت إليهم بغير حساب
كل ذلك يدفعنا إلى أن نقف هنيهة عند هذه
التأليهية المظلومة ، لتبين الفرق بينها وبين
الإلحاد إحقاقا للحق ووضعاً للأمور
في نصابها ولكن ينبغي قبل ذلك أن نشير
إلى أن الملاحدة والماديين والمؤلهين -
وإن اختلفت عقائدهم وتباينت مبانيهم .

كانوا جميعاً متفقين في شيء واحد وهو
الهجوم العنيف على المسيحية ، ولعل أهم

هذا المظهر ، وينبغي أن يكون غيباً لكي
لا يقر بمنشأها ، وينبغي أن يكون مجنوناً
لكي لا يعبهه (١) .

من هذا النص وأمثاله يتبين جلياً أن أولئك
المفكرين لم يكونوا ملاحدة ، وأنهم كانوا
في جميع المناسبات يدفعون عن أنفسهم بكل
مالديهم من قوة تهمة الإلحاد . غاية ما في الأمر
أن غلبة روح التسامح عندهم قد جعلتهم
أقل من معاصريهم قسوة على الملحدن الذين
كان الرأي العام حتى ذلك الحين يعتبرهم
مفسدين مجرمين . وسر هذا التسامح هو أنهم
- بدلاً من اعتبار الملحد كأنه مجرم - كانوا
يقتبطون بأن يمنحوه شيئاً من (الظروف
الخفيفة) كأن يقولوا مثلاً : قد لا يكون
الملحد إلا رجلاً مخدوعاً .

على أنه إحقاقاً للحق ، كان هناك نوعان
من الملحدن ، أولهما الملحدون الفاسقون الذين
لا أخلاق لهم ، والذين هم ضد الدين ؛ لأن
الدين يشهد ضد حياتهم ، وهؤلاء يستحقون
الذم . وهناك أيضاً ملحدون فضلاء يحبون
ما هو خير ومعقول وجميل . وكان هؤلاء
يعزون الإنسانية ، ويبدون اجتماعيين ، وهم

(١) انظر مادة الدين من « أسئلة حول دائرة
للمعارف » في سنة ١٧٧٩ . تأليف فولتير .

العريضة التي رسمها أولئك المفكرون ،
 لإلههم إذ يقولون : في الواقع إن نظرة واحدة
 تلقى على الخلق تكفي لملاحظة نتائج جديدة
 بالإعجاب . ولما لم يكن من المستطاع تصور
 نتائج بلا علة ، فإنه ينبغي إذن فرض علة
 أولى ، ولأنه لا توجد ساعة بلا (ساعات)
 وأن لدينا أمام أعيننا ساعة جيدة الضبط
 فإنه يوجد إذن عامل ماهر قد صنعها ، وأنه
 هو الذي ينظم ضبطها وهو الإله :

لاية غاية انتزع الإله العالم من العدم ؟ حقاً
 إن الإجابة محيرة ، ولكنه يكون أشد مدعاة
 للحميرة أيضاً أن يقر الإنسان فرض عالم
 لم ينشئه أحد ، وهو يسير بالمصادفة ، ولا
 يتجه نحو أية غاية . ولا جرم أن هذا يساوى
 القول بأن كائنات عاقلة يمكن أن تخلق بلا
 تدخل العقل . وإذن فيجب علينا حسب
 المنطق القويم ، أن نفضل العسير على المستحيل ،
 وأن نقر العلل الغائية ، وذلك حل يمكن
 أن يكون مرضياً .

إن التأليه يحقق نوعاً من التطهير ، ففي
 الواقع أننا إذا محونا كل ما يبدو لنا خرافياً
 في كل مذهب ، فإنه في نهاية هذه الانمحاءات ،
 سيبقى الإله ، ولكنه إله غير معروف وغير
 ممكن المعرفة . ومن ثم فإنه لا يكاد يحتفظ
 له بغير الكينونة ولا يعطى من بين جميع

الأسباب الدافعة إلى هذه الحملة هو أن
 المسيحية في ذلك العهد لم يكن لها مدافعون
 عابرة كأولئك الأعلام الذين استطاعوا
 في القرن السابع عشر أن يسحقوا خصومها
 من الملاحدة والزنادقة والمتحللين ، وأن
 يأخذوا بيدها إلى عرش الغلبة والانتصار
 أمثال : باسكال ، وبوسويه ، وفينيون ،
 وماسيون ، وبوردالو ، ومن إلههم .
 وهذا الضعف من جانب المدافعين هو الذي
 سمح للتأليهية بأن تقوى وتقوى من المسيحية
 موقف المخاصمة ، وبالتالي هذه هي الإجابة
 على سؤال المعضلة الأولى كما أن تعبير
 المتدينين بأن (التأليهية إلحاد مقنع) هو سر
 الخط بين المبدئين ، وهذا كله يدفعنا إلى
 إلقاء الضوء على التأليهية كما وعدنا بذلك آنفاً
 وإليك البيان .

كان المؤلفون من أعلام القرن الثامن عشر
 يرتفعون بإلههم عن أن يكون محلياً
 أو موضوعياً ، أو خاصاً بجنس معين من
 البشرية ، ويجزمون بأن أولى خصائص
 الألوهية الصحيحة هي العمومية ، وأن
 الدين الحق هو الذي لا ينبذ أحداً ولا يدين
 طائفة ، والذي يسمح لجميع أفراد البشرية
 بأن يسهموا في الإيمان به وإليك الخطوط

الأستاذ بول هازار وإليك هذا التلخيص :
 (الواقع أنه - بدلا من العمومية التي كان
 يراد الوصول إليها - قد انتهت الحالة إلى
 التشتت ، وإلى العزلة وإلى تباينات قابلة
 للإنتقاض حتى إزاء الجزم البسيط وهو (إننى
 أومن بالإله) لأنه كان ينبغي معرفة أى إله
 ذلك الذى يجب الإيمان به ، إذ أن المرء
 حين ينظر عن كشب ، يلاحظ أنه لم توجد
 تأليهية واحدة ، بل تأليهيات متعددة متباينة ،
 بل متعارضة ، بل متنازعة . فمثلا : تأليهية
 يوب ليست هى تأليهية فولتير ، وتأليهية
 فولتير جد بعيدة عن تأليهية ليسينج .
 وحيث كان الأمر كذلك ، فإن وحدة
 الإيمان كانت قد انقضت قطعا .

والآن - لإيضاح هذا كله ، ولإبانة كل
 من تلك التأليهيات المختلفة فى حقيقتها وشرح
 مبادئ كل منها على حدة ومعرفة الفروق
 الدقيقة بينها وتوضيح النقاط الأساسية التى
 تبعد صاحبها عن الدين الموحى به يجب أن
 نمر - ولو مسرعين ، بتأليهات أولئك
 المفكرين ، وموعنا العدد المقبل إن شاء الله .

دكتور محمد غلاب

النعوت الممكنة سوى أشدها إلهاما وأكثرها
 إجلالا ، وقد دعى بالموجود الأسى ، وهو
 لا بد من إجلاله ، ولا يمكن إجلاله إلا
 بالعبادة الباطنية التى تشوى فى النفس .
 وقصارى القول : إن إقرار المرء فى العموم
 بوجود أول ، وتوجيه قلبه من وقت إلى
 آخر نحوه ، وامتناعه عن الأفعال التى تخل
 بالشرف فى البيئة التى يقيم فيها ، وتأدية بعض
 الواجبات فى المجتمع ، هذا هو الضروري
 الوحيد ، وكل ما يبقى بعد ذلك هو عرضى .

ذلك هو يحمل العبارات التى صورها
 المؤهلون لإلهام العام ، وهى كقيلة بإبراز
 الفرق الواضح بين التأليهية والإلحاد .
 وصريحة فى الإيمان بإله هو قوة السمو ، ولما
 هل حسبنا هذه النتيجة الضئيلة ؟ وهل كان
 من الممكن حقا أن تسكتنى الإنسانية بدين
 عام أجرد بلا وحى ولا أوامر ، ولا نواه ،
 ولا تعاليم ولا طقوس . ولا معابد ؟ بل
 هل وصل أولئك المفكرون إلى الهدف
 الذى كانوا يرمون إليه من تحقيق دين عام ،
 أو وحدة اعتقادية شاملة للإنسانية جمعاء ؟
 إننا سنجد الرد الشافى الذى يلخص إجابات
 أدق الباحثين على هذه الأسئلة فى كتاب

إفريقيا الجديدة والإسلام

للدكتور جمال الدين الرمادى

الذى حل) يضم السنغال والسودان الفرنسى الذى كان أهم مستعمرة لفرنسا فى غرب إفريقيا ، وقد كانت فرنسا لا تألو جهداً فى سبيل محو الثقافة العربية فى هذه البلاد ومنع البعثات الدينية من السفر إلى القاهرة لطلب العلم فى الأزهر الشريف . كما كانت تحارب الجزائريين بجنود هذه البلاد فيحارب المسلم أخاه المسلم .

استقلال نمرود :

كما استقلت توجو و توجولاند سابقا ، فى ابريل عام ١٩٦٠م ورفعت الوصاية الفرنسية عنها ، وقد احتلت توجولاند منذ تسعين عاما وظلت السيادة الألمانية عليها حتى الحرب العالمية الأولى حيث استطاعت إنجلترا وفرنسا احتلال جزء منها وأقرت عصبة الأمم حكم الأمر الواقع وأصبح لكل من الدولتين الحق فى الحكم فى ظل الانتداب الذى تحول إلى الوصاية بعد الحرب العالمية الثانية . وجرى استفتاء شعبي فى توجولاند البريطانية وتم بعد ذلك انضمام القسم البريطانى ومساحته ١٣ ألف ميل إلى غانا . أما القسم الفرنسى فقد اقترح إجراء انتخابات جديدة تحت إشراف الأمم المتحدة وتمت الانتخابات بفوز حزب الوحدة الذى تزعم حركة الاستقلال

أصبحت إفريقيا تضم بين جنباتها دولا مستقلة كثيرة بعد أن كانت قارة المستعمرات التى يستغلها الأجانب استغلالا رهيبا ويستولون على ثمراتها ويستأثرون بخيراتها ويستعبدون الأحرار فيها ، فقد شهدت الشهور الماضية استقلال غانا وتوجولاند والسكوتو وغوا والكيمرون وصوماليا واتحاد مالى وغيرها من المستعمرات القديمة فى القارة البيضاء التى أطلق عليها الدخلاء اسم القارة السوداء . وقد استقلت فى ٢٦ يونيو الماضى جزيرة مدغشقر القريبة من الساحل الشرقى لإفريقيا وأصبحت تعرف باسم جمهورية ملجاس وعدد سكانها خمسة ملايين ومساحتها ٧٤ ألف ميل مربع ، كما أعلن استقلال داهومى وساحل العاج والنيجرو وفولتا العليا وسيمى فى أكتوبر المقبل استقلال نيجيريا ويجرى قبل مارس عام ١٩٦١ استفتاء بين أهلها الذين يبلغ عددهم مليون وربعائة ألف نسمة ، يقررون فيه ما إذا كانوا ينضمون إلى نيجيريا المستقلة أم جمهورية الكيمرون ، وفى سبتمبر الحالى تنال تنجانيقا الحكم الذاتى كما تتطلع أوغنده نحو هذا الحكم .

اتحاد مالى :

أما اتحاد مالى (فكان قبل الخلاف

البعثات فيها على نشر الكاثوليكية . وبين سبعين ألف أوربي يعيشون هناك . يوجد عشرة آلاف من هذه البعثات ، وهذا يدل دلالة قاطعة على خطورة مهمتها وليس من شك في أن الإسلام سوف يعود إلى صولته القديمة باستقلال هذه البلاد .

والكمبرود :

وقد استقل كذلك الكمبرون في أوائل هذا العام وهو الجزء الأكبر من مستعمرة الكمبرون الألمانية القديمة التي حصلت عليها ألمانيا عام ١٨٨٤ ثم تقاسمتها بريطانيا وفرنسا فيما بينهما في أعقاب الحرب العالمية الأولى ونالت فرنسا الجزء الشرقي وبريطانيا الجزء الغربي ثم وضع الجزء الشرقي تحت وصاية الأمم المتحدة منذ ١٣ عاما .

استقلال الصومال :

انتهت الوصاية الإيطالية على الصومال وانتهت الحماية البريطانية قبلها في شهر يوليو على الجزء الثاني من الصومال وأعلن ميلاد اتحاد جديد في إفريقيا هو اتحاد الصومال الذي يبلغ عدد سكانه مليونين .

أما اتحاد الصومال الكبير فيشمل ثلاثة أقاليم أحدها يخضع لفرنسا والآخر ضم إلى كينيا والثالث هو إقليم أوجادين بأثيوبيا

وفشل اتباع الانضمام إلى فرنسا ، وتقع توجولاند بين نيجيريا وغانا ومساحة الجزء الفرنسي حوالي ٢٢ ألف ميل مربع ، ويعيش في توجولاند مليون إفريقي إلى جانب ألف أوربي والعاصمة هي لومي وعدد سكانها ٧٠ ألف نسمة وبها ثروة كبيرة من الحديد والفوسفات وكثير من المعادن غير منتجات غرب إفريقيا الزراعية مثل الكاكو والبن وجوز الهند . وقد كان المستعمرون يحاولون أن تدفع إفريقيا ثمن تعمير أوربا وما خربته الحرب وأن تقدم مواردها من أجل هذا التعمير

والكونغو :

أما الكونغو فقد استقل في ٣٠ يونيو سنة ١٩٦٠ بعد أن ظل فترة طويلة تحت حكم بلجيكا منذ أن اكتشفه ستانلي الرحالة البريطاني عام ١٨٨٢ وهو يعمل في خدمة الملك ليوبولد الثاني ملك بلجيكا وباستقلال الكونغو تتحطم سلطة بلجيكا على هذه البقاع بعد أن ظل الملك ليوبولد مالكا شخصيا لأرض الكونغو ثم آلت ملكيته إلى الحكومة .

والكونغو من أكبر البلاد الإفريقية وأغناها إذ تبلغ مساحتها ٩٠٠.٠٠٠ كم أي مثل مساحة الهند كلها وأكبر من مساحة غرب إفريقيا وسها نهر الكونغو سادس نهر في العالم طولاً وأوسعها على الإطلاق وتعمل

الجنوب والجنوب الشرقى، ولما آل الملك إلى ساندبانا استطاع أن يجعل من مملكته الصغيرة امبراطورية عظيمة هي « امبراطورية مالى » وقد اتسعت رقعة هذه الامبراطورية وبلغت درجة كبيرة من الجاه والسلطان فى عهد الخليفة منسى موسى الذى استطاع قواده أن يستولوا على تمبكتو وأن يضموا جوا فى أواسط النيجر، كما امتدت مملكته من بلاد التكرور غربا إلى ولدى شرقا ومن ولاتا فى الصحرا. إلى فوتاجالون جنوبا وكانت القوافل الآتية من مراکش وبرقة ومعدنوزور مالى بانتظام وكانت زيارة « منسى موسى » للأراضى المقدسة تحدث دويا كبيرا وصدى عظيما لأنه كان يجتمع مع عدد كبير من أتباعه ويصحب معه نخبة كبيرة من العلماء نذكر منهم أبا إسحاق الساحلى أو السهل من أهل غرناطة فى الأندلس وقد بنى مسجدا فى جوا ومسجدا آخر فى تمبكتو ويقول ابن بطوطة : إن المسلمين من أهل مالى يحافظون على أداء صلواتهم ويرتدون الثياب البيض يوم الجمعة ولو لم يكن لأحد إلا قميص خلق غسله ونظفه وشهد به الجمعة كما أنهم يعتنون بحفظ القرآن الكريم ويضعون لأولادهم القيود إذا قصروا فى حفظه ولا تفك عنهم القيود حتى يحفظوه . كما أنهم يواظبون على الصلاة ويلتزمون أداءها فى الجماعات ويضربون أولادهم إذا انصرفوا عنها ، وإذا

وهذا الإقليم كانت بريطانيا قد أهدته إلى الحبشة مكافأة لها على اشتراكها فى إخماد ثورة المهدي فى الصومال ، ثم عادت فأكدت هذه المكافأة بمعاهدة ١٨٩٧ وقد اعترفت فيها بالمصالح الحبشية فى أوجادين وهو إقليم يضم ٣٠٠٠٠٠ صومالى كلهم من المسلمين ويعد أغنى جزء فى الصومال ، من الناحية المعدنية وثروة الغابات ، كما يقال إن به بعض آبار زيت البترول وقد بدأ الاستثمار الإيطالى بالصومال منذ ٧٢ عاما بالاتفاق بين سلطان زنجبار وإيطاليا على تأجير موانئ بنادر لمدة خمسين عاما وبعد عشر سنوات تقريرا احتاج السلطان إلى مال فباع هذه الموانئ لإيطاليا مقابل ١٤٤٠٠٠ جنيه وكانت هذه هى بداية الاستثمار الإيطالى وقد أيدت انجلترا فكرة الوحدة على شريطة أن تتم بين الصومال الإيطالى والبريطانى فقط وتعتبر فرنسا الصومال الفرنسى جزءا من الاتحاد الفرنسى وقد تمت الوحدة فى الصومال على هذا الأساس .

نسبة كبيرة من المسلمين :

ومما يثلج صدر المسلمين أن هناك نسبة كبيرة من المسلمين فى هذه الدول وأن الإسلام وصل إليها منذ أبعد الحقب والأزمان ، وقد اعتنق ملوك الماندونجو الإسلام فى كنجابا وفى أوائل القرن الثالث عشر الميلادى ، ثم بدءوا يوسعون مملكتهم فى

ابن عبد الله بشن الحرب ضد الانجليز ، فالتف حوله نفر كبير من الصوماليين ، وانضمت إليه قوات ضخمة من الدراويش الذين تدفقوا من المناطق الشرقية والجنوبية الشرقية ومن مناطق الصومال الخاضعة للإيطاليين وأهل الحبشة ، وأعلن نفسه خليفة للطريقة الصالحية وهي إحدى الطرق الصوفية التي اعتنق مبادئها أثناء تأدية فريضة الحج ، فالتف حوله عدد كبير من الصوماليين وتحمسوا لها تحمسا شديدا وأصبحت شوكة في جانب البريطانيين الذين أرسلوا الحملات تلو الحملات لإخمادها فكلفتهم كثيراً من الأرواح والأموال ، وقد انتشر التعليم الإسلامي في الصومال في القرن العشرين ، وقام المشايخ بتأسيس جميع أنواع المدارس في المراكز الإسلامية ويطلق على المعلم شيخ أو فقيه .

و يمتلك بعض الشيوخ قطعاً من الأراضي يوقفونها على هذه المدارس ، وعلى تحفيظ الصبية القرآن الكريم والحديث الشريف ، ولتخريج عدد من علماء الدين .

ولكن هذه الدول الجديدة لا تزال في حاجة ملحة لرعاية الإسلام فيها بإرسال البعثات لنشر الدين وبث التعاليم الصحيحة التي تخرج الناس من الظلمات إلى النور .

جاء يوم الجمعة هرعوا إلى المساجد لأداء الصلاة فلا يجد المصلى مكاناً له إلا إذا بكر بالذهاب إلى المسجد .

الإسلام في الصومال :

ويوجد في الصومال عدد كبير من المسلمين ويقال إن عربياً عريقاً في الأصل أجبر على أن يغادر بلاده فعبر البحر إلى (عدل) وأخذ يدعو للإسلام في تلك البلاد ، وفي القرن الخامس عشر الميلادي جاءت من حضرموت جماعة مكونة من أربعة وأربعين عربياً نزلوا في بربرة على البحر الأحمر ، ونفروا في بلاد الصومال وأخذوا ينشرون الإسلام ، وقد شق أحد هؤلاء اللاجئين وهو الشيخ إبراهيم أبو زباي طريقه إلى هرر في حوالي سنة ١٤٣٠م واستطاع أن يجعل كثيرين من أهلها يدخلون في الإسلام ، ولا يزال قبره موضع إجلال وتعظيم من أهل هذه المدينة ، وبالقرب من بربرة جبل سمي جبل الأولياء تخليداً لذكرى هؤلاء الدعاة الذين يقال إنهم كانوا يجلسون هناك في خلوة قبل أن ينتشروا في هذه البلاد للدعوة إلى دين الله ، وفي أوائل القرن السادس عشر كان كل سكان الصومال قد تحولوا إلى الدين الإسلامي عن طريق استقرار العرب من اليمنيين وغيرهم في المراكز التجارية الساحلية .

مجاهد مسلم :

وقد قام أحد الزعماء الصوماليين وهو محمد

كَلَّا، لَا يَنْتَفَعُ الْمَيِّتُ بِعَمَلِ الْحَيِّ

لِلْأَسْتَاذِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ الْجَبْرِ الْبَهْتَمِيِّ

العملية أبين ما قرره الفقهاء وأئمة الحديث من القواعد المسألة التي ستكون أساساً للرد وهي أولاً : قرروا أن الرأي والقياس العقلين وهما اللذان لا يستندان إلى دليل شرعي لا يكونان في العقائد والعبادات لأنها لا تعلم إلا من الشارع .

ثانياً : قرر أئمة الحديث بأن من علامات وضع الحديث مخالفته لظاهر القرآن مع عدم إمكان التوفيق بينهما بتأويل تجيزه القواعد الشرعية والأوضاع اللغوية .

ثالثاً : المقرر عند الفقهاء أن العبادات البدنية المحضة كالصلاة والصوم لا تصح فيها النيابة في الحياة ولا بعد المات .

رابعاً : ثواب العبادات يكون لفاعلها ولا ينتقل منه إلى غيره بأي نوع من أنواع التملك لأنه معنى من المعاني غير معلوم المقدار لاعتنا من الأعيان التي تملك وتعين . وهاك ما قرره القرآن : قرر القرآن قاعدة عامة من قواعد الإسلام ، هي مسئولية كل إنسان عن عمله : قال الله تعالى : أم لم ينبأ بما في صحف موسى ، وإبراهيم الذي وفى ، ألا تزر وازرة وزر أخرى ، وأن ليس

نشرت مجلة الأزهر في عدد رجب من سنة ١٣٧٩ هـ مقالاً للأستاذ محمد عبد الحميد البوشى رداً على كلبتى التي نشرت في عدد جمادى الأولى بعنوان (هل ينتفع الميت بعمل الحى ؟) وقد أيد فيه الرأي القائل بأن الميت ينتفع بعمل الحى .

وللأستاذ البوشى العذر لأن البدعة إذا اعتيد العمل بها تمسكنت في النفوس وصارت ملكة يصعب تركها فتكون هي السنة .

واليوم أعود للكتابة في هذا الموضوع متناولاً الأمر من ناحيتين :

أولاً : الرد على الدعوى التي اقتبسها الأستاذ البوشى من كلام بعض المتأخرين المقلدين من الفقهاء .

ثانياً : النظر في أدلته التي استند إليها في تأييد دعواه .

أما عن الناحية الأولى فأقول : إن الشريعة ليست إلا ما بينها النبي عليه الصلاة والسلام بقوله (تركت فيكم ما إن تمسكتم به إن تضلوا بعدى كتاب الله وسنة رسوله) والكتاب والسنة ينقضان هذه الدعوى على ما سنبينه بعد : وقبل أن أبين ما قرره القرآن والسنة

وأما عمل القرب للأموات من غير الأولاد كقراءة القرآن والصدقة والذكر فلم يرد بمشروعيته نقل عملي ولا حديث صحيح . ولو كان عمل القرب للأموات غير الدعاء والصدقة من غير الأولاد لو لديهم مشروعا لفعله النبي عليه الصلاة والسلام ولو مرة تشريعا لأمرته ولتوفرت الدواعي على نقله والعمل به بمن شاهده من الصحابة وانتشر ذلك في سلف الأمة .

كما أن جعل الإنسان ثواب عمله لغيره لا يكون إلا بالهبة أو الإهداء وكلاهما يقتضي وجود المهدى له أو الموهوب له حتى يتحقق القبول والقبض اللازمان للهبة أو الإهداء والمهدى له أو الموهوب له وهو الميت معدوم فلا يتحقق القبول والقبض ولا التسليم والتسلم ولو شرعت الهبة أو الإهداء في الثواب لصح بيعه وشرائه ولتسابق الفقراء إلى بيعه للأغنياء ، ولم يقل بذلك أحد .

ثم تنتقل إلى الناحية الأخرى . وهي الأدلة التي اعتمد عليها الأستاذ في رأيه : أما تضيحية النبي عليه الصلاة والسلام بكبش عن فقراء أمته الأحياء في زمنه فقد أقام النبي نفسه نائبا عنهم في أمر عيني تجوز النيابة فيه في الحياة وبعد الممات جبرا لحاظرهم ورفعاً لشأنهم أمام الأغنياء فالنبي عليه الصلاة والسلام ثواب التضيحية والفقراء شرف

للإنسان إلا ما سعى . الآية وقال تعالى : « هل تجزون إلا ما كنتم تعملون » وقال : « لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » إلى غير ذلك من الآيات الدالة بطريق أدوات الحصر التي هي أقوى الدلالات على أن الإنسان لا ينفعه ولا يضره إلا عمله لنفسه دون عمل غيره ، وهذا هو ما فهمه الصحابة رضي الله عنهم من نصوص القرآن حتى قال ابن عباس لا يصلي أحد عن أحد ولا يصوم أحد عن أحد ، وقالت مثله السيدة عائشة وهذا هو ما تقتضيه العدالة الإلهية وتستسيغها العقول السليمة ، وقد استثنى الشارع من هذه القاعدة عمل البر من كان الشخص سلبا في وجوده وهم الأولاد بالنسبة للوالدين ، فعمل البر من الأولاد للوالدين مشروع في أمرين متفق عليهما وهما الدعاء لها والصدقة عنهما وأمر متخلف في مشروعيتهما وهما وهي الصلاة والصوم والحج وغيرها من العبادات التي كانت عليهما لله ولم يؤدياها في حياتهما كما يعلم ذلك من وقائع فتاوى النبي عليه الصلاة والسلام لمن سألوه فإنها كلها كانت منه الأولاد عن والديهم وهذا لا ينقض القاعدة العامة التي قررها القرآن .

روى عن النبي عليه الصلاة والسلام (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينفع به أو ولد صالح يدعو له) .

النيابة عنهم . على أن هذه واقعة حال مما اختص به النبي عليه الصلاة والسلام .
 وحديث عائشة رضى الله عنها (من مات وعليه صوم صام عنه وليه) يتعين أن يراد من الولي الولد جمعا بين الروايات لأنها القائلة لا يصلى أحد عن أحد أى من غير الأولاد كما قال ابن عباس رضى الله عنه فهي من المسائل المستثناة من القاعدة العامة التى قررها القرآن وشملتها آية « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى » . فالاحتجاج به ساقط .
 وحديث إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه المروى عن ابن عمر قال الأستاذ : إنه إذا كان الميت يعذب ببكاء أهله عليه أفلا يسر وينعم بقراءة القرآن له ؟ وهذا فضلا عن كونه قياسا عقليا فى أمر تعبدى فقد أنكرت هذا الحديث السيدة عائشة وخطأت ابن عمر فى سماعه للفظه أو فهمه لمعناه وقالت وفى القرآن ما يكفيكم . ولا تزر وازرة وزر أخرى ، وحديث أقره وائس على موتاكم قال الدارقطنى هذا الحديث ضعيف الإسناد والمتن وفيه جهالة أبى عثمان وأبيه وقد قال ابن العربى : كل ماروى من الأحاديث مرفوعا فى سورة يس لا أصل له .
 ثم يقول الأستاذ : قال العلماء (إن قضاء الدين عن الميت يسقطه من ذمته ولو كان من أجنبى أو من غير تركته وإذا كان الميت ينتفع بإسقاط الدين عنه من الحى وإبراء

ذمته منه فكذلك ينتفع بإهداء الثواب أو هبته له ولا فرق بينهما وهذا مردود بأمرين أحدهما أن هذا قياس عقلى فى أمر تعبدى . ثانيتها : قوله ولا فرق بينهما غير مسلم لأن الدين من الأعيان الموجودة المعلومة المقدار كالذهب والفضة فتصح النيابة فيه فى الحياة وبعد الممات بوصية وبدونها من تركه الميت أو من تركه غيره بخلاف الثواب فإنه عدم وغير معلوم المقدار إلا الله فالفرق بينهما ظاهر ، وما نقله من كتاب الروح لابن القيم من أن ثواب القراءة ملك للقارى يتصرف فيه كيف يشاء فإذا أهدها إلى الميت يصل إليه كما يصل ثواب الصوم والحج ، خطأ ابن القيم فيه العلماء بأن هذا ، على فرض تسليم وصول ثواب الصوم والحج إلى الميت ، قياس عقلى فى الأمور النقلية وبأن ثواب الصوم والحج لا ينتقل إلى غير فاعله بأى نوع من التصرفات التى تفيد الملكية لأنه عدم وبأنه ليس عينا حتى يملك . وبأن هذا القول مخالف لظاهر القرآن فلا يعول عليه . انظر تفسير القرآن الحكيم لآية ولا تكسب كل نفس إلا عليها من سورة الأنعام . وما نقله عن الشوكانى من أن أهل السنة قالوا إن الإنسان أن يحول ثواب عمله لغيره مردود بما قررناه من أن السنة العملية التى جرى عليها النبي عليه الصلاة والسلام وسلف الأمة على خلاف ذلك وأن الثواب عدم فلا ينتقل (البتة على صفحة ٣٢٦)

النحويين التجديد والتقليد للأستاذ عبد الخالق عضيّه

بأقوال نحاة البصرة وينبغي أن يكون نقد النحو قائماً على الاستقراء والاستقصاء فيكشف عما في قواعده من قصور وما وقع فيه النحويون من تقصير أما المهاجمة عند سنوح أول خاطر أو عروض نزوة من نزوات الفكر فهذا مما ينبغي ألا يكون عرض لنقد النحويين ابن مضاء القرطبي المتوفى سنة ٥٩٢هـ في كتابه الرد على النحاة^(١).

ولم ينفذ في نقده إلى جوهر النحو وإنما أدار حديثه في كتابه على أمور ثلاثة لم يتجاوزها وهي العوامل — التعليقات — التمارين الفرضية .

والعوامل في صناعة النحو إنما هي أمارات ودلالات فوجود إن في الكلام يحمل المتكلم على نصب الاسم ورفع الخبر وهكذا غيرها ، هذا هو اعتبار النحويين لتأثير العوامل في الكلام .

وقد بالغ ابن مضاء في تصوير العوامل عند النحويين ونسب إليهم ما لم يصدر عنهم

قواعد النحو ثمرة لجهود صادقة موفقة بذلها النحويون في سبيل استقراء كلام العرب ومشاهدة الفصحاء .

وقد حرص كل واحد منهم على أن يستدرك على سابقه وما زال باب الاجتهاد في النحو مفتوحاً على مصراعيه لم يزعم أحد أن النحويين فوق مستوى الشبهات أو أن قواعدهم لها قداسة وحرمة .

فهذا أبو الفتح يقول في الخصائص في باب القول على إجماع أهل العربية متى يكون حجة ١ - ١٨٩ : لم يرد من يطاع أمره في قرآن ولا سنة أنهم لا يجتمعون على الخطأ كما جاء النص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله أمتي لا تجتمع على ضلالة ... وإنما هو علم منتزع من استقراء هذه اللغة فكل من فرق له عن علة صحيحة وطريق نهجة كان خليل نفسه وأبا عمرو فكره .

ويقول أبو حيان في كتابه البحر المحیط ٢ - ٣١٧ : وليس العلم محصوراً ولا مقصوراً على ما نقله وقاله البصريون ويقول أيضاً ٤ - ٢٧١ ولسنا متعبدین

بالإشراف على تأليف كتب القواعد في وزارة التربية والتعليم . ففرض هذه التسمية فرضاً في كتب الابتدائي والإعدادي، ونحن لا نقول: إن هذه التسمية خطأ ولكننا نقول : إنها لا تناسب المبتدئ في النحو .

الفعل والفاعل والمبتدأ والخبر أوضح وأدل على المراد من المسند والمسند إليه ولو كان هذا الجمع يوحد أحكام البابين ويزيل ما بينهما من فروق قلنا هذا تيسير طريف يجب أن نترسّمه .

ولكننا نرى أن الفعل إذا تقدم على الفاعل تجرد من علامتي التثنية والجمع ، وإذا تأخر عن الفاعل لحقته ضمائر التثنية والجمع .

فالتعبير بالمسند والمسند إليه ليس فيه غناء عن دراسة أسلوب الفاعل ومعرفة أحكامه . والأساتذة مؤلفو النحو الابتدائي قد طالبوا التلميذ المبتدئ بمعرفة هذه الأحكام في تمريناتهم وأغفلوا الإشارة إليها في قواعدهم وهذه هي تمارينهم .

(١) ابدأ الجمل الآتية بالمسند إليه .

خرج الصديقان في رحلة - يفوز الملتفون إلى دروسهم - أمسك الشرطيان اللص .

(٢) ابدأ الجمل الآتية بالمسند .

المصلون وقفوا صفواً - القاربان يتسابقان

كما نسب إلى ابن جني أنه أنكر العوامل وكتب ابن جني تنطق بغير ذلك .

على أن ابن مضاء قد اعترف في مقدمة كتابه بأن النحويين قد بلغوا الغاية فيما أرادوا قال :

وقد وضع النحويون صناعة الكلام لحفظ كلام العرب من اللحن وصيائته عن التغيير فبلغوا من ذلك الغاية التي أموا، وانتهوا إلى المطلوب الذي ابتغوا .

ثم ألف الأستاذ إبراهيم مصطفى كتابه إحياء النحو سنة ١٩٣٧ ، وسلك طريق ابن مضاء في نقد نظرية العوامل .

ولما وجد أن إن تنصب المبتدأ وترفع الخبر وهذا يخالف أصوله قال : إن نصب الاسم بعد إن . جاء عن طريق الوهم والغلط، وهذه عبارته في إحياء النحو ص ٧٠ .

لما أكثروا من إتباع إن بالضمير جعلوه ضمير نصب ووصلوه بها وكثر هذا حتى غلب على وهمهم أن الوضع للنصب ، فلما جاء الاسم الظاهر نصب أيضاً .

كما رأى الأستاذ إبراهيم مصطفى أن يجمع الفعل والفاعل والمبتدأ والخبر في باب واحد يسمى باب المسند والمسند إليه ص ٥٣-٥٤ محتجاً بأن سيبويه فعل ذلك في كتابه .

ثم سنحت الفرصة للأستاذ إبراهيم مصطفى

في الماء - المسافرون يعودون اليوم -
الزهرتان تفتحتا .

وسيبويه كما عبر بالمسند والمسند إليه عبر
بالفعل والفاعل والمبتدأ والخبر في مواضع
كثيرة جدا من كتابه .

بل لو التزم سيبويه هذا التعبير لم يكن صنيعه
هذا ملزما لنا ، إذ في كتاب سيبويه من
الاصطلاحات ما لا يناسب المبتدئ ولا
غير المبتدئ .

فقد سمي سيبويه الحال خبرا (١ / ٢٠٣ -
٢٤١ ، ٢ / ٢١٦) .

وسمى التوكيد نعتا (١ / ١٤٠ - ٢٧١) .
وسمى النسق بدلا (٢ / ٢١٦) .

وسمى المقصور منقوصا ٢ / ٩٢ .
فهو من تيسير النحو أن نأخذ عن سيبويه
مثل هذه المصطلحات . وقد يما سئل رجل بك
اشترت هذه السمكة؟ فقال بدرهمان فقليل له:
لم قلت بدرهمان ولم تقل بدرهمين؟ قال : لأن
سيبويه قال في كتابه ثمنها درهمان .

ألزم هؤلاء الاساندة أنفسهم التعبير بالمسند
والمسند إليه في كتب الابتدائي والإعدادي .
عبروا عن فاعل نعم وبئس بقولهم الاسم
التالي لنعم أو بئس وقالوا يسمى الخبر عنه
مسندا إليه كما يسمى الخبر مسندا .

ثم جاءوا في الثانوي وتسكلموا عن حذف
الفاعل وأغراضه .

وحذف المبتدأ جوازا ووجوبا .

وحذف الخبر جوازا ووجوبا .

وتقسيم الخبر إلى مفرد وجملة .

٢ - جعلوا ضمائر الرفع المتصلة حروفا
فقالوا : -

تلحق بالفعل إشارات تدل على النوع
والعدد وهي التاء للتكلم أو المخاطب - ونا
الدالة على المتكلمين ، والألف للثنى - الواو -
لجمع الذكور - الياء للمخاطبة - النون لجماعة
الإناث - الجزء الثاني من الإعدادي ص ٦٣ .

وقد نسب إلى المازني أنه خالف النحويين
وقال : إن الألف والواو والنون وياء المخاطبة
حروف . ووافقه الأخفش في الياء (ابن يعيش
٣ / ٨٨ مع الهوامع ١ / ٥٧) .

وبالرجوع إلى تصريف المازني نجد أنه يصرح
بأن التاء فاعل . قال : وإن كانت التاء التي تجيء
فاعلة فالجيد إظهارها . نحو فحست عنه وفحست
برجلى .

(المنصف شرح تصريف ^(١) المازني ٢ - ٣٢٢) .
والسادة المؤلفون لم يقفوا عند رأى
المازني ولكنهم توسعوا فيه وقاسوا عليه .
وأنا إن أرد عليهم بما رده النحويون
على المازني .

(١) نشرته إدارة إحياء التراث القديم بتحقيق
الأستاذ إبراهيم مصطفى وزميله .

والمصدر العام إذا كان على فعلة لا يدل على الهيئة إلا بقرينة إضافة أو غيرها ، فإذا أردنا الدلالة على الهيئة في الألفاظ المذكورة قلنا : ما أجمل عزة الكريم وأقبح ذلة اللئيم . وزينة العروس ، وخبرة المحرب ، وغير ذلك . وهذا محل اتفاق من النحويين لانعلم فيه خلافا . ولكنهم أغفلوا هذا الشرط فغلطوا بينهما ذكروا في مقدمة كتبهم : تيسير العربية وتقريب قواعد ما قد رسمت لها بعض الآراء ولكن تحقيق هذه الأمنية كان يشير بعض التردد والحشية ؛ لأن الرجوع عن المؤلف أمر غير يسير إلى أن جاءت الثورة المصرية سنة ١٩٥٢ ومعها العزم الصادق على الإصلاح والرأى الماضى على تذليل الصعاب فهي السبيل للتنفيذ .

كل ما صنعه الأساتذة من تجديد في النحو لا يتجاوز إطلاق المسند والمُسند إليه على الفعل والفاعل والمبتدأ والخبر وأن ضمائر الرفع المتصلة إشارات .

فهل كان التعبير بالفعل والفاعل والمبتدأ والخبر واسمية ضمائر الرفع المتصلة من آثار العهد البائد؟

لا تظلموا الثورة يا سادة ، فالثورة شعارها البناء والإصلاح والتعمير .

ودعوتها للقومىة العربية دعوة مطلقة مدوية قرعت جميع الآذان ، وفتحت لها الآذان ،

وإنما أرد عليهم بما وقع في كلامهم . قالوا إذا كان المسند جملة فلا بد أن يشتمل على ضمير يربطها بالمسند إليه ويطابقه في النوع والعدد (٢ - ١٨٩) .

وإذا كان النعت جملة ، فلا بد أن تشتمل على ضمير يربطها بالمنعوت ويطابقه في النوع والعدد (٢ / ٢٠٠) .

وإذا كانت الحال جملة فلا بد أن تشتمل على رابط يربطها بصاحب الحال وهذا الرابط قد يكون الضمير أو الواو أو هما معا (٢ - ٢٠٨) ثم أعربوا الواو إشارة إلى الجمع في قولهم :

الشبان يرفعون شأن الوطن (٢ - ١٢٣) . وقالوا في سئلت المسند إليه المخاطب (٣ - ١٢٢) لو سألتهم أين رابط جملة الخبر في قولهم الشبان يرفعون شأن الوطن وفي أنت سئلت وأنا تكلمت لقد اشترطوا في الرابط أن يكون ضميرا ولا ضمائر عندهم في هذه الأساليب . وكذلك الأمر في جملة الحال والنعت . إن في هذا الكلام شيئا من البلبلة ما كان أغنى تليذ الإعدادى عنها . وهل هذا هو التجديد والتيسير والتقريب ؟ .

٣ - في المصدر الدال على الهيئة جاءوا بأثلة من المصدر العام ولا تدل في أسلوبها على الهيئة . قالوا .

ما أجمل العزة وأقبح الذلة ! ثم ذكروا زينة - خبرة - رشوة - محنة .

استثقلها أحد ، حتى جاء مؤلفو كتب
البلاغة الثانوى فقالوا عنها إنها ثقيلة الظل
متنافرة الحروف مثل مستشزرات !
ويا بعد ما بين قين ومستشزرات .

إن فى القرآن الكريم كلمة بمعنى قين وعلى
وزنها وهى قوله تعالى : وحقيق على أن لا أقول
على الله إلا الحق .

فلو ترفعنا إلى أذواق هؤلاء الأساتذة ،
واحتكنا إلى قواعدهم لكانت كلمة حقيق
فى القرآن الكريم أكثر ثقلًا وأشد تنافراً ؛
لأن فيها ، قافين والقاف من حروف القلقة .
هل يرضى مثل هذا أساتذة جامعاتنا
المؤلفين للكتاب وبينهم عميد لكلية الآداب ؟
وماذا يقول عنا إخواننا فى الأقطار
الشقيقة ؟

محمد عبد الحالى عيسى :
مدرس بكلية اللغة العربية

فى كل مكان على حين أنكم استفتحتم التأليف
فى كتب العربية بشرشر ومشمش وملء
حشوها اللغة العامية . إننا نريد تيسيراً ينفذ
إلى الصميم . أما أن يكون غمغمة لا تبين ،
ومجمجة لا تتضح - فذلك ما لا نرضاه لكم
فى عهد الثورة البناءة .

وقالوا أيضاً : ولكن راعينا أن يكون
أيسر وأسهل لتناول التلميذ وأكثر اتصالاً
بالنظريات النفسية والتربوية الحديثة .
اللهم - إن كانت هذه البلبلة من وحي
النظريات النفسية والتربوية الحديثة فإنى
أحمدك على أنى لم أعرف عنها شيئاً .

ويوسفنى أن أقول : إن هذه البلبلة قد سرت
إلى مقاييس البلاغة . وسأكتفى هنا بمثال واحد :
قمن بمعنى جدير كلمة خفيفة على اللسان
مقبولة فى الأسماع جاءت فى حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفى كلام العرب ، فما

(بقية مقال كلا لا يتفجع الميت بعمل الحى ؟)

فأجاب الإمام بقوله يرجى أن يقبل ولم يحزم
بالجواب .

هذه كلمة عمادها الكتاب والسنة وما جرى
عليه سلف الأمة وكل تشريع يخالف تشريعها
يخشى أن يرجع بالأمة إلى الوثنية التى جاء
الإسلام لمحوها وعبادة الله وحده .

عمر الجنيدى البهنسى

شيخ معهد دسوق الأسبق

بأى نوع من أنواع التصرفات التى تفيد
التملك (انظر باب القرب المهداة إلى الموتى
فى الجزء الرابع من نيل الأوطار) .

وقال الأستاذ البوشى أن الإمام أحمد
ذهب إلى أن ثواب قراءة القرآن يصل إلى
الميت وهى دعوى غير صحيحة ، بل المروى
أن سائلاً سأل الإمام أحمد أن الرجل يفعل
الشيء من الخير فيجعل نصفه لآبيه أو أمه

معركة بيت المقدس

وأثرها في الأدب

للأستاذ الدكتور محمد محمود

أنه لا قبل له بالجيش الزاحف ، فاستكان ، وطلب الأمان ، وفتحت المدينة أبوابها لاستقبال صلاح الدين يوم الجمعة ، السابع والعشرين من رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسة هجرية .

وكان لاستعادة بيت المقدس ، بعد أن ظل في يد العدو زهاء تسعين عاما — رنة فرح تجاربت أصدائها في أرجاء العالم الإسلامي كله ؛ وسجل الأدب شعره وثره ما نبضت به قلوب المسلمين لدى هذا الفتح المبين .

— ١ —

وأول ما بدا من ذلك هذه الرسائل التي تأتق فيها كاتبوها ، يذيعون أنباء هذا النصر المؤزر ويسجلون قيمته ، ويروون أحداثه .

وكان لسان الدولة يومئذ القاضي الفاضل متأخرا بدمشق لمرض عرض له ، فكتب إليه السلطان يخبره بذلك الفتح ، ويقول له في رسالة : « أما الفتح ... فإن الله تعالى سهل ما يسجل أهل الدهر بأنه صعب ، وهب نسيم

كانت وحدة مصر وسورية تحت لواء صلاح الدين فاتحة عهد جديد في سبيل استرداد فلسطين المغتصبة ، فإن هذا البطل لم يكبد يوحد البلاد تحت لوائه ، حتى أرسل إلى جميع أجزاء امبراطوريته يستنفر الناس لقتال العدو ، ويحثهم على الجهاد ، ويأمرهم بالتجهز له . وكانت هذه الوحدة بين المسلمين سيادفح الحماسة في صدور الجند ، فأقبلوا من كل حذب يريدون أن يستخلصوا وطنًا طال اغتصابه ، ومضى صلاح الدين على رأس جيشه ، فالتقى بالفرنج عند حطين ، ودارت عندها معركة لم يذق الفرنج مثلها ، منذ قدموا من ديارهم غازين بلاد الشام ؛ فقد مضوا بين أسير وقبيل لم ينتظر صلاح الدين حتى يجمع العدو شمله المبدد ، بل مضى يتابع انتصاراته ، وأخذت مدرج العدو تسقط في يده ، الواحدة تلو الأخرى ، حتى إذا سقطت البلاد المحيطة بالقدس ، شمر عن ساعد الجد ، وذهب إلى بيت المقدس يريد فتحه ، وهنا رأى العدو

لسان صلاح الدين ، وبعث بها إلى خليفة بغداد يصف له فيها الفتح وأثره ، وقد تأثق القاضى الفاضل بكل ما استطاع أن يتأثق ، ولقد كانت الصناعة والزخرف أساس الاعمال الأدبية فى ذلك الحين ، وكان الذوق يومئذ يستسيغ هذه الصناعة ويعدها المثل الأعلى للكتابة الفنية والشعر ، فلا غرابة إذا رأينا رسالة الفاضل مغرقة فى استخدام ألوان البديع ، لا تسكاد تفلت ما يقع تحت يديها من هذه الألوان الزخرفية .

بدأ القاضى الفاضل رسالته بالدعاء للخليفة يومئذ الناصر لدين الله ، وكان هذا الدعاء متفقا مع الظرف الذى أنشئت من أجله الرسالة ، إذ كان دعاء بالنصر على العدو ، والتوفيق إلى اقتناء المحامد .

وأخذ القاضى الفاضل بعدئذ فى الحديث عن الهدف الذى كتب من أجله رسالته ، فبين النتيجة التى ترتبت على هذا الفتح المبين إذ قال : (... وكان الدين غريبا فهو الآن فى وطنه ، والفوز معروضا فقد بذلت الأنفس فى ثمنه ... وجاء أمر الله وأنوف أهل الشرك راغمة ، فأولجت السيوف إلى الآجال وهى نائمة ، وصدق وعد الله فى إظهار دينه على كل دين ، واستطالت له أنوار أبانت أن الصباح عندها حيان الحين ، واسترد المسلمون تراثا كان عنهم آبقا ، وظفروا

النصر أيا ن يقال : ليس له مهيب ، وخصنا بهذا الشرف ، وألحقنا فى هذه الفضيلة بصالحى السلف ... وفتحت بهذا الفتح من بيت الله المقدس أبواب الجنان ... وغسلت الصخرة المباركة من أوضارها بماء العيون الفائض الفائق غزارة الأمواه ، وقبلت الشفاه ، وبوشرت بالآفواه ، وطهرت بأهل العلم والحلم من أذناس أهل الجهل والسفاه ، والحمد لله ، ثم الحمد لله

والكتاب ناطق بتسجيل نظرة المسلمين يومئذ إلى فتح بيت المقدس ، وأنه كان أملا بعيداً يصعب تحقيقه ، فما إن تم حتى بهر الأبصار وملا الصدور .

ومن كتاب آخر كتبه إليه أيضا : نصرنا الله بملائكته المسومين ، وأوليائه المؤمنين ... وهذه موهبة مذهبة ، وممتقة لا يبلغ إلى وصفها بلاغة موجزة ولا مهبة ، ونوبة ما بعدها للإسلام نبوة ، وحظوة فى مذاق أهل التقوى والمغفرة حلوة ، وبشرى تجلج الوجه ببشرها ... وتقر عين المؤمنين فى البعد والقرب بأنوار قربها ... والحمد لله على هذا الإحسان ، حمداً مستمرا على مر الزمان .

وهكذا مضت الكتب تحمل هذه البشرى إلى القاصى والدانى من رجال الإسلام ؛ فلما برى القاضى الفاضل كتب رسالة على

في الجهاد ، ولا يرعى به حق الله في العباد ، ولا يوفى به واجب التقليد ^(١) الذي تطوقه الخادم من أئمة قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون ...) .

ويعلن صلاح الدين ظفـره بالعدو الذي استقرت قدمه طويلا في الأرض المقدسة ، وكثر بها عدته وعديده ، « وكتاب الخادم هذا . وقد أظفر الله بالعدو الذي تشظت قناته شققا ^(٢) ، وطارت فرقه فرقا ^(٣) ، وفل سيفه فصار عصا ، وصدعت حصاته وكان الأكثر عددا وحصى ... وعثرت قدمه وكانت الأرض لها حليفة ، وغضت عينه وكانت عيون السيوف دونها كثيفة ... فبيوت الشرك مهدومة ، ونيوب الكفر مهتومة ، ... وقد ضربت عليهم الذلة والمسكنة ، وبذل الله مكان السيئة الحسنة ، ونقل بيت عبادته من أيدي أصحاب المشأمة إلى أيدي أصحاب الميمنة » .

ورأى القاضي الفاضل أن يتحدث عن المعارك التي دارت قبل معركة بيت المقدس ، وكيف حاز فيها النصر على أعدائه ، (وقد كان الخادم لقيهم للقاء الأولى فأمدده الله بمداركة وأنجده بملائكته ، فكسرهم كسرة ما بعدها جبر ، وصرعهم صرعة لا يعيش معها بمشيئة

بقظة بما لم يصدقوا أنهم يظفرون به طيفا على الناي طارقا ، واستقرت على الأعلى أقدامهم ، وخفقت على الأقصى أعلامهم ، وتلاقت على الصخرة قبلهم ، وشفيت بها ، وإن كانت صخرة ، كما تشفى بالماء غلهم » .

ويستمر القاضي الفاضل مبينا أن صلاح الدين لم يكن يحارب العدو من قبل إلا لكي يصل إلى هذه الغاية التي كان يرنو إليها ، « وكان الخادم لا يسعى سعيه إلا لهذه المنقبة العظمى ، ولا يقاسى تلك البؤسى إلا رجاء هذه النعمى » . لأنه كان مؤمنا بأن التقصير في حرب العدو يزيد ضراوة ، ويشجعه على حرب المسلمين ، فضلا عن أنه تقاعس عن أداء فرض الجهاد ، ونكوص عما يجب لهؤلاء الذين اغتصبت أرضهم وديارهم وأموالهم ، وتقصير من الحاكم فيما وكل إليه من وجوب استرجاع الوطن السليب ، « فمن طلب خطيراً خاطراً ، ومن رام صفقة رابحة تجاسر ، ومن سما لأن يجلى غمرة غامر ، وإلا فإن القعود يلين تحت نيوب الأعداء المعاجم ^(١) فتعضها ، ويضعف في أيديها مهر ^(٢) القوائم فتقضها ^(٣) ، هذا إلى كون القعود لا يقضى فرض الله

(١) للمعاجم مفعول به ليلين جمع معجم كقعد :

اسم مكان من مجمة بمعنى لا كه للخبرة .

(٢) المهر : المضاريف .

(٣) قض الشيء دقه .

(١) أى ما يوجهه تقلده للحكم .

(٢) تفضت : انفتحت . والشفق : الخوف .

(٣) الفرق : الخوف

فزلت بعرضته ، وهان عليها مورد السيف
وأن تموت بغصته ، فزاول البلد العصي من
جانب فإذا أودية عميقة ، ولجج وعرة غريقة ،
وسور قد انعطف عطف السوار ، وأبرجة
قد نزلت مكان الواسطة من عقد الدار ، فعدل
إلى جهة أخرى كان للطامع عليها معرج ،
وللتخيل فيها متولج ، فنزل عليها وأحاط بها ،
وقرب خيمته بحيث يناله السلاح بأطرافه ،
ويزاحمه السور بأكتافه ، وقابلها ، ثم قاتلها ،
ونزلها وبرز إليها ثم بارزها ، وحاجزها ،
ثم ناجزها ، فضمها ضمة ارتقب بعدها الفتح ،
وصدع أهلها فإذا هم لا يصبرون على عبودية
الجد عن عتق الصفح ، فراسلوه ببذل قطعة
إلى مدة ، وقصدوا نظرة من شدة ، وانتظار
النجدة ، فعرّفهم في لحن القول ، وأجابه
بلسان الطول ؛ فقدم المنجنيقات التي تتولى
عقوبات الحصون عصيها وحبالها ، وأوترهم
قسيمها التي تضرب سهامها ولا يفارق سهامها
نصالها .

وفي الحال خرج طاغية كفرهم ، وزمام
أمرهم ، ابن بارزان ، سائلا أن يؤخذ البلد
بالسلم لا بالعنوة ، وبالأمان لا بالسطوة . .
وطرح جيئته في التراب وكان حينئذ لا يتعاطاه
طارح ، وبذل مبلغا من القطيعة لا يطمح
إليه طرف آمل طامح ، وقال : ها هنا أسارى
مؤمنون يتجاوزون الألوف . وقد تعاقد

الله كفر ، ... وكان اليوم مشهودا ، وكانت
الملائكة له شهودا ، وكان الضلال صارخا وكان
الكفر مفقودا والإسلام مولودا ، وجعل
الله ضلوع الكفار لئلا جهنم وقودا (...) !
ويقص القاضي الفاضل في هذه الرسالة قصة
فتح بيت المقدس ، كيف أراد صلاح الدين
أن يستولى عليه عنوة ، فجمع حوله العدة
والعديد ، ثم رأى العدو أنه لا قبل له بالجيش
الزاحف ، فعرض على صلاح الدين أن يؤخذ
البلد صلحا لا عنوة ، مبدئا أنه إن أصر
صلاح الدين على أخذه بالقوة فسوف يقضى
العدو أولا على أسرى المسلمين وهم في المدينة
يتجاوزون الألوف ؛ فرأى صلاح الدين
أن يوافق على تسلم البلد صلحا .

كما صور القاضي الفاضل ماحولة الصليبيون
من خداع صلاح الدين حتى يكسبوا زمنا
تصل إليهم فيه نجدة ربما كسبوا بها المعركة ،
ولكن صلاح الدين لم ينخدع بهم .

ولنصغ إلى القاضي الفاضل يصور قصة
الفتح بعد أن ذكر المعارك التي تعد مقدمات
له ، فيقول : (ولما لم يبق إلا القدس وقد
اجتمع إليها كل شريد منهم وطريد ، واعتصم
بمنعتها كل قريب منهم وبعيد ، وظنوا أنها
من الله مانعتهم ، وأن كنيستها إلى الله شافعتهم .
فلما نازها الخادم رأى بلدا كبلاد ، وجمعا
كيوم التناد ، وعزائم قد تألفت على الموت

قيلت عقب فتح صلاح الدين بيت المقدس ،
ولعلمها أقيمت يوم الجمعة رابع شهر شعبان ،
كما حدثتنا بذلك رسالة القاضي الفاضل ؛ قال
ابن خلكان : « لما فتح القدس تطاول إلى
الخطابة يوم الجمعة كل واحد من العلماء الذين
كانوا في خدمته حاضرين ، وجهر كل واحد
منهم خطبة بليغة ؛ طمعا في أن يكون هو الذي
يعين لذلك ؛ فخرج المرسوم إلى القاضي
محي الدين ^(١) أن يخطب هو ، وحضر السلطان
وأعيان دولته ، وذلك في أول جمعة صليت
بالقدس بعد الفتح ^(٢) .

افتتح محي الدين خطبته بجميع تحميدات
القرآن الكريم : استفتح بسورة الفاتحة ،
وقرأها إلى آخرها ؛ ثم قال : « فقطع دابر
القوم الذين ظلموا ، والحمد لله رب العالمين » ،
ثم تلا ذلك بتحميدات سور القرآن . وكان
المقام يستدعي هذا الحمد الكثير ، فقد فتح
بيت المقدس بعد أن ظل في أيدي مغتصبيه

(١) هو أبو المعالي محمد بن علي بن محمد ، كان
فقيها أديبا نظم وخطب رسائل ، وتولى القضاء
بدمشق ، وكذلك آباءه من قبل ، وكان له عند
صلاح الدين منزلة عالية . ولد سنة ٥٥٠ هـ وتوفي
سنة ٥٩٨ هـ .

(٢) خطب محي الدين هذا أربع خطب متوالية
في أربع جمع ، ولكن لم يبق من خطبه إلا هذه
الخطبة التي نعرضها . ونصها بكتاب وفیات
الأعيان ٩ : ٤٦٨

الفرنج على أنهم إن هجمت عليهم الدار ،
وحملت الحرب على ظهورهم الأوزار ، بدى
بهم فعبجوا ، وثنى بنساء الفرنج وأطفالهم
فقتلوا ، ثم استمقلوا بعد ذلك فلم يقتل خصم
إلا بعد أن ينصف ، ولم يسلم سيف من يد
إلا بعد أن تنقطع أو ينقصف ، وأشار
الأمراء بالأخذ الميسور من البلد المأسور .
وبرغم طول الكتاب لم يره القاضي الفاضل
كافيا لتصوير الفتح ، فأرسل مع الكتاب
رسولا يشرح كيف تم النصر المبين .

وقد أعجب كتاب عصره بكتاب القاضي
الفاضل ، فأخذوا ينشئون كتباً على غرار
في موضوعه ، كما فعل ابن الأثير .

وإذا كان هذا الكتاب قد ظفر بإعجاب
الكتاب في عصره فإننا نراه اليوم غير واف
بالعرض الذي أنشئ من أجله ، ونرى التزام
الكاتب للحسنات قد أضر ضرراً بليغاً
بالهدف الذي يقصد إليه الكتاب ، إذ قتلت
هذه المحسنات حيويته ، وأعجزته عن التصوير
الصادق الواضح الذي تبدو فيه العاطفة
نابضة بالحياة .

— ٢ —

ومن الطبيعي أن يكون لهذا الفتح أثره
في الخطابة ، وبخاصة تلك التي تلى على المنابر
يوم الجمعة ، ولعل أهم نص لخطبة بقيت لنا
من عصر الحروب الصليبية هو الخطبة التي

الله على أيديكم : من استرداد هذه الضالة ، من الأمة الضالة ، وردّها إلى مقرّها من الإسلام ، بعد ابتذالها في أيدي المشركين قريبا من مائة عام .) .

ثم أخذ يعدد فضائل المسجد الأقصى : (فهو موطن أبيكم إبراهيم ومعراج نبيكم محمد عليه السلام ، وقبلتكم التي كنتم تصلون إليها في ابتداء الإسلام ، وهو مقر الأنبياء ومقصد الأولياء ، ومدفن الرسل ومهبط الوحى ، ومنزل به ينزل الأمر والنهى ، وهو فى أرض الحشر ، وصعيد المنشر ، وهو البلد الذى بعث إليه عبده ورسوله ، وكلّيته التى ألقاها إلى مريم وروحها عيسى الذى كرمه برسالته ، وشرّفه بنبوته ، . . . وهو أول القبليتين ، وثانى المسجدين ، وثالث الحرمين ، لا تشد الرحال بعد المسجدين إلا إليه ، ولا تعقد الخناصر بعد الوطنين إلا عليه) ، وهو بذلك يبين لهؤلاء الذين كان لهم شرف فتحه مقدار ما قدموه من فضل يحمدون عليه ؛ ولذا قال بعد ذلك : (فلو لا أنكم من اختاره الله من عباده ، واصطفاه من سكان بلاده ، لما خصكم بهذه الفضيلة التى لا يجاريكم فيها جبار ، ولا يباريكم فى شرفها مبار ، فطوبى لسكم من جيش ظهرت على أيديكم من المعجزات النبوية ، والواقعات البدرية ، والعزمات الصديقية ، والفتوحات

زهاء تسعين عاما . وكان المسلمون قد يؤسوا من استعادته .

ولم يكتف بتحמידات القرآن ، بل أنشأ هو حمدا قدمه إلى الله . ووصفه بما يناسب هذه النعمة العظيمة ، فقال : « الحمد لله معز الإسلام بنصره ، ومذل الشرك بقره ، ومصرف الأمور بأمره . ومديم النعم بشكره ، ومستدرج الكفار بمكره ، الذى قدر الأيام دولا بعدله ، وجعل العقابة للبتين بفضله ، وأفاء على عباده من ظله ، وأظهر دينه على الدين كله ، القاهر فوق عباده فلا يمانع ، والظاهر على خليفته فلا يتنازع ، والأمر بما يشاء فلا يراجع ، والحاكم بما يريد فما يدافع . »

ثم عاد مرة ثالثة إلى حمد الله قائلا : « وأحمده على إظفاره وإظهاره ، وإعزازه لأوليائه ونصره لأنصاره ، وتطهير بيته المقدس من أدناس الشرك وأوضاره . »

وبعد ذكر الشهادتين محاطتين بما يناسب المقام غير ناس عند ذكر محمد أنه أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى - اتجه إلى هؤلاء الذين تم على أيديهم هذا النصر المؤزر ، فأنشأ على جهدهم الموفق قائلا (أيها الناس ، أبشروا برضوان الله الذى هو الغاية القصوى ، والدرجة العليا ؛ لما يسره

ما بقى من آثار الغاصبين للديار ، فقال :
 (فاحرسوا ، رحمكم الله ، هذه النعمة عندكم
 بتقوى الله التى من تمسك بها سلم . ومن اعتصم
 بعروتها نجا وعصم ، واحذروا من اتباع
 الهوى ، ومواقعة الردى ، ورجوع القهقرى
 والنكول عن العدا ، وخذوا فى انتهاز
 الفرصة ، وإزالة ما بقى من الغصة ، وجاهدوا
 فى الله حق جهاده ، ويبيعوا عباد الله ، أنفسكم
 فى رضاه ، إذ جعلكم من خير عباداه ، وإياكم
 أن يستزلكم الشيطان ، وأن يتداخلكم
 الطغيان ، فيخيل لكم أن هذا النصر بسيوفكم
 الحداد ، وخيولكم الجياد ، وبجلادكم فى
 مواطن الجلال ، لا والله ما النصر إلا من عند
 الله العزيز الحكيم ، فاحذروا عباد الله بعد
 أن شرفكم بهذا الفتح الجليل ، والمنح الجزيل
 وخصكم بنصره المبين ، وأعلق أيديكم بحبله
 المتين ، أن تقترفوا كبيرا من مناهيه ، وأن
 تأتوا عظيما من معاصيه ، فتكونوا كالتى
 تقضت غزها من بعد قوة أنكاثا . والجهاد
 الجهاد ، فهو من أفضل عباداتكم ، وأشرف
 عاداتكم .

ومضى يذكر فيهم نازا الحماسة ، كي يستمروا
 فى جهادهم ، مهونا من شأن عدوهم ، شادا
 عزائمهم ، مؤملا أن ينتهزوا هذه الفرصة
 كي يلقوا بعدوهم إلى البحر .

وفى الخطبة الثانية من هذا اليوم مضى

العمرية ، والجيوش العثمانية ، والفتكات
 العلوية ، جددتم للإسلام أيام القادسية ،
 والملاحم اليرموكية ، والمنازلات الخييرية ،
 والهجمات الخالدية ، فجزاكم الله عن ذنبه :
 محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الجزاء ،
 وشكر لكم ما بذلتموه من مهجكم فى مقارعة
 الأعداء ، وتقبل منكم ما تقر بتم به إليه من
 إهراق الدماء ، وأثابكم الجنة فهى دار
 السعداء) .

وإذا كان الله قد أجرى على أيديهم هذا
 الفتح المبين فإنه نعمة كبرى يجب أن يقدروها
 حق قدرها ، ويقوموا لله بواجب شكرها .
 وهنا يتحدث عن فضل بيت المقدس مرة
 أخرى ؛ ليبين نعمة الله عليهم فى فتحه ،
 فيقول : (أليس هو البيت الذى ذكره الله
 فى كتابه . ونص عليه فى محكم خطابه . فقال
 تعالى : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا
 من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى » .
 أليس هو البيت الذى عظمته الملل ، وأثنت
 عليه الرسل ، . . . فاحمدوا الله الذى أمضى
 عزائمكم . . . ووفقكم لما خذل فيه أمم
 كانت قبلكم من الأمم الماضين ، وجمع لأجله
 كلمتكم وكانت شتى ، وأغناكم بما أمضته كان
 وقد ، عن سوف وحتى . . .) .

وبعدئذ أمرهم بحراسة هذه النعمة بالتقوى
 وترك العجب والغرور ، وبالاستعداد لإزالة

وأصلح به أوساط البلاد وأطرافها ، وأرجاء البلاد وأكتافها ، اللهم ذلل به معاطس الكفار ، وأرغم به أنوف الفجار ، وانشروا ذنائب ملوك على الأمصار .

وإن هذا الدعاء الحار الصادر من قلب الخطيب ليعبر أصدق تعبير عما كان يشعر به المسلمون في عصر صلاح الدين من حب وإجلال لهذا القائد الموفق ، وما كانوا يحملونه من كبار الآمال فيه . وإن موازنة بين هذا الدعاء الحار المليء بالأمل والقوة والتفاؤل ، وبين ما كان يدعى به لنور الدين محمود ، وهو : (اللهم أصلح عبدك ، الفقير إلى رحمتك ، الخاضع لهيبتك ، المعتصم بقوتك ، المجاهد في سبيلك ، المربط لأعداء دينك : أبا القاسم محمود بن زنكي . ناصر أمير المؤمنين) .

إن هذه الموازنة لتدل على الخطوة الواسعة التي خطاها المسلمون نحو تحقيق جزء من أهدافهم في إجلال الصليبيين عن أرضهم ، فبينما نور الدين كان مجاهداً في سبيل الله ، مربطاً لأعداء دينه ، إذا بصلاح الدين سيفه القاطع ، وشهابه اللامع ، جامع كلمة الإيمان ، وقامع عبدة الصليبان .

ولو أن الخطيب التي قيلت يومئذ بقيت لدلتنا على ما خفق به قلوب المسلمين من فرح وابتهاج بهذا الفتح المبين .

يدعو لقائد المسلمين في هذه المعركة ، وهو صلاح الدين ، دعاء حاراً ، ولا عجب ، فقد كانت روحه المعنوية التي بثها في صدور جند سبيلها لهذا النصر المبين ، فقال الخطيب : (اللهم وأدم سلطان عبدك ، الخاضع لهيبتك الشاكر لنعمتك ، المعترف بموهبتك ، سيفك القاطع ، وشهابك اللامع ، والحامي عن دينك المدافع ، والذاب عن حرمك المانع ، السيد الأجل الملك الناصر ، جامع كلمة الإيمان ، صلاح الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين ، مطهر البيت المقدس ، أبي المظفر يوسف بن أيوب محيي دولة أمير المؤمنين . اللهم ، عم بدولته البسيطة ، واجعل ملائكتك برايته محيطة ، وأحسن عن الدين الحنيفي جزاءه ، واشكر عن الملة المحمدية عزمه ومضاه . اللهم أبق للإسلام مهجته ، ووق للإيمان حوزته ، وانشروا في المشارق والمغارب دعوته . اللهم كما فتحت على يديه البيت المقدس بعد أن ظننت الظنون ، وابتلى المؤمنين ، فافتح على يديه داني الأرض وقاصيها ، وملوك صياحي الكفر ونواصيها ، فلا تلقاه منهم كتيبة إلا مزقتها ، ولا جماعة إلا فرقها ، ولا طائفة إلا ألحقها بمن سبقها . اللهم ، اشكر عن محمد صلى الله عليه وسلم سعيه ، وأنفذ في المشارق والمغارب أمره ونهيته ،

- ٣ -

أما الشعر ففقد تدفق على ألسنة الشعراء
يصف المعركة حيناً ، ويتحدث عن
نتائجها حيناً ، ويصور بهجة المسلمين بها مرة
وحزن الفرنج على فقدوها أخرى ، وتغنى
الشعراء وأطالوا فمن ذلك قول الشريف
محمد بن أسعد تقيب الأشراف بمصر ، وقد
بدأها بما ينم عن الدهشة والذهول اللذين ألما
بالعالم الإسلامى ، لدى سماع خبر فتح القدس ،
إذ قال :

أترى منأما ما بعينى أبصر

القدس يفتح ، والفرنجة تكسر ؟
ومليكمهم فى القيد مصفود ، ولم
يَرَّ قبل ذاك لهم ملك يؤسر
قد جاء نصر الله والفتح الذى
وعد الرسول فسبحوا واستغفروا
فتح الشَّام ، وطهر القدس الذى
هو فى القيامة للأنام المحشر
ثم يصف الشاعر إعجابه بالبطل الذى تم
على يديه هذا الفتح ، فيقول :

من كان هذا فتحه لمحمد

ماذا يقال له ، وماذا يذكر
ملك غدا الإسلام من عجب به
يحتال ، والدنيا به تقبخر
نثر ونظم طعنه وضربه
فالحرح ينظم ، والمهند ينثر

حيث الرقاب خواضع ، حيث العيو

ن خواضع ، حيث الجباه تغفر
أما أبو على الحسن بن على الجوينى فيرى
الملائكة قد أعانت فى هذا الفتح ، بعد أن
مضى على سقوط القدس فى يد العدو أزمان
متطاولة ، لم يستطع ملوك المسلمين فيها
استرجاعه ، فكأنما كان الفتح مدخراً
لصلاح الدين ، فلا غرو أن أخذ الشاعر يدعو
لصلاح الدين أن يبقى للإسلام حارساً ،
إذ يقول :

جند السماء لهذا الملك أعوان

من شك فيهم فهذا الفتح برهان
متى رأى الناس ما نحكيه فى زمن
وقد مضت قبل أزمان وأزمان
هذا الفتوح فتوح الأنبياء وما
له سوى الشكر بالافعال أثمان
أضحت ملوك الفرنج الصيد فى يده
صيداً ، وماضعفوا يوماً وماهانوا
تسعون عاماً بلاد الله تصرخ والإ

سلام أنصاره صم وعميان
لناصر ادخرت هذى الفتوح ، وما
سمت لها هم الأملاك مذ كانوا
فى نصف شهر غدا للشرك مصطلحاً

فظهرت منه أقطار وبلدان
لو أن ذا الفتح فى عصر النبى لقد
نزلت فيه آيات وقرآن

وقت بنصر إليه الورى
فسمك بالملك الناصر
فتحت المقدس من أرضه
فعدادت إلى وصفها الطاهر
وللشعراء إنتاج غزير من الشعر يطول بنا
وجه عرضه ، فقد عقد صلاح الدين مجلسا
استمع فيه لما أنشده الشعراء ، وقرضوه
في عودة القدس إلى أحضان الإسلام ، ومن لم
يكن حاضراً هذا المجلس أرسل قصيدته إلى
البطل الفاتح .

— ٤ —

وكان لهذه المعركة أثرها في بعض الأدباء ،
فأرخ لها بأسلوب أدبي مؤثر ، وألف كتابا
يضع حوادث التاريخ ، مصوغة في أسلوب
أدبي مؤثر ، يراعى في صوغها ما يراعى
في الكتابة الفنية : من الالتجاء إلى الخيال
في التصوير ، والاعتماد في التوضيح على
التشبيه والمجاز والاستعارة ، والتشبث بأذيال
الزخارف ، والزينة اللفظية والمعنوية .

وأظهر كتاب أرخ لهذا (الفيسح القسى
في الفتوح قدسى) لمؤلفه عماد الدين
السكاتب المتوفى سنة ٥٩٧ هـ ، وسماه كتابه
بذلك مشيراً إلى أنه نفحة من نفحات قس
ابن ساعدة الإيادى الخطيب الجاهلى المشهور
بالفصاحة . وقد ذكر المؤلف في أوله الخطبة

خاله يقيقك للإسلام تحرسه
من أن يضام ، ويلقى وهو حيران
إذا طوى الله ديوان العباد فما
يطوى لأجر صلاح الدين ديوان
ويرى أبو الحسين بن جبير الأندلسى أن
السعد قد أقبل بوجهه على الإسلام بمقدار
إدباره عن الصليبيين ، وأن هذا الفتح مؤذن
بزوال ملكهم عن الشام ، فيقول :
أطلت على أفقك الزاهر
سعود من الفلك الدائر

فأبشر ؛ فإن رقاب العدا
تمد إلى سيفك البساتر
وكم لك من فتكة فيهم
حك فتكة الأسد الخادر
كسرت صليهم عنوة
فله درك من كاسر
وغيرت آثارهم كلها
فليس لها الدهر من جابر
وأضيت جدك في غزوه
فتمسا لجدهم العاثر
وأدبر ملكهم بالשא
م ، وولى كأمهم الدابر
جنودك بالرعب منصوره
فناجز متى شئت أو صابر
فأرت لدين الهدى فى العدا
فأثرك الله من ناثر

والعيان يشهد أن أُمّنع السورين ما عمر بعد أن ثغر . . .

ويؤكد العماد : أنه لم يسجل في كتابه إلا ما شاهده وعايته ، ثم بدأ بالحوادث التي تتعلق بغزوات صلاح الدين ، وجرت منذ أول عام ثلاثة وثمانين وخمسمائة ، وارتضى العماد طريقة السجع منهجاً له في كتابه ، فلم يحذف عنه من أول سطر في الكتاب ، إلى آخر سطوره . ولنعرض نموذجاً لمزجه الحقائق التاريخية بالعواطف والانفعالات ، وللتعبير عن ذلك تعبيراً فنياً ، فيه صياغة وصناعة ، قال : دخلت سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، وكتب الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى الأقطار والبلاد ، يستدعى من جميع الجهات جموع الجهاد ، وأهل للاستدعاء أهل الاستعداد ، واستحضر للغزو ، من الحضرم والبدو ، وبرز من دمشق يوم السبت مستهل المحرم قبل استنجد الجنود واستحشاد الحشود ، وإسحار الأسود ، وإحضار البيض والسود . مضى والعزم ماضى العزم ، صائب السهم ، ثاقب الفهم ، ثابت السعود ، كابت الحسود ، وخيم على قصر سلامة من بصرى ، وكفت يدرع به الطولى من الفرنج اليد القصرى ، وأقام على ارتقاب الحجاج ، وقد رتب الفرنج من الأرصاد أفواجا على تلك الفجاج ، لاسيما لبرنس (البقية على صفحة ٣٥١)

التاريخية الأدبية التي انتهجها في كتابه إذ قال : وهذا كتاب أسهمت فيه بين الأدباء الذين يتطلعون إلى الفرر المتجلية ، وبين المستخبرين الذين يستشرفون إلى السير المتحلية ، يأخذ الفريقان منه على قدر القرائح والعقول ، ويكون حظ المستخبر أن يسمع والأديب أن يقول . .

ولما كان المؤلف قد سار على نهج إيراد الحوادث متتابعة على حسب السنين ، وكان قد بدأ بإيراد الحوادث منذ سنة ثلاثة وثمانين وخمسمائة ، وهى السنة التي فتش فيها بيت المقدس ، قال معللاً سبب اختياره البدء بهذا العام : « وأنا أرخت بهجرة ثانية ، تشهد للهجرة الأولى بأن أمدتها بالقيامة معذوق ، وبأن موعدها الموعد الصحيح غير المدفوع والصريح غير المعذوق ، وهذه الهجرة هى هجرة الإسلام إلى البيت المقدس ، وقائمها السلطان صلاح الدين أبو المظفر ، يوسف بن أيوب ، وعلى عامها يحسن أن يبنى التاريخ وينسق ، وتسفر عن أهلها دأدى المداد وتنشق . . وهذه الهجرة أبقي الهجرتين ، وهذه الكرة بقوة الله أبقي الكرتين ، فإن العرب كانت إذا تناهت فى وصف الرجل بالقوة قالت : كأنه كسر ثم جبر ، والحق أن تقول : إن أطول الحياتين حياة المرء إذا مات ثم نشر ،

الملامتية أو الملامية

للأستاذ أحمد عبد الجواد الدوي

- ١ - جاء في عوارف المعارف للسهروردي أن الملامتي هو الذي لا يظهر خيراً ولا يضمّر شراً
- ٢ - قال حمدون القصار : « طريق الملامة هو ترك التزين للخلق بحال ، وترك طلب رضاهم في نوع من الأخلاق والأحوال ، وألا يأخذك في الله لومة لائم » .
- ٣ - وقال أبو حفص : « أهل الملامة قوم قاموا مع الحق تعالى على حفظ أوقاتهم ، ومراعاة أسرارهم ، فلاموا أنفسهم على جميع ما أظهروا من أنواع القرب والعبادات ، وأظهروا للخلق قبائح ما هم فيه ، وكنتموا عنهم محاسنهم ، فلامهم الخلق على ظواهرهم ، ولاموا هم أنفسهم على ما يعرفونه من بواطنهم » .
- وأول ما يكشف عنه الضوء هنا : اللوم أو الملام الدائم الموجه من الملامتي إلى نفسه ، فلا يبيح لها أن تستريح لثناء ، أو إعجاب ، كما لا يقرها بحال من الأحوال إذا اشتّم منها رائحة العجب ، أو ريح الخيلاء ١١ .
- ومداخل النفس - كما سيأتي الحديث عنها -
- الملامتية : غصن طيب قوى من أغصان التصوف المباركة امتد وأورق وأثمر بنيسابور في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري على يد مشايخ ثلاثة هم :
- أبو حفص النيسابوري ، حمدون القصار ، أبو عثمان الحيري ...
- دعاني إلى الكتابة عنهم : قسوة منهاجهم ، وعمق تفكيرهم ، وطول مراقبتهم للحق تبارك وتعالى ، وتحقيرهم للنفس وانهاهم لها على طول الخط ، لأنها - في نظرهم - ملتنى الخبائث والذائل ، ومبعث كل الشرور ...
- ولا شك أن هذا سلوك عنيف ، يحتاج في تطبيقه إلى يقظة تامة ، وهمة عالية ، ومثابرة ومصابرة ١١ .
- كان الملامتي أو الملامي يخفي حسنته ، أي أعماله الحسنة ، كما يخفي نحن أعمالنا السيئة ، وكان يظهر نقائصه بالوضوح والجللاء والقوة التي يظهر بها الكثير من الناس فضائلهم والجليل من الأعمال .
- وهناك تعريفات ثلاثة للملامتي وطريقته ، تلقى الضوء الكاشف على هذه الفرقة العجيبة :

هو ما رواه الحسن عن حذيفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال فيما رواه عن ربه عز وجل :

« الإخلاص سر من سرى استودعته قلب من أحببت من عبادي ، .

ارتكز الملامتية على هذا الحديث وذاب في معناه ومدلوله وفاق في هذا جماعة الصوفية وعامة السالكين ، حتى عد ابن عربي هذه الفرقة في أعلى الفرق وجعلها في قمة الهرم الصوفي ، ثم تنبسط الطرق وترتب بعد ذلك ١١ بل لقد تجرأ ابن عربي وأطلق على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أنه « ملامتي » ، وفي وصف الله جل وعزله بالنبوة والرسالة والرحمة ، الغنى عن كل وصف وبيان .

يقسم ابن عربي السالكين إلى ثلاثة أقسام : « أولاً : العباد الذين غلب عليهم الزهد وأفعال الظاهر المحمودة وتطهير النفس من مردول الأفعال ، وهؤلاء لا علم لهم بالأحوال والمقامات .

ثانياً : الصوفية الذين يرون الأفعال كلها لله ، وأنهم لا فعل لهم أصلاً ، وهم مثل العباد في الورع والزهد والتوكل ، أهل خلق وفتوة ، يظهرون في العامة بما ينالونه من الكرامات وخوارق العادات ، وهم بالنسبة إلى الملامتية أهل رعونات وأصحاب دعاوى .

مداخل مظلة ، وملتوية الدروب ، غامضة المعالم ، تحتاج إلى ضوء قوى جداً ، يكشف عن خباياها وخفاياها ورزاياها ... وذلك لا يكون إلا بنور الإخلاص الواج ، وسطوع الإشراف الرباني الفياض ١١ .

ولن يتوهج نور ، ويسطع إشراف - في نظر الملامتية - إلا إذا فنت النفس ، وماتت جذورها وانجلت غيومها ...

ولذلك كان الرباء في الأفعال والأحوال ، هو العدو اللدود للملامتية ... لا يطيقه ولا ينتسح رتائه له لا من قريب ولا من بعيد ... فهو يفر من مواضع المديح كما يفر نحن من مواضع الذم ، وينفر من أماكن الاستحسان ، كما ينفر الناس من أماكن الاستهجان ١١ .

طبيعة قاسية غريبة ولكنها - فيما أرى - لذيدة ، ولعلمهم يجدون ظلاً ظليلاً في كلبه الصديق التي كان يقولها عندما يسمع إطرأ أو مديحاً :

« اللهم اجعلني خيراً مما يظنون ، واغفر لي ما لا يعلمون ، ولا تؤاخذني بما يقولون » . فلا عجب إذن أن ينشغل الملامتية عن الخلق بالحق ، وعن الظاهر بالباطن ، وعن السطحيات بالعمق ...

واقعد ذكر السهروردي في عوارف معارفه أن أكبر دليل يرتكز عليه الملامتية في طريقهم

من الجماعة لأن الأحوال أمانات عند أهلها ،
 فإذا أظهروها فقد خرجوا من حد الأماناء :
 من سارروه فأبدى السر مشتهراً
 لم يأمنوه على الإسرار ما عاشا
 وجانبوه ولم يسعد بقرهم
 وأبدلوه مكان القرب إيحاشاً
 لا يصطفون مديعاً بعض سرهم
 حاشا ودادهم من ذلكم حاشا

وإذا كان لبعض الناس أو لأكثرهم
 أن يصرح أو يبلح عن أفعاله فليذكر الملامتي
 هذه الحقائق ليسد على نفسه هذا الباب :
 « ليعلم من أين جاء هو وأين هو ، وكيف
 هو ، ولمن هو ، ومن هو ، وإلى أين هو . »
 وأنا قد أبديت دهشتي من قسوة هذا المنهاج
 بادى ذى بدم ، وأملك تشاركني ، ولكن
 قصور عزائمتنا اليوم ، أو استغرابنا لهذا
 المنهاج العظيم لا يجعلنا نشك في أن جماعة
 وجدت فعلاً وطبقت هذه الأصول على أفرادها
 ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً ووصلت في ذلك ،
 إلى الثناء والبعيد !!

وإذا وجد جليل لا يستطيع صعود الأهرام ،
 فليس معنى هذا استحالة الصعود في سالف
 الزمان ولا مستقبل الأيام !!
 والمشاركة في الوفاء والبكاء والصبر والسخاء
 وغيرها مشاركة وجدانية نفسية ، ليست

ثالثاً : الملامتية ، وهم رجال قطعهم الله إليه ،
 وصانهم صيانة الغيرة عليهم ، لئلا تمتد إليهم
 عين فتشغلهم عن الله ، قد انفردوا مع الله
 راسخين ، لا يتزلزلون عن عبوديتهم طرفة عين ،
 لا يعرفون للرياسة طعماً لاستيلاء الربوبية
 على قلوبهم ، وليس ثم من حاز مقام الفتوة
 والخلق مع الله سوى هؤلاء .

وقد يكون ابن عربي مدفوعاً بعاطفة الحب ،
 أو ناظراً بعين الرضا وهي كريمة عن كل عيب .
 ولكن المتتبع لسلوك كثير من مريدي هذه
 الطريقة يعجب حقاً مما أخذوا به أنفسهم ،
 وفرضوه على نظام حياتهم !!

هل هناك في عالم المناهج أقصى من منهاج
 الملامتية ؟
 لننظر منهاجهم ثم نحكم . وهو كما جاء في رسالة
 الملامتية لأبي عبد الرحمن السلسي :

« الملامتي هو الذي يجمع بين اعتذار آدم ،
 وصلاح نوح ، ووفاء إبراهيم ، وصدق إسماعيل
 وإخلاص موسى ، وصبر أيوب ، وبكاء داود ،
 وسخاء محمد صلى الله عليه وسلم ورأفة أبي بكر ،
 وحمية عمر ، وحياء عثمان ، وعلم علي ، ثم هو
 مع هذا كله يزدري نفسه ويحتقر ما هو فيه
 ولا يقنع بقلبه خاطر مما هو فيه أنه شيء .
 ولا أن حاله مرضى . . فإذا ما ظن أنه شيء ،
 أو أذاع سراً مما هو عليه ، فليطرد فوراً

وهناك خلقان لللامتى ينبغى الإشارة إليهما :
١ — فاللامتى يحقر نفسه ويصغر من شأنها
ولكنه يحترم غيره من الناس ويقدره أعظم
تقدير .

قال أبو عبد الرحمن السلى : سئل بعض
مشايخهم عن أول طريقهم فقال :

« تذليل النفس وتحقيرها ومنعها عما تسكن
إليه أو يكون لها فيه راحة أو إليه ركون ،
وتعظيم الخلق وحسن الظن بهم ، وتحسين
قبائحهم . »

٢ — واللامتى لا يحقر الدنيا ولا ينظر
إليها نظرة سوداء ، رأى أبو حفص أحد
الملامية يذم الدنيا وأهلها فقال له : « لا تجالسنا
ولا تصاحبنا بعد ذلك . »

ويعتبر هذا الخلق الثانى من أهم الفروق
بين الملامتى والصوفى ، إذ أن الصوفى لا تحسن
صوفيته أو لا تستقيم طريقته إلا إذا احتقر
الدنيا ومتاعها الفانى القليل . وهذا شأن الكثير
الأغلب من الصوفية ... وبعضهم يرى تعديل
هذه النظرة ، وتقوية الحياة تقويما إيجابيا
أكثر من هذا ، ولهذا المقال ، مجال غير هذا
المجال !!

كما أن من الفروق الهامة أن الصوفية فيها
جذب وفناء وشطط وإباحة بالسر ونشر
للكرامة ، والملامية ليس فيها إلا الصحو
وكتبان الأسرار وعدم الميل البتة إلى إظهار

على قدم المساواة طبعاً فى أى صفة من الصفات ،
فالمطلوب إيجاد شخصية تلزم هذا المنهج وتحاوله
وتترسم خطاه ، ومن سار على الدرب
وصل . وكانت هذه الصفات فى نظر الملامية
هى أهم الفضائل ، وأعظم الخلال .

وحاول بعض العلماء أن يوجدوا صلة بين
الملامية وبين آية المائدة « يجاهدون فى سبيل
الله ولا يخافون لومة لائم . » وبين آية القيامة
« ولا أقسم بالنفس اللوامة . »

وأرى أن صلة الآية الثانية باللامية أقوى
وأشد تماسكا من الآية الأولى ، فإن اللوم
هو أهم ما يشغل بال الملامتى - لومه لنفسه
على الصغيرة قبل الكبيرة ، ولوم الناس إياه
على هذا التشدد والتعنّت - فاللام منه وإليه ..
وإن كان المقصود فى الآية هو النوع الأول
بديها !! .

والآية الأولى فيها المبدأ الذى أشار إليه
حدود القصار فى التعريف الثانى كما سبق !!
ولو فتحنا الصفحات الأولى لطليعتنا المؤمنة
المجاهدة لوجدنا الكثير من سلفنا الصالح
كان يهتم بإنكار ذاته وإخفاء عمله ورد ثناء
الناس ، فإنه يقطع العنق ، ومحاربة الرياء ،
والعمل فى جوف الليل ... وما قصص صاحب
النقب ، وتنافس أبى بكر وعمر على خدمة
المقعدة العجوز ليلاً ، وأمثالها عنا ببعيد !! .

أن البيئة الزرادشتية ليست هي كل شيء ، بل في الإسلام وأصوله وفروعه ، الثروة الهائلة للتحذير من النفس ، لأنها دأمة بالسوء ، وأعدى أعدائك . . .

ففي البيئة الإسلامية نفسها أصل التوجيهات ، والذي زاده الملامتية الحساب المفروض ، والتعمق العنيف ، مما جعل الغصن يطول ويطول حتى احتاج إلى تشذيب وتهذيب ! . نعم : طال الغصن حتى التوى واعوج ! .

فهناك فهم غامضة للملامتية ، نذكر منها ما فهمه شيخهم أبو حفص في قوله جل وعز : « أو لم يسيروا في الأرض فينظروا ، من أن السير لغير حج أو غزو أو رؤية شيخ أو طلب علم ، ترك للطريق وإضلال للبريد . وواضح أن هذا تقييد من غير مقيد لعموم الآية الكريمة ، فكلم للأسفار البرية من فوائد ، وكفاء الرجال بالإيمان العميق ، والكشوفات الخارقة ! ! .

وكذلك يفلسف الملامتية الخشوع فلسفة غامضة ، نقف عندها طويلا ! ! .

سئل بعضهم عن توضيح هذه الفلسفة فقال : « أوه من فهم بعدت عن حقائق المعاني . . . الخشوع هو اطلاع الله على الأسرار فتخشع ، فتأدب الظواهر بذلك الاطلاع ، ألا ترى إلى قوله صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى إذا تجلى إلى شيء خشع له . رأيت كيف تخشع الأسرار ؟ .

الكرامات ! ! فإذا جاءت الكرامة لأحدهم دون شعور حاول فيها والتبرؤ منها ... وهو خلق - لعمرك - حميد ... إن جاز القسم ! ! وهناك فروق أخرى بطول بها المقال ! ! ومع هذه الفروق فإنى أعتبر الملامتية غصنا طيبا قويا من شجرة التصوف المباركة - كما ذكرت .

وقد تشابك هذا الغصن بين الحين والحين بغصن الفتوة « الصوفية » ، فالقارىء لباب الفتوة في رسالة القشيري يجد تشابها كبيرا هنا وهناك .

ويرجع الدكتور أبو العلا عفيفي في كتابه « الملامتية والصوفية وأهل الفتوة » ، ذلك التشابك إلى أن الفتوة الصوفية نشأت في فارس حيث نبذت الملامتية وترعرعت ! ! . وقد نكلم الدكتور كلاما طيبا وقيما عن الملامتية وهو الذى نشر رسالة « الملامتية » لآبى عبد الرحمن السلى وأضاف بهذا النشر زادا كان مفقودا في المكتبة العربية ! ! وحلل مذهب الملامتية تحليلا لطيفا . . . خرج منه إلى أن الباعث على هذا المنهاج هو تشاؤم الملامتية من النفس وجعلها مقابلة لله عز وجل . وأن البيئة الزرادشتية كان لها أكبر الأثر في هذه التوجيهات ! ! .

ولوعبر الدكتور بكلمة « العمق في التفكير ، بدل التشاؤم كان خيرا عندى ، كما أننى أرى

وطاعته تستجلب عطاءه . وأن عطاءه يقابل فضله . .

« تقابل عبد الله الحجام مع حمدون القصار وسأله : أأترك عملي لأعبد ربى ؟ فقال حمدون : لأن تدعى عبد الله الحجام أحب إلى من أن تدعى عبد الله العارف . »
« حسن الظن بالله غاية المعرفة ، وسوء الظن بالنفس أصل المعرفة بها ، »

« لاتكن عبادتك لربك سيلا لأن تكون معبودا ، واجعل عبادتك له إظهار رسم الخدمة والعبودية عليك ، .
وهكذا تنتقل من زهرة إلى أخرى ،
فتشم أريجاً أنفذ وأزكى ! .

لقد تمتعت خراسان بهذه الجماعة أول ظهورها ، ثم انتشرت بقدر في العراق وما حولها ...

وجزى الله السلى والسهورردى والدكتور أبا العلا عفيفي على ما قدموا خيراً ...
وكم وددت أن أجمع بين اعتذار آدم وصلاح نوح ووفاء إبراهيم وصدق إسماعيل وإخلاص موسى وصبر أيوب وبكاء داود وسخاء محمد صلى الله عليه وسلم ورافة أبي بكر وحمية عمر وحياء عثمان وعلم على ... ثم لا أقنخر ولا أزهر ! .
هل إلى ذلك من سبيل ؟ .

أحمد عبد الجواد المروسي

ومن قبيل هذه الفهوم والفلسفات أنهم يرون أن النفس كف من عجب في قالب ظلة مربوط بشواهد العامة ، وأنها كف من جهل في قالب الرعونة مربوط بحال الأطلاع . ولذلك يرون ملامها واجبا ، وإظهار شيء من أفعالها شركا ، وإظهار شيء من أحوالها ارتدادا ...

والفهم الأخير على الأخص فهم شاط وسقيم ...

وعندى أن تعريف الصوفية للنفس بأنها لطيفة ربانية مودعة في جسم الإنسان وينبعث منها الشر ، خير بكثير من كف العجب وكف الجهل ...

ومن هنا قلت : إن الفصن في حاجة إلى تشذيب ! .

ذكر السلى في رسالته عن الملازمة خمسة وأربعين أصلا من أصولهم . والحق أنها كلها جديرة بالبحث والتعليق ... ولقد هزنى وأعجبني منها الكثير .
ولنقرأ سويا :

« أصل العبودية شيثان : حسن الافتقار إلى الله عز وجل وهذا من باطن الأحوال ، وحسن القدوة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الذى ليس فيه للنفس نفس ولا راحة . »

« أهل الجهد معرفة بربه ، عبد ظن أن فعله

مَنْ رَوَّاعِ شَاعِرِ الْإِسْلَامِ "إِقْبَال"

ترجمة الأستاذ حسن الزعبي ونظم الأستاذ الصاوي محمد

الأرض لله :

يخلق إقبال بجناحيه مطلا على الكون
بنظرات العقاب ، فإذا الدنيا تبدو أمامه
مجلوة الحسن بارة الصور . هذه هي البذور
تلقى في ظلمات الأرض وتحت طيات ترابها
فما تمضي غير أيام حتى ترى الأرض قد
اهتزت وأورق نبتها الجميل ، من الذي صنع
هذا ؟ وتلك أمواج البحر الصاخبة . من
الذي أحالها بخاراً ورفعها في الفضاء ثم رفع
بها سحباً ركما وساقها إلى الصحراء المجسدة
القاحلة تحمل الماء إلى أرض ميتة مغضبة
فتنبث فيها الحياة وتخرج لسكان الصحراء
فاكهة وأبا متاعا لهم ولأنعامهم . وهذه
الورود المفتحة بين الجنات والعيون . من
الذي أرسل إليها نسيم الصبا تداعب أوراقها
فتميل في دلال وتميس في عجب . من هذا
الذي أنبت السنابل في الحقول فبدت تشبه
الأغنياء الأقماع الذين مالأوا جيوبهم
بالذهب الأصفر . تلك السنابل التي تتم قصة
حياتها في أخريات الربيع وبداية الصيف . من

الذي قسم العام إلى فصول يتجدد بها الزمن
وتقلب عليها أدوار الحياة في مركزها من
السكرة حول الشمس ؟ ومن الذي خاق هذه
الشمس أيضا . تحتجب فإذا الدنيا ظلام .
وتشرق فإذا الحياة موكب وزحام ؟

أيها الأحياء : هذه نعم الله وقدرته الباهرة
في الكون . ولكن لا تغتروا ولا تتخذوها
جبروتا وملكا طاغيا . إنكم لا تملكون
منها سوى ما يملك المتفرج من الفلم الذي
يشهد فيه قصة معروضة ما يكاد ينتهي منها
حتى يلقي الستار وتبقى العبرة . هل يملك
الإنسان تراب هذه الأرض وهو ترابها .
هكذا يصور إقبال الحقيقة ثم يقول : إن
الأرض ليست لي وليست لكم . وإن الأرض
لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين .

من أسكن الحب ظلام التراب

فأورق الزرع نضير الإهاب

من رفع الأمواج من بحرها

تسقى عطاش القفر برد السحاب

من قلبد الورد نسيم الصبا

ومن أعاد الشمس بعد احتجاب

وما قصره إلا متاحف سارق
وما السارق الجاني سوى صاحب القصر
تمتع من فقر الخلاق بالغنى
ومن عسرهم جمعا تفرد باليسر
إلى صدقات الناس أو لخراجهم
يمد يد المحتاج فى صولة الكبر
تسول من يعيبه عد كنوزه
ولم يتسول مؤمن فى لظى الفقر

(٣) قبر يتحدث الى رفيقه :

يا أيها الشجع الملم بحفرى
وعليه ميسم ذلة وصغار
من أى ألوان الخليفة جئتنى
عبدا مهينا أم من الأحرار
فعساك قبل القبر كنت معودا
موت الضمير وقبر الاستعمار
يشكو التراب إلى حين حلته
خللت من مشواك دار بوار
فبظلم نفسك زاد ليل ظلة
يطوى دجاها صفحة الأنوار
وتكاد أرض الله تلتظ جثة
جعلت ثراها مسكنا للعار
رحماك إسرافيل دعه ولا تعد
فى الحشر صورته إلى الأنظار
إن تحى هذا العبد يخلد شره
خذار ثم خذار ثم خذار

من أنبت السنبيل حتى غدت
جيوبه تحوى النضار العجاف
من قسم العام فصولا لها
بكل دور فى الزمان انقلاب
أيمك الحى تراب الثرى
وجسمه عما قريب تراب
ليست لى الدنيا وليست لىكم
فالعمر فيها مثل ومض الشهاب
الأرض لله وسكانها
أكل منه وإليه المسآب

(٢) منقول

سمعت فتى بالليل من خلف حانة
تحدث عن سحر وإن كان فى سكر
يقول لقد أزرى بنا متسول
على عرشه يختال بالنهى والأمر
يتيه على الشعب الذى قد سما به
إلى العز من سلطانه وهو فى أسر
وقلده تاج العسلا وهو لم يجد
قلنسوة تحميه فى وقدة الحر
وقد نسجت أيدى العراة قباة
حريراً والكن فى خيوط من التبر
عصير دم الزراع يملأ كأسه
بأجل ألوان الشقيق من الخمر
وقد بات من حقل وحقلك يحتوى
كنوز الثرى فى كيمياء من المسكر

(٤) صرفة من صرغم:

ها هنا معبد يضيق زحاما
بضحايا الاطاع صرعى الاماني
ذكروا الله عند ما فقدوا الآو
ثان في ظلة الوجود الفاني
ليس بدعا تعذيب من عبدوا الأص
نام في مارج من النيران
إنما حيرت لهذا المصلى
ماله حاد عن طريق الجنان
عله عاش بالثناء غنيا
عن ثواب المهيمن الديان
وفقير يستوف العين تسكبا
وفرضا من النجيع القاني
ياكل الهم قلبه وهو طار
ويعانى مرارة الأشجان

ما القصور التي بدت كالرواسي
تصحب الذيل في ذرى كيوان
ما القلاع التي تطاول ركن
الشمس قدرا وروعة في المباني
غيرهم قد محا الزمان بقاياهم
ويروى حديثه الملوان
وبشير العمران في هذه الدنيا
نذير الخراب للعمران
شق فرهاد نهره العذب لكن
عاد منه بلوعة الظمان

هذه الحكمة التي تجمع الشهد
إلى السم من فم الثعبان
والسياسات حين تطوى الرزايا
خفف ستر من زخرف الألوان
والعلوم التي بها يحفر الإنسان
قبر الهلاك للإنسان
كلها حزمة الطغاة التي لم
تبتكر مثلها يد الشيطان
ليس في أرضى انتداب ولا
استعمار أرض ولا تحكم جان
لا ولا الغادرون من دول الغر
ب ولا السارقون للأكفان
إنما يصلح الفرنج وقودا
يا إلهي فاملا بهم نيران

(٥) أسرار المحربة في رماني الطبيعة:

أذاعت في الرنى سر الجمال
مصاييح الشقائق في الجبال
طلائع نورها نور لقلبي
ونفخ عبيرها مسرى خيالي
وفي ألوانها الياقوت يزهى
على حلل الزمرد في اختيال
ترى الأزهار صفا بعد صف
مسبحة بقدره ذى الجلال
يحار لها الفؤاد وقد تجلت
فنون الحسن في تلك المجال

تعمق في ضمير الكون واشهد
 صنوف الحسن باهرة الجلال
 وعش في عالم الروح انطلاقا
 ترى الإقدام يأتي بالحال
 فدنيا الروح فيها ربح مجد
 ودنيا الجسم فيها ربح مال
 وإن المال قد يأتي ويمضي
 وأنت وما ملكك إلى ارتحال
 ودنيا الجسم إفساد وختل
 وإغراء يصير إلى ضلال
 ودنيا الروح سكر بالمعاني
 وصحو بالرق وبالمعالى
 فعش للروح في دنيا وأخرى
 تفز بالعالمين بلا زوال
 وإن أمسيت للأغيار عبدا
 فقدتهما معا في كل حال
 وإن أصبحت في الأكوان حرا
 فأنت من الكمال إلى كمال
 وكسب المال للخلوق حق
 ولكن لا تبع شرفا بمال

محمد حسنى الزعيم

عرانس من حسان الورد تحكى
 قوام الحور في ثوب الدلال
 وقد نظمت يمين الطفل فيها
 عقوداً من لآليها الفوالى
 ومن شمس الصباح بدا شعاع
 يسيل بها النضار على اللآلى
 وفي الغابات أسرار القمارى
 سرت بين النسائم والظلال
 تحرضنى أغانيها فأشدو
 ليفصح عن معانيها مقال
 أطارحها الهوى شدوا بشعر
 فتسبقنى إلى السحر الحلال
 وجدت الحسن في الصحراء حرا
 طليقا كالنسيم فما يبالي
 يطالعنى بجلوته صباحا
 ويذهب ضوؤه ظلم الليالى
 كمثل النيرات بلا نقاب
 وكالعيش الهنىء بلا احتلال
 يفر من المدائن وهى قيد
 وينشد في الربى رجب المجال
 أكان يعلم الإنسان سعيًا
 إلى حرية ونعيم بال

اللهجات العربية في آسيا الوسطى

للاستاذ ج. نزييريتيلي

وإلى عهد قريب نسبياً أفلح العلماء السوفياتيون في أن يردوا إلى الأسرة الكبيرة للألسنة العربية، لهجات جديدة ضائعة في ظلام القرون وفي سهوب آسيا الوسطى المترامية الأطراف

وعلى أثر تنقيب خاص ثبت أن في آسيا الوسطى اليوم لهجتين عربيتين مستقلةتين: لهجة بخارى ولهجة قشقاداريا. والفرق بينهما كبير إلى حد أن عرب بخارى وعرب قشقاداريا لا يفهم بعضهم بعضاً، فهم يؤثرون التخطاطب فيما بينهم باللغتين الطاجيكية أو الأوزبكية.

إن العثور في آسيا الوسطى على لهجات عربية كانت مجهولة من قبل هو أمر ذو أهمية كبيرة في علم اللهجات العربية وعلم تاريخ اللغات المقارن بين اللغات السامية. ولم يعد أى بحث في هذا الميدان، وأية دراسة للألسنة العربية، منذ الآن، يستطيع الاستغناء عن الوثائق المتعلقة باللهجات العربية في آسيا الوسطى.

لقد تطورت هذه اللهجات طوال قرون في بيئة لغات أخرى، فتأثرت بالطاجيكية

تعود المعلومات عن العرب في آسيا الوسطى إلى عهد الفتوح الكبيرة. ويقول الجغرافيون والمؤرخون العرب من القرنين التاسع والعاشر أن السكان العرب كانوا يكونون منذ القرنين السابع والثامن نسبة ما في بعض مدن ما وراء النهر وخاصة في بخارى وسمرقند. وقد وردت، منذ القرن الخامس عشر معلومات عن العرب البدو، في وثائق مختلفة (فرامانات) لأمرام بخارى. وفي مطلع القرن التاسع عشر كان عرب بخارى وآك كشي يؤلفون وحدات إدارية خاصة يقوم على رأسها دأمرام هزار، (ولاء الألف).

وابتداء من القرن التاسع عشر، أخذ كثيرون من المسافرين، الذين زاروا إمارة بخارى، ينقلون أخباراً مفصلة نوعاً ما عن عرب آسيا الوسطى. فكانت تعطى معلومات عن عددهم، وتجري أبحاث تتعلق بعلم الشعوب وعلم تاريخ أصل الإنسان. غير أنه حتى الآونة الأخيرة لم يكن معروفاً إلى أى حد احتفظ هؤلاء باللغة العربية، وما كانت عليه من الناحية اللغوية فيما إذا كانوا قد احتفظوا بها.

هذه اللغة تصادف في اللهجة السورية واللهجة المصرية وحتى في لهجات بعيدة عنها جغرافيا كاللهجة السودانية والمالطية .

وقد احتفظت لهجات آسيا الوسطى ، في بعض الحالات ، أكثر بكثير من الألسنة العربية الأخرى ، ببقايا جوهر آراى - عبرانى .

واحتفظت هذه اللهجات بمعظم الأصوات العربية ، ولم تفقد سوى الأحرف الساكنة التى تلفظ ما بين الأسنان وبعض الأصوات المفخمة .

أما الضمائر والأعداد وظرفا الزمان والمكان والأدوات والأفعال ، التى احتفظت بأشكالها القديمة ، فهى ذات أهمية كبيرة ، وظهرت بالإضافة إلى ذلك صيغ لغوية جديدة .

فيمكن أن نلاحظ ، فيما يتعلق باسم الموصوف ، بقاء صيغة النكرة (دون تمييز فى الحالات) . وفى اجتماع اسم الموصوف والصفة ، يلحق التثنية باسم الموصوف وحده كما فى لهجات بدو الجزيرة العربية ، مثال ذلك : فرس أبيض . ومن جهة أخرى ، إن التثنية لا وجود له مع أشكال ظروف الزمان والمكان فى لهجة بخارى . فبعكس ما نلاحظه فى السنة عربية عديدة ، نجد هنا كلمة السلام ومرحبا ، بدلا من مرحبا ، وهكذا دواليك من الأشكال

والأوزبكية ، كما تأثرت جزئيا بالأفغانية والتركانية . وبالنظر إلى ذلك حصلت تغيرات هامة فى هذه اللهجات من حيث تركيب الأصوات والصرف وكذلك النحو . وظلت هذه اللهجات طوال مرحلة مديدة دون اتصال باللغة العربية الفصحى ولا باللهجة العربية أخرى ، مما جعلها بعيدة عن التأثير بهما . وإلى هنا يعود السبب فى أن التراث السامى الذى كان يميز عرب آسيا الوسطى فى عهد ظهورهم فى وطنهم الجديد ظل محفوظا لديهم بشكل قريب من شكله الأصيل .

إن اللهجات العربية فى آسيا الوسطى تختلف عن جميع اللهجات العربية المعروفة (سواء من حيث تسرب لغات أخرى إليها ومن حيث التراث السامى الصرف) اختلافا كبيرا يجعلها تؤلف مجموعة مستقلة كل الاستقلال تحتل كالمالطية ، مكانة على حدة بين اللهجات العربية المعروفة .

ولغة عرب آسيا الوسطى تشبه ، تاريخيا ، شها قويا اللهجة العراقية ، كما تشبه نوعا ما لهجة بدو القسم الأوسط من الجزيرة العربية . ويثبت لنا ذلك سواء من المعطيات المتعلقة بعلم اللغة أو المصادر التاريخية .

ثم إن اللغة عرب آسيا الوسطى بعض الملامح التى تجعلها مشابهة لبعض اللهجات العربية الأخرى ، وهذا أمر طبيعى . فبعض أشكال

(المضاف والمضاف إليه) ما زال باقيا ، مثال ذلك . أم البنت ، بيد أننا نصادف في كثير من الأحيان تركيبا غريبا عن اللغات السامية : نجد المضاف إليه قبل المضاف ، مثلا : « حطب مبيع ، (أى بائع الحطب) .

و اتسع استعمال الإضافة كما هي في التركية اتساعا كبيرا ، وهنا يوضع المضاف إليه أولا ثم يتبعه المضاف متضمنا صيغة الضمير في آخره مثال ذلك : « كتابات صاحبين ، (لهجة بخارى) ، (ومعناه أحباب السكتب ، وترجمته حرفيا : كتب - أصحابها) .

أما المفردات فهي بالأساس سامية . ومن هذه الناحية تقترب لهجات آسيا الوسطى من اللهجة العراقية ونوعا ما من لهجات جزيرة العرب ، ويظهر الفرق أيضاً بين لسان بخارى ولسان قشقاداريا في ميدان الصرف . فكلمة « خلاف ، (وخلافة) مثلا الدارجة في لهجة بخارى ، لا وجود لها في لهجة قشقاداريا حيث تستعمل مكانها كلمة « اوكوب ، . وكذلك لفظة « ايزاب ، (حيث) في لهجة بخارى ، ولفظة « ايزكو ، في لهجة قشقاداريا وكلمة « ماد ، (ذهب) في لهجة قشقاداريا هي غير معروفة في لسان بخارى . وكلمة « غاداك ، (ذهب) الدارجة في لهجة بخارى تشير الهزم لدى عرب قشقاداريا .

المطابقة لأشكال الكلام عند البدو ولا نجد الشكل الظرفي مع التنوين إلا في لهجة قشقاداريا ، ولكن بشيء من التخفيف مع ذلك .

وقد احتفظت الأسماء بالجمع السالم المنتهى بـ « دين ، مع مد الصوت ، مثال ذلك « موكلين ، ويغلب الجمع حسب علامة جمع المؤنث السالم أى المنتهى بـ « ات ، بدلا من جمع التكسير ، مثال ذلك « إيدات ، (الأيدي) ، حتى في الكلمات المذكورة ، مثل « كتابات ، (كتب) . ويستعمل كذلك جمع التكسير مثل « رجل ، (الأرجل) وهم جرا .

واحتفظت أسماء الموصوف أيضاً بصيغة المثني : « ايدين ، (اليدين) و « عينين ، (العينان) الخ .

أما المقصود بلفظة « واحد ، بمعنى النكرة فقد أصبح « فاد أو فرد ، وهي لفظة دارجة في اللهجة العراقية ، كما أنها تستعمل في كلام البدو .

وتغير تركيب الجملة العربية تغيرا محسوسا فقد طرأت على لهجات آسيا الوسطى طاهرات نحوية غريبة عن العربية وغيرها من اللغات السامية ، وهذا ما يفرق بين هذه اللهجات والألسنة العربية الأخرى .

فالتركيب السامي القديم المعروف «بالإضافة،

عن هاتين اللهجتين اللتين يشكلان اكتشافهما ودرسهما - كما قال الأكاديمي أ. كراشكوفسكي المستعرب الروسي المعروف - صفحة مجيدة في تاريخ الدراسات العربية المعاصرة وأشياء جديدة كثيرة في كنز العلوم العالمي (١) .

ج . ترجمة على

عضو أكاديمية العلوم في جمهورية جورجيا

(١) أ . كراشكوفسكي - محاولة في تاريخ الدراسات العربية في روسيا .
موسكو لينفرا ١٩٥٠ . الصفحة ٢٥٣ .

إن هذه النظرة الحافظة إلى الخصائص اللغوية للهجات العربية في آسيا الوسطى يدل على مقدار جودة هذه اللهجات .

وقد أعد الاتحاد السوفياتي نشر مصنف في أربعة مجلدات عن لغة عرب آسيا الوسطى والمجلد الأول الذي سيصدر قريباً يتضمن نصوصاً من لهجة بخاري مع ترجمتها إلى الروسية . وسيحتوي المجلد الثاني نصوصاً من لهجة قشقاداريا مع ترجمتها إلى الروسية ، وسيكون المجلد الثالث قاموساً للهجتين ، أما المجلد الرابع فسيضم التحليل الغراماطيقي للهجتين العريقتين في آسيا الوسطى . إن نشر هذه الوثائق سيعطي المستشرقين فكرة كاملة

(بقية مقال معركة بيت المقدس)

ما أورده من حقائق تاريخية ، يضيء عليها شعوره وإحساسه ، وينتقل من عام إلى عام ، متتبعاً حوادث الفتح وما تلاه من محاولة استرداد الفرنج لبيت المقدس إلى أن انتهت هذه الحروب بصالح الرملة سنة ٥٨٨ هـ .

وبعد ، فقد كان لمعركة بيت المقدس أثر كبير في الأدب شعره ونثره . وكانت هذه المعركة من أكبر المعارك أثراً باقياً إلى اليوم .

أحمد أحمد بروي

وكيل كلية دار العلوم

الكرنك ، فإنه كان حريصاً على الدرك ، ناصباً شر الشر ، فلما شم ذلك الذئب رائحته الأبد ، عاود دخول حصنه حذار خروج روحه من الجسد . .

فأنت ترى الحقيقة التاريخية وهي خروج صلاح الدين من دمشق مترقباً عودة الحاج قد لونت بشعور الكاتب إزاء هذا الخروج واستدعاء الجنود ، وإزاء إبرنس الكرك ، من أنه كذئب شم رائحة الأسد .

وعلى هذا المنوال يجري الكاتب في كل

مجلد و الفتران

في رأى المستشرق الانجليزى نيكولسون
للأستاذ راشد رستم

إلى شعر أوربى أصبل ، لا يظهر فيه أثر الترجمة فضلا عن المحافظة على الأصل فى سياق شعرى لطيف صحيح . وكنا قد أذعنا له ترجمات إنجليزية من عيون الشعر للشوى وابن العربى وابن الفارض وغيرهم ، فى البرنامج الأوربى للإذاعة المصرية عند ما كنا نتولاها منذ عشر سنوات .

وفى سنة ١٩٠٧ أصدر كتابه الكبير - تاريخ الأدب العربى - الذى هو عمدة فى ذلك فى العالم الغربى من حيث الإحاطة بالموضوع ومن حيث منهج البحث والتنسيق (١) .

(١) أشار علينا أستاذنا الجليل المرحوم الشيخ محمود أحمد البطاراوى ترجمة هذا الكتاب وقد قنا بترجمة قسم كبير منه صيف سنة ١٩١٤ م وكان الشيخ أستاذ الأدب العربية بمدرسة المعلمين العليا . وكان رحمه الله متمكنا من مادته كما كان محبا للتجديد العصرى الأصيل فى منهج تدريس الأدب العربية . وهو ما حدهاه إلى طلب ترجمة الكتاب . وكم أفاد الأستاذ تلاميذه الكثيرين علما وفضلا وخلقا .

الأستاذ رينولد نيكولسون Reynold المستشرق الإنجليزى من أبرز علماء الغرب معرفة بروح الشرق ، فقد عكف وهو لا يزال مجاوراً بجامعة كمبردج على التمكن من اللغتين الفارسية والعربية حتى صار أعرف بهما من غيره ، كما تولى تدريسهما فيما بعد ، غير أنه تخصص فى الآداب العربية ، وقد تولى كرسى الأستاذية فيها منذ سنة ١٩٣٩ إلى أن توفى سنة ١٩٤٦ فى جامعة كمبردج (١) ، وكان إلى ذلك متصوفاً ، ألف كثيراً عن التصوف الإسلامى وجعله قابلاً لمنهج البحث العلمى . كما أنه ترجم كثيراً من آثار المتصوفين الإسلاميين . وقد حباه الله بموهبة نادرة هى قدرته على نقل الشعر الفارسى والعربى

(١) تولا به بعد ، ولا يزال يتولا به إلى يومنا هذا ، تلميذه وصديقنا الأستاذ آربرى Arberry صاحب البحوث والمؤلفات الكثيرة عن الآداب العربية وعن التصوف الإسلامى ، وقد أصدر أخيراً ترجمة للقرآن هى أحدث ما صدر من ترجماته المصرية بالإنجليزية .

ولا من خلفه) وإنه لكتاب عزيز ، أى فريد في بابه نستخرج منه مادة من الحقائق لا نزاع فيها ، كما نعرف منه الأصول والتطورات التى مر بها الإسلام فى أول عهده . وإنها لميزة لهذا الدين لانجدها لغيره من الأديان الأخرى كالبودية والمسيحية واليهودية وغيرها .

٢ - الأحاديث

لم يكن للنبي رفيق يلزمه فى غدواته وروحاته يدون عنه كل ما يفعل أو يقول . على أنه ما وقف محمد يوماً لينخطب أو يجلس ليتحدث إلا وتوجهت إليه البصائر والآبصار - ذلك لأنه لم يكن رجلاً عادياً . . وإن كل كلمة ينطق بها أو حركة يفعلها يلتقطها أصحابه وصحابته ومريدوه - بل وأعداؤه - يقيمون لها الوزن والتقدير والاعتبار .

وقد عرف عن كثير من أصحابه أنهم "المحدثون" ، أى الذين أخذت عنهم الأحاديث بالرواية ، وقد وضعوا لكل حديث أصليين أساسيين - المتن والسند - ولكل من هذين الأصليين فروع ليس هذا موضعها .

٣ - التفاسير

إن محمدًا نفسه قام بتفسير بعض الآيات . ولكن الفضل فى وضع علم التفسير يرجع إلى ابن عباس وهو ابن عم النبي .

وبلاحظ أنه ليس من مستشرق غربي وأوربي ، مهما كانت ناحية تخصصه فى الاستشراق إلا ويعكف على دراسة حياة نبي الإسلام محمد عليه السلام . ولا غرابة فى ذلك فإن محمدًا هو النبي العربى والقرآن هو الكتاب العربى .

وقد خصص الأستاذ نيكولسن فى كتابه عن الأدب العربى فصلاً قيعن "محمد والقرآن" ، نعرض هنا كثيراً من آرائه وتعليقاته فيه ، دون ذكر ما جاء فيها مما يستوجب البحث والمجادلة إذ ليس هذا مجاله .

يقول إنه لم يكند محمد يظهر حتى زالت الغشاوة الكثيفة ورفع ذلك الستار السميك عن ذلك العصر الذى تقدمه ، ثم نجد أنفسنا قد وقفنا فجأة على حقائق وتقاليد تاريخية صحيحة ثابتة .

ولكى نفهم أسباب ذلك التغير المفاجئ لابد من ذكر المصادر الرئيسية التى نستمد منها ما نأخذ من معلومات عن حياة النبي وتعاليمه .

١ - فالقرآن هو لاشك أول المصادر ، وهو السجل الإنسانى الكامل البنيان والبيان ، الذى نقف منه على جميع أطوار شخصية محمد ، وعن مختلف العلاقات بينه ، فى حياته الخاصة ، وبين الحياة العامة . وهكذا نجد بين أيدينا هذا الكتاب (لا يأتية الباطل من بين يديه

ثم أخذ أنصاره يزدادون ولكنه وجدهم في عنت كبير من أهل مكة الكفار فأمرهم بالهجرة إلى الحبشة ، حيث يدين ملكها وأهلها بالمسيحية السمجة ، فوجدوا عندهم ترحيباً وتكريماً .

هذا ومن الأدلة على إخلاص هذا الرجل (محمد ..) أنه لما رأى استحالة الاتفاق الحقيقي مع أهل مكة عبدة الأصنام خشى أن يكون اتفاقه معهم دليلاً على اعترافه بوضعهم وتنازلاً منه عن مبادئه التي أرسله ربه من أجلها - عند ذلك عدل عن اتفاقه مع قريش وأخذ في شن الحرب على كل صنم أو صورة أو رسم أيا كان شكله وموضوعه ، وجعل يجر منادياً مكرراً - لا إله إلا الله - لا إله إلا الله .

وهكذا أخذ محمد يوجه كل قوته لهدم الوثنية وعبادة الأصنام والشرك بالله . ثم كان لإسلام عمر بن الخطاب (رجل الدم والحديد) مبدأ للقيام بانقلاب جديد . فلم يعد عبادة المسلمين سرا بل جهر وإبها وأخذوا يتجمعون جماعات حول الكعبة تصلون ويقومون بشعائر دينهم . واثقين من أنفسهم ، ظاهرين بشجاعتهم .

وهنا تولى قريشا الرعب والخوف من العاقبة ، فبيتوا لمحمد أمرا . ولكنه أفسد

ولقد كانت سوق الأحاديث النبوية الموضوعية رائجة في العصر الأول وقد اغتصمت الأحزاب ذلك واتخذوها أسلحة يستعملونها في أغراضهم السياسية والدينية والاجتماعية .

ولما بلغ محمد من العمر الأربعين جاءه الملك في غار حراء وقال له اقرأ . . فقال ما أنا بقارئ . . . وقيل إنه قال للملك : ما أقرأ أو ماذا أقرأ ؟ (١)

ثم تولاه الخوف والرعب وخشى أن يكون بد مس من الجن لولا أن زوجته المخلصة الصالحة (خديجة) قامت برعايته وهونت الأمر عليه وجعلته يعتقد جازما بأنه لا سلطان للشيطان عليه بل إنه النبي المنتظر المرسل بالحق والهدى .

غير أن الوحي انقطع زمنا طويلا كان يتولاه فيه اليأس . وما هي إلا « فترة » امتحان حتى عاد فرأى الملك فزال عنه الشك وتولاه اليقين واعتقد بصحة رسالته وهو يقول له - يا أيها المدرس ، قم فأنذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر (٢) الخ .

(١) نقل عن ابن هشام ! !

(٢) يعتقد كثير من المستشرقين المتهصبين إن كلمة « الرجز » هنا هي بمعنى عبادة الأصنام .. كما أنهم يفسرون قوله تعالى : « ووجهك ضالا فهدى » بأن الضلال هنا بمعنى عبادة الأصنام .

هذا ولم يكن محمد خيالاً دون أن يكون عملياً . ففي دينه من الشعائر والفروض ، ما فيه مشقة للنفوس والأجسام كالصوم والحج والجهاد وما إلى ذلك . غير أنه أضفى بروحه وروحانيته على كل هذه الأنواع من المشاق روحانية عظيمة عليها مسحة من الزهد والخضوع والنظام لا تزال رغم القرون تحتفظ بها إلى يومنا هذا .

إن محمداً بما أظهره من أول عهده من آيات العظمة النفسية ليدعونا إلى الإعجاب العظيم به . إذ هو مؤمن بيقينه مدفوع بأسمى فكرة يستطيع الإنسان أن يبشر بها بالحق الذي أوحى إليه به .

على أن محمداً كاد يكون في تلك الحال منفرداً ، ولكنه شجاع لا يعرف الخور ولا الخوف ولا الوجمل أمام أقوى صرح للخرافات والمعتقدات الباطلة فلم يستسلم أبداً للتهديد والوعيد والاستهزاء ... بل أوعده وهدده وهزى هو من أعدائه ، وتحداهم في صميم عقائدهم رابط الجأش هادى البال ، لايبالي بما يفعلون .

ذلك ما كان من عهد محمد في مكة . فلما هاجر منها إلى المدينة كان قد خلاص من مهمة إرساء القواعد الأساسية للدعوة ، وصار الرجل السياسي .

عليهم أمرهم وقام ومن معه بالهجرة إلى المدينة ذلك الحدث العظيم .

وفي شهر سبتمبر سنة ٦٢٢ ميلادية دخل محمد المدينة ، فاستقبله أهل العصابة من قومها استقبال الفاتحين الظافرين بالقلوب قبل الأجسام .

وقد صار هذا الحدث العظيم رمزاً على زوال صولة الجاهلية وابتداء عهد محمد ، وقيام دولة الإسلام .

أما التعليم والمبادئ الأولى التي دعا إليها محمد في الحقبة التي عاشها بمكة فتتلخص فيما يلي :

أولاً : لا إله الا الله .
ثانياً : محمد رسول الله - وأن القرآن كلام الله أنزله على رسوله ،

ثالثاً : البعث يوم القيامة حيث الحساب لكل امرئ بما قدمت يداه في هذه الحياة .
رابعاً : الجنة للصالحين وجنهم للطالحين .

إن محمداً منذ اللحظة الأولى عرف أنه سيلتقي ربه يوم اللقاء . وسؤلاً عما فعل بالرسالة فصار يدعو الناس وهو على يقين بعقيدته ، فجعلت من ضعفه قوة ، ومن خوفه أمناً ، ومن جزعه صبراً ، كما تحمل في سبيل الرسالة ما تحمل من الأعباء والأرزاء والمصاعب والاضطهاد بقلب سليم ويقين ثابت

واسمه دوجوج de goeje قوله : إننا نرى في محمد ذلك الإدراك الذى تكسوه الرزانه المهودة في عشيرته ، كما نرى فيه الشرف وعزة النفس والحصافة وصحة التقدير والتغلب على النفس - تلك الصفات التى لا يخصص بها إلا أولو العزم وأرباب القوة فى العقل السليم والجسم السليم .

ولقد نقلته ظروف الحوادث ومقتضيات الأحوال من نبى إلى مشرع إلى حاكم . غير أنه لم يعبأ لنفسه بشيء من ذلك بل هو لا يبغي ولا يريد إلا أن يكون رسول الله رب العالمين إذ فى هذا التعريف شمول للإسلام كله .

ولقد كان محمد ، مثل كل عربى أصيل ، سريع التأثر حتى بلغت به الحال أيام كان يجاهد النفس الجهاد الأكبر ، إلى درجة أزججته هو نفسه قبل الدعوة ، غير أنه لم يتأثر بالأوهام ولم يكن خياليا يهيم وراء الأحلام ، وإنما وقف يدفع عن نفسه بالبراهين المقدسة ، النهضة التى قيل فيها : إن ما يراه محمد هو أوهام وخيالات من الحواس .

ثم يسأل ويقول : والآن لا أدرى لماذا لا نؤمن به ؟

أما نحن فنقول : الله أعلم ؟

راحمه رستم

وما لاشك فيه أن هجرة محمد أفادت الإسلام فائدة عظمى ، وكانت أكبر عامل فى انتشاره وعلو كلمته وتوطيد دعائمه - ذلك أن محمداً لجأ إلى قوم ليس بينه وبينهم قرابة وإنما تربطه بهم جامعة الدين ووحدة العقيدة . وقد قام بذلك خير قيام فى كياسة عظيمة وحذق كبير ، وليس من شخص آخر على الإطلاق كان أكثر من محمد قدرة على التأثير فى أمته وتكييف أحوالها ، فى عشرين عاما زرع كل بذور التطور السياسى والعقلى التى يمكن أن يمر بها العرب عبر القرون .

هذا ومهما تمضى السنون وتوسع فرجة الزمن بين محمد وأتباعه من المسلايين ، ومهما تتوال العصور ومهما يتقدم المسلمون حضارة وتمدينا ، فإنهم لا يزالون يرجعون إليه إماما فى كل شيء وهاديا يهديهم سواء السبيل .

وإذا كانت الأحكام قد تضاربت والآراء قد اختلفت فإنى أنا (رينولد نيكولسن) أعتقد يقينا بأن محمداً ليس دجالا ولا مريضا بأعصابه ، وليس مجرد مصلح اجتماعى كما يريد بعضهم أن يصفوه ، وإنما هو رجل ، من أول أمره وفى كل شأنه وأحواله ، مخلصا متحمسا لدينه ، ملهما به عن حق ، مثل كل نبى من أنبياء العهد القديم .

وقال نيكولسن نقلا عن أحد الكتاب

أضواء على ناسخ أديب : صورة من سماحة الإسلام

للأستاذ محمد رجب البيومي

يقرأ المؤمن المتدبر قول الله عز وجل :
« قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزى قوما بما كانوا يكسبون » ،
فيستشعر إجلالا مهيبا لما يوحى به هذا
الوص الكريم ، فهو في نبلة الإنسان يشف
عن سماحة حميدة تتسع حتى تشمل الماوثين
من أعداء الدين ، وإن لنا في آيات الكتاب
وأحاديث لرسول ، وسير الصفرة من قادة
الإسلام نماذج كثيرة تنحو هذا النحو
الرائع ، وتسمو بالمشاعر المسئلة إلى أفق
إنساني ودود . ولم تقتصر هذه السماحة
البالغة مع أهل الكتاب عن أن نجادلهم بالتلويح
أحسن ، وندعوهم إلى كلفة سواء بيننا وبينهم
ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ، بل شملت
غيرهم ممن لا يرجون إقاء الله وكذبوا بما
لم يحيطوا به حتى ليدعونا الكتاب العزيز أن
نبرهم ونقسط إليهم إن الله يحب المقسطين !!
وقد أفاض الكتاتيون من دعاة الإسلام في
إيضاح هذه الصفحة الوضيئة من صفحات

الإسلام بما لا يدع مزيدا المستزيد ، وأنا
هنا لا أحاول أن أكرر معادا ألفته الأسماع
وأطمأنت إليه العقول ، ولكنني أعرض على
ضوء هذا الهدى المشرق سيرة أديب صابي
من عبدة السكواكب ، وسعته سماحة الإسلام
عن صدر رجب ، وبشر مهتلل ، فبلغ في
دنيا الأدب - كتابة وشعرا - وهو يومئذ
عربي يتدى بعذوبة القرآن وسلاسته -
مكانة رفعتة إلى أسمى المراتب ، وهيات له
أن ينوب عن الوزير فيما يصرف من مهام .
ويقرر من شئون ، وكم في تاريخ الإسلام
من أمثال له وسعتهم إنسانيته العادلة فبلغوا
الأوج الشاهق دون أن تطمس لهم كفاية
مقدورة ، أو يجحد لعبقرتهم فضل
ملبوس !! وإذا كان كل هؤلاء من أهل
الكتاب ، فإن العجيب حقا أن يصل إلى
هذه المنزلة في دنيا الإسلام صابي لا يعترف
المسلمون بشرعية دينه ، حتى لقد حاول
المسأمون أن يرجع تعالىهم إلى وحي سماوي

وعلى البشر تعظيمها وإجلالها ، لأنها الآلهة المدبرة المتصرفة والفرق بين الفرقتين واضح ، إذ أن الأولى تنسب الخلق والإيجاد للأشياء لا لله ، والثانية تجعلهما للكواكب ، وأرجح أن أبا إسحاق كان ممن ينتمون إلى الفرقة الأولى ، فمثله في عقله الثاقب واطلاعه الواسع على أديان عصره أكبر من أن يعتقد هذا الاعتقاد البدائي !! حقا لقد كانت الكواكب مؤهلة عند أكثر الناس في طفولة البشرية حين كانوا ينظرون فيجدون للشمس والقمر والنجوم من العظمة والإشراق والعلو قدرا كبيرا ، ولكن تطور الخليفة ، واكتمال النظر ، وتتابع الرسائل جعل من هذه العقيدة أسطورة مضحكة لا يجدر بكتاب مفكر أن يعتنقها في القرن الرابع الهجري . على أننا مع هذا التقدير لا نستبعد شيئا على الإطلاق فالأمر في العقائد يخضع لتأثير العاطفة والبيئة خضوعا تنهافت دونه أدلة العقل ، وللتربية الأولى في عهد الطفولة أثرها المحسوس في تحديد المذهب وتعيين الاتجاه .

ولقد نشأ الصابي في عهد يزخر بأئمة البلاغة وأمراء الأدب ممن تسنموا ذرى الرئاسة والسياسة عن طريق البيسان والإفصاح ، فلو كان الرجل فذا مفردا لاشريك له في أدبه وثقافته لقلنا : إن دوله الإسلام قد احتضنته

حرف فيه السكلم عن مواضعه فلم تسعفه عباداتهم وطقوسهم بما يريد ! إن العجيب حقا أن يصل أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصابي الحراني إلى مثل هذه المسكاة في دنيا بني العباس ، وبغداد يومئذ حاضرة الدنيا وعاصمة الإسلام .

ونحن حين نبحث عن الصابئة في القرن الرابع الهجري - عصر أبي إسحاق - لا نلتس تعليمها مما كتبه الكتاتيون عنها في القرن العشرين !! فأكثره مشاهد شخصية لباحثين متجولين رحلوا إلى أماكنهم المتفرقة في العراق ، فأخذوا من تعاليمهم المستحدثة وأوضاعهم المستجدة ما حسبوه ديناً أصيلاً للصابئة ! قد انحدر إليهم من أزلهم السحيق ، ولكننا نرجع إلى ما كتب عنهم أيام أبي إسحاق أو بعده بقليل فنجد مؤرخي الممل والنحل قد جعلوهم فرقتين مختلفتين ؛ فرقة تقول إن خالق الكون هو الله سبحانه وتعالى ولكنه خلق الكواكب كالشمس والقمر والنجوم لتكون قبلة للدعاء ومركزاً للصلاة ، فهي دلائل وجوده ، ووسائل نفعه وضره ، وفرقة ثانية ترى أن الله خلق الكواكب وحدها فقط ، ثم تركها تخلق ما أرادت من إنسان وحيوان ونبات وجماد ، وهي المدبرة لما في الكون من صحة ومرض ، وخير وشر ،

فيرمى بالغفلة والحسق في إسناد الوزارة إلى الصابي*، ولكن كما يقول الثعالبي نقلاً عن اليتيمة ج ٢ ص ٢٢٣ «كان من ارتفاع القدر واتساع الصدر ونبل الهمة، وفيض الكف وكرم الشيمة، على ما هو مذكور مشهور، وأيامه معروفة في وزارته لمعز الدولة، وتديره أمور العراق، وانبساط يده في الأموال مع كونه غاية في الأدب والمحبة لأهله، وكان يترسل ترسلاً مليحاً، ويقول الشر قولاً لطيفاً يضرب به المثل، ولا يستحلى معه العسل، هذا الوزير السياسي الأريب وجد من سماحة دينه وسمو إسلامه ما اصطنع به أبا إسحاق عن دربة واختباره فكان كما يقول الثعالبي في موضع آخر ج ٢ ص ٢٤٣ «لا يرى الدنيا إلا به ويحن إلى براعته، وتقدم قدمه، ويصطنعه لنفسه، ويستدعيه في أوقات أنسه، وظل وافيا لصداقته حتى قتل في إحدى الفتن بعمان فقطع الموت مودة حلوة هنيئة وخسر الصابي بفقد ذخر ثمين وكثر لأن في بقيمته كنوز. ولم يكن الوزير المهلبى فريداً في اصطفاائه أبا إسحاق، فقد كانت تأتية هذا ياسيف الدولة الحمداني، وتحف عز الدولة بختيار بن بويه، حتى لقد عرض عليه الوزارة نفسها إن أسلم فما استجاب لعرضه، ولم يشأ أن يحيره على ما لا يريد، وظل يؤثره بنفائسه وألطافه،

على نشوز دينه حين افتقرت إلى سداد بلاغته وسحر مقالته، أما وقد تألق نجمه في سماء بزغت بها شمس وضاعة في النثر والشعر معا مثل ابن العميد والصاحب بن عباد وأبي حيان التوحيدي وأبي الفرج الأصفهاني وأبي بكر الخوارزمي وأبي الطيب المتنبي وأبي فراس الحمداني والشريفين الرضى والمرضى وغيرهم ممن لا يحيط بهم الحصر، ومع هذا التزامهم الشديد على السبق في مضمار الأدب فقد شق الصابي* طريقه ووجد من أعيان الخلفاء ووجهاء الوزراء من وضعه في مكانه المرموق؛ فإن ذلك وحده لينهض دليلاً على سماحة بيئته التي نشأ فيها، ويعطى البرهان الأكيد على أن المسلمين بعيدون عن التعصب بعداً يدعو إليه القرآن وتشد به أحاديث الرسول.

لقد كان الوزير المهلبى، وهو ببغداد صاحب الكلمة العليا في دولة الخلافة صديقاً حميماً لأبي إسحاق، يحن إليه إذا غاب فيستدعيه كما يأنس به إذا حضر ويستشيريه، وكثيراً ما أقامه مقامه في الوزارة إذا ارتحل عن العاصمة في تسكين ثائرة أو تضييد نائرة، فلا يجد أحد حرجاً من إقامة صابي* منبؤ مقام وزير مسلم في خلافة سنية تستهدى كتاب الله فيما تقوم به من الأوامر والأحكام، ولم يكن الوزير المهلبى ضيق الأفق قصير النظر،

وما زاده تمسكه بدينه لإلرافعة وسموا في عينه ، وهو بعد دين منبوذ لا يقوم عند غير الصابئة على أصل ولم يأت به نبي تذكره الأديان .

وكان الصاحب بن عباد تياها فخورا يرى نفسه بالمحل الأعلى من السياسة والبيان معا ، ولكنه كان يدخر لأبي إسحاق ودا كريما وتقديرا رائعا ، فهو يحرص على مودته متلطفا ويستدعيه إليه متحيبا ، فيقدم تارة ، وبحجم تارة ، وما كان للصاحب وهو الوزير الرئيس التياها أن يتحمل إحجام فرد ما عن تلبية ندائه ، لو لم يكن يقدره قدره ، ويزن قيمته في دولة البيان ، ومع أن الصاحب قد جاني أبا حيان التوحيدى المسلم وناذره لفرط اعتداده بنفسه ، فلم تشأ له سماحته الحساسة أن يجاني أبا إسحاق الصابى لإحجامه ، بل أخذ يعترف صراحة بفضلته وعقله ، ويقول : كتاب الدنيا وبلغاء العصر أربعة ؛ الأستاذ ابن العميد ، وأبو القاسم عبد العزيز بن يوسف ، وأبو إسحاق الصابى ، ولو شئت لذكرت الرابع ، ، ويعنى به نفسه ، فراه يذكر أبا إسحاق ، ويترك أبا حيان ١١ والتوحيدى باعتراف أساتذة النقد سيد الجميع ، فلو أن تعصبا دينيا طاف بنفس الصاحب لأسقط أبا إسحاق كما أسقط من هو أفضل منه من أبناء ملته ، ولكنه التسامح

المعتدل يفرضه القرآن ، وتوجيه الأخلاق ، وبهما يعيش أبو إسحاق قرير العين مطمئن الفؤاد .

وأطرف ما يروى في حياة الصابى هو صداقته للبيت العلوى في بغداد ، فقد كان نقيب الطالبين الشريف الموسوى والد الرضى والمرضى من أصدقائه المحتفين بأدبه وذكائه . ولم يجد الزعيم العلوى غضاضة ما فى أن يتأثر وده بأديب صابى ، يفد إلى داره بين الفينة والفينة فيؤاكلة ويحادثه ، ويصادق شبليه الناشئين لأن الاسلام فى إلبابه يحرص على مودة محالفيه ، ويعلم كتابه الصريح أن لا إكراه فى الدين فقد تبين الرشد من الغى ، وقد امتدت صداقة أبى إسحاق للبيت العلوى حتى مات الوالد وترعرع الشريف ليؤكد الصلة ويعرق المائة ، فكانت صداقة الفتى اليافع والسهل الفانى مضرب المثل بين الناس حتى خرج الصابى عن طوره فرشح الشريف فى بعض أبياته لإمارة المؤمنين ، ولم يجد من الخلفاء من يغلظ له الحساب على وعورة المسلك وخطر المركب ، وظلت المطارحات الشعرية يتجاوب صداها بين الصديقين أمد غير قصير ، فتفصح عن إخلاص متبادل وتقدير مشترك . ورواة الأدب يذيعونها فى كل مجلس فتعطر بها الأندية ، وتحلو بترديدها الاسمار ، حتى مات

على أن الصابي كان متشدداً في اتباع تعاليم الصابئة ، فلم يكن ليتحلل بعض الشيء كما نلاحظ في سير أناس من الأدباء ترهقهم ملزمات الدين فيطلقون لشهواتهم العنان . وكثيراً ما اشتهروا ببغداد على عهد أبي إسحاق وفيهم شيوخ الدين كالقاضي التنوخي وابن معروف وابن قريعة وأضرابهم ، ولكن الصابي راعى حدود الدين مراعاة تحسب له لا عليه ، فقد حضر يوماً مأدبة الوزير المهلبى فامتنع عن لون محرم من ألوان الطعام لدى الصابئة ، فقال له المهلبى : كل ولا تبرد ، فأجاب في أدب : لا أحب أن أعصى الله في مأكل ، وذكر بعض مؤرخيه أن عز الدولة بختيار بذل له ألف دينار على أن يأكل الفول وهو مما حرم في دينه فرفضها عن تعفف ، وله شعر جميل نلس فيه هذه الزعة الدينية المتحجرة كأن يقول :

حمتنى لذنى رتب المعالى
وضنى بالمروءة والوقار
ودين ضاق فيه مجال فتكى

لخوف عقوبة وحذار نار
ولم يزد هذا التشدد إلا إكباراً في نفوس النصفين ، فما قرأنا فيما كتب عنه على كثرة أن أحداً من خلصائه قد ضاق بتشدده ، بل تركوه يؤدى فرائضه الدينية ، ومقدساته الشرعية ، وحسبهم منه أن يحازيهم بوفاء .

(البقية على صفحة ٣٧٠)

أبو إسحاق فجزع عليه الشريف الرضى جزعاً نال منه كل منال ، وراثه بقصيدة فريدة يعدها بعض النقاد من أبلغ مراني الشريف إن لم تكن أبلغ ما قال ! ! ثم عاود رثاءه مرة ثانية وثالثة ، فحفظ ديوانه الذائع ثلاث مرثيات خوالد للصديق الراحل ، مع أنه رثى والده الشريف الموسوى بقصيدة واحدة ! فأى وفاء حتى عاش في مهجة الشاعر لصاحبه الفقيد ! إن الدنيا لتضيق في عينيه بعده فيكرر الرثاء مرة ومرة ليستريح ، فما ينعم ببعض ما يريد بل يكون مآله كما قال في إحدى مرثياته :

رثيتك كى أسلوبك فازددت لوعة
لأن المراثى لا تسد المازيا
وهو بيت صادق لا يقل روعة عن قوله في مرثائه الأولى :

سلوا من الأبراد جسمك وانثنى
جسمى يسلم عليك فى الأبراد
وقوله في مرثيته الثالثة :

أمضى وتعطفنى إليك نوازع
بتهد كصباة العشاق
وإن صابئاً ينال هذا التقدير من رئيس ديني وزعيم علوى كالشريف الرضى وأبيه لدليل على أن أبناء الإسلام يعتنقون حكمه المسلم في المساواة والعدالة بين الأجناس والأديان دون تفریق .

الإسلام والمدنية المثالية

للأستاذ عباس طه

الدين الحق والمدنية السامية يتفقان في المبدأ والغاية ، ولما كان أمر المدنية من الشئون التي تعتبر في الدرجة العليا من الخطورة ، لافتتان الناس بها افتتاناً يسلبهم إرادتهم ويدفعهم في سبيل محفوفة بالأخطار ، ونظراً لما يفهمه بعض الناس من معنى المدنية وطرائقها وجب علينا أن نوفي هذه الناحية حقها من البحث والتحقيق والتمحيص ، وفي عرضنا لهذا الموضوع المتشابك الخلفات ، نتوخى تحليل أمهات الشبهات تحليلاً علمياً ، لأن بقاءها ماثلة في بعض الأذهان على حالة شبهات لا تقبل الدحض ، وكامنة في نفسية الدهماء وإن لم يستطيعوا الإفصاح عنها بأطراف ألسنتهم ، يجعل كل محاولة لإنقاذهم من سلطانها ضرباً من ضروب العبث واللغو فما اتهم المدافعون عن الأديان بأشد من كراهتهم مواجهة الاعتراضات وانقائهم بالحيد عن طريقها ، وتركها تفتك بالنفوس والقلوب فتكا ذريعاً .

الجهود التي يبذلها الإنسان لتحسين حياته المادية وتسهيل محاولاته المعيشية والذهاب في ترقية وسائله الحيوية وحاجاته الأدبية والفنية إلى أبعد ما يمكن أن تصل إليه تحت ضوء العلوم والصناعات المختلفة .

ليس في المدنية الصحيحة ما يعاند الدين الحق أو يقف في سبيله إذا استثنينا ما تشره من مذهب فلسفي يرى غير ما يقرره الدين في مسائل الاعتقادات ، وهذا الخلاف مرده العلم ، والعلم الصحيح لا يعاند الدين الحق في شيء ، فلا يلبث هذا الخلاف العارض أن ينحسم ، أو يبقى مقصوراً على طائفة لا يؤثر شأنها على سواد الناس .

إذن فما الذي استحدث هذه الهوة السحيقة بين الدين والمدنية في نظر بعض الآخذين بمبادئ الحياة العصرية الآلية اليوم ؟

أوجدتها خطأ جليل تسرب إلى عقولهم ولم يفتنوا إليه ، وهو أنهم خلطوا بين المدنية على وضعها الصحيح وبين ما استحدثه أهل الإباحة على العلم والفلسفة والأخلاق الفاضلة تحت ظل الحرية الشخصية وألصقوه بالمدنية

ما الذي أوجد ما يتخيله البعض من التناقض بين الدين والمدنية ، إذا كانت المدنية ثمرة

السطحيون مدنية ، محكوم عليها بالتلاشى ، أو ببقائها موصومة بأنها خروج على العلم ، وعدوان على الحكمة .

، وهناك مدنية تتفق والعلم ، ومتى اتفقت والعلم فقد اتفقت والدين ، لأن العلم الصحيح لا يجافى الدين الصحيح ، بل يوائمه ويماشيه . فالنزاع القائم الآن هو بين المدنية والعلم ، أكثر مما هو بين المدنية والدين وموضوعه :

لو التزم الناس وصايا العلم من كبس جماح الأهواء النفسية ، والإباحات البهيمية ، والاعتدال في توفية المطالب الجسدية ، ألا يؤثر ذلك في إضعاف العوامل الحافظة للبدنية ؟ لأن الناس متى لزموا حدود الحكمة في مطعمهم ومشربهم ، وامتنعوا عن كل ما يقرر العلم إضراره بصحتهم وعقولهم ، ولم يخرجوا في ملاهيمهم وملاعبهم واجتماعاتهم عما رسمه من آداب وتقاليده ، بطلت المعاقرة والمقاورة والمخاصرة والمكاثرة ، هذه الأمور كلها التي تستنزف الأموال ، وتبيد الآداب والأخلاق ، وتفسد القلوب ، وتهتك الأعراض ، ويظن البعض - جهلا - إلا أنها تدفع الصناعات للإتقان ، والفنانين للإبداع ، والكتّاب والشعراء للإنتاج ، وتلهب النفوس كافة إلى التبارى لنيل النشب الذي يوصلهم إلى استيفاء ضروب المشتريات ، والنشب الذي هو المال لا يوصل إليه إلا بالعمل والدأب والإتقان والابتكار

ومرد هذا الخطأ الشنيع هو ما يراه الناس بأعينهم اليوم من جرى الأهم المتمدينة قاطبة وراء المتع النفسية من مأكّل ومشرب وملبس . غير مقيدين فيها بغير ما توجهه عليهم تقاليد تواضعوا على مراعاتها في المشية والقعدة والسلام والكلام وتناول الشراب والطعام ، أما ما وراء ذلك من مخالفة ما يأتيه لأصول الآداب الصحيحة فلا يأبه له أحد .

فالعلم يحرم كل ما يحرمه الدين على مقتضى وجهة نظره الخاصة ، فيحرم الخمر والميسر والتبرج والتهتك والزنى والمناظر المثيرة للشهوات ، والسماع المमित للقلوب والتواضع على تقاليد تعتبر أدبية وليست من الآداب الصحيحة في شيء .

ولكن الذين يعتبرون أنفسهم متمدينين لا يقيمون للعلم وزنا ، ولا يعتمدون على مقرراته فيما هم مدفوعون إليه من إشباع أهوائهم النفسية ، وملاذم اجتماعية . فهذه المدنية على هذا الضرب ليست علمية ، ولا هي ثمرة أى مذعب فلسفى حتى ولا المذهب المادى نفسه ، فإن الملاحدة وإن كانوا يكفرون بالقضايا الاعتقادية إلا أنهم لا يديحون لأحد أن يخرج على مقررات العلم .

فهذه الانحرافات الخلقية التى يسميها فيكون من وراء هذا النهم الثائر لتحصيل

إن الذين يرفعون صروح المدنية ويشيدون معالمها ليسوا هم من تقع عليهم العين من المترفين الإباحيين الذين يأكلون ويشربون ويتمتعون كما تتمتع الأنعام ، ولكنهم طبقة من الناس شغلهم ما هم فيه من العمل المتواصل لا أقول عن اللهو والقصف ، ولكن عن حاجاتهم الضرورية ، فهم يصلون الليل بالنهار دأباً كأن قيسم الوجود سخرهم له ، فهم قانون فيه لا يستطيعون عنه تحولا . لجمهور الذين يضعون العلوم ويرتأون النظريات ويقررون المبادئ الأولية من العلماء والفلاسفة لا يكادون يحدون في عمرهم وقتاً للاشتغال بغير ما هم فيه ، وأكثرهم عاشوا في فاقة مضنية ، أغنياء بما اختار الله لهم من الأعمال الخالدة . وجميع العباقرة الفنانين الذين وضعوا المثل العليا للفنون الجميلة والآداب العالية كانوا مرضى لا يكادون يسيغون طعاماً ولا شراباً ، ولا يستطيعون لأنفسهم لهواً وهؤلاء جميعاً مدفوعون بقوة قاهرة لعمل ما يعملون ، وكثير منهم بذل في عمله ماله كله وبات محتاجاً إلى شروى تقير أولئك هم الأغنياء بقلوبهم الاتقياء بمبادئهم .

فالمدنية ليست مدينة للذين يتمتعون بطبيعتها ويسرفون ، ولكنها مدينة لتلك الطبقة من الأفذاذ الانعزاليين الذين يبدعون فيما يعملون ، ولا يعجبون بالمعجبين واللاهين ،

المآرب المنوعة ، دوافع حافزة للتقدم في جميع نواحي النشاط العقلي والعمل .

ولكن لو اكتفى الناس بتحصيل العيش في حدود الاعتدال ، ووقفوا من المشتبهات عندما هو مقرر منها في العلم خمدت في نفوسهم جذوة هذه النار المتأججة وراء المآرب المفرطة ، وتبع خمودها تصوح زهرة المدنية ، وبطلان سحرها الغائن الخلاب ، وربما أدى ذلك كله إلى ارتكاس النوع البشرى إلى عهد الظلام .

وينيدون على هذا أن العلماء والفلاسفة أنفسهم لا يعملون بما ينصحون به الناس ، فهم يعاقرون الصهباء ، ويقامرون ويفسقون ويرتكبون كل ما يرتكبه الجاهلون من العدوان على الآداب العلية الصحيحة ، والأخلاق الفلسفية السليمة . يقول المعارضون : أتريد دليلاً بعد هذا على أن العالم لا يرقى إلا مدفوعاً بخوافز من الشهوات مطلقة العنان ، رابكة رأسها لا تبالي في غلوائها بقانون أدبي ، ولا ترتبط بعهد على على النحو الذي هو عليه الآن ؟

هذه شبهة يثيرها الإباحيون على كل من يتصدى للإصلاح باسم العلم والفلسفة والدين وهي شبهة مبنية على قصر باع وفقر نظر ، وإنا نبين ذلك فيما يلي فنقول :

بنفس الكرة الأرضية لو استطاعت إلى ذلك سبيلا . ألم يقل الفيلسوف الكبير روبرت (١) دوهارتمن خليفة شوبنهاور زعيم المذهب التشاؤمي : إن الحياة الأرضية ما دامت لا تعدو لفساد تركيبها هذه الحالة البشعة فليس لها إلا حل واحد وهو أنه متى وصل الإنسان في مستقبل الأيام إلى ابتكار مادة مدمرة قوية تصلح لنسف الكرة الأرضية ، فإنه ناسفها بها لا محالة ليخلص العالم من حياة كلها شرور وآثام ، ومصائب وأهوال ، وكأن الفيلسوف الألماني نظر بعين الغيب إلى أن العلم في عصرنا الراهن قد يتمخض عن القنبلة الذرية والقنبلة الهدروجينية والصواريخ الموجهة والعابرة للقارات .

إن مدنية تولد مثل هذا القول على لسان قطب من أقطاب الفلسفة في مدنية في حاجة إلى مثل أعلى ينظم حركتها ويرأب صدوعها ، وإلا لحقها ما لحق سواها وأصبحت أحداث في الغابرين . والمثل الأعلى للمدنية هو آداب الإسلام .

عباس طه

(١) روبرت دوهارتمن فيلسوف وعالم ألماني ولد سنة ١٨٤٢ في رلين ووفى بها سنة ١٩٠٦ .

بل لأنهم يدأبون على ما هم فيه ولو لحقهم أذى من الجامدين والمتعصبين أولئك قوم يختارون العفاف ويعافون الإسفاف ، يدعون الطعام طاوين ويذرون الشراب صادين ، جوف خال ، ومجد عال ، وثوب بال وراه عز وجمال ، وعقب مشقوق وذيل مفتوق يحرقه فتى مغبوق .

لله تحت قباب العز طائفة أخفاهم في رداء الفقر لإجلالا هم السلاطين في أثواب مسكنة استعبدوا من ملوك الأرض أقبالا

غبر ملابسهم شمس معاطسهم جروا على قلال الخضراء أذبالا

فالذين يزعمون أن المدنية لا تزدهر إلا بحوافز من الميول الإباحية التي تعارفها الناس في هذه العصور القائمة الحافلة بصنوف الرزايا والنسكبات يخطئون أخش الخطأ ، ويحتملون شططا زريا . إذا كان يخطف أبصارهم زبرج الحياة ولآلائها إن في المدنية من المناعة ما يقيها من توالى أمثال هذه الكوارث عليها فإنهم يغفلون عن تاريخ المدنيات البائدة .

فإذا سلطنا لهم بقدره هذه المناعة ، فأى هدف للتنوع البشرى في أن يبقى على هذا النحو من الحياة والميول المضطربة ، والسأم الذي أصبح يغري بعض النفوس المريضة

محضر رسول الإنسانية

للأستاذ أحمد عبد المنعم البهي

فأخذها، والظلم أن يغير على جاری فيستردّها . وهذا هو فهمه وفهم غيره من شيوخ القبائل لفضائل الأمور ورذائلها . والشعر العربي يصور لنا جانباً مما كان يسود هذه الحياة من اضطراب وفوضى ، والتباهى بامتهان حقوق الناس واستباحتها ، ونلج هذا واخفا في شعر عمرو بن كلثوم أحد شعراء الجاهلية الفحول الذي كان يفاخر بظلمه وظلم قومه للناس فيقول :

لنا الدنيا ومن أمسى عليها
ونبتش حين نبتش قادرينا
بغاة ظالمين وما ظلمنا
ولكننا سنبدأ ظالمينا
إذا بلغ الرضيع لنا فطاما
تخر له الجبابر ساجدينا
حتى المعتدين من الشعراء كان هذا
شأنهم أيضاً ، فزهير بن أبي سلى الشاعر
المشهور بالانزان والدعوة إلى الحكمة
لم يتخل عن عادة قومه في الإشادة بالظلم
وامتداحه فيقول .

الإنسانية مدينة لمحمد بن عبد الله بالمعاني السامية التي رفع بها شأنها ، وأوجد بها كيانه ، ذلك أن الحياة قبل بعثته صلى الله عليه وسلم لم تكن رتيبة ندية ، يتمتع الناس فيها بالهدوء ، وينشدون فيها الاستقرار والطمانينة ، ويشعرون بقيمة فيها .

لم يكن هناك شيء من ذلك ، كما أنه لم تكن هناك نظم ولا قوانين ترعى حقوق الإنسان وتحميها من عبث العابثين ، أو تمنع عنه كيد الكائدين والمعتدين ، وكل ما في هذه الحياة هو الاعتزاز بالقوة ، والسيطرة على الناس بها ، فما دمت قويا ، لا تبالى بشيء من حقوق الغير وحرماته ، وفي هذا الجو المضطرب كانت مقاييس الخير والشر ومفاهيم الفضائل والرذائل تخضع للرغبات والشهوات ومعايير الصالح العام تبنى حسبما تتجه إليه الأهواء .

سئل شيخ قبيلة عن معنى العدل والظلم في نظره فقال : العدل أن أغير على غم جاری

ومن لم يذ عن حوضه بسلاحه
يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم
والأرض .

على هذا النحو من الفساد والاضطراب
واستباحة الحرمات كانت الحياة في المجتمع
العربي قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم .
ولم تكن الحياة في المجتمعات الأخرى خيراً
بما كانت عليه في هذا المجتمع ، ذلك أن الفوضى
والاضطراب والبغى والفساد في الأرض
بغير الحق كانت مسيطرة بصورة أعم وأشمل
على المجتمعات الأخرى التي كانت تخضع لحكم
دولتين عاتيتين هما دولتا فارس والروم
اللتان كانتا تتنازعا على السيادة على العالم
في ذلك العهد ، لا بنشر مبادئ الحق والعدل
والدفاع عن كرامة الإنسان ، ولا بالاعتراف
بحقه في الحياة ، ولا بإعادة حريته المسلوقة
إليه ، ولكن بالقهر والغلبة والجبروت
وتكثير الألفواه ونكران الحقوق .

أتيت والناس فوضى لا تمر بهم
إلا على صنم قد هام في صنم

ولقد بعث محمد بن عبد الله ليخلص
الإنسانية من آلامها ، ويرفع عنها إصرها
ويحطم الأغلال التي كانت عليها ، وفي هذا
يقول الله تعالى : « الذين يتبعون الرسول
النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في
التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف ، وينهاهم
عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم
الخبائث ، ويضع عنهم إصرهم ، والأغلال
التي كانت عليهم فالذين آمنوا به ، وعزروه
ونصروه ، واتبعوا النور الذي أنزل معه
أولئك هم المفلحون » .

وليت الأمر كان قاصراً على الاضطراب
والفوضى للذين شتتوا الحياة الاجتماعية فقد
تعداهما إلى شتى النواحي حتى شمل العقيدة
وضلل الرؤساء الناس عن عبادة إله واحد
ليعبدوا أوثاناً وآلهة نحتوها وصنعوها
بأيديهم ، وذلك كله رغم جهود الموسوية
والمسيحية اللتين سبقتا الإسلام لتصحيح

ومن هذا البيان الإلهي نعرف أن رسالة
محمد بن عبد الله لم تكن قاصرة على مجرد
تصحيح العقيدة وعبادة إله واحد دون
اقتلاع أسباب الفوضى ، والقضاء على الفساد

حطم الأغلال التي كانت مضروبة على عقولهم فارتقى بالعقل البشرى وحشبه على التعليم والاستزادة من العلم، وتفهم أسرار الكون وأرشدته إلى السير في مناكب الأرض واستغلال ما فيها وتوجيه كل ذلك لخير الإنسانية، قل انظروا ماذا في السموات والأرض، وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون، ويقول سبحانه وتعالى: «قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون».

هذه بعض الجوانب من تعاليم الإسلام التي انتشل بها الإنسانية من وهبتها، ورفع بها قدرها، وإنه مما يذكر في مجال الإشادة بهذه التعاليم أن نقرر أن الإسلام جعل للفقراء من أهل الزكاة حقاً في الزكاة التي تجمع من أغنياء المسلمين، شأنهم في ذلك شأن فقراء المسلمين.

وبهذه الحقوق والمبادئ التي جاء بها الإسلام وجسد الناس بغنيهم في العدالة التي افتقدوها، ووجدوا حقوقهم التي طالما تمنوا أن ينالوها، ولم يكن بدعاً وتلك تعاليم الإسلام، وهذه بعض جوانبها أن يدخل الناس أفواجا في هذا الدين الإنساني.

وأن تنتشر دعوته بمثل هذه السرعة التي لم يسبق لها مثيل في تاريخ الدنيا وأن تستجيب لدعوته أمم وطوائف ما كان العقل يتصور أن تقوم الألفة بينها أبداً، وأن ترفرف رايته في أقل من قرن من الزمان على الأماكن

الذي استشرى في كل مكان، ودون إقامة نظام شامل للحياة، يقوم على العدالة والإنصاف، ودون تكريم الإنسانية والنهوض بها وإعلان حقوق الإنسان.

فلقد شملت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم كل هذا وكانت رسالة عامة للناس جميعاً: أجناساً وشعوباً، فالحرية في دينه للجميع، والمساراة عنده للجميع لا فرق بين سيد ومسود، والأبيض والأسود والأصفر أمام تعاليمه سواء يتمتعون جميعاً في ظلاله بالحقوق التي جاء بها، والأخوة التي دعا إليها، والأمان المنشود أضحى حقيقة واقعة بعد أن كان سراباً بغيعة يحسبه الظمان ماء، فأمنك الإسلام على نفسك وعرضك ومالك فلا يجوز لأحد أن يعتدى على هذه الحرمات مهما كان قويا ومهما كان جبّاراً ومهما كنت ضعيفاً لا حول لك ولا طول لإزائه، حماك وجعل حمايتك حقاً عليه يدافع عنك، ويذود عن عرضك وبالك ويردع الظالمين والمتكبرين عن أن تمتد يدهم إليك بل فرض أقصى العقوبات على من يحاول العبث بشيء من ذلك، قال جل شأنه: «إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض». وكما حطم محمد الأغلال التي كانت مضروبة على الناس في حياتهم وعقيدتهم وتصرفاتهم،

ينشد التعاون العالمى والوسائل التى يمكن أن تحققه فيقول : « لا بد لكى فصل إلى تعاون عالمى من وجود نظام مستمر ثابت ، ولا بد من إيجاد نظم ديمقراطية واشتراكية تكافح الفقر والجهل والمرض ، وتنمى فى نفوس الأجيال الجديدة نوعاً من الولاء العالمى وتوفى بينه وبين ولائنا للجماعات القومية ، ولا بد قبل ذلك من أن نقضى على أسباب العدوان » .

وما ينشده هذا الفيلسوف نجهده واضح مفصلاً فى تعاليم الإسلام . فقد حققت هذه التعاليم الخير كله للعالم يوم أن كانت أوروبا فى ضلالة الجهل والتأخر ، ويوم أن كانت عالمة على ثقافة الإسلام وتعاليمه فتزودت منها بخير زاد وكان هذا الزاد هو النور الذى أضاء جوانبها ، ولكن خصومة علماء الغرب للإسلام نفسه هى التى تحول دون التماس وسائل الإصلاح من تعاليمه . يقول الدكتور محمد حسين هيكى فى كتابه « حياة محمد » : « إن الغرب يستكبر أن يجد النور الجديد فى الإسلام ويلتمس هذا النور فى « ثيوزوفية الهند وفى مختلف مذاهب الشرق الأقصى » .

هذا ومع تمسك الغرب بهذا العناد ، فإن هناك من ينصف الإسلام ، فالمستشرق الفرنسى « رينيه جينو » يعترف بفضل الإسلام على الغرب فيقول : « إن الغربيين لم يدركوا قيمه

التي رفرفت عليها وأن ينهار ملك كسرى ، وأن تتحطم دولة الروم بفضل تعاليم الإسلام وسماحته .

ولم يكن انتشار الدين الإسلامى بمثل هذه السرعة عن طريق السيف ، ولا عن طريق الاستعمار كما زعم بعض خصومه وإنما كان عن طريق مبادئه وتعاليمه ، وهذه شهادة عالم من علماء الغرب هو « جوستاف لوبون » يقول هذا العالم المنصف « لم ينتشر الإسلام بالسيف بل انتشر بالدعوة وحدها ، وبالدعوة وحدها اعتنقته الشعوب التى قهرت العرب مؤخراً كالترك والمغول » .

هذه بعض تعاليم محمد صلى الله عليه وسلم للبشرية منذ أربعة عشر قرناً تقريباً ، واليوم ونحن فى عصر الذرة وغزو الفضاء ، نجد أعرق الدول فى الديمقراطية لم تصل بعد إلى القضاء على الفوارق اللونية فى شعبها .

بينما قد حل الإسلام هذه المشكلة وفرغ منها منذ قامت دعوته . وما نسمعه اليوم عن تصرفات هذه الشعوب ضد الملونين مما يندى له جبين الإنسانية خجلاً لهذا الانحطاط والفهم لمعنى الإنسانية .

واليوم وبعد مرور أربعة عشر قرناً من دعوة الإسلام التى حققت للإنسانية مجدداً نجد الفيلسوف المعاصر « برتراند راسل »

ما اقتبسوه من الثقافة الإسلامية . ذلك لأن الحقائق التي تلقى إليهم حقائق مشوهة حظها من الصحة قليل ، فالمؤرخون يبالغون كل المبالغة في الخط من شأن الثقافة الإسلامية ، مثال ذلك ما هو شائع معروف من أن أسبانيا ظلت تحت الحكم الإسلامي عدة قرون بينما لا يذكر التاريخ الغربي قط أن صقلية والجزء الجنوبي لفرنسا كانا تحت حكم الإسلام . . ويخلص الكاتب من بحثه هذا إلى أن الغرب مدين لثقافة الإسلام ومدينته بهذا التقدم الملبوس ويعزى إنكار الاعتراف بذلك إلى تعصب المؤرخين الغربيين .

لا نكون مباليين أبدا حينما نقول : إن الإنسانية مدينة لمحمد بن عبد الله برفع شأنها وأنه بفضل تعاليم الإسلام وصلت إلى ما وصلت إليه من هذا الرقي الذي فتح الآفاق أمامها . ومهد لها ، ووجهها للعلم والكشف والاستزادة من الخير ، وكل منصف لا يمارى في هذا ، وتلك حقيقة اعترف بها منصفو الغرب وقرروها وفاخروا بها .

أحمد عبد الغنيم البرهي

(بقية ص ٣٦١)

ولا ننكر في هذا المجال أن أبا إسحق الصابي تعرض في حياته الطويلة وقد جاوزت التسعين إلى نكبات سياسية قذفت به في ظلمات السجن والاعتقال ، ولم يكن لديه الناشز أثرما في اضطهاده ، ولكنها السياسة - لحاها الله - دفعت به إلى مناصرة فريق على فريق ثم جاءت الريح بما لا يشتهي ، فتم الأمر لخصومه فنسكلوا بجميع أعدائهم ومنهم أبو إسحاق ؛ بل إننا نذكر أن غريمه الحاقده عضد الدولة قد اكتفى بحبسه واعتقاله ، استجابة لشفاعته بعض ذوي الأدب في شأنه ، على حين قتل من خصومه المسلمين عددا غير يسير ، ولو كان أثرما للتعصب الديني في نفسه لاهتبل الفرصة

وطاح به مع الطائحين .
ولن نختم هذا المقال دون أن نشير إلى أن الكاتب البليغ قد حفظ القرآن الكريم حفظا تاما مجودا ، فارتقى به معارج البيان والسحر ، واتخذة مورد إلهامه ومناط احتدائه . أفيعتبر بذلك الآن قوم من المسلمين يرون في جزائه الفصيحة وأسر القسوى ماضيق به عقولهم الواهنة فيحاربون إعجازه الساحر بإسفافهم الشائن ، وتهافتهم الركيك ! أم يكون الصابي أكثر منهم احتفالا بروعة الكتاب واعتقاداً بأسلوبه الرصين .

محمد رجب البيومي

حجَلُ والقَوْمِيَّةُ الْعَرَبِيَّةُ

للأستاذ عبد الرحيم فوره

ولسكنه مع هذا أقوى من كل نسب وسبب لأنه فوق عمله على التقريب بين الأذهان والتوحيد بين الاتجاهات يمتزج بوجودان معتنقيه والمؤمنين به ويعقد مشاعرهم وضمائرهم بعمان ترتبط بها حياتهم ويختلط بها وجودهم أنم ما يكون الارتباط والاختلاط .

لأنه عقيدة ، والعقيدة كما يفهم من اسمها فكرة يقتنع بها العقل ويؤمن بها القلب . ويطمئن إليها الضمير ويعتقد عليها العزم والتصميم ، وهي بهذه المثابة قوة نافعة وطاقاة دافعة ورأية جامعة ، وهذا الذي قلته منذ عدة سنين وجدته فيضا من فيض مما يمكن أن يفهم من قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولم منكم فأولئك هم الظالمون ، قل إن كان آباؤكم وأبنائكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فمبصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين .

القومية في عبارة محررة محدودة هي الشخصية المعنوية للقوم والجماعة ، وشخصية القوم تكون من الروابط والأواصر الجامعة . والخصائص المشتركة ، وهذه الروابط بعضها يدخل في مفهوم القومية من أصغر دائرة وهي الأسرة أو العشيرة إلى أكبر دائرة وهي الدولة والأمة ، كرابطة الدين في دولة يجمعها أو يجمع كثرتها الغالية دين واحد ، أو في أمة تجتمع شعوبها المختلفة على دين واحد ، وبعضها يدخل في مفهوم القومية إلى حد لا يتعداه ولا يتجاوز كرابطة الوطنية أو المصالح المشتركة في وطن واحد ، أو ما إلى ذلك من وحدة اللغة والآمال والآلام وسائر الروابط التي تجتمع عليها الأفراد فتكون منهم قوما أو جماعة منيعة . وقد قلت في بعض ما كتبت د إن إطار الدين أوسع من إطار البيئة واللغة والتاريخ والمصالح المشتركة لأنه كالعلم لا وطن له ولسكنه ضروري لصالح الفرد والجماعة ، وقد يلتقي على الإيمان به والحرص عليه أقوام مختلفون لا يجمعهم نسب أو سبب من الأسباب الاقتصادية والمصالح المشتركة ،

بعض ما يفهم من قوله تعالى : « وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم » .

وأعود إلى الحديث عن القومية العربية ومدى تأثيرها بالرائد الأعظم الذي قاد هذه الأمة إلى أعلى مراتب المجد والخلد فأعرض على القراء أول خطبة ألقاها بمكة ودعا فيها قومه إلى الإيمان ، فقد قال صلى الله عليه وسلم بعد أن حمد الله وأثنى عليه : إن الرائد لا يكذب أهله ، والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم ، ولو غررت الناس جميعا ما غررتكم ، والله الذي لا إله إلا هو إني رسول الله إليكم خاصة ، وإلى الناس كافة ، والله لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون ، ولتجزون بالإحسان إحسانا ، وبالسوء سوءاً ، وأنها للجنة أبداً أو النار أبداً .

فهذه الخطبة يستشف منها بل يستفاد منها صراحة أنه أرسل إلى العرب خاصة وإلى الناس عامة .

وقد كانت رسالته كما يقول الله « كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور ، ولكنه مضى بها على النهج الطبيعي فبدأ بأهله وذوى قرباه امتثالاً لقول الله : « وأنذر عشيرتك الأقربين » ، وهذا ما يفهم من قوله (إن الرائد لا يكذب أهله) ولم يكن بدؤه بذلك مما يحول بينه وبين دعوة

قد يقال مع هذا كيف يتحم اسم محمد في الحديث عن القومية العربية وقد أرسل صلى الله عليه وسلم للناس كافة وكان كما يقول الله فيه « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » ؟ وقبل الإجابة على هذا السؤال أحب أن ألفت الأنظار إلى أن الله نعماً عامة ينتفع بها الناس جميعاً ، كالماء والهواء والشمس والقمر والأرض والسماء ، ولكن حظوظ الناس في الانتفاع بها تختلف ، تبعاً لاختلاف الظروف والأحوال والمساكن والقوى العقلية ، فالشمس نعمة عامة ولكن انتفاع الناس بها يختلف بحسب قربهم منها أو بعدهم عنها ، وبعضهم يستخدم طاقتها الحرارية في عدة أعمال صناعية ، وبعضهم لا يزال انتفاعه بها قاصراً على الطريقة البدائية . وما يقال في الشمس يقال في الماء والهواء وغيرها من النعم العامة التي تفضل بها الرحمن جل شأنه ، وقد جاء الإسلام نعمة عامة للعرب وغيرهم ورحمة من الله للناس أجمعين فكان طبيعياً أن يكون العرب وهم أقرب الناس إلى تلقيه أول المنتفعين به وأكثرهم حظاً من خيره وبره ونوره وهده ، بل كان طبيعياً وقد نزل القرآن بلغتهم . وكان رسول الإسلام منهم أو يكون لهم السبق والصدارة بين عامة المسلمين . وأن يتحملوا أكثر من غيرهم عبء الدعوة إليه والجهاد في سبيله ، وهذا

وظلوا محصورين فيه مضيقا عليهم أشد
التضييق نحو ثلاث سنين كما هو مشهور .
لا يخرجون من الشعب إلا من الموسم إلى
الموسم ، ولا يصلهم طعام إلا ما كان يأتيهم
بين الحين والحين خلسة وبعيداً عن عيون
أهل مكة ، فقد كان حكيم بن حزام بن خويلد
قائمه العير تحمل الخنطة من الشام فيوجهها
نحو الشعب ويضرب أعجازها فتدخل عليهم
فيأخذون ما عليها من الخنطة . وقد ظل
أبو طالب مع بني هاشم وبني المطلب على
ولاثهم ولابائهم مع ما عانوه وقاسوه حتى
استجاب لهم نوازع الأرحام ، وانتصر
صبرهم على ما كان من عمل الشيطان ، فسعى
في نقض الصحيفة أقوام من قريش كان
أحسنهم بلاه في ذلك - كما يذكر المقرئ -
عمر بن ربيعة بن الحارث بن حبيب بن جذيمة
ابن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى ، وهو
يلتقى - كما نرى - مع بني هاشم في سلسلة
الآباء والأجداد ، فقد مشى في ذلك إلى زهير
ابن أمية ، وأبي مطعم بن عدى بن نوفل
ابن عبد مناف ، وإلى أبي البحتري بن هشام
وأبي زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد
ومشى كذلك سهيل بن بيضاء الفهري إلى
هؤلاء واتعدوا على أن يجتمعوا في مكان
بأعلى مكة يدعى « خطم الحجون » ، وتعاهدوا
هناك على أن يقوموا بنقض الصحيفة .

غير أنه وجد استجابة لهذه الدعوة
لأنه أرسل كذلك للناس عامة ، ومن ثم كان
إسلام سلمان الفارسي وبلال الحبشي وصهيب
الرومي في بدء الدعوة إلى هذا الدين القويم .
ومما يؤكد أن الدعوة كانت تتجه في أول
أمرها إلى العرب خاصة أن أبا لهب عقب
على هذه الخطبة بقوله لمن سمعها « خذوا على
يديه قبل أن تجتمع عليه العرب » ، فإن أسلمتموه
إذن ذلتم ، وأن أبا لهب كان يخشى أن يكثر
أشياعه وأتباعه ويجتمع على الإيمان به
والانضواء تحت لوائه العرب جميعا
فلا تستطيع قريش أن تواجههم مجتمعين ،
فإن أسلمت محمداً لإلهم عاد بهم لحربهم ، وإن
منعته قوتلت عليه وقتلت من أجله ، وإن
أبا طالب أتى أن يجيب أبا لهب إلى ما طلب
وكان في موقفه من ابن أخيه وإصراره على
حمايته والدفاع عنه متأثراً بهوانف القومية
في دائرتها الصغيرة وهي الأسرة والعشيرة
وقد ظل أبو طالب على وفائه ولابائه فأبى
أن يسله أو يخذله حتى ائتمره به أهل
مكة وتعاقدوا على « ألا يناكحوا بني هاشم
وبني المطلب ولا يبايعوهم ولا يكلموهم
ولا يجالسوهم حتى يسلبوا لإلهم محمداً
« وكتبوا بذلك صحيفة مختومة ثم علقوها
في سقف الكعبة ، وانحاز بنوها ثم بنو
المطلب مؤمنهم وكافهم في شعب أبي طالب

معها في جذوعها وفروعها ويمتلئ الحقل نضرة
 وثمارا وأزهارا ، وهذا ما كان من عمل
 الإسلام في الأمة العربية وفي قوميتها ، فقد
 دخل العرب جميعا في حياة جديدة على
 اختلافهم شعوبا وقبائل وصارت القومية
 العربية من المنعة والقوة والجمال في القمة
 العالية من القوميات ، وكان ذلك كله بفصل
 النبي الأُمي الذي بعثه الله فيهم ، رسولا منهم
 يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب
 والحكمة ، وآية ذلك من واقع التاريخ أنه كان
 صلى الله عليه وسلم يغادر هذه الدنيا ويلحق
 بالرفيق الأعلى حتى استيقظت عوامل الشقاق
 والفرقة بين العرب وكاد يعود إليهم الداء الذي
 فرقهم شيعة تتطاحن وتتشاحن وهوداء الفرقة
 والمنافسة على الرياسة . فقد انقسم المسلمون
 في شأن الخلافة ، بعد رسول الله إلى ثلاث
 فرق بل ظهرت بوادر هذا الخلاف على الخلافة
 قبل أن يدفن عليه السلام ، فقد بلغ عمر
 ابن الخطاب والمسلمون لا يزالون مشغولين
 بتجهيز الرسول أن الأنصار مجتمعون
 في سقيفة بني ساعدة لاختيار خليفة منهم
 فأنهى الخبر إلى أبي بكر وتوجهها مع أبي
 عبيدة بن الجراح إلى مكان الاجتماع .
 ثم دخل الثلاثة على الأنصار وقد أوشكوا
 أن يجتمع رأيهم على تعيين سعد بن عبادة
 الخزرجي خليفة للمسلمين ، وهم عمر أن يتكلم

وما زالوا بها حتى شقوها فإذا الأرض
 قد أكلتها إلا ما كان من جملة : باسمك اللهم ،
 وإذا عمل الله قد سبق عمل هؤلاء .
 ومضى النبي صلى الله عليه وسلم يدعو قومه
 إلى الإسلام ، ويتحمل في ذلك من ألوان العناء
 والبلاء ما لا تتحمله رواسي الجبال ، حتى
 اجتذب إلى دينه كثيراً من الأنصار وتألف
 من هؤلاء قومية جديدة ، لا تلغى القومية
 العربية ، ولكنها تحررها وتطهرها وتعمل
 على تزيينها وتنميتها وتقويتها لتقوم بدورها
 الذي ينتظرها في خدمة الإنسانية ونشر مبادئ
 الإسلام ، وقد تحقق ذلك بالفعل ، وصدق
 فيهم وصف التوراة والإنجيل لهم قبل وجودهم
 مما يحكيه القرآن بقوله : « محمد رسول الله
 والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم
 تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من ربهم
 ورضوانا سيأثمهم على وجوههم من أثر السجود
 ذلك مثلهم في التوراة ، ومثلهم في الإنجيل
 كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى
 على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار » .
 نعم ، كان هذا العدد القليل ما زال يكثر
 زرع حتى عم الإسلام جميع الأحياء
 والأنحاء جزيرة العرب كالنبات يظهر قليلا
 في الحقل ثم تنبت إلى جانب سيقانه فزراع
 تنمو وتعلو وتمتد وتشتدد وتستمد غذاءها
 من الأصول التي تنبت حولها حتى تستوى

فمنعه أبو بكر ، وتولى بنفسه السلام فقال
بعد أن حمد الله وأثنى عليه . نحن المهاجرون
أول الناس إسلاما وأمسهم رحما برسول الله
صلى الله عليه وسلم ، أسلنا قبلكم ، وقد منا في
القرآن عليكم ، فأنتم إخواننا في الدين ،
وشركاؤنا في الفىء ، وأنصار على العدو ،
أوتيم وواسيتم فجزاكم الله خيرا ، نحن الأمراء
وأتم الوزراء ، لاتدين العرب إلا لهذا الحى
من قريش ، فلا تنفسوا على إخوانكم المهاجرين
ما فضلهم الله به ، ولكن هذا المنطق السليم
الحكيم لم يكن كافيا لإطفاء شعلة الحامسة للرياسة
عند بعض الانصار - ولهم قدرهم وعذرهم -
فقد قام الحباب بن المنذر يعقب على خطاب
أبى بكر فقال الانصار : أبى هؤلاء إلا
ما سمعتم ، فمنا أمير ومنهم أمير ، وهاج ذلك
ثائرة عمر فقال : هيات ، لا يجتمع اثنان
في قرن ، والله لا ترضى العرب أن يؤمرؤكم
ونبها من غيركم ، من ذا بنا زعنا سلطان محمد
ونحن أولياؤه وعشيرته . . ؟ وقام الحباب
بين المنذر مرة أخرى يهدر ويزجر حتى
وصل الموقف إلى أعلى درجات التوتر . فتدخل
أبو عبيدة ليطفه وقال : يا معشر الانصار ،
إنكم أول من نصر وآزر ، فلا تكونوا
أول من غير وبدل ، ووقعت هذه الكلمة
من قلوب الانصار موقعا عميق الأثر ، وكان
أكثرهم تأثرا بها بشير بن سعد الانصارى

فقام يقول لقومه : يا معشر الانصار . إنا
والله وإن كنا أولى فضيلة في جهاد المشركين
وسابقة في هذا الدين ، ما أردنا به إلا رضا
ربنا وطاعة نبينا ، فما ينبغي أن نستطيل على
الناس ، ونبتغى من الدنيا عرضا ، ألا . .
إن محمدا من قريش وقومه أولى به ، فاتفقوا الله
ولا تخالفوهم ، وبهذا انطفأت نار الفتنة وبويع
أبو بكر بالخلافة ، ولكنه ما كاد يتولاهما
حتى اندلعت السنة الفتنة في جهات أخرى .
فاضطر إلى أن يسير الجيوش لردعها وقمعها ،
فقد امتنعت بعض القبائل عن الزكاة وتمردت
على خلافة أبى بكر ، وارتد البعض عن
الإسلام ، وروى لنا التاريخ موقف أبى بكر
مع معارضته أصحابه في أول الأمر - في حرصه
وإصراره على قتال مانعى الزكاة مهما كان
قدرها ، وقوله المشهور في ذلك : والله
لو منعوني عقالا بغير كانوا يؤدونه للنبي صلى
الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه ، ويلوح من الأقوال
التي أثبتتها الرواة لبعض هؤلاء المتمردين أنهم
لم يتعدوا على الإسلام ، ولم يرتدوا عنه ،
ولنما أنقوا من الخضوع لحكومة موحدة
يديرها أبو بكر كقول شاعر منهم .
أطلعنا رسول الله إذ كان بيننا
فيا لعبا والله ما لآبى بكر
أيورثها بكرا إذا مات بعده
وتلك لعمر الله قاصمة الظهر

ألم يجعل كيدهم في تضليل ، وأرسل عليهم طيرا أبابيل : ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف ما كول ،

كان مولده صلى الله عليه وسلم في هذا العام ، فكان طالع يمن وخير وبركة على العرب ، بل كان قبل أن يولد ويوجد هو الأمل المرتقب ، منذ رفع إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام قواعد هذا البيت وقالوا يدعوان الله ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ، وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت السميع العليم ، ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم ، فإن كل ما وصلت اليه هذه الأمة من مجد وقوة وعلم وحكمة كان التفسير الكبير لقوله تعالى « هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ، وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم . »

عبد الرحيم فوده

وكقول مالك بن نويرة لخالد بن الوليد حين ظفر به في إحدى هذه الحروب ، إنه لا يزال على الإسلام لكننه لا يؤدى الزكاة لصاحبه « يعنى أبابكر » .

كانت الدولة العربية إذا قد أوشكت أن تنهار وتعود إلى حياة الجاهلية الأولى بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ، ولكن الله عصمها به حيا وميتا ، وقرن باسمه كل ما وصلت إليه من خير منذ عرفته وآمنت بدينه ، بل إن مولده عليه السلام كان بشيرا بعهد جديد مجيد للأمة العربية ، فقد كان في عام حادث الفيل ، وهو الحادث الذى هز جوانبها بنشوة الفرح وملأها ثقة بعون الله ، والأمل فى نصره وتأييده ، فقد أقبل أبرهة الأشرم من اليمن بجيش كثيف ليهدم الكعبة ويصرف أنظار الجميع عنها إلى المعبد الذى بناه بصنعاء ، ولكن الفيل الذى أحضره معه لم يطاوعه فى التوجه إلى الكعبة ، فكان كلبا وجهوه إلى الحرم برك ولم يبرح ، وإذا وجهوه إلى غيره من الجهات هرول وأسرع ، ثم أرسل الله على المغيرين أسرابا من الطير ترميهم بحجارة صغيرة فأنكته مهلكة ، وكان ما يحكيه القرآن بقوله « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل

مَا يُقَالُ عَنِ الْأَسْلَامِ

الشرق الأوسط في العصر الإسلامي

للاستاذ عباس محمود العقاد

لمؤلفه سدنى فيشر Sydney Fisher

كتاب في نحو سبعمائة صفحة ، موضوعه تاريخ بلاد الشرق الأوسط وتاريخ العوامل الفعالة التي يرجع إليها تطور الشعوب والحوادث في هذه البلاد ، وأولها الإسلام . ومؤلف الكتاب هو الدكتور سدنى فيشر أستاذ التاريخ بجامعة (أوهيو) الأمريكية وصاحب الدراسات المتعددة في شؤون البلاد الشرقية التي يدين الأكثرون من أبنائها بالديانة الإسلامية .

فلا ينساق إلى الخطأ حبا لترديده ومرضاة لشهوة من شهوات الحفيظة في نفسه ، ومعظم أخطائه من قبيل المطاوعة لحركة التواتر المطبق الذي يحتاج إلى الجهد الجهيد لمقاومته . وربما شق عليه هذا الجهد الجهيد فلم يتكلف له ما هو أهله من الصبر والدأب والارتفاع بالتاريخ فوق حجاب الحوائل التي تغطي ما وراءها من الأسانيد البينة ؛ وإنما لبينة جداً لو استطاع الناظر إلى تلك الحوائل أن يتخذ له منفذاً منها إلى الحقيقة .

ويدل أسلوبه في عرض الآراء والوقائع على تورع عن العصبية واجتناب للتشهير . فهو يروى ما يفهمه من المصادر المتناقضة ويحاول أن يجردها من نزعات الأهواء ودسائس الأحقاد المذهبية والقومية ، وإذا وقع في الخطأ المتواتر فإنما يقع فيه لأنه في حكم الحقائق المجمع عليها بين المؤرخين ،

يقول في كلامه على صفة الإله : إن الوحداية المنزهة هي أجل مطالب الإيمان عند النبي عليه السلام ، ويوصف الإله مع الوحداية بصفات العلم المحيط والقدرة المحيطة والرحمة والكرم والغفران . ولا يستطرد المؤلف إلى شرح الصفات الإلهية قبل أن يقول : إن تأكيد صفات البأس

في نواحيه كما تتجلى في أوامره فلا يجوز للمسلم أن يشرب الخمر ولا أن يقاتل ولا أن يعتدي ولا أن يستسلم للترف والرذيلة ، ثم يختم كلماته قائلاً : « إننا إذا نظرنا إلى مجال الإسلام الواسع في شؤون العقائد الدينية والواجبات الدينية والفضائل الدينية لم يكن في وسع أحد إلا أن يعتبر محمداً - عليه السلام - نبيا مفلحا جدا ومصلحا موقفا ، لأنه كما قال بعض الكتاب وجد مكة بلدة مادية تجارية تغلب عليها شهوة الكسب المباح وغير المباح ويمتلئ فراغ أهلها بمعاقرة الخمر والمقامرة - والفحشاء - ويعامل فيها الأراذل واليتامى وسائر الضعفاء كأنهم من سقط المتاع ، فإذا بمحمد - عليه السلام - وهو فقير من كل ما يعتز به المساء قد جاءهم بالهداية إلى الله وإلى سبل الخلاص وغير مقاييس الأخلاق والآداب في أرجاء البلاد العربية » .

إلا أن الخطأ المتواتر يتسلل إلى هذا الكتاب ، وإلى سائر الكتب التي في موضوعه . من مجازاة العرف وإحجام العقول عن اختراق الحجب المتكاثفة مع الزمن حتى لا يحسب أحد أنه بحاجة إلى اختراقها ، ولعله لا يرتاب في قدرته على اختراقها لو أنه قد خطر له أنها تستر وراءها ما هو حقيق بالنفاد إليه .

ولجبروت في كتاب الإسلام إنما تقدم في أوائل الدعوة التي واجه بها النبي جماعة الكفار الملحدين من الملأ المسكي المتعطرس المستطيل بالجاه والعزة ، ولكن المسلم يعلم من صفات الله أنه واسع الرحمة وأنه أقرب إلى الإنسان من حبل وريده ، وأنه هو نور السموات والأرض ، وهي الصفة التي بثت عقائد الصوفية ، بين المسلمين وكان لها أبعاد الأثر في اجتذاب العقول إلى معانيه الخفية .

ويقول المؤلف كما يقول غيره من كتاب العصر الغربيين : إن القرآن « صوت حي » ، يروع فؤاد العربي وتزداد روحته حين يتلى عليه بصوت مسموع ، ولكن لا يفهم هذه الروعة كما لم يفهمها زملاؤه الذين سبقوه إلى الاعتراف ببلاغة القرآن اعتماداً على أثره البليغ في قلوب قرائه وسامعيه ثم يقفون عند تقرير هذه البلاغة بشهادة السماع .

وبعد بيان مجمل عن بلاغة القرآن وأحكامه وعبادته يضيف المؤلف بيانا آخر في مثل هذا الإجمال عن الفضائل الإسلامية التي احتواها الكتاب فيقول ما فراه : إنه كتاب تربية وثقيف ، وليس كل ما فيه كلاما عن الفرائض والشعائر ، وإن الفضائل التي يحث عليها المسلمين من أجل الفضائل وأرجحها في موازين الأخلاق ، وتتجلى هداية الكتاب

والأمر لا يحتاج إلى عناء لإظهار وجوه الخطأ فيه ، فإن مراجعة التوراة أيسر مراجعة ترينا أن اليهود تلقوا أهم العقائد الكونية وأهم التعاليم الشرعية عن تقدم أنبياءهم في الزمن ، بل من الشعوب التي عاشوا بينها وكان فيها أناس من أنباغ الرسل الأقدمين .

فإلى أى نبي من أنبياء بني إسرائيل يسند اليهود عقائدهم في سفر التكوين وهو جماع عقائدهم الكونية ؟

إن التوراة الباقية إلى اليوم تبتدىء بسفر التكوين ولا تسنده أحد من أنبياء بني إسرائيل ، ولا حاجة بعد ذلك إلى القول بأن عقائده سابقة للنبوءات الإسرائيلية وأن اليهود تلبوه من حيث يستطيع كل من شاء أن يتعلمه أو ينقله عن مصادره الأولى ، سواء كانت من وحى الأنبياء الأسبقين أو من تراث الشعوب الموروثة عن الأسلاف .

وتأتى أسفار الشريعة بعد سفر التكوين وليس منها ما هو مسند إلى نبي قبل موسى عليه السلام ، ولكننا نقرأ في هذه الأسفار أن الكليم كان يتعلم التبليغ من نبي عربي تسميه التوراة يثرون ، فيقول الإصحاح الرابع من سفر الخروج إنه : « رجع إلى يثرون وقال له : أنا أذهب وأرجع إلى أخوتي في مصر » .

وشفيح المؤلف في هذا السكسل ، أو هذا الاستسلام العقلي ، أنه ينساق إلى تلك الأخطاء المتواترة في كلامه على المسيحية وعلى الإسلام بغير تفرقة بين ديانتها التي يؤمن بها والديانة التي يفهمها من مصادره الغربية أو مصادرها الشرقية الميسرة للغربيين .

يقول بعد الإشارة إلى بعض المشابهات بين آيات القرآن وآيات الزبور على حسب فهمه : « والواقع أن اليهودية وفرعها المنبثقين منها - المسيحية والإسلام - مشتركتان في كثير من الأمور وإن كان معظم التشابه في العبارة دون الجوهر والمعنى » .

هذا الخطأ المتواتر هو الذي يعنينا في هذا المقال من موضوعات ذلك الكتاب ، لأنه واجب التصحيح ، وسهل التصحيح ، مع إعطائه على أذهان المؤرخين الغربيين ذلك الإطباق الذي يوشك أن يشل تلك الأذهان عن الحركة المهيأة لها في غير هذا الموضوع .

وأساس الخطأ كله اعتقادهم أن اليهود هم مصدر العقائد الدينية التي احتوتها التوراة ، وأنهم هم الذين تلقوا وحيا لأول مرة من أنبيائهم غير مسبوقين إليها فيما سلف ... وقد سلف قبلهم ، وفي عهد أنبيائهم ، كثير من الرسائل والعقائد مذكورة أو ملحوظة في القرآن الكريم وليس لها ذكر في أسفار التوراة .

إن الله عند بنى إسرائيل إله قبيلة واحدة يختصها بحظوته ، ولكن الله فى الإسلام هو إله الخلق أجمعين لا يفضل أحدا منهم على أحد بغير التقوى والصلاح .

وإن النبوة عند بنى إسرائيل صناعة خوارق وكشف عن الخفايا والمفقودات ، ولكن النبوة فى الإسلام رسالة هداية وتعليم ، وبلاغ إلى العقل والضمير ، يقنع الناس بالبينات والآيات ولا يجعل الإقناع موكولا إلى التحويل بالخوارق والمعجزات .

وإن الحساب عند بنى إسرائيل يأخذ الأبناء بذنب الآباء ويلحق الجزاء بالخلف البعيد انتقاما من جنایات الأجداد والأسلاف ، ولكن الحساب فى الإسلام لا يأخذ إنسانا بجريرة إنسان ولا تزر وازرة وزر أخرى .

وليس فى الإسلام سلطان للعبد وكماله على العباد الذين يصلون إليه فى كل مكان تحت السماء ويعلمون أنهم أينما كانوا فثم وجه الله ، ولكن الهيكل ، فى اليهودية هو الذى يتقبل القربان من عباده فلا يحسب لهم قربان بغير وساطة الكهان والأخبار .

فكيف تكون هذه العقائد فرعا على تلك الشجرة وهى تخالفها تلك المخالفة فى أصول الديانة وحقائق الإيمان بالربوبية والنبوة

البقية على ص ٣٨٥

ويقول الإصحاح الثانى عشر إن يثرون كان يصلى ببنى إسرائيل فى عهد موسى ومنهم أخوه هارون : « وإن يثرون أخذ محرقة وذبائح لله ، وجاء هارون وجميع شيوخ إسرائيل ليأكلوا طعاما مع حى موسى أمام الله ، . . . فقد كان يثرون - إذن - يقرب القرابين ، ويقدم الشعائر ، ويدعو الله بدعائه الذى دان به قبل بعثة الكليم ، ويتبعه موسى وهارون وشيوخ إسرائيل وصفوة الشعب الإسرائيلى أجمعين .

فأعجب العجب بعد ذلك أن يقرأ المؤرخون هذا فى كتب التوراة ثم يلج بهم الإصرار على أصالة اليهودية ، واعتبار المسيحية والإسلام فرعين من هذه الشجرة لا ينبتان على غير جذورها ، وهى كما رأينا فرع من أصل قديم بل فى عدة أصول .

على أننا نرجع إلى العقائد الإسلامية فلا نرى بينها عقيدة واحدة تتفرع على عقائد اليهود ، كما دانوا بها من قبل ، ويدنون بها إلى هذه الأيام .

وليس أبعد من الفارق بين العقائد الإسلامية والعقائد اليهودية كما تناقلوها عن التوراة والتلوة فى كل أصل من أصول الإيمان عن الله أو عن النبوة أو عن الحساب والعقاب .

فِي سَبِيلِ الْوَطَنِ

مَسْرُحِيَّةٌ وَطَنِيَّةٌ فِي فَيْصَلٍ وَاحِدٍ

لِلأَسَازِإِبْرَاهِيمَ مُحَمَّدِنَجَا

بَقِيَّةٌ مَا نُشِرَ فِي الْعَدَدِ الْمَاضِي

الْمَشْهَدُ الثَّانِي

« نفس الحجره السابقه . . . الأم تستأنف عملها . . . يطفأ المسرح
رويدا . . . موسيقا تصور انتقال الأم من اليقظة إلى النوم . . . في الحلم
يظهر طيف ابنها عادل . »

الطيف : أماه	الأم :
الأم : من ؟	حمداً له . . الآن تذهب حسرتى
الطيف : أنا عادل	وتنام أحزاني ، وتهدأ نارى
الأم : رباه . ابنى عادل !	الطيف :
« تتقدم إليه لتعانقه ،	أماه جشت الآن أعلن رغبتى
الطيف : أماه لا تتقدمى إنى خيال مائل	فى أن ينال أخى الذى يبغيه
الأم : ولدى	الأم : أو قد سمعت حديثه ؟
الطيف : نعم أماه	الطيف : وعرفت رء
الأم : كيف تعيش فى	بته ، ويرضىنى الذى يرضيه
تلك العوالم ؟	ولكم يسر أخى إذا وافقته
الطيف :	ولكم أسر ببسمة من فيه
عيشة الأبرار	الأم :
فى ظل نعماء الإله وبره	ولدى حسبتك ناصرى فى محنتى
وجوارده الفياض بالأنوار	وحسبت أنك لا تريد شقائى

فأتيت تطلب ما يزيد لجميعي

الأم :

نارا، وما يغري الآسى بىكأنى

أبنى إن أذاك منذ قتلت لم

« تنهار باكية »

يسعد بلذات الحياة وينعم

مازال يطلب عند أعداء الحى

الطيف :

إنى لأعلم أن ذلك موقف

نارا . لمصرعك الممض المؤلم

الطيف :

صعب على قلب كقلبك مرهف

أماه لسنا إذ نحارب نبتغى

ولقد حزنت لمصرعى وبكىتنى

نارا لمن قتلوا من الأبطال

بالدمع كالنار التى لا تنطفى

إننا ندافع عن مبادئنا التى

حتى تذكرت الإله وعدله

نبنى بها حرية الأجيال

فرجعت للصبر الكريم المنصف

أشخاصنا تقنى ؛ ليسعد بعدها

وهبت نفسك للصلاة، وعندها

بخلوده الوطن العزيز الغالى

الأم :

تنجاب غاشية الهموم وتختنى

ولدى ... تذكر أننى أم لها

الأم :

إنى لأشفق أن يكون مصيره

حق على أبنائها لا يُنكر

الطيف :

ما ذقته من عصبة الأوغاد

وتذكرى أماء أنا أمة

قتلوك

نبنى الحياة كما تريد ، وتعمر

الطيف :

لكنى قتلت جموعهم

بجهود أبناء كرام ، عزمهم

يملى على التاريخ وهو يسطر

فعميت من بغى اللثام بلادى

جعلوا الحياة رخيصة من أجلها

قتلوا وما نالوا سوى إخفاقهم

فاستبسلا يوم النضال وكبروا

وقتل منصورا فنلت مرادى

لولا همو لعنت لبغى عدائها

وأتوا من الدنيا بميسم خزيهم

ولظل يحكمها الفساد الأكبر

الأم :

وأيت أحمل شارة استشهادى

أنا لست أطلب منه غير وسيلة

فلقيت عند الله حسن جواره

أخرى تؤدى الواجب المطلوب

كرما ، وبأوا منه بالإبعاد

حاشاي أن أرضي له بنقيصة
تمضي ؛ لنبلغ عالما مجهولا
يبقى بها طول الزمان معيا
فاذا بلغناه التقت أرواحنا
الطيب :
ورأت لديه نعيمها المأمولا
ولكنه أدرى بما يختاره
والآن يا أمي وداعا ، ولتكن
وبما يلائمه من الأعمال
نعمى اللقاء من الفراق بديلا
وهيبه آثر ما أردت ، وأقبلت
زمر الفساد ، وعصبة الضلال
أترينه متخلفا عن حربهم
ثم تلتفت حولها وتهتف ، .
مهما يكن فيها من الأهوال ؟
الأم :
إني لأعرفه يريد حياته
رباه .. هل أبصرتُ ما أبصرته
ملائي بكل عزيمة ونضال
في بقطة ، أم كان طيف منام ؟
هو من شباب عاش أروع حقبة
يدخل عصام في هذه اللحظة ،
من عمره مع ثورة الأبطال
الأم :
فدعيه يصنع ما يريد ، فكم له
ولدى عصام .. وجدت رأيك صائبا
وعرفت أنك فوق كل ملام
سر في طريق أخيك . إن طريقه
لك ما تشاء ، ولي رجاء صادق
بجد الحياة ، وعزة الأيام
ألا تسير في الحياة طويلا
بالأمس يا وطني سمحت بعاذل
فيجيئني النبأ المروع مرة
واليوم أسمح بالوحيد عصام
أخرى ليقتلني أمي وعويلا
(ستار) .
الطيب :
أما .. إن حياتنا هي رحلة

ابراهيم محمد نجما

من وحي المولد :

نور على الصحراء ينساب في الظلمات
 كرنه القيثارة
 معطر الأنغام كأنه أحلام
 سحرية الأسرار
 حنت إليه البيد كطائر غريد
 يهفو إلى الينبوع
 واهتز قلب الوجود من سحر هذا النشيد
 وسار فيه الربيع
 من أين جاء النور؟ من عالم منظور؟
 أم عالم في الخفاء؟
 من روعة البدر وطلعة الفجر
 على الربا الفيحاء
 من كل شيء جميل كالروض عند الأصيل
 والبحر عند المغيب
 لما أراد الإله إشراق وجه الحياة
 بعد الظلام الرهيب
 ألقى إنيها الضياء من عالم في السماء
 ومن مكان ظهور
 أهده مهدى الحياة من نوره ما اشتها
 لمهدى الأرواح
 شريعة غرام الناس فيها سواء
 لا سيد أو مسود
 لا ظلم... لا ظالمين وتردع الأثمين
 إذا تمادوا.. حدود
 لكل داء دواء فيها ، وفيها العزاء
 لكل روح شرود

وعاد سر النور لافقه المسحور
 فى ظل أسمى مكان
 فجددوا ذكره فى كل يوم نراه
 وليس فى كل عام
 واستمسكوا باليقين وفى الضياء المبين
 سيروا مع الأيام
 لعلنا أن نعيد أجدادنا من جديد
 بعد البلى والفناء

ابراهيم محمد نجا

(بقية المنشور على ص ٣٨٠)

وموازن الحساب والتكليف وحرمان العبادة والتقدس .
 إن جاز التشبيه بالأصول والفروع فقد يجوز أن يقال إن الإسلام شجرة أخرى تحمل الثمرات التى حملتها اليهودية بعد تهذيب وتجويد ، وإن ثمرات الشجرة الإسلامية لا تحملها تلك الشجرة ولا يتأتى أن تحمل فيها محل الفروع من الجذور .
 ولكن لا يجوز أن يقال إن اليهودية كانت جذرا أصيلا للعقائد الإسلامية ولو كانت هى المصدر الوحيد للعقائد المشتركة بين الديانتين ، فإذا علمنا أنها قد تفرعت على ما تقدمها ولم تكن جذرا لما تلاها فلا ندرى ما هو وجه التأصيل هنا والتفرع بأى معنى من معانى الأصول أو معانى الفروع وهذه هى طبيعة الأخطاء المتواترة فى بقائها

وإطباقها على العقول ، وهى كذلك طبيعتها فى سهولة الاهتداء إلى موضع الشبهة منها إذا أعيدت إل طبقها الأولى ، ولا داعية إلى الأمعان فى العودة إلى ما هو أبعد من الصفحات الأولى فى أسفار التوراة .
 إن المؤرخ الغربى ، وهو على اعتقاده الدينى ، لا يطالب بإيمان المسلم فيما اعتقد من ربوبية أو نبوة أو تكليف ، ولكنه مطالب عند البحث فى التطور الطبيعى أن يمسك عليه عقله وأن يترفع به عن قبول الباطل البين فى جلائل المسائل ، وهى مسألة العقيدة والإيمان .
 وليس من الحلال فى شرعة العقل ، كائنا ما كان دين العاقل ، أن يقيم الشجرة الباسقة على منبت الفرع المبتور ؟

عباس محمد الهقاد

الكتاب

نقد وتعرّيف

١ - تفوييم الفكر العربي وصلاته بالقومية العربية

من مطبوعات مكتبة الأنجلو بالقاهرة

مؤلف الكتاب هو الأستاذ محمود الشرقاوى سكرتير تحرير مجلة الأزهر

وأكد أن التقليد لا يمت إلى الإسلام بصلة، وعن الحجر والحرية، وأنه لا خطر على الدين والدولة من الحرية وإنما الخطر كل الخطر من الحجر على التفكير، كما أن الحرية لا يمكن أن تضعف العقيدة لأن حرية التفكير مقوم من مقومات العقيدة، ولكن هناك فرقا بين الحرية المطلقة والحرية المعتدلة، فالأخيرة تتفاعل في حدود المنطق والعقل وليست كذلك الأولى.

أما الفصل الثانى : فقد ناقش فيه الأستاذ الشرقاوى قضايا التطور وروح الشريعة، والاجتهاد كبداً مقرر في الشريعة، وأنه باب لم يقفل وسيظل مفتوحاً على مصراعيه إلى الأبد، وقضية المرأة، الأسرة. وضرب أمثلة كثيرة من الشريعة في مسايرتها ومطاوعتها، وفي نهاية الفصل عقد بحثاً عن محنة العقيدة، وأنها كانت ولم تزال معرضة للأخطار، واهتم بالعقيدة المسيحية ما لاقته وما تلاقيه

قدم الأستاذ الشرقاوى بتمهيد لكتابه تناول فيه أسس القومية العربية كما يجب أن تقوم، والعلاقة بين مصر والحضارة الأوروبية كما أرادها الخديو إسماعيل، ثم كتب الورق الأصفر، كينبوع من ينباع الحلوة الفياضة وركن من أركان ثقافتنا وقوميتنا ثم جاء الكتاب بعد ذلك في فصلين طويلين : في الأول منهما عرض لسير التشريع منذ الدولة العثمانية وفي عهد إسماعيل، ثم في مصر الحديثة ثم في القرن العشرين، وكيف حدثت فيه تطورات استلزمها تطورات المجتمع نفسه وحاجياته، ثم عقب بأن هناك طريقتين لا ثالث لهما : المسايرة أو المكابرة، والنهاية التي ينتهى إليها كل طريق واضحة، وليس أمام رجال الدين إذن إلا أن يسيروا مع الحياة مع الاحتفاظ بجوهر رسالاتهم وغاياتها - لأن يحاولوا تعويقها أو التصدى لها . وفي هذا الفصل تحدث عن المذهبية والتقليد.

لها . . . فإنها في هذه الحال ستخطأ
وتتركهم . . .

الأستاذ الشرقاوى يقصد برجال الدين :
رجال الفكر الدينى ، ولكن الذى أتساءل
عنه : ماذا يقصد بأن « يسير رجال الدين مع
الحياة مع الاحتفاظ بجوهر رسالتهم
وغاياتها ، كنت أود أن يضيف كلمة
« الصحيحة ، إلى كلمة « الحياة ، أما الحياة
مجردة وفي هذه الانفلاحة الهوجاء فلا يمكن
لرجال الفكر الدينى أن يسيروا معها مع
الاحتفاظ بجوهر التشريع وغاياته .

وفي التمهيد للبحث ذكر الأستاذ الشرقاوى
« إن القومية العربية من الممكن أن تكون
وسيلة للوحدة الإسلامية ، وفي الظروف
القائمة الآن من الاعتبارات ما يجعل تحقيق
الوحدة الإسلامية أمراً بعيد التحقيق في
المستقبل القريب ، ونحن نعتقد أن الوحدة
الإسلامية التى يريدها الإسلام قائمة على أسس
متينة ليست أمراً بعيد التحقيق ، والمسألة
لا تحتاج إلى أكثر من أن يحسن النيات من
بأيديهم نواصى الأمور فى شتى البلاد
الإسلامية ، أما الاعتبارات التى لم يوضحها
المؤلف فشهوة وهى مجرد وهم لا يمت إلى
الحقيقة بصلة .

وفي نهاية الكتاب تحدث الأستاذ الشرقاوى
عن محنة العقيدة ، ولكنه لم ينو إلا بالعقيدة

من الأوهال ، ما لاقته على أيدي أمثال
فولثير ونيتشه وجراثهما على مقدساتها ،
وتوماس بين من قبل فى كتابه عصر العقل ،
وأوجست كونت فى فلسفته التى أقامها
على أن المسيحية قد استنفدت أغراضها ،
ثم ما تلاه الآن على أيدي الشيوعية فى أوطانها
والإلحادية فى شتى البلاد .

والذى لاشك فيه أن الأستاذ الشرقاوى
فى كتابه هذا أجهد نفسه وذنه وقدم لنا
خلاصة من الثقافة الفكرية الإسلامية لآسيا
حين تعرض لحرية التفكير وقضية الاجتهاد
والتقليد ، وحين قدم أمثلة حية لمسايرة
التشريع الإسلامى لحاجيات المجتمع ، وأمثلة
حية من فقه أعلام الفكر الإسلامى .

ولكننا نود أن نتساءل : لم أراد أن يكون
عنوان كتابه (تقويم الفكر الدينى . .
وصلته بالقومية العربية) مع أن الكتاب
لم يتناول القومية العربية إلا فى بضع صفحات
فى أوله ، ومع أن مهمة تقويم الفكر الدينى
يجب ألا تكون إقليمية ، حيث أن هذا التفكير
الدينى فى حاجة إلى التقويم فى شتى بلاد
المسلمين .

وفى صفحة ٤٠ قال الأستاذ الشرقاوى :
ليس أمام رجال الدين إذن إلا أن يسيروا
هم مع الحياة - مع الاحتفاظ بجوهر رسالتهم
وغاياتها - لا أن يحاولوا تعويقها أو التصدى

المسيحية السابقة والحاضرة ، وموجات الإلحاد التي سلطت وتسلط الآن عليها ، ولست أدري هل لا يعتبر الأستاذ أن العقيدة الإسلامية مرت وتمر الآن بمحنة حتى في بعض في بعض البلاد الإسلامية نفسها ، وإلا فالمحنة التي أصابت وتصيب الآن العقيدة الإسلامية

من الشهرة والوضوح بحيث لا تحتاج إلى مجرد ذكرها ..

هذه مجرد ملاحظات ، ويبقى الكتاب بعد ذلك دراسة طيبة صال وجال فيها الأستاذ الشرقاوى مساندا حرية الفكر وسعة الأفق .

* * *

٢ — منهج التربية الإسلامية . مطبوعات دار القلم بالقاهرة

قدم الأستاذ محمد قطب لكتابته يبحث موجز عن الوسائل والأهداف في منهج التربية ، وذكر أن منهج التربية الإسلامية منهج متميز منفرد في وسائله وأهدافه بشكل ظاهر لافت للنظر .

ثم في الحديث عن خصائص المنهج الإسلامى وأنها : الشمول للكيان البشرى كله ومسيرة الفطرة والتوازن والإيجابية السوية والواقعية المثالية ، وتوضيح وشرح هذه الخصائص قدم دراسة عن منهج العبادة وتربية الروح والعقل والجسد . وأوضح في هذه الدراسة ترابط السكامل بين جوانب الكيان البشرى في حقيقة الواقع وفي منهج الإسلام .

وفي الفصل التالى تحدث الأستاذ محمد قطب عن الخطوط المتقابلة في النفس البشرية ، فالروح والعقل والجسد خطوط عريضة واسعة المدلول ، ولكن في النفس البشرية إلى جانب ذلك خطوط دقيقة أو قل أوتارا دقيقة ، والإسلام يوقع عليها جميعا أنغامها المناسبة في آن واحد ، ليستخلص منها السيمفونية ، البشرية الكاملة المتناسقة الألحان ، هذا وقد ذكر من هذه المتقابلات : الخوف والرجاء ، الحب والكراهة ، والواقع والخيال ، والحسية والمعنوية ، والفردية والجماعية ، والإلزام والتطوع ، ثم السلبية والإيجابية .

وفي الفصل الثالث تحدث عن وسائل التربية وذكر ألوانا منها : القدوة والموعظة والعقوبة والقصة والعادة ، وتفريغ الطاقة وملء الفراغ والأحداث ، وفي الفصل الرابع تحدث المؤلف عن المجتمع السليم وأنه الهدف الأخير من التربية الإسلامية ، وأنه الأداة الموصلة إلى تثبيت المفاهيم الإسلامية ، وفي الفصل الخامس تحدث عن ثمرة التربية وأنها تلخص في إيجاد إنسان صالح يعيش

للتربية الإسلامية ، بذل المؤلف فيها جهداً مشكوراً إلا أن هذه الدراسة كانت في حاجة إلى الدقة في التخطيط والتنسيق لإبراز عناصر البحث الفرعية ، كما أن المؤلف في بعض الأحيان كان يعتمد على عدد عديد من الآيات استغرقت في بعض الأحيان صفحات دون أن يكلف نفسه محاولة الربط بينها .

بأقصى طاقته في عالم الواقع ويحاول في الوقت ذاته أن يحقق المثال ، ثم ختم الكتاب ببحث موجز عن الواقع والمثال . فالإسلام لا يلزم الناس بصورة مثالية معينة ، وإنما يطلب إلى كل إنسان أن يبلغ حدود السكال الممكن في حدود الإطار المثالي العام . والكتاب بعد ذلك في مجموعه دراسة شاملة

٣ — جهود المسلمين في الجغرافيا مطبوعات المؤلف كتاب :

أثر هذه الجهود في النهضة العلمية الحديثة في الغرب .

إن الذي يقرأ هذا الكتاب يسر من جانب ، ويتألم من جانب آخر :

يسر حين يقرأه لأنه يضم إلى ثقافته وإلى مكتبة . لو أن من المعرفة جديداً . ولأن جوانحه ستمتد طرباً وغفراً ، حيث إن للمسلمين السابقين جهوداً في ميادين الفكر اعترف بها الغرب على ما فيه من اعتداد وغرور .

ويتألم القارئ ويتأسف لأنه يرى أن جهود المسلمين السابقين في ميادين الفكر لم يهتم بها إلا علماء الغرب ، وهذا الأسف أبداه المؤلف نفسه في فاتحة كتابه حيث يقول : ولا يزال تاريخ الفكر الجغرافي عند المسلمين في حاجة لأن يكتب ، وإن تعددت المحاولات للتعرف على مدى الجهود التي بذلها المسلمون في ميدان الجغرافيا وتقديرها ، ونذكر في هذا الصدد أعمال بعض المستشرقين الغربيين

مؤلف الكتاب هو أستاذ الجغرافيا بالكلية الإسلامية بكلية كاتالونيا ، وقام بالترجمة الأستاذ محمد فتحي عثمان أحد كتاب مجلة الأزهر ، وكتب بحثاً تمهيدياً في المقدمة ثم عن سعة اطلاع وتوافر الإلمام بالموضوع الذي ترجم له ، جاءت هذه المقدمة في صفحات عشر ولكنها كانت — بحق — مفتاحاً لدراسة موضوع الكتاب . وأبانت أن للمسلمين السابقين جهوداً في شتى ميادين العلم ، ولكن الجيل الإسلامي المعاصر لا يكاد — إلا القلة النادرة — يفهم أو لا يحاول أن يفهم عنها شيئاً . والكتاب يقع في فصول خمسة . في الأول نظرة عامة على الموضوع وفي الثاني سجل للجغرافيين المسلمين ومدى ما أحرزوه من تقدم في المفاهيم الجغرافية ، وفي الثالث معرض لفن الخرائط الجغرافية لدى المسلمين ، وفي الرابع مآثر المسلمين في الجغرافيا الفلكية ، وفي الخامس والآخر

من هم في مستوى (رينو ودى جويه ونالينو وسخاو وبارتولد ولى سترينج وكريمو ومينورسكى) فقد أعان هؤلاء على كشف الجوانب المتعددة مما قدمه المسلمون في سبيل التقدم العام للفكر الجغرافى والمعرفة الجغرافية. السكاي والكندى والحوارزى واليعقوبى والمروزى والبلاذرى وابن رسته وقدامة ابن جعفر وأبو دلف والأصطخرى والبلخى والمهلبى البيرونى والعبدرى وابن جبير والإدريسى وياقوت الحموى وعشرات من أمثال هؤلاء العلماء المسلمين الأفذاذ أسدوا إلى العلم والفكر جهودا مشكورة مرموقة ولكن آثارهم لم يعن بها ويكشف عنها

إلا علماء الغرب ، والذي ندعو إليه ونعبره واجبا مقدسا على إدارة الثقافة الإسلامية بالأزهر أن تؤلف لجنة لإحياء هذا التراث العالى الضخم، ليكون في متناول الجميع ، ودليلا على أن للمسلمين الأولين في شتى ميادين العلم والفكر جهودا ضخمة لها أثرها في الشرق والغرب ، وقد ساهمت إسهاما فعليا في تقدم الإنسانية. إن تقديرنا لهذا الكتاب ومؤلفه الذى بذل جهدا مشكورا، يجعلنا نقدر جهد الأستاذ فتحي عثمان المترجم ، لأن تعليقاته على الكتاب كانت ضرورية ، أضفت إلى معلومات الكتاب وضوحا ، أو زادت عليها معلومات جديدة .

٤ - التشريع الإسلامى وأثره فى الفقه الغربى

منشورات المكتبة الثقافية بوزارة الإرشاد

أستاذنا الدكتور محمد يوسف موسى المستشار الدينى لوزارة الأوقاف من الأعلام المبرزين فى موضوع هذا البحث .

تناول الدكتور نشأة التشريع الإسلامى وتدرجه فقال إن عماده كان القرآن والسنة خلال سنوات البعثة وما بعدها إلى نهاية القرن الأول الهجرى ، حيث أضيف إلى هذين الأصلين : الإجماع والقياس ، وفى دور النضج والكمال منذ أوائل القرن الثانى نشأ الاجتهاد ونشأت معه المذاهب الكبرى ،

وأقفل بعد ذلك باب الاجتهاد فى منتصف القرن الرابع وبدأ دور التقليد ، واستطاع ابن تيمية وتليذه ابن القيم أن يثورا عليه ، ويفتحا معا باب الاجتهاد من جديد ، ثم من بعدهما أبو محمد بن عبد الوهاب الذى ظهرت حركته فى نجد فى القرن فى الثانى عشر .

ثم تناول الدكتور أصول التشريع وأسسها العامة وطبيعته وخصائصه ، كما تناول وضع التشريع الإسلامى بالنسبة للقانون الرومانى ودحض الفرية القائلة بأن التشريع الإسلامى

فتح باب الاجتهاد في الفقه ، لأن الجود على القديم من سمات الموت) .

إن أستاذنا الدكتور قدم في هذا البحث خلاصة قيمة عن التشريع الإسلامي ، ولا ريب في أن القارىء سيجد نفسه أمام بحث مركز يفيد منه كثيراً .

إلا أننا كنا نود من أستاذنا أن يكون بحثه تطبيقاً لعنوان كتابه الذى اختاره له ، وهو عنوان يحتاج إلى مجلد ضخم ، نحن في مسيس الحاجة إليه ، ولكن الذى حدث أن نصيب العنوان من البحث كان بضعا وعشرين صفحة من مائة وثمان وعشرين صفحة .

محمد عبد الله السعدي

تأثر بالقانون الرومانى مستعيناً بأراء بعض المستشرقين المنصفين من أمثال «فيزجيرالد» وبعد ذلك تناول الدكتور وضع القانون الفرنسى بالنسبة للتشريع الإسلامى حيث أكد تأثر الأول بالآخر ، وساق حججا من القوة بمكان .

وفي آخر البحث تحدث الدكتور عن مستقبل التشريع الإسلامى : حاله بالأمس القريب ، وحاله اليوم ، وكيف فصل إلى ما نريد ، وهل أصبح الاجتهاد ضرورياً ؟

يقول الدكتور : إن كل ما نريده هو أن يكون التشريع الإسلامى مصدرا أول للتشريعاتنا الحديثة ، ولا علينا أن نفيد من كل خير نجده في التفكير القانونى لأية أمة أخرى ، ثم قال عن الاجتهاد : (لا بد من

ملاحظات على كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار

بل سأكتفى بأهم الملاحظات التى وجدتها وذكر الأخطاء في التعليق .

١ - ص ٤ - س ١٧ - تعليقة الدكتور رقم ٣ (الحرمان) صوابها (الحرمين) .

٢ - ص ٧ - تعليقة رقم ٥ - ذكر الناشر أن (أيام التشريق) هو الاسم الذى تعرف به الأيام العشرة الأولى من ذى الحجة .

نشرت كلية الآداب بجامعة الإسكندرية كتاب (الاستبصار في عجائب الأمصار) مؤلف مجهول . نشر وتعليق الدكتور سعد زغلول عبد الحميد مدرس التاريخ الإسلامى بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية في (٢٥٢) صفحة غير المقدمة والتصويبات . وألحقت به ترجمة فرنسية في (٩٠ صفحة) ولا أريد هنا أن أعرض لجميع ما في الكتاب من مأخذ .

ولذلك سمي الحجر) وهذا خلط عجيب
فكلمة (حجر) بفتحين لا علاقة لها
(بالحجر) بكسر فسكون . والذي في
معجم ياقوت هو (وحجرت على الموضع
(يعنى قريشا) ليعلم أنه من الكعبة فسمى
حجراً لذلك) وفرق كبير بين هذا وبين
ما زعم الناشر أنه منقول عن ياقوت .

٨ - ص ٢٣ - س ١١ وفي المسجد
الحرام (أربع أئمة) صوابها (أربعة)
بزيادة التاء المربوطة فهم رجال .

٩ - ص ٢٤ تكلم الناشر في الهامش ٤
عن الميل الأخضر باعتباره يبين حدود
الأرض الحرام مع أن الميل المذكور في
الصلب هو الخاص بابتداء الهرولة في السعى
ولا شأن له بحدود الحرم .

١٠ - ص ٢٤ ذكر المؤلف أن أبواب
الحرم (١٧ بابا) وعند بيانها لم يذكر
سوى (١٤) وكان ينبغي للناشر الإشارة
إلى ذلك في أحد هوامشه الكثيرة .

١١ - ص ٣٠ هامش ٣ - قال الناشر
(فالملك جبريل الخ) والذي في اللغة (فالملك)
بدون الالف .

١٢ - ص ٣٠ هامش ٤ - ذكر
الناشر ما نصه (وإلقاء الحصيات من مناسك
الحج والعمرة الرئيسية) قلت : هذا وهم
فرى الجمار من مناسك الحج فقط - وأما

٣ - ص ٩ - هامش ٦ - ذكر
الدكتور ما نصه عن الصفا والمروة (فيبينهما
يجرى طقس من أهم طقوس الحج والعمرة
ألا وهو السعى) ولست أدري ماذا كان
يضمير الدكتور لو استعمل تعبير القرآن
الكریم فقال (شعيرة من أهم شعائر الحج)
هذا مع ملاحظة أن كلمة (طقس) لم ترد
لا في لسان العرب ولا في تاج العروس
شرح القاموس .

٤ - ص ١٠ هامش ٥ - كلمة (المسجد)
صوابها (البيت) فالسلام عن الكعبة
المشرقة وليس عن المسجد الحرام وقد تكرر
هذا في ص ١٥ - هامش ٢ .

٥ - ص ١١ - س ٧ - (٢٩ ذراعا)
صوابها (١٩) فقد مر أن طول الجدار
الخارجي ٢٧ ذراعا في الصفحة السابقة وأنه
من الداخل ينقص مقدار السلم ، فيجب
أن يكون (١٩) لا (٢٩) ولا يمكن اعتبار
هذا من الأخطاء المطبعية فقد ورد نفس
الرقم الخطأ أى (٢٩) في ص ٧ من النص
الفرنسي .

٦ - ص ١٨ - س ٣ (اللهم إيماننا بك) .
٧ - ص ١٨ - هامش ٢ - ذكر
الأستاذ نقلا عن ياقوت في معجم البلدان
عند الكلام على الحجر (بكسر فسكون)
ما نصه : (ولقد أحاطوه بحائط من حجر

- العمره ففى طواف وسعى بلارمى جمار .
١٣ -- ص ٣١ - س ٤ (ولا ذم
عليه) صوابها (دم) بالبدال المهملة أى
ذبيحة ولا شأن بالذم ضد المدح هنا .
١٤ - ص ٣١ هامش - ٢ - عند الكلام
على (مزدلفة) ذكر الناشر ما نصه (وهو
المكان الذى يقف فيه الحاج ليلة وقفه عيد
الاضحى) وهنا خطأ : أولها أن الحجاج
يبيتون ليلة الوقفة فى (منى) لمن أراد السنة
ومنها من يبيت فى (عرفة) رأساً : والثانى
أنهم لا يقفون فى (مزدلفة) وإنما يبيتون
بها ليلة العيد فإذا صلوا الفجر فى أول
وقفته وقفوا إلى الإسفار ثم أفاضوا إلى
(منى) فالوقوف فى (مزدلفة) هو بعد
صلاة فجر عيد الاضحى .
١٥ - ص ٤٠ - س ٧ - (والشمس
وضحا) صوابها (وضحاها) وفى هامش ٤
أخطأ الناشر فى رقى السورتين .
١٦ - ص ٤٢ ، ص ٤٣ - ورد لفظ
(قبا) خمس مرات بالقصر والصواب
(قباء) بالمد كما نصت كتب اللغة .
١٧ - ص ٤٦ فى هامش ذكر الدكتور
الناشر (نهر الإندوس) قلت : ماذا عليه
لو قال (السند) .
١٨ - ص ٤٩ س ٦ قال المؤلف إن
(الغطاس ليلة ١٠ يناير) وسكت الناشر
وكان يجب أن يقول إن الصواب ليلة (١١)
- من شهر طوبه) وذلك يوافق غالباً ليلة
(١٩ يناير) .
١٩ - ص ١٤٢ - س ١٧ ضبط لفظ
(مذحج) بضم أوله وفتح الجيم قبل الحاء
والصواب (مذحج) بفتح الميم وبكسر الحاء
وبعدها الجيم .
٢٠ - ص ١٩٤ ، ورد ذكر (مدينة
سكوما) وفى الهامش ما يفيد أنها عن معجم
البلدان لياقوت ، والذى فى ياقوت (سقرى)
بفتح القاف وسكون الراء ، وفرق كبير بين
اللفظين .
٢١ - ص ١١٨ ، وأخيراً : ذكر
المؤلف (قصر الحنم) بالحاء المعجمة - قلت
فات الناشر أن يقول إنه (قصر الحنم) بالجيم
وهو مسرح روماني قديم يقع على الطريق
الرئيسى بين « سوسة » و « سفاقس » ، بقطر
« تونس » وفى منتصف المسافة بين البلدين
ولا يزال شائخاً ضحماً كما شاهده منذ سنتين ،
ويوجد تحت الأرض فى وسطه سرايب
لحبس الوحوش بها أيام الرومان .
هذا بعض ما وجدته من الملاحظات ، أما
أخطاء الطابع وأخطاء أرقام سور وآيات
القرآن ، فقد أعرضت عنها خيفة الإطالة ،
وحبذا لو كان الناشر استعان فى كلامه عن
المناسك ببعض العلماء بدل مصدره الإفرنجي
إذاً لعصمه ذلك من هذه الأخطاء ، والله
ولى التوفيق . **عبد السلام التمار**

بريد المجلة

العربية لغة إفريقية :

عقد في شهر أغسطس الماضي في ليوبولدفيل عاصمة الكونغو ، مؤتمر وزراء الخارجية لدول إفريقيا المستقلة كلها ومن القرارات التي أصدرها المؤتمر اختيار لغة ثالثة تقرر للتعليم والمحادثة بين سكان تلك البلاد تشمل الدول الإفريقية المستقلة كلها إلى جوار اللغتين الإنجليزية والفرنسية اللتين أرغم الاستعمار الأوروبي سكان تلك البلاد على استعمالها .

وأول ما يتبادر إلى الذهن عند مطالعة هذا القرار أن تكون اللغة العربية هي تلك اللغة الثالثة ، فشعوب شمال إفريقيا لغة التعليم والتخاطب فيها هي اللغة العربية . وهي لغة الثقافة والعلم فيها أيضا وما بقي في تلك البلاد من أثر للغة الفرنسية خلفه الاستعمار ، سيقضى عليه ، ويمحي أثره في زمن قصير ، بحكم سيطرة الوعي القومي العربي عليها ، واستلام أبنائها مقاليد الحكم فيها .

واللغة العربية هي لغة السودان ، والجمهورية العربية المتحدة ، تعليميا وتخطابيا وثقافة . وفي الجمهورية العربية المتحدة الأزهر ووزارة

التربية والتعليم ، وكلاهما يضم مئات من المهندسين لخدمة اللغة العربية وتدريبها وإذاعة ثقافتها في البلاد الإفريقية التي قررت لأهلها لغة ثالثة .

والمسؤولون عن الأزهر وغيره من الهيئات الثقافية في الجمهورية يسرهم أن يبادروا بتلبية رغبات هذه الدول . في سبيل تعليم أبنائها وتنقيفهم . وأن تبذل هيئاتهم في هذا السبيل كل ما تستطيع من جهد .

وعند ما تكون اللغة العربية هي لغة سكان إفريقيا ، في شمالها كله ، ووسطها وغربها سيجد سكان هذه الدول الإفريقية الجديدة أنه قد تسر لهم عامل من أهم المؤثرات الثقافية والتعليمية . ومن أهم أسباب الزواج الاقتصادي أيضا ، وسنفيد من ذلك فوائد كبرى .

م . الشرفاوى

١ - مول معركة المنصورة :

سیدی رئیس تحریر مجلة الأزهر الغراء لقد كان لمقاومة القيم والمعرفة التي أنقذت الإسلام والعروبة ، الذي نشر في عدد

على الأحلام التي كانت تراود البابوية بنشر نفوذها مستعينة بدول فارس المغولية . ولما كانت دمشق قلب العروبة النابض مركزا لهذه المؤامرات تحت حكم المغول فإن بقضة الظاهر جعلته يستطيع أن يرد للأمة العربية قلبها الخفاق سنة ١٢٥٩هـ - ١٢٦٠م . وبين عامي ٦٦٠ - ٦٧٠هـ ، ١٢٦١ - ١٢٧١م اتسمت سياسة الظاهر بيبرس بإزاء الإمارات الصليبية بالقوة والعنف ولا عجب فإن الحديد لا يفله إلا الحديد . فقد أخذت إغاراته العنيفة تتوالى على المدن والإمارات الصليبية . وخرب الظاهر عدة مدن بعد الاستيلاء عليها مثل فيسارية وأرسوف مخافة أن تتخذ معاقل للصليبيين مرة أخرى .

وليس هنا مجال الحديث عن الظاهر بيبرس وسياسته العربية إزاء القوى الدخيلة على الشرق الأدنى ولا مدى شجاعته وإقدامه فإن هذا كله تذخر به كتب التاريخ بل وبه تفخر . ولنتساءل ماذا كان من أمر لويس التاسع وهو يرى توالي الهزائم على الصليبيين بالشام ؟ أجل . كان لابد للويس التاسع الذي تعز به البابوية أن يقوم بعمل إيجابى إزاء تلك الانتصارات وأن يبحث عن ميدان جديد للقتال يثق فيه من نصر مؤكد أو على حد تعبير رجال الحرب كان لابد من فتح جبهة جديدة ومن ثم قام لويس بحملة على تونس .

(شعبان - فبراير) الماضى أثر كبير فى نفسى وخاصة تعليق سيادتكم على قصيدة جمال الدين ابن مطروح بقولكم الكريم ، وقد أجاب الله دعوة الشاعر فعاد حفدة لويس إلى ديارنا يرتكبون الجرائر ، وانتقلت دار ابن لقمان وقيدها وطواشها من مصر إلى الجزائر ، . فعنت لى بعض خواطر أوردتها فيما بلى : أولا: مؤامرات لويس التاسع ضد سوريا : قد يتوهم البعض أن لويس التاسع قد رحل يجرر أذيال الخيبة والفشل إلى وطنه فرنسا الذى كان النظام الإقطاعى ينخر فى عظامه وأنه أخذ يبذل الجهد لجمع شتات مقاطعات بلاده المتفرقة ، ويجمعها تحت حكمه وسلطانه . ولكن شيئا من ذلك لم يحدث . فقد ولى لويس التاسع وجهه شطر الإمارات الصليبية بالشام واستقر بإمارة عكا الصليبية . وأخذ يتحين الفرص للنيل من وحدة الأمة العربية ويحتضن كل حركة ترمى إلى تفريقها بالاشتراك فى المؤامرات ولكن خاب أمله . فقد قيض الله للأمة العربية رجالا عاهدوا أنفسهم على الجهاد والكفاح . فهذا قطز يهزم التتار فى موقعة عين جالوت ، رمضان سنة ١٢٥٨هـ - أغسطس ١٢٥٩م ، وهذا الظاهر بيبرس للسلطان المملوكى يرسى دعائم سياسته العربية على طرد الصليبيين من الشرق الأدنى . وقد استطاع الظاهر بيبرس أن يقضى

ثانياً :

وتدخل القدر فأصيب جيش لويس

بالمطاعون ، بل وتوفي لويس نفسه بالمطاعون في ١٨ أغسطس سنة ١٣٧٠ م ، واضطرت الحملة الفرنسية إلى رفع الحصار عن تونس والجلء عنها ، بعد أن تأكدت أن مصيرها الهزيمة المحققة وبعد أن عرفت بوصول الجيوش والإمدادات العربية إلى تونس الشقيقة .

وهكذا كانت سياسة مصر في عهد الظاهر بيبرس سياسة عربية خالصة تتوخى العمل على حماية الأقطار العربية ضد أى اعتداء أجنبي . وهى نفس السياسة التى يسير عليها السيد الرئيس جمال عبد الناصر حفظه الله بعد أن حطمت مصر أغلالها ، واستعادت عزتها وكرامتها .

٢ - مول إبراهيم به أدبهم :

نشرت مجلة الأزهر فى عدد شهر المحرم مقالاً للأستاذ الدكتور محمد غلاب عنوانه :
دراسات فى التصوف ، نورد عليه الملاحظات الآتية :

مجرى البحث عن هذا العارف بالله لم يكن يعتمد فى لبه على نقل صحيح بل إن الكاتب - سبحانه - حين يقعد لهذا الصوفى الكبير مقامه فى التصوف يقول : (إن إبراهيم ابن آدم لا يعرف ما بين أيدينا من تاريخ الحركة التنسكية الأولى عن مبدل حياته شيئاً

حملة لويس على تونس وموقف مصر منها :
وبرغم تقدم لويس فى السن فقد حشد حشوده وولى وجهه شطر تونس العربية . وقد اختار تونس لعدة أسباب فهى قريبة إلى حد ما من فرنسا مركز الإمدادات ثم إن أحوال تونس الداخلية كانت تشجع على التدخل فقد كان النزاع محتدماً بين أفراد الأسرة الحفصية . فإن الحاكم على تونس فى ذلك الوقت وهو المستنصر بالله أمير المؤمنين أبى عبد الله محمد ابن الأمراء الراشدين كان قد اعتلى العرش بعد أن لطخ يديه بدماء عميه . ووصلت الحشود الفرنسية إلى تونس . فماذا كانت النتيجة ؟ . هل يترك

الظاهر بيبرس - السلطان المملوكى فى مصر تونس وهى قطعة عزيزة من العالم العربى فريسة لأطباع الفرنسيين الذين هزمهم أبطال المنصورة ؟ .

يحدثنا المقرئ عميد المؤرخين المصريين فى العصور الوسطى فى كتابه السلوك فى معرفة الدول والملوك عما أعده الظاهر بيبرس من استعدادات لمعونة حاكم تونس ، وكيف أنه كتب إليه بأنه أعد جيشاً سيصل نجدة له . كما استنفر عربان برقة وبلاد الغرب بالمسير إلى نجدة .

٣ - نشر الصور بالمجدة

وبعد فقد ظهر العدد الأخير من مجلة الأزهر
(صفر ، وقد سررت من المباحث المهمة
التي نشرت في هذا العدد .

وفي العدد مقالة عن المرحوم الأستاذ
الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم ، تمتعت
لو صحبتها صورة للشيخ الإمام الراحل كي
يستعيد القارىء ملامح الراحل إذا كان قد
رآه ، ويعرفه من لم يره . ومعروف أن فكرة
بعض الناس عن الصور من جهة التحليل
والتحريم غير واضحة ، مع أنها أصبحت
اليوم ذات قيمة ، سواء من جهة وسائل
الإيضاح أو في تحقيق الشخصية .

وقد قرأت في مذكرة التفسير بكلية الشريعة،
أثناء دراستي فيها في شرح أوائل سورة ص،
ما يفيد إباحتها مثل هذه الصور ولذا جئت
مقترحا أن تنشر مجلة الأزهر بعض الصور
التي تعين في إيضاح الأمور . أو في التعرف
على أشخاص الكاتبين وخصوصا المقالات
التي تتناول مواضيع عن بلاد نائية عنا ؟

عزت عبيد الرحمن

المدرس بإعدادية سعيد العاص بمحرم
الاقليم السورى

ذا بال إذ هو يحدثننا أنه حين رغب في التزهد
اتخذ . . .) على أننا لو رجعنا إلى كتاب
واحد من كتب التصوف المعتمدة ككتاب
(حلية الأولياء وطبقات الأصفياء) للحافظ
أبي نعيم الأصبهاني نجد أنه قد خص هذا
الصوفي في كتابه بما يقارب التسعين صفحة^(١)
يتحدث فيها عن أصله ونشأته ونفسه
وكراماته ومروياته .

ثم أريد أن أصحح جملة واحدة - إن سمح
لي - من جمل الدكتور غلاب وذلك حين
يقول : (إذ هو يحدثننا أنه حين رغب في
التزهد) ونصحح هذا الكلام (أنه حين
حبب إليه التزهد) لأن إبراهيم رضى الله عنه
لم يرغب في التزهد عن طوعية وإنما بتوفيق
المولى سبحانه وتحميه إليه وذلك عن طريق
الاجتهاد الذى حصل له أو بعبارة أخرى عن
طرق - الجذب - الذى الم به وصدق الله
العظيم إذ يقول . والله يجتبي إليه من يشاء
ويهدى إليه من ينيب .

سعد المبركة إبراهيم الغمريتي

خريج كلية الشريعة من الأزهر

(١) أواخر الجزء السابع وأوائل الجزء الثامن
من المرجع نفسه .

صفحة ٥١ قال : (تقول أولاهها وآخرتها : إن غيرة على لغة العرب دفعته أن يكلف أبا الأسود بوضع النحو ورواية أخرى تنسب ذلك إلى عمر وغيرها إلى زياد بينار ورواية أخرى تنسب فكرة نشأة النحو إلى عبد الرحمن ابن هرمز الأعرج وغيرها إلى نصر بن عاصم . وقد ناقش رواية نسبة النحو إلى علي ابن أبي طالب وجزم بأن تقسيم الكلام إلى اسم وفعل وحرف يحمل دعوى ضمنية بنسبة قدر من المران العلى والممارسة للبحث إلى علي ، وتلك أمور تقتضى فراغا وعدم انشغال وتلقى دراسة ثم أوضح أن عليا كان طوال وقته مشغولا في مكة والمدينة بالدعوة ثم الجهاد . وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وتولى أبي بكر وبعده عمر ثم عثمان شعر بشئ من الظلم في تخطي شخصه وقد انعكس هذا الشعور في تقاعسه عن نصره عثمان ، ثم شغله معاوية عن كل شئ . إلا التفكير في استتاب الأمن الداخلى .

ولقد راجعت كتاب أبي البركات الأنبارى (نزهة الألباء في طبقة النحاء والأدباء) وأرى أولا أن نستعرض تعليق الفاضل الدكتور على الروايات التى نقلها كما أسلفنا فقد ذكر أن أولاهها وآخرتها تقول إن غيرة على لغة العرب دفعته أن يكلف أبا الأسود بوضع النحو إلخ . وواضح أن هذا ليس إلا شقا واحداً ، مما تقول الروايتان

٤ مول نشأة النحو العربى :

قرأت ما كتبه الفاضل الدكتور تمام حسان فى الجزء الأول من المجلد الثانى والثلاثين من مجلة الأزهر الغراء الصادرة فى محرم سنة ٨٠ هـ بعنوان (نشأة النحو العربى) وقد أعجبت ببحثه القيم وعرضه الممتع ومع هذا فإن هناك بعض الملاحظات على ما جاء فى بحثه .

(١) جاء فى صفحة ٤٨ س ١٢ (ولسنا نعرف منهم من طلب العلم حقيقة إلا الحارث ابن كلدة الطيب الذى تلقى العلم فى جنديسابور وأدرك الإسلام ودارى سعدا بأمر النبي . والحارث هذا سيد سمية أم زياد وأبو النضر ابن الحارث الذى أمر النبي بقتله) .

ولكن الصحيح بإجماع ثقات المؤرخين أن النضر بن الحارث بن كلدة من بنى عبد الدار قرشى بينما الحارث بن كلدة الطيب ثقفى (١) .

(٢) ثم نقل الدكتور تمام عدة روايات لنشأة النحو العربى عن أبي البركات الأنبارى فى كتابه (نزهة الألباء فى طبقات النحاء والأدباء) فقد استعرض الروايات التى ذكرها الأنبارى . وإليك خلاصة تعليقه فى

(١) نسب قريش لأبى عبد الله المصعب الزبيرى ٢٥٥ ص سيرة بن هشام تحقيق الأستاذ مصطفى السقا وأصحابه ج ١ ص ١٢١ - ٣٢٥ وجهرة ابن حزم ص ١١٧

لم يكن أحد أوفر سهما منه في إنشاء هذا العلم . وقد أمر أبا الأسود الدؤلى حين شكا إليه اللحن في ألسنة العرب فقال اكتب ما أملئ عليك . ثم أملاه صورا منها أن كلام العرب يتركب من اسم وفعل وحرف . ثم قال وهذه الرواية تخالف روايات شتى تسند إلى المقابلة بين اللغات الأخرى في اشتقاق أصولها النحوية ولا سيما السريانية واليونانية ولكن الروايات العربية لا تنتهى بنا إلى مصدر أرجح من هذا المصدر (٢) .

كما أن الأستاذ محمد سعيد العريان في تعليقه على تاريخ آداب العرب للرافعى رجح نسبة نشأة النحو إلى علي بن أبي طالب (٣) أما الافتراضات التي ذكرها الفاضل الدكتور في عدم نسبة المران العلوى إلى علي وعدم فراغه للبحث إلى آخر ما ذكره فإن هذه مجرد افتراضات لا تستند إلى مصدر يوثق به وكما هو معلوم أن التاريخ (نقل) وإنا نكتفى بما كتبه الأستاذ العقاد في هذا الموضوع (يقول لقد لبث علي بن أبي طالب زهاء ثلاثين سنة منقطعاً أو يكاد أن ينقطع عن جهاد الحكم والسياسة متفرغاً أو يكاد

والشق الآخر أن عليا وضع حدود النحو وأسس قواعده وهذا هو الأكثر أهمية بالنسبة لموضوع بحثه كما أنه إذا كان للفاضل الدكتور تمام كامل الحرية في تكوين رأيه الخاص عن نشأة النحو أو ترجيح رأى معين فإن أمانة النقل تقتضى أن ينقل رأى أبى البركات الأنبارى كاملاً . إذ أن العلامة أبى البركات بعد أن استعرض روايات نشأة النحو قال : (فأما من زعم بأن أول من وضع النحو عبد الرحمن بن هرمز الأعرج أو نصر بن عاصم فلينسحب صحيح لأن عبد الرحمن أخذ عن أبى الأسود ويقال عن ميمون الأقرن والصحيح أن أول من وضع النحو على بن أبى طالب رضى الله عنه لأن الروايات كلها تسنده إلى أبى الأسود وأبو الأسود يسند إلى علي فإنه روى عن أبى الأسود أنه سئل فقل له من أين لك هذا النحو ؟ فقال لقلت حدوده من علي بن أبى طالب (١) .

٣ — ولنعد إلى إثبات نسبة وضع النحو إلى علي التي ينفيها الفاضل الدكتور تمام يقول الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد (وإذا قيل في قضائه لم يكن أقضى منه بين أهل زمانه صح أن يقال عن علم النحو أنه

(١) نزهة الألباء في طبقات النحاة والأدباء لابى البركات الأنبارى ص ١٤٤ ، ١٤٥ .

[٢] عبقرية الإمام الأئمة ذ عباس محمود العقاد ص ١٨٢ ط داو الهلال

(٣) تاريخ آداب اللغة العربية للأستاذ مصطفى الرافعى الهامش للأستاذ محمد العريان ج ١ ص ٣٣ .

الذى أخذوه عن اليونان بل وأطروا ثقافة بعض من علماء السريان مثل حنين بن اسحاق. ثم ما هو المانع لمؤرخي السريان أنفسهم أن يسجلوا هذا الاقتباس أو النقل ويفخروا به لو كان صحيحا ؟؟ .

نعم إن بعض المستشرقين أشاروا إلى هذا الاقتباس أو النقل من النحو السرياني إلى النحو العربي ولكن الكلام معهم كالـ كلام مع الدكتور تمام مع أن منهم من يقول إن نشأة النحو عربية وإن تقسيم الكلام إلى اسم وفعل وحرف تقسيم عربي خالص . ولست الفاضل الدكتور تمام دعم ظنه بشاهد من نحو اللغة السريانية وحدد وجه التشابه بينه وبين مثيله من النحو العربي . وأحب أن أوضح أن البحث عن نشأة النحو في الصدر الأول عصر على وأبي الأسود ومن في طبعتهما . ولا إثبات أن تقسيم الكلام إلى ثلاثة أقسام تقسم عربي وأن نشأة النحو في الصدر الأول نشأة عربية نستدل بما يلي عن أحد كبار المستشرقين .

يقول الأستاذ ليمان Littmann اختلف العلماء الأوربيون في أصل هذا العلم ففهم من قال إنه من اليونان إلى بلاد العرب وقال : آخرون ليس كذلك وإنما كما نبتت الشجرة في أرضها ، كذلك بلت علم النحو عند العرب وهذا الذى روى في كتب العرب من زمن

يتفرع لفنون البحث والدراسة يتأمل كل ما سمع ويراجع كل ما قرأه من بقاءه ويستطلع أنباءه وآراءه وقضياه ومهما يكن قسط الثقافة العالمية قليلا في بلاد الإسلام على تلك الأيام ففيه ولا ريب الكفاية للعقل اليقظان والبصيرة الواعية (١) وما سبق نرى أن ما ذكره الفاضل الدكتور تمام من افتراضات يكتنفها الغموض ولا تستند إلى مصدر ثبت . والقول بأن نسبة النحو إلى على بن أبى طالب من وضع الشيعة لم ولن يكفى لنفى ما سجله التاريخ من قيام على بأوفر سهم في نشأة النحو العربي .

بقى لدينا مدى تأثير النحو العربي بالنحو السرياني وقد أخذ هذا قدراً كبيراً من بحشه فقال في صفحة ٥٥ (والظن عندي أن واضعى النحو قد أخذوا التقسيمات السريانية أو قلدها فجعلوا كلامهم اسماً وفعلًا وحرفًا كما جعله السريانيون قبلهم) .

ومع تقديرى لهذا الظن أحب أن أسأل هل يوجد مصدر عربي أو سرياني يؤكد هذا الظن ؟ أما المصادر العربية التى راجعتها فلم تشر إلى شيء من هذا النقل أو التقليد . ومن المؤكد أن المؤرخين العرب كانوا على جانب كبير من دقة الملاحظة وأمانة النقل . ولقد أشادوا بفضل الطب والفلسفة والمنطق

هكذا في كتب الفلسفة لاني كتب النحو .
أما الكلمات اسم وفعل وحرف ، فإنها
اصطلاحات عربية ما ترجمت ولا نقلت^(١) .
وهذا الرأي يؤكد أن نشأة النحو العربي
وتقسيم الكلام إلى ثلاثة أقسام عربية محضة
وهو يتفق مع ما ذكرته المصادر العربية ،
وموضوعنا هذا هو نشأة النحو كما أسلفنا ،
فأما ما قد يكون اتفق لبعض النحاة بعد
الصدر الأول من الاطلاع على بعض اللغات
القديمة وتأثير ذلك في آرائه في النحو العربي
فلا ننفيه

وآخرأ وليس أخيراً فإن الفاضل الدكتور
تمام قد أفادنا بمعلومات قيمة في بحثه وسيكون
من المصادر المهمة عن نشأة النحو العربي .

هارود أصحمر العطاس

ونحن نذهب في هذه المسألة مذهبا وسطا
ونقول كما أثبتته العالم (Josph, Blanc)
وهو أن العرب أبدعوا علم النحو في الابتداء
وأنه لا يوجد في كتاب سيويو إلأما اخترعه
هو والذين تقدموه ، ولسكن لما تعلم العرب
الفلسفة اليونانية من السريان في بلاد العراق
تعلوا شيئا من النحو، وهذا النحو هو الذي
كتبه ارسطاطاليس الفيلسوف ، وبرهان
ذلك أن تقسيم الكلمة يختلف عما قاله سيويو
فالكلام اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس
باسم ولا فعل .

وهذا التقسيم أصلي ، أما الفلسفة فتقسم
الكلام إلى اسم وكلمة ورباط . أى الاسم
هو الاسم والكلمة هى الفعل كما في اللغات
الأوربية (verb) والرباط هو الحرف كما
يقال في اللغات الأوربية . هذه الكلمات
اسم وكلمة ورباط ترجمة عن اليوناني
إلى السرياني ومن السرياني إلى العربي وسميت

(١) ضحى الإسلام للدكتور أحمد أمين ج ٢
ص ٢٩٢ ، ٢٩٣ .

أبناء الثقافة

- من أبناء الجزائر أنه عشر على أصغر مصحف في العالم ، وجد في زجاجة صغيرة ملقاة على رمال الشاطئ* في مدينة الجزائر . وحجم هذا المصحف سنتيمتران طولاً في سنتيمتر ونصف عرضاً
- * يشتغل الأستاذ بطرس البستاني الآن بترجمة الإنجيل إلى اللغة العربية ، عن اللغة اليونانية مباشرة . وقد أوشك على الانتهاء من الترجمة ، وراعى في ترجمته استخدام الكلمات والتعابير المتداولة الآن في اللغة العربية .
- * أصدرت دار الكتب المصرية قائمة بليوجرافية - مكتبية - القومية العربية الاستعمار ، الصهيونية ، الشيوعية . مع ملحقات بأسماء المؤلفين لكل موضوع على على حدة مرتبة على الحروف الهجائية . وتشمل القائمة أسماء المراجع الموجودة في الدار بمختلف اللغات .
- * صدر في القاهرة الجزء الرابع من تاريخ ابن إياس المعروف باسم « بدائع الزهور في وقائع الدهور » يتضمن هذا الجزء تاريخ مصر من سنة ٩٠٦ إلى ٩٢١ (١٥٠١ م) ١٥١٥ م .
- أشرفت على إصداره ، ٩١١ صفحة ، جميعة المستشرقين الألمانية وقام على تحقيقه الدكتور محمد مصطفى .
- وكان في الإمكان إخراج الكتاب على تحقيق أكمل وبغاية أتم من الصورة التي أخرج بها .
- * يقوم المستشرق الألماني الدكتور رومر بنشر سلسلة من المخطوطات التي تبحث في تاريخ مصر في العصور الوسطى .
- * نشر المجمع العلمي العربي في دمشق ، بتحقيق الدكتور شكرى فيصل ، كتاب « فريدة العصر ، الأصهباني .
- * تقوم وزارة الثقافة في إقليم الجمهورية العربية المتحدة بإصدار دائرة معارف تقع في خمسة عشر مجلداً ، في كل مجلد منها ألف صفحة .
- * يصدر الأستاذ سعد عفرة كتاباً مصوراً عن الآثار الفرعونية والقبطية والإسلامية في الإقليم الجنوبي من الجمهورية العربية المتحدة ، يضم ٤٠٠ صورة ملونة عن هذه الآثار .
- وسيطبع الكتاب في سويسرا باللغات العربية والانجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية .

الأزهر رسالة من الدكتور عبد الله العقيل المقيم في هامبورج بألمانيا الغربية يشكو فيها من أزماته النفسية ويرجو من فضيلته أن يرسل له مؤلفاته . فأمر فضيلته بإرسالها له .

وتلقى فضيلته بعد ذلك رسالة شكر من الدكتور العقيل يقول فيها إنه شفى من أزماته النفسية بعد قراءته كتب فضيلته .
* انتهت من عملها اللجنة التي سافرت إلى المملكة العربية السعودية لوضع منهج جامعة الملك سعود ، فيها .

كانت اللجنة مكونة من الدكتورة مديري جامعات القاهرة ، والإسكندرية ، وعين شمس ، ودمشق ، وعميدى كليتي الحقوق والتجارة بالقاهرة .

* من أنباء الكويت أنه تتخذ فيها العدة الآن لإنشاء جامعة كبرى بها تسير على أحدث النظم العلمية .

* تشتغل بعثة دائمية بالبحث عن الآثار في البحرين ، وقد عثرت في منطقة قلعة البرقال ، بالمنامة على آثار ترجع إلى عهد إسكندر المقدوني .

* طلب عدد من الدول الإفريقية التي استقلت حديثا إلى الجمهورية العربية المتحدة أن تهدي إليها عددا من المصاحف . وقد بادرت الهيئات المختصة بتلبية رغبتها .

* يقوم المستشرق الألماني فاجنر بتحقيق ديوان أبي نواس ، وتصدر في ألمانيا ، طبعة جديدة من الديوان .

* صدر ، بالفرنسية ، مؤلف يجمع مختارات من الآداب القديمة والشعبية لثقافات العجم والعرب والهند والصين واليابان وتايلاند وكبوديا وأندونيسيا .

قام بتأليف هذا الكتاب الباحث الهندي ألدون هينجرا وتصدر له طبعة أخرى بالانجليزية في الولايات المتحدة

* بدأت وزارة التربية والتعليم في الهند تضع برامجها لتنفيذ مشروع يجعل التعليم إجباريا لجميع أبناء البلاد من الجنسين حتى سن الحادية عشرة .

* أعلن المجمع العلمي في العراق عن عدة جوائز لأحسن المؤلفات في بعض الموضوعات . منها : « تقريب العامة من الفصحى » و « أصول الأدب العربي » .

* صدر في بيروت كتاب جديد للأستاذ لييب الرياشي هو : « نفسية الرسول العربي » .
* أنشأت حكومة غانا معهدا في العاصمة : « أكرا » . وقررت إنشاء مركز آخر

في كوماس ، عاصمة الإقليم الأوسط من الجمهورية ، والمعهدان يقومان بتدريس اللغة العربية لأبناء غانا .

* تلقى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع

الوسطى بأندونيسيا إلى وزارة الثقافة بعض الكتب عن الثقافة العربية المعاصرة والقديمة لترجمتها إلى الأندونيسية .

* تصدر الإدارة العامة للثقافة بوزارة الإرشاد في الإقليم الجنوبي سلسلة كتب جديدة عن الحضارة المصرية ، يصدر منها جزء كل شهر وتمناول الحضارة المصرية من مهدا حتى العصر الحاضر .
* يعقد في دمشق بين ١٣ - ١٩ نوفمبر القادم مهرجان الإمام حجة الإسلام الغزالي بمناسبة مرور ٩٠٠ سنة على مولده (ولد في سنة ١٠٥٨ هـ) .

وقد اختارت مشيخة الأزهر الأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود أستاذ الفلسفة في كلية أصول الدين لتمثيل الأزهر في المهرجان .

* يقام ما بين أيام ٤ - ١٠ أكتوبر القادم في مدينة القيروان بالمغرب احتفال بذكرى مرور ألف ومائة سنة على إنشاء جامعة القيروان .

وقد أجابت مشيخة الأزهر الدعوة التي وجهت إليها للاشتراك في الاحتفال ، وتقرر أن يمثلها فيه فضيلة الأستاذ الشيخ محمد نور الحسن وكيل الأزهر والأستاذ الدكتور محمد البهي المدير العام للثقافة الإسلامية .

* يصدر قريبا كتاب : « تاريخ الفاطميين في مصر » ، لأن الدواداري السوري المصري يشرف على تحقيقه وطبعه الدكتور صلاح المنجد مدير معهد المخطوطات بالجامعة العربية .
* عقد في موسكو يوم ١٩ أغسطس الماضي

ومن هذه الدول : النيجر ، والصومال ، وتوجلاند ، والسنگال .

* صدرت عن إدارة الثقافة بوزارة الثقافة والإرشاد بالإقليم الجنوبي سلسلة كتب هدفها تيسير الثقافة العربية وتعليمها للقارئ في أسلوب عصري وعنوان هذه المجموعة هو « مختارات من تراثنا » وتشمل الكتب الآتية : مقدمة ابن خلدون لإخراج رمضان إبراهيم وكتاب الصناعتين لإخراج محمود أبو ربه ، وثمرات الأوراق لإخراج يعقوب عبد النبي ، وحسن المحاضرة لإخراج محمد محمود صبح ، والمستطرف لإخراج محمد عبد الطيف الخطيب ، وولاية مصر وقضاتها لإخراج إبراهيم العدوي .

* * *

* صدر في دمشق كتاب : « ملخص أبطال القياس والرأي والاستحسان » ، لابن حزم الأندلسي ، بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني الأستاذ في جامعة دمشق .

* صدر الجزء الأول والثاني من كتاب « الدين الخالص للسيد محمد صديق حسن القونجي البخاري ملك بوهبال وصاحب المؤلفات الكثيرة » ، بالربية والهندية والفارسية . المتوفى سنة ١٣٠٧ هـ .

وقد طبع هذان الجزءان على نفقة صاحب السمو الشيخ علي بن الشيخ عبد الله آل ثاني حاكم قطر .

* طلبت لجنة التأليف والترجمة بجادة

إنشاء المعهد على أن يوضع ذلك تحت إشراف الأزهر .

وسيحضر من طلبة السنغال عدد لثاني العلم في الأزهر على أن يقوموا بعد ذلك بالتدريس في المعهد الجديد الذي يقبل الطلبة من جميع الدول الأفريقية ويعلمهم بالجمان .

* بدأ في ٢٠ سبتمبر الحالى امتحان طلبة معهد الإعداد والتوجيه التابع لإدارة الثقافة الإسلامية في الأزهر .

والمعهد يضم خمسة أقسام تدرس فيها اللغات الانجليزية والفرنسية والالمانية والأردية والاندونيسية لطلبة الأزهر وخريجيه . والمتخرجون في المعهد يرسلون في بعثات ثقافية أو تعليمية .

* أقيم فيما بين يومى ١١ ، ١٧ من شهر سبتمبر في دمشق مهرجان الشعر العربى الثانى برئاسة السيد كمال الدين حسين رئيس المجلس الأعلى للأدب والفنون واشتركت فيه طائفة من شعراء إقليمى الجمهورية وباحثيها .

وألقيت كلمة للأستاذ عباس محمود العقاد تضمنت دفاعا عن الشعر التقليدى ودعوة للحرص على قافية الشعر العربى وأوزانه .

واشترك في المهرجان من الدول العربية مندوبون من السودان والجزائر وفلسطين والمغرب واليمن .

مؤتمر المستشرقين ، وقدم الأستاذ أمين الخولى إلى المؤتمر بحثا عن الصلات التاريخية والثقافية بين نهري النيل والفولجا .

ويتضمن بحث الأستاذ الخولى آراء جديدة في تاريخ حكام مصر من المالك وأصلهم وجنسياتهم .

* نشر المجمع العلمى العربى في دمشق الجزء الأول من كتاب « الإبدال » لأبى الطيب اللغوى ، بتحقيق الأستاذ عز الدين علم الدين التنوخى . كما نشر : « رحلة أحمد ابن فضلان إلى أرض روسيا والبلغار ، بتحقيق الدكتور سامى الدهان .

* قررت حكومة مالى - الدولة التى نالت استقلالها حديثا في غرب إفريقيا - تدريس اللغة العربية إجباريا في المدارس الثانوية ، واختياريا في المدارس الابتدائية .

* نشرت مجلة : « دعوة الحق » المغربية أنه قد افتتح في استامبول معهد عال للدراسات الإسلامية ، مهمته تخريج مدرسين لتدريس الدين الإسلامى في المدارس التركية ووعاظ وأئمة في المساجد .

* ينشأ في خلال العام القادم معهد للدراسات الإسلامية والعربية في السنغال ، بعد استقلاله ، وقد اتصل المسئولون في السنغال بالجمهورية العربية المتحدة للمساعدة في

satisfied with external acts of devotion. He believed that the real faith lies in the spirit. He cites for instance that a grain of genuine piety is better than a thousand weight of fasting and praying.

Rabaa El-Adawia, a woman, is another sufi whose words are still remembered despite the centuries that separate us from her. Her sufism was an unbounded and enduring love for God, a love neither prompted by the promise of heavenly reward nor sought out of a dread of eternal fire, but pure and untainted, inspired only by his eternal beauty.

Muhyi Eldin El-Arabi who lived in Spain and was the author of several works on sufism, namely the "Ifada" or information, speaks of the fundamental branches of knowledge, God, the rational world, and the world of senses.

In 1201 he published a collection of poems under the title "Turguman El Ashwaq" or Interpreter of love". Later he wrote a commentary on the same work in order to refute the

accusation of extolling the pleasures of the flesh in the place of divine love.

On the Persians sufism had a stronger appeal than on the Arabs, and indeed its influence on Arabic literature, though great, is not to be compared with the extraordinary hold it has exercised on Persian thought from the IIth century to the present day.

Ibn El Farid, for example, earned the title of "Lord of all lovers" among the suffis of Persia, and many of their teachings can be traced to him, as well as to Muhuy Eldin El Araly. Awhad Eldin El Karamany in the seventh, and Abdel Rahman El Agamy in the ninth, century, owe a great deal to them.

Sufism, as Sahrawardi says "is neither the creed of poverty nor that of ascetism. It embraces both and something else besides. It introduced a spirit of exaltation in Arabic literature, a spirit that purifies the heart while at the same time it sustains the soul against all earthly pollutions.

THE INFLUENCE OF SUFISM ON THE HUMAN LITERATURE AND THOUGHT

BY

Dr. Gamal Addin Arramadi

Sufism is a form of pantheistic mysticism within Islam. The word "Sufi" is derived from the word "Suf" which means wool. Sufistic people were accustomed at the dawn of sufism to be clad in wool. The quintessence of sufism is to take the way of truth, and salvation, to be assiduous in piety, to be indifferent to all the pleasures and follies of mankind, to renounce wealth, power, and ambition, and to pick the threads of a lonely life, thinking of nothing but heaven and leading calmly a life devoted utterly to the service of God.

Some researchers noticed the roots of sufism in the life of Mohamed the prophet. In reality Mohamed was not a sufi, but he led a spiritual life which met in many respects with the mottos of sufism. For instance he says: "Be indifferent to the world to be beloved by God, and be indifferent to that in the hands of people to be beloved by them.

In this way the point of view of Mohamed meets with that of sufic people, but it is essential to refer to the fact that sufism is not only an Islamic Feature. It is known in Christianity and other religions. Vaughan in his book: "hours with mystics" noticed many resemblances between the beliefs of sufic people and those Christianity such as Tauler, Eckhart, and St. Therese.

Nicholson sum up the sources of sufism in christianity, New platonism, Gnosticism, and Buddhism. He adds that the speculative and philosophical side of sufism, spread out through Egypt and Syria bore remarkable signs of Hellenistic influence.

Hassan of Basra was one of the famous suffic people who left to the Arabic Literature and thought an immortal inheritance. He attached much importance to spiritual righteousness and paid no heed to the follies of life. He was not merely

being governed by human infancy and to subjugate these actions to the guidance of maturity to keep for man his peculiarities and to save his dignity and superiority.

When Islam says "we have honoured the sons of Adam." it doth really mean that it has give man significant human traits to distinguish him from all other creatures Really God on sending his messengers to the peopls, He was aiming at enabling the people to seek the right path by their help, the path which leads them to follow these traits in their personal behaviuor and in their dealing with others.

If it is admitted that the meaning of social development is such as that we have previously mentioned, and if the requirements of the age is looked upon in the light of social development we undoubtedly shall find out the Islam is a source of drive to the advancement of social development and a source of appreciation to the requirements of the age which shall push forward the wheels of progress.

But if social development is meant to be a call to a certain political institution or to back a certain political ideology, Islam has nothing to do with such trends. It is an independent institution which fits in with any other iustitution which agrees with it in the aim and the plan to realise that aim. It does not accept as well any other institution wich doth differ from it in both the aim and plan.

If on the other hand, the requirements of the age are taken to be ce tain behaviours and actions as uisualised in certain societies which are existing to-day it will be more appropriate befor announcing the judgement of Islam and its attitude towards such tendencies to discuss fully the aims and obgectives of such tendencies.

In a word Islsm is the light which guides to the right path. The right path is the road leading to the realisation of humane objectives such as love, bratherhood. co-opration and mutual friendships.

them in both his behaviour and actions.

Islam came to raise man from the stage of infancy and ignorance to the stage of maturity and knowledge. It came to develop the human sense in man as well as the social sense. The human sense is nothing but the social solidarity, the co-operative relations amongst individuals based upon love and sympathy. We have already seen that primitiveness doth mean the disintegration of all ties binding the individuals together or doth mean the predominance of egoism and individuality or doth mean in other words the rule of animality and instincts over all the other traits of man which distinguish him from the other creatures which are living, moving and struggling for existence.

Islam came to urge people to co-operate "Help you one another in righteousness and piety, but help you not one another in sin and rancour." (Surah. 5, Vs. 3). It also came to urge people to be righteous "It is not righteousness that ye turn your faces to the East and the West; but righteous is he who believeth in Allah and the Last Day and the angels and the scripture and the prophets; and giveth his wealth, for love of Him, to his kinsfolk and to orphans and the needy and the way-

farer and to those who ask and to set slaves free. It urges people to be good in their treatment to each other "If you did well, you did well for yourselves. If you did evil (you did it) against yourselves." (Surah, 17, Vs. 7). It order people to be righteous and just in their dealings with their wives "Either take them back on equitable terms or set them free on equitable terms." [Surah: 2, V. 231]. It urges people to stick to justice "Whenever you speak, speak justly, even if a near relative is concerned; and fulfil the covenant of God." (Surah. 7, V. 152). It stresses the importance of safeguarding humanity against tyranny and injustice "And let not the hatred of others to you make you swerve to wrong and depart from justice. Be just: that is next to piety" (Surah. 5, Vs. 9).

By so doing Islam was pushing forward the social relations and social development towards maturity. However the message of Islam is nearly limited in realising two ultimate ends: the curbence of egoism and the inhibition of individuality on one hand and the awakening of the common feeling and the development of social relations on the other hand. The message of Islam aims at saving human actions from

Such reasoning makes it quite clear to our minds why we worship one God and why it is incumbent upon all people to submit to the guidance of one leader the guidance of God.

This natural principle, the principle of contrast guiding our existence makes it incumbent upon us to worship one God. We all seek to complete ourselves and we can only achieve that end by applying that principle which is the origin of harmony in life. No doubt it is the ultimate wish of man to be harmonious with himself and with all the folk around him whether in his own domain or in the public domain.

The industrial development in our time if it is in the service of humanity it will be as well in the service of social development. Thus if it realises both ends, it will be one of the requirements of the age. To be in service of humanity means to allow man to keep his mastery and not to be enslaved by the machine. This implies that man should make use of the machine to raise his standard of living, to better his social status, to mitigate the maladies, to combat ignorance and illiteracy and to propagate enlightenment and knowledge of life. He should not be at all a submissive slave to the machine, subjugated to its influ-

ence and reduced to slavery and bondage under its impact. If he fails to keep his mastery and liberty as a result of its interference in his life then it will be a source of choos and anxiety and it will stand as a stumbling block in his way hindering the realisation of the ultimate aim of social development which is co-operation, love and friendship between all people.

The attitude of Islam towards social development according to the requirements of the age.

Islam is a heavenly message revealed to human beings living on this earth. It is the word of Allah sent to humanity at large without any discrimination between arabs and non arabs. It is a message for all people. It is addressed to everyone without any distinction to guide humanity to the right path leading to the realisation of the full sense of humanity in man's life

If the ultimate aim of humanity in its full sense is, as we have mentioned before, to make people join one another love one another, be brothers and co-operate with one another it is the message of Islam to awaken these good points and to develop them and to convince man to keep these ideals and to follow

be in need of the other. None of them will feel that he lacks something which the other can satisfy. Thus the equality in the will between man and woman is a reason for separation and disunity and not a reason for agreement and attraction although there is a contrast between them from the point of view of manliness and womanhood.

The similarity between man and woman in the form of the body corporeal features and physionomy is another cause of disunity in spite of the contrast between them as a male and a female. The woman doth want a man who stands in psychological and physical traits in contrast to his.

Their meeting on that basis will be then natural. The mutual sympathy will of course emanate as a result of such natural meeting. I wonder if there is a man who wishes to marry a woman with a manly muscles or who likes to have as his wife a woman who is deprived of all feminine emotions and who has the iron will of an experienced man who has gone through the ups and downs of life and who has been trained by facing the situations and hardships of life. I wonder as well if there is a woman who aims at having a husband whose physical constitution is womanly and frail, a husband who is gover-

ned by his whims and who is always hesitant in all his acts and deeds, prejudiced unsteady and easily moved like a feather in the face of wind.

The idea of having a president or a leader in the society to guide and to lead the society is in fact a natural consequence to the application of the principle of contrast. This principle emanated to satisfy a necessity for whenever there is a herd there must be a shepherd to look after them and whenever there is a leader or a president there must be subjects to be guided by his directives and to follow his leadership. If it happened that all the individuals yearn to be heads and leaders then there would be no order and nothing would reign but chaos and struggle and if it happened that all the individuals admitted to be followers without a leader to plan and direct there would be no society and there would be no common cause to unite their efforts add to make them march towards one target and to make them work to attain a common purpose. As such there would be no relations to tie them together and there would be nothing but friction, war and struggle.

subject to the wishes proposed by certain writers or thinkers who endeavour to guide the society towards realising them.

Thus sectarianism, partisanship, fanaticism, bigotry and tribalism could not be considered as requirements of the age.

The emancipation of woman in the sense of enabling her to fulfil her duties as a mother in the family and as a member in the society who is shouldered with certain responsibilities derived from her natural status in the society, is no doubt one of the requirements of the age. The call to the co-operation of both husband and wife, to the prevention of tyranny and the subjugation of the powerful to the weak, to righteousness and good behaviour in their dealing with each other, is as well a requirement of the age. The call to curb from misusing one's rights in treating one's neighbours or in dealing with them is also one of the requirements of the age.

On the contrary the call to the emancipation of woman in the sense that it would be treated as a man in the guise of a woman is not a requirement of the age because it is against the nature of the woman itself and against the aims of the social development. It is against the aims of social growth because

love, friendship and co-operation amongst individuals which are the ultimate ends of social development can not be realised except when there is harmony or agreement between the individuals at first. Such harmony will be developed by the lapse of time into friendship, love and co-operation. The harmony however does not happen between two who are completely similar. The more they differ, the more there is certain points of contrast between them the more they are liable to sympathise with each other and to harmonise with each other. That is simply because every one of them will be then in obvious need of the other. Everyone of them has something which the other lacks. By coming in touch they will complete each other. This asserts the principle of compensation which is a recurring principle in life because it responds with another principle that is the principle of dualism which is the origin of life itself: the doer and the done, the active and passive. But for this dualism and but for the contact of the doer and the done, the passive and the active, none would have met in life at all and none would have shown harmony with each other.

The close similarity is in fact a cause to friction and combat and not a cause to attraction and harmony. On being similar none of them will

bind them and begin to work together collectively with a co-operative sense and mutual care and love for each other, to unite in face of any danger or crisis from within or without, to differentiate between what should be done and what should be left to make such co-operation effective and if such family is full aware that it has a common purpose that is to keep their family strong and united in the face of other families, that will mean that the social conscience of such family has arisen and is paving the way to realise its end gradually and through stages. At every stage such conscience becomes stronger until it reaches maturity wherein they become one block or unit.

If a mutual response takes place between two or more families in their relations and if in the meantime they agree to work for one purpose then the big society will be created. As well when such mutual relations extend to embrace numerous families and so many individuals and when they are bound with a common tie, the human society at large will be going ahead in the way of asserting its existence and revival.

The social development in the light of the aforesaid premises paves its way in two directions : It aims

at extension and enlargement at one-hand and at attaining depth on the other hand. The social growth while it aims at embracing so many individuals it seeks to deepen the relations amongst the individuals and to strengthen their mutual human ties. The depth of individual relations and the strength of human ties appear in their fruitful co-operation and in love and brotherhood. In other words they appear in their endeavour to realise the human aims which are the freedom from the ferule of animality, the command of instincts and the Predominance of infancy.

The requirements of the age.

However, if the social development is the liberation from the rule of animality, instincts and human infancy is the freedom from the command of individuality an egoism, the requirements of the age will be another factor in the social growth if they prove to be helpful and inciting to such liberation. Hence the development will be considered as pushing through normal paths to attain its end that is the assertion of humanity with all its known traits of love, sympathy and mutual friendship amongst its individuals.

Thus the definition of the requirements of the age is subject to the definition of the meaning of social development. It is by no means.

guidance and education. Thus their relations never tend to Peace except when a weak individual faces a strong man. They never come in contact with each others in their dealings except by sheer coincidence when they meet in their search for sustenance to heap them alive or in their hankering after pleasures to satisfy the call of the flesh In fact there are no relations whatsoever amongst the individuals of such a group except in their struggles and contacts to attain the aforesaid ends. They have no family relations. No fatherly or motherly or filial relations exist among them. They have no other ties as such which depend upon common blood, mental and material inheritance and the status of the family. Although, the individuals give birth to children as a result to sexual indulgence between the male and female which is a natural reaction between the two different sexes, they are so doing without the innate feeling of familial kinship. In other words they never feel that it is incumbent upon them to look after their sons and their wives. They are deprived of any sense of sympathy. They are aimless and have no common purpose to live for such as the maintenance of the family by trying hard to supply it with food,

to defend its individuals against famine and annihilation and to keep its existence by all means. On the contrary the father almost attacks the mother as well as the son in their search for food. In a likewise manner the brother wages war against his brothes. In his sexual indulgence he never knows any limit or any forbidden degrees of consanguinity. He marries his mother, his sister, as well as any other woman without any heed to the illegality of such deed and without paying any care to the traditions of the society which forbid such intercourse. Thus polygamy is practised without any limit and there is no any degree of forbidden marriage. We can go too far to say that the offsprings of a certain from the so many women he marries are countless and hardly recognisable.

When individuals begin to set limits for their mutual relations and to feel conscience of the scope within which they display such relations. Then it is the beginning of the rise of a society. The more the relations are limited, the more the scope of its displayment is clear, the stronger the society becomes - for under such circumstances the aims and purposes become likewise so clear.

If the members of a family realise the common relations that

ISLAM AND SOCIAL DEVELOPMENT

by

Dr. Muhammad El Bahay

Director General of The Islamic Culture
Administration

It seems appropriate before dealing with such a subject to explain what is meant by social development in the light of the requirements of the age.

The meaning of social development.

The social developemet is the development of the mutual relations amongst the individuals in a way to ensure that social welfare is no less in the individual's consideration than his own or in other words that the care the individual takes for his fellow individual is no less than his care of himself. Thus the social development is the growth of the mutual relations amongst individual in the fields of reciprocal sympathy and co-operation in fruitful deads which realise the common weal of the people at large instead of letting loose the individualism and egoism to guide the affairs of the people for individualism and egoism are the characteristics of the childhood of both the individual and the society.

To understand the real meaning of social development we have to pay a retrospective glance upon the status of the primitive peoples who are unconscious of the mutual relations and mutual co-existence amongst the individual. Those primitives who have not yet realised the common purpose at which th People should aim and to which they should work to establish a society to unite them all. To maintain such a society they have to work together to realise its aim and to co-operate to keep it alive.

However, a primitive man never Co'operated with his fellows to build a society. He is only looked upon as one in a groups wherein the relations amongst the individuals are governed only by egoism and the instincts of self existence and self - defence. They have nothing to do with the social instincts inherent in man because they have failed to develop them through lack of

as well as its own discoveries not to stick altogether to what predecessors had bequeathed. So they pondered, searched, verified, chose and ultimately invented. By so doing they had been masters of all scholars and were worthy of God's description : " you are the best of peoples, evolved for mankind, enjoining what is right, forbidding what is wrong ", (Surah, 3, V. 110).

Our hope for a new scientific renaissance.

This is the rôle of Knowledge in the construction of society as ordained by the holy Qur'an. Therefore I earnestly hope that time would bring the Muslims once again to an era of vigilance and awakening : an era full of progress and good understanding in order to make up for the sordid past, lead a course of dignified life as set by their fore - fathers

and realize that Knowledge has been the first and foremost element in their mastery and strength. They must Know that their humiliation and backwardness are due to ignorance and the wasting of time in false theories, illusive hypothesis, fancies and superstitions.

I strongly feel that scientific renaissance would take place through the unflagging efforts of the sincere and persistent individuals who devote their life to extirpate the seeds of illiteracy and realize the welfare for their people in a bid to live prosperous and happy, and never feel the pains of adversity or develop a sense of inferiority. Thus dignity and honour will be as God wished them to be : " For God and His messenger and the believers " (Surah. 63, Vs. 8).

Thus God equalizes the blessing of man's creation and that of knowledge as a hint that the ignorant man has no real existence in this life. To exalt *the pen* and its rôle in the field of knowledge. God the Almighty has sworn by the pen when He refuted the grievous charge that God's messenger was mad. In this connection He says : " Nun. By the pen and by the (record) which men write, - You are not, by the grace of your Lord, mad or possessed" (Surah. 68, Vs. 1 — 2).

The Pen is not confined only to the knowledg of religion.

As God demands reading as such He also demands knowledge as such without any limitation to certain branch of knowledge ; " Are those equal ; those who know and those who know not. " (Surah. 39, V. 9). This unlimitedness guides us that *knowledge* from the Qur'anic point of view is not confined to that of religious injunctions. It goes to any branch of information that may benefit man and help him in the great mission he is shouldering since his creation. He was appointed viceregent on earth to inhabit it, to extract its treasures and explore God's secrets therein.

Knowledge, however, comprises all branches of science such as batany, agronomy, veterinary, economy

and investment of properties. It also includes industry and industrial resources, medicine and its implications, warfare and so forth. The Qur'an has ascertained this attitude and made knowledge as such a principal element in the life of the Muslims.

Our ancestors conceived the value of knowledge in all its aspects.

The early Muslims had conceived the value, significance and enivtability of knowledge and the role it can play in the creation of individual as well as universal happiness. Though they had been an illiterate people yet they were so ardent to expunge all signs of illiteracy that they released any prisoner who could teach certain number of the children of the Muslims how to read and how to write. Furthermore they considered the memorization of the holy Qur'an as a dowery in marriage.

It is advisable to say that Knowledge has elevated and honoured the ranks of those who have no social background or wealth or authority. And if we go back to the past to consult history we will find books of outstanding merit, Islamic and non - Islamic alike. These bear witness that early Muslims were characterized by their profound academic concentrations and that each generation had had its own method

lutes the bonds of co-operation and terminates dignity and authority other than ignorance and illness. These two defects are the sources of all evils and the omen of destruction and annihilation.

Islam launches a war against ignorance :

This is simply why Islam has taken great interest in all means which purges society of ignorance and illness. It combats ignorance in all its aspects. It combats the most heinous form of ignorance represented in polytheism by means of implanting the seeds of monotheism in men's hearts, of drawing their attention to its signs and evidence and of urging them to think of and scrutinize in these signs to believe that greatness is God's only and to proceed on the way leading to perfection without being hindered by any false greatness.

Islam also combats another form of ignorance that is blind imitation and therefore it has denied man's dependence on any authority other than his own mind and will, and has blamed him for his stagnant attitude towards dogmas, knowledge, illusion and superstition bequeathed by his forefathers.

Learning of writing and reading:

It tackles illiteracy by recomm-

ing the learning of reading and writing, and by exalting the status of education. Here we should stop for a short while just to see to what extent Islam cares for putting an end to illiteracy. It is quite enough for us to assure this argument to observe that the first Qur'anic verse sent down from God to His messenger Mohammed was this glorious verse which reads as follows : "Read in the name of your Lord and Cherisher, Who created-created man, out of a (mere) clot of congealed blood : Read ! And your Lord is the Most Bountiful, He Who taught (the use of) the pen." (Surah. 96, Vs. 1-5).

In this verse God the Almighty commands His messenger to read. And it is noteworthy to state that reading is the means by which man can attain glory and knowledge. Next He guides him to pray in the name of the Lord for succour because He is the Bestower of education and its means on all human beings. Then man can realize that knowledge has a significant status in life. Finally He mentions man's creation and of what he was made combining this with the blessing of knowledge as He says : " Who taught (the use of) the pen. Taught man that which he knew not." (ibid V. 5).

and wisdom. Many Qur'anic verses guide us to such wisdom such as the following verse which deals with the initiation of man. This respective verse reads as follows: "Behold, your lord said to the angels: 'I will create a viceregent on earth.' They said; 'will you place therein one who will make mischief therein and shed blood? Whilst we do celebrate your praises and glorify your holy (name) ?' He said: 'I know what you know not.' And He taught Adam the nature of all things; then He placed them before the angels, and said: 'Tell Me the nature of these if you are right.' They said: 'Glory to you: of knowledge we have none, save what You have taught us: in truth it is You Who are perfect in knowledge and wisdom.' He said: 'O Adam! tell them their nature.' When he had told them, God said; 'Did I not tell you that I know the secrets of heavens and earth, and I know what you reveal and what you conceal?" (Surah 2, Vs. 30-33).

Through such a logical discourse, the wisdom of man's creation was clearly conceived by the angels and they recognised man's superiority over all creation. In this connection God the Almighty says: "It is He Who has made you (His) agents, inheritors of the earth: He has raised you

ranks, some above others: that He may try you in the gifts He has given you." (Surah. 6, Vs. 165).

"Believe in God and His messenger, and spend (in charity) out of the (substance) whereof He has made you heirs." (Surah. 57, Vs. 7); "O David! We did indeed make you a viceregent on earth: so judge you between men in truth and (justice)." (Surah. 38, Vs. 26).

Knowledge and Health:

If what we have just mentioned has been the mission of man in life, the wisdom of his creation, of bestowing on him faculties of knowledge and action and of rendering the universe subservient to him, then he should fortify himself by knowledge to distinguish good from evil, the useful from the harmful and the constructive from the destructive - and protect himself by sound health to integrate his mind, maintain his activities and render his efforts fruitful.

Knowledge and health thus are two elements inevitable for men to lead a perfect life in order to realize the wisdom of the Creator in His creation. All beings, however, are dependent on and in need to both knowledge and health. In as far so we are concerned there is nothing on earth that destroys happiness, disso-

Islam ordains and what the Qur'an calls for; so they reflected, reacted, reasoned, sought evidence and rejected blind imitation. Consequently they became masters of the world and all nations under their rule enjoyed justice, equality and prosperity. By the elapse of time they diverted into the vicious extreme, abandoned the sound teaching of Islam and fell under the ferule of imitation. They ignored the essence of man, of the universe and of life. They dissected the integral religion of God, became scattered groups and cancelled God's authorization on His creation, and assumed to be the only authorities in God's religion and law.

They related infallibility to their father's opinions as to place them above criticism. Thus religion was represented through different and inconsistent interpretations. Consequently this divergence of views gave rise to the spread of innovations and superstitions which aroused dark clouds over the firmament of religion in such a way that made people so disgusted and sick of it that they accused it of having no straight attitude and of being fluctuated between permissible and forbidden, between sound and unsound and between strength and weaknees. Eventually they began to seek salvation from this desperate situation as an expression of their vengeance on

the religions factions who seperated religion from life.

Such groups have to realize that life is so wide and dynamic that it can by no means be confined to narrow opinions of short-sighted individuals or to the fetters of old legacy.

They ought to consider carefully the land on which they are standing and the method which they are using in order to preserve the law of God and remain steadfast in His commandments.

Man's regency on earth.

Man was neither created just to make fun or rejoice nor to exercise tyranny and despotism. But he was endowed with the faculties of knowledge, conception and the tools of action. The universe as well including earth, sky, water and air was rendered subservient to him for sublime wisdom that is manifestation of God's glorification and beauty. By such an endowment man was prepared to be God's regent on earth to inhabit it and to bring about its reformation, the development of its civilization, the exploration of God's secrets and the maintenance of good and prosperity therein. By an achievement it will be a demonstration of God's mercy to His bondmen and a great sign of His power

Immutability hinders the principle of evolution.

Thus the Qur'an tells us that such People had been sticking to the inherited thoughts and dogmas and had been regarding such abstract ideas as the inheritance of land or of any other material property. Those people were completely satisfied of what they had inherited without causing themselves any trouble to evolve or promote their standard of both knowledge and action. There is no doubt that such an attitude contradicts the nature of the universe as well as the nature of every being which is basically characterized by growth and generation.

However, the intellectual reproduction like that of man, animal and plant is inevitably needed in life. And if the intellectual faculties of man stop functioning, he will be confronted and puzzled by the copious reproduction of other organisms and, in sequence, will be unable to organize or make use of these creatures which were principally created to be in his service. Consequently he would fail in his mission for which he has been chosen since the dawn of humanity; that is to be God's regent on earth.

Sticking to old opinions is a plunder to man's specific quality.

Sticking to the old opinions is a manifest plunder to man's specific characteristic i.e., mind which differentiates between right and wrong, and between the proper and the improper. Such plunder puts man in a state of indifference; so he does what he likes and abstains from what he dislikes without any religious background. Man, accordingly, has no choice but only submits to the images of his fathers and his fore-fathers which always drag him back without having any intrinsic energy to make him advance but is only whirled by the current flood of life; 'When they do ought that is shameful, they say: (we found our fathers doing so)' (Surah. 7, V. 28).

In fine sticking to the old opinions of the fore-fathers, to what they have had of knowledge and to their way of thinking is an offense against human nature, a plunder to the dynamism of mind which is man's specific characteristic, a flagrant misrepresentation of God's signs to His bondmen and a false belief which God absolutely disregards.

It is noteworthy to state that the first Muslims had followed what

n the third category after God and Angels; "God bears witness that there is no God but He-and the angels and men possessed of knowledge upholding justice." (Surah. 3, Vs. 18); and confined the fear of God only to them because they have conceived God's power and greatness; "only those of His servants fear God who have knowledge." (Surah. 35, Vs. 28). Being as such depicted Islam has prohibited the following of conjecture and instead has erected faith on an unequivocal proof as well as on conclusive arguments; say: 'have you any (certain) knowledge? If so, produce it before us. You follow nothing but Conjecture you do nothing but lie (S. 6, Vs. 148 "But most of them follow nothing but fancy: truly fancy can be of no avail against truth". (Surah. 10, V. 36);

"But they have no knowledge therein. They follow nothing but conjecture; and conjecture avails nothing against truth." (S. 53, V. 28) and "And pursue not that of which you have no knowledge; for every act of hearing or of seeing, or of (feeling in) the heart will be enquired into (on the Day of Resurrection). (Surah 17, V. 36).

To ascertain the importance and value of knowledge, Islam has called it authority in many Qur'anic verses; "Those who dispute concerning the signs of God, without any authority come to them, very hateful is that in the sight of God and the

believers." (Surah. 40, Vs 35) and "Those who dispute about the signs of God without any authority bestowed on them - there is nothing in their hearts but (the quest of) pride, that they shall never attain" (Surah. 40, Vs. 56).

The Qur'an opposes imitation and blames the imitators:

There are too many verses in the Qur'an which denounce blind imitation and imitators whose chief interest is only to follow the same course of their fore fathers and to inherit their old dogmas and tradition without any merits save they are only fathers or ancestors as if priority of time gives holiness to the old systems, beliefs and interpretations of texts. Accordingly they stick to the old opinions depriving themselves of men's specific characteristic; that is mainly searching and meditation. In this respect God says: "When it is said to them: 'follow what God has revealed' they say: 'Nay! we shall follow the ways of our fathers; what! even though their fathers were void of wisdom and guidance'" [Surah. 2, V. 170] and also says: "When it is said to them 'come to what God has revealed; come to the messengers, they say: 'enough for us are the ways we found our fathers following, what! even though their fathers were void of knowledge and guidance.'" (Surah. 5, V. 104).

ISLAM : THE RELIGION OF MIND AND KNOWLEDGE

by

His Eminence Shaykh Mahmoud Shaltout

Rector of Al-Azhar University

The strong appeal of the Qur'an to reflect on the dominion of the heaven and the earth is a handsome demonstration of the status of both mind and knowledge from Islam's point of view. This is simply because mind is the means of thinking which produces fruitful knowledge. Accordingly all the Qur'anic verses instigating the believers to such reflection are meant to declare the value of the mind and draw the attention of the people to elevate and strengthen it. These verses also declare the value of knowledge and the importance of acquiring it in order to enable man to conceive facts, to rid himself of the fetters of ignorance and to emancipate himself from the servitude of fallacies and superstitions.

By so doing Islam has been the religion of thinking, mind and knowledge. The attitude of the Messenger of God is quite satisfactory to account for this argument. He did not prove his message through

supernatural signs as vehemently demanded by his people, but only through reasoning and sound reflection. In this respect God the Almighty says; : " Yet they say : ' why are not signs sent down to him from his Lord ? ' Say : ' the signs are indeed with God : and I am indeed a clear warner ; And is it not enough for them that We have sent down to you the book which is rehearsed to them ? Verily, in it is Mercy and a reminder to those who believe. " (Surah. 29, Vs. 50-51).

Moreover, Islam has honoured the mind and stated that whoso neglects it will be punished on the day of Resurrection. It narrates what would be the discourse of those who disregard their mind and missed the straight path by saying : " They will further say : ' had we but listened or used our intelligence, we should not (now) be among the companions of the blazing fire " (Surah. 67. Vs. 10). It as well has honoured knowledge and classified its possessors

bless as well the cave of Hirraa for it was the place of the Solu's inspiration. No wonder for Thor is in the mount of salvation and Hirraa is in the mount of glorifications.

The world was before the birth of Mohamed suffering from the disintegration of morals and manhood, and the reigning of egoism and falsehood. The force was subduing justice, relationship was subjugating rights, the authority of capital was degrading humanity and the excess of luxuries was annihilating bravery. Commercial dealings were most unfair. Breach of faith was prevalent. People were behaving like beasts of prey. They were always waging wars, and disputes. Their deads were governed by deceit, prejudice and avarice. But when the great hero and the perfect man had appeared, his manners and good deeds became a striking example of perfect behaviour. He behaved in compliance with religious institutions to teach people by the force of example, to train them by practice and to regulate their instincts by offering the model. His character and call impressed his people and reformed their ways of life. After indulgence in sanguine deeds, animosity and disunity they were reduced to love, friendship and unity. He guided them by the light of the Koran and ruled them by his traditions. He moved them to

attack the corruption and immorality of the world. Therein they succeeded in reforming a corrupted world, in civilizing and educating its people.

Such are the trains of thought which the memory of the birth-day of the prophet excite in the minds of true and grateful believers. Such memory moves us in the meantime to ask what is now remaining in the hearts of moslims, of the spirit, liberty and moral of Mohamed peace and blessings be upon him! Alas Moslems are now leading a life of no importance. They are no more than playthings. They are no more than the serfs of the land. They are no more than the barbarians of the age of ignorance! Could that be their status if they had followed the teachings of their religion and made it their guidance in life and if they had made the sayings of the prophet their directive and the life of their forefathers their example?

The memory of the birth-day of the prophet is the memory of the liberation of humanity from the bondage of illusions, tyranny, and ignorance. As such it would be incumbent upon the free and conscious hearts to bow in reverence and to glorify the memory of the prophet of monotheism and unity, the messenger of democracy and freedom and the propagator of peace, love and brotherhood.

Mohamed was either the annihilation of the soul or the annihilation of the body. It was either the judgement of God or the judgement of man. It was either the predominance of religion or the predominance of the temporal life. But to institute a relation between the subjectivity and the objectivity, between the lamp and the light, between this world and the hereafter and between the human will and the divine will was in fact the real purpose of Mohamed's mission to this universe and its realization was Mohamed's duty as ordained to him by God.

Before the advent of Mohamed the world was crippled by an intellectual slavery which killed initiative and deprived man of his right to think and a corporeal slavery which deprived him his right to act. There was no system to govern family affairs. Neither was there any law to govern the tribe nor any constitution to govern the nation, nor any legislation to regulate the creed. It was an oppressive tyranny which had exceeded all bounds and to which both the society and the individual submit. It was up to the father to decide the life and death of his sons as a rule of nature. The head of the clan had by traditions the right to enforce his people to do or to abstain from doing according to his will. The king as well had the right to subjugate his people in the name of religion. The priest too was allowed to mislead the people de-

pending upon their ignorance. Those four only were the leaders who enjoyed their rights while all others were followers, slaves and neglected.

When Mohamed had been sent by God to guide the people to the way of Allah and to be a mercy to the whole universe, he gave birth to liberty, set minds free and ordered people to vie with each other in doing good, to co-operate in the welfare of the society and to compete to win priority by piety. He strengthened the ties amongst people by encouraging love and friendships. He instituted equality to realise fair dealing. He had won the hearts of his People by love and justice in a way that made the weak feel that he is supported by all the powers of God, the poor that all the wealth of the government is at his disposal and the lonely that all the moslems are his brethren. The prophet too obliterated all racial distinctions and territorial demarcations. He made the whole world one country for all the people and all the nations one united family governed by mutual love and directed by equality and justice. In such family every member has the right to see his Caliph at any time without intervention or permission. As well he is free to pray and to perform his religious duties without any interference.

God bless the cave of Thor for it was the birth place of liberty. God

THE MEMORY OF THE PROPHET'S BIRTH-DAY

by

AHMED HASSAN EL-ZAYAT

Editor - in - Chief

The memory of the birth-day of our prophet Mohamed - peace be upon him - is in fact the memory of the rise of the spirit, the birth of liberty and the establishment of the morals. His birth was the first resurrection that purified the souls, constructed the world and initiated the rights of man. In that it acts as well as the last resurrection which will save the spirit, commence the hereafter and announce the sovereignty of God.

The world was then in a turmoil wherein people were enslaved by materialism, subjected to lust and ruled by force. It led a life without ideals, a life void of noble impulses, human values and heavenly guidance. As such it was reigned by the animal side in man. Bestiality was the dominant factor. Conquering was man's aim in life. Lust was his guidance. Egoism was his law. He was nothing but, lust, prejudice and animality. Sifted to ears in lust he went too far to make intercourse with any woman permissible to any man. Conquered by materialism he deified stone and wood. Driven by Egoism he went to the extent of killing his sons in fear of poverty and need.

Such was the world before the advent of Mohamed - peace be upon him. By his advent a door leading to heaven was opened through the cave of Hirraa. From whence the angels of God have descended and the word of God has been revealed to such disintegrated and misguided world. Consequently the secret of life, the meaning of immortality and the truth of God were instilled into man's mind. Hence the man of the world felt that he has affinity with Heavens which was cut down by a long period of neglect and that he is promised a better life which he was unable to look for because of his ignorance. Being enlightened in such matters he looked to the far horizon, aimed at coming to the high summit to realise his hopes in a better life through heavenly guidance. This led him to follow the guidance of the prophet revealed to him in the silence of Hirraa at the top of the hill, to ponder upon the secrets of the universe as shown in the inspiring valley and the dreadful space, to praise and glorify the existing grandeur and to dissolve in the absolute existence.

The creed before the advent of

مجلة الأنهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيختنا الأنهرية في أول كل شهر عربي

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة أبحاث الأزهر
بالقاهرة

ت : ٤٦٢١٤

يشارك في التحرير
عبد الرحمن محمد العقاد
بدل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدسسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء الخامس — جمادى الأولى سنة ١٣٨٠ هـ — أكتوبر ١٩٦٠ المجلد الثاني والثلاثون

سما الله العليم الغني

ثورتنا الثلاثية

معلم : أحمد حسين الزيات

فالبلاد كلها من أسوان إلى القاهرة عزمة
لاتنى ، وحركة لا تقتر ، وزحف لا يقف .
ولكن هذه القوى الثائرة المعمرة لا تستطيع
وحدها مهما تنشئ وتنتج أن تكفل لابن آدم
المجتمع الذى يجدر به إلا إذا اعتبرناه حيوانا
له معدة وليس له قلب ، وله شهوة وليس
له عقل ، لا إنسانا ينزل بين خلق الله فى المنزل
الوسط بين البهيمة والملك ، يكون بماديته
مرتبطا بالأرض ، وبروحه متصلا بالسماء !
نعم ، تستطيع الثورات الثلاث بقواها
المادية والفكرية أن تلين الحديد ، وتزرع
الصخر ، وتقهقر النيل ، وتنتشر المعرفة ،

تعيش الجمهورية العربية المتحدة اليوم
فى ثورات ثلاث كما قال بحق وفعل بصدق
مثيرها العظيم جمال عبد الناصر : ثورة سياسية
تحقق الحرية وتثبت الاستقلال على الوحدة
والحيادة . وثورة اجتماعية تحقق الديمقراطية
وتبنى المجتمع على المساواة والتآخى . وثورة
اقتصادية تحقق الاشتراكية وتقيم الثروة
على العدل والتعاون .
وهذه الثورات الثلاث هى جماع القوى
العاقلة العاملة للشعب أخرجتها من السكون
والكمون والتعطيل يد مصرفة حازمة ، تحكم
لتصلح ، وتهدم لتبنى ، وتحرك لتزرع .

والمفهوم الجديد للثورة نريد ثورة الدين .
والدين بطبيعته وحقيقته ثورة مستمرة :
ثورة على الفساد والشر ، وحرب على البغي
والعدوان وما دامت هذه الكيانات في الأرض
فالثورة دائمة والحرب قائمة ؛ إنما نريد إذكاء
شعلتها وإعلاء سناها لتجد فيها ثورتنا العامة
القبس الذي يحببها بجرارته ويهديها بنوره .
والمصلح الذي أرسله الله على فترة من المصلحين
ليجد ما اندرس ويبين ما انطمس ويقم
ما انهار ، هو الذي يستطيع أن يرفع الإجماع
عن كلمة الله ، ويدفع الإبهام عن رسالة محمد .
وهو يدرك فيما أدرك من فساد الحكم وعيب
السياسة وبغى الإقطاع أن الوازع الديني
قد ضعف في نفس المسلم ، لأن نور الإسلام
قد انكشف في قلبه أو انطفأ في ضميره ، فلم يعد
إسلامه إسلام الصدر الأول الذي فتح الدنيا
في عهده وأضوى العالم إلى كنفه ؛ وإنما أصبح
خلطاً عجيباً من العقيدة السالفة والصوفية
الزائفة والأساطير الموروثة والتقاليد الدخيلة ،
يوهم معتقديه أن الإسلام ليس من شأنه
الدنيا ، وأن المسلم ليس من همه المادة ،
وأن ما هم عليه من رتق العقيدة وظلام
الفكر وخدر الشعور إنما هو روح الدين
ورضا الله وطريق الجنة . ثم لا يعدمون
أن يجدوا مصداقاً لما يتوهمون في بعض
ما يسمعون أو يقرؤون من الأحاديث
الموضوعة والأخبار المصنوعة والآراء المملقة ؛

وتبسط الرخاء ، وتيسر الأداة والحياة للعامل
والفلاح ، وتوفر القوة والعدة للجيش
والشرطة ؛ ولكنها لا تستطيع أن تضع
التقوى في القلب الأغلف ، ولا أن تبعث
الحياة في الضمير الميت ، بدليل أننا أصبحنا
في مدى ثمانى سنوات أمة على وجه الدنيا
وفي جبهة الركب ، نقول فنسمع ، ونطلب
فنجاب ، ونعمل فنجد ، ونزرع فنحصد ،
في ظل حكم ديمقراطي عادل ، ونظام اشتراكي
معتدل ، يضمنان للفرد مساعدة الكل ،
ويكفلان لكل مساندة الفرد ، ثم لا يزال
فيينا المرتشى والمختلس واللص والمزور والمستهتر
والهدام والمنافق والخائن ، ومن يستحب
العمى على الهدى ، ويؤثر منفعة نفسه
على منفعة الناس . لا بد إذن لهذه الثورات
الثلاث من ثورة رابعة تقوم لهن مقام الروح
الملهم والشعاع الهادي : هي الثورة الدينية !
ولعل الذوق التقى لا يستسيغ ذكر الثورة
بجانب الدين ، لأن مفهومها الذي استقر
طويلاً في الأذهان يتضمن الترد والتهور
والاستبداد والاضطهاد والقتل ؛ ولكن
هذا المفهوم قد غيرته الثورة الناصرية - وهي
الثورة الأولى في بابها من تاريخ الإنسان -
فلم يبق منه إلا التحرير والتطهير والتعمير
والتطوير والإصلاح . لذلك لم تخضب صحائفها
البيضاء بالبقع الحمر ، ولم تسبل على منكرات
العهد الذاهب غير ستار المعروف . وعلى هذا

فإن من محن الإسلام حين ضعف أهله وزال سلطانه أن امتزجت به كل نخلة ، وسرت إليه كل علة ، وترامت فيه كل حالة . فكل امرئ واجد فيه ما يلائم استعدادة ويناسب فهمه . فالثورة الدينية بالمعنى الذى ذكرته هى تحرير العقل من الاقتداء العاجز والمتابعة المسلمة ، وتطهير السنة من الأحاديث المكذوبة والأقوال المشوبة ، وتطوير الفقه فى حدود ما أنزل الله وبلغ الرسول ، ليطابق مقتضيات العصر ، ويواجه مشكلات الحضارة ، ثم عرض هذا الإسلام الصادق الصافى على الناس فى معرض واضح ومظهر جاذب ومنهج قويم .

أما رسالة الأزهر لاجتماع حفظ التراث الإسلامى وتمقيته من العقائد الواغلة والمذاهب الباطلة والبدع الضارة ، ثم نشره على العالم عن طريق التعليم والتأليف والترجمة والدعوة . وسيله إلى ذلك - فيما أرى - أن يمكن من جمع هذا التراث المتفرق المشوش فى ثلاثة أسفار : سفر فى التفسير تشرح فيه الآيات الكريمة على ضوء الرواية الصحيحة والعلم الثابت ، ويجمع بين ما صح من أقوال السلف وما صلح من آراء الخلف . وسفر فى الحديث يدون به ما لا ريب فيه من الكتب الصحاح ويستعان على شرحه بعلوم التاريخ والاجتماع والأخلاق والفلسفة ، وسفر فى الفقه يشمل ما تواتر من الأحكام وصح من المذاهب وسلم من الآراء ، ثم يوضع منه مواد كلقانون ويشرح شرحاً فنياً يستوعب أصوله ويستقصى

فإن من محن الإسلام حين ضعف أهله وزال سلطانه أن امتزجت به كل نخلة ، وسرت إليه كل علة ، وترامت فيه كل حالة . فكل امرئ واجد فيه ما يلائم استعدادة ويناسب فهمه . فالثورة الدينية بالمعنى الذى ذكرته هى تحرير العقل من الاقتداء العاجز والمتابعة المسلمة ، وتطهير السنة من الأحاديث المكذوبة والأقوال المشوبة ، وتطوير الفقه فى حدود ما أنزل الله وبلغ الرسول ، ليطابق مقتضيات العصر ، ويواجه مشكلات الحضارة ، ثم عرض هذا الإسلام الصادق الصافى على الناس فى معرض واضح ومظهر جاذب ومنهج قويم .

ذلك ما يجب أن يدخل فى تخطيط الجمهورية للسنين العشر القادمة ؛ فإن النص فى الدستور على أن الإسلام دين الدولة لا يحقق معناه إلا إذا كان للدين الأثر الفعال فى التربية والتعليم والتشريع والسلوك . والأزهر بفضل ما مكن الله له فى التاريخ، وهياً له من الموضع، وأتاح له من الكفاية ، أقدر وراث النبوة على تبليغ الرسالة العظمى وتوجيه الأمة الكبرى إذا تسنى له أن يودى رسالته على المرسوم الذى رسمته الثورة ، وبالمفهوم الذى أعلنه المؤتمر العام للاتحاد القومى إذ قال : « يعلن المؤتمر - إيماناً بالدور الخطير الذى يؤديه الأزهر الشريف فى معركتنا

ثم لا ينههم نقاد الحديث إلى أن ما نقلوه منحول أو مدخول إلا بعد أن يكون الرأي قد سار والكتاب قد انتشر ! فلو أن هذه الأحاديث المفتراة لم تكن منشورة على العيون يقرأها من لا يميز بين ما اتصل منها وما انقطع لما طارت الشبه والظنون حول العقيدة . فالثورة الرابعة غرض من أغراض الثورة ، وضرورة من ضرورات الإصلاح ، وطبيعة من طبائع الدين ، ووجيبة من وجائب الأزهر ، فإذا شئت مع الثورات الأخرى فكسحت الغشاء ونفت الخبث وطهرت شريعة الله من سموم البدع ، ونقتها من شوائب الفرق والشيع ، فوردها الناس صافية كقطرة المزن خالصة كقطرة الله ، كانت جديرة بأن تبني للعرب المجتمع المثالي الذي يسير على صراط الله بقيادة الحق ورعاية العلم ورقابة الضمير ، فلا تجد فيه متى يسكتل بناؤه المخاى التى تقتر فى الدواوين ، ولا المآسى التى تمثل فى السيوت ، ولا المهازل التى تشاهد فى الطرق ، ولا المساوى التى تحدث فى التعامل . ويومئذ يغتبط المصلحون بفتح الثورة ، ويعتز المواطنون بعز الوطن ، ويفرح المؤمنون بنصر الله ؟

أحمد حسن الزيات

فروعه فى غير حشولا استطارادولا تعمية . هذه الأسفار الثلاثة ستكون مادة الدراسة ومرجع القضاء ومصدر الفتوى ، ثم يجرى منها مختصرات تدرس فى المدارس وتنشر فى الجمهور وترجم مع المطولات إلى أكثر لغات الشرق وأشهر لغات الغرب ، ثم ترسل إلى كل بلد يعرف الإسلام أو يريد أن يعرفه . أما ما عدا ذلك فما كان صحيحا بقى فى المكتبات ليرجع إليه المتخصص والمؤرخ ، وما كان زائفا صنع به ما صنع عثمان فى كل مصحف غير مصحفه ، فإن الإبقاء على الزيف من الأحاديث والآراء كبس للحق بالباطل ، وطمس للنور بالظلام ، وتعمية للطريق على السالك .

أذكر أن أحد الأساتذة الكبار عليه رحمة الله قدم رسالة بالفرنسية إلى (السربون) عن (حال المرأة فى الإسلام) نال فيها من خلق الرسول وشرعه وسلوكه . فلما أنكر عليه من أنكر استبدل على كل ما ادعى بأحاديث مروية فى (طبقات ابن سعد) وفى الشفاء للقاضى عياض . ولما ردوا حاجته بأن هذه الأحاديث موضوعة قال : وما يدرينى أنها موضوعة والكتب التى نقلت عنها معتمدة متداولة ؟ وأشبه هذا الأستاذ من ضللهم النقول وخدعهم السكتب يخرجون على الناس كل حين بالرأى المجازف أو الكتاب المخالف

صَدَى جَامِعَةِ الْقُرَوِيِّينَ

فِي الْجُمْهُورِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُتَحَدَةِ

لصاحب الفضيلة الأستاذ محمد نور الحسن

وكيل الجامع الأزهر

[الكلمة التي ألفها صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد نور الحسن وكيل الأزهر في الاحتفال الذي أقيم في مدينة (الرباط) لمناسبة مرور ١١٠ سنة على إنشاء جامعة القرويين في شهر أكتوبر الحالى]

أبها المادة :

وعلى مقومات الثقافة الإسلامية والعربية .

(أ) هناك التشابه بين الأزهر الذى قام بالقاهرة وجامع القرويين الذى قام بفاس في نقطة البداية . كل منهما قام على أنه مسجد ، ثم أصبح بعد ذلك مسجدا جامعا لفترة من الفترات ثم مقر للدراسات الإسلامية والعربية . (ب) وعند ما صار كل منهما مقرا للدراسات الإسلامية والعربية تناولت الدراسة فيهما جميع فروع المعرفة المختلفة التى يتون منها التراث الإسلامى والعربى .

فجانب علوم اللغة والفقه وعلوم التفسير والحديث والعلوم الأخرى الدينية كانت الطبيعة وكان الطب وكانت الرياضة وكانت الفلسفة ، كل منها يكون جانبا من جوانب فروع المعرفة التى غنى بها الأزهر وجامع القرويين . وكان لكل فرع من هذه الفروع

أحل لحضراتكم من القاهرة تحية الجمهورية العربية المتحدة ، وتحية الأزهر ، وتحية شيخه الأكبر وعلمائه ، وأحل إلى المغرب وعلماء القرويين بالذات تهنئة علماء الأزهر وعلى رأسهم شيخهم : الشيخ محمود شلتوت بمناسبة الاحتفال بمرور قرابة أحد عشر قرنا على إنشاء جامع القرويين ، الذى أصبح فيما بعد مركزا في المنطقة الغربية من العالم الإسلامى لدراسة التراث الإسلامى والعربى .

والقاهرة - عاصمة الجمهورية العربية المتحدة ومقر الأزهر - نذكر لجامع القرويين كثيرا من أوجه الشبه التى تربطه بالأزهر ، وتجعله من ذلك صنوا له ، في تاريخه وفيما حدده من رسالة ، وفيما واجهه من أحداث ، وفيما له من مواقف إزاء العدوان الأجنبى على الوطن العربى

أسلوباً لتربية العقل ، وتخطيط طريق التفكير والوصول إلى الحق في ذاته . وما كان للجامع الأزهر وللجامع القرويين من أسلوب في البحث إذ ذاك هو ما للجامعات المعاصرة اليوم في منهج البحث .

(د) وهناك التشابه فيما طرأ على التعليم في كل منهما من تغيير وما أصابه من تقلبات ، تبعاً للعهود السياسية التي مرت على كل من القاهرة وفاس : فنجد تشابهاً في طابع التعليم أيام أن حكم الفاطميون في مصر والأدارسة في المغرب ، وتشابهاً في طابع التعليم أيام أن حكم الأيوبيون بمصر والموحدون بالمغرب . كما نجد تشابهاً في إطار المعرفة نفسه : اتسع فترة فشمّل جميع الفروع المختلفة التي يضمها اسم التراث الإسلامي والعربي ، وضاق في فترة أخرى فلم يشمل علوم الرياضة والطبيعة والطب والفلسفة .

(هـ) وهناك تشابه كذلك بين الأزهر والقرويين فيما مر على التعليم في كل منهما من مراحل الإصلاح والتطور : سواء في طريقة التعليم أو في نظام الاختبار أو في تعدد المراحل أو في منهاج المواد ، أو في تغيير الكتاب : فقسّمت مراحل التعليم في كل منهما إلى ثلاث ، وأخذ بنظام المحاضرة بجانب نظام الحلقة في طريقة التدريس ، ورتبت كتب التعليم

علماء مبرزون هنا وهناك يرحل إليهم طلاب العلم ويقيمون لديهم فترة طويلة أو قصيرة للتلمذة عليهم في موضوع المعرفة والتعرف على منهجهم في البحث . وكان من أشهر العلماء في الأزهر الأئمة العلماء : ابن الحاجب ، و خليل والخزشي ، والزرقاني ، والعدوي ، والدرديري والأمير ، والبناني ، وابن السبكي ، و جلال الدين المحلى ، والسيوطي ، وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري ، وابن حجر ، والعيني ، والأسنوي ، والأشمتوني ، والصبان ، والمالوي ، وابن الهيثم الذي وضع الأسس العلمية لنظريات نيوتن في علم الطبيعة . وكان من أشهرهم في القرويين : الأئمة العلماء الحافظ أحمد بن علي بن قاسم الزقاق ، والمفتي محمد بن قاسم القصار ، والفقهاء أحمد بن محمد بن يوسف الصنهاجي ، والمتكلم أبو عمرو السلاجي وهو من طبقة أبي المعالي الجويني في الشرق ، والمحدث ابن رشيد السبتي والحافظ أبو العلاء العراقي ، واللغوي ابن زاكور ، والرياضي ابن البناء المراكشي ، والطبيب أبو القاسم الوزير .

(ج) وكان هناك تشابه بين الأزهر وجامع القرويين في طريقة الدرس وفي منهاج البحث : فكانت هناك الحلقة ، وكانت هناك المناقشة ، وكانت هناك المحاضرة والتعقيب عليها ، وكان أسلوب الدراسة في واقع أمره

(ز) وهناك التشابه بين الأزهر والقرويين في حفظ التراث الإسلامى والعربى وصيانه من التبديد والضياع ، فلم تفتقر عناية كل منهما عن رعاية حفظ القرآن الكريم ودرسه وتفهم معانيه ولم تفتقر رعاية كل منهما عن نقل ما كان للأولين العرب والمسلمين إلى خلفائهم من بعد جيلا بعد جيل من أفهام فى القرآن ، ومن حلول لمشاكل الحياة ومن معارف كانت تدور فى محيطهم الثقافى . وقد كانت صدور علماء وطلاب كل من الأزهر وجامع القرويين مقرأ للقرآن الكريم ، وكانت عقولهم مرجعاً لتفكير المسلمين ، وكانت ألسنتهم تنطق بأسلوب كتاب الله ، وهو الأسلوب العربى المبين ، لحفظوا القرآن من التحريف ، وحفظوا التفكير من الضياع .

(ح) وهناك التشابه بين الأزهر والقرويين فى تأثر الأزهر بعلباء بغداد الذين وفدوا فى عهد المماليك إلى القاهرة فى سنة ٦٥٦ هـ بعد سقوط بغداد ، وفى تأثر القرويين بعلباء الأندلس الذين وفدوا إلى المغرب بعد سقوط الأندلس فى القرن الرابع عشر الميلادى .

(ط) وهناك التشابه فى حركة الإصلاح القوية التى قام بها محمد عبده فى الأزهر فى نهاية القرن التاسع عشر والشيخ أبو شعيب الدكالى فى القرويين فى أوائل القرن العشرين .

على حسب ما بينها من اختلاف فى الحجم وفى أسلوب التعبير ، وعلى أية حال لم ينتقل التعليم فى كل منهما طفرة إيسير الوضع الغربى سواء بسواء بسبب ما لكل منهما من طابع المحافظة على ما ورثناه من تراث روحى وفكرى وعلمى ، وما لهما من طابع التمسك بالقيم التى خلفها آباؤنا فى حياتنا وتوارثناها جيلا بعد جيل . وربما كان لهذا الطابع الذى للأزهر وجامع القرويين على السواء دخل كبير فى مقاومة الغزو الفسكرى ، والغزو السياسى والاقتصادى للوطن العربى .

(و) ويسوقنا من أجل ذلك الحديث عن ونجه التشابه بين الأزهر وجامع القرويين فى موقف كل منهما تجاه المستعمرين الغازين ، وفيما قام به كل منهما من حمل راية الجهاد والكفاح ضد المستعمر الأجنبى ، وفيما أصاب كلا منهما من نقمة المستعمر وعنته ، وفيما سببه المستعمر لحلة التراث الإسلامى والعربى فى كل منهما من أذى وأضرار مادية وأدبية فى المجتمع العربى الخاص والعالم ، وفيما ضيقه من خناق على هؤلاء وأقامه من عقبات فى سبيل سعيهم فى الحياة ، وفى الحصول على وضع فى المجتمع يجعل منهم مواطنين لهم ما لمواطنهم الآخرين من حقوق ، وعليهم ما عليهم من واجبات .

وإن الاستقلال الذى حظى به المغرب ، وحظيت به مصر يرجع كثير من الفضل فيه إلى جامع القرويين هنا والأزهر هناك . ومن أجل هذا كان على جامع القرويين وعلى الأزهر على السواء مهمة جديدة بعد هذا الاستقلال وهى الاستمرار فى حفظ مقومات المجتمع الإسلامى والعربى بحفظ تراثنا الروحى ولغتنا العربية الإسلامية ، ولكن بصورة تجعل من أبناء الجيل المعاصر مؤمنين أقوياء بعروبتهم وبإسلامهم فى مواجهة ما يتحداهم من غزو فكرى وثقافى .

والأمل كبير هنا وهناك فى أن يقوم الأزهر ويقوم جامع القرويين بهذا الدور بعد الاستقلال ليضيفا مجدا إلى أجداد وموقفا تاريخيا إلى مواقف تاريخية أخرى .

ونحن هنا اليوم نحتفل باسم الأزهر معكم ، وفى بلدكم الطيب بمرور أحد عشر قرنا على إنشاء جامع القرويين ولنا أمل كبير أن تحتفلوا معنا غدا بقماعتنا العزيزة بمرور عشرة قرون على جامعنا الأزهرية الخالدة .

والسلام عليكم ورحمة الله ؟

محمد نور الحسن

وكيل الجامع الأزهر

(ى) وهناك التشابه بين الأزهر وجامع القرويين فى تربية الحساس القومى ، وتنمية الروح الوطنى ، والقيام بالحركات المعبرة عن مخطط الوطن وتكوين الرأى العام ، والدفع إلى بقاءه فى النضال بين الدخلاء الغاصبين وبين أصحاب الوطن المعتدى عليهم .

كل هذه الأوجه من التشابه بين الأزهر وجامع القرويين تجعل لجامع القرويين فى القاهرة صدق قويا لا يتضاءل ولا يضعف مهما فرق الاستعمار فيما مضى بين أجزاء الوطن الواحد ومهما حاول بأساليبه المختلفة أن يضعف من الصلات الثقافية والترابط الروحى بين فاس والقاهرة ، ومهما حاول وبذل فى وضع العقبات المادية والمعنوية فى طريق لقاء العربى القاهرى بالعربى المغربى .

وإن احتفال اليوم بمرور أحد عشر قرنا على جامع القرويين سوف يترك صداه وأثره فى القاهرة ، وسوف يذكر بتلك المواقف التاريخية التى وقفها جامع القرويين فى صيانة الوطن العربى وتراثه الروحى والثقافى وصيانة لغة الإسلام وهى اللغة العربية .

وسوف نذكر القاهرة بالفخر لجامع القرويين هذه الأجداد كما نذكر للأزهر سواء بسواء هذه المواقف والأجداد نفسها فى تاريخ الوطن العربى فى المنطقة الشرقية منه .

الأدب العزني القديم

أدب في رسالة وثرية

للأستاذ عباس محمود العقاد

نية حسنة فلا يستر وراءه باطنا غير الظاهر المتكشف للأبصار والاسماع ، ومنها ما هو من قبيل المكيدة المبيتة لترويح مذاهب الهدم ، وتقويض الدعائم التي تقوم عليها المجتمعات الإنسانية .

والغالب على الدعوات الصالحة أنها إحياء للقواعد السليمة يزيد بها قوة ومنعة ولا يمسها في أساسها بغرض من أغراض الهدم والتقويض ، فهي في جوهرها محاربة للجمود وخروج بالعقول الإنسانية من سنن الآلات إلى سنن الأحياء الذين يطبقون القواعد في زمانهم على بصيرة وعلم بما يقتضيه اختلاف الأزمنة والأحوال وكل دعوة من هذه الدعوات الصالحة ، خليقة أن تترك بعدها قواعد قائمة تضيف إلى ما تقدمها أو تعززه وتقويه ، فهي من عوامل التدعيم والتقويم وليست من معاول الهدم والتقويض .

أما الدعوات المتعجلة ، فإنها تحمل على وجهها طابع العجلة الذي يكشف عن حقيقة تها لا يسر نظرة وأقرب روية ، ومثلها في كل عصر مثل الأزياء التي يقبل عليها طلاب التغيير والتسليية ويعرضون عنها ، كما أقبلوا

كثرت في العصر الحاضر دعوات التغيير والتبديل في مذاهب الفن والفكر والعقيدة وسائر المذاهب التي تشترك فيها الجماعات البشرية .

وعمت هذه الدعوات أقطار العالم ، وأجناس الأمم ، ولم تخصنا نحن في بلادنا الإسلامية أو العربية .

ولا يستغرب انتشار هذه الدعوات في العصر الحاضر لأن أسبابه كثيرة منتظرة قد نجمها في سببين جامعين : أحدهما ، تلك الرجة العنيفة التي زلزلت أركان العالم بعد الحربين العالميتين ، فلم تدع أمة من أمه على حالة كانت عليها ، و ثانيهما ، شيوع حرية الرأي بين مئات الملايين من الخلق ، بعضهم حسن الثقافة ، ومعظمهم جهلاء في حكم الأميين ، ولكنهم جميعا ينزعون إلى الاستقلال بالرأي والذوق ، ويقابلون التعليم أحيانا بالتحدي والمقاومة إلى أن يبلغ منهم مبلغ الإقناع أو الطاعة والقبول .

وليست دعوات التغيير كلها نهجا واحداً أو سواء في قيمتها ، فمنها الصالح المستحسن ، ومنها المتعجل المردود ، ولكنه يصدر عن

على أبعد احتمال ، ولكن الحملة على لغتنا نحن حملة على كل شيء . يعنينا وعلى كل تقليد من تقاليدنا الاجتماعية والدينية وعلى اللسان والفكر والضمير في ضربة واحدة ؛ لأن زوال اللغة في أكثر الأمم يبقها بجميع مقوماتها غير ألفاظها ، ولكن زوال اللغة العربية لا يبقى للعربي أو المسلم قواما يميزه من سائر الأقوام ، ولا يعصمه أن يذوب في غمار الأمم فلا تبقى له باقية من بيان ولا عرف ولا معرفة ولا إيمان .

* * *

آخر هذه الدعوات التي تعجل بها المتعجلون ودسها معهم الدساسون أن الأدب العربي القديم أدب عتيق لا يصاح للبقاء لأنه كان أدبا « شخصيا » ولم يكن أدبا اجتماعيا يخدم الأمم ويمثل حياتها لها أو لمن يقرأ تاريخها من بعدها .

ويكفي أن نعلم أثر الأخذ بهذه الدعوة لنعلم أنها لا تبرأ من شبهة البكيد والنفاق ، وإن تعجل بها أناس من الخدوعين بها على غير علم بعقباها أو على استخفاف بهذه العاقبة . فإن انقطاع الصلة بيننا وبين ماضينا في اللغة والأدب أشبه شيء بتجريد الإنسان من الذاكرة وتركه في أيدي المستخرين له أداة طيعة منقادة لكل ما تقاد إليه ، بل الأمر أخطر من ذلك وأوخم عقبي ، لأن فاقد الذاكرة يبقى

عليها بغير سبب مقنع غير « اتباعهم كل ناعق » ، وإيثارهم الناعق الطاري على الناعق المألوف ، وليس أهون من شأن هذه الدعوات المنعجلة على ناقد يعرفها ويعرف أمثالها ، ويستطيع أن يبطل لغوها بمجرد الإشارة إليه ؛ لأنه من السخف والتهاافت بحيث تدفعه إشارة عارضة تنبه الأذهان إلى مواضع الخطأ فيه .

وأصعب من هذه الدعوات علاجا دعوات الهدم والتقويض التي تترامى للناس في أثواب النفاق ، وتموه عليهم المسكيدة باسم الدعوة إلى الحق والخير على الإصلاح . فإن مهمة الناقد هنا مضاعفة مشتبكة ؛ لأنها مهمة الكشف عن الخطأ ، ومهمة الكشف عن سوء النية ، ومهمة التغلب على الأهواء النفسية التي يثيرها دعاة الهدم والتقويض لتخدير العقول ، واجتذاب الأسماع للإصغاء والاقتماع .

ولست هذه الدعوات خاصة بنا في بلادنا الإسلامية أو العربية ؛ لأن مذاهب الهدم تلقى شباكها حول العالم كله ، ولا ترى أنها تنجح في بلد واحد ما لم تتردد وتتجاوب في غيره من البلدان .

ولكن الأمر الذي يخصنا نحن أن الحملة على اللغة في الأقطار الأخرى إنما هي حملة على لسانها أو على أدبها وثمرات تفكيرها

بما يذكره الرواة في أحاديث الجوائز والهبات .
فلولا أن المجتمع يستفيد شيئاً من القصيدة
ويحفظها لهذه الفائدة لما احتفى بها الممدوح
ولا جاشت بها مدركة التعبير في الشاعر :

إن المجتمع يستفيد من القصيدة أنها تحي فيه
أخلاقاً لا قوام له غيرها في قيادته وسياسته
ومعاملاته المتبادلة بين أفراده ، وتلك هي
أخلاق الشجاعة والرأى والحزم والكرم
والمرءة والحياء ، وشمائل النبل والفداء ،
ولم يخطئ أبو تمام حين قال :

ولولا خلال سنها الشعر ما درى

بناة العلا من أين توثى المسكارم

فهذا على التحقيق هو « دور ، الشعر في
بناء المجتمع والمحافظة على قوامه وأسس
تكوينه والدفاع عنه ، وإنه لمن الفهاة أن
يقال : إن الشاعر قد يمدح من لا يستحق المديح
وقد يسكت عن إسداء الثناء إلى من يستحقه .
فهكذا يمكن أن يقال عن الخطأ والانحراف
في تطبيق القانون ولا يقول أحد - من أجله -
بالغاء المحاكم وإسقاط القوانين .

وربما سلم الناقد المتعجل بدور المدح في
المحافظة على قوام المجتمع ولم يسهل عليه أن
يسلم بمثل ذلك لشعر الهجاء ، فإنه أقرب إلى
سقط القول من شعر المديح باستحقاق أو
بغير استحقاق .

إلا أن الناقد المتعمق في دراسة المجتمعات

له قوام آدمى ينتفع به على حسب استعداده
للمنمو والتعلم ، ولكن فقدان اللغة والأدب
عندنا يشل ذلك الاستعداد ولا يبقى بعده
« قوماً لإنسانياً لهم قوام » .

أما جانب التعجل من هذه الدعوة فخطبه
هين كما تقدم ، وخطؤه ظاهر لا يحتاج إلى
أكثر من سطر واحد للإشارة إليه ، وليس
له بعد الإشارة إليه من قدم يثبت عليها .

فمقول أولاً وآخرأ : إنه لا يوجد في العالم
أدب يثبت بين قومه جيلاً بعد جيل دون أن
يكون فيه ما ينفعهم ويعبر عن حياتهم ولو كان
مداره كله على الموضوعات التي يسمونها
بالشخصيات ، وهي لا تقبل الثبات بعد جيلها
ولم تكن من صميم « العموميات » .

أى موضوع - يبدو أنه من مواضيع
« الشخصيات » ، ألصق بها من موضوع المديح
أو موضوع الهجاء ، أو موضوع الغزل
أو الرثاء ؟ .

قد يبدو المتعجل أن قصيدة المدح كلام
لا يعنى أحداً غير السيد الممدوح والشاعر
المادح ولا فائدة فيها لأحد بعد ذلك غير
كاسب المدح وكاسب العطاء .

وليس أظهر من هذا الوهم عند أقرب نظرة
فإن قصيدة المدح لو كانت كذلك لما
استحقت من الممدوح نفسه أن يبذل فيها
درهما واحداً ، ودع عنك المثات والآلوف

التوسل بالوسائل المقبولة أو المحظورة
لاستدراار الرزق واستحقاقه من المدوحين ،
جزاء للبلاغة والإجادة وحسن التقدير أو
خوفا من البذاء وحياء بمن لا يبالي الحياء .

* * *

ولو كلف نقادنا المتعجلون أنفسهم مؤنة
النظر إلى أقوال النقاد الغربيين الذين
ينتحلون آراءهم لعرفوا شيئا عن أثر الغزل
العربي الذي زعموه لغوا ذاهبا بغير أثر ،
ولغطا كاذبا لا يعبر عن عاطفة إنسانية صادقة ،
ولا عن حياة اجتماعية صحيحة . فإن مؤرخي
الآداب الأندلسية قبل الفتح العربي وبعده
قد أوشكوا أن يتفقوا على أثر هذا الغزل
في تحوّل آداب الفروسية وشئون المرأة والبيت
التي تتصل بهذه الآداب ، وقد نسبوا إلى
الغزل العذري والغزل الصوفي آثارا متغلغلة
في تقاليد القوم وخواطرهم الدينية ، ويتواتر
هذا الرأي في كتبهم فلا يتكلف ناقدنا
المتعجل جهدا في مراجعته حيث التمس من
تواريخ الآداب الأندلسية التي تعد بالعشرات .
وفي وسعهم ، بغير الرجوع إلى أولئك
النقاد الغربيين ، أن يدركوا أن غزلنا العربي
يعلنا - بين الكثير مما نتعلمه من الشعر البليغ -
كيف كان ناظموه ومنشدوه ينظرون إلى
محاسن المرأة الجسدية والنفسية وكيف كان
الرجل في العصور المتوالية يكسب عطف

قد يحكم على شعر الهجاء حكمه « الأخلاقي » ،
كما يشاء . ولكنه لا يستطيع أن يهمله في
الاستدلال على المجتمع وأخلاق خاصته وعامته
وأخلاق شعرائه وأدبائه ووظيفة الأدب
والثقافة المعترف بها بين جملة أبنائه .

فن شعر الهجاء نعرف الصفات التي تحقر
صاحبها بين أبناء عصره ، ومن الاعتدال
في الذم أو المبالغة في الفحش نعرف كيف
كان المجتمع سليما يكفى فيه القليل من اللوم
للساس بمنزلة المعلوم ، أو نعرف كيف كان
المجتمع موبوءا ملوثا بالعيوب لا يهان فيه
المهجو بما دون الإخاش البالغ في اتهامه
بالذائل والشبهات ، فلا يكفى فيه اللوم
القليل لإسقاط الرجل الرفيع في أنظار عامة
قومه ، بل لا بد من الهبوط بذلك الرجل
إلى الحضيض ليزدرية من يوقره ويرعاه ،
وقد نعرف من الهجاء هل يهان الرجل
لانتصافه بالذائل المنسوبة إليه أو يهان
لاجتراء الشاعر عليه واستخفافه بسطوته
وقدرته على الانتقام والتنكيل بأعدائه ؟
ونعرف - بعبارة أخرى - أن استبداد الحاكم
أهم عند هذا المجتمع من صفاته الصحيحة
أو المكذوبة في معايير الأخلاق .

ولاريب أن وظيفة الأدب تتمثل لنا
من مقدار تعويله على المدح والذم في تحصيل
رزقه ، ومن مروءته أو سقوط مروءته في

خلق يتجلى في موقف الفراق الأخير ويحمده الناس في مقام العزاء والوفاء ، ولا تبين دلالة الرثاء العربي على « الحياة العربية » من شيء كما تبين في تخصصه بالناطقين بالضاد وقلة المشابهة بينه وبين أشعار الأمم في رثاء موتاهها ، وإن كان الموت قضاء على الأحياء في كل أمة وكل لسان .

فالآدب الذى يصح أن يسمى بالآدب « الشخصى » لا وجود له حيث يعيش الآدب جيلا بعد جيله ولا نقول جيلين ولا ثلاثة أجيال ، وقد عاش الآدب العربى كما نعلم الآن أكثر من خمسين جيلا إذا حسبنا أن الإنسان الواحد تتلاقى في حياته ثلاثة أجيال . ومن فضول القول أن نزيد على فضائل الآدب العربى أنه دروس لغة تقوم اللسان وتهدى إلى أساليب التعبير عن خواج النفس ومعانى الأفكار ، ولا تزال هذه الفضيلة بغية الحكماء والمرشدين إلى هذه اللحظة من القرن العشرين قرن العلوم والصناعات والمنافع المادية والمذاهب التى لا تبالى جمالا فى القول ولا جمالا فى الأخلاق ، فإتنا نكتب هذه المقال وأمامنا قوائم بأسماء أشتات من الكتب تبحث فى السيمية Semantics وفى « معانى المعانى والألفاظ » وفى تصحيحات قضايا المنطق الواقع التى تقوم على تعديل الأداء اللفظى فى عرض

المرأة وإعجابها ويكسبها عطفه وإعجابه ، وكيف كانت خلائق الجنسين فى علاقات التحية ، وعلاقات المعيشة ، وكيف كانت علاقات البيت والزواج إلى جانب علاقات الجنسين فى الحياة العامة . وكيف كانت عواطفهم القويمة وعواطفهم المنحرفة بين عهود الفطرة وعهود الترف وعهود الاختلاط بالأمم الأجنبية . ولا يطلب من فن من فنون الشعر فى اللغة العربية أو سواها أن يصور لنا العالم الذى يشيع بين أبنائه تصويرا أصدق من هذا التعبير .

ومن لم يفهم من شعر الرثاء فى اللغة العربية إلا أنه شعر بكاء ينتهى باتهاء مأثمه فليس له أن يتصدى لفهم أدب ولا أن يستخلص أحوال الناس عامة من أقوال الشعراء أو أقوال المؤرخين .

فنحن قد ننسى أسماء الموقى المبكين فى دواوين شعرائنا الأقدمين ثم نخرج منها بالفائدة الأدبية والفائدة الاجتماعية التى تستفاد من كلام جدير بالاطلاع عليه كيفما كان .

فمن هذا الشعر تبين قيم الحياة الفانية وقيم الحياة الباقية عند ناظميه والمستمعين إليه ، ومنه تبين عواطف الحزن ودواعيه التى تم عن مآثر الأموات والأحياء ومنه تبين كل

الفروض والبراهين ، وكل أولئك خلاصته أنه تعليم لغة وتعبير ، لا يستغرب الإنسان أن يوليه العالم المتحضر هذه العناية إلا إذا نسى هذا الإنسان أنه حيوان ناطق ، قبل كل شيء .

إن خطب النقد المتعجل هين كما أسلفنا في صدر هذا المقال ؛ لأنه يحمل طابع الخطأ على وجهه فلا يحتاج إلى أكثر من الإشارة إليه ، وهذه الإشارة تقول في كلمات معدودات : إن الأدب الذى يعنى شخص قائله ومشتره بالمال لن يعيش يوما واحدا في عمر

أصحابه ، فإن عاش خمسين جيلا فهو أدب أناس آخرين غير القائلين والمشتريين . وخطب الناقد المخلص عسير لما يبيده من ظاهر خادع وباطن مستور ، ولكنه قد يكون في هذه القضية أهون من نقد المتعجلين ؛ لأن الغاية منه تحقق مآرب العاملين عليه خفية وجمهرة ، ولا شك في وجود هؤلاء العاملين عليه ولا في الغاية التي يقصدون إليها وحسبنا هذا وذاك من تحذير غنى عن التوكيد والتكرير .

عباس محمود العقاد

لا قطع ! وغرم ابن حاطب الضعف !

[أودعوا الحدود بالنهات]

رؤى أن غلبانا لابن حاطب بن أبى بلتعة سرقوا ناقة لرجل من مزينة ، فأتى بهم عمر ، فأقروا ، فأمر كثير بن الصلت بقطع أيديهم ، فلما ولى رده ، ثم قال أما والله لو لا أنى أعلم أنكم تستعملونهم وتجيعونهم حتى إن أحدهم لو أكل ما حرم الله عليه لحلله ، لقطعت أيديهم . ثم وجه القول لابن حاطب بن أبى بلتعة فقال : وإيمان الله إذ لم أفعل ذلك لأغرمك غرامة توجعك ، ثم قال : يامزنى ، بكم أريدت منك نافتك ؟ قال : بأربعائة . قال عمر لابن حاطب : اذهب فأعطه ثمانمائة .

الإيمان بالله

للدكتور محمد البهي

تحدث الناس واختلفوا في حديثهم حول الإيمان بالله . أو الخروج على الأقل عما يسمى تبعية ووصاية .

والذي يعرف أن الإيمان بالله احتكرته في أوروبا هيئة دينية معينة ، وكانت تمارس عن طريق احتكارها للإيمان بالله سلطة في فهم الدين ، وفي توجيهه الناس : في تفكيرهم ، وسلوكهم على السواء .

وحديث الناس عن الإيمان بالله ، وعن قيمته ، واختلافهم في هذه القيمة ليس حديث اليوم ، ولا حديث الأمس القريب أو الأمس البعيد ، وإنما هو حديث يتكرر وسيكرر الحديث عن الإيمان وقيمته ، طالما الإنسان هو الإنسان ، يختلف في تفكيره ، وما يراه منطقاً اليوم يراه غداً وهما أو باطلاً .

وهذا الوضع أثار بعض المفكرين وأثار فيما بعد بعض رجال السياسة فأنكروا على تلك الهيئة المهيمنة سلطتها في فهم الدين وبالتالي سلطتها في توجيهه ، وعندئذ رغبوا في التخلص من هذه التبعية التوجيهية ، ونادوا بالتححرر من سلطة هذه الهيئة ، وهنا نادى بعض رجال الفكر بنقل الإيمان من الله إلى العقل الإنساني ، ثقة في قدرة هذا العقل ، وفي استقلاله في توجيهه ، دون حاجة إلى أن يتلقى التوجيه من سلطة أخرى أجنبية عنه ، وهي تلك السلطة التي تمارسها الهيئة الدينية ، وعندما دعا هذا البعض إلى الإيمان بالعقل ، بالغ في قيمته ، وجعل له خالقية في حياة الإنسان .

إن بعض الناس يرى ضرراً في الإيمان بالله وبعضاً آخر يرى عدم ضرورته في الحياة . وهناك من يرى ضرورته ووجوبه ، كي يصلح الفرد ويسعد المجتمع .

وهؤلاء الناس الذين يرون ضرراً في الإيمان بالله هم في واقع الأمر لا يريدون رفع الإيمان من حياة الإنسان ، وإنما يريدون نقل الإيمان من دائرة الإيمان بالله إلى دائرة الإيمان بشيء آخر ، والسبب الذي حملهم على نقل الإيمان من دائرة الله إلى دائرة شيء آخر ، هو الاستئثار بالسلطة في توجيهه والقيادة ،

العقل إذا استقل عن الحس والواقع ، فهو مخدر خداع للإنسان ؛ لأن العقل كثيراً ما يضل ، وكثيراً ما يتوهم ، وتثبت بعد ذلك بتثبيت الإيمان في دائرة الحس والواقع .

ورأى أن الواقع هو كل شيء في حياة الإنسان ، وأن على الواقع أن يعلى ، وأن على الإنسان أن يطيع ، وما يأتي به الواقع هو قانون الحياة ، وأن ليس الإنسان إلا طبيعة منفعة بقوانين الحياة .

وكما لم تسلم دعوة نقل الإيمان من دائرة الله إلى دائرة العقل الإنساني من نقد ، لم تسلم هذه الدعوة الأخرى ، التي تنادى بنقل الإيمان من دائرة الله والعقل معا إلى دائرة الحس والواقع من تعثر كذلك . وربما كان ما يوجه من نقد إلى هذه الدعوة أعنف وأشد ، أو أوضح وأبين . لأن الحس

والواقع إذا كان من طبيعته أن يعلى ، فالإنسان هو أيضا من الحس والواقع . ولذا فهو يعلى كذلك . فإذا أُملي غييره في الحس والواقع عليه فهو يعلى على غييره في هذا الحس والواقع كذلك ، وإذن هو متفاعل مع الحس والواقع ، وليس منفعلا فقط ومعنى ذلك : أنه يعطى ويأخذ ، ويوجه ويتوجه ، ويؤثر ويتأثر ، وليس شيئا سلبياً يفعل بغيره دوماً .

ومعنى ذلك أيضا أن للإنسان إيجابية ،

ومع ذلك لم تسلم هذه الدعوة من نقد ؛ لأن العقل الإنساني مهما سما ، ومهما تجرد عن الهوى والغرض في الحكم والتخطيط والتوجيه ، فإنه يتأثر بظروف الإنسان . وهي ظروف متقلبة ومتغيرة ، فالإنسان يشعر بطمأنينة في لحظة ، ويقلق في لحظة أخرى تالية ، ويشعر بالصحة في آن وبالمرض في آن آخر ، ويشعر بمتعة في وقت ، وبمرارة في وقت آخر . . . وهكذا فهو موجود غير ثابت ولذا تفكيره - وهو عملية عقله - غير مستقر كذلك ، ولذا ما يأتي به من أحكام ، أو تصورات وإدراكات لا يخلو من هذا الاضطراب ، وعندئذ لا يصلح أن يكون تفكير الإنسان قانونا يصلح لتوجيه قوم معينين ، فضلا عن أن يصلح لتوجيه البشرية كلها .

وإذا هذا الاعتراض على قيمة العقل واستغلاله في التوجيه ، نادى بعض المفكرين في عهد آخر لاحق بنقل الإيمان من دائرة الله ومن دائرة العقل الإنساني معا ، إلى دائرة الحس والواقع ، وبرر ما دعا إليه على هذا النحو بأن الدين الذي هو مصدر الإيمان بالله لا يخرج عن كونه مصدر تغير للإنسان ؛ لأنه فهم الدين من تصرفات رجال تلك الهيئة الدينية المعينة التي احتكرت السلطة في تفسيره والسلطة في توجيه الإنسان معا ، كما برره بأن

هل الفلسفة هي مصدر تكوين الضمير ؟
 أية فلسفة هي التي تكون مصدر تكوين الضمير .
 وأى فيلسوف هو صاحب هذه الفلسفة
 التي تكون الضمير ؟ . وهل هذا الفيلسوف
 إنسان تجرد عن ظروف الإنسان العادي
 وتقلبه ، وعن عوامل البيئة والوراثة ؟ .
 هل هو لا يمرض ولا يصح ؟ هل هو
 لا يقلق ولا يطمئن ؟ .

هل هو لا يشور ولا يغضب ؟ هل هو
 صاحب مزاج واحد لا يتقلب فيه بين
 متعة مرة ومرة أخرى ؟ وأين يوجد
 هذا الفيلسوف ؟ وفي أى قوم يوجد ؟ ولأية
 جماعة ينسب ؟ أين تنسب جماعة البيض أم لجماعة
 السود ؟

إذا لم يكن الفيلسوف على هذا النحو ،
 وفلسفته لا تصلح أن تكون مصدراً لتربية
 ضمير إنسانى يعلو على الحزبية والهوى
 ويسمو عن الغرض ، ويفعل الخير للناس جميعاً .
 ولكن حتى هذه اللحظة لا نعرف مقر
 هذا الفيلسوف .

وإذن فإن مصدر تكوين الضمير لدى الإنسان
 لا بد أن يكون مصدراً عاماً للبشر جميعاً ،
 فوق الهوى وفوق الغرض ، فوق ألوان
 البشر وفوق أجناسهم . وليس هذا المصدر
 إلا رسالة الله . لأن الله هو خالق الناس جميعاً
 ومدير الكون كله وهو بالناس رؤوف رحيم .

كما أن للواقع إيجابية . فدعوى نقل الإيمان
 من دائرة الله ومن دائرة العقل إلى دائرة
 الحس والواقع وحده دعوى قائمة على
 المبالغة وعلى الخداع بالحس والواقع ،
 كما قامت تلك الدعوة الأخرى التي نادى
 بنقل الإيمان من دائرة الله إلى دائرة العقل
 على المبالغة والخداع والعقل .

ومعنى هذا أن قصر الإيمان على العقل
 وحده ، أو على الحس أو الواقع وحده ،
 فيه الضرر كل الضرر ؛ لأنه قائم على المبالغة
 والخداع ، وليس الأمر على نحو ما أراد
 بعض هؤلاء المفكرين من تصويرهم الإيمان
 بالله بأنه ضرر على الإنسان .

والفريق الآخر الذى يرى عدم ضرورة
 الإيمان بالله فى حياة الإنسان — يذكر
 أنه ما دام فى الإنسان ضمير ، يوجهه
 نحو الخير فلا حاجة إلى إيمان بالله ؛ لأن
 الغاية من الإيمان بالله حمل الإنسان على
 فعل الخير ، وعلى اجتناب المنكر والضرار

ومع ما يبدو فى هذه الدعوة من مظهر
 الإقناع ، فإنها لا تلبث أن تكشف عن وهم .
 إذ أن لسائل أن يسأل : هل كل إنسان عنده
 ضمير يدفعه إلى الخير ؟ فإذا كان الجواب لا ،
 فيسأل مرة أخرى : ما هو مصدر تكوين
 الضمير عند الإنسان ، إذا لم يكن الضمير
 أمراً فطرياً ولا زماً عند كل فرد ؟ .

الذى إذا سلمه الإنسان استقام الفرد
والمجتمع معا ، وهذا التخطيط للصراط المستقيم
هو وحى الله ، أى وحى ذلك الموجود
المتفوق على الدوام ، ذلك الموجود المرتفع
فوق الأجناس البشرية وألوانها ، وفوق
الأغراض والهوى ، وفوق الحاجات
وفوق التقلبات والأزمات ، لأن المتفوق
دائما لا يفتقر ولا يحتاج ، ولا يتقلب ولا
يتطور ، وإنما هو متفوق لأن ذاته متفوقة .
وإذا آمن الإنسان بهذه الرسالة ، وهى
رسالة التوجيه الخير ، عندئذ يفيد نفسه ،
وفيد غيره معه فى مجتمعه . لأن قائدة الإنسان
ليست إلا لأنه مستقر مطمئن . ولا يكون
الإنسان مستقرا مطمئنا إلا إذا عرف منزلة
نفسه ومنزلة غيره فى وجوده معه ، وانعان
فى علاقته به ، وأدرك أخيرا أنه وهو أخوان ،
وإن غابتهما الخير والسلام .

ولا يخشى أن يودى الإيمان بالله - وهو
لصالح البشرية جمعاء - إلى التعصب .

لأن التعصب فيه معنى الاعتداء ، أما قوة
الإيمان فمن مظاهرها سهولة فهم الحياة ،
والتسامح فى معاملة الناس . والتعصب مظهر
الطائفية ، أما التسامح فليس دليلا على التراخي
فى الإيمان وإنما هو دليل على حسن المعاملة
والتهذيب فيها . وتلك غاية الدين ورسالة
الإسلام .

المكتوب محمد البرهني

المدير العام للثقافة الإسلامية

وإذن لا مفر من الإيمان بالله ،
إذا أردنا ضميراً فى الإنسان يدفعه نحو الخير .
ومن خداع أنفسنا أننا نعتد على العقل
وحده ، كما نعتد على الواقع وحده .

والواقع أن الإيمان بالله ضرورة بشرية ،
يحتتمها وجود الإنسان ، ويحتتمها طبيعة
الإنسان ، إن من طبائع الإنسان أن يطيع
وأن يعصى ، أى أن من طبيعته أن يختار
التبعية ، أو الانفصال عنها . وهو إذا أطاع
لا يطيع إلا من هو متفوق عليه فى القوة ،
فى الاستغناء وعدم الحاجة ، فى المنح
والإعطاء ، فى حسن التدبير وحكمة المعالجة .
إلى غير ذلك من أسباب التفوق . وإذا أطاع
الإنسان إنسانا غيره لمعنى من معانى التفوق ،
فإنه لا يلبث أن يتوقف عن هذه الطاعة له ،
إذا أصبح هو متفوقا مثله ، أو إذا انكشف
نقص فى ذلك الذى كان يطيعه . والإنسان
هو الإنسان ، لا يتفوق إطلاقا ، ولا يستمر
اعتقاد التفوق فيه .

ولذا كانت الطاعة الدائمة لذلك الموجود
الدائم فى تفوقه ، وليس هناك فى الوجود
متفوق على الإنسان تفوقا دائما إلا الله .

فالإيمان بالله إذن تلمية طبيعة الإنسان .
وإذا كان الإيمان بالله تلمية طبيعة الإنسان
ففائدته تتجلى فى أن الإيمان بالله أساس
الإيمان بالرسالة التى يأتى بها الرسول ورسالة
الرسول ما هى إلا تخطيط للصراط المستقيم ،

مقوماتنا الروحية أمام المادية العالمية

للأستاذ محمد محمد المدنى

- ٢ -

الإيمان بالنفس :

وإذا كان الإيمان بالله هو أول مقوماتنا الروحية ، وأعظمها أثراً في توجيه حياتنا توجيهاً إيجابياً جامعاً بين مطالب النفس ، ومطالب الجسم ، كل منهما في حدود الفطرة السليمة ؛ فإن هناك مقوماً هاماً آخر له توجيهه الإيجابي ، وتأثيره الفعال في حياة الفرد والمجتمع :

ذلك هو الإيمان بالنفس .

فقد دلت الدراسات النفسية قديماً وحديثاً على أن الفرد إذا آمن بأن له كيانه معنوياً خاصاً وأنه ليس مجرد تكرار لغيره ممن يشاركه في بعض أحواله ؛ فإنه ينبعث في عمله انبعاثاً قوياً ، ويشمر ثمرات مبتكرة كثيرة ، أما إذا أحس بأنه شخصية ثانوية في وجودها أو فيما ترتكن عليه ، أو في قدرتها على الإنشاء والشمير ، فإنه حينئذ يكون قوة متراخية نزاعة دائماً إلى التخلف والتبعية ، وإلى الاكتفاء بالتقليد والتشبه ، ومن ثم يقولون : إن شخصاً واحداً معتداً بكيانه ،

مؤمناً بنفسه ، خير من ألف شخص تبعين ، ومن هنا أيضاً كان القادة عادة قلة وأفراداً ، بينما المقودون التابعون آلافاً وملايين .

وهذا المعنى كما يلاحظ في الأفراد يلاحظ في الأمم ، فهناك أمم تعيش لتقود ، وهناك أمم تعيش لتقاد ، وما كان هذا وذاك إلا بأن الأولى آمنت بنفسها ، ووثقت بأن لها رسالة في الحياة هي مخاطبة بأدائها مخلوقة لها ، وبأن الثانية أخذت عن نفسها ، واستقر في نفوس أفرادها أنها مجرد تكرار لموجودات خلقت لتكون تابعة .

وقد ربط القرآن الكريم بين خسارة النفس وخسارة الإيمان حيث يقول الله عز وجل : « الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون ، فجعل عدم إيمانهم مترتباً على خسارهم لأنفسهم ، ذلك بأن الذي يخسر نفسه لم يعد له وجود معنوى وإن كان له وجود جسمانى ، فتراه يعيش ويأكل ويشرب ويتمتع ويتحرك حركات الأحياء ، ولكنه في واقع الحال ميت معنوياً لأنه لا تأثير له

تحرص على وجود رأى عام قوى مهيب فيها يأمر أفرادها بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، أى يكون مجتمعهم قادراً على محاربة الفساد ، وإشعار أهله بغضبه عليهم ، وإنكاره لفعالهم ، وعلى تأييد الإصلاح والمعروف ، وإشعار أهلها برضاه عنهم ، وتأييده لهم .

وهذا يعنى أنهم أمة قادرة على إصلاح نفسها فى داخل نفسها ؛ لأن ما لا يكون صالحاً فى نفسه لا يكون صالحاً لإصلاح غيره . آمن المسلمون بأنفسهم على هذا النحو ، فقادوا وسادوا وشادوا ، وكان الفضل فى تلقى الغراس القرآنى وتعهده بالتماء للعرب ، لأنهم هم الذين تلقوا الرسالة الأولى ، وفيهم جعلها الله : « الله أعلم حيث يجعل رسالته » حيث يجعلها فى فرد يختاره من بين قومه ، وحيث يجعلها فى أمة يختارها من بين الأمم ، ولا يمكن أن يكون هذا التشريف للعرب بحمل الرسالة ، وتلقى غرسها الأول وصيانتها وتعهده ، قد وقع من قبيل الصدفة ، فإن هالك قانوناً عاماً قرره القرآن الكريم هو ما يرشد إليه قوله تعالى : « الله يخلق ما يشاء ويختار » ، فخلق على وفق المشيئة ، واختياره على وفق المشيئة ، وكلاهما يدل على نبي المصادقة ، وعلى إثبات غاية الحكمة ؛ لأن مشيئة الله تعالى متقيدة بنهجه عليه وتتمام حكمته .

فى شىء مما به تكون النفوس نفوساً ، وبذلك لا يكون صاحب ذات توصف بأنها مؤمنة أو غير مؤمنة .

وتاريخنا - نحن المسلمين - خير مثل تطبيق لهذا الذى قررناه فى ناحية الإيجاب والسلب .

فقد نهض المسلمون الأولون نهضة قوية حولت العرب من أمة بدوية صغيرة منظوية على نفسها ، إلى أمة ذات حضارة وقوة وتأثير فى غيرها وقيادة عالمية فى مختلف النواحي ، وشتى الميادين ، وسرد ذلك أنهم كانوا مؤمنين بأنفسهم وبأن لهم رسالة هياهم الله لخلقها وتبليغها ، وقد فهموا القرآن الكريم على هذا الأساس ، وطبقوا مبادئه على هذا الأساس :

سمعوا القرآن الكريم يقول لهم : « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » . ففهموها على أنهم أمة مطلوب منها أن تكون أمة داعية ، لا أن تكون مجرد أمة مدعوة ؛ وإذن فهى أمة يجب أن تكون قائدة ، ويجب أن تحتفظ دائماً بجميع المزايا التى هياتها هذه القيادة من العلم ، وإعداد العدة والعدل والألفة والاجتماع . وفهموها على أنهم أمة من واجبها أن

كذا ، وقرر الدستور البلجيكي كذا ، ووضع البروتوكول الإنجليزى كذا ، أى أنهم يستضيئون بما يقتبسونه من مدنية غيرهم . وفقه غيرهم ، مع أن لهم فقهًا وعلما وحكما جعلهم الله بها أمة وسطا لغاية معينة هى أن يكونوا شهداء على الناس أى : مراجع للعالم يستهدى هو بهم وينظر إليهم ويقتبس منهم . ولقد كانت ثمرة هذا الانتكاس فى الإيمان بالنفس ثمرة مرة ذاقها العالم الإسلامى صابا وعلقا ، حينما من الدهر ، حتى أذن الله بانكشاف الغمة ، وأراد أن يمن على الذين استضعفوا فى الأرض ويجعلهم أئمة ، يبعث فيهم من بعث ثقتهم فى أنفسهم ، فكان ذلك عسودا إلى السلسلة من ذات الحلقة التى كنا تركنا الإمساك بها .

فواجبنا الآن أن نحرص على إيماننا بأنفسنا ، وأن نعلم علم اليقين أن أعداءنا ليسوا بأقوى منا هما ، ولا بأصبر منا على جهاد ، ولا بأولى منا بقيادة وتوجيه ودعوة ، فعن هذا الإيمان انبثق نورنا يوما ما ، وعن هذا الإيمان صدرنا فى نهضتنا الحاضرة ، فاكتسبنا فى أعوام قليلة ما كنا خسرناه أحقابا طويلة .

وينبغى أن ندرك أن المادية الطاغية الباغية فى هذا العالم - وهى تتمثل تارة فى الصهيونية ، وتارة فى الاستعمار ، وتارة فى الشيوعية - تقف

هذا الإيمان بالنفس هو الذى نفع العرب أولا ، وقد سرى منهم إلى المسلمين من كل جنس فانتفعوا به أيضا ، فكان للإسلام دولة وصولة ودعوة وتوجيه بقيادة فى كل مجال : فى العلوم والبحث ، فى النظر العقلى ، فى الإنشاء والاختراع ، فى السياسة والحكم ، فى فقه الحياة ووضع الحلول السليمة لمختلف المشكلات ، فى معالجة النفوس وسياستها الروحية ، فى رسم مناهج الحكم ، وإقرار موازين العدل ، فى وضع قواعد التعامل الدولى بين الأمم بعضها وبعض ... وهكذا أثمر الإيمان بالنفس مدنية وحضارة ازدهر بها العالم ازدهارا ، بل لم يعرف العالم ازدهارا عمليا حقيقيا إلا فى ظلها ، حتى العالم الحاضر الذى لا تسيطر عليه دولة الإسلام ؛ تسيطر عليه أمهات مبادئ الإسلام وإن زعموها من صنعهم ومن ثمرات تفكيرهم ومدنيتهم . ثم دار الزمان دورته حين فقد المسلمون إيمانهم بأنفسهم : دار عليهم فأصبحوا تابعين بعد أن كانوا متبوعين ، وأصبحوا موجهين ، بعد أن كانوا مقاييس ، وصارت المقاييس والمثل مقاييس غيرهم ومثل غيرهم ، ونسوا قوله تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ، فصاروا يمحكون أوضاع غيرهم وتقاليدهم غيرهم . فيقول قائلهم مثلا : « لقد جرى الفقه الفرنسى على

إلى أرض العروبة ، وإنما هو الآن يعاني أعراض التصفية وينزع النزاع الأخير إلى حيث لا رجعة له إن شاء الله . وذلك نفسه هو شأن الشيوعية : إنما هو شأن اليأس من أن تجد مبادئها في أرض العروبة بيئة صالحة لنماء بذرتها . ولذلك حسبها أن ترضى منا بمبدأ « التعايش السلمي » ، ليس إلا .

ولست إخصائياً في السياسة . ولا أحب الخوض فيها ، ولكنني إنما أتحدث من ناحية ما كسبناه حين آمنا بأنفسنا ، وأحذر قوى من الإنصات إلى الذين يحاولون تشكيكنا فيما آمنا به ، حرصاً على زلزلتنا ، وثقة بأننا إذا زلزلنا سهل غزونا ، وسهلت هزيمتنا .

إن أشد الغزو هو غزو الأفكار والقلوب ، وليس هو غزو البلاد والأوطان بالسيف والمدفع ، فينبغي أن نضع أمام أعيننا تلك الحقيقة ، وقد قررها القرآن الكريم لنا حيث يقول : « ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً ؛ حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق » ، وحيث يقول : « إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء ، وودوا لو تكفروا » .

البحث موصول إن شاء الله .

محمد محمد المدني

عميد كلية الشريعة

منا موقف الذي يعمل على تشكيكنا في أنفسنا ، وتشكيكنا في مبادئنا ومثلنا : فقد كنا نسمع - والاستعمار الإنجليزي جاثم على صدورنا - أن المصريين لا يمكن أن يتفقوا ، ولا يمكن أن يستغنوا عن يسندهم في المجال الدولي ، وأنه لا بد لهم من محالفة الإنجليز ، والآن رأينا هذه الدعوى تزيف ، ورأينا كيف استطاع جمال عبد الناصر أن يجمع كلمة المصريين ، ثم كلمة السوريين ، بل أقول كيف استطاع أن يجمع كلمة العرب أجمعين ؛ لأنني أقصد الشعوب العربية التي تتألف من أبناء العروبة ، لا من الحكومات المجلوبة ، ولا من الملوك المسخرة ، وكيف استطاع جمال عبد الناصر أن يقضى على خرافة الاستناد إلى حليف من الغرب ، وأن يكون هذا الحليف هو الإنجليز أو غير الإنجليز ، بل كيف أصبح مبدأ الحياد الإيجابي مبدأ عالمياً أخذه عنا غيرنا .

وقد قالوا لنا يوماً : إنكم فراعنة ولستم عرباً ، فصدقنا ، وقطعنا صلاتنا بإخواننا في العروبة . أو جمدنا هذه الصلات وذلك ليفيدوا الصهيونية من تفرق الشعوب التي حولها وعدم التفافها حول جامعة تجمعها ، لتخلو لها هذه الشعوب فرادى فتأكلها واحداً بعد الآخر .

والآن لا يقلق الصهيونية شيء كما بقلقها مصيرها المحتوم أمام إيمان العرب بعروبتهم ، واتسلافهم حول قوميتهم ، وإذا كانت الصهيونية يداخلها هذا القلق العظيم على مصيرها ؛ فإن الاستعمار قد ينس أن يعود بعد اليوم

نفاية القرآن

موقف الناس بين الدعوة إلى الهدية والجنوع إلى الفجوة

للأستاذ عبد اللطيف السبكي

- ١ - ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره
- ٢ - وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره
- ٣ - وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره
- ٤ - وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره

بين أجناسها في إطار العبودية لله ، فالشرائع المبسوثة بين الناس في أزمانهم المختلفة تجمع بينهم كذلك من ناحية الاتجاه إليه بالطاعة في أي لون من ألوانها المشروعة ، ولا تعتبر الشرائع مفرقة بين أهلها كما يزعم الخاطئون الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا .

فما كانت الديانات إلا توجهها للناس نحو الخير ، وإن اختلفت من بعض نواحيها أساليب التوجيه : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ، والذي أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم ، وموسى وعيسى ، أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » . هذا مع قوله سبحانه : « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » .

ولو أن الناس استطاعوا أن يتألفوا على الأخذ بالدعوة الدينية في أصلها وجوهرها الصحيح لوجدوا أنفسهم في نظام متناسق ،

هذه آيات أربع تتفق في معناها ومعناها ، وكل منها تعتبر مطلقاً لقصة نبي من الأنبياء مع قومه ، وقد انفقت كلها - كما وافقتها آيات أخرى - على أن الدعوة كانت إلى عبادة الله وحده ، وكانت للتبصيص على أنه الإله الواحد ، وليس هناك إله غيره

وهذا هو الأصل الذي تنعقد به صلة الناس برهم ، وهو الوثيقة التي تكفلت رسائل الأنبياء بتبليغها ونشرها بين شعوبهم ، وامتدت في سائر العصور المديدة .

وليس في هذا الأصل تفاوت بين قوم وقوم مهما تراخت بينهم فترات الزمن .

وراء هذا الأصل الثابت شرائع يختلف بعضها عن البعض في شيء من مناهجها وتفصيلاتها .

وإذا كان جانب العقيدة وهو الأصل الأول يؤلف بين الأمم المتنوعة ، ويقارب

وقد نبه القرآن في غير موضع منه على أن سنة الله في خلقه سواء . وأن عدله فيهم قائم وأن من تربثت به الأحداث فليس بنجوة منها دائماً ، ومن قبيل التهديد بهذا قوله تعالى ناصحاً لنا : « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات » ، فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم .

وأنت ترى فيما يقصه علينا القرآن من شأن الأمم السالفة أنها كانت في الضلال متتابعة ، وأنها كذلك في الهلاك والدمار سواسية ، وإن اختلف كفرها فنونا ، أو اختلف هلاكها أنواعا : ما بين قحط في الأرزاق ، ثم إحراق بالصواعق ، أو غير ذلك من ضروب العذاب .

وعلى أى نوع كانت من العصيان فهمى أم مسخوطة ، وكانت عاقبة أمرها شؤماً وبوراً . فكلما أخذنا بذنبه : فهمم من أرسلنا عليه حاصباً : ربما ترميهم بالحجارة - ومنهم من أخذته الصيحة : صوتا ترتجف له الدنيا ، ويهلك من فيها - ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا ، وما كان الله ليظلمهم ، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون .

وهذا جانب محدود مما ورد في القرآن بشأن المتجبرين وما حاق بهم من عذاب الله ، وهو جانب يكفى لإيقاظ المشاعر نحو موقفنا من دعوة الدين وهدايته ، وجنوحنا إلى العصيان والغواية .

وعاشوا في غير شقاق ، وتبينوا في سر وأرتياح . أن اتحاد الأصل الذى واثقهم الله به في العقيدة يأبى عليهم أن يكونوا خصوما . . وتبينوا ثانياً أن الشرائع السماوية لم يخالف بعضها بغضا فيما اختلفت فيه من فروع لغرض التشقيق بين الناس ، وتوزيعهم شيعاً متنازعة ، بل كان التمايز بين الشرائع تطويراً لهم ، وتطويراً لعقلياتهم ، وتمهيداً لتنظيم صفوفهم ، وجمعهم على طابع يتناولهم من الناحية الروحية ، وهى ناحية الدين ، كما تناولهم جميعاً الطابع الإنسانى الذى أنبثق بهم عن أب واحد ، وأم واحدة .

ولكن الحكمة ومشية علوية تشعب الناس في تلقيمهم لدعوة الدين ، وانقسموا حولها قديماً ، وحديثاً ، واتسعت بهم جولات الخلاف ، فلقيت كل دعوة من أهلها عنتاً ، ولقيت الدنيا من وراء ذلك شقاقاً وتناحراً ، وأصاب أهلها سلفاً ما أصابهم بسبب ما جنوا على أنفسهم ، ولم يكن للناس في شططهم عذر يشفع لهم ، قد بين الله لهم سبيل الهداية ، وحذرهم عواقب المخالفة عن أمره ، ثم لما لم يستجيبوا ، أخذهم بذنوبهم ، وجعلهم سلفاً ومثلاً للآخرين .

نعم ، كانوا خفية إمرافهم في العصيان والانحراف ، وكانوا قصصاً يحكيه القرآن لمن يمسدهم حتى لا يعيش الخلف في غفلة . ولا يكونوا على جهالة بالمصير .

وكان هامسا يقول . إن الطمع في ثوب
الناس جميعاً إلى هدام يعتبر إسرافاً في الأمل
بل التعلق بالرجاء في استقامة الجميع يبعد عما
أفصح به القرآن : حيث يقول الله تعالى :
« ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ، ولو شاء
ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً ، فالهداية
لم تسكن في تقدير الله حظاً لجميع الناس ، بل
فريقاً هدى . وفريقاً حققت عليهم الضلالة
لماذا نحاول نحن من حديثنا عن الهداية
والغواية ، ومن تعرضنا للوازنة في ذلك
بين أناس وأناس ؟ » .

والجواب أن المقدور محجوب عنا ، وأنتا
أمام ، التكليف سواء ، لا يدري أحدنا
من شأن نفسه : أهو من المقربين ، أم من
المبعدين ، والمطلوب منا جميعاً أن نأخذ في
الطاعة ونوجه ميولنا ، وإرادتنا نحو الخير
ونروض أنفسنا على صالح العمل ، وأن
نتجنب إلى الله بالكف عن الحرام ، وعن
مطاوعة الهوى ، وذلك هو جهاد النفس
وهو الجهاد الأكبر في مشقته ، وفي عظم ثوابه
كما أفادنا كلام الرسول عليه الصلاة والسلام .

وهذا الاتجاه يملكه المرء عن نفسه ،
وهو مناط التكليف الذي نسأل عن تنفيذه
أو محاولة تنفيذه ، فائقوا الله ما استطعتم ،
ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، .

ومن المسلم به أن التدرج في الأمر يجعله
عادة مألوفة إلى أن يصير في حكم الخلق
المطبوع ومن قبيل ذلك أن الدين يطلب

وقد يرين على بعض القلوب شيء من
الغفلة فتخال أن ذنوبنا لم تبلغ ما بلغته ذنوب
الغابرين أو أننا معصومون بما يشاء الله
لو أراد بنا سوءاً ، أو أن النجاة ميسورة لنا
بتوبة ندرکہا يوماً ما .

وهذه أمانى مكذوبة ، يرددها في خواطرنا
إيحاء الشياطين .
وتستجيب لها النفس في غمرة لهوها ، وفي
غفلة الضمير .

تلك الأمانى كانت ولا تزال شباك الشيطان
ومفاتيح الأنفس ، ومصرع الحق ومبعث
الباطل ، وضعية الأمل الصادق ولو كانت
حقاً كما نتوهم لآتيحت لمن سبقونا إليها
وتعلقوا بها ، ثم خذلهم الأقدار ، وسخرت
منهم الدنيا وخرجوا منها دون أن يأخذوا
بالحرص من أوله ولم يدركوا الأمر في أخرياته .

وما برح القرآن يذكرنا بتلك السوابق .
وبما يحذق بالناس من أحداث كريهة ،
وينبهنا إلى أن الناس يجنون على أنفسهم بما
تكسب أيديهم ... فنحن الذين نتعثر في
الطريق المعبود ، ونحن الذين نتخطى الصواب
فيلحقنا الضرر ولا بد ، لأننا لم نفرق
بأنفسنا فيما نسلك ، ولم نرجع إلى توجيهات
الدين فيما أقام لنا من معالم ، وفيما أوضح من
أهداف وما يمكنك أن تعرض للناس غاية
يتبنون إليها في انحرافهم واتخاذهم ، ولا
يمكنك أن تفرض لهم يوماً ينصرفون فيه
عن غيهم ، فقد عاشوا على ذلك ، وما زال
الشأن هو الشأن ! .

وإن كانت كلها في هذا الصدد على وفاق معنا فيما نقرره استدادا من القرآن الكريم ، واقتباسا من توجهاته إلى العمل بأحسن ما نسمع ، وإلى تحاشي الضلالة وأسبابها وألا تقرب الفواحش ما ظهر منها وما بطن وأن نتحاشى الفتن ، ولا نوقظها لتظل نائمة بين الناس .

ولنا شاهد من واقع الأمر المشهود ، فحيثما نجد الغواة مسرفين في غوايتهم ، ونراهم يتعلمون بالمعذرة عن أنفسهم بأن العبد مسير لا مخير كما يزعم بعض المبطلين من دعاة البحث المذهبي نجد من المسرفين من يقلع اختيارا عن غيه ، ويتدارك نفسه بالتباذ تلك المساقط ، والتعوذ بالله من مفاتن الشياطين ، والأخذ بالعروة الوثقى فيصبح يقظا بعد غفلة ، وجادا بعد مهزلة ، ويبصر برشده ما كان محجوبا عنه في ظلة السفه .

وإذا كان مقررا أن المرء يملك توجيه نفسه في مجال الاقتصاد كما أشرنا فكيف لا يملك مثل هذا التوجيه في الجانب الأدبي كما طلب إليه الدين .

والذى أريد الاقتناع به هو أن دعوة الدين إلى الاعتدال ليست دعوة تعسفية ، ولا يقف في سبيلها إلا أن يقلع المرء عن عادات مستهجنة ، يأخذ بدلا منها بعادات مستحسنة ، وإن كانت في أول أمرها غير هينة ، فإن الطاعة وعمل الخير مجال الحرب

منا تعويد الصبيان أن يصلوا ويصوموا لتنشأ فيهم الطاعة كعادة متأصلة فلا يرهقهم أخذهم بها بعد أن يشبوا على المخالفة والتمرد فالسنة فيما نحاوله بعيدة عن التشبذ بما قدر لنا أو علينا ، بل المطلوب أن نحصر وأن نسد ، وتقارب ما استطعنا ، فليس لأحدنا أن يتسكأ ويقول : صنعت ما قدر على فعله . إذ ليس لنا علم سابق بما قرر كما أسلفت ، وإنما الأمر موجه إلى مغالبة النفس على هواها وترويضها على الامتثال في جانب الخير وكل امرئ ذى عزيمة يلبس من شأن نفسه القدرة على التحكم في ميله كما هو واقع في شئون المال والنفقات ، والاقتصاد ، والمأكل والملبس ونحو هذا مما يتصرف فيه فيمسك أو يسرف كما يحب فكيف لا يقدر على الاتجاه نحو الطاعة ، وقسر النفس على الاستجابة ؟ .

إن تجارب الحياة وما يملأ سمعنا من القصص عن الغير يفيدنا في تأكيد أن أرباب الغواية انحدروا إليها في هوادة ، وظلوا حتى كانوا ضحايا العادات التي جرفتهم ، ويفيدنا أن أهل الطاعة والمثاليين في أخلاقهم أبناء عادات طيبة تركزت فيهم وصارت خصائص يعرفون بها ، ولا يرضون سواها .

ولسنا بحاجة في هذا السياق إلى الاستشهاد بنظريات الفلاسفة ، ولا بأقوال الحكماء

يحاول المرء أن يتجه إلى وجهات الخير ويلبس من نفسه تراخيا وأناة فليطرق مع عمله باب الدعاء إلى الله أن يعينه على مقاصده .

وباب الدعاء مفتوح ، والله يحب من عبده أن يلتمس الخير عنده ، ويلوذ بدعائه .

وقديما تخلت الأقوام عن دعائه كما تخلفوا عن نلبية رسله في طاعة ربهم فكان إحجامهم هذا جفاء شرا من تغافلهم حتى في ساعات البلاء النازل بهم وقد أخذ الله عليهم ذلك الجفاء ، واعتبره قسوة منهم على أنفسهم ، وجنوحا إلى عدوهم الشيطان .

وفي هذا يقول سبحانه ، ولقد أخذناهم بالبأساء والضراء ، فما استكانوا لربهم وما يتضرعون ، .

«فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا !! ولكن قست قلوبهم ، وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون ، .

فهناك جحود وجود . وهناك حاجة وعناد ، وعند الله هداية ، ورجاء ، ولكن الناس أعرضوا وعاندوا ، ونسوا الله فيما يعملون فأنساهم أنفسهم فيما يرجون ويسألون . ونحن نسأله من فضله ، ونضرع إليه بكرمه وجلاله أن يجعلنا من أوليائه لامن أولياء الشيطان ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ؟

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

مع الشيطان ، والحرب كلها بحاجة إلى الجلال والمصابرة ولكل امرئ من دهره ما تعودا . وهنا تتفاوت مراتب المجاهدين لأنفسهم ، وتتفاوت منازل الناس أمام دعوة الدين ، وما منا إلا له مقام معلوم ، .

وإذا كان حديثنا هذا صدى لما ينبثق في الآيات السابقة عن الأمم الخوالي فمن مواصلة الخير بين المسلم والمسلم أن نثير العبرة ، وأن يذكر بعضنا بعضا بوجوب التآزر في النوض بمستوانا من كل ناحية حتى تتوازي جوانب المجتمع كلها .

فإذا رجع شأنه من ناحية الاقتصاد ، والتصنيع ، والسياسة ، والتعليم وبدا المجتمع كما هو اليوم في نشاط يبعث فينا الفخار والغبطة وجب أن يكون كذلك في ناحية الخلق ، والآداب ، والتدين حتى يكون قوام المجتمع على دعائم قوية تكفل بقاءه ويسلم كيانه من الهزات التي كثيرا ما صعدت بنيان أقوام آخرين .

وهذا هو الكيان الذي تهدف إليه ثورتنا المباركة ، وتهاافت عليه جمهوريتنا الواثبة ، ووصلت إلى مطالبه جهودنا الموفقة .

وما أهل القرآن وسيلة تصل بنا إلى مبتغانا إلا دفعنا دفعا قويا إلى تناولها ، والاستزادة من ثمراتها .

فالعمل ، وتدريب النفس على الجسد ، والترفع بها عن السفاسف : كل ذلك من الوسائل الكفيلة بالغايات النبيلة وحينما

من القيم الإنسانية في الإسلام

المحبة

للدكتور محمد يوسف موسى

ومن هذه العاطفة السامية القوية ، تنبع عواطف أخرى لا قوام للإنسانية بدونها ؛ من الرحمة ، والعطف ، والتعاون ، والإيثار ؛ ومن ثم ، يكون الإنسان المحب لغيره ، والذي يسارع إلى تفريج كربته ونفقه بما يستطيع حين الحاجة إليه ، أثيراً لدى الله سبحانه وتعالى ، ومحبوفاً منه ، وناهيك بسعادة من يحبه ربه .

وفي الحديث : « أحب العباد إلى الله أنفعهم لعياله ، أى عبيده ، كما رواه عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنهما . وفي أحاديث أخرى ، يجعل الرسول صلى الله عليه وسلم الإيمان لا يتم ويكون كاملاً للإنسان إلا إذا كان يحب أخاه الإنسان ، ومنها قوله : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

وذلك لما يعلمه الصادق الأمين من جلال أثر المحبة متى كانت صادقة . فإنها تدفع بقى المحبوب السوء ، وسبب لوصول البر والخير إليه ، وعامل للتعاون بين المتحابين فى سبيل الخير العام لهم وللأمة والناس جميعاً .

إذا كانت الحرية ، هى التى تجعل المرء إنساناً حقاً ، فلا قوام لحياته ولا كرامة له إلا بها ، فإن المحبة هى التى تربط بين النفوس وتؤلف القلوب . وتجعل المجتمع والأمة والعالم كله يعيش فى أمن وسلام وهناء . ولهذا ، نراها من القيم الإنسانية النبيلة التى جاء بها الإسلام ، وأكدها وحث عليها ، وجعلها الرابط المتين الذى يجمع بين الناس جميعاً ، لا فرق بين جنس وجنس وأمة وأمة . .

إن رابطة الدم تؤلف بين أفراد الأسرة الواحدة ، ورابطة الوطنية تؤلف بين أبناء الوطن الواحد الذى له حدوده مهما كان امتداده وسعته ، ورابطة الدين تجمع بين بنيه وإن تعددت أقطارهم وتنامت بلادهم واختلفت أجناسهم .

ولكن رابطة المحبة أمر وراء ذلك كله ، فهى التى - متى صحت وصدق - الحبلى المتين الذى يلف العالم كله من أدناه إلى أقصاه ، وتجعل الناس جميعاً إخواناً يألم بعضهم لبعض ويفرح بعضهم لبعض ، وهنا تذوب فوارق الجنس والوطن والدين .

وأسر المادة وفتنتها، وتحمله على التضحيات الجسام في سبيل الدين والوطن .
 يروى ابن هشام في سيرة النبي ، عليه الصلاة والسلام ، أن امرأة من الأنصار رزئت يوم «أحد» ، بأعظم ما يصاب به إنسان ، فقد قتل زوجها وأبوها وأخوها وهم يحاربون مع الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه المعركة .

ولسكنها لإخلاصها في محبة الله ورسوله والجهاد في سبيل نثر دينه ، لم يذهلها هذا الرزء الفادح ، فقد كان همها أن تسأل : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالوا : خيراً ، هو بحمد الله كما تحبين ، فقالت : أرونيه انظر إليه . فلما رأيته قالت : كل مصيبة بعدك جليل ! أي صغيرة .

هذا . والمحبة غريزة فطرية في الإنسان ، بل وفي الحيوان أيضاً ، فلا بد أن تجد لها متنفساً وموضوعاً تنصرف إليه ، وحينئذ يكون لها أثرها الطيب أو الخبيث بحسب هذا الموضوع الذي تعمل للوصول إليه . والمحبة التي يدعو الإسلام إليها ، ونعبرها بحق من القيم الإنسانية النبيلة التي بلغ موضوعها من السمو والنبيل مكاناً علياً .

وإن المرء منا لا يكاد يستطيع تصور إنسان أو مجتمع أو عالم خال من الحب أو المحبة ، اللهم إلا أن يكون إنساناً لا حقيقة له ، ومجتمعاً مفككاً لا رابطة له ، وعالمًا كله خواء لا قوام له ولا بقاء .

إن الواحد منا إذا تجرد من هذه العاطفة الإلهية لم يكن إنساناً حقاً ، بل يكون كائناً من لحم ودم ، ويغدو ولا صلة تربطه بغيره ، وما أبأس شخصاً يكون على هذا النحو ! وإذا تجردت منها أمة صارت قطعاناً من حيوانات مفترسة متعادية ، وكذلك الأمر في عالم لم تجمع المحبة بين أممه وشعوبه .

بل إن مدرسة أو جامعة ، أو أى مؤسسة من نوع آخر ، لازراعة أو الصناعة أو التجارة مثلاً . لا تسود المحبة بين أفرادها والقائمين عليها ، كان عاقبة أمرها خسراً بلا ريب .

وجملة القول في هذه الناحية ، أن الحياة ، حياة أى إنسان أو مجتمع أو أمة ، إذا خلت من المحبة انطفأت شعلتها ، وجذبت القرامح ، واختفت المواهب ، وأجذبت العقول .

نعم إن المحبة الصادقة ذات الموضوع الطاهر النبيل ، هي التي تدفع الأعمال العظيمة ، وتؤلف بين قلوب الأمة ، وتنسى العامل الناصب ما يلقى من تعب وعناء ، وتجعل الإنسان بنجوة من إغراء الهوى والشهوات

فاتبعوني يحبيكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ،
وتوعد من يعرض عن الإسلام ويرتد عنه
بأن يأتي بقوم يحبهم ويحبونه .

• • •

ولكن علينا أن نتساءل : ما معنى محبة الله
ورسوله وحقيقتها ومادى أثرها ونتيجتها ؟
للإجابة عن هذا وذاك يجب أن نكون صرحاء
وشجعانا ، وأن نتذكر معنى ما يطلبه منا الدين
من الإيمان بالله ورسوله .

إن الإيمان قول وعمل ، وليس بمؤمن
بالدين الذى رضىه الله لنا وللناس جميعاً من
لا يهتدى بهدى هذا الدين ولا يعمل بما
جاء به ، فكذلك ليس محباً لله ورسوله من
يعلن عن ذلك بلسانه فى كل حفل وناد ومناسبة
أو فى غير مناسبة ، ومع هذا فهو لا يجد
حلاوة الإيمان فى قلبه ، ولا يعمل بما جاء به
من عقيدة وشريعة وخلق ، بل ربما كان
فى سلوكه على النقيض مما جاء به .

وهنا يحق لنا أن نتذكر قول الشاعر :

تعصى الإله وأنت تظهر حبه

هذا لعمرى فى الفعال بديع

لو كان حبك صادقاً لأطعته

إن المحب لمن يحب مطيع

إن الله هو - كما نقول جميعاً - القادر على

كل شئ ، وكل شئ سواه عدم ، فقلوب
العباد كلها بين يديه يصرفها كيف شاء ،

المحبة ، إذا ، درجات بعضها فوق بعض ،
وفى الذروة منها محبة الله تعالى الذى أنعم علينا
بما لا يحصى من صنوف النعم والآلاء ، ثم
محبة رسوله العظيم الذى جاءنا بالهدى والنور
ثم محبة المثل العليا تتمثلها فى حياتنا ونعمل
للوصل إليها أو الاقتراب منها ، ثم محبة
الدين والوطن ورجاله العاملين المخلصين وأبنائه
جميعاً ، ثم محبة الإنسانية جمعاء بمثلة فى كل
أناس وقبيل وأمة .

والحبة متى كانت صادقة قوية ، يكون من
شأنها أن تمثل لصاحبها محبوبه ، فلا يتخيل
إلا إياه ، ولا يرى إلا وجهه ، ولا يله إلا
حديثه . وقصارى القول ، يبلغ به الحال ألا
يسمع إلا له ، ولا يطيع إلا أمره ، ولا يبصر
أحدًا غيره ، ولا يتكلم إلا فى سبيله .

ولنبذل هذا الحب وشرفه ، نرى الله سبحانه
وتعالى يصف نفسه به ، فقد جاء فى كتابه
الكريم أنه يحب التوابين ، ويحب المتطهرين
ويحب المتوكلين ، ويحب الصابرين ، ويحب
الشاكرين ، ويحب المتصدقين ، ويحب
المحسنين ، ويحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا
كأنهم بنيان مرصوص .

كما طلب منا أن نحبه ، فقال فى التوراة :
« يا ابن آدم ، إني وحيى لك محب ، فبحق
عليك كن لى محبا ، وأمر فى القرآن
الكريم أن يقول رسوله : « إن كنتم تحبون الله

ولا حول ولا قوة إلا به ، ومن ثم كان وحده هو المستحق للإجلال والإعظام والعبادة على اختلاف ضروبها .

وهو مع هذا كله ، هو المنعم المتفضل علينا بالنعم التي لا نستطيع إحصاءها ، وهو الذي أرسل رسوله بالكتاب المبين الذي هدانا به الطريق المستقيم ، وجعلنا به خير أمة أخرجت للناس ، وسخر لنا الأرض وجعلها لنا ذلولا إلى غير ذلك مما هو معروف .

فهو إذا أهل للعبادة والحب ، وأهل لأن يكون وحده من نرجو ونخاف ، وأهل وحده لأن يكون معقد الرجاء والامل ، وأن نطيعه في كل ما أمر ، وأن ننتهي عن كل ما نهى عنه .

ومع ذلك كله ، فالكثير منا يعرض عن أداء ما افترضه علينا ، ويقع في كثير مما حذر منه ونهى عنه ، ويتوجه إلى غيره بالرجاء معتمدا على هذا الغير وحده ، متناسيا أن الناس جميعا لو اجتمعوا على أن ينفعوا واحدا منهم بشيء لم يردده الله ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، ولو اجتمعوا على أن يضروا أحدا بشيء لم يردده الله لعجزوا عن هذا عجزا بينا .

كل هذا نحسه ونعرفه في كثير من الناس فكيف يكونون محبين لله وهم على هذه الحال

من الإعراض عن الله ، ومن عصيانه في كثير مما يفعلون !

إن المحبة الصحيحة الصادقة تدفع المحب حتما إلى أن يسكون في كل حالاته على ما يرضى المحبوب ، وإلى بذل غاية جهده في هذه السبيل فكيف إذا كان المحبوب هو الله مالك الأمر كله ، ورسوله الذي أخرجنا الله بفضله من الظلمات إلى النور ، وصرنا أعزاء بعد ذل ، وسادة بعد أن كنا مسودين ! .

إن محبة الله ورسوله تقتضيان ، إذا كنا محبين صادقين ، أن نفهم الإسلام على حقيقةه وأن نزل على أحكامه في كل ما تأتي ونذر ، وأن نطيعه في المنشط والمكروه ، وأن نبلغ هذا الدين العالمي الخالد إلى الناس جميعا عليهم يستضيئون بنوره ، فيسعدون باتباعه .

وإن هذه المحبة تجعلنا أن نتخذ الرسول العظيم قدوة لنا في كل أمورنا ؛ فهو بنا رؤوف رحيم كما وصفه الله تعالى في كتابه ، وفيه لنا في عامة أحوالنا وفي كل جيل وزمان أسوة حسنة كما نطق بذلك القرآن .

وإن هذا العامل النبيل السامي ، أي هذه المحبة الصادقة لرسولنا العظيم ، وكذلك محبة الإنسان لإخوته في الدين والوطن ، حرية أن تنقى قلوبنا من الغل والحقد والحسد ، ومن البخل والجشع ، فهو الذي يقول في بعض أحاديثه : (لا تباغضوا ، ولا تحاسدوا ،

في فضل ، أى فيما يفضل عن حاجته .

* * *

وأخيرا ، لماذا يعيش الناس اليوم في كرب وضيق ، وفي خوف من حرب عامة لا تبقى ولا تذر ، وتنال الناس بويلاتها في الشرق والغرب ؟ الجواب واضح ، إنه محبة الإنسانية التي انفزعت من القلوب ، والرغبة في الغلب والاستعلاء ، واستشعار الدول الكبرى أن بعضها عدو لبعض .

لكن لو نزعنا عن القلوب والنفوس ما ملأها من هذا كله ، وأحب كل منا إخوانه في الإنسانية ، ولم يصرفه عن هذا الحب أثره أو اختلاف دين وجنس ، لو سعنا العالم جميعا ولا يمكن تعاون الجميع ، على استخراج كنوزه واستغلالها ، والانتفاع بخيراته ليعم الأرض بمن عليها من ناس ، وأمن كل محل الخوف وقام سلام حقيق يحول بيننا وبين الحرب إلى الأبد .

ذلك كله حرمي أن بتحقيق ويكون بفضل حب الإنسانية ، والتعاون على البر والتقوى والعمل الخير العام المشترك ، ولعل ذلك يكون قريبا إن شاء الله تعالى ؟

الدكتور محمد بورف موصى

ولا تدابروا ، ولا تقاطعوا ، وكونوا عباد الله إخوانا (، كما يقول في حديث آخر) لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام .

بل إن هذه المحبة الصادقة هي التي تدفعنا إلى التعاون حتى لا يكون بيننا جائع أو محتاج بل تدفعنا إلى الإيثار ولو كان بنا خصاصة ؛ فإن مجرد الإيمان ، بل هذه المحبة ، يبعث بلا ريب على هذا التعاون والإيثار .

فالله تعالى يقول : « وتعاونوا على البر والتقوى » . ويقول في مدح قومه من المهاجرين والأنصار : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » ، ويقول في شأنهم أيضاً : « يطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا » ، ثم يقولون لهم : « إنما نطعمكم لوجه الله ، لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ،

وبجانب هذه الآيات ، نحمد الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « من كان معه فضل ظهر فليعده به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل من زاد فليعده به على من لا زاد له » . وهنا يقول الراوى وهو أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه : فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا

مشكلة الخط العربي

للدكتور تمتام حسّان

الاجتماعى العام ، وانزوى فى دور المطابع
وآثر الإصلاح ألا يكون إصلاح الكتابة ،
بل أن يكون إصلاح الطباعة .

ولست هنا بصدد التعليق على انحراف
الإصلاح من الكتابة إلى الطباعة ولا بصدد
تحديد العوامل التى عملت على إيجاد هذا
الانحراف ، ولكننى أريد أن أعرض
لمسألة الكتابة العربية من أساسها ، فأشير
إلى مواضع النقص فيها ، وإلى مطالبها من
الإصلاح ، ثم أحدد الصعوبات التى تقوم
فى سبيل الإصلاح ، ولكنها ربما كان من
السهل أن يتغلب عليها المصلحون .

لقد لاحظ الأولون أن الخط العربى
بصورته التى كان عليها لم يكن وافيا بالغرض
المقصود منه لسببين : أولهما أن صور بعض
الحروف تشبه بصور بعضها الآخر ولم يكن
ثمة ما يميز أحدهما من الآخر ، ومن أمثلة
هذا ما كان من صورة واحدة هى الباء والتاء
والثاء والنون والياء المتوسطة . وقد عاجل
العرب الأقدمون ذلك التشابه بوضع نقط
فى أوضاع وأعداد مختلفة ملحقة بهذه الصورة
الواحدة لتمييز المقصود بها . والسبب الثانى

منذ زمن ليس بالقصير ، أحس الناس
وجود صعوبات معينة فى استعمال الخط العربى
ونما هذا الإحساس فى نفوسهم حتى أصبح
شعورا ، ثم قوى هذا الشعور فى عقولهم
حتى بدءوا يحيطون شيئا فشيئا بجوانب مسألة
الكتابة العربية بل إن هذه المسألة قد تعدت
إقليم المسائل وتجاوزته إلى عالم المشاكل ،
وأصبحت كما وصفناها بعنوان هذا المقال :
« مشكلة الخط العربى » . وولج الناس باب
النقاش جادين يحاولون أن يجدوا حلا يذللون
به صعوبات الكتابة العربية ، ولبثوا حيناً
من الدهر يقترحون الاقتراحات ، ويهيئون
المشروعات التى يمكن بها القضاء على هذه
المشكلة وكانت هذه الاقتراحات والمشروعات
فردية الطابع حيناً ، ورسمية الدافع حيناً
آخر ، ولكنها فى كلتا الحالتين كانت مناط
الآمل ومعقد الرجاء . وظن الناس وأملوا
أن الخط العربى سيدخل فجر تاريخ جديد ،
وأن إصلاحا جديدا لهذا الخط يوشك أن
يكمل جهود أبى الأسود والحجاج . ولكن
سرعان ما غاب الرجاء ، وتطامنن الآمال
حين انسحب لإصلاح المصلحين من الحقل

وسرى ذلك من مجال الكتابة اليدوية إلى مجال الطباعة فلم تعد المطبعة تعنى بالشكل إلا في القرآن الكريم ، وكتب تعليم الأطفال . وهذا عاد الخط العربي إلى نفس القصور الذى لاحظته الأولون وفطن المعاصرون من علماء العربية والقائمون على أمر تعليمها ودراستها إلى أن هذا النظام الكتابي يتسم بالنقص من النواحي الآتية :

١ - أنه إذ يهمل الحركات يصرف عنايته التامة إلى الحروف الصحيحة حتى أصبح من الممكن أن نصف الكتابة العربية بوصف « الكتابة المقطعية » ، لأن الحرف الصحيح فيها يدل على مقطع مكون من حرف وحركة لا على حرف واحد فقط . وهنا نجد تطرفاً من الإملائين والصرفيين في اتجاه ، وتطرفاً مثله من العروضيين في اتجاه آخر . فأما الأولون فقد جملوا من الحركات علامات إضافة على الحروف الصحيحة وجعلوا ألف المسد في صورة الياء أحياناً وحذفوها من الكتابة أحياناً أخرى . وجعلوا الصحاح أصول الكلمات دون العلل ، وبنوا دراسة التصريف والاشتقاق على الصحاح دون الحركات وأجازوا في العلل والإعلال والإبدال ولم يكادوا يرضون ذلك في الصحاح . وأما العروضيون وهم ألصق بالموسيقى والإيقاع فقد انصرفوا إلى العناية بالعلل والحركات

أنه برغم اشتغال اللغة على الحركات لم يكن الخط في صورته حينئذ يهتم بالدلالة عليها في الكتابة ، ومن ثم خلت الكتابة العربية مما يدل على الحركات . وكان لا بد مع عدم تمثيل الحركات في الكتابة أن يتجه الخطأ باللحن اتجاهين مختلفين أحدهما صرفي يتمثل في الخطأ في نطق الحركات التي في البنية كخطأ بعض الناس في نطق كلمة « تبة » و « موظف » و « منطقة » ، والآخر نحوي يتمثل في عدم صحة الحركات الإعرابية التي في أواخر الكلمات . وكان علاج الأقدمين لهذا السبب الثاني من أسباب قصور الخط العربي بإضافة نقط في مبدأ الأمر يختلف لونها عن لون المداد الذي كتب به النص ، ثم صوروا الحركات بصورها الحاضرة فيما بعد .

ولكن هذا النوع من الإصلاح لم يكن عملياً بالقدر الكافي في الأزمنة اللاحقة ولا سيما في عصرنا الحديث فلقد ازدادت حاجة الناس إلى الكتابة وأصبح المرء يكتب أكثر مما كان أجداده يكتبون وأصبحت الكتابة عنصراً هاماً لا في التجارة والتدوين والرسائل فحسب كما كانت في القديم وإنما أصبح الفرد العادي مضطراً إلى الكتابة حتى في أخص أموره البيتية والشخصية ، وطغت الرغبة في السرعة على طابع الكتابة فاطرح الناس كتابة الحركات ، وإن أبقوا على النقط

فجعلوها جوهر دراستهم لما فيها من إمكان ضبط الكمية طولاً وقصراً أى ضبط الإيقاع ولما فيها كذلك من الوضوح السمعى إذا ووزنت ، بالصحاح ، وهذا الوضوح الذى فيها يرتبط بفكرة الموسيقى فى الشعر . وأنت تستطيع أن تطيل فى ألف المد مثلاً فتغنى بها نغمات مختلفة يطرب لها السامع ، ولكنك لا تستطيع أن تفعل ذلك بسين مشكلة بالسكون . ومن هنا تطرف العروضيون فى إهمال الصحاح والعناية بالحركات والعلل كما تطرف الإملائيون والصرفيون فى عنايتهم بالصحاح وإهمالهم الحركات .

٢ — والناحية الثانية من نواحي قصور الخط العربى أن هذا الخط باستخدامه العلامات الإضافية التى هى النقط والشكل فى الكتابة لا يدع فرصة الانسياب ليد الكاتب ، وإنما يجعله بعد فراغه من كتابة الكلمة يعود إلى هذه الكلمة مرة أخرى ليكملها نقطا وشكلا . ولو كان كل حرف من حروفها متميزاً بشكله الخاص لا بما يضاف إليه من نقط وعلامات ، إضافية لكان أولى بالكاتب أن يحس بسهولة لا نظير لها فى الكتابة ، ولكانت الكتابة عند المجيدين لها عملاً من أعمال المتعة الحركية كالرياضة والسباحة واللعب .

وهكذا نشأ إحساس الناس ثم شعورهم بمشكلة الخط العربى فعملوا أفراداً وجماعات فجعلوها جوهر دراستهم لما فيها من إمكان ضبط الكمية طولاً وقصراً أى ضبط الإيقاع ولما فيها كذلك من الوضوح السمعى إذا ووزنت ، بالصحاح ، وهذا الوضوح الذى فيها يرتبط بفكرة الموسيقى فى الشعر . وأنت تستطيع أن تطيل فى ألف المد مثلاً فتغنى بها نغمات مختلفة يطرب لها السامع ، ولكنك لا تستطيع أن تفعل ذلك بسين مشكلة بالسكون . ومن هنا تطرف العروضيون فى إهمال الصحاح والعناية بالحركات والعلل كما تطرف الإملائيون والصرفيون فى عنايتهم بالصحاح وإهمالهم الحركات .

وهكذا نشأ إحساس الناس ثم شعورهم بمشكلة الخط العربى فعملوا أفراداً وجماعات

وأقصد بالعقبة المالية ضرورة إعادة طبع الكتب العربية جميعها بالخط الذى يأتى وليد الإصلاح . فإذا علمنا عدد الكتب العربية التى تم طبعها حتى الآن أدركنا المبلغ العظيم من المال الذى يجب أن ينفق على إعادة الطبع سواء أكان ذلك متصلاً بإعادة تكييف آلات الطباعة حتى تناسب النظام الجديد ، أو متصلاً بنفقات طبع هذه الكتب . وسواء أكان الإصلاح تحويلاً أو نحوياً لصور الرموز الحاضرة أم كان استخدام الرموز مستحدثه . ولا شك أن الاقتصاد القومى فى حالته الحاضرة موجه إلى نواح من الاستغلال وإلى مشروعات مدروسة هامة تهدف إلى رفع مستوى معيشة الفرد وإلى تقوية الدولة وإرسائها على قواعد اقتصادية ثابتة ومن الخطأ أن ننصرف عن هذا الجهد المبارك إلى جهد آخر غير مضمون النتائج . المسألة إذن ليست مسألة تحمس للإصلاح الهجائى

وكفى وإنما هي مسألة تتصل أوثق الاتصال بمستقبلنا أفراداً وأمة .

أما من الناحية القومية فهدفنا الآن هو التجمع في أمة عربية واحدة حدودها المحيط الأطلسى غرباً والخليج العربى شرقاً وجبال طوروس شمالاً وخط الاستواء جنوباً . وإن مظاهر وحدة هذه الأمة هي الوحدة في الإحساس والشعور والأمانى واللغة والموقع الجغرافى والتكامل الاقتصادى وأمور أخرى أحدها دون شك — وأرجو ألا يسخر القارىء من ذلك — هو الوحدة في النظام الكتابى والإملائى . والمعروف أن بعض أقطار هذه الرقعة العربية مستقل وبعضها محتل ؛ بل إن أقطارها المستقلة في ظروفها الحاضرة لا تجمع على سياسة موحدة

فبعضها يتهج سياسة عربية خالصة وبعضها الآخر يتهج سياسة عربية « على عينها نقطة ، فإذا بدأ أحد هذه الأقطار بإصلاح خطى كان مخاطراً في ذلك أكبر مخاطرة . فهو إما أن يصر على هذا الإصلاح وتحالفه في ذلك أقطار عربية أخرى مستقلة فينقسم العرب إلى شيعتين ويضرب بينهم بسور إملائى ليس له باب وإما أن تتفق كل الأقطار العربية المستقلة على ذلك ، ويبقى العرب المحتلون بمعدين عن هذا التيار الجديد . ولن يكون في طوقنا حينئذ أن نعينهم على الخلاص من

المستعمر بنفس الدرجة التى توجد الآن ، لأننا إن وصلنا إليهم عن طريق الإذاعة وفهمونا فلن يفهموا ما نكتبه موجهاً إليهم في صحافتنا ومطبوعاتنا الأخرى . خير الأمور إذن أن يبقى الخط العربى الحاضر كما هو حتى يتم توحيد الأمة العربية كافة وعندئذ نستطيع أن نفكر جدياً في إصلاح هذا النظام الخطى المعيب .

ثم انظر بعد ذلك في موقف بعض الأمم الإسلامية التى ارتضت أن تكتب لغاتها بخطنا العربى حين تجسداً أصبحنا لا نحترم هذا الخط الذى احترمونا من أجله فاستخدموه قروناً طويلة . إن هذه الأمم ستحس بشيء من الأسى يشبه شعور المخذول الذى خاب أمله في عزيز لديه .

وكلنا يذكر خطنا على الأتراك حين نبذوا الحروف العربية واستبدلوا بها الحروف اللاتينية . لقد كنا نحس أن الأتراك بعملهم هذا كانوا يتنكرون لبعض مقدساتهم ويقطعون أنفسهم عن التركة الثقافية التى اغتذوا بلبانها وأعانتهم بعد حياة الرعى على أن يكونوا أمة ذات حضارة وثقافة . ولعل الأتراك لو حوروا الخط العربى الذى كانوا يستخدمونه إلى صورة أخرى لا تبعد به عن حاضره لكانوا قد وصلوا إلى حيث هم الآن ولكن بدون أن يشعر العالم الإسلامى نحوهم

أما المسنون فسوف يشورون فيما بينهم وبين أنفسهم على هذه البدعة ويرفضون رفضاً باتاً أن يتعلوها أو يعملوها . فإذا كان الأمر كذلك أفلمست ترى في هذا الموقف النفسى والاجتماعى عرضاً من أعراض الاضطراب مهما كان مؤقتاً ؟ وما أغنانا في هذه الفترة من حياتنا القومية عن إضافة اضطراب جديد إلى ما نحس به من اضطرابات يعود كلها إلى النزاع الذى فى نفوسنا بين الرغبة فى الاتجاه إلى الحضارة العالمية الحديثة والرغبة فى الاحتفاظ بطرق الحياة الإسلامية التقليدية .

والآن أجرينا إصلاحاً أبجدياً وفى المكتبة العربية مخطوطات عظيمة العدد فسيضيف ذلك صعوبة جديدة إلى صعوبات نشر المخطوطات وتحقيقتها لأن ذلك النوع من النشاط سيصبح لا يقبل عليه إلا قلة بالنسبة لعدد المحققين الآن ، لأن الذى يندب نفسه لتحقيق أية مخطوطة فى الوقت الحاضر إنما يقرأ النص ذا الخط الردى لتعوده بعد المران الطويل على الطرق التى يمكن أن يلتوى بها الخط العربى ومن ثم يجد سهولة نسبية فى قراءة النص . فإذا نشأ هذا المحقق على خط عربى غير الخط السائد الآن فسيضيف ذلك صعوبة إلى عملية تحقيق النص . وإن مثل هذه الصعوبة لا بد أن يصرف بعض الراغبين (البقية على صفحة ٤٥٤)

شعور المرارة . كانوا إذن يستطيعون أن يصلوا بتحويل الخط العربى إلى مثل هذا الاستقلال بنظامهم الكتابى دون هذه القطيعة بينهم وبين ماضيهم الثقافى ولكن الصدمة التى شعر بها العالم الإسلامى حينئذ كانت تخف وطأتها . أفئن قطعنا نحن بيننا وبين ماضينا الثقافى على هذه الصورة أفلا يكون صدى ذلك حسرة وحيرة أيضاً فى صدور بقية الشعوب الإسلامية ؟

على أننا إن فعلنا ذلك فسوف يكون مجتمعنا العربى أشبه برجل منشق الشخصية . فإن أطفال هذا المجتمع سيتعلون النظام الكتابى الجديد وسيجهلون القديم جهلاً تاماً ، وإلا فما الداعى الذى يدعو إلى تعليمهم نظامين كتابيين للغة واحدة ! . وسوف يتعلم البالغون من أعضاء هذا المجتمع ذلك النظام الجديد ويضيفونه إلى ما تعلموا من النظام القديم وسوف يكون هدفهم من تعلم النظام الجديد إرضاء حاجات الحياة على حين يكون احتفاظهم بالنظام القديم إرضاء لموقف نفسى . وستذكر عنوانك لصديقك حينئذ فيبدأ فى كتابته بالهجاء الجديد ويتعثر قليلاً فى هذه الكتابة التى تعلمها فى رجولته وستراه حينئذ ينتكس بشئ من الضيق إلى النظام القديم الذى ألفه منذ طفولته يكتب به العنوان بالسرعة التى تعودها من قبل .

المصطلحات العروضية

للدكتور عبد الله درويش

وهذا ما دعانا إلى أن نسمى الدوائر باسم أول بحر فيها أو باسم البحر الذي اتخذت تفاعيله ، أى أسبابه وأوتاده ، أساسا للدائرة نفسها .

وعلى ذلك أصبحت مصطلحات الدوائر كالآتي :

- ١ — دائرة المختلف — دائرة الطويل
 - ٢ — دائرة المؤتلف — دائرة الوافر
 - ٣ — دائرة المجتلب — دائرة المخرج
 - ٤ — دائرة المشتبه — دائرة السريع
 - ٥ — دائرة المنفق — دائرة المتقارب
- أما البحور التي تستخرج من كل دائرة فهي نفس البحور التي استخرجها الخليل من الدوائر .

وتعديلنا لاسم الدائرة إنما وضعناه بناء على الواقع وهو أن البحر الأساسى فى كل دائرة قد استنبط منه إخوته من البحور التي تشترك معه فى الأسباب والأوتاد .

وينبغى التنبيه إلى حقيقة هامة وهى أننا بذلك لا ننال من عبقرية الخليل فى شيء بل إنما نقف لها إجلالا وإكبارا ، وما كان الخليل ليحكم على الأجيال من بعده أن تقف

لقد أوردنا فى كتابنا دراسات فى العروض والقافية ، أنه من الممكن تعديل بعض المصطلحات العروضية ^(١) ونضيف هنا أن هذه المصطلحات التي استقر العرف عليها يمكن أن تعدل إذا ما نظرنا فى الأساس الذى استنبط منه الخليل بحوره ، وهو الدوائر العروضية . فهذه الدوائر ^(٢) التي انضمت جميع بحور الشعر اعتمدت على الأوتاد والأسباب وعلى ترتيبها ترتيبا معيناً ، فكل ترتيب بوضع خاص ينتج دائرة خاصة .

ولنا أن نقسّم هل رتبت المقاطع أى الأسباب والأوتاد على أساس منطوق معين فتكونت منها الدوائر ؟ لقد حاولت جهد المستطاع أن أكشف عن ذلك ولكنى لم أستطع .

وإذا حللنا هذه الدوائر تحليلاً علمياً وصفيًا فإننا نجد أن كل دائرة إنما رتبت فيها الأسباب والأوتاد على أساس بحر واحد معين ، ثم استخرج من هذه الدوائر المعينة عدد آخر من البحور .

(١) المقدمة ص ١١ .

(٢) دراسات فى العروض ص ١٥٤ وما بعدها .

ويمكن معرفته دون الحاجة لمعرفة الدوائر. بل إن كثيراً ممن يعرفون بحور العروض لا يعرفون هذه الدوائر .

إذن ماذا يحدث لو لم نربط بين الدوائر والبحور ؟ .

لو فصلنا العلاقة بين الدوائر وبحور الشعر لتوصلنا إلى اختصار بعض المصطلحات العروضية . ولوفرنا بعض الجهد والوقت على طلاب العروض والباحثين فيه .

وقد ذكرنا آنفاً أن ربط البحور بالدوائر قد ترتب عليه بعض نتائج ذكرنا أهمها وعلى هذا لو تغاضينا عن نظام الدوائر لأمكن أن نصل إلى النتائج الآتية :

أولاً — الاستغناء عن التفعيلتين ذواتي الوجد المرفوق وهما مستفعلن ، فاعلاتن اكتفاء بالتفعيلتين مستفعلن وفاعلاتن .

ثانياً — البحور التي لم ترد أعاريضها أو أضربها صحيحة يمكن الاستغناء عن ذكر مصطلح العلة في العروض أو الضرب . فمثلاً الوافر يفرض نظام الدوائر أن كلا من

عروضه وضربه . مفاعلتين ثم يدخلها القطف الذي هو اجتماع العصب مع الحذف فتصبح « فعولان » ، وعلى ذلك يمكننا أن نقول بادي ذي بدء : إن بحر الوافر وزنه .

مفاعلتين مفاعلتين فعولان

مفاعلتين مفاعلتين فعولان

جامدة عند آرائه واستنتاجاته ، والمسائل العلمية تتضح وتنمو بالتعليق عليها أو الإضافة إليها أو التعديل في مصطلحاتها ، وإننا نحاول بهذا البحث المتواضع أن نستهدى بقبس الخليل فيما وضعه من مسائل لا أن نقف جامدين عندها .

وعلى هذا الأساس نلاحظ أن نظام الدوائر قد أدى إلى الأمور الآتية :

١ — النص على استعمال بعض البحور مجزوءة فقط لأنه لم يرد منها قصائد على وزنها الكامل الذي تقتضيه الدائرة . مثال ذلك : المزج — المضارع — المقتضب — المجتث .

٢ — بعض التفاعيل وإن تشابهت في النطق . تكتب بصور مختلفة مثل : مستفعلن ومستفعلن ، وكذلك فاعلاتن ، وفاعلاتن .

٣ — بعض البحور لم تستعمل أعاريضه أو أضربه على الصورة الأساسية في الدائرة مثل الوافر ، السريع .

٤ — ويتبع ذلك كثرة مصطلحات الزحاف والعلل .

فإذا عرفنا أن الدوائر ما هي إلا وسيلة لحصر البحور فقط فهلا يمكننا أن نستغنى عنها إذا ما عرفنا حصر البحور بطريقة أخرى ؟ .

إن عدد البحور العربية المستعملة قليل

بتحريك العين وضربها إما مثلها وإما فعلن بإسكان العين .

وهكذا يمكننا أن نطبق هذا على كل بحر لم يستعمل فيه عروضه أو أضربه على الصورة التي افترضتها الدوائر فنتخلص من بعض المصطلحات العروضية التي تؤدي كثرتها إلى صعوبة علم العروض ودقائه على طلاب موسيقى الشعر العربي . على الأقل عند من يتعلم العروض ليعرف أوزان الشعر . أما البحث العلمي فيطلب الإحاطة بكل ما فيه من مصطلحات ثم إذا عرض للباحث أن يختصر أو يزيد فلا مانع من قبول ذلك متى أقام عليه الدليل ، ومتى ما كان له غرض هدف إليه .

واختصار الأصل الافتراضى أو التخيلي للتفعيلة لا يضر العروض العربى فى شى بل بالعكس يخدم هذا العلم حيث يخفف من صعوبته التى جعلته أشبه شىء - «باللوغاريتمات» ولكن ينبغى أن يكون كل تعديل مبنياً على أساس علمى . .

وأساسنا هنا هو المنهج الوصفى Descriptive Approach وهو ما استعملته المدرسة اللغوية الحديثة فى فروع مستويات البحث اللغوى .

ثالثاً - يمكننا أن نربط الزحاف بالبحر لا بالتفعيلة فنجعل زحاف البسيط

وكذلك بحر السريع الذى يفرض نظام الدوائر وزنه على هذا الوضع :

مستفعلن مستفعلن مفعولات

مستفعلن مستفعلن مفعولات
فكل من عروضه وضربه لم تستعمل صحيحة بل يدخلها التغيير فيحذف رابعها وسابعها وبعبارة أخرى يدخلها الطى مع الكسف فتصبح مفعلاً وتقل إلى فاعلن .

ونلاحظ بمراجعتنا لأعاريض السريع وأضربه^(١) أن السريع له أكثر من عروض ومن ضرب بخلاف الوافر الذى له عروض واحد ولها ضرب واحد كذلك . وتعدد أعاريض السريع وأضربه يمكن أن يبنى على أساس «فاعلن» فنقول : إنه أحياناً يكون «فاعلن» وأحياناً «فاعلان» ، وأحياناً فعلن بتحريك العين وسكونها .

ويمكن تطبيق هذا أيضاً على بحر البسيط الذى يعتبر أصله بحسب نظام الدوائر .

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن

ولكن عروضه وضربه لا يستعملان صحيحين بل يغيران إلى فعل أو فاعل ويمكننا حين نتخلص من الدوائر أن نعتبر أن عروض هذا البحر تكون فعلن

(١) دراسات فى العروض بحر السريع .

ولكن العروضيين افترضوا أن أصل كل منها ست تفعيلات بناء على نظام الدوائر ، ولذا قالوا : إن مثل هذه الأبحر يقال له مجزوء وجوبا .

ولكن إذا تخيلنا عن فكرة ربط البحور بالدوائر أمكننا أن نقول : إن موسيقى الشعر العربي تستعمل بعض البحور ثمانية التفاعيل دائما وبعضها سداسية التفاعيل دائما . وبعضها رباعية التفاعيل دائما . وأحيانا تستعمل للثمانى والسداسى صورة أخرى مختصرة فتجعل الأولى ست تفاعيل والثانية أربع تفاعيل ، أو بعبارة أخرى نقصر اصطلاح « الجزء » على ما استعمل منه أصله التام . أو بتعبير آخر نبتعد عن الأصل الخيالى الافتراضى . ونظل فى دائرة ما ورد به الشعر فعلا وهو ما تقتضيه طبيعة المنهج الوصفى .

خامسا : يمكننا أن نتوسع خطوة أخرى فى تعريف المجزوء فلا نكتفى كما يقول العروضيون بأنه ما حذف منه عروضه وضربه بل نقول : إنه يشمل ذلك ، ويشمل أيضا ما حذف منه صدر كل من شطريه أى التفعيلة الأولى من كل منهما وسوف لا يودى هذا إلى فرق عملى فى مثل السكامل أو الرجز لكنه يودى إلى فرق عملى فى مثل الخفيف الذى أصل شطره .

الخبث والطفى . منفردين أو مجتمعين فى مستفعلن . ونجعل زحاف الخفيف مثلا الخبث فى مستفعلن دون جواز طيها ، مع ذكر زحاف فاعلن فى حشو البسيط وفاعلاتن فى حشو الخفيف .

وعلى هذا لا داعى لكتابة مستفعلن فى الخفيف بوتد مفروق وكذلك فى المجتث . وكذلك يمكننا أن نجعل التذليل والتسبيغ شيئا واحدا فنكتفى باصطلاح واحد منهما ، صحيح أن أحدهما داخل على تفعيلة آخرها وتد مجموع والثانى داخل على تفعيلة آخرها سبب خفيف . ولكن هذه التفرقة لا تنافى توحيد التسمية . فيكفيها أن نقول : إن متفاعلان قد تصبح متفاعلان ، وإن فاعلاتن قد تصبح فاعلاتان . وسوف يسمح هذا باطراد القاعدة وعدم اضطرابها . والذى حمل العروضيين على التفرقة بينهما أنهم ربطوا الزحاف بالتفعيلة ففارقوا بين التفعيلة التى آخرها سبب ضعيف وبين التفعيلة التى آخرها وتد مجموع . ومثل هذا يقال فى القصر والقطع . ولكن إذا ربطنا الزحاف بالبحر نفسه فلا يحتاج لهذه التفرقة (١) .

رابعا : إن بحور الهزج أو المجتث أو المضارع أو المقتضب يتكون كل منها من أربع تفعيلات فقط كل اثنتين فى شطر .

(١) دراسات فى العروض ص ١٤٦ وما بعدها .

فاعلاتن مستفعِلن ^(١) فاعلاتن .
 فيكون له مجزوءان :
 الأول ما يعرفه العروضيون بمجزوء
 الخفيف وهو :

فاعلاتن مستفعِلن
 فاعلاتن مستفعِلن
 والمجزوء الثاني يكون على هذه الصورة .
 مستفعِلن فاعلاتن

مستفعِلن فاعلاتن
 وهو ما يعرفه العروضيون باسم المجتث
 وإذا أضفنا إلى ذلك التخلص من الدوائر
 أمكننا أن نستغنى عن كلمة المجتث في العروض
 اكتفاء بإدماجه في مجزوء الخفيف بعد
 تعديل تعريف المجزوء .

ومثل هذا يقال في المنسرح الذي شطره .
 مستفعِلن مفعولات مستفعِلن .
 فله مجزوءان . الأول ما يعرفه العروضيون
 باسم مجزوء المنسرح وهو :

مستفعِلن مفعولات
 والمستفعِلن مفعولات
 والمجزوء الثاني يكون على هذه الصورة .
 مفعولات مستفعِلن

مفعولات مستفعِلن
 وهو ما يعرفه العروضيون باسم المقتضب
 وبهذا نكون قد اختصرنا أسماء البحور
 (١) أثرتنا عدم كتابة مستفع لن .

المركشور عبد الله درويش

(١) كتاب موسيقى الشعر للدكتور ابراهيم
 أنيس فصل « مولد مشروع » .

الشيخ عبد الجواد رمضان

للاستاذ على العماري

وقد علل الأستاذ العقاد هذه الظاهرة في كتابه (شعراء مصر وبيئاتهم) بأن القدوة لشعراء الأزهر - في هذا المذهب - ما يروى عن الإمام الشافعي ، إذ يقول :

ولولا الشعر بالعلماء يزرى

لكنت اليوم أشعر من لبيد ويرى غيره أن رسالة الأزهرين دينية خلقية ، فلم يكن من الجائز في نظرهم أن يسرفوا في قول الشعر هجاء وملاحاة ، أو يمعنوا في قرضه خوفاً في عرض أو تأريثاً لعداوة ، ورأوا من كرامة العلماء أن يعفوا عن المبالغة في المدح والإطراء ، والتدلى إلى الكذب ، والتجني على الناس ... والشعر في رأى الشاعر الذى لا يتزمت ولا يتعفف ، خيال وتصوير واقتنان ، لا تخرج فيه ولا تصون .

ويرى فريق ثالث أن الأزهرى حائر بين حياته الواقعية وحياته المثالية ، فهو مثلاً له عواطف وانفعالات ونزوات ، فلو رغب أن يعبر عنها رأى من حوله نظرة الناس إليه فيمسك .

وأدق تحليل رأيت في ذلك هو ما قاله صاحب الترجمة : إن الموهبة الشعرية - عند

تحت هذا العنوان كتب أستاذنا المرحوم الشيخ عبد الجواد رمضان فصولاً رائعة في مجلة الأزهر عن شعراء أزهرين . كان منهم المشايخ حسن القاياتي وأحمد الزين ومحمد الأسمر . وقد رأيت أن أعيد فتح هذا الباب ، حتى يتسنى أن نوفي الناغبين من شعرائنا حقهم ، ونرفع عنهم بعض الظلم الذى لحقهم في حياتهم ، وليس أولى من مجلة الأزهر أن تكون سجلاً تخلد فيه مآثر هؤلاء .

والإنصاف يقتضىنى وأنا أعيد فتح هذا الباب ، وأستأنف الحديث عن شعراء الأزهر ، أن أبدأ بصاحب الفضل في هذا المجال فأترجم له ، وأعرف به ، وأسوق طائفة من آرائه وشعره ، ولعل بذلك أودى بعض الدين ، الذى قلده عني كل متخرج في كلية اللغة العربية ، أوديه بمناسبة الذكرى الأولى لوفاته وقبل أن أمضى إلى الغرض أعرض لظاهرة لاحظها كثير من الراصدين للحركة الثقافية في العصر الحاضر ، وعلل لها بعض كتابنا ومفكرينا ، هذه الظاهرة هي قلة النابهين من الشعراء بين الأزهرين بالنسبة إلى عدد المتخرجين فيه .

لأن في بردى جسماً ناعلاً
لو توكت عليه لا نهدم
خرج إلى القاهرة ليطلب العلم في الأزهر ،
ثم عاد منذ عام ، إلى بلده نفسها ، ليرقد
في ثراها رقدته الأخيرة ، - وكان كثير الحنين
إليها - . وفي هذه الحقبة الطويلة التي قضاهـا
في خدمة العلم والدين والأدب ، طالباً
في الأزهر ، ومدرساً في الأوقاف الملكية ،
ومدرساً في معهد القاهرة ، وأستاذاً في كلية
اللغة العربية ، كان الصديق الوفي لأصدقائه ،
والأب الرحيم لأبنائه ، واليد الحانية العاطفة
على من تنسك لهم الزمن من معارفه .

كان أستاذاً يتسم بأصالة الرأي ، وسماحة
الخلق ، وعفة النفس ، لم تثنه دنية من الدنايا
عن رأى ارتآه ، ولم يتجده أمل من الآمال
عن موقف عزة وكرامة ، ولم يتخل في يوم
من أيام حياته عن فضيلة التواضع .

كان كما يتحدث عن نفسه (إنساناً في طبيعته
العزوف عن الزحام ، ولو أنه على الحياة) .
وهذا يفسر لنا سر إحجامه عن نشر كتاب
أو ديوان شعر ، إلا ما تطلبه عمله ، أستاذاً
في كلية اللغة .

عرفته منذ أكثر من عشرين سنة كاتباً
في الصحف المصرية ، يشارك في الأدب والنقد ،
ويناضل عن مكارم الأخلاق ، ثم تلبست
عليه ، فرأيت العلم الغزير ، والعقل الكبير ،
والخلق الفاضل .

الأزهري - يساورها فيقهرها ما ركب
في طبيعة دراسته من النهج العلى القوى العميق
المعلل المحدود بالاصطلاحات الفقهية ، والأدلة
العقلية ، والأساليب الدقيقة المحكمة وتغلغل
هذا النهج في شعاب تفكيرهم واتجاهات
بحوثهم ، وإنما يخدم المواهب الشعرية
ويربها ، ويبلغ بها إلى غاياتها من الجمال الفنى ،
الثقافات الأدبية التي تعم ولا تنحصر ، وتلم
ولا تتعمق ، وتجمل ولا تفصل ، وتتوخى
المقدمات الخطائية لتنتقل منها إلى الأقيسة
الشعرية التي تخلق في آفاق الخيال ، وترصع
سماء الأدب ، وتبرز الجمال في صور بهيجة
رائعة موفقة ، تروق المشاعر وتوقظ
العواطف ، وتطرب النفوس ، متهدية إلى
سحرها وفتنتها وخلودها ، بفيوض الأذواق
الشفافة الذواق ، لا بأوامر العقول الصارمة .

على أننا نستطيع أن نقول: إن لكل سبب
من هذه الأسباب ضحايا من وجهة نظر الفن
الشعرى ، وقد تكون هذه الأسباب مجتمعة
هى السر في هذه الظاهرة التي حرمت الأدب
من عبقریات كثيرة كان يمكن أن تخلف
لنا الروائع .

في أوائل هذا القرن خرج من بلده
(شدموه) من أعمال الفيوم شاب صغير
ناحل الجسم ، ضعيف البنية ، كما وصفته -
فيا بعد - بعض الصحف ، فتمثلت بقول بشار:

يتم ، وينفع ويعيش ، فأما التجديد المرادف
للقوضى فلا يبعد الله غيره .

ويشعر بعد وفاة صديقه وصنوه الشاعر
محمد الأسمر أن حركة التجديد قد طمت وعمت
وأن أمثاله من المحافظين قد قلوا ، فيرسل
هذه النغمت الحزينة الباكية :

لا تأس ، هذا عالم محدث

مبالغ في التيه ، مستكبر

ضاق ، فلم يبق لنا موضع

فيه ، ولم يبق لنا معشر

أحيأونا فيه كأمواتنا

ليس لهم في الفن ما يؤثر

« سلامة »^(١) يحقر آدابنا

ولا يني من شعرنا يسخر

هذا الغليظ الأعجمي الذي

بكل عرف فاضل يكفر

أليس في الموت لنا راحة

من موقف في الهون يستنكر

ينالنا البغي ولا دافع

ويشتقي منا ، ولا تشار

ولم يكن يرى أن الأزهر متخلف — كما

يشيع كثيرون — بل يرى أن حركة التجديد

والإصلاح في الأزهر إن بدت بطيئة جداً

فليس ذلك لأنها ضعيفة بل لأن الحركة إنما

تبدو بوضوح فيما خف من الأجسام ، فأما

كان الشيخ في مقدمة الأزهرين الذين يعلنون

عن رأيهم بصراحة ، لا التواء فيها ولا غموض ،

ويدافعون عنه بحجج لا مخادعة فيها ولا تمويه ،

وينازلون خصومهم في أدب مقال ، ونصاعة

بيان ، وقد يلجأ إلى النكتة اللاذعة أحياناً .

ولم يدع يوماً أنه مجدد ، وإن أعلن أنه يرحب

بالتجديد ، فيقول في صراحة : « ولقد نشطت

حركة النقد في هذه الأيام نشاطاً بارزاً ،

واستفاضت فيه البحوث ، واتسع مجال

النشر في المؤلفات والمجلات والصحف اليومية

وأخذ اتجاهاه في الأعم الأغلب على ضوء

من الثقافات الغربية وآدابها وأدبائها ،

وبأقلام مجدة ناثرة في أغلب الأحيان ، وهي

حركة تلقاها — نحن المحافظين — كما تعودنا

أن تلقى كل علم وفن ، بصدر رحب ،

وتعطش إلى المعرفة وشوق إلى الإفادة ، .

« بيد أن كل أولئك لا يلبثنا عن أدبنا الخالد

ما خلد القرآن الكريم ، ولا نرضى أن ندفع

من التثنية له أو الانحراف عن سنته — منهاجه

ثمناً لما نغتمه من مذاهب النقد الحديث ،

فنسكت على هضيعة ، أو ننام معه على ضيم ، .

ويقول في موضع آخر : « إنني — على

الرغم من رجعتي — لا أبغض التجديد ولا

أنعى على المجددين ، ولا أثبط من همهم ،

ولها أريد أن يكون للتجديد حدود تعيينه

ورسوم تضبطه ، وعلامات ترشد إليه حتى

(١) يريد الأستاذ سلامة موسى الكاتب الصحفي المعروف .

شاعرين في مصر ، لولا أن أولهما انصرف إلى الكتابة والتأليف فوهبهما صفو عنايته ، وفورة جهوده وأبقى للشعر في نفسه ركناً مهجوراً ، وأن الآخر استبد به الزجل الذي يجيده براءة لا تجارى .

ويناقش الذين يجعلون إيليا أبا ماضى شاعراً خلا ، قائلين : إن شعره يعد نموذجاً كاملاً للشعر الجديد يحوى عناصره الفنية جميعاً ، فلا ينكر أن أبا ماضى شاعر موهوب يمضى شعره بحظ عظيم من الرقة والعدوبة ، ولكنه يعود فيرميه بأن الجزالة التي هي ملاك الشعر العربي ، وقوام روعته وصولته تعوز هذا الشاعر ، ويرى أن شعر أبي ماضى لا يعدو - على أسنى حالاته - طبقة النوع النازل من شعر البحترى .

وعنده أن إمام النقد في الشرق العربي هو الدكتور طه حسين ، وسر ذلك - فيما يرى - أن الدكتور لم يدرس الأدب الغربي إلا بعد أن قتل الأدب العربي بحثاً ونفذ إلى أسرارهِ من جميع شعابها ومداخلها .

ويعزو إلى الصحافة المشاركة في كثرة الشعر التافه وشيوعه بما تسديه إلى من لا يحسنون الشعر ، فكل من استطاع أن يركب كلمات توازن تفاعيل بحر من بحور الشعر ، وجد مجلة أو صحيفة تنشر له ، مع فقدان الموهبة الشعرية ، أو ضعفها ضعفاً لا يستقيم عليه شعر .

ذلك المحيط الزاخر فإن حركته وإن كانت أثبت وأرسخ هي في مرأى العين دقيقة خفية ، وأسرع عقارب الساعة حركة هو عقرب الشواني كما أن أثبت الخطا خطوة المتريث المتأني .

على أن الأزهر لو أراد الحركة السريعة ما استطاعها ؛ ذلك بأن مجده منوط بالمحافظة على قديم الإسلام فالتجديد الثائر فيه يقلب حقيقته ، وإنما ينجح فيه التطعيم الثقافي التدريجي الذي يعمل في التقريب بين الجديد والقديم ، ويوائم بين عناصرها في أناة ورفق وكم نود - بجذع الأنف - أن تنقح الكتب ، وتهذب أساليب الدراسة ، بيد أننا نعد من أشنع ضروب الإفلاس أن نترك ما في أيدينا من قديمنا قبل أن يحصل فيها ما يغنى عنها من الجديد .

أما آراؤه في الأدب ، فكثيرة . وهو لا يوافق بعض النقاد في أن الشعر العربي قد وقف بعد شوقي وحافظ ، وأضرابهما ، بل يرى أنه ما يزال بين بني العروبة شعراء لا يدافعون عن حياض الشعر ، ولعل الأدنى إلى الصواب -- كما يرى -- أن الذي انقضى إنما هو عهد فحول الشعراء .

وعنده أن أهم الأسباب التي وقفت بالشعر يحجز الخيال عن التحليق في أفق أرفع من الآفاق التي اخترقتها الحقائق العلمية في هذا العصر ، ويعد العقاد ويبرم التونسي ، أخل

روض زها نبتة وصبح
يعقبه الجسدب والضباب

يا لك من طارق غريب
عن الهوى والصبا لوانى

أحيا به عيشة الحريب
بلاخيال ، ولا أمانى

يا لهف نفسى على شباب
من المنى ، والحياة أحلى

الظرف ، والقصف ، والتصاى
يوم تولى الشباب ولى

عوجو على ربه ركابى
أحط من ذى الهموم ثقلا

أسبح فى أفقه الرحيب
وأشوق الترب فى المغانى

وأملأ الجو بالنحيب
أسى وحزنا على زمانى

وكان وفياء لأصدقائه ، يفارقون هذه الدار
فبيكهم أحر بقاء ، وآخر ما قرأناه له فى
الثناء قصيدته الرائعة ، فى شاعر الأزهري ،
محمد الأسمر ، وفى هذه القصيدة يذكر أياما
التي كانت تزخر بالصفاء .

يا صاحبي ؛ معذرة ؛ إنني
غادرتنى خطبك لا أشعرا

ذكرنى ففقدك أيامنا
تلك اللواتى بالصفاء تزخر

رعى الرفاق الغرّ روض المنى
فيها ، وحيا الصبا الأنضر

وأستاذنا الشيخ عبد الجواد شاعر مطبوع
له شعر جيد من الشعر الجزل الذى يذكرنا

بشعر البحترى والشرىف الرضى ، ليس فيه
كلمة نائية فى موضعها ، أو زائدة على المعنى ،

وقد شرف كثيراً من شعره بمدح الرسول
عليه الصلاة والسلام ، وفى ذلك يقول :

وقفت على أبى الزهراء فى
كأنى حين أمدحه أغنى

ليروها لسان الدهر عنى
فردى - كالفلائد - أو تواما

ويقول فى موشحة جميلة رائعة يخاطب
رسول الله صلى الله عليه وسلم :

إعطف على بانس أديب
مروع فى الحياة عان

قل لى - إذا خفت من ذنوبى -
لا تبتئس ، أنت فى ضمانى !

وقد لاحظت أنه كان كثير الحنين إلى أيامه
الأولى ، وقلبا تأتى مناسبة لا يترحم فيها على

ما مضى من أيام الشباب ، وكلما ذكرها ،
أتبع بقوله : (وما أوجع الذكرى) .

ولما تقدمت به السن بكى الشباب بدمع
هتون ، من ذلك قوله فى مطلع الموشحة التى

أشرت إليها آنفا :

أف لهذا المشيب يمحو
أجل ما خطه الشباب

يغنى الفتى غفوة ويصحو
إذا زمان الصبا سراب

يدور فيما بيننا عندها
ما يسكر الروح ، وما يسحر
حال حماها ، وانقضى أمرها
إلا حديثا قلنا يُذكر
ولعله يشير بذلك إلى الأيام التي كان يجتمع فيها
نخبة من الشعراء ، في قهوة (عم حسين بشارع
محمد علي) هم : أحمد الزين والهرأوى والأسمر
ورمضان وغيرهم من الشعراء ، وكثيرا ما
كان يذكر هذه الأيام ، ثم ينشد :
لله أيا منّا المواضي
لو كان ماض لنا يعود

ثم يختم قصيدته في الأسمر بهذين البيتين
الرائعين :
نم هانئا ، إنا على موعد
يطول من بعدك أو يقصر
لا يبعدنك الله من راحل
بالظرف والإحسان يا أسمر !
وقد جاء الموعد ولم يطل ، ولحق شاعر
الأزهر الشيخ الوقور ، بشاعره البلبل الغريد .
رحم الله الشاعرين الكبارين ، وأجزل لهما
المثوبة ؟

على العمري

(بقية المنشور على صفحة ٤٤٣)

في التحقيق . أضف إلى ذلك أن أوضح
ما في تحقيق المخطوطة من جهد إنما يتجه
إلى ادعاء شكل معين لكل كلمة في هذه المخطوطة
في ضوء نسخها المتعددة التي عثر عليها المحقق
فلان تكون الطباعة بعد ذلك بصورة الخط
الذي في هذه المخطوطة خير ألف مرة من
أن تكون النسخة المطبوعة مكتوبة بنظام هجائي
مختلف عن النظام الهجائي الذي في المخطوطة .
تلك إذن هي العقبات التي تقف دون
إصلاح الخط العربي . وإن أدنى تغيير في هذا
الخط لابد أن يستتبع كل الذي شرحناه من
مصاعب وليست هذه العقبات هي كل ما
يعترض طريق إصلاح الخط سواء أكان ذلك

في الكتابة أم الطباعة . ولست أدري
ما الذي جعل المصلحين يتجهون إلى إصلاح
الطباعة دون الكتابة أفكان ذلك ليسر هذا
النوع من الإصلاح بالنسبة لعسر الإصلاح
الآخر ، أم كان لأن المخاطب هنا بالإصلاح
عدد من المطابع والمخاطب به هناك عديد
من ملايين العرب ؟ لست أدري ولكن أي
إصلاح كما قلت لا بد أن يؤدي إلى ما ذكرته
من المصاعب . وعلى المصلحين أن يفكروا
في التغلب عليها .

دكتور

تمام حسام

أستاذ مساعد بكلية دار العلوم

الشبابُ العربيّ والحياة المعاصرة

للأستاذ محمود الشرفاوى

لا أعتقد أن شباباً لقي أو يلقي من الاضطراب والبلبلّة الفكرية والنفسية والثقافية مثل ما يلقي شبابنا العربى الآن .

وقد لقينا نحن فى السنوات الثلاثين الماضية شيئاً غير قليل من ذلك ، ولكنه كان أيسر وقعا على أفكارنا وأهون محملا على نفوسنا من هذا الذى يلقيه شبابنا المعاصر .

تفتّح عقول الشباب العربى على تيارات متباينة ، بل متعارضة ، من التفكير والتعليم والثقافة ، كما تفتّح نفوسهم كذلك على إيماءات ومناهج متعارضة متناقضة للسلوك والعمل . تفكيرنا التقليدى فى التعليم والثقافة قائم على تقديس الماضى والتزام حدوده ، وعدم الخروج عنه إلا بقدر ، أو عدم الخروج عنه إطلاقاً . وهذا القدر نفسه يحدده بعض أصحاب المذهب التقليدى أنفسهم ، وقد لا يرون الخروج عن شىء منه أبداً ؛ لأنهم لا يزالون يعتقدون صحة القول القديم : « ما ترك الأول للآخر شيئاً » .

وأصحاب المذهب التقليدى ينادون شبابنا أن يلتزموا فى آدابهم وسلوكهم وعواطفهم ما كان يلتزمه آبائهم وأجدادهم من التحفظ والتصون والتحرز ، فذلك أكرم لهم وأليق وهذه دعوة لها وزنها وخطرها والمدافعون

هينة ولاضعيفة الأثر ، من الصحافة والكتب والإذاعة والسينما ، والسفر والخلطة ، كما تعززها وتؤازرها مظاهر الحياة الجديدة ، بما في الجديد من إغراء وفننة وخلابة وتأثير وسطوة . وهى تلك القاعدة الصادقة التى قررها عالم المغرب العظيم ، ابن خلدون : قاعدة أن كل ضعيف مغلوب . مغرم بتقليد القوى الغالب . بقوة المتابعة التى ينساق إليها الناس وراء القوى الظاهر المسيطر .

وشبابنا حائر الفكر مضطرب العاطفة موزع القلب ممزق النفس بين هذه الدعوة وتلك .

فكيف نريد من شبابنا أن يكون موقفه

من هاتين الدعوتين ، أو القوتين . ؟
أعتقد أن خير ما ندعو إليه شبابنا العربى هو أن يتخذ موقف الشجاعة أمام كلتا الدعوتين ، أو القوتين . الشجاعة القائمة على الفهم والإدراك والبصيرة . عليه أن يكون شجاع القلب متفتح الذهن أمام دعوة التقليد والحفاظة والمتابعة ، وأن يخضع هذه التقاليد لعملية « فرز » ، وتمحيص ، وأن يتقدها نقد الصير فى الفاحص المتشدد ، فيقبل منها مالا يتعارض مع أهداف الحياة المفيدة القوية المنتجة التى توائم روح عصره ولا تعوقه عن السير مع شباب العالم الذى يقتحم ويسود ويسعد . يبقى هذه التقاليد التى لا تعوقه

بحياتهم الشرقية وآدابهم وتقاليدهم أو طائهم ، ومن قبل ذلك دينهم .

والداعون للحياة الجديدة ، أو الحياة المعاصرة ، بمقاييسها وقيمها — يدعون الشباب لأن يصبغوا عواطفهم وأخلاقهم ، ويقيموا آداب سلوكهم على القواعد التى يسير عليها ويلتزمها أهل السيادة والقوة فى هذا العصر . فذلك أقوم لحياتهم وأبهج لنفوسهم وأسعد لأرواحهم وأكثر نفعا لهم فى الحياة وأجدى إفادة لتربية ذواتهم ونماء مواهبهم ومعارفهم ، فهو يحقق لهم متعة الحياة وتربية الشخصية ، ويسلكهم فى سلك العالم المعاصر المتحضر .

هاتان دعوتان متعارضتان تريد كل واحدة منهما أن تسيطر على الشباب ليقتنع بها ويؤمن بخيرها وجدواها فيتبعها فى التفكير والثقافة ويسير على نهجها فى الآداب والسلوك والعمل . والدعوة الأولى — دعوة الحفاظة والالتزام تساندها قوة من سواد الرأى العام وكثرته ، ومعاهد الثقافة التقليدية فى الشرق ، وبعض القوى الرسمية أو كثير منها .

والدعوة الثانية — دعوة التجديد والانطلاق تساندها فئة قد تكون قليلة العدد . ولكنها بمكانتها وثقافتها وقوتها ، بالغة الأثر . يعززها كثير من نظمنا العامة فى الحكم ، ومناهجنا فى التعليم ، ومؤثرات أخرى غير

والبصيرة ، فينقدها بعين نافذة واعية متجردة
ثم يقبل منها ما يعتقد أنه لا بد منه سيادته
وسيادة وطنه ، ولسعاده وقوته .

تيار الحياة المعاصرة ينحدر الآن كله من
الغرب إلى الشرق ، إلينا نحن ، وهو ليس
خالياً من الانانية والانحراف والزلل ،
وكثير من فلاسفة الغرب ومفكره ينقده
ويفنده ويخوف من عواقبه وخطره على
الإنسانية والحضارة . فعلى شبابنا حين
يتلقى رأياً ، أو مذهباً ، أو فكرة جديدة ،
ألا يتخذها بريقها ، وأن يأخذها مأخذ الجد
والبحث الفاحص المتزن المستقيم المجرد .

لا مأخذ الانحياز والانقياد والمتابعة
السادجة . لأنها جاءت من الغرب أو من
الشرق . فهذه هي التبعية التي تنتهي بهم إلى
التلاشي وتنتهي بأوطانهم إلى الاحتلال
أو الاستعمار المذهبي والفكري ، وهو شر
أنواع الاستعمار .

صحيح أن الحضارة الراهنة ليست حضارة
الغرب وحده ، بل هي حضارة الحياة
المعاصرة كلها ، والعالم القائم كله ، وحضارة
الإنسانية جميعها ، كما كانت حضارة العرب
وحضارة اليونان يوماً ما .

ولكن هذا لا يضعها فوق النقد وفوق
المحاسبة ، ولا يبرؤها من الشر والزيف ،

ولا تصده ، والتي تربطه بوطنه ويئته بل
يفخر بهذه التقاليد كظهر من مظاهر العراقة
في التاريخ ، والأصالة في الحياة البشرية .
ويرفض من هذه التقاليد ما يرى أنه يؤخره
ويعوقه ويحول بينه وبين مسيرة الحياة
المعاصرة بما فيها من قوة وسطوة ومتاع
مباح للنفس وبهجة للروح وقوة للجسد .
وديننا ، في فهمه القويم ، وثقافتنا التقليدية
نفسها يدعوان إلى ذلك : يقول أثرنا القديم :
« اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً ، واعمل
لآخرتك كأنك تموت غداً » ، ولن تستطيع
أن تعمل للدنيا كأنك تعيش أبداً ، إلا إذا
سلكت فيها مسلك الأقوياء السعداء الذين
تضمن لهم قوتهم وسعادتهم أكبر قسط من
ذخيرة الحياة والبقاء والسيادة . وليس البقاء
هو طول العمر وامتداد الأجل ، فالحياة
تقاس بعرضها وعمقها ونوعها وقيمتها ،
لا بطولها وامتدادها . فدعوتنا لأن نعمل
للحياة كأننا نعيشها أبداً ، هي في جوهرها
وصيمها دعوة لأن نسلك سبيل الأقوياء الذين
يسيطرون على الحياة ويتحكمون فيها
ويسخرونها .

على شبابنا أن يكون شجاعاً بصيراً أمام
ما يسمع ويرى من آراء وأشياء تقدمها له
الحياة المعاصرة . وأن يلتزم في ذلك أيضاً
تلك الشجاعة القائمة على الفهم والإدراك

وعواطفنا المميزه لنا ، والثانية مذاهب الحياة المعاصرة فى العالم الجديد ، تلك المذاهب القائمة على الحرية والعلم ، وعلى أخلاق الشجاعة والحكمة والبصيرة المستشرقة والقوة المسيطرة والحياة السارة البهيجة المقتحمة .

قرأت كلمة لغاندى أعتقد أنها يجب أن تكون نبراسا يضىء طريق شبابنا ودستورا ندعوه لالتزامه ، بل يجب أن تكون كذلك بالنسبة لحياتنا جميعا فى سيرنا نحو مستقبل أكرم وأنفع وأفضل . هذه الكلمة هى : (لا أريد لبيتى أن يكون محاطا بالأسوار من كل جانب ، ولا أريد أن تكون نوافذه مغلقة . بل أريد أن تهب على بيتى ثقافات كل الأمم ، بكل ما يمكن من الحرية ، ولكنى أنكر على أية واحدة منها أن تقتلعنى من أقدامى) . (١)

محمود الشرفاوى

سكرتير التحرير

ولا يجعلها مقبولة لنا على علانها كما هى ، فأهل هذه الحضارة أنفسهم والمفسكرون منهم على الأخص ، لا يضعونها فوق النقد والمحاسبة ، بل يبحر حونها فى مواطن كثيرة . إنى أدعو إلى الحرية والشجاعة . ولكنى مع ذلك ، أو قبل ذلك ، أدعو إلى الثقة بالنفس ، والثقة بالقومية ، والثقة بالوطن ، والثقة بتاريخنا - مهما يكن فيه - وبمقومات حياتنا الخاصة ، مهما رأينا فيها ، وأن تكون نظرنا إلى حياتنا الخاصة هذه وتاريخنا ومقومات شعوبنا ووطننا العربى ، نظرة الإعزاز والتمحيص والتقويم القائم على الفهم والمحبة والاحترام . لا نظرة التوجس والازدراء والاستخفاف والهدم القائم على المقت والزراية والتهوين والمتابعة .

حياة شبابنا ، الذى سيحكم أوطاننا فى المستقبل القريب ، يجب أن تقوم على ركيزتين ، وأن تسير على قدمين : إحداهما الصالح المفيد المعقول المستساغ من تقاليدنا

حق الجوار

كان عدى بن حاتم الطائى يفتت الخبز للنمل ويقول :
لنهن جارات ، ولهن علينا حق الجوار .

(١) أذيعت من إذاعة المغرب .

قراءة معاصرة حول ،

التفسير العلمى للقرآن

للأستاذ محمد رجب البتوي

[قرأت ما نشره الباحث المحرر الأستاذ محمود الشرفاوى فى عدد المحرم من هذا العام حول هذا الموضوع ، فرأيت أن أعرض على القراء هذا البحث السريع لتكتمل وجهات النظر المختلفة فى هذا الموضوع الدقيق] .

ليس كثيرأ على القرآن الكريم وهو كتاب الإسلام الخالد ومعجزته النادرة أن يتضافر الجهود المخلصة على تفسير إعجازه ، وإيضاح هديه ، وإن مرور الزمن لا يعنى الباحثين فى كل عصر من تبيان آياته ، وتحليل مراميها ، بل إن تقدم العقل الإنسانى مما يزيد فى ضرورة هذا التحليل والبيان على نحو تطمئن إليه البصائر المخلصة ، والضوائر المنصفة ، وإذا كنا نرى النصوص الدينية فى أوربا تؤلف لها المجامع المختلفة من ذوى الثقافات المتعددة ، فيقومون بتوضيح ألغازها وتفسير مضمونها ، كل حسب اختصاصه ومنحاه ، فهذا مؤرخ يستعرض ما جاء فى التوراة والإنجيل من قصص وأنباء ، وذلك طبيب يستنبط من شتى النصوص ما يؤيده تقدم الطب ، وتفقو التشريح ، وذلك اجتماعى يستخلص مما بين يديه قواعد ثابتة لازدهار العمران وانقراضه ، وارتفاع الأمم وانخفاضها ، حتى تضخمت المكتبة الدينية تضخماً لا يمنع مستقبلاً من اطراد البحث ، ومواصلة الاستنتاج ، إذا كنا نرى ذلك ونقرؤه دارسين متفهمين ، فإننا نرحب بكل مجهود بصير يبذل فى شرح الحقائق القرآنية ، وتفسيرها تحت أضواء هادية من التاريخ والعلم والفلسفة والمنطق ، ونرى كتاب الإسلام فى حاجة دائمة إلى عقول مستنيرة منصفة تستشف أسرارها ، وتؤيد إعجازه ، ليم نور الله فى الآفاق ، فبهلك من هلك عن بينة ويحيى من آمن عن اقتناع . ونحن الآن فى عصر تقدمت فيه الفتوح العلمية تقدماً مذهشاً ، فى كل يوم جديد طارف تحمله انتصارات العقل البشرى ، تفسير به الصحف اليومية مقرظة مادحة ، والمجلات العلمية مفصلة شارحة ، وقد تطوع رهط من أولى العلم والثقافة ، فأخذوا يدرسون آيات الكتاب الكونية دراسة هادية ، ويحاولون أن يستشفوا من خلالها أقباساً

وضيئة، تشير إلى ما جد من مخترع واستحدث من مكتشف، على حين قام فريق آخر من أولى العلم أيضاً يناهض هذا الاتجاه ويحاربه ويرى أن تظل نصوص القرآن بعيدة عما يراد لها من التوجيه والاستدلال، ولا نريد أن نعجل بالحكم في هذه القضية الدقيقة، قبل أن نستعرض أدلة أولئك وهؤلاء، ليطمئن القارئ إلى وجه يرتضيه ا يذهب الذين يريدون أن يفسر القرآن الكريم تفسيراً علياً، تؤيده النظريات المستحدثة إلى أدلة واضحة محددة، فهم يرون أن القرآن ليس للعرب فقط حتى يكون إعجازه بلاغياً يلبسه الفصحاء وحدهم، ويدركه من فهموا أسرار البيان العربي من ذكر وحذف، ووصل وفصل، ولكنه إعجاز بشرى يشمل الناس كافة من آسيويين وأوربيين وأمريكيين وإفريقيين، وهؤلاء العجم من غير العرب يستطيعون أن يفهموا نواحيه العلية والنفسية والاجتماعية! فلو اقتصر الإعجاز القرآني على الوجه التشريعي أو البلاغي لفات هؤلاء جميعاً أن يروا أقباساً وضيئة من نور الله، كما أن القرآن ليس خاصاً بجيل واحد من الأجيال، فنحصر تفسيره فيما يروى عن الصحابة والسلف من أقوال، ولكنه ذخيرة الأجيال المتلاحقة، ومن حق كل جيل أن يفهم منه ما يمتد إليه بحشه العلي والنفسى

والاجتماعى من استنباط وقياس!! فإذا حاول أبناء القرن العشرين أن يجدوا في بعض آياته تعضيداً لما سطعت به الفتوح العلية من حقائق، فإنهم بذلك يزدادون إيماناً و يقينا، وهذا كسب كبير للنصوص الدينية في عهد يفيض بالشكوك ويمتلئ بالإلحاد!! على أن هؤلاء الملاحدة المتشككين لا يجدون حجة يستطيعون بها على المؤمنين إذا وجدوا الحقائق العلية تؤيد ما يتشككون فيه من هدى كريم، فتخرس ألسنتهم أمام الحجج الساطعة، ويجد كتاب الله له من النظريات الثابتة أسسا تدعمه، وأركاناً وطيدة تقويه وتعليه!!

هذه أهم ما يحتاج به أنصار التفسير العلى للقرآن من أقوال، وقد بسطها العالم المتمكن الغيور الأستاذ محمد أحمد الغمراوى غير مرة في أعداد مختلفة من الرسالة (١)، وجاء كتابه العلى النفيس (في سنن الله الكونية) تطبيقاً عملياً لما يرتئيه، وقد احتاط احتياطاً مفيداً حين وضع القيود المحكمة لهذا التفسير العلى فقال تقلا عن الرسالة (٢).

وقبل أن نورد بعض الأمثلة التوضيحية، يجب أن ننبه إلى أمرين مهمين، الأول أنه لا ينبغي في فهم القرآن الكريم أن نعدل

(١) الرسالة : الأعداد ٧٠٥، ٧٠٦، ١٤٦،

(٢) الرسالة العدد ٧٠٥.

في ضوء هذه التوجيهات الصريحة ، قطع العلماء من المتفهمين شوطاً حميداً في تفسير بعض الآيات الكونية والطبية - فضلاً عن النفسية والاجتماعية - فجاءوا بما يعجب ويروق عما لا يتطرق إليه التعسف والافتعال ، وأصبح القارىء المثقف يجد تفسيراً علمياً شافياً للأمثال قول الله تعالى : « قل أنتمكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ، ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسي من فوقها ، وبارك فيها ، وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ، وقوله « أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففلقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي » .

وإذا كانت بعض الآيات الكونية لا تزال في دور التطبيق الصريح فإن أكثر الآيات الطبية قد وجدت من العلم نصيراً مجبداً ، فأصبح من الإعجاز العلى للقرآن أن تقرأ قول الله عز وجل : « والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء » وقوله « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة » وقوله : « ويسألونك عن المحيض قل هو أذى ، فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن » وقوله « فلينظر الإنسان مم خلق ؟ خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب » ونحو ذلك مما

عن الحقيقة إلى المجاز إلا إذا قامت القرائن الواضحة تمنع من حقيقة اللفظ ، وتحمل على مجازة ، لأن مخالفة هذه القاعدة الأصلية قد أدى إلى كثير من الخلط في التفسير .

أما الأمر الثاني فهو أنه ينبغي ألا تفسر كونيات القرآن إلا باليقين الثابت من العلم ، لا بالنظريات ولا بالفروض ، لأن الحقائق هي سبيل التفسير الحق ؛ هي كلمات الله الكونية ينبغي أن يفسر بها نظائرها من كلمات الله القرآنية ، أما الحدسيات والظنيات فهي عرضة للتصحيح والتعديل ، إن لم تكن للإبطال في أى وقت .

وإذن فهذان قيدان مفيدان وضعهما الأستاذ الغدراوى ليحول دون الشطط في التأويل ، والجروح في التطبيق وقد جاء الأستاذ الأكبر محمد مصطفى المراغى بقيد ثالث نضيفه إليهما حين قال « يجب ألا نجر الآية إلى العلوم كي نفسرها ، ولا العلوم إلى الآية كذلك ، ولكن إن اتفق ظاهر الآية مع حقيقة علمية ثابتة فسرناها بها ^(١) » ، ويمكن القارىء أن يأخذ هذا القيد مستشفاً من خلال القيدتين السابقتين ، إلا أنني آثرت أن أجمله صريحاً واضحاً ، ليسكمل التوجيه المختوم لمن يتعرض إلى كتاب الله بتفسير علمي رشيد .

(١) مجلة الأزهر المجلد السادس ص ٦٣٥ .

نجعله ميدانا للتأويل المتناقض المضطرب ،
حتى ليجوز أن نتخذ من الآية الواحدة دليلا
للإثبات في زمن ، وللنفي في زمن آخر ،
ومثل ذلك عبت بالغ يجب أن يتنزه عنه
كتاب السماء .

وعما جعل الآذان تصغي كثيرا لهذا الفريق
أن أناساً ممن لا يجمعون بين النظر الصائب
والعلم الصحيح ، قد دفعهم حب الابتكار
إلى تفسير بعض الآيات تفسيراً بدائياً
لا يستند إلى دليل ، فحين يظهرُ مكتشف ما
من المكتشفات يسارع هؤلاء السطحيون ،
فيقتطعون من كتاب الله ما يوههم صاحب النظر
المتسرع أنه يسير مع المكتشف الحديث ،
ثم يملئون الصحف هراء بتمحلاتهم الكاذبة ،
وافتياتهم المقيت ، ويدّعون عند ذلك أن
كتاب الله قد ألقى إليهم بأسراره ، فهم
قد يرون على أن يستنبطوا منه قضايا العلم
الحديث ، وينسون أنهم في تحملهم الكاذب
يخطون خبط عشواء !! .

تجد أحد هؤلاء يتحدث عن التصوير
الشمسي فيستدل بقول الله : ألم تر إلى ربك
كيف مدّ الظل ، ولو شاء لجعله ساكناً ، .
أو يتحدث عن الأثير فيستدل بقول الله :
ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها
والأرض اثريا طوعاً أو كرها ، أو يتحدث
عن القمر الصناعي فيستدل بقول الله :

انبط فيه مجال القول للتخصصين ، فكان
إحدى معجزات القرآن الكريم .

أما الفريق الآخر ممن لا يرون أن يجذب
التفسيرات العلمية إلى آيات الكتاب ،
فيذهبون إلى أن القرآن قد خاطب العرب
أول من خاطب من الناس ، وهم قوم أميون
لا يحتاجون في فهم النصوص الصريحة إلى
التغلغل في العلوم الكونية ، والرياضيات
الهندسية ، وقد واجههم القرآن بما في
مقدورهم أن يستوعبوه من الكلام ، فأدى
رسالته معهم على أحسن وجه يتاح ،
إذ فهموا مبادئه ودرسوا شرائعه دون أن
تكون بهم حاجة إلى نظرية علمية ، أو فلسفة
كونية ، فعلى المفسرين أن يفهموا من القرآن
ما فهمه العرب الأوائل ، إذ أن كتاب الله
لسان هداية ، ومنار توجيه ، أنزله الله على
نبيه ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ،
لا ليتحدث عن أسرار البرق والرعد والمطر
والرياح ، ولا ليحدد مواضع الشمس والقمر
والنجوم والبحار والجبال .. ثم إن النظريات
العلمية في الكون لا تستقر على حال ، فقد
تثبت القضية الكونية لدى جيل من الأجيال ،
حتى تصبح أمراً بدهياً لا يحوز فيه
الاختلاف ، ثم يدور الزمن فيجدة من
النظريات ما يقلب الأولى رأساً على عقب ،
فإذا فسرنا القرآن بمقتضى النظر العلمى فإننا

فاحصة فلا يربطون الآيات بعضها ببعض ،
أو يلتفتون إلى أسباب الزول وأسرار البيان
أو يحكمون السياق الأسلوبى للقرآن ، بل
يندفعون وراء الحدس الظنى والخيال الوهمى
ثم يجترئون فيطبقون ويؤولون !! أما من
يقيدون بالنهج الصحيح في التزام اليقين الثابت
من العلم ، والصريح الواضح من الآية دون
أدنى تكلف يدعو إلى الاعتساف والشطط ،
فما نظن إلا أن الأستاذ الأبر يوافق سلفه
الأستاذ المراغى على منحاه في تفسير ظاهر
الآية بالحقيقة العلمية دون تكلف أو افتعال ؛
لأن كتاب الله كما يقول الأستاذ شلتوت
« لم يصادم ولن يصادم حقيقة من حقائق
العلوم تطمئن إليها العقول ، !! »

هذان رأيان متقابلان وبالنظر إلى أدلة
كل رأى على حدة ، نجد أن الذين ينادون
بابتعاد القرآن عن التفسير العلمى مصيرون
كل الإصابة ، إذا كان التفسير قائماً على الظن
الوهمى ، أو التعسف التأويلى ، أما إذا كان
مستنداً إلى الصريح من القول معتمداً على
اليقين الثابت من العلم ، فلا نمنع إطلاقاً أن
نستضىء بشعاع العلم فى إيضاح حقائق الذكر
الحكيم ، وإذا كان القرآن كتاب هداية
وإرشاد ، فإن آياته العلمية لا تحول دون هذه
الهداية المبتغاة ! بل تؤكدتها وتدعو إليها
المجاهدين ، أما من يقول : إنه نزل فى أمة أمية

« اقتربت الساعة وانشق القمر ، ! أو يلم بآلة
التسجيل الهوائى للأصوات فيستشهد بقول
الله : « وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ،
أو يشير إلى تحطيم الذرة فيقرأ قول الله :
« وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمرّ مرّاً
السحاب .. وربما تجرأ هؤلاء الأدعياء
فكتبوا المؤلفات المتتابعة تحت عنوان
(بين العلم والقرآن) وظنوا أنهم يتسرّعهم
العاجل يقاربون بين العلم والدين !! وأذكر
أن فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت
قد كتب (١) بالرسالة ردّاً مسهباً ضافياً يفند
فيه ما ذهب إليه هؤلاء الأدعياء من تعسف
مقيت ، فبسط الحجج المقنعة على فساد نظرهم
الطائش واستدل بالنقل والعقل على شططهم
السكرية ، ثم قال فى ختام حديثه : « فلندع للقرآن
عظمته وجلالته ، ولنخلع عليه قدسيته
ومهابته ، ولنعلم أن ما تضمنه من الإشارة
إلى أسرار الخلق ، وظواهر الطبيعة ، إنما
هو لقصد الحث على التأمل ، والبحث والنظر
ليزداد الناس إيماناً مع إيمانهم ، وحسبنا أن
القرآن لم يصادم ولن يصادم حقيقة من
حقائق العلوم تطمئن إليها العقول ، .

وكلام الأستاذ الأكبر - كما هو واضح جلى -
موجه إلى من يهجمون على التأويل دون دراسة

وإن في هذه العلوم الحديثة على اختلافها لعونا على تفسير بعض معاني القرآن ، والكشف عن حقائقه ، وإن فيها لجماما ودربة لمن يتعاطى ذلك ، يحكم بها من الصواب ناحية ، ويحرز من الرأى جانباً ، وهى تفتق له الذهن ، وتواتيه بالمعرفة الصحيحة على ما يأخذ فيه ، وتخرج له البرهان وإن كان فى طبقات الأرض وتنزل عليه الحجة وإن كانت فى طباق السماء ١١ .
وبما يدور حول هذه المعانى ما كتبه الأستاذ المراعى فى مقدمة كتاب « الإسلام والطب الحديث » لعبد العزيز إسماعيل وكنت أوشر أن أنقل بعض حديثه لولا أنه ليس تحت يدى الآن .

على أن هذه الدعوة المخلصة إلى النظر فى كتاب الله على ضوء من العلم الحديث يجب أن ننفع انتفاعاً واعياً بما اصطدمت به عند التطبيقات الأولى فى الغابر والحاضر من أخطاء لتحديد عنها فى دورها التطبيقى الجديد ، فنحن نجد أن تفسير الفخر الرازى قد أثقل إتحالاً بالآراء الكونية والعلمية التى فاض بها القرن الخامس من الهجرة . فجاء فى كثير من صفحاته بعيداً عن الجو القرآنى حتى قال فيه بعض الباحثين : إنه يجمع كل شئ . غير تفسير القرآن ١١
وأنا أعتقد أن الرازى قد كتبه لخاصة تلاميذه فأنخمه إتحاماً حال دون ازدهاره بالقياس إلى غيره ، على جودة حكمه وصائب رأيه ، كما

لا تعرف النظر العلمى فنحن نرد عليه بأنه لم ينزل لأمة واحدة أو قرن واحد ، بل نزل لجميع الأمم فى شتى القرون المتعاقبة ليأخذ كل جيل من هديه ما يناسب استعداداته الذهنية والنفسية ، ولن يضير النهر المترقق أن يرتوى منه غلام ناشئ أو شاب مكتمل ، ولن تجد حجة لمن يدعون تناقض العلم واضطرابه لأننا فى هذا التفسير المرتقب لن نأخذ بغير اليقين الثابت بما صححته الأجيال المتعاقبة دون أن نكر عليه بالنقض والتفنيد ، وستتمسك بالقيود الملزمة التى فرضها العلماء على أنفسهم وسجلناها مركزة فى صدر هذا المقال ، وقد التفت المرحوم الأستاذ مصطفى صادق الرافعى إلى هذه الناحية من الإعجاز العلمى ، فأيد ماذهب إليه العالم التركى مختار باشا فى كتابه « سرائر القرآن » ، ونقل قدراً منه فى الجزء الثانى من تاريخ أدب العرب (١) ، ثم قال الرافعى (٢) .

ولعل متحققاً لهذه العلوم الحديثة لو تدبر القرآن الكريم وأحكم النظر فيه ، وكان بحيث لا تعوزه أداة الفهم ولا يلتوى عليه أمر من أمره ، لاستخرج منه إشارات كثيرة توفى إلى حقائق العلوم وإن لم تبسط من أنبائها ، وتدل عليها وإن لم تسمها بأسمائها ، بلى ،

(١) ص ١٢٧ ط سنة ١٩٥٣

(٢) ص ١٢٥ ط ٣ سنة ١٩٥٣

الجامدون من تحريره له ، أو صده عنه ، فهو لم يعن ببيان معاني الآيات كلها ، وما فيها من الهدى والأحكام بقدر ما عني من سرد المسائل العلمية وأسرار الكون وعجائبه ، ولا يمكن أن يقال : إن كل ما أورده فيه يصح أن يسمى تفسير آله ، ولأنه مراد الله تعالى من آياته ، وما أظن أنه هو يعتقد هذا اه وإن ما وجه إلى المتبحرين في مسائل الفلسفة والعلم لأدنى مناسبة واهية كالفخر الرازي والشيخ طنطاوى جوهرى من ناحية ، وإلى المتكلفين أوجه التأويل عن طريق الكناية والمجاز من ناحية ثانية ، ليدعونا دعوة صادقة إلى أن نتجنب كل خطأ وقع فيه أولئك وهؤلاء ، حتى يكون التفسير المنتظر صائب النظر صادق الإقناع . فيشفي النفوس المريضة ويرشد الأبصار الحائرة ويدعو إلى صراط مستقيم .

محمد رجب البيومي

نجد أن المسألة قد كررت في صورة مكبرة مجوفة حين جاء الأستاذ طنطاوى جوهرى - رحمه الله - فلا تفسيره الضخم بمئات الصفحات العلمية التي تتحدث عن مظاهر الكون حديث الكيافى والطبيعى والفلكى والجغرافى والنباتى ، فهو ينتز كلمة عابرة كالرعد أو الأرض أو النحل أو النمل ليفيض في دقائق علمية تعرض خواص هذه الأشياء دون أن تدعو إليها حاجة التفسير المعقول للكتاب الكريم ١١ وقد انتقده صاحب المنار السيد محمد رشيد رضا تليحا في مقدمة الجزء الأول من التفسير ، وتصريحا في مجلة المنار (١) حيث يقول عنه من حديث طويل : « ثم توسع المؤلف بوضع هذا التفسير الذى يرجو أن يجذب طلاب فهم القرآن إلى العلم ، ومحجى العلم إلى هدى القرآن فى الجملة ، والإقناع بأنه يحث على العلم لا كما يدعى

(١) مجلة المنار شعبان سنة ١٣٤٨ هـ .

حق الأمة لا يورث . . !

خطب الخليفة العادل عمر بن العزيز الناس أول جمعة ولى فيها أمر المسلمين فقال : يا أيها الناس . إني قد ابتليت بهذا الأمر عن غير رأى كان منى فيه ، ولا طلبه له ، ولا مشورة من المسلمين . وإني قد خلعت ما فى أعناقكم من بيعتى . فاخاروا لأنفسكم ، فقال الناس : يا أمير المؤمنين ، قد اخترناك ، ورضيناك . فل أمر المسلمين باليمن والبركة ، ، وهكذا رد عمر بن عبد العزيز أمر المسلمين إليهم ، وأثبت أن حق الأمة لا يورث . . !

جَامِعَةُ الْقُرَوِيِّينَ

بين الماضي والحاضر

للأستاذ أسعد حنّى

تطورها بالقادة والعلماء والمرشدين الروحيين
طوال القرون الماضية .

✱ ✱ ✱

وتاريخ جامعة القرويين بالذات يرتبط
أوثق ارتباط بتاريخ مدينة « فاس » ، التي
كانت منذ إنشائها عاصمة للدولة المغربية في عهد
الادارسة ومن خلفهم إلى مستهل القرن الهجرى
الحالى ، حيث أخذ الاستعمار يتسلل إليها .
وقد سارت هذه الجامعة في تاريخها الطويل
العامر ، ككل كائن حى ، تنهض وتنمو آنأ ،
وتجمد وتتعثر آنأ آخر . . . ولكن الأمر
الذى لا يمكن أن ينكره أحد عليها ، أنها
ظلت - فى كل الأحوال - تحمل علم الدراسات
الإسلامية وما يتصل بها عن جدارة ، فى هذا
الجزء الهام من وطننا العربى الكبير . واستطاعت
أن تثبت حقاً أنها منارة الهدى والعرفان ،
وأساس الارتكاز الروحى عند المسلمين كافة
فى المغرب العربى .

والفصول الأولى لقصة إنشاء القرويين ،
تبدأ - كما يجمع المؤرخون - مع هجرة ثمانمائة

مرت بدنيا العرب والمسلمين - فى منتصف
ربيع الآخر - ذكرى من أجدد ذكرياتهم
التاريخية . . إذ احتفل فى المغرب العربى رسمياً
بمروور ١١٠٠ سنة على إنشاء « جامعة القرويين »
فى مدينة فاس .

وجامعة القرويين هى أقدم جامعات العالم
على الإطلاق ^(١) . ويعزى إليها - وإلى
شقيقتها : « الزيتونة » فى تونس ، و « الأزهر
الشريف » فى القاهرة ، أكبر الفضل فى نشر
الإسلام الحنيف والحفاظ على تعاليمه السمحة
وحماية لغة القرآن وآدابها والعمل على إثرائها
فى جميع فروع المعرفة . . . بالإضافة إلى
ما قامت به هذه الجامعات الإسلامية الكبرى
من تزويد شعوبنا العربية خلال مراحل

(١) هذا الحكم بجانب الحق لأن مسجد القرويين
لم يتحول إلى جامعة للتدريس إلا سنة ٥٣٨ هـ كما ذكر
الاستاذ الكاتب ، أما الأزهر فند هي لتدريس الفقه
والدولم فى الربع الأخير من القرن الرابع الهجرى .
وعلى ذلك تكون الجامعة الأزهرية أقدم جامعات
العالم على الإطلاق . (المحرر)

د مريم ، في بناء مسجد د الأندلس ، في شرق المدينة . وبدأت د فاطمة ، في بناء مسجد د القرويين ، في جنوبها . وكان ذلك في يوم سبت - وهو يصادف غرة رمضان من سنة

٢٤٥ الموافق ٣٠ نوفمبر من سنة ٨٥٩ - أى منذ ألف ومائة سنة كاملة وهو المسجد الذى عرف بعد ذلك باسم «جامعة القرويين» . ولقد كانت الطريقة التى سلكها البناءون فى البناء أنهم التزموا أن يأخذوا كل حاجاتهم من الرمال والحجارة من نفس البقعة دون غيرها . كما أنهم عثروا على عين ماء غزيرة تجاوز الموقع الذى اختير لإقامة المسجد . وكان ذلك كله تحرياً من المشرفين على البناء كي لا تدخل فى بناء المسجد شبهة - على ما يقول د ابن أبى زرع ، فى كتاب «الإستقصا لأخبار المغرب الأقصى» . وظللت د فاطمة ، صائمة منذ أن شرع فى بنائه ، إلى أن تم واكتمل وأقيمت فيه الصلاة .

* * *

وقرويين الأمس ، ليست هى قرويين لليوم . . . إذ لم تكن القرويين عند نشأتها الأولى ، تشتمل إلا على أربع صحون وعلى محراب وفناء غرست فيه بعض الأشجار . . . وحينما بنيت لم تكن بها حلقات للدرس كما أصبحت فيما بعد ، بل كانت مجرد مسجد يحضره الناس الذين يؤدون فيه صلاة الجمعة ،

عائلة أندلسية ، تبتعتها هجرة ثلاثة آلاف عربى من القيروان بتونس ، إلى مدينة فاس ، واتخاذهم لها وطناً ثانياً فى أوائل القرن الثالث للهجرة .

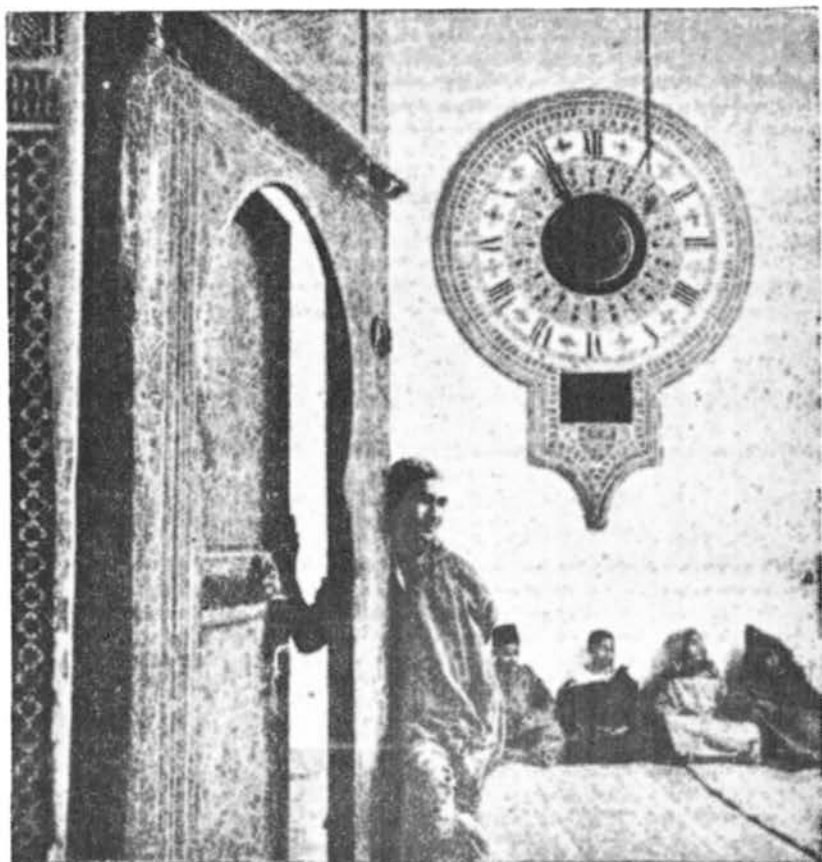
وقد استقر المغتربون من الأندلس فى شرق المدينة بضاحية عرفت فيما بعد ، باسم «عدوة الأندلسيين» . أما المغتربون من القيروان ، فقد استقر بهم المقام فى الجهة المقابلة بضاحية على الضفة اليسرى كانت تسكنها القبائل ، وسميت أيضاً باسم «عدوة القرويين» ،

وكان بين المغتربين التونسيين رجل ورع ، يعيش فى بسطة من الرزق بسبب ما حمله معه من المال ، هو د محمد بن عبد الله الفهرى القيروانى ، . وقد توفى عقب فترة وجيزة من وصوله إلى فاس . وخلف ثروة طائلة لابنته د فاطمة أم البنين ، وشقيقتهما د مريم .

وعقدت الشقيقتان العزم على إنفاق جزء كبير مما ورثاه عن أبيهما فى بناء مسجد يخلد اسم أسرتهما واسم البلاد التى نزحتا منها . وكان من أهم الدوافع لها على ذلك عليهما بحاجة الناس الملحة فى كل «عدوة» من فاس إلى مساجد يؤدون فيها الصلاة ، نظراً لضيق المسجدين القديمين القائمين فيها بالناس .

ولم يطل تفكير الشقيقتين ، فشرعت

وكانت الفسكرة في إنشائها — كما يروى
 « أبو الحسن على الجزنائي » في كتابه « زهرة
 الآس في بناء مدينة فاس » — هي ضيق
 المساجد التي يصلّي فيها أهل العدو وافتقارهم



بعض الطلاب في جامعة القرويين وقد جلسوا تحت الساعة التاريخية ينتظرون أستاذهم

إلى مسجد جامع يلم شعبتهم ويجمع شملهم
 وتلقى من فوق منبره الخطبة الرسمية .
 وكان علماء فاس — في ذلك العهد —
 العبادة ، عملاً بقوله تعالى : « فإذا قضيت
 الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من
 فضل الله » .

ولقد تطلب تزايد عدد السكان واتساع نطاق المدينة إدخال إصلاحات جمة على مباني القرويين القديمة واستحداث مبان وصحون

مؤلف كتاب «القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ فاس» .
وكان من أوائل الذين لهم فضل السبق في



جانب من مدخل القرويين ويشاهد فيه إلى جانب النقوش البديعة عدد من الماعات
أهديت من ثروة الشعب .

جديدة ألحقت بها ... فلم يكده ينقضي إلّا نحو
قرن حتى أصبحت مساحتها أربعة أضعاف
ما كانت عليه بعد بنائها . كما ذكر

إدخال هذه الإصلاحات على مسجد القرويين
الخليفة عبد الرحمن الأموي الذي أسهم بمال
كثير في تجديده ، وكان شديد الشغف بالمباني

الآفاق عدداً كبيراً من العلماء الأجانب من أنحاء أوروبا ومنهم الرحالة «جيريتا» و«البابا» «سلفستر» الذى نقل الأرقام العربية إلى الغرب ، كما نقل نظريات الفقه الإسلامى واستخدمها فى تطوير القانون الرومانى ، وكثير غيرهم من العلماء الأوربيين الذين توافدوا على مر السنين - على القرويين - للإفادة من خزانها التاريخية المملوءة بالمؤلفات والكتب والمخطوطات النفيسة النادرة ، فى مختلف فروع العلوم والمعرفة ، وأطلعوا العالم بعدد عودتهم إلى بلادهم على الحضارة التى تغمر البلاد الإفريقية والمغرب العربى بنوع خاص !

• • •

ولعل أزهى عهد تحقق فيه للقرويين ما كانت تصبو إليه من أسباب النمو والتقدم ، كان عهد السلطان «أبى عثمان المرينى» ففيه أنشأت الجامعة أضخم مكتبة مزودة بالمخطوطات النادرة ، وشيدت مساكن خاصة للطلاب الذين يردون عليها من أطراف البلاد ، كما أجرى السلطان عليهم «جرايات» شهرية تسكفهم ليتفرغوا لطلب العلم . . . كما كان للعلماء دور خاصة لسكنائهم ، وخدم معينون يوفرون لهم كل وسائل الراحة حتى يستطيعوا التوفر على إداء رسالتهم نحو طلابهم على أكمل وجه .

والمنشآت ، وكذلك السلطان على بن يوسف ابن تاشفين ، وغيرهما من الأمراء الذين عملوا على توسعة رقعة بشراء الأملاك والأراضي المجاورة له وضماها إلى القرويين ، حتى صار أعظم مسجد فى أفريقيا الشمالية ، وبدأت مع حلول سنة ٥٣٨ هجرية ، تعقد فيه حلقات التدريس فى علوم الفقه والشريعة على أيدي علماء أجلاء وفدوا من القيروان ونقلوا معهم جل العلوم الدينية ، ولهم يعزى الفضل فى تحقيق هذه الخطوة التى تأخرت قرنين أو يزيد !

* * *

وتدور عجلة الأيام دوراتها السريعة ويزداد ازدهار القرويين فى عهد المرابطين الذين بنوا فيها للعلم أمجاداً وصروحاً شامخة خلدها التاريخ . واستطاعت الجامعة أن تخرج عظاماً وعلماً أحالوا المغرب فى مدى قصير من «دولة» كانت تتهاوى من الضعف ، وأمة يشيع فيها التأخر والجهالة ، إلى دولة يحكمها دستور السماء الكريم الذى أنزل على محمد عليه السلام .

وظلت القرويين معهد دراسة وعلم ، وتخرج فيها ملايين من المغاربة فى أجيال مختلفة . وظلت على مر القرون حصناً للعروبة والإسلام . واجتذبت شهرتها التى طبقت

ويزدان تاريخ الحركة الوطنية في المغرب
بأنصع الصفحات التي سجلها كفاح علماء
القرويين وطلابها ضد القوى الاستعمارية...
ودورها في تحرير المغرب يماثل تماما دور
الأزهر الشريف في ثورة سنة ١٩١٩
وما بعدها . . .

ويبلغ الآن عدد طلاب القرويين حوالى
سنة آلاف طالب . ولها فروع تتمثل في
المعاهد الدينية المنتشرة في أنحاء المغرب ،
سواء في «تطوان» أو «طنجة» أو «مراكش»
أو منطقة «سوس» . . . على أن مجموع
طلاب هذه المعاهد يناهز ثلاثين ألفاً .

هذه هي «جامعة القرويين» التي ظلت عبر
القرون الطويلة معقلا للتراث الإسلامى
والحضارة العربية ، في شمال إفريقيا . . .
إن فضل بقاء هذه البلاد الشقيقة على صيغتها
العربية الإسلامية ، يرجع إلى هذه الجامعة .
ويرجع أيضا إلى المعاهد الدينية الإقليمية
التي تغذيها هذه الجامعة بالعلماء والأساتذة
والمرشدين الروحيين الذين انتشروا في كل
مكان من بلاد المغرب ينشرون رسالة العروبة
ورسالة الإسلام ! !

وكان علماء القرويين من أغنى طبقات
الشعب ، بسبب ما كان يسبغه عليهم الملوك من
الهدايا وما يجرونه عليهم من الرواتب الضخمة !

* * *

واستمرت جامعة القرويين تقوم بواجبها ،
في حرية تامة . . . إلى أن ابتلى المغرب
بالاستعمار الفرنسى ، وأوجس الفرنسيون
منها خيفة . . . أرادوا في مبدأ الأمر أن
يصدوا أبوابها أمام الطلاب ، أو يحددوا
عددهم ، زاعمين أن في ذلك ترقية للبلاد . . .
ولكنهم اصطدموا بمعارضة شديدة . . . إذ
فطن «المولى يوسف» الجالس على عرش
البلاد لغرض المستعمرين من ذلك . . وأدى
الصراع بينه وبينهم إلى انتباه جماعة من العلماء
واتجاههم إلى بعث الحركة السلفية ومحاربة
الاجود ، وتطوير الدراسات لتساير روح
العصر . . . وكانت الخطوة الإيجابية لتحقيق
ذلك الغرض ، عندما عين جلالة الملك محمد
الخامس في سنة ١٩٣٧ ، الأستاذ محمد
الفاسى ، وهو من علماء القرويين ، ومن
الذين استكملوا دراستهم في جامعة باريس ،
مديراً للقرويين فأدخل العلوم العصرية واللغات
الأجنبية في مناهج التعليم ، إلى جانب المواد
الدينية ، كما أنشأ قسماً خاصاً بالقرويين لتعليم
الفتيات ، وقد تخرجت فيه إلى الآن عشرات
منهن يحملن شهادة «العالمية» !

أحمد مرسى

أبواب السَّامِي في معرَّة المنصورية

للدكتور عبد الحليم محمود

« وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم ،

إذا عدنا إلى أواخر النصف الأول من القرن السابع الهجري ، وذهبنا بخيالنا نرتاد أرجاء مدينة المنصورة ، رأينا ظاهرة لا عهد لمن مارسوا الحروب الحديثة برؤيتها إلا نادراً !! .

تلك هي ظاهرة الإيمان والثقة المطلقة بالله :

إنه من الطبيعي أن تكون مدينة المنصورة في حركة لا تهدأ ، إنها الحرب ، والمصريون يستعدون لملاقاة العدو المغير الذي احتل دمياط ، ويحاول التغلغل في البلاد بالاستيلاء عليها .

الاستحكامات تقام ، والمؤن ترد ، والجيوش تتوالى وترتب ، والأوامر تصدر في حزم وثبات . والظاهر يبهرس لا يكاد يغمض له طرف ، ولا يذوق النوم إلا غراًراً .

وفي جانب آخر لويس التاسع ملك فرنسا يقود الجيوش الجرارة من الصليبيين ينازل

الإسلام والعروبة في معركة فاصلة جاسمة ، هي معركة المنصورة .

لقد وقف الغرب كله مستعداً للهجوم على مصر ، يريد أن يدمر الإسلام والعروبة بالقضاء على المصريين ، كما وقف الشرك كله من قبل في غزوة الخندق ، يريد أن يدمر الإسلام بالقضاء على المدينة المنورة ومن فيها من رجال الإسلام الأول ، وعلى رأسهم رسول الله صلوات الله عليه !! .

وبين موقعة المنصورة وغزوة الخندق تشابه في بعض النواحي :

ففي كل منهما أتى الشرك بكل ما يملك وبكل ما يستطيع من عتاد ومن عدد يقضى على التوحيد في عقر داره :

فقد اقتحم الشرك الأول حرم مدينة الرسول وحاصرها ، أما الشرك الثاني فقد اخترق الحدود وتغلغل في البلاد ، واحتل بعضها ، حتى وصل إلى أطراف المنصورة !!

سرافقة ، ومجد الدين الإخميمي ، وأبو الحسن الشاذلي ، وغيرهم من خيرة العلماء .

لم يستقر هؤلاء العلماء في دورهم البعيدة عن الخطر ، وإنما هبوا جميعاً للجهاد في سبيل الله ، لقد هاجروا إلى المنصورة ليكونوا بين المجاهدين ، ورغم أن العارف بالله أبا الحسن الشاذلي كان في آخر حياته ، وكان قد كف بصره ، فإنه كان في مقدمة الداهيين إلى المنصورة ١١١١ .

بهاهم أولئك العلماء بسمتهم الملائكي ، وبإيمانهم الذي لا يتزعزع ، يسرون وسط الجند ، يحثون ويشجعون ، ويرشدون ويذكرون بالله ، ويبشرون - كما وعد الله - بإحدى الحسينين : النصر أو الجنة ، وإذا لزم الأمر عملوا مع العاملين . ولقد كان مجرد سيرهم في الحوار والشوارع تذكيراً بالنصر أو الجنة ، وكان حفزاً للهمم ، وتثبيتاً للإيمان ، وتأكيداً لصورة الجهاد الإسلامية التي قادها في عصور الإسلام الأولى رسول الله صلوات الله عليه ، وخلفاؤه الراشدون ، رضوان الله عليهم .

حتى إذا اطمأنوا إلى الأسباب والوسائل المادية الظاهرة ، والمعنوية الباطنة ، وحتى إذا ما جنهم الليل ، اجتمع هؤلاء الأعلام في خيمة من خيام المعسكر - نعم في خيمة من خيام المعسكر - يتجهون إلى الله بصلاتهم

وفي كل منهما كان المسلمون - رغم رؤيتهم للخطر المحدق بهم - ثابتي الجنان ، مؤمنين كل الإيمان بنصر الله ، مطمئنين إلى قضائه . وإذا أردنا تعليل هذه الثقة في الله عند المسلمين في غزوة الخندق ، فتعليلها سهل واضح : لقد كان على رأسهم رسول الله ، وفيهم أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وكبار الصحابة ١١ وهؤلاء - لثقتهم المطلقة في الله - يبعثون - بطريق التأسى - الثقة في نفوس الآخرين ١١ .

أما في واقعة المنصورة ، فإن تعليل الثقة والإيمان والاطمئنان الذي كان يسود إذ ذاك ، ويسيطر على قلوب المجاهدين الأبطال ، ويبعث فيهم الجِدَّ والنشاط ، وتحمل التعب والسهر ليلاً والعمل نهاراً ... أقول : إن تعليل ذلك ليس بالأمر الهين على من يقرأ التاريخ على أنه ساسة مدنيون وقواد حربيون ، وجنود تزيد أو تقل في العدد . إذا نظرنا إلى التاريخ بهذا المنظار ، فإن تعليل هذه الظاهرة في موقعة المنصورة لا يتيسر ولا يستقيم .

وحقيقة الأمر أن مصر إذ ذاك كانت تضم بين أرجائها نخبة ممتازة من العلماء الدينيين الذين أخلصوا جهادهم لله وحده ، فلم تغرم الدنيا بزخرفها وزينتها .

كان في مصر إذ ذاك العزيز عبد السلام ، ومجد الدين القشيري ، ومحيي الدين ابن

ودعائهم ، يلتسمون منه النصر ، فإذا ما فرغوا من ذلك أخذوا يتدارسون كتابا من الكتب ١١١ .

لقد كانوا يتدارسون ، في إحدى الليالي ، الرسالة القشيرية : تقرأ عليهم وهم يسمعون ويشرحون ١١١ .

ماذا كانوا يقرءون ؟ أكانوا يقرءون باب الفتوة ؟ أم كانوا يقرءون باب الحرية ؟ أم كانوا يقرءونها في تتابع مبتدئين من أولها ١٤ ؟ كانت تقرأ عليهم ويشرحون ، وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلي صامتا يستمع ، فلما فرغوا طلبوا إليه - وهو من أعلام هذا الميدان - أن يتحدث ، وألحوا في الطلب ، فسكت الشيخ فترة ، ثم تكلم ، في انطلاق وفي قوة ، وفي روحانية لا يمكن التعبير عن وصفها ، بأسمى من كلمة الشيخ عز الدين بن عبد السلام الذي قال لأصدقائه وزملائه ، حينما سمع أبا الحسن يتحدث .

« اسمعوا هذا الكلام الغريب ، القريب العهد من الله . »

ولا يقدر هذه الحكمة حق قدرها إلا من يعرف من هو العز بن عبد السلام !!

« الكلام الغريب ، لأنه ليس مأخوذاً من الكتب ، ولا مجرباً في الأسفار !! »

« القريب العهد من الله ، لأنه إلهام الساعة وروحى الزمن الراهن !! »

وشغل أبو الحسن بأمر المسلمين ، فكان ليله ونهاره مشغولاً بالله في أمرهم حتى إذا ما أخذته سنة من النوم في ليلة من الليالي ، رأى فيما يراه النائم ، رؤيا تتعلق بحالة المسلمين في المنصورة ، ومن هذه الرؤيا : ما حكاه صاحب كتاب « درة الأسرار » قال :

« قال الشيخ أبو الحسن : كنت بالمنصورة فلما كانت ليلة الثامن من ذى الحجة ، بت مشغولاً بأمر المسلمين وبأمر الشجر ، وقد كنت أدعو الله وأضرع إليه في أمر السلطان والمسلمين ، فلما كان آخر الليل ، رأيت فسطاطاً واسع الأرجاء ، عالياً في السماء ، يعلوه نور ويزدحم عليه خلق من أهل السماء ، وأهل الأرض عنه مشغولون ، فقلت : لمن هذا الفسطاط ؟ فقالوا الرسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فبادرت إليه بالفرح ، ولقيت على بابهِ عصابة من العلماء والصالحين نحواً من السبعين ، أعرف منهم الفقيه عز الدين بن عبد السلام ، والفقيه مجد الدين مدرس قوص والفقيه النكّال ابن القاضي صدر الدين ، والفقيه المحدث محي الدين بن سراقه ، والفقيه عبد الحكيم بن أبي الحوافز . ومعهم رجالان لم أعرف أجمل منهما ، غير أني وقع لي ظن في حالة الرؤيا : أنهما الفقيه زكي الدين عبد العظيم المنذرى المحدث ، والشيخ مجد الدين الإخميمي !! »

ويعلمون منه النصر ، فإذا ما فرغوا من ذلك أخذوا يتدارسون كتابا من الكتب ١١١ .

لقد كانوا يتدارسون ، في إحدى الليالي ، الرسالة القشيرية : تقرأ عليهم وهم يسمعون ويشرحون ١١١ .

ماذا كانوا يقرءون ؟ أكانوا يقرءون باب الفتوة ؟ أم كانوا يقرءون باب الحرية ؟ أم كانوا يقرءونها في تتابع مبتدئين من أولها ١٤ ؟ كانت تقرأ عليهم ويشرحون ، وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلي صامتا يستمع ، فلما فرغوا طلبوا إليه - وهو من أعلام هذا الميدان - أن يتحدث ، وألحوا في الطلب ، فسكت الشيخ فترة ، ثم تكلم ، في انطلاق وفي قوة ، وفي روحانية لا يمكن التعبير عن وصفها ، بأسمى من كلمة الشيخ عز الدين بن عبد السلام الذي قال لأصدقائه وزملائه ، حينما سمع أبا الحسن يتحدث .

« اسمعوا هذا الكلام الغريب ، القريب العهد من الله . »

ولا يقدر هذه الحكمة حق قدرها إلا من يعرف من هو العز بن عبد السلام !!

« الكلام الغريب ، لأنه ليس مأخوذاً من الكتب ، ولا مجرباً في الأسفار !! »

« القريب العهد من الله ، لأنه إلهام الساعة وروحى الزمن الراهن !! »

وأردت أن أقدم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأزمت نفسي التواضع والآداب مع الفقيه ابن عبد السلام ، وقلت : لا يصلح لك التقدم قبل عالم الأمة في هذا الزمان ؛ فلما تقدم وتقدم الجميع ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يشير إليهم يمينا وشمالا : أن اجلسوا وتقدمت ، وأنا أبكي بالهم وبالفرح . أما الفرع فمن أجل قربى لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالنسب ، وأما الهم فمن أجل المسلمين والثغر ، وهم طلبة إليه صلى الله عليه وسلم فدت يده حتى قبض على يدي ، وقال : لا تتم كل هذا الهم من أجل الثغر ، وعليك بالنصيحة لرأس الأمر — يعنى السلطان — فإن ولى عليهم ظالم فما عسى ؟ ! وجمع أصابع يده الخمسة في يده اليسرى كأنه يقلل المدة . وإن ولى عليهم تقي فد الله ولى المتقين ، وبسط يده اليمنى واليسرى . وأما المسلمون فحسبك الله ورسوله وهؤلاء المؤمنون — أى العلماء والفقهاء والصالحون الذين بالمجلس — وقال : ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون . . . وأما السلطان فيد الله مبسوطة عليه برحمته ما والى أهل ولايته ، ونصح المؤمنين من عباده ؛ فانصحه واكتب له وقل في الظالم عدو الله قولا بليغا : « واصبر إن وعد الله حق ، ولا يستخفك الذين لا يوقنون » .

فقلت : نصرنا ورب الكعبة ، وانتبهت .

ونصر الله المسلمين نصرا مؤزرا ، وأمر الملك لويس ، وأسر الكشيرون من قواده ، وأشاد الشعراء بهذا النصر : ومن قصيدة مشهورة لابن مطروح : نقتطف مايلي : قال يخاطب لويس : وكل أصحابك أودعهم بحسن تدبيرك بطن الضريح سبعون ألفا لا يرى منهمو إلا قتيل أو أسير جريح وقل لهم إن أزمعوا عودة لاخذ ثأر أو لفعل قبيح :

دار ابن لقمان على حالها والقيد باق والطواشي صبيح ولسنا هنا بصدد تأريخ هذه الواقعة الحربية ، وما أردنا مما سبق ، إلا أن نلقى ضوءاً واضحاً على اشتراك أبي الحسن الشاذلى في الجهاد ، رغم أنه كان يعتذر له عن التخلف لكبر سنه ، ولأنه قد كلف بصره ، ولكن أبا الحسن لا يتخلف عن فرض ، وما كان يتأني له أن يتخلف عن مؤازرة المسلمين .

هذه الصورة نضعها أمام أنظار علماء المسلمين في العصر الحاضر ، وأمام رجال التصوف الإسلامى ، لعل فيها لهؤلاء وأولئك ذكرى كريمة ومثلاً يحتذى !!

الدكتور عبد الحلليم محمود
أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

تأليه القرن الثامن عشر

وهل معنقدوها مؤمنون؟

للدكتور محمد غلاب

- ٢ -

الطبيعة إلها مهندساً دقيق التنظيم ينتج ويحفظ في الكون نظاماً جديراً بالإعجاب ، ولكنها تأتي أن تقر إلها يمكن الإنسان من المقدرة على الخطيئة وعلى قلب النظام ، وإنما الإله في رأيها هو الطبيعة أى في تلك العجائب التي يحللها علماء الكائنات الحية والطبيعيون ، وليس في النفس البشرية مع أحاسيس الخطيئة ومع السقوط أو الغوث والعناية الربانية التي تصحب تمثل الإله في النفس الإنسانية . ومعنى هذا أن التأليه تدع الإنسان العناية بمصيره الخاص .

التأليه: الإنجليزية :

غير أن هذا التنافر بين التأليه العقلية والمسيحية لم يكن مفهوما دائماً في النقاش الذي كان يدور بين معتنقيهما . وهنا ينبغي أن نسجل أن المدافعين عن المسيحية من الانجائز كانوا قد تأثروا بروح العصر فانحازوا إلى صفوف الفسك ولم يعودوا يعارضون ادعاءات العقل الإنساني على

قبل أن نستعرض الصور المختلفة للتأليه في إنجلترا وفرنسا وألمانيا في القرن الثامن عشر ، ينبغي أن نعيد إلى الأذهان هذا الوصف المحدد الدقيق الذي سجله ذلك الأسقف الشهير ، والمفكر الخطير « فينيلون » والذي يقول فيه : « مما يشرف المؤلهين أنهم يعترفون بإله خالق تهر العيون حكمته الممثلة في أفعاله ، ولكن هذا الإله في رأيهم لا يكون حكيماً ولا خيراً لو أنه كان قد منح بني الإنسان حرية التصرف أى القدرة على الإثم والابتعاد عن الغاية المثلى ، وقلب النظام ، والضللال الأبدى ... ولا جرم أن المؤلهين - بهذا المذهب الذي ينتزع من الإنسان كل حرية واقعية - يتخلصون من كل جدارة وكل ذم وكل عقاب أى أنهم يعجبون بالإله دون أن يخشوه ، ويحيون بلا وازع تحت سلطان أهوائهم . من هذا يتضح أن التأليه قد قدمت عن الإنسان فكرة لا تتفق البتة مع فكرة الأديان الموحاة ، إذ أن تلك التأليه لا تزيد على أنها قد استكشفت من خلال

إزالة تلك الحدود والحواجز العائقة للاتفاق. ومن آيات ذلك أن شرذمة منهم كتوماس شوب وتوماس مورجان كانت تقرّر أن المسيحية الأولى أو التعاليم المسيحية الأصلية - قبل أن تختلط ببدع اللاهوتيين المتأخرين - كانت تعاليم للحقيقة الأساسية شبيهة بتعاليم سقراط ، وأنها كانت تمثل الدين الطبيعي الحقيقي المشترك بين جميع بني الإنسان . وفى هذا يقول أشهر المؤلّفين النظريين : « ما بتوتا اندال ، (١٦٥٦ - ١٧٣٣) : « إن الدين الطبيعي والوحي الظاهري متجاوبان تماما دون وجود أى فارق بينهما غير الطريقة التى اتصلا بها ، (١) .

ولا ريب أن هذا النوع من الخلط بين الدين المنبثق من المعرفة الفلسفية والوحي المسيحي ، ذلك الخلط الذى هو الطابع المميز للتأليه الانجليزية ، قد اتخذ أشهر صورة على يدى الشاعر الانجلى الكبير « بوب » ، (١٦٨٨ - ١٧٤٤) الذى أطلق عليه اسم هو ميروس انجلترا والذى كانت صداقته مع المؤلّف « بولينبرك » ، سببا فى أن يصير أحد مشاهير دعاة التأليه الانجليزية . ولقد نالت قصيدته الفلسفية الرائعة التى عنوانها « محاولة على الإنسان » ، واتى ظهرت فى سنة ١٨٣٣ ، نجاحا كبيرا .

الصورة التى رسمها له الفلاسفة أى بوصف أنه مقصور على معرفة الوقائع ، وغير قادر على الارتفاع إلى الموجود المفارق . ولقد كان جميع أولئك المدافعين من أنصار ذلك الدين الطبيعي الذى برهن عليه ذلك العقل الفلسفى ، وإن كان هذا الإجماع يشوبه شيء من التفاوت فى درجات الإيمان : ومن ثم فإنهم كانوا جميعاً متفقين فى غاية واحدة هى التذليل على أن الدين الطبيعي - إذا فهم على حقيقته - ينتهى قطعاً إلى الدين الموحى ، ومن أمثلة ذلك أن « شيرلوك » ، أحد رجال اللاهوت الانجليزى ، يعلن فى إحدى مواعظه فى سنة ١٧٠٥ أن دين الإنجيل هو الدين العنصرى للعقل والطبيعة ، وأن تعاليمه هى التى تعرفنا الدين الطبيعي الذى هو قديم بقدم الخلق .

وإذن فقد كانت المناقشات فى إنجلترا تنحصر فى العلاقات الممكنة بين التأليه والمسيحية . ولهذا كثيراً ما يعثر الباحث بوجه عام على مشابهة بين التأليه الانجليزية والكتب المقدسة . وسر ذلك أن أكثرية المؤلّفين الانجليز كانت من بين المتضلعين فى الثقافة ، أو من الرواة ، وكلا الفريقين لا يستطيع إزدراء الوحي أو الاستغناء عنه ، فكانوا يقفون عند الحدود الفاصلة بين العقل والعقيدة ، ويبدلون جهوداً جبارة فى

(١) انظر صفحة ٣٢٥ من الجزء الثانى من

تاريخ الفلسفة تأليف الأستاذ لمبيل برميهيه .

مرتعدة ، وهى حساسية نفس لم ترض نهائيا عن القواعد التى عليها عليها العقل ، والتى على أثر قولها لنفسها إنها مقنعة ، تكون فى حاجة إلى الاقتناع من جديد ... ومن الممكن ألا يكون فى العالم شعر تعليمي ينتقش فى الذاكرات بصورة أكثر يسراً . فمن ذلك مثلاً : الإنسان يجب أن يقبل ، الإنسان يجب أن يستقى . الإنسان فى منزلة الحقيقة من الكون . الإنسان يجب أن يقر بوجود عقل أسمى من عقله سموأ لا يتناهى ، وبأنه يجيد معرفة ما يعرف ، وبأنه يجيد عمل ما يعمل . الإنسان يجب أن يؤمن بوجود كائن أعلى لا يمكن أن يكون قد نظم العالم لغاية أخرى غير الخير العام .

ويعلق الأستاذ پول هازار على هذا فيقول : إنها تأليهة شعرية ، تأليهة فى حالة التكوين . فقد أراد بوب أن يسبح بين أطراف المذاهب المتعارضة فى الظاهر ... وأن يؤلف - مستعيراً منها جميعها - مذهباً أخلاقياً يكون معتدلاً دون أن يكون غير صلب ، وقصيراً دون أن يكون غير كامل . ولكنه خليط غير صلب ، ذلك الذى نجح فى إنتاجه ، لأن المقدس قد استكشف عنده بحق ، ونثية ، وحلولية ، وجبرية ، وكاثوليكية ، لأنه كان يتحدث عن حالة الطبيعة التى كانت فى أصلها سعيدة تماماً ، والتى فسدت ، وذلك ما يجعلنا نفترض الإيمان بالخطيئة العنصرية .

بيد أن هذا النجاح الباهر لم يمنع من أن يشتمل حول هذه القصيدة هيب نقاش حاد شغل القارة كلها وآلم بوب إيلاماً شديداً . ولكي يتخلص من هذا الحرج أعلن أن مبادئه متفقة مع مبادئ باسكال وفينيلون وهما من أشهر مشاهير المتدينين ، ولم يكتف بهذا فى دفاعه عن نفسه بل نشر كدليل على براءته وسلامة عقيدته نشيداً عنوانه « الصلاة العالمية » ، جزم بأنه صورة أمينة لروح الإنجيل ولكنه كاد يخفق فى مشروع النهضة لأن الإله الذى كان يدعو ، كان هو أبا كل شيء ، وأنه قد وجد قبل الخلق ، كما كان هو الإله الذى عبده القديسون والمتوحشون والحكماء ، بلا أى تفريق ، وإن اسمه كان فى الوقت ذاته جيوثا وزوس والمسيح .

وهكذا لم يزد على أن أثار العقول أكثر من ذى قبل ، وقد أطلقوا على نشيده اسم « صلاة المؤله » .

كانت قصيدته اعترافاً بالعقيدة وكانت صلاة ، وكان القارئ يشعر فيها على كل تعاليم بولينبرك تقريباً ، ولكن كم كانت فى مجموعها متباينة وعلى الأخص فى اللهجة . وكما كانت الفكرة ذاتها غير يقينية ، ومضطربة .

لا تزال « محاولة على الإنسان » تؤثر فىنا رغم تغير ذوقنا ، لأننا نشعر فيها بحساسية

فرنسا هو جان جاك روسو .
والآن إليك الصورة الأولى التي رفع
فولتير لواءها .

تأليهية فولتير :

يعرف المشتغلون بالحركة العقلية أن فولتير
لم يكن له مذهب فلسفي خاص ، وأنه لم يفعل
أكثر من أنه أذاع أفكار لوك ونيوتون
في صورة واضحة محددة ، وأنه كان ينزع
منها في أكثر الأحيان نتائج منطقية لم ينته
إليها ذاك المفكران الانجليزيان . ولا جرم
أن منشأ شهرته وخلوده ، هو أنه فهم وأفهم
الآخرين ذلك التعارض العنيف الذي وجد
بين النقطة التي قادت الفلسفة إليها العقل
البشري ، وطريقة التفكير والحياة لدى
أكثر بني الإنسان الذين رزحوا تحت إرهاب
الآوهام والجهل والإفراط . وما هو جدير
بالتسجيل هنا أن طموح فولتير كان يهدف
إلى التماسى بالحياة العقلية والدينية والخلقية
والاجتماعية عند معاصريه إلى مستوى
الفلسفة ، وأنه كان يعتمد في كل هذا على نور
العقل لا على التغيرات الباطنية للإنسان
الذي سبق دائما كما هو بسبب أنانيته وأهوائه
التي لم تكن ضارة إلا بوساطة جهله وآوهامه .

وما هو غنى عن البيان أن المحيط الديني
يشغل أهم الأمكنة لدى ذلك الداعية المتحمس

وفي هذا يعلن توماس دوكانسيه : « أن
ذلك هو تحقيق الفوضى ، ويصرح تين بأنه
« مزيج من فلسفات متناقضة ، ويصفه لويس
كازاميان بأن « أقوى بحوثه الفلسفية - وهو
« محاولة على الإنسان ، - مصنوع من
مطروقات مجددة مزدانة بإلهامات عصرية ...
إنها لتأليهية غير نقية ، تأليهية كانت تقطن
فيها بضعة من عناصر المعرفة السيكلوجية
التي كان يراد بالضبط إقصاؤها . إنها كانت
مجهود إرادة ، أكثر منها يقينا عقليا ، وكانت
قبولا للسر (١) »

التأليهية الفرنسية :

تتمثل التأليهية الفرنسية في صورتين مختلفتين
كل الاختلاف عن الصورة الانجليزية . فأولى
هاتين الصورتين فلسفية منبثقة عن العقل ،
ولسكنها تمتاز بعادتها العميق للمسيحية التي
تتباين مع مبادئها كل التباين . وهذا النوع
الذي ذاع في كل أنحاء القارة هو من إنتاج
فولتير .

أما الصورة الثانية التي لم تظهر إلا في النصف
الثاني من القرن الثامن عشر أي حين جعل
العقل ينهزم أمام نظرية الحساسية ، فإنها
يمكن أن تدعى بالتأليهية العاطفية ومبدعها في

(١) انظر صفحتي ١٥٠ ، ١٥١ من الجزء الثاني
من كتاب الف-سكر الأوروبي في القرن الثامن عشر
تأليف الأستاذ بول هازار ترجمه الدكتور محمد غلاب .

من الشيع التي تتناقض كلها . ودينه أقدم
الاديان وأكثرها اتساعا لأن العبادة البسيطة
لإله ما ، قد سبقت جميع مذاهب العالم ،
وهو يتكلم بلغة تفهمها جميع الشعوب ،
في الوقت الذي لا تفاهم فيه فيما بينها . وله
إخوة من يسكن إلى كايين ، وهو يعد جميع
الحكام إخوة له . إنه يؤمن بأن الدين
لا ينحصر في آراء ميتافيزيقية غير قابلة
للتعقل . ولا في أجهزة عابثة بل ينحصر في
العبادة والعدالة .

كان فولتير إذن مؤمنا بوجود الله ولكنه
لم يلج في التدليل على وجوده إلا من حيث
كونه علة غائية ، إذ يعلن أن هذه التحفة الفنية
التي هي الكون ، تقتضى وجود إله أزلى أبدي
مهندس . ومعنى هذا أن إله فولتير هو إله
الطبيعة لا الإنسانية أى أنه إله يطالب منه
ضمان نظام الكون ، لا إنقاذ الإنسان لأن
هذا الأخير لم يكن قط في خطر ، وأن دينه
طبيعى لا يرى في الإله إلا منشئا حكما لطبيعة
نافعة للإنسان . وإذن فتأليهته متعارضة مع
المسيحية . ومن ثم فإنه يسدد سهام المهاجمة
العنيفة إلى باسكال الذى - يوصف بأنه فيلسوف
مسيحي - يمثل بالنسبة إليه الخصم الأساسى .
وقد ظلت عاطفة كراهية المسيحية تنمو عنده
شيثا فشيئا حتى ظفرت في شيخوخته بالسيادة
على كل ما عداها ، وجعل يعبر عنها بمغلاة
(البقية على صفحة ٤٩٩)

للأفكار الجديدة التي ترى إلى اقتلاع الآراء
القديمة والحلول محلها .

ولما كان من أشياع الدين الطبيعى فإنه كان
في أوروبا كلها هو المؤله النظرى الأول ،
وأنه هو الذى وضع القواعد المحددة للتأليه
في « القاموس الفلسفى » تحت مادة المؤله
حيث قال ما نصه : « المؤله هو إنسان مقتنع
بوجود الكائن الاسمى الذى هو خير كما هو
قادر ، والذى كون الكائنات المتمددة والنامية
والحساسة والناطقة ، والذى يديم أنواعها ،
والذى يعاقب الجرائم بلا قسوة ، ويثيب
الأفعال الفاضلة بخيرية .

لا يعرف المؤله كيف يعاقب الإله .
ولا كيف يمنح الخطوة ، ولا كيف يصفح ،
لأنه ليس متهورا ليتباهى بمعرفة كيف يعمل
الإله . ولكنه يعرف أن الإله يعمل ،
وأنه عادل . إن الصعوبات التي تنتصب ضد
وجود العناية ، لا تهزه في عقيدته ؛ لأنها
ليست سوى صعوبات كبرى ، وليست
براهين . إنه خاضع لهذه العناية لا يلج منها
إلا بضعة نتائج ، وبضعة ظواهر ، وبما أنه
يحكم على الأشياء التي لا يراها حسب الأشياء
التي يراها ، فإنه يعتقد أن تلك العناية تمتد
في جميع الأمكنة وجميع القرون .

ولما كان متجدا بهذا المبدأ مع بقية
الكون ، فإنه لا يكون عضواً في أية شيعه

جلال الدين السيوطي

للأستاذ حسن الشيخ

هو الحال الآن ، ثم ذكر لنا كيف كانت أحوال أبيه بعد قدومه إلى القاهرة . حيث درس على كبار الشيوخ علوم الفقه والأصول والكلام والنحو والإعراب والمعاني والمنطق والحديث ، ثم يقول (وأتقن علومًا جمّة ، وبرع في كل فنونه . وأقر له كل من رآه في صناعة الإنشاء وأذن له فيه أهل عصره كافة . بل كان شيخنا قاضي القضاة شرف الدين المناوي في أوقات الحوادث يسأله في إنشاء خطبة تليق بذلك ليخطب بها في القلعة ثم يقول عن والده من الناحية الخلقية :

وكان على جانب عظيم من الدين والتحرى في الأحكام وعزة النفس والصيانة ، يغلب عليه حب الانفراد وعدم الاجتماع بالناس . ثم عدد تأليفه في مختلف العلوم .

فقال :

وله من التصانيف حاشية على شرح الألفية لابن المصنف . ، وحاشية على شرح العضد كتب منها يسيرا ، ورسالة في الإعراب وأجوبة على اعتراضات ابن المقرئ على الحاوي وله كتاب في التصريف ، وآخر في التوقييع . هذه خلاصة وافية لما كتبه الشيخ جلال في ترجمة والده ، وقد أسلفت أنه تركه بالموت

عالم جليل ، أملى على التاريخ آيات عبقريته بمحصله العلي الذي قد يكون فيه منقطع النظير بين أقرانه ولداته ، وبتأليفه التي زادت في كثرتها عن كل ماله في آفاق التأليف والتصنيف .

ترجم الشيخ لنفسه ترجمة وجيزة في كتابه (حسن المحاضرة) فأغنانا بذلك عن كثير .

وأقيم بحج هذا على أربعة أسس :

الأول — تأثير سيرة والده فيه .

الثاني — بينته العلمية وحالة الأزهر في أيامه

الثالث — عبقريته .

الرابع — مؤلفاته .

والده وأثره في حياته :

ترجم الشيخ لو والده فقال : هو الشيخ كمال الدين أبو المناقب السيوطي ، الذي توفي وسن ولده جلال الدين ستة أعوام . وقد تأثر الولد بسيرة أبيه ميتا أكثر مما كان يتأثر بها حيا .

اشتغل ببلده أسيوط وتولى القضاء قبل قدومه إلى القاهرة ، وهذا يدلنا على أن مدارسة العلم في هذه الحقبة لم تكن قاصرة على الأزهر وإنما كانت في كثير من عواصم البلاد . كما

الشئون - بعث الأزهر بعثاً جديداً بترميمه بعد التهمة ، وبإعداده ليسكون معهداً علمياً تدرس فيه العلوم الدينية ، كما تدرس فيه العلوم العقلية مثل (المنطق - آداب البحث والمناظرة) أما علوم التاريخ والجبر والمقابلة والإنشاء والأدب ، فلم يكن لها نظام معين تدرس به . فقد تدرس وقد لا تدرس ، وإذا رغبها طالب لم يرغب فيها طلبة .

لم يكن هناك مناهج ولا أوقات تضبط الدروس وتحدد أوقاتها . كما أن الطلبة كانوا أحراراً في كل شيء : في العلم الذي يختارونه . وفي الشيخ الذي يحضرون عليه ، هذه الحرية في التحصيل هي التي مكنت الرعيل الذي كان فيه السيوطي من الإجادة والابتقان والتبحر في مختلف أنواع العلوم والفنون . فكانوا أعلاماً نابهين . أمثال السيوطي ، والعز بن عبد السلام ، والقرافي ، وابن هشام والسبكي وأبناؤه ، وزكريا الأنصاري وغيرهم :

كما كان الزهد في المال ، طابعاً للطلبة يقول العلامة ابن دقيق العيد :
لعمرى لقد قاسيت بالفقر شدة
وقعت بها في حيرة وشتات
فإن بحث بالشكوى هتكت مروءتي
وإن لم أبح بالصبر خفت مماتي
وأعظم به من نازل بملة
يزيل حيائي أو يزيل حياتي

وهو في سن السادسة . فكيف - وهذه هي الحال - كتب ترجمة أبيه المتوفى ، وكيف تأثر بحياته ؟

لأنه لم يشاهد من حالات والده إلا حالة واحدة ساعده على مشاهدتها أنه كان يقوم بها في منزله . أما غيرها فلم يشاهده فيها . هذه الحالة هي التي حدثنا عنها بقوله :

« ... مواظبا على قراءة القرآن ، يختم كل جمعة ختمة ، ولم أعرف من أحواله شيئاً بالمشاهدة إلا هذا . »

وقد وجد عند والده كل آثاره العلمية والأدبية فحبه ذلك في الانقطاع لطلب العلم والأدب .

الأزهر في عهده :

نتقل بعد ذلك إلى بيئة جلال الدين العلمية وحالة الأزهر وطلبته في عهده .

الحقبة التي انتسب فيها جلال الدين إلى الأزهر هي منتصف القرن التاسع الهجري . وكان الأزهر في ذلك الوقت قد قطع في بعثه الجديد أشواطاً يانه بعد أن عطله عن الحياة حساً ومعنى - السلطان صلاح الدين الأيوبي ، إيزيل بذلك كل أثر للفاطميين . واستبدل به مدارس تدرس فيها المذاهب الأربعة - بعد هذا جاء عهد السلطان الظاهر بيبرس من ملوك الجراكسة . فقد ولي هذا السلطان ملك مصر عام ٦٥٨ هجرية وكان - أول ما عني به من

« هذا علم شريف ابتكرت ترتيبه ،
واخترعت تنويحه وتبويبه ، وذلك في علوم
اللغة وشروط أدائها وسماعها ، حاكيت به
علوم الأحاديث في التقاسيم والأنواع ،
وأثبت فيه بعجائب وغرائب حسنة الإبداع ،
وقد كان كثير من تقدم يلم بأشياء من ذلك ،
ويعتني في تمهيدها ببيان المسالك ، غير أن
المجموع لم يسبقني إليه سابق ، ولا طرق
سبيله قبل طارق . »

هذا ما كتبه الشيخ متفرقا في ترجمته لنفسه ،
وفي مقدمات بعض كتبه .

مؤلفات الشيخ :

يقول السيوطي - « وقد بلغت مؤلفاتي
لأكثر ثلثمائة كتاب سوى ما غسسته
ورجعت عنه . »

ومن هذا العدد الكبير نعرف أنه كان سريع
الكتابة إلى حد كبير ، وهو في ذلك يشبه إمامنا
الجاحظ في السرعة لا في إشراق الأسلوب ،
ولا في متانة التعبير ، ولا في إجادة الإنشاء .

إن الثلثمائة كتاب التي ألفها السيوطي تدور
في مدار العلوم الآتية كما ذكرها هو بتعبيراته :

١ - فن التفسير وتعلقاته والقراءات .

٢ - فن الحديث وتعليقاته .

٣ - فن الفقه وتعلقاته .

٤ - الأجزاء المفردة (وهي المؤلفات
التي يتناول كل منها مسألة واحدة) .

عقيدة السيوطي :

إذا لم يكن الشيخ قد حدثنا في ترجمته لنفسه
عما يدلنا على عقيدته - فإننا نستطيع الحكم
عليها من غزارة مادته العلمية ، ووفرة مؤلفاته .

تحدث عن قوة حافظته فقال :

« حفظت القرآن ولى دون ثمان سنين .
ثم حفظت العمدة ومنهاج الفقه والأصول
وألفية ابن مالك ، حفظ كل هذه المحفوظات قبل
أن ينقطع إلى طلب العلم بالأزهر كما حدثنا .
وتحدث عن تبحره في العلوم وتعمقه
في فهمها . »

« ورزقت التبحر في سبعة علوم : التفسير ،
والحديث ، والفقه ، والنحو ، والمعاني ،
والبيان ، والبديع ... والذى أعتقده أن
الذى وصلت إليه من هذه العلوم السبعة -
سوى الفقه - والنقول التي اطلعت عليها فيها
لم يصل إليه ، ولا وقف عليه أحد من
أشياخي ، فضلا عن هو دونهم ... ولو
شئت أن أكتب في كل مسألة مصنفا بأقوالها
وأدلتها الفعلية والقياسية ، ومداركها
ونقوضها وأجوبتها ، والموازنة بين اختلاف
المذاهب فيها لقدرت على ذلك من فضل الله ... »
ويقول أيضا : « وقد كملت عندي آلات
الاجتهاد بحمد الله تعالى . »

ثم يقول في مقدمة كتابه (المزهر
في علوم اللغة) .

- ٥ - فن العربية وتعلقاته .
 ٦ - فن الأصول والبيان والتصوف .
 ٧ - فن التاريخ والأدب .

هل درس السيوطى كل هذه العلوم فى الأزهر؟ إذا صح أنه درس التفسير والجديث والأصول واللغة العربية وبقية ما عرف من العلوم الأزهرية فى وقته ، فهل درس أيضا التاريخ والأدب على الصورة التى رسمها لنا فى تعداد الكتب التى ألفها ؛ إنه لم يترك طبقة من الطبقات إلا ألف فيها كتابا : (الصحابة - الحفاظ - النحاة كبرى ووسطى وصغرى - المفسرين - الأصوليين - الكتاب - الشعراء - الخلفاء) .

رحلات الشيخ السيوطى :

وقد كانت له رحلات ، ولكنه لم يكشف لنا عن الدافع إليها ، فقد قال فى ترجمته .
 « وسافرت بحمد الله تعالى إلى بلاد الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب والتكروور ، وهى رحلات بعضها شاق طويل ، وأى رحلة أبعد من الهند ؟ وأى متاعب أقسى فى زمنه من الجمع بين الرحيل إلى الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب والتكروور؟ إنه طوف فى ذلك بأكثر أجزاء نصف الكرة الشرقى .

وقد ولد السيوطى عام ٨٤٩ هـ وانتقل إلى رحمة الله عام ٩١١ هجرية .

كما أنه ألف فى التاريخ العام والخاص والرحلات كتباً كثيرة مثل (حسن المحاضرة - رفع الباس عن بنى العباس - ياقوت الشاربخ فى علم التاريخ - رفع شأن الحبشان ... الرحلة الديمياطية) .

فهل درس الطبقات والتاريخ وكتب اللغة والأدب فى الأزهر فأهله المدرسة ليؤلف فيها بهذه الغزارة كما ألف فى العلوم الأزهرية؟ إن السيوطى كانت له صوفية علمية تجعله يدرس التاريخ والسير والمغازى على نفسه ، ولم يكن فى الأزهر حلقات لمثل هذه العلوم .

الإسلام في أمريكا الجنوبية

للكسور جمال الدين الرمادي

ما لا يأخذه عد ولا تحصيل ، وهي سارحة لا راعى لها ولا ناظر إليها ، فقصدوا الجزيرة فزلوا فيها ، فوجدوا عين ماء جارية وعليها شجرة تين برى ، فأخذوا من تلك الغنم فذبحوها ، فوجدوا لحومها مرة لا يقدر أحد على أكلها فأخذوا من جلودها وساروا مع الجنوب اثني عشر يوما إلى أن لاحت لهم جزيرة فظفروا فيها إلى عمارة وحرث فقصدوا إليها ليروا ما فيها فما كان غير بعيد حتى أحيط بهم في زوارق هناك فأخذوا وحملوا في مركبهم إلى مدينة على ضفة البحر فأنزلوا بها ، فرأوا فيها رجالا شقراً زعراً ، شعورهم مسبطة ، وهم طوال القدود ، ولنساتهم جمال عجيب فاعتقلوا فيها في بيت ثلاثة أيام ثم دخل عليهم في اليوم الرابع رجل يتكلم باللسان العربي ، ثم سألم عن حالهم وفيما جاءوا وأين بلدهم ، فأخبروه بكل خبرهم ، فوعدهم خيراً ، وأخبرهم أنه ترجمان الملك ، فلما كان في اليوم الثاني ، أحضروا بين يدي الملك ، فسألم عما سألمهم الترجمان عنه فأخبروه بأنهم اقتحموا البحر ليروا ما فيه من الأخبار والعجائب فية تنفوا على نهايته ، فلما علم الملك ذلك ضحك .

يقال : إن العرب حاولوا اكتشاف أمريكا الجنوبية في القرن العاشر الميلادي أو أوائل القرن الحادي عشر ، ويستند أصحاب هذه الرواية إلى ما كتبه الإدريسي المؤرخ المعروف في كتابه « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » فقد ذكر عند الكلام على جغرافية الأندلس أن جماعة من مسلميها من أهل « الحامة » على مقربة من لشبونة يعرفون بالمغورين وهم ثمانية فتيان إخوة أو أبناء عم أنشوا لهم مركبا كبيرا وشحنوا فيه من الماء والزاد ما يكفيهم لأشهر ، ثم خرجوا إلى بحر الظلمات من ثغر لشبونة عند مهب الريح الشرقية وساروا نحو الغرب نحو أحد عشر يوما ، وفي ذلك يقول الإدريسي : فوصلوا إلى بحر غليظ الموج كددر الروائح كثير « التروش » (١) قليل الضوضاء ، فأيقنوا بالتلف ، فردوا قلاعهم باليد الأخرى وجروا مع البحر في ناحية الجنوب اثني عشر يوما فخرجوا إلى جزيرة الغنم وفيها من الغنم

(١) هكذا في نسخة مختصر : « نزهة للمشتاق » المطبوعة في روما سنة ١٥٩٦ ويظهر أن المقصود : « الفروش » وهي نوع من السمك للمفترس .

أو العثمانية أو الخاضعة لحكم العرب ، إنما كانت إلى الأمريكتين حيث الطموح إلى الرزق السابغ والعيش الوارف والحياة الحرة الطليقة من التقاليد والقيود الاجتماعية والسياسية ، ولابد أن المقيم كان يشجعه على الهجرة نجاح أخيه المغترب فيرحل قسم كبير من أفراد الأسرة أو القرية أو المدينة بالتسريح وقد يتجهون لنفس المنطقة أو البلد .

وقد عقلت مجلة « الجديد » التي تصدر في سان باولو بالبرازيل على الهجرة قائلة : « وإن المهاجرين الذين استدانوا أجرة السفر في أدنى الدرجات ونالهم ما لا يتحملة البشر من سماسة بيروت ومرسيليا وشراسة بحارة البواخر الأجنبية التي كانت تقلهم إلى هذه الديار ، أصعبوا اليوم والكثيرون منهم أصحاب المعامل الكبرى والتجارات الواسعة والمزارع المترامية الأطراف ، وهؤلاء يسكنون اليوم القصور الفخمة المزدانة بأغفر الأثاث والرياش والمجهزة بأحدث أسباب الراحة والرفاهية ولا يعرفون غير السيارات البديعة مركبا » .

ونجح السوريون في مختلف الأعمال بالجد والنشاط والأمانة وطلاوة اللسان حتى ضربت بهم الأمثال في البرازيل فجاء في المثل البرازيلي « إنني أعمل كسوري » وأقبل بعض

وقال للترجمان أخبر القوم أن أبي أمر قوما من عبيده بركوب هذا البحر وأنهم جروا في عرضه شهراً إلى أن انقطع عنهم الضوء وانصرفوا بغير حاجة ولا فائدة تجدى .

ويقول الإدريسي بعد ذلك إن الملك اعتقلهم ثم أمر بتقييدهم وتركوا على الشاطئ حتى أنقذهم لفيف من البربر وأعلبهم أن بينهم وبين الأندلس مسيرة شهرين وأن المكان الذي رسوا فيه يقع في أقصى المغرب ولا يستبعد أن يكون الشاطئ الذي رسوا فيه جزيرة سان بول أو إحدى جزر فرناند الواقعة في مياه أمريكا الجنوبية على قيد نحو مائة وخمسين ميلاً من شرق البرازيل . فإن مثل هذه المدة التي قطعوها تحملهم إلى هذه المنطقة ولا يستبعد بعد ذلك أن يكون هؤلاء العرب قد استوطنوا في هذه الجزيرة ثم توغلوا في القارة الجنوبية ونشروا دين الإسلام هناك بين طائفة محدودة من الناس .

ولقد ازداد تيار الهجرة في العصر الحديث إلى الأمريكتين ولم تكن إذذاك قائمة على جماعات منظمة ذات برامج معينة تهدف إلى تأسيس مستعمرات أو إنشاء مدن جديدة كما كانت عند الفينيقيين .

ولم تنج الهجرة إلى بلاد ومناطق تضمها الإمبراطورية أو الحكومة الواحدة كما كانت هجرة السوريين إلى بلاد الإمبراطورية الرومانية

لم يعن هذا الشعب أنى شاعر
 حر ... يحب بلاده متفانى
 بل كل ما يعنيه هل أنا مسلم
 لله أم أنا لم أزل نصراني
 إني على دين العروبة ... وأقف
 قلبي على سبحانها ولساني
 إنجيلي الحب المقيم لأهلها
 والذود عن حرمتها فراقني
 يا مسلمون ويا نصارى ... دينكم
 دين العروبة ... واحد لا اثنان
 وقد كان من أعضاء هذه الجمعية بعض
 الشعراء المسلمين كما كان منهم ولا يزال بعض
 رجال الأعمال في أميركا الجنوبية في
 الأرجنتين والبرازيل وكولومبيا وفنزويلا
 وأكوادور وغيرها من أقاليم أمريكا
 الجنوبية وهم يقومون بدور كبير في ميدان
 الحضارة والتقدم ويعيشون جنبا إلى جنب
 مع أهالي البلاد في مودة وإخاء .
 ويقوم المسلمون بأداء شعائرهم الدينية في
 المساجد والجوامع المنتشرة في أحياء متفرقة
 من أقاليم أميركا الجنوبية وهناك عدد كبير
 من الزوج الذين أسلموا نتيجة لحركة التبشير
 الديني التي قام بها العرب الوافدون من أسبانيا
 وبلاد المغرب ومن الوطن العربي ، إلى جانب
 تأثرهم بحركة التبشير الديني بين الزوج التي
 ذاعت في حى هارلم بأميركا الشمالية .

جمال الدين الرمادي

المغتربين على شراء العقارات مثل عبد الله
 الحداد الذي اشترى ١٩١٢ مليون متر مربع
 من الأرض في نواحي سان باولو في البرازيل
 وقسم الأرض إلى مربعات وشق فيها
 الشوارع ومد الأسلاك الكهربائية واستطاع
 بعد سنوات أن يبعث العمران فيها ويضيف
 إلى خريطة سان باولو ، حياً جديداً عامراً
 بالسكان يخترقه شارع كبير يسمى شارع
 سوريا وأدخلت المطابع العربية في البرازيل
 وأنشئت مدارس للمرضات وطبع كثير
 من الكتب العربية وصدرت هناك
 مجلات عربية كثيرة وتعاون المسلمون
 والمسيحيون هناك على رفع مستوى العربي
 بعدما كان كثير منهم يثن هو وآبائه وأجداده
 من الحكم العثماني ومن العثمانيين الذين كانوا
 يطلقون على العربي دكلب عربي ، أمهانا
 لكرامته وتحقيرا لشأنه ، وقد ألقت في
 أميركا الجنوبية رابطة للأدباء والشعراء تسمى
 رابطة العصب الأندلسية وقد قامت في أميركا
 الجنوبية بعد قيام الرابطة التعليمية في أميركا
 الشمالية بنحو خمسة عشر عاما وكان أول
 رئيس لها ميشال معلوف عام ١٩٣٥ .
 وقد حاولت هذه العصب الأندلسية أن
 تزيل الفوارق بين المسلمين والمسيحيين ونظم
 شعرائهم قصائد شتى في هذا الميدان ومنهم
 الشاعر رشيد الخوري المعروف بالشاعر
 القروي الذي يقول في إحدى قصائده :

من روائع الفكر الروحي

الانفعال الخلاق

عند الفيلسوف الفرنسي برجسون

للأستاذ محمد فتحي عثمان

، الحكمة ضالة المؤمن

أنى وجدها فهو أحق بها ،

إلى هيكل : إذا بدأنا بالتصور ، فهما نوسعه ونضخمه ونمدده - فلن نحصل أبدا إلا على تصور !!

فالعقل كما بين برجسون في (التطور المبدع) شرطي ، ومن شأنه أن يقيم العلاقات بين الأشياء ... أما الاختيار الفعال لممكن من الممكنات العديدة فهذا ما لا يمكن تفسيره بالعقل ، ولن يفسره إلا الانفعال ! .

فبدون الانفعال لا تكون غاية ، ولا يكون (سبب كاف) ، بل تكون كل الممكنات سواسية ! .

إن الانفعال هو الذي يبدئ في أفكارنا الشوق إلى الوجود ... !! .

هكذا قدم الأستاذان الدروبي وعبدالدايم ترجمتهما لتحفة برجسون الذهنية الرائعة (منبع الأخلاق والدين) ، وهو كتاب

هو فيلسوف الروح في القرن العشرين ... وهو صاحب البدائع والروائع (الطاقة الروحية) ، (التطور المبدع) ، (الزمان والحرية) ؛ لقد أبرز برجسون معالم (الانفعال) في أغوار الإنسان ، وسجل أرسادا دقيقة في جنبات الوجدان ... وقدم في كتبه نتيجة دراساته ، فحاول إيضاح حقيقة الانفعال لتمييز عن غيره من سائر الأحاسيس : في طبيعته ، وفي نتيجته ، وفي وسيلته .

وهنا نتذكر الطابع الانفعالي للنظرية البرجسونية ، فالفكرة الخالصة لا يمكن أن تنتهي وحدها إلى فعل ، والتصور لا يمكن أن يؤدي إلى غير تصور . إن تجريداتنا الفكرية وحدها لا تثبت الحركة ما لم تكن ثابرة فيها من قبل !

ويمكن أن نشبه اعتراض برجسون على المذهب العقلي بالاعتراض الذي وجهه شلبنج

إن الخلية تعيش لذاتها وتعيش للكائن الحي كله تمده بالحياة ، وتستمد منه الحياة ، وإذا اقتضى الأمر ضحت بنفسها في سبيل المجموع ، ولعلها تقول لنفسها حينذاك - لو كانت نعى - إنها تفعل ذلك من أجل ذاتها !!

إن الإلزام يتضمن في الأصل حالة يكون فيها ما هو فردى وما هو اجتماعى محتطين لا يتميز أحدهما عن الآخر ، والنفس لكونها في هذه الحال فردية واجتماعية معاً تدور في دائرة ... فهي مغلقة !! ، « لأن التضامن الاجتماعى لا يكون إلا فى أن تضاف فى كل منا (أنا اجتماعية) إلى (الأنا الفردية) ... »

فلنستمع إذن مع برجسون بجولة فى آفاق الاخلاق الحقيقية العليا ... إن هذه الاخلاق تصدر عن انفعال مغاير متميز « إن الانفعال الجديد هو الذى تصدر عنه عظام مبدعات الفن والعلم والحضارة ، لا باعتباره حافظاً يهيب بالعقل أن يعمل ، ويهيب بالإرادة أن تدأب - فحسب - فالأمر أبعد من هذا . فهناك انفعالات خلاقة للفكر ، والابتكار - وإن كان عقلياً - فإن الانفعال جوهره

الثاوى فى أعماقه !

يجب أن تفاهم على مدلول هذه الكلمات : انفعال ، عاطفة ، حساسية ... الانفعال هزة عاطفية فى النفس ، ولكن شتان بين رجة

تقدم منه لمحات تبرز أهميته بالنسبة لدعاة الفكرة الدينية فى هذا العصر .

* * *

يقدم برجسون لدراسته بتبصير الإنسان بنزاعه الاجتماعى ...

« المجتمع - إنسانياً كان أم حيوانياً - إنما هو نظام ، لأنه ينطوى على اتساق وترتيب ، ويقتضى بوجه العموم خضوع العناصر بعضها لبعض : إنه جملة من القواعد والقوانين : إما أن يحياها المجتمع من غير أن يشعر بها - وهذا هو شأن المجتمع الحيوانى ، وإما أن يحياها ويتمثلها - وهذا هو شأن المجتمع الإنسانى ... »

وإن مجموع الواجب كان يمكن أن يكون غريزياً ، لو أن المجتمعات الإنسانية لم تكن مزودة بعقل واستعداد للتبدل ، هو غريزة كاملة كتلك التى تكمن فى عادة الكلام .

ومثل هذه النزعات الاجتماعية الضرورية ليست هى الأخلاق فى أفقها السامق الشاوخ الرفيع !! إنها امتداد للأناية الشخصية وإن بدت فى قالب غير شخصى !!

« لأن الفعلية العقلية التى قد تخبرنا فى الواقع

بين المصلحة الشخصية والمصلحة الغيرية يربض

تحتها جوهر أصيل هو الفعلية الغريزية التى

أقامتها فنيا الطبيعة منذ البداية ، ويكاد فيها

أن يختلط ما هو فرى بما هو اجتماعى !!

الانفعال انعكاسا غامضا للتصور . أما
الانفعال الثاني فنحن نقول عنه إنه (فوق
عقلي) ، ولا يفهم من هذا القول العلو
بالقيمة فحسب ، بل السبق في الزمن أيضا ،
والنسبة بين ما هو مؤلّد وما هو مؤلّد !

إن الانفعال الذي يمكن أن يكون مبدعا
لأفكار إنما هو هذا النوع الثاني ... إن علم
النفس لما يزل فريسة لخداع اللغة ، فإنه يسمى
باسم واحد أنما طاشت من الانتباه تختلف
باختلاف الحالات ، يفترض أنها من نوع
واحد ولا يرى فيها إلا اختلافا في الشدة

والمقدار !! ... أما نحن فلن نتكلم في الاهتمام
بوجه عام ، بل نقول إن الأمر الذي يثير
الاهتمام أمثال مبطن بانفعال . والانفعال
- وهو هذا المزيج من حب الاطلاع والرغبة
والفرح الذي يسبق حل مسألة معينة - إنما
هو فريد كالمثال ، وهو الذي يدفع بالعقل
إلى أمام ، ويحطم الحواجز والصعوبات .
وهو الذي ينعش العناصر العقلية التي يتحد
بها ، بل يحمّسها ويروح يلتقط كل ما يمكن أن
ينظم معها ، حتى تفتح معطيات المسألة .
والأثر العبقري في الأدب والفن إنما هو
نتاج انفعال فريد في نوعه .

كل من توفر على التأليف الأدبي قد عرف
ما هنالك من فرق بين العقل الصرف ، وبين
العقل الذي يحرقه انفعال أصيل فريد ناشئ

تقوم على السطح وبين زلزال يعصف في
الاعماق ! الأثر في الحال الأولى يتبدد ، أما
في الثانية فيمكث لا يتجزأ ، هو في الأولى
اهتزاز الأجزاء من غير انتقال أما في الثانية
فالسكل مندفع إلى أمام ... !!

هنالك نوعان من الانفعال ... ضربان
من العاطفة ... شكلان من الحساسية ...
لا يشترك الواحد منهما مع الآخر إلا في أنه
حالة انفعالية مختلفة عن الإحساس لا ترد مثله
إلى الانعكاس النفسى لمثبه مادي .

. الأول : العاطفة التي تلي فكرة أو
صورة متمثلة ... فتسكون الحالة الانفعالية
ناجئة عن حالة عقلية لا تدّين لها بشيء بل
تكتفي بذاتها ، وإذا تأثرت بها على صورة
غير مباشرة خسرت أكثر مما ترجح ... فهذا
هو ارتجاج الحساسية بتأثير تصور يقع على
صفحتها .

. أما العاطفة الأخرى : فليست ناجمة عن
تصور فتعقبه وتبقى متميزة عنه ، بل هي سبب
للحالات العقلية التي تستعقبها - لا نتيجة لها !!
فهى حيل بالامثالات ، وهذه الامثالات
وإن لم تكن تامة التكوين إلا أن العاطفة
ستنشلها من بذرتها بتطور عضوى .

الانفعال الأول (تحت - عقلي) ، وهو ما يعنى
علم النفس بصورة عامة وهو ما إليه يقصد حين
يوازن بين الحساسية والعقل ، أو حين يعتبر

الإنسانى ، وعلة الثانى المبدأ الذى أوجد هذه البنية . والإلزام فى الأول هو ضغط عناصر المجتمع بعضها على بعض بغية الإمساك بصورة المجموع ، ونتيجة هذا الضغط مرسومة فى كل منا بجملة من العادات تأخذ بها أنفسنا وهذه الآلية هى فى عناصرها عادات ، ولكنها فى مجموعها شبيهة بالغريزة وقد هيأتها لنا الطبيعة . وفى الثانى ثمة شىء سموه إن شئتم إلزاما ، ولكن هذا الإلزام هو قوة تطلع أو وثبة ، بل هو قوة هذه الوثبة نفسها التى أوجدت النوع الإنسانى وأوجدت الحياة الاجتماعية ، وأوجدت مجموعة من العادات تشبه الغريزة بعض الشبه ، ولكن الحافز يتدخل تدخلا مباشرا فلا يتخذ وسيطا تلك الآليات التى عبأ لولها ووقف عندها مؤقتا .

وقد تسامل الآن عن مكان الإيمان فى تصنيف برجسون لمعالم المشاعر المتباينة ؟ ؟ إنه يجب د قالوا : إن الدين حين ينزل على الناس بأخلاق جديدة فإنما يفرضها بالفلسفة

الميتافيزيقية التى يجعل الناس يسلمون بها وبما يأتى به من آراء فى الله وفى الكون وفى صلة أحدهما بالآخر .

وأجاب بعضهم : لا بل إن الأمر على عكس هذا ، فالدين إنما يستميل نفوس

عن اتحاد المؤلف بموضوعه - أى ناشئ عن حدس الذهن فى الحالة الأولى يعمل فى برود : فيؤلف بين أفكاراً قد اندرجت منذ القديم فى ألفاظ وأسلها إليه المجتمع جامدة متصلبة ، أما فى الحالة الثانية فكأن المواد التى يقدمها العقل تنصهر فى بوتقة الانفعال ، ثم تخرج منها وقد صُبت أفكاراً جديدة يعلنها الفكر ، وإذا وجدت هذه الأفكار ما يعبر عنها من الألفاظ الموجودة كان هذا حظاً غير مأمول ، ولا بد فى الواقع من أن تساعد الحظ وتفسر معنى اللفظة حتى تتكيف على حسب الفكرة ، والجهد هنا شاق مؤلم والنتيجة تابعة للصدفة فليست مضمونة . ولكن هنا فقط يشعر الفكر أو يوقن أنه مبدع ، فهو لا يتناول عناصر موجودة متعددة ثم يؤلف بينها فينتهى

بها إلى وحدة قد رتبت فيها العناصر ترتيباً جديداً ، إنه ينتقل دفعة واحدة إلى شىء واحد فريد يحاول أن يعرض نفسه فى تصورات متعددة عامة مصبوبة سلفاً فى ألفاظ .

* * *

على أساس هذا التوضيح لسماات الانفعال الاصيل ، وهذا التمييز بينه وبين غيره ، يقيم برجسون تفرقة بين نوعين من الأخلاق : « وعلى هذا فإن الأخلاق قسمان متميزان : الأول علة وجوده البنية الأصلية للمجتمع

المسيحية وأسمتها بالحجة : إنها إذا استولت على النفوس تبعها سلوك معين وانتشرت في إثرها عقيدة معينة ! فلا هذه الفلسفة هي التي فرضت تلك الأخلاق ، ولا تلك الأخلاق هي التي جعلتنا نفضل هذه الفلسفة ... وإنما كلنا الفلسفة والأخلاق بعبر عن شيء واحد :

* الأولى تعبر عنه بلغة العقل ...

* والثانية تعبر عنه بلغة الإرادة ...

ونحن نسلم بكلا التعبيرين متى أحسنا بالمعبر عنه.

إلى هنا أوضح برجسون فلسفته في تكييف الانفعالات وتصنيفها ، وطبق أصولها على مشاعر الأخلاق والدين ...

وهذا العرض محاولة لإبراز تفكير برجسون — التي تبهز روعته أشد مخالفيه جموداً !! — وسوف يظفر القارىء بالمتعة الكبرى حين يصاحب برجسون مباشرة وحين يتابع كلامه في أى موضوع — ولو كان (الضحك) — فستذهله دقة العالم في الملاحظة والملاحظة والاستقراء ، وعمق الفيلسوف في الاستبصار والاستنباط والحس ...

ولبرجسون نظرات موفقة في الآثار الاجتماعية للانفعال الأصيل الخلاق وفي الأدوات والوسائل التي تهيم لهذا الانفعال مجال الانطلاق من مكانه ... موعداً معنا عدد تال — بتوفيق الله .

فتنى عثمانه

الناس ويهيئها لنظرة جديدة في الوجود بأفضلية الأخلاق التي ينزل بها ... وفي اعتقادنا

أن كلا الرأيين خطأ !!!

فكيف يمكن للعقل أن يدرك أفضلية الأخلاق التي تعرض له ، وهو لا يقدر تفاوت القيم إلا بالموازنة بينها وبين قاعدة أو مثل أعلى — هما بالضرورة ما تقدمه الأخلاق الموجودة !!! ؟؟

وأما النظرة الوجودية التي يأتي بها الدين فليست إلا فلسفة جديدة تضاف إلى ، نعرف من فلسفات ، وهب العقل سلم بها فلن نرى فيها إلا تفسيراً نظرياً يفضل على غيره من سائر التفسيرات ! بل هبها لفرط انسجامها مع ذاتها تأمر ببعض القواعد الجديدة في العمل ، فإن بين القبول العقلي والانقلاب الإرادي

لشقة بعيدة !!

* لا الفلسفة من حيث هي امتثال عقلي محض تجعلنا نأخذ بالأخلاق أو نعمل بها .
* ولا الأخلاق من حيث هي مجموعة من القواعد يدركها العقل تجعلنا نفضل العقيدة تفضيلاً عقلياً ...

فقبل الأخلاق الجديدة ، وقبل الميتافيزيقا . هنالك الانفعال !! يتجلى من جانب الإرادة في وثبة ، ويتجلى من جانب العقل في تصور

مفسر !!!

انظر إلى هذه العاطفة التي بشرت بها

الدعوى الجنائية في التشريع الإسلامي

للأستاذ محمد عطية راغب

المدعى عليه وعييه وسبه ، وقال بعضهم (١) يؤدب قصد أذيته أم لم يقصد . على أن هناك خلافا في جواز سماع الدعوى في هذه الحالة بمجرد قول المدعى بدون يمين ، فقيل : إن كان

حقا لآدى ففيه قولان مبنيان على سماع الدعوى فإن سمعت الدعوى حلف لها وإلا لم يحلف ، والمشهور أنه لا تسمع الدعوى في هذه الصورة ولا يحلف المتهم لثلاث يتطرق الأشرار إلى الاستهانة بأهل الفضل .

وأما إذا كان المتهم مجهول الحال لا يعرف ببر أو فجور فهذا يحبس حتى ينكشف حاله عند عامة علماء المسلمين ، والمنصوص عليه عند أكثر الأئمة أنه يحبس القاضى والوالى ، وإذا كان المتهم معروفا بالفجور كالسرقه ، وقطع الطريق ، والقتل ، ونحو ذلك ، فمضى جاز حبس المجهول فحبس هذا أولى فيحبس حتى يتثبت القاضى من أمره .

وقد ثبت أن الشريعة الإسلامية قد عرفت تقسيم الدعاوى الجنائية إلى دعوى جنائية عامة ودعوى جنائية خاصة ، وسوف نتكلم فيما بعد عن مباشر الدعوى سواء أكان الفرد أم الدولة ، ولكنتنا نود أن نذكر هنا أن

لبحث موضوع الدعوى الجنائية في التشريع الإسلامى ، سنقسم بحثنا هذا إلى مبحثين ، أولهما لتقسيم الدعوى الجنائية ، وثانيهما لمن يباشر هذه الدعوى في الشريعة .

تقسيم الدعوى :

يمكن القول بأن الدعاوى بحسب الشريعة الإسلامية تنقسم إلى دعوى تهمة ودعوى غير تهمة ، فدعوى التهمة أن يدعى فعلا محرما على المطلوب يوجب عقوبته مثل قتل ، أو قطع طريق ، أو سرقة ، أما غير التهمة فكالدعوى المدنية والتجارية المتعارف عليها اليوم في القوانين الحديثة .

ويقسم الفقهاء دعوى التهمة إلى ثلاثة أقسام ، فهم يرون أن المتهم إما أن يكون بريئا ليس من أهل تلك التهمة ، أو فاجرا من أهلها ، أو مجهول الحال لا يعرف الوالى أو الحاكم حاله ، فإن كان بريئا لم تجز عقوبته انفاقا ، واختلفوا في عقوبة المتهم له على قولين أرجحهما يعاقب صيانة لتسلط أهل الشر والعدوان على أعراض الأبرياء ، وهنالا قول لمالك وأشهب ألا أدب على المدعى في مثل هذه الحالة إلا أن يقصد أذية

(١) وهو قول ضعيف .

ولو بعد صدور الحكم فيها ، ومثال الجرائم التي تترتب عليها هذه الدعوى الجنائية الخاصة بجرائم الأموال ، وجرائم القتل ، والجرح .

من يباشر الدعوى ؟

إن مباشرة الدعوى الجنائية العامة في الشريعة الإسلامية هي حق للفرد من جهة وللدولة من جهة أخرى . ويمكن الإشارة إلى كل من الفرد والدولة في هذا الصدد على التوالي في مطلبين اثنين :

الفرد :

أسلفنا أن الشريعة الإسلامية قد عرفت التفرقة بين الجريمة العامة والجريمة الخاصة وعلى ذلك فقد عرفت فيها الدعوى العامة والدعوى الخاصة ومفهوم عمومية الدعوى الجنائية أنها ملك للجماعة ، فللدولة باعتبارها ممثلة للجماعة وكذلك للفرد باعتباره عضواً في الجماعة وباعتباره الأصل فيها ، أن يباشر لكل منهما هذه الدعوى معا أو على استقلال .

ونظرة الشريعة الإسلامية إلى حق الفرد في إقامة الدعوى الجنائية إذا لم يكن مجنياً عليه مباشرة فيها ، هي نظرة إلى واجب ألقاه عليه الشارع ، ومن مستلزمات القيام به أن يمكن من حق إقامة الدعوى الجنائية والوصول بها إلى العقاب .

ويمكن القول هنا بصفة عامة

الدعوى الجنائية العامة إنما تتأثر بالعمو أو النزول عنها ، فليس من شك في أن الفرد لا يملك النزول عن هذه الدعوى ، إذ أن إقامته لها أو مباشرته إياها إنما هي نوع من أداء واجب ألقاه عليه الشارع ، والواجب بطبيعته لا يقبل من المسكف به النزول عنه ، وإن ساخ منه تركه لهذا الواجب .

وكذلك قيام ولي الأمر بتحريرك الدعوى الجنائية العامة هو واجب عليه ، بل إن ولي الأمر في ذلك تقدم على الفرد في الوجوب ، إذ أن ضرورة الفرض على أفراد الناس عينا إنما يأتي نتيجة ترك ولي الأمر لهذا الواجب المقصود هو به أصلا ، وعلى ذلك فالمرجح أنه ليس لولي الأمر ، ولولوى المظالم ، ولا للحتسب ، النزول عن دعوى أقامها أى منهم ولا أن يطلب إلى القاضى وقفها أو الامتناع عن النظر فيها ، فإن مقتضى ولاية القاضى من رفع إليه النزاع هو أن يفصل فيه بحكم الله .

أما الدعوى الجنائية الخاصة ، وهى طبقا لأحكام الشريعة الإسلامية ، لكل دعوى ترتبت على جريمة نالت الفرد المجنى عليه مباشرة وعلق الشارع قيامها على طلبه ، فببشرتها رهن بمشئة المجنى عليه فيها أو وليه إن شاء أقام الدعوى وإن شاء أوقفها أو أنهاها ، أو عفا عن العقوبة ، أو صالح عليها ،

وظاهر أن ولاية المظالم داخلية حسب أصولها في القضاء وهي من الوظائف التي تمتزج فيها سطوة السلطان بنصفه القضاء ويطلق على متوليها صاحب المظالم ، وقد عاشت الوظيفتان جنباً لجنب ، ولم يبين لكل منهما اختصاصه ، ولم تجدد الأمور التي تدخل أولاً تدخل في كل منهما تحديداً دقيقاً ، فكانت الأمور المتعلقة بالحدود ينظرها أيضاً صاحب المظالم كما ينظر الخصومات ولقد كانت ولاية المظالم تعقد برياسة الخليفة نفسه ، أو الوالي ، أو الأمير أو الوزير أو القاضي أو أحد كبار الموظفين بتفويض من الخليفة .

وهناك فرق بين نظر المظالم ونظر القضاء ، ويتضح ذلك من عشرة أوجه : أولاً أن لناظر المظالم من فضل الهيبة وقوة اليد ما ليس للقضاء في كف الخصوم عن التجاحد ومنع الظلمة من التغالب والتجاذب ، وثانياً : أن نظر المظالم يخرج من ضيق الوجوب إلى سعة الجواز فيكون الناظر فيه أفسح مجالاً وأوسع مقالا .

وثالثاً : أنه يستعمل من فضل الإرهاب ، وكشف الأسباب بالآمارات الدالة وشواهد الأحوال اللائحة ما يضيق على الحكام فيصل به إلى ظهور الحق ومعرفة الباطل ورابعاً : أن يقابل من ظهر ظلمه بالتأديب ويأخذ من بان عدوانه بالتقويم والتهذيب .

أن طرق الاتهام في الشريعة الإسلامية على نوعين ، أولها طريق اتهام شخص يسلكه كل إنسان وقع عليه أو على ماله أي تعد ، فيرفع الدعوى مباشرة أمام القاضي الذي يقبلها متى استوفت الشرائط المطلوبة وبصرف النظر عن كون هذا التعدي يعتبر تعدياً على حق من حقوق الله أو من حقوق العباد ، وثانيهما اتهام عمومي جائز لكل إنسان في حالة واحدة ، وهي حالة حصول تعد على حق من حقوق الله ولو كان هذا التعدي لم يلحق بالمدعى أي ضرر شخصي .

الدولة :

من الثابت أن الدعوى الجنائية العامة كان يباشرها عن الدولة في ظل نظام الشريعة الإسلامية جهتان : الأولى منها والى المظالم ، والثانية المحتسب . وتكلم فيما يلي عن كل من هاتين الجهتين في الفرعين الآتين :

ولاية المظالم :

ولاية المظالم هي قود المتظالمين إلى التناصف بالرهبة وزجر المتنازعين عن التجاحد بالهيبة .

ويذهب البعض إلى أن مهمة النظر في المظالم هي خطة حدثت لفساد الناس ، وهي كل حكم يعجز عنه القاضي فينظر فيه من هو أقوى منه .

لما أن يقترن بها ما يقويها ، أو يقترن بها ما يضعفها ، أو تخلو من الأمرين .
ويمكن أن نصل إلى أن وإلى المظالم إنما كان يدخل في اختصاصه تحقيق التهمة ، فإن رجحت لديه الإدانة رفعها إلى الناظر في القضاء ليفصل فيها بحكم الله ، ويرى البعض أن هذه كانت هي الصورة الغالبة في إقامة الدعوى العامة ، وكان لولى الأمر بماله من الولاية العامة ولاية النظر في المظالم كذلك ، فكان له أى لوالى المظالم إذا لم يكن حاكماً حق مباشرة الدعوى الجنائية العامة بتحريكها أمام القاضى وإقامة البيئة على ما يدعونه من وقوع الجريمة ، وكانوا في مباشرتهم لهذه الدعوى يعتمدون على ما يصل إلى عليهم من رجال الحفظ أو من أفراد الناس شأنهم شأن ما تفعله النيابة العامة طبقاً للنظم الحديثة .

الحسبة :

لم يكن وإلى المظالم هو الذى يباشر عن الدولة الدعوى الجنائية العامة في ظل الشريعة الإسلامية فحسب ، بل كان كذلك يباشرها المحتسب .

والحسبة هي أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ونهى عن المنكر إذا ظهر فعله ، فهي وظيفة من الوظائف الدينية الهامة ؛ لأن قوامها الأمر بالمعروف ، والنهي عن

وخامسها : أن له من التأتى في ترداد الخصوم عند اشتباه أمورهم واستبهام حقوقهم ليعين في الكشف عن أسبابهم وأحوالهم ما ليس للحكام إذا سألهم أحد الخصمين فصل الحكم فلا يسوغ أن يؤخره الحاكم ، ويسوغ أن يؤخره وإلى المظالم .

وسادسها : أن له رد الخصوم إذا أعضلوا وساطة الأمناء ليفصلوا التنازع بينهم صلحا عن تراض ، وليس للقاضى ذلك إلا عن رضا الخصمين بالرد ،

وسابعها : أن يفسح في ملازمة الخصمين إذا وضحت أمارات التجاحد ، ويأذن في إلزام الكفالة فيما يسوغ فيه التكفل لينقاد الخصوم إلى التناصف ويعدلوا عن التجاحد والتكاذب .

وثامنها : أنه يسمع من شهادات المستورين ما يخرج عن عرف القضاة في شهادة العدلين .
وتاسعها : أنه يجوز له إحلاف الشهود عند ارتيابه فيهم إذا بدلوا إيمانهم طوعا ويستكثر من عددهم ليزول عنه الشك ، وينفى عنه الارتياب ، وليس ذلك للحاكم .

وعاشرها : أنه يجوز أن يبتدىء باستدعاء الشهود ويسألهم عما عندهم في تنازع الخصوم وعادة القضاة تكليف المدعى إحضار بيئته ولا يسمعونها إلا بعد مسألته .

على أن الدعوى لم يخل حالها عند الترافع فيها إلى وإلى المظالم من ثلاثة أحوال :

وإيساره فيلزم المقر المוסر الخروج منها ودفعها إلى مستحقها لأن في تأخيرها لها منكرًا هو منصوب لإزالتها .

وأما الوجهان في قصور الحسبة عن أحكام القضاء ، فأحدهما قصورها عن سماع عموم الدعوى الخارجة عن ظواهر المنكرات من الدعاوى في العقود والمعاملات وسائر الحقوق والمطالبات ، فلا يجوز أن ينتدب لسماع الدعوى لها ولا أن يتعرض للحكم فيها لا في كثير الحقوق ولا في قليلها من درهم فسادونه إلا أن يرد ذلك إليه بنص صريح يزيد على إطلاق الحسبة ، فيجوز ويصير بهذه الزيادة جامعا بين قضاء وحسبة فيراعى فيه أن يكون من أهل الاجتهاد وإن اقتصر به عن مطلق الحسبة ، فالقضاة والحكام بالنظر في قليل ذلك وكثيره أحق ، والوجه الثاني أن الحسبة مقصورة على الحقوق المعترف بها فأما ما يتداخله التجاحد والتناكر فلا يجوز له النظر فيه ؛ لأن الحاكم فيها يقف على سماع بينة وإحلاف عيّن ، ولا يجوز بالاحتساب أن يسمع بينة على إثبات الحق ولا أن يحلف يمينًا على نفي الحق والقضاة والحكام بسماع البينة وإحلاف الخصوم أحق .

وأما الوجهان في زيادة الحسبة على أحكام القضاء ، فأحدهما أنه يجوز للناظر فيها أن يتعرض لتصفح ما يأمر به من المعروف وينهى عنه من المنكر وإن لم

المنكر ، وغرضها الإصلاح بين الناس ، الذي هو فرض على القائم بأمر المسلمين .
والحسبة واسطة بين أحكام القضاء وأحكام المظالم فأما ما بينها وبين القضاء فهي موافقة لأحكام القضاء من وجهين : ومقصورة عنه من وجهين ، وزائدة عليه من وجهين ، فأما الوجهان في موافقتها لأحكام القضاء فأحدهما جواز الاستعداد إليه وسماعه دعوى المستعدى على المستعدى عليه في حقوق الآدميين وليس هذا على عموم الدعاوى ، وإنما يختص بثلاثة أنواع من الدعوى أحدها أن يكون فيما يتعلق ببخس وتطفيف في كيل أو وزن ، والثاني ما يتعلق بغش أو تدليس في مبيع أو ثمن ، والثالث فيما يتعلق بمطل وتأخير لدين مستحق مع المسكنة ، وإنما جاز نظيره في هذه الأنواع الثلاثة من الدعاوى دون ما عداها من سائر الدعاوى لتعلقها بمنكر ظاهر هو منصوب لإزالته واختصاصها بمعروف بين هو مندوب إلى إقامته ؛ لأن موضوع الحسبة إلزام الحقوق والمعونة على استيفائها وليس للناظر فيها أن يتجاوز ذلك إلى الحكم الناجز والفصل البات ، فهذا أحد وجهي الموافقة ، والوجه الثاني أن له إلزام المدعى عليه للخروج من الحق الذي عليه وليس هذا على العموم في كل الحقوق وإنما هو خاص في الحقوق التي جاز له سماع الدعوى فيها وإذا وجبت باعتراف وإقرار مع تمكنه

المظالم أن يوقع إلى القضاة والمحاسب ، ولم يحز للقاضي أن يوقع إلى وإلى المظالم وجاه له أن يوقع إلى المحاسب ولم يحز للمحاسب أن يوقع إلى واحد منهما ، فهذا الفرق الثاني أنه يجوز لوالى المظالم أن يحكم ولا يجوز لوالى الحسبة أن يحكم .

ولقد كان يشترط فى المحاسب أن يكون فقيها عارفا بأحكام الشريعة الإسلامية التى سيأمر وينهى بتعاليمها ، عفيفا عن أهوال الناس متصفا بالأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة ، ولا يكون قوله مخالفا لفعله ؛ لأن فى اتصافه بكل هذا وبغيره من الصفات الحميدة صونا لمرضه وأقوم لهيبته وبعداً له عن الشبهات .

ويمكن القول هنا بأن المحاسب كان عليه إلى جانب ولايته القضائية للقاصرة واجب مباشرة الدعوى الجنائية العامة فيما خرج عن اختصاصه ودخل فى اختصاص القاضي ، والأصل فى ولايته هذه هو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر شأنه فى ذلك شأن الفرد العادى ، إلا أن مباشرة المحاسب لهذه السلطة أو أدائه لهذا الواجب كان فرض عين لا كفاية فلم يكن له أن يتشاغل عنه بغيره ، كما أن الأصل فى المحاسب أنه منصوب للاستعداد لإيائه فيما يجب إنكاره ، فتلزمه إجابة من استعداه وليس على الفرد المتطوع ذلك ، وقد ترتب على أن المحاسب صاحب وظيفة

يحضره خصم مستعد ، وليس للقاضى أن يتعرض لذلك إلا بحضور خصم يجوز له سماع الدعوى منه ، فإن تعرض القاضى لذلك خرج عن منصب ولايته وصار متجاوزاً فى قاعدة نظره ، والوجه الثانى أن للنظر فى الحسبة من سلطة السلطنة واستطالة الحماة فيما تعلق بالمنكرات ما ليس للقضاة ؛ لأن الحسبة موضوعة للرهبنة فلا يكون خروج المحاسب إليها بالسلطة والغلبة تجوزاً فيها ولا خرقاً . والقضاء موضوع للنفاضة فهو بالإناء والوقار أحق وخروجه عنهما إلى سلطة الحسبة تجوز وخرق ؛ لأن موضوع كل واحد من المنصبين مختلف فالتجاوز فيه خروج عن حده .

ويوجد شبهة مؤتلف بين الحسبة من جهة والمظالم من جهة أخرى ، يتمثل هذا الشبه الجامع فى وجهين أحدهما أن موضوعها مستقر على الرهبنة المختصة بسلطة السلطنة وقوة الصرامة ، والثانى جواز التعرض فيهما لأسباب المصالح والتطلع إلى إنكار العدوان الظاهر .

يبد أن الحسبة تختلف عن المظالم من وجهين أحدهما أن النظر فى المظالم موضوع لما عجز عنه القضاة ، والنظر فى الحسبة موضوع لما رفه عنه القضاة ، ولذلك كانت رتبة المظالم أعلى ورتبة الحسبة أخفض وجاه لوالى

ط ١٣١٧ هـ ، عبد الوهاب العشماوى . الاتهام
الفردى ط ١٩٥٣ .

علاء الدين الكاسانى بدائع الصنائع فى توقيت
الشرائع ج ٧ شمس الدين السرخسى . المبسوط
ج ٩ ، أحمد ابراهيم القصاص فى الشريعة
الإسلامية وفى قانون العقوبات المصرى
ط ١٩٤٤ ، محمد حسنى رحى . . القصاص .
ط ١٩٤٦ ، الماوردى . محمود محمد عرنوس .
تاريخ القضاء فى الإسلام اسماعيل حقى فرج .
القضاء الإسلامى وتاريخه ط ١٩٤٩ .
الخطط المقرينة ج ٢ القلقشندى .
صبح الأعشى . ج ٥ .

عامّة أن أضخى له أن يتخذ على إنكاره أعوانا
وأن يؤجر من بيت مال المسلمين ، ولم يكن
الأمر كذلك بالنسبة للفرد العادى .

محمد عطية راعب المحامى

(١) مراجع البحث : أحمد إبراهيم .
المرافعات الشرعية . ط (١٩٢٠) ، على
قراءة . الأصول القضائية ط ١٩٢١ ، محمد
زيد . الشيخ سلامة . مباحث المرافعات .
ط ٢١ محمد زيد الإيائى مباحث المرافعات .
ط ٣ ، شمس الدين بن القيم الجوزية .
الطرق الحكيمية فى السياسة الشرعية .

(بقية المنشور على صفحة ٤٨٠)

معاداة الإكليروسية ، وقد اتخذ من هذه
المعاداة برنامجا الوحيد ، وحسب أن هذه
المعاداة تكفى لإعادة تكوين الحكومات ،
ولجعل المجتمعات كاملة ولقيادتها إلى السعادة
وأن هذا الجنس من البشر قد تتابع ، وهناك
مستولون كثيرون عن هذه الواقعة ، وليسوا
جميعاً من معسكر الموسوعيين كما يقال غالباً ،
ولكن لا يوجد أحد مسئول عن ذلك بدرجة
فولتير) ٩ .

انتهت بأن أملت أصدقاؤه بل أفرعتهم ، وقد
أطلق عليه ديدرو اسم « المسيح الدجال » .
وأكثر من ذلك أن الأستاذ بول هازار
فى دراسته لتأليهية فولتير ينقده ألذع النقد
لأسلوبه الساخر ، وطريقته المسفة التى لا تليق
بمفكر عالمى مثله والتى تقتاد القارىء إلى
الإلحاد أكثر مما تقتاده إلى التأليهية . ثم
يختم نقده إياه بقوله : (هناك واقعة ثابتة
بجملها أنه قد وجد فى القرن الثامن عشر جنس
من البشر لم يعدله من الغذاء الروحى سوى

دكتور محمد غروب

الواع الدينى و الثقافة العلميّة

للأستاذ راشد رستم

أبناءؤه الصغار الذين يشبون فى معاهدهم الأولى
حيث التعليم فى الصغر كالنقش فى الحجر .
وفى الحق أن العناية بأطفال الأمة هى
العناية بمستقبل الوطن جميعه .

ورثنا المجد عن كبرى نزار
فأورثنا ماثرنا بنينا
ومنذ ثمانين عاما وقد كانت البلاد فى مهب
الرياح العاصفة ، ترجو النجاة على أيدي
عقلائها فى ثورتها السياسية الجاحمة ، وتنشد
الاستقرار فى حياة حرة مستقلة تقدمية ،
والزعماء يتخذون مختلف الوسائل فى سبيل
تحقيق الأمانى والآمال - اتفق الوزير الخطير
والقاضى الكبير على أن يتخذوا سبيلهما فى
النهوض بأبناء البلاد إلى حيث يجلس الصغار
على مقاعدهم فى معاهدهم - يضعان بين أيديهم
كتابا (١) لا شك فى عظيم قيمته ونفوذه أثره
لو كان قد كتب له الاستمرار ، جيلا بعد
جيل ، آباء لأبناء وأبناء لآباء .

« إن مصائب النوع البشرى ناشئة عن
عتلين - حب الشهوات والجهل بالحقائق -
وإن علاج ذلك عن وسيلتين : الواع الدينى
والثقافة العلمية . »

هذه الحقيقة الواقعية كانت تدور فى خلد
وزير خطير مع قاض كبير (١) عند ما استقر
عزمهما على التوجه معاً الوجهة المثلى للقيام
بنصيبهما من الواجب الوطنى المقدس لتحقيق
غرضهما النبيل .

وقد كان محور قصدهما وموضع اهتمامهما
لبلوغ هذا المأرب الحميد المشكور يتركز على
ذراى مصر ، الناشئين فى حمى الوطن ، فهم

(١) على باشا - ببارك ، أبرز وزراء المعارف
(التريه والتعليم) فى تاريخ النهضة العلميه المصريه
منه القرن الاضى - مصرى من أذكاء المصريين
وعقلائهم وعلمائهم ، بعثوه يافعا إلى فرنسا فعاد منها
وجلا يخدم البلاد علما وعملا .

والقاضى صالح بن مجدى من كبار ألدباء والقضاة
فى ذلك العهد ، ومن عمداء النهضة للأصريه ، وله
مؤلفات كثيره كما اشتهر بالترجمات المختلفه مع
المصطلحات العربيه فى الفنون والعلوم مما يصح
الرجوع إليها للاستعانة بها فى نهضة المصطلحات
العربيه الحديثه .

(١) كتاب من جزئين - عن الهجاء والتمرين
ثم القراءة فى اللغة العربيه . مسامرات علميه خفيفه
لحليه الأذهان بمعلومات أدبيه أخلاقية دينية -
عن للطبعة الأميرية بيولاى مصر المعزیه ١٨٨٠ م .

والفقير والغنى ، فى العدل ومهدت الثروة والسعادة للكل ، وقد اتسعت دائرة الرفاهية والمنفعة العمومية بواسطة المخترعات الجديدة كالمطبعة وآلات البخار والكهرباء والمواد النافعة للزراعة . . . إلى آخر ما كان معروفاً فى ذلك الوقت . . . فما بالك اليوم وبين أيدينا البنسلين ومشتقاته واللاسلكى والراديو والتلفزيون والسينما والقمر الصناعى والصاروخ « والذرة » .

على أن التجارب الإنسانية فى كل العصور أثبتت أن الإنسان فى حاجة إلى عقيدة تنجيه من الشطط الذى يحاول دائماً شيطان عقله فى تحويله عن الصراط المستقيم المرسوم للحياة النافعة والذى تسهل له السعادة وتحميه من الضلال وتمنعه كذلك من التضليل .

والعلم لا يقيم وحده كياناً ، ولا ينجح وحده إنساناً ، بل لابد أن يعتمد على عقائد نفسية خلقية وصفات طبيعية يستمد منها من عقيدته مثل الصبر والصدق والجلد والجهد والاجتهاد والمسئولية وحب الخير وما إلى ذلك من وسائل الإنتاج والتشييد والبناء وكذلك النجاح الذى هو غرض كل إنسان فى هذه الحياة .

ولن ينال المرء تلك العقائد والصفات التى يتوقف عليها نجاحه فى الحياة إلا إذا تأصلت فيه من الصغر ، ومن شب على شيء شاب عليه ، وهى بدورها تنبع من معين الدافع والوازع الدينى . كما أنها تجمع من

نعم . لا يزال للكلمة المكتوبة أثرها القوى الدائم ، فهى التى يستسيفها الطالب فى نشأته صغيراً ، ويستبقيها معه فى حياته كبيراً . هذا واليوم تفخر هيئات التعليم فى المدارس والمعاهد والجامعات بأن معلومات طلابها من العلوم والفنون تفوق ما كان يعلمه أمثالهم من طلبة الجيل السابق أو الجيلين الماضيين . والحق فى هذا الشأن هو أن الإنسان ازدادت معلوماته واتسعت معارفه ؛ لأن علماءه نشطوا فى البحث والاستقراء ومعرفة المجهول بكل مجهود ، وبما توفى لهم من اختراع الوسائل والآلات التى تزيدهم علماً بما يريدون أن يعلموا وما يريدون به أن يتقدموا .

هذا ما لا شك فيه من حيث تقدم العلم وارتقاء الإنسان فى معلوماته فى الخمسين سنة الأخيرة بأكثر من الخمسين قرناً السابقة ... ثم انظر كيف يغرى الكتاب الذى نحن بصده على الاستزادة من العلم مع القوانين الشرعية والسياسية فيقول ، « لا شك أننا من السعداء لوجودنا فى هذا العصر المتمدين (سنة ١٨٨٠) ، ولم لا وإنه يسوغ لأغلب أبناء المسكاتب . . (أى المتعلمين . .) أن يفخر بماله من المعارف على كثير من مشاهير الملوك فى القرون الخالية ! . لأن القوانين الشرعية والسياسية الجارية عليها العمل الآن فيما بيننا قد ساوت بين الضعيف والقوى ،

ولا سيما في هذا الزمان . . . فالإقتصار على الزوجة الواحدة ما أمكن هو من باب الأمر المستحسن لفقد العدل المشروط للجمع بين الزوجات المتعددة ، ولتدارك ما يترتب على تعددهن في حسن نظام الأسرة والمنزل من كبير المفسدة .

« والزواج أهم المهمات وأتم أعمال الحياة ، وعقده عقدة محترمة مباركة - على الخصوص وإن ملائكة الرحمن تحضره كما ورد في بعض النصوص وقد روى عن النبي أنه قال - لارهبانية في الإسلام - والزواج نصف الدين وسنة القوم المهتدين كما ورد في الحديث الشريف . ومتى تم بحسب معرفة قيمته ومراعاة حرمة وعدم التهاون في حل عقده لأدنى سبب أو لمجرد تحكم الغضب ، فلا ينبغي فك عروته . اللهم إلا للضرورة . والضرورات معلومات . . . »

ليت شعري ما أعظم هؤلاء الصغار الذين يكتب لهم هذا الكلام . وقد جئنا به مثلاً . أما عن موضوعات الكتاب ويسمى المؤلفان « المسامرات » ، وفي التسمية طرفة ، فهي شاملة لأغراض الحياة كلها كثيرة وكبيرة - أركان الدين مع الشرح الواضح اليسير ، وعن قوانين الصحة الفردية والاجتماعية والرياضات الجسمية والفكرية ، وأنواع الصناعات والحرف والمهن ، ومعاملة الناس وصلة الأرحام والرأفة بالحيوان والإحسان

التشكك وتبليبل الأفكار فيما يقال عنه بالتفكير الحر والسلوك العلمي . . . ذلك المرض الخلق والعدوى اللادينية التي تضيع معها التقاليد الأخلاقية التي تحفظ كيان الأمة .

وإذا كان العلم له معاهده فإن ناشئتنا في حاجة إلى التلقين الديني من الصغر على أساس حمايته من شطط العقول وسطوة الشيطان . ومنذ جيلين وهذا الخطر الشديد الذي نكاد نشعر به اليوم ونخشاه - قد تنبه إليه وزير معارفنا الخطير ومعه زميله القاضي الكبير إذجما بين تلقين العلم والتفكير في العقيدة ، جاء كتابهما سهلاً يسيراً ، وأكد أجزم بأن شباباً لنا اليوم في معاهده العالية هو أحوج إلى ذلك النوع من الكتب أكثر من أمثاله الشباب منذ جيل أو جيلين .

انظر كيف يشرح في سهولة وإيجاز فضل ضبط النفس في تعدد الزوجات فيقول - من أكرم أنواع القناعات وأكرم مراتب التعففات ضبط النفس والاقتصاد في الزواج عند الإنسان^(١) . « إن تعود الزواج وإن كان من الأمور التي تألفها الطبيعة ولا تأبأ بها الشريعة ، إلا أنه يامعان النظر في أحوال هذه المادة ، والاتباع فيها للطريقة الجادة ، ينبغي أن نعلم أن تعدد الزوجات قد يكون من مجرد اتباع الشهوات ،

(١) وبالنسبة لغيره من سائر أنواع الحيوانات يقال له السفاد) وهذا استطراد من المؤلف قد يكون لا موجب له ولكنه يريد زيادة المعلومات .

المأمورات واجتناب المحظورات ، وضدها الاستهتار وهو اتباع الهوى وعدم المبالاة ، وهو من أزدل الرذائل وكفاه ذما قوله تعالى : « أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ... » .

وإننا لنجد بيننا من يقول بالفرقة بين علم المرء وخلقه ، وإنه له ما يخصه في نفسه ولكن هانحن أولاء نسمع ونرى كيف يضل ذوو العقول بعلمهم لحاجتهم إلى سياج النفوس من الفضيلة المستمدة من العقيدة ، إنهم يفسدون في الأرض ويحدثون في كيان المجتمع هزات اجتماعية من الانحراف ومن التشكك والتجسس والاختلاس والجنايات .

وهكذا منذ جيلين تنبه إلى هذا الخطر الشديد الوزير الخطير وزميله القاضي الكبير فكان كتابهما التعليمي ليتدارسه للصغار في نشأتهم الأولى فيثبت في نفوسهم وعقولهم .. وما أحوجنا اليوم إلى اليقظة الفكرية والدينية ، فقد كثرت المبادئ الهدامة ، وتشكلت في أشكال من الإغراءات النفسية والعقلية ، والمادية والاجتماعية .

فإلى « الديوبان الأعظم » هذا الجامع الأزهر . فهو القائم على حفظ العقيدة السمحاء التي لا بد لها من الصحة والعافية والديور والبقاء . ٩

راسر رسم

والحنان والعفة والوفاء بالعهد وبالوعد والقناعة والكرم والصدق والصدقة ووضعها مواضعها والشجاعة والهمة والنزاهة والتواضع والصفح والنشاط وعدم الكسل ، وفضل العلم والعدالة واجتناب الظلم وما إلى ذلك من هذه « الخصال » كما يسميها الكتاب وكما يشرحها شرحا يسيرا لطيفا مقنعا

انظر ما يقول عن العدل : إن العدل والعدالة متحدان في الاشتقاق والاصل . العدل هو تصرف الإنسان في حقه بوجه الحق بحيث يؤدي منه لكل ذي حق حقه ويضعه في مواضعه . ويرادفه الإنصاف . وضده الجور والظلم ويرادفهما الإجحاف ، وهو التصرف في حق الغير بغير حق أو مجاوزة الحد المستحق . وقد اتفقت جميع الملل والنحل على أن العدل فضل أى فضل . وعلى أنه واجب بالشرع وبالعقل ، في حق الآحاد وسائر العباد . وهو من الملوك وأرباب النفوذ وأوجب وأفضل . قال تعالى : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان ، والفرق بينهما أن العدل هو أن تعطى ما عليك وتأخذ مالك من غير زيادة ولا نقصان . وأما الإحسان فهو أن تعطى أكثر مما عليك ، وتأخذ أقل مما لك ... برضاك » .

ثم انظر ما يختم به كلامه إذ يقول : رأس الحكمة مخافة الله ، أى اتباع الشرائع المشرعة وما يليها من سنن الأنبياء المتبعة بمعنى امتثال

دور الكتب وأثرها في الثقافة الإسلامية

للأستاذ سعد توفيق حمدي

يهتمون بالكتاب اهتماماً جدياً ويعتنون به
عناية عظيمة ويولونه من اهتمامهم حظاً كبيراً
وإن ما خلفوه لنا من آثار أشادوا فيها
بفضل الكتاب وعظيم فائدته لتدل دلالة
قاطعة على اهتمامهم به وإيثارهم له . . يقول
المتنبي :

أعز مكان في الدنيا سرج ساج

وخير جليس في الزمان كتاب

وهذا آخر^(١) يشيد بفضل الكتب واصفاً

متعها معدداً أفضالها ومنافعها فيقول :

هم مؤنسون وآلاف غنيت بهم

فليس لي في أنيس غيرهم أرب

لله من جلساء لا جليسهم

ولا عشيرهم للسوء مرتقب

لا بادرات الأذى يخشى رفيقهم

ولا يلاقيه منهم منقذ ذرب

وهكذا نرى أن الكتاب أخذ يتسلل شيئاً

فشيئاً إلى حياة المسلمين حتى أصبح ذا قيمة

عظيمة في حياتهم وأخذوا يختلفون على دور

الكتب يطلبون العلم والمعرفة من بين رحابها

الفسيحة التي كانت تتكون من حجرات كثيرة

(١) ومحمد بن بشير من شعراء الدولة الأموية .

للكتاب فضل على الأمم عظيم ودور
في حياتها خطير وإن الأمم الراقية حقاً لهي
الأمم التي تهتم بالكتاب وتوثره وتنزله
من نفسها منزلة رفيعة سامية . . وسيظل
الكتاب أبداً نبراساً للباحثين ونوراً يضيء
الطريق أمام الشعوب وزاداً روحياً جميلاً
ينتفع به الناس وسائر البشر أجمعين . .

ولقد لعب الكتاب دوراً في الإسلام
خطيراً وكان أثره في حياة المسلمين
عظيماً حتى أضحت شيئاً هاماً في حياتهم
فانكبوا عليه يطلبون العلم من بين صفحاته
والمعرفة من خلال سطورهم فظهرت طبقة
من العلماء والفلاسفة الأفاضل الذين أمدوا
حياتنا الثقافية بمعين من العلوم لا ينضب
ولم يقتصر أثرهم على العرب وحدهم بل شمل
العالم أجمع وطارت شهرتهم إلى الآفاق
لما قدموه من خدمات لا تحصى ، وأفضال
لا تعد ، ومنافع عظيمة ما زالت الإنسانية
تنتفع به إلى الآن . . ولقد عنى المسلمون
بالكتاب عناية عظيمة بعد أن استتب لهم
الأموار وبعد أن تلاشت الفتن وتبخرت
الأحقاد من الصدور . حينئذ فقط بدءوا

ما نظرنا إلى القاهرة نجد أن الحاكم بأمر الله الفاطمي قد أنشأ فيها داراً عظيمة هي دار الحكمة^(١)، وكان هدفه من ذلك أن ينافس بها بيت الحكمة ببغداد فأتى لها بكل ما تحتاج إليه من نساخين وخطاطين وزودها بالورق والمخابر والأقلام فأخذ الناس من جميع الطبقات يختلفون إليها للتعلم وظلت دار الحكمة قائمة حتى عهد صلاح الدين الأيوبي الذي أقام مكانها مدرسة للشافعية... أما الأندلس تلك المدينة الجميلة فقد ازدهر فيها العلم ازدهاراً عظيماً وانتشرت فيها المعرفة انتشاراً كبيراً حتى أضحت طلب العلم شيئاً مألوفاً في الأندلس وأخذ أهلها ينهلون من مناهل العلم فنبتت في أرضها ثقافات كان لها أثر كبير على الثقافة الغربية... وكان الأندلسيون ينظرون إلى الجاعل في اشتمزاز، أما العالم فقد كان له في قلوبهم مكانة عظيمة. وكان للحاكم المستنصر مكتبة ضخمة ضمت ما يربو على الأربعمائة ألف كتاب^(٢).

فقد كان مولماً بالكتب ولها شديداً وكانت له آراء صائبة وتعليقات مفيدة على الكتب

نبتت على جدرانها رفوف من الخشب جميلة عليها كتب كثيرة ومخطوطات ومجلدات عظيمة^(١) وكانت تلك الدور مزودة بعدد وافر من المترجمين والنساخ والأمناء والمساعدين وكانوا يأخذون على عملهم هذا العطاء الجزيل كما كانت لهذه الدور فهارس دقيقة منظمة حتى يسهل على الدارس الاهتمام إلى الكتب التي يريد الرجوع إليها وكانت هذه الدور كثيرة ومتعددة، ففي بغداد كان يوجد بيت الحكمة ذلك البيت الذي أقامه الخليفة هارون الرشيد والذي ظل يشع العلم من بين رحابه فترة طويلة من الزمن وأخذ الخليفة يزود بيت الحكمة بنفائس الكتب وروائع المجلدات حتى بات مقصد الطلاب والعلماء يأتون إليه من شتى الأقطار، وظلت المعرفة تتدفق من بيت الحكمة حتى أفل نجمه وكسفت شمسُه عندما انقض التار على بغداد فحولوا جمالها الفاتن إلى خرائب ثم امتدت يدهم الباطشة إلى بيت الحكمة لتلقى بما فيه من كتب ومجلدات في نهر دجلة فنحول بيت الحكمة إلى رفوف خاوية لا يحوى بين جدرانها سوى الظلام الدامس... فإذا

(١) أنشئت هذه الدار في مجادى الآخرة

سنة ٣٩٥.

(٢) وقيل أيضاً إنهم عندما نقلوها قضوا في نقلها سنة أشهر كاملة.

(١) وقبل أيضاً: إنه كان بهذه الدور حجرات للموسيقى كان الدارس يختلف إليها كلما شعر بالكل أو ران عليه السأم وللأسف.

بها جمع كثيرا من كتبها فاستطاعت الفلسفة في عهده أن تنشط وأن تزدهر ازدهارا عظيما إلا أنها عادت فانتكست مرة أخرى عندما قبض ابنه يوسف يعقوب المنصور على الفيلسوف العظيم ابن رشد وأودعه السجن ثم جاء قتل الفيلسوف ابن حبيب فزاد من خمولها . وهكذا عادت الفلسفة كما كانت من قبل مضطهدة لا تجد من يهتم بها ، على أننا نستطيع القول بأن هذا العصر كان من أخصب العصور التي موت بها الفلسفة الإسلامية . فقد ظهر فيه فيلسوفان من أعظم من جادت بهما أرض الأندلس ألا وهما : ابن طفيل وابن رشد (٥٢٠ - ٥٩٥ هـ) . كان ابن طفيل فيلسوفا عظيما حقا استطاع أن يؤلف عدة كتب في الطبيعيات والإلهيات وغير ذلك كما استطاع أن يبين الصلة بين العقل والدين كما هو واضح في رسالته المشهورة « حي بن يقظان » (١) .

وأراد ابن طفيل أن يبين في هذه الرسالة أن الإنسان يستطيع أن يصل إلى معرفة الله ولو نشأ في جزيرة نائية . . . أما ابن رشد فقد كان من أعظم فلاسفة الإسلام . . عرفه الغرب عن طريق شروحه الرائعة لفلسفة

التي كان يطالعها وكان يأتي لمسكنته بالكتب من البلاد والأقاليم مهما كلفه ذلك من ثمن . وعند ما سمع بكتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني أرسل إلى مؤلفه ألف دينار ثمنا لنسخة منه فأرسلها أبو الفرج إليه فظهر كتاب الأغاني في الأندلس قبل أن يظهر في العراق . لقد كانت الأندلس هي قلعة العلم حقا فقد ازدهر فيها وانتشر وكان له فيها النصيب الأكبر من العناية والاهتمام فكان من جراء ذلك أن ظهرت طبقة من العلماء كان أثرهم عظيما على الثقافتين الشرقية والغربية ، ظهر علماء نبغوا في الطب والرياضيات والفلك والنجوم وغير ذلك من ميادين العلوم ، أما الفلسفة فلم يكن لها في العصر الأموي بالأندلس نصيب كبير بل كانت مضطهدة وكان الفلاسفة غالبا ما يهتمون بالزندقة فكانت تجمع كتبهم ثم تحرق ويذكر ابن سعيد : « أن الفلسفة علم بمقوت في الأندلس لا يستطيع صاحبه إظهاره فلذلك تخفى تصانيفه » . ولكن هذا الجو الخائق الذي كانت الفلسفة تنفخ فيه لم يمنع ظهور فلاسفة أفذاذ أدوا خدمات لا تنسى في الفلسفة (١) . على أن الفلسفة لم تزدهر ازهارا حقيقية إلا في عهد أبي يعقوب يوسف ابن عبد المؤمن فقد كان محبا للفلسفة شغوا

(١) ترجمت رسالة « حي بن يقظان » إلى اللغة الانجليزية في القرن السابع عشر .

(١) مثل محمد بن عبد الله بن مسرة (٢٦٩ - ٣١٩ هـ) وسعيد بن فتحون السرقسطي .

عظيماً وشارحاً كبيراً ، وفقهياً له آراء صائبة في الدين والشريعة ، فكان بحق من أعظم فلاسفة الإسلام ، وكان جديراً بما وصفه به أحد العلماء حيث قال إنه « أنبل وأعظم مثال للفلاسفة » (١) .

لقد كان للثقافة الإسلامية فضل أى فضل على الثقافة الغربية ، ولقد ترجمت معظم كتب فلاسفة الإسلام إلى اللغة اللاتينية وإلى غيرها من لغات أوروبا ، وما زالت هذه الكتب تدرس في جامعات أوروبا إلى الآن فما أعظم فضل الكتاب وما أجل أثره ذلك الذى وصفه الجاحظ وصفاً جميلاً فقال : الكتاب وعاء مليء علماً وظرف حشى ظرفاً وبستان يحمل فى ردن وروضة تقلب فى حجر ينطق عن الموتى ويترجم كلام الأحياء .

سعد حمدي

الفيلسوف الإغريق « أرسطوطاليس » ، فذاعت فى الغرب شهرته وارتفعت مكانته حتى سماه داتنى « بالشارح الأكبر » ، ومن شروحه لكتب أرسطو كتاب الأخلاق ، وكتاب البرهان ، وكتاب السماء والعالم ، وكتاب السماع الطبيعى ، وكتاب الحس والمحسوس (١) على أنه لم يقتصر فى شروحه على فلسفة أرسطو وحدها بل شرح أيضاً كتاب الأسطقصات (أى العناصر والأصول) وكتاب القوى الطبيعية ، وكتاب العلل والأعراض وكلها من مؤلفات جالينوس ، وقد ارتاد ابن رشد جميع الميادين ، فله فى الطب كتاب « الكليات » وله فى الفقه رسالة بعنوان « بداية المجتهد ونهاية المقتصد » وله عدا ذلك رسالة قيمة هى : « تهافت التهافت » أراد بها الرد على رسالة « تهافت الفلاسفة » للإمام الغزالى . هكذا كان ابن رشد فيلسوفاً

(١) هو « جبيرموى أوفرينا » وكان عالماً كبيراً كما كان يعرف الكثير من الفلاسفة الإسلامية إذ قرأ لكتيب من فلاسفة الإسلام أمثال ابن رشد وابن سينا والفارابى وغيرهم .

(١) لخص ابن رشد فلسفة « أرسطوطاليس » فى كتاب سماه كتاب الجوامع .

وَبِمَقَرِّطِيَّةٍ لِلْإِسْلَامِ

حول "أَسَامَةِ بْنِ زَيْدٍ"

لِلْأَسَازِ عِبَاسٍ طه

وعلى ذلك المبدأ الإسلامي أتكلم على حياة أسامة فأقول :

أَجِبْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

هو أبو محمد أسامة بن زيد بن حارثة ابن شراحيل بن كعب بن عبد العزى بن زيد ابن امرئ القيس بن عامر بن النعمان بن عامر ابن عبد ود بن كنانة بن بكر بن عوف ابن عذرة بن زيد اللات بن ربيعة بن ثور ابن كلب بن وبرة الكلبى :

وأمه أم أيمن بركة الحبشية ، كُتبت بولدها أيمن أخى أسامة لأمه . وكانت فى الجاهلية مملوكة لعبد الله بن عبد المطلب ، فلما ولد سيد البشر بعد موت أبيه كانت هى مربيته وحاضنته حتى كبر ، ولم تزل فى شرف خدمته حتى تزوج بخديجة فأعتقها وأنكحها مولاه زيدا ، فولدت له أسامة بن زيد .

مولده ونشأته :

ولد رضى الله عنه بمكة المكرمة ، ونشأ بها النشأة الدينية العالية التى تعجز البراعة عن تقديرها ، وتقتصر العبارة عن تصويرها

إذا تكلم الكتاب عن حياة من سادوا الناس وبلغوا درجة الإمامة فيهم من الموالى : أمثال بلال ، وسلمان ، وصهيب ، وأسامة ابن زيد ، فإنما يتكلمون عن قاعدة المساواة ومبدأ الإخاء الذى جعله الحق سبحانه وتعالى أول لبنة بنى عليها صرح المجتمع العالمى الإسلامى وأمر المؤمنين بدينه بالجرى عليها فى هدم ما أقامته الجاهلية من الفروق التى كانت موجودة بين طبقات الناس والقبائل ، فأجابه الكل بالسمع والطاعة ، حتى قال عمر بن الخطاب : أبو بكر سيدنا ، وأعتق سيدنا يريد بلالا . وقال سلمان الفارسى لمن سأله عن أبيه : الإسلام أبى ، ! .

وأما ما يؤثر عن سيد التابعين سعيد ابن المسيب من رفضه مصاهرة عبد الملك ابن مروان ، فليس ذلك لأن ولده هجين بل لأنه قد اتخذ من الجبارين عمالا أمعنوا فى الظلم وأسرفوا فى القتل بغير الحق على علم ورضا منه ، وبذلك خلع لباس التقوى التى جعلها الله شعاراً لأوليائه ، فلم يره أهلاً لمصاهرته .

حازوا قصب السبق في تلك الحلبة الدينية المباركة، وقد رفع الإسلام أسامة كما رفع أباه زيداً حتى قال فيه سيد البشر، إن أسامة لأحب الناس إليّ، أو لمن أحب الناس إليّ، وقد سمته الصحابة حب رسول الله وجعلوا ذلك اسماً خاصاً به، وكانوا يستشفعون به عند الرسول في المطالب الهامة التي لا يتقدم فيها سواه. حدثنا البخاري في صحيحه قال: عن عائشة رضي الله عنها أن امرأة من بني مخزوم سرت فقالوا من يسلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فلم يجروا أحد أن يكلمه، فسكته أسامة بن زيد فقال: إن بني إسرائيل كان إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه، لو كانت فاطمة لقطعت يدها.

إن عدالة الإسلام قد رفعت بالكفاية الدينية أسامة بن زيد فوق رجل من صميم قریش ومن كتاب الوحي كان أبوه رئيس العرب في الكفر ثم كان هو رئيساً عليهم في الإسلام: هو معاوية بن أبي سفيان.

حدثنا بدر الدين العيني في شرحه على البخاري قال: جاءت فاطمة بنت قيس القرشية النهرية إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت له: يا رسول الله إن معاوية بن أبي سفيان وأبا جهم خطباني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما أبو جهم فلا يضع عصاه

لأن أدبه وثقافته حصل له من أعظم معلم وأكبر مرب هو سيد البشر صلى الله عليه وسلم وقد كان عطفه عليه فوق عطف الآباء على الأبناء، حتى إنه كان لا يكاد يفارقه، وقد يردفه خلفه إذا ركب لزيارة قريب أو عيادة مريض، روى عن عائشة رضي الله عنها قالت: عثر أسامة بأسكفة الباب (أى عتبه) فشج وجهه حتى سال الدم، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمصه بضمه ثم يمجحه ويقول: لو كان أسامة جارية لكسوته وحلته حتى ينقه، وكان رضي الله عنه أسود اللون أبوه أبيض، فظعن أهل مكة في نسبه حتى مر عليهما قائف، وقد بدت أقدامهما من تحت الغطاء، فأقر النسب. حدثنا البخاري في صحيحه قال: عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها مسروراً تبرق أسارير وجهه فقال: ألم تسمعي ما قاله المدلجى لزيد وأسامة ورأى أقدامهما: إن بعض هذه الأقدام من بعض.

سرفه ومزلة في قوم:

إن سيد البشر صلى الله عليه وسلم قد نسخ بقانون الإسلام مبادئ الجاهلية، وجعل ميدان التنافس بين البشر بالتقوى والعمل الصالح، فكان أسامة رضي الله عنه عن

عن عاتقه ، وأما معاوية فصعلوك لا مال له ، انكحى أسامة بن زيد ، فكرهته ، ثم قال « انكحى أسامة ، فنكحته ، لجعل الله فيه خيراً كثيراً .

وقد فرض عمر بن الخطاب لأسامة في العطاء خمسة آلاف وفرض لولده عبد الله ألفين فقال له : يا أبت أراك قد فضلت على أسامة ابن زيد وقد شهدت ما لم يشهد ، فأجابه عمر بقوله : « إن أسامة وأباه كانا أحب إلى رسول الله منك ومن أبيك ، !

إمارة:

كان النبي صلى الله عليه خبيراً بأحوال الذين يقدمهم الأعمال فكان يسند إليهم ما يتفق وكفاية كل منهم ، وقد نشأ أسامة بن زيد مدرباً على الفروسية مبرزاً في الشؤون الحربية ، فلما بلغ عمره ثمانى عشرة سنة قلده الرسول إمارة الجيش في السنة الحادية عشرة لأربع بقرين من صفر ، وأمره أن يسير إلى الشام حيث قتل والده زيد . وكان معه من كبار المهاجرين والأنصار أبو بكر وعمر وسعد . حدثنا البخارى في صحيحه قال : بعث النبي صلى الله عليه وسلم بعثاً وأقر عليهم أسامة بن زيد ، فقطع بعض الناس في إمارته فقال صلى الله عليه وسلم « إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم

تطعنون في إمارة أبيه من قبل ، وأيم الله إن كان خليقاً للإمارة ، وإن كان لمن أحب الناس إلى ، وإن هذا لمن أحب الناس إلى بعده .

على أن هذا الجيش قد تخلف عن مهمته ولم يسافر به أسامة ، لأن الرسول قد اشتد عليه المرض ، ولكنه أوصى أن يقوم تحت إمرة أسامة ، فلما توفي الرسول وتمت البيعة لأبي بكر كان أول ما بدأ به هو إنفاذ ذلك الجيش وعاد بعض القوم إلى حديثهم فلما علم أبو بكر بذلك وأدرك ما في نفوسهم من الانانية والكبرياء الباقين من تراث الجاهلية قام إلى الجيش حتى شيعه ما شيا على قدميه وأسامة راكب ، فقال أسامة : (يا خليفة رسول الله لست ركبناً ولا نزلان ، فقال أبو بكر : « والله لا ركب ولا نزلت ، وما على أن أغبر قدمي ساعة في سبيل الله ، ثم قال له : « إن رأيت أن تعينني بعمر فافعل ، فلما رأى القوم أبا بكر ماشياً في ركاب أسامة وسموه يستأذن في تخلف عمر ، لم يجدوا بداً من الخضوع للأمر فساروا مع قائدهم أسامة بن زيد حتى نزلوا بأرض العدو ، وهناك أيدهم الله وآزرهم حتى فازوا بالغنيمة ، وعادوا بالنصر بعد أربعين يوماً .

مَائِقَةُ الْعَزَلِ الْإِسْلَامِيِّ

عقيدة الذات الإلهية في الإسلام

للأستاذ عباس محمود العقاد

بين وجهات الاعتقاد والتفكير منذ القرون وبين هذه الوجهات منذ أوائل العصر الحديث ، مع التناقض بينهما من بعض جوانبها والتشابه بينهما من الجوانب الأخرى . ولكن هذه الفوارق جميعا تنتهى عند المؤلف إلى فارق أساسى واحد : وهو فارق الإيمان بالربوبية فى ذات إلهية والإيمان بها فى معنى غير ذات ، كالمعنى الذى يقول إنه متمثل فى العقائد البرهمية الأولى .

ويحسب المؤلف أن الإيمان بالربوبية فى ذات إلهية من شأنه أن يدفع الأمم إلى طلب الغلبة على غيرها ، وأن طلب الغلبة ليس بالشعور الأصيل عند المؤمنين بالربوبية فى معنى ليست له ذات قائمة تريد وتفرد بالسلطان المطلق فى الوجود كله منذ القدم ، فإن نزعت الأمم إلى طلب الغلبة لم يكن منزعها هذا من قبل العقيدة الدينية ، بل يعرض لها من قبل الدوافع الحسوية الأخرى أو البواعث السياسية .

ورد البحث فى عقيدة الذات الإلهية عند أمم العالم خلال كتاب مطول ألفه الأستاذ نوروب Northrop وجعل عنوانه ملتقى الشرق والغرب The meeting of east and west متحريرا فيه تقريب وجهات النظر فى المسائل الجوهرية المختلف عليها بين أمم الحضارة العصرية وأمم الحضارات الموروثة . ويرى من عنوان الكتاب أنه مقصور على الملاقاة بين الشرق والغرب جملة واحدة من وجهة عامة ، ولكنه عند تفرع البحث يتحقق من صعوبة هذه الملاقاة قبل الملاقاة بين أمم المغرب على حدة ، وأمم المشرق على حدة فى أمور كثيرة تبرز بتلك المسائل الجوهرية . فلا بد قبل الملاقاة بين الشرق والغرب من التوفيق بين الحضارتين اللاتينية والسكسونية فى القارة الأوروبية ، ولا بد بعد ذلك من التوفيق بين قوى التفكير الديمقراطى وقواعد التفكير المطلق بين أمم تلك القارة ، ولاغنى فى هذه الحالة عن التوفيق

الإسلامية هي أصلح العقائد لإيمان الإنسان بالله في عصر التجارب الحسية والقوانين التي يسمونها أحياناً بالقوانين العلمية .

فلا نعرف ضلالاً في التفكير يذهب بالإنسان من مقدماته إلى تقيضها المقابل لها في الطرف الآخر ، كما ذهب هذا المؤلف من مقدماته الطويلة إلى نتيجته المعكوسة .

وأول ما يؤخذ عليه أنه ظن أن الإيمان بالربوبية معنى بغير ذات فكرة مستطاعة في الضائر الإنسانية أيا كان تعبيرها عن تلك الفكرة بكلمات العبادة أو مصطلحات الفلسفة .

فربما قال الفلاسفة الأقدمون من البراهمة أن الإله فكرة مجردة بغير ذات تقوم بها ،

ولكنهم لا يبدؤون الكلام في الخلق إلا ظهر من كلامهم أن هذا الإله ذات تريد وتقدر وتتقبل الأرواح المطيعة وترفض الأرواح العاصية ، وتتجلى تارة على مثال الرب الخالق وتارة على مثال الرب الحافظ ، وتارة على

مثال الرب المهلك أو المبيد ، وقد نقل عنهم أبو الريحان البيروني الذي اطلع على كتبهم بلغتها القديمة تفصيلات عقائدهم في الربوبية فأحسن نقلها كما ظهر بعد ذلك من ترجماتها إلى اللغات الأوروبية الحديثة بأقلام الثقات من علماء تلك اللغات هنوداً وأوربيين ، وما نقله عنهم أنهم يؤمنون بالإله برهمن ويعتقدون أنه المطلق الذي لا يوصف ، ولكنه يتجلى على أشكال من الآلهة والمخلوقات ، وأن بشن

والأمم التي تؤمن بالذات الإلهية هي عند المؤلف مجتمعة في أتباع الديانات الأربعة الكبرى : وهي الموسوية والمسيحية والإسلام والشتية Shintoism ديانة اليابان .

ويكاد المؤلف أن يجعل الإسلام قتل غيره مثلاً للديانات التي تؤمن بالربوبية في ذات إلهية ؛ لأن إيمان المسلم لم تتم فيه الملاقاة بالروح العلمية التي تولدت مع الزمن من إخضاع الحقائق للتجارب الحسية كما حدث في معظم الأمم الغربية ، ولا بد من تعديل هذه النظرة ليؤمن المسلم بالله على ضوء الأصول العلمية ولا يحتفظ بإيمانه كما كان في عهد النبي محمد صلوات الله عليه .

ويتساءل قائلاً : هل من المعقول أن ينتظر من ثمانين مليون مسلم في الهند على هذه العقيدة أن يلاقوا جيرانهم على وفاق يطول أمده ، لمجرد استقلال الهند عن سلطان الدولة البريطانية ؟

نقول : إن ضلال التفكير عند هذا المؤلف على سعة اطلاعه وكثرة شواهد يترامى من ملاحظة واحدة يخرج بها القارى من كتابه ولا يحتاج إلى سند غير الأسانيد التي اعتمد عليها .

فلو أن المؤلف حجب النتيجة التي وصل إليها عن القارى ولم يصرح بها في بحوثه المتابعة مرة بعد مرة لجاز للقارى أن يفهم أن صاحبنا ألف كتابه ليثبت أن العقيدة

برجسون وسوام من يتفلسفون أو يستخلصون القوانين العلمية والنواميس الطبيعية .

وفى هذا العصر — على التخصيص — قد ثبت للعلماء أن التجربة العلمية لا تستطيع أن تقرر قانونا ينبئنا عن تصرف الكهرباء كيف يكون فى اللحظة التالية . فهذا الجزء الصغير الذى تألف منه المادة كلها وترتب حركاتها جميعا على حركته داخل الذرة وخارجها مجهول الحركة كل الجمل ولا يمكن الحكم عليه إلا على وجه التقريب قياسا على إحصاء المصادفات ، وليس هناك من قانون على معروف غير المقابلة بين هذه المصادفات ، وأخذها بالظن غدا كما أخذوها بالظن أمس وقبل أمس إلى نهاية الرصد المعلوم .

والعلماء القائلون بذلك أمثال ايسنر وهايزنبرج وشروينجر وغيرهم وغيرهم يضربون الأمثال لهذه القوانين الإحصائية ببعض المشاهدات اليومية التى تصور لنا كيف تتفق المصادفة مع التحقيق .

يقولون: مثلا إن شركة التأمين تستطيع أن تبني حسابها وتنظم عملها وتجنّب أرباحها من تقدير نسبة البيوت التى ستعرض للحريق بواحد فى الألف من جملة البيوت ، ويصدق حسابها على وجه التقريب فيحترق أثناء السنة مائة بيت أو نحو ذلك ، ولكن هذه الشركة لو سئلت عن بيت واحد معين بين هذه البيوت لم تستطيع أن تدل عليه قبل

Vishnu جعل نفسه أرضا وجعل نفسه ماء وجعلها نارا وجعلها قلوبا تنبض فى صدور الأحياء .

فليس هناك من فارق بين أصحاب العبادات فى تحقيق الذات للبنى الإلهى إلا أن الإسلام واضح متفق العقائد وأن القائلين بالبنى الإلهى الذى لا تقوم به ذات مريدة يقررون بالرأى ما ينقضونه بالشرح والتفصيل .

فإذا انتهينا من الإيمان بالذات الإلهية إلى الاختلاف على صفاتها فالإسلام يعطينا الصفات التى توافق حاجة الضمير إلى الدين فى جميع العصور ، وأخصها عصر القوانين العلمية بل عصر القوانين العلمية كما انتهت إليه عند أحدث المحدثين .

إن الضمير الإنسانى لا يطلب الإيمان ليتحول به مع كل تجربة علمية إلى معنى من المعانى الإلهية ملفق على قياسه ومزاوله .

فليس من شئ يملأ العقل والضمير بالحيرة والاضطراب كما تملؤه تلك المقررات التى يلغى بعضها بعضا أو تتوقف صحة بعضها على صحة سواه ، فكلها من المعارف المضافة أو المعارف النسبية التى لا يقوم عليها ركن ثابت من أركان الإيمان والثقة بالوجود المطلق والحياة السرمدية .

إن الضمير لم يذهب فى طريقه الطويل إلى الثقة بمعنى الوجود ليفسرها تارة بمذهب داروين وتارة بمذهب كوبرنيكس وحيناً بمذهب كارل ماركس وحيناً آخر بمذهب

فإذا ينفع الناس بين هذه القوانين من إله « نسي » يتحول مع التجارب الحسية والفروض التي يسمونها بقوانين الطبيعة ؟ إذا كان للناس أن يحسوا بالحاجة الخاصة إلى الإيمان بالربوبية في ذات إلهية لها كمالها المطلق ومشيتها الباقية فحاجتهم في هذا العصر إلى تلك العقيدة أمس وأقوى من حاجتهم إليها في عصر الدعوة المحمدية ؛ لأن تزعم الأساس الذي يسند قوانين العلوم الطبيعية لم يثبت - عليا - كما ثبت في عصرنا هذا الموسوم بسمه التحقيق والتقرير .

هنا يشعر الضمير الإنساني بالحاجة إلى الإيمان بالكمال المطلق والحكمة الخالدة بين أشنات من المعارف والفروض كلها مضاف إلى غيره وبعضها ينقض بعضا في مدى عمر الإنسان . والإسلام يأذن للعلم أن يبدل فروضه الحسية كيفما شاء وشاء له تجارب الحس وضرورات الحياة الموقوتة ، ولكنه لا يأذن له ولا يضطره إلى تبديل إلهه كلها خرجت له تجربة جديدة من هذا المعمل أو ذاك وكلما قال قائل باسم العلم إنه يثبت هذا وينكر ذاك ، وليس وراء كل ثابت ومنكر إلا قلق الضمير ثم اعتماده على الوجود المطلق بين هذه النسب والإضافات « قل هو الله أحد الله الصمد ، ألا إنه بكل شيء محيط .

والله الذي يحيط بكل شيء ، وبكل زمن ، هو إله الإيمان ، وطلبة الإنسان ؟ .

عباس محمود العقاد

احتراقه . وهكذا يفعل العالم الطبيعي حين يقرر نسبة السكهرباء التي ستتحول من جسم معلوم مع المؤثرات الطبيعية الخاضعة للرصد والإحصاء ، فإن ذلك الجسم يحتوى ملايين الملايين من السكهرباء التي ترصد حركاتها على ذلك المقال فتعرف بالنتيجة النسبية ولا تعرف على التعيين والتحقيق في كل واحد منها ، وتلك هي القوانين الطبيعية كما يفهمها أساطين العلوم الطبيعية في هذا العصر الذي يظن الأستاذ نورثروب أنه جاء بالقوانين المصححة للدين . مصادفات نسجلها بموافقات الإحصاء على حسب العادة ، وليس فيها حقيقة واحدة تقيم الإيمان على قرار مكين ، وأين من طبيعة الإيمان قضية تقوم على مصادفات شركات التأمين ؟ . وندع القوانين الطبيعية وننظر إلى القوانين الاجتماعية التي يدعى لها أصحابها أنها محور التقدم والجلود في حياة الشعوب .

منذ خمسين سنة كان الأكثرون بين أصحاب هذه القوانين ينعون على الإسلام أنه دين جهود لأنه يعوق المعاملات الاقتصادية ولا يسمح بتنظيم المصارف والشركات لتجريمه قروض الربا وإنكاره لكل ربا الجاهلية على كل صورة من صورته البينة أو الخفية (١) فلم يمتص جيل على هذه الصيحة حتى سمعنا أصحاب قوانين أخرى يصيحون بأن رأس المال كله نكبة على الإنسانية وعائق من عوائق الحرية الكريمة والعمل النافع .

(١) انظر في : « بريد المجلة » من هذا العدد فتوى فضيلة الأستاذ الأكبر عن الدين .

بالأمس كانوا مِلَّةَ مَنْزِلِنَا
وكانما الصنْتُ الذي هَبَطَ
لِغفَاءِ الْمُخْمُومِ ، هَدَأَتْهَا
ذَهَبُوا ، أَجَلَ ذَهَبُوا وَمَسَكْنُهُمْ
لَمَنِّي أَرَاهُمْ أَيْتَمَا التَفَتَتْ
وَأُحْسُ فِي خَلْدِي تَلَاعِبُهُمْ
وَبَرِيقَ أَعْيُنِهِمْ ، إِذَا ظَفَرُوا
فِي كُلِّ رُكْنٍ مِنْهُمْ أَسْرُ
فِي النَّافِذَاتِ ، زَجَاجِهَا حَطَمُوا
فِي الْبَابِ ، قَدْ كَسَرُوا مَزَاجَهُ ،
فِي الصَّحْنِ ، فِيهِ بَعْضُ مَا أَكَلُوا
فِي الشَّطْرِ مِنْ مُنْفَاحَةِ قَضَمُوا
إِنِّي أَرَاهُمْ حَيْثُمَا أَتَجَهَّتْ
بِالْأَمْسِ فِي « قَرْنَائِيلِ » تَزَلُّوا

واليوم - ويح اليوم - قَدْ ذَهَبُوا
أَنْقَالُهُ فِي الدَّارِ إِذْ غَرَبُوا
فِيهَا يَشِيعُ الْهَمُّ وَالتَّعَبُ
فِي الْقَلْبِ ، مَا شَطُّوا وَمَا قَرَبُوا
نَفْسِي ، قَدْ سَكَنُوا ، وَقَدْ وَثَبُوا
فِي الدَّارِ ، لَيْسَ يُصِيبُهُمْ نَصَبٌ
وَدُمُوعَ حُرْقَتِهِمْ إِذَا غُلِبُوا
وَبِكَلِّ زَاوِيَةٍ لَهُمْ صَخَبٌ :
فِي الْحَائِطِ الْمَدَّهُونِ ، قَدْ تَقَبَّبُوا
وَعَلَيْهِ قَدْ رَسَمُوا وَقَدْ كَتَبُوا
فِي عُلبَةِ الْحُلِيِّ الَّتِي نَهَبُوا
فِي فَضْلَةِ الْمَاءِ الَّتِي سَكَبُوا
عَيْنِي ، كَأَسْرَابِ الْقَطَا ، سَرَبُوا
وَالْيَوْمَ قَدْ ضَمَّتْهُمْ دَحْلَبُ ،

* * *

دُمِي الَّذِي كَتَمْتُهُ جَلَدًا
حَتَّى إِذَا سَارُوا وَقَدْ تَزَعُوا
أَلْعَيْتُنِي كَالطِّفْلِ عَاطِفَةً
قَدْ يَعَجَبُ الْعُدَّةَالُ مِنْ رَجُلٍ
هِيَّاتَ مَا كُلُّ الْبُكَاءِ خَوَّرُ

لَمَّا تَبَاكَوْا . عِنْدَمَا رَكِبُوا
مَنْ أَضْلَعِي قَلْبًا بِهِمْ يَجِبُ
فَإِذَا بِهِ كَالْغَيْثِ يَنْسَكِبُ
يَبْسُكِي ، وَلَوْ لَمْ أَبْكِ فَالْعَجَبُ
لَمَنِي ، وَبَنِي عَزَمُ الرِّجَالِ ، أَبُ

الكتيب

نقد وتعرّيف

نار وأصفاد

(ديوان شعر للأستاذ محمود حسن إسماعيل)

بقلم الأستاذ محمد إبراهيم الجيوشي

على صاحب الديوان ، فقد رأينا له هذا الاتجاه من قبل ، في ديوان « أغاني الكوخ » ، الذي صدر سنة ١٩٣٤ وهو يصور حياة الريف والفلاح والطبيعة ، وفي سنة ١٩٣٨ صدر له ديوان « هكذا أغنى » ، وفيه يتحدث عن الرق الاجتماعي الذي اتخذه له مظهراً في ذلك الوقت في الصراع الحزبي وسيطرة الإقطاع ، وفي سنة ١٩٤٨ صدر له ديوان « ابن المعز » ، وفيه يتحدث عن الرق الإنساني. إذن فليس بغريب على صاحب « نار وأصفاد » أن يجعل من ديوانه وحدة متكاملة تدور في فلكها قصائده كلها .

والديوان مقسم إلى أربعة أقسام :

القسم الأول : نبي الحرية

القسم الثاني : في معارك الحرية .

منذ أشهر صدر ديوان « نار وأصفاد » يؤكد من جديد أن الشعر لم يتخلف عن ركب الحياة ، وأن القصيدة لم تترك معارك التحرير والبعث ، وتنغمس في الآهات وتضل بين الشكوى والآنين كما رمى الشعر بذلك أناس ؛ بل إن ديوان « نار وأصفاد » جاء ينفي هذه التهمة ويرد عن الشعر المعاصر مسبة التقصير عن المشاركة في معاركنا الوطنية .

وقد اتخذ صاحب الديوان من الحرية وحدة تدور حولها قصائده ديوانه بأسرها .

فهو لم يكتف بأن يجعل من القصيدة وحدة حتى تخطى ذلك إلى ما هو أعمدى بأن

جعل الديوان كله وحدة تدور في فلكها قصائده كلها ، وليس هذا الاتجاه بجديد

القسم الثالث : فجر الحرية .

القسم الرابع : أغاني الحرية .

وقبل أن نمضى مع قصائد الديوان نحب أن نشير إلى أنه كان من الأوفق لصاحب الديوان - ما دام قد اتخذ من الحرية فكرة لديوانه - أن يجعلها عنوانا له كأن يسميه « فى موكب الحرية » أو يسميه ببعض أجزائه « أغاني الحرية » أو غير ذلك ، فإن هذه التسمية فما أظن أوفق وأدل على مقصد الشاعر وأهدافه . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإنك حينما تستعرض قصائد الديوان ترى الشاعر فى القسم الثانى الذى سماه « معارك الحرية » جاء بقصيدة أسماها « هادم الظلم » أنشدها فى المولد النبوى ، وتحدث فيها عن صاحب الرسالة وجانب من كفاحه . وكان الأولى بهذه القصيدة أن تضاف إلى القسم الأول ، نبى الحرية ، فإنها به ألصق ، فإذا ما أوغلت فى الديوان حتى القسم الثالث رأيت قصيدة بعنوان « عصا المعرى » ولم أستطع أن أهتدى إلى رابط يربط هذه القصيدة بقصائد القسم الذى جاءت فيه وكلها تتحدث عن معارك الحرية .

وتستطيع أن تدرك أى عاطفة كان يجمعهم بها صدر الشاعر وهو ينفث قصائده ، حينما نقرأ له فى مطلع الديوان هذه الأبيات الثائرة المنطلقة كالحلم المعبرة أصدق تعبير عن الثورة

الحبيسة التى كانت تضطرم بها النفوس فلا تجد لها منفذاً فتترد ضراما يحرق المشاعر ويفرى الأفئدة .

ولما تشاكى القيد خولى وأعولت
من الرق أيامى وضجت سلاسلى
وأخرس جلاد الطغاة قياثرى
وشلّ حديد المستقبل أناملى
ودوخ أرضى ظالم فصادها
بكففيه أحزان الربى والجداول
وجئت حوالى الحياة فدمعة
تقول لأخرى : ذاب فى التيه ساحلى
وحرب على القضبان غنى عذابه
وآخر حرب فى قيود المجاهل
ومزق أقوامى غريب فأصبحوا
وهم غربة تشقى بحزن المنازل
وأطرق غاي من ذهول وأوغلت
أفأى الآسى ، ترمى بسمّ المقاتل
تلفت فانساب الدجى من مزاخرى

مزامير ليل عن خطا الفجر غافل
والذى يلفت المتصفح للديوان أن الشاعر
حينما يتناول موضوعا من موضوعاته كثيرا
ما يكون غيره من الشعراء قد تناوله ، نجد
قد انفرد بجانب لم يلتفت إليه غيره من
الشعراء ، ولأناخذ مثلا على ذلك حديثه عن
النبي العربى ودعوته إلى الحرية والثورة على
الجنود ، وكثيرا ما أنشد الشعراء فى هذا المعنى

من حياة الوطن ، ولهذا تراه يلف كثيرا
ويدور ، ويتغلف بغلاف من الرمز يجعله
يجمع ولا يبين ، وترى ذلك في قصيدته
الموودة ، ويقصد بها الحرية ، تلك التي أغلقت
كل السبل دونها .

هلكت كل طريق نحوها
وانتهى بحى عنها للعدم
قيل لى فوق الشرى مسكنها

فضربت التيه واجتحت الظلم
وهو لهذا يسأل عنها كل مظاهر الحياة
عله يجد لها أثرا فيعجزه ذلك أيما عجز حتى
مظاهر الطبيعة أيضا فقدت حريتها مثل
الريح والنجم والطير . استمع إلى جانب من
تساؤله هذا :

كم سألت الريح عنها فشكت
برحها وانسربت فوق الجبال
ثم قالت : إننى طوافة
هكذا منذ تعلت الرجال
وخطامى فى يد مجنونة
تهب الأفق ، ولا تدرى المآل
وعصا عمياء تغتاب الصدى

لم تزل تنشد فى أرض الزوال
وهو وإن لم يستطع أن يبكى حرية
الإنسان الضائعة خشية البطش والعسف
فهو يبكى حرية الطبيعة الضائعة وينطلق
مع هلال شوال المبشر بالعيد يرى فيه ذلك

واتخذوا من هجرة الرسول نقطة انطلاق
لقصائدهم وخيالهم وطافوا بأحداثها ولكن
صاحب الديوان يقف عند حادث من أحداث
الهجرة ويستغله استغلالا يدل حقا على
الخلق والإبداع . استمع إليه حين يتحدث
عن نسج العنكبوت على فم الغار ، إنه يأبى
إلا أن يكون الحديث على لسان العنكبوت
فيقول :

أنا نسّاج الحصون الشم
من أوهى الستور
وقف الدهر على بابى
مذعور
وحجاب الشمس لاقانى
بأجفان الضير
والضحى خزر كليل
فوق أعتابى أسير
أنا شك جاء يحمى
كل إيمان الدهور
ولا يملك المرء أن يمسك دهشته من هذه
الصور المتتابعة فى قوة وتماسك تتدرج فى
السمو حتى تبلغ الغاية فى قوله :
أنا شك جاء يحمى

كل إيمان الدهور
ومن السهل أن تدرك أن الشاعر فى القسم
الثانى من ديوانه كان كلاكيد المغلول حينما
يتحدث عن الحرية ، وضياها فى هذه الفترة

الأحذب النشوان يطل مبتسماً ساخراً عما يعاينيه
 الشرق من قيود ، ويدفعه خوف البطش إلى
 الحديث عن الهلال حديثاً معجباً شائقاً .
 من الأحذب النشوان طاف العوالم
 وأوما إلى الشرق المصفد باسماء ؟
 يدب على ساق من النور لم تدع
 على الأرض ركننا مظلم الأفق واجماً
 ويمشى كما يمشى نسي مبشر
 بوحى ، يزف الخطو كالطيف حالماً
 ويرنو كما يرنو إلى الله عابد
 يكاد من الإصغاء يحسب نائماً
 له قامة أحنت يد الدهر عودها
 فهل كان شيخاً من حى الخلد قادماً ؟
 وهذا الباب من الديوان يتنقل مع معارك
 الحرية فى الشرق العربى كله من المغرب
 والجزائر إلى ضفاف النيل وبطاح فلسطين
 وهو وإن خص معارك النيل مع المحتلين
 بفيض من قصائده إلا أنك تلح فيها كما قلنا
 الخوف من عصا البطش والعسف . ولكنه
 يزايه هذا الخوف إن تحدث عن فلسطين
 أو الجزائر . استمع إلى بعض ما قاله فى
 قصيدة خيمة البهتان التى يتحدث فيها عما يعاينيه
 اللاجئين من قسوة هؤلاء الذين يتظاهرون
 بالعطف عليهم وتقديم يد المعونة إليهم .
 هنا فى كبوة الأقدار بين السيل والويل
 وبين عواء شيطا ن طريد الجن محتل
 يقعق للرعود السو د مأخوذاً من الهول
 سمعت خفيح ثعبا ن على رتقى منسل
 تدقق جسمه المقرو ر بين حفائر السل
 وبين شتاء بستان بدفء الموت مخضل
 وإذا ما انتقل الشاعر إلى القسم الثالث من
 ديوانه ، ذلك الذى يتحدث فيه عن فجر الحرية
 وتهزج قوافيه مع ثورة البعث تراه ينطلق
 فى قوة ووضوح تلح فى قوله لإصرار الحر
 وأنطلاقه فيقول :
 وإذا صوت على الوادى له
 فجأة الصور وإصرار القدر
 من دموع الكوخ ، من أشجانه
 ولياليه ، الضيريات البصر
 من حديد الفأس ، من نقرتها
 وهى تروى عن مأسيا العبر
 من أسى الفلاح فى إطراقه
 فى الثرى وهو شقى مصطبر
 من فم المظلوم ، من دعوته
 وهى كالغيب إلى الله تفر
 من جراحات الضحايا ساقهم
 نافخ للحرب كذاب أشر
 من كفاح الشعب ، من وقفته
 بين إقطاع تمطى وفجر
 زار الصوت الذى هز الورى
 ومضى للقيد حرأ فانكسر
 وكما كانت الثورة نقطة انطلاق رعى الشاعر

كنت إشعاعاً الضحى ، وهو جات
راكع العقل ضارع لقناتي
إلى أن يقول :

ردنى فارس العروبة للشمس
ودك الحدود من طرقات

ومضى ينسج الضياء لوجهي
ويخوض المعارك الداميات
والقصيدة متماسكة أخذ بعضها بحجز بعض
بحيث يصعب عليك كثيراً أن تأخذ بعضها
وتترك البعض الآخر .

ولاشك أن الديوان زاخر بالآيات
الفنية التي تدل على رسوخ قدم الشاعر
وعلو كعبه ، وقد كان الشاعر يطالع
الناس بين وقت وآخر من خلال المجلات
التي كانت تقود الحركة الأدبية في العقد الماضي
من هذا القرن وفي مقدمتها الرسالة ، فلما حيل
بين الرسالة وقراءتها ، أحس عشاق الأدب
والشعر بفراغ كبير في حياتهم الأدبية وتعال
الهمسات بتخلف الشعر عن الركب ، ولكن
الديوان كما قلنا جاء رداً قاطعاً على هذه الفرية ،
وأن القضية قضية النشر لا قضية الشعر .

وبعد : فإن كان لنا من ملاحظة نبديها
على بعض ما ضمنه الديوان من قيم فنية ،
فهو حشد الشاعر لطائفة ضخمة من الصور
بملا يتحملها الموضوع الذي قيلت فيه ،
وأماي وأنا أبدى هذه الملاحظة قصيدة . .

(البقية على صفحة ٥٢٩)

فيها قيود الرمز وجابه الشمس في مثل قوتها
ووضوحها ، كانت كذلك الوحدة ، فقد غناها
أجل الأغنيات وأعذبها وأقواها ، وانطلق
يتغنى بالأبحاد العربية ويقف في ساحتها
الخالدات يعدد مواقفها ويشيد بأيامها .
وقد وجد في مؤتمر الأدباء بالسكويت
في ديسمبر سنة ١٩٥٨ مجالا رحبا يعبر فيه عن
آماله وأبحاد أمته في حلبة كلما تهتف بمجد
العرب ، فأنشد قصيدته . . راية الوحدة :

وإذا راية تمس يد الشمس
وتمضي لسدة النيرات

نفضت عن جبينها حسرة الذل
ل وداست على جبين الطغاة
قلت : من أنت ؟ فأنبرت تحصد

الصمت ، وتروى العظائم الخالدات
أنا بنت الوليد ، بنت صلاح الدين

بنت الملاحم الخالدات
البطولات نورت بين كني

وشع الضياء من عتباتي
والنبوات أشرفت فوق أرضي

وأضاءت بنورها قسائي
وقف الغرب خاشعا عند بابي

واستمد الوجود من راحاتي
ورمت خيمتي على الكون فجرا

صد عنه الغواشي الخالسات
أنا بنت النجوم والغرب يدرى

قصتي من عصوره المظلمات

بريد المجلة

يعود بالخير والرفاهية على البشرية . ودعم السلام العالمي .

وانني لأبعث إليكم بأطيب تمنيات الصحة والعافية ؟ جمال عبد الناصر

وأرسل فضيلته إلى سيادة الرئيس البرقية التالية لمناسبة عودته من هذه الرحلة الموفقة :

السيد / الرئيس جمال عبد الناصر

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد :
فقتقبلك أمك الحنون الجمهورية العربية المتحدة بعد أن نشرت في الأمم المتحدة كلمتها ، ورفعت رايتها وأعلنت رسالتها مدوية في الغرب تطلب للإنسانية السلام والطمأنينة والتعاون على التعايش السلي ، بحمد الله تستقبلك على سلامة وصولك ، ونرجو لك دوام التوفيق حتى تأخذ بيد الإنسانية العامة إلى أقصى درج السلام .

وإني أتهنئ هذه الفرصة باسم الأزهر علمائه وطلابه وموظفيه فأبعث إلى سيادتكم بالتهنئة على هذه النهضة الكبرى التي هيأ الله لسيادتكم سبلها . دمت مدافعا عن حقوق الإنسانية ورائدا للعروبة وقوة دفاعة لفضائل السلام والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟ محمود شلتوت

بين الرئيس جمال عبد الناصر

والأستاذ الأكبر :

أرسل فضيلة الأستاذ الأكبر إلى السيد الرئيس جمال عبد الناصر البرقية التالية لمناسبة رحلته في سبيل السلام :

السيد / الرئيس جمال عبد الناصر

رئيس الجمهورية العربية المتحدة سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد :
فنرجو لسيادتكم التوفيق في السفر والإقامة والحل والترحال ، وأن يجعل الله من هذه الرحلة المباركة خدمة للإنسانية وإقراراً للسلام العالمي تحقيقاً لدينه القويم في رعاية الله وحصانته .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

محمود شلتوت

وقد تلقى فضيلته الرد الآتي من سيادة الرئيس :
فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد :
فقد تلقيت بسرور برقيتكم التي حملت إلى جميل مشاعركم ، وصداق تمنياتكم بمناسبة سفري لحضور دورة الجمعية العامة للأمم المتحدة .
راجياً أن يوفقنا الله جميعاً في كل عمل

وتلقى فضيلته الرد التالى من سيادة الرئيس :
فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت
شيخ الجامع الأزهر
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :
فإني أبعث إليكم بأخلص الشكر على
برقيتكم التي حلت إلى كريم التهاني وصادق
المشاعر بمناسبة العودة من الخارج ، وإنا
لنحمد الله العلى الكبير على ما أفاء علينا من
فضل ، إذ وفقنا في الجهاد من أجل السلام
ونصرة الحق ، وحرية الشعوب وسيادتها .
وإني لأعرب لكم عن أطيب التمنيات
بموفور الصحة والسعادة راجيا للسادة علماء
الأزهر وطلابه وموظفيه كل توفيق
وسداد

جمال عبد الناصر

موجه من الامم في إندونيسيا :

الإسلام هو دين الأمة الإندونيسية لإفقات
قليلة منها دين بالبوذية والمسيحية والهندوكية .
والذى نعلمه أن هذه الأمة العظيمة وعلى
رأسها الرجل المؤمن الصالح أحمد سوكارنو
تؤمن بدينها كل الإيمان وتحرس عليه كل
الحرص ، ولم يستطع الاستعمار الهولندى
على طول مدته وشدة كيدته أن يفتنها عنه
ولا أن يشككها فيه . ولكن بعض الناس
هناك قد اعتقدوه من غير يقين وتلقوه من
غير فهم خال في نفوسهم المربضة إلى عقيدة

مسوخة تقبل الزيغ وتحق الباطل وتموه
على الناس دين الله بالأراء الضالة والبسوع
الدخيلة ، حتى هجموا في هذه الأيام على ضمائر
المسلمين بنحل إلحادية هدامة إذا غفلت عنها
الدولة الإندونيسية ولم تنهض لها الجامعة
الأزهرية تكشف عن خطر كبير يصيب
الإسلام والمسلمين في هذه الأمة العزيزة .
فقد جاءنا من سفارتنا في إندونيسيا
مذكرتان تعلنان هذا الخطر بظهور أديان
جديدة أضلت بعض الناس وأحدث بعض
الحوادث نلخصها فيما يأتى : -
ظهر في إندونيسيا فى الآونة الأخيرة
دينان جديان :

الميرى الأول (ساينا دهارما) :

ومعناه الالتزامات السبعة وهى الولاء
للبلانتشاسيلا الإلهية وأن الله سام فى كل شىء
وخالد ، ومن عقائدها الدين عدم خرق أى
قانون للدولة والاشتراك الإيجابى فى صيانة
الدولة والأمة ، والاستعداد الدائم لمزيد
المساعدة للآخرين والقدرة على الاعتماد على
النفس ، واليقين بأن الظروف الدنيوية ليست
خالدة الصفات وإنما تعرض دائما للتغيرات .
ولهذا الدين تعاليمه الخاصة بالزواج والوفاة .
وصرح الكابتن سوسميارتو أحد الداعين
إلى هذا الدين أنه لايجب قمع عقائدها الدين لما

شوهدهوا في أوضاع مخجلة يزعمون بذلك أنهم يتقربون إلى الله .

وقد أعلن رئيس هذه الجماعة ويدعى « نواوى » نفسه نبياً .

وقد حدث صدام بين أتباع هذا الدين ورجال الجيش حين أوفدت القيادة قوة منها للتحقق مما بلغهم عن هذا الدين فهاجمها أتباعه بالعصى والسكاكين حتى قتل قائد القوة ، وفي اليوم التالى أرسلت القيادة قوة أكبر قوبلت بمقاومة شديدة من أتباع هذا الدين وإن كانت قد تمكنت فى النهاية من تشتيتهم فى الجبال بعد أن قتل منهم ٢٢ شخصاً من بينهم نبيهم نواوى ، وقتل خمسة من أعضاء القوة ، كما سلم ثلاثون شخصاً من معتنقى هذا الدين أنفسهم للسلطات .

* * *

كذلك ظهرت بالقرب من « باندونج » نخلة من بين المراسم التى يقوم بها أتباعها أعمال تمس الدين الإسلامى كوظء القرآن الكريم بالأقدام ، ويدعى زعيم هذه النخلة الشريرة أنه إله قدير مقدس يشفى المريض ويرى الصم والبكم . ولا بد أن يتعرض المتقدم لعضوية هذا المذهب لبعض اختبارات قاسية كوضع أسلاك كهربائية محملة بالتيار الكهربائى فى مواضع مختلفة من جسمه ، فإذا تحملها قبلت عضويته . ويؤدى أتباعه مراسمهم مساء كل يوم جمعة وأحد وسط

فى إندونيسيا من حرية دينية ، وإذا ارتسكب أحد أتباع هذا الدين جرماً فلا يجب اعتبار ذلك الجرم متصلاً بمذهبه الدينى ، وإنما يجب اعتباره عملاً فردياً خاصاً ، وأن عقائد هذا الدين لا تخرق قوانين إندونيسيا ولا تخل بمبادئ الأخلاق .

وصرح هذا الكاتب بأن عدد أتباع الدين الجديد حتى الآن عشرة آلاف ، وقد طلبوا من الحكومة الموافقة على قانونية قيامه . وقد أعلن رئيس الشؤون الدينية فى جنوب سومطرة أن إمكانياته لا تمكنه من الوقوف فى وجه هذا الدين ، مما يدل على سرعة انتشاره .

والربع الثانى : مميزات :

وقد ظهر هذا الدين فى منطقة سوكابوى بجافة الغربية وشوهد بعض أتباعه فى مدينة بوجور على بعد نحو ستين كيلومتراً من العاصمة الإندونيسية ويوجب هذا الدين على معتنقيه أن يؤدوا فروضهم الدينية فى المسجد فى عرى تام إذا ما أرادوا التقرب إلى الله .

وقد اكتشف أمر هذا الدين الجديد فى ليلة عيد الاضحى من هذا العام (٦ / ٤ / ٦٠) حين نعى إلى قيادة الفرقة الرابعة أن هذا الدين منتشر فى قرية « شى روبروم » بمنطقة سوكابوى وأن ثمة جماعة مجتمعة فى مسجد القرية وهم عراة - رجالاً ونساء - وأنهم

في غرب جاوه بأن أكثر من مائة حركة دينية انتشرت خلال عام ١٩٥٩ وأن كثيراً منها يعتبر حركات ضارة يأتي أتباعها بأعمال منافية للنظام العام والآداب ، من ذلك أن أحد زعماء إحدى هذه الحركات تسبب في وفاة بعض المرضى وإلحاق كثير من الأذى بآخرين بادعائه القدرة على شفاء الأمراض ، وأن بعض هذه الحركات يقتضي القيام بأداء طقوس تقناني مع الأخلاق ، ويسبب البعض الآخر تشويشا لافكار العامة .

وذكرت الإدارة أن تحرياتها أثبتت أن هذه الحركات الدينية تنبع من أحد المصادر الآتية : —

- (أ) الرغبة في فرض شيء من النفوذ الشخصي على الأفراد .
 - (ب) العمل على زيادة الشعور بخودين معينين .
 - (ج) نشاط بعض الأحزاب السياسية تدفعها مؤثرات خارجية للعمل على نشوء حركات دينية هدامة .
 - (د) الرغبة في الحصول على ربح مادي .
- وانتهى المتحدث من تصريحه إلى أن الإدارة أرسلت إلى وزارة الشؤون الدينية بجاكرتا اقتراحات لمواجهة هذه الحركات الدينية الهدامة لإحالتها إلى مكتب المدعى العام لاتخاذ الوسائل التنفيذية للحد منها . كما أن الجيش اتخذ خطوات هامة في هذا الشأن .

الصيحات المنفرة ، ثم يتبعون ذلك بشرب الخمر حتى يغيبوا عن وعيهم . وقد انضم لعضويته بضع مئات من أهالي المنطقة ولم يعرف اسم رئيس هذه الطائفة بعد .

وقام طبيب يدعى الدكتور د صالح ، في جاوة الوسطى بالإعلان عن مذهب ديني جديد يزعم أنه تفسير جديد للإسلام مؤداه أن المسلمين طبقتان : طبقة العلماء وطبقة الشعب وأن العبادة مفروضة على الطبقة الأولى لحسب ، أما الشعب فيكفيه أن يقوم بأعماله التي يتعيش منها ، وأن مجرد قيامه بهذه الأعمال عبادة .

وقد هاجم السيد وهيب وهاب وزير الشؤون الدينية في إندونيسيا أحد الأديان الجديدة التي ظهرت تحت اسم الإسلام الأبيض ، وصرح بأن الهولنديين كانوا يعملون على إيجاد مثل هذه المذاهب وأبدى عجبه من سكوت الجمعيات الإسلامية عن مهاجمة مثل هذه المبادئ والحركات الدينية ، وتهكم عليها قائلاً : إنها ربما كانت مشغولة عن الدين بالشؤون السياسية وأضاف أن من واجب هذه الجمعيات العمل على نشر التعاليم الإسلامية الصحيحة ، وأن على المدعى العام أن يتخذ من الإجراءات ما يراه كفيلاً بالقضاء على هذه المذاهب ومنع ظهورها مستقبلاً .

كما صرح المتحدث باسم إدارة الشؤون الدينية

من البنوك بفائدة محددة يتقاضاها البنك هل هو من الربا المحرم ؟ وما حكم اقتراض الدولة شرعا من بنك أو من دولة أخرى بفائدة؟ وما حكم النظام المالى المعروف بالأسهم والسندات والفرق بينهما ؟ .

وقد أجاب فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر عن هذه الأسئلة بما يلي :

لا شك فى أن القرآن عندما حرم على المؤمنين التعامل بالربا حددده بالعرف الذى نزل فيه القرآن ، أى بالدين يكون لرجل على آخر ، فيطالبه به عند حلول أجله فيقول له الآخر: آخر عني دينك وأزيدك على مالك فيفعلان ذلك ، (وهو الربا أضعافا مضاعفة) فنهام الله عنه فى الإسلام .

وواضح أن هذا الصنيع لا يجرى عادة إلا بين معدم غير واجد ، وموسر يستغل حاجة الناس غير مكترث بشئ من معاني الرحمة التى يبنى الإسلام مجتمعها عليها ، والتى لو عدمت فى المجتمعات لأصبحت كبقية الحيوانات المفترسة . وهذا النوع من الربا لا تقبل إنسانية فاضلة الحكم بإباحته . وقد قابل القرآن الكريم حرمة فى جميع الآيات التى وجد فيها بالصدقة التى تبذل فى مساعدة الفقير المحتاج ، وتشير هذه المقابلة إلى أن تلك الحالة كان جدير بها أن تجرى فيها الصدقة ،

وصرح الدكتور جواندا الوزير الأول أنه نظراً لما للدين من دور هام فى حياة إندونيسيا فإن كل ماله علاقة بالدين سوف يخضع لعناية الدولة .

هذا وقد تقرر إعادة تنظيم الرقابة على النشاط الدينى حتى تعمل على الحد من انتشار هذه الحركات التى تظهر تحت اسم الدين وتسمى إلى النظام العام وقواعد الأخلاق . والتى تعتقد أن الغرض الأساسى منها هو النيل من الإسلام ومحوه من هذه البلاد - وقد نيّطت رئاسة هذه الرقابة إلى مساعد النائب العام كاداروسمان ، ويتكون أعضاؤها من ١٨ عضواً من ممثلى الهيئات المدنية والعسكرية ، وستقوم بإصدار مآتراه من قرارات خاصة بمنع انتشار هذه الحركات وحماية الشعب من أضرارها .

ومن المعلوم أن الحكومة لاتقف ضد انتشار المذاهب والأديان الجديدة إلا إذا صدر عن هذه الحركات ما يخل بالآداب والنظام والأمن ، أو إذا كان فى وجودها خطر على الحكومة وذلك استناداً إلى الفقرة الثانية من المادة التاسعة والعشرين من دستور عام ١٩٤٥ المطبق حالياً والتى تكفل حرية الأديان والعقائد .

الربا الذى نزل فيه القرآن :

يسأل السيد محمد ناجى المهندس عن حكم تحديد الربا وعن الاقتراض

كما نعلم ، تشدد حاجتهم في زراعتهم وإنتاجهم إلى ما يهيئون به الأرض للزراعة ، والحكومة ، كما نعلم ، تشدد حاجتها إلى مصالح الأمة العامة ، وإلى ما تعد به العدة لمكافئة الأعداء المغيرين ، والتجار تشدد حاجتهم إلى ما يستوردون به البضائع التي تحتاجها الأمة وتعمربها الأسواق . وزرى مثل ذلك في المصانع والمنشآت التي لا غنى لمجموع الأمة عنها والتي يتسع بها ميدان العمل فتخفف عن كاهل الأمة وطأة العمل العاطلين . ولا ريب أن الإسلام الذي يبنى أحكامه على قاعدة اليسر ورفع الضرر والعمل على العزة والتقدم وعلاج التعطل ، يعطى للأمة في شخص هيئاتها وأفرادها هذا الحق ، ويبيح لها — ما دامت مواردنا في قلة — أن تقترض بالربح ؛ تحقيقاً لتلك المصالح التي بها قيام الأمة وحفظ كيائها .

تقدير الحاجة :

غير أني أرى أن يكون تقدير الحاجة والمصلحة مما يؤخذ عن (أولى الرأى) من المؤمنين القانونيين والاقتصاديين والشرعيين ويكون ذلك في ناحيتين : ناحية تقدير الحاجة ، وناحية تقدير الأرباح ، واختيار مصادر القروض ، فلا يكون قرض إلا حيث تكون الحاجة الحقيقية ، ولا يكون قرض إلا بالقدر المحتاج إليه ، ولدفع الضرورة والحاجة ،

وهي التبرع المحض ، فإن لم تكن صدقة فلا أكثر من الرد بالمثل ، ومن النظرة إلى الميسرة : « يحق الله الربا ويربى الصدقات ، لا تظلمون ولا تظلمون ، وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة ، وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون ، أما الزيادة والمضاعفة فيها فهما ظلم وعدوان ، وهما من موجبات المقت والغضب عند الله : « واتقوا النار التي أعدت للكافرين » .

والفقهاء تمثيلاً مع توسيع نطاق الزاحم والبعد عما يفتح على الناس باب الزاحم المادى في الضغط على أبواب الحاجات ، توسعوا كثيراً فيما يتناوله الربا ، وكان لهم في ذلك مشارب مختلفة وآراء متعددة ، ورأى كثير منهم أن الحرمة فيما يحرمون تناول المتعاقدين مع المقرض والمقترض ، وإنى أعتقد أن ضرورة المقرض وحاجته مما يرفع عنه إثم ذلك التعامل لأنه مضطر : أو في حكم المضطر ، والله يقول : « وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه » .

وقد صرح بذلك بعض الفقهاء . فقالوا : يجوز للبحاج الاستقراض بالربح .

وإذا كان للأفراد ضرورة وحاجة تبيح لهم هذه المعاملة ، وكان تقديرها مما يرجع إليهم وحدهم وهم مؤمنون بصيرون بدينهم فإن للأمة أيضاً ضرورة أو حاجة ، كثيراً ما تدعو إلى الاقتراض بالربح ، فالزادعون

على أن المقال قد أثار في صدرى لاجئاً من الأسى ، إذ ذكرنى بمالم أنسه بعد من تهجم منسكراً قام به مدرس للأدب في ثانوية رسمية من الإقليم الشمالى على اسم صلاح الدين .. وما أحسبني إلا معذوراً إذا أنا . أسيت لمثل هذا التناقض العجيب يقع بين ما قرأناه في مقال الدكتور بدوى عن عظمة صلاح الدين ، وما د نطقه ، هذا الأستاذ من الإلزام بمقام صلاح الدين ... ولعل مما يثير الدهشة أن حديث هذا التهجم قد ملأ أسماع المثقفين والمدرسين ، حتى إن موظفاً غير صغير قد فأنحنى بأنه تلقى خبره وهو في دمشق .

ولقد رأيت من واجبى الأدب والشعبى أن ألقت نظر المستولين إلى الموضوع رجاء أن يوضع حد لمثل هذه الشعووية السامة ، يحصن طلابنا المساكين من ضرورها ، ويصون لمقدساتنا القومية الشائخة مكاتها في تلك القلوب الغضة .

وها أنذا أضع قضية هذا التهجم المنسكراً بين يدى هيئة الأزهر ، وشيخها الأكبر ، ومجلتها الموقرة ملتمساً نشر هذه الكلمة ليطلع عليها الرأى العام بعد الرأى الرسمى .

أبو هسان

مدرس للأدب العربى

اللاذقية - الإقليم الشمالى

ولا يكون قرض إلا من جهة تضمير استغلالنا واستعمارنا ولو أن الأمم الإسلامية تكاففت على وضع أساس اقتصادى يحقق مصالحها ، ويقبها شر التحكم الأجنبى لوجد من مبادئ الإسلام الاقتصادية ما يجعلهم في مقدمة الأمم اقتصاداً وقوة وحضارة . أما الفرق بين الأسهم والسندات فهو أن الأسهم من الشركات التى أباحها الإسلام باسم المضاربة ، وهى التى تتبع الأسهم فيها ربح الشركة وخسارتها ، وأما السندات ، وهى القرض بفائدة معينة لا تتبع الربح والخسارة ، فإن الإسلام لا يبيحها إلا حيث دعت إليها الضرورة الواضحة التى تفوق أضرار السندات التى يعرفها الناس ويقررها الاقتصاديون .

محمد شلتوت

معركة بيت المقدس :

اطلعت على المقال الممتع الذى كتبه الدكتور أحمد بدوى عن (معركة بيت المقدس وأثرها فى الأدب) وذلك فى عددى الربيعين من عام ١٣٨٠ هـ فكان لذلك أثره العميق فى نفسى إذ وصلنى من جديد بماضى الجهاد العظيم الذى ينهض به بطل الإسلام أبو المظفر صلاح الدين الأيوبى رضى الله عنه وأرضاه ، وجزاه عن أمة محمد حتى تقوم الساعة خير ما يجزى عبقرى وقف مواهبه على صيانة دينه واستمقاذ مقدساته .

أَنْبَاءُ الثَّقَافَةِ

- * بوجه فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر الدعوة إلى علماء المسلمين وأهل الرأي فيهم لعقد مؤتمر إسلامي عام في القاهرة في شهر يوليو من سنة ١٩٦١ .
- * وتشترك وزارة الأوقاف في تنظيم المؤتمر والدعوة له .
- * تطبع قريباً ، آيات الدعاء في القرآن ، وهي تجريد الآيات القرآنية الكريمة الواردة في الدعاء والتوجه إلى الله . وقد قام بتجريدها فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر . ويطبع منها عدد كبير يوزع على الهيئات في البلاد الإسلامية والعربية والإفريقية .
- * وضع مشروع لإنشاء دار جديدة للكتب الإسلامية والعربية على أن تكون أضخم دار في البلاد العربية كلها .
- * قبل فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود

(بقية المنشور على صفحة ٥٢١)

- والله والشرق ، التي يتحدث فيها عن ملهامة الاستعمار ومحاولته صرف الناس عن قضيتهم ببعض المظاهر الخادعة ، والشاعر يبدأ القصيدة بالاستغاث بالله من إطباق الدجى :
- رباه ضاع السر من يدينا
وأطبق الليل على عينينا
ولم أجد فوق الحياة شيئاً
يطفي العذاب الهادر الخفياً
إلا ندائي في الدجى يارب
- وقد تعجب حينما تراه يعقب ذلك بمزج هذا الجوا الصارخ من ظلم الحياة بحديث الانعام والرحيق والأكواب والشراب فيقول :
- طرقت بالانعام كل باب
وطفت بالرحيق والأكواب
ولم أدع أفقا بلا شراب
وعدت لا أحمل في عبابي
غير الآسى يسقى الآسى في قلبي
وبعد : فهذا ديوان « نار وأصفاد »
للشاعر الكبير الأستاذ محمود حسن إسماعيل
جاء يؤكد من جديد رسالة الشعر ويحفظ له مكانته .
- محمد إبراهيم الجبوسى

في معرفة الأواخر ، بلوغ المنى في تراجم أهل الغنى ، ذيل سلك الدرر ، عنوان الزمان في تاريخ الشيوخ والأقران ، معادن الذهب في الأعيان المشرفة بهم حلب ، إعلام الوری بمن ولی نائباً عن الأتراك بدمشق الكبرى ، تاريخ أعيان حلب ، نزهة الفسکر فيما مضى من الحوادث والعبر .

* في الأسبوع الأول من شهر أكتوبر الماضي احتفلت الأوساط الثقافية في العالم بذكرى مرور ٩١ سنة على ميلاد غاندى .

* يصدر الاتحاد السوفيتى دائرة معارف علمية لمناسبة مرور ٢٥ سنة على وفاة مكسيم جوركى . يشترك فيها كبار الأدباء والسياسيين في العالم والجمهورية العربية المتحدة .

* أرسل أربعة عشر طالبا من تايلاند إلى مشيخة الجامع الأزهر يطلبون إلحاقهم بكلیات الأزهر ومعاهده . وقد أمر فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الأزهر بقبول طلباتهم .

* يعقد بالقاهرة في يناير القادم المؤتمر الدولى الثانى للدراسات الجغرافية فى إفريقيا وآسيا .

* يقام فى شهر مارس المقبل بالقاهرة مهرجان

شلتوت رئاسة الشرف للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية الذى أنشأته وزارة الأوقاف .

وقد استقبل فضيلته السيد أحمد عبد الله طعيمة وزير الأوقاف وبعض كبار رجال الوزارة لوضع الأسس التى يقوم عليها عمل المجلس . وأصدر السيد الوزير قرارا بتعيين أمين عام للمجلس يعاونه سكرتير عام وسكرتير مساعد .

* يتقدم بعض رجال التعليم الذين عملوا فى الباكستان بمذكرة إلى الجهات المختصة فى شأن توثيق العلاقات الثقافية بينها وبين الجمهورية العربية المتحدة .

ومن المقترحات فى هذا الشأن إنشاء مراكز إسلامية وثقافية فى كل من كراتشى ولاهور ودكان ، واختيار نحو خمسين من مدرسى اللغة العربية للإشراف على تدريسها فى مدارس الباكستان . واختيار عدد آخر من العلماء لشرح أصول الدين لأهل البلاد ، واستقدام النابهين من أبناء باكستان لإتمام دراستهم فى الأزهر وجامعات الجمهورية العربية المتحدة .

* يعمل المجلس الأعلى للفنون والآداب على تحقيق ونشر مجموعة من الكتب التاريخية القديمة منها : ارتياح الخواطر

✽ عقد في موسكو في شهر أغسطس الماضي مؤتمر المستشرقين الخامس والعشرين واشترك فيه ممثلون وعلما من الجمهورية العربية المتحدة والمغرب ولبنان والعراق والجامعة العربية وأعضاء أوروبيون كثيرون من المستشرقين .

وعندما اقترح وفد الجمهورية العربية المتحدة عقد الدورة القادمة في الإقليم المصري وقف ممثلو العراق وأعلنوا أن العرب كلهم أمة واحدة . وأن عقد الدورة القادمة يستوى عندهم أن تعقد في دمشق أو القاهرة أو بيروت لأنها كلها عواصم للأمة العربية وأيدهم في ذلك ممثلو المغرب ولبنان .

وقد قررت هيئة المؤتمر طبع البحث الذي أعده الأستاذ أمين الخولى وألقى خلاصته في الدورة عن : « صلات بين النيل والفولجا » ونشرت جريدة براغدا الروسية بحثاً طويلاً عنه .

وقد تقرر أن تعقد دورة المؤتمر القادمة في مدينة دلهى بالهند .

يستمر أسبوعاً لمناسبة مرور مائة سنة على إنشاء المجمع العلمى المصرى . وتشترك في المهرجان الهيئات العربية العلمية والأدبية ويدعى إليه ممثلون لأكاديميات العلوم فى شتى أنحاء العالم . ويناقش فى المهرجان مائة وعشرون بحثاً يعدها العلماء المختصون .

✽ يفتتح فى شهر يناير القادم فى إندونيسيا مركز ثقافى عربى يقوم على نشر هذه الثقافة فى إندونيسيا والبلاد الأخرى الغير العربية التى يدين أهلها بالإسلام وترغب التوسع فى دراسة الثقافة العربية . وتقع معظم هذه البلاد فى جنوب شرقى آسيا .

ويقوم المركز بإنشاء وحدة ثقافية متنقلة بين بلاد إندونيسيا للاتصال بأكبر عدد ممكن من السكان .

✽ يوجد فى المملكة المغربية ٦٨ مدرسة لليهود تملكها الطائفة الإسرائيلية تضم حوالى ٣٢ ألف طالب ويشرف على تعليمهم ٤٧٠ مدرساً يهودياً .

وقد قررت حكومة المغرب إلغاء هذه المدارس تدريجاً وإدماجها فى المدارس الوطنية . على أن تبدأ فوراً فى تدريس اللغة العربية لغة أساسية .

الفهرس

- ٤٧٦ تأليهة القرن الثامن عشر وهل معتقدوها
مؤمنون ؟ - ٢ - للدكتور محمد غلاب
- ٤٨١ جلال الدين السيوطى
للأستاذ حسن الشيشة
- ٤٨٥ الإسلام فى أمريكا الجنوبية
للدكتور جمال الدين الرمادى
- ٤٨٨ من روائع الفكر الروحى : الافعال الخلاق
عند الفيلسوف برجسون
- للأستاذ محمد فتحى عثمان
- ٤٩٣ الدعوى الجنائية فى التشريع الإسلامى
للأستاذ محمد عطية راغب
- ٥٠٠ الوازع الدينى والثقافة العلمية
للأستاذ راشد رستم
- ٥٠٤ دور السكتب وأثرها فى الثقافة الإسلامية
للأستاذ سعد توفيق حمدى
- ٥٠٨ ديمقراطية الإسلام : تحول أسامة بن زيد
للأستاذ عباس طه
- ٥١١ ما يقال عن الإسلام : عقيدة الذات الإلهية
فى الإسلام . للأستاذ عباس محمود العقاد
- ٥١٥ أبوة وبنوة (قصيدة تصويرية)
للأستاذ عمر بهاء الدين الأميرى
- ٥١٧ السكتب : نار وأصفاد (ديوان شعر للأستاذ
محمود حسن إسماعيل) للأستاذ محمد إبراهيم الجيوشى
- ٥٢٢ : بريد المجلة : بين الرئيس جمال والاستاذ الأكبر
موجة من الإلحاد فى إندونيسيا : الربا الذى
نزل فيه القرآن - الضرورات والحاجات -
تقدير الحاجة والمصلحة لأولى الرأى - معركة
بيت المقدس .
- ٥٢٩ أنباء الثقافة
- ٤٠٧ ثوراتنا الثلاث تموزهن رابعة !
للأستاذ أحمد حسن الزيات
- ٤١١ صدى جامعة القرويين فى الجمهورية العربية المتحدة -
لصاحب الفضيلة الأستاذ محمد نور الحسن وكيل الجامع الأزهر
- ٤١٥ الأدب العربى أدى رسالته ويؤديها
للأستاذ عباس محمود العقاد
- ٤٢١ الإيم - ان بالله
للأستاذ الدكتور محمد البهى
- ٤٢٥ مقوماتنا الروحية أمام المادية العالمية - ٢ -
للأستاذ محمد محمد المدنى
- ٤٢٩ نفحات القرآن : موقف الناس بين الدعوة إلى
الهداية والجنوح إلى الغواية
- للأستاذ عبد اللطيف السبكى
- ٤٣٤ من اقيم الإنسانية فى الإسلام : المحبة
للدكتور محمد يوسف موسى
- ٤٣٩ مشكلة الخط العربى للدكتور تمام حسان
- ٤٤٤ للمصطلحات العروضية
للدكتور عبد الله درويش
- ٤٤٩ الشيخ عبد الجواد رمضان
للأستاذ على العمارى
- ٤٥٥ الشباب العربى والحياة المعاصرة
للأستاذ محمود الشرفاوى
- ٤٥٩ آراء معاصرة حول : التفسير العلمى للقرآن
للأستاذ محمد رجب البيومى
- ٤٦٦ جامعة القرويين بين الماضى والحاضر
للأستاذ أسعد حسنى
- ٤٧٣ أبو الحسن الشاذلى فى معركة المنصورة
للدكتور عبد الحليم محمود

The minarets should be enliterated, and the Qur'an should be read every where.

The Fatimid government took the necessary steps to keep discipline and to avoid disturbance.

For this reason the Wali and his assistants stood at the top of the crowded streets to prevent the people from rioting and brawling.

The Moslems during the Ayubid, and Mameluke periods sticked to celebrate this day.

Till now the Moslems in Egypt consider it as a day off, and the government work becomes suspended.

People congratulate one another upon Mohamed birthday, and invoke a blessing on one another.

Palaces, Mosques, streets, are all enlightened on that night, and nearly all the shops are Packed with sweets, sweet dolls, and horsemen for the children.

Benevolent, and philanthropic deeds are widely spread in the course of this day.

The rich spend from their affluence, and wealth on the poor, and the strong show their mercy to the weak, and the old cite the noble ends, and honourable intentions of the prophet to the young.

In these last aspects appears the quintessence of this glorious memory.

donors grasp this opportunity to show their generosity.

The first of Ramadan, the Persian new year's day, and the memory of birth day of the prophet, and the memory of the birthday of the caliphate were anniversary official feasts during that period held in high respect

The first prince who celebrated Mohamed's birthday.

The prince Abu Said Mozafar Eldin Elerbely died 630 Higra was the first caliphate who celebrated that day throughout the Islamic orient. Many people from Baghdad, Mosel, Nassibine, and Persia associated with him for this purpose.

Many of them dropped at "Irbel" from the beginning of Moharam and remained till the end of the feast.

This prince set up numerous sects for the singers, musicians, and the people passed across them to join the rejoicings.

Moreover he spread many tables provided with different sorts of food for the people.

Instantly the prince comes with his royal procession riding his horse and handling candles, then he returns

to his palace where a gerat festival is set on the occasion of this day.

Orators begin to narrate the "Sirah" of Mohawed and the story of "Mirag".

In Egypt the Fatimids paid much attention to religious feasts amongst which the memory of Mohamed's birthday, the memory of the day of Higra, the memory of Ali birthday, and his sons El Hassan and El Hossayn the memory of the birthday of Fatma Elzahraa, the first day of Ragab, and Shaaban, and the middle of Ragab and Shaaban.

The Fatimids insisted on giving Mohamed's birthday what it is due to its glory and religious importance.

They were accustomed to set dining tables and distribute thousands of loaves and "dinars" on their subjects.

Numerous tons of sugar were prepared to make many sorts of sweets which were distributed on the judges, readers, orators, and the employees of the mosques.

The ways leading to the caliphate's palace or Azhar mosque should be swept and sprinkled with water.

he was inspired with. He gathered his relatives and asked them whether he was once a liar. They replied to him that he was never this creature.

Then he informed them that he is the God's messenger to them especially, and to all people generally, but his message fell on deaf ears. On the contrary they insulted him invoked evil upon him, left no stone unturned to torment him. and put him to extreme pain.

Thirteen years of suffering.

Mohamed spent about thirteen years suffering this tremendous torture, hearing all sorts of bad names. His opponents accused him of being a quack, or a wizard or an outstanding liar.

They all launched an attack and opened hostilities against him, but in the end he was able to overwhelm all these obstacles, entered Medina, and spread Islam everywhere.

But this is not the time to demonstrate this glorious stiefe of our prophet. To sum up he was able to surrender all the Arab tribes to Islam, planted amity and fiendly relations, among the hearts of the Arab tribes. He abolished vengeance, and fanaticism, and bigotry.

He was capable to establish a

central respective government. Owing to Islam the pre-Islamic morals were changed, and virtue found its way to the hearts of people.

No wonder, therefore, that the Moslems celebrate Mohamed's birthday. But it is a matter of fact that the Moslems did not congregate on that day during the life of Mohamed.

No word is uttered in "Hadith" concerning this habit, and no official ceremony was made on this occasion at the beginning of Islam.

Many pious people considered the ceremonies and festivals a sort of novelty in Islam, but on the other side other people devoted to Godliness and righteousness found it necessary to celebrate that day to recollect it along the days.

Kargy who was one of the ascetic people offered his life to religious devotion during the fourth century of Hira was accustomed to break his fast only in the Lesser Bariam, the greater, or corban Bairam, and Mohamed's birthday.

Since that time the moslems celebrated that day.

The Abassids spare no effort to attract the attention of their peoples. They distributed gifts, offers, alms, and charities amongst the poor. The

These people were known as Honafaa. The word is derived from the word "Hanif" which was the religion of the prophet Ibrahim.

Across these environments wrapped up in the darkness of idolism God sent Mohamed with God's message to the world to teach the people the immortal fact that there is no God except our single God, who knows alone what is hidden in the hearts of the people, the meaning of every sight, and God deals with everybody by his own coin, whether it is good or evil.

The birth of light :

The Prophet Mohamed received the light of life on the 12th of Rabie El Awal as it is stated in the majority of the Arabic references.

Mohamed's father died before Mohamed's birth. He gave his infant to a bedouin nurse whose name was Halima to suckle him as it was the dominated habit among the noblemen of koraish tribe.

The baby grew up in the bedouin sphere and was able to master the Arabic language in a short space of time.

His mother died when he was si years old, and Mohamed was accustomed to go out with his foster brothers to graze goats and sheep.

For this reason his heart became filled with mercy, kindness, and bounteous qualities.

Mohamed, worked after that as a merchant, made for Yemen and Syria several times. Consequently he widened his talents, deepened his experience, and became aware of the ways of treatment and the characters of people.

Moreover he was utterly versed in the various styles of buying and purchasing. He was known by his truth, fidelity which was his slogan from the very begining of his life.

He became celebrated amongst his tribe for his modesty, patience, clemency, long suffering, and generosity.

Mohamed loathed the worship of idols, and hated all sorts of wine, and declined earnestly to eat what was slaughtered on the signposts.

He refused to attend the assembly of follies, and evils, preferred solitude, and praying. When he reached the age of forty God communicated the secret to him, God inspired him with the new religion on the 17th of Ramadan, the month of fasting.

A message to an illiterate prophet.

Notwithstanding Mohamed was illiterate, and did not attend any school, he was able to read what

THE BIRTHDAY OF MOHAMED THROUGH HISTORY

BY

Dr. Gamal Addin Arramadi

On the twelfth of last Rabie El Awal festivals were held on the celebration of the memory of the prophet Mohamed's birthday. This induce us to speak about this glorious day through history.

In fact the birth of Mohamed was the exordium of a new life and the preface of blessed days in the history of the Arabs and Islam.

Fortunately for Islam that this happy event occurred in the elephant year through which Abraha Al Ashram the representative of Nagashy on Yemen was overcome and expelled from kaaba. Therefore Mecca was saved from the tremendous peril of Abyssinia.

For this reason the elephant year was a nice beginning for a new century, generally in the history of the Arabs and especially in the history of Koraish tribe.

Religions before Islam :

Idolism before the birth of the

prophet spread throughout the Peninsula. The idolists were accustomed to offer sacrifices to their gods and to walk collectively around their temples.

The Jewish religion spread throughout Yemen, Alkira Vally, Yathreb, Khayber, and Taymae.

Christianity spread amongst the tribes of Taghleb, Hassan, and Koda, in the north, and in Yemen in the south.

Persian religions were well known in Yemen, Haran, and the north of Iraq.

Among the Arabs there were enlightened people who perceive the corruption of the religious conditions, and attempted to rescue themselves from idolism to some high beliefs.

Some of them disdained the worship of idols and were convinced of a single God, and the day of judgement. They came to the conclusion that God will award everybody on his deeds whether they are good or evil.

We deceive ourselves if we depend on the mind or on actuality alone.

Actually, belief in God is a necessity for the existence and nature of man. It is man's inclination to obey that is, by nature he chooses to follow or separate. He only obeys the one whom he considers superior in authority, in wisdom, etc. Once he surpasses the one he believed superior in certain qualities, or discovers some defect in him, he ceases his obedience towards him. Man is man, however, he will never surpass ultimately, nor will the belief of surpass last in him.

Therefore, continuous obedience should be to an ever-surpassing being. It is God alone who is the ultimate surpasser throughout the universe.

Thus, belief in God is dictated by the nature of man. As belief in God is dictated by the nature of man, its value is manifested in the fact that belief in God is the basis of the belief in the message, transmitted by the messenger. The message of the messenger is nothing but laying out the straight road which, if followed by man, will lead to perfect individuals

and to society. The planning of the straight road is the revelation of the ultimate superior being, above human partiality to one race or another, beyond all needs and changeability. God is the ultimate, self-sufficient, superior being.

If man believes in this message, the message of the straight road, he himself will benefit, and will benefit others in his society. The happiness of man is achieved when he is satisfied and has gained tranquility. He cannot attain this tranquility unless he realizes his position and that of his fellow men, and cooperates with them as a brother, working for peace and the good.

There is no fear that belief in God, which is for the good of all nations, may lead to fanaticism. Fanaticism bears the connotation of aggression, but the power of belief is manifested in understanding life and tolerance in dealing with people. Fanaticism is a sign of partiality, but tolerance is not a sign of leniency in belief, but a sign of good interaction and discipline

This is the ultimate goal of religion and message of Islam.

and actuality just like the doctrine of transferring of beliefs from the circle of God to that of the mind.

This means confining belief to the mind alone, or to senses and actuality alone, is most harmful since it is based on exaggeration and deception. Their argument is not, as some thinkers tried to put it, to picture belief in God as harmful to man.

The other group, that sees no necessity for belief in God in the life of man, states that so long as there is a conscience in man to guide him towards the good, there is no need for belief in God. They contend that for people the ultimate value of believing in God is to persuade man to do good and avoid evil.

This point may sound convincing, but in fact it reveals some deception. One may ask. "Is there a conscience in every person to lead him toward the good?" If the answer is in the negative, he will ask again: "What is the source of the formation of conscience in man if it is not naturally implanted in him?"

Is philosophy the source of the formation of conscience? And which philosophy is it? Who is the philosopher, or the father of this philosophy?

Is he a human being stripped from the ever-changing conditions of

man and from the effects of environment and heredity?

Does he not fall sick, or become unfit? Does he not worry and feel restless? Is he never angry or emotionally upset? Is his life so monotonous that he does not sometimes feel enjoyment of life and at some other times sadness?

Where is this philosopher? Among what nation is he to be found? To what society does he belong? Does he belong to the white or to the black race?

If this philosopher is not above human emotions, his philosophy will not suffice as foundation to bring forth the conscience in man, pure and inclined to do good towards all people.

Up to this moment, we do not know where to find this philosopher. Consequently, the source of the formation of conscience in man must be a general source for all people, regardless of colour and race. This source is nothing else but the message of God, for God is the Creator of all people and He is the organizer of the universe. He is merciful to men.

So there is no other way but to believe in God if we acknowledge the necessity of conscience in man as a motivator towards doing good.

capability by assigning to it a creative function in the life of man.

However, this doctrine did not escape criticism. The human mind, even if freed of all subjectivity in judgement, planning and guidance, is influenced by ever changing circumstances of man. Man feels secure at one time and worries at another, he is healthy today and sick tomorrow, happy now and unhappy the next moment an ever-changing, unstable creature. Thus man's thinking, the function of his mind, cannot be taken as foundation for a code of laws for a nation, not to speak of humanity in general.

In the light of this objection to the value of the mind and its sufficiency in guidance some thinkers, later on, advocated the transfer of belief from the scope of God and the mind of man to the circle of senses and actuality. Their justification was derived from the claim that religion as the source of belief in God is but a source of deception for man, because man may understand religion from the behaviour of the people of that certain religious organization, who monopolized its interpretation together with the authority in guidance. They also justified their doctrine by asserting that, if the mind was independent from senses and actuality, it would be as deceiving

as opium. The mind very often goes astray and very often imagines. Therefore, their circle of belief centered around senses and actuality.

They saw that actuality was everything in man's life: actuality dictates and man has to obey. What is understood by actuality is the law of life and man is part of nature, influenced by the laws of life.

Again, this doctrine like the preceding one, raised criticism, which was probably even stronger and clearer. The criticism goes that if the nature of senses and actuality is to dictate, man is made up of senses and actuality; consequently he also dictates, When man is being dictated, he himself dictates someone else: thus he is acting by means of senses and actuality and not merely reacting. This means that he gives and takes, directs and is directed influences and is influenced. He is not just a receiver, always influenced by others.

This means also that man has positiveness as well as actuality. The doctrine of transferring belief from the circle of God and that of the mind to the circle of God and that of the mind to the circle of senses and actuality is based on exaggeration, being deceived by senses

BELIEF IN GOD

by

Dr. Muhammad El Bahay

Director General of The Islamic Culture
Administration

People have always discussed belief in God and have differed in their opinions.

Their discussion of belief in God, its value, and their different ideas on this subject are not today's topic, nor that of the recent or far past. There are repeated discussions, which will be repeated so long as man is man, ever changing in his way of thinking, and what he believes today to be sound and logical will tomorrow be uncovered as false imaginations.

Some people see harm in believing in God, some consider belief unnecessary for life, while others regard it as a necessity for the good of the individual and the happiness of society.

Those who see harm in believing in God do not actually mean to abolish belief from the life of man but to transfer it from the circle of God to some other circle. The reason for this is to monopolize authority

in guidance and leadership, or at least to free themselves from so-called subordination and trusteeship.

It is known that in Europe a certain religious organization monopolized belief in God and in doing so assumed authority to know religion and direct people, in their thoughts as well as conduct.

This situation stirred up some thinkers, and later on some politicians, who denied this organization authority for monopoly over religion and consequently over people. They called for freedom from monopolized religious guidance exerted by the authority of that organization. At this point some thinkers even called for the transfer of belief in God to belief in the human mind, believing in the capability of the mind and its independence in guidance without having to rely on any outside authority such as the authority exercised by this religious organization. But this doctrine of belief in the capability of the mind exaggerated its

original message they all referred to the Islamic prophecy, that is, to its regulations and principles.

Mohammed, being the seal of all prophets, is acceptable to a Muslim through his faith, and furthermore, because it is a scientific fact which he can perceive through his reason and can witness its evidence in past ages as well as in his own age; in doing so he is obeying the orders of his religion.

It may be a pleasure to many in modern times, proud of their achievements in science and their inventions, to say : "We are living in the age of science. It is the age of Signs of Nature."

Let them say as they please. Let them say it again and again in challenge to all prophecies; but not in challenge to the prophecy that sealed all prophecies, the prophecy that, 14 centuries ago, stated what they are saying now. The one that showed them that they are to live guided by their own insight, and by what they witness of these Signs of Guidance in nature, by secrets of creation and visual proofs. Every miracle of science to-day is but a part of the miracles of the religion Mohammed conveyed to us :

"And thou wilt see and they will see."

Such Calls began and ended before the development of the general principle of humanity and the principle of Man being responsible for the honesty of reason and conscience.

The prophecies of the Sons of Israel are still confined to one human descent, isolated by its past and present from other nations.

Jesus christ made a wide shift when he accepted his spiritual sons of Abraham as his physical sons. He conveyed his Message, but left Man after him badly in need of a message to help him to be self - dependant in trying to escape his own errors and to redeem his bad deeds and be responsible for his own goodness.

The role of the prophecy in the history of humanity will not end unless it succeeds in planting a general meaning of humanity in the souls of human beings.

Prophecies will not be sealed unless Man can be addressed mentally and is accordingly responsible within this scope, and unless Man participates being on the same footing with his fellow men — in worshipping One God, the Lord of the whole universe.

He is not the God who bestows

his blessing on one descent in return of naught of their own making.

When the Islamic Prophecy came, it was mentally accepted as a seal of all other prophecies as it is present in all times with the sound-minded responsible Man.

“Do! in the creation of the heavens and the earth, and the difference of night and day, and the ships which run upon the sea with that which is of use to man, and the water which Allah sendeth down from the sky, thereby reviving the earth after its death, and dispersing all kinds of beasts therein, and (in) the ordinance of the winds, and the clouds obedient between heaven and earth: are signs for people who have sense.”

Again we say, the sealing of prophecies has been accepted by reason after the Mohammedan Call. It can be added that it is acceptable if judged by reality and history. The human world which experienced so many successive prophecies before Mohammed, did not experience one sound prophecy after him.

Those who came after Mohammed were but imposters with no followers either in their life or after their death. No one of them had an

I know knowledge of the Unseen, I should have abundance of wealth, and adversity would not touch me. I am but a warner, and a bearer of good tidings unto folk who believe."

True. There is neither temptation nor bargaining for a sacrifice or penalty and reward in give and take :

"Say : I say not unto you I possess the treasures of Allah, nor that I have knowledge of the Unseen; and I say not unto you : Lo ! I am an angel. I follow only that which is inspired in me. Say : Are the blind man and the seen equal ? Will ye not then take thought ? "

The opportunity came to rumour a miracle of the prophet when the sun eclipsed on the death of his son Abraham; the people thought it had eclipsed for his death; but the True prophet would not admit it and said : "The sun and the moon are two Signs of God. They never eclipse on the death or the birth of any one."

Men of understanding are apt to believe this prophet when he tells them : "The miracle is no avail to those who do not benefit from their mind and conscience :

"And even if We opened unto them a Gate of Heaven and they kept mounting through it. They

would say : Our sight is wrong — nay, but we are folk bewitched."

So if the Prophet came with this Message, which leaves Man to a "human characteristic" and provides evidence through what he sees for himself, and what is not absent to mind and thoughts, where does this Message end ? and, what is felt for the next message that might come to abolish and succeed Mohammed's Message ?

The only thing left for a new message to do is to abolish the reason or take it back again to early centuries. Such a call is not needed by those sound-minded believers who have been already guided. Those who are not sound-minded are actually in need of a teacher to uncover to them what they could not see of the guidance involved in prophecy, rather than a new prophet to repeat what was established before him.

The Islamic prophecy was preceded by many of the great Calls which had great bearing in the history of faith. If those Calls were given to a historian who studies the developments of history — whatever his religious belief is — he could not possibly seal prophecies in the history of humanity with one of them, despite its eminence and bearing on its succeeding ages. This is because

consider sealing of the prophecies a queer thing, actually do so to a fact which believers in prophecies accept either through understanding and contemplating, or accept it conventionally as something which does not need rationalization. All those who believed in the prophecies of the Bible, also believed in the sealing of prophecies. Some of those sealed religions calls altogether by the religion of one Particular descent (*descendants of Abraham*) who was the only descent to receive His Revelation. That was what they believed in the past and what they still believe in at present.

The Muslim's belief in the seal of the prophecies does not involve any queerness either in acceptance or in contemplation. To the Muslim, the prophecy which sealed all prophecies is an everlasting call as it makes Faith a mental conception and establishes it on the basis of the belief in One God, the Lord of the whole universe.

Nations, before the Moham-medan Call, took the prophecy as a means of prediction and uncovering of secrets, by which they could restore what was lost or stolen and to tell of omens of good and evil.

Among the nations were those who took prophecy as a mediation

between the worshipped and the worshipper to plead and offer sacrifices.

They asked for the mediation the prophets in order to prevent catastrophes which they deserved or which inevitably befell them.

The Islamic Prophecy came along with an everlasting new thing that had no equivalent in the Calls of the past. It needs nothing new or innovated as it addresses the soul and the responsible conscience in Man, to which neither begging nor redemption is of any avail.

It is a prophecy of understanding and guidance, not a prophecy of prediction and astrology. A prophecy of guidance through contemplation, scrutiny and thinking, not a prophecy of supernatural elements and catastrophes which frighten both sight and insight and plants fear and dread in the conscience when it fails to attain acceptance through persuasion. It is a prophecy that bears good tidings as well as warnings, having no power to benefit or to hurt, it does nothing for the people other than what they do themselves through their own free will, guided by their mind and sound conscience :

“ Say : For myself I have no power to benefit, nor power to hurt, save that which Allah willeth. Had

THE SEAL OF THE PROPHETS

BY

Abbas Mahmoud El Akkad

Mohammed is the Messenger of Allah and the Seal of the Prophets.

It is a belief the Muslim accepts in the way he accepts the doctrines of the religion; furthermore, he understands it as he understands scientific facts and logical proposition; because, as long as he perceives Prophecy with its defined characteristics in Islam, he will certainly know that it is a prophecy which seals all prophecies and paves the way in the human history for the message of sound reason, conscience and inspiration.

Sealing of the prophecies is a Mohammedan characteristic, but it is not solely confined to Mohammed, Peace be upon him. This characteristic, being necessitated by the history of all nations, includes every believer and every one who accepts the call; it is not something confined to Mohammed either during his life or after his death.

It is something that a Muslim perceives without trouble, but, des-

pite its vividness in the eyes of the believers, it is taken as something queer by others, pious people and non-believers all the same. Some misunderstand it, and some are rather impertinant and assume that it is an act of selfishness on the part of Mohammed by which he denies others the right to convey their prophecies, in the way a king denies others the right to come to power and confines it to his own folk or those he chooses.

It is needless to argue with those non-believers about this particular case of sealing of prophecies, apart from other various and different cases relating to religious prophecies, as they do not believe in prophecy itself from first to last. They never admit its necessity or utility in all times. To them there is no difference between the time in which People respond to the call, or the time in which they do not; both are times wasted in listening to a thing where it is unbecoming to listen.

But those pious people who

the Hijria, the Prophet joined the Highest Companion. Before his death he had suffered a severe fever for two weeks during which he never ceased to mention God's name and abide to His religious instructions. To be absent from the mosque when Bilal called for prayer was more painful for him than his sickness. On the last day of his sickness, when his body felt light, he wrapped his head and with great effort leaning on his two cousins, Ali and Al Fadl, left the house of aisha for the mosque. Upon seeing the sick Prophet the people were startled with joy and cleared the way for him. So he stepped inside and sat to the left of Abi-Bakr where he performed his prayers after Abi-Bakr. Finishing his prayers the Prophet ascended the tribune, and knowing that his severe sickness had given some hypocrits the chance for infidelity towards Islam, for the Osud in Yemen, Musaylama in Yamama and Tulayha in Bani -Asad had encouraged their people to rebel against Islam, he thanked God and addressed the people saying: "You people, the fire has spread and hypocrisy overshadowed like the darkest. I shall not allow except what Qu'ran has allowed, and shall not forbid except what Qu'ran has forbidden. A slave of God was given the liberty to choose between the world and what God had, and he chose what God had."

Then he stopped. faithful His friend realized that the Prophet meant himself and he burst into tears. When leaving the Prophet prayed for Osama-Ibn-Zay and instructed him to prepare his army to defeat the Romans.* The Prophet returned to his house with a relapse from which he did not recover. Seeds of disunity were sown in the land of Saqifa. The book of God was the only thing left to guide the people, to bring back the ones gone astray and to straighten the road.

This is the month of Rabi Al-Awal, and these are its three parts, the events of which have been summarized as the history of the Prophet. Its times recorded in the various stages of the message. These formed the frame for the holy picture drawn by the hand of the Creator as a beauty for history, or a shade for the divine lamp lit by the holy olive tree, neither Eastern nor Western, whose oil would light without being touched by fire.

In memory of all these events that took place during the month of Rabi Al-Awal in general and on Monday in particular, we should celebrate this month and this day. This is why Monday is the popular day for charity and fasting.

* The Romans, at that time, occupied a part of Arabia.

and strong personality the plant bore fruit, the light became bright, people united in one belief, the area extended; therefore, Medina became a world, the minority a majority and the three villages, Mecca, Tayef and Yathrib, became three continents, namely Asia, Africa and Europe. Islam, which started with Khadiga, Ali, Abi Bakr and Zeid, became the people's religion, the earth's world, called for at the extreme West, on the shores of the Atlantic Ocean, by Oqba-Ibn-Nafi, who drove his horse to the water saying: "O God, Lord of Muhammad, had it not been for this sea. I would have conquered the whole world to raise Your word." God be my witness. At the extreme East, Qutayba El Bahily decided to penetrate China and a fellow of his warned him saying: "You have penetrated Turkey, oh Qutayba, events are between the wings of days, come and go." Qutayba answered: "Being sure of God's victory I penetrated, if one loses the chance, the equipment will be useless." The friend answered: "Go your way as you please, no one can break this determination except God."

The blessed migration from Mecca to Medina was the separating Line between Islam and the pre-Islamic era, monotheism and idolatry, nationalism and tribal fanaticism, humanity and beastness and between a long dark night and a bright morning promising security, peace and guidance.

After that the Messenger could, thanks to God, with wisdom and power prevent the unbelievers from doing evil and bring up the Moslems by means of preaching and being himself example. He debated with the disbelievers, using the Logic of Qu'ran the opponents he fought with the sword, until God's victory was obtained, and he saw multitudes of people entering into God's religion; he rejoiced and thanked his Lord, and he was sure of the fate of his message and his people. He worked on the codification of the Laws showing the people the road which will give them assurance of Leading to their ultimate goal. Before ten years had elapsed since the migration, God's Religion and His grace had been completed and the Qu'ran had been completely revealed while the Arabs were ready to take over the reign of the earth. Muhammad then performed his Last pilgrimage and delivered the welfare speech at Arafat, in which he asked God to be his witness that he had conveyed the message and accomplished the task. On that day was revealed to him: "Today I completed your religion, gave you all My blessing and chose for you Islam as Religion." Then the Prophet knew that God was calling him to rest at His side.

On Monday, the 12th of Rabi Al Awwal of the eleventh year after

world, using force and injustice. So when in Mecca the cradle of the Orphan Arab was touched by the hand of God, both Throne and Court collapsed, and a whisper from the unseen said to the two great leaders: "Today history ends and history begins. Never after this day will there be a king, or a master, worship shall be to God, leadership to the Prophet, and sovereignty to religion, government to the Arabs and the world for all."

Mohammad was brought up, an orphan, in the midst of Mecca with its hills and valleys, leading his life in the same way as the Qureish. He worked as a shepherd for his relatives and his people, then started trading, with the help of his wife's money. The care of God was upon him in every step and every stage. God cared for him when he was a poor orphan, when he was a young shepherd. When he was a hired merchant God gave him success. It was God's will to prepare him for His message. He disciplined and taught him, and protected him from the uncleanness of idolatry. He never drank wine nor took usury, nor gambled; he never witnessed places of amusements nor turned his face towards an idol. The poor orphan became the master of the Island, and the young shepherd a shepherd of the world, and the wandering

trader a conqueror of the earth; the pure and honest became ready for receiving the inspiration and for conveying the message of God.

Then a door opened from heaven to the cave of Hira and angels and the Holy Spirit descended to the people on the earth, and the first radiation of God's inspiration burst forth to the heart of Muhammad. So the truthful and honest descended from the mountain of light carrying the torch of guidance and attacking polytheisms with monotheism; for the sake of spreading God's call, he suffered the hardship of the atheistic leaders of the Qureish.

On Monday, the 8th of Rabi Al-Awal of the first year after the "Incident" of the Elephant the hostility of the Qureish towards the messenger of God had reached its utmost, to the degree that they conspired to kill him.

Muhammad-peace be upon him - had seen that the deserts of polytheistic Mecca had become so dry for implanting the message and therefore the fruit was rotten, the poison of which was about to destroy his effort. He then migrated, under the care of God, to the good town chosen by God to be the base for his tower, a field for his seed, a center for his power and a light house for his guidance. There with patience, truth, faith, firmness, good manners

THE MONTH OF RABI AL AWAL IN THE LIFE OF THE PROPHET

by

AHMED HASSAN EL-ZAYAT

Editor - in - Chief

It is a surprising coincident in the life of the Prophet that among all the months Rabi Al Awal was his month, and among the days Monday was his day. Monday of the second week of Rabi Al Awal was the day on which he appeared in Mecca, and Monday of the second week of Rabi Al Awal was the day on which he immigrated to Medina. Monday of the second week of Rabi Al Awal was the day he passed away. There is a secret in these coincidents known to those chosen among mankind for God's message. A whisper of this secret is the Rabi Al Awal is the month of prosperity, fertility and beauty, and that Monday was the day of the moon for the ancient people. The moon in Islam is of particular importance: for the people it constitutes a time measurement for fasting and pilgrimage, for the nation as well as the congregation it is the symbol of the banner. The relation between cosmos and fate, i.e. seasons, zodiacs and days, is still a secret to man. If Rabi Al-Awal was the beginning of the Hijra

Year, and Monday was the weekly day of rest, this would have agreed with the date of immigration, the glory of the incident, the position of the Prophet and the sanctity of the month.

On Monday, the 12th of Rabi Al Awal, the fifty third year before the immigration, the vast area between the house of Ibrahim, near the mosque and the house of Sayeda Amnah, at Beni Hashem Lane in Mecca, was a place for the angels and the souls of the prophets to sing, thanking God for having relieved the world by the birth of that Arab. Before the birth of Muhammad, Son of Abdulla, the world was indulging in sin and bad deeds, like a blind-beast being led by a blind on an uneven road. This beast was led from the East by the Persians who were in a great state of corruption, and from the West by the Greeks who were in a great state of meanness and wickedness. The Throne of Kisra and the Court of Caesar were quarrelling over the sovereignty of the

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
المستشار
إدارة اجتماع الأزهر
بالقاهرة

ت : ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن شيخنا الأزهر في أول كل شهر جمادى

يشترك في التحرير
عباس محمود العقاد

محرر التحرير
محمود الشراوي

بدل الاشتراك ج

الجزء السادس — جمادى الآخرة سنة ١٣٨٠ هـ — نوفمبر ١٩٦٠ م — المجلد الثاني والثلاثون

الفهرس

صفحة

- ٦١٣ النظرية العامة للإثبات في الحدود
للأستاذ محمد عطية راغب
- ٦١٧ العدالة الاجتماعية في الإسلام
للأستاذ أحمد علي منصور
- ٦١٩ أدب الجنس جريئة في حق الدين والمجتمع
للأستاذ إبراهيم محمد نجما
- ٦٢٣ العاطفة الدينية وأثرها في الأدب العربي
للأستاذ محمد إبراهيم الجوشي
- ٦٢٧ لغويات
للأستاذ محمد علي النجار
- ٦٢٩ الإسلام في تركيا. للدكتور جمال الدين الرمادي
- ٦٣٥ رسالة الدين وأثرها في الروح البشرية
للأستاذ عباس طه
- ٦٣٩ ما يقال عن الإسلام : دبانات العالم السبع العظمى
للأستاذ عباس محمود العقاد
- ٦٤٣ بحية الضيف العظيم رئيس جمهورية باكستان
« قصيدة »
للأستاذ علي الجندي
- ٦٤٦ الكتب : للأستاذ محمد عبد الله السمان : العلم -
صبا. الخاطر - دعوة الإسلام - نظرية
الإسلام الاقتصادية - لماذا أسلمت دراسات
في اللغة العربية
- ٦٥١ أبناء الثقافة

- ٦٥٣ بريد المجلة : من الأستاذ الأكبر إلى السيد
الرئيس جمال عبد الناصر - من الأستاذ الأكبر
إلى نخامة الرئيس محمد أيوب خان - الأستاذ
الأكبر يستقبل الواعظ الحاضر للرئيس أيزنهاور -
محمد الأزهرى الأمريكى - لغة كريمة من الرئيس
الباكستاني - حول معنى « فصلا » -
تصويب لوليا .

صفحة

- ٥٣٤ الشعب الذى تحدى القدر وقدر !
للأستاذ أحمد حسن الزيات
- ٥٣٧ نداء من الأستاذ الأكبر إلى العالم الإسلامى
في أ-بوع الجزائر
- ٥٤١ تيسير على قاعدة
للأستاذ عباس محمود العقاد
- ٥٤٤ جامعة القرويين وإسهامها في حفظ التراث
الإسلامى
للأستاذ الدكتور محمد البهى
- ٥٥٣ مقوماتنا الروحية أمام المادة العالمية - ٣ -
للأستاذ محمد محمد المدنى
- ٥٥٦ طاجوا السواق بما أمر به الله
للأستاذ عبد الجليل عيسى
- ٥٥٩ نفحات القرآن : عداوة الأغنياء للمصلحين من
آفات المجتمع
للأستاذ عبد الطيف السبكى
- ٥٦٤ الثورة الرابعة ضرورة محتومة
للأستاذ محمود الشراوى
- ٥٦٩ تطوير الفقه الإسلامى
للدكتور محمد يوسف موسى
- ٥٧٦ صاحب الألفية : محمد بن مالك
للأستاذ الدكتور أحمد أحمد بدوى
- ٥٨٣ كتابة المصحف بالإملا. الحديث
للأستاذ محمد رجب البيومى
- ٥٩٠ نهج البردة
للأستاذ علي المارنى
- ٥٩٦ الإسلام في السكونفرو
للأستاذ عطية صقر
- ٦٠١ هدنة البقط
للأستاذ عبد المنعم محمد الشيخ
- ٦٠٤ جامعة النجف الأشرف للأستاذ محمد رضا المظفر
- ٦٠٨ القرآن والقومية العربية
للأستاذ عبد الرحيم فودة

الشعب الذي تحدى القدر وقدر!

”كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةُ كَثِيرَةٍ بِإِذْنِ اللَّهِ“

بِقَلَمِ : مُحَمَّدٍ حَسَنَ الزَّيَّاتِ

زعماء الثورة الجزائرية أحمد بن بيلا ورفاقه وهم في طريقهم إلى تونس ، فهب الجزائريون هبة الإعصار العاقى فزلزلوا الأرض الطيبة تحت أقدام الغزاة والغوازي فطاشوا طيش الفراش وألقوا بأنفسهم في نار الثورة . فلما أكلتهم أمدهم (جى موليه) ومن بعده (ديجول) بثلاثة أرباع المليون من جنود فرنسا ، يشد أزهم حلف شمال الأطلسي بالسلاح والعتاد والمال ، ويقوى أمرهم خمسمائة مليون من الناس بالتعصب والهوى والرأى . كل هذا العدد وتلك العدد لقتال عشرة ملايين من الجزائريين لم يلق (لا كوست) منهم غير عشرة آلاف من الثوار العزل . فإذا كان مصير الجيش الجرار . المسلح بالحديد والنار ؟ . تخطفته المنسايا من كل جانب ، وأدركته الهزائم في كل مكان ، حتى قال قائلوهم : لا يمكن أن يكون هؤلاء الشياطين هم الآدميين الذين عرفناهم هنا منذ قرن وثلاث ، فربينا هم على الاستكانة ، ودربناهم على الطاعة ، وقتلنا

دائى إن استطعت بالعيان أو بالخبر ، فيمن بقى أو فيمن غبر ، على شعب غير الشعب الجزائري الباسل الحر ألح عليه الاستعمار الفرنسى الكافر الفاجر الأهوج بالقهر والفقر ، والعذاب والحرب ، وسلب الاستقلال ، وسوء الاستغلال . وفساد التعليم . ونسخ اللغة ومسح العقيدة ، طوال ثلاثين ومائة عام ، ثم لا تزال في رأسه نخوة العروبة ، وفي نفسه حمية الإسلام ، وفي يده سيف الفتوح . يذكر ولا ينسى أن له وطننا يحتله الغريب ويستغله المستعمر . على ظهره الولد والبلد والرزق والأمل وفي بطنه الآباء والأجداد والأجداد والذكرى ، لجاهد بالسيف ، وصابر بالعزم ، ورابط بالقوة ثم ابتلاه العدو في ماله وفي نفسه بالتقتيل والتكيل والأذى ، فما وهن لما أصابه في سبيل وطنه ودينه وما ضعف وما استكان ! فلما أراد الله لما أساة الجزائر أن تبلغ فصلها الأخير سول الحق والطيش لرئيس الحكومة الفرنسية (جى موليه) أن يختطف من الجو

الذين أصلوها النار والعار وهى تحسبهم من أرض غير الأرض فإذا هم حفدة الأبطال الذين قهروا جيوشها سبعة عشر عاما بقيادة الأمير عبد القادر، وأربعة عشر عاما أخرى بقيادة من خلفوه، لا يزالون يحجرون على أعراقهم من البطولة والصبر والتضحية لم تستطع أن تقتل فيهم الروح العربية بالتعليم المسموم والإبادة المنظمة والفتنة الشديدة والعزلة التامة والاحتلال الطويل، ولم تستطع أن تفصلهم عن قوميتهم العامة بالحوار المادية والمعنوية، ولا أن تخفت في دمائهم أصوات القرون الأربعة عشر من التاريخ المشرق بأضواء النبوة الهادية والخلافة العادلة والفتوح المحررة والحضارة المعمرة. فما هو إلا أن فعلت فعلتها الحقارة باختطافها الزعماء حتى ثارت في نفوسهم حمية الجنس وطغت في رؤوسهم حفيظة الدم، فغضبوا وغضب لهم خمسة وثمانون مليوناً من بنى عموميتهم من مراکش إلى الكويت. وكان مظهر هذه الغضبة إضراباً عاماً شل الحركة في جميع البلاد العربية يوماً من الأيام! ولم نعلم فيما وعاه التاريخ انتفاضة إجماعية كهذه الانتفاضة من أمة زعم الاستعمار أنه مزقها دولا وأوطانا، لكل دولة رسوم، ولكل وطن نخوم.

إن ثورة الجزائر التى ظلت ست سنين

في نفوسهم الإسلام، وأمتنا على ألسنتهم العربية، وجهدنا بالظهير البربرى أن نجنسهم بالبربرية، وأن نبشرهم بالمسيحية، وأن نفصل بينهم وبين العرب في الأقطار الأخرى، فنحننا دخول الكتب والصحف والمجلات، وقطعنا أسباب المواصلات والمعاملات، وأردنا أن نجعلهم قلة مستضعفة في البلاد، فنهلنا الهجرة للفرنسيين، وأسكنناهم أطيب البلاد، وأقطعناهم أخصب الأرض، وملكناهم مقاليد الأمور، حتى أصبح الجزائريون في رأينا مسوخاً من غير جنس ولا لغة ولا دين ولا تاريخ ولا تقاليد. لا بد أن يكون هؤلاء المردة من جنس غير الجنس ومن بلد غير البلد، واتجهت وسواسهم نحو جمال عبد الناصر، ثم أداروا عيونهم الزائغة في البحر وفي الجو فرأوا سفينة تحمل السلاح إلى الجزائر فصادروها، وأبصروا طائفة قتل الأبطال فاقتنصوها، ثم فركوا أكفهم من السرور وصاحوا: لقد كسبنا المعركة عرقنا من أين يأتي السلاح، وقبضنا على من يضربون به! لا سلاح ولا ضرب بعد اليوم! ثم بالغوا في الحيلة وغالوا في الحذر، فقتلوا ابن بيلا وإخوانه الأربعة إلى فرنسا في حراسة خمسة آلاف من الجنود الشداد كل رجل يحرسه ألف. وحملت فرنسا في وجوه المخطوفين المخوفين

غير لقيات لا تكاد تمسك الرمح . فلما أعيانهم النصر على هذه الفئة الصابرة المنفردة على شعاف الجبال ومخارم الأودية ومكامن الطرق، عادوا إلى الشيوخ والنساء والأطفال فسحقوهم بالقنابل ومزقوهم بالرصاص ، ولا ذنب لهؤلاء وأولئك إلا أن لهم كيانا متميزا يحافظون عليه ، ووطناً خاصا يدافعون عنه .

وأما ضمير العالم فإنه لو كان حيا لما سكن سكوت الجناد وقر قرار الحجر في رجفة من الصراع الحيوى الدموى دام ست سنين بين دولة كبيرة تريد أن تسمن وتطيش ، وأمة صغيرة تريد أن تأمن وتعيش ! .

لقد قتل الفرنسيون فيها مليوناً من شباب العرب الأبرار على حين ظلم العالم الغربى يتفرج بمشاهد الدماء والأشلاء في ساحه الجزائر ، كما يتفرج الأطفال بصراع الدمى على مسرح العرائس ! .

ولكن قل لى بربك : هل كان الضمير العالمى حيا يوم رضى أن يخرج الاستعمار مليون عربى من ديارهم وأموالهم لينحها عدوة الله وعدوة الناس اسرائيل ؟ .

إن ضمير العالم احتضر فى فلسطين ثم قبر فى الجزائر ، فلم يبق للجهادين الجاهدين إلا روح الله وعون الأحرار ونخوة العرب ! .

أحمد حسن الزيات

مستعرة الأوار تأكل الأرض وما عليها من إنسان وحيوان وعمران وزرع ، هى كما ذكرت الفصل الختامى لمأساة ظلمت تمثها فرنسا على مشهد من العالم أربعة أجيال كوامل . وعما قريب سينسدل الستار على أشلاء الاستعمار وأطلاله وأوزاره فى أرض الفاتح العربى عقبة بن نافع ، وسيرى الجزائريون أن وطنهم بفضل ما بذلوا فى سبيله من أنفس وأموال قد تظهر من المحتلين المتطفلين الذين رتعوا فى مرعاه الخصب ثلاثين ومائة عام يخضمون أرزاقهم خضم الخنازير ، ويحتلون بلادهم احتلال الصراير ، ويفسدون أخلاقهم إفساد الجرائم ، على أن النفوس التى قتلت ستعوضها الولادة ، والديار التى هدمت ستجدها العمارة ، والزروع التى أهلكت سيعيدها الغراس ؛ ولكن قتيلين مز قتل هذه الحرب الطحون لن يعوضا لا بالولادة ولا بالعمارة ولا بالغرس ، هما شرف فرنسا وضمير العالم ! أما شرف فرنسا فإنه لو كان باقياً لما استجاز بنوها الذين يزعمون أن آباءهم كانوا أول من ثار على الطغيان وأعلن حقوق الإنسان أن يغيروا بسبعائة وخمسين ألفاً منهم مسلحين بأفتك الأسلحة وأحدثت القتصاد على عشرة آلاف من لا يملكون سلاحاً غير الإيمان ، ولا عتاداً غير الصبر ، ولا زاداً

جهاز الجزائريين في سبيل الله نداء من الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت إلى العالم الإسلامي في أسبوع الجزائر

إخواني في الإنسانية :

السلام على من اتبع الهدى، وسلك مسلك العلم، وهدى إلى صراط مستقيم.

وبعد : فما أحوج البشرية إلى آذان صاغية وقلوب واعية تسمع الدعوة إلى السلم والسلام والأمن والاستقرار ، حتى تسود المحبة بين الناس أجمعين ، وينتشر في الأرض نور يضيء لسالكينها طريقهم ، فيخلصوا إلى العمل المنتج والفكرة المثمرة وتقوى روابط الود والإخاء بينهم . ويومئذ لا ترى بغضا ولكن محبة تسود المجتمع الإنساني ، ولا ترى فرقة ولكن وحدة واتحادا . ما أحوجنا نحن البشر - إلى ذلك كله ، ولكن الداهية التي تضرم الأحزان في الأفق قد تقضى على النفس القوية ، إنما هي في استمرار الطاغين في طغيانهم والباغين في بغيتهم ، يلغون في دماء البشرية التي خلقها أسلحة الإثم والعدوان بما تقشع لهول الأبدان ، بل تجمد لها القلوب ، فراحوا يقصون أصحاب الأرض عن أراضيهم يرملون النساء ويقتلون الشيوخ ويشردون

الأبرياء ، وما تقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد . الذي له ملك السموات والأرض ، والله على كل شيء شهيد . فهم بهذا لا يؤمنون بدين ولا يحترمون أخوة ولا يتجاوبون في المبادئ .

إن ست سنوات مضت ، وما هو ذا العام السابع يبدأ مسجلا صراع الحق للبطل ، ونضال الإيمان في سبيل الحق وفي سبيل الحرية ، التي خلق الله الناس عليها ، هذا الصراع إنما هو صراع الجزائر المجاهدة صاحبة الحق في العيش والحياة ، صراعها لطعمة من البشر ادعوا أنهم حماة مبادئ ودعاة حقوق ، وأن حقوق الإنسان أولى برعاتهم مع أن هذه الحقوق قد يئست منهم ، فلو رأوها وأعرضت عنهم ، وتبرأت منهم ، ولو صدق منهم العزم وصحت الإرادة لكانوا مصادر نزعات طيبة .

ويا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء . . . ييا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا

بما يسخرون من أدوات وآلات وصلوا إليها عن طريق ما عليهم الله وأنعم عليهم فلم يشكروا نعمة الله ولا يقيظ الوعى في نفوسهم . وبذا كله جعل هؤلاء مستقبل العالم مظلمًا يكتشفه الشر ويحيط به الشؤم من كل جانب مالم يشد كل على يد دعاة السلم ، حتى إذا ما ترابطوا جميعا وتذكروا معالم الإنسانية الصحيحة ومبادئها السليمة ، وعاد الأمن إلى الأرض ورحم الله البشرية بما نزل وينزل بها من نيران الاختراع الذى وجهه هؤلاء جميعاً إلى الشر وقد كان فى مكنتهم أن يجعلوا من ناره نورا ، ومن شره خيرا ، إنما لا تؤمن بالقوة التى تجانب الحق فإنه لا قيمة لها ولا خير فيها ؛ ذلكم أن قوتنا إنما هى قوة الحق الذى تنشده البشرية فهو الحق الطبعى والطريق السوى ، إنه الحق الذى نريد أن تنكاتف به وتتضامن مع محبي السلام فى الأرض ، فنضع أسسا سليمة ونرسي به قواعد حضارة نطمئن إليها ونسعد البشرية بها . فإلى الضمير العالمى الإنسانى نتجه مخاطبين أولئك الذين كثر حديثهم عن الرحمة وهم لا يطبقون ما يقولون ، إلى رجال الأديان على مختلف ألوانها ومذاهبها ، إلى الساسة جميعا نحرك فيهم معانى الإنسانية ، فيتخذون الطريق الإيجابى لعمل حازم يكف ظلم الظالمين ويمنع قطع الطريق على الإنسانية ،

وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم . فكيف يسوغ لإنسان أن يعتدى على أخيه الإنسان . وأن ينسى ما بينهما من هذه الأخوة التى تربط بين كل الناس وتوثق علاقتهم ، ولكنه الاستعمار الغاشم الذى تفيض نفسه بالاحقاد وتمتلئ قلوب أصحابه بالاطماع ، يحرص دائما — وعلى الأخص فى البلاد الإسلامية — على أن يفسد الضمائر ، وأن يضل العقول وأن يهدم الأفكار حتى إذا عجز عن ذلك لقوة المبادئ والمثل فى نفوس أصحابها قام يمزق الأوصال ويأتى على الأخضر واليابس غير مبق على مبدأ ولا راع لمثل .

وبذا أصبحنا اليوم ، ونحن فى بداية السنة السابعة لكشفاح الجزائر التى عاشت فى حرب هوجاء عمياء ذات همجية مافونة وعقلية مجنونة ، لا نريد أن نقف عند حد ، وإنما نحرص على طحن الأجسام والأرواح ، بل نريد أن نقضى على ما للإنسانية من نور وما منح الله الإنسان من حرية ومن حق فى الحياة وحق فى العيش .

وأمثال هؤلاء المعتدين لا يؤمنون بدين ، فدينهم السطو على النفس والأموال والأعراض ، كما لا يعرفون مبادئ فسادهم فتنه يشيعونها بين الناس أو تخريب

وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين ، «
«وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون» .

أما أتمم؛ إخواننا المجاهدين اصبروا وصابروا ورباطوا وانقوا الله لعلكم تفلحون . والله مؤيدكم وناصركم : « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ، وثقوا أن عون الله معكم ورياعته تحوطكم » إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سأتق في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان ، .

إن الجزائر المسلمة ستكون مصدر قوة للمسلمين بما يقدم أبناؤها للإسلام وما يضحون به من أجل حقهم وحياتهم .

إخواني المجاهدين إن النصر والغلب ليس عن كثرة في العدد ولا قوة في العدد فحسب ، إنما هما بالصبر والتقوى - والصبر والتقوى معولان إلهيان أودعهما الله قلوب المؤمنين بهما يذبيون الحديد ويطفثون النيران « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين » . واعلموا أن عدوكم لمعاند ، وأن

تقتظفر الجزائر بحقوقها في الحياة والحرية ، ويعود اللاجئون إلى أرضهم في فلسطين ، فالحساب من يقتل في الجزائر هذا العدد الكبير وهيئة الأمم تقف مكتوفة اليدين لا تحرك ساكنا ولا تكشف عن حق ، ولحساب من يظل مشردو فلسطين تربص بهم الأيام . وتمر عليهم الأعوام وهم شرود عن أوطانهم وأراضيهم التي خلقها الله لهم .

إلى كل مسلم يملأ قلبه الإيمان بالله ويحس بإحساس أخيه ويشعر بشعوره ويدرك أن الأمة الإسلامية جسم واحد ، وأن المسلمين أمة واحدة - إلى هؤلاء وهؤلاء أوجه القول فإنه لا منطق ينبغى أن يسمع إلا منطق السلام والأمن والاستقرار ، ومنطق يحق الحق ويبطل الباطل ، ونحرر به رقاب الأمم المستعبدة لنهض نهضتها ، وتعيش في أمنها وسلامتها والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحيمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » ومظهر هذا التواد أن نكون من وراء إخواننا المجاهدين في سبيل الله بأموالنا وأنفسنا نسترخص في سبيل الحق كل غال ، ونستعذب الموت في سبيل نصرة الحق ، فإنه لا بد للحق من قوى تسانده وتؤازره : « قل إن كان آبائكم

الثاني عشر من جمادى الأولى ، والأول من نوفمبر - عمر الجهاد الجزائري في سبيل الله فإننا نذكر باليوم التالي غدا فلسطين المجاهدة وإخواننا اللاجئين الذين شردوا من بلادهم وتركوا أموالهم وتأييت نساؤهم ويتمت أطفالهم فكم لنا من هذا وذاك من عبر تحفزنا إلى ربط القلوب وإلى جمع الكلمة وإلى التعاون في السراء والضراء ، وأن نضرب جميعا على يد عدونا بيد من حديد حتى يعود اللاجئين إلى أوطانهم هنا وهناك ، وحتى تعود الحرية إلى أهلها وتخلص البلاد من شر الطغاة البغاة الذين أفسدوا في الأرض بعد صلاحها يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين - كتبوا البشرية على بغاة البشرية .

كتبوا أعوان الحق ضد الباطل ، كونوا مع الحق يكن الله معكم ، ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز . الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر . جمع الله قلوبنا على الحق وأيدكم بروح منه .

محمود ملتوت

شيخ الجامع الأزهر

قوتكم المغنوية وروحكم الفتية وإيمانكم بالله كل ذلك هو القوة التي ينصر الله بها عباده ، فاشتدوا عليهم ولا تهنوا ولا تضعفوا ، فإن حقنا قوى ونحن من ورائه والله من ورائهم محيط : قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين . ويذهب غيظ قلوبهم ، .

وإبه لمن يمين الطالع أن تقبل الذكرى السابعة لبداية جهادكم ، وقد عاد زعيم العروبة والبطل الإسلامي جمال عبد الناصر ، من الولايات المتحدة منصوراً ، أرسى قواعد السلام . وأثار معالم الطريق للذين ينشدون الحق ويبغون الخير ، ويحرصون على أن يسعدوا البشرية ، ويحققوا للإنسانية ما تريد من صلاح وسداد .

فليستبشر كل مجاهد بمن وضعوا رءوسهم على أكفهم مجاهدين في سبيل الله بأن الباطل مهما طال أمده واشتدت وطأته فهو أمام الحق والعزم والإيمان بالله خائر القوى ، واهى العزيمة مهدم البنيان . فاللهم أحص أعداءنا عددا واقتلهم بددا ولا تبق منهم أحدا .

ونحن إذ نذكر بيومنا هذا - وهو اليوم

تيسير على قاعده

للأستاذ عباس محمود العقاد

والعروض كالنحو في تيسير الملكة المطبوعة
بوسائل الصناعة ، ويلحق بهما التعريب -
في إجرائه للكلام الأعجمي مجرى الكلام العربي
بلفظه أو بمعناه .

فلا مشاحة في التيسير ، ولا يعذر قادر
على التيسير بتركه لغير ضرورة ليتجشم الصعب
العسير وهو مكتوف اليدين .

لكن التيسير في هذه المطالب الواسعة لن
يتيسر على غير قاعدة ، وإنما هو جهد ضائع
أو طريق مضلة لا تعرف لها حدود ولا تنضح
لها غاية ، إذا أخطأ الوجهة من فاتحة الطريق .

ومن علامات الانحراف البعيد عن الوجهة
أن بحسب المجددون أنهم يفتنون يوما إلى كتابة
لا تحتاج إلى التعاليم أو كتابة تكفي وحدها لتيسير
القراءة الصحيحة بمعزل عن اللغة ، أو بلغة
خالية من القواعد والأصول التي يجتهد فيها المعلم
والمتعلم في كل مرحلة من مراحل التدريس .

وقد تجسمت علامات هذا الانحراف
في أقوال فريقين من طلاب التجديد أو طلاب
التبديل :

فريق يقول : إنه يتمنى اللغة العربية أن تصبح
كاللغات الغربية يقرؤها الطالب المبتدئ
كما تكتب بغير حاجة إلى الحفظ والاستدكار .

من مقاصد اللغة التي يشتغل بها دعاة
الإصلاح ، ودعاة التجديد ، تيسيرات كثيرة
نذكر منها تيسير الكتابة ، وتيسير النحو ،
وتيسير العروض ، وتيسير التعريب .

والتيسير مطلوب لذاته حيثما تيسر ،
فلا يحسن بنا أن نستصعب وبين أيدينا باب
من أبواب اليسر نظرقه على أمل ، قل أو كثر ،
فما هو أيسر وأقرب إلى الإمكان ، وإنه
على حب الأنفس له لأدب من آداب الإسلام
في أمور الدنيا والدين ، ويحق لنا أن نذكر
أن الكتابة والنحو والعروض والتعريب إنما
هي جميعا في أصل وضعها تيسير لمطلب لم يكن
بالتيسير ، وربما كان عمل الأقدمين في تيسير
الكتابة بالنقط تارة ، والشكل تارة أخرى ،
وتقسيم الخطوط وقواعد الرسم تارات
متتابعات ، أعظم كلفة وأبعد أمدا مما تتكلفه
الآن لتيسير الرسم والهجاء . أو تيسير أشكال
الكتابة والطباعة ، أو تيسير كل ما يستصعب
من بقايا المشكلة القديمة إلى العصر الحديث .

أما النحو فهو في أساسه صناعة تيسر
كسب السليقة ، ونجاحه في هذا المركب
الصعب أمر لا يختلف فيه من يطلبون له اليوم
مزيدا من النجاح .

أصوات كحرف (T) الذى ينطق (تاء)
كما فى كلمة to وثاء كما فى كلمة Think وذالا
كما فى كلمة this وشينا كما فى كلمة Mention
وسينا كما فى هذه الكلمة نفسها بالفرنسية .
وكذلك حرف ال (S) ينطق زايًا فى is
ورصادًا فى Salt وشينا فى sure وجيا معطشة
فى pleasure .

وكذلك حرف (g) ينطق جيا قاهرية كما
فى God وجيا قرشية كما فى gem وجيا معطشة
كما فى Religion وقد يكتب ولا ينطق كما
فى right .

وبعض حروف العلة تفترن فتنتطق على
أربعة أصوات كما فى هذه الكلمات
blood door و food moon .

أما قواعد النحو والصرف فالطالب
مضطّر إلى حفظ مئات الأفعال لشذوذها فى
التصريف بين المضارع والماضى واسم المفعول
وإلى حفظ مئات الأسماء لشذوذها عن
قواعد الجمع ، وإلى حفظ مئات الصفات
والظروف ؛ لأنها لا تجرى على قاعدة مطردة
فى اشتقاق الصفة والظرف من الاسم أو من
الفعل أو من صفة أخرى .

ولا حيلة للطالب فى التفرقة بين صيغ
الكلمات المنقولة إلى الانجليزية من اللاتينية
أو من الإغريقية أو من السكسونية أو من
سائر اللغات القديمة أو الحديثة ، والغربية أو
الشرقية فإن طريقة الانجليزية (نجليزية) الأعلام
والكلمات أصعب من طريقنا فى التعريب .

وفريق يقول على مذهب بعض فلاسفة
التربية فى العصر الحديث: إن العلم كله ، سواء
علم اللغة أو علم الطبيعة أو سائر العلوم
الإنسانية ، ينبغى أن يساق إلى التليذ كأنه
تجربة يتلقاها من وحي البيئة المدرسية
ومن جهوده المكتسبة ، ليختفى أثر المعلم
ويختفى تكليف التعلم وتأتى المعرفة إليه طواعية
فى مرحلة بعد مرحلة من معاهد التعليم

والفريق الأول ينظر إلى صعوبات اللغة
العربية فلا يراها فى اللغات الأجنبية فيحسب
أن هذه اللغات خلو من جميع الصعوبات ،
وهو غير الواقع كما نرى من أقرب نظرة
إلى الأبجديات ، الأوربية ، وهى ثلاث
على الإجمال : لاتينية يكتب بها سكان أوربة
الغربية على الأكثر ، وغوطية يكتب بها
الجرمان على الأكثر وكيرلية يكتب بها
مشاركة القارة على الأكثر ، ولا يتفق فيها لفظ
الكلمة المكتوبة على أسنة أمتين ولو كانت
لها أبجدية واحدة من هذه الأبجديات الثلاث .
وأظهر ما يظهر ذلك فى كتابة الأعلام .
فإن اسم جيمينز Jimenez مثلا ينطق بالخاء
فى الأسبانية وبالياء فى الألمانية وبالجيم
المعطشة فى الانجليزية .

واسم Franklin بنطق فرنسكل بالانجليزية
وينطق (فرانكلان) بالفرنسية .

واسم Guiliam ينطق جليوم بالألمانية
وجيوم بالفرنسية ووليام بالانجليزية .

أما الحروف ففها ما يلفظ على خمسة

تذليل الصعاب أو يخطر له أن تذليلها مطلوب في كل مقصد غير تثقيف العقل والاعتراف بالفضل لمن يتولى تثقيفه ومعونه على تنمية عقله وهو أحوج ما يكون إلى تلك المعونة . وإلى أمثال هذا الرأي الوخيم يرجع اللوم في مقال من يسأل مثل هذا السؤال : هل يتعلم الإنسان ليتكلم ؟ هل يتعلم لينطق ؟ هل يتعلم ليقرأ ما هو مكتوب أمام عينيه ؟ فإن السائل الذي يفوه بهذا السؤال يخيل إليه أنه سؤال غني عن الجواب ، وأن جوابه إذا تكلف أحد أن يجيبه هو : كلا . بكل تأكيد .

ومن سخرية المفارقات أن يفوت سائلا أن الإنسان لا يطلب منه أن يتعلم شيئاً قط كما يطلب منه أن يتعلم ليتكلم ، وأن يتعلم ليحسن الكتابة فيحسن القراءة بغير عناء ، وأن يؤمن بواجب التعليم على الحيوان الناطق ، ليسكون حقاً حيواناً ناطقاً يحسن النطق بجميع معانيه .

وسيضيق كل جهد يبذله طلاب الإصلاح والتجديد إن لم يكن معلوماً من خطواته الأولى أن التيسير مطلوب حينما استطاعه المستطيع ، ولكنه لا يستطيع بعد طول العناء أن يسقط واجب الاجتهاد في تعلم اللغة ، وأن يحسب الجهد فيها أكثر مما تستحقه من المعلمين والمتعلمين .

عباسي محمود العقاد

فمن ضياع الجهد إذن أن تحاول التيسير بمحاكاة الأبجديات الأوربية ، أو بمحاكاة قواعدها في التركيب والاشتقاق والإعراب . ولا بد أن نسلم . أولاً وآخراً ، أن معرفة الحروف وقواعد الإملاء لا تغني الطالب عن الحفظ والاستذكار .

أما طريقة التربويين في تيسير التعليم بإخفاء عمل المعلم أو إسقاط الشعور بواجب التعلم فهي في الواقع تجاهل لحقائق الحياة وهدم لمعنى الواجب في أول الواجبات المقدسة التي تصادف الطفل منذ نشأته الأولى .

فمن وقائع الحياة التي لا سبيل إلى محوها أن التعلم ضرورة لازمة من ضرورات الحياة لكل فرد ينشأ بين أبناء نوعه ولا يستطيع - مهما يبلغ من جهده - أن يستوعب محصول المعارف النوعية خلال الأجيال المتعاقبة ، وليست له مصلحة في جهل هذه الحقيقة وهو يتوجه إلى المدرسة لينفي عنه الجهل بما هو أبسط من هذه الحقيقة ويدرك عمل العقل والفهم وحدود الفكر الإنساني بين الفرد الواحد والنوع الكامل من ماضيه البعيد إلى مستقبله البعيد .

وشرزاد يزوده الطالب الناشئ من معاهد التعليم أن يتعلم منها الاستخفاف بواجب التعلم وهو أول واجب يصادفه في حياة الطفولة ، ولن يستقر عنده رأى هو أسوأ أثراً في تربيته وتكوين أخلاقه من أن يستكسر الجهد على المعرفة ، وأن يسقط عن كاهله

جامعة القرويين وإسهامها في حفظ التراث الإسلامى للأستاذ الدكتور محمد البقي

تمهيد :

وعلى الوطن معا . وليست هناك خصائص
للإنسان يتميز بها عن إنسان آخر إلا فيما
يتصل بلغته وتفكيره ، ومنطقه ، وقلبه
وعقيدته وسلوكه فى الحياة .

جامع القرويين وصلته بالمقومات

الثقافية للمجتمع العربى فى المغرب :

ونحن إذا انتقلنا - بعد الآن - إلى تحديد
الرسالة التى وكلت إلى جامع القرويين منذ
إنشائه فى سنة ٢٤٥ هـ بفاس وقام بها أجيالا
عديدة متعاقبة ، وحمل عبئها منذ أنصف
الأول من القرن الرابع الهجرى حتى الآن ،
وأثقلت كاهله مرة فأبطأ السير بها ، وخفت
عليه مرة أخرى فسار بها قدما إلى الأمام -
إذا انتقلنا إلى تحديد رسالة جامع القرويين
وجدنا أنها ترتبط باللغة العربية ، وبالإسلام
وبالمعرفة العربية الإسلامية المتوارثة ،
وعلى العموم بما يسمى بالتراث العربى
والإسلامى . وإذا انتقلنا إلى المغرب كوطن
وجدنا أنه وطن عربى ، وأن لغة سكانه
هى العربية ، وأن دينهم هو الإسلام ، وأن
تاريخهم الثقافى ، وتاريخهم فى المعرفة يتصل

إن المقومات الثقافية لآى مجتمع ، أو لآى
شعب ، تتمثل فى اللغة وفى الدين السائد ،
وفى المعارف الإنسانية الموروثة المشتركة .
فاللغة تحمل بألفاظها وعباراتها القيم العليا
التي يعنى بها دين المجتمع أو دين الوطن ،
كما تحمل قضايا المعرفة الإنسانية التى يتوارثها
أفراد هذا المجتمع أبناء عن آباء ، وآباء
عن أجداد والقيم العليا التى لدين المجتمع
أو الوطن هى التى تحدد توجيه أفرادِهِ ، وتحدد
العلاقات بين الأفراد بعضهم مع بعض ،
كما تحدد أخيراً الهدف العام الذى يهدف إليه
أفراد المجتمع فى سعيهم ، وفى نضالهم فى هذا
السعى فى الحياة .

وبغير لغة ، وبغير دين ، وبغير معرفة
متوارثة لا يقوم مجتمع ، ولا يتميز مجتمع
عن مجتمع ، ولا تتحدد معالم وطن ويتميز
بهذه المعالم عن وطن آخر . فالمجتمع الذى
نعنيه هنا هو مجتمع الإنسان ، والوطن الذى
نريده هو وطن الإنسان . وبهذا الاعتبار
لا بد أن يضمن الإنسان من خصائصه على المجتمع

المدافعين بمنطقهم وتفكيرهم عن قيمه ،
وكانوا الملقنين بالسنتهم للأجيال الجديدة
هذا التراث - وبذلك كانوا هم العمدة الذين
قامت عليهم حياة هذا التراث ، واتصل
بوجودهم وجوده وبقاؤه فن مقال كتبه
Lévi - Provençal Imtiation au Maroc
في كتاب (١) .

وقد وجهت الأنظار إلى فاس بعد أن
أصبحت مركزاً هاماً من مراكز الثقافة منذ
بدء القرن الرابع عشر على وجه الخصوص
أى بعد أن هاجر إلى مراکش كثير من
العلماء الذين يحملون علم الثقافة الإسلامية
بعد أن وقعت شبه جزيرة أيبيريا (أسبانيا
والبرتغال) في أحضان المسيحية من جديد ،
وذلك تقريبا في القرن الرابع عشر - فأضفى
ذلك عليها ثوبا عليا يرجع الفضل فيه إلى تلك
الجامعة العريقة : جامع القرويين .

الزمان والعقبات :

وجامع القرويين في تاريخه الطويل ، أشبه
بكائن حي قد يكون سبب تعويق نموه في عهد
من العهود أمر داخلي يتصل بكيانه نفسه ،
وقد يكون سبب تعويقه أيضا أمر خارج
عن كيانه ؛ طارئ وقادم عليه مع دخيل
أجنبي يتحداه ويقاومه إن أراد أن يعبر
عن حياته ووجوده . وقد تعرض جاع

بأسلافهم الذين شاركهم في هذا التراث سواء
أكانوا في هذا الوطن ، في هذه الرقعة ، أو في
رقعة أخرى من الوطن العربي والإسلامي .
وإذن ، من هذا ترى أن جامع القرويين
في رسالته حمل مقومات الثقافة للجمع العربي
والوطن العربي في المغرب . وهو من أجل
ذلك يعد مركز هذا التراث القوي أو مركز
هذا التراث الأصلي الذي تدور على أساسه
حياة العرب في توجيههم وفي سعيهم في الحياة
في المغرب .

فإذا ما اضطلع جامع القرويين بهذه الرسالة
وحفظها على الأقل من الضياع ، فقد أدى
خدمة جليلة لهذا الوطن العربي ، وفي الوقت
نفسه أدى خدمة جليلة للتراث الإسلامي
والعربي بوجه عام . ولا يعيب جامع القرويين
بعدئذ أن يكون قد تعثر في السير ، أو يكون
قد جمد في مكانه فترة من الزمن ، أو يكون
قد اصطدم بعقبات أو أزمات وغالبا ،
فغلبته حيناً وانتصر عليها أحيانا - لا يعيبه
ذلك لأنه على كل حال ما أبطأ في سيره ،
وما جمد في حركته . وما انهمز في مغالبتة
إلا من أجل هذا الوطن العربي . ومن أجل
هذا التراث الإسلامي . لا يضير رجالة أن
وجهت إليهم سهام النقد وكثير من النقائص
والمعائب ، فإنهم كانوا القوة للجامع القرويين
يغالب بها فيغلب أو ينتصر ، وكانوا الحافظين
في صدورهم لأصول هذا التراث ، وكانوا

المسلمين من علوم دينية وكونية ، طبيعية وفلسفية ورياضية فضلا عن اللغة وعلومها ، وما يتصل بها من دراسات . وبذلك عدت هذه الفترة في تاريخ جامع القرويين فترة ذهبية . دلت من جانب على قوة الحياة العلمية ، ومن جانب آخر على سعة الفهم فيما يسمى بالتراث الإسلامي ، وفي مسائل حفظه والإبقاء عليه .

ولكن جد على جامع القرويين قبل الاحتلال الفرنسي في سنة ١٩١٢م ما أصاب هذه الحياة العلمية من ركود وضيق في فهمها ولم يكن السبب في هذا هو ضعف المجتمع العربي الإسلامي في المغرب وحده ، وإنما كان السبب الأول - كما أشرنا - هو عزلة علماء القرويين عن الحياة وأحداثها . وربما كان لهم العذر في ذلك بحكم ما لوظيفتهم العلمية وما لرسالتهم الفكرية من صلة وثيقة بخصائص طبيعة الدين .

فمبادئ الدين كمبادئ نظام للحياة - من شأنها أن يكون لها طابع الثبات . إذ أن المبدأ - كمبدأ - لم يكن مبدأ إلا لأنه انتهى إلى وضع معين عند ذلك نموذجاً من جانب وهدفا يسعى الإنسان في حياته لتطبيقه والاقتراب منه من جانب آخر . ولذا فالعلماء الذين تدور رسالتهم العلمية والفكرية في إطار المبادئ الهامة الثابتة التي لها قداسة يكون

القرويين اللامرين معا : تعرض للضعف الذاتي وتعرض للهجوم الخارجي الأجنبي . وإذا كان للجامع العربي في المغرب الذي عاش فيه جامع القرويين بوجه عام في فترة من الفترات دخل في ضعفه الذاتي ، فإن الأمر في هذا الشأن يرتبط أكثر بالقرويين أنفسهم من العلماء والموجهين فيه ، وضعف تأثيرهم بأحداث الحياة ، وإيثارهم العزلة عما يدور في المجتمع الصغير وهو المجتمع العربي في المغرب أو المجتمع الكبير وهو المجتمع العالمي من أحداث وثورات اجتماعية أو فكرية . فنحن نعرف أنه بعد القرن الرابع عشر الميلادي وبعد سقوط الأندلس في أحضان المسيحية هاجر إلى جامع القرويين عدد كبير من مشاهير العلماء الإسلاميين في شتى العلوم وأنواع المعرفة وفي مقدمتهم الفيلسوف ابن باجة والأطباء : لسان الدين بن الخطيب الوزير المعروف ، وأبو العلاء زهير ، وأبو محمد القاسم بن محمد الغساني ، والجغرافي النبائي الشريف الإدريسي^(١) . وإنه بسبب لقاء هؤلاء العلماء الوافدين بالعلماء والطلاب في جامع القرويين ، تزايدت حيوية الحركة العلمية في التراث الإسلامي ، وتناولت تقريبا جميع جوانبه التي عرفت للسابقين من علماء

(1) Lévi - Provonçal Initiation au Maroc.

القرويين - لأنه مسجد ، ولأن فروع المعرفة المختلفة التي كانت تدرس فيه لها صلة بالدين - كان العامل القوي في حفظ التراث الإسلامي والعربي ، وإن ابتعد رجاله في عهد من عهوده عن التأثير بالأحداث الخارجية ، ومن ثم لم يجاروا العالم الخارجي في تطوراته الفكرية وفي أساليب التأليف وفي مناهج البحث ، وفي صور العرض ، لحفظ التراث الإسلامي والعربي لازم وخصيصة لطبيعة جامع القرويين في كل ما مر عليه من عهود وعصور ، وإن اختلفت صور هذا الحفظ أو اختلف تركيز العناية فيما يحفظ منه .

بعد الاستقلال الفرنسي سنة ١٩١٢ :

إن الاستعمار منذ القرن التاسع عشر ، إن اعتمد مبدئياً على أن يخلق فوضى اقتصادية في البلد الذي يريد احتلاله كتمهيد للتدخل في الشؤون الداخلية - وإن اعتمد على إزلال قسوات برية يحتل بها المواقع الاستراتيجية في البلد المحتل ، ثم على مباشرة تصريف الأمور في المراكز والقطاعات الحساسة في جهاز حكومة البلد المحتل باختيار بعض رجاله ، وكذا بعض أعوانه من أهل الوطن المحتل - فإنه يعتمد في استمرار الاحتلال ، وفي تيسير استغلال موارد البلد المحتل الاقتصادية واستخدام الطاقات البشرية لسكانه ، على قطع الصلات بين الماضي

تأثرهم بالحياة التي تحيط بهم وبأحداثها التي تقع فيها ليس على نحو تأثر الذي يعيش في ذات الأحداث أو يتفكر ليرصدها ويعبر عنها أو يحكم عليها .

ولذا لو وجدنا علماء القرويين قد لفظوا الجوانب الرياضية والفلسفية والطبيعية من محيط التراث العربي الإسلامي ، خارجا عن إطار تفكيرهم ومدارستهم ومناقشاتهم فإن ذلك ربما يعود إلى فهمهم الخاص في ذلك الوقت للحياة والدين ، كما يعود إلى إيثارهم البقاء في دائرة المعرفة الدينية وحدها ، توفيرا للوقت في سبيل العناية بها ، وحفظها من الضعف أو الضياع .

ومع ذلك ، فلولا قداسة الدين ، ولوطبيعة الإيمان به لما بقيت العناية بعلوم الفقه والحديث والتفسير ، وما يتصل بشرح الدين ، ولما بقيت عناية كذلك بعلوم اللغة العربية التي هي وسائل فهم نصوص الدين . وإذا كانت طبيعة الدين توحى بثبات المبادئ ، ومن ثم قد يتأثر بثباتها هذا بعض المشتغلين بها فلا يتأثرون في فترة من الفترات كثيرا بالتطورات والتغيرات الخارجية في المجتمع الخاص أو العام - فإن طبيعة الدين نفسها وما تقوم عليه من قداسة وإيمان هما السبب في الإبقاء على العلوم التي تتصل به ، وعلى علوم اللغة التي تعد وسيلة له . وإذن جامع

تنشأ بعد الاحتلال إلى قبول التبعية للمستعمر المحتل ، ولأنها تجهل ما لها من ماض لا تجد لها عندئذ سنداً تستند إليه إذا ما أرادت أن تخفف من هذه التبعية ، أو إذا ما رغبت أن تعود إلى الاستقلال في الشخصية والتوجيه وقتاً من الأوقات .

وهذا الذي يصنعه المستعمر منذ القرن التاسع عشر لا يفترق فيه مستعمر عن مستعمر إلا بمقدار ما يغلو أحدهما في الأمر ، أو يسرع في تنفيذه . فالذي وقع في المغرب بعد احتلال فرنسا في سنة ١٩١٢ وفي تونس سنة ١٨٨١ يشبه الذي وقع في ليبيا بعد الاحتلال الإيطالي في سنة ١٩١٢ ويشبه ذلك الذي وقع في مصر بعد الاحتلال الإنجليزي في سنة ١٨٨٢ م . فلم تعد بعد الاحتلال هنا وهناك عناية باللغة العربية ، ولا بمقومات الثقافة الإسلامية والعربية ولا بتلك المثل والقيم التي سادت حياة المسلمين والعرب ، وتميز بها مجتمعهم عن المجتمعات الأخرى .

ولنما كان هناك إهمال لكل ذلك في الوقت الذي بدأت العناية باللغة الإنجليزية أو الفرنسية أو الإيطالية ، وبدأت العناية كذلك بقيم الحياة الغربية ومثلها ، وبالنفكير الأوروبي ومنهجه تزداد يوماً بعد يوم ، حتى كاد العربي هنا وهناك ينسى ماضيه ويركز الفخر بحاضره

والحاضر : بين الأجيال التي تنشأ في الوطن المحتل ، وبين ما لأسلافهم من قبل من تراث عقلي وروحي ، وأجداد في تاريخهم الماضي وما كان سائداً بينهم من قيم ومثل عليها في الحياة ويتخذ المستعمر لقطع هذه الصلات بين الماضي والحاضر وسائل عديدة :

(أ) يعمد أولاً إلى إضعاف اللغة القومية بأهمال تقييدها وتدريسها للناشئة وبالاستخفاف بخصائصها وبازدراء أولئك الذين يتحمسون لها في الحديث والنطق ، وفي الكتابة والتأليف .
(ب) ويعمد ثانياً إلى تتبع الأخطاء أو نقاط الضعف في تفكير السابقين ، ويتخذ من ذلك وسيلة إلى الغرض من شأن التراث كله .
(ج) ويعمد ثالثاً إلى إعادة كتابة تاريخ هؤلاء الأسلاف ويسقط منه قصص البطولة ، وما هو موضع غر واعتزاز بالإضافة إلى ما يضيفه إليه من أحداث مختلفة ، أو تفسيرات مشوهة لبعض الأحداث التي وقعت .
(د) وفي الوقت نفسه يعمد إلى تقديم ماله من لغة وتراث عقلي ، ومنهج في التفكير وتاريخ ، في صورة تشجع على الاحتفاء به والعناية بأمره ، والارتباط بقيمه ونتائجه . ويخطط مناهج التعليم في المدارس التي ينشأها بعد احتلال البلاد على أساس دفع ماله من قيم ومثل ، وسلوك في الحياة دفعاً قوياً في حياة الناشئة . وبذلك تتجه الأجيال إلى

ولسكن الذى واجهه جامع القرويين من
تحدى المستعمر ومحاربة القيم الممثلة فى التراث
العربى الإسلامى الذى كان يعنى به ويقوم
على صيائه ، كان أعنف وأشدّ مما واجهه
غيره من نظائره فى بقية أجزاء الوطن العربى :
وكذلك الذى واجهه علماء القرويين
وطلابه من مرارة السخرية بهم واحتقار
ما ينتسبون إليه ، وواجهه أولئك أيضا من
مرارة الطائفية التى خلقها المستعمر باسم
الجديد فى مقابل القديم - كان أوضح وأعمق
فى مرارته ، مما واجهه إخوانهم فى بقعة
أخرى من بقاع الوطن العربى . فالمسيو
كوليز مندوب الحماية الفرنسية يصف بنفسه
تلك الخطوة التى اختطها المستعمر للتحدى الذى
أشرنا إليه ولتخريب القيم والسخرية بحاملها
أو المعتزين بها فى قوله : « عند إمضاء عقد
الحماية وجدنا أنفسنا أمام حالة واقعة إذ
وجدنا أماننا بفاس جامعة القرويين التى
زودت دول الإسلام الإفريقية طوال عشرة
قرون بقيادة الفكر كما وجدنا أيضا فى الحواضر
والبوادي عددا كبيرا من الكتاتيب
القرآنية يمدحها السلطان أو الأوقاف أو مطلق
الناس بما تحتاج إليه . نعم وجدنا أنفسنا
أمام مجموعة زاهرة بديعة من المدارس كبرى
وصغرى تعمل تحت ظل الأحياء الحضرية
أو تحت خيام المداشر . لقد سلطت الحماية
حربها على هذه المنظمات الثقافية المغربية

ولم يكن هناك إهمال لحسب للغة العربية والتراث
العربى والإسلامى الروحي والعقلي وإنما
كانت هناك سخرية واستخفاف بها ، وسخرية
واستخفاف بالقائمين على أمرها . وسخرية
واستخفاف - إن همسا ولمزا وإن علانية -
بمن يردد قيمها كما هى فى واقع أمرها ، أو
يعتز بالانتساب إليها والتمسك بها .

وهنا كان على جامع القرويين فى المغرب ،
وجامع الزيتونة فى تونس ، والزواوية السنوسية
فى ليبيا ، وجامع الأزهر بالقاهرة ، أن تواجه
هذا التحدى المقنع حينما والسافر أحيانا ،
وكان عليها أن تقاوم هذا التخريب الموجه
إلى أعز ما تملكه الأمة العربية والذى عليه
وحده تقوم نهضتها يوم تواتها الظروف
للنهضة ، وهو الذى يمثل تراثها الروحي
والعقلي ، وقيمها ومثلها فى الحياة ، ويمثل
لغتها وتاريخها الحافل بالإنجازات والبطولات
والملء بأسباب الفخر والإعزاز .

وكان على رجال القرويين والزيتونة والزواوية
السنوسية والأزهر أن يحملوا عبء السكفاح
وأن يتحملوا مرارة الاحتقار والسخرية
التي توجه إليهم باسم التقدم حينما ، وباسم
المدنية والحضارة الغربية حينما آخر ، وكان
عليهم أيضا أن يتحملوا فيما بعد عبء الطائفية
التي حدثت وقويت ، والتي خلقها المستعمر
باسم الجديد فى مقابل ما هو قديم ينتسبون
هم إليه ويعيشون فى ظله .

وإن الفرنسيين والأسبان ما لبثوا أن أخضعوا إدارة التعليم الأهلى لإدارة الاستعمارية بحيث أصبح أداة من الأدوات السياسية ، ولذلك أصبح محدوداً مراقباً ، مستغلاً لأن السلطة الجديدة أصبحت ترى فى انتشار التعليم تهديداً لها فى الصميم ، وبذلك بات التعليم فى البلاد يسير طبقاً لمبادئ استعمارية تهدف إلى :

١ - خلق طبقة من الموظفين محدودة العقلية يصلحون لأن يكونوا أدوات لا للتفكير .
٢ - يجب أن يتلقى الطلاب فى المدارس ثقافة محدودة لكي لا ينقلب من يتلقاها إلى مخلوق مفكر يحسن فهم الحياة المدنية على حقيقتها .

٣ - يجب أن يخلو من اللغة العربية إلا بمقدار ضئيل لا يشترط أى حد لضآلته ، ومن كل ما من شأنه أن يخلق العزة القومية أو يبعث على التفكير فيها من تاريخ وأدب ولكن يجب أن يترع بأبجاء الفرنسيين ، والأسبان ، بصفة تثير الدهشة .

٤ - إنشاء المدارس الفرنسية والأسبانية .
٥ - تقوية اللغة البربرية وجعلها أداة صالحة للكتابة .

٦ - منع الاتصال بمصر وقطع الاتصال الثقافى بين البلدين (١) .

فأغلقت عدداً كبيراً من المدارس التى بقيت من آثار هذا التعليم القديم ، كما نصبت عددها المستمر على جامعة القرويين وفروعها فى مراكش ومكناس ، والرباط وطنجة ، ووجدة . وعلى كل المؤبدىن القرآنين (١) .

أما ما يتصل بأهداف المدارس التى ينشئها المستعمرون وبالأخص الفرنسى ، فيتمثل الأستاذان الدكتوران عمر فروخ ومصطفى الخالدى ما بلى : إن المدارس الفرنسية تتبع سياسة واحدة دائمة وقيادة واحدة فى الأكثر هذه المدارس الفرنسية لا تسعى إلى استغلال النشاط القومى فى تعليم أهل البلاد ، ولاهى تسعى إلى إبراز الخصائص الوطنية حيث تفتح أبوابها لأبناء البلاد التى تكون فيها ، ولسكنها تجتهد فى أن تجعل من أبناء البلاد الذين تعلمهم سواء أكانت تلك البلاد مراكش أو مصر أو إيران أو الهند الصينية أشباها لأبناء فرنسا نفسها فى المظهر واللغة وأسلوب التفكير والتعلق بفرنسا المستعمرة (٢) .

والسيد عبد المجيد بن جلون فى كتابه : « هذه هى مراكش » ويصف خطة المستعمر بشقيها فيما نقله هنا من نص ، وعبارته :

[١] المغرب العربى منذ الحرب العالمية الأولى
علال الفاسى ص ٦٩ ، ٧٠ .

[٢] التبشير والاستعمار فى البلاد العربية :
للكتورين عمر فروخ ومصطفى الخالدى ص ١١٤ .

[١] هذه هى مراكش : عبد المجيد بن جلون
ص ١٤١ ، ١٤٢ .

الناشئة في ظله على نسيان مقومات مجتمعهم الأصيل . كما يعتبره صدرا صان عوامل البعث العربي الإسلامي ، ودفع بها اليقظة العربية في وقتنا الحاضر إلى أن تسعى لسيادة العرب على أنفسهم وسيادة القيم الإسلامية في مجتمعهم وبذلك تحقق استقلال المغرب كما تحقق استقلال مصر وليبيا وتونس وستستقل الجزائر اليوم أو غدا ؛ لأنها جزء من الوطن العربي ؛ ولأن مقومات مجتمعها اللغة العربية والإسلام ، والتاريخ العربي المشترك ، وهذه هي عوامل النصر والتحرر من سلطة المستعمر وتحدية التي استعان بها العرب المسلمون في نصرهم وتحريرهم . إن جامع القرويين لم يحن التراث الروحي والعقلي للعرب والمسلمين ، ولم يحفظ اللغة العربية من الضياع بحسب وإنما حفظ الأمة العربية نفسها في المغرب من الذوبان والتبعية والتلاشي .

إن علماء القرويين لهم الفخر — مهما سخر بهم الساخر واستخف بهم المستخف ، ومهما رماهم الرامي بالجود أو الرجعية أو التأخر في وقت ما — فإنهم الجنود البواسل الذين حرموا ترف العيش ، ومتعة الحياة الرخية في سبيل عزة الوطن العربي وبقاء الرسالة الإسلامية خالصة خالدة ؟

المع كنور محمد البهري
المدير العام للشقافة الإسلامية

وإذا اختلف الفرنسيون عن غيرهم من قوى الاستعمار الغربي في محيط الدول العربية في أنهم أوسع وأسرع خطى في تنفيذ خطة الاستعمار المشتركة — فربما ذلك يرجع إلى كثير من الأحقاد التي خلقتها الحروب الصليبية . والشيخ محمد عبده إذ يقول : « إنه لا توجد أمة تبغض المسلم لأنه مسلم لا الأمر آخر إلا فرنسا لأنني لما كنت أجتمع مع أحد الفرنسيين للذكرة في أحوال الشرق امتعض وينتفض أو يرتعد جسدي كله ، « إن الفرنسي إذا مدح الإسلام وذكر شيئا عن مزاياه فلا بد أن يكون غرضه من ذلك منعفة فرنسية . » إذ يقول ذلك فإنما يصف العقلية الفرنسية التي تأثرت أكثر من أية عقلية غربية أخرى بالهزائم التي مني بها الصليبيون في الشرق طوال القرون الثلاثة على يد المسلمين .

وجامع القرويين لذلك إذا وقف في وجه التحدي الاستعماري وفي وجه التحدي الاستعماري الفرنسي على وجه خاص ، وحافظ طوال هذا التحدي على وجوده ، وبالتالي حافظ على ما عني به طوال تاريخه من رعاية التراث الإسلامي والعربي — فإنه يعتبر في واقع الأمر قلعة تحطمت على صخورها الصلدة محاولات الاستعمار الفرنسي في الفصل بين ماضي المجتمع العربي في المغرب وحاضره وفي حمل الأجيال

مقوماتنا الروحية أمام المادية العالمية

للأستاذ محمد محمد المدنى

- ٣ -

الطريق بجماله بالمثل :

يأتى بعد هذين المقومين من مقوماتنا الروحية ، أمر ثالث له أهميته القصوى فى حياة الأمم والأفراد ، ذلك هو الإيمان بالمثل ، والقرآن الكريم يسمى ذلك بالتصديق بالحسن ، حيث يقول : « فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسن ، فسنيسره لليسرى ، ويسمى مقابله وهو الكفر بالمثل التكذيب بالحسن ، وذلك حيث يقول : « وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسن فسنيسره للعسرى ، . وللوجوديين صلة بهذا الجحود فى جانب المثل ، كصلتهم بالجحود فى الجانب العقيدى فهم يقولون : لا داعى لأن نعتبر شيئا من الأشياء فضيلة ومقابله رذيلة ، فإن كلا من الفضيلة والرذيلة ، أو بما نسميه بهذا وذلك إنما هو حقائق اعتبارية أوجدناها نحن واصطلحنا عليها ، ولو أننا اصطالحنا فى شأنها اصطلاحا آخر لكان لنا هذا ، ولأصبح ما نستحسنه قبيحا ، أو ما نستقبحه

حسنا ، ويمثلون لذلك بالزواج والخيانة فيقولون : ما الفرق فى واقع الأمر بين رجل وامرأة اتفقا على الزواج ، ورجل وامرأة اتفقا على أن يفعلا ما يفعله الأزواج ، بدون عقد زواج ؟ إننا نحن الذين اصطالحنا على أن الأول فضيلة ، والآخر رذيلة ، دون مسوغ لهذه التفرقة ، ولو أن مجتمعنا انقلب فيه الوضع واستمر زمانا حتى ألفه الناس لما كان هذا المجتمع بمنأى عن الفضيلة ؛ لأن له اعتباره واصطلاحه ، وبعضهم يمثل بالرقص ، فيقول : إن بعض المجتمعات ينظر إلى مراقبة الرجل والمرأة على أنه رقى ومدنية ، ويتخذ منه دلالة على علو الذوق ، وتهذب النفس ، مع أن مجتمعات أخرى تراه خروجا على الآداب ، وهتكا لصيانة المرأة واعتداء على الفضيلة ، فهذا شيء واحد تختلف الفطرة إليه هذا الاختلاف ، فنفهم من ذلك أنه لا صلة له بالفضيلة والرذيلة فى واقع الأمر ، وإنما هو مجرد اصطلاح جماعى أو اجتماعى .

فيأتنا نقول لهم : إن الذي يحاول إنكار الخير والشر ، والفساد والصالح ، والحسن والقبح ، وزعم أن هذه كلها أمور اعتبارية لا وجود لها في الواقع ، ولا حقيقة لها بالذات ، إنما يكابر فيما تحس به الفطر ، وتلحقه بالبدهييات التي لا تحتاج إلى دليل . وقد يما وجد قوم عرفوا باسم «السوفسطائية» مذهبهم أنه لا حقائق للأشياء ، ولم يقفوا في هذا الإنكار عند حد المعاني والأشياء المعقولة ، ولكنهم أطلقوا إنكارهم حتى في الأشخاص المحسوسة ، وقد ذكر - كطرفة من الطرف - أن الإمام أبا حنيفة تجادل مع أحدهم في المسجد طويلا ، فكان يلتزم جانب المكابرة واللجاج بالباطل ، فأوعز أبو حنيفة إلى أحد تلاميذه بأن يخفي دابة هذا السوفسطائي ، فلما خرج من المسجد ولم يجدها ، سأل : أين دابتي ؟ فقال له أبو حنيفة : وما دابتك ؟ وهل هناك حقيقة شيء يسمى الدابة ؟ وبهذا مخّر منه وأضحك منه الناس .

وهذا الشعور الفطري المركز في الطباع الذي يؤمن بأن في الوجود الخير والشر ، والحسن والقبيح ، والصالح والفاقد ، هو الشعور الذي يعتمد عليه القرآن الكريم في تقرير الجاحدين للبعث والجزاء ، فإن القرآن الكريم يحتاج لهذه القضية التي هي من

ويقولون مثل ذلك حتى في العفاف والحصانة فليس على المرأة ولا على الرجل من بأس في إطلاق العنان للشهوات الطبيعية الجنسية ، ولا لزوم للتمسك بما يسمونه للطهارة أو البكارة أو الحصانة أو نحو ذلك ، فقد خلق الذكر والأنثى على حالة لا بد لها من هذا الاتصال المعروف ، وهي مسألة طبيعية لاصلة لها بالمجتمع ، بل هي تخص أصحابها فقط ، كتلبية داعي الفطرة بالتغذى عند الإحساس بالجوع ، وبالتدثر عند الإحساس بالبرد ، وبالتبرز عند الإحساس بالحاجة إلى التخلي وهكذا ...

ويقولون مثل ذلك في الصدق والكذب والوفاء والغدر ، والشجاعة والجبن ... إلخ فكلها حقائق اعتبرناها ، وليس لها وجود ذاتي ، ولو عكسنا الاصطلاح فيها لانعكس أفلا يكذب بعضنا على بعض باسم المجاملة فيحسن الكذب ، أفلا ينافق بعضنا بعضا لمثل ذلك فنسمى هذا كياسة ولباقة ولا تعطيه اسم النفاق ؟ .

هكذا يقول الوجوديون أو - كما يسميهم القرآن الكريم - المسكذبون بالحسن ، أي الذين لا يؤمنون بأن هناك مثلا عليا وفضائل تحمد ، ورذائل تذم .

والواقع أن هذا كله ما هو إلا سفسطة ومغالطة :

الظلمات والنور ، وبين الظل والحرور ، وبين الأحياء والأموات ، فكأنها بذلك كله تقول : إن الجزاء على الأعمال بعد المصير إلى الله ، أمر تقتضيه الحكمة والعدل وإلا كان ذلك تسوية بين ما لا يستويان .

ويقول الله تعالى :

« وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ، ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ، أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض ، أم نجعل المتقين كالفجار ؟ » .

فالذى يسوى بين المؤمنين والمفسدين ، أو بين المتقين والفجار ، مخالف لقضية الفطرة والعقل السليم ، والذى ينسب إلى الله التسوية بين هؤلاء وهؤلاء ، عمليا بترك الحساب والجزاء ، يكون ناسبا إليه جل وعلا ما ينافي حكمته وعدله ، أو جاهلا به سبحانه .

قال صاحب الكشف في تفسيره لهذه الآية : « لما كان إنكارهم للبعث والحساب ، والثواب والعقاب ، مؤديا إلى أن خلق السماء والأرض وما بينهما عبث وباطل ؛ جعلوا كأنهم يظنون ذلك ويقولونه ؛ لأن الجزاء هو الذى سبقت إليه الحكمة في خلق العالم ، فمن جحدede فقد جحد الحكمة من أصلها ، ومن جحد في خلق العالم فقد سفه الخالق ، وظهر بذلك أنه لا يعرفه ولا

عقائد الإيمان الأساسية بأنه لا يجوز في منطق العقول التسوية بين الخير والشر ، وبين ما هو حسن وما هو قبيح ، وأن انتفاء البعث والجزاء يؤدي إلى التسوية بينهما ، وحكمة الله تعالى تتنافى مع هذا .

يقول الله عز وجل :

« إنما ننذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة ، ومن تزكى فإنما يترقى لنفسه وإلى الله المصير ، وما يستوى الأعمى والبصير ، ولا الظلمات ولا النور ، ولا الظل ولا الحرور ، وما يستوى الأحياء ولا الأموات » .

فهذه الآية الكريمة تقرر أولا : أن الذين تنفع فيهم نذارة الرسول إنما هم المؤمنون بالله ، وإن غابوا عنه فلم يروه بأبصارهم ، وهم الذين يقيمون الصلاة التى هى فرع عن الإيمان بوجود الله ، وتقرر ثانيا : أن من تزكى بعمل الخير والصالحات فإنما يترقى لنفسه حيث يفوز بجزائها عند الله ، الذى آمن به ، وتقرر ثالثا : أن المصير والمرجع إنما هو إلى الله وبذلك تقرر الألوهية وتقرر المثل التى يترقى بها من يترقى قاصداً نفع نفسه ونجاتها ، وتقرر المصير بالرجوع إلى الله ، ثم تأتى بعد ذلك بقضية تسوقها مساق الحقائق التى يسلم بها جميع أرباب العقول ، إذ تنفى المساواة بين الأعمى والبصير ، وبين

أحد الخائنين ، أو أن يكون له صديق من الغادرين ، أو رئيس من الظالمين ؟

* * *

والله تعالى قد تسمى بالأسماء الحسنى ، وهو رب الناس ، ملك الناس ، إله الناس ، وكل اسم من أسمائه الحسنى مؤذن بحبه لمعناه ، فهو الرحمن الرحيم ، الذى يحب الرحمة ويعامل بها عباده ويحب منهم أن يتعاملوا بها ، وهو المؤمن ، وهو الغيور ، وهو الغفور الودود وهو الصبور ، وهو الحكم العدل . . إلى غير ذلك من أسماء الجبال التى توحى إلى الناس بالمثل العليا وترغبهم فى أن يتمثلوها ويتعشقوها ويتخلقوا بأخلاق الله فيها ، فمن سوغ لعقله أن يسوى بعد هذا بين الجمال والقبح ، فقد سوى بين صفات الله الحسنى وغيرها من صفات السوء ، والنقصان ، وأجدر به أن يكون مطرودا من فضل الله ، محروما من توفيق الله ! والله المثل الأعلى فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم .

محمد محمد الطهري

عميد كلية الشريعة

يقدره حق قدره ، فكان إقراره لكونه خالقا كلاً إقرار ، و (أم) منقطعة ومعنى الاستقهام فيها الإنكار ، والمراد أنه لو بطل الجزاء كما يقول الكافرون لاستوت عند الله أحوال من أصلح ومن أفسد . ومن اتقى ومن فجر ، ومن سوى بينهم كان سفيها ولم يكن حكيما .

وهذا يبين أن منطق القرآن الذى يخاطب به العقول ، إنما هو منطق الذى يتحدث عن التفاوت بين الأفعال ، كحقيقة ثابتة تعرفها العقول وتطالب بها دون احتياج إلى إقامة الدليل عليها ، وهل يقام الدليل على الوجدانيات التى نخسها ! هل أنا بحاجة إلى أن أقيم الدليل لنفسي على أنى جوعان أو ظمآن ؟

وأبو حنيفة رضى الله عنه قد رسم الطريق للرد على هؤلاء ، أو إلزامهم بحكم منطقهم الأعوج فى أنفسهم ؛ فمن حقنا أن نقول لهم بأسلوب أبى حنيفة : أيرضى الواحد منكم أن تنطلق زوجته أو أخته أو ابنته تفعل الحنا ، وترتكب الزنا ، وتأتى بولد من الحرام فتنسبه إلى غير أبيه ؟ أيرضى أحدكم أن يأتمن على أعماله

عَالِجُوا السَّارِقَ بِمَا أَمَرَهُ اللَّهُ

لِلْأَسَازِ الشَّيْخِ عَبْدِ الْجَلِيلِ عَيْسَى

رُوع قَرْى وَبِلَاداً بِأَسْرَهَا يَفْرَضُ عَلَى أَهْلِهَا
الْإِنَاوَاتِ ، وَيَقْتُلُ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لِأَوَامِرِهِ .
ذَلِكَ الَّذِى دُوخ رِجَالِ الشَّرْطَةِ ، وَرَمَلُ نِسَاءِ ،
وَيَتَمُّ أَطْفَالاً ، وَأَذَلُ رِجَالاً ، وَابْتَزَّ أَمْوَالاً ،
وَأَمَّا حَوَادِثُ « سَوِيلَم » وَ« هَاشِم » ، وَأَمْثَالُهَا
فَلَا تَزَالُ مَائِلَةً فِي الْأَذْهَانِ .

وَلَوْ نَظَرْنَا فِي أَمْرِهِمْ وَلَآءِ وَأَمْثَالِهِمْ لَوَجَدْنَاهُمْ
نَشْتُوا لَصُوصاً أَغْرَاهُمْ ضَعْفُ الْقَانُونِ مِنْ
حَيْثُ عَقُوبَتُهُ الْهَزِيلَةُ . قَتَادُوا وَاسْتَفْجَلُوا
شَرِّهِمْ . وَأَوْغَلُوا فِي إِيْذَاءِ الْخَلْقِ ، وَاسْتَهَانُوا
بِمَا تَوَعَّدَهُمْ بِهِ الْقَانُونُ مِنْ حَبْسِ شَهْرٍ
أَوْ بَضْعَةِ شَهْرٍ يُخْرِجُونَ بَعْدَهَا لِيَكْرَرُوا
الْمَأْسَاءَ . وَمَاذَا اسْتَفَادَ الْمَوْظُفُ الَّذِى نَشَلَّ
مَرْتَبَهُ فِي أَوَّلِ الشَّهْرِ وَدَخَلَ عَلَى أَوْلَادِهِ
وَالْحَسْرَةُ تَحِيطُهُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ؟ مَاذَا اسْتَفَادَ
مَنْ حَبَسَ السَّارِقَ شَهْراً أَوْ شَهْرَيْنِ ؟
وَمَاذَا فَعَلْنَا لِلْمَجْتَمَعِ ؟ إِنْ هَذَا السَّارِقُ
سَيَعُودُ لِيَسْرِقَ مَرَّةً وَمَرَّةً وَمَرَاتٍ . كَمَا قَالَ
الْأَسَازُ جَرِيْشَهُ .

وَلَسْتُ أَدْرِي لِمَ لَا تَنْفُذُ حُدُودَ اللَّهِ
وَلَوْ فِي هَذِهِ الْجَرِيْمَةِ : جَرِيْمَةُ السَّرْقَةِ . وَهِيَ
الَّتِى كَثُرَتْ وَاشْتَدَّ خَطَرُهَا . وَهِيَ أَكْثَرُ

اطْلَعْتُ فِي بَعْضِ الصُّحُفِ الصَّادِرَةِ يَوْمَ
الْخَمِيسِ ١٤ / ٤ / ١٩٦٠ عَلَى كَلِمَةِ الْأَسَازِ عَلَى
جَرِيْشِهِ وَكَيْلِ النَّائِبِ الْعَامِ ، وَعَلَى تَعْلِيْقِ
الْأَسَازِ مِيخَائِيلِ مَكْرَمٍ عَازِرٍ بِتَارِيخِ
٢٧ / ٤ / ١٩٦٠ .

وَمَعَ إِعْجَابِي بِمَا أَشَارَ إِلَيْهِ الْأَسَازُ عَلَى
جَرِيْشِهِ مِنْ أَنَّ قَوَانِينَ بِلَادِنَا الَّتِى جَلَبَتْ لَهَا
مِنْ بِلَادٍ عَدَّةٍ أَصْبَحَتْ كَالثُوبِ الْخَلْقِ الْمَوْلُفِ
مِنْ رَقْعٍ مُخْتَلَفَةٍ ، كُلُّهَا هَبَّتْ الرِّيحُ طَارَتْ
بَرْقَعَةٌ مِنْهَا ، أَقُولُ مَعَ إِعْجَابِي بِبَحْثِهِ الْقِيمَ إِلَى
سَأَعْرِضُ عَلَى أَوَّلِ الْأَمْرِ رَأْيِي مِنَ الْوُجْهِ
الَّتِى ارْتَضَاهَا الْخَالِقُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِمُعَالَجَةِ
بَعْضِ أَمْرَاضِ عِبَادِهِ الَّذِينَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ
وَنَجْوَاهُمْ وَعَلَلَهُمْ وَدَوَاهَا . أَقُولُ يَجِبُ عَلَيْنَا
أَنْ نَعْتَبِرَ بِالْحَوَادِثِ ، وَلَا نَدْعَاهَا تَمَرُّ بِنَا
دُونَ أَنْ نَتَكَبَّرَتْ بِهَا . فَيَصِيبُنَا فِي الْغَدِ سَهْمُهَا
كَمَا أَصَابَنَا بِالْأَمْسِ .

فَهَذَا « اللَّصُّ الْقَاتِلُ » الَّذِى اسْتَفْجَلَ شَرَّهُ .
وَتَعَدَّدَتْ جَرَائِمُهُ . فَأَنْزَعَ الْآمِنِينَ وَقَتَلَ
الْأَبْرِيَاءَ . وَشَغَلَ الشَّرْطَةَ بِلِجْهَازِ الْآمِنِ
كُلِّهِ حَتَّى سَقَطَ صَرِيْعاً ، وَمُنْذُ زَمَنِ لَيْسَ
يَعْبُدُ كَنْ « خَطُّ الصَّعِيدِ » ذَلِكَ الْمَجْرَمُ الَّذِى

على تخفيف ويلات المصابين من أبنائها في بعض الحوادث ، فتعمل له رجلا أو يدا صناعية ... فكيف نقدم نحن على تشويه الناس ... ؟ وأنا أقول : إن هذا علاج لا تشويه . كالعلمية الجراحية التي يبتريها الطبيب رجلا أو يدا مصابة بالسرطان ، فالمجتمع جسم واحد والعضو الفاسد منه يجب أن يجرى عليه مبضع الجراح ، وكما يسر المجتمع أن يتخلص من أمراضه حتى لا تفتك به ، ومن علله حتى لا تقضى عليه . . .

وقد يقول قائل : إن الأمم تعمل على تقليل عدد المتعطلين من أبنائها . كما تعمل جاهدة أن يكون كل فرد منها منتجا فكيف يزيد نحن عدد المتعطلين من أبنائها . كما نمنع أبناء الأمة من الإنتاج بقطع الأيدي : وستضطرب الدولة للإتفاق على من قطعت يده دون أن يقوم بعمل أو ينتج شيئا . رب قائل يقول ذلك فنقول له : إن السارق الذي تقطع يده لم يكن منتجا ولكنه كان معول هدم في الأمة يروع المنتجين . ويقلق العاملين . وأما ما تنفقه الدولة على هؤلاء ، فلا يعدو أن يكون نوعا مما تنفقه على الوعظ لإرشاد الناس . أو شيئا مما تنفقه في سبيل الإعلان والدعاية لشيء يفيد الناس ويوجههم لما ينفعهم ماديا أو أدبيا أو اجتماعيا . وهل قطع يد السارق والإعلان عن ذلك بين الناس وإذاعته عليهم ومشاهدتهم

الجرائم ترويعا للناس وشعلا للجهاز الأمن في الدولة .

لعل أكثر من نصف القضايا التي تنظرها المحاكم الجنائية هي قضايا السرقة . وأن قطع يد واحدة لكسفير أن يريح الناس من هذا الشر المستطير . فهذه أرض الحجاز التي كانت في يوم من الأيام مباءة للصوص وقطاع الطرق ، وقد ذاع بين ربوعها السلب والنهب . ما أن نفذت فيها حدود الله ، وقطعت فيها يد السارق ، حتى عم الأمن وأصبحت تمضى الشهور بل والسنوات دون أن نسمع بحادث واحد من حوادث السرقة ، وانتهى هناك عهد قطاع الطرق .

ورب قائل يقول : إنها لقسوة أن تقطع يد آدمي ... ولكني أقول هل من القسوة أن نفتق من الظالم الباغي ... ؟ وهل من الرحمة أن نرفق بوحش كاسر شرير يعدو على الأبرياء من الرجال والنساء ، من الشيوخ والأطفال ، يروعهم ، ويتهك حرمتهم ، ويسطو على أموالهم ، بل وعلى أرواحهم يزهق منها من يعترض طريقه ... ؟

وهل من القسوة أن تقطع يدا ؛ لثرحم مئات من بطشها ... ؟ وهل من الرحمة أن نصون هذه اليد لتسفك دماء وتعيث في الأرض فسادا ... ؟

ورب قائل يقول : إن الأمم الراقية تعمل

وأنتى بها الوعظ ، هل أصلحت من اللصوص
أحداً . . . ؟ - كما قال الأستاذ جريشه - إن
صحف السوابق تشهد أنه يندر أن نجد لصا
ليس له عدد عديد من السوابق ومعنى ذلك
أنه كلما أطلق سراحه عاد لما كان عليه فلم
ينفعه وعظ ولا إرشاد . صدق الله العظيم
حيث قال فى أمثالهم : « ولو ردوا لعادوا لما
نهوا عنه » .

وهذا هو النبي صلى الله عليه وسلم يقول :
« لو سرق فاطمة بنت محمد لقطع محمد يدها ،
وهناك علاج آخر جاء فى القرآن الكريم
نضعه تحت أنظار المستورين من رجال الأمة
لعلمهم يجدون فيه غوثاً ينقذ الأمة من هذا الشر .

ذلك هو قوله تعالى : (إنما جزاء الذين
يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض
فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم
وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض
ذلك لهم خسر فى الدنيا ولهم فى الآخرة
عذاب عظيم) آية ٣٣ من سورة المائدة .

فإذا علمنا أن هذا هو تشريع العليم الخبير
بطبائع الناس وما يصلحهم نعلم فساد رأى
القائلين : إن الأمم تتجه إلى إلغاء بعض
العقوبات الشديدة . فكيف بنا نشدد
العقوبة .

ولا شك أننا يجب أن نعمل ما يصلح به

(البقية على ص ٥٦٣)

له مقطوع اليد ، إلا نوع من الدعاية للأمانة
والبعد عن السرقة وإيذاء الناس فى أموالهم
بل هو أعظم رادع ، وأقوى زاجر لمن تحدته
نفسه أن يمتن السلب أو يفكر فى العدوان
على الآمنين .

ولا ريب أنه إذا اطمأنت النفوس
فسينصرف الناس إلى أعمالهم آمينين مجددين
لا يشغلهم شاغل ولا يلهيهم آثم . وتوفر
على الدولة أموال طائلة مما تنفقه على جهاز
الامن ويتمنع قطع اليد كما قال العربى الأول
« القتل أنفى للقتل » ، وكما قال الله عز وجل
بأبلغ من ذلك : « ولستم فى القصاص حياة
يا أولى الألباب » .

ورب قائل يقول : ولم لا نعالج المجرم
بالإصلاح والتهديب . والواقع أن هذا كلام
فى جملة نظرى أقرب إلى الخيال منه إلى
الحقيقة . ولست أنسى ما ذكرته الصحف
منذ بضعة سنين عن ولد بلغت سنه
أربع عشرة سنة ولما اطلع مأمور قسم السيدة
على صحيفة سوابقه هاله أن وجد له أكثر من
١٥ سابقة ، فما كان من الولد إلا أن قال
ببراءة الفطرة : « لا يمكننى أن أمتنع عن
السرقة . فإن يدي تمتد ولا أستطيع أن
أمنعها ، إن شئت ياسيدى ألا أسرق فأقطع
يدي » .

ولم ندم بعيداً وهذه السجون منذ أنشئت

فتح آية القرآن

عداوة الأغنياء للبيّاضحين من آفات المجتمع

للأستاذ عبد اللطيف السبكي

نوح عليه السلام !! قال الملائكة من قومه إنا لنراك في ضلال مبين ، .
وكذلك قيل لبقية المرسلين من بعده .

١ - محمد بن عبد الله ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

وما كان الأنبياء ، ولا واحد منهم ليتهم بالضللال ، أو يرى بالسفّه وهم المبعوثون للهداية ، أو ليوصفوا بالكذب أو غيره من معابة وهم أرشد الراشدين المرشدين .

٣ - وحينما يتحدث القرآن عن الرسالات وتطورها ، وما لقيته دعوته من شطط في الخصومة والعنت يبدأ بذكر نوح عليه السلام ، كما في آيات الأعراف التي سقناها في المقال السابق ، والتي اقتطفنا أولها في مطلع حديثنا اليوم .

فسياق الكتاب العزيز في هذا الشأن يفيد جانبين - أحدهما - أن دعوة نوح هي نفسها دعوة الرسل من بعده في أصولها ، ومقتضياتها حتى كانت خاتم الرسالات بالنبي محمد خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليهم جميعا .

١ - كما تشابهت دعوة الأنبياء لأهم في مقاصدها الخيرية ، ومنهاجها البين : تشابهت خصومات الأمم في المكابرة بالباطل ، والتناول في غير حياء ولا وعى .

فحينما يتبلج الحق ، وتنهض حجته لا يعدم خصومة تثار في وجهه ، ويتشبث بها غبي حاقذ زاعما أنه على فطنة ورشد ، وما هو إلا غبا . يسد منافذ الدعوة إلى عقله ويحجب نور الهداية عن قلبه .

وكم من عائب قولا صحيحا

وآفته من الفهم السقيم

٢ - وهذا نوح عليه السلام ، دعا قومه إلى الهدى فلم يكفهم أن تغاضوا عن إجابته ، بل عارضوه ورموه بالضللال المبين .

وكذلك قيل لهود من بعده . وقيل لصالح ولشعيب . ونحوهم من الأنبياء إلى خاتمهم

بالحديث عن الكافرين حتى يسبقوه في الحكاية عنهم كما سبقوه في التاريخ ثم : ماذا حصل ؟؟ .

قال : يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ، قالوا : إنا لنراك في ضلال مبين . ناداهم بالقومية ، والنداء بالقومية ينبه عاطفة الإخاء القريب أو يثير مشاعر الود ويجذب إلى الوحدة والتضامن ، ويطمئن إلى الإخلاص وتوثيق الروابط .

والناس بحاجة إلى كل هذا التجمع في حياتهم الخاصة والعامة إذا قدروا معنى الحياة ، ولم يفهم أنها في أول مراتب الاعتبار بالنسبة للإنسان .

ولذلك الذي نقوله : ترى خطاب النبيين - لأنهم فيما عهدناه من قصصهم - كان دائماً بيا قوم أو ما هو بمعنى هذا . عدا النبي محمد صلوات الله عليه وسلامه فقد قال (يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً) .

وقد ظل نوح يكرر عليهم نداءه هذا ، ويتدفق عليه جيلاً بعد جيل ، وما يسمع منهم إلا تنقيعاً له واستهجاناً لدعوته . يا نوح قد جادلنا فأكثر جدالنا .

وهو يلاطفهم فمرة يقول : يا قوم ليس ب ضلالة ، ولكني رسول من رب العالمين . ويقول : دأبكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون ، فإله يوحى إلى بأمر

« إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده - شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ، .

الجانب الثاني أن رسالة نوح كانت في قومه الذين ينتمى إليهم ، ويعيش فيهم ، وهم العارفون لشخصيته ، والشاهدون بكريم سمعته كما هو الشأن في كل نبي يبعث . وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ، الآية . وطبعي أن يكون الاختيار لمن لا تعلق به نقيضة ، ولا تحوم حوله شبهة ، حتى يؤتمن على التوجيه ، ويصلح للقدوة . فالمفروض أن يلاقى إقبالا ويواجه تأييدا ، وخاصة إذا بعث بعد أن عاش بينهم أمدا طويلا وناهيك بنوح الذي بعث بعد زمن قيل إنه مائتان وخمسون عاما قبل الرسالة .

٤ - وهل كان نوح أول من أرسل حتى يعتبره القرآن مضرب المثل في الوحي إلى محمد والنبيين من بعد نوح ؟؟ .

قال أولوا العلم كان من قبله آدم ، وشيث ، وأوريس ، ولكمهم ما بين نبي فقط كآدم وما بين رسول لم يشأقه ويكفر به قومه كما فعل قوم نوح معه .

فنوح أول رسول اختلف عليه أغبياء قومه فكانت ذكراه في قصص القرآن مطلع الذكريات ، وكانت العبرة بما جرى معه أول العبر ، وليس لمن سبقه اتصال

وأن من الخير للإنسانية أن يحتاج الله أولئك الكافرين ، لظهر الأرض من مآثمهم ، وتستقبل الدنيا عهداً قد يكون خيراً من عهدهم . فكان بعد المصابرة يعلن شكواه إلى الله : رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً . فلم يزد هم دعائي إلا فراراً . وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم ، واستغشوا ثيابهم ، وأصروا واستكبروا استكباراً . ثم إني دعوتهم جهاراً ، ثم إني أعلنت لهم ، وأسررت لهم إسراراً . رب إنهم عصوني واتبعوا من لم يزد ماله وولده إلا خساراً ، وأخيراً ، وبعد أن جأر بالشكوى من متبوعهم وتابعهم نفت ما بنفسه من سخط ، وقال : رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً - أحداً - إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ، ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً .

وهذه دعوات نبي مستجاب الرجاء ، ومكروب من ظلم قومه له ، وتحذيمهم بالكفر لرسالة الله إليهم فكانت لحياتهم الطويلة عاقبة وخيمة ، وكان لدعائه عليهم مغبة مشؤمه ، حيث أذن الله لنوح أن يصنع السفينة لينجو بها من غرق ماحق ، وأذن له أن يحمل في السفينة من آمن به ، ويحمل أزواجاً من الحيوان والطير ثم أفنذ الله أمره فيهم ، وبغتهم بالطوفان العارم ، يهطل عليهم من السماء ، ويتدفق تحتهم من الأرض ، ونوح ومن معه في السفينة تجري بهم في موج

الغيب ، وأنا لكم مخلص وأمين ، والأمانة والإخلاص من مقتضيات الأخوة الصادقة والقومية الأكيدة ، فضلاً عما تقتضيه رسالتى إليكم من ربى . . . فإن لم يكن بكم وفاء ، ولا ولاء غافوا عذاب ربكم في يوم عظيم الهول ، شديد الهوان على من خالف . أتصدى له في دعوته الملائ من قومه ، والملائ هم أصحاب المسكنة فيهم ، ودأبوا على مقاومته وصدد الغير عنه من أتباعهم والمستضعفين فيهم .

والملائ في كل جماعة يغيظهم أن يظهر عليهم من يخشون سيادته ، ويكبر في أنفسهم أن يسيروا وراء غيرهم ، ويتخلفوا عن الصدارة ليتابعوا سواهم ولو كان مرسلًا إليهم من رب العالمين .

فلم تكن شغلة نوح بأمر التبليغ فقط ، بل شغلوه بالمناوأة والانهاك بالضلال حتى كان يحاول الدفاع ، ويفرق ثم يترقق . . . حتى أخذ منه الغضب مأخذه ، وساوره اليأس منهم ، وعرف أكيدا أن أذاهم له ولمن آمن به غير مقطوع عنهم ، ولكنه لم يكن ليفتر عن نشاطه فيهم حتى صارحه الوحى بقطع الرجاء منهم : وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن ، وهنا أيقن أن تركهم على ضلالهم بعد مطاولته لهم عشرة قرون إلا قليلا سيمكن لهم في الفساد أكثر ،

وهكذا تحقق وعد الله في قوله لنوح عليه السلام حين نجاته من الغرق : « وقلنا يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك ، وعلى أمم ممن معك ، وأمم سمعتهم ثم يمسهم منا عذاب أليم » .

وكذلك حققت كلمة ربك على الذين كفروا ، وللكلام بقية عن ذلك في مناسبة آتية .

وبعد : فهذه مقتطفات أجملناها من قصص القرآن ، وهي تمثل ألوانا من حياة المجتمع في قديمه ، وتعرض لنا صورا من عقليات كانت تسيطر على أتباع وكانت لها جولات في توجيه أوقامهم ، ولكنها توجيهات الغباء ، والجهالة ، والجمود ، حتى ذهبت المشأمة الناجمة عن تخبطهم بالمجتمع كله ، وحتى ذهبت أمجادهم التي غرتهم ، وانطمست النعم التي أبطرتهم ، وأصبحوا حديثا تنقزز منه الإنسانية ويتوارى من ذكرها التاريخ .

هذه مقتطفات تسوق لنا العبرة فيما جرى لأولئك الأسلاف للاستفيد منها ، ولا تنأى بهم ، ولنعرف عنهم ، ولا نخطئ خطأهم ، وقد أتاحت لهم الفرص في نعمة سابعة ، وحياة طويلة ، وتذكير حق من رسل الله ، ولكن الغواية تمسكت منهم . والحق على الأنبياء استحوذ عليهم ، وتعثروا في غرورهم حتى كان من أمر الله فيهم ما كان .

نعم : تعب الأنبياء ، وكم تعبوا . وتعب من

كالجبال ، حتى استأصل الغرق من كفروا جميعا ، ولم ينج منه إلا نوح مع المؤمنين به « وما آمن معه إلا قليل » .

فهذه قصة واقعية ، كانت الفصل الأخير للرحلة الأولى من مراحل الحياة الدنيا .

وهكذا انتهت ثورة الملائ على نوح . وانتهت بدنياتهم سورة الجهل الذي زين لهم خصومته ، وعاقهم عن الأخذ برسالته ، وكذلك تكون العاقبة للمفترين على الحق ، كما كانت عاقبة أسلافهم في كل أمة خلت بعد نوح ولهم عند ربك في الآخرة مواقف أنكى وأشد ، وسيتنكر الطغاة بعضهم لبعض ، ويتبرأ المتبوع من التابع ، ويلقى كل منهما وزره على صاحبه ، وأخيرا يقول قائلهم في وهج النار وبعد اليأس من رحمة الله : « إنا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد » .

فهل تحققت عبرة لمن ورثوا الدنيا بعدد قوم نوح ، ذهب الطوفان ، وعمرت الأرض ثانيا بنوح ومن معه ، ومكث فيها نوح أمدا طويلا ، ثم تطورت الحياة وتغيرت الوجوه ونشأ في الدنيا قبيلة عاد التي وصفها الله بما وصفها من بأس ، وقرة ، ومال ، وتعمير ، فكانوا شر خلف لشر سلف وأخذهم الله بالريح العاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام وبردتها ، حتى تركتهم أخيرا كأمحاج نخل خاوية .

وتستجيب للصدق ، وعند ذلك تلتقي وجهات على الخير ، النظر فإن الحق بطبعه ناهض وناطق ، وإن الباطل بطبعه خافت وزاهق .
وتلك أو هذه إحدى الغايتين اللتين ينتهي إليهما الأمر بين الداعين والمدعويين .

وكانت غاية الأنبياء خيراً لولا المسألة ونفوذهم في الضعفاء ، فإن تكن الدنيا حافلة بهذا النوع من المستكبرين فإن شؤمهم سيحقيق بهم ، وبمن يرضى عنهم وهذه سنة الله ، والله غالب على كل شيء وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون ؟ .

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

بعدهم مصلحون آخرون في أقوامهم وكم تعبوا وماذا يعمل الداعي إلى الخير سوى إبداء النصح في إخلاص ، وسوى التحذير من سوء العاقبة في هدى الدين ، وهدى البصيرة ، والإخلاص ، والأمانة .

وماذا يساعد الداعي في دعوته أكثر من الوحي إن كان نبياً ، وسوى الاعتماد على الأفهام في تقدير ما يطلب إليهم الأخذ به ؟ الأهداف الطيبة تبدو عادة في منهاج المصلحين ، ويعززها دائماً ما يقترن بها من شواهد الصدق في مسلكهم ، وما يعرف من خصوصياتهم .

والعقول من وراء ذلك تحكم بالحق ،

بقية المنشور على صحيفة ٥٥٨

هذا ما رأيناه تأييداً لكلمة الأستاذ جريشه . أما كلمة الأستاذ ميخائيل فإنها لا تستحق تعليقا لأنها أقرب إلى النظريات الخيالية منها إلى الحقائق العلمية .

عبد الجليل عيسى

على هؤلاء اللصوص أنهم لم يمس على إخراجهم من معتقل الطور سوى بضعة أيام .
ألا يكفي كل هذا أن يكون حافزاً على البحث عن علاج ناجح بعد أن فشلت كل هذه المحاولات المجبولة من الخارج .

أمرنا ويأمر به ديننا لا يعيننا من أمر سوانا ما لا غناء لنا فيه . (١)

(١) ومن عجيب تصاريف القدر أن يقدم لنا برهاناً على صدق خطورة إعمال اللصوص ذلك أن ثلاثة لصوص من الخطرين حارلوا بقب جدار حانوت فاتورة تحت المسكن الذي أسكنه بشارع العباسية رقم ٩٢ في الساعة الثانية بعد منتصف ليلة السبت ٢٢ أكتوبر ١٩٦٠ ولولا يقظة رجال الشرطة لقتل البواب وتمت الجريمة .
ومكان العبرة في هذا الحادث أنه تبين به النبض =

الثورة الرابعة ضرورة محتومة

للأستاذ محمود الشراوى

كان المقال الافتتاحى فى العدد السابق من هذه المجلة مقالا موجها ، ملهما ، منيرا . ودعوة الإصلاح والتجديد للفكر الدينى دعوة طامسا صحناتها ، بل صرخنا ، منذ ثلاثين سنة ، فى كتبنا^(١) وعلى صفحات الأهرام ، و « الرسالة » ، ومن قبلها « البلاغ » ومن قبلها « السياسة الأسبوعية » . وكان كثير من ذلك قبل الثورة . فإذا جاء الأستاذ الكبير « الزيات » اليوم يحدد دعوته ودعوتنا هذه . ويقول إن : (ثوراننا الثلاث تعوزهن رابعة) فحق لنا أن نغبط ، وأن نلبي وأن نساند .

هذه الثورة الرابعة ضرورة محتومة . ولسكننا نريدها ثورة بناءة لا هادمة ، مخلصه حكيمة ، قائمة على الشجاعة لا على التهور ، على الفهم لا على المتابعة ، على الإخلاص والصدق لا على التهميش والمباهاة . على البصيرة المهتدية الهادية لا على الاندفاع الطائش المخرب .

[١] انظر على وجه الخصوص فصلى : « تاريخ له دلالة » و : « المسيرة والكابرة » من كتابنا الأخير تقويم الفكر الدينى وصلته بالقومية العربية .

نريدها ثورة لتقويم الفكر الدينى نفسه . ثورة من الدين لا على الدين . له وليست ضده . هــ فيها وغايتها أن تعود بالعقيدة إلى ما أراد الله لها من الصفاء والنقاء . وأن ترجع بالشريعة إلى حيث وضعها الله من الطهر واليسر .

والثورة إلى جانب الدين - كما قال أستاذنا الزيات - إضافة قد تنكرها بعض النفوس ولكنها ، بعد التأمل ، ستسكن إليها وترضى عنها فتألفها ولا تأنفها . والدين نفسه ثورة على الأوضاع الفاسدة والأفهام الضالة التى كانت قائمة ، وكتاب الله الكريم ذم المشركين وعابهم لأنهم كانوا يقولون : « إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون »^(٢) .

فى الفكر الدينى : عقيدة وشريعة ، أشياء كثيرة تحتاج إلى تقويم ، بل إلى ثورة ، و « النص » فى الدستور على أن الإسلام دين الدولة لا يحقق معناه إلا إذا كان للدين الأثر الفعال فى التربية والتعليم والتشريع والسلوك كما جاء فى مقال الأستاذ الزيات . وهذه

[١] الآية : ٢٢ من سورة الزخرف .

فعلت في العبادة كذا وكذا وصليت كذا وصمت كذا . فيقول الله لعيسى : أريت ثواب هذا العبد؟ . فيقول نعم ، فيقول الله : إن ثوابه لا يعدل ثواب رجل من أمة محمد يصلي في ليلة النصف من شعبان ركعتين .

وقد تحدث بهذا الحديث رجل من الذين يحدثون الناس باسم الدين في مسجد من مساجد القاهرة (١) .

ونجد في بعض هذه الكتب أن راعيا كان يرعى غنمه فرأى ذئبا يثب على شاة ليأكلها ، خال الراعي بينه وبين الشاة ، فألقى الذئب على ذنبه وقال : يا عبد الله تحول بيني وبين رزق ساقه الله إلى (٢) ١٩ .

ونجد فيها أن حديثا يروى عن النبي عليه السلام يقول : أدخلت الجنة فرأيت فيها ذئبا فقلت : أذئب في الجنة . فقال أكلت ابن شرطي . ثم يزيد القائل إن ابن عباس علق على ذلك فقال : أكل الذئب ابن الشرطي ، فلو أكل الشرطي نفسه لرفع إلى عليين (٣) .

ويقول من كتب هذا بعد ذلك : إن هذا الحديث موضوع ، ومع ذلك يرويه ويكتبه

[١] انظر جريدة «الأخبار» في ٢٠ مايو سنة ٩٥٥
[٢] و [٣] ص ٣٣١ من كتاب : « حياة الحيوان الكبير لدميري » ج ١ - الشرفية ١٣٠٦ و « حياة الحيوان » لبس من كتب الدين ولكن ألوان الثقافة العربية القديمة كانت متشابهة مختلطة . وهذا الكلام يذكر على أنه من الدين فليصق به .

أمر ، كما ترى بعضها يمكن أن يمكن الأزهر من القيام به - بوصفه المهيمن على الفكر الديني والتوجيه العقيدى بين المسلمين - وبعضها تقوم به الدولة الحريضة على تقويم هذا الفكر الديني حرصا على تقويم كل أمر آخر .

وعندما أتحدث عن الفكر الديني لا أنظر له نظرة ضيقة تحدها حدود الجمهورية العربية المتحدة . بل أنظر له نظرة شاملة كاشفة محيطه تشمل ألوانه وأنماطه في البلاد الإسلامية كلها فهي تشترك في كثير ، وتختلف في كثير . وكثير من هذا وذاك منحرف عن الفهم الصحيح للدين . ومن ثم يحتاج إلى التقويم . كثير من الكتب التي يطالعها الناس ويتلقون ما فيها على أنه من « الدين » ، كثير مما في هذه الكتب لم يحى به الدين ، بل لعله يحافيه وينكره ، كما ينكره العقل ، وينكره العلم . في بعض هذه الكتب أن نوحاً سفينته من عظام حيوان يبلغ طوله مسافة ما بين السماء والأرض ، ويبلغ عرضه مسيرة عام كامل .

وفي بعض هذه الكتب أن عيسى عليه السلام مر ذات يوم على جبل وبه صخرة في بياض اللبن الحليب ، ولما ضربها ، انفلقت وخرج منها عبد صالح وبجانبه عنقود من العنب ، فسأله عيسى ما هذا ؟ فقال : هذا رزقي يرسله الله جزاء عبادتي السنين الطوال فيقول له من أنت ؟ فيقول : أنا فلان الذي

حين كان المسلمون يشتغلون بالطب ويعرفون التشریح ، وينشرون ، بالفهم والفلسفة ، دعوة العقل والإدراك والتأمل ، وينشرون بفهم جديد هو الذى ساد الحياة الإنسانية فيما بعد ، ويسودها فى العالم الحديث ، يقوم على البحث والعلم والمطالبة بالدليل .

وما يزال بعض من القوم ، البون بين الحياة المحيطة بهم وبين ما يشغلون به عقولهم وتفكيرهم ، شبيه بما كان من البون بين رهبان القرون الوسطى ورواد البحث العقلى من المسلمين ، من أمثال ابن رشد وابن الطفيل والرازى وابن سينا وابن حزم وأمثالهم . ما يزال بعض من هؤلاء يقضى عاما كاملا يتناقشون فى «حسنة العرش» ، وما صفتهم وهل هم أوعال أو غير أوعال ! (١) .

وقد يكون هذا الوضع قد انتهى من الأزهر ومن جمهوريتنا العربية أو هو يوشك أن ينتهى ، ولكنه ما يزال باقيا فى بعض البلاد الإسلامية والعربية وفى بعض بيئاتها الدينية . فأى شئ أكثر من ذلك يدعو إلى الثورة ويجعلها ضرورة محتومة ؟

فاذا انتقلنا إلى كثير من الكتب التى وضعت فى الشريعة أو «الفقه» نجدها كذلك تجعل الثورة الرابعة ضرورة محتومة : وذلك

(١) المدد : ٣٥ من مجلة الرسالة : مقال الأستاذ الشيخ محمد محمد المدنى .

ويتداوله الناس على أنه من «الدين» . ولا يدننا كاتبه على الوزر الذى استحق به ذلك الولد البرى أن يأكله الذئب ، ثم يثاب الذئب على أكله الطفل فيدخل الجنة . وما ذنب ذلك الطفل فى أن يكون أبوه شرطيا ؟ وهل كل شرطى يستحق أن يغتال ابنه ذئب فيدخل الجنة . أو يأكله الذئب نفسه فيرفعه الله ، كما يقول المؤلف ، إلى علمين فى جنة الأبرار . ؟

فأى شئ أكثر من ذلك يدعو إلى الثورة ويجعلها ضرورة محتومة . ؟ .

وكان الرهبان ، فى القرون الوسطى ، يعكفون على أبحاث عجيبة يظنونها مقدسة . كانوا يبحثون عن قيمة رقم (٧) فى الدنيا والآخرة ، وعن عدد الملائكة التى يمكن أن تقف على رأس الإبرة ، وعن مكان الروح من الجسد ، هل هو الرأس أم القلب . وكان أمثالهم من قبلهم ، يبحثون ويتجادلون فى إثبات أن المرأة لها روح كما للرجل روح أو ليس لها . ويعقدون المؤتمرات لذلك .

كان هؤلاء وهؤلاء يشغلون أذهانهم ، ويجهدون عقولهم ، ويصرفون أوقاتهم وأوقات معاصريهم فى مثل هذه الأمور وهم يزعمون أنهم يشتغلون بمباحث مقدسة لها أعظم الخطر فى حياة الناس : حياتهم فى الدنيا وحياتهم فى الآخرة .

كان الرهبان يفعلون ذلك فى القرون الوسطى

موصوف بصفات السلم فهو بيع للبدعة من المدعى لغريمه ، أو لإجارة لها بغيرها منه . لغريمه ، أو لغريمه ، أو لغريمها بها من غريمه له ، (١) .

ومثل ذلك الذى جاء فى كتب : ونحن مع الدراهم قلة وكثرة ، (٢) وتأمل ما فى هذا القول من إحياء ومن دلالة ومن جرأة .

ونجد فى مقالة من مقالات هذا العدد (٣) بعض هذه الكتب يدرس فى جامعة النجف الأشرف بالعراق ، كما يدرس فى جامعة القرويين بالمغرب ، وقد درسناه نحن فى الأزهر ، فهو محنة تحتوى طلاب الثقافة الدينية فى بلاد الشرق العربى كله . فأى شيء أكثر من ذلك يدعو إلى الثورة ويجعلها ضرورة محتومة ؟ .

ونحن لا ندعو لإعدام هذه الكتب أو إلغائها دراساتها ، ولا نريد أن تناقش أولئك الذين يقولون إن فيها فوائد من شحنة الذهن ومران الفكر وتنمية الملكة العقلية للاستنباط والجدل .

[١] ص ٤ من الجزء الثالث من حاشية البجيرى على شرح المنهج فى فقه الإمام الشافعى باب الصلح - الأميرية سنة ١٣٠٩ - .

[٢] حاشية المداينى على الخطيب فى فقه الشافعية - باب الطلاق - .

[٣] مقال : - جامعه الأشرف - للسيد الأستاذ محمد رضا المظفر عميد كلية الفقه بالنجف .

شيء واضح بين يعرفه الدارسون والقارئون لهذه الكتب ، ويعرفه أكثر من ذلك أمثالنا الذين درسوا «الفقه» فيها أيام الطلب فى الأزهر ولكننى أذكر طرفاً يسيراً منها لمن لا يعرف .

أذكر من ذلك هذا السؤال الذى يقول : « ما رأيكم فى إمام صلى بالناس صلاة العيد ، ثم ضحى به الناس بعد الصلاة ؟ » .

قالوا فى الجواب : يكون هذا الإمام أبوه رجل وأمه نعجة ، فخرج لأمه ! .

نجد هذا السؤال وهذا الجواب ، بينما نجد فى سيرة الإمام مالك أنه سئل عن أمر ليس مستحيلاً كهذا الإمام الذى ولد من رجل و « نعجة » بل كان أمراً ممكننا ولكننا لم يقع ، فقال مالك : هل وقع ذلك . . ؟ قال السائل : كلا ، لم يقع . فقال له مالك إذا وقع فاسأل .

وأذكر لهم مثل ذلك السؤال الذى يريد صاحبه أن يعرف حكم الجناية على الرجل إذا دخل ، فى رحم امرأة ! .

ومثل ذلك القول الفقهى الذى يفنى بأن رجم البهيمة إذا زنى بها زان ، ويروى فى ذلك حديثاً عن النبي عليه السلام يقول : « اقتلوا البهيمة ومن أتاها » (١) .

وأذكر لهم مثلاً من أمثلة الصياغة والتأليف فى هذه الكتب هو هذه الفقرة « .. أو ثوب

[١] ص : ٣٦ من - الأحكام السلطانية - لماوردى ، - طبع داو السعادة سنة ١٩٠٩ -

ثانياً :

(١) بوضع مؤلفين يجمع أحدهما تفسير القرآن تفسيراً سهلاً التناول يوافق أصول الدين وقواعد اللغة العربية مع التنبيه على ما في كتب التفسير المتداولة من الإسرائيليات والآراء التي لا تتفق وأصول الدين العامة وقواعد اللغة . ويجمع الآخر الأحاديث التي تصلح للاحتجاج . والتي لا تصلح مع بيان درجاتها المختلفة .

(ب) التنقيب عن الكتب الإسلامية التي يعظم نفعها في مختلف العلوم والعمل على إخراجها لإخراجاً صحيحاً متقناً .

هذه خلاصة مشروع تقدم به ، قبل عشرين سنة ، كبير من شيوخ الأزهر ولعل ما لم يمكن الأزهر منه من قبل ، يمكن الآن منه في عهد الثورة التي قامت لتصلح الفاسد وتقيم المسائل وتقوم المعوج .

واحدة من اثنتين : إما أن يكون الدين أمراً لا بد منه لتنظيم مجتمعنا والهيمنة على سلوكنا وتنوير بصائرنا وتهذيب ضمائرنا ففي هذه الحالة نجد أن هذه الثورة ، الرابعة ، ضرورة محتومة ، وإما أن يكون الأمر على غير ذلك . فنحن عندئذ لا نملك إلا أن نردد قول الله تعالى : « والأمر يومئذ لله » ؟

محمود الشرفاوى

سكرتير التحرير

فكتب الشريعة والفقه لم تخلق لمثل ذلك بل يراد منها معرفة الأحكام الشرعية بالدليل من كتاب الله وسنة رسوله . وشتان بين ما نجد في موطأ مالك مثلاً أو الأم والرسالة للشافعي أو الموافقات للشاطبي أو المحلى لابن حزم وأمثالها .

لا ندعو لإعدام هذه الكتب أو إلغائها دراستها . بل يجب أن تدرس دراسة تاريخية على أنها نمط من أنماط التأليف في عصور خاصة تأثرت بمؤثرات خاصة . ولهذه الدراسة رجالها وموطنها ، وليس من هؤلاء طلاب الفقه ، ولا من هذه دراسات الشريعة .

السبيل ، أو بعض السبل ، لتحقيق هذه الثورة الرابعة بعد إصلاح النفوس والقلوب والضائير - أجده في مشروع بحث ودرس قبل عشرين سنة ^(١) . تقدم به يوم ذاك كبير من شيوخ الأزهر إلى شيخه الأكبر ، وهو :

أن تقوم جماعة من كبار العلماء بما يأتي :

أولاً :

(١) لإيضاح ما قد يخفى من أصول الدين .

(ب) بيان ما هو بدعة وما ليس بدعة .

(ج) بيان أحكام الشريعة في المعاملات

التي جددت وتجدد .

[١] محضر جلسة - جامعة كبار العلماء - المنعقدة

يوم ١٥ من شوال سنة ١٣٦٠ - ٤ نوفمبر ١٩٤١ .

تطوير الفقه الإسلامى

للدكتور محمد يوسف موسى

ولذلك نجد فقهاءنا الأئمة الأعلام ، ومن جاء بعدهم من المجتهدين فى القرون الأولى ، كانوا حريين حقاً بهذا الوصف الجليل ، وصف الفقهاء ، فكانوا يعيشون فى أزمانهم ، وفى خضم الحياة ، لا على هامشها كما هو دأب الكثير منا هذه الأيام ، وكانوا يتعرفون مشاكل العصر ومسائله التى تبد وتتغير من زمن إلى آخر ، ويعملون لمعرفة حكم الله فى كل منها ، وبهذا أدى كل منهم رسالته — باعتباره فقيهاً — كاملة غير منقوصة .

إنهم درسوا الكتاب والسنة الصحيحة دراسة جادة عميقة ، وأيقنوا أن الله لا يشرع أمراً عبثاً ، بل لعله اقتضته ، فبحثوا عن علل ما جاء فى هذين المصدرين من أحكام تشريعية ، وقاسوا ما لم يرد له حكم على ما ورد حكمه إذا اتحدت العلة .

وكذلك عرفوا أن الحكم يتبع العلة وجوداً وعدماً ؛ ولهذا لم يجدوا بأساً فى تغيير حكم الأمر الواحد فى زمن عنه فى زمن آخر إذا انعدمت العلة التى استوجبت الحكم الأول ، وكان قدوتهم فى هذا فقه الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم جميعاً .

الإسلام هو خاتم الأديان السماوية بلاريب ، وقد جاءنا بالعقيدة الحقة بعد أن اشتد الخلاف فيها ، وبالشرعية الأصلية العادلة الصالحة لكل زمان ومكان حتى آخر الدهر ، وبالنظم التى تقوم عليها الأمة وتكون حقاً خير أمة أخرجت للناس ، ومن هذا وذاك ما نعرفه اليوم باسم «الفقه الإسلامى» .

فليس لنا أن ننظر عقيدة أخرى تفتح بها السماء ، ولا شريعة ينزل بها الوحي الإلهى غير ما جاء به القرآن الكريم وسنة الرسول الصحيحة صلى الله عليه وسلم ، ولا «فقها» آخر غير ما يرجع إلى هذين المصدرين الرئيسيين المقدسين ؛ ففيهما الأساس الصالح المتين لكل ما يحتاج إليه هذا العصر ، وكل عصر آخر يأتى بعده ، من تشريعات عادلة حكيمة .

والفقه ، كما يذكر الغزالى فى كتابه المستصفى من علم الأصول ، وابن خلدون فى مقدمته : هو معرفة أحكام الله تعالى فى أفعال المكلفين ، بالوجوب والحظر والنسب والكره والإباحة ، وهى متلقاة من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفة ما من الأدلة .

الفقه الإسلامى وهو يعيش على هامش الحياة فى هذا العصر ، بل أن يتدخل فى صميمها وجميع أعمالها ، وذلك حتى نكون على بينة من أمرنا فيما نأخذ وندع .

لقد عمل أسلافنا الأجداد فى هذه الناحية كل ما فى وسعهم ، فأظهروا لنا ببجوتهم وجهودهم وسعة آفاقهم أن الشريعة الإسلامية صالحة حقاً لكل زمان ومكان ، وأنها بأصولها تسير كل عصر ، وتقبل التطور مع الزمن ، هذا التطور الذى يجب حتماً أن يكون فى حدود كتاب الله المحكم وسنة رسوله الصحيحة .

ولكن الذى حصل بكل أسف أننا ظلمنا عاكفين على ما تركوا لنا من تراث قيم لا يُقدر قدره ، ولم نحاول أن نفعل كما فعلوا من النظر إلى مشاكل العصر فنعمل على إيجاد حلول لها تتفق والكتاب والسنة وروح الإسلام .

وبذلك تقدم الفقه الغربى وازدهر ، وتأخر الفقه الإسلامى وجمد ، وصار طلاب هذا الفقه ورجاله يعيشون فى حلقة لا يُدرى أين طرفاها ، حلقة لا تتصل بالعصر الذى نعيش فيه إلا بقدر محدود يكاد لا يتجاوز العبادات والأحوال الشخصية والمعاملات على النحو الذى كان معروفاً فى العصور الوسطى .

ونرى من الضرورى أن نقرر هنا أنه يجب الانخسب شيئاً من الدعوة إلى تطوير الفقه

ومن ثم . نجد هذا التراث الضخم المجيد فى الفقه والتشريع ، هذا التراث الذى لا نجد ما يقاربه فى أمة أخرى فى هذه الناحية ، والذى تناوله من جاء بعدهم بالشرح والتحشية والتقرير ، دون أن يضيفوا إليه شيئاً كثيراً ، وكان ذلك أمانة التقليد والجود . والجود أمانة الموت كما نعلم كما أن الحركة أمانة الحياة .

* * *

إن الزمان يا قوم لا يعرف الوقوف ، والفلك دائم الدوران وأنماط الحياة تغيرت إلى حد كبير ، وجدت نظم لم تكن معروفة من قبل فى المعاملات ، على اختلاف ضروبها وأنواعها ، وفى طرق تنمية المال واستغلاله بواسطة الأفراد أو المؤسسات والشركات العديدة .

ذلك كله وما إليه . فضلاً عن أعمال المصارف المختلفة ، كان يقتضى منا منذ زمن طويل أن نعمل من أجل « تطوير الفقه الإسلامى » ؛ لنستطيع أن نجد منه أحكاماً تحكم هذه الأعمال والشئون ، سواء أكانت هذه الأحكام بالحِلِّ أم بالحرمة ؛ فإننا لا نريد من هذا التطوير الذى دعونا إليه منذ سنوات فى كثير مما كتبنا ، أن نجعل شريعة الله ورسوله تميز كل هذه الأعمال التى تضطرب فيها فى حياتنا الاقتصادية .

ولنأخذ الذى ندعو له ونريده هو ألا يبقى

الأمثلة الآتية ، وغيرها كثير لانرى ضرورة للتعرض له ، وكلها مأخوذة من فقه الصحابة والتابعين أنفسهم :

١ - إسقاط عمر نصيب المؤلفه قلوبهم : جعل الله هؤلاء المؤلفه قلوبهم نصيبا من الصدقات ، وذلك بأية سورة التوبة ، وهم نفر معروفون منهم ، من حسن إسلامه فيما بعد ، ومنهم من لم يحسن إسلامه ، ومن هؤلاء الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن ، وقد قسم الرسول غنائم خيبر ، فأعطى كلا من هذين مائة من الإبل .

وقد أبان الرسول صلى الله عليه وسلم العلة فى هذا الصنيع ، وذلك إذ قال لمن أحس بعض الألم من الانصار فيما رواه أبو سعيد الخدرى : « أوجدتم فى أنفسكم يا معشر الانصار فى لعاعة (١) من الدنيا تألفت بها أقواما ليسلوا ، ووكلكم إلى ما قسم الله لكم من الإسلام ، !

وقد ظهر أثر هذه السنة النبوية الحكيمة فى عهد الرسول نفسه ؛ فإن صفوان بن أمية ، فيما يرويه سعيد بن المسيب . قال : أعطانى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنه لأبغض الناس إلى ، فما زال يعطينى حتى إنه لأحب الخلق إلى ، ولذلك جرى سيدنا أبو بكر عليها زمنا من خلافته .

مادما نسير فى هذا على هدى القرآن والسنة ، وما دمنا نفيد من تراث فقهاء الاجلاء الماضين . بل إن الأمر على العكس من ذلك ، فإن تطوير هذا الفقه ، على النحو الذى ندعو إليه جادين منذ سنوات ، يجعله فقها حيا ، ويجعلنا فى غنية عن الأخذ من الفقه الغربى ، بل عن التبعية له فى كثير من أحكامنا التشريعية والقانونية ، وبخاصة أن الاستعمار الفكرى ليس أقل ضرراً من الاستعمار العسكرى الذى تخلصنا منه نهائيا بفضل الله تعالى فى هذا العهد المجيد الذى نعيش فيه .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى نرى أن التطور سنة من سنن الله تعالى التى لا نجد لها تبديلا ، ومع هذا فالتطور قانون من قوانين الحياة التى لا مفر منها ، والتى تجرى علينا وإن لم نرد ، فالخير إذن أن نريد هذا التطور ونعمل له جادين .

على أن هذا التطور فى الفقه والأحكام التشريعية بدأ فى فجر الإسلام ، أى بعد أن لحق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى بسنوات قليلة ؛ وذلك لأن الحاجة حين ذاك دعت إلى هذا التطور ، فكيف بنا اليوم وقد مر على ذلك الحين أكثر من ثلاثة عشر قرنا من الزمان !

ويكفى فى التدليل لما نقول أن نذكر

(١) الامعاء بضم اللام : الشئ القليل

وسلم^(١)، وليس هذا إلا تطوراً في الأحكام التشريعية يقتضيه الزمن الذي تغير، وهو تطور وفق أصول الفقه وصناعته، ولا يعارض في شيء ما جاء في الكتاب والسنة. إن الذي كان من عمرو وافقه عليه الصحابة ليس فيه نسخ ولا معارضة لحكم ثبت بالقرآن والسنة، بل إن فيه تقريراً لصنيع الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه المسألة؛ فإن الرسول كان يقصد بالإعطاء إعزاز المسلمين ودفع الضرر عنهم، وهذا ما قصده الفاروق ولكن من وجه آخر.

إن إعزاز المسلمين، وهو علة الإعطاء، كان أيام الرسول بالدفع إليهم، ولكن بعد ما صار المسلمون إليه من القوة والمنعة صار هذا الإعزاز بالمنع؛ وهذا معناه إشعار أولئك المؤلفات قلوبهم بأن الإسلام لم يبق في حاجة لهم، كما أن فيه تقوية لقلوب المسلمين أنفسهم ورفعاً لروحهم وتأييداً لعزتهم ومنعتهم.

٢ — مسألة زيادة حد شرب الخمر:

روى أبو هريرة رضى الله عنه أنه سمى

ولكن عمر بن الخطاب لم يكن من رآيه أن يستمر هذا الحكم بعد ذهاب علته، ولهذا محا الكتاب الذي اقتطع به أبو بكر الأقرع وعيينة أرضاً زعموا أنها سبخة ليس فيها كلاً ولا منفعة، وعندئذ غضب هذان وقالوا قولاً قبيحاً، فقال لهما: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتألفكما والإسلام يومئذ قليل، وإن الله قد أغنى عنكما؛ إذ هبما فاجهدا جهديكما، لا يرعى الله عليكما إن رعيتهما!

وفي رواية أخرى أنه كان فيما قاله لهما عمر: أما اليوم فقد أعز الله الإسلام وأغنى عنكم؛ فإن ثبتتم على الإسلام، وإلا فبيننا وبينكم السيف....

ومهما يكن، فإن الصحابة لم ينكروا على عمر ما فعله بعد أن فهموا ما أراده؛ فإنه لم يرد نسخ الحكم الثابت بالقرآن والسنة، وما ينبغي لأحد أن يرى هذا في أية حال. وإنما رأى أن هذا الحكم ذهب بذهاب علته، وأنه قد يعود إذا وجدت علته في زمن آخر كما حدث أيام الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز.

هذه هي مسألة سهم المؤلفات قلوبهم، وكيف أسقطه بعد أن كان يعطيه لهم أبو بكر اتباعاً لسنة الرسول صلى الله عليه

(١) راجع كتاب المعارف لابن قتيبة، وفتح القدير وشرح العناية على هامشه > ١٤ - ١٥، وأحكام القرآن للجصاص > ٣ - ١٥٢ - ١٥٣، السنن الكبرى للبيهقي > ٦ : ٣٣٩، طبقات ابن سعد > ٥ : ٥٢٨، الأموال لأبي القاسم بن سلام ص ٦٠٦ - ٦٠٧.

وهذا ليس استحداثاً لحكم جديد ، وإن كان هذا ما يظن في بادئ الرأي ، كما أنه ليس فيه مخالفة لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم . فإن الرسول قصد أن تكون العقوبة رادعة زاجرة عن اقتراف هذا المنكر ، وذلك ما يختلف في زمن عنه في آخر ، وكان الحد الذي رآه عمر والصحابة هو المناسب في زمنه وفي هذا دليل ، أى دليل ، على وجوب تطور الأحكام التشريعية ، لتكون مناسبة لكل زمن ، على أن تكون دائماً في حدود كتاب الله وسنة رسوله ، وتحقيقاً للغرض المقصود منها .

٣ - حكم الطلاق ثلاثاً :

كان الطلاق الثلاث بلفظ واحد يعتبر طلقة واحدة رجعية ، وذلك في عهد الرسول وعهد أبي بكر ، ثم استمر على هذا صدراً من إمارة عمر ؛ ولكن الفاروق راعه جريان الطلاق ثلاثة على السنة كثير من الناس فقال : إن الناس قد استعجلوا في أمر كانت لهم فيه أناة ، فلو أمضيناه عليهم ، فأمضاه عليهم ثلاثاً بعد مشورة منه للصحابة رضي الله عنهم .

وفي هذا يروى عن ابن عباس : أن الرجل كان إذا طلق زوجته ثلاثاً جعلوها واحدة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وصدرأ من إمارة عمر ، فلما رأى عمر

لرسول صلى الله وسلم برجل قد شرب ، فقال : اضربوه قال أبوهريرة : فمنا الضارب بيده ، والضارب بنعله ، والضارب بثوبه ، إلى آخر ما قال (١) :

ثم كان بعد هذا أن ارتفع حد الشرب إلى أربعين جلدة أيام الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكذلك جرى الأمر أيام خليفته أبي بكر ، ثم زاد في عهد عمر إلى ثمانين جلدة بعد أن كتب إليه خالد بن الوليد بأن الناس قد انهمكوا في الخمر وتحاقروا العقوبة ، كما يروى الإمام البيهقي في سننه الكبرى .

وفي هذا أيضاً يذكر الإمام مالك أن عمر ابن الخطاب استشار في الخمر يشربها الرجل ، فقال على بن أبي طالب : نرى أن نجلده ثمانين ؛ فإنه إذا شرب سكر ، وإذا سكر هذى ، وإذا هذى أفتى ، وحد المفتى ، ثمانون ، أو كما قال : فكان من ذلك أن جلد عمر رضي الله عنه ، في الخمر ثمانين (٢) .

والآن ، لنا أن نقول : إن الغرض من العقوبة هو الردع والزجر ، فتقديرها بمحد معين يجب أن يختلف باختلاف الزمن ، ولذلك لم تكن مقدرة أيام الرسول صلى الله عليه وسلم كما رأينا ، ولهذا جعلها عمر في زمنه بعد استشارة الصحابة ثمانين جلدة .

(١) سنن أبي داود ، ج : ٤ - ٢٢٦ . ٢٢٧

(٢) الموطأ ، ٢ : ٧٨ .

تتابع الناس على هذا الطلاق ثلاثاً ، قال :
أجيزوهن عليهم ^(١) .

إن الخليفة عمر لم ير هذا الرأي الذي
أمضاه إلا لأنه خاف أن يعود الناس إلى
ما كانوا عليه في الجاهلية من الإكثار من
الطلاق لغير سبب يرضاه الله ورسوله ،
وبخاصة أن الطلاق أبغض الحلال إلى الله
كما يقول الرسول ، فرأى بعد استشارة فقهاء
الصحابة أن يجعله ثلاثاً حقاً تقع به البيئونة
السكبرى زاجراً لمن يصير إليه .

وهو بهذا لم يخالف عن أمر الله ورسوله ،
بل كل ما فيه أنه منع من الرجعة ، وهى
مباحة شرعاً ، إذا أراد الزوج ، ولولى الأمر
المنع من بعض المباحات درءاً لمفسدة تربي
على المصلحة فى فعل هذا المباح

٤ — حكم اللقطة وضالة الإبل :

أجاز الرسول صلى الله عليه فى أحاديث صحيحة
كثيرة التقاط اللقطة من الذهب أو الفضة
أو الغنم ونحوها ، وأمر الملتقط بحفظها لديه
حتى إذا جاء صاحبها وعرفها دفعها إليه ،
وإلا كان له الانتفاع بها إن كان محتاجاً أو
يتصدق بها على محتاج .

ولكنه نهى عن التقاط ضالة إلا بل نهياً
شديداً ، حتى إنه لما سئل عنها غضب

واحمر وجهه وقال : مالك ولها إدعها ،
إن معها حذاؤها وسقماءها ، ترد الماء وتأكل
الشجر ، حتى يجدها ربها ، ^(١) .
وجرى الأمر على هذا طوال عهد الرسول
صلى الله عليه وسلم ، ثم عهد الشيخين رضى
الله عنهما ، فكانت الإبل الضالة تترك حتى
يجدها صاحبها ، وذلك اتباعاً لأمر الرسول ،
ولأنها قادرة على الدفاع عن نفسها ، وعلى
السير فى المفاوز ونحوها ، وتستطيع أن
ترد الماء وتخزن منه فى بطونها ما يكفها
مدة طويلة .

ولكن اختلف فيها فى زمن عثمان وعلى
رضى الله عنهما ، فكان الأول يأذن بالتقاطها
وبيعها إن لم يعرف صاحبها ، فإذا ظهر أعطى
ثمناً . وكان الآخر يأذن أيضاً بالتقاطها ،
ثم بالإتفاق عليها من بيت المال حتى إذا جاء
صاحبها أخذها بأعيانها ، وربما كان هذا
خيراً له من ثمنها .

ومهما يكن فقد كان فى إذن كل منهما
بالتقاط ضالة الإبل مخالفة عن أمر الرسول
ونهيهِ ، ومعنى هذا تغيير لما حكم به .
فماذا ؟ .

الواقع هو أنه فى عهد الرسول لم يكن أحد
تحدثه نفسه بأخذ ما ليس له ، ولما كان الحال

(١) راجع مثلاً فى كتب الحديث ، نيل الأوطار
للشوكانى ٢ : ٣٣٨ .

(١) سنن أبى داود ، ٣ : ٣٥١ وراجع
أيضاً لإعلام الموقعين لابن القيم ، ٣ : ٢٥

والثورة الاقتصادية ، والثورة الاجتماعية ، تعوزهن - كما قال الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات فى مفتتح العدد الماضى من هذه المجلة ، ثورة رابعة هى الثورة الدينية ، هذه الثورة التى يكون ميدانها التفسير والحديث والفقه . وهذه الثورة الأخيرة هى التى تمكن للفقه الإسلامى وتطوره ، وتجعله يدخل الحياة من أوسع أبوابها ، وذلك ليعمل على إيجاد حلول شرعية معقولة ومقبولة لكل مشاكلنا الاقتصادية ، ومن الله العون والتوفيق ، وربما كان لهذا الحديث تنمة وتفصيل فى العدد الآتى إن شاء الله تعالى ؟

الدكتور محمد يوسف موسى

(١) راجع الموطأ للإمام مالك ج ٢ : ١٢٨ - ١٢٩ ، السنن الكبرى للبيهقى ج ٦ : ١٨٥ المتنق لأبى الوليد الباجى ٦ : ١٤٣ - ١٤٤ .

تغير فيما بعد بدخول كثير من غير العرب فى الإسلام ، ومنهم من لا يتورع عن تملك ما ليس له ، فكان الإذن بالتقاط ضالة الإبل وحفظها أو حفظ أثمانها هو الطريق الموصلى لأداء الحق لصاحبه ، وهذا هو ما قصده الرسول نفسه حين نهى عن التقاطها ، فلا مخالفة إذن عن أمر الرسول ونهيه ، وتغير الحكم اقتضاه تغير الزمان والناس .

من هذه الأمثلة ، وغيرها كثير فى كتب السنة والفقه والتاريخ ، نرى أن الفقه الإسلامى أخذ فى التطور بعد وفاة الرسول بسنين معدودة ، فكيف بنا نقف جامدين إلى هذا القرن الرابع عشر من الهجرة !

حقيقة إن الثورات الثلاث التى ننع هذه الأيام بشعراتها ، وهى الثورة السياسية ،

الاجتهاد

إن استطاع العلماء سد باب الاجتهاد المطلق فلن يستطيعوا سد باب الاجتهاد الخاص ، وإن استطاعوه ، فلن يستطيعوا سد باب الاجتهاد فى المذهب لاختيار رأى يلائم عرفا عاما أو خاصا ، أو رأى قضت به ضرورة عامة أو خاصة ، أو لاستنباط رأى فى حادثة لم يكن منصوبا عليها . والحق أن الاجتهاد فى المذهب لم ينقطع فى أى عصر من العصور الماضية وهو باق إلى الآن ، وفى كل يوم نجد للقضاة والمفتين حوادث لا عهد للكتيب بها ، فيستنبطون لها أحكاما طبقا للقواعد العامة ؟

من كتاب الاجتهاد فى الإسلام

للإمام محمد مصطفى المراغى شيخ الأزهر الأسبق

صاحب الألفية :

محمد بن مالك

للأستاذ الدكتور أحمد محمد بدوي

جاء إلى المشرق انتقل من مذهب مالك إلى مذهب الشافعي .

كان الهدف الأول لابن مالك في دراسته أن ينبغ في اللغة والنحو ، وقد وصل في تحقيق هذا الأمل إلى مدى بعيد ، حتى صار مضرب المثل في معرفته بدقائق النحو ، وغوامض الصرف ، وغريب اللغة ، وأشعار العرب ، والتحرى في النقل ، وتحريره لما يرويه . أخبر الشهاب محمود : أن ابن مالك جلس يوما ، وذكر ما انفرد به صاحب المحكم عن الأزهري في اللغة ، وقال الشهاب : هذا أمر معجز ، لأنه يحتاج إلى معرفة جميع ما في الكتابين .

وتعمق ابن مالك في دراسة الحديث ، واستكثر من معرفته ؛ لأنه كان أكثر ما يستشهد بالقرآن ، فإن لم يكن فيه شاهد عدل إلى الحديث ، فإن لم يجد فيه شاهداً عدل إلى أشعار العرب .

وساعد ابن مالك على تفوقه العلمي ما منحه من ذكاء ممتاز ، وصبر على البحث ، وقدرة على العمل ، ومثابرة دائبة ، وما اتصف به ، من أمانة النقل ، وصدق التحرى ، ودوام

كان لألفية ابن مالك في النحو العربي والصرف أثر كبير في دراسة هاتين المادتين ؛ فقد سهل نظمها على الدارسين تذكر قواعدهما ، وكانت مركز نشاط واسع في التأليف ، فكتبت عليها الشروح مختصرة ومطولة ، ووضع على هذه الشروح حواش موجزة ومسببة ؛ وعهد حفظها ضروريا لمن يريد التبحر في دراسة نحو العربية وصرفها .

وصاحب هذه الألفية هو محمد بن عبد الله ابن مالك . ولد في مدينة دجيان ، بالاندلس سنة ستائة هجرية (١٢٠٣ — ١٢٠٤ م) ، ويقول بعض المؤرخين : إنه ولد قبل ذلك بعامين ، ويقول بعض آخر : إنه ولد بعد ذلك بعام أو عامين .

ودرس في مسقط رأسه ، على نخبة من علماء بلده - القراءات ، والنحو ، والفقه على مذهب مالك ، ثم رحل إلى المشرق ، فدخل دمشق ، ودرس هذه المواد ، كما درس الحديث على بعض أعلام العصر كالسخاوي وابن الحاجب ، وغيرهما ؛ وانتقل إلى حلب ، وتلقى النحو على ابن يعيش ، شارح المفصل في النحو للزحشرى ، وعلى تليذه ابن عمرون . ولما

وغيرهم ، ولم يأخذ عنه أبو حيان ، مع أنهما تعاصرا زهاء ثلاثين عاما ؛ لأن أبا حيان كان يتعصب على ابن مالك .

ومن المؤكد أن ابن مالك درس لطلبته مؤلفاته في اللغة والنحو ، والقراءات ، ولما كان النظم سهلا عليه رأينا كثيرا من مؤلفاته منظوما ، وكان وقته مباركا فيه فوضع كثيرا من المؤلفات التي تربي على الثلاثين ، نظمها بعضهم في أبيات ، وذيلها السيوطي بما بقى من مؤلفاته ، ومن تلك المؤلفات :

١ — الكافية الشافية ^(١) ، وهي أرجوزة نحوية ، في ثلاثة آلاف بيت ألفها كما قلنا ، في مدينة حلب ، وأولها :

قال ابن مالك محمد ، وقد

نوى إفادة بما فيه اجتهد :

الحمد لله الذي من رفته

توفيق من وفقه لحده

ثم شرحها شرحاً سماه الوافية ^(٢) ، وعلق عليه ببعض الفوائد النحوية وشرحها كذلك ولده : بدر الدين محمد .

٢ — الخلاصة ، أو الألفية ، وهي : أرجوزة في ألف بيت تجمع النحو والصرف اختصر فيها الكتاب السابق . قال بعض المؤرخين : إنه صنفاً لولده : تقي الدين محمد

المراجعة ؛ فما كان يكتب شيئاً من محفوظه ، حتى يراجعه في موضعه ، وهذا دأب ثقات العلماء . قالوا : وما كان يرى إلا وهو يصلي أو يتلو أو يصنف ، أو يقرأ .

تصدرا بن مالك للتدريس في مدينة حلب ، بعد أن أتم دراسته اللغوية ، وكان إمام المدرسة السلطانية بها ، فأخذ يلقى بحلب دروسه في النحو ، ويؤلف ، وهناك نظم الكافية الشافية . ثم انتقل إلى حماة ، حيث تصدر بها مدة ، وتابع هناك دروسه في النحو ، ونظم ألفيته المشهورة ، وهي خلاصة الكافية الشافية ثم مضى إلى دمشق ، حيث ألقى بها عصا التسيار ، وتصدر بالجامع الأموي ، وبالمدرسة العادلية الكبرى ، التي عين إماماً لها .

وكان أكثر ما يلقيه على تلامذته النحو ، كما كان يدرس القراءات أيضاً ، وبما كان يدرسه في النحو ألفية ابن معطي ، ومن درسها عليه أحمد بن عبد الرحيم ابن شعبان . وأقبل الطلبة عليه ، ينهلون من علمه ، وتخرج منهم عدد ضخم ، صاروا أئمة بمتازين ، نذكر منهم ابنه : بدر الدين ، الذي شرح الكثير من كتب أبيه النحوية ، وبدر الدين بن جماعة قاضي القضاة ، وبهاء الدين بن النحاس أستاذ التفسير في المدرسة المنصورية ، وأبازكريا النووي الفقيه المشهور ، وأبأ الحسين اليوناني

(١) مخطوطة بدار الكتب رقم ٢٣٦ و ٢٤٦ نحو .

(٢) مخطوط بدار الكتب رقم ٣٢٦ نحو .

بشرح ابن المصنف^(١) ، خطأ فيه والده في بعض المواضع ، وأورد الشواهد من الآيات القرآنية ، وفرغ من تأليفه في محرم ٦٧٦ هـ قال الصفدي : ولم تشرح الخلاصة بأحسن ولا أسد ، ولا أجزل منه ، على كثرة شروحيها .

وقد ظفرت الألفية ، كما قلنا ، بعناية كبرى من العلماء ، فوضعوا عليها الشروح والحواشي ، مما ندر أن يظفر بمثله كتاب ، كما اختصرها عمر بن الوردي في مائة وخمسين بيتا ، ولا تزال إلى اليوم أساس دراسة النحو والصرف .

٣ — كتاب الفوائد ، وهو الذي لخص منه كتابه : تسهيل الفوائد^(٢) ، وتكمل المقاصد .

وكتاب التسهيل يقول عنه صاحب كشف الظنون : هو كتاب جامع لمسائل النحو ، بحيث لا يفوته ذكر مسألة من مسائله وقواعده ؛ ولذلك اعتنى العلماء بشأنه ، وصنفوا له شروحا ، منها شرح المصنف^(٣) وصل فيه إلى باب المصادر ، ثم أكمله ولده بدر الدين .

(١) مخطوط بدار الكتب رقم ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٩٦٥ ، ١٤٤١ نحو .

(٢) بدار الكتب رقم ٧٠١ و ٣ مجاميع شين مخطوط ، و ١٦٠٧ مخطوط ، و ١٠٩١ مطبوع .

(٣) بدار الكتب ، نحو رقم ١٠ شين .

المدعو بالأسد ، ولكن الراجح أن الذي ألفه لهذا الابن هو مقدمة في النحو ، تدعى : المقدمة الأسدية . أما الألفية هذه فقد ألفت في حلب ، برسم القاضي شرف الدين ابن البازي .

ولما كانت الألفية مختصر الكافية ، كان كثير من أبيات هذه بنصه في الألفية . وقد استن ابن مالك سنة جمع قواعد النحو والصرف في ألف بيت ، بعالم نحوى قبله ، هو ابن معطى ؛ الذي اعترف له ابن مالك بفضيلة سبق ، وإن قرر أن ألفيته أفضل من ألفية ابن معطى ، وذلك في مقدمة الألفية إذ يقول ابن مالك :

وأستعين الله في ألفية

مقاصد النحو بها محوية

تقرب الأقصى بلفظ موجز

وتبسط البذل بوعد منجز

وتقتضى رضا بغير سخط

فائقة ألفية ابن معطى

وهو بسبق حائر تفضيلا

مستوجب ثنائى الجميلا

والله يقضى بهبات وافرة

لى وله فى درجات الآخرة

وقام ابن مالك بشرح ألفيته ، كما شرحها ولده بدر الدين محمد ، شرحا منقحا اشتهر

بيتاً ، فى أبنية الأفعال ، شرحها ولده بدر الدين أيضاً (١) . وله منظومة وأوية فى المقصور والممدود فى اثنين وستين ومائة بيت ، ضمنها معظم الكلمات التى تنتهى بألف مقصورة أو ممدودة ، ووضع عليه شرحاً دعاه : تحفة المودود (٢) . وألف مختصراً فى الإبدال ، دعاه الوفاق .

٨ — وجمع له بعض طلبته فتاوى فى العربية .

٩ — ووضع كتاباً ، سماه : شواهد التوضيح والتصحيح ، لمشكلات الجامع الصحيح (٣) . شرح فيه المشكل من إعراب ما ورد فى صحيح البخارى من الأحاديث ، وعلق على هذا الكتاب ناظماً مؤلفاته بقوله :

ويسكفيه ذا بين الخلائق رفعة

وعند النبى المصطفى متوسلاً

١٠ — وله فى اللغة منظومات وأراجيز :

ككتاب الإعلام فى مثلث الكلام (٤) . وهو أرجوزة فى نحو ثلاثة آلاف بيت ، أهداها إلى الناصر حفيد صلاح الدين ، ذكر

وكتاب الفوائد هو الذى مدحه بعضهم بقوله :

إن الإمام جمال الدين فضله

إلهه ، ونشر العلم أهله

أملى كتاباً به يسمى : الفوائد ، لم

يزل مفيداً لذى لب تأمله

فكل مسألة فى النحو يجمعها

إن الفوائد جمع لا نظير له

٤ — كتاب نظم الفوائد ، وهو ضوابط

وفوائد منظومة ، ليست على روى واحد .

ولعلمها فى اللغة والنحو ، ولعمل منها نظمه

فى خيل سباق الحلبة :

خيل السباق : المجلى ، يقتفيه مصل

والمسلى ، وتال ، قبل مرتاح .

وعاطف ، وحظى ، والمؤمل

واللطيم ، والفسكل : السكيت ياصاح .

٥ — وألف كتاب عدة اللافظ ، وعمدة

الحافظ ، وهو مقدمة فى النحو أيضاً ، سار

فيها على طريقته الموجزة ، ثم شرحه .

٦ — وشرح مقدمة الجزولى فى النحو ،

والمفصل للزحشرى ، ونظمه فى كتاب دعاه

الموصل ، ثم حل هذا النظم فى كتاب آخر ،

سماه : سبك المنظوم ، وفك المختوم .

٧ — ووضع فى الصِّرف : كتاب

التعريف وشرحه ونظم لامية الأفعال ، وهى

منظومة لامية من بحر البسيط فى أربعة عشر

(١) بدار الكتب ، علم الصرف رقم ٣ و ٩ .

(٢) بدار الكتب ، لغة عربية رقم ٣٨٩ و ٣٩٠ شين .

(٣) طبع بالهند سنة ١٣١٩ هـ مجمع المطبوعات ج ١

نهر ٢٣٤ .

(٤) بدار الكتب . لغة عربية رقم ٣١٠ و ٣٨٩

و ٣٩٠ ، ١٩ شين ، فى ١٥٤ صفحة .

كاد ينازع سيديوه شهرته . وكان هو يؤمن بعبريته في هذا الفن ، حتى يستصغر الزخمرى فيه ، فكان يقول عن ابن الحاجب : إنه أخذ نحوه من صاحب المفصل وصاحب المفصل نحوى صغير ؛ وقدم قصته لصاحب دمشق ، يقول له : إنه أعلم الناس بالعربية والحديث . هذا ، ومؤلفات ابن مالك لم توضع للببتدين في هذا الفن ، ولكن للتوسطين ، يرقون بها إلى درجات النهاية .

ويضم مؤرخو ابن مالك إلى نبوغه في العلم وعبريته ، وصفه بالدين ، والورع ، والتقوى ، وكثرة العبادة ، وصدق اللهجة . وينسبون إليه شعرا غير نظمه التعليمي ؛ ومن أحسن ما روه له قوله ، وتغلغل فيه روح الفقيه :

إذا رمدت عيني تداويت منكم
بنظرة حسن أو بسمع كلام
فإن لم أجده ماء تيممت باسمكم
وصليت فرضي ، والديار أمامى
وكان ابن خلكان يعظمه ، ويضمهر له أكبر الإجلال ، فكان إذا صلى معه في العادلية ، في عهد إمارة ابن مالك بها ، شيعه قاضى القضاة : ابن خلكان إلى بيته ؛ تعظيما له ؛ ولذلك انتقدوا المؤرخ على إغفال ابن مالك من تاريخه ، مع ما يحمله له من هذا التعظيم .

فيها الألفاظ التي لكل منها ثلاثة معان ، باختلاف حركاتها ، ورتب تلك الألفاظ على الأبجدية ، فهي كالمعجم للثلاث . وله منظومة في الضاد والطاء ، وأخرى في الصاد والطاء ، وثالثة في كلمات وردت ذات شكل مختلف وصورة مختلفة ، بدأها بقوله :

تثليث (با) لمصبع مع شكل همزته
بغير قيد ، مع الأصبوع قد نقل
١١ — ونسب إليه في دائرة المعارف كتاب في العروض .

١٢ — ونظم في القراءات قصيدتين : إحداهما دالية ، يقول فيها :
ولا بد من نظمي قوافي تحتوى
لما قد حوى حرز الأمانى وأزيد
والأخرى لامية أولها :

بذكر إلهى حامداً ومبسلا
بدأت ، فأولى القول يبدأ أولاً
وآخرها :

وزادت على (حرز الأمانى) إفادة
وقد نقصت في الجرم ثلثا مكسلا
و (حرز الأمانى) هو قصيدة الشاطبي في القراءات قال في غاية النهاية : وقد أخذ عنه العربية غير واحد من الأئمة . غير أنى لا أعلم أحداً قرأ عليه القراءات .

صار ابن مالك يضرب المثل بنبوغه في النحو ، قيل عنه في دائرة المعارف : إنه

وبعد عمر حافل بالإفادة والاستفادة -
 مات بدمشق ليلة الأربعاء الثالث عشر من شعبان
 سنة ٦٧٢ هـ . ورثاه بعض العارفين بفضلته ،
 فمن هؤلاء شرف الدين الحصني ، رثاه بقصيدة
 شعر فيها بالمشاركة الوجدانية بين مسائل علم
 النحو والصرف وبين ابن مالك ، فوري
 في القصيدة باصطلاحاتهما ، واجتهد في أن
 يملأها بهذه الاصطلاحات ، إذ يقول :

يا شتات الأسماء والأفعال
 بعد موت ابن مالك المفضل
 مصدراً كان للعلوم ياذن الله
 به من غير شبهة ومحال
 عدم النعت والتعطف والتوكيد
 مستبدلاً من الإبدال
 ويمضي على هذا النسق ، مستخدماً تلك
 الاصطلاحات ، حتى يقول :

يا لسان الأعراب ، يا جامع
 الإعراب ، يا مفهماً لكل مقال
 يا فريد الزمان في النظم والنثر ،
 وفي ثقل مسندات العوالي
 كم علوم بثنتها في أناس
 علوا ما بثت عند الزوال
 وبرغم أن القصيدة متكلفة ضعيفة النسج
 قال عنها الصلاح الصفدي : ما رأيت مرثية
 في نحو أحسن من هذه المرثية .
 وإذا قطعنا النظر عما فيها من التكلف

استطعنا أن نلصق تقدير الرائي لعلم ابن مالك
 ونبوغه في علم النحو ، وتفردته في زمانه
 بإحاطته بعلم الإعراب ، وإفادته لطلبته الذين
 تصدروا للتعليم والإفادة .

وهذا آخر يرثيه ، ويعدد مآثره ، ويذكر
 آثاره التي ألفها ، فيقول :

سقى الله رب العرش قبر ابن مالك
 سحاب غفران تغاديه هطلا
 فقد ضم شمل النحو من بعد شته
 وبين أقوال النحاة ، وفصلا
 بألفية تدعى الخلاصة ، قد حوت
 خلاصة علم النحو والصرف مكمل
 وكافية مشروحة أصبحت تفي
 لعمري بالعالمين فيها تسهلا
 ويختصر سماء عمدة لافظ
 يضم أصول النحو لا غير بمجمل
 وبين معناه بشرح منقح
 أفاد به ما كان لولاه مهمل
 ويمضي الرائي معددا كتب ابن مالك ،
 واصفا لها على هذا النحو ، حتى يكمل عدتها
 ثمانية وعشرين كتاباً ، إذ يقول :

جملتها عشرون تلو ثمانيا
 فدونكها نسخا وحفظا تنبلا
 ويلحظ بعض مؤرخي ابن مالك أن له كتباً
 أخرى لم يذكرها رائي ، فيذيل الآيات
 بأخرى من وزنها وقافيتها ، يكمل بذلك عد

- ٩ — المختصر في أخبار البشر ٤ : ٨ .
 ١٠ — دائرة المعارف الإسلامية ، المجلد الأول الجزء الرابع ص ٢٧٢ والخامس ص ٢٧٣ .
 ١١ — غاية النهاية ٢ : ١٨٠ .
 ١٢ — شذرات الذهب ٥ : ٣٣٩ .
 ١٣ — نفع الطيب ٧ : ٢٥٧ طبعة فريد رفاعي .
 ١٤ — كشف الظنون ج ١ نهر ٨٢ و ١٥١ و ٢٠٢ نهر ١١٦٦ ، ١٢١٩ و ١٣٠١ و ١٣٦٩ و ١٣٩٦ .
 ١٥ — البداية والنهاية ١٣ : ٢٦٧ .
 ١٦ — مفتاح السعادة ص ٣٥ .
 ١٧ — طبقات محمد أمين بن حبيب ص ٢٣٦ ب .
 الدكتور **أحمد أحمد بروي**
 وكيل كلية دار العلوم
- مؤلفات للرجل . ويبلغها ثلاثة وثلاثين كتاباً .
 أما تلميذه بهاء الدين بن النحاس فيرتي
 أستاذه بقوله :
 قل لابن مالك : إن جرت بك أدمي
 مراً يحاكبها النجيع القاني
 فلقد جرح القلب حين نعت له
 فتدفقت بدمائه أجفاني
 لكن يهون ما أجن من الأسي
 على بنقلته إلى رضوان
 مراجع ابن مالك :
- ١ — كتبه .
 - ٢ — فوات الوفيات ٢ : ٢٢٧ .
 - ٣ — بغية الوعاة ص ٥٣ .
 - ٤ — النجوم الزاهرة ٧ : ٢٤٣ .
 - ٥ — طبقات الشافعية للسبكي ٥ : ٢٨ .
 - ٦ — معجم المطبوعات ج ١ نهر ٢٣٢ .
 - ٧ — السلوك ١ : ٦١٣ .
 - ٨ — الدرر الكامنة ١ : ١٧٠ ، ٣٠١ ، ١٩٥ .

لا إكراه في الدين

قال إبنين دينيه في كتابه « أشعة خاصة بنور الإسلام : إن القرآن - دون الكتب المقدسة الأخرى - هو الكتاب الوحيد الذي يأمر بالرفق والإحسان في الدين . جاء إلى الرسول أحد بني سالم بن عوف واسمه الحسن ، وقال له يا رسول الله . إن لي ولدين مسيحيين يأبيان الدخول في دين الله وإني لجبرهما على ذلك . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « لا إكراه في الدين » .

رَأَى لَهُ مَا يُبَرِّره

كتابة المصحف بالإملاء الحديث

للأستاذ محمد رجب البيومي

من نكد الأقلام أن تتصارع في غير ميدان ، فقد يكون الرأي واضحاً مطمئن إليه القول المنصفة عن يقين ، وتهدى إليه الفطر السليمة عن بدية ، ثم تجد من يعمد إليه بتوهين مفتعل يعوزه السداد والتؤدة ، فيحوك حوله غباراً ثائراً يلتبس به وجه الصواب ، وقد يجد أسماء تصغى إليه فيتمادى في توهينه ونقضه ، حتى يصير البدهى الواضح أمراً معضلاً يتطلب الحل ، ويستدعى الجلد والمعاناة .

وطحون ، وتكثر النقول والشواهد من تراث حافل مديد ، وتزاحم أسماء الفقهاء

تزاحم مذهلاً ، حتى لتجد الرأي ونقيضه معاً لعالم واحد !! والناس من وراء ذلك كله في حيرة مقلقة وأمر مريب .

وكتابة المصحف الشريف بالإملاء الحديث تصلح أن تكون مثلاً عجيباً لهذا الاختلاف الحائر في الأمر الواضح ؛ إذ أننا نرى فريقاً من الفضلاء يحرصون على الرسم العثماني حرصاً شديداً يلتمسون له الأدلة ويتكلفون له البراهين ، فإذا حاولت أن تواجهه دليلاً بدليل ، أو تدحض حجة بحجة ، لا تجد من معارضيك من يستمع إلى رأيك المنصف ، بل تبصر حشداً هائلاً من النقول الفقهية يسدد إلى منطقك كما تسدد القذائف الصاعقة دون إهمال ، فمن قائل يقول : إن الإمام مالكا رضي الله عنه سئل : هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء ، فقال لا . إلا على الطريقة الأولى !! ومن قائل : إن الإمام أحمد بن حنبل يقول : تحرم مخالفة خط عثمان في ياء أو ألف أو واو أو غيره ،

ولقد حفل تراثنا الفقهي المجيد ، بمسائل كثيرة تختلف فيها المذاهب ، وتعدد حولها الآراء . فكان هذا الاختلاف العلني في كثير من أموره باب رحمة تلحق الناس ، ووسيلة توسعة تفسح الطريق ، ولكسبه كان في بعض الأمور أيضاً مدعاة شطط وجروح ، ودفع وجذب ، واختلاف الآراء حول المسألة الواضحة يطمس ملامحها الزاهية ، ويفعل بها ما يفعل السحاب الداكن بصحيفة البدر الزاهر ، وإذ ذاك تتطلب من ينهض سريعاً لإزاحة ما تلبد من غمام ، فتدور رحي معركة

والتدحرج في حلقها ، وتعدد حولها الآراء . فكان هذا الاختلاف العلني في كثير من أموره باب رحمة تلحق الناس ، ووسيلة توسعة تفسح الطريق ، ولكسبه كان في بعض الأمور أيضاً مدعاة شطط وجروح ، ودفع وجذب ، واختلاف الآراء حول المسألة الواضحة يطمس ملامحها الزاهية ، ويفعل بها ما يفعل السحاب الداكن بصحيفة البدر الزاهر ، وإذ ذاك تتطلب من ينهض سريعاً لإزاحة ما تلبد من غمام ، فتدور رحي معركة

ومن قائل : إن البيهقي قد صرح بأن على من يكتب المصحف أن يلتزم رسم المصحف الإمام ١١ وهذه أقوال أئمة من كبار الفضلاء ، ولكنها ليست آيات من القرآن أو أحاديث من كلام الرسول ، ولك أن تلتبس نقائضها عند أئمة آخرين ، فقد قال سلطان العلماء العز بن عبد السلام : لا يجوز كتابة المصحف الآن على الرسوم الأولى ، وباصطلاح الأئمة لثلاث يوقع في تغيير من الجهال ، كما ذكر أبو بكر الباقلاني أن الرسم العثماني لا يلزم أن يتبع في كتابة المصحف الشريف ، أما العلامة ابن خلدون فقد أفاض إفاضة مليئة في الدعوة إلى ترك الرسم العثماني مما سبسطه لأهميته بعد قليل ١١ وإنما ذكرت هذه الآراء المتضاربة لكبار الأئمة والمفكرين ، ليعلم القارئ أن أقوال العلماء وحدها لا تحسم الخلاف إلا إذا وجدت ما يساندها من البرهان والتعليل ، فلنمر بها الآن مروراً سريعاً لننقل المسألة إلى مجال هادئ تختفي فيه سيطرة الأسماء اللامعة ، ويقف الدليل أمام الدليل .

شرح وحفظه في دروس التربية الدينية ، فإذا تهيأ الطالب للقراءة لاحقه اللحن في كل آية إذ يحسد من اصطلاحات الرسم العثماني ما لا يعهده في جميع ما لديه من كتب الدراسة ، فإذا انبرى المعلم لتصحيح اللحن مرة بعد مرة ، وجد الأفهام الغضه لا تسبغ أن تنطق بغير ما ينبغي عنه ظاهر الرسم ، فإذا سأل السائلون عن خط المصحف وطريقة كتابته لم يجدوا في الإجابة المنرخة ما يمتنعهم بفائدة القراءة في المصحف الكريم ، فإذا أصر المدرس على ذلك غرق في خضم من اللحن المنكر ، والخطأ المرير ، فيضطر مستسلماً إلى كتابة النص القرآني على السبورة بالإملاء المتعارف لدى التلاميذ ، ويسارع هؤلاء فينقلون الآيات في أوراقهم ، كما دونها المدرس ثم يطوون المصحف الوزاري وقد اعتقدوا أن القراءة به مدعاة الخطأ المعيب ! وهكذا يصبح كتاب الله نائياً مجفوا لا ينتفع به غير من حفظوا القرآن على معلى الكتاتيب ، وهؤلاء كانوا منذ زمن قريب كثرة كاثرة في المدن والريف ، أما الآن فقد اكتسحت المدارس المدنية أكثر أبناء الشعب ، تاركة لجماعات تحفيظ القرآن عددا لا يذكر بالقياس إلى ما كان !! حتى أشفق الحريصون على كتاب الله من يوم قريب يبحثون فيه عن الحفظة فلا يجدون غير النذر القليل ! .

ومن قائل : إن البيهقي قد صرح بأن على من يكتب المصحف أن يلتزم رسم المصحف الإمام ١١ وهذه أقوال أئمة من كبار الفضلاء ، ولكنها ليست آيات من القرآن أو أحاديث من كلام الرسول ، ولك أن تلتبس نقائضها عند أئمة آخرين ، فقد قال سلطان العلماء العز بن عبد السلام : لا يجوز كتابة المصحف الآن على الرسوم الأولى ، وباصطلاح الأئمة لثلاث يوقع في تغيير من الجهال ، كما ذكر أبو بكر الباقلاني أن الرسم العثماني لا يلزم أن يتبع في كتابة المصحف الشريف ، أما العلامة ابن خلدون فقد أفاض إفاضة مليئة في الدعوة إلى ترك الرسم العثماني مما سبسطه لأهميته بعد قليل ١١ وإنما ذكرت هذه الآراء المتضاربة لكبار الأئمة والمفكرين ، ليعلم القارئ أن أقوال العلماء وحدها لا تحسم الخلاف إلا إذا وجدت ما يساندها من البرهان والتعليل ، فلنمر بها الآن مروراً سريعاً لننقل المسألة إلى مجال هادئ تختفي فيه سيطرة الأسماء اللامعة ، ويقف الدليل أمام الدليل ! .

نحن في عصرنا الحاضر - ولندع غيره من العصور - أمام مشكلة حقيقية يصطدم بها آلاف المدرسين من رجال التربية والتعليم ، إذ أن آلاف المصاحف القرآنية توزع على الطلاب كل عام ، ليقرءوا بها ما تقرر عليهم

الأولى في مطلع هذا القرآن إلى كتابة المصحف الشريف بالرسم العثماني حين هم الخديوي عباس بكتابة نسخة منه بالأملاء الحديث إذ كان يخطأ كثيراً في تلاوته فزعم حفي بك ناصف فريق المناوئين لهذا الرأي وقاد حملة أدبية في المؤيد واللواء حتى انتصر رأيه بلباقته وحميته ، ثم عهد إليه مع زميله الأستاذين أحمد الإسكندري ومصطفى عناني بالإشراف على طبع المصحف الحكومي وتصحيحه وفقاً للرسم العثماني فقام ثلاثتهم بمجهودهم المشكور في هذا المضمار الكريم ، أقول إننا نضيف إلى قول اللجنة الموقرة ما يقوله الأستاذ حفي ناصف نقلاً عن مجلة المقطف من بحث نشر^(١) بعد وفاته رحمه الله :

« ومن هذا يعلم أن المحافظة على رسوم المصاحف العثمانية أمر واجب لمعرفة القراءة المقبولة والمردودة ؛ لأن هذه الرسوم صارت أصلاً من أصول القراءة ، ودعامة من دعائم الإسلام وفي هذه المحافظة احتياط شديد لبقاء القرآن على أصله لفظاً وكتابة ، فلا يفتح فيه باب الاستحسان ؛ لأنه إذا فتح باب الاستحسان في الرسم فقد لا يلبث أن يفتح في اللفظ ؛ ويتطرق إليه التغيير والتبديل ، ففسدوا هذا الباب بإبقاء كل

نسأل بعد هذا الموقف المخرج عما يدعوا إلى تمسكنا الحريص بالرسم العثماني في عصرنا الحاضر فنجد لجنة الفتوى الموقرة بالأزهر الشريف تقول نقلاً عن مجلة الرسالة^(١) وأما طبع المصحف الكريم على قواعد الرسم الكتابي العادي المتبع الآن ، فاللجنة ترى لزوم الوقوف عند المأثور من كتابة المصحف وهجائه ؛ وذلك لأن القرآن الكريم كتب وقت نزوله على النبي صلى الله عليه وسلم وقد مضى عهده (ص) والقرآن على هذه الكتابة لم يحدث فيها تغيير ولا تبديل ، وقد كتبت بها مصاحف عثمان ووزعت على الأمصار لتكون إماماً للسلين ، وأقر أصحاب النبي عمل عثمان رضي الله عنه ، ولم يخالفه أحد فيما فعل ، واستمر المصحف مكتوباً بهذا الرسم في عهد بقية الصحابة والتابعين وتابعي التابعين والأئمة المجتهدين في عصورهم المختلفة ولم ينقل عن أحد من هؤلاء جميعاً أنه رأى تغيير هجاء المصحف عما رسم به أولاً إلى تلك القواعد التي حدثت في عهد ازدهار التأليف في البصرة والكوفة بل ظل مصطلح القرآن قائماً مستقلاً بنفسه بعيداً عن التأثير بتلك القواعد ، هاك ما قالته اللجنة الموقرة ونضيف إليه ما قاله البحاثة المتمكن الأستاذ حفي ناصف رحمه الله وهو صاحب الدعوة

أسماء السور كما نرى الآن في طبعات الوزارة التي أشرف عليها الأستاذ المتشدد حفي ناصف ولكنها ألحقت به نقلا عن نسخ متأخرة صدرت بعد العهد العثماني بأجيال فتغير بذلك المصحف الكريم مرة ثالثة عن هيئته يوم كتب في عهد عثمان ، وأنت تعلم أن أرقام الآيات مستحدثة لا تكاد تتجاوز القرن الأخير ومع ذلك فقد ألحقت بالمصحف العثماني فتغير بها مرة خامسة عن هيئته يوم كتب في عهد عثمان ، أما حروف الهجاء نفسها فقد تغيرت شكلا في أكثرها ، فقد حرف في رسمه ، وصغر ثانيا في حجمه ، واستدار ثالث في هيئته . ولديك بدار الكتب المصرية صورة شمسية لصحيفة من مصحف أثرى . جع عهده إلى القرن الأول فلو تأملت ما رأيت عجباً أى عجب في اختلاف رسوم الحروف !! فإذا كان المصحف العثماني قد طرأ عليه ما أسلفنا من التغيير المتعدد أفلا نستجيز الآن تغييراً جديداً في رسمه ؛ فنسكتبه بإملائنا الحديث تفادياً مما يقع فيه الطلاب من خطأ مؤلم ، ولحن شائن كرهه !! على أننا نعلم أن المصحف العثماني قد كتب في عهد أمى . ومن تولى كتابته كزيد بن ثابت وأبي بن كعب وغيرهما كانوا من البدائية الساذجة في رسم السكلمات إلى حد أفصح عنه العلامة ابن خلدون حين تعرض لهذا الموضوع

شئ على أصله ، حتى ما هو مخالف لقانون الرسم المعتاد .

نقرأ النصين السابقين فنعرف أن لجنة الفتوى الجليلة ترى أن المصحف قد استمر مكتوباً من عهد عثمان دون أن يلحقه تغيير وتبديل ، وقد تطورت قواعد الإملاء في عهد ازدهار التأليف بالبصرة والكوفة ، وظل مصطلح القرآن قائماً مستقلاً بنفسه بعيداً عن التأثير بتلك القواعد فأولى به أن يظل على بعده الآن .

وأنت تعلم أن المصحف الذى كتب في عهد عثمان كان غير منقوط إذ أن أول من وضع نقط الإعجام في العربية نصر بن عاصم الليثي ، مستعيناً بأستاذه يحيى بن يعمر العدواني بناء على رغبة الحجاج بن يوسف الثقفي ، فأدخل هذا النقط إلى المصحف الشريف وتغير بذلك عن هيئته يوم وضع في عهد عثمان للمرة الأولى ، ! وأنت تعلم أن المصحف العثماني كان غير مشكول إذ أن أول من وضع الشكل في العربية هو أبو الأسود الدؤلى بأمر من زياد ابن أبيه في عهد معاوية ، وذلك ما كان بعد كتابة المصحف العثماني ، فأدخل هذا الشكل إلى المصحف بعد قليل من اختراعه ، وتغير بذلك للمرة الثانية عن هيئته يوم وضع في عهد عثمان ! وأنت تعلم أن المصحف العثماني لم تذكر به

وما حملهم على ذلك إلا اعتقادهم أن في ذلك تزيها للصحابة عن توهم النقص ، في قلة إجادته الخط ، وحسبوا أن الخط كمال فزهوهم عن نقصه ، ونسبوا إليهم الكمال بإجادته ، وطلبوا تعليل ما خالف الإفادة من رسمه وليس ذلك يصحح ، اهـ .

وقد اتضح أن جمهور الأئمة من صدور هذه الأمة قد أدنوا للمصحف الشريف أن يتطور منذ عهد عثمان هذا التطور شكلا ونقطا ورقا وكتابة لأسماء السور ، وتعديلا لأكثر رسوم الحروف ، فإذا نادينا اليوم بتخليصه من الحروف الزائدة ، واتجاهه إلى الإملاء الصحيح ، فنحن نسير خطوة لاحقة لها سوابقها الماضية ، ولا نأثى بيسدعة مستحدثة ، وحسبنا أن نتقذ آلاف القراء من لحونهم المنكرة واضطرابهم المشين ١١ . وإذا كانت لجنة الفتوى قد سلكت في إجابتها مسلك المستريب المحتاط ، فإنها لم تدع ما ادعاه الأستاذ حفني ناصف من أن هجم المصحف بضبطه العثماني يمنع القراءة بلغة مردودة غير لسان قريش ، إذ أن الإملاء المعاصر لا يجيز للكلمة أن تنطق لفظا آخر غير ما تعارف عليه الناس فكيف نحمله إذا ما لا يطيق ؟ وإذا كنا نعلم أن عثمان الشهيد قد جمع الناس على لسان قريش ، فقطع بذلك السبيل على من يقرءون باللهجات قبلية مختلفة

في مقدمته الرائعة فقال من حديث طويل (١) .

وكان الخط العربي لأول الإسلام غير بالغ إلى الغاية من الإحكام والإتقان والإفادة ولا إلى متوسط لمكان العرب من البداءة والتوحش ، وبعدهم عن الصنائع ، وانظر ما وقع من أجل ذلك في رسمهم المصحف حيث رسمه الصحابة بخطوطهم وكانت غير مستحكمة في الإفادة غالف الكثير من رسمهم ما اقتضته رسوم صناعة الخط عند أهلها ثم اقتنى التابعون من السلف رسمهم فيها تبركا بما رسمه أصحاب الرسول - صلى الله عليه وسلم وخير الخلق - من بعده ، المتلقون لوحيه من كتاب الله وكلامه كما يقتنى لهذا العهد خط ولى تبركا ويتبع رسمه صوابا وخطأ ، وأين نسبة ذلك من الصحابة فيما كتبوه ؟ فاتبع ذلك ، ونبه العلماء بالرسم على مواضعه ولا تلتفتن في ذلك إلى ما يزعمه بعض المغفلين من أنهم كانوا محكمين لصناعة الخط .

وإن ما يتخيل من مخالفة خطوطهم لأصول الرسم ليس كما يتخيل ، بل لكل وجهه ، يقولون في زيادة الألف في لأدبجحه إنه تنبيه على أن الذبح لم يقع ، وفي مثل زيادة الياء في بأيد أنه تنبيه على كمال القدرة الربانية ، وأمثال ذلك مما لا أصل له إلا التحكم المحض

ناصره أم أن هجاء المصحف بوضعه الراهن يُعطى قارىء القرن العشرين مالا تقصده معاني الكتاب العزيز ١٩ على أن العجيب المذهل أن تجد من يتبرعون بتفسير كل خطأ فجع أفرادهم الكتب الخاصة برسم القرآن يزعمون أن رسم الكلمة لا أذبحه بألف بعد اللام يفيد امتناع الذبح ، وأن زيادة الياء في قوله تعالى بأبيد تنبه إلى كمال القدرة ١١ مما وضعه ابن خلدون في مقدمته ، وتعجب منه أستاذنا الكبير أحمد حسن الزيات فكُتب في مجلة الرسالة ^(١) يقول : تعقيبا على فتوى اللجنة د بقى أن لجنة الفتوى لم تذكر الحكمة في الاستمرار على الرسم المضلل في كتابة قوله تعالى : د ولا تقولن (لشأى) (لشأى) لى. لى فاعل ذلك غدا ، والسماء بنيناها (بأبيد) بأيد ، (وبأبيكم بأبيكم المفتون . ١٠ ، وأبدى الأستاذ رأيه صريحا في محاضرة ألقاها بالجمع اللغوى ونشرها بالرسالة في ٩ يناير من عام ١٩٥٠ قال : د قالوا لا بد أن نكتب القرآن بالرسم الذى كتب به فى زمن عثمان ، فنكتب الصلاة بالواو ونلفظها بالألف ، ونكتب والسماء بنيناها بأيد ، بياين ونلفظها ياء واحدة ، ونكتب (لشأى) بألف زائدة بين الشين والياء ونلفظها بدونها . ولو كان هذا الرسم موحى به من الله على

فإن مرور الزمن قد مكن لهذا اللسان القرشى أن يصبح منطق القرآن الوحيد ، وإذا أتيح لكتاب الله أن يطبع بالهجاء المعاصر فلن تصله صلة ما باللهجات المنقرضة ، والالسة البائدة ، وللقارىء أن ينظر معى إلى هذه الفقرات كما رسمت فى مصحف عثمان (١) ولقد جاءك من نبأى المرسلين (٢) أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم (٣) فستبصر ويبصرون بأبيكم المفتون (٤) سأوريكم آياتى فلا تستعجلون (٥) وما دعاؤ الكافرين إلا فى ضلال (٦) اهبطوا مصرا (٧) لا تأيئسوا من رحمة الله (٨) لكننا هو الله ربى (٩) أقلم يائس الذين كفروا (١٠) رسولا من الله يتلوا صحفا مطهرة (١١) لا أذبحه أو ليا تبنى بسلطان مبين (١٢) وتظنون بالله الظنونا (١٣) والسماء بنيناها بأيد (١٤) وثمود أفا أبقي (١٥) إنا اعتدنا لكافرين سلاسل وأغلالا (١٦) ولا تقولن لشأى لى فاعل ذلك . للقارىء أن يتأمل هذه الكلمات ذات الهجاء المضطرب - وأمثالها كثير كثير - ثم ليتصور أنها كتبت فى المصحف الجديد هكذا على التوالى ، نبأ ، أفان ، بأبيكم سأريكم ، دعا - مصر - تأسوا - لكن - يئس - يتلو - لا أذبحه - الظنون - بأيد - وثمود - سلاسل - لشأى ، ثم ليسأل معى : أهذا الهجاء الحديث الميسر يشير إلى لهجة قبلية بائدة كما توهم حفنى

أكثر مما يفهمه دعاة الرسم العثماني أو أقل !!
ذلك وهم بعيد !!

نحن نعرف أن الغيرة الشديدة على كتاب الله وحدها تدفع حضرات أصحاب الفضيلة أعضاء اللجنة وسواهم إلى المعارضة ، كما نعرف أن محاربة الجديد شيء طبيعي يلاحظه دارسو التطورات الاجتماعية والثقافية في كل جيل ، ولكننا نعرف أيضا أن هذا التشدد لن يغني شيئا من الأمر الواقع ، فسيقرأ أحفادنا القادمون كتاب الله بإملائهم المعاصر مستريحين إلى سلامته ويسره ! ولنا أن نأخذ عبرة واضحة من تاريخ الرسم العثماني فقد كان الإمام الأوزاعي يعارض النقط حين أدخل على المصحف حتى قال في شأن كتبه المجتهدين « وددت أن أيديهم قطعت !! » كذلك كان الحسن البصري وابن سيرين في بعض ما يروى عنهما يكرهان النقط والشكل في المصحف الشريف ، ومع ما هو لا. الأعلام من المكانة الفقهية ، فقد أجز شكل المصحف ونقطه ، وتداوله الناس بهذين أجيالا بعد أجيالا !! فإذا عارض فريق من علماء اليوم كتابة المصحف بالهجاء المعاصر فلن يقف ذلك أمام حاجة ماسة يلبسها الربون من الأساتذة ، ويجأرون إزاءها بالشكوى الصارخة والضجيج الملحاح ، وللآيام أن تنضج الرأي الصائب على مهل فيعتقه الناس مقتنعين !! وإذ ذاك يقرءون قول الله تعالى « ولقد يسرنا القرآن للذكر فيعلون أن الإملاء السهل من أدوات التيسير .

رسوله لآمنا به وحرصنا عليه ، ولكنه من عمل قوم كانوا قريب عهد بالخط فوق فيه الخطأ والنقص والإشكال . والغرض من كتابة القرآن أن نقرأ صحيحا لنحفظه صحيحا فكيف نكتبه بالخط لنقرأ بالصواب ، وما الحكمة في أن نقيد كتاب الله بخط لا يكتب به اليوم أي كتاب ؟ ،

وقد كان الأستاذ سعيد جمعة الشرباصي أحسن تخريجا ممن نقل عنهم ابن خلدون تفسيرهم العجيب لأمثال كتابة قول الله بأبدياين لا ياء واحدة ، إذ ذكر في كتابه (تطور الكتابة العربية) أن بعض هذه الحروف الزائدة من ألف أو واو أو ياء محاولة بدائية لاستعمال الحروف بدل الشكل إتماما للضبط !! وكنا على وشك أن نصدق الأستاذ سعيدا في تعليقه ، ولكننا وجدنا من يتمسكون بهذه الحروف الزائدة وأمثالها في العصر الحاضر يتمسكون أيضا بالشكل فيجمعون بين البدل والأصل معا !! وما أظن ذلك يستقيم في منطق مصيب ، وقد اندفع الأستاذ ناصف اندفاعا خطايا حين زعم أن التغيير في الرسم يفتح المجال للتغيير في اللفظ فتستبدل كلمة بكلمة !! وأنا لا أدري كيف يوحى الإملاء الحديث بنطق جديد ، ونحن نرسم آيات القرآن في مقالاتنا الصحفية وأبحاثنا العلمية بهجائنا المعاصر ، يفهم منها القارى

نهج البردة

للأستاذ علي العمّاري

فلما جاء القرن السابع الهجري نشأ فيه رجل كان في أول أمره موظفا حكوميا ، عمل في مباشرة الشرقية ، ثم انتهى به الأمر إلى التصوف ، وقد خلف للتاريخ مدائح في النبي ، مشهورة ، ومن هذه المدائح القصيدة المعروفة باسم البردة ، هذا الصوفي هو شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد ، وكان أبوه من بلدة دلاص - على الراجح - وأمه من بلدة بوضير ، وكلتاها من أعمال مديرية بني سويف ، ولكنه نشأ في بلدة أمه ، لذلك اشتهر بالبوصيري .

وتقرن قصيدة البوصيري بكلمة (البردة) أيضا ، وذلك أنه - فيما روى - أن البوصيري رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه فأثثه قصيدته نخلع عليه النبي برده ، والشاعر سمي قصيدته (الكواكب الدرية في مدح خير البرية) ولكنها عرفت بالبردة ، وقد كتب عليها واحد وعشرون شرحا .

وفي سنة ١٣٢٧ هـ حج خديو مصر عباس الثاني ، فاستقبله شاعر القصر آنذاك أحمد شوقي بقصيدة في مدح الرسول ، سماها (نهج البردة) وقد شرحها شيخ الإسلام الشيخ سليم البشري في كتاب سماه (وضع

أنشد كعب بن زهير أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم قصيدته المشهورة (بابت سعاد) فلما وصل إلى قوله :

إن الرسول لنور يستضاء به

مهند من سيوف الله مسلول

ألقي عليه النبي برده ، وقد بقيت هذه البردة عند آل زهير حتى اشتراها منهم معاوية ابن أبي سفيان بعشرين ألف درهم ، وأخذ الخلفاء يتوارثونها ، ثم انتقلت من الأمويين إلى العباسيين ، وفي مأثور الشعر العباسي ما يدل على أن الخلفاء كانوا يلبسون هذه البردة الشريفة في المناسبات الدينية العامة ، وقد سمج بعض الشعراء وسخف حين قال يمدح المتوكل العباسي :

ولو أن برد المصطفى إذ لبسته

يظن ، لظن البرد أنك صاحبه

وقال وقد أعطيته ولبسته

نعم ، هذه أعطافه ومناكبه

ومن حين أنشد كعب قصيدته ارتبطت هذه القصيدة ببردة النبي ، ولكن القدماء لم يطلقوا اسم البردة ولا غيره على قصيدة كعب ، لأن تسمية القصائد لم تكن من الأمور المتداولة بينهم حينذاك .

النهج) . والمشهور عند الأدباء أن هذا الشرح من وضع الشيخ عبد العزيز البشري ، وفي ذلك يقول الدكتور زكي مبارك: (وكنا نسمع في مجالس أهل العلم بالأدب أن الشيخ سليم البشري لم يشرح نهج البردة ، وإنما الشرح لابنه الشيخ عبد العزيز البشري) . ثم قال في الهامش : (وهو - يعني الشيخ عبد العزيز - يؤكد أن أباه رحمه الله صاحب الشرح ، ونحن نؤكد من جانبنا أن الشيخ عبد العزيز هو الذي كتب ذلك الشرح)^(١) . والقصيدة معارضة واضحة لبردة البوصيري وقد اعترف بذلك شوقي في كلمته التي قدم بها شرح البردة حيث قال : (رأى الله لهذا العبد الخاضع شاعر بيتك الكريم أن يمشي بنور العلم الفرد المغفور له البوصيري صاحب القصيدة الشهيرة بالبردة في مدح خير الأنام عليه الصلاة والسلام ، وجعلتها يا مولاي لحجتك المبرورة تذكارها) .
وأما قول شوقي :

المادحون وأرباب الهوى تبع
لصاحب البردة الفيحاء ذى القدم
مدحه فيك حب خالص وهوى
وصادق الحب يملأ صادق الكلم
الله يشهد أنى لا أعارضه

من ذا يعارض صوب العارض العرم

(١) كتاب للوازنة بين الشعراء ص ٨٣ ، ٨٤ .

ولنأنا أنا بعض الغابطين ومن
يغبط وليك لا يذم ولا يلم
فإنما يريد أنه ليس أهلا لمعارضة البوصيري ،
وإن كانت قصيدته على الوزن والقافية ،
لأن البوصيري أجل وأسمى من أن يعارضه
شاعر آخر .

وقد عارض شوقي جماعة من الشعراء
المتقدمين ، عارض البحري بسينيته ، وأشار
إلى هذه المعارضة بهذا البيت .

وعظ البحري إيوان كسرى
وشفتي القصور من عبد شمس
وعارض نونية ابن زيدون بقصيدته
التي مطلعها .

يا نأخ الطلح أشباه عوادينا
نشجى لواديك أم تأسى لوادينا
وعارض قصيدة الحصري (يا ليل الصب)
بقصيدته (مضناك جفاه مرقده) .

والمعارضة اتباع ، وهي محاكاة في كثير
من سمات الشعر . محاكاة في الغرض ، ومحاكاة
في بعض المعاني ، ومحاكاة في الوزن والقافية .
ولا يزال النقاد يتحدثون عن تقليد شوقي
وتجديده ، ومن رأى الدكتور طه حسين ،
أن شوقي بدأ مجددا وانتهى مقلدا ، ويرى
آخرون أنه كان مقلدا أيام أن كان في الأندلس
يعارض الرائع من قصائد المتقدمين ، ثم
صار مجدداً بعد أن عاد من الزنى ، وشارك

يعارض المتقدمين لا يقع دونهم ، بل ربما بزهم ، حقيقة لم يبلغ في نهج البردة مبلغ البوصيرى ، ولكن في السينية - مثلاً - فاق البحرى ، وفي النونية بز ابن زيدون ، بما ضمنها من فنون القول ، وبما أشاع فيها من موسيقى عذبة ، وأخيلة رائعة .

ولعل تخلفه عن البوصيرى يرجع إلى سببين أساسيين أولهما : أن البوصيرى نظم بعاطفة دينية قوية تتجلى في كل أبيات قصيدته .

وثانيهما : أن شوقي حاول أن يساير البوصيرى في كل خطواته في القصيدة ، وأن يأخذ كثيراً من معانيه وهذا أفقده فضيلة الاستقلال .

والنقاد يختلفون في تفضيل أى الشاعرين في المعاني التي اشتركوا فيها ، فمثلاً الأمير شكيب أرسلان يفضل قول شوقي :

يا أحمد الخير لى جاه بتسميتى
وكيف لا يتسأى بالرسول سمي
على قول البوصيرى :

فإن لى ذمة منه بتسميتى
محمدأ ، وهو أوفى الخلق بالذم
وعندى أن بيت البوصيرى أقوى معنى ، وأجمل أسلوباً ، فإن البوصيرى جعل له بتسميته محمدأ ذمة عند رسول الله ، والرسول أوفى الخلق بالذم ، فالبوصيرى بآمن بسبب هذه التسمية ، وتركيبه ذو ألفاظ حزلة محكمة

الشعب في ثورته السياسية ، وتتحدث فريق ثالث عن معارضة شوقي بخاصة ، فيرى هذا الفريق أن معارضات شوقي لم تمنح شخصيته ، فبالرغم من تأثره في ألفاظه وأساليبه ومعانيه بكبار الشعراء (إلا أن شخصيته القوية ظلت مهيمنة على شعره تلبس فيه روحه وعصره وثقافته الواسعة وخياله المكنح وموسيقاه العذبة ^(١) .

والدكتور أحمد زكى أبى شادى كلمة عن المعارضة وردت في الجزء الثانى من مجلته (أدبى) أحب أن أ نقلها هنا لما لها من صلة بموضوعنا هذا قال : (ليس تعمد معارضة الشعر من الفن الصحيح فى شئ ، بل هو محض صناعة ، والشعر قبل كل شئ عاطفة فكرية عميقة الجذور ، لا بهرج سطحي زائف وقد نقرأ عن بعض الشعراء المتمازين أنه حاول محاكاة شاعر آخر بقصيدة معينة ، ولكن الحقيقة أنه تأثر بموسيقاه أو بموضوع القصيدة فأثار ذلك نفسه الشاعرة ، مثال ذلك معارضات البارودى للشعراء المتقدمين ، ومعارضة كيتس لسبنسر ، وقد كانت تلك المعارضة أول تجربة شعرية لكيتس فإن تلك المعارضات نتيجة الإعجاب بالآثار السابقة ، وأمر وحيها فى النفس) .

على أنه لا يفوتنى أن أقول : إن شوقي حين

ورابعا : هذا التكرار (لم تعذل ولم تلم) والفرق غير واضح بين العذل واللوم ، ولم يدع إلى هذا التكرار إلا الوزن والقافية (١) .
وبما يلفت النظر في نهج البردة أنها بدئت بالغزل كما بدئت البردة ، وكما كانت تبدأ قصائد آخر ، وقد أشرت إلى هذه في كلتي السابقة ، واعتذرت عن شوقي وعن الشعراء - بعامة - في ابتداء قصائدهم بالغزل ، ولكن بق هنا كلام .

ذلك أن الغزل الذى نسوخ الابتداء به ينبغى أن يكون غزلا طبيعيا لا صناعيا ، فأنا ألوم شوقي من هذه الجهة ، لا من جهة أنه ابتدأ بالغزل .

فالتقليد واضح فى أول بيت فى القصيدة (ريم على القاع) فأين من يذكر من الغزليين الآن كلمة الريم ، أو معناه ؟ إن تشبيه المرأة بالطيبة قد مضى عهده ، أما البان والعلم ، فهما كذلك لفظان لا وجود لهما فى قاموس الشعر المصرى الحديث ولا فى عواطف شعرائنا و (الأشهر الحرم) كذلك بقية من خيال الأعراب - كما يقول زكى مبارك .

والجؤذر والأسد ، وساكن القاع ، وساكن الأجم ، كلها كلمات قديمة لا تثير عند

أما شوقي فقد اكتفى بالجاء ، والتعالى على الناس باشتراكه مع الرسول فى الاسم ، ثم (تسميتى ويتسامى وسمى) وقصد الطباق بما يضعف النسج .

والدكتور زكى مبارك يفضل قول شوقي :
بالأئمة فى هواه - والهوى قدر -
لو شفقك الوجد لم تعذل ولم تلم
على قول البوصيرى :

بالأئمة فى الهوى العذرى معذرة
منى إليك ، ولو أنصفت لم تلم
وقد أعجب الناقد بقول شوقي (والهوى قدر) ويبدو أن الموسيقى - وهى قوية فى الشطر - صرفت الناقد عن حقيقة المعنى ، وعندى أن قول البوصيرى أدق ، وبيته أصنى ، ومعناه يكاد يكون له ، فالبوصيرى وصف هواه بأنه عذرى ، ومع ذلك اعتذر إلى لائمه ، ثم قال : إن مجرد الإنصاف يكفى فى ترك الملام ، فجعل مثل هذا الهوى أمراً سائغاً عند المنصفين ، ولولم يشفقوا . أما شوقي فقد ألقى - أولاً - التبعة على القدر ، ولاندرى لماذا كان الهوى وحده من أعمال القدر ، وثانياً جعل الذى يترك لوم العاشق إنما هو الذى شفه الوجد ، وهذا بطبيعة الحال يعذر بل كل من يرتكب جرماً ويبالغ فيه يعذر الآخرين ، وثالثاً : المعنى مسروق وواضح السرقة (وإنما يعذر العشاق من عشقا)

(١) من الضرورى أن أقول هنا : إن الدكتور زكى مبارك فصل القول فى القصيدة فى كتاب الموازنة وكل ما أكتبه هنا إنما نرد به على ما كتبه ذلك الأديب .

المحدثين عاطفة ولا تحرك لهم شعوراً ،
ولست مع الدكتور زكي مبارك في استطرافه
هذا البيت :
رمى القضاء بعيني جوذر أسداً

ياساكن القاع أدرك ساكن الأجم
فإن بناءه ومعناه بعيد عن مشاعرنا ،
وسواء قال شوقي رعى الجوذور الأسد ،
أو رعى القضاء بعيني جوذر أسداً ، فإن رأيت
لن يتغير ؛ لأن الجوذور والأسد غابا عن حديث
الحب والصبابة ، والتشبيه بهما أو استعارتهما
أصبح من الأمور المتأكلة .

وليس حديث السهم والبان والقنا والآرام ،
ومضرب الخيم ، والغصن والصمصامة الذكر
بأفضل من حديث الجوذور والأسد ، فكلها
من وإد واحد ، ولاداعي لإيرادها إلا الخطب
في حبال المتقدمين . والتشبيه في قوله
(من الموائس باناً) و (السافرات كأمثال
البدور) من التشبيهات القديمة المبتدلة .

وخلاصة الرأي عندي : أن ابتداء القصائد
بالغزل أمر لا غبار عليه ، ولكن المعيب
أن يكون الغزل بعيداً عن أجوائنا ، وأن يكون
غزلاً متكلفاً لاصدق فيه

وشوقي - في هذه القصيدة - مغرم بالمحسنات
البدعية ، وقد أكثر - بخاصة - من الطباق ،
مما غض من قيمة المعاني في بعض الأحيان .
والذي أحفظه بعامة على مدايح شوقي ، ومنها

هذه المدحة أنه يجيد حين يتحدث عن الدنيا
وعن الأخلاق ، وعن أحوال المسلمين ،
فأنا - مع بعض النقاد - من المعجبين بهذه
الآيات :

يانفس دنياك تخفى كل مبكية
وإن بدا لك منها حسن مبسم
لا تحفلي بجناهاها أو جنايتها
الموت بالزهر مثل الموت بالفحم (١)
كم ضللتك ومن تحجب بصيرته
لن يلق صاباً يرد أو علقماً يسم
وكذلك تعجبنى هذه الآيات :

يارب هبت شعوب من منيتها
واستيقظت أمم من رقدة العدم
سعد ونحس وملك أنت مالكة
تديل من نعم فيه ومن نقم
رأى قضاؤك فينا رأى حكمته
أكرم بوجهك من قاض ومنتقم
فالطف لأجل رسول العالمين بنا
ولا تزد قومه خسفاً ولا تسم
يارب أحسنت بدء المسلمين به
فتعم الفضل وامنع حسن تحتم

(١) يريد أن كليهما قد ينشأ عنه الاختناق ،
وهذا معنى علمي يحتاج إلى معرفة أن الزهر ينتمى
الأكسجين من الهواء كما ينتمى الفحم . ولكنه
جيد .

فهذا الشطر الأخير أسير ؛ لسهولة ،
وصفائه من قول شوقي (نموا إليه فزادوا
في الورى شرفا) .

ثم تطرق الشاعر إلى ذكر بحرى الراهب ،
وحراء ، وذهاب النبي إليه ، وأنسه بالعزلة
فيه ، يسامر الوحى قبل مهبطه ، وأشار
إلى ما يعرف فى حياة الرسول بالخوارق
الكونية من فيض الماء من بين يديه
الشريفتين وتظليل الغمامة له ، ثم ذكر بدء
الدعوة ، وحيرة قريش حينذاك ، وجهلهم
على الرسول ودعوته ، واستطرد إلى ذكر
معجزة الرسول الخالدة وهى القرآن الذى
لا تزال آياته جددا ، مع انصرام آيات
الأنبياء السابقين ، وإلى حديث رسول الله ،
وأنه صلى الله عليه وسلم أفصح الناطقين
بالضاد ، وقد جاء فى هذا المعرض هذا البيت :

حليت من عطل جيد البيان به

فى كل منتشر منه ومنظم
وعندى أن هذا البيت غير دقيق ، فما
يرفع من قدر حديث الرسول أنه جاء لقوم
لا يحسنون البيان ، وهو كذلك يتجافى مع
الواقع ، فإن العرب عند بعثة الرسول لم يكن
بيانهم عاطلا ، والفخر للنبي أنه جاء لقوم
فصحاء أبيناء ، يعدون فرسان الكلام ،
فبهم فصاحة وبياناً .

ولم يفته أن يذكر بشائر المولد ، وأن
(البقية على صفحة ٦٠٠)

والقصيدة تبدى - كما هو معروف -
بالنسيب ، فيشغل منها أربعة وعشرين بيتا ،
ثم تنتقل فى رفق إلى الحديث عن الدنيا
ووصفها والتحذير منها ، وعن النفس
ورغبتها فى اللذات ، وتخلص تخلصا جميلا
رائعا إلى الغرض منها :

والنفس من خيرها فى خير عافية

والنفس من شرها فى مرتع وخم
تطفئ إذا مكنت من لذة وهوى

طفى الجياد إذا عضت على الشكم
إن جل ذنبى عن الغفران لى أمل

فى الله يجعلنى فى خير معصم
ألقى رجائى إذا عز المجير على

مفرج الكرب فى الدارين والغم
ويمضى الشاعر يمدح رسول الله صلى الله
عليه وسلم بأنه صفوة البارى ورحمته ، وأنه
صاحب الخوض يوم القيامة ، ويذكر شرف
نسبه ، وكرم محتده ، وأن آباءه شرفوا به :

نموا إليه فزادوا فى الورى شرفا

ورب أصل لفرع فى الفخار نى
وأصله الذى أخذ منه أقوى وأوضح ،
وهو قول ابن الرومى :

قالوا أبو الصقر من شيبان قلت لهم

كلا لعمرى ولكن منه شيبان
وكم أب قد علا بان ذرا شرف

كما علت برسول الله عدنان

الاسلام في الكونغو

للاستاذ عتيق صفر

في المنطقة الاستوائية من القارة الإفريقية ، وفي حوض نهر الكونغو ، ثالث أنهار إفريقيا ، تعيش عدة قبائل متناثرة أهمها مجموعة قبائل البانتو Bantu الذين يحترفون الرعي والصيد ويعملون في مناجم النحاس والماس والذهب واليورانيوم التي يزخر بها إقليم «كاننجا» في الجنوب .

وقد ظلت هذه المنطقة مجهولة زمنا طويلا ، لم يعرفها الغربيون إلا في القرن التاسع عشر ، عندما نشطت الرحلات الاستكشافية والتبشيرية ، التي انتهت بتنافس الدول على استعمارها .

وأكبر رجل يرجع إليه الفضل في كشف هذه المنطقة حديثا هو «هنري ستانلي» (١٨٤١ - ١٩٠٤) الذي نبه الدول إليها ، ومكن للبلجيكيين منها . وقد عمل المستعمرون على طمس معالم التاريخ القديم لهذه البلاد ، كما هي عاداتهم في كل بلد يستولون عليه ، وذلك ليصنعوا هم تاريخها وينسبون الفضل في تقدمها إليهم ، ولولا شذرات ترد عرضا في تقارير الرحالة والمكتشفين ومذكراتهم لظل أمر هذه المناطق مجهولا لمن يريد أن يكتب التاريخ .

كانت هذه المنطقة الاستوائية معروفة للعرب والمسلمين قبل أن يعرفها الغرب بعدة قرون ، وقد قرر ذلك «ستانلي» في خطابه الذي ألقاه في حفل التكريم ، الذي أقامه له المصريون مساء الاثنين ٢٠ من يناير ١٨٩٠ ، وذلك عندما تحدث عن وادي «سمليك» قرب بحيرة البرت ، فقال مانصه : - واتضح لي لدى مراجعتي ما كتب عن تلك البلاد أن جغرافيا عربيا اسمه شياد الدين (كذا) ، وعصره القرن الرابع عشر لليلاد ، وصف هذا النهر وصفا بديعا ، ودقق فيه بما لم يبعد عن الحقيقة ... إلى أن قال : والغريب أننا نكشف الآن ما كان معلوما عند الخلفاء والبطالسة والفراعنة قبلهم ، وحفظ في آثارهم التي توارثها الخلف عن السلف ، حتى اتصلت بجغرافي العرب في زمانهم ، ثم عفت آثارها وطمست أخبارها ، حتى عدنا فكشفناها في زماننا (١) .

ومهما يكن من شيء فإن الإسلام دخل منطقة الكونغو من عدة منافذ من الأقطار التي تحيط بها ، جاء من السودان وأوغندة

(١) ص ٤٦٦ من مجموعة الطائف لسنها الرابعة

لرجل عربي نزحت قبيلته من جزيرة العرب واستوطنت شرق إفريقيا ، وهو « حامد بن محمود » الملقب بـ « تيبو تيب » . ولد هذا المجاهد من جزيرة « زنجبار » ، حوالي ١٨٣٣ ، واحترف التجارة كأبيه وغامر بالتوغل داخل القارة ، واجتاز بقافلته حدود تنجانيقا ووصل نهر الكونغو ، وجعل ينشئ على ضفافه مراكز ومخازن للتجارة ، أهمها :

ريبا ريبا ، نيانغو ، كازونغو . وأنشأ مزارع منظمة رتب لها العمال ، وحكم هذه المنطقة ما يقرب من خمسة وعشرين عاما .

وإلى هذا المجاهد الكبير يرجع الفضل في تمكين الرحالة المكتشفين من أداء مهمتهم ، فساعد « لفنجستون » سنة ١٨٦٧ ، ورافق الرحالة « كامبيرون » سنة ١٨٧٤ إلى ما وراء نهر الكونغو ، وكانت له اليد الطولى في تمكين « ستانلي » من كشفه العديدة وعثوره على لفنجستون المفقود ، وإن كان هو لم يعترف بهذا الفضل ، ووصف « تيبو » بأقبح الصفات في حفل التكريم المذكور .

وفد خشي المستعمرون من قوة هذا البطل ، وأوجسوا خيفة أن تقوم في قلب القارة دولة إسلامية تقف دون أطماعهم ، فوقفوا ضده وحاربوه في عدة معارك ، لم يستطع أن يصمد فيها بجيشه الصغير الأعزل ، أمام جيوش العدو المسلحة ، وظل أصحابه في مقاومة باسلة

وتنجانيقا ومن الدول التي تقع إلى الشمال الغربي من حوض النهر وكان دخوله سلبيا هادئا على يد تجار العرب الذين توغلوا في هذه البلاد ، وكان لبسطة العقيدة الإسلامية ، وسهولة تكاليفها ، ونظرتها الواقعية للحياة ، وتجاوبها مع مقتضيات الزمن ، وأهليتها لأن تملأ الفراغ النفسى عند الزنحى الذى يطلب إليه أن يتخلى عن الوثنية ، واكتساب صاحبها معنى أدبيا لم ينله فى ظل الديانات الأخرى وهو المساواة واحترام الحقوق - كان لذلك كله أكبر الأثر فى عدم توجس الزنحى خيفة من هذا الدين الجديد .

ولم يظهر أمر الإسلام واضحاً فى هذه المنطقة إلا فى القرن التاسع عشر ، عند ما قامت الحركات التحررية التى قاومت العدو المستعمر ، والتى بدأها هم ثلاثة من عظماء الرجال « الزبير باشا » فى حوض النيل الأعلى من ١٨٥٦ - ١٨٧٥ ، و « رايخ بن فضل » فى حوض تشاد من ١٨٧٧ - ١٩٠٠ ، و « الحاج عمر تال » الذى كون جيشا من مسابى « غابون » من بلاد الكونغو « إفريقيا الاستوائية الفرنسية الآن » وظل يحارب الوثنيين وينشر دعوة الإسلام حتى توفى سنة ١٨٦٥ .

وكان الفضل الأكبر فى إنشاء مراكز إسلامية فى الكونغو ، وفى تأسيس دولة فيها

عربي مولود في السكونغو أن عددهم ٣٣ ألفاً^(١) كما يقدر عددهم بعض الصحفيين الذين زاروا البلاد أخيراً بنصف مليون .

أكثر هؤلاء المسلمين وافدون من شرقي إفريقيا ومن سلالة المجاهدين الأولين ، كما وفد إلى السكونغو جماعات من السنغال ومن السودان ومن الهند وفارس . وامتزج هؤلاء الوافدون بالوطنيين وأصبحوا لا يكادون يفترقون عنهم . والمركز الرئيسي للمسلمين هو « كازونغو » ويوجد منهم عدد كبير في « ستانلي فيل » ، « بودوان فيل » . وبالرغم من سيطرة العادات التي تفرضها طبيعة البلاد وعقائدها ، ومن حرص الاستعمار على بقاء الأوضاع الفاسدة ، التي يرى أنها تفيده في السيطرة والسلطان ، كالخرافات المنتشرة ، والإفراط في تناول المسكرات ، وشيوع الدعارة بشكل غريب لا يكاد ينجو منه إلا النادر القليل من النساء ، وتعدد الزوجات الذي لم تؤثر فيه المسيحية شيئاً ؛ إذ أن بعض المنتصرين لا يستطيعون التخلص من هذه العادات لأنها مقياس غنى الرجل ، إذ أنه يشتري الزوجة من أهلها فإذا أعجبته ضمها إلى نسائه ، وإن لم تعجبه ردها إلى أهلها واسترد الثمن ، أو باعها لرجل آخر . بالرغم من كل ذلك فإن المسلمين متمسكون بدينهم إلى

طوال ستة أعوام انتهت بسقوط آخر معقل إسلامي وهو « كازونغو » ، وتوفي البطل في أوائل القرن الحالي .

والسكونغو الذي كان تحت حكم بلجيكا واستقل أخيراً ، والذي يعاني اليوم أزمات خطيرة ، يبلغ عدد سكانه نحو ثلاثة عشر مليوناً ، ينتشرون في مساحة تبلغ ٩٠٠ ألف كيلو متر مربع ، وهي تقرب من مساحة الهند ، من هؤلاء السكان أكثر من ١٠٠ ألف أوروبي ، ٨٠٪ منهم بلجيكيون . ويوجد هناك نحو ١٠ آلاف من المغتربين العرب الذين هاجروا من سوريا ولبنان خلال النصف الأول من القرن الحالي . وهم يشتغلون بالتجارة وفيهم أطباء ومحامون ومهندسون .

والدين الغالب في هذه البلاد هو الوثنية المسماة Fetichisme يدين بها حوالي عشرة ملايين ، وقد استطاعت الإرساليات التبشيرية أن تدخل في المسيحية ما يقرب من ثلاثة ملايين ، وذلك بعد بذل الجهود الجبارة ، التي تعرف مقدارها إذا علمت أن من بين كل ٧٠ ألف أوروبي يوجد ١٠ آلاف مبشر . وليست هناك إحصاءات رسمية دقيقة عن عدد المسلمين هناك ، وتقدر وكالات الأنباء التبشيرية عددهم بنحو ١٣٠ ألفاً^(٢) . ويذكر

(١) مجلة العرب بكراتشي عدد ربيع الأول

والثاني ٢٩-١٠٠٠

(٢) نشرة Fedes في ١٧/١٢/١٩٥٥ ،

١٣/٧/١٩٥٧ .

من السنغال ، لم تنضج ثقافتهم ، ويعيشون على الصدقات التي ترد إليهم من الميردين ، وهؤلاء جميعا يتلقون التوجيهات من المراكز الإسلامية الموجودة في الأقطار المجاورة ، وأهمها دكبالا ، في أوغندا ، وديوجيجي ، في تنجانيقا . وهي كلها تنقصها الثقافة الصحيحة السليمة اللازمة لمن يتصدى للدعوة الإسلامية

وإذا عرفنا أن التعليم في هذه المنطقة متأخر جدا ، لدرجة أنه يقتصر على المرحلة الابتدائية ، ولم يسمح إلا بإنشاء ثلاث مدارس ثانوية وهي ملحقة بمصانع الحكومة أو الشركات ، وقد فتحت جامعة كاثوليسكية سنة ١٩٥٤ قوامها ٢٨ طالبا عدد أساتذتهم أكبر منهم ، والمبشرون هم الذين يسيطرون على التعليم بكافة أنواعه — إذا عرفنا ذلك أدركنا سوء الحالة العلمية عند المسلمين ، وأدركنا شدة حاجتهم إلى من يخلصهم من سلطان القاديانية ، ، وجهل الدعاة المرتزقة ، ويزودهم بالمعارف العامة التي حالت بينها وبينهم سياسة المستعمرين وعصية المبشرين . وأعتقد أن استيفاء عدد من طلاب الكونغو وتزويدهم بالثقافة الدينية الكافية وإعادتهم إلى وطنهم يرشدون المسلمين بالأسلوب الذي يجدونه مفيدا ، ورعايتهم من الناحية المادية ، أجدى وأنفع من إرسال

حد بعيد ، يؤدون واجبهم ويزاولون أعمالهم في أمن وسلام . والمرأة المسلمة هناك تلبس الملابس الطويلة الساترة ، وتقوم بقسط كبير في خدمة زوجها وتشاركه أعباء حياته ، كما هي العادة المتبعة في البلاد ، إذ أن المرأة تقوم بمهمة الرعى والصيد والزراعة وجلب القوت وإعداد له لزوجها ، وليس من اللائق أن يساعدوا الزوج في شيء من هذه الأعمال .

وأكثر المسلمين يتكلمون اللغة السواحلية السائدة في شرقي إفريقيا ، وإن كان في البلاد أربع لغات رئيسية تنفرح إلى ٣٨ لهجة محلية إلى جانب اللغة الفرنسية وهي اللغة الرسمية . وهم يقرءون القرآن باللغة العربية ، ولكن نطقهم غير سليم ، ولا يفهمون ما يقرءون . وهم في حاجة ماسة إلى من يرشدهم إلى الدين الصحيح ؛ ذلك لأن أكثرهم ينتمى إلى جماعة القاديانية القادمين من الهند ، وهؤلاء لهم عقيدتهم الخاصة التي تنافي الإسلام الصحيح ، ويعرفون هناك باسم موليدى Mulide ، وقد أمكنهم بثقافتهم وراثتهم أن يسيطروا على الناس ، وهم يحاولون إنشاء المدارس والجمعيات لنشر مذهبهم ، ولهم في دكيجوما ، بتجانيقا مدرسة من الطبقة الثانية كما يقول المبشرون ^(١) . وهناك جماعة فرضوا أنفسهم على العامة في الإمامة والإرشاد ، أكثرهم

دوامة عاتية من الفتن الدينية والسياسية ،
وأن تتعاون الدول المتحضرة في إفريقيا
على الأخذ بيد هذا الشعب المسكين ، وذلك
لثبوت جذارتنا بالحياة ، ولنجيط قول الكاتب
البريطاني ن . دافيدسون : ليس الشيء
العجيب في إفريقيا أن سكانها متأخرون ،
ولكن العجيب هو أنهم ما يزالون على قيد
الحياة .

عطية صقر

من علماء الأزهر

مبعوثين يجب أن يلبوا باللغة الفرنسية إماما
واقيا ، وأن توفر لهم الإمكانيات المادية
والأدبية ليستطيعوا أن يجدوا لهم
مكانا بين المبشرين الذين ينفقون عن سعة
ويتمتعون بامتيازات ، حبت إليهم الإقامة
في هذا المغرب ، الذي لا يجدون فيه وحشة
ولا تبرا .

والواجب يحتم علينا أن نعمل شيئا
لإخواننا المسلمين ، الذين يعيشون هناك في

(بقية المنشور على صفحة ٥٩٥)

ويستعين بكسرى وفرعون ، لأن مظهر الملك
في نهضة العدل لا في نهضة الهرم ، ويفضل
بغداد على روما ، وخلفاء العباسيين على
قيصرة الرومان ويستطرد إلى ما أثر هؤلاء
الخلفاء .

خلافت إن جلوا عن موازنة

فلا تقيسن أملاك الورى بهم

ويذكر الخلفاء الراشدين ، وحسن بلائهم
في الإسلام ، ثم يصلى على النبي وآله . وأخيرا
يطلب من الله اللطف بالمسلمين ، وأن يتم
الفضل عليهم بحسن الختام ؟

على العمري

يصف حال العرب عند بعثته صلى الله عليه
وسلم ، وحال غيرهم من الأمم ، الذين يفتك
أقوامهم بأضعفهم ، كما تحدث عن الإسرائ
والمعراج ، وعن الهجرة ، ثم عاد يفضل
الرسول على البدر حسنا وشرفا ، وعلى
الجبال والأنجم والليث ، ثم يشبه وجهه
تحت النقع بيد الدجى ، ويذكر يتمه صلى
الله عليه وسلم ، وزهده في الدنيا وجوده ،
وأثر شريعته في الناس ، ويعلل حروب
الرسول في أبيات قوية صافية ، ويستطرد
إلى مقام النبي في الحروب ، ومقام أصحابه ،
وبعد ذلك يتحدث عن الإسلام وأن جوهره
التوحيد ، وأن العلم والعدل أساسان من أسسه

هدنة البتط

للأستاذ عبد المنعم محمد الشيخ

ولا ننصب لكم حرباً ولا نغزوكم ما أقتم
على الشرائط التي بيننا وبينكم ، على أن تدخلوا
بلدنا بجنازين غير مقيمين فيه ، وندخل بلدكم
بجنازين غير مقيمين فيه ، وعليكم حفظ
من نزل بلدكم أو يطرقه من مسلم أو معاهد ،
حتى يخرج عنكم . وأن عليكم رد كل آبق
خرج إليكم من عبيد المسلمين حتى تردوه
إلى أرض الإسلام ، ولا تستولوا عليه ،
ولا تمنعوا منه . ولا تعرضوا المسلم قصده
وجاوزه حتى ينصرف عنه . وعليكم حفظ
المسجد الذي ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم ،
ولا تمنعوا منه مصليا ، وعليكم كفسه
ولإسراجه وتكرمه ، وعليكم في كل سنة
ثلاثمائة وستون رأساً ، تدفعونها إلى إمام
المسلمين ، من أوسط رقيق (١) بلادكم ،

(١) واضح من النص أن هذا العدد كان
من الرقيق الأصليين القين بباعون . ويلاحظ
أن أهل النوبة في ذلك الوقت لم يكونوا مسلمين ،
بل كان كثير منهم وثنيين . وكانت الدولة الرومانية
في ذلك الوقت ، ولزمن طويل قبله ، تلقى بالرقيق
والأسرى إلى السباع الجائعة لتفترسهم ، وتقيم لذلك
الحفلات العامة . ولم يكن مجتمع ذلك العصر ينكر
الرق في أي بلد من بلاد العالم المعروف يوم ذاك .
أما الإسلام فقد أمر بحسن معاملة الرقيق ، وحث
في كل مناسبة على عتقه (التحرير) .

لما مات الخليفة « عمر بن الخطاب » ،
دأب أهل النوبة على مهاجمة بلاد الصعيد
ونهب تصل إليه أيديهم ، فسار إليهم
« عبد الله بن سعد بن أبي سرح » ، على رأس
جيش هاجم به عاصمة مملكتهم « دنقلة العجوز »
وضربها بالمنجنيق وكان ذلك في عام ٣١ هـ
(٦٥٢ م) في عهد خلافة « عثمان بن عفان » .
ولما رأى ملك النوبة « قليدورون » Kalidürün ،
أن لا قبل له بجيش المسلمين طلب الهدنة ،
فأجابه « ابن أبي سرح » ، إليها وعقد معه
في رمضان من سنة ٣١ هـ (٦٥٢ م) هدنة
عرفت في التاريخ الإسلامي باسم « البقطة » .
والصيغة التي تواترت في المراجع لهذه
الهدنة هي :

« عهد من الأمير عبد الله بن سعد ابن
أبي سرح » ، لعظيم النوبة ولجميع أهل مملكته .
عهد عقده على الكبير والصغير من النوبة
من حد أرض أسوان إلى أرض علوة .
أن عبد الله بن سعد جعل لهم أماناً وهدنة
جارية بينهم وبين المسلمين من جاورهم من أهل
صعيد مصر وغيرهم من المسلمين وأهل الذمة .
أنكم يا معاشر النوبة آمنون بأمان الله وأمان
رسوله محمد ، صلى الله عليه وسلم ، ألا نحاربكم

المسلمين استطاعوا في هذه السنين المبكرة من سنوات الفتح الإسلامي أن يصلوا إلى دققة . وتدل عبارة « وعليكم حفظ من نزل بلكم » الواردة في الوثيقة على تبادل تجارى قديم بين النوبة ومصر ، وعلى أن العرب حريصون على استمرار هذا التبادل والتعاون وتنميته وتنظيمه . كما تدل عبارة « حفظ المسجد » على مبلغ حرص المسلمين على ديارهم وتكليف أهل النوبة برعاية هذه العقيدة الإسلامية في بلادهم المسيحية .

وكما هو واضح لم يرد بوثيقة البقطة شئ عن « العوض » الذى يدفعه المسلمون مقابلا لما فصلته الوثيقة من الالتزامات التى ألزمت النوبة بدفعها إلى إمام المسلمين . ويقول المقرئى فى خطه بصدد هذا « العوض » : إن « عبد الله بن أبى سرح » وعدم ملك النوبة بعد أن شكاً إليه قلة الأرزاق فى بلاده ، بحجوب يهدىها إليه ، وفعلأ أهدي إليه « ابن أبى سرح » قمحاً وشعيراً وعدساً وثياباً وخيلاً ، ثم أصبح ذلك تقليداً ، لزم على العرب سداده عند دفع البقطة فى كل عام .

وجدير بنا أن نعرض الآن لما ينتظره القارئ من إيضاح اللفظة « البقطة » . وقد عرض لذلك المقرئى مفترضا أن الكلمة عربية فقال : لأنها إما أن تكون من قولهم فى الأرض بقط من بقل وعشب أى نبذ

غير المعيب ، يكون فيه ذكران وإناث ، ليس فيها شيخ هرم ولا عجوز ولا طفل لم يبلغ الحلم ، تدفعون ذلك إلى وإلى أسوان وليس على مسلم دفع عدو عرض لىكم ولا منعه عنكم من حد أرض علوه إلى أرض أسوان ، فإن أوتيم عبداً لمسلم أو قتلتم مسلماً أو معاهداً ، أو تعرضتم للمسجد الذى ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم بهدم ، أو منعتم شيئاً من الثلاثمائة رأس والستين رأساً ، فقد برئت منكم هذه الهدنة والأمان ، وعدنا نحن وأنتم على سواء حتى يحكم الله بيننا ، وهو خير الحاكمين . علينا بذلك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله محمد ، صلى الله عليه وسلم ، ولنا عليكم بذلك أعظم ماتدينون به من ذمة المسيح وذمة الخواريين ، وذمة من تعظمونه من أهل دينكم وملتكم . الله شهيد بيننا وبينكم على ذلك .

كتبه عمر بن شرجيل فى رمضان عام ٣١١ هـ وتنص هذه المعاهدة على أن : بملكة النوبة المسيحية التى عقد معها المسلمون معاهدة البقطة هذه تمتد من أرض أسوان إلى سد أرض علوة ، أى من أسوان إلى الخرطوم الحالية ، ويتضح من هذه الوثيقة أنها عبارة عن معاهدة صداقة وحسن جوار . ولم تكن تتم عن غالب قاهر يملئ شروطاً على مغلوب مقهور . والشئ الذى يسترعى الانتباه أن

وجاء بدائرة المعارف الإسلامية حول كلمة « بقط » مايلي : « وهى الجزية التى كانت تدفعها النوبة ، وربما كانت كلمة مصرية معناها عبء » ، ظهرت فى المصنفات العربية اصطلاحاً على جزية النوبة منذ سنة ٣١ هـ (أبريل — مايو سنة ٦٥٢ م) وليست جزية حقيقية لأن المسلمين كانوا يدفعون فى مقابلها ألف أردب من القمح ومثلها من الشعير ... وعلى هذا كان البقط صورة من صور التبادل السياسى ، فالبقط إذا لم يكن جزية ، لأننا لم نر المسلمين يدفعون عوضاً عن جزية فى أية معاهدة عقدها ، وكان « الإمام مالك بن أنس » يعد البقط صلحاً بين النوبة والمسلمين .

وأما « يزيد بن أبى حبيب » وهو عالم مصرى أصله من بلاد النوبة ، فقد قال عن البقط « ... إن هى إلا هدنة بيننا وبينهم على أن نعطيهم شيئاً من قمح وعدس ويعطونا رقيقاً ، فالبقط إذاً معاهدة سلام وتجارة بين طرفين متساويين وليس جزية بوجه من الوجوه » .

ويقول المقرئى عن مكان دفع البقط « كان البقط يؤخذ منهم فى قرية يقال لها القصر مسافتها من أسوان خمسة أميال ... والقصر أول بلد النوبة وبه مسلحة وباب لبلد النوبة » .

(البقية على صفحة ٦١٢)

من مرعى فيكون المعنى نبذة من المال وإما أن تكون من قولهم إن فى بنى تميم بقطاً من ربيعة أى فرقة أو قطعة فيكون المعنى فرقة من المال أو قطعة منه ، ومنه بقط الأرض أى فرقة منها ، وبقط الشيء أى فرقة ... ويستطرد المقرئى فيقول : إن البقط أيضاً هو ماسقط من التراب إذا قطع فأخطأ المقرئ فى ويكون المعنى على هذا الأساس : بعض ما فى أيدي النوبة . وهذا جهد كبير من المقرئى فى تحميل اللفظ فوق ما يحتمل ، وهو شبيه فى تحريجاته هذه بما يحاوله عامة عصرنا من تفسير لبعض أسماء البلدان كالفيوم ودمهور على أساس أنها كلمات عربية .

أما الحقيقة التى تلقى ضوءاً على ما تعنيه كلمة « البقط » فهى أن بلاد النوبة وخاصة القسم الشمالى منها تأثرت إلى حد كبير بالثقافات الهلينية والرومانية والرومية ، وقد سبق للنوبة أن عقدت مفاوضات بينها وبين الروم منها هدنة عام ٤٥١م التى عقدها مع « مكسيمينوس Maximinus » فى عهد الإمبراطور « ثيودوسيوس Theodosius » الثانى ولا بد أن يكون النوبيون قد عرفوا وقتئذ من الرومان اصطلاح Pactum بمعنى « عقد » أو « اتفاق » ولا ريب فى أن لفظ « بقط » مأخوذ من الكلمة اللاتينية

« Pactum » .

جامعة النجف الأشرف

”مناسبة الاحتفال بمرور ألف ومائة سنة على جامعة القرويين“

للاستاذ محمد رضا المظفر

عميد كلية الفقه بالنجف

الحديث للإمامية ، هما : كتاب التهذيب ، وكتاب الاستبصار . وكفى أن يكون له تأسيس المركز العلوي للنجف .

أعود فأقول : إن تاريخ النجف العلوي ومركزها الحساس عند الإمامية يبتدىء من ذلك العهد واستمرت معهداً للدراسات الإسلامية بين مد وجزر حتى أوائل القرن الثالث عشر الهجري حيث ألفت المرجعية العامة عصا ترحالها في النجف وذلك بنبوغ المجتهدين الكبارين السيد محمد مهدي بحر العلوم والشيخ جعفر كاشف الغطاء . بعد أن جابت عدة بلاد في فترات متباعدة كبغداد والحلة وكر بلاء وأصفهان .

ومن هذا العهد الأخير كثرت البنايات ، لسكنى الطلاب المهاجرين إليها من مختلف البلاد النائية . التي تسمى بالمدارس وهي أشبه ما تكون بالأقسام الداخلية . ويبلغ الموجود منها الآن قرابة ٣٠ مدرسة كبيرة وصغيرة ، بعد أن كانت بناية صحن الحرم العلوي هي المأوى الكبير لهم من أبعاد العهود . وفي النجف اليوم حوالي خمسة آلاف طالب من مختلف الأقطار الإسلامية . وتقوم المرجعية العامة بتعيين جريبات شهرية لكل طالب ،

جامعة النجف الأشرف صنو جامعة القرويين في قدم عهدها ، فقد تأسست أول بناية لها في القرن الثاني الهجري ، وهي بناية القبر المطهر ، قبر سيدنا أمير المؤمنين على ابن أبي طالب كرم الله وجهه ، بأمر الخليفة العباسي هارون الرشيد . ويظهر أن هذه البناية ما أسرع أن اجتذبت إليها قلوب المؤمنين من زائرين ومجاورين الذين يتعطشون إلى الانتهال من روحية صاحب هذا القبر والاستلham من عقيدته الإسلامية العالية ، وقدسية نفسه الجبارة برغم جفاف هذه البقعة وبعدها عن العمران .

ولكن الحقيقة التي يجب أن يقال : إنه لم يكن لها ذلك الشأن الذي يذكر في مركزها العلوي المرموق ، إلا في أواسط القرن الخامس الهجري وذلك بعد ما هاجر إليها من بغداد سنة ٤٤٨ هـ الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي المظالم المعروف بشيخ الطائفة ، صاحب الموسوعات والمؤلفات الخالدة في الحديث والتفسير والفقه وغيرها . إن هذا الرجل من عظماء التاريخ فيما ألف وأسس . وكفى أن يكون له أصلا ن كبيران من الأصول الأربعة في

لا يتجاوزونها إلا نادراً كشرح قطر الندى وشروح ألفية ابن مالك ومغنى اللبيب في النحو، والشمسية في المنطق، وهذه الكتب التي ذكرناها هي نفسها التي تدرس في الجامع الأزهر وجامعة القرويين - فيما نظن - وتختص النجف الأشرف بكتب أخرى في بعض هذه العلوم، لا سيما المتون الفقهية كالشرائع للمحقق الحلي . وشروح هذا الكتاب كثيرة .

ونوعية الدراسة في هذه المرحلة دراسة فردية على الأكثر وربما اشترك فيها أكثر من طالب واحد فيشكلون حلقة صغيرة ، وللطالب الحرية في اختيار المدرس بل الكتاب وليس عليه رقيب إلا نفسه أو ولي أمره كما أن للطالب والمدرس في هذه المرحلة كما في المرحلتين الآتيتين، حرية النقد والمناقشة وطبعاً تكون الحرية في هذه المرحلة محدودة بالقدر الذي يسعه أفق الطالب وتفكيره ، والغرض منها التوجيه والتمرين على قوة الملاحظة . وكثيراً ما ينضم إلى هذه المرحلة دراسة علم الكلام والعلوم الرياضية وبعض العلوم العربية الأخرى كعلوم العروض والقافية . والبدیع والنصوص الأدبية ، وهذا كله حسب رغبة الطالب واستعداده في المشاركة في المعارف ونحوها .

المرحلة الثانية :

مرحلة دراسة (السطوح) كما نسميها وهي

وتعتمد في مواردها المالية على الحقوق الشرعية التي يدفعها المؤمنون في مختلف الأقطار، وبعض التبرعات من المحسنين، وليس للرجعية أي مورد حكومي ولا علاقة لها بالحكومات على اختلافها في شئونها الخاصة والعامة مادية أو غيرها .

النجف لا تختلف عن الجامعات الإسلامية :

وأهم شيء يحسن ذكره بهذه المناسبة بعد الإشارة إلى تأسيس النجف هو نوع دراستها وأسلوبها لتسهيل المقارنة بجامعة القرويين الجليلة . فإنها لا تختلف كثيراً عن سائر الجامعات الإسلامية القديمة في نوعية التدريس للعلوم العربية وما إليها ، في كونها دراسة خصوصية لا وصفية وكذلك في اختيار الكتب ولاتزال على الأسلوب القديم في ذلك . وإنما تمتاز جامعة النجف بطريقة تحصيل الاجتهاد في الفقه الذي تختص بفتح باب الإمامية وغاية الطالب الديني القصوى أن يبلغ هذه الدرجة العليا التي لا ينالها إلا ذو حظ عظيم .

أنواع الدراسات :

ولذلك تمر على الطالب ثلاث مراحل تدريسية لبلوغ هذه الغاية :

المرحلة الأولى :

مرحلة دراسة (المقدمات) كما يسمونها . والمقصود بالمقدمات النحو والصرف وعلوم البلاغة والمنطق وهي تقرأ في كتب

المرحلة فوجدنا أن من الجدير بنا أن نسعى إلى فتح كلية منظمة لتتلافى بها كثيراً من إنبواقص التي يشتكى منها ، وذلك بتبسيط بعض الكتب ، وتنظيم المناهج والدروس ، والامتحانات . وهكذا تم لجمعية منتدى النشر أن تفتح (كلية الفقه) لتخرج طلاب لهم الاستعداد السكافى لحضور مجالس دروس كبار المجتهدين بالإضافة إلى القيام بواجب الدعوة إلى الدين الإسلامى ، وتبليغ مبادئه على منابرهم وأقلامهم . وقد أضيف إلى دروس المعارف الإسلامية المعروفة دروس فى الاجتماع وعلم النفس والتربية والفلسفة الحديثة ، والتاريخ الحديث والفقه المقارن ، والأدب وتاريخه والتاريخ الإسلامى بالإضافة إلى لغة أجنبية واحدة . ومن سنتين تم اعتراف وزارة المعارف العراقية بنظام هذه السككية ودرجتها العلوية (درجة الليسانس) . وهذه السككية لا يدرس فيها إلا حلة إجازات الاجتهاد من كبار المجتهدين أو حلة الشهادات الجامعية من الجامعات المعترف بها .

المرحلة الثالثة :

مرحلة (بحث الخارج) : وهى حضور مجالس دروس كبار المجتهدين فى الفقه وأصوله وهذه هى آخر مراحل الدراسة التى بها قد يبلغ الطالب درجة الاجتهاد وهى أعلى ما فى النجف من دراسات عالية ، وبها امتياز هذه الجامعة عن جامعات العالم الإسلامى فى أسلوب

دراسة متون الكتب الموضوعية فى الفقه الاستدلالى وأصول الفقه ويتبع فيها محاكمة الآراء ومناقشتها بحرية كاملة ، وعلى الأكثر تجرى هذه المرحلة على أسلوب الحلقات حيث يجتمع أكثر من طالب واحد فى مجلس أحد المدرسين المعروفين ، ويختلف عدد الطلاب فى كل حلقة حسب اختلاف شهرة المدرس فى تفوقه فى أسلوب التدريس وسعة اطلاعه .

المراهق :

أما الكتب الاستدلالية فى الفقه فأشهرها شرح اللمعة الدمشقية الذى هو كتاب ابتدائى فى الاستدلال ، وبعده كتاب رياض العلماء والمسالك ، ثم المكاسب للشيخ الأنصارى . وهناك مراجع أخرى كثيرة أوسع دائرة وبحسب لا يستغنى عنها الطالب الباحث .

وإذا انتهى الطالب من هذه المرحلة يأتقان استحقاق أن يسمى (مراهقاً) أى مقارباً لدرجة الاجتهاد . وقد ينضم إلى هذه المرحلة دراسة علم الكلام ، والحكمة ، والفلسفة الإلهية ، والتفسير ، والحديث ، وأصول الحديث ، وعلم الرجال .

وهذه المرحلة وما قبلها قد يجتازها الطالب فى عشر سنين فأكثر فى جد متواصل مضى وهى مرحلة شاقة يرهق فيها كثير من الطلاب فيتوقف عن الركب .

وقد لمس كثير من المفكرين صعوبة هذه

التدريس ، وفي حرية المناقشة والرأى ،
وفي درجتها العلمية العالية .
تكون هذه المرحلة عادة في دورات يتولاها
كبار المجتهدين ، ويتبدى المدرس منهم في دورة
أصولية أو فقهية يلقيها بشكل محاضرات
يومية فيشرح المسألة شرحا وافيا بعرض
الأقوال ومناقشة الآراء فيها وأدلتها ويختار
ما ينتهى إليه رأيه مع الدليل ولكل مدرس
طريقته الخاصة في أسلوب البحث وسعة المنهج
والأسس العلمية التي يعتمدها .

وهذه الدورات لا تكون إلاجامعية يحضر
فيها عدد كبير من الطلاب قد يزيد في بعض
الظروف على ألف طالب وذلك تبعا لشهرة
المدرس في تفوقه العلمى ودقة منهجه وأسلوب
تدريسه .

وسميت بـ (بحث الخارج) نظراً إلى أن
التدريس فيها لا يعتمد على رأى خاص ولاعبارة
كتاب معين إلا ما قد يتخذ منها للبحث ،

لتسهيل على الطلاب المراجعة التحضير قبل الدرس .
وعلى كل حال فإن ميزة هذه الدورات عمق
البحث ودقته وسعة أفقه والحرية الكاملة
في نقد الآراء ومناقشتها مهما كان صاحبها .
وبهذا الأسلوب يغذى الطلاب ليتمكنوا
من الاعتماد على آرائهم والثقة بنفوسهم
ليصبحوا مجتهدين يرجع إليهم الناس وتقدم
الأمة أمورها ويقودونها إلى الخير والسعادة .

وإلى هذا النهج الدراسى يعزى السر
في تطور الدراسات الفقهية والأصولية في هذه
الجامعة عبر القرون . ومن يقرأ كتابا في الفقه
وأصوله لأحد أعلام القرن الرابع والخامس
مثلا . ثم يقرأ كتابا فيها لأحد أعلام هذا
القرن يلبس مدى التطور الذى بلغه البحث
في دقته وأسلوبه .

ولإيضاح هذه الجهة قدمت نماذج من الكتب
التي تدرس وتقرأ في هذه الجامعة إلى السادة
العلماء في جامعة القرويين ليطلعوا عليها ولنعكس
المراحل التطورية لهذين العلبين .

وحسبنا في ختام هذه السكلمة أن نسجل
لجامعة القرويين وأخواتها الجامعات الإسلامية
نضالها في الحفاظ على لغة القرآن الكريم
وآداب وعلموه بعد أن مرت البلاد الإسلامية
بقرون مظلمة كادت تقضى على الإسلام واللغة
العربية من الأساس .

وإني لمفائل جداً بهذا الوعي الإسلامى
العام في هذا الظرف بالذات ، وهذا التجاوب
بالشعور بالحاجة إلى التأخى والاتفاق والنهوض
بأمتنا إلى المستوى اللائق بها في هذه الأرض
التي أخذت علينا من أطرافها
فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، .

محمد رضا المظفر

رئيس منتدى النشر

وعميد كلية الفقه بالنجف الأشرف

القرآن والقومية العربية

(وانه لذكرُك ولقومك وسوف تسألون)

للاستاذ عبد الرحيم فوده

وأرسله وقال له : « اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم . ثم انقطع الوحي وارتفع الملك ، وعاد عليه السلام يرجف قلبه ، ويقصر على زوجه خديجة رضى الله عنها ما عاناه وقاساه وشاهده ورآه . ثم يقول لها : لقد خشيت على نفسى ، فتجيبه فى لهجة الواثقة : « كلا ، والله لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق » .

ويمكن للتأمل فى هذه القصة أن يلج من خلالها تباشير الصبح الذى فاض على الأمة العربية خاعة والإنسانية عامة بضياء الإسلام الغامر ، وسناه الوضىء الباهر . فإن فى قوله تعالى « اقرأ باسم ربك الذى خلق » ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ، ما يشعر بأن قراءته عليه السلام ستكون بقدرة الله التى صدر عنها خلق الإنسان وما تفضل به عليه الرحمن ، لا عن خبرته فى القراءة أو قدرته على اكتسابها وتعليلها ،

كان من حكمة الله - وهو جل شأنه « أعلم حيث يضع رسالته » - أن تكون المعجزة التى جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم للعرب وغير العرب معجزة عقلية وأدبية وإصلاحية ، وأن يكون دليله على صدق رسالته هو هذا الكتاب الذى « لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه » ، وأن يكون هذا الكتاب بما تتألق به آياته من بينات العلم والحكمة والسمو الأدبى ، هو حجة البالغة على أنه - عليه السلام - مبلغ عن الله ، ولا يده فىما يتلوه منه « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك إذ لا تراتب المبتطلون » . وقد كان مفاجأة للنبي عليه السلام أن يهبط عليه جبريل وهو يتعبد فى غار حراء - ولم يكن قد ألفه أو عرفه من قبل - ثم يضعه إليه فى عنف وقوة ويرسله ويطلب منه أن يقرأ وهو لم يتعلم القراءة والكتابة ، فيرد صلى الله عليه وسلم بما عهد فيه من صدق وأمانة ويقول « ما أنا بقارى » . وظل صلى الله عليه وسلم مع ما كان يعانيه من ضعف وخوف أمام جبريل يرد بقوله : « ما أنا بقارى » ، حتى ضمه جبريل مرة ثالثة

العربية : « خير أمة أخرجت للناس » ، وأن يحولها في مدى لا يحسب له حساب في عمر الأفراد بله الأمم إلى الصورة المثالية التي لم يعرف لها التاريخ مثيلاً في كل الأمم والمجتمعات البشرية ، وأن يضع في يدها مقادة العالم في كل شيء كان يعرفه العالم ، فلم يمض قرن حتى كانت السكعبة - وهي في أرض عربية - قبلة الملايين من أبناء الشعوب ، التي شرح الله صدرها للإسلام ، وحتى كانت اللغة العربية - لأنها لغة القرآن - هي اللغة السائدة في كل الشعوب التي دانت بالإسلام ، وكان ذلك وما إليه مما تزخر به الكتب والأسفار من مختلف ألوان العلوم والفنون هو تفسير البشرى الكبرى التي تألق بها قول الله لئنبي في أول لقاء له مع جبريل « اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم » . بل إن حياة العرب قبل الإسلام وما صارت إليه في ظله من قوة ومجد ، وعلم وحكمة ، وزعامة وإمامة يجمعها على طولها قوله تعالى : « هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة » ، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين . وآخرين منهم لما ياحقوا بهم وهو العزيز الحكيم . ذلك فضل الله يؤنيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » .

وليتأمل القارى معنى قوله تعالى : « وإن

فليس بعز يز عليه سبحانه أن يقرئه وقد خلقه وخلق كل إنسان غيره من علق » . ثم جعل منه السمع والبصر والفؤاد . ونفخ فيه من روحه وسواه في أحسن تقويم ، بل إنه جل شأنه كما يقول : « إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون » ، ولعل مما يؤيد ذلك ما كان من النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك . فقد كان يخشى أن ينسى شيئاً مما يوحى إليه فنزل عليه قوله تعالى : « سنقرئك فلا تنسى » ، وكان يحرك لسانه بما يسمعه قبل أن ينقطع الوحي عنه حتى لا يفوته شيء منه فنزل عليه قوله تعالى : « لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه ، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه » ، ثم إن علينا بيانه » .

وهكذا شاء الله أن يقرأ الامي ، وأن تكون معجزته كتاباً « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » ، وأن يكون هذا الكتاب دستور أمة أمية لم تكن تقرأ وتكتب ، وأن يكون هذا الدستور أكمل وأمثل نظام عرفته البشرية . وأن يكون إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها معجزة الإنس والجن في كل دهر وعصر كما يقول الله ويشهد الواقع : « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » .

وكان عجبا أن يصنع هذا الكتاب من الأمة

أرضا مطهرة محررة تبسط ظل زعامتها على أولئك وهؤلاء جميعا ، ثم انساح العرب في ظل لوائه يفتحون البلاد شرقا وغربا ، ويفتحون قلوب أهلها بهداية هذا الكتاب حتى دانت لهم الشعوب عن طواعية واختيار ، ولانت ألسنتها بلغة هذا الكتاب الذى أنزله الله بلسان عربى مبين .

ثم امتحن المسلمون والعرب بالمحن الشداد والخطوب الثقيل فصار أمرهم إلى غيرهم ، ثم صاروا هدفا لحملات الغزو والتري والاستعمار الأوربى . صاروا قطعاً وشيعاً يتحكم فيهم الدخلاء أو الأجراء للدخلاء . فذابت أو كادت تذوب كل مقومات قوميتهم لولا هذا الكتاب الذى حفظ لهم لغتهم ، وتناجت به ضائرتهم ومشاعرهم وتلاقت عليه مذاهبهم ومواكبهم ، فقد بق مرفوع اللواء مسموع النداء « عربيا غير ذى عوج » ، ينطق فتخفق من حوله القلوب ، وتفتتح له الآذان والأذهان ، وتقوى به الهمم والعزائم ، وبذلك الكتاب وبالعلوم العربية التى نبتت على شاطئيه ، وبالإيمان الذى كان ولا يزال يشد العرب والمسلمين إليه ، بقيت اللغة العربية ، واللغة أهم مقومات كل قومية ، سليمة قديمة لم تنسخ ولم تمسخ على كثرة ما زاحمها وداهمها من لغات الطائرين من الأجانب والمستعمرين ، وعلى كثرة ما بذل

كانوا من قبل لى ضلال مبين ، . ثم يذكر ما كان عليه العرب قبل الإسلام فسيجد أن كلمة ضلال مبين ، تصور حيرة هذه الأمة وضعيتها والظلام الذى كانت تعيش فيه ، والجهالة الرعناء التى كان يضرب بعضها بعضا ، والتى تمزقها شيعا تتشاحن وتتطاحن ، وتستمر بينها الحروب لأوهى الأسباب ، حتى تمكن الفرس والروم من احتلال جوانبها واعتلاء منابها ، وانقاصها من أطرافها ، ثم ليتأمل معنى قوله تعالى : « ويزكهم ويعلمهم الكتاب والحكمة » فسيجد هذه الكلمات تصور على إيجازها ما صارت إليه هذه الأمة من نماء وزكاء وقوة ، وما ينطوى تحت مفهوم الكتاب ، والحكمة من ألوان العلم والثقافة والمعرفة ، وقد كان ذلك كله بفضل الله . وبفضل هذا الكتاب الذى أنزله الله كما يفهم من قوله تعالى : « ذلك فضل الله يؤتیه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » .

كان هذا الكتاب - كما قلت فى بعض ما كتبت - ولا يزال مصدر هداية للناس جميعا ، ولكنه مع هذا هو كتاب القومية العربية منذ كانت للعرب قومية قوية ، فقد كانت لغتهم عدة لغات ولهجات فصارت به لغة واحدة . وصاروا به أمة وحدة . وكانت أرضهم محتلة الأطراف يخضع بعضها لسلطان الفرس وبعضها لسلطان الروم ، فصارت به

الأزهر وعلى تعليم القرآن ، وأنشئت المسكاتب في كل مدينة وقرية لتحفظ القرآن ، وكان هذا بصورة قوية باهرة في الوقت الذي كان فيه « دلولو » يعمل على أن ينتزع من حلقو المصريين ، ألسنتهم العربية ويضع فيها ألسنة

صناعية انجليزية

وانجلي ليل المحتلين وبقيت مصر عربية إسلامية تنأهب للنهوض بدورها التاريخي الذي عرفت به في خدمة العروبة والإسلام ، وبقى التراث العربي والإسلامي سليما ينتظر أن تمتد إليه الأيدي الطاهرة لتعيد إليه رواءه وبهاءه ، وتنفض عنه ما علق به من غبار ، فإن هذا التراث الفكري يحتل من القومية العربية موضع العمود الفقري ؛ لأنه يمثل خصائصها وسماتها وملاحمها . بل هو روحها التي تدفعها إلى تحقيق أهدافها ورسالتها ، ولا شك أن هذا التراث يدور كله أو جله حول القرآن وعلومه ، فإن العلوم العربية كان الباعث على تدوينها وتقنينها هو المحافظة على صلة العرب والمسلمين بهذا الكتاب ، وقد نبعت علوم الفقه وأصوله والتوحيد والحديث والتفسير من هذا الكتاب ، وتفرعت عن النظر فيه ، واستجلاء حقائقه ومعانيه ، وبذلك كسب العرب بين عامة المسلمين مكانة الإمامة والزعامة .

ومعنى هذا بعبارة موجزة قصيرة ما يلي :

أولئك وهؤلاء من محاولات لنسخها ومسحها ، وقطع الأسباب التي تصل العرب والمسلمين بها ؛ لتقطع صلتهم بهذا الكتاب الذي جمعهم على الإخاء ودفنهم إلى المجد ، ورفعهم إلى السماء ومكن لهم في الأرض .

لقد حطم التتار بغداد وأحرقوا نفائسها العلمية ، وأطاحوا بخلافتها الإسلامية ، وروعوا علماءها وأدباءها ، فأبت القاهرة أن تدع العلم بين أقدام الغزاة ، وتلقته بكلنا يديها لتحمله وتحميه ، ثم أقامت من أزهرها معقلا شامخا للقرآن وعلوم القرآن يفد إليه المروعون من شتى البقاع والأصقاع فيجدون فيه مثابة وأمنا ، وحتى الرمز الذي كانت تعز به بغداد وهو الخلافة أبت القاهرة أن يصبح مجرد ذكرى بمجد دارس ، فأحيته وجعلته شعارها وشرعت تكافح به ميدانين ، تلتقي في أحدهما بالتتار ، وفي الثاني بدول الاستعمار ، نجحت في قهرهما . وحفظت لمصر مكانتها وعروبيتها . ثم بقيت تحافظ على ما ورثت من مقدسات الإسلام ومقومات العروبة حتى نكبت ونكب الشرق معها بالغزو الفرنسي . ثم بالاحتلال الإنجليزي ، ومع طول ما قاست وعانت خلال تلك الحقب والعصور لم يضعف حرصها على مقدسات دينها وعروبيتها . بل أخذ كفاحها الشعبي يتجه اتجاها آخر ، فوفقت الأموال على

- ١ — أن اللغة العربية — وهي أهم مقومات القومية — مدينة ببقائها وسلامتها للقرآن .
- ٢ — أن ثروتنا التشريعية وعلومنا العربية تنبع من القرآن .
- ٣ — أن جميع الشعوب الإسلامية تلتقي معنا على الإيمان بالقرآن وضرورة المحافظة عليه وعلى علومه .
- ٤ — أن عروبة القرآن من حيث لغته — لا من حيث موضوعه وتشريع فإنه عام لكل الخلق — تضع الأمة العربية في مكانة الزعامة بين عامة المسلمين ، ولعل هذا بعض ما يفهم من قوله تعالى : د وكذلك جعلناكم
- أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا .
- ٥ — أن القرآن هو الكتاب الوحيد الذى يشر فى إذكاء روح النهضة العربية لإيمان العرب مسلمين وغير مسلمين بأنه كان ولا يزال أقوى مؤثر فى هذه الأمة ، أو فى كثيرها الغالبة .
- نسأل الله أن يصلنا به ويجمعنا عليه ، وأن ينفعنا به ويهدينا إليه ، فإنه كما يقول جل شأنه فيه : د إن هذا القرآن يهdy للى هى أقوم ، .
- عبد الرحيم فوده**

(بقية المنشور على صفحة ٦٠٣)

وتخفيفا عن أهل النوبة أمر المهدي العباسي أن يؤخذ منهم بقط سنة واحدة عن كل ثلاث سنين . وبقيت الصلات بين النوبة والمسلمين طيبة أو على الأقل سلمية : طوال المدة التي كانت مصر فيها تحت سيطرة ولاية من العرب ، ولم يتخلل هذه المدة إلا احتكاك يسير عندما كانت النوبة تمنع البقط ، فلما تولى أمر مصر حكام من غير العرب تبدلت الحال غير الحال . ويقول بعض المؤرخين : إن البقط استمر يدفع بشيء من الانتظام حتى دخول الفاطميين مصر . ولقد أرسل د جوهر الصقلى ، عام ٣٥٨ هـ (٩٦٩ م) رسولا من قبله إلى أهل النوبة يدعوهم إلى الإسلام ويطالبهم بدفع البقط على اعتبار أن الدولة الفاطمية هى ورثة الدولة العباسية فى مصر . ولما جاءت الدولة الأيوبية تبدلت علاقة المودة بين مصر والنوبة إلى علاقة جفاء وعداء .

عبد المنعم محمد الشبىخ
مدرس بكلية الشريعة

النظرية العامة للإثبات في الحدود

للأستاذ محمد عطيه راغب

المبحث الأول - في الشهادة :

أجمع الفقهاء في التشريع الإسلامي على أنه إذا استجمعت الشهادة جميع شروطها ، وجب على القاضي العمل بمقتضاها .

وللشهادة شروط منها العامة ، ومنها ما يجب توافرها في الشاهد . ولذا سنتكلم أولاً عن الشروط العامة للشهادة ، وثانياً عن الشروط الواجب توافرها في الشاهد ، وثالثاً سنبحث في مراتب الشهادة .

أولاً : في الشروط العامة :

يجب أن تؤدي الشهادة بلفظ أشهد دون غيره عند فقهاء الحنفية ، والشافعية ، والحنابلة .

ولذا إذا لم يذكر الشاهد هذا اللفظ وقال أعلم . أو أتيقن ، لا تقبل شهادته عند هؤلاء الفقهاء ؛ لأنهم يرون أن النصوص القرآنية قطعت باشتراطها ولم يعدل عنها مع كثرة ذلك وتعددده في مواضع شتى من القرآن الكريم ؛ ولأن في هذا اللفظ زيادة توكيد لأنه ينبي عن المشاهدة والمعاينة والامتناع عن الكذب .

الحد لغة : هو المنع . وقد عرفه الفقهاء بأنه العقوبة المقدرة التي تجب حقاً لله تعالى . فالعقوبة غير المقدرة لا تسمى حداً كالتعزير فإنه قد يكون بالضرب وقد يكون بالحبس ، وقد يكون بغيرهما ، والعقوبة المقدرة التي تجب حقاً للعبد لا تسمى حداً أيضاً كالقصاص فإنه حق للعبد يجوز فيه الصلح والعفو بخلاف حق الله تعالى فإنه لا يجوز العفو عنه ولا يصح استبداله ، أو الزيادة عليه أو النقص منه ، ولا يقبل القياس ولا الإسقاط بعد ثبوت سببه عند الحاكم ، وعلى ذلك لا تجوز الشفاعة فيه .

والحدود في الشريعة الإسلامية هي : الزنى ، والسرقة ، والقذف ، وشرب الخمر ، وقطع الطريق .

ومن المتفق عليه في الفقه الإسلامي أن الحدود تثبت بالشهادة وبالإقرار ، وأنها لا تثبت بعلم القاضي ، ولا بالشهادة على الشهادة ، ولا بكتاب القاضي للقاضي .

ولذا سنقسم بحثنا هذا بحثين : أولهما سنبحث فيه شروط الشهادة ، وفي ثانيهما سنبحث شروط الإقرار .

الحالصة لله تعالى كخد الزنى والسرقة وشرب الخمر ؛ هذا إذا لم يمنع من أداء الشهادة البعد عن القاضى ، أو مرض الشاهد ، أو خوف الطريق . ذلك لأن الشاهد إذا عاين الفعل فى هذه الحدود ، ولم يشهد على الفور حتى تقادم العهد دل ذلك منه على تفضيله السر على أداء واجب الشهادة ، ولأنه إذا شهد بعد ذلك دل فعله هذا على أن الضغينة هى التى دفعته على أداء الشهادة ، هذا فضلا عن أن التأخير منه فى أداء الشهادة يورث التهمة .

والأصل فى الشهادة القائمة على حقوق العباد أن تكون من المدعى نفسه أو نائبه ، لأن الشهادة هنا شرعت لتحقيق قول المدعى ولا يتحقق قوله هذا إلا بدعواه إما بنفسه وإما بنائبه .

أما حقوق الله فلا يشترط فيها الدعوى ، وإن كانت الدعوى مع هذا قد شرطت فى حد السرقة ؛ لأن كون المسروق ملكا لغير السارق شرط لتحقيق كون الفعل سرقة شرعا ، ولا يظهر ذلك إلا بالدعوى فشرطت الدعوى لهذا .

كما يجب أن تصدر الشهادة فى مجلس القاضى ، ولذلك لا اعتماد بالشهادة الصادرة خارج مجلس القضاء ، حتى ولو كان المجلس مجلس تحكيم .

وفى جرم الزنى أوجب الفقهاء أن نسأل الشاهد عن الزنى ، ما هو ؟ وكيف هو ؟

أما الراجح فى مذهب المالكية فيرى أنه يصح الأداء بهذا اللفظ أو بغيره مما يفيد معناه كأعلم وأيقن ، لأنه لا فرق عندهم بين لفظ ولفظ ، ولا خصوصية لواحد منها على الآخر ؛ لأن مقصود الشهادة هو إخبار القاضى بما يتيقنه الشاهد ، ولا يتوقف هذا على لفظ معين ، وهذا هو ما نراه أيضا ، ذلك لأن النصوص التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم أبعد ما تكون عن اشتراط لفظ الشهادة فى الأداء . هذا فضلا عن أن ترك الأمر فى هذا إلى اصطلاح الناس وما جرى به عرفهم أيسر لهم وأقرب .

كما يجب أن تكون الشهادة عن علم ويقين ، لا عن ظن وحسبان ، فلقد أجمع الفقهاء فى التشريع الإسلامى على أن الشاهد لا يجوز له أن يشهد إلا بما علمه وتيقن منه تيقنا لا تبقى معه ريبة فى حصول ما شهد به .

وللاعتداد بالشهادة أيضاً يجب أن تكون موافقة للدعوى فيما يشترط فيه الدعوى فإن خالفها لا تقبل إلا إذا وفق المدعى بين الدعوى وبين الشهادة عند إمكان التوفيق لأن الشهادة إذا خالفت الدعوى فيما تشترط فيه الدعوى وتعذر التوفيق انفردت عن الدعوى . والشهادة المنفردة عن الدعوى فيما يشترط فيه الدعوى غير مقبولة .

كما أوجب الأحناف عدم التقدم فى الحدود

على شهادتهم استيفاء حد غير الزنى ، متى تبين أنهم تعمّدوا الكذب ، أما إذا رجع الشهود قبل استيفاء الحد ، فإنه يجب نقض الحكم وعدم نفاذه ، لحرمة الدم وخطره ، ووجود الشبهة ، ولأنه لا يمكن فيها الجبر بإيجاب مثله على الشهود ، لأن ذلك ليس جبراً ، ولا يحصل لمن وجب له منه عوض ، وإنما شرع للزجر والتشني لا للجبر ، بخلاف المال فإنه يمكن فيه الجبر بإلزام الشاهدين عوضاً .

ثانياً : الشروط الواجب توافرها في الشاهد :
أوجب الفقهاء في التشريع الإسلامي أن يتوافر للشاهد وقت الأداء ، البلوغ ، والعقل ، والذكورة ، والنطق ، والبصر ، لكي يعتدوا بشهادته .
كما أوجبوا أيضاً أن يتوافر للشاهد : الإسلام ، والحرية ، والعدالة ، للأخذ بشهادته .

ولذا لا تقبل الشهادة عندهم من صبي لم يبلغ بعد ، ولا من مجنون ، ولا من معتوه ، ولا من النساء ، ولا من أخرس ولو فهمت إشارته ، ولا من أعمى ، ولا من كافر ، ولا من عبد ، ولا من مستور حال لا نعلم عدالته ، لجواز أن يكون فاسقاً .

كما أوجب الحنفية ألا يكون الشاهد محدوداً في قذف وإن تاب ، وهم يستندون في ذلك إلى قوله تعالى « والذين يرمون

وأين وقع ؟ وبمن زنى ؟ ومتى زنى المشهود ضده ؟ .

وفي جرم السرقة يجب أن يسأل الشاهد عن ماهية السرقة ، وكيفيتها ، وعن مكان وقوعها ، وعن زمانها ، وكيفية ، وبمن سرق المشهود ضده ؟ .

وفي جرم القذف يجب أن يسأل الشاهد عن القذف ماهو ، وكيف هو ، ومتى وأين وقع ؟ .

وفي جرم الشرب أوجب بعض الفقهاء أن يسأل الشاهد عن ماهية الفعل الذي شاهده ، وكيف هو ، ومتى ، وأين وقع ؟ ولكن دون حاجة لأن يسأل هل شرب المشهود عليه المسكر مختاراً عالماً به وبتحريمه أو لا ؟ وإن كان الجمهور من الفقهاء لم يطلب من القاضي كل هذه الأمور .

وإذا رجع الشهود عن شهادتهم قبل الحكم بطلت الشهادة ، ولا يجوز الاعتماد عليها ، لوجود التناقض في كلامهم ، كما أنه لا ضمان في هذه الحالة على الشهود ؛ ذلك لأن سبب وجوب الضمان هو إتلاف النفس أو المال ، ولا إتلاف هنا .

أما إذا رجع الشهود بعد الحكم والاستيفاء ، فلا أثر للرجوع في القضاء ، بل يبقى الحكم نافذاً بعد الاستيفاء ، وواجب النفاذ قبله ، ويؤدب الشهود على رجوعهم إذا ترتب

صلى الله عليه وسلم في قوله: (أكرموا الشهود فإن الله يحبهم الحق) ، كما أن لفظ الشهادة في نظرهم يتضمن معنى اليمين ، وإن كان البعض الآخر من الفقهاء يرى أنه مع توافر الشروط والصفات السابقة في الشاهد لا مانع من تحليفه اليمين ، وذلك زيادة في التأكيد لصدقه ، كما أنهم يرون أن قول الرسول عليه الصلاة والسلام السابق الإشارة إليه لا يمنع من تحليف الشاهد ، ذلك لأن تحليف الشاهد ليس فيه إهانة له ، بل فيه مصلحة للناس ونحن نرى هذا الرأي أيضاً لنفس الحجة التي يستند عليها أنصار الرأي الثاني .

ثالثاً : في مراتب الشهادة :

أجمع الفقهاء في التشريع الإسلامي على أن جرم الزنى لا يثبت عندهم إلا بشهادة أربعة من الشهود العدول ، على رجل أو امرأة بالزنى على الأقل ، وذلك تطبيقاً لقوله عز وجل : (واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم) ولقوله تعالى أيضاً : (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة) . ومن أجل هذا لا يثبت هذا الجرم عندهم بشهادة شاهد واحد ، أو بشهادة شاهدين ، أو بثلاثة من الشهود . ولذلك إذا شهد ثلاثة بالزنى ، اعتبروا مقترفين لجرم القذف ، (البقية يعلى صفحة ٦٣٠)

المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون .

أما الشافعية ، والجعفرية ، والمالكية ، والحنابلة ، فيقبلون شهادة المحدود في قذف بعد التوبة ، وحجتهم في ذلك أن الاستثناء إذا تعقب جملة بعضها معطوف على بعض فينصرف الاستثناء إلى الكل ، وقد ورد الاستثناء بعد الآية : إلا الذين تابوا ، وعلى ذلك فتقبل شهادة المحدود بقذف إذا تاب .

وللاعتداد بشهادة الشاهد أو جب الفقهاء الإسلاميون أيضاً ألا تكون هناك صلة قوية بالمشهود له ، وألا تجر شهادته إلى نفسه مغناً وألا تدفع عنه مغراً ؛ ذلك لأن شهادته إذا تضمنت معنى النفع أو الدفع فقد صار متهماً ولا شهادة في الأصل لمتهم .

كما أنهم لم يقبلوا شهادة العدو على عدوه للثمة ، وذلك تطبيقاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم : (لا تقبل شهادة خصم ولا ظنين ، ولا ذى لحنة ، لأنه متهم في شهادته بسبب منهى عنه) .

فإذا ما توافرت في الشاهد كل هذه الشروط وهذه الصفات أدى شهادته بدون يمين عند بعض الفقهاء الذين يرون أن تحليف الشاهد اليمين يناقض إكرامه الذي أمر به الرسول

العدالة الاجتماعية في الإسلام

للأستاذ أحمد علي منصور

الإسلام هو - بلا منازع - دين العدالة الاجتماعية ، ودين الإحسان والإنصاف ، ودين العمل والإخلاص ، ودين التعاون والإخاء ، ودين الدفاع ورد العدوان بالعدوان ، ودين التوبة والاستغفار . وهذه المميزات جميعها تلتقي في النهاية بأبرز ناحية من نواحي الإسلام الخفيف ، وهي أنه دين الكرامة، وعزة الفرد والمجتمع ، الذي يدينان به، ويستمدان عزتهما من عزته . وأول جانب مشرق يطالعنا من عزة الإسلام أنه دين ودولة ، الحكم فيها لله ، وقانونها شرع الله ، وليس للإنسان فيه إلا الفهم وحسن التطبيق ، ولقد صان الإسلام عزة الفرد في الجماعة الإسلامية ، بما قرره من مبدأ المساواة بين الناس ، على اختلاف ألسنتهم وألوانهم ، وبما أقامه من ميزان العدالة الاجتماعية ، ورفع منار الحق ، والإنصاف في الأحكام .

رضوان الله عليه - في دستوره الهادي الرزين ، وأرسلها صيحة مدوية بأذن التاريخ ، واستهل بهذا أول خطبة خطبها في خلافة الراشدة . وليس ذلك مبدأ وضعه الصديق أبو بكر - نضرا لله وجهه - ولكنه أصل من أصول الحكم في هذا الدين العظيم ، نطقت به آيات التنزيل الحكيم ، وأعمال الرسول الأعظم ، وأقواله - صلوات الله وسلامه عليه ، ولا ريب أن عزة الفرد في الإسلام ، أساس عزة الجماعة الإسلامية ، وقد أحاطها هذا الدين المجيد ، بسياس منيع من النظم والأحكام ، التي تكفل للسليين استمرار العزة وازدهارها ، على وجه الزمن ، إذا أخذوا بهذه النظم ، وعملوا بتلك الأحكام . وعدالة الإسلام الاجتماعية ، حقيقة ملبوسة ، واقعية ، في ميزان التاريخ وميزان الاتجاه العالمي ، وميزان الاقتصاد ، وميزان الأحداث الإنسانية .

فالقوى في الجماعة الإسلامية ضعيف ، حتى يؤخذ الحق منه ، والضعيف فيها قوى ، يؤخذ الحق له ، أكد ذلك الخليفة الأول -

فقد أعطى الإسلام كل ذي حق حقه ، وسوى بين الرجل والمرأة في العقيدة ، والتكاليف الدينية ، وحرية الرأي والعمل ،

وجعل لها نصيباً مفروضاً في الميراث ، ولم يسو بينهما فيه ؛ لأنه جعل نفقتها على الرجال ، رحمة بها ، وإبعاداً لها عن مشقات السعي ، ومتاعب الحياة . وإنه لمن المؤسف حقاً ، أن يظن بعض الناس أن الإسلام لم يعن العناية الكافية بالمرأة ، ولم يجعلها المكانة اللائقة بها ، وأباح للرجل تعدد الزوجات والطلاق ، وميزه عنها في الميراث . على حين أنه الدين السماوي الوحيد ، الذي خلص المرأة مما كانت تن تحت من أفعال ، ونهض بها إلى المستوى الملائم لها ، وأعطاهها كثيراً من الحقوق التي أعطاهها للرجل ، ولم يفرق بينهما إلا في أمور يسيرة ، راعى فيها طبيعة كل منهما ، ونفع الجماعة الإنسانية . ولقد وجه الإسلام عنايته للأسرة ؛ لأنها الخلية الأساسية التي يتركب منها ومن أمثالها جسم المجتمع ، فحث على الزواج ، وأطل الزوجين بظله الوارف ، وعطف الإسلام على المرأة في الزواج أوضح وأظهر ؛ لأنها تتحمل من تبعاته ونتائجه أكثر مما يتحمل الرجل . والإسلام أباح تعدد الزوجات ؛ لأغراض نبيلة ، وحكم سامية ، زادت حوادث الأيام وضوحاً وجلالاً . واشترط بجانب ذلك على الزوج ، أن يعدل بين زوجاته في كل ما يمكن العدل فيه ، فإن آنس من نفسه العجز عن العدل ، وجب عليه أن يقتصر على واحدة . وقد تخفف الحياة الزوجية في تهية أسباب

السعادة للزوجين : أحدهما أو كليهما ، فلا بد من التفريق بينهما حينئذ بالطلاق . وليس في شيء من ذلك ما يناقض العدالة الاجتماعية . ولقد كان كثير من غير المسلمين ، يعيبون نظام الطلاق ، في الشريعة الإسلامية الغراء ، حتى كشفت الحوادث عن سداذه ، وأظهرت لهم الأيام حكمته ، والحاجة الماسة إليه ، فصاروا يطلقون ، ولا يرون في هذا غشاضة ، بل ذهبوا إلى أن لإباحته ضرورة لصالح المجتمع الإنساني ، وهذا اعتراف منهم بفضل الإسلام ، وأنه الدين الملائم للطباع الإنسانية ، والنظم الاجتماعية . وأما نفقتها فواجبة على زوجها ، وعلى بنينا الكبار ، ولم يزج الإسلام بها في معترك الحياة ، ومضمار العمل ، رحمة بها ، وبعداً عن المشقات والمتاعب ، وأجلها على عرش المنزل ، ترعى شئونه ، وتدبر أموره ، وتملؤه - بإخلاصها - سعادة ونعماً . وسيكون قريباً ذلك اليوم ، الذي يشيد فيه القاصي والداني ، بفضل الإسلام ومبادئه السامية ، وتعاليمه الحكيمة ، وأنه الدين الحق الخالد ، الصالح لكل زمان ، ولكل مكان ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

أصحح على منصور

المدرس بمعهد شبين الكوم

أدب الجنس

جرمته في حق الدين والمجتمع

للأستاذ إبراهيم محمد نجا

ما الذي نعلمه بأدب الجنس الذي نتحدث عنه في هذا المقال ؟ .

هل نعلم الأدب الذي يتحدث فيه الأديب عن الجنس الآخر حديث العاطفة الفياضة ، والحب الصادق ، مع شرف القصد ، ونبل الغاية ؟ من غير شك . . ليس ذلك ما نعلمه بهذا الأدب الذي نريد أن نقوض أركانه ، ونزيل دعائمه ، لنحفظ للدين مبادئه السامية ومثله العالية ، ولندمج وجهته الصالحة ، وحياته الكريمة .

إنما نعلم بأدب الجنس ، ذلك الأدب الذي يكشف الغطاء ويزيح الستار ، عما ينبغي أن يكون طي الحفاء ، من صلة الرجال بالنساء ، لا ينبغي بذلك إثارة الغرائز ، وإطلاق الشهوات ، واستجلاباً للشهرة الكاذبة ، والربح الحرام .

وبما يثير الألم ، ويبعث على الأسف ، أن نرى هذا الأدب ينتشر في هذه الأيام ، وتتسع أسواقه وتزداد ، ويقبل عليه الأدباء

وأشباه الأدباء . ليمثلوا جيوبهم بالمال من أيسر الطرق ، ويجعلوا لأسمائهم البريق في أسرع وقت ! .

وهذا اللون من الأدب لا يكلف صاحبه مشقة ، ولا يطلب منه جهداً ، فحسبه أن يعرض صوراً فاضحة ، ويصور علاقات شائنة بكلمات قد تخلت عن الذوق طلباً للإثارة ، وعبارات قد تعرت من الحياء لتلبس الوقاحة ، فحسبه أن يفعل ذلك ليكون قد كتب أدباً في رأى نهازي الفرص الدنيئة من الناشرين وطلاب المتع الرخيصة من المراهقين ! .

ثم يأتي دور الناشر ، فيطبع الكتاب الطبعة الأنيقة ، ويحلى الغلاف بالصورة المثيرة ويفرض على القارئ الثمن الباهظ . . . وليس بعد ذلك غير الرواج الأكيد . والربح المضمون .

وليس على القارئ ليتحقق مما نقول ، إلا أن يلقى نظرة على الكتب المعروضة في واجهات المكتبات فيجد أكثرها قصصاً

الذى ينبغي أن تسلم نظمه ومقوماته . هذه هى المشكلة ! .

وإذا كان لكل مشكلة علاج ، فماذا عسى أن يكون علاج مشكلتنا هذه ؟ فى رأينا أن خير علاج لهذه المشكلة يتضمن مقترحات عدة : أولها وأبعدها خطراً ، وأقواها أثراً ، التربية الدينية . . . أجل ، التربية الدينية التى تتخلق فى الشباب حسن الإدراك للأشياء ، وتعينهم على التسامى بالغرائز ، وتجعل نفوسهم من الصفاء ، وقلوبهم من النقاء ، بحيث تنأى عن كل ما يחדش الحياء ، ويخرج الفضيلة . والجهازان اللذان يشرفان على التربية الدينية فى وطننا العربى ، هما الأزهر أولاً ، ووزارة التربية بعد ذلك . وهذا الإشراف يظهر أثره فى مجالين هما : المنزل والمدرسة .

أما الأزهر فإنه يمد المجتمع بالعلماء الذين يبينون للناس تعاليم الدين ، ويمهدون لهم سبل الخير ، وبالمدرسين الذين يغرسون فى نفوس الناشئة من الجنسين ، تقوى الله ، ومحبة الفضيلة ، وبالكُتُب والمجلات التى تنشر الثقافة الدينية على أوسع نطاق ، وتمتد بها إلى أبعد الآفاق . . . وذلك جهد مشكور لا ينكره إلا من فى قلوبهم مرض ، وفى نفوسهم غرض ، وفى عقولهم زيغ . وأما وزارة التربية ، فقد جعلت للدين فى مدارسها منهجاً إن يكن من حيث السكيف لا بأس به ،

من قصص الجنس ، لكل قصة عنوان يفتح باب « الموضوع » ، وغلاف يمهّد الطريق للسير فيه . وليس من الضرورى أن تكون صورة الغلاف قد وردت فى موضوع القصة ، فذلك أمر ليس من الأهمية بمكان ، مادامت الصورة فى ذاتها تحفز على شراء الكتاب ، وقراءة القصة ! .

وبهذه المناسبة أذكر أننى استمعت إلى مسرحية مذاقة من أحد المسارح ، ثم وجدت هذه المسرحية مطبوعة ومعروضة فى إحدى المكتبات ، فعجبت كل العجب حين رأيت على الغلاف صورة فيها من الإباحية ما يؤذى الذوق ، ويחדش الحياء ، دون أن يكون لها صلة بأحداث المسرحية ووقائعها التى استمعت إليها ، واشترت المسرحية لأعلم حقيقة الأمر فى هذه الصور الفاضحة التى تبرز فوق أغلفة الكتب ، كما تبرز أنوار « النيون » فوق واجهات المحلات ، فما وجدت لهذه الصورة أثراً فى أحداث المسرحية ! فالمسألة إذئذ عند بعض الأدباء والناشرين مسألة إغراء تحشد له كل الوسائل الممكنة ، أيا كانت طبيعتها ، ومهما تكن نتائجها ، اغتصاباً للشهرة ، واستلاباً للبال ، من جانب أولئك وهؤلاء على السواء .

والجنحى عليه بعد ذلك ، إنما هو الدين الذى يجب أن تصان تعاليمه ومبادئه ، والمجتمع

فإنه من حيث الكم ليس كما ينبغي أن يكون ، ثم جعلت له درسا واحداً في الأسبوع ، وقد يضيع هذا الدرس لعارض من مرض أو طارئ من عطلة ، ومن ثم تصبح دروس الدين غير وافية بما يتطلبه المنهج من الإكمال مع حسن العرض ، وجودة الشرح وضرب الأمثلة .

وما أشك في أن وزارة التربية والتعليم حريصة كل الحرص على أن ينشأ هذا الجيل نشأة تجعله أقوم أخلاقاً ، وأصلح أعمالاً ، وأهدى سبيلاً ... وما أشك أيضاً في أنها تعرف حق المعرفة أن الدين هو خير الوسائل إلى هذه النشأة الكريمة الصالحة .

وأشهد - وأنا أزاول التعليم منذ سنوات أنني بالتجارب الكثيرة قد وجدت ارتباطاً وثيقاً بين التربية الدينية ، والمبادئ الأخلاقية في نفوس الطلاب ، فما رأيت طالباً تعجبني أخلاقه ، ويرضيني سلوكه ، إلا وجدت أنه قد تلقى في منزله تربية دينية صالحة ، إن لم تكن بالتعليم والتلقين ، فبالقدوة والمثال .

وأنا واثق بأننا لو هيأنا لهذا الجيل مثل هذه التربية الدينية الصالحة ، فلن نجد فيه الأديب الذي يجعل هدفه من الأدب إثارة الغرائز ، والناشر الذي يجعل غايته من النشر ابتزاز الأموال ، والقارئ الذي يجعل غرضه من القراءة إرضاء الشهوات .

وثاني هذه المقترحات : الإشراف الدقيق الحكيم على دور النشر بحيث لا يسمح للناشر بأن ينشر أى كتاب إلا بعد الاطمئنان

ثم يأتي بعد ذلك دور الامتحان في مادة الدين التي ينبغي أن تكون مادة أساسية قبل غيرها من المواد ، أو مثلها على الأقل . . . ويؤسفني أن أقرر أن الامتحان في هذه المادة صوري في سنوات النقل ، وأن النجاح فيها مضمون ، دون جهد مبذول ، أما الشهادات فليس فيها امتحان في مادة الدين !! وقد وضعت الوزارة منهجاً جديداً للدين يدرس في الصف لأول من المرحلة الثانوية ، وهذا المنهج يكاد يكون ملائماً للغرض من حيث الكم والكيف ، ولكن الوزارة جعلت لهذا المنهج درسا واحداً في الأسبوع مع أن دراسته تتطلب درسين إن لم يكن ثلاثة دروس ... والنتيجة ؟ . . النتيجة هي اختصار هذا المنهج إلى النصف أو الثلث ، ليلائم الوقت ، ويوائم الدروس ! .

فهل لنا أن نطالب الوزارة بأن تجعل منهج الدين في مدارسها أوسع وأشمل مما هو الآن ، وأن تمنحه من الدروس ما يكفل

الذين يتعلقون غرائز الشباب بالتبذل والتحلل
والإسفاف، بل عليهم أن يجعلوا هذه
الكلمات تصفعهم بالأيدي وتركهم بالأقدام
ليرجعوا عن الغي والضلال، ويشوبوا إلى
الهدى والرشاد.

إن الدعوة إلى الأدب المنحل، لن تخلق
لنا عمالقة من أمثال الزيات والعقاد وطه
حسين والحكيم، ولكنها سوف تخلق أقزاما
من أمثال من لا يستحقون أن ترد أسماؤهم
على لسان.

وإننا نبني الآن مجتمعنا العربي على أسس
قوية، ودعائم ثابتة. والقيم الروحية،
والمبادئ الأخلاقية، المستمدة من روح
الدين، وجوهر الإيمان، هي أقوى تلك
الأسس، وأثبت هذه الدعائم، فلنحارب
هذا الأدب الخليع الوضع، فإنه دعوة سافرة
فاجرة، إلى التحلل من مبادئ الدين،
وقواعد الأخلاق، وهو لذلك جريمة في حق
ديننا المنزه عن الضلال، ومجتمعنا المتطلع
إلى الكمال، وأمتنا التي تسعى إلى الأجداد
والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

ابراهيم محمد نجما

إلى أن هذا الكتاب يخلو من كل إثارة
جنسية، أو استهانة بالمبادئ الأخلاقية،
وتقوم بهذا الإشراف لجان أعضاؤها من
المشهود لهم بصحة الإيمان، وسلامة العقيدة،
وسعة الفكر، ووفرة الثقافة. وليس في ذلك
تقييد للفكر، وحجر على الحرية، كما يخيل
إلى الخادعين والمخدوعين من الدعاة إلى
الفوضى باسم التحرر، والناشرين على التقاليد
باسم التجديد، ولكن فيه توجيه للفكر إلى
غاياته السامية، وفهما للحرية على وجهها
الصحيح.

وثالث المقترحات: أن ترصد الدولة جائزة
سنوية قيمة للناسر الذي يفوق غيره في كثرة
ما ينشره على الناس من أدب يهيء لهم صفاء
القلوب، وبقاء الأرواح، ويمثل حياتهم
بالخير والفضيلة والمحبة. ولا شك أن هذا
يجعل الناشرين يتنافسون في تقديم الإنتاج
القيم من الفن الثمين، والأدب الرفيع.

وأخيرا يأتي دور نقاد الأدب، ولبعضهم
أثر كبير في الترويج لهذا الأدب المنحرف،
والدفاع عنه، والدعوة إليه وإني لأطالب
هؤلاء النقاد بأن يتقوا الله في دينهم وأمتهم
وإنسانيتهم، فلا يجعلوا كتاباتهم تصفق للأدباء

العاطفة الدينية وأثرها في الأدب العربي

لأستاذ محمد إبراهيم الجيوشي

ذلك الوتر السحري فيعلو بالنفس إلى ما تأمله من نعيم في جوار الآلهة وصحبة الأرباب . وهذا هو الأدب المصرى القديم ما وصل إلينا منه ليس إلا تضرعا إلى الرب ، وتنصلا مما يكون قد بدر في الحياة الدنيا من نزوات النفس ونزغات الهوى ، فظلمت أو جارت أو اعتدت فيهم صاحبها ؛ ليعد دفاعه ، وبقيم حجته حينما تنصب الموازين ، ويقام موكب الحساب :

والأدب العربى ليس بدعا من هذه الآداب؟ بل إن العربى بما وهب من حدة العاطفة ورهافة الحس وصفاء الوجدان أشد تأثرا بالعاطفة الدينية من غيره وأكثر انقيادا لها وتسليما . لهذا عرف الأدب العربى الشعر الدينى منذ الجاهلية ، حينما عرف الله واهتدى إلى قدرته ، وأدرك عظمته ، لما فكّر فى صنعه البديع ، وملكوته الذى لا يحد ، وظهر هذا الاتجاه على ألسنة المتحرفين من العرب وغيرهم ممن اطلعوا على السكتب السببوية من يهودية ونصرانية . فهذا قس بن ساعدة الإيادى . خطيب يخران يشير إلى ذلك فى خطبته المشهورة ، حين يقول : د ليل داج وسماء ذات أبراج ، وأرض ذات لجاج ، إن فى السماء لخبرا ، وإن

للعاطفة الدينية من قديم سلطانها على الإنسان ، وأثرها البين فى تفكيره وتصوره وإحساسه ؛ ولا زال للعاطفة الدينية هذا السلطان القاهر وذلك الأثر البعيد فى النفوس على الرغم من تقدم العلم وازدهار الحضارة التى قامت أسسها على العلم وتجاربه .

هذا السلطان الذى فرضته العقيدة الدينية على الإنسان كان له الأثر البين فى كثير مما أنتجه من أدب وفن منذ عصور عميقة الجذور فى القدم ، نرى ذلك فيما وصل إلينا من أدب الإغريق واتجاهاته .

فقد كانت العاطفة الدينية العامل الأول فى نشأة المسرحيات اليونانية إذ قامت على رضى الآلهة وغضبهم ، واتخذت من معاركها أساطير ترمز إلى ما يتحكم فى نظام الحياة من صراع بين الخير والشر .

وحروب الآلهة كانت الباعث الذى دفع د هوميروس ، إلى أن ينسج د إياذته ، التى صور فيها الصراع الدامى بين الآلهة وأنصاف الآلهة ، ونسج خياله الخصب من أساطيرها ذلك البناء الفنى الذى لا زال حتى اليوم المثل الأعلى لفن الملاحم .

ولو تتبعنا الآثار القديمة لوجدناها كلها تستقى من نبع العاطفة الدينية وتضرب على

القوى الطبيعية بأنه حر طليق لا تقيده أرض ولا تعرقل تفكيره تلك القيود والعوائق التي تحد من حريته الشخصية (١) .

غير أن ما أورده الأستاذ عمر الدسوقي غير مسلم ؛ فإن كان العربي حقاً لم يعرف نظام الهيكل ، ومنح الغفران إلا أنه لا يمكن أن نتجاهل ما كان لسكان العرب من سلطان على مصائر الناس وأنظمة حياتهم ، وكتب التاريخ والأدب حافلة بأخبارهم وارتحال العرب إليهم ، وتلقف الأخبار والفصل في معضلات الأمور من أفواههم .

إلا أن الحقيقة الثابتة أن العربي لم يكن يحمل لهذه الأصنام في نفسه تقديساً وإجلالاً أو على الأقل لم يضمن شعره هذه المعاني ، بل روى عنه ما يحقرها ويذري بها ، ومن ذلك قول عمرو بن الجوح ، وقد رأى صنمه في موطن القذارة مقترناً إلى كلب .

واقه لو كنت إلها لم تكن

أنت وكتب وسط بئر في قرن

أف للمقاك إله مستدن

الآن فتشناك عن سوء الغبن

الحمد لله العلي ذي المنن

الواهب الرزاق ديان الدين

هو الذي أنقذني من قبل أن

أكون في ظلة قبر مرتين (٢)

في الأرض لعبراً . . . ، والخطية كلها من هذا النمط الذي يحاول أن يوجه الأبصار إلى ما في الأرض والسماء من آيات تدل على عظمة الخالق سبحانه وقدرته .

ولقس وغيره من المتحنفين العرب كثير من هذه المعاني الدينية التي تلقوها من أهل الكتاب في رحلاتهم وأسفارهم إلى اليمن والشام وربما كان عدم اقتناع العربي الجاهلي باستحقاق الأصنام للعبادة والتأليه دافعاً نفسياً له ألا يقدم بين يديهما آيات التمجيد والحمد زلفى وينسج حولها الأساطير ، وينسب لها خوارق العادات كما فعل اليوناني القديم ، وقد يكون ذلك سبباً في خلو الشعر العربي أول الجاهلية من الأهازيج والأناشيد الدينية ، ويعلل لنا الأستاذ عمر الدسوقي هذه الظاهرة فيقول : « سعة العقل ورجاحته قديمة عند العربي ؛ لأنهم أمة تعشق الحرية ، ومن العسير عليهم أن يقبلوا التحكم في عقائدهم » .

ولهذه الحرية لم يعرف في ديانتهم الجاهلية نظام الكهنوت والعبودية للهيكل ورجاله يتحكمون في عقائدهم ، وسائر شئونهم الدينية والدنيوية ، ويتوسطون بينهم وبين آلهتهم ويفرضون عليهم الجزية والطاعة العمياء ، ويمنحونهم الغفران إن أرادوا أو يطردهم من رحمة الله إن سخطوا ، وأنى للعربي أن يقبل هذا أو مثله ، وقد ألفت نفسه الفضاء الفسيح ، وامتلأ فؤاده بهذا الإحساس

(١) الفتوة عند العرب ص ١٠٤ — ١٠٥ .

(٢) أصداء الدين في الشعر المصري الحديث

فينافح الثناني بشعره مع سيفه في المعارك
بين الكفر والإسلام ، ويمدح كعب النبي
صلى الله عليه وسلم في قصيدته المشهورة
« بانت سعاد ، وفيها يقول :

مهلا هداك الذي أعطاك نافلة
القرآن فيها مواعظ وترتيل
لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم
أذنّب وقد كثرت في الأفاويل
إن الرسول لنور يستضاء به

مهند من سيوف الله مسلول
ويمضى الشعر الديني في طريقه حاثا على الجهاد
محبا في الغزو والشهادة طيلة الدولة الأموية .
وتظهر الفرق الإسلامية من شيعة وخوارج ،
ويكون الشعر لسانها الناطق في التعبير عن
آرائها ومعتقداتها والاحتجاج لها ، ويعرف
لكل من الفرق شعراؤه من أمثال «الكميّ»
شاعر الهاشميين ، وقطرى ابن الفجاءة
وعمر بن الإطنابة من شعراء الخوارج .
وتقوم الدولة العباسية في القرن الثاني

الهجري ، وتتسع مدينة العرب ، ويغمرهم
الترف ، ويستمرى خلفاؤها وأمرؤها
النعم ، وتجري في قصورهم قصص هذه الحياة
الناعمة التي تفوق حد الخيال ، فيرتفع في هذا
الجو الغارق في الملذات الرافل في الطيبات
صوت النذير الخوف بالآخرة ، المحذر من
استمرار هذه الحياة ، ويهتف أبو العتاهية بقوله :
أنلـمـو — و — وأيامنا تذهب
ونلعب والموت لا يلعب

وغير ذلك كثير مما يشير إلى تحوير
الأصنام والزراية بها ، مثل : الشطر الأول
من غير البحر .

أرب يبول الثعلبان عليه
لقد ذل من بالث عليه الثعالب
فلما جاء الإسلام ، ونقى عقول العرب
من الشرك وطهر نفوسهم من الوثنية ،
وأبطل ما كانوا عليه من ضلال ، وسفه
عقائدهم ، اشتد الصراع بين الدعوة الجديدة
وبين المتمسكين بدين الجاهلية المدافعين عن
سلطانهم وجاههم إزاء هذه الدعوة الفتية التي
توشك أن تدمر ذلك السلطان المتوارث
والجاه القديم .

وخاض الشعر المعركة يدافع عن صاحب
الرسالة ويشيد بمبادئه ويهاجم أعداءه ،
يرميهم بالضلال والكفر ، وينذرهم عاقبة
عنادهم ، ويحمل حسان اللواء ، ويدفعه
النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : « قل وروح
القدس يؤيدك ، فينشد :

إن الذرائب من فخر وإخوتهم
قد بينوا سنناً للناس تتبع
ويمدح صاحب الرسالة فيقول : —
له هم لا منتهى لكبارها
وهمته الصغرى أجل من الدهر
له راحة لو أن معشار جودها
على البركان البرأندى من البحر
ويتابعه كعب بن زهير ، وطابن رواحة ،

ذلك المجد الآفل ويرثون هذه الديار التي فقدتها
الإسلام ، فأشأوا القصائد الطوال يستغيثون
فيها برسول الله صلى الله عليه وسلم ،
ويستنهضون همم الملوك والأمراء من المسلمين
ومن أشهر القصائد التي تنتهج هذا النهج قصيدة
أبي البقاء صالح الرندي التي يقول فيها :

لكل شيء إذا ما تم نقصان
فلا يغر بطيب العيش إنسان
هي الأمور كما شاهدتها الدول
من سره زمن ساءته أزمان
وهذه الدار لا تبقى على أحد

ولا يدوم على حال لها شأن
وانتهت هذه الظاهرة باستيلاء الفرنج على
الأندلس وانقطاع أمل المسلمين في العودة إليه .
وظلت المدائح النبوية بعد ذلك هي المتنفس
الوحيد للعاطفة الدينية في الشعر العربي ،
واتخذها الشعراء تنكأة للبديع خلال العصرين
المملوكي والتركي حتى كانت تسمى بالبديعيات
وظلت وبقيت كذلك حتى جاء العصر الحديث
وتفتحت آفاق النهضة ، وانتبه العرب من
سيئاتهم ، فرأوا أرضهم مضيعة وسلطانهم
بأيدي سواهم من المحتلين الغاصبين ، فانطلقت
العاطفة الدينية تنطق الشعراء وتمدهم بصيحات
يوقظون بها النيام .

محمد إبراهيم الجبوشي

المشرف على الشؤون الدينية بالإذاعة

عجبت لذى لعب قولها
عجبت ومالى لا أعجب
وتسود المجتمع العربي ظاهرة التصوف ،
ويصبح للتصوف أصول وقواعد ولرجالها
أحوال ومقامات ، ويتناقل الناس سير
المتصوفة ويقفون عندها في دهشة وإعجاب ،
وكيف لا يعجبون من هذه النفوس الكبيرة
التي رفضت ملذات الحياة ، وركلت نعيمها
ووقفت عالية شامخة ، لا تتدعها الدنيا
ولا تستهويها زخارفها ، فتطلع الناس إلى هذه
الأنماط الفذة من البشر ، وألموا برحابها ،
ويمموا ساحتها كما يتجه السائرون في المحيط
نحو شعاع المنارة يأمنون به من أهوال الموج
وأخطار المحيط .

وتفنى القوم أشواقهم ، وهتفوا بحمدهم
لله ، وتهاكوا على أعتابه يسألونه الوصول
إلى بابه والفوز برضاه ، وينعمون بالفناء
في ذاته ، ولهم في ذلك الكثير من المنظوم
والمشور تفيض به رسائلهم ودواوينهم .
وانتقل الشعراء إلى المدائح النبوية وراج
ذلك أيام المماليك والعثمانيين وبردة للبوصيرة
ومعارضاتها مشهورة وكذلك همزيتة .

واتخذ الشعر الديني في الأندلس مظهراً
جديداً أيام ملوك الطوائف ، تساقط مدنيهم
واحدة إثر الأخرى في أيدي أعدائهم من
الفرنج الذين استغلوا فرقههم وتنازعهم ،
وظفّق الشعراء ليكون هذه المدن الضائعة ،

لغويات

للأستاذ محمد علي التجار

نور العرفات بين الدولتين :

يقال في هذا العصر: توترت العلاقات بين الدولتين أو بين البلدين إذا ضعفت الصلات بينهما ومالت إلى الانقطاع .

ويرى اليازجي في مجلة (١) الضياء أن هذه العبارة تفيد عكس المعنى المراد ؛ فإنه يقال : وتَرَّ القوس إذا شدَّ وترها ، وتوتر العَصَب ونحوه إذا اشتد فصار مثل الوتر . فهي تدل على قوة الصلات وممانتها لا على ضعفها . والصواب أن يقال : استرخت العلاقات بينهما في هذا المعنى .

ويمكن تخريج العبارة بما يصح معه المعنى المراد . ذلك أن توتر العصب واشتداده إذا أفرط فيه يشرف به على الانقطاع ؛ وكذلك القوس إذا أفرط في شدَّ وترها أو شك أن ينقطع الوتر .

فأما تراخي الوتر أو العصب فينأى بهما عن الانقطاع والانفصام . ويروى عن معاوية رضي الله عنه أنه قال : (٢) وإني

(١) المجلد ٨ ص ٣٣٨ .

(٢) انظر العقد الفريد في أوائل كتاب السلطان .

لأضع سيفي حيث يكفيني سوطي ، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني . ولو أن بيني وبين الناس شَعْرَة ما انقطعت . ف قيل له : وكيف ذلك ؟ قال : كنت إذا مدوها أرخيتها ، وإذا أرخوها مددتها . وأيضاً فإن توتر القوس يكون ليصيب به الرامي صيداً أو عدواً . ويقال : وترت قوسي لفلان إذا أذنته بالحرب ، ويقول الشاعر :

ألم تر أنني وترت قوسي

لأبقع من كلاب بني تميم

فتوتر العلاقات بين البلدين يعني أنها مشدودة غير مسترخية ولا لينة وهي مشرفة على الانقطاع .

أكرم العالم كائناً منه طاب :

وقع السؤال عن إعراب هذا الأسلوب . والجواب أن (كائناً) حال من (العالم) وفيه ضمير هو اسمه . و (من) نكرة موصوفة خبر (كائناً) و (كان) إن كانت تامة فهي مع فاعلها المستتر في محل نصب صفة لمن وإن كانت ناقصة فاسمها الضمير المستتر وخبرها محذوف أي كأنه ، والجملة أيضاً

صفة لمن وسأسوق نصين في هذا المقام قال
الرضي في شرح الكافية : « وقولك :
لأفعلنه كائناً من كان ، ولأفعلنه كائناً ما
كان (كائناً) فيهما حال من المفعول ، و(من)
و (ما) في محل النصب على أنهما خبران
لكائناً . وهما موصوفان والضمير الراجع
إليهما من الصفة محذوف أى كائنه . وفي
(كائناً) و (كان) ضمير راجع إلى ذى
الحال ، أى كائناً أى شيء كائنه ، فترى
أنه جعل (كان) ناقصة .

ويقول الصَّبَّان في كتابته على الأشموني
في مبحث كان وأخواتها : « واعلم أن أقرب
ما قيل في لأضربنه كائناً ما كان أن (ما)
نكرة خبر كان ، واسمها الضمير المستتر فيها ،
و (كان) تامة صفة لما ، أى لأضربنه
حالة كونه شيئاً كان أى كائناً أى شيء . ووجد ،
فهو يخالف الرضى فيجعل (كان) تامة
وكلا الوجهين محتمل صحيح .

زرار القميص - زراير :

الزرار لفظ عامي محرف عن الزر ، وجمع
الزر أزرار ويقول الشاعر :

لا تعجبوا من بلى غلالته

قد زر أزراره على القمر
وقد تناول التحريف لفظ الزر من قديم
فأهل الأندلس في عهدهم العربي السعيد تركوا

الزر واستعملوا مكانه الجمع (أزرار)
وجمعوا الأزرار على أزره . وهذا
كما يقول الناس المصران للبعى الواحد ،
ويجمعونه على مصارين ، وإنما المصران
في اللغة جمع المصير كالكثيب والكشبان .

ويقول الزبيدي الأندلسي المتوفى سنة ٨٣٧٩هـ
في كتابه « ما تلحن فيه العامة » : « ويقولون
أزرار القميص يريدون به الواحد ،
ويجمعونه على أزره . والصواب : زر
القميص والجمع أزرار ، وقد ورد جمعه على
أزره في قول نزهون الغرناطية الأندلسية :
السدر يطلع من أزره

والغصن يبرح من غلالته
وكان الزرار في عاميتنا نشأ من أزرار
بحذف الهمزة وتحريك الزاى للابتداء
بها وجعلها بزنة غراب ، وهذا كما قالوا في
إحرام لكساء يلبس في الإحرام بالحج
حرام ، ويعرفونه فيقولون : الحرام :
لما جعلوه ككتاب ، فالزرار محرف عن
أزرار المحرف عن زر . ومثل هذا كثير
في ألفاظ العامة .

المبضة - الميضأة :

المبضة معروفة في المكان الملحق بالمسجد
يعد للوضوء والطهارة للصلاة . واللفظ
محرف عن الميضأة ، وأصلها الموضأة من

والنسيم مذكر ، فيقال : نسيم عليل
لا علية . وفي الرحانة للخفاجي ٢١٥ :

يا نسيما من نحو طيبة ساري
مهدياً عطر ندها والعرار
وفيهما من النثر ^(١) : « قصر معال يرد
الطرف كليلا ، ونسيم الشمال عليلا ، وفي
ص ١٩٤ :

وسرى نسيم نجد فابتسمت
له ثغور النور والكائم
وإذا كان النسيم مذكراً لا ينقاس جمعه على
النسائم ؛ فإن فاعل مخصوص بالمفرد المؤنث
كما هو معروف ، وقد قال عبد الغنى النابلسي
المتوفى سنة ١١٤٣ هـ :

أحن لو مض برق من جهة الحى
وأشاق إن هبت على النسائم
وقد انتقد اليازجى فى مجلة ^(٢) الضياء هذا
الجمع على النابلسي ، وانتقد هو بيتا قاله قبل
أن يقف على خطأ هذا الجمع ، وهو قوله :
نسائم نجد هل تحملت من نجد

إلى سوى حر الصبابة والوجد
وكأن من جمعه على نسائم ذهبوا فيه إلى
الريح والريح مؤنثة . ولكن مثل هذا إنما

الوضوء . فقلبت الواو ياء . وحذف العامة
الهمزة على غير قياس فقالوا : الميضة .

وهذا التحريف قديم . فقد قال الزبيدي :
« ويقولون للطهرة : ميضة وبعضهم يقول
ميضأة والصواب : ميضأة بالهمز ، والجمع
مواضى » .

وترى أنه فسّر الميضأة بالطهرة والمطهرة
إنما يوضع فيه الماء يحمله المسافر للطهارة
وغيرها ، وتعرف بالزمزية ، فهذا أصل
وضع الميضأة . وقد استعملها المولدون فى
المكان الذى يهيم فيه الماء للطهارة . ويقول
المقرئى فى الخطط فى الكلام على جامع
ابن طولون : « وفى سنة اثنتين وتسعين
وسبعمائة جدد الرواق البحرى الملاصق
للبيضة الحاج عبيد بن محمد بن عبد الهادى
الهويدى البازدار مقدم الدولة ، وجدد
ميضأة بجانب الميضأة القديمة » .

النسائم :

يكثر استعمال النسائم فى جمع النسيم .
والنسيم رقة الريح وضعفها وأن تهب هبوبا
لينا ويقال أيضا للريح الضعيفة اللينة بالهبوب
ومن ثم يقال : نسيم عليل كأنه مريض
لضعفه وهذا يستجبه الناس ويستروحون له .

(١) ص ١٧٨ .

(٢) المجلة ٨ ص ٨١ .

فلما أن نحمل أطاح على طووح ؛ إذ كانت
الهزمة والتضعيف يشتركان في التعدية . وقد
ورد أيضا طووحه ، فكما جاز طوحه وطوح
به فيسعنا أن نستعمل أطاحه وأطاح به .

ومما يذكر هنا أن العائمة تقول : فلان
يطوح أى يضطرب فى مشيه ذات اليمين وذات
الشمال . وهذا المعنى جاء فى اللغة ، فى اللسان :
« وتطوَّح إذا ذهب وجاء فى الهواء » قال
ذو الرمة يصف رجلا على البعير فى النوم
يتطوَّح أى يجهى . ويذهب فى الهواء :

ونشوان من كأس النعاس كأنه
بحميلين فى مشطونة بتطوَّح
والمشطونة : البئر .

محمد على النجار

يقبل من العرب ، فالأولى ألا يجمع على
النسائم ، وإنما قياسه النسَم كالكشيب
والكشب .

أطاح به سوء خلقه :

يقال فى هذه الأيام : أطاح به الشيء أى
أهلكه أو نال منه وأدخل عليه نقصا وضيا .
والذى فى المعاجم أطاحه الشيء متعديا
بنفسه لا بالباء . وفى القاموس : « أطاح شعره
أسقطه » ، والشيء : أفناء وأذهب ، والأقيس
أن يقال : طاح به من الثلاثى ، فإنه يقال :
طاح الشيء : هلك ، فإذا قيل طاح به الشيء
قالباء للتعدية ومعناه : أطاحه ، كما يقال :
ذهب به فى معنى أذهب .

على أنه ورد طوَّح به فى معنى أطاحه ،

(بقية المنشور على صحيفة ٦١٦)

أما بقية الحدود ، وكذلك القصاص ،
فقد اتفق الفقهاء الإسلاميون فيما بينهم على
الاكتفاء فى إثباتها بشهادة شاهدين فقط .
أى أنهم اكتفوا بشهادة شاهدين فقط
لإثبات جرم السرقة ، وجرم القذف ، وجرم
الشرب ، وجرم قطع الطريق .

« للبحث بقية ،

محمد عطية راغب

ووجب إقامة حد القذف عليهم ، وإن كان
هناك رأى يذهب إلى عدم إقامة الحد عليهم
يؤدى إلى ألا يشهد أحد بالزنى خوفا من أن
يقف الرابع عن الشهادة فيحدوا بحد القذف
وبذلك تبطل الشهادة عن الزنى .
والعلة فى اشتراط شهادة الأربعة من الشارع
الإسلامى فى إثبات هذا الجرم هو تحقيق
معنى الستر ، إذ أن وقوف الأربعة على هذه
الفاحشة أمر نادر ، ذلك لأن الشيء كلما كثرت
شروطه قل وجوده .

الإسلام في تركيا

للدكتور جمال الدين الرمادى

وما سينزل بساحة المسلمين من النائبة الكبرى إذا لبث الشرق الإسلامى على حال مثل حاله التى كان عليها ، فهب جمال الدين يضحى نفسه ويفنى حياته فى سبيل إيقاظ العالم الإسلامى وإعدادة لمواجهة الخطر إذا أذنت الساعة ودق ناقوس الخطر فكان يقول ، العالم النصرانى على اختلاف أممه وشعوبه عرقا وجنسية هو عدو مناهض للشرق على العموم والإسلام على الخصوص ، لجميع الدول النصرانية متحدة معا على ذلك الممالك الإسلامية ما استطاعت إلى ذلك سبيلا . والروح الصليبية لم تبرح كامنة فى صدور النصارى كمن النار فى الرماد . وروح التعصب لم تنفك حية معتلجة فى قلوبهم حتى اليوم كما كانت فى قلب بطرس الناسك من قبل . فالنصرانية لم يزل التعصب مستقرآ فى عناصرها متغلغلا فى أحشائها و متمشيا فى كل عرق من عروقها ، وهى أبداً ناظرة إلى الإسلام نظرة العداء والحقد والتعصب الدينى الممقوت ، .

وبين السيد جمال الدين الأفغانى فى موضع آخر سبب كره الدول النصرانية وهجومها وعدوانها على الممالك الإسلامية فقال إن هذه

كانت تركيا منذ عدة قرون أرضا خصبة للإسلام ، وكانت اللغة العربية لغة القرآن الكريم موضع تقدير ورعاية من أهلها بيد أنها لم تلبث أن حادت شيئا فشيئا عن تعاليم الإسلام وشرائعه ، حتى أوشك أن يتلاشى من أرضها لولا هذه المآذن الشاحخة والقباب العالية التى تضرب فى عنان السماء ، وتشهد على جهود الأولين فى نشر الإسلام وإقامة الصلاة . ولولا هذه الابتهالات الخافتة التى تتصاعد من هذه المساجد العريقة وتلهج باسم الله ورسوله ، وتشوبها لسكنة غريبة فى أغلب الأحيان . وتحتاج إلى معونة هذه القلوب المؤمنة التى تنبض فى الجمهورية العربية المتحدة قلب العالم الإسلامى حتى تقال من عثرتها وتنهض من كبوتها وتهتدى إلى سواء السبيل .

كانت تركيا تحاول تحقيق فكرة الجامعة الإسلامية فى مستهل القرن العشرين . تلك الفكرة التى دعا إليها السيد جمال الدين الأفغانى إذ كان أول مسلم أبقن بخطر السيطرة الغربية المنتشرة فى الشرق الإسلامى وتمثل عواقبها ، فيما إذا طال عهدها ، وامتدت حياتها ، ورسخت فى تربة الشرق ، وأدرك شؤم المستقبل

المخلوع استغل منصبه تكليفه في إصدار الفتاوى الشرعية ضد الحركة ورجالها حتى آلى مصطفى كمال على نفسه أن يطيح برأس كل خليفة يحاول أن يتدخل في أمور الدولة كما اعتبر كل فكرة ترى لسكى يكون للخليفة أى تدخل في شئون البلاد أو تعرض لشئونها الخارجية أو الداخلية خيانة عظمى. والطريف أن بعض أنصار منصب الخلافة من الذين كانوا يعتقدون بضرورة بقاءه اقترحوا على الغازى مصطفى كمال المناداة بنفسه خليفة ليجمع رئاسة الدولة التركية ورئاسة المسلمين - وأخبره أحد أتباعه الوافدين من الهند أن الهيئات الإسلامية ذات العقد والحل في تلك البلاد قد وكلته بمبايعته على ذلك ولكن الغازى مصطفى كمال رفض هذه الفكرة برتها .

وأصدر مصطفى كمال أوامره بإلغاء الوزارة الشرعية ووزارة الأوقاف وربط جميع المؤسسات العلمية والمكاتب والأوقاف الخصوصية من مدارس ومعاهد بوزارة المعارف ، كما إصدار أوامره بإغلاق ما كان موجوداً من الزوايا والتكايا وحرم الاشتغال بالطرق الصوفية ، وأقفرت تبعاً لذلك كلية « الإلهيات » التى كان يدرس بها الدين الإسلامى والشرعية الإسلامية والتفسير والحديث وما إليها من علوم إسلامية .

الدول تزعم أن الأمم الإسلامية هذه إنما هى من الانحطاط والتسدى بحيث لا يستطيع أن تكون قوامه على شئون نفسها بنفسها ، وفوق جميع هذا ، فهذه الدول النصرانية عينها لم تفتأ تعمل هذا من ناحية وتندرع بألوف الذرائع من نواح أخرى حتى بالحرب والحديد والنار ، وللقضاء على كل حركة حاولها المسلمون في بلادهم وديارهم في سبيل الإصلاح والنهضة .

وقد تلقف السلطان عبد الحميد دعوة الأفغانى وبني عليها سياسته في بناء الجامعة الإسلامية وتشيد أركانها ، وظلت هذه الدعوة تتردد نحو ثلاثين عاماً حتى خلع عبد الحميد عن الحكم . بيد أن الشئ المؤكد أن عبد الحميد لم يكن يقصد وجه الله ولا وجه الإسلام في هذه الدعوة إذ كانت دعوة من ظاهرها الرحمة ومن باطنها العذاب . فهو يتخذ من الدين ستاراً يخفى وراءه نواياه الخبيثة ومطامعه الاستبدادية . وسرعان ما كشف الشعب أمره فخلعه من الحكم .

وفي الشهور الأخيرة من عام ١٩٢٣ جرت الانتخابات في تركيا وانتخب الغازى مصطفى كمال حاكماً على تركيا ، ولم يكديس لمقاييد الحكم حتى فسك في إلغاء الخلافة - وقد طافت هذه الفكرة بذهنه لما قام به جيش الخلافة أثناء الثورة السكالية من دور مضاد حتى إن الخليفة

السكوت على هذه الحال - إنما يجب أن نمد يد المعونة إلى المسلمين هناك حتى يتصرفوا بأمور الدين ، ويتقنوا تعاليمه - ويتمكنوا من هذه اللغة العربية التي نزل بها هذا الكتاب المبين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

فالمساجد التركية لا تزال تحكى عظمة الإسلام في هذه البقاع ، ويكفى أن نعرف أن بمدينة الأستانة ما يزيد عن ٤٨٠ جامعاً منها ٨٩ كنيسة حولها العثمانيون إلى مساجد ، وأشهرها جامع « أيا صوفيا » الواقع على الهضبة الأولى من هضاب استنبول - وكان هذا الجامع قبل الفتح كنيسة تعرف باسم القديسة « صوفيا » بناها قسطنطين الكبير عام ٣٦٠ م ووسعها ابنه « قونستانس » من بعده - واحترق بعضها عام ٤٠٤ م ثم رُمي ثيوديسيوس ثم احترقت برمتها فأعيد بناؤها على يد الإمبراطور يوستنيان الذي استخدم في بنائها ٤٥٢ قنطاراً من الذهب وقال في حفل تدشينها « المجد لله ؛ لأنه جعلني أهلاً لإتمام هذا العمل العظيم فقد غابتك يا سليمان ،

ويشاء الله العليّ القدير أن ينتصر الإسلام ، ويغلب المسلمون ، ولما فتح العثمانيون الأستانة عام ١٤٥٢ م دخلها محمد الفاتح على جواده حتى إذا وطىء سجنها وحد الله تعالى وقال لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ومنذ ذلك

وأصدر الغازي مصطفى بعض القرارات الخاصة بزي علماء الدين وجعل العلامة المميزة لزيهم عمامة بيضاء وجبة سوداء ، والعلماء مخيرون في طريقة السلام داخل الأبنية أو خارجها بين رفع غطاء الرأس أو الإشارة بأيديهم غير أن تطبيق القانون في مراسم عيد الجمهورية الرسمي واجب فيجب على العلماء العيد مكشوفى الرؤوس .

أما الحج إلى بيت الله الحرام فقد أصبح شبه ممنوع في عهد الغازي مصطفى كمال ، وألغى لقب « الحاج » ضمن الألقاب التي ألغيت كما منع عرض الصور التقليدية للكعبة والمدينة ومكة ، وشدد في عقاب من يطعمها أو يبيعها . وألغى الحروف العربية وأمر باستخدام الحروف اللاتينية وقال في هذا الصدد « إن لغتنا الجميلة تبرز ساطعة بالحروف الجديدة ، وإن من الضروري التخلص من إشارات لا تفهم حبست عقولنا من عصور في نطاق ضيق من حديد » .

وهكذا أساء مصطفى كمال فهم الإسلام ولغة القرآن واندفع متهوراً يحطم تلك القيم الإسلامية الكبرى دون وأزع من عقل أو رادع من ضمير .

ومنذ ذلك التاريخ قل إقبال الأتراك على الإسلام - وضعت سطوة المسلمين في هذه البلاد ، بيد أننا يجب ألا نسكت أو نطيل

مذهب ، وتلحق بالجامع مكتبة نفيسة ، وبجواره مدفن السلطان سليم الأول وأولاده قتلهم مراد الثاني لما تولى الملك ، وقبور مراد الثاني وتسعة عشر من أولاده قتلهم محمد الثالث لما تولى الملك .

ويوجد جامع « السليمانية » وقد بناه السلطان سليمان القانوني ويشغل معظم الهضبة الثالثة من استنبول ، وله ملحقات من المدارس والمنائر والتسكيات والأضرحة والمسكنات والحمامات ، وقد تم بناؤه عام ١٥٦٦ م وتبدل من القبة في وسط الجامع ثريا كثرية الشكل تتعلق بدائرتها المصاييح البراقة .

ويعتبر جامع أبي أيوب من أشهر الجوامع في تركيا ويسميه بعضهم جامع السلطان أيوب وهذا خطأ لأنه مقام أبي أيوب الأنصاري أحد كبار الصحابة وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد نزل في داره يوم جاء المدينة ، وكان قد دخلها على ناقته ، فأمسك بها بعضهم ، وطلب إليه النزول عند أهله أو غيرهم - فقال النبي صلى الله عليه وسلم « دعوا الناقة فإنها مأمورة » فركت على باب أبي أيوب والمشهور أن أبا أيوب جاء لغزو القسطنطينية مع يزيد بن معاوية عام ٥١ هـ فمات خارج سورها ، ودفن هناك ، وما زال قبره مهملًا حتى جاء الفتح العثماني فبنى محمد الفاتح (البقية على صفحة ٦٣٨)

التاريخ تحولت الكنيسة إلى مسجد ، وبني فيها محمد الفاتح مئذنة وبني غيره بعده سائر المآذن ومحمد الفاتح جميع المظاهر المخامة للإسلام ، إذ كانت على جذران هذا المسجد وهو كنيسة صور لبعض القديسين والملائكة فحما المسلمون بعضها منها وغطوا البعض الآخر ببعض آيات من القرآن الكريم .

وعلى باطن القبة الكبرى للمسجد كتابة بالذهب طول الحرف منها تسعة أمتار تبدأ بالآية الكريمة « بسم الله الرحمن الرحيم » . « الله نور السموات والأرض » الخ وتبدل من القبة ثريا كبيرة فيها المصاييح الكثيرة وفي صدر الجامع المحراب وقد نقشت عليه بالذهب في أعلاه آيات تنقش في أكثر المساجد مع تغيير قليل ، ففي المحراب « كلما دخل عليها ذكرى المحراب ، وتحته « لا إله إلا الله محمد رسول الله » « وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا » ثم « وليطوفوا بالبيت العتيق » ثم « وناداه الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ، وبين يدي المحراب شمعان كبيرتان على قواعد ثابتة ، وإلى جاني المحراب من أعلى « الله » و « محمد » و وراء ذلك أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، والحسن ، والحسين ، وإلى يسار المحراب المقصورة التي كان السلاطين يقفون فيها للصلاة ، وإلى اليمين المنبر ، يصعد إليه بسم

رسالة الدين وأثرها في الروح البشرية

للأستاذ عباس طه

حاسم لقيام لها بعده من طريق العلم الطبيعي نفسه لا من طريق الدين ، فقد توصل العلم إلى إحالة المادة إلى قوة أى إلى إثبات أن لا وجود لها ، وأنها عرض من أعراض القوة . ويزول هذه العقبة السكاداء من طريق العقل الإنسانى انفتحت أمامه ساحة لا حد لها إلى عالم القوة التى هى مصدر كل موجود فى عالم الشهادة . نعم : إن زوال هذه العقبة لم يخرج العلوم من مجالها الطبيعى ، ولكن كان من آثار زوالها اتساع هذا المجال بحيث لا يتصور العقل له نهاية ، وهذا وحده كان ذا أثر بعيد فى تأديب الإنسان وردعه عن البت فيما ليس من شأنه أن يبت فيه ، وفى تشكيكه فى كل ما أسسه من الأصول العلمية ، وإعادة وضعها فى الميزان تحت ضوء النقد الصارم والتحريض الدقيق . فسقط بذلك العجب الذى كان يوم العلماء بأنهم أدركوا حدود كل شئ . وأصبح لهم الحق فى الحكم بالوجود أو بالعدم على كل ما يعرض لهم البحث فيه ، حكما لا يقبل المراجعة ولا يحتمل التشكك

إن فسرنا واجب الإنسان نحو ربه ، كان معنى ذلك واجبه نحو الكمال المطلق والخير المحض والمثل العليا فى كل أمر ، فإن الله جل وعز لم يكلفنا إلا بما فيه صلاحنا وفلاحنا ، وتسكليفه أيا كانت عبادات أو معاملات أو آدابا بمعناها العام ، المقصود بها تربيتنا تربية قوية ، وإعدادنا لرجولة صحيحة ، وإيصالنا إلى الحقائق التى ترتبط بها سعادتنا الموجودة من طريق العلم والعمل والفضيلة . مضى الزمن الذى كان يعتبر الدين فيه سخره ، أو تقييداً للحرية الصحيحة ، أو حرماناً للنفس من مشتهياتها فى الحدود العلمية ، وهذا زمان تجلّى فيه بالدليل القاطع أن الدين حاجة أولية للروح لا معدى لها عنه . وإذا قلنا الدليل القاطع قصدنا به الدليل العلمى المؤسس على علم النفس . ولا يتسع المجال الآن لبيان ذلك على وجه يوفى بالحاجة العقلية من كل نواحي هذا الأمر الجمل ، ولكنى أستطيع أن أقول على عجل : إن الفلسفة المادية التى حاولت فى خلال قرون ثلاثة أن تقطع كل صلة بين الإنسان وما فوق المادة ، قد منيت بفشل

إلا عدد قليل من العقول العالية قد تزعزع فجأة بشدة عظيمة . وصارت المتناقضات والمحاولات الكافية فيه ظاهرة للعيان بعد أن كانت من الخفاء بحيث لا تبلغها الظنون ، فأدرك الناس على عجل أنهم كانوا مخدوعين ، وأسرعوا يتساءلون : هل الأصول المسكونة للقرارات اليقينية لمعارفنا الطبيعية لم تكن إلا فروضا واهية تحجب تحت غشاها جهلا لا يسبر له غور ؟

ثم نقل الأستاذ (جوستاف لوبون) قول العلامة الرياضي (لوسيان بوانكاريه) وهو : « لا توجد لدينا نظريات كبرى الآن يمكن قبولها قبولا تاما ، ويجمع المجرّبون عليها إجماعا عاما ، بل يسود اليوم عالم العلوم الطبيعية نوع من الفوضى . »

وعقب عليه الأستاذ (جوستاف لوبون) بقوله : « من حسن الحظ أنه لا شيء أكثر ملائمة للترقي العلي من هذه الفوضى ، فالوجود مفعم بمجاولات لا نراها ، والحجاب الذي يحجبها عنا منسوج غالبا من الآراء الضالة ، أو الناقصة التي توجهنا علينا تقاليد العلم الرسمي ، فلا يمكن الإقدام على خطوة الأمام إلا بعد أن تتفكك عرى الآراء السابقة . »

نقول : يظهر مما قدمناه أن تأثير سقوط صرح المادة كان بليغا إلى أقصى ما يمكن تخيله

يقول قائل : وما تأثير كل هذا في تقوية عاطفة الدين ؟

نقول له : في ذلك أبلغ تأثير ، فإنه بعد أن كانت المادة تعتبر مبدأ ومرجعا لكل مخلوق ، انتقل هذا السلطان للقوة ، وعالم القوى أرفع من عالم المادة بما لا يقدر ، ونواميسه أعلى وأعم بقدر هذا التفاوت بينهما والمحتملات التي تنشأ من هذا الانتقال لا تقف عن حد : وإذا أردت أن تقف على مبلغ التحول الذي طرأ على مذاهب العلماء من حدوث هذا الاكتشاف ، فأليك على عجل : قال الدكتور (فيلبون) في مجلة (العلم والحياة) ص ٤٥١ سنة ١٩١٧ :

« لقد حلت كلمة (القوة) محل كلمة (المادة) فما يدرينا هل تحل كلمة (روح) محل كلمة قوة ؟ وهذه المسألة المحيرة لا تزال سرا من أسرار المستقبل . »

وقال العلامة (جوستاف لوبون) في كتابه تحول المادة :

« دامت العقيدة في صحة المقررات الكبرى للعلم العصري حافظة لقوتها إلى أن حدثت في الأيام الأخيرة مسكتشفات غير منتظرة قضت على العلم العصري أن يكابد من الشكوك ما كان يعتقد أنه قد تخلص منه نهائيا ، فإن الصرح العلي الذي كان لا يرى صدوعه

ورحية تتميز بعضها عن بعض ، أو أنه كائن واحد عام لا يقبل الانقسام ومستمر على الدوام ، وأنه العلة والمعلول العام ، ؟
نقول : إن أثر تدهور الصرح المادى كان بعيداً ، وقد حلت الروح محلها فى التعليقات العلمية الطبيعية كما ترى ، فهل بعد هذا إهابة بالعاطفة الدينية إلى اليقظة والعمل فيما خلقت له ؟

الإنسان يتألف من جسد وروح ، ولكل منهما مطالب ، فكما يألم الجسد إن قطع عنه المدد المادى . كذلك تألم الروح إن قطع عنها المدد الروحانى . وحرمان الجسد من مقوماته يفضى إلى تعطل وظائفه وإلى تحلله ، وحرمان الروح من مقوماتها يؤدي إلى الحيولة بين إشرافاتها وبين صاحبها وفى تلك الحيولة كل ما يتخيل من اضطراب النفس ، وفساد القلب ، وغلظ الشعور ، والسقوط إلى الحيوانية البحتة ، بل إلى ما هو أسفل منها . فتجدد المبتلى بهذا الحرمان من المدد الروحانى يستسيخ ارتكاب القبائح ، ومقارفة الدنيا والانتفاس فى الحساسات ، والخوض فى المقادير ظناً منه أن فى هذه الإباحة الجنونية سكناً لنفسه الجائعة ، ومتنساً لقلبه المحترق ، ولكنه لا يزداد إلا هلعاً على هلع ، ولا يزال يعالج هذه النيران المستعرة فى باطنه حتى ينتهى أجله ، ويذهب إلى حيث يذهب التائبون .

وثمره هذا الهدم فى مصلحة الروح من كل وجه . هذا ما يبدو صريحاً من أقوال أقطاب العلم ، فقد جاء فى دائرة معارف القرن العشرين الفرنسية تحت كلمة (مادة) بعد أن عرضت جميع المذاهب ما يأتى :

« على هذا لجميع الفروض التى فرضت للآن تعجز عن حل تناقضاتها الذاتية ولا تنطبق على الحوادث فهاذا نستنتج من هذه الحال غير أن مدركاتنا العلمية عن المادة ، وهى تتفاوت فى صلاحيتها كوسائل للترتيب والتحليل ، لا نستطيع أن نزعّم أنها الحقيقة المطلقة . وهذه الفروض باعتبار أنها لا وظيفة لها إلا تسهيل وتعميم صفات وعلاقات الظواهر المحسوسة ، لا يمكن أن تكون حتماً إلا رمزية وخداعة كهذه الظواهر نفسها . »
ثم ختمت الدائرة الفرنسية هذا الفصل بقولها :

« وعلى هذا فلو صرفنا النظر عن المذهب اللا إرادى الذى هو عبارة عن رفض أى محاولة لتفسير الحوادث ، فإن المذهب الذى يذهب إليه علماء العلل الأولية هو : أن المادة باعتبار أصلها تنحل - كما فكر فى ذلك (لبنز) - إلى وجود روحانى ، طبيعته كطبيعة الوجود الذى يتجلى لوجداننا ، والمسألة التى تبقى بعد ذلك غير محققة هى أن نعرف : هل الوجود مؤلف من ذرات

الإنسانية ، وشرف العمل على إقامة دولة المدنية الفاضلة في الأرض . عمل الإنسان لإقامة دولة الروح هو في الحقيقة خدمة لنفسه وللإنسانية والعلم والبلدية . إن أحسستم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها ، فإن الله غنى عن العالمين . فإن كلفنا الله بطاعته فإنما يكلفنا بما يحينا ويرقينا ويشرفنا ، ويتناسب وغرائزنا الفطرية ، ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون .

عباسي ط

ماذا تتطلب أعصى العقول على الدين بعد أن ألقى الإلحاد سلاحه كما يرى على رموس الأشهاد ؟ وماذا تنتظر أن نرى من أعلام الحق بعد أن صرح العلم بأن المادة تنتهي إلى روح ، وأن الروح هي أصل الخلق ومنتهاه ؟ .

فهل نقذف أنفسنا من سيادة المادة علينا ، لا باحتقارها ولا بالهرب منها ، ولكن بإخضاعها لسلطان الروح حتى لا تطغى علينا فتقودنا من شهواتنا إلى حيث تفقدنا كرامة (بقية المنشور على صفحة ٦٣٤)

(بقية المنشور على صفحة ٦٣٤)

يسمى جامع « السلطان أحمد » الذي بناه عام ١٠٢٦ بالقرب من « أتميدان » وهي البلد التي قتل فيها الانكشارية ، ويمتاز عن سائر المساجد بكثرة مآذنه فإنها ستة ، وسائر المساجد لا تزيد منائرهما على أربع ، ومساحة المسجد نحو مساحة جامع السلمانية .

ويوجد هناك (مسجد نوري عثمانية) وغير ذلك من المساجد التي تمتاز بالفخامة والضخامة . وفي حاجة إلى علماء دارسين ، ووعاظ قادرين وقراء مقتدرين ، وليس معنى هذا أن الأتراك لا يدركون حقيقة أمور دينهم بل هناك مئات قادرة من العلماء قد تمكنت من أمور الدين تمكنا عظيما يدعو إلى العجب والإعجاب حقاما

على قبره مقاما ، وشيد بجانبه جامعاً ، وجعل أن لا يتولى سلطان عثمانى إلا تقلد سيف عثمان رسمياً في جامع أبي أيوب ، ويقع الجامع وسط منطقة محفوفة بالأشجار والمنازل ، وقبة الجامع قائمة على ستة أعمدة وكتب على الباب الخارجي للجامع بحروف كبيرة « دعوا الناقة فإنها مأمورة » فبركت على باب أبي أيوب ، ويجلل الضريح بالتحمل الأسود المطرز بالذهب . وعليه آيات وأدعية ، وحول الضريح وراء الشبكة الفضية وعند قاعدته مساند من الخشب عليها مصاحف خطية ، كل منها ملفوف بجوخ أخضر . وإذا كان جامع السلمانية يمتاز بالمئانة فإن هنالك جامعاً آخر يمتاز بالزخرفة واللطافة

دكتور محمد الدين الرمادي

مَائِقَةُ الْعَزَلِ الْإِسْلَامِيِّ

ديانات العالم السبع العظمى

للاستاذ عباس محمود العقاد

معترك الخصومات السياسية والمذهبية التي تثير العداء له في كثير من علاقاته بالدول والشعوب .

وأطيب ما في تلك الفصول من هذه الوصية أن كاتبها يورد الاعتراضات الشائعة عن الدين الإسلامي ويرد عليها أحيانا بما ينقضا ويجلو حقيقةها ، ويوفق إلى رأى الصواب في معظم أقواله .

بدأ بقوله عن النبي صلى الله عليه وسلم : إنه لا يسمى نفسه المخلص ولا يقول : إنه المسيح المنتظر ، ولكنه بشر يبلغ الناس رسالته الإلهية ، وليس في نشأة هذا الدين غموض ولا مجال للخطب بالظنون ؛ لأنه انبثق في ضخوة التاريخ الساطعة وانتشر بين أمم الأرض بقوة الإعصار ، وسر انتشاره ودوامه أنه عقيدة سهلة واضحة متمكنة فما تثبته للناس من أصول الإيمان ، وهو أكثر من دين شعائر وعبادات ،

أخرى بهذا الكتاب أن يسمى معرضا دينيا على الورق ؛ لأنه يجمع أكثر من خمسين ومائتي صورة فنية لمناسك الأديان في أنحاء العالم ، حيث يقيم أتباع الديانات السبع المشهورة : وهى البرهمية والبوذية ديانتا أهل الهند ، والطاوية والكنفوشية ديانتا أهل الصين ، والإسلام والمسيحية واليهودية .

ألف الكتاب لمجلة الحياة (Life) المصورة طائفة من المتخصصين للباحث الدينية تناول كل منهم البحث في ديانة يدرسها ويطلع على مراجعها ، واستغرقت بحوثهم أكثر من سنتين زيدت عليها تنقيحات وتصحيحات استغرقت بضعة أشهر ، ثم ظهر الكتاب أخيرا على صورة طيبة في شكله وموضوعه وجاءت فصوله التي كتبت عن الإسلام على أطيب ما ينتظر من الباحث غير المسلم حين يتصدى لكتابة عن هذا الدين وأهله في

بهداية الأفكار التي بها الإمام الغزالي - وهو عبقرى دينى ولد بإحدى قرى فارس سنة ١٠٥٨ ميلادية - يحسبه المسلمون اليوم في عداد الأولياء القديسين ؛ ويبلغ عدد المتصوفة بين المسلمين نحو ثلاثة في المائة ينتمون إلى طرق متعددة مختلفة الدرجات ، ثم وصف الكاتب أذكار بعض الدراويش المنتسبين إلى الصوفية بصفات منكرة ، يشاركه في إنكارها جملة المسلمين ، ولكنه عاد بأكثر التقاليد الصوفية إلى العادات المستعارة من غير المسلمين .

واستطرد إلى التبشير بالدين الإسلامى بين غير المسلمين فقال : « إن الإسلام ، إلى زمن متأخر ، لم يكن له جماعات منظمة للتبشير ، لأن هذا الدين الذى جعل المسلم فى غنى عن الوساطة بينه وبين ربه قد جعله كذلك داعيا إلى دينه حيث كان وإن لم تكن له جماعة ينتمى إليها ويتقيد بنظامها لنشر الدعوة ، إلا أن الدلائل تشير إلى عناية حديثة من جانب المسلمين بأنظمة التبشير المسيحية ، وقد أصبح الجامع الأزهر - ذلك المعقل الثقافى الذى صمد لتيارات الغربية وحال بين مؤثراتها وبين العالم الإسلامى - ينشط الآن

لتدريب فئة قليلة من أبنائه كل سنة للعمل فى هذا الميدان ، ولاحظ علامات النشاط لهذا العمل من جانب بعض النحل المتشعبة

لأنه إلى جانب ذلك ، أدب حياة وشرعية سلوك تنظم معيشة الإنسان على مثال لا نظير له فى الحضارة الغربية . ومن أسباب قوة هذا الدين أنه عند اتباعه الكلمة الأخيرة من وحى الله ، وهو يتقبل الديانات الكتابية التى سبقته ولكنه يعلم أتباعه أنها اجتمعت صحيحة خالصة من الحواشى والأوشاب فى آيات القرآن ، ولم ينشئ القرآن كهانة ولا مراسم هيكلية تلجئ المسلم إلى وساطة زمرة من الأحرار والرؤساء ؛ لأن فرائضه المعروفة الواضحة مما يؤديه كل مسلم بينه وبين الله بغير حاجة إلى الوسطاء .

يقول كاتب فصول الإسلام فى الكتاب : « إن بعض عادات العرف فى البلاد الإسلامية تحسب من دلائل الرجعية عند الغربيين ، ولكن النبي نفسه رفع شأن المرأة ولم تكن قيودها الثقيلة مما يفرضه القرآن ، وإنما جاءت من توليدات بعض المتأولين فى عصور النكسة والمجود ، وقد أنكر الإسلام وأد البنات ووضع الحدود لتعدد الزوجات بعد أن كان مستباحا فى أيام الجاهلية بغير حدود .

وتكلم المؤلف عن نحل الصوفية فأشار إلى بعض نحلها التى يعترض عليها أهل السنة ثم قال : « إن الصوفية انتعشت واستقامت

قال الكاتب : « إن في القارة الإفريقية اليوم نحو ستين مليون مسلم من نيف ومائتي مليون عدة أبناء القارة وإذا تراحم المبشرون من المسلمين والمسيحيين كسب التبشير الإسلامي عشرة كلما كسب التبشير المسيحي واحدا من الوثنيين ، ويشيع بين سكان إفريقيا الغربية - ولا سيما نيجيريا - أن الإسلام دين الرجل الأسود ، وأن المسيحية دين الرجل الأبيض ، وأجدر من ذلك بالالتفات أن المسلمين في الهند وباكستان حيث تزيد عدتهم على عدة إخوانهم في كل مكان آخر قد تحول أكثرهم عن العقيدة التي تقضى بنبذ بعض الطوائف إلى العقيدة التي تبسط سنة المساواة بين جميع المؤمنين ، وهناك علامات شتى على أن الإسلام يتحرك من سباته الطويل ، ففي كل أمة إسلامية دعوة إلى إحياء الإسلام سياسيا وروحيا وثقافيا بمختلف الأساليب ، وقد أعيد بناء مئات من المساجد في البلاد التركية بعد مصادرة أتاتورك للتعاليم الدينية وزادت نسبة الطلبة الدينيين في إيران بمقدار أربعين في المائة بين سنة ١٩٥١ وسنة ١٩٥٥ ، وتراعى في إفريقيا الشبالية علامات من هذا القبيل ، ولا يخلو بلد بين بلاد المسلمين اليوم

تخفى على أناس من المقلدين بين أتباع هذا الدين ، فلا يزال هذا المؤلف وغيره ممن يحسنون القول في الإسلام إجمالاً يتوهمون أن النعيم الموعود لا يعدو أن يكون ألواناً من لذات الحس ومتعة من متع الطعام والشراب ، ثم يتوهمون أن الإسلام قد انفرد بتصوير النعيم على هذه الصورة بين الأديان الكتابية ، ويتناسون أوصاف الكتب الأخرى من القرون الأولى إلى ما بعد القرون الوسطى لكل متاع موعود في عالم الجزاء والثواب ، وقد يابون أن يفهموا أن الإجماع منعقد بين العارفين بالكتاب على اختلاف الصفات والموصوفات بين الدنيا والآخرة ، ولكنهم سواء وقفوا بالفهم دون معنى التنزيه الواجب ؛ لأنهم يحلون المبذول - قد بلغوا طاعتهم من إحسان النية وإحسان المقال .

عباس محمود العقاد

نجاح المسلمين في التوفيق بين عقيدتهم ومقتضيات الزمن والتاريخ ، ومن ثم يدرك المسلمون أن قضيتهم العظمى هي قضية العقيدة الروحية ويذكرون كلمة النبي حين قال لأصحابه بعد مرجعهم من إحدى الوقائع : إنهم عادوا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ، وهو جهاد الضمير .

ويلى هذا الفصل عن الدعوة صفحات من ترجمة القرآن الكريم ، يخصصها الناقل للسور والآيات التي تعرف القراء الأوروبيين بأدب الكتاب ووصاياه المميزة له بين وصايا الأديان الكتابية ، ويغلب عليه في جملة ما ينقله أن ينحو بالمقارنة بينها جميعاً منحى الإنصاف ولا يتعمد فيها أن يستر الشواهد للإيحاء بالمغائز والشبهات .

إلا أننا نترقب كثيراً ونغلو في الثقة بفهم القوم لحقائق هذا الدين إذا ترقبنا من منصفهم أن يصبحوا مسلمين متحرجين في تنزيه العقائد الإسلامية عن المظان التي قد

فضيلة الصمت

سأل رجل عمر بن عبد العزيز قائلاً : متى أتكلم ؟ فقال له الخليفة : متى اشتيت أن تصمت . قال الرجل : فمتى أصمت ؟ قال عمر : إذا اشتيت أن تتكلم .

هذا كلام حكيم . فإن الرجل متى أحب أن يتكلم واندفع في القول جمع إلى بعض الصواب كثيراً من الخطأ ، ولكنه إذا انتهى أن يصمت ثم تكلم اقتصر على قول ما يجب قوله ، فلم يقع في الخطأ .

تحية الضيف العظيم

رئيس جمهورية باكستان

للاستاذ علي الجندى

رق مدحى كأنه تشبيبٌ
وكأين من الرجال لهم سحرٌ
وجمالُ الوجوه . أجل منه
ولأيوب - صان ربى أيو
شغفتنى حبا على السمع والسمع
تعشق الأذن مثلما تعشق العين
ثم إنى ملأت عيني منه
وعرفناه مخبرا فعرفنا
قلت للشعر : قد وجدت مكانا
فترى ما شئت لا لومَ فيما
إنما الشعر - حين يصدق - وحى
فأجاب القريض فوق مدحى
رمت تقليده عقود ثنائى
المعلى خلافا والمعنى
عز بأسا ورق نفسا وطبعاً
وهو بالمجد والسيادة كاس
أحكمته إلى المدى تجربات
ومن الدهر منبر منه تلقى
جامع الحسنين : عزم المواضى
فوق عرينه سمات من النبل
وأخو الصبر فى عراك العوادي
والمسمى من اسمه مستفيد

ومدحُ الأحباب عندى نسب
كبا دونه الغزال الريب
خلق طاهر نأته العيوب
ب - خلال تصبو إليها الدلوب
طريق إلى الهوى ملحوب
كذا قرر الحكيم اللبيب
فاستوى فيه مشهد ومغيب
ملكا عنصراه : حسن وطيب
فيه يحلو الإنشاد والنطرب
تغنى به ولا تشرب
من سماء علوية مجلوب
عبرى فذ الصفات أريب
فثنانى جلاله المرهوب
بالمعالى ، والقائد الموهوب
فوسيف غضب زهر رطيب
وهو من وصمة العيوب سلب
عائيات وضرسته الحروب
بالغات العظاات والتهذيب
وندى الغيث . والكمال ضروب
بها يعرف الأغر النجيب
وإلى الصبر ينتمى أيوب
وله منه همة ونصيب

ساس شعبيه بالكياسة والحز
وتولى بالود جيرانه الأذنين
دولة شادها ونجاح^{*}، لها العز^{*}
ورآها وإقبال^{*}، في عالم الحلم
فتغنى بها وغنى لها لحنا
فرسا أصلها وطال لها فز
وأناها فمزها ورعاها
بعد ما عاث فوقها الدهر وردى^{*}
كان إلبأ مع الخطوب علينا
لم يزعه دين ولا عطفته
فرماه من حالق الحكم شعب^{*}
من سيوف الإسلام للسمح البيض
ملك الدين لبته وهواه
سأه أن يرى الأخوة في الدين
ألفت بيننا أوامر شتى
إخوة ما وادنا حين نبديه
إخوة كلنا إلى الشرق يعزى
إخوة في السلاح . فينا كل يوم
كم ليال مرت علينا طوال
تنزى في قبضة الظلم . والظلم
خيرنا للغريب يغرف منه
إن بكى النيل شجوه فرع السند
لم نزل نرتمى على النار حتى
رحل المعتدون عنا وعنكم
غالبونا على حمانا . فلم تغلب .

م فلم يبق فيها مستريب
فاخضوضر الصفاء الجديب
رواق^{*} والمكرمات طنوب^{*}
بعين لها تكشف الغيوب
سجياً كأنه عندليب
ع على النجم ذيله مسحوب
وحبها د أيوبها ، المحبوب
فسادا والسرور دى ذيب (١)
حين حطت على حمانا الخطوب
د بورسعيد ، وثغرها مخضوب
عربي الهوى محب حبيب
من أرضه جناب خصب
فهو إن يدعه سميع مجيب
وفي الشرق حبها مقضوب
ليس يرقى إلى سناها الغروب
مريب ولا الولاء مشوب
وإلى دين أحمد منسوب
من قراع العدا وفيها ندوب
فجرها عن عيوننا محجوب
علينا رواقه مضروب
بيديه وحقنا مغضوب
إليه ودمعه مسكوب
باخ منها لهيها المشبوب
وطوى رحلة الزمان العصيب
ومن غالب الهدى مغلوب

(١) كات السهروردي رئيسا لوزراء الباكستان وقت العدوان الثلاثي فخذلنا وقد انتقم الله منه
فزع به في السجن بعد ثورة أيوب خان واتهم بالرشوة .

ومضى أشعبُ المطامع مقهور
وحنا الليثُ رأسه في خُشوع
لا ينالُ الحقوقَ من نامَ عنها
والأمانى عرائسُ مهرها غا
كتب الله أن يعزَّ ويرقى
كلُّ شعبٍ في النسابات صليب

* * *

يا أخا الموطن الطهور لك الإجلا
لست ضيفاً على العُروبة لكن
ود جمال ، يُضيفك وُدَّ شقيق
فارسُ السلم والنزال الملقى
رُزق البسطين جسا وعقلا
همّة في عزيمة في قضاء
وهو غيثٌ لقومه وغياثٌ
ذو فنون في حكمه وابتكار
رائدٌ شامت العروبة منه
وتلافي به الإله حمانا
قد عزنا به وكنا نهبا
حاش لله أن تضيع بلادٌ

* * *

فأبقيا للعُلا . ودوما على الود
وانصرا السلم على من يطلب الحر
واحذرا الخصم أن يدب إلينا
ذو اقتدار على الأذى وله كيدٌ
بارك الله في جمال وأبو
فبالود شمسنا لا تغيب
بُ إلى الرشد والصواب يثوب
فهو أفعى . وللأفاعى ديب
وفخ من حولنا منصوب
بَ وحيتهم الصبا والجنوب

على الجندى

عميد كلية دار العلوم السابق

الكتاب

نقد وتعرّف

لمؤلفه الأستاذ محمد عبد الله السمان

١ - اللع :

لأبي نصر السراج الطوسي المتوفى عام ٥٣٧٨ هـ هذا الكتاب من التراث الصوفي ، قام بتحقيقه الأستاذان : الدكتور عبد الحليم محمود أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين ، والأستاذ طه عبد الباقي سرور .

ذكر المحققان في تقديمهما للكتاب ومؤلفه : « أن مدرسة الجنيد الصوفية في بغداد ، كانت تقابلها هناك في نيسابور مدرسة أبي نصر السراج الطوسي ، وكلا المدرستين اعتصمت بالكتاب والسنة ، واتخذت من سيد المرسلين إماماً وقُدوة ، وجعلت من أشواق الحب الإلهي ومن إلهامات الروح القرآني ومن مثاليات الخلق الحمدي منهجاً في المعرفة ، وطريقاً في السلوك ... » .

كما ذكر أن كتاب اللع قد رسم المبادئ الصوفية النقية ، وقد استهدف في كل حرف

فيه ، غاية قصد إليها ، وحرص عليها ، وقد كان مؤلفه فيه العالم النفساني والحكيم الرباني ، وهو مبصر ببصيرة علوية يتسلل بها إلى خفايا الصدور ، وخفقات القلوب ، كما يتسلل إلى دقائق المعرفة ورقائق الذوق . أما الكتاب فهو عرض للتصوف والمتصوفين ، والأحوال والمقامات ، وأهل الصفة ، وآداب المتصوفة ، والسباع والوجد والكرامات ، ثم دفاع عن الشطحات الصوفية . والكتاب كمعظم الكتب الصوفية ، لا تخلو من اهتزازات في التفكير ، وتكلف في التأويل ، وشطط في المعاني ، فللصوفية مستنبطات في علوم مشكلة على فهم الفقهاء والعلماء . . . والعلم المستنبط هو علم الباطن ، وهو وقف على الصوفية ، كما أنه أهم من علم الظاهر وهو الشريعة . كما يزعم المؤلف .

وليس المجال مجال تعداد لما تضمنه الكتاب من شطحات لا يقرها الشرع ، ولكن الذي أثار عجب أن الأستاذين المحققين

يحتاج إلى كثير من الجهد الذي يمتزج
بالإنصاف والنزاهة .

٢ - صبر الخاطر :

للإمام ابن الجوزي .

ضبط هذا الكتاب وحققه الشيخ محمد الغزالي :
وابن الجوزي ليس في حاجة إلى تعريف فهو
من العلماء القلائل ، الذين أسدوا إلى الفكر
الإسلامي زاداً طيباً خالصاً من الثقافة العالية .
والكتاب كما يقول الشيخ الغزالي في تقديم
له : طراز فريد في الأدب الديني . . وبحوث
نفسية يتسم بصديق الفكرة وحسن البيان ،
ويستعرض من قضايا السلوك الإنساني والتأمل
الوجداني ما لا تبلى جدته ، أو ينتهى أمده .
والحق أن ابن الجوزي المتوفى عام ٥١٠ هـ
من وهب الله لهم القدرة على مخاطبة الجماهير ،
وتقصي أمراض المجتمع لعلاجها . والجرأة
في مواقف تستلزمها لتؤازر الحق .

تناول الكتاب ٣٧٣ موضوعاً ، دينياً
 واجتماعياً ونفسياً . وإنسانياً ، ولم يغلب على
ابن الجوزي في تناوله لهذه الموضوعات الطابع
الإنشائي ، بل ناقش وجادل ، وأيد منطقته
بالقرآن وصحيح السنة ، والمعتمد من أقوال
السلف الصالح . وإن كان الأسلوب الوعظي
قد بدأ واضحا .

ولقد تعقب الأفكار الصوفية المنحرفة ،
تعقبا عنيفا قاسيا لاهوادة فيه ، وماذا كان يفعل

يذكران في مقدمتهما من مناقب المؤلف ،
أنه وفد في رمضان إلى بغداد ، فأفردت له
غرفة خاصة في جامع « الشونيزية » وكان
الخادم يحضر له رغيفا كل ليلة ، فيضعه في
غرفته ، وفي يوم العيد وكان السراج قد رحل ،
وجد الخادم الثلاثين رغيفا دون أن تمس ١٠٠
ولنا وقفة سريعة مع الأستاذين المحققين ،
فالذي يعد من حسناتهما ، أنهما قد قدما
طبعة جديدة كاملة للكتاب ، حيث كان
في طبعة المستشرق الانجليزي نيكلسون
الأوربية قسم مفقود ، وبهذا نشر الكتاب
كاملا لأول مرة .

ولكن كنا نود أن يكون لمجهودهما أثر
أكبر في تحقيقهما للكتاب ، فكل ما في
الكتاب تخريج لما تضمنه من أحاديث
نبوية ، قد اضطلع بها شيخ الطريقة التيجانية
السيد محمد الحافظ التيجاني ، الذي بذل جهدا
مشكورا ، غير أنه لم يذكر درجة بعض
الأحاديث ، ومنها ما بلغ درجة المنكر ،
كحديث علي : علني رسول الله صلى الله عليه وسلم
سبعين بابا من العلم لم يعلم ذلك أحداً غيري .
وكنا ننتظر من الأستاذين أن
بتحقيق موجز لأعلام الكتاب ، ومناقشة
منصفة لما تضمنه من شطحات وألا يقيسا
قيمة كتاب صوفي بزيكية بعض المتصوفين له ،
فهذا الجانب القلق من الفكر الإسلامي

٣ - دعوة الإسلام :

لفضيلة الشيخ سيد سابق .

هذا كتاب جديد جاء في أربعة أبواب هي :

مصادر دعوة الإسلام :

الوحي - معجزة الإسلام - القرآن - السنة .

فسر الوحي وأنواعه تفسيراً طيباً ، وذكر أنه جاء ليحل مشكلات أعضلت الناس قديماً وحديثاً ، منها ما يتعلق بالعقيدة ، ومنها ما يتعلق بالمجتمع والإنسان والحياة .

ثم ذكر أن الوحي (أى القرآن) هو معجزة الإسلام الكبرى ، فالآيات الحسية كانت صالحة يوم أن كان العقل البشرى في الطور الذى لم يبلغ فيه الرشد بعد ، أما وقد بدأ الإنسان يدخل في سن الرشد ، وبدأت الحياة العقلية تأخذ طريقها إلى الظهور ، لم تعد الآيات الحسية هى الأدلة الوحيدة على صدق الرسالة .

وعرض فضيلته القرآن كمنهاج للزبية بشتى ألوانها ، والسنة كمصدر - يأتى بعد القرآن - للتشريع الإسلامى ، وروابط المجتمع فى صورها المتعددة ، تثبت بنائه ، وتدعمه ، وتصونه من عواصف الشر .

حين تعرض المؤلف للقرآن كمعجزة كبرى للإسلام ، كان فضيلته مناقشاً منطقياً على مستوى أعلى ، وكنا نود أن يسير إلى النهاية فى بحوثه ، لولا أنه قدم لنا موضوعات تكاد تكون مرتبطة فحسب ، بالعناصر الرئيسية التى اختارها لكتابته ، ومستقلة استقلالاً ذاتياً من الداخل . .

غير هذا ، وقد سبقه أبو نعيم فى حلبة الأولياء والقشيري فى رسالته ، والشعرانى فى طبقاته ، فأساءوا إلى الإسلام بما قصوه من أحوال الصوفيين ، وانضم إليهم أيضاً الطوسى فى لمعه . وهو يذكر لنا أن أحد الصوفيين تزوج وظلت زوجته معه ثلاثين عاماً وهى عذراء لم تقض بكارتها ، وإخوانه يقصون علينا ، أن عطاء السلى من المتصوفين قضى أربعين عاماً على سريره لم يغادره من شدة خوفه من الله ؟؟ .

ولنا كلمة مع الشيخ الغزالى محقق هذا الكتاب ، فهو يذكر فى تقديمه له ، وهو تقديم جيد فيه غيرة على التراث الإسلامى المهمل ، يذكر أنه خلال قراءته للكتاب ، شعر بأن النساخين والطابعين قد شوهوا نبذاً منه ، وكادت بعض أفكار المؤلف تخفى أو تطمس مع كثرة هذه الأخطاء ، فرأى أن يخدم المعنى الصحيح جهد الطاقة ، واختار لموضوعاته عناوين قريبة منها .

وهذا جهد يشكر عليه الشيخ الغزالى ، إلا أن تحقيق أى كتاب دينى يستلزم :

أولاً : تحقيق الأحاديث النبوية .

ثانياً : تحقيق الأعلام .

ثالثاً : مناقشة الأفكار التى تحتاج إلى مناقشة ، ولم يخل كتاب ابن الجوزى منها ، وهذا ما لم يفعله الشيخ الغزالى :

إن تحقيق التراث الإسلامى إحياء لها ، والجهد الذى يتكبده العالم فى تحقيق أى كتاب يجب أن يكون شاقاً مضمناً .

وفي الباب الثاني ، عرض للوسائل ، فعرض جانباً من النظريات الاقتصادية ، واعتبر أن وسائل التنفيذ هي : القرض الحسن ، والمشاركة برأس المال على الربح والخسارة ، ثم قيمة الأرض للزراعة ، ولكن هذه الوسائل في المجتمع الحديث هي : الفائدة والشركة المساهمة والتخطيط العلى والضرائب والتأمين والبنوك ، وأسسها على ضوء فلسفة الإسلام ، وضمنان الدولة لرأس المال ووعى الشعب والحكومة .

وفي الباب الثالث عرض للتوزيع ، فتحدث عن أهداف تقييم الجهود وتبادلها ، والقيمة في ظل الأنظمة الحديثة ، ثم في فلسفة الإسلام . بذل المؤلف جهداً مشكوراً في كتابه هذا - واستطاع أن يجمع نصوصاً إسلامية واضحة وهو المتخرج في كلية التجارة ، وكان حسناً منه أن يجمع النصوص الإسلامية في موضوعها ويتولى التعليق عليها وربطها بالموضوع إلا أن المؤلف كان عليه أولاً ، أن يدرس النصوص التي ساقها في كتب الفقه ، وهو يعرض لموضوع دقيق له خطورته وأهميته ، وألا يكتفى بتجميعها وحصرها ، ثم الضغط عليها لتساير منهج تفكيره في هذا البحث . . . وحسن نية المؤلف وإخلاصه للإسلام واضحة في الكتاب ، وهو يقدم أول إنتاجه ، ولا زال الطريق أمامه فسيحاً .

والواقع أن مثل هذه الموضوعات مكررة ، إلا أن فضيلة الشيخ سيد سابق ، أضنى عليها لونا من المناقشة الأدبية التي اتسمت بجانب من المنطق والأسلوب الجذاب ، وإن كان القارئ المثقف أصبح في حاجة إلى فكرة تناقض ، وتقارن بينها من الفكر القديمة والحديثة ، التي لم يخل - ولن يخلو - منها عصر من العصور ، أصبح في حاجة إلى الدعوة الإسلامية تقدم إليه كدراسة تأخذ طابع التعمق والتركيز . .

٤ - نظرية الإسلام - ملامح الاقتصادية :

للاستاذ عبد الحميد أحمد أبو سلمان جاء هذا الكتاب الموجز في ثلاثة أبواب : المبادئ ، حيث اعتبر المؤلف أن أهداف البشرية من الاقتصاد ، هي الرفاهية في عدالة ومساواة وحرية ، وأن عوامل الإنتاج هي الأرض ورأس المال ، وأن الأصل في ملكيتها يرجع إلى المجتمع ، وناقضن ملكية الفرد وأنها حق في الإسلام ، وأن الربيع والفائدة تنتمي للإسلام لأن السكسب للعمل ، وناقش نظام الوراثة وأنه في الإسلام يحافظ على مبادئ وأصول العدالة في المجتمع ، وذكر أن توزيع عوامل الإنتاج إذا ما اختلف ، اختلف التوازن العادل والذي هو من مبادئ العدالة الاجتماعية الإسلامية .

٥ - لماذا أسلمت؟

للأستاذ الكبير زكى عريبي المحامى

محاضرة موجزة مركزة ألقاها الأستاذ الكبير
فى جمعية الشبان المسلمين بعيد إعلان إسلامه .
والأستاذ الكبير يلخص الدوافع التى من
أجلها أعلن إسلامه فى دافعين ينطويان تحت
عنوانين رئيسيين هما : وجدان وعقيدة .
ويغرى الدافع الأول إلى البيئة الإسلامية
التي عاش فيها : « حى بولاق بالقاهرة ،
ويمزى الدافع الثانى إلى قوة العقيدة
الإسلامية نفسها كما وضع له من دراستها
دراسة استيعاب وتعمق .

والحق أن الأستاذ الكبير عرض الإسلام
عرضاً قيمياً ثم عن دراسة عميقة متزنة ، مما لم
يدع مجالاً ، فى أن إيمانه ، إنما جاء عن عقيدة
راسخة ، وفهم دقيق للإسلام كفكرة حية
تجواب معها العقليات الكبيرة من أمثال
الأستاذ زكى عريبي المحامى الكبير .

٦ - دراسات فى اللغة العربية :

للغفور له الشيخ محمد الخضر حسين .
مطبوعات المكتب الإسلامى بدمشق .
هذا الكتاب ... تناول موضوعات شتى :
أولها : القياس فى اللغة وهو دراسة نال
بها المؤلف عضوية هيئة كبار العلماء .
وثانيها : حياة اللغة العربية ، كانت محاضرة

ألقاها المؤلف عام ١٣٢٧هـ فى كبرى الجمعيات
الأدبية بتونس عند ما كان مدرساً بجامع
الزيتونة .

وثالثها : الاستشهاد بالحديث فى اللغة ،
ناقش المؤلف وجهات نظر القائلين بالاحتجاج
بما يروى من الأحاديث والقائلين بغير ذلك .

ورابعها : موضوع علم النحو ، ناقش فيه
آراء مؤلف كتاب إحياء النحو لأحد
أساتذة الجامعة المصرية .

ثم موضوعات أخرى كتب بحوثها فى مجلة
الهداية الإسلامية وقد كان منشئها وجمعية
الهداية أيضاً .

تناولت : التضمن فى اللغة ، وتيسير وضع
مصطلحات الألوان ، وطرق وضع
المصطلحات ، والرد على محاولة تبسيط قواعد
النحو والصرف ، ثم رسالة فى الإمتاع بما
يتوقف تأنيته على السماع .

لقد قدم المؤلف لهذه الدراسات بمقدمة
جليلة عن فضل اللغة العربية ومساريتها
للعلوم المدنية ، تناولت اللغة : أصلها ،
نشأتها ، التأثير المتبادل بينها وبين الفكر
ثم تأثير الإسلام فيها .

هذه الدراسات دراسات عميقة ، ولا أظن
علماً أو طالب علم أو باحثاً أو محققاً
لا يحتاج إليها .

أبناء الثقافة

• يطبع في هذه الأيام للأستاذ محمد جميل بهم المؤرخ اللبناني وأحد مؤسسي كلية المقاصد الإسلامية كتاب جديد عنوانه « فلسفة تاريخ محمد... يصدر الكتاب باللغتين العربية والفرنسية .

• تفتتح بعد أشهر قلائل (الجامعة الإسلامية) التي أنشأها حكومة المملكة العربية السعودية في (المدينة المنورة) . . وتقرر أن تقبل الجامعة الإسلامية طلاباً من جميع بلدان العالم العربي والإسلامي . سينتدب للتدريس فيها أساتذة من هذه البلدان . . بحيث تدرس المواد باللغات العربية والأوروبية والأندونيسية وغيرها . وستجرى الحكومة السعودية منحاً مالية على جميع الطلاب .

• تصدر (دار المعارف) بعد أيام كتاباً عن « جمال الدين الأفغاني ، في سلسلة كتب « نوابغ الفكر العربي ، ... وضع الكتاب الشيخ « محمود أبو رية ، ... وقد أثبت في كتابه أن الإمام الأفغاني ينحدر من سلالة عربية لجده هو الحسين رضى الله عنه ... مستنداً في ذلك إلى ما كتبه الإمام « محمد عبده ، في سيرة جمال الدين .

• نشر المستشرق الإيطالي « الدكتور مارتينو ماريو مورينو ، في مجلة « المشرق ، التي تصدر في روما باللغتين الإيطالية والعربية عدة بحوث عن كتاب (أدبنا وأدباؤنا في المهجر) الذي ألفه الشاعر المهجري « جورج صيدح ، وتحدث فيه عن أثر الأدباء العرب المغتربين في المهاجر الأمريكية في تطور الفكر العربي خلال نصف القرن الأخير .

• يطبع الدكتور « صالح الأشقر ، الأستاذ بكلية آداب دمشق كتابه عن « نكبة فلسطين وأثرها في الشعر العربي الحديث ، وقد درس فيه كل ما قاله شعراء العربية في نكبة فلسطين . • في إحصاء نشرته أحد الصحف الألمانية أن عدد المخطوطات القديمة في دار الكتب المصرية بلغ ٧٢ ألفاً ، بينما لا يزيد عدد المخطوطات الموجودة في سائر مكتبات العالم عن ٣٨ ألفاً بما فيها مكتبات استانبول وباريس وفيينا ... وهذه المخطوطات جميعها باللغة العربية .

• يزور القاهرة في الشهر المقبل « الشاعر القروي ، الذي عاش في المهجر أكثر من نصف قرن ، وذلك للإشراف على طبع

بعض كبار المقرئين للسفر في شهر رمضان
الكريم في مقر الجمعية الإسلامية

بيونس آيريس .

* صدر في المغرب كتابان عن « جامعة
القرويين ، لمناسبة الاحتفال بمرور ١١ قرناً
على إنشائها ، الأول الأستاذ « عبد الهادي
التازي » . والثاني للأستاذ « محمد الطيحي » .

* الأستاذ أنور الجندى انتهى من كتابه عن
« المعارك الأدبية في العصر الحديث » ، الذي
تناول فيه ما كان يدور من المعارك بين أدباء
العروبة على صفحات « الرسالة » ، و « الثقافة » .

* سيصدر بعد شهر الجزء الأول من المعجم
الوسيط الذي ألفته لجنة من أعضاء مجمع اللغة
العربية وضمنته طائفة كبيرة من المصطلحات
الحديثة والألفاظ التي أقرها المجمع وهو
موضح بالتعريفات العلمية الدقيقة ومحل
بالصور الشارحة للحيوان والنبات والأدوات
وسيصدر جزءه الثاني في يناير من سنة ١٩٦١ .

* ستجتمع لجنة النشر في المجلس الأعلى لرعاية
الآداب والفنون والعلوم الاجتماعية للنظر
من جديد في مشروع الألف كتاب من حيث
الاختيار والإخراج والنشر .

ديوانه على نفقة وزارة التربية والتعليم
المركزية .

* صدرت مجلة عربية جديدة في لندن اسمها
« الأصوات » . قال محررها وهو المستشرق
« دينس ديفيز » أن المجلة ستكون ميداناً لأفلام
كتاب العرب ومفكرى أوروبا المهتمين
بالثقافة العالمية القديمة والحديثة . . وأنها
ستعنى في أبحاثها بتطورات الحياة الاجتماعية
في الأفطار العربية والإسلامية ودراسة
الكتب القيمة التي تصدر في أنحاء العالم .

* يؤلف الأستاذ رشيد الخورى الكاتب
الفلسطيني المعروف كتاباً عن فقيه العربية
الأديب الكبير المرحوم « محمد إسماعيل
الناشبي » ، يدرس فيه حياته ومؤلفاته . .
ينتظر أن يصدر الكتاب بعد ستة أشهر .

* كتاب « القومية العربية » ، الذي ألفه
الأمير « مصطفى الشهابي » ، سيعاد طبعه على
نفقة معهد الدراسات العربية العليا . . إذ
نفدت طبعته الأولى . . كان الأمير الشهابي
قد ألقى فصول الكتاب على طلاب معهد
الدراسات العربية في العام الماضي .

* دعت الجالية الإسلامية في الأرجنتين

بريد المجلة

في شخصكم الكريم مع الشعب العربي الممثل في رئيس الجمهورية العربية المتحدة لمن أقوى صور البشريات في إعلاء صوت الحق وجمع الكلمة على خدمة المبادئ الإنسانية السامية التي نزل بها الوحي الأمين ، وكان لكل من الشعبين في تاريخه الطويل أثر في استخلاص تلك المبادئ من مصادرها الأولى والحفاظ عليها . وإن الأزهر ورجاله الذي وقف نفسه على خدمة تلك المبادئ ليرحب بكم في تلمك الزيارة وهذا الالتقاء ويدعو الله للجميع بدوام التوفيق في خدمة الإنسانية والسلام .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟
محمود شلتوت

الأستاذ الأكبر يستقبل الواعظ الخاص
للمرئيس أيزنهاور :

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر بمكتبه الدكتور ادوارد أسن الواعظ الخاص للرئيس أيزنهاور يرافقه الدكتور تنسي المحامي بأمريكا ، ومستر كرينج مدير جماعة الاتصال بالشرق الأوسط بالقاهرة .

إلى السيد الرئيس جمال عبد الناصر
من الأستاذ الأكبر :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته - وبعد :
فإن كليتك بالأمس في حفل الاتحاد القومي بجامعة القاهرة رفعت شأن العروبة وركزتها على أساس من الإسلام الصحيح والعقيدة القوية والإيمان الصادق وحققت بذلك في الأمة الإسلامية وشعوبها قوله تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

حققت ذلك دون تفرقة بعنصرية أو طائفية أو جنسية ، فسر في طريقك فالله معك ، ونحن من ورائك صفوفًا متراسة ، لخدمة الإنسانية عن طريق الإسلام .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟
محمود شلتوت

من الأستاذ الأكبر

إلى فخامة الرئيس محمد أيوب خان :

رئيس جمهورية باكستان
سلام الله عليكم ورحمته وبركاته - وبعد :
فإن التقاء الشعب الباكستاني الممثل

تضع يدها في أيدينا لإنقاذ هذين الشعبين .
فقال الضيف : إنى لأرجو أن تعلم فضيلتكم
بأن مشكلة اللاجئين الفلسطينيين قد عملت
أمريكا على علاجها ، ونحن ننشر هذه الرسالة
ونرجو أن يستمر نشرها بين العالم ثم أضاف
الزائر بأن من أعظم المباني الموجودة في
أمريكا مسجد واشنطن الكبير الذى افتتحه
الرئيس أيزنهاور عام ١٩٥٧ وإنى أتى كل عام
محاضرة في معهد الدراسات الإسلامية في
المركز الثقافى الإسلامى بواشنطن ، ومصدر
الإشعاع الدينى والروحى فى الولايات المتحدة
حتى يفهم العالم حقيقةتها .

فقال الأستاذ الأكبر : إن الأزهر يرجو
أن يضع الرئيس أيزنهاور يده في يد الرئيس
جمال عبد الناصر لدعم السلام العالمى وتأكيده
التحية والوئام بين الشعوب جميعها .

فقال الزائر : إن الساعة التى التقي فيها الرئيسان
العظيمان كانت فرصة طيبة لتحسين العلاقات
الودية بين الولايات المتحدة والجمهورية
العربية المتحدة ولا عجب فهما يتمتعان بالروح
العسكرية والسياسية والدينية ، وإن الشعب
الأمريكى يهتم اهتماما بالغاً بإقامة علاقات
ودية بينه وبين جميع الشعوب . ومما
هو جدير بالذكر أنه يفهم الروح الشرقية
فهما بالغاً ، ويقدرها حق قدرها .

فقال الأستاذ الأكبر : إن هذه ضمن مبادئ

وبعد أن رحب بهم فضيلته قال : يجب
أن يعمل القادرون على إنصاف الضعفاء
وردد حقوقهم إليهم ، وأن تعمل الولايات
المتحدة على إقامة عدالة عالمية بين الشعوب .
فقال الزائر : إن الشعب الأمريكى يفهم
الحقائق الإنسانية ويقدرها لا من المدنية
المعاصرة ولكن من إيمانه بالله وبالمثل
العليا ، والمبادئ الإنسانية السامية .

فقال الأستاذ الأكبر : إننا نرجو أن
يمىء الله السليل لغرس كلمة التوحيد فى نفوس
الناس جميعا ، حتى يستلموا النور والهداية
والتوفيق فى حياتهم ومعاشهم ، كما نرجو
أن تعمل حكومتكم على مساعدة الشعوب
المتطلعة إلى الحرية لتنال حقها من الحرية
والرخاء .

فقال الزائر : إن العقائد الدينية تسير بين
الشعب الأمريكى فى حرية تامة سواء كانت
هذه العقائد يتمتع بها الأقلية أو الأغلبية .

فقال الأستاذ الأكبر : إننا نرجو
للشعوب الضعيفة أن تعيش فى حياة من
الرحمة والتعاون لتتمتع بأنعم الله فى أرضه
فلدينا لاجئو فلسطين . ولدينا ثورة الجزائر
لنيل حريتها وهما مشكلتان من المشاكل
العالمية الخطورة وأملنا قوياً فى أن تعمل
أمريكا على رد الحقوق إلى أهلها وعلاج
هاتين المشكلتين . كما نريد من أمريكا أن

في أوقات فراغه إلا مصليا وقت الفريضة ،
أو قارئا القرآن .

و « محمد نور الدين » - ليوروس سابقا -
أصله من كاليفورنيا ، وقد ورث عن أبويه
هوايتي الموسيقى والغناء ، ثم اضطر أن يقلب
الهوايتين الى احتراف ليعيش ولمع نجمه
في الأندية الليلية وفي الإذاعة وفي التلفزيون
وفي السينما بأمريكا ، وفي برودواي قلب
أضواء العالم على الأخير . . وعاش يطوف
العالم حتى وصل إلى القاهرة ليقدم فيها فترة
وما كاد يستقر فيها أياما حتى ذهب إلى شيخ
الآزهر يطلب إشهار إسلامه وتلقيته أصول
الدين وتعليمه اللغة العربية ، وحقق له الشيخ
الأكبر طلباته ، وأتم إجراءات إشهار إسلامه
وعين له مدرسا من الأزهر .

سألت « محمد نور الدين » : كيف اعتنقت
الإسلام ؟

فأجاب عن : عقيدة . . وهذه أمنيقي
من زمن طويل . . وكنت أنزق الفرصة
أن أجيء إلى القاهرة لأحققها . . فلما سنحت
الفرصة اغتنمتها . إنني أرى في الإسلام
عظمة الدين الحى وجلال الوحدةانية . وقد
يدهشك أن تعلم أنني لا أشرب الخمر ولا أدخن
ولا آكل لحم الخنزير .

وحدثني عن مشروعاته للمستقبل . . إنه
ينوى أن يجعل القاهرة محل إقامته وموطنه

الإسلام السامية ، والتي إن اتخذتها البشرية
عنوانا لها سادها السلام والطمانينة والرفاهية
فالإسلام يدعو إلى التراحم والتواد والتعاطف
واحترام الحقوق ورد الأمانات إلى أهلها .
هذا ثم شكر الزائر لفضيلته حسن استقباله
وإتاحة الفرصة لهذه الزيارة التي تتمتع فيها
بالحديث مع فضيلة الأستاذ الأكبر عن نواح
ثقافية وفلسفية وإنسانية سامية .

فقال الأستاذ الأكبر : إنى ليسرنى ذلك
سرورى بهذا اللقاء الكريم ، ثم أضاف
أن الأزهر على استعداد لأن يبعث إليكم
بجميع مناهجه وخططه الدراسية والثقافية .
ويسعدنى أن تعلموا أن بالأزهر جهازا
قويا لنشر الثقافة الإسلامية بين جميع الشعوب
فبالأزهر معهد الإعداد والتوجيه والإدارة
العامة للثقافة الإسلامية ، ومجلة الأزهر التي
تصدر باللغتين العربية والانجليزية .

كما أن مهمة الأزهر هي أن تتمتع جميع
الشعوب بحقها في الحياة من حرية ومساواة
ورخاء .

محمد الأزهرى الأمريكى :

اسمه الآن « محمد الأزهرى » . . أمريكى
وأشهر عازف في أمريكا وأوربا . . والذي
دعاه بهذا الاسم الجديد هو « فضيلة الشيخ
شلتوت » ، شيخ الأزهر عندما أشهر إسلامه
على يديه منذ أيام . . وأنت لا تلقى الأمريكى
المسلم في غرفته رقم ٤٠٤ بفندق هيلتون

هذه بعض عبارات الرئيس الباكستاني ،
وضع فيها النقط على الحروف ..
ونحن نتساءل والاسي يملأ جوانحننا :

على من تقع اللائمة في أن يظل المجتمع
الإسلامي رمزاً على التخلف والفقر ، رغم
أن الإسلام دين تقدمي ؟

ولا أظن أن هناك خلافاً في القول بأن
العقلية الدينية الآسنة هي أقوى وأصلب
العقبات في سبيل النهوض للمجتمع الإسلامي ..
هذه العقلية التي لازالت تتمثل في ثنات
عديدة في سائر البلاد الإسلامية ، ولا تحمل
في عقولها فقها أو علما ، وإنما تحمل في أيديها
هراوات غليظة تهدد بها العقليات المتحررة ،
هذه العقلية يحتاج الإسلام أولا إلى التخلص
منها لكي يثبت أنه دين تقدمي ... ولكن
أين هي القوة التي تعمل على إزالتها
من الطريق ..

لسنا بسبب ضرب الأمثلة ، ولكن حسبنا
أن نعلم أن في بعض البلاد الإسلامية لازال
يعتبر تعليم البنات جريمة ، وأن في إنشاء مدارس
البنات خروجاً على الدين ..

وحسبنا أن نعلم أن في قلب القاهرة عقليات
لازالت تعتبر صوت المرأة عورة ، وعملها
في ميدانها فوضى لا يقرها الدين ، وأن
في كشفها عن وجهها عدواناً على الشريعة
الإسلامية .

الأصلي ، وأن يتزوج مسئلة منها .. حتى
يخدم الإسلام في قلب الوطن الإسلامي العربي
الأكبر .

لفتة كريهة ... من الرئيس الباكستاني :

في الحفل الذي أقامه الاتحاد القومي
في ١٩٦٠/١١/٧ تكريماً للرئيس الباكستاني
أيوب خان ، تحدث الرئيس الباكستاني ،
فأفاض في حديثه ، ومس ببعض عباراته
قلوبنا . قال :

« إننا نعتقد أن ديننا هو دين تقدمي ،
وأنه دين يشجع استخدام العقل ، وأنه دين
يجب أن يساعدنا على أن نساير الزمن
في التقدم ... ولكن هل يمكنكم القول بأن
ذلك قد حدث فعلا ، إذا ما فكرنا في ذلك
أو ألقينا نظرة على المجتمع الإسلامي في سائر
أنحاء العالم ، نجد أن هذا المجتمع الإسلامي
أكثر المجتمعات تخلفاً وفقراً وقد ظل
راكداً ...

لا يدعونا ذلك إلى الاهتمام بالبحث عن هذه
الآخطاء ، وما الذي يجب إصلاحه ، وإن
أعتقد أن مهمة كل مسلم مفكر أن يجد السبب ،
وأن نجد ما ينبغي أن نفعله لإصلاح
هذا الوضع ..

بفطاما . ولم يستسغ ذوقى هذا التفسير ، وسبق إلى ذهني خطأ المذيع في النقل ، فأسرعت إلى ما لدى من تفاسير ، فوجدت ما قاله المفسرون في : الجلالين ، والنسفي ، والخطيب الشربيني ، والتفسير الوسط متفقاً مع ما قاله المذيع فرجعت إلى متون اللغة فوجدت مختار الصحاح مادة (فصل) يقول : وفصل الرضيع عن أمه ، يفصله بالكسر فصلاً ... أى أبعد عنها . وهذا المعنى هو الذى يتفق وسياق الآيات ... وبالتالي نظرت في البيضاوى ، فوجدته قد تنبه إلى فهم هذا المعنى غير أنه خصه بأن يكون قبل الحولين ، فكأنه توصل بين أقوال المفسرين وبين ما فهمه .

ووجدت جميعهم متفقين على أن الأم مأمورة ندباً بالرضاع ، والأب مأمور فرضاً بالإتفاق ، إلا لضرورة تلزم الأم حفظاً لحياة الطفل .

فكان عجيباً منهم بعد إجماعهم هذا تفسير الفصل بالفطام . والفطام لا يكون إلا بعد مدة الرضاع الضرورية . فلا معنى إذا التراضى عليه والتشاور فيه . لأنها إن كانت مؤجرة فالأمر لدافع الأجر ، وإن كانت متبرعة فالأمر لها بعد مضي مدة الرضاع ، فعلى أى يكون التراضى والتشاور ؟

يتبين من هذا : أن السياق ، والمعنى العام

وأن في قلب القاهرة عقليات ترى أن الصلاة في الزى الإفرنجى لا تصح ، وأن غطاء الرأس يجب أن يكون للمسلم عمامة ذات ذؤابة مرخاة ، وأن المذيع مزارع للشيطان ، وأن شتى الفنون الجميلة عبث وترف .. !

نحن لا ننكر أن في البلاد الإسلامية عقليات متحررة تستطيع في أيام معدودة أن تأتى على العقليات المتزمتة ، ولكن هذه العقليات المتحررة في بعض البلاد الإسلامية حرة في تفكيرها وحسب ، ولا تملك من الحرية شروى نقيير إذا أرادت أن تعبر عن هذا التفكير ...

هذه لفظة كريمة من الرئيس الباكستاني الذى يحمل للإسلام بين جنبيه إجلالاً وتقديراً لعلها تثير خواطر المشفقين على الدين من العقليات المتحررة التى لا ترجو للإسلام سوى المكانة التى تليق به كدين تقدمى .. !

محمد عبد الله السامح

حول معنى (فصلا)

في قوله تعالى :

« فإن أرادوا فصلاً عن تراض منهما وتشاور (٢٢٣) سورة البقرة . »

استمعت إلى إذاعة التفسير قبل التلاوة ، وفيها هذه الآيات . وقد فسر المذيع فصلاً .

سديد ، والصواب ما ذكرناه ، والله سبحانه
وتعالى أعلم بمراده . وما أردت غير السعي
وراء الحقيقة والوصول إلى الصواب .

محمد رضوان أحمد

عضو نقابة الصحفيين بالقاهرة

الصواب لفظ لوبيا :

ما زال الكثير من الكتاب يستعملون
كلمة « ليبيا ، بدلا من « لوبيا ، عندما
يتعرضون لذكر هذا القطر العربي وهم في
هذا الاستعمال إما مدفوعون بحكم العادة
وانتشار هذا الخطأ تمشياً مع ما جرى به
القول من أن الخطأ المشهور خير من الصواب
المهجور ، ولما أنهم في استعمالهم هذا يعتقدون
صحة هذه الكلمة . وعلى كل فإن الأدلة العلمية
المتعددة تدفعنا إلى تخطئة كلمة « ليبيا ، وتحتّم
علينا تصحيحها بكلمة « لوبيا ، وضرورة
الآخذ بهذه الكلمة الصحيحة . وقد سبق
التعرض لهذه التسمية ووجوب استعمال
الاسم الصحيح لهذا البلد العربي في كتاب
« المجلد في تاريخ لوبيا ، (١) .

فنحن إذا رجعنا إلى المصادر العربية
القديمة التي تعرضت لهذه الكلمة نجدها تؤيد

للآيات التي منها هذه الآية يحتمل تفسير
الفصل بفصل الولد وإبعاده عن أمه زمن
الرضاع ، لا زمن الفطام ... ولهذا كان
اشتراط التراضي والمشاور حرصاً على مصلحة
الولد أولاً ، ومصلحة الوالدين ثانياً .

اقرأ قوله تعالى : « والوالدان يرضعن
أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم
الرضاعة ، وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن
بالمعروف (أى إن كن مطلقات) لا تكلف
نفس إلا وسعها ، لا تضار والدة بولدها - بأن
تلتزم بإرضاعه دون مقابل وهي غير زوج
لوالده - ولا مولود له بولده - بأن يكلف بما
فوق قدرته - وعلى الوارث مثل ذلك - مثل
ما يجب على الوالد - فإن أراداً فصلاً - أى
فصل الولد عن أمه زمن الرضاع - شرع أن
يكون ذلك - عن تراض منهما وتشاور -
في هذا الفصل حرصاً على المصلحة العامة -
فلا جناح عليهما ، أى فلا إثم عليهما ، إذ
الإثم عند عدم التراضي لما يترتب عليه
من ضرر .

ويؤيد هذا التفسير قوله تعالى بعد ذلك :
« وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم - أى
مراضع غير الأمهات من وقت الولادة -
فلا جناح عليكم - أى لا إثم إذ هذا حقكم ،
تفسير فصلاً بقطاً خطأ واضح ،
وتفسير البيضاوى بأنه قبل العامين غير

(١) مصطفى بهيو : المجلد في تاريخ لوبيا .
الإسكندرية سنة ١٩٤٧ .

المترجمون مراعاة للفظ الفرنسيين بها مع أن الصواب في تعريب حرف الياء اليونانية y هو الواو كما هو في أصل اللغة اليونانية وبها سمي النبات المعروف باللوبيا .

هذا وقد تعرض المجمع اللغوى بالقاهرة لهذه الكلمة واعتمدها في معجمه الجغرافى على أنها « لوبيا » وقد ساهم في وضع هذا المعجم الأساتذة الأعلام الشيخ السكندرى والأب أنستاس السكرملى والدكتور ليمان إلى جانب من عاونهم من الخبراء المصريين المشهور لهم بالدقة العلمية وطول الباع في البحث الصحيح وقد استجاب لهذا التصحيح الكثير من المؤلفين المدققين وكان في مقدمتهم الأستاذ البجائية سليم حسن في موسوعته التاريخية التى أخرجها عن تاريخ مصر القديمة في أجزاء متعددة وغيره من الباحثين والعلماء . والغريب أن هذه الكلمة بقدر ما صادفت من تعثر في اللغة العربية قد لاقت لكثير من التحريف والتبديل في اللغات الأوربية فقد اختلف رسمها باختلاف هذه اللغات ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد . بل كان رسمها أحيانا يختلف باختلاف الكتاب في اللغة الواحدة ، وإذا كان هناك ما يبرر قبول اختلاف رسمها باختلاف اللغات الأوربية حسب نطق أهلها فإن اختلاف رسمها في اللغة الواحدة ، أمر يدعو إلى العجب والتساؤل

صححة كلمة « لوبيا » بدل « ليبيا » فهذا ابن عبد الحكم^(١) في كتابه يذكرها لنا بالواو بدل الياء فيقول لنا « ... وكان البربر بفلسطين وكان ملكهم جالوت فلما قتله داود عليه السلام خرج البربر متوجهين إلى المغرب حتى انتهوا إلى لوبية ومراقبة ... » وهذا ابن دسته يذكرها لنا بالواو بدل الياء في كتابه الأعلاق النفيسة^(٢) فيقول « ثم يصير في عمل لوبية وهى كورة تجرى مجرى كور الإسكندرية ... » وهكذا فعل كل من المقرئى في خططه والسيوطى في كتابه « حسن المحاضرة » .

وأما شيخ العربى المرحوم أحمد زكى باشا المعروف بتضلعه في اللغة وفقها وفى التاريخ الإسلامى وحوادثه فقد كتب لنا بخصوص هذه الكلمة في قاموسه^(٣) الذى أخرج له لنا ما يأتى « لوبيا اسم الصحراء تفصل ديار مصر وإيالة طرابلس الغرب وتسمى عند الإفرنج « Lybie » وصحة اسمها بالعربية لوبيا كما وردت في كتب الجغرافية العربية وفى طبقات الأطباء وغيره لا بالياء كما نقله

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها « ليون سنة ١٩٢٠ » ص ١٧ .

(٢) ابن دسته : الأعلاق النفيسة « ليدن سنة ١٨٩١ » المجلد السابع ص ٣٤٢ .

(٣) أحمد زكى : قاموس الجغرافية القديمة بالعربى والفرنساوى الطبعة الأميرية نمرة ١٨٩٩ ، ص ٣٣ .

في المجلة الإيطالية - Rivista Della Tripoli itania^(١) التي كانت تصدرها وزارة المستعمرات الإيطالية ، أما دائرة المعارف الإيطالية ، فقد رسمتها Libia كما هو في الجزء الحادى والعشرون منها .

وأما المؤلفون الفرنسيون فقد تعود بعضهم كتابتها Libya كما في كتاب الأستاذ ديوبو جان^(٢) .

هذه عجالة قصيرة توضح لنا ضرورة الأخذ بكلمة « لوبيا » ، وفي ذلك تصحيح لاسم هذا البلد العربى كما ترينا مدى ما تعرض له اسم هذا البلد من اختلاف فى طريقة كتابته باختلاف اللغات الأوروبية بل باختلاف الأفراد أنفسهم .

مصطفى يعقوب الطرابلسى

٢ - العدد الثالث . السنة الثالثة (روما - ميلانو سنة ١٩٢٧) .

(2) DEPOIS Jean : La Colouisation Italienne en Libya .

فبعض المؤلفين من الانجليز يكتبونها (Lybia)^(١) والبعض الآخر يكتبها (Libya)^(٢) وقد تختلف كتابة هذه الكلمة فى كتب متعددة تضمنها مجموعة واحدة فتناول موضوعاً واحداً من أطرافه المتشعبة كما هى الحال فى مجموعة .

(Handbook on Cylenaica) التى أشرف على إصدارها رجال الإدارة البريطانية لبرقة بالاشتراك مع بعض الأساقفة الإخصائيين وذلك فيما بين ١٩٤٤ - ١٩٤٧ .

وكذلك اختلف المؤلفون الإيطاليون فى طريقة كتابتها ، فبعضهم يكتبها Libya كما هى الحال

١ - من أمثلة ذلك :

R. S. Plavfair: Travels in the bootsteps of Bluce, London 1877 .

A. J. Cachia: Lybia under the Selgnd ottoman occpation Tlipoli 1945

٢ - من أمثلة ذلك :

David Randall: Libyan Notes, London 1901 .

مجلة الأهرام

مجلة شهرية جامعية

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
المنشور
إدارة إجماع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦٢١٤

يشترك في التحرير
عبد الرحمن محمد العقاد
مدير التحرير
محمد الشوقى
بدر الاستاذ

الجزء السابع - رجب سنة ١٣٨٠ هـ - ديسمبر ١٩٦٠ م - المجلد الثانى والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

مَكِينُوا لِأَزْهَرُ فِي إِفْرِيقِيَا الْجَدِيدَةِ

بقلم : أحمد حسن الزيات

على أيدي المتاجرين من العرب والمهاجرين من المسلمين ، فرأى من هدام به الله من الأفريقيين أن فوق الأرض التي يخيم عليها الظلام سماء ينبثق منها النور ، وأن للإنسان الذى استضعف واستغل إلها قاهراً فوق عباده يجعلهم إخوة بالإيمان وسواسية بالعدل ، فربأوا بإنسانيتهم عن الذل ، وضنوا بكرامتهم على الهون . إلا أن هذا البصيص ظل خائياً في قلوبهم لا يشع ولا يشيع لا تقطاعه عن مشرق الوحى ، فلم يصله به سبب من لغة الكسحاب ،

أفريقيا التي غاب معظمها عن الوجود الإنسانى في ظلام الجاهلية والوثنية والاستعمار والرق منذ دحا الله الأرض أخذت تنبعث وتنبت وتحرر . وكان هذا الانبعاث وما تلاه استجابة لنفخة الصور التي صدرت عن الثورة الناصرية في مصر فدوى صداها في أرجاء الشرق كله فأيقظ الراقد ونبه الغفلان .

وكان الإسلام من قبل ذلك قد أرسل بصيصاً من نوره في خلال هذه الظلمة الغاشية

ولقد دهش لهذه الجاذبية في الإسلام دعاة المسيحية ورواد الاستعمار من مبشرى الانجليز والفرنسيين والبلجيكين واليطاليين والأمريكان وتساءلوا فيما بينهم : كيف عجزوا عن تنصير الوثنيين بالطرق المؤدبة والوسائل المغرية من تعليم وتطبيب وتمدين وإغراء بالمال وإحياء بالقوة ، حيث استطاع الإسلام الصامت الأعزل أن يتسلل ويتغلغل وينتشر من غير حكومات تسنده ولا جمعيات ترفده ولا مغريات تجذب إليه . ثم حاول المتخصصون منهم والمفلسفون فيهم أن يحميوا عن هذا السؤال وأن يكشفوا عن هذه الحال بالدرس والتحليل فلم يستطيعوا . فسلخوا بالامر الواقع وقالوا الاحيلة إلا أن نستغل هذه القوة الكامنة في الإسلام في إخراج الوثنيين البذائين من الظلام إلى النور ، حتى إذا فتحو أعينهم على أضواء مدينتنا تهافتوا عليها تهافت الفراش . قال أحد مؤرخي الكنيسة وقد صار كردينالا ما ترجمته . . إن الإسلام قنطرة للشعوب الأفريقية يعبرون عليها من ضفة الوثنية إلى ضفة المسيحية . فمن حقه أن نعامله بالمياسرة والحسنى . ومن واجبتنا أن نساعد على اتساع نطاقه وامتداد أفقه ، بإجراء الأرزاق على المساجد ، وتوفير الأموال للبعاهد ، ليكون رائدا لمدينة فرنسا فتفتح على يديه البلاد .

ولامامة من حديث الرسول ، فهم يحفظون بعض الآيات عن تلقين لا عن فهم ، ويؤدون كل الشعائر عن تقليد لا عن فقه ، ومع ذلك نفذت أشعة الإسلام من بين أطباق هذا الغمام إلى قلوب الوثنيين الآخرين في سرعة الدعوة المستجابة ، لأنه دين الفطرة فلا تعقيد فيه ولا عسر ، ولأنه مظهر الوحدانية فلا وساطة فيه ولا سر ، فدان به في الحبشة ثلاثة ملايين ومائتان وخمسة وأربعون ألفا وثلاثمائة وتسعون . وفي أوغندا ثلاثمائة وستون ألفا . وفي الصومال الشمال والشرقي والأوسط مليون وسبعائة وستة وأربعون ألفا وثلاثمائة واحد وأربعون ، وفي زنجبار ثلاثمائة ألف . وفي كينيا مائتا ألف . وفي تنجانيقا مليون ونصف . وفي روديسيا ونياسالاند مائة وثمانية وثلاثون ألفا . وفي موزنبيق ستائة وخمسون ألفا . وفي جنوب أفريقيا ثمانية وثمانون ألفا . وفي أفريقيا الغربية الفرنسية سبعة ملايين ونصف . وفي نيجيريا ثلاثة وعشرون مليوناً . وفي توجولند ثلاثون ألفا . وفي غابا مائة وخمسون ألفا . وفي غمبيا مائة وعشرون ألفا . وفي ليبيريا نصف مليون . وفي الكمرون نصف مليون . وفي الكونغو أربعائة ألف . وذلك لإحصاء أتت عليه عشر سنين . فمن الطبيعي أن يكون قد ازداد بالدخول في الإسلام وبالولادة من المسلمين .

ليجلوا كلمة الله في أذهان قوم لبستها عليهم
العجمة والجمالة . وإن عدد هؤلاء الطلاب
الأغراب ليربى اليوم على ثلاثة آلاف .
ولكنه عدد لا يزال أقل مما يتطلبه الجهاد
الروحي في أفريقيا الجديدة : فإن تراجع
الاستعمار عن أكثرها يفتح الأبواب ويهيئ
الأسباب للجهاديين في سبيل الدين واللغة .
فلا بد إذن من تمكين الدولة للأزهر في هذه
الأرض البكر بأن تمدّه بالمال وتسندّه بالنفوذ
ليحقق لها عن طريق الخير والحق ما كانت
ترجوه فرنسا منه عن طريق الشر والباطل .

إن بذل المال والجهد في معونة الأزهر
يحرر أفريقيا الوثنية من عبودية الروح
والعقل والجسد ، وهو كسب سياسي ضخم
حاول المستعمرون طويلا أن ينالوه بالدهاء
والاغراء والدماء والزمن فما استطاعوا .
ثم كانت عافيتهم أن اجثوا من فوق الأرض
الطيبة كما يحدث النبات الطفيل السام من حقول
الحنطة ! ذلك بأنهم استولوا على أصحاب
الأرض ، فتميزوا عليهم بالقوة ، واستأثروا
دونهم بالثروة ، وتركوهم للعمرى والجوع
والمرض والجهل والمشقة .

أما الإسلام فسيدخل فيهم دخول النور
في العين والسورور في القلب والبرء في السقم
والصلاح في الفساد والنظام في الفوضى ،

هذه هي قوة الإسلام في رأى المبشر ،
وذلك هو أثره في رأى المستعمر ، فكيف
نموق هذه القوة ونضعف ذلك الأثر بتركهما
إلى الطبيعة ينفذان من الحواجز والسدود
كما ينفذ الماء اللين السلس بين جلاميد الصخر !
سيخرق الماء الحجر على طول الزمن ولا شك
فيتدفق الشلال ويفيض النهر وتخصب الحياة .
ولكننا لو نسفنا الحجارة من طريقه ،
وكشفنا الركام عن منبعه ، اختصرنا الزمن
وقربنا المسافة . والأداة التي تنسف وتكشف
وتحط وتترود هي الأزهر . والأزهر في
القاهرة والكعبة في مكة هما الكلمتان اللتان
تجمعان معنى الإسلام في ذهن الأفريقي المسلم ،
يتجه إلى المسجد الحرام في معنى عقيدته ،
كما يتجه إلى الأزهر الشريف في معنى شريعته .
ولم يقصر الأزهر في مد القارة المظلمة بالنور على
قدر طاقته وفي حدود إمكانه . فأرسل نفرا
من فقهاءه ووعاظه إلى الصومال والحبشة
وبعض جهات أخرى . ثم رأى أن يكون
هؤلاء الدعاة والهداة من أهل تلك الشعوب
استرشادا بقول الله عزت حكمته : وما
أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ،
فأنشأ مدينة البحوث وآوى إليها طلاب العلم
من شباب أفريقيا وآسيا وكفل لهم الغذاء
والبسكس والمسكن وأخذ يعرب ألسنتهم
ويفقه أفئدتهم ، ويزودهم بوسائل الدعوة

فلا يجدون في مجتمعه سيدا لأنه أبيض ، ولا مسودا لأنه أسود ، وإنما يجدون الناس فيه أحرارا كما ولدوا ، متساوين أينما وجدوا ، يتقاسمون بينهم طيبات الرزق وفرص العيش ، لا بتسخط فاقده على واحد ، ولا بتسلط قوى على ضعيف .

فيذا استبطنوه بالفهم الصحيح ، واستيقنوه بالإيمان الخالص رفعتهم إلى أفق الإنسانية الحرة والإسلامية الكريمة ، حيث لا يتميز لون على لون ، ولا يسيطر عنصر على عنصر ، وإنما يكون فيه أبو بكر وعمر وعثمان ، بجانب بلال وصهيب وسلمان !

إن الأزهر هو الشكسة المحمدية لجند الله أسلحتها المصاحف لا القذائف ، ووسيلتها الحياة لا الموت ، وغايتها التعمير لا التدمير ، وغنيمتها الخير للناس والسلام على الأرض ، فإذا كان أولياء الأمر منا وأصحاب الرأي فينا حراسا على أن يكونوا كما جعلهم الله

قوادا لحرية الشعوب ، وروادا لسكينة العالم ، فليضموا إلى ثكنات القوى العسكرية ، ثكنة القوة الأزهرية ، ليجمعوا بين أسلحة المادة وسلاح الروح ، ويوائموا بين مادية العلم وروحية الدين ، ويقيموا فوق أسواق الرقيق إلى أقاليم الاستعمار في إفريقيا المكروبة المنكوبة مآذن للحق ومناظر للهدى وملاجئ الحرية .

إن الفرصة متاحة للعمل ، وإن الأرض مهيأة للزرع ، وإن الأزهر مستعد للبذر ، فما على الدولة إلا أن تسوق السحاب إلى النفوس الظلماء فتروى ، وإلى البلاد الميتة فتحي ، ويومئذ تلد أفريقيا الرجال ، وتستغل الاستقلال ، وتبرهن لأوربا البيضاء أن المرء بجوهره لا بمظهره ، وأن جوهر الإنسان واحد لا يختلف باختلاف لونه في الناس ، ولا يتغير بتغير موقعه من الأرض .

أحمد حسن الزيات

الاستعمار كما يصفه نائب فرنسي

(جاء في تقرير النائب الفرنسي مسيو موتيه الذي

رفعه إلى مؤتمر الاتحاد البرلماني في برن سنة ١٩٢٤)

من المحقق أن الاستعمار عمل لا يسوغه قانون ، وكثيرا ما ظهر بمظهر الفظاظة والغلظة ، لأنه يقضى بحكم القوى على الضعيف . وقد مضى على وجوده قرون بحجة نشر المدنية والارتقاء بين الشعوب المزعوم جهلها وخمولها . والحقيقة أنه لم ينشر من تلك المدنية وذلك الارتقاء إلا الأسماء التي تنتحلها لنفسها الأمم المستعمرة وقد أراد المستعمرون أن يسدوا على أعمالهم ثوبا شرعيا قانونيا فقرروا ضم ما استولوا عليه من البلدان إلى ممتلكاتهم ، وادعوا أنها جزء من بلادهم ، وأن عليهم عبء نشر المدنية والعلوم فيها ، والحقيقة أنهم لا يبغون من وراء ذلك إلا مصلحة بلادهم .

ترجمة المفردات أو العبارات؟

للأستاذ عباس محمود العقاد

أفرط فيه يشرف به على الانقطاع ، وكذلك القوس إذا أفرط في شد وترها أو شك أن ينقطع الوتر ، .

والذى قاله الأستاذ النجار هو المقصود من العبارة عند ورودها في المصطلحات الأجنبية الحديثة ، فإنهم يريدون هذا المعنى ويريدون معه معنى آخر يلزم التوتر إذا بلغ من الشدة أن يؤذن بالانقطاع ، وذلك أن الخيط إذا توتر أصبح كما يقولون حساسا ، يهتز لأهون لمسة كما يهتز الغاضب للكلمة الهينة التي قد يتقبلها ويغضى عنها ساعة رضاه ، وفي هذه الحالة تسوء العلاقات لما يوجب الاستياء ولغيره مما لا يسوء في سائر الحالات . ولكن موضع الملاحظة على نقل أمثال هذه الكلمات والعبارات أن المعنى الذى يفهم منها الآن عندهم وعندنا ليس بالمعنى الأصيل وليس بالمعنى المستفاد من وضع الكلمة كما كانت مفهومة بين الأقدمين ؛ لأن الكلمة الأصلية عندهم إنما تفيد معنى الضيق والضغط والعصر ولا تفيد غير ذلك إلا من قبيل الاستعارة المجازية ، وقد تستعمل للوتر كما تستعمل لقميص المجانين أو تستعمل للضيق البحرى أو للفاقة والإفلاس ، وهى كذلك

نبدأ هذا البحث الصغير بسؤال : ماذا نترجم عند النقل من اللغات الأجنبية ؟ هل نترجم المفردات أو نترجم العبارات ؟ . وهل نترجم المفردات بمعناها الأصيل أو نترجمها بالمعنى الذى درج عليه الاستعمال من مجاز أو اصطلاح ؟ .

عاد إلى ذهنى هذا السؤال بعد قراءة اللغويات التى كتبها الأستاذ المحقق محمد على النجار ، فى العدد الأخير من هذه المجلة وعرض فيه العبارة : (توتر العلاقات) التى ترد كثيرا فى كلام المترجمين عن اللغات الأوروبية فقال : إن اليازجى يرى فى مجلة الضياء أن هذه العبارة تفيد عكس المعنى المراد ؟ فإنه يقال وتر القوس إذا شد وترها ، وتوتر العصب ونحوه إذا اشتد فصار مثل الوتر ، فهى تدل على قوة الصلوات وممانتها لا على ضعفها . والصواب أن يقال استرخت العلاقات بينهما فى هذا المعنى .

ويرد الأستاذ النجار على اعتراض اليازجى فيقول : إن تخريج العبارة بما يصح معه المعنى ممكن ، وذلك أن توتر العصب واشتداده إذا

أصلا سواء ردها إلى مادة (سترين) Strain أو مادة (سترين) Straiten وكلاهما واردة متكررة في أمثال هذه العبارات .
وموضع الملاحظة أننا نعمد إلى معنى مستعار في لغته فنثقله بحرفه ونصه مع وفرة الكلمات التي تؤدي هذا المعنى باللغة العربية ، أصلا واستعارة ، بكل ما يراد منها في جميع التخريجات .

وعندنا لأداء هذا المعنى كلمات : الحرج والأزم والبرم والعنت والريبة والضيق ، وعشرات غيرها تنصرف إلى المقصود بكلمة التوتر على كل تصريح وتأويل .
ومن عجيب التوافق في مجازات اللغات أن مادة (برم) عندنا تستخدم للفعل الشديد كما تستخدم للضجر وقلة الاحتمال ، ولكن وجه الاستعارة يختلف بين البرم والتوتر في العبارة الإفريقية ؛ فإن الضجر عندهم مقرون بالحساسية وهو مقرون عندنا باللى والتضييق . ولو نظرنا هذه النظرة إلى مادة التوتر وجدنا فيها معنى النقص ومقابلة الشفع والانتلاف كما نجد فيها معنى الشد والإيدان بالانقطاع . فسبيل المجاز عندنا أوسع من أن نحتاج فيه إلى النقل من اللغات الأخرى ، وكلما تنا الأصيلية تؤدي معانيها الأولى وتنسج للجاز المعقول وللقرائن السائغة على وجوه شتى ، وليست هي من الندرة أو الجمود بحيث

وتضطرنا إلى الاقتراض من الغريب أو الدخيل .
وربما كانت الاستعارة سائغة قريبة في عبارة « التوتر » حين تستخدم لفساد العلاقة بين الدول أو آحاد الناس .
ولكن المترجمين ينقلون أحيانا عبارات مستغربة لا تقع في الأدواق موقعها الحسن كما تقع هذه العبارة .
ومن ذلك قولهم : إن هذا أوزاك . . يلعب دوراً خطيراً في السياسة أو التاريخ أو شؤون الحياة العامة ، وقد يقبح الذوق في اختيار المواضع لهذه العبارة حتى يقول القائل : « إن الدين يلعب دوراً جديداً في المسائل الاقتصادية » أو يقول قائلهم : « إن ذلك البطل العظيم لعب دوراً هاماً في تشريع زمانه » إلى أمثال هذا السخف الذي يتخرج منه أصحاب اللغة الأجنبية أنفسهم عند استخدام هذه العبارات ، ولو أنهم أخذوا مادة « اللعب » بحرفها كما وضعت أصلاً لم يكن لها هذا الموقع المعيب عند سامعيها من العارفين بمعانيها ؛ لأن أصل المادة عندهم يشمل « الاشتغال » ويشمل « الحركة » التي تحمل الإنسان وراء مشيئته ، ومنها جاءت حركة الرقص وحركات اللعب والطرب ، وأشباه هذه الحركات التي تدخل فيها حركة اللعب الهازل وغير الهازل .

إلى نظائر هذه التشكيلات التي لا شكل لها في قوام لغة الضاد .

فما ضرورة نقل الكلمة بحرفها من اللغات الأجنبية وهي تنقل بجميع معانيها في كلمات لا تحصى من كلمات اللغة العربية .

لم لا نقول : « إن هذه القضية تؤدي إلى خطر دائم على السلام ؟ » ، ولم لا نقول : « إن هذه القضية بمثابة خطر دائم على السلام ؟ » .

ولم لا نقول : « إنها ينتج عنها الخطر ، أو إنها تترامى في صورة الخطر ، أو إنها ماثلة في صورة الخطر ، أو إنها تؤلف أو تحدث أو تخلق الأخطار أو ما يشاءون من الأشكال ؟ » ولم ورد على الأذهان وعلى الألسنة من هذه التعبيرات فلم ينتظرها قائلوها مئات السنين حتى يخرجها العلى والفهامة من صفحات قاموس يقرؤه صغار التلاميذ ؟ . إن أشباه هذه المفردات وما تدخله من العبارات والمصطلحات هي التي نريد أن نسأل عنها : هل نترجمها على مثال تلك الترجمات « القاموسية التقليدية » ، أو نقابلها بما عندنا من اللفظ الأصيل واللفظ المستعار ، وهو كثير ؟ .

ويبدو لنا أن الضرورة لا تقضى علينا بترجمة كلمة من الكلمات الأجنبية في مصطلحاتهم الشائعة غير الكلمات التي تدل على الأعيان والأشياء ، وإننا نتكلف عنا لا يساوى

ولكن الأصل في مادة « اللعب » ، عندنا يرجع إلى المهازل الصنيانية ويأتى - على ما نرجح - من قولهم ، (لعب الصبي أى سال لعبه) ولعب فلان أى صنع صنيع الصبيان ، وليست الكلمة على معنى من معانيها الأصلية أو الطارئة بالتى تصلح للاقتران بمعانى التقديس ومعانى الخطر والتعظيم .

ومن قبيل هذا النقل المعيب قولهم : « إنهم أقاموا مأدبة على شرف فلان ! » . . . كأنما كان شرف فلان هذا مأدبة أو بساطا أو سفرة للطاعمين الشاربين ، ولو كانت ضرورة التعبير عن المعنى المقصود تستدعى التقيد بحرف العبارة المترجمة لكان لهم عذرهم من حكم الأمانة والاضطرار ، ولكننا قد تؤدي المعنى المقصود بكلمات الحفاوة والتكريم والترحيب والتحية وما إليها ، فلا تقصر هذه الكلمات عن معنى المأدبة التي تقام على الشرف . . . فلا تشرفه لفظا ولا معنى وهي مقامة عليه ! .

ومن المنقولات الحرفية المائعة التي نسمعها من الإذاعات الأجنبية كثيرا في الأيام الأخيرة قولهم : « إن هذه القضية تشكل خطراً دائما على السلام ، أو « إن هذه المسألة تشكل موضوعا للبحث ، أو « إن هذا العمل يشكل أزمة من أزمات الأمم المتحدة ، ...

الدولة التي صنعها الإنسان والأمة التي خلقها الله

للأستاذ الدكتور محمد البهي

- ١ -

الدولة التي صنعها الإنسان :

التنفيذية ، والسلطة القضائية ، والسلطة التشريعية ، وكل سلطة من هذه السلطات لها

اختصاصها ، وتعاون جميعها على صيانة المجتمع من الأضرار ، وعلى تمكين الأفراد في المجتمع من أن يؤديوا رسالة المجتمع وهي رسالة التعاون ، وتحقيق الهدف الذي من أجله قام المجتمع أو تكون .

ووظيفة السلطة التشريعية - كما أشرنا - هي سن القوانين لحفظ العلاقات بين الأفراد وصيانة حرياتهم في التعبير والاعتقاد ، وصيانة حرمتهم في المال ، والعرض ،

يتميز المجتمع الحديث بأن له نظام الدولة ، ومعنى ذلك أن المجتمع سلطة تنفيذية تمثل فيها يسمى بالحكومة ، وأن له قانونا من وضع الإنسان ينفذ لصالح الأفراد ، وأن له كذلك مصدرا تشريعيا يمارس تعديل التشريع القائم أو سن تشريع جديد حسبما يقضى وضع المجتمع ، وحسبما تتطلب ظروف بقائه أو الدفاع عنه . وهكذا توجد سلطات ثلاث : السلطة

وتعرضها للغضب السريع والاستفزاز المريب ، فربما كنا نحن أولى بهذا المجاز وأقدر على تخصيصه بمدلوله ؛ لأننا نلتقاء بأسماع ألفت التفرقة بين أصل الكلمة ومجازها وبين التشبيه الطارىء والشبه القديم .

عباس محمود العقاد

كلفته إذا نقلنا ألفاظهم بأصولها واستعاراتها وهي مفهومة عندنا بما وسعته لغتنا من معنى أصيل أو معنى مستعار ، ولا حرج - مع ذلك - من نقل الاستعارة المجازية حيثما وجدت على وفاق بين أذواقهم وأذواقنا ، وبين قواعدهم وقواعدها ، ومن قبيلها استعارة « التوتر ، واستخدامها لخرج العلاقة ، أو فسادها ،

بكل سلطة منها في إقتان ، وفي الوقت نفسه في غير عناء أو في غير إجحاف بالمصلحة العامة ، ذلك الإجحاف الذي يترتب على قيام غير فني أو غير خبير بتنفيذها .

ويبدو من توزيع أجهزة الدولة إلى هذه السلطات الثلاث ومن إسناد هذه السلطات إلى خبراء متخصصين في شؤونها أن الدولة ، تكفل بهذا التنظيم رعاية الصالح العام كما تكفل العدل بين الأفراد ، وتمكين الأفراد من فرص الحياة بالتساوي ، وتحسين العلاقات بينهم ، وتدفعهم جميعا إلى التعاون ، وإلى تحقيق أهداف المجتمع وغاياته .

ونظام الدولة من حيث التخطيط على هذا النحو ، نظام مثالي ، ولكن عند التطبيق يتبين أنه يعني بظاهر العلاقات بين الأفراد ، وبالشكليات القانونية أكثر من عنايته بإقناع الأفراد بالأهداف التي فرضها نظام الدولة غايات له ، ويعني بصورة « العدل » ، وبصورة « المصلحة العامة » ، أكثر من عنايته بحمل الأفراد - عن طريق تكوين « الضمير » - على التصرف العادل ، ولتحقيق المصلحة العامة .

إن نظام الدولة في المجتمع الحديث نظام فرض على الأفراد وأقيم لحملهم - بطريق القوة الجبرية - على اتباع القانون الذي تسنه الهيئة التشريعية فيه ، دون أن يكون هناك إيمان في نفوس الأفراد بعدالة هذا القانون ،

والنفس ، وتمسكين جميع الأفراد من فرص الحياة ، بحيث يكون هناك تكافؤ لأصحاب المستوى الواحد ، وبحيث لا يتدخل في استغلال هذه الفرص عامل آخر لا يتصل بالطاقات الإنسانية ، والاستعدادات الفردية عما يعرف بجاه الشرف أو جاه الثراء ، أو يتصل بعصية مذهبية أو طائفية .

ولكي تكون القوانين التي تشرع ، تمثل هذا الصالح العام وكل المجتمع الحديث سلطة التشريع إلى هيئة تمثل الرأي العام فيه ، عن طريق الانتخاب الشعبي ، أو عن طريق اختيار السلطة التنفيذية لأصحاب الخبرة والدراية بجوانب حياة المجتمع العديدة .

ووظيفة السلطة القضائية هي تطبيق القوانين التي تسنها الهيئة التشريعية ، مستهدفة في هذا التطبيق الأغراض التي من أجلها خرجت هذه القوانين ، والتي هي تصور المصلحة العامة للأفراد في المجتمع ، كما تصور غايات المجتمع نفسها التي بعثت على قيامه ، وتبعت على استمراره في البقاء .

أما السلطة التنفيذية فهي الهيئة التي تمارس الإشراف على تنفيذ القوانين التي تسنها الهيئة التشريعية ، وتطبقها الهيئة القضائية . واقتضى تعدد هذه السلطات أن يتنوع تخصص القائمين على أمرها ، بحيث يساعد هذا التخصص على تنفيذ المهمة التي تناط

من يد الأفراد، وجعله في يد الدولة وحدها. أن الدولة الشيوعية عندئذ سوف لا تحتاج إلى سلطة «بوليسية» لحفظ الأمن؛ لأن المساواة بين أفراد المجتمع الشيوعي حينئذ أصبحت حقيقة واقعة فلم يعد هناك ما يوجب حقد الأفراد بعضهم على بعض، وليس هناك ما يوجب احتكاك بعضهم ببعض. طالما المال كله بيد الدولة، وطالما الدولة ترعى جميع الأفراد بإعطائهم العمل وتؤجرهم عليه أجراً مناسباً. خيل لكارل ماركس أن الدولة الشيوعية هي الدولة السعيدة التي لا تحتاج إلى رقابة خارجية، لفقدان مصدر الحقد والاحتكاك بين الأفراد فيها: ولكن بالرغم من سحب المال من الأفراد وجعله في يد الدولة الشيوعية فالرقابة الخارجية، - أي التي هي من خارج الأفراد على الأفراد أنفسهم في المجتمع - فيها أشد قوة، وأكثر تنوعاً وعدداً لأن نظام الدولة في نفسه - كما ذكرنا - نظام قام على فرض الرقابة الخارجية، والعناية بها. ولم يكن منبثقاً عن «ضمير»، أو عن قوة ذاتية دافعة، تدفع الأفراد إلى غايات المجتمع، دون حاجة إلى تلك الرقابة الخارجية أو دون حاجة إلى ما يسمى بالسلطة التنفيذية.

وآية أن نظام الدولة في المجتمع الحديث هو نظام قام على فرض الرقابة الخارجية، اهتمام الدولة في كل مجتمع حديث وعنايتها

أو بملامته لمصالحهم كأفراد في المجتمع. إذ أن القانون مهما توفرت الرعاية أو العناية على تشريعه، فالشرعون أنفسهم أشخاص قد يتأثرون بنفوذ القائمين على شؤون الدولة أو يتأثرون بالحيط الذي يعيشون فيه، أو بالهزعة التي يزعون إليها كأصحاب اتجاه معين، أو نظرة معينة في الحياة. وعندئذ لا يلزم أن يكون القانون ممثلاً للعدالة، أو ممثلاً «لروح التجرد» التي ينبغي أن تتوفر في القانون، إذا أريد تطبيقه على جميع أفراد المجتمع وقصد به أن يحقق المصلحة العامة بينهم. إن استقرار نظام الدولة - بحكم أنه مفروض على أفراد المجتمع - رهن بجهاز الرقابة - وهو جهاز السلطة التنفيذية، وبقدر مالهذا الجهاز من استطاعة على «التتبع» في تنفيذ القانون، وبقدر ما يبطئ هذا الجهاز أو يغفل أمر التتبع في تنفيذ القانون، بقدر ما يضطرب نظام الدولة، وبقدر ما تفتقر العلاقات الاجتماعية بين الأفراد في المجتمع. ذلك كله لأن نظام الدولة - كما ذكرنا - لم يعتمد على تربية الضمير الباعث، بل اعتمد كل الاعتماد على السلطات الثلاث. وهي سلطات لا تسمى «ضميراً»، ولا تسمى «إقناعاً»، وإنما تحمل حملاً وتقهقر قهراً على الطاعة والانباتع ولقد خيل لكارل ماركس - يوم أن خط النظام الشيوعي للدولة عن طريق سحب المال

الأمر الثاني : فقدان تمثيل القانون للصلحة العامة أو للعدالة ، أو للدساواة في تكافؤ الفرص بين الأفراد ، نظراً لتأثر المقننين وأصحاب السلطة التشريعية بظروف حياتهم وبيئاتهم ، أو بنفوذ القائمين على أمر الدولة.

الأمر الثالث : فقدان العناية بالروح الجماعية في العلاقات بين الأفراد ، وبقاء الفردية ، كظاهرة سائدة في هذه العلاقات .

ونظام الدولة في نتائجه هذه لا يستطيع أن يحمل نتائج أخرى سواها ؛ لأنه من صنع الإنسان . والإنسان هو ذلك السكان صاحب الحكمة والهدى ، وصاحب العقل والغريزة وصاحب الصيرورة من طفولة إلى رشد . هو ذلك السكان غير المستقر وغير الثابت . هو ذلك السكان الذي يدبر ولا يخلق والذي يقوم تديره على خطأ مرة ، وعلى صواب أخرى .

وقد بدا لأصحاب الدولة الذين وضعوا نظامها ، ودافعوا عنه ، أن الفصل بين السلطات الثلاث ضمان كاف لتحقيق العدالة بين أفراد المجتمع ولرعاية الحرمات الفردية من الحرية في التعبير ، والاعتقاد والتصرف في حدود القانون العام ، وأنه كاف كذلك لقيام التعاون وتوثيق الروابط الاجتماعية بين الأفراد . كما بدا لهم كذلك أن في هذا الفصل ، ضماناً آخر لعدم طغيان سلطة على

بالسلطة التنفيذية : في عدد رجال الأمن ، وفي تخصصهم وفي أنواع الرقابة على الأفراد ، وكثرة وسائل التتبع في التنفيذ وفي الوقت نفسه ، هذه العناية وهذا الاهتمام بالسلطة التنفيذية من سلطات الدولة في المجتمع الحديث يدل من جانب آخر على أنه لولا القوة المادية التي تتمثل في السلطة التنفيذية لتفككت روابط المجتمع ، وسادت الفوضى في العلاقات بين الأفراد .

على أنه من ناحية أخرى منذ أن أخذ المجتمع الحديث بنظام الدولة ، هذا النظام الذي يبدو في ظاهر أمره أنه يغطي العلاقات بين الأفراد في صورة اجتماعية ، لم تسير هذا النظام العلاقات الاجتماعية بين الأفراد في حقيقة أمرها ، وظلت الفردية ، هي العامل الذي يحدد هذه العلاقات ، ومن هنا تنبئ الجرائم المتنوعة ، وتنبي الاحتكاكات بين الأفراد في صورها المختلفة التي تقع في المجتمع على عدم مسايرة العلاقات بين الأفراد في حقيقة أمرها ، لما يبدو من تغطية نظام الدولة لتلك العلاقات في صورتها الظاهرية .

ولذا يلاحظ على نظام الدولة في المجتمع الحديث أمور ثلاثة :

الأمر الأول : فقدان العناية بالضمير ، أو فقدان العناية بالقوة الذاتية الدافعة للأفراد نحو العمل الجماعي .

طبيعته - أثر في حياته ، فضلا عن أن يستأثر هو بتوجيهه وبتخطيط الحياة الإنسانية له . إن نظام الدولة هو نظام الثورات الأوروبية التي تعقبت الماضى واعترضت على رسالة الدين ، وعلى مسئولية الكنيسة في توجيهه الحياة الإنسانية . إنه نظام العصر الإنسانى ، والعصر الإنسانى ليس إلا تلك الفترة التي طلب فيها الإنسان أن يستقل بتوجيه نفسه وأن يدفع عن حياته ما سماه بالوصاية غير الإنسانية ، ليس إلا تلك الفترة التي اغتر فيها الإنسان بقيمة العقل الإنسانى ، وبقيمة ما يستطيعه من تدبير وإبداع ، فهو أى نظام الدولة - وليد الفلسفة الإنسانية ، وليد غرور الإنسان بالإنسان ومدى استطاعته في توجيه الحياة الإنسانية ولذلك هو مصنوع للإنسان وابن مشيئته .

وسيمثل الإنسان صاحب هذا النظام يدافع عنه ، ويمنحه القيمة العليا ، طالما هو يؤمن باستقلال الإنسان في توجيهه وبخالفية العقل وإبداعه في الحياة الإنسانية .

والمنطق الأصيل لنظام الدولة في المجتمع الحديث طبقا لهذه الفلسفة الإنسانية الاستخفاف على الأقل بالقيم التوجيهية الأخرى التي تنبثق عن رسائل ليست هي من صنع الإنسان أو يذكر في شأنها أنها ليست من الإنسان ، وجاءت لهدايته وهى رسالة السماء ، ولعل المجتمع الشيوعى في الوقت الحاضر

سلطة أخرى وخاصة طغيان السلطة التنفيذية على إحدى السلطتين التشريعية أو القضائية ولكن النقص الذى يتصل بهذا النظام ليس في تداخل السلطات الثلاث ، حتى يكون الفصل بينها ضمانا لتلافي هذا النقص فيه ؛ وإنما العيب الأساسى فيه - كما ذكرنا -

أنه يقوم كله على « التنفيذ » بالقوة الجبرية « بقوة البوليس » ، أو « قوة الأمن الداخلى » ، وأنه يقوم على « جهاز التنجيع » دون أن يكون للاقتناع الداخلى أو للإيمان القلبى به دخل في تنفيذه والطاعة له . فهو نظام « يسوق » الأفراد إلى الطاعة ، من غير أن تكون لهم إرادة حقيقية فيها ؛ وهو من أجل ذلك يبعد عما يجب أن يراعى في طبيعة الإنسان . وفي تميز هذه الطبيعة عن طبائع الكائنات الأخرى التي تشاركها النمو والحركة إذ الأليق بطبيعة الإنسان أن تكون حركته في حياته ، وأن تكون طاعته أو عدم طاعته ناشئة عماله من اختيار . ذلك الاختيار الذى ينشأ بدوره عن اقتناعه الداخلى .

وقد بالغ الإنسان صاحب هذا النظام في المجتمع الحديث في القيمة التي له وهو في واقع الأمر بالغ في قيمة نفسه هو وفي قيمة عمله . إذ الدولة من صنع الإنسان « الثائر » ، والذى ثار على توجيهه غيره إياه ، وعلى أن يكون لوجود آخر سواه - مهما سما وجوده ، وسمت

في التوجيه ، والتفرد بالسيادة في حياة الإنسان : الدين أم الدولة ! .

والحديث فيما مضى عن مسامرة المجتمع الشيوعي لمنطق الفلسفة الإنسانية ، بإبعاده الإيمان عن محيطه ، وعن الصلة بنظام الدولة - هو حديث عن المسامرة الظاهرة ، وفي واقع الأمر : التنافر لم يزل حقيقة واقعة فيه ، ولم يزل قائما ؛ لأن الأفراد الشيوعيين فيه - وخاصة الطبقة المتقدمة في السن منهم - لم يزالوا يعبرون عن إيمانهم بالدين في صور مختلفة ، وإن لم يعلنوا هذه الصور في وضوح خشية من رقابة السلطة التنفيذية ، ومن تتبع الرقابة الخارجية ، التي تمارسها الدولة .

وخلاصة وضع المجتمع الحديث في أخذه بنظام الدولة أنه مع محاولته فرض هذا النظام على الأفراد ، وسوقهم إلى الطاعة دون أن تكون طاعتهم صادرة عن اختيار ، كما توحى به طبيعة الإنسان ، ويوحى به تمييزها عن بقية الطبائع الأخرى النامية المتحركة - أنه يضع الأفراد في المجتمع في صراع نفسي بين قوتي الدولة والدين ، وأنه نفسه لا يخلو من هذا الصراع ، مهما حاول الملاممة بين فرضه لنظام الدولة وخضوعه للإيمان بالدين ؟ (البقية في العدد القادم)

الدكتور محمد البرهي

المدير العام للثقافة الإسلامية

هو أوضح المجتمعات الحديثة ، في مسيرته لهذا المنطق بعدا وقربا . وكلما بدت في المجتمع الحديث ظاهرة « الثنائية » بين نظام الدولة وبين الإيمان بالدين كلما كان هذا المجتمع متنافرا مع منطق « الفلسفة الإنسانية » التي تأسس عليها نظام الدولة في المجتمع الحديث .

وربما - من جانب آخر - كان هذا التنافر من مستلزمات المجتمع القائم لأن المجتمع ليس إلا « صورة » من الصور التي تطرأ على حياة الأفراد ، ويفعل البعض منهم . وإذا كان المجتمع صورة طارئة على حياة الأفراد ، فالأفراد أنفسهم هم لبنات المجتمع الطارئ الجديد ، وكذلك المجتمع السابق الذي انقضى وليس من السهل - ولا من الممكن أيضا - أن يتخلى الأفراد عما في قلوبهم من إيمان ، وعما في نفوسهم من رواسب ، وعما في عقولهم من تصورات إثر تكون المجتمع الجديد ، وفور قيامه ، وهنا لكي تلائم قيادة المجتمع الجديد نفسها مع ميول الأفراد ومع أجوائهم النفسية والعقلية ومع إيمان قلوبهم - تتمسك بنظام الدولة وفي الوقت نفسه تعلن مسيرتها للإيمان بالدين السائد بين أفراد المجتمع .

وفي واقع الأمر ، هذه الملاممة التي تريدها قيادة المجتمع الجديد ، إن هي إلا إعلان عن صراع بين قوتين كلتاهما تبغى الاستقلال

الله

في القرآن الكريم

للأنساز محمد محمد المدني

— ١ —

أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ، فيرشد أصحاب العقول إلى استحالة أن يكون له ولد ، مستدلاً على ذلك بأنه ليس له صاحبة وهو معنى سلبى أيضاً .

ويقول : « لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد » ، فينتفى عن ذاته أن تسكون متولدة من غيره ، أو أن يتولد عنها غيره أو أن يكون له مماثل وكفو .

٢ — وفي القرآن الكريم آيات تنسب إلى الله تعالى : الوجه واليد والعين والجهة والمعية والمصاحبة والعندية والاستواء ونحو ذلك مثل قوله تعالى : « ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام » . « فأينما تولوا فثم وجه الله » « يد الله فوق أيديهم » « بل يده مبسوطتان ينفق كيف يشاء » « ولتصنع على عيني » « واصنع الفلك بأعيننا ووحينا » .

« ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم » ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ،

١ — لا نجد في القرآن الكريم حديثاً مباشراً عن ذات الله تعالى ؛ لأن الذات الإلهية لا يمكن وصفها ولا تصور كنهها ولا الإحاطة بها ، ولو على وجه من التقريب ، وإنما نجد القرآن الكريم يأتي بحديثه في هذا الجانب على وجه السلب والنفي ، فيقول مثلاً : « ليس كمثله شيء » ، فيعطينا بهذه الجملة القصيرة ، قانوناً وقائماً عاماً نستعمله كلما احتجنا إلى مدافعة وهم من الأوهام ، في تصور ذات الله تعالى ، ومحاولة معرفة كنهه جلا وعلا .

ويقول : « سبحان الله عما يصفون » فيعطينا بهذه الجملة القصيرة أيضاً ما ندافع به أولئك الذين يحاولون تصوير الله ، أو تمثيله بأحد من خلقه .

وكلمة « سبحان الله » معناها تنزيه الله ، وتقدير اللفظ فيها : « أعتقد تنزه الله أو أنزه الله تنزيهاً ، أو نحو ذلك ، وهو معنى سلبى لأن التنزيه هو نفي كل ما لا يليق عن الله تعالى . ويقول جل شأنه : « بديع السموات والأرض »

أما الخلف فيقولون : الوجه واليد والعين أسماء استعملت في جانب الله على وجه من المجاز للدلالة على الذات أو القدرة أو العناية أو نحو ذلك ، فهما إذا متفقان على أصل التنزيه القطعي ، وإنما يختلفان في فهم مظاهره يتنافى هذا التنزيه .

٣ - وقد عني القرآن الكريم - على أسلوب مباشر - بنوعين من الصفات فيما يتحدث به عن الله تعالى .

النوع الأول : الصفات التي تملأ القلوب بعظمة الله تعالى وجلاله وتبرها بجماله وكأله .

النوع الثاني : الصفات التي تدل على ربوبيته للعالمين خلقا وإيجاداً ، وإنعاماً وإمداداً .

وإنما عنيت آيات القرآن الكريم بالتحديث إلى الإنسان بهذين النوعين من صفات الله تعالى لمعنى تهدف إليه هو أن تقرر في نفسه أن لا إله إلا الله .

وذلك أن الإله هو الذي تأله إليه النفوس وتنجذب معتقدة أن له سلطاناً حقيقياً يستطيع به أن ينفع ويضر دون قيد عليه من غيره ، ولا عجز يعتريه في نفسه مع انصافه بالكمال المطلق والعدل المطلق ، وأن عليها لذلك أن ترضاه وتخضع له الخضوع المطلق .

فالنوع الأول من الصفات يراد ببيانها والحديث عنه في القرآن الكريم أن يقتنع الإنسان بأنه حينما يتجه إلى الله بالعبودية إنما

« ووجد الله عنده فوفاه حسابه » ، « الرحمن على العرش استوى » ، إلخ .

ولكن القرآن نفسه يرشدنا إلى الصراط السوى في فهم هذه الآيات وأمثالها حيث يقول : « هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراشخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الأبالب . ربنا لا نزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب » .

وخلاصة ما تنصح به هذه الآية أن نقول فيما اشتبه علينا « كل من عند ربنا » أي : فنحن نؤمن به ، وأن نرده مع هذا الإيمان به إلى المحكم من الكتاب الذي جعله الله « أما » له تشبيها بالأم التي يفزع إليها ابنها وفرعها طلباً للأمن والسكن في أحضان أصله ومنشئه .

فاذا أردنا طمأينة النفس في شأن آيات : الوجه والعين واليد وأمثالها فلننظر إليها من أفق الآية الأخرى الصريحة القاطعة المحكمة « ليس كمثل شيء » وهو السميع البصير ،

ولذلك يقف السلف منها موقف التسليم ، ويقولون : لله وجه ويد وعين كما أخبر في كتابه وليس كمثل شيء ويقولون : استوى ولا نسأل كيف استوى .

جليل الشأن انحنى له الروس إعجاباً به
وخضوعاً لمصدره أو هى بتعبير آخر مزيج
من الشعور بالعظمة والقوة والكمال وتمائم
الإحسان ، ولذلك تتخذ صوراً من الثناء على
الله بالقول حيناً ، وبالانحناء ركعاً وسجوداً ،
وبالذكر والشكر تأملاً وعرافاً اعترافاً بأنه
تعالى هو العظيم وهو الوهاب .

اقروا فى النوع الأول من الصفات التى
وصف الله بها نفسه فى القرآن :

« وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن
الرحيم » فهى تثبت « الوحدانية » مع الرحمة
الشاملة واقروا :

« الله لا إله إلا هو الحى القيوم ، لا تأخذه
سنة ولا نوم ، له ما فى السموات وما فى الأرض ،
من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه ، يعلم ما بين
أيديهم وما خلفهم ، ولا يحيطون بشئ من
علمه إلا بما شاء ، وسع كرسيه السموات
والأرض ، ولا يؤوده حفظهما ، وهو
العلی العظيم » .

عشر جل متتابعة فى آية واحدة ، هى :
آية الكرسي المشهورة التى ذكرت الأحاديث
النبوية فضلها ، وتحدثت عن برکاتها فى التحصين
والحفظ . وأنها تشتمل على اسم الله الأعظم ،
فأول جملة منها : هى إثبات الوحدانية ،
« الله لا إله إلا هو » أى ليس فى الوجود
من له سلطة عليا مطلقة يفعل بها ما يشاء ،

يتجه إلى الإله الكامل العظيم ذى الجلال
والجلال فهو يتجه إلى من هو جدير باتجاهه ،
ويأله - أى يعشق وينجذب - إلى من هو
حقيق بعشقه وانجذابه .

وأهل التصوف لهم فى ذلك عبارات ،
منبثقة عما تجلّى لهم من مقامات معرفة الصفات
ومن ذلك قول العارف بالله عمر بن الفارض :
فقت أهل الجمال حسنا وحسنى

فبهم فاقه إلى معناكا
يحشر العاشقون تحت لوائى
وجميع الملاح تحت لواكا
وقول الآخر :

لو يسمعون كما سمعت كلامها
خروا لعزة ركعاً وسجوداً
والنوع الثانى يراد به إقناع الإنسان -
بالإضافة إلى ذلك - بمعنى آخر فيه طمأنينة
لنفسه وسكون لقلبه هو أن هذا الذى عرف
عظمته وجلاله فى نفسه ، هو مصدر وجود
هذا العالم كله ومصدر بقاءه ، ومصدر إسعاده
وإمداده ، فهو الخالق المبدع ، وهو المحسن
المنعم ، وهو المتفضل بإرسال رسله إلى خلقه
ليهتدوا بهم إلى معرفته ، وليرشدوهم إلى
طريق الخير والفلاح ، ومن كان كذلك فهو
الجدير بأن يعبد وحده ، لأن العبادة مزيج
من الشكر والخضوع ؛ والشكر إنما ينبعث
عن الإحسان ، وإذا كان الإحسان عظيماً

أن تغالبه سنة وهي تبشير النوم وأوائله ،
وحيثما يقبل على الجفون فيداعبها ، ولا نوم
وهو أشد من السنة قهراً للأحياء وغلبة عليهم
وأخذنا لهم ، فهذا وذاك منفيان عن الله تعالى
على سبيل الترقى من الأدنى إلى الأعلى .

ثم جاءت الجملة الرابعة تقرر ملك الله لكل
مافي السموات ومافي الأرض ، وتقرير الملك
شيء جديد بعد إثبات الحياة والقيومية
الكاملين .

ثم تأتي الجملة الخامسة منكرة أن يكون
لأحد أمر مع هذا المالك الحي القيوم فتقول :
« من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ، وقد
كانوا يعتقدون أن ما يتخذونه من آلهة ،
سيكونون شفعا لهم عند الله ، فأنكر الله عليهم
ذلك ؛ لأن شفاعة الشافع : إما أن تكون
لدى سلطان عادل أو سلطان جائر ، فإن كانت
عند سلطان عادل فشان الشافع أن يقول له
إنك فعلت ما فعلت ، اعتقاداً منك بأنه هو
المصلحة ، ولكنني أعلم أن هذا الذي أشفع
فيه معذور بكذا أو لم يقصد كذا فإذا قبل
منه صاحب السلطان ذلك ، كان هذا لأنه علم
ما لم يكن يعلم من أمر المشفوع فيه وهو أمر
لا يليق بالله تعالى ، إذ هو الجهل بعينه .

وإن كانت الشفاعة عند سلطان جائر ،
فيجوز أن يقبلها ويترك الذنب لأجل مرضاة
الشفيع وذلك لإفساد لا يليق بالله تعالى .

دون قيد ولا عجز ، ويستحق بمقتضى ذلك
أن يفرد بالعبودية إلا واحدهو الله - وهذه
هي الحقيقة الأولى التي جاءت الأديان وبعثت
الرسل وأنزلت الكتب لتقريرها .

والجمل التسع التالية لهذه الجملة الأولى ،
هي : احتجاج لهذه الحقيقة وبراهين على
ثبوتها فالله هو الحي القيوم ، والحياة تختلف
باختلاف المنتصفين بها ، حياة النبات نوع من
الحياة وحياة الله تعالى هي أكمل حياة لأنه
هو واهب الحياة لكل من سواه وما سواه ،
ولأنهم جميعاً مستندون في حياتهم إليه ،
وليس هو مستنداً في حياته إلى شيء ، ولأن
حياته لا تنقطع ، وكل حي يدركه الفناء ، كما
أن حياته أزلية لا أول لها ، وحياة غيره
محدثة بعد أن لم تكن .

والله تعالى قيوم ، لأنه قائم بنفسه ومقيم
لغيره وهي صفة تلخص جميع فنون التصريف
وألوان التدبير في الخلق ، وهي أبلغ من القائم
والقوام والقيم بحكم الصيغة التي يعرفها أهل
الذوق العربي .

ولما كانت حياة الحي وقيومية القيوم
لا تدل بطريق مباشر على استمرار التيقظ
لكل شيء وانتفاء الغفلة ولو في فترة ما ،
جاءت جملة أخرى تصف الله تعالى : بأنه
لا تأخذه سنة ولا نوم ، أي أن حياته
وقيومية لا تفران في وقت ما فلا يمكن

وأوفق الآراء أن نحمله على الدعاء ، الذى يقبل الله تعالى عقبه ماسبق فى علمه الأزل أن سيفعله مع القطع بأن الشافع لم يغير شيئاً من علمه ولم يحدث تأثيراً ما فى إرادته تعالى ، وبذلك تظهر كرامة الله لعبده فى إيقاعه الفعل عقب دعائه - وهذا فسر الشفاعة - ابن تيمية (١) . وقال الأستاذ الإمام محمد عبده : إن لهذا الاستثناء واقعا وهو أن نبيينا عليه الصلاة والسلام يشفع فى فصل القضاء فيفتح باب الشفاعة ، فيدخل فيه غيره من الشفعاء ، كالأنبياء والأصفياء ، كما ثبت فى الأحاديث وهى مسألة أنكرها المعتزلة وأثبتها أهل السنة ، والله تعالى يأذن لمن يشاء ويطلع على علمه باستحقاق الشفاعة من يشاء ، كما يعلم من الاستثناء فى هذه الآية وأمثالها (٢) .

وتأتى بعد ذلك الجملة الثامنة ، وهى قوله تعالى « وسع كرسيه السموات والأرض » وهى تعبير تمثيلى لشمول سلطان الله وعمومه فى السموات والأرض ، وليست تكراراً مع قوله تعالى من قبل : « له ما فى السموات وما فى الأرض » ، فإن الحديث فى إحداها عن السموات والأرض وفى الأخرى عما فىهما .

ولم تقدر الآية هذا الشق الثانى ، لأن الكلام إنما هو فى الشفاعة لدى الله جل علاه وهو أعدل الحاكمين ، فبقي الشق الأول وهو الشفاعة لدى الله الحكم العدل ، فجاءت الآية بالجملة السادسة تعليلاً لإنكار أن يشفع عند الله أحد إلا بإذنه ، بأنه يعلم كل شىء فلا يمكن أن يخفى عليه من أمر المشفوع فيه ما يجعله ينزل على حكم الشافع ، فهو تعالى كما هو منزله عن الظلم منزله عن الجهل ، وذلك هو قوله تعالى : « يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم » ثم جاءت الجملة السابعة نفيًا لأن يكون فى الوجود من يعلم شيئاً من علم الله على وجه الإحاطة به إلا ما شاء الله أن يعلمه أحداً من خلقه ، وهذا حكم شامل للشفعاء .

وقد جاء فى القرآن آيات أخرى تتحدث عن شأن الشفاعة ، متضمنة علم الله وانفراده بالسلطة ، مثل قوله تعالى : « بل عباد مكرمون . لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون » ، وقوله تعالى « يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا . يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علماً » .

والمراد بقوله تعالى : « إلا بإذنه » ، و « إلا لمن ارتضى » ، « وإلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا » ، فيه كلام كثير وخلاف بين العلماء ،

(١) ص ٣٣ ج ٣ من تفسير للنار .

(٢) المصدر نفسه .

الذي يزول كل ما عداه ، ومن أنه القيوم الذي يقوم بنفسه ويقوم به كل ما سواه ، ومن أن حياته وقيوميته لا يغلبهما عارض يعرض فيؤدى إلى الغفلة ولو في فترة يسيرة ومن أنه مالك لكل ما في العالم وهذه صفات العلو الكامل عن كل ما في الوجود ، وصفة (العلى) تلخيص لها .

أما صفات العظمة فهي كونه تعالى ذا هيبة وجلال ، لا يستطيع معهما أحد أن يسبقه بالقول فيشفع عنده إلا بإذنه ، وكونه عالماً لكل شأن ، من شئون خلقه ، وكون علمه لا يحاط به بل يعلم منه فقط ما شاء هو أن يعلم ، وأن ملكه عام شامل للسموات والأرض وأنه يحفظهما ولا يثقله حفظهما (١) .

فهذه صفات العظمة ، ولذلك كانت الجملة الأخيرة في آية الكرسي (وهو العلى العظيم) إجمالاً — كما قلنا — لصفات العلو والعظمة التي فصلت من قبل .

(١) هناك فرق بين قوله تعالى : (له ما في السموات وما في الأرض) وقوله جل شأنه : « وسع كرسيه السموات والأرض » وقد بينا هذا الفرق فيما ذكرناه عن الجملة الثانية ، ونزيد هنا أننا جعلنا الجملة الأولى تعبيراً عن صفة من صفات العلو ، لأن الذي يملك ما في السموات والأرض عال عن كل ما في السموات والأرض ، وجعلنا الجملة الثانية من صفات العظمة لأنها حديث عن سعة كرسي الله وشمول ملكه لذات السموات والأرض ، وعظمة الملك مؤذنة بعظمة المالك .

وقد تعددت الآراء في المراد بقوله تعالى « كرسيه » هل هو علم الله ، أو ملك من ملائكته أو جسم كشيء أو لطيف . . إلخ وخير لنا أن نختار بين أن نتبع رأى السلف فنسلم ونقول : له تعالى كرسي كما أنبأ عن نفسه ولا ندري ما كنهه ناظرين إلى ذلك من أفق (ليس كمثله شيء) أو نتبع رأى الخائف فنقول كما قيل في الاستواء على العرش : إن ذلك تمثيل لملك الله على حده ما يعرفه الناس من شأن الملوك .

والجملة التاسعة (ولا يؤوده حفظهما) ضرورية في تميم المعنى المراد من بيان عظمة الله تعالى ، إذ أن الملك بذاته لا يقتضى القدرة على حفظ المملوك ، ولا أن هذا الحفظ سهل يسير على المالك لا يشق عليه ولذلك أفاد الله تعالى أنه هو حافظ السموات والأرض كما هو مالكهما ، وأن هذا الحفظ لا يؤوده ولا يحمله على أن يتكلف له ما يشق عليه أو يثقله .

والجملة العاشرة ختام لهذا كله ، ولذلك تضمنت بالإجمال ما تقدمها من تفصيل ، وهى قوله تعالى (وهو العلى العظيم) .

وبيان ذلك أن صفة (العلو) قد ثبتت لله تعالى من أنه لا إله إلا هو ، ومن أنه الحى الذى لا يستند في حياته إلى غيره ، الكامل الحياة لأنه وهب منها لكل حى سواه ، الباقي

الظلمات ، ولا صلح أمر الدنيا والآخرة .
وقد وصفت الآية السكريمة هذا النور
بوصف مثله به - والله المثل الأعلى - مداره
على إثبات قوته وصفائه ، وتكامله وتسام
بهائه ، فبلغت من ذلك الغاية ، وقربت الأمر
أعظم تقريب .
ثم اقرءوا في النوع الثاني من الصفات
مثل قوله تعالى :

« خلق السموات والأرض بالحق تعالى
عما يشركون . خلق الإنسان من نطفة فإذا
هو خصيم مبين . والأنعام خلقها لكم فيها
دفع ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال
حين تريحون وحين تسرحون . وتحمل أثقالكم
إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس ، إن
ربكم لرؤف رحيم . والخيول والبغال والحمير
لتركبوها وزينة ، ويخلق ما لا تعلمون . وعلى
الله قصد السبيل ومنها جائر ، ولو شاء لهداكم
أجمعين . هو الذى أنزل من السماء ماء لكم
منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون . ينبت لكم
به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن
كل الثمرات ، إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون .
وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر
والنجوم مسخرات بأمره ، إن فى ذلك لآيات
لقوم يعقلون . وما ذأركم فى الأرض مختلفا
ألوانه ، إن فى ذلك لآية لقوم يذكرون . وهو
الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا

واقراء وإن شئتم قوله تعالى :
« الله نور السموات والأرض مثل نوره
كشكاة فيها مصباح ، المصباح فى زجاجة ،
الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة
مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية ، يسكاد
زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار ، نور على نور
يهدى الله لنوره من يشاء ، ويضرب الله
الأمثال للناس والله بكل شئ عليم ، .
فالسموات والأرض تعبير عن الكون كله
عليه وسفليه وما خلق الله من شئ ، والله
نورها والنور هو روح كل موجود وسره ،
فلو تصورنا موجودا مظلما لا نور له ،
لما كان فى المعنى إلا صورة مساوية للعدم .
وقد أثبت العلم أن كل موجود فلا بد له
من النور على نحو من الأنحاء ، وأن انقطاع
النور انقطاعا تاما عن الموجود إنما
هو مرحلة نهايته وفنائه ، وهذا المعنى قد أشار
إليه النبي صلى الله عليه وسلم فى بعض دعائه
الذى توجه به إلى ربه حيث يقول : (أعوذ
بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ،
وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن تنزل فى
غضبك ، أو تحل على سخطك) والشاهد فى
قوله عليه الصلاة والسلام : (أشرقت له
الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة)
إذ هو تفسير لقوله تعالى : « الله نور السموات
والأرض ، بأنه لولا نور وجه الله لما أشرقت

والسماوات والأرض وعددت مظاهر قدرته وتصرفه من مثل «خلقكم من طين ثم قضى أجلا»، «وله ما سكن في الليل والنهار»، وعنده مفاتيح الغيب»، «وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار»، وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة»، «القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض»، «فالق الحب والنوى، يخرج الحى من الميت يخرج الميت من الحى»، «فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسيبانا»، «وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها»، «وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة»، «وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا»، «ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتها وغير متشابه».

بعد أن بينت هذا كله، وتخلله من البيان ما أراد الله أن يتخلله، واستغرق ذلك مائة آية، جاءت الآية الحادية بعد المائة بالنتيجة فتدرككم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه، وهو على كل شيء وكيل، ٩

محمد محمد المرنى

عميد كلية الشريعة

وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضلته، واعلمكم تشكرون. وألقى في الأرض رواسي أن تُميد بكم، وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون. وعلامات وبالنجم هم يهتدون.

وبعد أن يعد ذلك كله متابعا متلاحقا يشد بعضه في البيان أرز بعض، يعقب عليه مباشرة بقوله: «أفمن يخلق كمن لا يخلق؟ أفلا تذكرون». وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم». فنعلم من ذلك أنه إنما ذكر صفات الخالق، وعدد مظاهر صفات الأنعام، ليقنع الناس بأنه هو الجدير بأن يفرد بالعبودية، وأن المنطق لا يسوى بين من يخلق ومن لا يخلق ومن ينعم ومن لا ينعم.

وهناك آيات أخرى تناولت هذا المعنى على وجه الإجمال حيناً، وعلى وجوه من التفصيل أحيانا، مثل قوله تعالى «أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين»، الحمد لله الذى خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون». وهذه الآية الأخيرة هي مطلع سورة الأنعام التى جعلت تحب في هذا المعنى وتضع من أولها إلى الآية المائة منها، ثم جاءت الآية التالية لهذه المائة بالنتيجة المقصودة.

فبعد أن بينت السورة أن الله هو خالق

ثورة العالم الإسلامي اليوم

مقال لمُنشَر للمغفور له

الأستاذ أحمد أمين

كل ذلك جرى والشرق نائم ، لا يعرف حالة الغرب ، وتفوقه عليه ، وقد كان الغرب قبل هذه الثورة كالشرق أو أقل منه ، ولكنها جعلته بعد ذلك يصحو ويعلو ويتقوى في حين أن الشرق ظل نائماً ، لا يعرف من العلم إلا القليل ، ولا من الصناعة إلا الصناعة القديمة ولا من الآلات الحربية إلا القديم .

ثم أن كان الغرب محتاجاً إلى مواد خامة لا يجدها إلا في الشرق ، ومحتاجاً إلى أسواق جديدة يصرف فيها ما أنتجته الصناعة الحديثة فلم يكن يكفل له حاجاته إلا الشرق وأسواقه فاحتك الغرب به وغزاه ، وقد كان يتهيأ له فلما احتك به وحاربه تبين له ضعفه وأطمعته الضربة الأولى في الثانية ، والثانية في الثالثة حتى أصبح الشرق كله عبداً ذليلاً للغرب ، يستغله لمصلحته ، ويأخذ منه المواد التي يريد ، ويمنعه من مسابقتها حيث يريد .

فإن أبي ضربه ضربة شديدة يؤدبه بها ، حتى استذله ، ولكن ما لبث أن تبين أن هذه النقمة في الظاهر كانت نعمة على الشرق في الباطن ، فقد أخذ الشرق ينشئ المدارس على النمط الغربي ، ويعلم العلوم الغربية ويرسل

كان العالم الإسلامي إلى عهد قريب يعيش في عزلة عما حوله ، ولا يدري عن الغرب شيئاً إلا أفراد قلائل ، يتعلمون على أساليبه القديمة ، ويقومون الكتب القديمة ، ويعيشون على التقليد القديمة ، ويحاربون أيضاً - إن حاربوا - على النمط القديم .

وقد كان الغرب على هذا النمط أيضاً في القرون الوسطى حتى جاءت الثورة الفرنسية فقلبت الأوضاع ، وحركت العقول ، وشببت العواطف ، ونادت بعدم احترام القديم ، والتجديد في كل شيء . وقالت : إن القديم لا يقدس لقدمه ، ولا الجديد لجديته ، ولكن يحكم العقل في القديم والجديد . وامتدت هذه الثورة إلى إنجلترا وألمانيا وكل البلاد الغربية المجاورة . وكان من أثرها الانتقاص على الحكومات وعلى كل شيء ، وتأسيس نظم جديدة لكل شيء .

ثم حدثت بعدها ثورة اقتصادية ، وثورة صناعية ، كان من أثرها الاختراعات الحديثة في البخار والكهرباء ، والموجات الهوائية ، وغير ذلك ، فأكسبهم ذلك قدرة هائلة في الآلات الحربية ، وتفوقوا فيها على الشرق .

وتركيا ، ثم كان أن انتشرت المدنية الغربية في كل مرافق الحياة .

وبعد : فماذا يريد العالم الإسلامي من ثورته ؟ يريد وقد تنبه أن يصد الغرب عن جشعه ، وأن يستقل كما استقلوا ، وأن يرعى مصالحه كما يرعون مصالحهم ، وأن تكون غلته لنفسه ، لا للغرب ، وأن يكون حكمه بنفسه ، لا بالغرب . والغرب وقد ذاق لذة الاستغلال والاستعمار والسيطرة يأبى على الشرق ذلك ، فكان الصدام في كل مكان شرقي ، في مصر ، في سوريا في تركيا ، في العراق ، لأن النوازع مختلفة والمطالب مختلفة .

وقد كان الشرق قديما يمتنى بالعودة فيستجيب ، ويضحك عليه فيرضى ، ويستغفل فيغفل ؛ أما اليوم وقد تنبه وعيه ، فقد أدرك حيل الغربيين ودسائسهم ، وأدرك ألاعيب السياسة ومقاصدها ، فلم ينخدع اليوم كما كان ينخدع من قبل ، وطالب بحريته كاملة غير منقوصة ، وأصبح الاستعمار عسيرا بعد أن كان يسيرا ، وأصبح الأدب والجرائد اليومية والتشيل والراديو تغذى المشاعر القومية ، حتى إن إنجلترا في هذه الأيام^(١) تريد حلا مزوقا ، لا يرضى عنه المصريون ، ولما زار رئيس فرنسا مراكش والجزائر ، قابله جمع

أهله بعثات للغرب ، يستمدون منه أهم ماعنده حتى السياسة وأساليبها . ثم يعودوا بعد أن يستكملوا دروسهم ، فيكونوا منارا للشرقيين . وكذلك اقتبس الشرق بعض صناعات الغرب ، وبعض أفانينه ، كالصحافة والراديو والتشيل وما إلى ذلك . وكل هذه الأمور كانت تنبه الوعي القومي وتنيره ، وزاد على ذلك أن المرأة أيضاً تنهت على يد قاسم أمين وغيره ، من تعلوا في الغرب ، واقتبسوا آراءهم في المرأة منه ، فتقدمت المرأة وقدمت أولادها ، فكل هذه الأمور أعدت الشرق للثورة .

وكانت البلاد الإسلامية كلها تقتبس من الغرب ، كل قطر حسب استعداد وظروفه وحسب منهج زعمائه . فتركيا مثلا على يد مصطفى كمال تريد أن تنقل المدنية الغربية بحذافيرها إلى بلادها ، فتختار قانونا غربيا لتطبقه عليها ، وتختار الحروف اللاتينية بدل الحروف العربية ، وتلغى المعاهد الدينية ، وتلبس الشعب البرنيطة بدل الطربوش حتى لو استطاعت أن تأخذ المسيحية بدل الإسلام لفعلت ، ومصر تقتبس من المدنية الغربية بحذر ، تأخذ منها ما تريد ، وتدع ما تريد ، ولا تريد أن تترك القديم كله ، ولا أن تأخذ الجديد كله ، فما وافق الإسلام قبلته ، وما خالفه تركته - غالبا - والبلاد الأخرى التي تجاور مصر تقلدها . وإيران والحجاز واليمن كان اقتباسها من المدنية الغربية أقل من مصر

[١] : يوم كتب هذا المقال كانت مصر لا تزال تدور في حلقة المفاوضات البريطانية المفرغة ، ولم تكن قد طلعت شمس النهضة الاستقلالية الحديثة عليها ، ولا على كثير من شقيقاتها العربيات بعد - المحلة .

التي تخيف فرنسا من تعليم اللغة العربية ، هو أن اللغة العربية وسيلة القرآن ، والقرآن يناهض الحركة الاستعمارية . وقد صرح كبير فرنسي في إحدى جرائدهم بذلك . وهو حق .

وتختلف أيضا الأفطار الإسلامية بالتزام تعاليم الإسلام ، واصطباغ أهله حكومة وشعبا بصبغته . وربما كان من أوائل الأمم الإسلامية باكستان . فهي تعتز بالإسلام اعتزازا كبيرا ، وتريد أن تنظم حكومتها ومشاريعها على أساس إسلامي . ولها كل الحق في ذلك . غاية الأمر أنه يلزمها المرونة في التشريع حسب مقتضيات الحال والزمان ، كما يلزمها أن تقتبس من العلوم الغربية ما استطاعت فتكون مشاعرها وآدابها إسلامية ، وتكون علومها غربية . ولا ضرر في ذلك ، بل فيه كل النفع . والإسلام نفسه يدعو إلى ذلك .

وأسس الدين لا تتغير . ولكن أسس العلم تتغير كل يوم ، حتى إن علم أفلاطون وأرسطو لا يصلح لتلاميذ مدارسنا اليوم ، بل إن الطبعة الأولى من كتاب علي لم تعد تصلح بعد ظهور الطبعة الثانية منقحة مهيبة . والله المسئول أن يلهم قادة الغربيين الصواب ، فيفهموا أن السياسة القديمة لا يصلح تطبيقها على العهد الجديد ، ويعصم المسلمين من الزلل فيسيروا على خطة حكيمة حتى في ثورتهم ليصلوا إلى غايتهم ؟ .

أحمد أمين

من القواد الغربيين وطالبا أن يكون التعليم بلغة قومهم ، وثار المغاربة في العهد الأخير ، يريدون الاستقلال ، ولم يعودوا يطبقون المذلة ، ودعوة الإسلام نفسها تلب قلوب المسلمين ، ليسترجعوا ما فقد من بلادهم ، ويستقلوا عن محكمهم من غير دينهم .

ويظهر أن هذا الصراع سيطول ؛ لأن العقلية الأوروبية لا تريد أن تتغير عما عهدته من قبل ، ولا تريد أن تسير الحركة الإسلامية وقد تطورت .

ويظهر أن الزمن سيكون في صالح المسلمين لأن عوامل إثارة الشعوب من جرائد وكتب ومقالات وخطب تلب شعورهم مع الزمان . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى تلبهم الحركات الشيوعية التي تعمل عملها في رفض الاستعمار ومحاربه . فالزمن كفيل بأن الاستعمار يعرض عليهم فيما بعد ما لا يقبلونه وقد كانوا يقبلونه اليوم .

وأيضاً فإن علم المسلمين سيزداد ، وصناعاتهم ستتحسن ، وشعورهم القومي سيلتهب بفضل أخطاء الاستعمار ، وبفضل انتشار التعاليم التي تدعو إلى الحرية والإنسانية .

هذا إلى أن هناك نزعة جديدة إلى العودة إلى الإسلام وتعاليمه ، ومتى انتشرت هذه الدعوة دحرت دول الاستعمار ؛ لأن من فضل الإسلام أنه يثبت في معتقبيه العزة والشعور بأن دين الإسلام لا يصح أن يحكم بدين غيره . وهذا ما يخشاه المستعمرون ، وخصوصا الفرنسيين فمن أكبر الأسباب

نَفْحَاتُ الْقُرْآنِ

مَسْئُولِيَّةُ الْمَرْءِ عَنْ إِضْلَالِ نَفْسِهِ

لِلْأَسْتَاذِ عَبْدِ الْلطِيفِ السَّبْكِ

سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ

الباطنة ويتخذ الإنسان من عقله رائداً في الموازنة بين ما هو عليه ، وما ينبغي له ، أو بين ما يوحى به الضمير وما تجنح إليه الميول فالغالب أن يجد للضمير غلبة وللحق

سلطاناً ، فإذا ما طغت نوازع الهوى ، أو تعثر الضمير فضعف لدى الإنسان سلطان الحق فإن صوت الدين غير خافت ، ودعوة الله موصولة بالآسماع ، وغير محجوبة عن الأبصار وبقية الحواس في كل ما تشهده العين وسواها من صور الطبيعة وألوانها ، وأعراضها .

وقد عهدنا في القرآن حرصاً على هداية الناس بالحث على النظر في آياته المتسلوة والكونية وعهدنا فيه الاحتكام إلى عقولنا في تقدير دعوته ولافتناع بكل آياته وتصديق الرسالة ، والاتجاه إلى الطاعة .

هناك صرفة وصرف ، أما الصرفة فقول الكفار من قريش : إن القرآن في ذاته غير معجز بلفظه ولا بمعناه ، ولكن الله صرفنا بقدرته عن الإتيان بمثله .

ومع أن هذا تطاول منهم وإنكار بغير حق ففيه اعتراف ضمن بجلال القرآن وسموه عن مدارك البشر ولكنهم لا يفقهون . وليس هذا موضوعنا الذي نتجه إليه .

١ — بل موضوعنا صرف الله لبعض الناس عن آياته ، فلا يتدبرونها على الوجه الحق . وهذا شطر من آية في القرآن يثير جدلاً بين المرء ونفسه ، ويدفع بالإنسان في مجال فسيح من التفكير في تحديد مسلكه أمام دينه وربّه ، وربما امتد هذا التفكير من الحيز الفردى إلى الجماعة الكثيرة .

وحينما يضطرب الصدر بهذه الأحاسيس

من جانب الإنسان والجزاء عدل من جانب الله
بصرف العبد ...

وقد يقال : إن العبد رهين بالمشيئة من الله
فلو شاء الله هدايته لهداه كما نطق القرآن نفسه
بذلك في كثير من آياته « ولو شئنا لآتينا كل
نفس هداها » ، « ولو شاء لهداكم أجمعين ..
الآيات » .

فكيف تلقى على المرء تبعه ضلاله ، ونتجه
إليه باللائمة ، وهو مغلوب على أمره ؟ ..

٣ — ونحب أن نكرر ونؤكد أن للعبد
إرادة في الاختيار ، وهو المذهب العلمى الذى
ندركه فى سهولة ، ونختار الجنوح إليه ، وهو
المعقول الذى تتضح به مسؤولية العبد عن
تبعاته ، حيث أراد لنفسه ما أراد .

وهو ما يتمشى مع نسق الكتاب العزيز
فى كل ما أتى به فى هذا الشأن « كل امرئ
بما كسب رهين » ، « كل نفس بما كسبت
رهينة » ، « بما كسبتم ، « بما كنتم تكسبون » ،
« ليعجزى الذين أساءوا بما عملوا » .

وزيادة فى البسط مع الإيجاز نذكر الناس
بأن للإنسان علاقة روحية بالله ، وعلاقة
مادية بالدنيا .

وقد جعل الله من صفته فى تربية عباده
أن ينههم دائماً إلى العلاقتين ، ليعرف
الواحد منا حق الله عليه ، ويحاول الوفاء به
ما استطاع ، وليدرك نصيبه من الدنيا ويتمتع
فيها بنصيبه المقسوم له متاعاً غير مشوب

ولكن الموطر الذى نحن فيه الآن
إزاء ما معنا من آية الموضوع يواجها فى
صراحة بأن العبرة بما فى الآيات ليست
متاحة لكل إنسان ، وأن الله يصرف عنها
الإنسان فلا يمكنه أن يفطن إلى شئ من
هدايتها .

فكيف يستقر الفهم على الجمع بين الاهتداء
بالآيات كما أمر الله ، وبين صرف الله عن
العبرة بآياته كما صرح به فى قوله تعالى
« سأصرف عن آياتى ... » .

٢ — وجواب ذلك بديهي مبسوط
فى نفس الآية ، فإن « تمامها » .. الذين
يتكبرون فى الأرض بغير الحق . ومن هذا
يتضح أن الصرف عن الآيات وفهمها ليس
مفروضاً دائماً ، وإنما هو معاملة بالمثل
فالذين يتكبرون عن المطاوعة ، ويتورطون
فى الكبرياء بين الناس ويفرضون لأنفسهم
تدخلا فى سلطان الله ، وفى تشريعه لعباده ،
يفرضون سيادة غاشمة بين خلقه : هؤلاء
الذين يحالون أن يتصلوا من العبودية
ويتفلتوا من دعوة التكليف هم الذين أبعدوا
أنفسهم عن ذكر ربهم . وأغفلوا نداء الله
لهم ، فصرفهم الله عن تدارك أنفسهم ،
وشغلهم فى لهوهم عن الرجوع إلى آياته ،
وهؤلاء هم الذين تحدث عنهم القرآن بأنهم
« نسوا الله فأنساهم أنفسهم » ، فالجفوة بادية

تستقل بمجهودهم، وتستأثر بأعمالهم، وتقتضيهم أن يتفرغوا منها لما هو منوط بهم كالرسل عليهم صلوات الله، فلم تسكن حياتهم لأنفسهم بل كانت للدعوة والإصلاح وتوجيه الأمم إلى ما يراد منها، فحاجة الرسل إلى الدنيا في المسكان الأخير بالنسبة لشأنهم هذا.

على أن من الرسل من جعل الله في قبضته رزقا واسعا، وجعل له بجانب هذا الرزق سلطانا مكيئا، وحكما نافذا حتى على الجن والطير، فلو كانت الدنيا حقيرة كما زعم زاعمون لما منحها خالقها لأكرم الناس عنده وهم رسله الأخيار من عباده.

هـ — وأما علاقة الإنسان بالله روحياً فتلك ملاك الأمر كله فإن سبحانه هو الأول بلا بداية، ومنه الخلق والرزق والحياة والموت.

وهو سبحانه الآخر بلا نهاية فالإله المرجع والحساب.

والمرء فيما بين أوله وآخره بين أصابع الرحمن، وتحت سلطانه، فكيف تنقطع علاقته برّبه، وكيف ينفك من عقاله هذا وعقاله في يد قوية وفي إرساء متين ؟

صلة العبد بالله صلة الفقير جدا بالغنى جدا فإن تسكن حاجة الفقير داعية إلى الأدب، والتواضع والاعتراف بالجميل فكذلك حاجة العبد أو أشد بكثير وكثير،

بكسفران، ولا غفلة عما وراها من حساب.

وليس بين العلاقتين تعارض كما يتصور ذلك أفراد منا، وكما يصوره للناس بعض الواعظين.

فمن الحق أن العلاقتين بالنسبة للإنسان كجناحي الطائر يحتاج إليهما معا، ولا يمكنه أن ينهض بأحدهما نهوضا يعتد به في حياته هذه أو فيما بعد هذه الحياة.

فالدنيا مجال العمل، ومرحلة الاستعداد لحياة خالدة... والعمل فيها لا يكون إلا بالتزود من خيرها. ولا يكون بالانقطاع عنها... وإذا كان القرآن يزهدنا فيها ويفضل لنا متاع الآخرة فذلك للتحذير من غرورها والاستسلام لزينتها ومرحها، ولإيقاظ وعينا نحو ما هو مغيب عنا في الحياة الثانية وما فيها من ترفه لنا. ونعيم هو خير وأبقى من نعيمنا الحاضر مهما بلغ.

أما الدنيا في ذاتها فهي متاع. وفيها نعيم وفيها مظاهر قدرة الله، وأنواع فضله على عباده، وفيها فرصة الادخار للنعيم المقيم، وقد أشاد بها القرآن كثيراً، وامتن الله على عباده بما خلق لهم فيها من ضروب نعمائه.

٤ — وإذا كان في عباد الله من أخذوا منها بالقليل، وعاشوا فيها على الرضا، وحذروها أكثر من سواهم فلأن لهم رسالة

مع ملاحظة الفارق بين العبودية والربوبية .
٦ — وحينما يتبجح الفقير في وجه الغنى المحسن إليه يكون الفقير قد أساء إلى نفسه ، وانحاز بها إلى الحرمان من خير كان يغمره عن طريق الإحسان ، فهو شؤم على نفسه واللائمة عليه لا على غيره ...

٧ — وإن يسكن هذا الذى فى آية الموضوع مسوقا فى جانب الكفار من أهل الكتاب أو المشركين لجانب العبرة فيه موجه إلى الجميع بما فيهم المسلمون ، فإنه لتربية الناس عامة ، وليس لتهديب فريق دون فريق ، فإن عدل الله سواء فى جزاء كل بما عمل ، وما هناك من عفو أو مزيد فى العطاء فإنما يكون لحكمة يعلمها هو ؛ دون استحقاقنا لذلك إلا مجرد فضل من عنده

وهذه معاملة إحسان يفيض من الجانب الأعلى : لا وجوبا لنا ، ولا لزاما عليه ، ولكنه يعاملنا بما يليق به هو من كرم ورحمة كتبها على نفسه ، فهمى من كاله ، وجلاله ومن مقتضى ذاتياته القدسية وصفاته العلوية ، فيكون حتما علينا عقلا أن نخضع ونؤمن ، وأن نفكر ونشكر .

هذا توجيه إلى ناحية اتصال العبد بربه من طريق الدين والدنيا ، ويتبين منه واضحا أن الدين يلتقى مع الدنيا فى أصح التثام . وأكرم تقدير : إلا من ختم الله على قلبه وسمعه وجعل على بصره غشاوة وتركه لشیطانہ يخرجہ من النور إلى الظلمات ،

فإن رأى آية من آيات الله فلا يؤمن بها ، وإن ير سبيل الرشدا لا يتخذ سبيلا ، وإن ير سبيل الغنى يتخذ سبيلا وهؤلاء هم الذين كذبوا بآيات الله ، وكانوا عنها غافلين .

٧ — وإن يسكن هذا الذى فى آية الموضوع مسوقا فى جانب الكفار من أهل الكتاب أو المشركين لجانب العبرة فيه موجه إلى الجميع بما فيهم المسلمون ، فإنه لتربية الناس عامة ، وليس لتهديب فريق دون فريق ، فإن عدل الله سواء فى جزاء كل بما عمل ، وما هناك من عفو أو مزيد فى العطاء فإنما يكون لحكمة يعلمها هو ؛ دون استحقاقنا لذلك إلا مجرد فضل من عنده سبحانه وفى حديث قدسى (... وإنما هى أعمالكم ، أحصيا عليكم ، ثم أوفى لكم) . وإن التحاكم إلى العقل فى هذا الكفيل برد الفكر عن شططه فى الأمانى ، وكفيل بتركيز إيماننا وتقديرنا لعدل الله فيما يعامل به عباده من غضب وعذاب بعد أن بين لنا الحجة ودعانا إلى الاهتداء ومحاولة التخلص من حائل الشيطان بطرح وسائسه والاستعاذة بالله من نزغاته .

هذا - وقد بيدر إلى الأذهان أن ضلالة المرء هى كفره ، أو جرائمه الشخصية فى عمله الخاص به .

٨ — ولكن هناك جانبنا من الضلال لا

أو في المسلك شائعة بيننا في رجال وسيدات ،
وفي شبان وشابات محسوبين من البيئة
الإسلامية . وما هم منها إلا في الإحصاء
والتعداد .

وهل تظن أن رجلا بلغ من العمر ما بلغ
فإذا سأله عن الصلاة وهو مسلم — فيما
يقول — أو سأله أن يقرأ الفاتحة أو يفرق
بين الفرض والنفل في دينه ، أو سأله عن
معنى الحج : وقف من سؤالك موقف العجب
في دهشة ، وموقف الجاهل في خزي بما فاجأته
بسؤالك الغريب على عقله ! .

وهل تظن أن سيدة في عداد المسلمات
تسألها عن ربها فتقول : اسمه محمد ، وتسألها
عن محمد فلا تعرف شأنه في الدنيا ! وهي أم
تربي أطفالا ! .

وهذه أمثلة من واقع الحياة في بيوت
تحسبها مسلمة ، ولكن جوها ، وطابعها ،
وكل ما يدور فيها من أقوال وأعمال هو
اقتباس من الغير ومحاكاة للغير ، وارتياح
إلى ما عرفوا عن الغير . وهم بعد ذلك كله
في غير قلق لما هم عليه من ضياع . بل ، ولا
في أدنى تفكير للنظر فيما هم عليه ، وحسبهم
في حياتهم أنهم سادرون في غفلة عما وراه
حياتهم هذه ما داموا يمحرون ، ويلعبون ،
وما داموا يتمتعون ويأكلون ، وإن كانوا
يأكلون كما تأكل الأنعام .

يفطن إليه سوى قليل من الناس ، وهو جانب
الإضلال للغير ، فتلك وظيفة الشيطان مع
أتباعه ، وسياسة شياطين الإنس مع رفاقهم
من أهل الأهواء .

وقديما كانت هذه شائعة بين المستكبرين
والمستضعفين من الناس في الإقبال على
الإيمان والصدود عنه .

وللقرآن حملات صادقة عنيفة على تحكم
المستكبرين في المستضعفين ، وعلى متابعة
هؤلاء الضعفاء لأوثك في الكفر والتخلف
عن دعوة ربهم .

وللقرآن كذلك تصوير صادق ومزعج
لحالة الفريقتين وموقف كل من صاحبه يوم
يتحاجون عند ربهم ، ويلقى بعضهم تبعه
جرمه على الآخر .

ولعل هذا النوع من الضلال والكفر
المتبادل بين المتبوع والتابع يكون باقيا في
كثير من الأوساط على الرغم من ذبوع
التعليم ، وانطلاق الفكر في مجال البحث
والموازنة والاختيار .

فإن كثيرا من البيئات لا تزال غير آبهة
بوضعها الديني ، ولا مقبلة على تصحيح هذا
الوضع ؛ وإن توافرت حولها وسائل الهداية ،
وسهلت عليها مآخذ المعرفة ، فبقي للتقليد أثره
الفعال في نفوس الناشئين في بيوت يشيع
فيها التحلل ، ولا يوجد فيها توجيه صحيح .

ومن هذا نجد ألوانا من الضلال في العقيدة ،

وهذا ما أعتقده : دون أن أكون مستصحباً
لسند يبيح لى الابتكار فى الأحكام ؟؟ فضلاً
عن بعدى عما شرع الله ، وتركز فى أذهان
المسلمين ، واستقرت عليه الأوضاع ، وأصبح
معلوماً من الدين بالضرورة ؟؟ .

ليس هذا الابتكار الخطير مجرد غلطة ،
أو ضلالة شخصية . وإنما هو إضلال للغير ،
وليس فى الناس أظلم من افترى على الله
الكذب وهو يدعى إلى الإسلام .

١٠ - أقول ذلك : وفى النفس لاجع من
الأسف لأن رجالاً وسيدات أيضاً يتصدون
لتفسير القرآن فى مجالات يقرؤها المسلمون
تفسيراً عجيباً جداً والمسلمون يرون فى هذه
التفسيرات الخاطئة جرة على الكتاب الحكيم .
ويبرءون إلى الله من الأخذ بهذه التفسيرات
حفاظاً على دينهم ، وخوفاً من ربهم .

ولو تركنا الناس يفعلون المحرم وهم
يعتقدونه محرماً لكان خيراً لنا وللناس وللدين
من أن نقول لهم : هذا الحرام عند الله حلال
فى رأينا ، أو نقول لهم إن ماترونه مصلحة
لكم يبيح ما حرم عليكم : فهذا التأويل
تستباح الحرمات ، وتهدر النصوص وتلقى
القيم وترفع الحدود التى وضعها الله بين حرامه
وحلاله ، ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه .
هدانا الله جميعاً وعصمنا من الزلل .

عبد اللطيف السبكى

عضو جماعة كبار العلماء

٩ - وهناك نوع من الاضلال أشد خطراً
مما ذكرنا من فعل الإنسان للجريمة ،
فى أو تقصيره الاهتداء .

هناك أناس يتصدون لدعوة الغير إلى ناحية
الدين ، أو هم فى دعوتهم غير مباغين لما جاء
فى كتاب أو سنة ، بل مبتدعون لشيء جديد
من عندياتهم ، وغير معتمدين على قول الله ،
أو لرسوله أو على أثر لأصحاب الرسول ، فإذا
تنتظر من هؤلاء المعتمدين على أنفسهم فى
التشريع الأحكام سوى المخالفة المردية فى
الهلاك ، وسوى البعد بالناس عن دينهم الحق .
المفروض فى عالم الدين أنه أمين على ما عرف
من حكم الله ، وأنه يؤازر الناس ويحبب إليهم ،
الطاعة والحرص على أحكام دينهم . . فإذا
أتاح لنفسه أن يجتهد فليعتمد على ما لديه من
دليل منصوص وليسعن برأى العلماء كما كان
الرسول أحياناً يستعين بمشورة أصحابه . .

وكما كان الصحابة من بعده يستعين بعضهم
ببعض ، ليتعرفوا ما لدى بعضهم من نص ،
أو ليتعاونوا فى التجرد عن وجه المصلحة
فيما هم بسبيله من تعرف الحكم المطلوب . .

فما بالنا وقد ابتدع بعض المعاصرين خطة
غريبة فى التحليل والتحريم ، وما ذلك التشريع
إلا حقاً لله وحده ، واستمداداً من تشريعه
واهتداء برسوله فيما وضع لنا ونصح به ؟؟ .
أيكفى أن أقول للناس : هذا ما أراه ،

تطوير الفقه الإسلامى

للدكتور محمد يوسف موسى

فى بعض هذه المؤتمرات أن الفقه الإسلامى فقه أصيل حى ، وأنه قابل للتطور ومسيرة الحياة الحاضرة .

* * *

هذا ، وإذا كنا ندعو منذ سنوات إلى وجوب العمل الجاد لتطوير الفقه الإسلامى فى حدود الكتاب والسنة ، فإن ذلك ليس بدعة منا ، بل إن الذى ندعو جاهدين له هو السير على المنهج الذى سبناه لنا الصحابة والتابعون أنفسهم رضى الله عنهم ؛ هؤلاء الفقهاء الأجلاء الذين أدركوا هذه الحقيقة ، وعملوا لها ، وضربوا لنا فى سبيلها كثيرا من المثل التى يجب احتذاؤها والاهتداء بها . وقد ذكرنا فى المقال السابق بعض تلك المثل الهادية ، ونقدم اليوم ببعض المثل الأخرى ، وكلها من الفقه الأصيل لساداتنا أصحاب الرسول وتابعيهم بإحسان، وهى هذه:

١ - ضمانة الصانع والمودع ونحوهما:

من المعروف عقلا وشرعا أن يد المودع يد أمانة كما يقول الفقهاء ، وأن الأمين على

الفقه الإسلامى قابل للتطور بلا ريب ، وله من أصوله ما يجعل هذا التطور أمرا ميسورا مشروعا بل واجبا ، مثل الإجماع والاستحسان والمصالح المرسله . ولو لم يكن الأمر كذلك ، لما صح أن نقول بحق : بأن الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان . وذلك بأن الأحكام التشريعية التى جاءت بالكتاب والسنة ، والتى أثرت عن الصحابة والتابعين ، بل التى وصلت إلينا عن الأئمة أصحاب المذاهب الفقهية المعروفة ، هى أحكام تبين وجه الحق فيما كان فى تلك الأزمنة الماضية من مسائل ومشاكل تتطلب بيان حكم الله فيها ؛ على حين أن الحوادث والمسائل التى يجب معرفة أحكامها الشرعية لا تتناهى ، بل هى تتجدد وتزيد دائما فى كل عصر وزمان ومكان .

وقد فطن كثير من علماء القانون الغربيين إلى هذه الحقيقة ، وهى قبول الفقه الإسلامى للتطور حسب أصوله ، ونادوا بها فى كثير من المؤتمرات التى يعقدونها لأبحاث القانون المقارن ، وكان مما قرروه

ما ضاع منهم أو هلك ، إلا إذا أقاموا
البينة الشرعية على أن ذلك لم يكن بتفريط
أو تقصير منهم . وكان أول من ذهب إلى هذا
الرأى الإمام على رضى الله عنه ، وفى ذلك
آثار كثيرة يروها الإمام البيهقي وغيره ،
وهى يقوى بعضها بعضا ، وكلها تدل على
تضمن الصناع والأجراء ونحوهم ، ونذكر
من هذه الآثار ما يلى :

(أ) ضمن على بن أبى طالب العمال
والصياغ ، وقال : لا يصلح الناس إلا ذلك .
(ب) وعن جعفر بن محمد عن أبيه أن
عليها كان يضمن الصياغ والصانع ، وقال :
لا يصلح الناس إلا ذاك .

(ج) وعن قتادة أن عليا كان يضمن
الآجير ، وروى مثله أيضاً عن الشعبي .
وقد تتابع الفقهاء على الأخذ بمذهب
الإمام على فى ذلك ، ومنهم القاضى شريح
ابن الحارث السكندى فقد جاء عن محمد ابن
الحسن الشيبانى أن رجلا أتى شريحاً فقال له :
دفع إلى هذا ثوبا فاحترق بيتى فاحترق ثوبه ،
قال : ادفع إليه ثوبه (يريد ثمنه أو قيمته) ،
قال : أدفع إليه ثوبه وقد احترق بيتى ! قال :
أرأيت لو احترق بيته أكنت تدع أجره (١) .

وأخذ من بعد هذا الإمام الشافعى
بمذهب القاضى شريح ، فقد ضمن قصاراً

شئ تحت يده لا يضمن قيمته إذا ضاع
أو هلك إلا إذا ثبت تعديه وتفريطه فى حفظه
كما ينبغى ، فالنساج والخياط والحذّاء مثلاً
لا يضمن أحدهم شيئاً مما تحت أيديهم ؛ لأنهم
أمناء عليه إلا إذا كان أحدهم قد تعدى
وفرط ، فحينئذ يكون عليه الضمان ، وفى هذا
يقول صلى الله عليه وسلم : « لا ضمان على
مؤمن (١) » .

هكذا كان العمل والحكم أيام الرسول ،
فكان لا يحكم بتضمن الصناع والمودعين
والمستعيرين ما فقدوه مما كان أمانة لديهم
إذا ادعى الواحد منهم هلاكه دون تفريط
أو تقصير منه ، وكانت القاعدة تصديقهم
فما يقولون .

إلا أنه حدث أيام الصحابة والتابعين أن
أخذ الزمان ينال من ضمائر بعض الناس ،
وبخاصة بعد أن دخل فى الإسلام من لم يأخذوا
أنفسهم بما جاء به هذا الدين القيم من تشريعات
وتعاليم وأخلاق وآداب . ومن هنا بدأت
الحيانة تظهر من البعض ، واستهانوا بالكذب
فى معاملاتهم ، فكان لا بد من علاج هذا
الحال بما يجعل الأمين على شئ يحرص
على حفظه كما ينبغى .

وكان هذا العلاج هو الحكم بتضمينهم

(١) راجع نيل الأوطار ٥ : ٢٩٦ ،

والسنن الكبرى للبيهقي ج ٦ : ٢٨٩ - ٢٩٠ .

(١) كتاب الآثار ، ص ١٣٥ .

احترق بيته ، فقال له هذا : أتضمنى وقد احترق بيتى ا فرد عليه بقوله : أرايت لو احترق بيته أكنت تترك له أجرك (١) .

ونرى من هذه الآثار والنقول أن الفقهاء استحدثوا أحكاماً جديدة فى هذه المسألة ، مسألة تضمين من أؤتمن على شىء أو عدم تضمينه ، وذلك لتغير الزمن وحدث حال يتطلب هذه الأحكام ؛ وإن كان فى هذا تخصيص النص النبوى الذى يقول بأنه لاضمان على مؤتمن ، أو ترك الأخذ بظاهره فى كل حال وزمان .

٢ - تقرير الدية نقراً :

وإذا كان المثال السابق يدخل فى نطاق القانون المدنى ، فهذا مثال آخر يدخل فى القانون الجنائى ، وهو أن الرسول صلى الله عليه وسلم قضى بأن من قتل رجلاً خطأ فعليه دية مائة من الإبل ، وإن اختلفت الروايات فى بيان أنواعها ؛ فقد جاء فى إحدى الروايات أن هذه المائة يكون منها ثلاثون بنت مخاض ، وثلاثون بنت لبون ، وثلاثون حقة ، وعشرة بنات لبون ذكر . وفى رواية أخرى أنها تكون عشرين حقة ، ومثلها جذعة ، ومثلها بنت

(١) السنن الكبرى ٦ : ١٢٢ .

مخاض ومثلها بنت لبون ، ومثلها بنات مخاض ذكر (١) .

وفى حديث آخر رواه أبو داود فى سننه عن عطاء بن أبى رباح أن الرسول صلى الله عليه وسلم فرض فى الدية على أهل الإبل مائة منها ، وعلى أهل البقر مائتى بقرة ، وعلى أهل الشاء أثنى شاة ، وعلى أهل الحلال مائتى حلة . وفى حديث آخر رواه ابن عباس أنه عليه الصلاة والسلام جعل دية رجل من بنى عدى قتل اثنى عشر ألف درهم (٢) .

وبعد هذين الحديثين الأخيرين ، وهما اللذان روى أحدهما عطاء والثانى ابن عباس واللذان يرى رجال علم الحديث أن فيهما مقالا ، يروى عمر بن شعيب أثرأ لا ريب فى صحته يقول فيه : كانت قيمة الدية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانمائة دينار أو ثمانية آلاف درهم ، فكان ذلك كذلك حتى استخلف عمر رحمه الله فقام خطيباً فقال :

(١) الحقة هى التى دخلت فى السنة الرابعة حتى أن يطرقها الفحل ، والجذعة ما دخلت فى الخامسة ، وبنت المخاض ما دخلت فى الثانية ، وبنت اللبون ما دخلت فى الثالثة وصارت أمها ذات لبن بوضع حمل آخر .

(٢) هذه الأحاديث وردت فى باب « الدية » فى كتب الحديث والسنة ، وهى كلها فى سنن أبى داود ٤ : ٢٥٦ - ٢٥٨ . وراجع أيضاً للموطأ للإمام مالك ج ٢ : ١٨١ - ١٨٢ ، والجامع لأحكام القرآن للجصاص ج ٢ : ٢٨٣ وما بعدها .

ما يتفق وما جاء في الأثر الذى رواه عمر بن شبيب إذ يقول بعد أن ذكر ما كان عليه العمل أيام الرسول : فكان كذلك حتى استخلف عمر ، إلى آخر هذا الأثر الصحيح . ومهما يكن ، فإن عمر لم يخالف فى الحقيقة عن أمر الرسول وسنته ؛ لأن المراد هو تعويض أهل القتل تعويضا مناسبا ، وهذا التعويض قد يكون بالإبل فى حال ، كما قد يكون بغير الإبل فى أحوال أخرى حسب الزمن وأجناس المال الميسور على القاتل أداء الدية منه .^(١)

٣ - حكم التفسير :

الغرض من التجارة هو تبادل السلع والربح منها ، ومن قواعد المعاملات التراضى بين الطرفين على المبيع والثلث ، فلا يجوز إكراه البائع على البيع بثمن محدود لا يرضاه ، ولهذا ورد فى كثير من الأحاديث والآثار أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يرض بالتفسير ، حين طلب ذلك منه . ومن هذه الأحاديث : ما رواه أبوهريرة رضى الله عنه من أن رجلا جاء إلى الرسول فقال :

« يا رسول الله سعر لنا ، فقال : « بل

[١] راجع فى المسألة من جميع نواحيها ، الروض الضيق ٤ : ٢٤٩ - ٢٥١ ، وفيه بيان آراء الشعة أيضا .

« ألا إن الإبل قد غلت ، ثم فرضها على أهل الذهب ألف دينار ، وعلى أهل الورق اثني عشر ألفاً ، وعلى أهل البقر مائتي بقرة وعلى أهل الشاة أثنى شاة ، وعلى أهل الحلال مائتي حلة^(١) .

هذه أحاديث وآثار وردت فى مسألة الدية وتقديرها ، فما الذى يستطيع الباحث المحقق أن يأخذ منها ؟ أتكون من الإبل وحدها ، أم منها ومن غيرها من أجناس المال ؟

إن من الثابت الذى لا ريب فيه أن الرسول جعلها من الإبل ، والحديثان اللذان فيهما تقديرها من الإبل وغيرها فيهما عند رجال علم الحديث مقال وعلل كما ذكرنا آنفا ، وهذا ما يجعلنا نرجح أنه لم يثبت بطريق لا شك فيه أن الرسول جعلها من الإبل وغيرها .

بقى بعد هذا ما روى من الأثر الصحيح عن سيدنا عمر بن الخطاب ، وهو أنه قدرها بالذهب على أهله ، وبالفضة على أهلها ، وبالبقر على أهلها وبغير ذلك من أجناس المال التى ذكرناها ، كل على أهله .

وكل ذلك لعله لم تكن موجودة أيام الرسول استوجبت تغيير التقدير ، وهذا

[١] راجع الموطأ ٢ : ١٨٠ وشرحه المنتقى للباي ج ٧ : ٦٨ .

١٢٥٥ هـ . وجهة نظر من ذهب من الفقهاء إلى هذا رأى إذ يقول : إن الناس مسطرون على أموالمهم ، والتسعير حجر عليهم ، والإمام مأمور برعاية مصلحة المسلمين ، وليس نظره فى مصلحة المشتري برخص الثمن أولى من نظره فى مصلحة البائع بتوفير الثمن ؛ وإذا تقابل الأمران وجب تمكين الفريقين من الاجتهاد لأنفسهم . وإلزام صاحب السلعة أن يبيع بما لا يرضى مناف لقوله تعالى : (سورة النساء الآية ٢٩) : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم » .

ولكن وجهة النظر هذه لم تمنع كثيرا من فقهاء التابعين وغيرهم من إجازة التسعير ، وفى هذا يقول أبو الوليد الباجى شارح موطأ مالك حين عرض لما جاء عن أشعب من جواز التسعير : ووجه ما يجب من النظر فى مصالح العامة ، والمنع من إغلاء السعر عليهم ، وليس يجبر الناس على البيع ، وإنما يمنعون بغير السعر الذى يحدده الإمام على حسب ما يرى من المصلحة فيه للبائع والمبتاع ، ولا يمنع البائع ربحاً ولا يسوغ له ما يضر بالناس^(١) .

لنا أن نضيف إلى هذا أن على الإمام رعاية مصالح الأمة جميعاً ، ورعاية مصلحة الجماعة

أدعو ، ثم جاء آخر فقال مثل ذلك ، فقال الرسول : « بل الله يخفض ويرفع ، وإنى لأرجو أن ألقى الله وليس لأحد عندى مظلة » .

وفى حديث آخر رواه أنس بن مالك أن الناس قالوا : يا رسول الله غلا السعر فسر لنا ، فقال الرسول : « إن الله هو المسعر القابض الباسط الرازق ، وإنى لأرجو أن ألقى الله وليس أحد منكم يطالبنى بمظلة فى دم أو مال » .

وروى البيهقي أن عمر بن الخطاب أمر بئاع زبيب أن يرفع سعره أو يدخله بيته كيف شاء . ثم رجع إليه وقال له : إن الذى قلت ليس بعزمة منى ولا قضاء ، إنما هو شيء أردت به الخير لأهل البلد ؛ لحيث شئت فبيع ، وكيف شئت فبيع^(٢) .

ويؤخذ من ذلك بصراحة أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يرض بتسعير المبيعات وتحديد أثمانها ، ولهذا ذهب جمهور العلماء إلى عدم جوازه سواء فى حال الغلاء أو الرخاء ، ومن غير فرق بين السلع المحلية والأخرى المجلوبة إلى البلد .

وقد أبان الإمام الشوكانى المتوفى سنة

(١) يراجع فى هــ وما قبله سنن أبى داود ٣ : ٢٧٠ ، والسنن الكبرى للبيهقي ٦ : ٢٩ ، وسبل السلام ٣ : ٢٥ .

(١) المتن ، ج ٥ : ١٨ .

للجماعة ، هذه المصلحة التي تتطلب تسعير كثير من السلع في أحوال كثيرة نحسبها ونلصقها جميعاً .

٤ - خروج النساء للمساجد :

هذه مشكلة اجتماعية حرية أن تنال الرعاية والبحث في أيامنا ، هذه الأيام التي اشتد فيها اختلاط النساء بالرجال في كل موطن ، لا في المساجد ودور العلم فحسب ، بل في الطرقات والمتاجر ودور التمثيل والسينما وغيرها بلا ضرورة أو سبب مشروع .

والإسلام - كما نعلم - حرص على تقدير مساواة المرأة للرجل في الحقوق العامة في حدود الكتاب والسنة ، كما حرص أيضاً على صيانة المرأة وتوفير الكرامة لها ، وعلى إبعادها عن مواطن الشبهات ، وهذا وذاك نجده في كثير من آيات القرآن وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم .

ولذلك نجد في المسألة التي نحن الآن بصدد حلها هذه الأحاديث والآثار ، ومنها تنبئين حكم الإسلام في ذهاب النساء إلى المساجد للصلاة وهي : (١) .

(١) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

(١) راجع الموطأ ج ١ : ١٥٦ - ١٥٧ ، سنن أبي داود ج ١ : ٢٢١ - ٢٢٢ ، جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ج ٢ : ١٩٥ .

أولى من رعاية مصلحة الفرد من التجار ، فإن في ذلك دفعا لضرر أكبر ؛ فإن البائع هو فرد أو أفراد ، والمشترون هم الجماعات . وبذلك يكون التسعير أحيانا ضرورة لا بد منها للأمة ، كما في أثناء الحروب والأزمات الاقتصادية المختلفة ، وبهذا تحدد الدولة من تحكم بعض التجار وجشعهم ، وتحقق العدالة والمصلحة العامة للأمة كلها ، وفي هذا الخير كل الخير .

ولهذا ذهب الإمام مالك إلى جواز التسعير ، كما ذهب إليه بعض فقهاء الشافعية في حال ارتفاع الأسعار ارتفاعا لا مبرر له ، وكذلك ذهب جماعة من فقهاء الزيدية إلى جوازه في كثير من السلع (١) .

هذا ، وليس لنا أن نرى في إجازة التسعير - في رأى من ذهب إليه من الفقهاء - شيئا من المخالفة عن رأى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فإن كل ما جاء عنه أنه لم يأمر به للسبب الذي رآه ، ولعدم الحاجة الماسة إلى التسعير .

فإذا كنا نذهب مذهب فقهاء التابعين ، وغيرهم ممن جاءوا بعدهم ، في أيامنا هذه ، لم نكن إلا موافقين لما يريد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو النظر إلى المصلحة العامة

(١) راجع نيل الاوطار للإمام الشوكاني ، ج

السيوطي في شرحه لموطأ مالك — لمنعهم من الخروج إلى المساجد .

ومعنى هذا بوضوح أن الحكم الشرعي قد يتغير بتغير الزمن ولو في فترة قصيرة ، فكيف بنا اليوم بعد أن مضت هذه القرون الطويلة ، وبعد ظهور ضروب كثيرة من الفساد والمنكرات يرجع الجانب الأكبر منها إلى الفوضى في اختلاط النساء بالرجال .

ولهذا نرى في عصر التابعين أن واقف ابن عبد الله بن عمر ، وقد كان مثل جده الفاروق شجاعة وصراحة في الحق ، يقسم بالله أنه لن يأذن للنساء بالخروج إلى المساجد ، ويتبين ذلك من هذا الأثر :

عن عبد الله بن عمر أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « أتذنبوا للنساء إلى المساجد بالليل ، فقال أمين^(١) له : والله لا نأذن لمن فيتخذنه دغلاً ،^(٢) والله لا نأذن لمن ! فغضب أبوه منه وسبه وقال : أقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إئتذنبوا لمن وتقول لا نأذن لمن » ؟ .

والنتيجة أننا في هذه المسألة أمام موقفين متعارضين ولكل من صاحبهما وجهة نظر جدية بالتقدير ، موقف عبد الله بن عمر من (البقية على صفحة ٧١٩)

« لا تمنعوا إمام الله مساجد الله » ، وعن بسر ابن سعيد أنه صلى الله عليه وسلم قال : « إذا شهدت إحداكن صلاة العشاء فلا تمس طيباً » . (ب) وعن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت : « لو أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدث النساء لمنعهن المساجد كما منعه نساء بني إسرائيل » .

(ج) وعن ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم قال : « لا تمنعوا نساءكم المساجد ، وبيوتهن خير لهن » .

(د) وعن عبد الله بن مسعود أنه عليه الصلاة والسلام قال : « صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها ، وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها »^(١) .

من هذه الأحاديث نفهم أولاً أن الرسول صلى الله عليه وسلم يأمر بالامتناع للنساء من الذهاب إلى المساجد وإن كان يرى أن صلاة المرأة في بيتها أفضل من ذهابها للصلاة في المسجد ، ونفهم ثانياً من الأثر المروى عن السيدة عائشة رضي الله عنها أن الرسول لو بقي حياً حتى رأى ما أحدث النساء من الطيب والزينة وقلة التستر وتسرع الكثير منهن إلى ما هو منكراً كما يذكر الإمام

[١] جاء في كتاب جامع بيان العلم وفضله أن هذا الأمين هو « بلال » ، راجع ١ ج ٢ : ١٩٥ .
[٢] الدغل بفتح الدال : الفساد ، جاء في المختار .

[١] المخرج مثله الميم : البيت الصغير يكون داخل الكبير .

الإسلام والحياة المعاصرة

في أمادييت الرئيس أيوب خان

للأستاذ محمود الشرقاوي

يقول الرئيس أيوب خان^(١) :

هناك أمر آخر - يهكم كما يهنا : هو أننا نؤمن بأن ديننا دين تقدمي يشجع على استعمال العقل وعلى أن يتقدم مع مرور الزمن، ولكن هل يمكنكم أن تشعروا بذلك إذا ما أقيمت نظرة على العالم الإسلامي ؟.. هناك تخلف وهناك انخفاض في حالة التعليم وهناك حالة من الركود . ألا يدفعنا ذلك إلى الاهتمام بالبحث عن أسباب هذه الأخطاء وما الذي يجب إصلاحه . وأنا أعتقد أن واجب كل مسلم أن يبحث عن السبب وعمما يجب عمله لإصلاح الحال . وينبغي أن تكون لدينا الشجاعة المعنوية لنشير إلى الخطأ وإلى كيفية إصلاحه . وأنا أعتقد أن مجتمعنا الديني وزعماءنا الدينيين قد قاموا بمخدرات كبيرة في الاحتفاظ بتقاليد الإسلام وتماسك المجتمع الإسلامي ، ولكن رغم المحاولات الكثيرة هل يمكن القول بأننا نستطيع أن نساير

كان الناس يقرءون مقالنا السابق في هذه المجلة^(١) وهم يستمعون إلى أحاديث مغلطة واعية عن الإسلام وحياة المسلمين المعاصرة . أحاديث وجهها إليهم في القاهرة وفي المملكة العربية السعودية حاكم من أبرز الحكام المسلمين في هذا العصر ، وأكثرهم دراية وخبرة ، وأعمقهم ثقافة وأنفذهم فهما لروح الإسلام وشريعته ، وأشدهم حرصا على تقويم المعوج من مفاهيم هذه الشريعة . وهو الرئيس محمد أيوب خان ، رئيس جمهورية باكستان . ومنزلة الرئيس أيوب خان وتجاربه وثقافته وإخلاصه كل ذلك يجعل لأحاديثه تلك من القيمة والأثر ما نرجو أن يكون حافزا ومحركا ودافعا . كما نرجو أن يكون في هذه الأحاديث القوية المخلصة تنبيه لبعض القوم من رجال الفكر الديني في جمهوريتنا العربية المتحدة خاصة . فإن عليهم واجبا وكتنه لهم الأقدار وحفظه لهم التاريخ . سنعرفه في ختام هذا المقال .

(١) نصوص أحاديث الرئيس أيوب خان الواردة في هذا اللقاء تفصلت بها علينا سفارة باكستان في القاهرة ، والترجمة للسفارة .

(١) الثورة الرابعة ضرورة محنومة : عدد جادى الآخرة .

يصبه خطر داهم ألا وهو الغلو في المادية والإغراق، كما حدث في البلاد الغربية . ولذا فإن الحاجة تدعونا لأن نتبع مثلاً علياً أدبية وروحية للحفاظ على التوازن مع القناعة الروحية - وليست هذه المثل العليا سوى الإسلام ، وبعد أن أوضحنا هذا نجد أمامنا واجباً جسيماً جداً ألا وهو تحديد تلك المثل العليا تحديداً موضوعياً ، ذلك أنه مامن إنسان مفكر يستطيع أن ينكر أنه بالرغم مما في الإسلام من قوة تقدمية دافعة فإن المجتمعات الإسلامية قد تخلفت عن ركب العالم اليوم . فالسؤال إذن هو : إلى من يعزى الخطأ ، هل يعزى إلى الناس أم يعزى إلى الدين ؟

إن هناك فئة ممن يهرم بريق النظم العلمانية والدينية ، التي تتبع في البلاد الغربية ، تميل إلى إلقاء اللوم على الدين ، وهذا طبعاً نتيجة الجهل ، ولكن سبب هذا الجهل مفهوم . فإن مأساة الشباب العصري هي أن عليه أن يعيش في عالم يسير قدماً ، ولكنه إذا لزم عقيدته وتمسك بإيمانه وجد أن عليه أن ينظر إلى الوراء ، إذ لم يبق أحد بعد محاولة جادة لتلقيه روح الدين بالوجه الذي يفهمه على أضواء المعرفة والعلم الحديث . فبينما تنقلص المسافات بين أجزاء الأرض ويتسع أفق المعرفة ، يزداد عدد أولئك الذين يقعون في شرك الشك ، فإذا أردنا أن ننهضهم من

الزمن بمجهوداتهم ؟ وقد تتساءلون لماذا يتحتم علينا أن نسائر الزمن ؟ والجواب على ذلك أن القرآن الكريم يحض على مسايرة الزمن ، وكل من لا يحسن حاله يفنى . وهذا هو الفرق . فإننا إذا لم نسائر الزمن فسيبقنا الزمن . يجب أن نعترف بأخطائنا وأن نزيلها وإلا فسنعود إلى عهود العبودية وحينئذ سيطول أمد هذه العبودية ،^(١) وكل مدرك لأحوالنا ، نحن المسلمين ، ولأوضاعنا في الحياة المعاصرة يشعر بمثل هذا الشعور الذي صوره أيوب خان فأحسن تصويره ، ويؤمن بهذا القول الحكيم وهو أن واجب كل مسلم أن يبحث عن أسباب هذه الأخطاء ، وما الذي يجب عمله لإصلاح الحال ، نعم . هذا هو واجب كل مسلم ، أما رجال الفكر الديني الفاقهين المخلصين ، فإن واجبه في ذلك أن يكونوا قواداً ورواداً . لا أن يتابعوا الجماهير فيكتمون كلمة الحق ، ويخشون المجاهرة ، ويؤثرون السلامة .

ويقول الرئيس أيوب خان في انبساط الحياة المادية التي تسعى إليه باكستان . كما تسعى إليه الجمهورية العربية المتحدة والبلاد الإسلامية الأخرى ، وفي علاقة ذلك بالحياة الدينية ، يقول إن هذا التقدم المادي قد

[١] من خطبه الرئيس في حفلة الاتحاد القوي انكرمه ، في ٧ نوفمبر ١٩٦٠ .

إن المرء لا يملك اليوم إلا أن يشعر بأن الفكر الإسلامي إنما يعاني من حال العبودية تيس، والسؤال هو ... كيف نحرر هذا الفكر من قيوده ، وكيف نعطيهِ الفرصة للازدهار بكل ما فيه من طاقة ؟ الجواب البدهي على ذلك هو أن علينا نحن الذين يقضى ديننا بأن التغير والتبدل من أكبر الدلائل على وجود الله — أقول علينا أن نميز بين طقوس الحياة وطريقة ممارسة الحياة وأن نقر حقيقة أن المبادئ لا تتغير وإنما الذى يتغير على مر الزمن هى الطرق والأساليب ، وأن التغير ينبغى أن يكون نحو الأحسن ، ولا يكون الخير فى التغير ما لم تتسن للفكر الحرية التامة للتأمل فى الأمور الأساسية من دون حدود أو قيود . إن نجاحنا لتوقف على حل هذه المشكلة فإذا لم تحسم هذه المشكلة بالحكمة فلا بد أننا صائرون إلى الزوال ، (١) لا سمح الله .

أجل أيها الرئيس أيوب خان : إن يكون خير فى التغير ما لم تكفل للفكر الحرية التامة للتأمل : وما لم يتسم الفكر الدينى بالإخلاص والشجاعة ، على أساس من هذه الحرية .

لقد حل أصحاب الفكر الدينى فى فترة طويلة من حياة الأمة الإسلامية مشاغل

المروق فعليها أن تنهض الآن ، وأن تعمل قبل فوات الأوان ، (٢) .

ثم يتحدث عن روح الدين والطقوس الظاهرية والبدع الدخيلة على الإسلام فيقول : « إننى أعتقد أن اللوم فيما صرنا إليه إنما يقع علينا نحن لا على الدين ، فإن أكبر خطأ ارتكبناه هو أننا نسينا شيئاً : أن الدين إنما خلق للناس لا أن الناس خلقوا للدين (٣) . فكانت النتيجة أننا بدلاً من أن نضع الدين فى خدمة الإنسان ، جردناه من حقائق الحياة وأخذنا منه بالبدع - وهكذا أطلقنا لأنفسنا العنان حتى أصابنا الجحود . ذلك أننا بتجاهلنا لفروض الإسلام ولأهدافه الاجتماعية سقطنا فى حضيض البدع وعبادة المظاهر والرموز وعندها دخلنا مرحلة من الاضطراب والانحلال تشبه تلك التى أدركت أتباع المذاهب الفلسفية الأخرى التى أصابها الوهن .

[١] من خطبه الرئيس أيوب خان التى ألقاها فى جدة عند زيارته فى الشهر الماضى للملكة العربية السعودية .

[٢] جاء الإسلام شريعة وعقيدة خير البشرية عامة وصلاح الحياة الإنسانية : « يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً » الأحزاب ٤٥ - ٤٦ « يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحيككم » سورة الانفال ٢٤ .

وقد كنت أقرأ هذه الأحاديث المخلصة التي تفضلت عليّ بها سفارة باكستان في القاهرة ، وأقرأ معها مقالاً كتبه مفكر مسلم آخر من الهند ، هو الأستاذ آصف علي أصغر فيضي ، فأجده يقول :

« وأعتقد على العموم ، كما يعتقد كثير من الناس ، أن مفهوم الإسلام الآن لم يعد قوة محرّكة يهتدي الناس إلى الوجهة الصحيحة في هذه الأيام التي يسودها الهياج والاضطراب . فلا بد من تفسير جديد لأصوله ومبادئه ، ^(١) إن الإسلام يقول بأن في الكون نظاماً وترتيباً ، وهو يصير أشد الإصرار على الحق والجمال ، وعلى البر والفضيلة . أما في سبيل العلم والحق ، فلا نجد إلا حضارات قليلة أدت واجهها في نشر العلم والفلسفة ، بمثل ما أدى الإسلام من خدمات بارزة في هذا المضمار ، فأبلى الإسلام فقط يرجع الفضل في إبراز حضارة عظيمة إلى خير الوجود ، ومع ذلك نجد المسلمين فقراء اقتصادياً ، متأخرين علمياً ، ومفلسين روحياً ، ^(٢) و بعد أن خدم الإسلام الحضارة سبعة قرون ، مال نجمه للأفول ، فاختفت روحها بفعل التعصب والتحزب . أما حيوية الإسلام فقد قوض

النور والحق والمعرفة ثم كان ما وصفه الرئيس أيوب خان فأحسن الوصف في قوله :

« وما يؤسف له أن هذه الشعلة القوية من علوم الإسلام لم تدم طويلاً ، وحين جاء علينا وقت انحرفنا فيه عن روح الدين طغت السطحية على الحياة الأصلية وانتفى وجود العقل والحكمة وحل محلها التطير وأصبحنا عبيداً للتقاليد ، وإن الممالك والتيجان التي فقدوها المسلمون في مراحل التاريخ المختلفة لم ي أقل أهمية من ممالك التفكير الحر الواعي التي فقدناها خلال العهود التي ركبت فيها حركة الفكر ، وكانت النتيجة أنه — في حين كانت الحياة تسير في طريقها ظلت المعرفة الإسلامية تتخبط في سيرها ، وبدلاً من أن يصبح الإسلام الحياة الدافقة الحية ، كما هو مقدر له ، أصبح الإسلام أمر عبادة مما أدى بمعتقديه إلى أن يتخلفوا عن ركب الحياة . ومن هذه ندرك أنه لكي نحرر روح الدين من الخزعبلات ومن الركود الذي يحيط به ولكي نجعله ديناً تقدماً يتمشى مع العلم والمعرفة الحديثة يجب علينا أن نجعل هذا الهدف من أول ما يجب أن يشتمل عليه نظام التعليم عندنا ، ^(٣) .

[١] ١ ، ٢ مجلة ثقافة الهند التي يصدرها في بمبئي مجلس الهند للإبواب الثقافية ، العدد الأول من المجلد العاشر يناير ١٩٦٠ - الصفحات : ٣٥ و ٤٠ و ٤١ مقال عنوانه : تفسير جديد للإسلام .

[١] من خطبة الرئيس أيوب خان في جامعة القاهرة ٩ نوفمبر ١٩٦٠ .

هذه ثلاثة أحاديث التقي فيها على رأى واحد ثلاثة من عطاء المفكرين المسلمين ، فى بلاد إسلامية عظيمة يشغلون فيها مراكز التوجيه والحكم والقيادة والزعامة . وهى تمثل الفكر الدينى المستنير فى الدول الإسلامية الكبرى فى الشرق الأقصى . ومن قبل ذلك سمعنا ، من هذه البلاد نفسها ، أصواتا ماثلة من زعماء آخرين مصلحين ، مثل السيد أمير على وإقبال وأحمد خان ومحمد على الهندى . وكانت هذه الأصوات تلتقى وتتجاوب مع أصوات مصلحين آخرين فى بلادنا الإسلامية العربية ، مثل جمال الدين الأفغانى والإمام محمد عبده ، والشيخ المراغى .

فهل لرجال الفكر الدينى عندنا أن يصغوا إلى تلك الأصوات المخلصة ويتدبروها ؟ بل هل لهم أن يتلقفوا نداءها وأن يسارعوا لاستجابتها والعمل بدعوتها ... ؟ .

* * *

إن على رجال الفكر الدينى فى الجمهورية العربية المتحدة واجباً حملاً إياهم الرئيس أيوب خان حين يقول : « إن جهودنا وحدها فى هذا السبيل ليست كافية ، ونحن فى هذا السبيل نتطلع إلى المعونة والهداية من القاهرة ودمشق ، وهما المركزان الإسلاميان للعلم والحديث ، ونحن نريد أن نتعاون فى سبيل تحقيق أهداف الإسلام الحقيقية دون

الاستبداد أركانها ، وجعل عاليها سافلها ،^(١) ثم يقول الأستاذ آصف : « فلنقم بتخليص الإسلام الذى هو الروح المشرقة للسعادة والرحمة والإخاء والقساح والاعتدال ، حتى يكون الإنسان العصرى أسعد وأعز ، بفضل تخلصه من القيود والأغلال^(٢) .

ومن قبل هذا وذاك زار القاهرة عظيم من كبار المسلمين المفكرين ، ومن الحكام الذين يسيطرون على مصائر بلد إسلامى عظيم ، هو إندونيسيا . فسمعناه يقول وهو يتحدث إلى علماء الأزهر وطلابه : « . . . وبتعاليم الإسلام الصحيحة تدرج المسلمون إلى ذروة العز والشرف ، وبتمسكهم بكتاب الله وسنة رسوله وما أتى به السلف أصبحت الأمة الإسلامية ذات مكانة مرموقة فى هذا العالم . وشهد التاريخ فى كل عصر من عصوره ما للأمة الإسلامية من مكانة مرموقة فى دول الشرق والغرب . والآن - وبعد مرور ألف سنة وما ينوف على ثلثمائة عام - يجد المسلمون أنفسهم سائرين فى عصر من أحلك عصور الإسلام ، ملء بالعظاات والدروس القيمة ، .

* * *

[٢٠١] المصدر السابق - بدأ دهم خالد نائب رئيس الوزراء ورئيس حزب نهضة العلماء بإندونيسيا . من الخطاب الذى ألقاه فى حفل تكريمه بقاعة المحاضرات بالجامع الأزهر ص ١٧ .

ونحن نجد - كما لاحظ القدماء أنفسهم - أن أكثر هذه الأسماء مصرى. وأن السكثرة الغالبة من هؤلاء المجددين ممن أنجبهم مصر وآواتهم وعلتهم . فهم ثلاثة عشر مجدداً في ثلاثة عشر قرناً ، بينهم ثمانية مصريون ، هم : عمر بن عبد العزيز الذى نشأ فى مصر ، والشافعى الذى آوى إلى مصر آخر عمره ، ومات فيها بعد أن وضع مذهبه الجديد ، وابن دقيق العيد القشبرى المغلوطى ، والبلقىنى الذى ينسب إلى « بلقىنة » ، بالقرب من المحلة الكبرى ، والسيوطى ، والرملى المنسوب إلى « رملة » ، فى « منية العطار » ، والدردير العدوى القاهرى ، والشرقاوى^(١) . هذه أمانة العلماء من رجال الفكر الدينى ، أمانة الفاقهين المخلصين منهم على اتارىخ ، وهى أمانهم وواجبهم فى حياة المسلمين المعاصرة ؟

محمود الشرقاوى

سكرتير التحرير

أن يؤثر ذلك على سياستنا القومية وعلى للزاماتنا الدولية .^(١)

هذه الأمانة التى حملها الرئيس أيوب خان لعلباء القاهرة ودمشق كانت أمانتهم على التاريخ ، وكانت واجباً مقدساً وكلته لهم الأقدار ، كما قلنا أول هذا المقال . فجنح نعرف من تاريخنا الفقهى أن العلماء تتبعوا حديث الرسول الكريم الذى يجعل على رأس كل مائة من السنين من يجدد لهذه الأمة دينها^(٢) ، وأنهم وضعوا فى ذلك المنظومات والكتب و « الجرائد » ، التى تذكر هؤلاء المجددين من العلماء بأسمائهم وتؤرخ لهم . وقد سجل المؤرخون أسماء هؤلاء المجددين على رأس كل قرن على الوضع الآتى :

« من المائة الأولى إلى القرن الثالث عشر : عمر بن عبد العزيز ، ثم الإمام الشافعى ، ثم ابن سريج العسراقى أو أبو الحسن الأشعري ، ثم الباقلانى أو الإسفرايينى ، ثم الغزالى ، فالفخر الرازى ، فابن دقيق العيد ، فالبلقىنى ، فالسيوطى ، فالرملى ، فعبد الله ابن سالم البصرى ، فالدردير ، فالشرقاوى .

(١) من خطابه فى جامعة القاهرة .

(٢) الحديث الشريف : إن الله يبعث على وأمس كل مائة سنة لهذه الأمة من يجدد لها دينها .

(١) ص : ١٣٠ - ١٣١ من كتابنا : « تقويم الفكر الدينى وصلته بالقومية العربية » . انظر أيضاً فصل : « الاجتهاد مبدأ مقرر فى الشريعة » من هذا الكتاب .

البحر والمنطق

للدكتور تمام حسان

تختلط الدراسات اللغوية القديمة إلى حد كبير جداً بالنظريات المنطقية والميتافيزيقية ولقد اعتبر كتاب اللغة من الإغريق الجملة حكماً منطقياً واعتبروا طرق الإسناد النحوى من قبل الوضع والحمل في المنطق وإن من يقرأ ما كتبه أرسطو في التحليلات الأولى والثانية والعبارة والجدل والمقولات ليجده مليئاً بالنظريات التي تختلط بين التفكير اللغوى والفلسفى . خذ مثلاً من كلامه في مقولة الكم^(١) : « ويقال نفس الشيء عن الكلام . فمن الواضح أن الكلام ذو كمية ؛ لأنه يقال بالمقاطع الطوال والقصار . وأقصد بذلك الكلام المنطوق . » ويقول في الفصل العاشر من المقولات : « إن الأزواج المتقابلة التي تنضوى تحت مقولة الإضافة تتضح بنسبة كل منها إلى الآخر ؛ وهذه النسبة تدل عليها علامة الإضافة أو أى حرف آخر . » ويقول أيضاً : « والكلمات التي تقع في العبارات المتقابلة من جهة الإثبات والنفي تقع بوضوح

في نطاق قسم آخر متميز لأنه من الضروري في هذه الحالة - وهذه الحالة غريب - أن يكون أحد المتقابلين صحيحاً والآخر خطأ . » ويقول : « والكلمات التي تقع في عبارات متقابلة يقع بعضها في نفس الوقت عكساً للبعض الآخر ، وتختص الكلمات بهذا أكثر مما تختص به أية مجموعة من الأمور المتقابلة . »

ويعرف أرسطو الاسم بأنه اللفظ الذى لا يدخل الزمن في مدلوله ولا يدل جزء منه مستقلاً عن الأجزاء الأخرى^(١) . وهو يقول إن الاسم لا يوصف بالصدق أو الكذب إلا إذا أسند ، ويضرب لذلك مثلاً بكلمة « دعل » ، فهى لا توصف بأى الصفتين إلا إذا أضيف إليها فعل .

وواضح أن الصدق والكذب لا يدخل في نطاق الدراسات اللغوية وإنما هو في الدراسات المنطقية وصف لحكم وفي الدراسات الأخلاقية وصف لسلوك . أما اللغوى فإنه يحلل العبارة الكاذبة منطقياً وأخلاقياً

(1) The works of aristotle translated into English, Categoriae, ch. 6.

(1) Interpretation, ch. 2.

الأشياء . ومن ثم عدلوا عن التعبير باللغة عن قضايا المنطق إلى التعبير عنها بالرموز والرياضة .

ولقد أخذ السريان من النحو الإغريق كثيراً من مصطلحاته وتعريفاته وطرق تقسيمه ثم تأثر النحو العربي في نشأته بنحو السريان وتأثر إبان حركة الترجمة العباسية وما بعدها بالمنطق بطريق مباشر . فما مظاهر هذا التأثير وما نواحيه ؟ .

يبدو أثر المنطق الإغريقي في النحو العربي من نواح ثلاث :

١ - المقولات .

٢ - القياس .

٣ - التعليل .

وحين نقول بتأثر النحو العربي بهذه النواحي لا ندعى أن النحاة العرب قد اجتمعوا على الصورة التي يقرها ابن جني في كلامه في أصل اللغة ، وذلك أن يجتمع حكيم أو حكيمان ... إلخ ، ولا على الصورة التي صورها جان جاك روسو في كلامه عن Contrat social فيما بعد ، أقول : إنني لا أدعى أنهم اجتمعوا على هذه الصورة وقالوا : دعنا ندخل في النحو أفكاراً منطقية معينة . لا ، بل هم انقادوا على غير عمد منهم إلى هذا الطريق بترديد أفكار السابقيين حيناً وبالحضوع للجو الثقافي حيناً آخر وهو جو

كما يحل العبارة الصادقة . وإذا سمع النحوي قول الشاعر :

يزيد جمال وجهك كل يوم

ولى جسد يذوب ويضمحل
فلن يفكر فيه منطقياً ولا خلقياً ولن يعنيه أن يكون الشاعر صادقاً أو كاذباً فيما ذهب إليه وورط نفسه في ادعائه ؛ وإنما يعنيه منه أن يحلل التركيب اللغوي لا أكثر ولا أقل . فإذا عرفنا أن أرسطو يعرف الجملة بأنها : الكلام المفيد الذي لبعض أجزائه معان مستقلة باعتبارها ألفاظاً لا باعتبارها أحكاماً إيجابية ، (١) أدركنا أن الجملة في نظره حكم منطقي إيجابي وأنه في دراسته للغة يدرس القضايا لا الجمل . فالدراسات الإغريقية على سعتها وعمقها لم تخلق للدراسات اللغوية والنحو من بينها منهجها الخاص وإنما استعانت على دراسة اللغة بمجموعة من المناهج أهمها منهج المنطق .

ولم يكن هذا منافياً لصالح اللغة فحسب ، وإنما كان قيداً يكبل المنطق أيضاً ؛ لأن المنطق سلوك فكري والفكر عالمي ولكن اللغة محلية ، وكان من نتيجة ذلك أن أحس المناطق على مر الزمن أن استخدام اللغة في التعبير عن قضايا المنطق يخلق هوة بين المنطق في لغة والمنطق في لغة أخرى ، وذلك ينافي طبيعة

(1) Interpretatione, ch. 4,

لم يجعل المنطق فيصلا في النحو ، فقط وإنما جعله حكما في كثير من الدراسات الإسلامية وأهمها التوحيد والفقه .
 ويعلم القارىء أن المقولات عشر هي : الجوهر والكم والكيف والزمان والمكان والإضافة والوضع والملك والفاعلية والقابلية (أو كما تسميها المتون العربية : أن يفعل وأن ينفع) .
 ويعلم القارىء أيضا أن هذه المقولات عليا الأجناس ، أى أن الأجناس فيما عداها أخص منها وتندرج تحتها ولا يعلو على هذه المقولات جنس واحد منها . ثم هي كذلك أسس تفهم الأشياء مبنية عليها ، فللشيء جوهر وكم وكيف وهو في زمان ومكان ، ويفهم بالإضافة إلى شيء آخر ، ويدرك في وضع معين ، وقد يكون مالكا أو مملوكا وفاعلا أو قابلا .
 نظر النحاة إلى اللغة نظرتهم إلى الأشياء والمحسوسات فجعلوا للكلمة جوهرأ ورأوا أن جوهر الكلمة لا يتغير إلا بإعلان أو إبدال . فالجوهر في قال ، قول ، وفي فعل الأمر من وفى ، وإوف ، وفى كلمة نهى ، نهى ، بثلاث فتحات وفى قاض ، قاضى ، إلخ . ولم يعن النحاة بجوهر الكلمة وحسب وإنما انساقوا أيضا إلى التفكير في جوهر الجملة فاخترعوا فكرة تقدير ألفاظ غير موجودة فيها . والتقدير بلية فلسفية منطقية ابتلى بها النحو العربى ولا يزال يبتلى .

وأما الكم فواضح أن النحاة والقراء ربما عرفوا أن المدة duration التى يستغرقها نطق صوت من الأصوات لا تناسب طردأ ولا عكسأ مع كميته quantity ومع هذا أصروا على خلق وحدات طولية فكرية في دراسة الأصوات والحروف العربية . فالحرف المشدد بحرفين وإن قصرت مدة نطقه عن مدة الحرف المفرد في بعض المواضع ، والحركات أبعاض الحروف كما يقول ابن جني في سر صناعة الإعراب ، فالفتحة في نظرم نصف الألف حتى إذا قصرت مدة نطق الألف كما في ألف منى من قولك « منى النفس » حيث يسلك نطق النون الأولى إلى النون الثانية بعد ألف قصيرة جداً بل أقصر من الفتحة في بعض مواضعها في النطق . والتفكير المنطقي هنا واضح جداً ولا سيما إذا عرفنا أن بعض التجارب الآلية التى قمت بها على لهجة عدن قد برهنت إلى درجة تعزز ملاحظتى الخاصة على أن الصوت المفرد الأخير الساكن في النطق أطول من نظيره المشدد في الوسط من جهة المدة وإن كان أقصر من جهة الكم .

ويتضح خطر هذا التفكير في الصرف بصفة خاصة حيث تقوم الكمية في الحروف بدور الفروق بين معانى الكلمات كالتفريق بين الفاعلين « عبد » و « عبدا » وكذلك « ضرب » و « ضربا » ثم « قتل » بالافراد و « قتل »

وعن قوله تعالى : « إذا جاء نصر الله والفتح ، بأن إذا ظرف لما يستقبل من الزمان والزمن فيها لا في الفعل . والمعروف أن الزمن أحد معنيي الفعل وأن الأدوات والأسماء لا تغني عن الفعل في تحمل الزمن . فعذرهم غير مقبول في ذلك . ولو قد فصلوا في فكرهم بين الزمن النحوي والزمان الفلسفي فجعلوا الأول مفهوم صيغة والثاني شبيه حركة كما يقول ابن سينا لكان ذلك أولى بهم . ومعنى أن يكون الزمن مفهوم صيغة أن يدل الماضي بصيغته على المضى النحوي لا على المضى الفلسفي .

ويبدو التفكير في مقولة المكان مسئولا بالتضامن مع مقولة الكيف عن تقدير الحركات على أواخر الكلمات . ففي قوله تعالى : « وما ينطق عن الهوى ، كسرة مقدرة على الألف الأخيرة منع من ظهورها تعذر اجتماع النطق بالألف مع النطق بالكسرة في وقت معا . وفي قوله تعالى : « فانتظر يوم يدعو الداعي ، ضمتان مقدرتان : إحداهما على واو يدعو والثانية على ياء الداعي . وهذه المقولة أيضا مسئولة عن فكرتي الإعلال والإبدال فالإعلال تغيير شكل في مكان ، والإبدال وضع شيء في مكان شيء . وبما يتصل بمقولة المكان أيضا القول بحفظ الرتبة حتى إن الاسم المرفوع لو تقدم على الفعل لم يعد فاعلا وإنما يصبح مبتدأ .

بالتشديد ولست بذلك أريد أن أهجن الاعتماد على الحكم في التفريق بين العناصر اللغوية وإنما أريد أن أنبه إلى الصلة بين مقولة الحكم وبين التفكير اللغوي في تطبيق النحاة والقراء القدماء .

وأما التأثير بمقولة الكيف فهو في نسبة كيفيات استعدادية لبعض الأفعال الثلاثية وبعض الأسماء وفي تسمية بعض الحروف . فمن أنواع الأفعال الثلاثية الأجوف والناقص وهناك المؤنث المقصور كحبل والألف اللينة . وتتضح هذه المقولة كذلك في نسبة كيفيات كمية إلى بعض الكلمات كالمفرد والمثنى والجمع .

وأما تطبيق مقولة الزمان على دراسة اللغة بلا تفريق بين « الزمان ، الفلسفي و « الزمن ، النحوي فواضح في تقسيم الفعل وتعريفه دون نظر إلى استعماله ، فالفعل إما ماض أو مضارع أو أمر . والماضي مادل على حدث مضى قبل زمن التكلم ويدل المضارع على الحال أو الاستقبال أو الاستمرار التجددى إلخ . ويضطر النحاة إلى الاعتذار بعد هذا كلنا خذلهم الاستعمال اللغوي . فهم يعتذرون عن الفعل المضارع الدال على المضى عند اقترانه بلم فيقولون : إن لم حرف قلب وقد جاء المضى منها ، ويعتذرون عن تعبير مثل « إن تكن عاد قد بادت فما بادت خلاها ، ؛ لأن هلاك عاد مضى والفعل في أول الجملة مضارع .

أن الحركة بهذه الصورة ملك يمين للحرف الصحيح . وإن كل لغات العالم الأخرى لتكتسب الحروف والحركات جنباً إلى جنب في روح من المساواة بين الطائفتين ، ولكن اللغة العربية قد جعلت من حركاتها في الخط علامات إضافية وفي النحو علامات إعرابية فهي علامات لا حروف في الحالتين .

والمقولتان الأخيرتان (الفاعلية والقابلية) مشمولتان إلى حد كبير عن القول بالعامل في النحو . فإذا كان الشيء إما فاعلاً وإما قابلاً فلماذا لا تكون الكلمات كذلك ؟ ولم لا يكون بعض الكلمات عاملاً في بعضها الآخر ؟ ولم لا يعمل بعض المعاني في الكلمات ؟ ولقد شاع القول في نقد نظرية العامل في أيامنا هذه والحجج على ضعف القول بها أكثر من أن تأتي في ثنايا مقال واحد خصص لموضوع غير العامل .

نرجو عند هذا الحد أن نكون قد بينا للقارئ مدى تأثير النحاة بالمقولات العشر في تفكيرهم اللغوي ونود بعد ذلك أن نعرض لنوع آخر من تأثيرهم بالمنطق وبما كتبه النحاة من الإغريق والسريان من قبلهم وتأثروا فيه بالمنطق .

والمعلوم أن مناهج الدراسات العلمية تقوم الآن على الاستقراء واستخراج ما بين المفردات من جهات الشراكة ليكون المستخرج هو القاعدة .

ثم هناك مقولة الإضافة ، وقد فهم النحاة كل فعل بالإضافة إلى فاعله فإذا لم يكن للفعل فاعل مذكور في الجملة فلا أقل من أن يقدره النحاة تقديرأ ليكون تفكيرهم متمشياً مع منطق المقولات . وهذه المقولة أيضاً تصبغ التفكير في الإمالة إذ أن المال ممال بالإضافة إلى لفظ آخر ألفه صريحة مع قطع النظر عن أن كلا منهما أصل في لهجته التي تنطقه ولو درسنا اللهجة المميلة بمفردها ما احتجنا إلى التفكير في هذا الباب . باب الإمالة ، على الإطلاق .

وأما الخُضوع في التفكير لمقولة الوضع فمثاله أن الجملة رغم عدم إمكان ظهور حركة إعرابية عليها جعل لها وضع إعرابي معين ، فقد تكون الجملة في محل نصب مقول القول أو صفة لمنصوب وقد تكون في محل جزم جواباً لشرط وقد تكون في محل رفع خبراً ، وقد تكون في محل جر صفة أو مضافة إلى ظرف وهلم جرا .

وهل يستطيع أحد أن ينكر أن مقولة الملك واضحة الأثر في نظرة الصرف والإملاء إلى الحركات ؟ فالمحل الأول للحرف الصحيح وإنما تأتي الحركة لتكون وصفاً من أوصاف الحرف الصحيح على طريقة الوصف بالصفات الاستعدادية ، فالحرف إما مجرور أو منصوب أو مرفوع أو مجزوم ولا شك

أما العلل فقد جعلها أرسطو أربعاً هي : المادية والفاعلة والصورية والغائية .
والذى يهمننا منها هنا هما الأخيرتان . فإن العلم
ليتخذ علله الآن من نوع العلل الصورية فيهتم
بكيفيات الأشياء ولا يستخدم العلل الغائية إذ
لا يتجه إلى ذكر غايات الأشياء والغرض من
وجودها . فإذا نظرنا في العلل النحوية وجدنا
الكثرة الغالبة منها يتجه إلى الأغراض والغايات
فهم يسألون ويعلمون سبب الرفع في الفاعل
وسبب البناء في الأسماء والأفعال فيشرحون
الغايات ، وحقهم أن يقتصروا على كيفية رفع
الفاعل فيكون الجواب بأنه يرفع بالضمعة
في حالة الإفراد والالف في حالة التثنية والواو
في حالة الجمع وهم جرا . ويقررون بعد ذلك
كيفية البناء في الأسماء والأفعال بأنها
على الفتح في هذه الصورة ، وعلى الضم في الصورة
الأخرى ، وعلى الكسر في الثالثة ، دون دخول
في الغايات والأغراض .

هذه صورة مختصرة لتأثر النحاة بنواحي
المنطق الثلاث - المقولات والقياس والتعليل -
وفي كل ناحية منها تفصيل لا يتسع له
هذا المقام .

دكتور تمام همام

أستاذ مساعد بكلية دار العلوم
جامعة القاهرة

فأما المنطق القياسى فإنه يوجد القاعدة أولاً
ثم يفرضها على المفردات ولو أبت طبيعة
الأشياء . فإذا قلنا فرضاً : إن كل منفرج الفم
بأدى الأسنان فهو ضاحك ، فهذه القضية
تجعل الأسد الفاعرفاه ضاحكاً برغم قول
الشاعر :

إذا رأيت نيوب الليث بارزة

فلا تظن أن الليث يبتسم
ومع أن الرواة قد ضربوا الأمثلة للنحاة
بسفرهم إلى الصحراء لجمع مادتهم ومع أن شيئاً
من الاستقراء قد تم فعلاً في ظروف
غير عليية جعلته في الكثير من حالاته معيباً ،
لم يستطع النحاة العرب أن يتخلصوا من قبضة
المنطق السحرية فاستخدموا القياس على توسع
فكان هذا القياس في أخف صورته ضرراً
سبياً في وجود الكثير من التركيبات المعقدة
التي لم يتكلمها العرب ، وكان وجود هذه
التركيبات نتيجة للقول بأن ما قيس على كلام
العرب فهو من كلام العرب ومن أمثلة هذه
التراكيب :

زيد عمرو ضاربه هو .

الزيدان العمران ضارباهما هما .

الزيدون العمرون ضاربوهم هم .

ولا يمكننا مهما عمدنا إلى الاختصار

أن نشرح آثار القياس على اختلافها في حدود

مقالة واحدة .

إنصاف عالم أزهري

التجديد في العروض

للأستاذ علي العمّاري

- في عدد جمادى الأولى سنة ١٣٨٠ من مجلة الأزهر، مقال عنوانه (المصطلحات العروضية) للدكتور عبد الله درويش. تحدث فيه الكاتب عن المصطلحات العروضية، وإمكان تعديل بعضها، إذا نظر في الأساس الذي استنبط منه التحليل بحوره، وهو الدوائر العروضية، وذكر أن هذه الدوائر انتظمت جميع بحور الشعر، ورتبت الأوتاد والأسباب ترتيباً معيناً، وأنه - أي الكاتب - حاول أن يبين ما إذا كان هذا الترتيب على أساس منطقي معين، ولكنه لم يصل إلى نتيجة. ثم عاب نظام الدوائر بأنه أدى إلى الأمور الآتية:
- ١ - النص على بعض البحور مجزوء فقط، كالهزج والمضارع والمقتضب والمجث.
 - ٢ - كتابة بعض التفاعيل المشابهة في النطق بصور مختلفة، مثل: مستعلن ومستفع لن وكذلك فاعلاتن، وفاع لاتن.
 - ٣ - بعض البحور لم تستعمل أعاريضه أو أضربه على الصورة الأساسية في الدائرة مثل الوافر والسريع.
 - ٤ - ويتبع ذلك كثرة مصطلحات الزحافات والعلل.
 - ١ - الاستغناء عن التفعيلين ذواقي الودد المفروق، وهما مستفع لن. فاع لاتن اكتفاء بالتفعيلين مستعلن وفاعلاتن.
 - ٢ - يمكن الاستغناء عن ذكر مصطلح العلة في العروض أو الضرب في البحور التي لم ترد أعاريضها أو أضربها صحيحة. ثم قال الدكتور درويش: وأساسنا هنا هو المنهج الوصفي، وهو ما استعملته المدرسة اللغوية الحديثة في فروع مستويات البحث اللغوي.
 - ٣ - يمكننا ربط الزحاف بالبحر لا بالتفعيلة، ومن أمثله جعل التذييل، والتسبيغ شيئاً واحداً، وكذلك توجد التسمية بين القصر والقطع.
 - ٤ - إن بحور الهزج أو المجث أو المضارع أو المقتضب يتكون كل منها من أربع تفعيلات فقط لا كما يقول العروضيون: إن أصل كل منها

ثالثاً : وضع المؤلف قواعد مبسطة ميسرة لعشرة من البحور ، فاكنتي بثلاث تفاعيل هي : (١) فعولان (٢) فاعلن (٣) مستعلن ثم رأى أنه بإضافة مقطع ساكن إلى كل من هذه التفاعيل الثلاث يمكن أن نشق منها ثلاثاً أخرى هي : (١) فعولان (٢) فاعلن (٣) مستعلن .

وبذلك يتكون ست تفاعيل واضحة الصلة بعضها ببعض ، ثم نبني الأبحر العشرة من هذه التفاعيل . وقد ذكر هذه الأبحر العشرة وهي ما عدا الكامل ، والوافر ، والهج ، وقد سبق أنه نفي المضارع والمقتضب ولكنه بقي بحر وهو المتدارك ، والمؤلف قد أهمله كما أهمله الخليل ، كأنه ليس بحراً من بحور الشعر .

رابعا : ألحق الهزج بمجزوء الوافر وجعل وزنه (فعولان + فعولان) أما تفعيلة الكامل (متفاعلن) فتصير في غالب الأحيان (مستعلن) وتفعيلة الوافر مفاعلن تجدد أنها تصير في غالب الأحيان (مفاعلن) ، بسكون اللام ، وهذه هي نفس التفعيلة (فعولان) .

هذا ما ذكره الكاتب ، وما جاء في كتاب موسيقى الشعر ، وقد حرصت في التلخيص - طبعا - على ردوس المسائل .
وواضح من عبارة الكاتب أنه يعزو الفضل

ست تفاعيلات ، بناء على نظام الدوائر . والتخلي عن فكرة الدوائر يجعلنا نقصر اصطلاح (الجزء) على ما استعمل منه أصله التام وأخيراً يقول الكاتب : فهذه خطوط عريضة لبعض الاصطلاحات العروضية التي يمكن تعديلها والتي أوحى بفكرتها تطبيق المنهج الوصفي اللغوي على قواعد علم العروض ، وعلى أساسها وأساس المشروع الذي وضعه أستاذنا الدكتور ابراهيم أنيس يمكن للباحث أن يضع مشروعا آخر شاملا لتفاعيل البحور ولزخافاتهما من جهة ، وللصطلحات العروضية بصفة عامة .

أما مولد المشروع الذي أشار إليه الكاتب والذي جاء مفصلا في كتاب (موسيقى الشعر) فيتلخص فيما يلي :

أولا : إعادة النظر في بناء الأوزان الشعرية على ضوء ما روى فعلا من قصائد منسوبة إلى شعراء معروفين ، وتخير أحسن الأوزان وأكثرها شيوعا من بين ما ذكره أهل العروض وترك الأوزان الشاذة النادرة التي تنبو في الاسماع ، وبذلك يمكن وضع نظام أسهل من النظام الذي وضعه الخليل لبحوره .

ثانياً : لإخراج المضارع والمقتضب لأنهما لا وجود لهما في الأوزان الشعرية كما قرر الأخفش .

نشر بعد ذلك بأكثر من ست سنوات ،
والمؤلف لم يكتب تاريخ نشره على غلاف
الكتاب ، ولكنني وجدت أنه يجعل من
مراجعته العدد (٥٤٣) من مجلة الرسالة ، وهذا
العدد ظهر في أواخر سنة ١٩٤٣ م . أما
الدكتور درويش فأعتقد أنه كان لا يزال
تلميذا في المرحلة الثانوية يوم نشر الشيخ
بدوى كتابه .

ثم أعود إلى القصد . نقد الشيخ عبد الفتاح
بدوى الدوائر أكثر من مرة في كتابه .
وبين الأخطاء التي ترتبت على التقيد بها ،
والمنافع التي نلناها من وراء طرحها ، قال ،
بعد أن تحدث عن بحر المديد وأنه ليس
إلا بحر الرمل ، وأن العروضيين قالوا إن أصله
(فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلن) وأنه مجزوء
وجوبا . قال : أفلم يرد ولا بيت واحد من
شعر العرب الذين يحتج بهم على هذا الأصل
الذي زعمتم ؟ قالوا : لا . أثم لا يجوز أن نقول
إن هذا المديد يؤلف شطره من ثلاثة أجزاء كما
هو في الواقع والشعر الموجود ، وإن هذا الواقع
هو الأصل ، مادام لا وجود لسواء ؟ قالوا :
لا . ولئن سألتهم ماذا يدلهم على هذا الأصل
وعلى وجوب أن يكون مجزوءا فسيقولون
(الدائرة) وليس شيء غير الدائرة ؛ فماذا
عسى أن تكون الدائرة ؟ على الظالمين دائرة
السوء ، ولهم عذاب أليم - قالوا : دائرة

في صنيعه إلى وحى المنهج الوصفي ، وإلى
أستاذه الدكتور أنيس .

ونحن نبارك كل خطوة فيها تيسير لعلم
من العلوم ، ولا سيما علم كعلم العروض
يضيئ به الدارسون من الأسانذة والطلاب
وهذا الذي ذكره الكاتب ، والذي ذكره
أستاذه ، فيه كثير من التيسير ، وفيه كثير
من التجديد ، لكنني كنت أحب للكاتب
ولأستاذه أن يعزوا الفضل في كل هذا إلى
صاحبه ، فذلك هو واجب العلماء ، وربما
لا يكون غريبا عند الدارسين المتعمقين في
دراسة العروض ، وإن كان يعد غريبا عند
غيرهم ، أن كل هذا الذي جاء في مقال
الكاتب ، والذي جاء في (مولد مشروع)
سبق به عالم أزهري ، ونشره في كتاب يقرؤه
الناس ، وكان إلى عهد قريب يدرس في كلية
اللغة العربية ، ذلك العالم الجليل هو أستاذنا
المرحوم الشيخ عبد الفتاح بدوى وكتابته هو
(العروض والقوافي) .

فقد وردت كل هذه الآراء التي جاءت في
مقال الدكتور درويش في كتاب العروض
والقوافي وجاءت بعض الآراء التي في كتاب
(موسيقى الشعر) في كتاب الشيخ بدوى أيضا .
وقبل أن أبرهن على صدق هذا القول
أحب أن أقول : إن كتاب العروض والقوافي
نشر في سنة ١٩٣٧ م وكتاب موسيقى الشعر

مجزوءا وجوبا ، فلا نحن وجدنا شيئا من الشعر يشهد بوجود هذا الجزء المحذوف وظهوره في عالم الوجود ولو مرة واحدة في بيت من الشعر أو في شطرييت ، ولا نحن نستطيع أن نضع بيتا تماما من هذه الأبحر المجزوءة وجوبا ثم نقر عليه ويقال إننا صنعنا شيئا عربيا غير منكور ، وجرم هذا إلى الإكثار من المصطلحات التي تضيق بها الصدور ، ولا سيما إذا كانت حقيقتها واحدة ومظهرها واحدا كما ترى في الق قطع ، فهو مرة يسمى بهذا الاسم ، ومرة يسمى الحزم ، وأخرى يسمى التشعيت وطورا يسمى الحزم وهي كلها تحويل الوند المجموع إلى صورة سبب خفيف .

هذا بعض ما قاله الشيخ في نقد الدوائر ، وقد كان أمينا في العلم - فذكر أن بعض المتقدمين أنكروا الدوائر ... وإن كان قال : وهذا النقد - على كل حال - غير ما نقول به نحن الآن ، وإن كان يوافقه في بعض الأمور . وقد مر بنا قول الدكتور درويش أنه يرى أن يكون التسيب والتذييل شيئا واحدا وكذلك يرى توحيد التسمية بين القصر والقطع ، أما الأول فقد ورد في كتاب الشيخ ص ١٠٩ حيث يقول : التسيب زيادة حرف ساكن على ما آخره سبب خفيف ، وقد مر بك في المتدارك أن تفعليته (فاعلن) قد يزداد

العروض فاسمع حديثها ... وبعد أن يتحدث عن الدائرة ويرسمها على شكل مربع ويبين كيف تستخرج منها البحور يقول : إننا نقبل أن تكون هذه الدوائر التي تقدمت لك أحداهن وسيتبعها الأخريات وسيلة من وسائل الإيضاح أو الاستدكار في علم العروض ، لا أزيد من هذا ، أما في القيمة التي جعلوها لها ، وفي الأهمية التي يتسنى عليها أحكام فلا نقبل ما دامت لنا عقول ^(١) .

ثم عاد في ص ١٧٩ إلى نقد الدائرة فقال : ولقد رأيت أن هذه الدوائر ، واعتبارها أساسا عليها تبني عليه مسائل علم العروض هو الذي أوقع المتقدمين في كل ما وقعوا فيه من الأخطاء الكبار ، وجر إلى ما رأيت من الخلل والفساد ، فهو قد جرم إلى اعتبار أن الوند المفروق قد دخل بعض التفاعيل ولم يدخل البعض الآخر حتى ولو انفقا في الصورة كما في مستعفلن التي في الرجز والبسيط ومستفع لن التي في المبحث ، مع أن الوند المفروق مناف لأن يكون مقطعا موسيقيا أو هو على الأقل لا تدعو إليه ضرورة علمية فلماذا نخلقه في علم العروض ؟ وجرم هذا إلى قسر العقول وإلزامها بأمور لا جود لها كما اتضح غير مرة في اعتبار بعض البحور

ما ورد في كتابه ، فبعضه مأخوذ نصا من كلام الشيخ ، وبعضه ناظر إليه . كان اتجاه الشيخ بدوى أن يرجع الأبحر كلها إلى بحر واحد ، هو البحر الذى أهمله الخليل بحر (المتدارك) . وقد وزن جميع البحور بأعارضها وأضربها المختلفة على هذا البحر بعد أن وضع ألقابا قليلة ، وبعد أن انتهى من هذا العرض قال (قد استعصنا ببحر واحد عن ستة عشر بحرا ، واستعصنا بتفعيلة واحدة هي فاعلن عن عشر تفعيلات واستعصنا عن أكثر من أربعين مصطلحا بستة مصطلحات ، وهذا كثير حين وفقنا إليه ، نحمد وأحمد الله عليه . وأكثر منه أنك لن تجد عروضاً ولا ضرباً من تلك الأعارض الكثيرة ، والأضرب المملة التي ذكروها لتلك البحور ، وقد مرت بك بحرا بحرا ، وعروضاً وعروضاً ، فإن وجدت فيها - ولن تجد - ضرباً أو عروضاً مما قالوا ، فدلنى عليه ، وألغ جميع ما قدمت إليك في هذا الكتاب وإن لم تجد - ولن تجد - مما قالوه شيئا - فأعنا على نشر هذه الطريقة الخفيفة الميسرة ، ابتغاء وجه الله تعالى ، والدار الآخرة ، وتحريراً للعقول في زمن الحريات وتمحيصاً لمسائل العلوم ، والله لا يضيع أجر المصلحين

وقد كانت طريقة الشيخ في الاعتماد على تفعيلة المتدارك أن يلحق بها أسباباً وأوتادا قبلية وبعديّة ، أو يحولها إلى فاعلن ،

عليها حرف ساكن ، وأنهم سموا ذلك (التذييل) ولست واجدا فرقا بين كل منهما إلا بأن أحدهما في تفعيلة آخرها وتد ، والثاني في تفعيلة آخرها سبب ، وما كان أخلق مثل هذا ألا يكون سبباً في أفراد كل منهما باسم خاص حتى لا تضيق مذاهب الناس بكثرة هذه المصطلحات من غير جدوى .

وأما الثاني فقد ورد في الكتاب في صفحة (٤٦) حيث يقول : وبعد ، فإنك إذا رجعت إلى (القطع) الذى تقدم في بحر المتدارك وجدت الخلف الذى هنا في القصر هو الخلف الذى حصل هناك ...

كان ينبغي أن يكون الاسم واحداً لتقليل الاصطلاحات التي كثرت بدون حاجة ولا فائدة ولا يترتب على الفرق بينهما - كما عملوا - إلا أن يسمى ما حصل في الود (علة) وما حصل في السبب (زحافا) وقد علمت أنه لا قيمة لتلك التسمية مادامت النتيجة المترتبة عليها وهي لزوم العلة وعدم لزوم الزحاف مطعوناً فيها ... إلخ .

هذا . وقد وحد الشيخ بين ألقاب أخرى في المصطلحات العروضية ، ولا أدري إذا كان الدكتور درويش تعرض لها في كتابه لأنى لم أقرأ هذا الكتاب بعد . ولكن الذى أؤكد أنه أن كل ما ورد في مقال الدكتور سواء كان تقييداً أو تعليلاً موجوداً في كتاب

العروض والقوافي .

أما مشروع الدكتور أنيس ، وبعض

(موسيقى الشعر) وقد كنا نحب أن يعترف الدكتور بهذا الفضل ، حتى ولو بإشارة في الكتاب إلى المراجع التي اعتبر منها كتاب (أهدى سبيل) لمؤلفه الأستاذ محمود مصطفى ، ونحن نستبعد أن يكون الدكتور لم يطلع على هذا الكتاب لأنه كان يدرس في كلية اللغة العربية ، والمفروض أن يبحث كل من يريد أن يؤلف في مثل هذا العلم عن الكتب التي ظهرت فيه ، والكتاب بعد مطبوع متداول . بقي أمر ، وهو أنني كثيراً ما جهدت أن أحمل نفسي على أن تعتقد ، أن ما جاء في كلام الدكتور درويش ، وكتاب الدكتور أنيس هو من باب توافق الخواطر ، ولكن كنت أخفق في كل مرة ، لأن أبياناً لشوقي كانت تثب إلى ذهني :

فقد بسطى على بيت

وقد يُسرق بيتان

ولا ينتحل الإنسا

ن أبياناً لإنسان

وأحب ألا يفهم أحد أنني أردت انتقاص الدكتورين الفاضلين ، وإنما أردت إنصاف شيعتي ، والإشادة بفضله على كل مجدد في العروض ، ولو كان الشيخ حياً ما تحرك هذا القلم ، ولكن الشيخ قد انتقل إلى رحمة الله في سنة ١٩٤٨ م فكان لزاماً عليّ وأنا أحد تلاميذه الكثيرين أن أدفع عن آرائه وأفكاره ، وأن أعزو الفضل لصاحبه ، والحق أحق أن يتبع ؟

على العماري

ويضيف إليها كذلك أسباباً وأوتاداً ، وبذلك تسنى له أن يزن كل الأعاريف والاضرب ، والدكتور أنيس فعل هذا حين أراد أن يستغنى ببعض التفاعيل ، فقد رأى أن يضاف إلى فعولن مثلاً مقطع ساكن قصير (فعولانن) . وهكذا . وهو إنما ينظر في ذلك إلى صنيع المرحوم الشيخ عبد الفتاح . وأخرى . رد الدكتور أنيس ببحر المديد إلى بحر الرمل ، حيث يقول في ص ٩٤ : (وفي الحق أن هذا البحر يستحق دراسة خاصة في ضوء بحر الرمل ، فربما أمكن نسبة ما نظم منه إلى بحر الرمل) وهذا نفسه ما قاله الشيخ بدوي في كتابه ص ١١٥ حيث يقول : (ولا دليل لهم - يريد العروضيين - على مغايرة هذا البحر - المديد - لبحر الرمل إلا أن فاعلن التي في الوسط يلتزم أنها ترد هكذا في الشعر ملتزمة على فاعلن ، وهذا استدلال في منتهى الوهي والضالة) .

ورد الدكتور أنيس بحر الهزج إلى الوافر ، حيث يقول ص ١٠٦ : (فالهج وزن وثيق الصلة بمجزوء الوافر . ويظهر أن الهزج تطور لمجزوء الوافر) وهذا هو ما قاله الشيخ بدوي في ص ١٣٩ حيث يقول : (فليس ثمة شيء اسمه الهزج ، وإنما هو بعض أضرب الوافر ، فهي كلها من مجزوء الوافر المعصوب) .

وهكذا نجد روحاً من كتاب الشيخ (العروض والقوافي) في كتاب الدكتور

من روائع الفكر الروحي

الإخلاد والسلوك والإخلاد والحركة

عند الفيلسوف الفرنسي برجسون

للأستاذ محمد فتيحي عثمان

« الحكمة ضالة المؤمن أذى
وجدها فهو أحق بها » .

ويحلو للناس أن يقولوا : إن الفضائل المدنية إنما تلتقنها في الأسرة ، وإذا أحببنا الوطن كنا نتهياً لمحبة النوع الإنساني ! فالعاطفة - في رأيهم - هي هي نفسها ، وإنما تتسع في تقدم مستمر وتكبر حتى تشمل الإنسانية جمعاء ١١ .

على أن هذه المناقشة مناقشة قبلية ، وهي نتيجة لفهم النفس فهما عقلياً محضاً . فتراهم إذ يلاحظون أن هذه الجماعات الثلاثة : الأسرة والأمة والإنسانية التي تنتسب إليها تضم عدداً متزايداً من الأفراد - يستنتجون من ذلك أن هذا الاتساع المتتالي في موضوع الحب يقابله اتساع تدريجي في الحب نفسه ١١ . وبما يقوى هذا الوهم أن اتفق أن كان القسم الأول من هذه الحقيقة مطابقاً للوقائع : فالفضائل العائلية مرتبطة بالفضائل المدنية ، وذلك لأن الأسرة والمجتمع - المختلطين في الأصل - ظلاً متصلين أحدهما بالآخر اتصالاً وثيقاً ...

يرى برجسون إذن أن الإلزام في الانفعال الخلاق هو : ... قوة تطلع أو وثبة : بل هو قوة هذه الوثبة نفسها التي أوجدت النوع الإنساني وأوجدت الحياة الاجتماعية ، وأوجدت مجموعة من العادات تشبه الغريزة بعض الشبه ولكن الحافز هنا يتدخل تدخلاً مباشراً فلا يتخذ وسيطاً تلك الآليات التي عبأ لولها ووقف عندها مؤقتاً ، ...

فما هي النتائج التي تتمخض عن الانفعال في واقع المجتمع الإنساني ؟ ؟ . وما هي مزية الانفعال الأصيل الخلاق عن غيره ؟ ؟ .

« إن الغريزة الاجتماعية التي وجدناها في أعماق الواجب الاجتماعي - والغريزة ثابتة بعض الشيء - إنما تستهدف أبداً مجتمعاً مغلقاً مهما يكن المجتمع واسعاً ... لأن الأمة مهما اتسعت فإن بينها وبين الإنسانية ما بين المحدود واللامحدود ، ما بين المغلق والمفتوح ! .

إن برجسون يشرح المشاعر ويحللها بدقة العالم وعمق الفيلسوف .

وهو بهذا المسلك يغمس في أعماق النفس الإنسانية فيطلعك على مكانها ولا يدعك حتى تشعر كأنك - وإن كنت في عالم الخوافي والمكنونات - تتحسس الحقائق وتقبض عليها بين يديك .

لقد كشف الفارق بين المجتمع المغلق في الأسرة أو الأمة وبين المجتمع الإنساني المفتوح ، ومميز بين الإحساس الأسرى أو القومي الذي هو فطري طبيعي لا مكابدة ولا مجاهدة في اصطناع النفس عليه ، وبين الإحساس الإنساني الذي يحتاج إلى تعبئة جبارة لقوى الإرادة والعقل ... والروح قبل ذلك جميعا ١١١ .

وعلى أساس هذه التفرقة وهذا التمييز ، يقدم برجسون تفرقة أخرى في عالم الأخلاق : « فإذا نحن بددنا الظواهر حتى لمسنا الوقائع ، وأهلنا الثوب المشترك الذي لبسته في فكر المفاهيم وعالم اللغة الأخلاق بنوعها - اللذين ذكرناهما - بسبب ما تبادلا من تأثير ، وجدنا على طرفي هذه الأخلاق : الضغط ، والتطلع . فالنوع الأول : أخلاق تتضمن فكرة مجتمع لا يبنى إلا البقاء ، فكرته الدائرية التي يسوق فيها الأفراد تجري في مكانها لا تهيد عنه فتحاكي ثبات الغريزة بوساطة

أما المجتمع الذي نعيش فيه ، فإن بينه وبين الإنسانية عامة ما بين المغلق والمفتوح من تضاد ، والفرق بين هذين الشئيين فرق في النوع لا في الدرجة فحسب ١١ .

فارتوا بين عاطفة التعلق بالوطن وعاطفة محبة الإنسانية ... من ذا الذي لا يرى أن الالتئام الاجتماعي يعود في جله إلى ضرورة دفاع المجتمع عن نفسه ، وأتأنا إن أحببنا الأفراد الذين نعيش معهم فعلى حساب كافة الأفراد الآخرين ٩٩ .

هذه هي الغريزة البدائية الأولى ... وهي لا تزال موجودة إلى الآن ، وإنما اختبأت - لحسن الحظ - تحت مخلفات الحضارة ! غير أننا ما زلنا نحب آباءنا والمواطنين محبة طبيعية مباشرة ، على حين أن محبتنا الإنسانية مكتسبة غير مباشرة !! فترانا نقبل على هذه في بعض التواء ، فمن طريق الله يأمر الدين بمحبة الإنسان للنوع الإنساني ، وعن طريق العقل - الذي نشترك فيه جميعا - يثبت الفلاسفة كرامة الإنسان ويبرهنون على حق الجميع في الاحترام ١١ .

ونحن في الحالين لا نصل إلى الإنسانية في مراحل مارين بالأسرة فالأمة ... بل نتخطاها في قفزة ونفوقها من غير أن نكون قد اتخذناها غاية ١١١ .

يجمع الكثير منها بين ما هو علة ضغط وما هو موضوع تطلع ، حتى لقد يغيب عن نظرنا الضغط المحض والتطلع المحض اللذان يؤثران في إرادتنا ، فما نرى غير التصور وقد انصهر فيه الموضوعان المتميزان اللذان كان يتعلق أحدهما بالضغط وثنائهما بالتطلع. فنحسب أن هذا التصور هو الذى يؤثر فينا. وبهذا الخطأ نستطيع أن نعلل إخفاق النظريات الأخلاقية العقلية ، أى بوجه العموم إخفاق معظم النظريات الفلسفية فى الواجب . وليس معنى هذا طبعاً أن ليس للفكرة المحضة من تأثير فى إرادتنا ، ولكن هذا التأثير لا يكون ناجماً إلا إذا اتفق له أن يكون وحده فى الميدان ، وإلا فمن الصعب عليه أن يقاوم التأثيرات المعاكسة وإذا ظفر عليها كان تفسير ذلك أن الضغط والتطلع اللذين تنازل كل منهما عن تأثيره الخاص فتعشلا معا فى فكرة ، يعودان الآن فيظهران فى فرديتهما واستقلالهما ويبدلان كل ما لهما من قوة .

ويعزز وجهة النظر التى أدلى بها برجسون أن كثيراً من مجتمعات الغرب المعاصرة على حظه من المدنية والتقدم ، لم تصل بعد إلى مستوى الأخلاق الإنسانية فى انفعالها الخلاق الذى تزول معه الحواجز وتفتح المجتمعات . فالنزعات العنصرية قائمة فى الولايات المتحدة

العادة ١١ . . ولعل الشعور الذى يصاحب تحقيق هذه الواجبات الصرف حين تحقق هو الشعور بنعمى العيش ودعة المجتمع وهو كالشعور الذى يصاحب سير الكائن الحى سيرا طبيعياً سليماً ، وهو أشبه باللذة لا بالفرح ١١١ .

أما أخلاق التطلع : فتضمن شعوراً بالتقدم والانتقال ، والذى يبعث عليها هو الحماسة للضى قدما ... بل إن التقدم والمضى قدما يتحدان أحدهما بالآخر ١١ .

وبرجسون يبق على التمييز بين المجتمع المفتوح المتحرك والمجتمع المغلق الساكن حتى فى عصرنا الأخير : « فهما تحضرت الإنسانية ومهما تبدل المجتمع فإن الاتجاهات الأساسية للحياة الاجتماعية قد بقيت على ما كانت عليه فى البدء فترى أن بنية الإنسان الأخلاقية : البنية البيئية الأساسية - إنما خلقت لمجتمعات بسيطة مغلقة . وهذه الميول العضوية لا تبدو لشعورنا فى وضوح على أنها من أقوى العناصر التى يتألف منها الإلزام الأخلاقى . »

والضغط والتطلع يتلاقيان ... ولكن يتمايزان « إن التطلع يميل إلى التصلب فيأخذ شكل الإلزام المحدود ، والإلزام المحدود يكبر ويتسع فيشمل التطلع - فكأنهما إذن على ميعاد ١١ يلتقيان فى منطقة الفكر حيث تصنع التصورات ، ثم يسفر هذا اللقاء عن امتثالات

حالتها - وهى حالة النهوض - فى مستوى العقلية (أى ما دون الانفعال الخلاق) ١ .
إن هناك طريقا واحدا للانتقال من العمل المحصور فى دائرة إلى العمل المطوف فى الفضاء الفسيح ، من التردد إلى الإبداع ، مما هو دون العقل إلى ما هو فوق العقل !! ومن يقف بين الطرفين فهو بالضرورة فى منطقة التأمل والنظر ؛ لأنه لم يقف عند الأول ، ولا هو بلغ الثانى ، فطبيعى أن يكون آخذا بهذه الفضيلة النصف وهى الانعزال ، ١ .

ما أروع برجسون ...

وإلى اللقاء معه فى جانب آخر من بحثه المتع ، يتحدث فيه عن السبيل إلى تربية أخلاق الحركة وتكوين المجتمع المفتوح .
ففى عثمان

ضد الزوج ، وهى نفسها قائمة - إلى حد كبير - فى بريطانيا ولكن فى الأغوار النفسية البعيدة وعليها طلاء من مظاهر التسوية القانونية ، والمجاملات الشكلية ، وقد أقامت ألمانيا مجدها على أهوال حرب ضروس أشعلتها من أجل خرافة سيادة الجنس الآرى ، وأما فرنسا - بلد الإخاء والمساواة - فقد راحت تشن حرب الإبادة فى الجزائر على ملايين العرب أصحاب البلاد من أجل تثبيت أقدام الفرنسيين النازحين للاستغلال ١ .

وما أروع برجسون وهو يعلل الانتكاس الذى يصيب مجرى التقدم الإنسانى بقوله :
« ولو أن النفس الإنسانية وثبتت من الأول ولم تبلغ الآخر لوقفت عند هذا الحد الوسط ولسادتها أخلاق النفس المغلقة ، فلم تبلغ أو تبعد أخلاق النفس المفتوحة ، ولكانت

(بقية المنشور على صفحة ٦٩٧)

على أن الفقه الإسلامى بدأ يتطور حقا فى أيام الصحابة والتابعين ، وهو التطور الذى تلح فى الدعوة إليه ما دام فى داخل محيط الكتاب والسنة ويتفق مع روح الشريعة ومقاصدها .
وفى الكلمة الآتية - إن شاء الله - وهى ختام البحث نتكلم عن وسائل هذا التطوير التى اشتدت الحاجة إليه فى هذه الأيام التى نعيش فيها ، بعد أن جمدنا على الماضى قرونا طويلة ، ومن الله العون والتوفيق والسداد ٢ .

دكتور محمد يوسف موسى

وجوب الوقوف عند نص الحديث وضرورة التمسك به ، وموقف ابنه ومعه السيدة عائشة رضى الله عنها من وجوب الإيمان أيضا بالنص ، ولكنه مع هذا يرى ضرورة رعاية علة الحكم وحكمته ، ووجوب أن تدور الأحكام مع عللها ومقاصدها وجودا وعدما .
وليس هذا إلا ما نريده من الدعوة لتطوير الفقه الإسلامى ، فإن فيه تحقيق المراتب من الشريعة الإسلامية ، وجعلها تسير كل زمان ومكان .

ونقف اليوم بعدما ذكرناه من المثل الدالة

النظرية العامة للإثبات في الحدود

للأستاذ محمد عطية راغب

٢ - الإقرار

للإقرار في الشريعة الإسلامية شروط ،
منها ما يتعلق بالمقر ، ومنها ما يتعلق بالإقرار
نفسه .

أولاً : الشروط الواجب توافرها
في المقر :

أشترط الفقهاء لصحة إقرار المقر أن
يكون : بالغاً ، عاقلاً ، ناطقاً ، مختاراً .
ولذا لا يعتدون بإقرار : الصغير الذي لم
يبلغ الحلم ، والمجنون ، والمعتوه ، والسكران
والأخرس سواء أقر بإشارة أم بكتابة (١)
لأنه قد يكون لديه شبهة قوية لا يستطيع
إفهامها لغيره فتحرمه من شيء غيره القدرة
على بيانه والنجاة بسببه ، والنائم ، والمسكره
لأنه يغلب على الظن أن المقر قصد بإقراره
دفع ضرر ما خوف به ، فاتفق ظن صدقه وإن
كنا نجد بعض المتأخرين قد أفتى بصحة
إقرار السارق المسكره .

ثانياً : الشروط العامة للإقرار :

للإقرار في الشريعة الإسلامية شروط
يجب أن تتوافر فيه ليعتد به . فيجب ألا
يكون فيه لبس أو غموض يجعله محتملاً
للتأويل أو مشيراً للشك ؛ ذلك لأن الإقرار
الذي يحتمل التأويل أو يثير الشك لا يمكن
الاعتداد به ومؤاخذه صاحبه وفقاً له .
ويجب أن يكون موافقاً للواقع والحقيقة ،
فإن خالف فلا يعتد به لتكذيب الواقع له .
كما يجب أن يصدر عند من له ولاية إقامة
الحد . ولذا لا اعتداد في الفقه الإسلامي
بالإقرار الصادر عند من لا ولاية له
في ذلك .

(١) أما الشافعي ، وابن القاسم ، وأبو ثور ،
وابن المنذر ، فيرون أنه لا مانع من الأخذ بإقرار
الأخرس المفهومة إشارته وحركاته - محمد الحسيني
على سويدان . ص ٢٨ .

(١) عند زفر لا يصح إقرار العبد بشيء من
أسباب الحدود إلا إذا صدقه المولى - بدائع
الصنائع ج ٧ ص (٥٠)

ويجب ألا يكون المقر متهما في إقراره ، ولاعتداد بالإقرار الصادر منه .
لاكتفى بصدور الإقرار مرة واحدة ولا حاجة إلى تكراره في حد السرقة .

أما أحمد بن حنبل ، وزفر ، وأبي يوسف ، ومالك ، فلا يكتفون بصدوره مرة واحدة وإنما يوجبون تكراره مرتين في مجلسين مختلفين ؛ استنادا لما رواه أبو داود عن أنى أمية المخزومي أنه عليه الصلاة والسلام أتى بلص قد اعترف ولم يوجد معه متاع فقال الرسول صلوات الله عليه (ما أخالك سرت) قال : بلى يا رسول الله ، فأعادها عليه مرتين أو ثلاثا .

إلا أننا نرى رأى من أخذ بما ذهب إليه أبو حنيفة أو الشافعي ، ومحمد ، ففعل التكرار من الرسول صلى الله عليه وسلم في الواقعة السابقة نظرا لعدم وجود المتاع المسروق مع الجاني .

وأغلبية الفقهاء يكتفون في جرم القذف بصدور الإقرار مرة واحدة إذ لا حاجة عندهم لتكراره ، وإن كان الفقه الشيعي يتطلب تكراره للاعتداد به .

وأبو حنيفة ، ومحمد ، والمالكية ، وجمهور الفقهاء ، يكتفون بصدور الإقرار مرة واحدة ؟ ولا يوجبون تعدد الإقرار في جرم الشرب ، إلا أن أبا يوسف ، وزفر ، يوجبان تعدد الإقرار مرتين للاعتداد به ؛ لأن الإقرار عندهما كالبيئة بجامع

ويجب ألا يكون المقر متهما في إقراره ، ولاعتداد بالإقرار الصادر منه .
يشترط أبو حنيفة وأصحابه ، وابن حنبل ، أن يتكرر الإقرار في جرم الزنى أربع مرات ، وأن يراجع المقر في كل مرة ، وهم يستندون في ذلك إلى ما روى أن ما عزا جاء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فأقر بالزنى فأخبر النبي صلوات الله عليه إقامة الحد عليه إلى أن يتم الإقرار منه أربع مرات في أربعة مجالس ، وكان الرسول يطرده حتى يتوارى بحيطان المدينة ، فلو كان الإقرار مرة واحدة كافيا لما تأخر الرسول صلى الله عليه وسلم في إقامة الحد عليه ؛ لأن إقامة الحد عند ظهوره واجب وتأخير الواجب لا يظن مطلقا برسول الله .

أما الشافعي ، وأحمد ، والطبري ، وأكثر المالكية . وابن المنذر ، فيكتفون بالإقرار مرة واحدة ، ما دامت القرائن تدل على الإصرار ، ولأن الإقرار مظهر وتكرار الإقرار لا يفيد زيادة الظهور بخلاف زيادة العدد في الشهادة ، وذلك استنادا على ما جاء في حديث أبي هريرة من قول الرسول صلى الله عليه وسلم : اغد يا أنيس على امرأة هذا ، فإن اعترفت فارجمها ، فاعترفت فرجمها ولم يذكر عددا .

وعند أبي حنيفة ، والشافعي ، ومحمد ،

مراجع البحث : المبسوط . ج ٩ ،
القاموس المحيط . ج ١ ، الحدود في الشرائع
لفرج محمد السيد عمار ، الفوائد السمية .
ج ٢ ، متن ملتقى الأبحر ، شرح الدر المختار
ج ١ ، ابن عابدين . ج ٣ ، الهداية . ج ٢ ،
فتح القدير . ج ٤ . ط ١٣١٦ هـ ، الأحكام
السلطانية ج ٤ ، البحر الرائق شرح كنز الدقائق .
ج ٥ . ط ، بدائع الصنائع . ج ٦ و ٧ ،
الزيلعي . ج ٢ ، الإقناع . ج ٤ ، المدونة
السكبري . ج ١٦ ، المغني . ج (١٠) ، بداية
المجتهد . ج ٢ ، عبد القادر عودة . التشريع
الجنائي الإسلامي . ج ١ . ط ١٩٤٩ ، كشاف
القناع على متن الإقناع . ج ٦ ، محمد عبد
السلام خضر . رسالة في الشهادة ، أحمد
ابراهيم . المرافعات الشرعية . ط (١٩٢٠) ،
محمد الحسين آل كاشف الغطاء . أصل الشيعة
وأصولها . ط ٩ . محمد عطية راغب النظرية
العامة للإثبات في التشريع الجنائي العربي
المقارن . (١٩٦٠) .

أن كلا طريق للإثبات ، فيجب فيه التعداد
اعتبارا بالزنى ، إلا أنه أخذ على هذا الرأي
أن قياس الإقرار على البيئة قياس مع الفارق ؛
وذلك لأن اعتبار التعدد في الشهادة إنما كان
لتقليل التهمة ولا تهمة في الإقرار ؛ إذ لا يتهم
الشخص في إقراره على نفسه بما يضره ،
ولذلك نحن نرى لا حاجة لتكرار الإقرار
للاخذ به في جرم الشرب .

وأجمع الفقهاء كذلك على قبول رجوع
المقر عن إقراره وسقوط الحد عنه في حد
الزنى ، والسرقه ، والشرب ؛ ذلك لأن
الرجوع عن الإقرار شبهة في صحة الإقرار ،
والحدود تدرأ بالشبهات .

أما في حد القذف فلا يقبل الرجوع عن
الإقرار فيه ؛ ذلك لأن الإقرار تضمن
إثبات حق للغير ، وحقوق العباد اللازمة
لا تقبل الرجوع عن التزامها ؟

محمد عطية راغب

من الحكم الشعرية

وما المرء إلا الأصفران : لسانه
وما الزين في ثوب تراه ، وإنما
فإن طرة راقك منه فربما
ومعقوله ، والجسم خلق مصور
يزين الفتى مخبوره حين يخبر
أمر مذاق العود والعود أخضر

النحويين التجديد والتقليد للأستاذ عبد الخالق عظيم

- ٢ -

(ب) الإيجاز في التعليق ما وسعني الإيجاز .
١ - الأستاذ برائق حمل حملات ظالمة على النحويين فالنحويون في نظره طغاة وهم مقصرون .

وضرب لنا مثلاً لتقصيرهم في باب التعجب فقال في كتابه النحو المنهج ص ٥٢ :

وأسلوب التعجب لا يعرف النحويون منه إلا الباب التقليدي المتوارث الذي هو باب ما أفعله وأفعل به ويتحدثون عنه ويفيضون فيه ، ويضعون الشروط الكثيرة التي تبيح للتكلم أن يتعجب أو تحرم عليه ألا يتعجب وتحدد الصورة التي يتعجب بها تعجبا مباشراً أو بالواسطة ولعله أن يكون أجدى من هذا كله على أبنائنا أن نقدم لهم أساليب التعجب الأدبية التي تفيدهم فيما يقرءون أو يكتبون .
ولست أريد أن أهدر صيغة ما أفعله وأفعل به ولكني أريد أن أقدم للتعلمين إلى جانبها قول الله تعالى : « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم » ، وقول عنترة :

فه در بني عبس لقد نسلوا

من الأكارم ما قد تنسل العرب

كثبت كلتي السابقة ولم أنظر وقتئذ في غير الكتب التي بين يدي التلاميذ ثم أمدني بعض إخواني المدرسين بالوزارة بكتب ثلاثة هي :
١ - الاتجاهات الحديثة في النحو - مجموعة محاضرات ألقيت في مؤتمر مفتش اللغة العربية بالمرحلة الإعدادية .

٢ - تحرير النحو العربي - كتاب اجتمع على صنعه ثمانية من الأساتذة يتصدرهم الأستاذان إبراهيم مصطفى ومحمد أحمد برائق .

٣ - النحو المنهج - استقل بتأليفه الأستاذ برائق وأصحاب هذه الكتب والمحاضرات هم الذين تحمل أسماءهم كتب شرشر ومشمش والنحو الابتدائي والإعدادي فلا عجب أن كانت تستهدف العناية لما أسموه تيسير النحو وحمل المدرسين عليه .

وقد كان للطعن على النحويين نصيب موفور في هذه الكتب لذلك أرى من واجبي أن أتناول بالتعليق بعض ما تضمنته وسأحرص على أمرين .

(١) إفساح المجال أمام نصوص هؤلاء الأساتذة لتعبر عن أفكارهم وليشارك معي القاري في تقويم هذه الأفكار .

وقول المتنبي في سيف الدولة :
وكيف تعلق الدنيا بشيء

وأنت لعلل الدنيا طبيب
وكيف تنوبك الشكوى بداء

وأنت المستغاث لما ينوب
وقولهم واهالك ولله دره فارسا وهكذا
نجد كثيراً من الأمثلة في الأساليب الأدبية
نفيد التعجب ولم يتعرض لها النحاة ودراستها
للبدئين أولى .

وشهد الله أن النحويين لم يقصروا كما زعم
الأستاذ كبير المفتشين ففي كتاب التوضيح
لابن هشام ما يأتي :

هذا باب التعجب

وله عبارات كثيرة نحو : كيف تكفرون
بالله وكنتم أمواتا فأحياكم .
سبحان الله ، إن المؤمن لا ينجس - لله دره
فارسا .

والمبوب له في النحو اثنتان . .
وزاد الأشموني على كلام التوضيح - لله أنت ،
يا جارتا ما أنت جارة ، وقوله واهال لسلبي
ثم واهال واهال .

فقد تعرض النحويون لما ذكره الأستاذ
وزادوا عليه .

ولو كان كلامهم ذكر في غير باب التعجب
أو ذكر في كتب أخرى غير التي درسها الأستاذ
لاتسنا له العذر .

فهل نسي الأستاذ هذا الكلام أو تناساه .

نعيب زماننا والعيب فينا
وما لزماننا عيب سوانا
٢ - والأستاذ برائق رأى طريف هذته
إليه التجربة .

يرى أن بعض أبواب النحو لا يجوز
أن تكون موضع الدرس في الفصل ؛ لأن دراستها
توقع التلاميذ في الخطأ .

قال في محاضراته ص ٧٣ : وأول ما وجه
نظري إليها أن التلاميذ في المدارس الابتدائية
كانوا يستعملون الضمائر استعمالاً صحيحاً قلما
تشوبه شائبة من خطأ ، حتى درست لهم الضمير
وعرضت عليهم أقسامه وأنواعه ووجوه
إعرابه في جداول منمقة مزوقة وفهموها
وأجادوها داخلني اطمئنان شأن أي مدرس
ينجح في درس مع تلاميذه وفي أثناء استعمال
الضمائر في كتاباتهم أو في كلامهم بعد هذا
كانوا يخطئون أخطاء لم يقعوا فيها من قبل .
فأمنت أن هناك موضوعات لا يجوز
أن تكون موضع الدرس في الفصل .

هذه تجربة الأستاذ ولسان التجربة أصدق .
وفي التجارب علم مستأنف .

٣ - والنحويين في نظر الأستاذ برائق
وهو يتمنى أن يأتي اليوم الذي ينادي فيه
بالغاء النحو وإحراق كتبه .

قال في محاضراته ص ٧٢ : ونحن لا نرمي

ذكر النحويون أن أدوات الشرط تخلص معنى الماضى للاستقبال كما أن لم الجازمة تخص معنى المضارع للضى فمن حقهم علينا ألا نوجه لهم لوما؛ لأنهم لم يغفلوا الحديث عن مثل هذه المواضع وإذا كان كلامهم يشوبه تسكف وتعسف فما هو الكلام الذى لا تكلف فيه ويحسن ذكره فى مثل هذا المقام .

هذا ما كنا نريد سماعه من الدكتور القوصى أو من غيره .

* * *

وذكر الدكتور القوصى حكاية أخرى لها فى نفسه ذكريات عزيزة قال ص ١٣ : كنت طالبا فى مدرسة المعلمين وكنت أهتم بدراسة التاريخ الطبيعى فوجدت حجرا فى الصحراء حملته فرحا به مسرورا ، ورآه والذى فسألنى . . فتقبل الأمر باعتباره مسألة تهم ابنه وترضيه ، فلا مانع من احترامها والمحافظة عليها بهذا الاعتبار ، ورأته زوجة أبى فوضعتة إلى جوار الباب حتى يظل مفتوحا فكان الحجر فى نظرها أداة تسند الباب . . واستغله بعض إخوتى مشقة الأوراق حتى لا تطير فى الهواء ، ثم سافرت إلى إنجلترا وهناك كنت أذكر تلك القطعة من الحجر وأسأل عنها .

* * *

قد يكون لمثل هذه الحكاية صلة بعلم النفس

من وراء هذا التيسير التهوين من علم النحو وإن كان هينا ولكننا نرى إلى تأليف قلوب التلاميذ . . . ولعل لا أغضبكم إذا قلت لكم: إني أتمنى على الله اليوم الذى أنادى فيه بإلغاء علم النحو وإحراق كتبه .

ورحم الله البحتري: فقد قيل له يوما: إن الناس يزعمون أنك أشعر من أبى تمام فقال والله ما ينفعنى هذا القول ولا يضر أبى تمام والله ما أكلت الخبز إلا به .

٤ - أشرف الدكتور عبد العزيز القوصى على مؤتمر مفتشى اللغة العربية ، وقد افتتح هذا المؤتمر بكلمة ذكر فيها أنه غير متخصص فى اللغة العربية ومتخصص فى علم النفس وحصل فيه على درجة ، ثم رعى النحو بالتكلف والتعسف وأنه لا يجارى منطق الطفل .

قال فى محاضراته ص ١٦ : سألتنى بنتى مرة قائلة ذا كـ فعل ماض أو مضارع أو أمر فقلت لها: إنه ماض قالت: لو قلت إذا ذا كـت أخذت الجائزة كيف يكون ذا كـ فعلا ماضيا مع أن المذاكرة لم تحدث الآن؟ ولا أنكر أننى استطعت أن أقنعها بمنطق النحو الذى أعرفه ، ولكننى حين أرجع إلى نفسى أجد أن هناك فرقا كبيرا بين منطق النحو وفيه تعسف وتكلف ومنطق الطفل ، وفيه سهولة وصدق .

* * *

أفضل منك إذا جعلته خبراً، وكذلك لا أحد خير منك، قال الشاعر

ورد جازرهم حرفاً مصرمة

ولا كريم من ولدان مصبوح

* * *

وفي حديثهم عن لا النافية للجنس في كتابهم تحرير النحو اكتفوا بقولهم ص ١٢٤: المسند إليه بعد لا النافية للجنس منصوب غير منون إذا أفردت، أما إذا تكررت فلك في المسند إليه بعدها أن تنصبه غير منون أو ترفعه منونا مثل: لا حول ولا قوة إلا بالله، فلم يقسموا اسم لا إلى مفرد ومضاف وشبيه بالمضاف.

ثم جاء الأستاذ برانق بعد ذلك وقال في كتابه ص ٩٤: إن تقسيم اسم لا إلى مفرد ومضاف وشبه فيه بلبلة وتعسير على التلاميذ.

* * *

وماذا نصنع في أمثلة الشبيه بالمضاف وهي منصوبة منونة بعد لا، أغفل الأساتذة حديثها وتوجيهها.

وفي حديثهم عن المنادى في تحرير النحو ص ١٨٩ قسموه إلى هذه الأقسام:

(أ) إذا كان المنادى مضافاً نصب نحو يا عبد الله
(ب) إذا كان المنادى علماً غير مضاف رفع
ومنع التنوين نحو: يا آدم اسكن أنت
وزوجك - يا نوح اهبط بسلام منا.

أما أن يسكون لها أدنى علاقة أو ارتباط بتيسير النحو فهذا ما أعجزني بيانه.

٥ - يرى الأستاذ إبراهيم مصطفى في إحياء النحو ص ١٤٢: أن الاسم الواقع بعد لا النافية للجنس ليس بمستحدث عنه وحقه من الحركات الفتحة والذي عوّض الأمر على النجاة ما قرره من أن كل جملة يجب أن تشمل مبتدأ وخبراً أو فعلاً وفاعلاً ولم يعرفوا الجملة الناقصة.

كما يرى أن الجار والمجرور والظرف في نحو قوله تعالى: «إنهم لا إيمان لهم - لا ظلم اليوم» - ليس خبراً للا - ولست أدري ماذا يصنع الأستاذ فيما جاء عن العرب من التصريح بخبر لا مرفوعاً كما في الحديث الشريف الذي رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من قوله عليه السلام: (لا أحد أغير من الله ولذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا شيء أحب إليه المدح من الله، ولذلك مدح نفسه). وفي قول الشاعر:

لا أحد أذل من جديس

وفي قول أبي قيس:

ونعلم أن الله لا شيء غيره

ونعلم أن الله أفضل هاديا

الروض الأنف ٢ / ٢٣.

* * *

وفي كتاب سيبويه ١/٣٥٦ وتقول: لا رجل

(ج) فيما عدا ما تقدم إذا نون المنادى نصب وإذا منع التنوين رفع .
وقولهم إذا نون المنادى نصب وإذا منع التنوين رفع جمع إلى الإيجاز الإيهام نحن في حاجة إلى معرفة متى ينون المنادى ومتى لا ينون فنصب المنادى أو رفعه إنما يكون بعد معرفة حال المنادى ومن أى الأقسام هو .
ومثل هذا الإيجاز الخلل إنما يقبل في لغة المنون التي رأى أصحابها أن يحملوا ألفاظها فوق ما تحتمل، أما أن يلقى به في وجه الطالب الإعدادى فهذا تعجيز له .
وهل يكفي أن نقول له : المنادى منصوب أو مرفوع .
ونراه في أمثلة المنادى المنون مثلوا بقولهم : يا مؤمننا لا تعتمد على غير مولاك ، وهذا مما سماه النحويون النكرة غير المقصودة :
يا رحيمًا بالعباد - يا موقدا نارًا لغيرك ضوؤها ، وهذا مما سماه النحويون الشبيه بالمضاف ثم ذكروا البيت :
فيا راكبًا إما عرضت فبلغن
ندامى من نجران أن لا تلاقيا
وهو من النكرة غير المقصودة ، فخلطوا بين أمثلة النكرة غير المقصودة والشبيه بالمضاف كما ترى ، وكان لهذا الخلط أثره عند الأستاذ برائق فقد مثل في كتابه ص ١٠٤ بالبيت :

فيا راكبًا إما عرضت فبلغن
ندامى من نجران أن لا تلاقيا
للشبيه بالمضاف وهو من النكرة غير المقصودة وقسم الأستاذ برائق المنادى إلى مضاف وشبيه بالمضاف وإن أخطأ في التمثيل كما ذكرنا ومعرفة :

ومثل للعرفة بقوله تعالى : يا آدم اسكن أنت وزوجك ، - يا نوح اهبط بسلام منا ، يا جبال أوّبي معه .

وأغفل النكرة غير المقصودة ثم نراه جمع النكرة المقصودة والعلم المفرد تحت اسم المعرفة ، والتلميذ يستطيع أن يتهدى إلى تعريف نحو يا آدم - يا نوح أما التعريف في نحو يا جبال فلن يستطيع أن يوضحه المدرس إلا إذا اتبع طريق النحويين وتقسيمهم .

ألسنت معنى في أن كل ما ذكر لا يعدو أن يكون غمغمة لا تبين وهمة لا تتضح .

٦ - استفتح ابن مضاء كتابه الرد على النحاة بالخمسة على عوامل النحويين وأطال في ذلك ثم عرض الأستاذ إبراهيم مصطفى في إحياء النحو لفلسفة العامل ومنشأ هذه الفلسفة ونقد مذهب النحاة في العامل ص ٣١ - ٤٣ .

ولم يكتف أساتذتنا بما ذكر ، فأعادوا هذا الكلام فالأستاذ برائق يطلب في محاضراته

أن بعض العمل يأتي مسبباً عن لفظ يصحبه كمررت بزيد وليت عمراً قائم وبعضه يأتي عارياً من مصاحبة لفظ يتعلق به كرفع المبتدأ بالابتداء ورفع الفعل لوقوعه موقع الاسم هذا ظاهر الأمر وعليه صفحة القول فأما في الحقيقة ومحصول الحديث فالعمل من الرفع والنصب والجروالجزم إنما هو للبتكلم نفسه لا لشيء غيره .

والعجيب أن ابن مضاء بتر هذا النص وادعى على ابن جني أنه أنكر العوامل في النحو .

ولست للعوامل هيمنة على كلام العرب تقبل بعضه وتنكر بعضه كما يدعون، إنما يبحث النحويون عن العامل بعد سماع النص من العرب، قال الرضى في شرح الكافية ص ٢٠٨ :

وقال بعضهم المستثنى منصوب بأستثنى كما أن المنادى منصوب بأنادى، وإلا وحرف النداء دليلان على الفعلين المقدرين، وقد اعترض عليه بأنه يلزم منه جواز الرفع بتقدير امتنع ولا يلزم ذلك لأننا نعمل ما ثبت وورد من كلام العرب ولو ورد مرفوعاً لسكننا نقدر امتنع ونحوه ألا ترى أنه يجب النصب في إياك والأسد بتقدير، بعد ونحوه، ولو ورد الرفع نحو أنت والأسد لسكننا نقدر أبعد أنت والأسد ونحوه .

ص ٧٣ التخفيف من عمل الأدوات على النحو الذى قرره طغاة النحويين .

ثم يعود لهذا الحديث في كتابه النحو المنهجي ص ٤٦ ويبسط القول. كذلك شارك في هذه الحملة الدكتور عبد الفتاح شلبي، والدكتور محمود رشدى خاطر، والأستاذ محمد شفيق عطا، وما كان قولهم إلا معاداً مكرراً .

والعوامل في صناعة النحو إنما هي أمارات ودلالات كما قلنا وليس لها تأثير حسى .

قال كمال الدين الأنبارى في كتابه الإنصاف ص ٣٣ :

لأن العوامل في هذه الصناعة ليست مؤثرة حسية كالإحراق للنار، والإغراق للباء، والقطع للسيف، وإنما هي أمارات ودلالات، والأمانة والدلالة تكون بعدم شيء كما تكون بوجود شيء، ألا ترى أنه لو كان معك ثوبان وأردت أن تميز أحدهما من الآخر فصبغت أحدهما وتركت صبغ الآخر لكان ترك صبغ أحدهما في التمييز بمنزلة صبغ الآخر .

وفي الخصائص ص ١٠٩ ألا تراك إذا قلت ضرب سعيد جعفرأ، فإن ضرب لم تعمل في الحقيقة شيئاً وهل تحصل من قولك ضرب إلا على اللفظ بالضاد والراء والباء على صورة فعل فهذا هو الصوت والصوت مما لا يجوز أن يكون منسوباً إليه الفعل، وإنما قال النحويون عامل لفظي وعامل معنوي ليروك

ولما كانت الأساليب الفصيحة خالية من ذكره أوجب النحويون حذفه فلا يصح أن نقول منزلنا السكان بشارع كذا كما يجري ذلك على ألسنة العامة ، فالبحث عن المتعلق بحث يتصل بسلامة الأسلوب وفصاحته ، وقد حض ابن مضاء في كتابه على البحث في المسائل التي تفيد نطقا وإن نادى بالانصراف عن البحث في متعلق الظرف .

وتعيين متعلق الظرف إنما يحدده المعنى فقد يوجد الفعل قبل الظرف أو الجار والمجرور ثم يتعلقان بغيره .

وقد ذكر ابن هشام في المغني ثمانى آيات وحديثا وبيتين وجد فيها الفعل قبل الظرف أو الجار والمجرور ومنع المعنى من تعلقها بهذا الفعل فليرجع إليه من شاء في المغني ١٢٠-١٢١ ، وما يدل على أن البحث في متعلق الظرف ليس صناعة لفظية فحسب ما ذكره النحويون في قوله تعالى : فلما رآه مستقرا عنده : قال هذا من فضل ربي .

قالوا : إن معنى الاستقرار هنا ليس مطلق الوجود والحصول إنما معناه عدم التحرك فهو كون خاص . المغني ٢- ٨١ ، البحر المحیط ٧- ٧٧ العكبري ٢- ٩٠ للبحث صلة .

محمد عبد الحاق عصفية

وعلى هذا فلا محل لسخرية الأستاذ برانق في قوله ص ١٠٠ :

ولو أن المسند إليه في هذه الأساليب ورد مرفوعا لكان للنجاحة فيه مخرج بل ولو أنه ورد مجرورا لكان لهم مخرج فتأمل .

٧ - يرى ابن مضاء ص ٩٩ أن نحو زيد في الدار كلام تام مركب من اسمين داين على معنيين بينهما نسبة وتلك النسبة دلت عليها في ولا حاجة إلى تقدير كائن أو مستقر ، وإذا بطل العامل والعمل فلا شبهة تبقى لمن يدعى هذا الإضمار .

وقد أعجب بهذا الرأي الأستاذ برانق ص ٧٩ . دفع النحويين إلى البحث عن متعلق الظرف والجار والمجرور نظام الأسلوب العربي ، وجدوا أنه قد يسبق الظرف فعل أو اسم فيه معنى الفعل يرتبط به معنى الظرف . ومعنى هذا الفعل كون خاص ، فقالوا التعلق الخاص يجب ذكره ولا يحذف إلا عند القرينة تقول هذا الكتاب مطبوع في مصر . ولو حذفت المتعلق لاختلف المعنى .

ودليلهم على تقدير المتعلق العام ورود ذكره في ضرورة الشعر كقوله :

لك العز إن مولاك عز . وإن يهن

فأنت لدى بجوحة الهون كائن

الإسلام في نيجيريا

للأستاذ عطية صفدر

القرن السابع عشر ، عندما ظهر الانجليز كسجار الرقيق والمحصولات المختلفة .

ولم يجرؤ المسكتشفون على ارنيا المناطق الداخلية لوعورة مسالكها وعدم ملائمة جوها للأوربيين ، حتى أرسلت الجمعية الكشفية التي تألفت في لندن في يونيه سنة ١٧٨٨ المسكتشف مونجو بارك Mongo

Park فقطع نهر النيجر من سيجو Segou إلى Bussa وتوفي سنة ١٨٠٥ ، ثم تم كشف النهر من بوسا إلى الساحل سنة ١٨٣٠ واكتشفت المنطقة الشمالية سنة ١٨٢٣ عن طريق الصحراء من طرابلس .

وابتداء تدخل الانجائز في المنطقة عندما كانوا يقومون بدور الحكم بين القبائل التي كانت تنشب بينها الحروب والمنازعات في كثير من الأحيان . ثم اعترف مؤتمر برلين سنة ١٨٥٥ باستعمار بريطانيا لهذه المنطقة . وقد لقي الانجائز مقاومة شديدة من الولايات الإسلامية في الشمال حتى تمكن « فردريك لوجارد » من الاستيلاء على آخر معقل إسلامي في سو كوتو في ١٧ من مايو سنة ١٩٠٣

في المنعطف الجنوبي لنهر النيجر وعند مصبه ، وإلى الشمال الشرقي من الدلتا حتى بحيرة تشاد ، تقع جمهورية نيجيريا التي نالت استقلالها في شهر أكتوبر من عام ١٩٦٠ . وهي حكومة اتحادية فيدرالية تتكون من حكومات ثلاث : في شرقي النهر وعاصمتها « إبناجون » ، وفي غربيها وعاصمتها « إبادان » ، وفي الشمال وعاصمتها « كادونا » . وسكانها يبلغون من ٣٥ إلى ٤٠ مليوناً . وهم مجموعة من القبائل تزيد على ٢٥٠ قبيلة ، أهمها الهاوسا Haoussa في القسم الشمالي والإيبيو Ibo في القسم الشرقي ، واليوروبا Yourouba في القسم الغربي . ومن بين هؤلاء السكان ٢٠ ألفاً من الأوربيين ونحو ٤ آلاف من عرب سوريا ولبنان ومن الهنود .

ولا يعرف بالضبط متى سكن الناس هذه المنطقة ، إلا أن الثابت أن قبيلة بني Beni ظهرت بقوتها كجنس مسيطر على المنطقة عندما اكتشف البرتغاليون الساحل في القرن الخامس عشر ، واستمر سلطان هذه القبيلة قائماً على جزء كبير من الساحل الغربي حتى

واضح إلا في نحو القرن العاشر أو الحادى عشر بفضل النشاط العظيم الذى قام به المراتبون من قبائل لتوتة ، فحملوا الإسلام إلى مملكة « غانة » ، ووسط إفريقيا وسواحلها الغربية ودخلت قبيلة « بورنو » المقيمة فى شمالى نيجيريا فى الإسلام فى أوائل الانصال بالمرابطين ، وأسلم أمير قبائل الماندانج وأسس أحد خلفائه فى القرن الثالث عشر أمبراطورية « مالى » ، وأسلت دول الهاوسا حوالى القرن الخامس عشر ، ثم أسلست قبائل « البولز » فى القرن الثامن عشر ، وأخيراً أسلست قبائل المنطقة الجنوبية « إيبو ، يوروبا » .

وقد ظهرت حركة إسلامية كبيرة فى أواخر القرن التاسع عشر ، تزعمها رجل ينحدر من أسرة تشتهر بالعلم والقضاء ، هو الشيخ عثمان الفودى ، الذى يسميه الغربيون فوديو Fodio ، وقد ولد سنة ١٧٤٤ فى إمارة « جوبير » إحدى إمارات الهاوسا ، وفقفه على مذهب الإمام مالك فى « أجاديس » واعتنق هناك الطريقة الصوفية القادرية ، وعاد إلى مسقط رأسه ينشر العلم ويبشر بالدين ، ثم بايعه أتباعه بإمارة المؤمنين ، وكون جيشاً ظل يحارب به الأمراء والقبائل الوثنية من سنة ١٨٠٤ حتى تم له النصر عليها جميعاً فى آخر سنة ١٨٠٨ ، مساعداً مملكة « بورنو »

وفى ٢١ من هذا الشهر نفسه أقيم سلطان جديد أمضى مع الانجليز شروطاً دخل بمقتضاها تحت إدارتهم وفعلت مثل ذلك بقية الإمارات ، واستمر استعمار الانجليز قائماً على البلاد ، حتى منحوها سنة ١٩٥٤ دستوراً ينص على إعطائها الحكم الذاتى سنة ١٩٥٦ إذا وافقت جميع المقاطعات ، وبعد إجراء انتخاب للبرلمان الفيدرالى فى آخر سنة ١٩٥٩ وفوز حزب مؤتمر الشعب الشمالى ، شكلت الوزارة الاتحادية برئاسة « الحاج سير أبو بكر نافوا باليوا » ونصب الدكتور « أزيكوى » حاكماً عاماً لاتحاد نيجيريا ، الذى اتخذ مدينة لاجوس Lagos عاصمة له .

وقد قامت فى البلاد ممالك إسلامية كان لها دور عظيم فى نشر الإسلام فى هذه المناطق وغيرها قبل أن يعرفها الغرب ، ويلوئها رجس الاستعمار ، فكانت هناك فى أوائل القرن العاشر الميلادى مملكة « التكرور » ، وفى القرن الحادى عشر مملكة « مالى » التى زارها ابن بطوطة وتحدث عنها ابن خلدون ، وكذلك قامت مملكة « البرناوية » فى الشمال الشرقى . ودخل الإسلام هذه المنطقة منذ زمن بعيد ، وذلك من أوائل الفتح الإسلامى ، متسللاً مع القوافل والتجار الذين كانوا يجوبون هذه المناطق ، غير أنه لم يظهر بشكل

من نسل يعرب بن قحطان ، والفولاني من سلالة عقبة بن نافع ، وهكذا . ومهما يكن من شيء فإن الملاحظ أن أغلب المسلمين هناك يجرى في عروقهم الدم العربي ، وسخنتهم وعاداتهم توحى بانتسابهم إلى هذه الأرومة الأصلية ، كما يلاحظ أن اتجاه الشماليين وهم غالبية المسلمين نحو العرب والشرق ، أكثر من اتجاههم نحو الغرب على عكس قبائل المنطقتين الآخرين . ومعظم المسلمين في الشمال - إن لم يكونوا جميعا - تجار رحل ومزارعون صغار ، ورعاة أغنام ، وحالتهم الاقتصادية العامة بسيطة واسكنها لا تصل إلى درجة العدم ، وأغلبهم يقعون تحت سلطان قلة من الإقطاعيين ، وهم يحسون بقلق بالغ وغير شديدة من تقدم إخوانهم في المنطقة الشرقية والغربية ، ويحسدون للحاق بهم في المضمار الثقافي والاجتماعي ، والمسلمون من قبيلة الإيبو في القطاع الشرقي أكثر من غيرهم تقدما ونشاطا وكفاحا في سبيل النهوض ، غير أنهم تسودهم الروح الانعزالية ، وهو الطابع العام للقبيلة كلها ، التي ترى أن أكبر مجتمع فيها هو الأسرة فقط .

والمسلمون عموما متعصبون لدينهم وتستطيع أن تميزهم من غيرهم بالطاقيّة البيضاء والسحنة العربية المختلفة عن السحنة الزنجية ، غير أن تدينهم مشوب بالخرافات والسحر والشعوذة

الإسلامية التي وقفت ضد أتباعه الذين أرادوا توسيع مملكته ، وبني ابنه مدينة سو كوتو Sokoto سنة ١٨٠٩ التي كانت هي ومدينة «كانو» ، القديمة عاصمتين لهذه الدولة العظيمة ، التي تخطت بالدعوة الإسلامية حدود نيجيريا ووصلت بها إلى الكمرون . ولم يقف نشاطها إلا بعد تغلب الانجليز على البلاد ؛ وقد أمر الشيخ عثمان العزلة والخلوة في آخر حياته وتوفي سنة ١٨١٧ .

تقوم في هذه البلاد ثلاث ديانات رئيسية : الإسلام ، والمسيحية ، والوثنية . وليس هناك إحصاء رسمي لعدد المسلمين ولا النسبة توزيعة في المناطق الثلاث . إلا أن المؤكد أنهم لا يقلون عن عشرين مليوناً إن لم يزيدوا ، فقد أوصل البعض عددهم إلى ٣٠ باعتبار أن عدد السكان ٤٤ مليوناً . وهم يكثرون بصفة عامة في الإقليم الشمالي الذي يكون ثلثي مساحة البلاد ، ويقولون في الإقليمين : الشرق والغربي ، وقد ذكرت الدوائر التبشيرية أن نسبتهم في الشمال ٧٠٪ وفي الغرب ٣٠٪ . وفي الشرق ٥٠٪ ، ولكن كثيراً من المكاتبين يؤكدون أن نسبتهم في الشمال أكبر من ذلك بكثير .

وكثير من القبائل التي اعتنقت الإسلام تدعى أنها من أصل عربي ، فالهاوسا تقول إنها من نسل أحد ملوك بغداد ، واليوروبا

الشمالي كما ذكرنا ، فهناك المساجد الواسعة ذات المنارات العالية ، التي تشتهر على الأخص بها مدينة «كانو» أكبر مدن الشمال ، وهي مركز تجارى هام للقوافل ، بناها المسلمون قبل ألف سنة .

وتقوم بالبلاد جمعيات إسلامية أهمها :
١ — جمعية أنصار الدين ، التي تأسست في لاجوس سنة ١٩٢٣ ، وأنشأت سنة ١٩٣٢ مدرسة إسلامية ابتدائية ، وأصبح لها الآن ٨٠ مدرسة أخرى في أقسام نيجيريا الثلاثة ، وتمكنت من إنشاء معهد ابتدائي لتخريج المدرسين المسلمين ، وهو داخلي كامل الاستعداد . غير أن العناية باللغة الانجليزية واضحة في هذه المدارس .

٢ — جمعية أنوار الدين ، وهي تبعد عن لاجوس بنحو ٦٠ ميلا ، ولها مدارس ابتدائية وثانوية ، وتعى باللغة العربية .
٣ — جمعية أعضاء المؤتمر الإسلامى ، التي أسسها سنة ١٩٤٥ الحاج محمد الأمين القديسى ، في بلدة إيجابوا ودى ، وهي تبعد عن لاجوس بنحو ٤٠ ميلا ، ولها ٣٦٠ مدرسة .

وتزعم النهضة النسائية هناك الحاجة نصرة حرم الحاج محمد الأمين القديسى وقد زارا مصر سنة ١٩٥٣ لبحث وسائل النهوض بالتعليم الدينى كما توجد جماعة القاديانية التي

المنتشرة في البلاد جميعها ، كبريات قديم عن القبائل الإفريقية في داخل القارة ، وهم يتعبدون على مذهب الإمام مالك ، الذى حمل إليهم على يد الداعين والفاحين القادمين من شمالى إفريقيا وبلاد المغرب والسودان ، وجميعهم سنيون في عقيدتهم ، غير أنه يوجد بعض منهم ينتمون إلى جماعة القاديانية الذين يقومون بنشاط بارز في « لاجوس » ولهم دعائهم وصحفهم ومدارسهم .

والطرق الصوفية لها نشاط واضح في البلاد وأشهرها الطريقة القادرية التي أسسها في العراق في القرن الثانى عشر عبد القادر الجيلانى .

والطريقة التيجانية التي أسسها في شمالى إفريقيا في القرن الثامن عشر أحمد التيجانى المدفون في فاس ، وهذه الطريقة يشتهر أتباعها بالزمت وشدة عداوتهم للوثنية ، وعدم انسجامهم مع الطريقة الأخرى ومع غيرها من الجماعات . ويقول بعض المعلقين : إن هذه الطرق صورة للكهنوت الوثنى ، الذى يتمسك بالكرامات وخوارق العادات ، وزيارة القبور وتقديس الأشخاص ، ولهذا فكر المستقرون في تنقية الدين من هذه الأمور الدخيلة ، وقصد بعضهم الجامع الأزهر من أجل التزود بالمعرفة الصحيحة ، ليستطيعوا الجهاد في هذا الميدان .

والطابع الإسلامى يظهر بوضوح في الإقليم

المدارس والكلديات وخاصة في مدينة كانو ومدينة زاريا ، ويوجد اهتمام عام بتثقيف المرأة وتدريبها على أداء واجبها الديني والاجتماعي ، وذلك نتيجة لاقتراح العالم الإفريقي « جيمس أجري » ، الذي يقول : عندما تعلم رجلا فإنك تعلم فردا ، ولكن عندما تعلم أما فإنك تعلم أسرة كاملة .

وتصدر في لاجوس صحيفة إسلامية هي « الحقيقة » ، وهي الصحيفة الإسلامية الوحيدة التي تصدر في هذه المناطق .

وكان المسلمون يأخذون علومهم عن علماء المغرب ، ثم اتجهوا إلى المؤلفات التي وضعها العلماء المحليون في الفقه والتفسير واللغة ، أمثال كتب الشيخ عثمان الفودي وأخيه الشيخ عبد الله ، والشيخ تاج الدين الأدبي الألوري ، والحاج كمال الدين الأدبي . وقد حضر إلى الأزهر سنة ١٩٤٥ الشيخ آدم عبد الله الألوري ثم عاد إلى بلاده وفتح مدارس لتعليم اللغة والدين غير أنها محدودة النشاط لقلة مواردها المالية وعدم وجود المدرسين الأكفاء . وقد أوفد الأزهر سنة ١٩٥١ أحد علمائه الأجلاء ليدرس حالة المسلمين هناك من الوجهة الدينية والاجتماعية والثقافية ، ورفع تقريراً عن ذلك إلى المسؤولين ، كان من أثره زيادة المبعوثين

ينحصر نشاطها في العاصمة وهي تدرس اللغة العربية في جميع مدارسها .

وفي البلاد أكثر من خمسين لغة ، ولكل قبيلة لغتها ولهجاتها الخاصة ، غير أن لغة الهاوسا تحظى بقدر كبير من الانتشار ، وبها كلمات عربية . واللغة العربية هي لغة العبادة بالطبع عند المسلمين ، وهي منتشرة في الجزء الشمالي ، وتوجد كتب مؤلفة في اللغة والدين ، وأغلبهم يقرءون هذه الكتب ولكن لا يفهم معناها إلا القليلون . وهي اللغة الرسمية في إمارات الفولا في سوكونو . وفي قبيلة « شوا » التي مازالت تعيش عيشة بدوية في انتجاع مواقع المياه . توجد كلمات عربية فصيحة ، وألفاظ قديمة هجرها العرب أنفسهم واللغة الانجليزية وهي لغة المستعمر منتشرة في الأوساط المتعلمة . وبفضل البعث الوافدة إلى الأزهر نشط كثير من الغيورين على الدين واللغة في فتح مدارس لتعليم اللغة العربية ، وقاموا بنشاط كبير في نشرها بين الأوساط المختلفة لتكون لغة التخاطب بين المسلمين .

والتعليم عامة في البلاد متأخر ، غير أن المستوى الثقافي عال جدا في القسم الغربي وذلك لاهتمام المستعمر بهم ونشاط المبشرين فيهم ، والتعليم الديني منتشر في الشمال بحكم الأكثرية الإسلامية الموجودة هناك ، حيث توجد

زمن يكون فيه جميع أهالي نيجيريا قد تأثروا
بخميرة الإنجيل حتى تكون أمة مسيحية .

إن لهم منهجا في التقرب إلى الوثنيين يقوم
على السياسة التي نادى بها بريفيه Breivié في
كتابه الإسلام ضد الوثنية في السودان الفرنسي ،
سنة ١٩٢٣ ، وهي ترى إلى تحبيب الوثنيين
في الوثنية ، وإظهارها لهم كنوع من الفلسفة
والفكر الحر ، حتى يأنس الوثني إليهم ، ولا
توجد هوة بينه وبين الرجل الأبيض . وهذا
يبين لنا بوضوح أن غاية التبشير ليست دينية
بقدر ما هي سياسية استعمارية ولذلك نراهم
يتغاضون عن تعدد الزوجات بين من يعتنق
المسيحية من الوثنيين . ويميحون لهم أن يسموا
أولادهم بأسماء وثنية . وذلك كله خشية الإسلام
الذي يندفع إليه الناس طواعية واختيارا ،
وسيسكون له المستقبل بإذن الله ، والله متم
نوره ولو كره الكافرون .

عطية صفر

من علماء الأزهر الشريف

الوافدين إلى الأزهر من هناك ، وكان عدد
هؤلاء الطلاب ١٢ في سنة ١٩٥٦ وسيكونون
نواة النهضة الدينية في بلادهم عندما يعودون
إليها بعد إتمام دراستهم .

هذا - ولما كانت البلاد حديثة العهد
بالاستقلال ، وهي تحتاز فترة هامة من
تاريخها وتنقصها الكفايات اللازمة للنهضة
الثقافية العامة والدينية بوجه خاص كان لابد
من عمل شيء جدي يفيد به هذه المنطقة الحيوية
التي تتجه إليها الأنظار .

ذلك أن المبشرين جادون في التبشير الديني
والثقافي ليكسبوا الجولة في الصراع العنيف
الذي يدور حول الوثنيين الموجودين بين
الشمال والجنوب في منطقة هضاب باوتشي
Baoutchi لينعوا تسرب الإسلام إليهم عن
طريق الشمال وليحولوا اتجاههم نحو الغرب
وقد قالوا في تقرير لهم : « إن خميرة الإنجيل
التي رفعت العجيين في الجنوب تبدأ عملها ،
وهي لن تتوانى في أداء مهمتها ، وقد بدأت
دخولها إلى القبائل الوثنية في الشمال ، وسيأتي

الأزهر في سيرة أعلامه

سيد بن علي المرصفي

شيخ أساتذة الأدب وأعلام الفكر

للاستاذ محمد رجب البيومي

ما أظن أستاذاً من أساتذة الأزهر رزق الحظوة في تلاميذه ، والنجاة في أشباله ، كما رزقهما الأستاذان محمد عبده وسيد بن علي المرصفي ، فقد كانت دروس الأستاذ الإمام في تفسير كتاب الله حقلاً خصيباً أنتج في ميدان الإصلاح والتشريع أساتذة أعلاماً حملوا الراية وتقدموا الركب ، وحسبك أن يسكون منهم على سبيل المثال محمد مصطفى المراغي وعبد المجيد سليم ومحمد رشيد رضا ومصطفى عبد الرزاق ، كما كانت دروس السيد المرصفي روضاً يانعاً آتى أكله الشهي فأنج رباحين وأزاهر ذات عبق شذى ، ومنظر موفق ، وحسبك أن يذكر من أبنائه في مجال الزعامة الفكرية ، والقيادة الأدبية مصطفى لطفي المنفلوطي وأحمد حسن الزيات وطه حسين وعبد العزيز البشري وعلي عبد الرزاق وزكي مبارك ، وأن يذكر منهم في مضمار التحقيق العلمي ونشر آثار السلف في اللغة والدين محمود حسن الزناتي وأحمد محمد شاكر وحسن السعدوني ومحمد محي الدين عبد الحميد

وأن يذكر منهم في دنيا الصحافة والتحرير محمد الهياوي وعبد الرحمن البرقوقي ومحمد إبراهيم هلال وفهم قنديل ، أما الشعراء المجيدون من طلابه ، فأنت تعد منهم ولا تعدهم إذ تستطيع أن تختار على سبيل المثال حسن القاياتي وأحمد الزين وعلي الجارم وأحمد شفيع السيد وإبراهيم الدباغ ورمزي فظيم . وأستاذ كالمرصفي يترك هذه المؤلفات الحية من الأفاذ تنشر معارفه ، وتذيع هديه ، تحقيق أن يكتب له في سجل التاريخ الأدبي المعاصر ، صحيفة وضاء تتألق سطورها بالزهو والاعتزاز .

لقد استطاع سيد بن علي أن يعيد إلى القاهرة في مطلع هذا القرن مجالس بغداد في مطلع عصورها الزاهية ، فكنت تتخيله وقد عكف وحده بين زملائه الشيوخ على دراسة الأدب واللغة إماماً كبيراً من صدور السلف كآبي عمرو وأبي عبيدة والأصمعي والخليل والمبرد فهو يروى الشعر الجزل ، ويناقش التركيب الناشئ ، ويعالج اللفظ الغريب ، ويرد النسبة

من الإخباريين والرواة، وإنه ليعبر عن ذلك فيقول في مقدمة كتابه « أسرار الحماسة » .
« وقد رأيت نفوس القوم مصروفة إلى تحقيق المسائل العلية ، والمباحث العقلية والعلم عندهم من نظير إلى الاستدلال ، وأكثر طرق الاحتمال ، وولد مالا يولد ، وأوجد من الأفهام مالا يوجد ، ولو علموا هدام الله ما علمناه من خصائص اللغة وأسايبها وما أودعت من لطائف الأسرار في تراكيها لهجروا تلك السكتب ذوات التنافر والتعقيد وغنموا لغة القرآن المجيد والحديث الحميد » .
وإن رائدا بطلا يناهض هذا التيار القوي فيقف فريدا بدرس الأدب واللغة موقف المزامح المنافس حتى يجذب الأنظار إلى حلقاته ويجمع الصفوة من الطلاب على مذهبه إن رائدا بطلا يفعل ذلك ، لجدير أن يطلق اسمه على إحدى قاعات المحاضرات بكلية الأزهر وأن ينشأ كرسي باسمه في كلية اللغة العربية لدراسة آثاره ومنحاه وشروحه، وأن تطبع مؤلفاته المخطوطة ليعلم الناس أي أديب فذ كان المرصني ! ! رحمه الله ! .

لقد كانت كتب الأدب لعهد المرصني أول هذا القرن مجفوة مهمة ، وكان أكثرها مخطوطا منسيا لا يجد النور في الحياة ، وبعض المطبوع منها على قلته ردى الطبع ، سيم التحريف ، كثير التصحيف ، فعمد المرصني إلى أكثرها صعوبة ، وأوعرها مركبا فأخذ

المخططة إلى وضعها الصحيح ، ويناقش بعض ما افق عليه من قواعد الفقه والتصريف في ثقة خارقة ، وعن بصر نفاذ ، ولعله كان أشبه أسلافه بأبي عمرو بن العلاء ويونس ابن حبيب ، فقد كانا يؤثران أدب العصر الجاهلي ويفضلانه ، وكذلك كان للمرصني بهذا الأدب ولع مشغوف ، وصباغة حنافة .
وإن كان تأخره الزمني قد أناح له من استيعاب المعارف المتشعبة في مختلف فنون اللغة وأبواب العلوم ما لم يتيسر لهما من قبل ، فأنيح درسه بكل شهي من ثمار المعرفة ، ورأى فيه طلاب اللغة والأدب مورداً عذب المشرع صافي النير .

على أن ناحية العجب في تاريخ الرجل أنه كان فذا غريبا بين لداته ، فقد كانت حلقات الشيوخ من حوله تبدى وتعيد في دراسة حوامش مستفيضة في الشريعة وعلوم اللسان ، فلا تزيد على أن تعيد المسكرور المسألوف وتلوكة ، وأكثره قد ناه في بحر من المؤاخذات اللفظية ، والاعتراضات السطحية . وتكلف الاحتمال البعيد ، وتعسف الرد الناشز ، أما دروس الأدب والشعر فلم يلم بهما غير الشيخ في درسه ، وكان ينظر إلى زملائه فيدهشه هذا التكالب المزدهم على دراسة الخلاف اللفظي ، والتشقيق الفرضي ، ويروعه أن ينصرف العلماء عن أدب اللغة وآثار المتقدمين

قصيدة يمدح بها شيخه يوم يختم الكتاب ، وقصيدة أو اثنتين يرثي بهما من يموت من عليّة العلماء ، فإذا أمكن الأستاذ المرصفي في هذا الوسط المعرض أن يجعل مؤلفات المبرد وأبي علي وأبي تمام وابن عبدربه تجد مكانها بين حواشي الإسنوى والصبان والباجورى والسيوطى والطار ، فذلك فضل كبير .

وأنت حين تحاول أن تدرس الخطوط الأولى لحياة الشيخ ، لا تجد ما تطمئن إليه بما كتب عنه أو تناقله تلاميذه . فجميع من حوّل عنهم عن نشأة الأستاذ العلية يذكرون أنه تقلّد في الأدب على السيد عبد الهادى نجا الإيبارى أحد علماء الأزهر وأدبائه ، وأنه تأثر به تأثراً دفعه إلى الإكباب على دراسة آثار السلف المتقدم فى اللغة والشعر ، وأنا شخصياً - وقد أكون مخطئاً - لا أستطيع أن أقر ذلك ؛ إذ أن ما لدينا من إنتاج الأستاذ الإيبارى شمرأ ونثراً وتأليفاً ، يخالف منهج المرصفي ومنهجه ، بل يقف منه موقف النقيض من النقيض ، فنثره مثقل بالبديع المستكره ، وشعره نمط من الطراز المملوكى فى سطحته وتكلفه ، وتأليفه ضرب من الثقافة الغابرة التى تفضل القشور على اللباب ، ويكفى أن تعرف أنه أصدر كتاباً فى مجلدين كبيرين جعله يدور على لغز ذهنى فى اسم الخديوى إسماعيل ، ثم استطرّد فذكر فنونا من القول لا يجمعها فى نطاق واحد

نفسه بدراستها دراسة ناقدة فاحصة ، فكان الكامل بين يديه يتم قصائده ، ويشرح عويصه ، ويتعرض لنسبة الأبيات ، ويترجم لصاحب الأثر ، ويشرح ما تركه المبرد دون إيضاح ، وكانت أمالى أبى على القالى كذلك موضع اجتهائه ، يناقش لغوياتها المعماة ، ويعارض نصوصها المختلفة ، ويبحث فى المخطوطات المتأكلّة عما غاب من القصائد ، فيكمل ما نقص ، وقل مثل ذلك فى حماسة أبى تمام وعقد ابن عبدربه وأراجيز روبة والعجاج مما ترك أكثره مخطوطاً فى ظلمات النسيان !! حتى جعل للآدب فى الأزهر ركنا متين الدعائم ، وكانت حالته به إذ ذاك مدهشة مذهلة ، يصفها الأستاذ عبد العزيز البشرى بالرسالة (١) فيقول :

« والآدب فى ذلك الوقت أن تقول شعرا مقفى موزونا ، فإذا أعوزك العروض ، وعميت عليك أوزان الشعر ، فحسبك أن يكون المصراع فى طول المصراع على شرط أن تتغزل ، فتغزل كلما طلبت مديحاً أو رثاء أو هجاء ، وكان الآدب يحمد من (المجاور) عند أشياءه إلا أن يسرف فيه ويجرد له صدرا من وقته ، فإنهم كانوا يسكرون ذلك منه ، لأنه فى الواقع يشغله بقدر ما عن توفير الذهن على الدرس والاستذكار ، ويرون هذا منه آية على (عدم الفتوح) وحسبه فى العام

وناقدا لا يشق له غبار ، على أن هذا الهيام السكلف بكتب اللغة والأدب لم يمنعه أن يدرس حواشي الشريعة والأصول ويلم بالنحو والصرف لإمام من يدرك القاعدة العلمية لإدراك الناقد المتفرد ، ونظرة منصفه إلى شرح السكامل تدل على ثقافة الرجل وإحاطته ، فهو يناقش سيديويه والمبرد وابن جني والمازني والخليل في دقائق غامضة من قواعد النحو والتصريف ، فيناهض دليلاً بدليل ، وقاعدة بقاعدة حتى ليخيل إلى القاري أن الرجل صاحب نحو فقط ، وليس أديباً جامعاً يأخذ من كل فن بجمهره الأصيل .

وإذا كنت لم أقف على ترجمة دقيقة لتاريخ الأستاذ ، تأخذ بيدنا في تحديد مركزه الأدبي في تاريخ الثقافة المعاصرة ، فإن ما ذكره تلاميذه الكثيرون عنه ، في نبذ سريعه ، وشذرات موجزة تكفي لأن تصور ملامحه إذا جمع بعضها إلى بعض ، وهي بعد أقوال مخصصة لم تدفع بها رغبة مغرضة في تملق إنسان ، إذ كتب أكثرها بعد وفاة الشيخ من ناحية ، وبعد أن أصبح المتحدث في منزلة أدبية تجعله فوق الملق الرخيص من ناحية ثانية ، على أننا لا نستطيع أن نسرّد جميع ما قيل وإنما نسكتني بالبعض عن الجميع ... فالدكتور طه حسين يحدد مكانة أستاذه بين نقاد اللغة وأساتذة الأدب في عصره فيقول في كتابه " تجديد ذكرى أبي العلاء " :

غير التكلف والإرهاق ، وقد يكون الرجل معذوراً فيما يصنع ، لأنه يمثل ثقافة عهده واتجاه معاصريه ، ولكنه مع ذلك لا يمكن أن يتخرج على يديه أديب خل مطبوع كالمرصفي العظيم ، وربما أكب الطالب على حلقات أستاذه في طفولته الأدبية ، ثم بدا له أن يتحول عنها دون أن تترك أثراً ما في اتجاهه ونسبه وكما من تلاميذ شافهوا بعض الأساتذة دون أن ينتفعوا بمذهبهم في الرأي ، ونظراتهم للعلم ، وقد هداني الرأي المستند إلى أن أميل إلى أن الأستاذ حسين المرصفي الأول صاحب (الوسيلة الأدبية) هو أستاذ المرصفي الثاني وملمه ، فصاحب الوسيلة قد شد على متعارف جيله ، ورجع بالشعر إلى أخصب عصوره في الأدب العباسي ، وعلى يديه تخرج البارودي شاعراً خل التركيب ناصع العبارة ، رائع البيان ، والرجلان بعد من قرية واحدة ، وللكبير مكانة لدى الصغير فلا بد أن تكون الوسيلة الأدبية قد هدت صاحب رغبة الآمل إلى معين لا ينضب من البيان ، فبحث عن الأدب اللباب بما حوته بادئاً ، ثم تخطى العصر العباسي إلى عصرى الجاهلية وصدر الإسلام فذهبا بإعجابه كل مذهب ، وطفق يبحث عما ضم أدبهما من السكتب ، فقرأ القديم من آثار الجاحظ والمبرد وابن قتيبة وأبي الفرج ، وتخرج وحده على هذه الآثار السلفية أديباً خلا ،

وأستاذنا الجليل سيد بن علي المرصفي أصبح من عرفت بمصر فقها في اللغة ، وأسلبهم ذوقا في النقد ، وأصـدقهم رأيا في الأدب ، وأكثرهم روية للشعر ولا سيما شعر الجاهلية وصدر الإسلام .

ويعود الدكتور إلى الحديث عن منهجه الأدبي في مقدمة كتابه « الأدب الجاهلي » فيقول «ومذهب القدماء ما كان يمثل الأستاذ الشيخ سيد المرصفي حين كان يفسر لتلاميذه في الأزهر ديوان الحماسة لأبي تمام ، أو كتاب الكامل للبرد ، أو كتاب الأملاني لأبي علي القالي ، ينحو في هذا التفسير مذهب اللغويين والنقاد من قدماء المسلمين بالبصرة والكوفة وبغداد مع ميل شديد إلى النقد والغريب ، وانصراف شديد عن النحو والصرف وما ألف الأزهريون من علوم البلاغة .

وكلام الدكتور عن أستاذه يتفق مع حديث الأستاذ أحمد حسن الزيات عنه إذ يقول (١)

« وكان الشيخ حسن التقسيم للشعر حين يقرؤه ، فيقف حين ينبغي الوقوف ، ويمضي حيث تصل المعاني فإذا سمعت الشعر وهو يقرؤه فهمته على ما فيه من غريب أو غموض أو تقديم أو تأخير أو اعتراض فكأنه يمثل لك تمثيلا لا تحتاج بعده إلى شرح أو توقيف وكان في صوت الشيخ معنى عجيب من الثقة

والعويص من التراكيب ، متجها إلى الذخائر السلفية العريقة في شرحه وتفسيره ، وإن كنا نقف قليلا عندما قاله الدكتور طه حسين بصدد انصرافه الشديد عن مباحث النحو والصرف لأن ما لدينا من شرحه للكامل ، وهو في مجموعه صورة أمينة لما ألقى في حلقات دراسته ، لا يؤكد هذا الانصراف الشديد ، فللمرصفي مع أعلام النحاة والصرفيين مواقف كثيرة تدل على الميل المقتصد لا على الانصراف العازف ، ولكنه لم يتخذ الحديث النحوي مجالا للمباحكة اللفظية والغرض الجدلي ، بما امتلأت به حواشي المتأخرين ، واتجه إليه زملاؤه من الأزهرين ، بل نهج منهج الكسائي وسيبويه والمبرد في التصدي إلى الجوهر دون العرض ، أما طريقته البارعة في إنشاء الشعر ، وشرح الغريب ، فقد ألمع إليها تلميذه الأستاذ محمود محمد شاكر حين قال عن أستاذه (١) .

« وكان الأستاذ المرصفي يطبعنا في النظم : على غرار الحماسة ، وفي النثر على غرار الكامل ، ويزين لنا أن ننظم معلقة كطرفة أو ننشيء خبرا كآبي عبيدة .

فنهادة هذين الأدبيين الكبيرين تؤكد أن الرجل كان مولعا بالشعر الجاهلي وشعر صدر الإسلام ، كلهما بالغريب من القول

وميزان تقويم فهو يقول : عن أستاذه في اعتزاز (١) .

« كان الشيخ المرصفي أول رجل تسامى إلى نقد مؤلفات الأكاكر من القدماء ، وكان أول رجل أقر كرسي الأدب بالأزهر الشريف وكان أول رجل جعل للأديب مكانة بين جماعة كبار العلماء فكان بتلك الصفات أوحده عصره بلا جدال » .

وتسامى الأستاذ رحمه الله إلى نقد مؤلفات الأكاكر من القدماء كان حدثا غريبا في بابه ، إذ أن زملاءه حينئذ كانوا يتعبدون بأقوال السلف من أولى العلم ، فإذا اضطر أحدهم إلى مخالفة مؤلف سابق جعل يتلصص له المعاذير ، في وجل وهيبة ، وكأنه يركب مطية ناشزة ، لا تؤمن معها حياة ، فجاء السيد المرصفي ليحاسب المبرد وأباتمام وأبا علي وابن عبدربه محاسبة قوية مفحمة فهو في شروحه المتتابعة للكمال والحماسة والأمالى والعقد (٢) كان صلب المراس قوى المؤاخذه ، شديد العناد ، مما دفع ببعض المتسرعين من الأساتذة إلى وصف الرجل بالغرور والادعاء !! وإذا كان أكثر هذه الشروح الرائعة لا يزال مطمورا في دفتائه الخطية ، فإننا نأمل أن

(١) الرسالة العدد ٣٩٨ .

(٢) كان للمرصفي يسميه « العقيد » بضم العين وفتح القاف

والاقتدار ، وفي نبراته حين ينشد الشعر معنى الفهم للذي يتلوه عليك ، فلا تسكاد تخطئ المعاني التي ينطوى عليها ، لأنها عندئذ ثملة لك في صوته .

فإذا أردت بعد ذلك أن تعرف كلف طلابه بدرسه ، فإليك ما حدثنا به عنه أستاذنا الكبير أحمد شفيع السيد في إحدى محاضراته بكلية اللغة العربية ، حين جاء ذكر المرصفي فأفاض في تعداد مواهبه ، وكان مما قال - معنى لا لفظا - :

« إن درس الشيخ كان لا ينتهى بالأزهر حتى يبتدىء في منزله ؛ لأن أفواج الطلاب كانوا يتراحمون على المسير معه في الطريق إذا نهض إلى بيته ، فإذا أتاه دخل معه نجباء أبنائه فأخذوا تحيتهم العاجلة ، وظلوا وإياه في سمر أدنى مشبع بالحب والاعتزاز ، وكانت الكتب الأدبية تتراعى في حجرة الشيخ مركومة متراصة عن يمين وشمال ، يقرأ فيها الطلاب كما يشاءون ، ويستعيرون ما يريدون في شغف نهم وإقبال ودود » .

هذه نصوص مختلفة للأجلاء من تلاميذه المختارين ، وأظنها ترسم صورة واضحة من منهجه وخلقه ، وقد أبدع الدكتور زكي مبارك إبداعا موفقا حين لخص ريادته الأدبية ، وقيادته العلمية ، في مواقف محدودة ، فجاءت كلماته الصائبة في إيجازها الشامل لسان صدق

فقد كان من اللائق أن يطرد النقاش في هدوء العالم ، وسباحة الحليم ١١ .

على أن المسألة نفسية قبل كل شيء ، فقد يكون المرصني إذ يكتب بعض التعليقات هادئاً الخاطر مستريح البال من بعض هواجسه ، فيقابل الخطأ الكبير من المبرد بكثير من التسامح ، فلا يزيد على أن يقول : غلط أبو العباس ، أو سها أبو العباس ، وقد يكون ضائق الصدر لبعض المخرجات من شؤون الحياة فيضيق صدره لأدنى سهو ، ويهاجم الخطأ اليسير مهاجمة قاسية ، فإذا نسب المبرد بيتاً من الشعر لغير قائله ، قال المرصني في غلظة : كذب المبرد^(١) ، وإذا بدل سهوا كلمة مكان كلمة قال المرصني في قسوة : هذا خلط وجهالة^(٢) ، وإذا رأى الناقد قولاً في اللغة ينفرد به صاحب الكامل رده وقال هذا بما انفرد به^(٣) ! ! ولست مع المرصني في ذلك إذ أن من حفظ حجة على من لم يحفظ ، وقد يكون أبو العباس مطالعاً على ما لم نطلع عليه بما غابت دفتاه ، وانقطعت روايته ، وأولى بالناقد أن ينظر إليه كراوية صدوق ، على أن نقد الناقد في أكثر مناحيه يرجع إلى ذوق شخصي قبل أن يرجع إلى وضع منهجي ، وقد أدركننا من قراءة الكامل

يرى النور إذا فطنت إليه لجنة إحياء التراث القديم في وزارة الثقافة والإرشاد ، وحسبنا اليوم أن نحكم على صنيعه بالمبرد في الكامل فهو الوثيقة الميسرة للباحثين ، وبه يتضح الحكم عن حيدة وإناصاف .

لقد اعترف السيد المرصني في مقدمة الجزء الأول من شرحه الكبير أنه لم يجعل من رغبة الآمل شرحاً تفسيرياً لنصوص الكامل فقط بل اهتم ببيان ما حاد فيه أبو العباس عن سنن الصواب من خطأ في الرواية ، وخطأ في الدراية ، إذ كان المبرد يعتمد كثيراً في لفظه على جودة حفظه ، فربما نزع في غير فواخ عن القصد سهمه ، أو صعد في الأدب مرتقى زلت به إلى الحضيض قدمه^(١) . فهو إذن يجعل من همه الأصيل بادئ ذي بدء أن يكشف عن أخطاء المبرد ، معقداً أن صنيعه هذا أمر محتوم توجبه الدراسة الناقدة والنظرة الفاحصة ، ولو كان الشارح قد سجل على المبرد سقطاته ، وستر محاسنه ، لقلنا : إنه متحيز ممالئ ! ! ولكن المرصني ينصفه من خصومه تارة ، وينصف الحق منه تارة أخرى ، وإذا كان لنا أن نميل عليه في شيء فإننا نؤاخذه على قسوة العبارة في كثير من التعليقات ،

(١) رغبة الآمل ج ٣ ص ١٩٦ وغيرها .

(٢) رغبة الآمل ج ٢ ص ٢٣٥ وغيرها .

(٣) رغبة الآمل ج ٢ ص ١٨٣ وغيرها .

(١) رغبة الآمل ج ١ ص ٣٨ .

ووالله لولا أن يساء لرعتما
بما ليس بالمأمون من فتكات
قال المرسني مهتديا بذوقه السليم ، الرواية
لولا أن تساء لرُعته ، وهذا حق ، لأنه يقصد
ترويع الزوج وإفراعه ، ويحرص على سلى
وهدوئها الأمين .

وقد يكون للفظ اللغوى معان مختلفة ، فيفهمه
المبرد في سياق خاص على غير وجهه ، ولكن
ذوق المبرد من ورائه يشير إلى الخطأ في بصيرة
نفاذه وفهم عميق ، فقد ذكر المبرد مثلاً
قول الشاعر (١) .

منعمة بيضاء لو دب محول
على جلدها بضت مدارجه دما
فجمله شاهدا على أن بضت مأخوذة من بض
بيض بضاضة بالفتح والكسر في المضارع إذا
رق لونه وصفا ، ورآه المرسني من بض يبيض
بالكسر فقط إذا ترشح من صخر أو حجر
والمصدر البض والببيض لا البضاضة بمعناها
الأول كما فهم المبرد ، وتلك لعمري دقة بالغة
في الفهم تدعو إلى الاحترام والتزيه ولها نظائر
وأشباه (٢) .

أما لنصافه للبرد ورده على خصومه ، فقد
تكرر كثيرا في صفحات الكتاب (٣) ، وهو
(البقية على صفحة ٧٥٢)

وشرحه سعة علم المبرد وكثرة محفوظه كما لمسنا
دقة فهم المرسني ، ورقة ذوقه ، ومن هنا
اتسع المجال أمام الشارح للرد والمؤاخذه ،
فقد جعل يوازن بين الروایتين ، ويفاضل
بين النصين ، فيهديه ذوقه إلى ما يرفض به
رواية صاحبه عن ثقة واطمئنان ، فإذا روى
المبرد - مثلاً - قول الشاعر في هجاء الحجاج (١)

أينسى كليب زمان الهزال
وتعليمه سورة الكوثر
قال المرسني : هذا خطأ والصواب رواية
ياقوت في معجم البلدان ، وتعليمه صبية
الكوثر ، والكوثر قرية بالطائف كان الحجاج
معلم صبيانها ، والحق مع المرسني ؛ لأن معلم
القرآن الكريم لا يعلم سورة الكوثر فقط
بل يعلم غيرها ، فلا وجه لتخصيصها بالذكر
دون حادثة معينة يظن أن الشاعر قد اطلع
إليها ، أما رواية صبية الكوثر فنزعة عن
الاعتراض ...

وإذا روى المبرد - ثانيا - قول القائل (٢)
فيا بعل سلى كم وكم بأذاثها
عدمك من بعل تطيل أذاثي
بنفسى حبيب حال بابك دونه
تقطع نفسى دونه حشرات

(١) رغبة الأمل ج ٢ ص ٤٢ .

(٢) رغبة الأمل ج ١ ص ٨٧ وغيرها .

(٣) ج ١ ص ١٤٨ ، ٢١٧ .

(١) رغبة الأمل ج ٥ ص ٢٨ .

(٢) رغبة الأمل ج ٢ ص ٥١ .

الخدمات الاجتماعية لطلاب العلم في الإسلام للأستاذ حسن عبد العزيز نصر

ومن واجب العلماء أن يقوموا بنشر العلم وأن يشوقوا إليه ، ويدعوا للأخذ عنهم وهو أفضل أنواع الجهاد . جاء رجل إلى ابن عباس فسأله عن الجهاد ، فقال له ألا ذلك على خير من الجهاد ؟؟ تبني مسجداً وتعلم فيه الفرائض والسنة والفقه في الدين . وأى جهاد أفضل من جهاد الجهل ، وأفضل عبادة طلب العلم ، لأن تغدوا فتعلم باباً من العلم ، خير لك من أن تصلي مائة ركعة وإن تعلمه خشية ، وطلبه عبادة ، ومدارسته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وأعلمه من لا يعلمه صدقة ، وهو منار سبيل الجنة ... وعلى هذا نجد المسلمين يتسابقون في نشر العلوم ، فطلبوها من المهسد إلى اللحد ، وبنوا لها المؤسسات المختلفة ، وفتحوا أبوابها للقاصدين وأوقفوا أنفسهم للراغبين . وأول هذه المؤسسات « هو الكتاب » . وأول من أمر ببناء المكتاتب هو عمر ابن الخطاب — ولم تكن معلومة عندهم قبله

إن المسلمين سبقوا غيرهم من الأمم في تقديم الخدمات الاجتماعية لطلاب العلم والمعلمين ، وكان التعليم عندهم ركناً هاماً من أركان الحضارة ، وذلك لما جاء في القرآن الكريم والحديث الشريف من الحث على تعلم العلم وتعليمه فأول ما أنزل من القرآن هو الأمر بالقراءة ، التي هي أساس التعلم ، وإن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نصب نفسه معلماً . لكي يقتدى به المسلمون في نشر العلوم والمعارف بين الناس . فقد جاء عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه « مر في مجلسين ، أحد المجلسين يدعون الله ، ويرغبون إليه ، والآخر يتعلمون العلم ويعلمونه ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كلا المجلسين على خير ، وأحدهما أفضل من صاحبه ، أما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون إليه ، فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعههم ، وأما هؤلاء فيتعلمون ويعلمون الجاهل ، وإنما بعثت معلماً . ثم أقبل مجلس معهم ، كما أنه جعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » .

والحرام ، فالطلاب مكفولون به إلى أن يبلغوا الحلم ، وبني بجانب المدرسة الحجازية - بالقاهرة - مكتباً للسبيل ، فيه عدة من أيتام المسلمين ولهم مؤدب يعلم القرآن الكريم ، ويحجى عليهم في كل يوم لسل كل منهم ، من الخبز خمسة أرغفة ، ومبلغاً من الفلوس ، ويقام لسل كل منهم بكسوتى الشتاء والصيف ، وجعلت على هذه الجهات عدة أوقاف جليلة . وكانوا كثيراً ما يبنون مكاتب السبيل

بجانب المدارس ، حتى إذا أتم الطالب تحصيله فى المكتب ، فإنه يلتحق بالمدرسة ، وله الجراية المستمرة ، ومن ذلك أن مجاهد الدين قىماز الرومى (المتوفى سنة ٥٩٥هـ) بنى مكتباً للأيتام فى الموصل بجانب مدرسته التى أنشأها على دجلة . وبني القاضى الفاضل (المتوفى سنة ٥٩٦هـ) مكتباً للأيتام بجانب مدرسته الفاضلية ، وبني غيرها كثير ، خاصة فى القاهرة فإننا قلنا نجد أحداً يبنى مدرسة إلا ويبنى بجانبها مكتب سبيل .

ولم تكن هذه المكاتب صغيرة ، فإن بعضها كان يتعلم به مئات الطلاب المعوزين ، أو الذين فقدوا آباءهم ، ولكنهم لم يعدموا من يتولى أمرهم ويحجى عليهم ، ويتعهد تربيتهم وتعليمهم ؛ فقد (سقطت المنارة التى على باب مدرسة السلطان حسن فى القاهرة ، فهلك نحو ثلثمائة نفر من الأيتام الذين كانوا

وجع بها أولاد المسلمين ، وعين لهم معلمين يعلمونهم ، وفرض للمعلمين والمتعلمين لسل ينصرفوا إلى دروسهم كما فرض للقراء ، وفرض للناس على تعلم القرآن ، فكان الفاروق أول من فرض للمعلمين والمتعلمين . وإن بعض الخلفاء من اهتم بتعليم البدو فقد أرسل عمر بن عبد العزيز المعلمين إلى البدو ، يعلمونهم القراءة وأمور دينهم ، وفرض لهم على هذا .

وفى العصر العباسى تنوعت الكتاتيب ، فكان منها كتاتيب خاصة بتعليم اليتامى والمعوزين ، الذين لا يجدون ما ينفقون على أنفسهم فكان الخلفاء والأمراء وأهل الإحسان يبنون هذه الكتاتيب ، ويعينون لها المعلمين ، ويجعلونها عامة لسل قاصد وكانت تسمى « مكاتب السبيل » .

وأول كتّاب الأيتام وقفنا على ذكره هو الذى بناه يحيى البرمكى (المتوفى سنة ١٩٠هـ) ثم كثرت هذه المكاتب فى المدن ، حتى لم تكن تخلو منها مدينة .

وكان بعضهم يبنى كتاباً للأيتام ، ويوقف له أوقافاً كثيرة ، تصرف على الذين يتعلمون به . كما فعل شمس الدين بن نظام الملك ، فإنه بنى مكتباً للأيتام ، وأوقف عليه وقوفاً مستمرة الجدوى والسكوة والطعام . وتعليم الآداب ، وحفظ القرآن ، ومعرفة الحلال

والثقافة ، يقصدها الطلاب فيجدون فيها الكتب النادرة من طبية وفلسفية ورياضيات ومنطق وحكمة وآداب وعلوم مختلفة ، وهي بعدة لغات : العربية والفارسية واليونانية والحبشية والآرامية والعبرية وغيرها ، والدار مفتوحة لمن شاء النسخ أو المطالعة أو الترجمة أو الأخذ عن العلماء والفلاسفة الذين هم في الدار ، وفيها من لوازم الكتابة من أقلام ومحابر وورق وكل ما يحتاجه طلاب العلم . كل هذا نجده في دار الحكمة التي أسسها الرشيد في بغداد ، ثم وسعها المأمون ، حتى صارت من معاهد الثقافة العالية الممدودة في العالم . ولم تكن هذه الدار هي الوحيدة ، بل كان منها عدة دور في العالم الإسلامي ، وهي عامة لمن يقصدها ، بل إن بعضها كان ينفق على من يرتادها ، فكان لعلي بن يحيى المنجم (٢١١ - ٢٧٥ هـ) من نواحي القفص ضيعة نفيسة ، وقصر جليل ، فيه خزانة كتب عظيمة يسميها خزانة الحكمة ، يقصدها الناس من كل بلد ، فيقيمون فيها ، ويتعلمون منها صنوف العلم ، والكتب مبدولة في ذلك لهم والصيانة مشتملة عليهم ، والنفقة في ذلك من مال علي بن يحيى .

وكان في مدينة طرابلس دار حكمة ، وفي القاهرة دار حكمة أخرى ، وفيها من الخبر والأقلام والمحابر والورق وكل ما يحتاجه من

رتبوا بمكتب السبيل ومن غيرهم) فإذا كان من هلك تحت المنارة ثلثائة نفس ، فكأن كان يحوى هذا المكتب ؟ .

هذا بعض ما وقفنا عليه من أمر التسهيلات التي قدمها المسلمون في نشر التعليم الابتدائي . أما الدراسة العالية : فكان لها معاهد مختلفة ، يجد فيها الطالب من التسهيلات ما يساعده على طلب العلم .

فكانت حلقات الفقه والحديث والآداب والسير والتفسير والنحو والفلسفة والطب والأخبار منتشرة في المساجد ، يتصدر الحلقة شيخ ، يلتف حوله من يريد الأخذ عنه ، وهي عامة لكل قاصد ، وربما تعددت الحلقات في المسجد الواحد - ليلاً ونهاراً - وقد أحصى المقدسي حلقات العلم في المسجد الجامع بالقاهرة وقت العشاء ، فإذا هي مائة حلقة وعشر حلقات .

وبجانب هذا نجد المسلمين يشيدون المعاهد العلمية المختلفة كدور الحكمة ، ودور العلم ، ودور الكتب ، وفتحوا أبوابها للقاصدين ، ويسروا لهم أمر الدرس والبحث والنسخ .

أما دور الحكمة : فكانت مفتوحة للعلماء وطلابهم ، وهي مؤسسات للثقافة العالية وأشبه ما تكون بالأكاديميات في هذه الأيام يشرف عليها أجل العلماء والفلاسفة والأطباء والأدباء ، الذين هم على جانب كبير من العلم

على أن بعضهم كان يجرى على من يقصدها من المحتاجين والمعوزين . فأنشأ أبو على سوار السكاتب (المتوفى سنة ٣٧٢ هـ) - وهو أحد رجال عضد الدولة البويهيين - دار كتب في مدينة (رام هرمز) على شاطئ بحر فارس ، كما بنى دار كتب أخرى بالبصرة وجعل فيها إجرأء على من قصدها ولزم القراءة والنسخ بها .

ويضيق بنا البحث عن تعداد ما كان من دور الحكمة والعلم والكتب في بلاد الإسلام والتي كانت تسهل نشر العلوم والمعارف بين سائر الطبقات .

ونجد بجانب هذه المؤسسات ما كان يغدقه الخلفاء وأهل الخير والمعروف على أهل العلم - العالم والمتعلم - ومن ذلك :

كتب الرشيد إلى الأمصار كلها - إلى أمراء الأجناد - أما بعد : فانظروا من التزم الآذان عندكم فاكتبوه في ألف من العطاء ، ومن جمع القرآن وأقبل على طلب العلم ، وعمر مجالس العلم ، ومقاعد الأدب ، فاكتبوه في ألفي دينار من العطاء ، ومن جمع القرآن وروى الحديث وتفقه في العلم واستبحر فاكتبوه في أربعة آلاف دينار من العطاء ، وليكن ذلك بامتحان الرجال السابقين لهذا الأمر المعروفين به من علماء عصركم وفضلاء دهركم ، فاسمعوا قولهم ، وأطيعوا أمرهم .

يقصدها ، كما كان للأغلبة دارحكمة أخرى . أما دور العلم : فهي مؤسسات ثقافية عامة مفتوحة لطلاب العلم وغيرهم ، وفيها كتب متنوعة ، ويتولاها شيوخ علماء ، وقبلها تخلو الدار من طلاب يطالعون فيها ، أو ينسخون عن كتبها ، أو يأخذون عن شيوخها - كل هذا بلا أجر - .

كانت دور العلم كثيرة في البلاد الإسلامية وتجد في بعض المدن الكبيرة عدة دور منها ، كما كان في بغداد والقاهرة .

وأقدم دار علم هي التي أسسها جعفر ابن محمد بن حمدان الموصل (٢٤٠-٣٢٣ هـ) في الموصل ، وجعل فيها كتباً من جميع العلوم وفقاً على كل طالب للعلم ، لا يمنع أحد من دخولها إذا جاءها ، وإن كان معسراً أعطاه ورقاً وورقاً ، تفتح كل يوم ، ويجلس فيها إذا عاد من ركوبه ، ويجتمع إليه الناس ، فيملي عليهم من شعره وشعر غيره .

وكان في بعض دور العلم مساكن للطلاب ولهم من الجرايات والأرزاق ما يكفيهم ، ومنها أن القاضي أبا حيان المتوفى سنة ٣٥٤ هـ بنى في مدينة نيسابور داراً للعلم ، وخزانة كتب ، ومساكن للغرباء الذين يطلبون العلم وأجرى لهم الأرزاق .

وشاركت المكتبات العامة التي كانت منتشرة في بلاد الإسلام - في نشر الثقافة وتيسير العلم للطلاب فهي مفتوحة لمن يريد الاستفادة ،

وكان الوزير د ابن كلس ، يحب أهل العلم والأدب ويقربهم ، وكان يجرى بأمر الله ألف دينار في كل شهر على جماعة من أهل العلم والوراقين والمجلدين - هذا بعض ما كان يجريه على أهل العلم .

على أن هذه الإجراءات والتسهيلات والمؤسسات التي بينهاها ، وإن كانت كثيرة ومتيسرة في كثير من المدن فإننا لا يمكننا أن نطلق عليها (التأمين الاجتماعي) بالمعنى الذي يفهم في هذه الأيام ، ولكن الأمور السالفة ساعدت على نشر العلوم في بلاد الإسلام - في الوقت الذي لا نجد لها مثيلاً عند الأمم الأخرى .

وإن التأمين الاجتماعي بالمعنى الحقيقي كان في القرن الخامس الهجري ، وذلك على إثر تأسيس المدارس ، وانتشارها في البلاد الإسلامية ، فكان للدارس من الوقوف المستمرة ما تكفل للطلاب تأمين مسكنه وطعامه وكسوته وما يحتاجه من كتب ولوازم . ففي المدرسة غرف لمبيت الطلاب الغرباء والمهوزين . ولهم جريات مستمرة من وقوف المدرسة تكفل لهم كافة ضرورياتهم مدة الدراسة .

وأول من كان له الفضل في هذا التنظيم الدقيق هو الوزير د نظام الملك ، (٤٠٨ - ٤٨٥ هـ) الموافق (١٠١٧ - ١٠٩٢ م) فإنه

وكان ابن الفرات (٢٤١ - ٣١٢ هـ) وزير المقتدر العباسي ، يجرى على خمسة آلاف من أهل العلم والدين والسيوت والفقراء ، أكثرهم مائة دينار في المشهد ، وأقلهم خمسة دراهم وما بين ذلك :

ولما أراد الخليفة المعتقد بالله العباسي (٣٠٩ - ٣٨٩ هـ) بناء قصره في (الشامية) ببغداد ، استزاد في الذرع بعد أن فرغ من تقدير ما أراد ، فسئل عن ذلك ، فذكر أنه يريد ليبنى فيه دوراً ومساكن ومقاصير ، ترتب في كل موضع رؤساء كل صناعة ومذهب من مذاهب العلوم النظرية والعملية ، ويجري عليهم الأرزاق السنية ، ليقصد كل من اختار علماً أو صناعة رئيس ما يختاره ، فيأخذ عنه .

هذا ما كان في بغداد - إحدى حواضر الإسلام - أما في القاهرة فإن الأمير طولون اشترى محلة بأسرها وأوقفها على مسجد وعلى من ينزل به من الغرباء وأهل الفضل وطلبة العلم ؛ نفقة لهم ، حتى لا تختل أمورهم ، ولا يصيبهم من الخلل ، كان هذا في أواخر القرن الثالث الهجري .

واشترى العزيز بالله الخليفة الفاطمي سنة ٣٧٨ هـ داراً إلى جانب الجامع الأزهر ، وجعلها لخمس وثلاثين من العلماء ، وكان هؤلاء يعقدون مجالسهم العلمية بالمسجد في يوم الجمعة بعد الصلاة حتى صلاة العصر .

بني المدارس في كثير من البلاد الإسلامية ، وأوقف لكل مدرسة ما يلزم لإدامة عمارتها وأنائها ، وما يحتاجه الطلاب من السكن والكتب والطعام والجرايات الوافرة التي تعينهم على مداومة الدرس .

عرفت هذه المدارس ، بالنظامية ، وأول مدرسة بناها نظام الملك هي التي كانت في بغداد فتحت سنة ٤٥٩ هـ الموافق (سنة ١٠٦٦ م) ثم بني غيرها في كثير من البلاد ، فلم يخل منها بلد ، حتى (جزيرة ابن عمر) ، التي هي بزاوية من الأرض لا يؤتى لها بني بها مدرسة كبيرة حسنة .

وبعد هذا نرى الخلفاء والملوك وأهل الإحسان يتسابقون في بناء معاهد العلم المختلفة ، من مدارس ودور حديث ودور قرآن وزوايا ، وكانوا يوقعون لكل معهد ما يسكني لصيانته وإدامته ، والنفقة التامة على طلاب العلم والمدرسين الذين يتولون التدريس فيه ، فكثرت المؤسسات العلمية في سائر البلاد الإسلامية حتى صار في بعض المدن منها ، ما يعد بالعشرات .

وإن بعضهم كان يبنى عدة معاهد في المدن

المختلفة كما فعل نور الدين محمود زنكي (٥١١ - ٥٦٦ هـ) فإنه بني مدارس ودور حديث ودور قرآن ومكاتب سبيل في بلاد الشام والجزيرة ومصر والعراق - وكذا صلاح الدين الأيوبي (٥٣٢ - ٥٨٩ هـ) فإنه بني معاهد مختلفة في القدس ومصر والشام ، وأوقف لها أوقافا كثيرة ، فكانت بلاد الإسلام عامرة بمدارسها المختلفة بفضل ما بناه أهل الخير ومحبي العلم - حتى أقصى البلاد الإسلامية ، فذكر ابن بطوطة أنه عند ما وصل (مقدشو) أمر السلطان أن يبزل (بدار الطلبة) وهي معدة لضيافة الطلبة وذكر عن بلاد (اللور) أن السلطان أحمد عمر يبسلاده أربعمائة وستين (زاوية ومدرسة) وأنه قسم خراج بلاده أثلاثا ، فثلث منه لنفقة المدارس والزوايا والثلث منه لمرتب العساكر ، والثلث لنفقته ونفقة عياله .

وكان في الموصل سنة ٦٥٦ هـ (٢٨) مدرسة ، و (١٨) داراً للحديث ، و (٢٧) زاوية ، سوى المكاتب ودور القرآن . (البقية في العدد القادم)

حسن عبد العزيز نصر

الفقه والقضاء

للأستاذ عباس طه

ذلك شيء. مادمت قد أخلصت لله في ترسمك
مواقع الصواب وتحريك مدراج العلم
وانتهاجك منهج أسلافنا الصالحين
يا أبا موسى :

إن القضاة إن أرادوا عدلا

وفصلوا بين الخصوم فصلا

فحزحوا في الحكم منهم جهلا

كانوا كمثل الغيث صاب محلا (١)

يقول العلامة نخر جميله ورسول إنجيله
أستاذنا الإمام محمد عبده في كتابه « الإسلام
والنصرانية » ، ليس على القاضي في خطئه
إذا أخلص النية تعقيب فهو بشر قبل كل
شيء . إنما عليه المآخذ تأخذه بالنواصي
والأقدام إذا انزل في مزلق الهوى وأحاطت
بعنقه الشبهات فالقاضي المتمحور من قيود
النصوص وأعباء المراجع التي تحدد إدراكه
وتقديره للوقائع غير مبق على كتاب
يصرفه عن تكوين رأى أو تأسيس نظر
هو قاضينا وهو مجتهدنا ، إذن فاعطى قاضيا
ولا تعطى قانونا .

(١) المكان الفقير .

الفقه في كل عصر وجيل نقطة ارتكاز
يرتكز عليها القضاء في ممارسة ما يعرض له
من أفضية وما يتصل به من ملاسبات تجعله
خاضعا للون من ألوان عصره ، وزمانه وقد
مكن للقاضي فيما وراء ذلك ، ففي عنقه أمانة
كبرى هي استنباط العظات والعبر من تجاربه
مضافة إلى قوة ممارسته للأحداث والوقائع
فيما يصدر عنه من أحكام ، فليس القاضي
سوى رجل مطالب بأن يجمع بين الاعتبارات
والتطورات حسبما تمليه وقائع كل عصر وكل
زمن ما دام يستند إلى أصل شرعى ، ثم
لا عليه بعد ذلك أن يخطئ . إذا كان مرد
خطئه الاستنباط البرى . والأستناد إلى
أصل شرعى .

حكى الإمام الجاحظ في كتابه « البيان
والتهيين » ، أن عمر وهو الذى ولى أبا موسى
الأشعرى القضاء ترامت إليه الأنبياء بأن
أبا موسى يصدر في أحيان قضاءه وهو منحرف
عن المحجة وقد أعوزته المحجة فكتب إليه عمر
يقول له : يا أبا موسى بلغنى أنك وأنت على
دين موفور وعقل راجح وبدية مخصبة يضل
بك المسلك عن إصابة المحجة فلا عليك من

فالفقه الإسلامى (وإن كان مصبوغا بلون من ألوان الفقه القديم كالفقه الرومانى والفقه الفرعونى مثلا وما إليهما من ألوان الفقه) قد قطع مرحلة كبيرة فى إشباع الغرائز القوية والفطر السليمة من حيث علاج المجتمع فى علله وأمراضه وما يعرض له من نوبات تجعله فى بعض الأحيان متأرجحا يمشى الوجى إلى الطريق الأمثل . فلقد كانت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم تحمل الهدى والرشاد إلى بنى البشر لأنها (خلاصة مئات من القرون تعاقبت فيها رسل وأنبياء ومرشدون ووعظة وهداة وقضاة فكانت الدعوة النبوية مؤسسة على أفضل الأسس وأقومها لأنها خيار من خيار انتهت فى مصير أمرها عسلا مصفى ولينا خالصا سائغا للشاربين) .

والفقه الإسلامى من أروع وأجل ما صنف العرب منذ أقدم الأجيال حين جمعت الفضائل الخلقية والغرائز المثالية فى بوتقة واحدة صهرتها ثم جعلت منها نظاما عاما للبشرية يقتضى الناس أثره ويضربون فى الحياة على هداة فالفقه بسليقته قسطاس مستقيم ينهل منه كل صاد لأنه المنهل العذب الذى تصدر عنه شتى مراجع الحياة ومستقرها فهو الذور الساطع إذا عميت السبل على الحكماء وشملت الحيرة قلوب أهل الخبرة . لكن قيل بعد ذلك هبط إلى الأرض

مشرعون ومقننون ومارسوا المراجع الكبرى والأصول العامة كالكتاب والسنة والقياس والإجماع فاختلجوا فى تقديرهم وطرق استنباطهم وطلعوا على الناس بفروع اصطلاحوا على تسميتها الفقه . وهى فقه حقا لأنها مست مرافق الحياة وأحاطت بأمراضها وعلمها وردت كل فرع إلى أصله حتى أضحت المنهل الصافى الذى ترد إليه عامة الناس وخاصتهم ليستقوا منه ماء النير غير أن فريقا من المصنفين جاءوا فى حقبة من حقب التاريخ فصاغوا الفقه الإسلامى صياغة لم ترض كل الناس من ذوى الاطلاع ومن أسهموا فى تاريخ الفقه الإسلامى بكل شبر وذراع فكان تعقيد فى العرض والتواء فى المآخذ وعكس فى المقاصد وإبراز فاطر لأرجح الآراء لأن ؛ جمهرة منهم كانوا من الأعاجم لا من العرب الذين التوت عليهم المقاصد العربية وندوا عن تفهم أصولها ومناهجها ، فظهرت هذه العجمة فى العرض والعبارة والاستنتاج حتى ضاق أنصاف المتعلمين والطالبون بذلك العرض وتلك المتون وتبرم بتلك الأساليب فرق كثيرة من أهل الاطلاع والعلم . ومن ذلك نشأت حيرة القاضى فى بعض الأحيان . فالمفروض فى القاضى أن يجد مردا لقضاياه وطريقا معبدا سهلا فى مراجعته ومآخذه فإذا عرضت

يستحق التقدير والثناء كالصنيع الذى صنعه العلامة الدبوسى فى تفصيل هذه المذاهب بين علماء علم الخلاف .

وفى الحق أن الفقه الإسلامى بحالته الراهنة قد مزج المذاهب المتلاحقة فى عصور سابقة بأبيل المثل وأسمائها وأسلك الطرق وأنجأها فهو الذى رقى بالإنسانية وبعث فيها حوافز الرحمة التى يجب أن تسود بين بنى الإنسان . إن الإسلام فى دقة مرايمه وسمو معانيه قد محا الفوارق بفلسفته التشريعية وقضى على الأثرة والتشيع .

عباس طه

له شبهات أسعفه النص الواضح والطريق القويم من التصنيف والقوانين التى تعاقبت على المحاكم فى السنين الأخيرة قد حلت كثيراً من الأحاجى الفقهية وأتت على قسط وافر من أمراض المجتمع غير أنها لم تف الوفاء كله بالمطلوب .

قال العلامة الكبير أبو زيد عبيد الله الدبوسى الحنفى المتوفى سنة ١٤٣٢ هـ فى كتابه المسمى « تأسيس النظر » ما يستدل به على أن كثيراً من علماء الفروع مسرفين فى طريقة العرض وطريقة التدليل وطرائق الاستنتاج ولم يسبق فى تاريخ الفقه صنيع

(بقية المنشور على صفحة ٧٤٣)

واستبدل القاهرة بحاضرة العباسيين . وقد عاش الرجل العظيم مقدرًا مهيبًا بين تلاميذه ورؤسائه ، مرموق المكانة فى محيطه وأتمته ، فكان فى شبابه موضع احترام الأستاذ الإمام وتقديره ، ثم اختير فى كهولته عضواً بارزاً فى جماعة كبار العلماء ليحفظ بها للأدب مكانته ، ولم يفارق الحياة فى سنة ١٩٣١ حتى رأى بعينه أبناءه فى حلقات الدرس يقودون زمام الرأى فى مضمار الصحافة والتأليف ، ويتسمنون زعامة الفكر فى أقطار العروبة ، ففر عيناً بما غرس ، وأدرك أن دوحته الوارفة قد آتت من كل زوج بهيج .

محمد رجب البيومى

برهاننا الذى لا يدفع على أن الرجل لا يريد انقراض صاحبه ، ولا يتكلف الادعاء مغترا بما علم كما وهم الواهمون^(١) ولسكنها جمحات القلم فى ظروف خاصة تدفع صاحبها إلى بعض الشطط ثم يعاوده الهدوء المتزن ، فيميل إلى النصفة والاعتدال ، ولو كان المرصنى يرى المبرد غير ثقة فيما يقول ، ما عكف على شرح السكامل وتدريسه ، فقطع زهرة شبابه فى تفهم أسرارده ، واكتناه مرايمه ، وجاء شرحه الفخم فى أجزاءه الثمانية دليلاً ملموساً على أن المبرد قد عاد إلى الحياة مرة أخرى بالأزهر

(١) دارت معركة أدبية حول هذا الوهم

بمجلة الرسالة السنة الثامنة سنة ١٩٤١ .

مَائِقَالُ الْعَنْزَالِ سَلَامُهُ

الإسلام في إفريقيا الشرقية للأستاذ عباس محمود العقاد

والإسلام في عالم العقيدة هما الديانتان الجديرتان
بالعناية ، وكل ما عداها فهو بربرية .. .
وعقب على هذه الكلمة فقال : إن وصف
البربرية شديد بالنسبة إلى الديانات الأخرى
التي كشفت حقائقها بعد عصر الدكتور
جونسون ، ولكنه استرسل في وصف
الإسلام ليقول : إنه الديانة الوحيدة التي تعد
على الدوام «تحديا» أو مناجزة لجهود التبشير
والمبشرين ، ثم مضى يسرد المعلومات التي
تطابق الواقع أحيانا وتناقضه أحيانا ونجتزئ
منها بالمهم من وجهة النظر الإسلامية في السطور
التالية :

يقول الدكتور ليندون هاريس - بعد ذلك
التهديد - بصريح العبارة : إن جهود التبشير
بين المسلمين في إفريقيا الشرقية عقيمة لا تؤذن
بالنجاح القريب ولا بالنجاح المضمون ،
وإن نتيجتها كلها إلى اليوم عدم (Nil)
ولا يرجى أن تتغير هذه الحالة بغير جهود
متواصلة يطول عليها المطال .

ألف هذا الكتيب الدكتور ليندون هاريس
علم من أعلام التبشير في القارة الإفريقية ،
وقصره على البحث في أحوال الإسلام
والمسلمين بين أهل زنجبار وبمبا وتجنيقا
وما جاورها من بلاد السواحل الإفريقية ،
وجمع فيه معلومات متفرقة يتحرى في بعضها
الدقة العلمية والمطابقة للشهادات الواقعة
لأنه يريد بها اطلاع العاملين في التبشير
على حقيقة الموقف للاستعداد لها بما يصلح لها
من العدة الكافية والوسيلة المجدية ، ولا يملك
في بعضها الآخر أن يتجرد من آرائه وأهوائه
كلما تعرض لشرح العقائد الإسلامية وتفسير
الحوادث التاريخية ومآثر المسلمين في العالم كله
وفي تلك البلاد على التخصيص ، فهو فيما عرض
له من هذه الأمور مصطبغ بصبغته التبشيرية
على الرغم منه أو باختياره ورضاه ، مطاوعة
لغاياته وهواه .

بدأ معلوماته باقتباس كلية الحكيم الانجليزي
صمويل جونسون التي يقول فيها : إن المسيحية

يقول عن السمعة العامة التي تعوقه: إن الوطنيين يقرنون بين الرجل الأبيض والمستعمر وبين دياناته وديانة المبشرين ، وإن جماعات التبشير تحسن صنعا إذا اتخذت في السياسة مسلكا يعزل فكرة التبشير عن فكرة الاستعمار في عقول أبناء البلاد الأصلاء .

ويرى المؤلف من أعمال الدعوتين أن القرآن الكريم ترجم إلى اللغة السواحلية ترجمتين : أحدهما بقلم كانون ديل المبشر (سنة ١٩٢٣) لم يقبل عليها أحد من الوثنيين وكاد أن ينفرد المسلمون باقتنائها ، وإن كانوا لا يعولون عليها .

والترجمة الأخرى نقلها « الأحاديون » الهنود وحشوها بالبحوث الفقهية (اللاهوتية) التي لا يطبقها أبناء البلاد الأصلاء ، ويرتضيها المسلمون أهل السنة من قراء الكتاب باللغة العربية .

ويتطرب المؤلف في هذا السياق إلى الشيع الإسلامية فيروى كلمة للشاعر محمد إقبال ينمى فيها على المسلمين في بلاده أنهم أصبحوا كالبراهمة في تعدد الشيع والنزعات .

ومن المشاهدات التي يرددها المؤلف أن أثر المسلمين في بلاد العرب الجنوبية أظهر من أثر إخوانهم الذين ينتمون إلى سائر الأقطار الآسيوية ، ويستدل على ذلك بعدد الإفريقيين الذين يقبلون على مساجد هؤلاء

ويخرج من هذه النتيجة بتقرير الواقع الممكن من أعمال التبشير ، وهو توجيه الجهود إلى أبناء البلاد الإفريقيين الوثنيين ، فإن الجهود في هذه الوجهة لا نذهب سدى ولا يزال الأمل في نجاحها مفتاح الأبواب لمن يحسنون الوصول إليها ، وإن كانت هذه الأبواب مفتحة للبشرين وللعاملين على نشر الدعوة الدينية من المسلمين ، ومفتحة كذلك للمسلمين الذين يستميلون الوطنيين إلى ديانتهم بغير دعوة منتظمة .

ويذكر الدكتور ليندون عقبات الدعوتين بين القبائل الوطنية التي تحكم على الغرباء بالسمعة العامة بين سابقة ولاحقة .

فالمسلمون يشيع عنهم - أو يشاع عنهم - أنهم هم وحدهم المسئولون عن أعمال النخاسة في العصور الماضية ، ولا يذكر المؤلف شيئاً عن النخاسة في إفريقية الغربية ، وهي تدل بآثارها على الفارق بين النخاسة المنسوبة إلى تجار العرب وغيرهم من الآسيويين ، وبين النخاسة الأوروبية الأمريكية التي تقلت السود إلى العالم الجديد ، وعدتهم الآن هناك لا تقل عن ستة عشر مليوناً من الرجال والنساء ، وهم أضعاف الأرقاء السود الذين نقلوا من بلادهم إلى الأقطار الآسيوية في عدة قرون .

أما التبشير المسيحي فالدكتور ليندون

ينحصر عملها في تحفيظ القرآن وتعليم الهجاء والمطالعة الأولية ، ولا تصحب هذه المدارس - أو المكاتب - أعمال أخرى من قبيل أعمال الخدمة الاجتماعية التي ينشئها الغربيون ، إلا قليلا من المعونة يقوم بها أهل الخير هنا وهناك من قبيل الصدقة والإحسان .

يقول : « إن الإقبال على التعليم الحديث وفقا للبرامج الأوروبية يقبل عليه المسيحيون والمسلمون على السواء ، وقد كان المسيحيون يدخلون أبناءهم مدارس المبشرين ويؤثر المسلمون لأسباب دينية أن يعلوا أبناءهم في المدارس الحكومية ، ولكن هذه المدارس الحكومية مبعثرة متباعدة بين أطراف البلاد الداخلية ، وأكثر التعليم على البرنامج الغربي تتولاه مدارس التبشير » .

ثم يقول : « إلا أن مدارس السواحل الإسلامية التي تشرف عليها الحكومة تقارن بأفضل المدارس التي يديرها المبشرون ، ويقبل عليها أبناء الهنود والعرب ، مع اتجاه الرغبة أخيراً إلى نشر التعليم العصري وقيام الطائفة الإسماعيلية على الأكثر ببناء المدارس لنشر هذا التعليم ، وقد تم بناء نحو خمسين مدرسة على البرنامج الحديث منها ثلاث مدارس ثانوية نشأت كلها بعد الحرب العالمية الثانية » .

ويوازن المؤلف بين الوسائل فيرى أن

وهؤلاء ، وبالصلوات الاجتماعية التي تنعقد بين كل من الفريقين وبين الإفريقيين السواحليين وغير السواحليين الذين يدينون بالإسلام ، فإن أبناء البلاد الأصلاء يأنسون إلى الجالية العربية عندهم منذ عهد بعيد .

ولا يحاول المؤلف أن يطمس الفارق بين أثر العرب وأثر الأوروبيين الأسبقين إلى استعمار إفريقية الشرقية ، فإنه يقرر أن البرتغاليين قضوا فيها نحو مائتي سنة لم يتركوا بعدها أثراً من آثار الحضارة النافعة ، ولم يعقبوا بعدهم غير ذكرى الخراب الذي حل على أيديهم بالمعاهد والمعابد الإسلامية ، ولم يزالوا حينما نزلوا يخربون وينهبون حتى استغاث السواحليون بالإمام سعيد صاحب عمان ، وهو والد سعيد الأول سلطان تولى من هذه الأسرة حكم زنجبار .

أما العرب الذين انتقلوا إلى السواحل فإنهم نقلوا إليها الكتابة والعلم وأدوات الحضارة وطبعوها بطابعهم في كثير من أحوال المعيشة . ويتساءل المؤلف عن المستقبل فيقول : ماذا عند العرب يعطونه الإفريقيين بعد اليوم وماذا عند الأوروبيين ؟ .

ثم يجيب قائلا : إن الأوروبيين يعطون المدارس والمستشفيات والمرافق العصرية ويرجعون على العرب بمدارسهم التي تعد الطالب الوطني لأعمال الحياة العامة والخاصة في العصر الحديث ، ولكن المدارس العربية

المبشرين أبناء البلاد الأصلاء الذين تحولوا عن عقائدهم الأولى على أيدي بعثات التبشير منذ سنين . فإنهم أحرى أن يقابلوا الدعوة الإسلامية بشعورهم الوطنى الدينى ، فيؤدّون هنا عملاً لا ينتظر من المبشرين البيض .

قال : « إن ابن القبيلة الإفريقى يلح نفاذة المسلم شخصاً و بزة كما يلح المكانة التى يكسبها بأدب (الحشمة) الاجتماعية و تتعلق مكانة الرجل الإفريقى بهذه الحشمة المصطلح عليها ، وهى مكانة ذات شأن حيث يعيش الناس على مرأى بعضهم من بعض فى حيزهم المحدود ، فلا جرم أن يعتز المسلم بهذه الحشمة فوق اعتزازه بكل شئ . لأنها مقياس خلقه وحياته ، و بها يستدعى المناظرة و محاولة التشبه به من أبناء البلاد الأصلاء . »

ثم ختم الرسالة ملحاً على التنبيه إلى « المناجزة المتحدية » من قبل الإسلام ، مهيباً بأنصار التبشير الغربيين أن يضاعفوا العون الذى لا غنى للتبشير عنه لبلوغ الغاية منه ، ... « فليس فى وسع البعوث التبشيرية أن تعهد للمبشرين من أبناء إفريقية الأصلاء دعوة إخوانهم المسلمين ، ولكنها بغير هؤلاء لا يرجى لها نجاح ، »

عباس محمود العقاد

وسائل الإسلام أقل من وسائل المبشرين ، ولكنه قدم لذلك بترده فى الحكم على المستقبل فقال : « إنه ليس فى الوسع أن ينبئ أحد بمصير الأمور فى بلاد تتوالى فيها المفاجآت على غير انتظار ، فلا يبعد أن يميل وقاص الساعة كرة أخرى إلى جانب الإسلام ؛ لأنه عامل من العوامل الحاضرة أبداً فى هذه البلاد . »

وعند المؤلف أن المؤثرات المعنوية تتقابل فى نفوس المسلمين فتعطيهم من جانب عوضاً مما تسلبهم من الجانب الآخر ، ولا يلبث المسلم أن يستكين شعوراً منه بالفارق بينه وبين الغربيين فى الزمن الحديث حتى تثوب إليه العزة غمراً بماضى الإسلام العريق ، وأن هذا الفخر - كما يقول المؤلف - لعامل مهم جداً فى هذا الموقع من بلاد العالم ، إذ ليس للإفريقى تاريخ يذكره ويفخر به قبل أجيال معدودات .

ويخلص المؤلف من ذكريات الماضى ونبوءات المستقبل إلى خطة يرى أنها كفيلة بإتمام جهود المبشرين الأوربيين التى يعجزون عنها فى موقف المكافحة بين التراث الإسلامى العريق والتراث الإفريقى الحديث ، فإن المبشر الأوروبى قليل الجدوى فى هذا المجال ، ولكن جدواه القريبة إنما تنتظر من

مَحْنَا مِنْ الشَّجَرِ الْقَيْدِ وَالْحَدِيثِ

العابد المثالي "الفجر"

للأستاذ إبراهيم محمد نجا

من وراء الظلام أقبل يسرى عابد في ثيابه البيضاء
وعلى وجهه يرف صفاء مستمد من قلبه الوضاء
أينا سار ، فالظلام ضياء عبقرى الأطياف والألأاء
جاء يسرى ، والبدر في الأفق يسرى كسرى المستهام في الظلأاء
تارة يأمر من العيون ، فييندو فإذا خاف . جد في الاختفاء
ورياح المساء تبعث نجوا ها لروح الطبيعة العذراء
فتثير الحنين في كل قلب من قلوب العشاق والشعراء
وأنا جالس على الرتبة الحظ راء ، والروح ساج في الفضاء
ساهر أنظم الحياة بروحي في قصيد يزهو بسحر الأداء
وأبث الوجود أشواق نفسي لعهود قد أمعنت في التناث
وأغنى . . . وباله من غناء ! ثم أبكى . . . وباله من بكاء !

* * *

ظل يسرى حتى أتى الغاب فأنسا ب إليه كالجدول المترأى
ومضى في رحابه مستشفا كل ما فيه من بديع الرواء
وقفة عند أيكة تتجلى عن غرام مستعذب وغناء
عند غصن يداعب النور عظيمه ، فيغضى ويلثني في حياء
وتريق الندى عليه النسيما ت ، فهتز هزة الحسناء
عند زهر كأنه الشفق الحسا لم بين السحائب الشهباء
عند نهر كأنه الأمل البيا سم يبدو في ظلة البأساء

وعلى الجدول الذى راح يصغى
وقف العابد التقي يصلى
وبناجيه فى خشوع عميق
قال : يا خالق الوجود جميلا
إن هذا الجمال يغمر نفسى
إن هذا الجمال يسمو بروحى
فأراني بها هزارا طليقا
هز أشواقه نداء خفى
عائدا للخفاء موطنه النا
كسفين أضله البحر دهرا
وأراني بها شعاعا رقيقا
هائما سابحا إلى الشاطئ الثا
إن هذا الجمال لحن جميل
أنت أبدعته ، فكان نشيدا
هو بين الهول همس ونجوى
كل ما فى الوجود روح جميل
ساحر باهر خريفا وصيفاً
غير أن العيون لا تسبر الأعماق . . بل تستقر فوق الماء
وأنا أبصر الوجود بروحى
يا إلهى لأنت نبسح حياتى
فلك الشكر يا بديع البرايا
يا إله الوجود تلك صلاتى
فتقبلهما مناجاة روح
واعف عني إن لم أخط بك علما
ووداعا يا أيها الغاب حتى

فى فتون إلى حديث المساء
للإله العظيم رب السماء
كنى فى ساعة الإيحاء
لقلوب إلى الجمال ظاء
بضياء الهدى ، ونور الصفاء
فى جواء طليقة الأرجاء
يتغنى بأمنيات وضاء
فهها هائما وراء النداء
نى ، وقد جاء من ضمير الخفاء
وهده السرى . . إلى الميناء
يتسامى بأشوق نحو العلاء
نى ... على موجة من الأضواء
ساحر الجرس ، فائن الأصداء
هز روحى وخافق ودائى
وهتاف فى القمة العليا
رائع فى الظلام أو فى الضياء
مشرق فى الربيع أو فى الشتاء
ماق . . بل تستقر فوق الماء
فأرى كليل ما به من بهاء
وحياتى من أعظم الآلاء
ولك الحمد مبدع الأشياء
ملؤها نشوق وهذا دعائى
برئت من نوازع الأهواء
أنت فوق النهى ، وفوق الذكاء
يأذن الله بيننا باللقاء

آراء وأحاديث

زعيم المسلمين في الفلبين :

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر بمكتبته السيد / أحمد ألونتو زعيم المسلمين بالفلبين وعضو الشيوخ ، ودامت المقابلة أكثر من ساعتين سجل فيها فضيلة الأستاذ الأكبر حديثاً يتصل بالإسلام عقيدة وشريعة إجابة على الأسئلة التي قدمها السيد ألونتو إلى فضيلته ؛ وسيداع هذا الحديث في كل من الفلبين وإندونيسيا والملايو وتايلاند .

وقد شكر السيد الزائر فضيلة الأستاذ الأكبر على جهوده القيمة التي يبذلها في سبيل نشر الثقافة الإسلامية في جميع أنحاء العالم الإسلامي ، كما شكره على إجابته على الأسئلة التي قدمها إلى فضيلته .

كاحله فضيلته حديثاً إلى جميع مسلمي الفلبين ودعاه لهم بالتوفيق والعمل بكتاب الله وسنة رسوله .

نصي الحريث :

إخواني وأبنائي المسلمين :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ، وبعد : فإنه ليسعدني أن أتحدث إليكم فيما يخص

الشئون الإسلامية ويوضح معالم الطريق أمامكم ويكشف لكم عن كثير من جواهر الدين الإسلامي ودرره ، وإني لأشكر أخى في الله السناتور أحمد دوماكو ألونتو على ما رفع إلينا من أسئلة تحقق لنا ولكم هذا الاتصال الطيب ، وأشكره كذلك على ما قدم إلينا من شكر على ما سماه عناية بأمر المسلمين ، وعلى اتصالنا بكم في مطلع شهر رمضان وفي أول يوم من أيام عيد الفطر المبارك ، وأقول له : إن ذلك كله واجب ديني تحتمه شريعتنا ويفرضه ديننا نحو إخواننا المسلمين في العالم أجمع ، وكذلك أشكره على ما قدم لنا من عرفان بجميل الأزهر الشريف وقوله طلاباً من أبناء المسلمين في الفلبين ، وكذلك عن استقباله في قاعة المحاضرات الكبرى في الأزهر الشريف يوم أن ألقى محاضراته الطيبة ، فكانت صلة بيننا وبين ثلاثة ملايين مسلم ، وأقول له : إن أملنا في نهضة المسلمين ودفعهم إلى الإمام وتعريفهم بشئون دينهم الذي جمع بين سعادتي الدنيا والآخرة ليجعلنا نسقط من حسابنا كل جهد يبذل وكل مشقة تسكون ، سائلين المولى أن يجعل المسلمين على قلب رجل واحد ؛ أمة واحدة

قوله تعالى « وأولى الأمر منكم » ، فالحكومات المستعمرة التي تتدخل في شئون المسلمين الدينية لا تقدر مصلحة الناس ولا تحرص على شئون المسلمين ، فهذه لا طاعة لها - أما الحكومات التي هي من صميم الشعب فقد بينا حكم طاعتها فيما أسلفنا وأنه يجب على المسلمين أن يطيعوها فيما لا يخالف أمر الله

٣ - الضريبة متى كانت عادلة يراد بها تحقيق مصالح الشعب مثل إنشاء المعاهد والمستشفيات وتعبيد الطرق والمواصلات وكل ما يعود بالنفع والخير على الأمة وجب على المواطنين جميعاً أدائها وإلا كانوا مقصرين في حق دينهم وفي حق أوطانهم . ويجب أن يعلم هنا أن مال الضرائب التي تفرضها الدول العادلة بناء على تقدير أهل النظر والاختصاص في المصالح شيء وراء الزكاة فلا تغني عنه الزكاة ، فالزكاة شيء والضريبة شيء آخر فقد جمع الله في بعض آياته بين الأمر بالزكاة وبين الحث على الإنفاق وذلك في قوله تعالى : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ،

متراسة البناء قوية قويمية ، لتقف أمام كل بغى أو طغيان ، كما كانت في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه من بعده ، ولذا فإننى أبدأ بالإجابة عما قدم أخى السيد / أحمد دو ما كاو وأدعو الله أن يوفقنى بدوام الاتصال بكم لنقف على أسرار كتاب الله وسنة رسول الله ، فأقول والله المستعان .

١ - إن واجب المسلم نحو حكومته هو الطاعة ما لم يخالف أوامرها أمر الله ولا أمر الرسول أو تنافى مصلحة المسلمين وعلى المسلم في هذه الحدود السمع والطاعة وما لم يكن في ذلك معصية لله ولرسوله فعلى المسلم السمع والطاعة فقد عرف شرعاً أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

٢ - وواجب المسلم لا يختلف ولا يقل ولا يخف نحو حكومته ما دام كل عملها للمصلحة العامة وما دامت لا تخالف أوامرها أو أمر الله ولا أوامر الرسول ولا فرق في ذلك بين حكومة علمانية أو دينية وخاصة إذا ما كانت الحكومة دائماً ترعى شئون المسلمين وتحرص على شعائر الإسلام يخطئ من يفهم أن أولى الأمر الذين أوجب الله طاعتهم في قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » ، يخطئ من يقول إنهم الأحكام مطلقاً وإنما هم أولو الشأن الذين يعرفون أوامر الله ويقدرون مصلحة الناس بدليل

غير إسلامية تفرض على تلاميذها دراسة الدين (غير الإسلامى) .

سابعاً : عندما يوجد عدد من المدارس الحكومية العلمانية ، ومدارس دينية غير إسلامية ، ومدارس إسلامية تقوم بنفس الوظيفة ، هل يجوز للمسلم أن يطلب العلم في غير المدرسة مفضلاً عليها المدرسة العلمانية أو الدينية غير الحكومية ؟ .

ثامناً : هل يجوز للمسلم أن يحرم على المسلمين طلب العلم في مدرسة غير إسلامية أو مجتمع غير إسلامى ؟ وهل تعلم اللغة الانجليزية أو لغات غير المسلمين حرام ؟ وفي هذه الحالة ما هو واجب المسلمين المتقدمين تجاه إخوانهم الذين تخلفوا ؟ .

وقد أجاب فضيلة الأستاذ الأكبر قائلا : الإسلام رفع من شأن العلم والعلماء ووردت آيات كثيرة وأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم : « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » ، وقد حث القرآن بنوع خاص على التفكير في الأرض وفي السماء والهواء وما سخر الله من شيء للإنسان لمعرفة أسرار الله في الكون والانتفاع بها في الحياة وبذلك كان العلم في نظر الإسلام غير خاص بالعلم الدينى أى بمعرفة الحلال والحرام والطاهر والنجس وإنما يعم كل إدراك يقيد الناس في حياتهم . فإدراك ما ينبت البذر

فأنت ترى من هذا أن الصدقات شيء آخر وراء الزكاة .

٤ - قد قرأنا في صدر الكلام أن أوامر الحكومات مالم تختلف مع أوامر الدين أو تناقضها وجب تنفيذها وطاعتها .

العلم والفن في نظر الإسلام :

ما رأى فضيلتكم في :
أولاً : واجب المسلم تجاه البحث عن العلم والمعرفة بصفة عامة ؟ .

ثانياً : ما هو العلم والمعرفة في نظر الإسلام .
ثالثاً : هل يعتبر الإسلام المعرفة ناحية أساسية في تقدم الإنسان ؟ .

رابعاً : هل يستطيع المجتمع الإسلامى أن يحفظ كيانه وبالتالي يبقى على الإسلام إذا رفض أن يعنى بأسباب المعرفة لمجرد أن المدارس الموجودة علمانية فقط ؟ .

خامساً : مامدى واجب المسلم في تحصيل العلوم الطبيعية مثل الطب والهندسة والزراعة والجغرافيا والرياضة والفلك وما شابه ذلك من العلوم مثل التاريخ والعلوم السياسية واللغات والآداب والفنون الجميلة مثل الموسيقى والرسم والرقصات التقليدية والنحت وما شابه ذلك ؟ .

سادساً : هل يجوز للمسلم - في حالة عدم وجود مدارس إسلامية أو علمانية - لكي يحصل على المعرفة ، الالتحاق بمدرسة دينية

عامة في انحاء الأرض أن يساعدوا إخوانهم في إنقاذهم من الجهل وتعليمهم أمور دينهم . كما يجب عليهم إنقاذهم من أيادي الاستعمار فإن الجهل شر على الأمم من الاستعمار .

تعلم اللغات الأجنبية :

وتعلم اللغات الأجنبية شأن من شئون التقدم الإنساني العام وبقدر ما تجمل الأمة من لغات العالم بقدر ما تجمل من علومه وآدابه ، وقد عرفت الترجمة والمترجمون في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم كما استخدمت الترجمة في نشر الدين وتعريف أحكامه في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم في الصدر الأول وقد أثر ترجمة « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً لا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ، ولما اختلط المسلمون بالدول غير العربية اتسعت معارفهم عن طريق تبادل اللغات وترجم الغربيون كثيراً من علوم المسلمين وانتفعوا بها كما ترجم المسلمون كثيراً من علوم الغربيين وانتفعوا بها ونزولاً على هذه المبادئ قرر الأزهر الشريف في عهده هذا تعليم اللغات الغير العربية شرقية وغربية لينشر الدين باللغة العربية وغيرها .

ويصلح الأرض ، علم وإدراك القوى الحربية علم ، وإدراك كل ما يقدم الناس في حياتهم علم . فالطب والكيمياء والهندسة والصناعة والذرة كل ذلك علم مما نوه الإسلام به ولا فرق في أن تعلمه المدارس الدينية التي يديرها المسلمون والمدارس التي يديرها غيرهم ، أما المدارس التي تلزم المسلم بتعلم غير دين الإسلام فهذه يجب على المسلمين أن يبتعدوا عنها ، فإنه لا يصح للمسلمين أن يتعلموا فيها .

واجب المسلم القوى نحو أمة الضعيف :

أما واجب المسلمين المتقدمين بالنسبة للتخلفين فهو واجب المسلمين الأقوياء بالنسبة للمسلمين الضعفاء في تخليصهم من أسباب الضعف والهوان ومعنى هذا أنه يجب على المسلمين العلماء أن يعلموا إخوانهم غير المتعلمين ويحثوهم على العلم إذ العلم طريق رقى الأمم وحياتها . والجمهورية العربية بما آتاه الله من قوة في العلم وفي المعرفة أولى أن تعنى عناية خاصة بهذه الشعوب المتفرقة في آسيا وإفريقيا تبصرهم بشئون دينهم وتعرفهم بشئون دنياهم فإن كثيراً من هؤلاء كان الجهل يأكلهم ويسد الطريق أمام تقدمهم - كما يحاول الاستعمار بينهم وبين معرفة دينهم . ولذا فإننى أعود فأقول : إن من حق المسلمين على الجمهورية العربية المتحدة أن تقدم لهم كل ما يحتاجون إليه من علوم ومعرفة ويجب على المسلمين

في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا، والإسلام ليس له مراسم خاصة ولا طقوس معينة في الجنائزات ، وإنما يرى أنه يجب على المسلمين وفاة لأخيه المسلم أن يبادروا جميعا بمجرد العلم لتشيع جنازته حسبة من غير أجر ومعونة لأهل الميت ، وكذا الصلاة والدفن ، وكل هذا من غير أجر ويحرم على المسلمين أن يأخذوا أجرا على تشيع جنازته وتغسيله وتجهيزه وكل شيء يتصل به وإنما يفعلون كل ذلك حسبة يلتزمون أجره من عند الله ، وكما ينكر الشرع أخذ الأجر على هذا ينكر الشرع التكبير والتهليل أمام الجنازة أو في بيته أو إقامة سرادقات أو استقبال المعزين. وما كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يخصصون أياما للتعزية ، ولا أما كن لتقبل هذه التعازي . إنما الذي كان يقع ويعمله الصحابة أنه بعد الدفن ينصرف كل إنسان إلى عمله ، وإذا اتسع حال أحد من أهل الميت أو من غيرهم بالتصدق أو مواساة أهل الميت بإعداد الطعام لهم لأنهم مشغولون بمصيبتهم يجوز لهم ، وقد عرف ذلك في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم .

ويجب على الحكومات الراشدة مكافحة هذه العادات في طوائف المشيعين والمغسلين وقراء القرآن على القبور .

زواج المسلم بغير المسلمة:

يجوز للمسلم أن يتزوج غير المسلمة بشرط

عادات بين مسلمي الفلبين :

يا صاحب الفضيلة ، إن بعض العادات البالية في بلادى تقف حجر عثرة في سبيل التقدم والرفق : هذه العادات تتعلق بأمور كثيرة : مثل حالات الوفاة والزواج ، والاحتفالات : فعلى سبيل المثال تعتبر الوفاة فرصة للإسراف في إنفاق أموال الورثة على اعتبار أنها صدقة تمحو سيئات المتوفى إذ يدعو الورثة أهالى المنطقة جميعا ويوزعون عليهم ما يسمونه (بالصدقة) كما يدفعون للذين يصلون صلاة الجنازة والذين يسيرون في الجنازة : بل أكثر من ذلك يستمر الإنفاق مدة سبعة أيام حيث يدعى الناس لبית المتوفى يأكلون ويشربون ويؤجرون وذلك ليقوموا بالتكبير والتهليل .

ثم وجه السننور دوما كو ألتو لفضيلة الأستاذ الأكبر طائفة من الأسئلة أجاب عنها فضيلته قائلا :

أما ما تذكرون من عوائد الإنفاق والبذل في المآتم على النحو الذى ذكرتم من الإسراف فليس إنفاقا فى سبيل الله وليس إنفاقا يأمر به الإسلام ولا صدقة تنفع الميت ، والصدقة المطلوبة تكون للفقراء والمساكين ، أما الإنفاق من أموال اليتامى القصر فهذه جريمة دينية نص القرآن على تحريمها ، إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون

الرضا بين الزوجين (رضاها ورضاه) وصيغة العقد هي أن تقول هي « زوجتك نفسي » ، أو أن يقول وليها زوجتك موكلتي فلانة على كتاب الله وسنة رسوله زواجا شرعيا على صداق قدره كذا وليس بلام أن تقول على مذهب أبي حنيفة أو غيره . وأن يقول الزوج قبلت زواجك أو زواجها وذلك بحضور شاهدين غير معروفين بالفسق والخروج عن الدين .

والصداق شأن من شئون الزواج . لا بد منه وقد أباح النبي صلى الله عليه وسلم الزواج مهما كان المهر ولو على خاتم من حديد ، وهذا هو حده الأدنى فالمهر هو ما تراضى عليه الطرفان قل أو أكثر ، والمغالاة في المهور بمعنى توقف الزواج على المهر الكثير الذي تنوء به قدرة الزوج ليس من الإسلام في شيء ، وما المهر إلا وسيلة من وسائل قضاء المصلحة والتعاون والذي يدفع المهر هو الزوج وهو ملك له ، ويبدأ استحقاقها للمهر بالعقد ويتم بالدخول ، ولا يأخذ أحد من أهل الزوجة شيئا منه أبدا وإنما هو ملك لها . والحكمة في دفع المهر أنه حفظ لكرامة المرأة وتعاون على تكوين البيت وتكوين الأسرة .

والاحتفال بالأعياد هو في الواقع احتفال بذكرىات أحداث كان لها شأن في تاريخ

أن تكون من أهل الكتاب ، وقد جاء في القرآن « اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم ، والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذى أخدان » .

على هذا درج المسلمون يتزوجون من المسلمين ومن غير المسلمين بشرط أن تكون كتابية يهودية أو نصرانية أما المجوسية التي تعبد النار أو الشمس والقمر ، فلا يجوز للمسلم أن يتزوجها كما لا يجوز للسلمة أن تزوج غير المسلم ولو كتابيا (لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن) .

لماذا يحوز إكراه البنت على زواج لا رضاه :

والصحيح من المذاهب الإسلامية المؤيدة بالأدلة النقلية الصحيحة أنه لا يجوز الأب ولأولى الأمر أن يكره الفتاة على زواج من لا ترضى بزواجه فالرضا شرط صحة للزواج من الجانبين ويجوز للمرأة أن تبشر العقد بنفسها من غير وليها متى كانت عاقلة تفهم معنى الزواج وتقدره ، وقد رد النبي زواج البنت عندما أخبرته أن أباه قد أكرهها على الزواج من غير من تحب .

أما الشروط الأساسية للزواج ففهما كما تقدم

وعلى العلماء جميعاً أن يبينوا للناس ما هو مشروع من هذه الأشياء وما هو غير مشروع نسأل الله أن يجمع الجميع على ما فيه خير الإسلام والمسلمين .

وإني أكرر شكرى للسيد الوزير وللشعب الفيليبين وأحمله تحياتنا إلى هذا الشعب أسأل الله التوفيق وأن يطهر بلادنا من الاستعمار وأن يحميها من الجهلة والمبتدعين

وليس للصدقات أوقات معينة وإنما وقتها وقت ظهور الحاجة إليها من الفقير والمسكين ، وأما أرواح المسوق فشان غيبي لا يعلمه إلا الله لا ندرى متى تحضر ولا متى تغيب .

ولا ينبغي تلقيب الرسول صلى الله عليه وسلم بالمقدس وكما ورد في سؤالكم ، إنه صلى الله عليه وسلم بشر وعبد من عباد الله اصطفاؤه الله بالوحى وكرمه بالمنزلة العالية والمقام المحمود وأما الصدقة على روحه صلى الله عليه وسلم فتقول إنها لا تختص بإنسان دون الآخر وإنما هى مال ينفق فى سبيل الله ويسد حاجة الفقير والمسكين . والله المستعان ، يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحيمكم ، ، ، وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ؟

الإسلام فالاحتفال بها إحياء لوعى ما تضمنته من إرشاد وتوجيه وإقدار على الخير وسمى لبناء مجتمع فاضل يقوم على أساس من الإيمان الصحيح والعقيدة الحققة، وهى دروس تاريخية فالهجرة ترينا وتذكرنا بهجرة الباطل وأهله إلى الحق ونصرائه وأن أرباب الحق لا بد أن يهجروا الباطل والإسراء يذكرنا بفضل الله على نبيه وقدرته على إيوائه وإكرامه . وليلة القدر تذكرنا بأكبر نعم الله على عباده وهو إنزال القرآن الذى به هداية المسلمين وسعادة الناس أجمعين وكذلك الاحتفال بميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم . أما الاحتفال بالعيدين فهو يذكرنا بتوفيق الله للمسلمين على صوم رمضان وتوفيقهم لأداء نعمة الحج بالنسبة لعيد الأضحى ، أما عن عاشوراء ونصف شعبان فلم يرد فى الاحتفال بهما شئ . يعتد به .

وإن الأهمية فى هذه الأعياد أنها من باب الذكريات . والذكريات تحيى الأمم ولس لها طقوس خاصة إذ الاحتفال إنما هو الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم وبما كان يفعله أصحابه . وأخيراً فإن الاحتفالات التى انتشرت بين المسلمين يجب النظر فيها من جهات :

أولاً : من جهة بعدها عن المحرمات وخلوها من الإسراف والتبذير وينبغى أن يعنى أهل العلم يشرح آثارها التى ترتبت على أحداثها وتوجيه المسلمين إلى أهدافها .

الكتاب

نقد وتعرّف

عرض لكتاب « اللغة الشاعرة »

للكاتب الكبير الأستاذ عباس العقاد

الناشر مكتبة الانجلو المصرية في ١٦٠ صحيفة قطع متوسط

- كتاب « اللغة الشاعرة » دراسة عميقة ، الشعر ديوان العرب ، نقد الشعر العربي ، وبحث واف مركز ، عن لغتنا العربية .
- والكتاب يتناول إجمالاً ناحيتين هامتين : الشعر العربي والمذاهب العربية الحديثة : تشبع الأولى منهما نهم الباحث اللغوى ، ففروضات صدر الكتاب تبين أهمية الذى يحل المشكلات اللغوية من وجهة نظر لغتنا العربية بما خصت به من مزايا لا توجد فى علم اللغة Linguistics كما تحقق الثانية رغبة الناقد الأدبى الذى يعنى بالفكرة فى إطار العبارة والأسلوب .
- وينظم القسم الأول من الكتاب الموضوعات الآتية :
- الحروف ، المفردات ، الإعراب ، العروض ، أوزان الشعر ، المجاز والشعر ، الفصاحة العلية .
- أما القسم الثانى فموضوعاته هى :
- لغة التعبير ، الزمن فى اللغة العربية .
- الشعر ديوان العرب ، نقد الشعر العربي ، النقد العلمى .
- الشعر العربى والمذاهب العربية الحديثة : ففروضات صدر الكتاب تبين أهمية لغتنا العربية بما خصت به من مزايا لا توجد فى غيرها ، وقد فصل فيه القول دبالّة عليّة موضوعية تعتمد على اللغة نفسها ، وفروفا واضحة الخارج ومفرداتها موسيقية المقاطع فهى لغة تدرج كل كلمة فيها ضمن نوع معين من موسيقى التركيب اللغوى « الأوزان الصرفية » كما أن الإعراب قد خلق فيها حرية التركيب والبناء ، فلا يلتزم الفعل والاسم فيها موضعا معينا كما فى غيرها من اللغات بل البناء مرن حيث يرتبط فهم المعنى بالإعراب فى أواخر الكلمات .

وسوء نية ، لأن الدعوة إلى إلغاء الأوزان ذات البحور والقوافي لا تأتي من جانب سليم ولا تؤدي إلى غاية سليمة ؛ فلا يدعو إليه غير عاجز عن النظم ... وقد استطاع الشاعر العامي نظم القصص التاريخية والملاحم في بحور الشعر العربي ، دون أن يعرف العروض .

ولكن الأستاذ العقاد لا يرى مانعا من قرض الشعر على أوزان أساسها التفعيلة العروضية العربية ، فقد أشاد ببحث الأستاذ « خليل اللاوردي » الذي انتهى من بحثه إلى إمكان التنوع في الأوزان العروضية ... فمقاطع العروض وتفاعيله « أشبه بحدود الكلمات التي تتألف من الحروف الأبجدية ، على حين أن الحروف الأبجدية قلما تزيد على الثلاثين » .

ويعقب الأستاذ العقاد في هذا الموضوع على الأستاذ « خليل » فيقول « فهما يكن من تيسير الأوزان بالتنوع والتوفيق ، فلا مناص بينهما وبين الكلام المرسل في سهولة الأداء ... ولا بد في هذا السياق من تفرقة أخرى ، هي التفرقة بين القواعد والقيود في كل فن من الفنون ... ومن تجاربنا في الشعر العربي يتبين لنا أن قواعد النظم عندنا مؤاتية للشاعر في كل تصرف يلجئه إليه تطور المعاني والتعبيرات في مختلف البيئات والأزمنة » .

ومن أجل هذا جعلها علماء اللغات في القمة بين اللغات الكاملة التصريف .

أما العروض فأوزانه التي تعتمد على المقاطع المركبة من توالي الحركات والسكنات بوضع خاص ، فهوقفة الموسيقى الفنية في لغتنا العربية وقد وضح الأستاذ العقاد كيف أن فن الوزن في العروض يحمل في طياته الجمال الموسيقي ، وهذه خاصة من خصائص الشعر العربي ، بخلاف الشعر في اللغات الأوروبية التي نعرفها ، فإن اعتماده على ما يصاحبه من رقص أو توقييع أو غناء أو موسيقى أو إنشاد ، وغيرها من الأمور التي بدونها يصعب تمييز الشعر عن النثر .

وقد أكد الأستاذ العقاد أن هذا الفن ليس أثراً من آثار المزاج السامي السريع الاستجابة للمؤثرات ، ولكنه قد اعتمد في نشأته على الحداء ، والحداء غناء منفرد موقع على نغمة ثابتة ، ولا بد للغناء المنفرد من القافية ؛ لأنها هي التي تنبه السامع إلى المقاطع والنهايات ، خلافاً للغناء المجتمع الذي يشترك فيه الكثيرون فيعرفون من سياقه أين يكون الوقوف وأين يكون الاسترسال ... ولا بد للغناء اللازم لحركة واحدة من الحداء لمسايرة الحركة ومجاراتها في إيقاعها .

وقد نعى الأستاذ العقاد على ما يسمى « بالشعر الحر » فهو في نظره قصور وإفلاس

حين أن هذا الزمن يبلغ ضعف ذلك أو يزيد في بعض اللغات الأوروبية . فليس هذا عن إهمال لشأن الزمن في لغتنا ، بل إن اللغة العربية تذهب إلى العناية بالزمان مذهباً بعيداً فقد جعلت لكل فترة من فترات اليوم اسماً خاصاً ، فهناك الهزيع والفجر والشروق ، والضحي والظهيرة ، والقيولة والعصر ، والأصيل والغروب والعشاء والعمّة وغيرها . ونضيف من جانبنا أن بعض الأفعال في

العربية يدل بصيغته على الزمن النحوي ، وباشتقاقه على وقته من اليوم الفلكي . ويتضح هذا جلياً في بعض أخوات « كان » ، مثل أصبح وأمسى وأضحى وأظلمّ وبات .

فمن ناحية الأفكار والمعاني نجد العربية أدق وأوفى . أما الأجرومية فتختص بتركيب وبناء المفردات في الجملة ، فلكل لغة أسلوبها الخاص وقواعدها الخاصة . ويجب ألا يقحم نظام الأجرومية في لغة على نظامها في لغة أخرى . ولا وجه حينئذ للمقارنة أو المفاضلة .

فيظهر أن كتاب « اللغة الشاعرة » برمته كان مجموع مقالات وأبحاث أعدها الأستاذ العقاد سلفاً ، إذ كثيراً ما يشير إلى أنه فصل ذلك في مقال سابق . كما أن بحثه القيم « الزمن » كان قد أتى كمحاضرة باسم المجمع اللغوي . وهذا تقليد جيد لو تبعه الباحثون حين يكتبون في هدوء وروية بحوثهم ، ثم يجمعونها في كتاب خاص لتعم الفائدة .

أما المجاز فقد فند في هذا الفصل الأستاذ العقاد فكرة بعض المستشرقين التي تزعم أن الصناعة اللفظية - من التشبيه والاستعارة والسكناية وغيرها - هي موضع العناية الكبرى في الأدب العربي ، وأوضح سبباً لذلك انعدام التدقيق اللغوي لدى المستشرقين ، هذا التدقيق الذي يجعل العربي بفطرته لا يفهم من المجاز أو التشبيه إلا المعنى المباشر ، دون نظر في التفصيلات .

أما الفصاحة العلمية فقد حدد المؤلف في هذا الموضوع السمات والمظاهر التي تكون فصاحة الكلمات العربية المتركة من حروف « أصوات لغوية » ، وكيف أن هذا وغيره كان السبيل لتوحيد اللهجات العربية المتفرقة في لهجة واحدة « لغة مشتركة » ينظم بها الشعر وتستعمل في المهم الجاد من القول ، وبلغت أوجها حين نزل بها القرآن الكريم .

أما القسم الثاني من الكتاب الذي يعنى النقاد الأدبي ، فقد أوضح فيه المؤلف كثيراً من القضايا التي يحاول البعض أن يقحمها على لغتنا العربية مما هو مختص ببعض اللغات الأوروبية .

فمثلاً بين لنا الأستاذ العقاد في موضوع « الزمن في اللغة العربية » أن لغة الضاد ليست عاجزة ، وأن أجروميته ليست ناقصة حين جعلت الزمن « النحوي » ثلاثة أنواع ، على

يحتوى هذا الكتاب الذى قام بتحقيقه الدكتور إحسان عباس الأستاذ بجامعة الخرطوم ، على أربع رسائل لابن حزم .
الاولى فى الرد على ابن النغريلة اليهودى فى افتراءاته على الإسلام ، والثانية فى مناقشة فقهاء المالكية ومجادلتهم ، والثالثة أسمائها : التلخيص لوجوه التخليص ، وهى رد على أسئلة متفرقة والرابعة فى الرد على الكندى الفياسوف .

وفى الرسالة الاولى لم يكتف ابن حزم - كما يقول المحقق بالرد على مفتريات اليهودى ، الذى ألف كتابا فى نقض القرآن ، ووصل فى الأندلس إلى مرتبة الوزير فى عهد ملوك الطوائف ، ومات قتيلا من جراء تسلطه على الإسلام ، لم يكتف ابن حزم بالرد على أضراليه ، وإنما كان يشفع كل رد بنقد لاذع لإحدى مسائل التوراة لافتنا نظر اليهودى إلى أن بيته من زجاج ، وفى القسم الثانى من الرسالة ناقش ابن حزم بعنف جانباً بما أسماه الطوائف ، التى وردت فى كتب يهود .

وفى الرسالة الثانية : ناقش ابن حزم فقهاء المالكية ، والخصومة بينهم وبينه كانت دائماً على أشدها فطالبة ابن حزم بإلغاء : القياس والرأى والتقليد ، لم تكن تعنى سوى إشعال حرب شعواء لا هوادة فيها — كما يقول الأستاذ المحقق .

هذا ولم تخش المطبعة مقام الأستاذ العقاد ، فغيرت بعض الكلمات تغييراً قد يعده من يتقصى الهفوات خطأ مقصوداً . فقد ذكر المؤلف فى ص ٣٣ - ٣٤ بعض آيات من القرآن الكريم وأن موسيقاها وافقت بعض أوزان الشعر . وقد ذكر هذه الآيات كمنادج للبحور : الطويل والمديد والبسيط والكامل والخفيف والرمل ، على التوالى — وهذا هو الترتيب الطبيعى للأنواع الاولى من البحور العروضية ، وقد ساق الآية الثانية مثالا لبحر المديد وهى : « إن قارون كان من قوم موسى ، على حين أنها من بحر الخفيف وتقطيعها : إن قارو — فاعلاتن . ن كان من — متفع لن . قوم موسى — فاعلاتن . فيكون هذا المثال مكرراً كنموذج للخفيف مع هذه الآية : « وتوكل على العزيز الرحيم » .

وبعد : فالكتاب قد أنار السبيل أمام الباحثين فى الثقافة العربية الأصيلة العميقة ، وأمدهم بأسلحة علمية ، ونظرات صائبة حين يتعرضون للرد على « دعاة الهدم المستترين وراء كلمات التقدم والتجديد ... ولا خير فى دعوة يتولاها العجز العميق والضعينة السكراء .

دكتور عبد الله درويش

١ - الرد على ابن النغريلة اليهودى لابن حزم ونشر دار العروبة بالقاهرة .

هذا عرض موجز لرسائل ابن حزم الأربع قام بتحقيقها الدكتور إحسان عباس ، وقدم لها بمقدمة تمهيدية بلغت أكثر من أربعين صفحة ودلت على سعة علم الدكتور وعنايته العناية التامة بما التزم تحقيقه ، والحق يقال : إن لهذه المقدمة تقديرها لدى كل مشقف مطلع ، وقد بذل المحقق جهداً مشكوراً عليه ، واستطاع أن يقدم لنا عقلية إسلامية ناضجة . إلا أن الدكتور ، لم يعن بتحقيق الأعلام التي ورد في الكتاب ، ولهذا أهميته كما هو معروف ، كما لم يعن بتوضيح معان وردت كما عني بتفسير قليل من الالفاظ العسيرة ، وكنا نود بعد ذلك أن تنال الرسائل الثلاث الأخيرة ما نالتة الرسالة الأولى من العناية في تحقيقها .

٢ - شعراء نجر المعاصرون :

للأستاذ عبد الله بن إدريس : المؤلف من خيرة أدباء المملكة العربية السعودية ، ومن يحتلون مكاناً قيمياً بين أدباء الطليعة هناك ، وكتابه هذا والذي يقع في أكثر من ثلثائة صفحة من القطع الكبير ، كتاب جديد في فكرته ، وأعتقد أنه الكتاب الأول من نوعه . قدم له يبحث تمهيدى مسهب ، عرض فيه

وفي الرسالة الثالثة : التلخيص لوجوه التخليص ، فهي خلاصة للاستقصاء في البحث والقدرة على الوضوح والوعى والدقة وفهم أحوال الدين والدنيا ، وجاءت دراسة لمسائل على جانب من الأهمية ، تناولت الكبائر وهل تتفاضل ، ومتى تسكفر ، ومتى ترجى النجاة للإنسان ، وهل هناك شفاعاة ؟ كما تناولت قضيتين أخريين : الأولى قضية تنزل الخالق إلى سماء الدنيا — كما ورد في الحديث المشهور — ومناجاته لعباده أن يطلبوا منه سبحانه الغفران ، وأقر ابن حزم هذا الحديث .

والقضية الأخرى : قضية الفتنة التي عمت بلاد الأندلس الإسلامية يومئذ من جراء مطامع الحكام وشهواتهم ، واعتبر ابن حزم هؤلاء محاربين لله ورسوله وساعين في الأرض فساداً .

أما في الرسالة الرابعة ، فقد تولى ابن حزم مناقشة الكندي الفيلسوف في كتابه والتوحيد ، وهي الرسالة التي كتبها الكندي في الفلسفة إلى المعتصم بالله العباسي ، وهذه الرسالة المنسوبة إلى ابن حزم مضطربة السند إلى درجة أن المحقق استبعد نسبتها إلى ابن حزم ، وغلب نسبتها إلى أستاذ ابن حزم ، محمد بن الحسن المذحجي ، إلا أن ابن حزم قرأها وزاد عليها بعض تعليقات من لدنه .

على نحو جديد من البحث « السيكولوجي »
للعوامل الاجتماعية والأحداث ، والمؤثرات
الإنسانية التي ساعدت على تطور الشعر
في نجد ...

ونحن نقف مع المؤلف وقفة سريعة هنا :
فالأستاذ عبد الله بن إدريس ترجم لأكثر
من عشرين شاعراً معاصراً ، وقدم مجرد دراسة
سريعة خاطفة لشعرهم من الجانب النفسي
للشاعر ، ولكنه لم يقدم لنا نقداً فنياً
متكاملاً البناء لهذا الشعر ، وبذلك تأتى الدراسة
كاملة ناضجة ..

كما أن المؤلف الأديب في معظم القصائد
لم يعن بشرح الالفاظ العسرة ، كما لم يوضح
اتجاهات الشاعر في ما قصد من المعاني .

والإلفاة الأخيرة ، أنه قدم نماذج لبعض
الشعراء جاءت كلها مديحاً مصطنعاً ، وتزلفاً
رخيصاً ، وقد يعتذر ، بأنه لم يحصل على إنتاج
لهم سوى هذا ، وهو عذر مقبول ..

وبعد : فالكتاب مع هذا وذاك سفر
له قيمته ، وحسبه من التقدير أن يكون مرجعاً
يتيم في هذا الموضوع ، إلا أننا كنا نود
أن يسبق هذا الكتاب كتاب عن شعراء نجد
منذ العصر الجاهلي إلى ما قبل العصر الحديث ،
فيصبح لدينا مرجع متكامل له أهميته ..

* * *

للشعر ونشأته وتطوره ومركز نجد في الشعر ،
 ووضع نجد تجاه النهضة العربية ، كما عرض
للشعر المعاصر واتجاهاته في نجد ، لاسيما
الاتجاهان : الرومانتيكي والواقعي .

واحتل بقية الكتاب وهو القسم الأكبر
منه ، تراجم للشعراء المعاصرين ، ونماذج
من أشعارهم ، وإلقاء أضواء لتحليل شعرهم ،
وفي مقدمة هؤلاء : ابن عثمين ، وخالد
الفرج ، والأمير عبد الله الفيصل ، وناصر
أبو أحيمد ، ومحمد الفهد العيس . . وغيرهم .

ذكر المؤلف في المقدمة أنه حين فكر
في الكتاب وضع نصب عينيه : أن الشعر
المعاصر في منطقة نجد يكاد يكون مجهولاً كل
الجهالة ، ومطموراً في مآهات النسيان من
قبل القراء والمثقفين في العالم العربي ، وأنه
مضطر « إلى أن يسلك هذا الدرب شبه
المعلق عسى أن يتهدى فيه إلى ميدان التجمع
العربي - فكرياً - ومن ثم يعبر الطريق
رواد آخرون ... » .

وهذا قول صدق ، وقد بذل المؤلف جهداً
كبيراً مضنياً ، حيث لم تكن هناك مراجع
ذات أهمية يمكنه الاعتماد عليها ويعتبرها
مصادر لبحوثه .

إلا أن المؤلف وعد في المقدمة نفسها ،
بدراسة ما يقدمه من نماذج للشعراء المعاصرين ،

٣ - الفقه والتصوف :

للعلامة : عبد الحميد الزهراوى

هذه الرسالة هى العدد الرابع والعشرون من سلسلة الثقافة الإسلامية التى تصدر بالقاهرة ، والعلامة الزهراوى ليس بجهولا ، فهو من زعماء النهضة السياسية والفكرية فى سوريا فى أوائل هذا القرن ، وكانت معارضته العنيفة للسياسة الديكتاتورية هى التى وضعت حبل المشنقة حول عنقه فى دمشق ..

وعقلية العلامة الزهراوى من أنضج العقليات الإسلامية ، وأشد ما قسوة على الجود الفكرى والتزمت الدينى ، والأضاليل التى ألصقت بالإسلام زورا وبهتاناً .. وهذه الرسالة الموجزة قسماً :

قسم تناول فيه قضية التقليد ومحصا تمحيصا دقيقا ، فعرض التقليد هزيلا لمهلل الثياب ، وأعلن عليه حملة شعواء أنت عليه .. ولم تذره إلا هشياً .

وقسم تناول التصوف ، ناقش فيه ماهية التصوف ، وأوضح أن هناك فى مجال التصوف صادقين وكاذبين ، والصادقون من المتصوفين هم من التزموا آداب الشرع ووقفوا عند حدوده .

وكان فى كلا القسمين : عالماً متعمقا جريئاً فى الحق ، وليس هناك من مأخذ على أسلوب الرسالة إلا المبالغة فى العنف والإسراف

فى التهم ، وربما كان العصر الذى كتب فيه هذه المناقشات العنيفة أهلاً للمبالغة فى العنف ، والإسراف فى التهم ، ويخفف من وطأة هذا المأخذ - إن عد مأخذاً - أن العلامة المؤلف رحمه الله ، لم يكن فى مناقشته خطيباً أو واعظاً ، وإنما كان عالماً فاضلاً وأستاذاً جليلاً .

٤ - المستقبل للمسلم :

للأستاذ أحمد عبد الجواد الدوى

فى هذا الكتاب تحدث فضيلة المؤلف عن بشارة التوراة والإنجيل برسالة محمد صلوات الله عليه ، وعن مكة وموقعها الجغرافى الذى أهلها لأن تكون مصدر الإشعاع والنور للعالم كله ، وعن زحف الإسلام المقدس فى شكل زهاء ستين غزوة وسرية ، ورسائل إلى ملوك العالم من رسول الله تحمل فى طياتها الهداية والنور .

ثم حدثنا المؤلف عن أسباب تخلفنا وأبرزها : الكيد للإسلام ، والترف والاستبداد ، وكذلك حدثنا عن تربع حضارة الغرب على عرش العالم بعد غروب شمس الإسلام وتخلف قطاره عن خطه الحديدى المرسوم له ، وفى نهاية الكتاب حدثنا عن حال المسلمين اليوم وما صارت إليه ، ثم دعا إلى ثورة على ما نحن فيه من جمود ..

وقد دفع المؤلف إلى وضع هذا الكتاب ، منازعات أدبية شتى انقسم فيها الكتاب إلى شيع وأحزاب .

أما ما أسهم فيه المؤلف من هذه المنازعات فهى قضايا : العامة والفصحى وكان أن وقف بجانب الفصحى بكل ما أوتى من قوة ، ثم قضية الشعر : الحر والموزون ، وكان أن وقف بجانب الشعر الموزون أيضا ، ورد على القائلين بالتجديد ، فالتجديد يجب أن يتناول القالب لا الجوهر ، ثم قضية المصطلحات العلمية ، ويرى المؤلف ، أن هذه المصطلحات من القضايا التى يحلها الزمن فهو الكفيل بإقرارها ليأخذ منها السمين وينبذ الغث ، ثم قضية قواعد اللغة ودعا إلى الأخذ بيدها لتحل مكانها فى أدبنا وصحافتنا وإذاعتنا ، وتناول الكتاب بعد ذلك قضايا أخرى : كالحروف اللاتينية ، والالتزام فى الأدب ، والأدب الواقعى ، وانحراف رسالة النقد والترجمة والمسرح .. وما إلى ذلك .

والحق : أن الكتاب دراسة عميقة لها قيمتها ، وقد أثار بالطبع كثيرا من الأقلام ، إلا أننا كنا نود : أن لا تخلو بعض دراسات هذا الكتاب من تقديم نماذج مما نال منه قلم المؤلف ، كما كنا نود أيضا أن يكون واضحا جليا رأى المؤلف فى كل موضوعات الكتاب التى تعرض لها ، لا فى بعضها كما حدث .

محمد عبد الله السمره

هذا ملخص سريع لكتاب الأستاذ الدومى : ونحن مع المؤلف بتحفظ فى معظم ما تعرض له من موضوعات تلبس عواطف القارى ، ولكن الذى أود أن أتساءل عنه :

هل هناك أدنى صلة لهذه الموضوعات بمستقبل الإسلام وهو عنوان الكتاب ؟ .

نحن لانرى أى مانع من أن يتعرض المؤلف لماضى الإسلام وحاضره ولكن فى إيجاز وتركيز ؛ ليكون ذلك أساسا يعتمد عليه فى تخطيط منهج لمستقبل الإسلام .

أما الكتابات الثائرة الملتقطة من هنا وهناك ، ثم اختيار عنوان عاطفى مثير ، ثم بعد ذلك يلتزم شمل الموضوعات على هذا العنوان فيصبحان معا كتابا ، فهذا ما لا يرضاه الكاتب نفسه ، ومع ثقتنا بغيرته المخلصة للإسلام ودعوة الإسلام ...

٥ - قضايا الفكر فى الأدب المعاصر :

للاستاذ الأديب وديع فلسطين المؤلف أديب لامع واسع الثقافة ، تعرفه سائر الصحف العربية . ظل أمداً أستاذاً بالجامعة الأمريكية وله دراسات شتى فى الأدب وقضاياها .

وكتابه هذا إسهام منه فى معارك الرأى التى يراها : « معارك سليمة العاقبة تفضى فى ختام الأمر إلى نفع الأدب ودفعه » .

أَنْبَاءُ الْأَزْهَرِ

الرئيسي يشكر شيخ الجامع الأزهر:

تلقي فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر برقية من السيد الرئيس جمال عبد الناصر ردا على برقيته بمناسبة عودته من السودان هذا نصها:

فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته - وبعد: فقد كان لبرقيتك المتضمنة أجل المشاعر وأصدق التهانئ بمناسبة عودتنا من رحلة السودان أحسن الوقع، وإنا نرجو أن يوفقنا الله جميعا إلى ما فيه جمع كلمة العرب ورفع راية العروبة حتى يتحقق ما نرجوه لها من عزة ومجد.

ويسرني أن أعرب لكم عن أخلص الشكر مقرونا بأطيب تمنيات الصحة والهناء.

جمال عبد الناصر

إسلام صوفي في المكسيك:

واستقبل فضيلة الأستاذ الأكبر بمكتبه السيد / توماس باريو جبرائيل الكاتب

الصحفي المكسيكي الذي طلب أن ينطق بالشهادتين أمام فضيلته. ولما سأله فضيلته عن سبب رغبته في اعتناق الإسلام أجاب بأنه يرغب في ذلك لأنه تبين له أن الإسلام دين المساواة والعدل والحرية وذلك بعد دراسة وافية لمبادئ الإسلام وتعاليمه. وإزاء ذلك سمع منه فضيلة الأستاذ الأكبر الشهادتين، وصار بذلك مسلما، وغير اسمه إلى: عبد الكريم باريو جبرائيل.

الأستاذ الأكبر يستقبل وكيل هيرشولم:

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر بمكتبه مستر هرنان تيفارس دى سا - وكيل الأمن العام للأمم المتحدة للإعلام، ومستر أولاف ريتير مدير مكتب الأمم المتحدة للإعلام بالقاهرة والأستاذ على خليل نائب مدير مكتب الأمم المتحدة لهذا المكتب.

وبعد أن رحب بهم فضيلته قال: إننا نشكركم على هذه الزيارة وأحب أن أؤكد أن الناس يفضلون الحديث في شئون الاقتصاد أو الاجتماع أو غير ذلك

فقال الأستاذ الأكبر : كما أن على الأمم المتحدة ألا تعمل من أجل دولة معينة أو من أجل صالح الدول الكبرى فحسب ، بل يجب أن تعمل لصالح الدول الصغرى قبل الكبرى ، وهذا ما تقرره المبادئ الإسلامية .

فقال الزائر : إن هذه المبادئ هي بالفعل مبادئ الأمم المتحدة التي تحاول أن تضع الأمور في نصابها كما قلتم فضيلتكم ، ولقد كان الأمين العام للأمم المتحدة يبحث موضوع الدول المتطلعة إلى الحرية منذ وقت قصير فقال فضيلة الأستاذ الأكبر : إن الأزهري لينتظر منكم نتائج طيبة تعود على العالم أجمع بالخير والرخاء . وعندما تحقق الأمم المتحدة ما وعدتم به وما تعد به الأمم المتحدة فإنها تستحق الشكر من الله والناس .

فقال السيد الزائر . إنه ليسرني أن أسمع هذا الحديث الذي يعبر عن شعوركم وشعور الأزهري نحو الإنسانية ، وقد تحقق لي أن الأزهري أقدم جامعات العالم يفيض بالتوجيه والإرشاد .

ومما هو جدير بالذكر أني قد تعلت في جامعة أنشئت في القرن الرابع عشر ، وكنت أظنها أقدم الجامعات ، فإذا بي أجد الأزهري أقدم منها بمراحل .

وقد أهدى الأستاذ على خليل نائب مدير مكتب الأمم المتحدة للإعلام — فضيلة الأستاذ الأكبر ثلاث مصاحف باللغات العربية والانجليزية والأسبانية .

ولكنني أفضل الحديث في شئون إسعاد البشرية . فهمة الأمم المتحدة إنقاذ الضعفاء وإعطائهم حقوقهم ، ولقد أوتيت الأمم المتحدة القوة لذلك ، وواجهها أن تعمل في أسرع وقت ممكن لرد حقوق الجزائريين والفلسطينيين إليهم ، وأن تعمل على وضع الأمور في نصابها أيما كانت ، إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها .

فرد السيد الزائر قائلا : إنني لأشكركم أعظم الشكر أن أتحمم لنا هذه الزيارة التي تؤكد مدى قوة الحكمة التي تنبع من الأزهري وعلى رأسه فضيلتكم ، ثم أضاف : وسيسرني أن أبلغ ما ذكرتم للسيد الأمين العام للأمم المتحدة وهي مهمة عظيمة ، ويسعدني أن أستمع الوحي والتوجيه من المعاني التي أفضتم بها لنا ، لنخدم بها الإنسانية .

فقال فضيلة الأستاذ الأكبر : إنني لأعتقد أن رسالة الأمم المتحدة مستمدة من رسالة الأديان جميعا ، وقد عرض القرآن الكريم لمبدأ الأمم المتحدة فقال : « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغى حتى تفي . إلى أمر الله » .

فقال الزائر : إن الأمم المتحدة تحاول أن تحقق هذا المبدأ الإسلامي النبيل ، وستعمل على تحقيق ما صورتم للإنسانية من مبادئ إسلامية سامية .

الأستاذ الأكبر وزير تجارة الصومال:

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر في مكتبه السيد دكتور شيخ عبد الله محمود وزير تجارة الصومال يرافقه السادة الحاج عبدو وحسين عمر وياسين عبد الرحمن ومحمد علي فارح أعضاء في البرلمان الصومالي والسيد محمد حاج حسين والسيد علي محمد فارح. كما يرافق الوفد السيد عبد الحميد الشوربجي. المستشار التجاري بالصومال والسيد صفوت أباطة بالثشون العامة بوزارة الاقتصاد .

وقد رحب بهم فضيلة الأستاذ الأكبر قائلا . إنا ليسرنا أن نستقبل إخواننا الصوماليين في الأزهر مركز الإشعاع الروحي الذي يشع على المسلمين في جميع أنحاء العالم بالعلم والهداية ونرحب بأعضاء الوفد الكريم لا باعتبارهم ضيوفا بل باعتبارهم منا ونحن منهم ، يجمعنا الدين الإسلامي الحنيف واللغة العربية ، والكشفاح من أجل الحرية والاستقلال . فالمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ، وكاليدن تغسل إحداهما الأخرى ، فنجن معكم كاليدن تغسل ما بكم وأنتم تغسلون ما بنا .

إننا نرحب بكم والأزهر جميعه يرحب بكم فلقد اتصل الأزهر بالصومال اتصالا وثيقا

من زمن بعيد ، فالأزهر يوفد العلماء ليعلموا أبناء الصومال ويرشدونهم إلى خير دينهم وديانهم ، والصومال يرسل أبناءه إلى الأزهر ليتعلموا ولينهلوا من منهله ليعودوا وقد تفقهوا في الدين يحملون رسالة الأزهر السامية وينشرون الثقافة الدينية بين مواطنيهم فيلتي بذلك العلم والتعليم ويرتبط البلدان ارتباطا وثيقا يجمع بين القلوب والأهداف .

ويسرني أن أعلن لكم أن عدد الأساتذة الموفدين إلى الصومال الآن ثلاثون وعدد الطلاب الصوماليين الذين يدرسون في الأزهر واحد وستون طالبا في مختلف كلياته ومعاهده وقيم هؤلاء الطلاب بمدينة البعوث الإسلامية بجانب إخوانهم طلاب هذه البعوث الذين يمثلون أكثر من خمسين جنسية يفسدون من جميع أنحاء العالم الإسلامي ويعاملهم الأزهر بعناية فائقة عناية أبوية كريمة لا يفرق بين إقليم وإقليم ولا بين طائفة وطائفة ، وإنما الكل سواء عماده في ذلك قوله تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، » « واتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون » .

فهذا رباط مقدس يربط بين المسلمين الشقيقين برباط قوى بجانب الرباط الإسلامي الوثيق الذي يجمع بين القلوب على تباعدها .
« فرد السيد الزائر قائلا : إني باسم

التي تتعلق بطلاب الملايو الذين يدرسون بالأزهر . والطلاب الذين يستقبلهم الأزهر للدراسة في جامعته ومعاهده .

وقد شكر السيد / الوزير فضيلة الأستاذ الأكبر على عناية الأزهر بطلاب الملايو ، وعلى سعة صدره لاستقبال كل من يوفد لتلقي العلم بالأزهر .

فقال الأستاذ الأكبر : إن الأزهر يهتم اهتماماً كبيراً بجميع الوافدين من الطلاب ليدرّسوا في الأزهر وهو لا يميز بين جنسية وجنسية بل الكل سواء . ثم شكر الوزير على زيارته للأزهر . ودار الحديث في جو ودي خالص . ثم أهدى كلا منهما مؤلفاته .

الوعدة الطبية تكرم مديرها السابق :

أقام أطباء وموظفو الوحدة الطبية بالأزهر حفل تكريم في فندق شبرد للسيد الدكتور حسن أبو السعود مدير الوحدة السابق . وحضر الحفل نيابة عن فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، الأستاذ الدكتور محمد ماضي المدير العام للأزهر . وألقى كلمة الأطباء وموظفي الوحدة السيد / الدكتور يوسف عيد مدير الوحدة .

ثم ألقى الدكتور حسن أبو السعود كلمة تحدث فيها عن فكرة الوحدة وتاريخ إنشائها ومراحل تقدمها فقال :

الوفد الصومالي وباسم الحكومة الصومالية وباسم الشعب الصومالي أجمع نقدم للأزهر الشريف وشيخه خالص تحياتنا وتقديرنا .

فالأزهر هو الذي يمثل الإسلام في جميع أنحاء العالم وإننا لمسرورون أن تزداد الروابط بين الأزهر والعالم الإسلامي وخاصة الصومال . ونحن إذ نشكر لفضيلتكم هذه الحفاوة والتكريم ليسرني أن أحمل لفضيلتكم تحيات مواطني الصوماليين شاكرين لكم جهودكم في سبيل نشر الثقافة بين أبنائهم .

ومما هو جدير بالذكر أن بعثة الأزهر الدينية قد اتجهت إلى الإقليم الشمالي بالصومال - ذلك الإقليم الذي كان يحتله الانجليز - اتجهت البعثة لتثقيف أبناء الصومال هناك ، ولإيجاد روابط ثقافية متينة معه .

وزير التربية والتعليم في المطربو :

واستقبل فضيلة الأستاذ الأكبر بمكتبه السيد / أنثى عبد الرحمن بن حاجي طالب وزير التربية والتعليم بالملايو يرافقه السيد / سفير الملايو بالقاهرة .

وقد دار الحديث حول النواحي الثقافية

وأفخر بمحبته فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ
محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر .
والسلام عليكم ورحمة الله ؟

دكتور

عن أبراهيم

مهندس سنغالي :

شكلت لجنة لاختيار الطالب المهندس
عبد الله ديون السنغالي الذي وفد من السنغال
للدراية في الأزهر ، وبعد اختباره ومعرفة
مستواه العلى .

قررت اللجنة أن الطالب المذكور عنده
استعداد خصب وعناية ملحوظة بالدراسات
الإسلامية على وجه يمكنه من نفع المسلمين
في بلاده وزيادة معارفهم الإسلامية .
وقد هنأ فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ
الجامع الأزهر بالدرجة العلمية التى تضمنها
تقرير اللجنة المذكورة . وأصدر فضيلته
شهادة بذلك هذا نصها :

« رفع إلينا السيد الأستاذ الدكتور محمد
البهى - مدير الإدارة العامة للثقافة الإسلامية
تقريراً يتضمن رأى اللجنة التى كونتها المشيخة
لاختيار الطالب المهندس عبد الله ديون
السنغالي الجنسية ، ومعرفة مدى مستواه
العلى وفهمه للإسلام وقدرته على إرشاد

فى الأسبوع الأول من إسناد المشيخة إلى
فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر
المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرزاق - عليه
رحمة الله - أمرنى بإنشاء دار لعلاج طلاب
الأزهر الشريف .

فكان هذا الأمر أحب إلى من كل متاع
فى الدنيا . إذ وافق ما كانت تصبو إليه نفسى ؛
لاعتقادى أنها أشرف رسالة أسندت إلى
لخدمة طلاب الجامعة الأزهرية .

وبعد أن ذكر مراحل التطور والتوسع
التي مرت بها الوحدة بفضل إخلاص القائمين
عليها وتعاونهم قال :

ولن أنسى تلك اليد الكريمة والأريحية
الممتازة والتضحية التى لا تقدر التى مدت
إلينا من أساندة طب جامعة القاهرة وأساتذة
طب جامعة عين شمس ، فبايديهم جميعاً ويد الله
معنا أمكننى أن أقوم بهذه الرسالة ولولاكم
لتعثرت فيها .

فهذه الوحدة الطيبة هى بحق مستشفى
الجامعة الأزهرية أتركها أمانة فى أعناقكم
وقد شرحت طريقى فى السير بها وبموظفيها
فسيروا على بركة الله إلى الإمام وظل قائد
ثورتنا جمال عبدالناصر وفقه الله ، وفى رعاية
صديق والذى وصديق الذى أعزى بصداقته

المسلمين إلى أحكام دينهم عن طريق التعبير باللغة العربية .
والوحدة الإسلامية المسكينة بنشر الثقافة الإسلامية وتعاليم الإسلام .

وبناء على ما تضمنه ذلك التقرير من أن اللجنة تقرر أن الطالب عنده استعداد خصب وغاية ملحوظة بالدراسات الإسلامية على وجه يمكنه من نفع المسلمين في بلاده وزيادة معارفهم الإسلامية - بناء على هذا كله نهى الطالب المذكور بالدرجة العلمية التي تضمنها تقرير اللجنة المذكورة ونبارك له فيها .

داعين المولى سبحانه أن يشد أزره بما لديه من معلومات في الإسلام وتعريف إخوانه المسلمين بأحكامه .

ونسأل الله له التوفيق .

ثم استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر السيد أحمد ألتو مرة أخرى بمناسبة مغادرته القاهرة ليشكر فضيلة الأستاذ الأكبر على حديثه على أبناء الفيليبين وإندونيسيا وتايلاند والملايو .

ثم شكر الأستاذ الأكبر على عناية الأزهر بطلاب الفيليبين الذي قبلهم الأزهر للدراسة فيه والذين يربو عددهم على المائة . ثم أشاد سيادته بجهود وزارتي الأوقاف والخارجية على ما قدمته كل منهما من عون وجهد أثناء إقامته بالقاهرة وأضاف أنه يدعو لفضيلته بالصحة وطول العمر حتى يتم رسالته كشيخ للأزهر يجمع المسلمين على رباط الدين

ثم خص سيادته بالشكر سيادة الرئيس جمال عبد الناصر على كرم ضيافته ، مشيداً بما يبذله سيادته للإسلام والمسلمين من جهود موفقة ، مؤكداً بأن الرئيس جمال عبد الناصر هو المثل الأعلى لقواد العالم بما حققه للجمهورية العربية المتحدة خاصة والعروبة والإسلام عامة من وحدة وقوة .

فقال فضيلة الأستاذ الأكبر : إنني بالأصالة عن نفسي وبالنيابة عن الأزهر الشريف هذا المعهد العتيق الذي يحمل تعاليم الإسلام وينشرها في آفاق العالم الإسلامي - نشكركم على روحكم الطيب وحبكم للدين والمسلمين عامة وعلى جهودكم التي لا تدخرونها في سبيل الأخذ بيد المسلمين بالفيليبين ، ندعو الله أن يكثر من أمثالكم ليكونوا خير قدوة لبلادهم ولدينهم كما ندعوهم أن يشد أزر المسلمين جميعاً ليحولوا دون أعمال المستعمرين لبذر بذور الفتن بين أبناء الإسلام الذين هم في حاجة إلى مثل هذا الغيرة على الدين .

ثم أضاف فضيلته : ولو أن زعماء المسلمين تنهوا إلى ما يفعله السيد/أحمد ألتو لنضجت بذلك أفكارهم وقاض وعيهم القومي بالقوة المانعة من الانحلال والتفكك .

الاسلام والحياة ومفهوم الانسان :

ثم قال فضيلته : إن الأزهري له ما يزيد على عشرة قرون ينشر تعاليم الإسلام ، ومن المؤسف أن يقال : إن الإسلام ليس فيه إلا الصلاة والصوم ، ولكن الإسلام يتصل بكل مقتضيات الحياة لقد عرض القرآن للثروة النباتية ، والثروة الحيوانية ، والثروة الجبلية والثروة البحرية وهذا كله يحتاج إلى فهم وتمحيص وتأمل . لقد زعم المستعمرون أنهم أصحاب فكرة حقوق الإنسان ، ولكن الإسلام جاء بها منذ أربعة عشر قرناً ، أما حقوق الإنسان عندهم فتبدو في الجزائر وفلسطين والكونغو وغيرها .

واعتقد أننا لو اتجهنا للقرآن وما فيه من أحكام فإيا نستغنى بذلك عن معونة الغربيين ، وغيرهم ، كما اعتقد أنه إذا صلت رءوس الزعماء في كل مكان وقادرا الشعوب إلى الحق فلا بد أن ينبض الإسلام ويكون كما كان في زمن محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام .

فقال السيد الزائر : هذا هو الإلهام الذي تلهمون به شعب الفيليبين والذي يدفع المسلمين هناك لدعوتكم لزيارتهم في أقرب فرصة ، وسترون بأعينكم مدى لهفتهم إليكم وشوقهم إلى اللقاء بكم ، وإنى لأدعو الله أن يمنحكم

الصحة والقوة لتحقيق هذه الزيارة المرتقبة .

ثم تطرق الحديث إلى دور الجمهورية العربية المتحدة وقائدها جمال عبد الناصر في نشر الوعي القومي بين جميع الشعوب وخاصة الشعوب المسكخة المتطلعة إلى الحرية - فقال السيد أحمد ألتو : إن الجمهورية العربية المتحدة منذ قيام ثورتها العظيمة وهي تكشف قناع الاستعمار وتفضح ألاعيبه في كل مكان .

فقال الأستاذ الأكبر : إنها ثورة طيبة بيضاء ، قامت دون إراقة دماء ، فهي لم تهدم وإنما بنت ، إنها حدث عظيم وما قام بعدما من أحداث عظيمة في العالم أجمع إنما هو امتداد لها وسير على نهجها .

ثم أضاف أن الفضل في ذلك يرجع إلى الإخلاص والإيمان الذي يتمتع به الرئيس جمال عبد الناصر فهو غيور على وطنه ومواطنيه ، بل غيور على الحرية في جميع أنحاء العالم . وهو على استعداد للتضحية في سبيل إيمانه وغيرته . ونرجو أن يقتدى به قواد العالم في كل مكان وبصفتي شيخ الأزهري أعاهد الله على التضحية في سبيل الدين ونصرته كما أعاهدكم على ذلك أيضاً ، هذا هو عهد الله بيني وبينكم ، ثم وضع يده في يد السيد الزائر قائلاً : إن أرواح الرسول وأصحابه الآن ترفرف فوق رؤوسنا تبارك عهدنا وجهودنا - ثم تلا

الضعفاء من الأقوياء ، وأنا بدورى أريد أن أطمئن إلى أن كل ذلك تهتم به الأمم المتحدة وأحب أن أسمع أنها قد أخذت بيد الشعوب المتطلعة إلى الحرية وآتت لأهل الجزائر وفلسطين والسكونغو بحقوقهم كاملة غير منقوصة .

إن الدماء تسيل بغير وجه حق ، بينما يمثلو الأمم المتحدة وافقدون صامتين . لمصلحة من هذا الصمت . إنهم إخوانكم فى الإنسانية نخذوا بأيديهم والله معكم .

ثم وعد فضيلته الزائر بأن يسجل حديثنا بمناسبة يوم الأمم المتحدة .

هذا - وقد شكره السيد الزائر على ذلك ، ثم قال : إن الأمم المتحدة تعلم جهودكم فى سبيل السلام ولذا فإنى قد أتيت اليوم تلبية لرغبة الأمم المتحدة فى أن تذكروا هذا الحديث الهام لأبعثه بدورى إلى السيد السكرتير العام للأمم المتحدة .

ثم انصرف شاكرًا لفضيلته حسن استقباله على أن يعود لأخذ الحديث المذكور .

قوله تعالى : والعصر إن الإنسان لئى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ، ثم قال بلغ إلى إخوانى فى الفيلبين تحياتى إلى أن أراهم بنفسى .

مدير مكتب الأمم المتحدة :

كما استقبل فضيلته مستر أولاف ريتير مدير مكتب الأمم المتحدة للأعلام فى القاهرة والذي طلب من فضيلته أن يذيع حديثًا على العالم بمناسبة يوم الأمم المتحدة يوم ١٠/١٢/١٩٦٠ - وذلك لما عهده من فضيلته من حرص على نشر السلام فى أنحاء الأرض .

وقد رحب به فضيلته ثم قال : إننا نرجو أن تعمل الأمم المتحدة على إراحة الشعوب من الآتين الذى نسمعه من الشعوب التى يحتم على صدورها الاستعمار .

ثم أضاف أن الإسلام يهتم بحقوق الإنسان ويدعو إلى التراحم وتعميم السلام فى جميع أرجاء العالم وأن يطمئن كل إنسان على حقه فى الحياة الحرة الكريمة كما يدعو إلى إنصاف

بريد الحجامة

في ذكرى ابن تيمية :

كتب الأستاذ طاهر الطناحي كلمة بهذا العنوان في عدد شهر ديسمبر من مجلة الهلال عارض فيها إقامة مهرجان على الشيخ الإسلام ابن تيمية وبني معارضته هذه على الأسس الآتية : —

(١) أنه كان يقول في الله بالتجسيم مستشهداً برواية ابن بطوطة في رحلته .

(٢) أنه كان يطعن في الصحابة بنسبة الخطأ إليهم .

(٣) أنه كان ينتسب لمذهب الإمام أحمد مع تحلله من هذا المذهب .

(٤) أنه كان يعتبر المحلل ممنوعاً شرعاً والطلاق الثلاث بلفظ واحد طلاقاً واحدة .

(٥) سجن عدة مرات لانهاكه بالزندقة كععارضته تفسير القدر وأسماء الله الحسنى .

(٦) وهناك فلاسفة مسلمون أولى منه بهذا المهرجان وهم أسبق منه ولم يطعن أحد عليهم ، ونقول في الرد على الأول :

إن ابن بطوطة كاذب في روايته كما كذب في كثير من فصول رحلانه أو وهم . أو

روى إشاعات يزعم أنه رآها . وليس ابن بطوطة بالحجة في هذا المقام للطعن في إمام ملأت رسائله وفتاواه أقطار الدنيا ، وكلها تنادى بعكس ما يزعمه ابن بطوطة . وكلام ابن تيمية في كتبه ورسائله المخطوط منها والمطبوع أقوى حجة وأولى بالآخذ به في تزيف إشاعات موهومة يرددها أمثال ابن بطوطة وابن حجر الهيتمي وزاهد الكوثري وأمثالهم ممن نصبوا أنفسهم وأوقفوها لحربه والتشهير به وحسب الكاتب الفاضل أن يرجع إلى رسالة ابن تيمية في تفسير (قل هو الله أحد) وكتابه في (فضل قل هو الله أحد) . وفتاواه الكبرى المطبوعة في الهند وهي في دار الكتب المصرية وفي مكتبة بلدية الإسكندرية في عدة مجلدات ضخام . ومجموعة الرسائل والمسائل في مجلد واحد طبعة دار المنار ومجموعة الرسائل الكبرى في عدة مجلدات طبعة القاهرة وكتاباً تليذه الأول وصنو حياته وثمره عليه الإمام الفقيه شمس الدين ابن قيم الجوزية ، الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمجسمة والمعتلة ،

أو برهان من كتاب محكم أو سنة متبعة فكان يرد عليهم بأن كل إنسان يؤخذ من قوله ويرد عليه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن الصحابة غير معصومين فما بالك بمن بعدهم ممن هم أقل درجة وعلماً منهم وأن عمر بن الخطاب أخطأ في كذا وكذا . . . وأن علياً أخطأ في كذا وكذا وليس معنى ذلك أن ابن تيمية بغض من مقام عمر أو على أو يوهن من شأنهم ارضى الله عنهما وإنما يضع كل امرئ في المقام الذي ينبغي أن يوضع فيه بلا تقديس ولا كهنوتية ولا ادعاء العصمة إلا لصاحب الرسالة العظمى صلى الله عليه وسلم

ونقول في الرد على الثالث :

إن ابن تيمية لم يكن حنبلياً بمعنى أنه أحد أئمة المذهب وإنما كان مذهب أحمد هو المدرسة الأولى التي تخرج على يدا أئمتها وعلماؤها وليس ملزماً بأن يتبع حرفية ذلك المذهب ، ومذهب أحمد باعتباره آخر المذاهب الأربعة فهو أقرب إلى استيعاب أكثر الأحاديث التي رويت عن الأئمة الذين سبقوه ومن هنا كان أقرب المذاهب إلى السنة والدليل للنقل ، ولكن ابن تيمية ينادى بعدم التقليد والاختصاص من الكتاب والسنة مباشرة (وطبعاً هذا موجه للعلماء من أتوا وسائل الاختصاص المباشر من الكتاب والسنة) ويقول بالرجوع إلى الدليل وتحري الحق في النص ويخالف

ود اجتماع الجيوش الإسلامية في الرد على — المجسمة والمعطلة والجهمية — والجهمية هم أتباع جهنم بن صفوان القائلون بالحلول والمجسمة هم القائلون بما ينسب زوراً لابن تيمية : الأمر الذي نصب رضى الله عنه نفسه لمحاربه . والمعطلة هم القائلون بتأويل الصفات وعدم اتباع السلف في فهمها والتسليم بمدلولها والمراد من الله تبارك وتعالى . لأن الأسماء لها مسميات تختلف عن مسمياتها بالنسبة للخلوقات ، فكلمة عالم وحكيم وقادر ألفاظاً يشترك فيها المخلوق مع خالقه ولكن مسمياتها بالنسبة للخالق تبارك وتعالى تختلف عن مسمياتها بالنسبة للمخلوق لأنها بالنسبة للمخلوق مقيدة محدودة متناهية ولكنها بالنسبة للخالق جل وعلا مطلقة لا متناهية ولا يمكن تأويلها أو تفسيرها تفسيراً يبعدها عن حقيقة معناها الذي أراده الله تعالى .

ونقول في الرد على الثاني :

إن ابن تيمية كان يحارب البدع والضلالات والأوهام التي دخلت في الإسلام على يد من ترجوا خزعبات الفرس ووثنيات اليونان وهرطقات الهنود وكان يزود عن الإسلام ويحضر الناس على اتباع الصحابة ورجال الصدر الأول وكان يحث على إجلال الصحابة وتوقيرهم وكان يجد أمه قوماً يؤمنون بعصمة مشايخهم ويقلدونهم تقليداً أعمى بلا دليل

الإسلام الحافظ المعاصر لابن تيمية ابن حجر
العسقلاني ، د وهو طبعا غير ابن حجر
الهيثمي .

أما معارضته تفسير القدر وتفسير الأسماء
الحسنى فهو كلام مردود لأنه لا يقوم على
سليم من الاطلاع على كتب الشيخ ومؤلفاته
وهي طائفة بالتفسير المعقول الواعى لآيات
القضاء والقدر وفى ذلك من فلسفة الإسلام
ما يجعل ابن تيمية أعظم درجة وعلما من
أولئك الفلاسفة الذين استعاروا الفلسفة من
علوم اليونان والهند أما ابن تيمية ففلسفته
من صميم الإسلام ، على أنه يذبح فى هذا
المقام التفرقة بين الفلسفة الإسلامية وفلسفة
الإسلام لأن الأولى هى كل ما قام به علماء
وفلاسفة المسلمين من نشاط فى ترجمة ونقل
واعتقاد ما رددوه عن أرسطو وأفلاطون
وجورجياس ويديبا وغيرهم ، أما فلسفة
الإسلام فإن إمامها الأول أحمد بن حنبل
الذى امتحن فى معركة خلق القرآن على عهد
المأمون وأكبر أتباعه هو أبو العباس بن تيمية
الحرانى الدمشقي الذى قال فيه الحافظ الذهبي :
« فى ميزان الاعتدال فى نقد الرجال ، وكل حديث
لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث ، » والذى قال
فيه طه حسين ما مؤداه ، « كان ابن تيمية إذا
إذا تكلم فى فن يظن أنه لا يعرف غيره من
عمقه وطول باعه ومع ذلك كان يعرف كل شىء
وأخيراً ينبغى قراءة كتاب « شفاء العليل

مذهبه إذا كان الدليل مع غيره ، وينظر
إليه بعين التقدير والإكبار لسفوف غايته
وحرصه واجتهاده .

ونقول فى الرد على الرابع :

من الذى قال إن هذا المحلل جائز فى الإسلام ،
إن الأحاديث الواردة فى تحريمه لا تخص
وحسبك ما ورد فى السنة عن النى صلى الله
عليه وسلم « لعن الله المحلل والمحلل له ،
وما ورد من وصفه » الحديث المستعار ،
أما الطلاق ثلاثا بلفظ واحد فإنه طلاق
واحدة عند جمهور العلماء وهو المفهوم من
نصوص القرآن والسنة وهو المأخوذ به فى
قانون الأحوال الشخصية عندنا اليوم ويكاد
الإجماع يتعقد على ذلك ، فليس هذا برأى
تفرد به ابن تيمية وليس هذا بعيب فى مذهبه
حتى يعد صارفا عن إقامة المهرجان المزمع له .
أما سجنه وامتحانه واضطهاده فليس ذلك
بالأمر الذى يعاب عليه ، وإنما هذا عيب
عصره المتأخر الضارب فى ظلمات الجهالة
بحكامه وقادته . ومفخرة ابن تيمية أنه ظهر
فى عصور الممالك وعصور الانحلال والوجود
والتأخر والجهل فكان نائراً بمعنى الكلمة
وكان جريئاً لا يخشى لومة لائم فيما يؤمن به
ويعتقد أنه الحق . ولسكى تعرف مبلغ أثره
فى عصره والثورة التى أحدثها اقرأ كتاب
« الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة » لشيخ

وهو ضوابط وقواعد منظومة ليست على روى واحد واعلمها في اللغة والنحو .
ونظم الفوائد رجز في النحو ، نثره ابن مالك في كتابه الفوائد فهو أصل للفوائد كما أن الفوائد أصل للتسهيل .

في حاشية الحضري ١ - ١١ قال ابن رشد ونظم رجزا في النحو عظيم الفائدة تستعمله المشاركة ثم نثره في كتابه المسمى بالفوائد النحوية والمقاصد المحوية ثم صنف كتابه المسمى بتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد تسهلا لذلك الكتاب وتكميلا .

٤ - ذكر الأستاذ أن الكتب الآتية من المخطوطات وهي من المطبوعات فالكافية الشافية طبعت بمطبعة الهلال بالفجالة سنة ١٩١٤ وشرحها لابن مالك طبع مع حاشية ياسين بفاس سنة ١٣٢٨ هـ في جزئين كبيرين .

وكتاب الإعلام في مثلث الكلام طبع في القاهرة سنة ١٣٢٩ هـ مع تحفة المودود في مجلد واحد .

وذكر الأستاذ أن كتاب شواهد التوضيح والتصحيح طبع بالهند سنة ١٣١٩ هـ وأقول إنه طبع بمصر أيضا بتحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي سنة ١٩٥٧ م .

محمد عبد النحاس عيسى

في القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، لابن قيم الجوزية وهو صورة حية من عقيدة أستاذه شيخ الإسلام المجدد المصلح أبو العباس تقي الدين ابن تيمية ، وكتبه ؟

محمد مجيب الطبعي

* * *

تعقيب على مقال :

١ - ذكر الأستاذ الدكتور أحمد بدوي أن لابن مالك منظومة واوية في المقصور والمدود .

وقصيدة ابن مالك في المقصور والمدود قصيدة همزية من بحر الطويل بدأها بقوله .
بدأت بحمد الله فهو سناء
وللنطق منه بهجة وبهاء
وختمها بقوله :

وأسأل لى عفوا ونيل جوارهم
غدا فإلى ذا سارع السعداء
وهي مطبوعة بالقاهرة سنة ١٣٢٩ هـ .

٢ - قال الأستاذ عن لامية الأفعال :
وهي منظومة لامية من بحر البسيط في أربعة عشر بيتاً .
وأبيات اللامية ١١٤ - أربعة عشر ومائة بيت .

٣ - عرف الأستاذ كتاب نظم الفوائد بقوله :

مجرد راية الإسلام والشيعة :

نشرت مجلة راية الإسلام التي تصدر عن مدينة الرياض مقالا شديدا عن الشيعة وجهه كاتبه ابراهيم الجبهان إلى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر باعتباره داعيا إلى التقريب بين المذاهب الإسلامية ، ولم يراع الكاتب فيما كتب آداب البحث ولا أخلاق العلماء ولا مصلحة المسلمين وأثار عاصفة من الغضب والاستنكار بين علماء الشيعة فردوا عليه في مجلة (العرفان) واحتجوا على الحكومة السعودية أن سمحت بنشر هذا المقال المفرق فكان من أثر هذا الاحتجاج أن جاءنا هذا التصريح :

صرح مصدر سعودي كبير لفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر بأن ما نشر في العدد الخامس من مجلة راية الإسلام التي تصدر في الرياض حول الشيعة بقلم ابراهيم الجبهان لا يمثل رأى الحكومة أو جهة ما في المملكة السعودية ، وأن كاتبه ليس سعوديا ، والمجلة لا تمثل رأى الحكومة ولا غيرها فيما تكتب وأنه قد لفت نظر القائمين على تحرير المجلة في حينه وعدم تكرار مثل هذا ووجوب الحرص على ما يجمع كلمة المسلمين .

ابن يعقوب وديار :

نعلم كيف أثبت ديكارت وجود نفسه فقد

قال : « أنا أفكر فأنا إذن موجود » .
وبالأمس كنت أقرأ في شرح ابن يعيش على مفصل الزخري فوقفت فيه على قوله « ألا ترى أنك إذا قلت : (عديمي) فعناه علمتي غير موجود . وحال أن تعلم شيئا وأنت غير موجود ، لأنك إذا علمت كنت موجودا وصحته على الاستعارة ص ٨٨ ج ٧ فأنت ترى أن ابن يعيش المتوفى سنة ٦٤٣ هـ سبق ديكارت الذي عاش سنة ١٥٩٦ - ١٦٥٠ م إلى الشعور بالفكرة التي قام عليها عمود من أعمدة الفلسفة الحديثة .

بغداد - عامر مصطفى

والفرق أن ديكارت فيلسوف بني على فكرته مذهبا وابن يعيش نجوى كان يناقش تركيبا بعينه . ولكن الفيلسوف والنحوى وقعا على فكرة واحدة وهي أن علم الإنسان الشيء أو التفكير فيه دليل على وجوده .

إلى الأستاذ محمد علي النجار :

١ - تقول كتب النحو من صغيرها إلى كبيرها أن يميز العدد من ثلاثة إلى عشرة حقه أن يكون جمعا مثل سبع ليلال وثمانية أيام وخمسة آلاف ، فما بالنا نقول : ثلثمائة وخمسمائة بإفراد لفظ مائة وهو تمييز العدد ولم نقل ثلثمئات وخمسمئات كنص القاعدة وكما تقولها في الآلاف وما وجه العلة في جمع الآلاف دون المائة .

٢ - وتقولون إن ألفاظ العدد من ثلاثة

تقطعها التوجات الاثيرية عند ما تسير مدة يوم واحد .

لقد أثبت العلماء منذ زمن ليس بالقريب أن هناك كمية ثابتة طبيعية لا تتغير بتغير الأزمان وهذه الكمية الثابتة هي سرعة الضوء

والتي يبلغ مقدارها ٣٠٠٠٠٠ كيلومترا في الثانية وهي سرعة التوجات الاثيرية بكافة أنواعها سواء أكانت تلك تموجات ضوئية أو تموجات حرارية أو تموجات كهربائية أو غير ذلك مما وصل إليه العلم الحديث .

والآن نحسب المسافة التي تقطعها هذه التوجات ذات السرعة الثابتة (٣٠٠٠٠٠ كيلومترا في الثانية) إذا ما سارت مدة يوم واحد .

اليوم = ٨٦٤٠٠ ثانية .

* المسافة التي تقطعها التوجات الاثيرية عندما تسير بسرعتها الثابتة لمدة يوم واحد .

$$= ٣٠٠٠٠٠ \times ٨٦٤٠٠ \text{ كيلومترا}$$

$$= ٢٥٩٢٠٠٠٠٠٠٠٠ \text{ كيلومترا}$$

ومن الناحية الأخرى نحسب المسافة التي يتمكن الإنسان من قطعها في زمن مقداره ٠٠ ألف سنة عندما يسير بسرعة معلومة .

لقد تواجدت في حياة الإنسان سرعات مختلفة، فهناك الحيوانات التي تمكن الإنسان من استخدامها في ترحاله منها البطيء ومنها السريع، وهناك المخترعات الحديثة كالسيارة

إلى عشرة تكون على عكس المعدود في التذكير والتأنيث، فما قولكم في قوله تعالى : من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها حذف التاء من عشرة مع إضافتها إلى الأمثال واحداها مذكر وما تعليل ذلك ؟ .

٣ - وقلتم إن لن حرف وضغ للنفي المؤبد، فإذا كان ما قيل صحيحا فما لي أقرأ في كتاب الله قوله « فلن أكلم اليوم أنسيا » فأرى كلمة اليوم في الآية جاءت بعد النفي بلن فأفسدت القاعدة، ولو كانت لن لتأييد النفي لما كان هناك موجب لتقيد هذا النفي باليوم . وكذلك أقرأ قوله تعالى « ولن يتمنوه أبدا » فأراني متحيرا في إيراد لفظ أبدا بعد لن، ولو صح ما قالوه من تأييد النفي بلن لكان لفظه أبدا تكررارا لا داعي له . وحاشا لكلام الله أن يخضع لأحكامكم .

محمد ابراهيم

مدرس لغة عربية

اليوم الذي يساوي خمسين ألف سنة : قال تعالى « تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » .

أراد الله سبحانه وتعالى أن يبين في هذه الآية الكريمة أن المسافة التي يمكن للإنسان أن يقطعها في مدة خمسين ألف سنة (إذا ما سار بسرعة معلومة) تعادل المسافة التي

وباعتبار المسافة المقطوعة في الساعة الواحدة هي ٦٠ كيلو مترا كما أوضحنا .

• المسافة التي يقطعها الإنسان في مدة ٥٠٠٠٠ سنة .

$$= ٦٠ \times ٤٣٢٠٠٠٠٠ \text{ كيلو مترا}$$

$$= ٢٥٩٢٠٠٠٠٠٠ \text{ كيلو مترا}$$

وهكذا يتضح أن المسافة التي تقطعها التمجلات الأثرية في يوم واحد فقط تساوي المسافة التي يقطعها الإنسان بفرض أنه تمكن من السير لمدة خمسين ألف سنة بالسرعة المعلومة التي توصل إليها .

محمد عبد الرحمن سيد فهمي

مهندس بمشروعات السكة الحديد

مول كتابه المصنف :

جاءتنا ثلاث كلمات في التعقيب على ما نشره الأستاذ محمد رجب البيومي في العدد الأخير من مجلة الأزهر عن كتابه المصحف الكريم بالرسم الحديث : الأولى من الأستاذ حسام الدين القدسي يؤكد الفكرة ويحتم قوله برأى للبرحوم الشيخ حسين والى في كتابه (الإملاء) ص ٤٩ قال فيه : ولو كتبنا القرآن بخطنا المستعمل الآن خرجنا من العهدة وقفنا بالأمر أحسن القيام ، كمن كلف شيئا ففعل خيرا منه ؛ لأنك قد علمت أن الخط الحاضر أحسن مما كان عليه من

والقطار والطائرة والصاروخ وما سوف يستحدثه الإنسان من مخترعات .

ولكن السرعة التي نريد أن نعتبرها مقياسا لحسابنا يجب أن تكون كما أوضحنا سرعة معلومة ، ويجب أن تكون أيضا معروفة لدينا سواء في زمننا الذي نحياه الآن أو في زمن نزول القرآن الكريم ، فالقرآن الكريم صالح لكل زمان ومكان .

هذه السرعة التي نريد أن نعتبرها مقياسا لنا هي سرعة الخيل والتي كانت أقصى سرعة تمكن الإنسان من الوصول إليها أيام نزول القرآن الكريم وليس من المنطوق أن نعتبر سرعة الطائرة مثلا مقياسا لحسابنا فإن الطائرات لم تكن موجودة أيام نزول القرآن الكريم علاوة على أن سرعتها غير محددة فإنها تزداد بازدياد تقدم العلم

والسرعة التي وصل إليها الإنسان باستخدام الخيل هي ٦٠ كيلو مترا في الساعة .

ولنحسب المسافة التي يقطعها الإنسان إذا ما استخدم الخيل وسار بها لمدة خمسين ألف سنة .

وباعتبار متوسط عدد الأيام للسنة الهجرية والميلادية هو ٣٦٠ يوما .

$$= ٥٠٠٠٠ \text{ سنة} = ٣٦٠ \times ٢٤ \text{ ساعة}$$

$$= ٤٣٢٠٠٠٠٠ \text{ ساعة}$$

على أن التغيير قد حصل فعلا في الصدر الأول ، فإليك تلك الأدلة ، وسرى أنها في واد والدعوى في واد آخر .

يقول الأستاذ : إن المصحف الإمام لم يكن به نقط ، ولا شكل ، ولا فيه أسماء السور ، ولا أرقام الآيات ... إلخ ونحن إذا علمنا أن أصل الموضوع إنما هو المحافظة على رسم حروف الكلمات كما كتبها كتاب الوحي الأول ، وأن ما ذكره الأستاذ إنما هو من الأمور الشكلية التي لم تمس رسم تلك الحروف في شيء ، نعلم أن هذا الدليل قد انهار من أساسه .

أما قوله عن ابن خلدون إنه : (أفاض لإفاضة مليئة في الدعوة إلى ترك الرسم العثماني) فهو قول بعيد عن الحقيقة ، لأن ابن خلدون فضلا عن أنه أشار إلى عدم المساس بالرسم العثماني حيث قال : (رسمه الصحابة بخطوطهم ، ثم اقتنى التابعون من السلف رسمهم فيها تبركا بما رسمه أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، وخير الخلق من بعده ، المثلقون لوحه من كتاب الله ، اقتنى التابعون الصحابة كما يقتنى في هذا العهد خط ولي تبركا ويتبع رسمه صوابا وخطأ وأين نسبة ذلك من الصحابة فيما كتبوه ؟ فاتبع ذلك) . ومعنى هذه الجملة الأخيرة من كلام ابن خلدون أنه إذا كان الناس في العهد الأخير يقتفون خط الصالحين

الطريقة القديمة التي كانت في زمن الصحابة رضى الله عنهم .

أما الكلمتان الأخريان فمعارضتهما : الأولى للأستاذ عبد الوهاب عثمان يونس من علماء الأزهر ، والأخرى للشيخ محمد السباعي عامر المدرس بقسم القراءات بكلية اللغة العربية . يقول الأستاذ عبد الوهاب عثمان يونس : استولت على الدهشة عندما قرأت في مجلة الأزهر (جمادى الآخرة سنة ١٣٨٠ هـ) أن عالما أزهريا يدعو إلى تغيير كتابة المصحف الإمام في وقت تعرضت فيه الديانات لهجوم عنيف تارة وهمز ولز تارة أخرى .

وإذا كانت هذه المشكلة قديمة قدم الإسلام ، ولدت معه ، وعاشت معه هذه القرون الطويلة . ولم يقتصر الشعور بها على عصرنا الحاضر . فماذا فعل المدرسون السابقون مع طلابهم حتى نجحوا في حفظ القرآن على ما هو عليه ، فليت شعري كيف حل المدرسون الأول من عهد عثمان إلى الآن هذه المشكلة وسهلوا لتلاميذهم حفظ كتاب الله كما أنزل .

ومع أنهم لم يخف عليهم أن صناعة الكتابة وصلت في عصور الإسلام الأولى الذروة في الإتقان . فإنهم لم يقبلوا أن يمس الرسم الذي رضى به كبار الصحابة وأئمة الصدر الأول ، وهم خير رجال هذه الأمة .

أما ما ذكره الأستاذ البيومي من الأدلة

المصحف الإمام ، ملاحظة فيما لاحظته أن الأمم الراقية تحافظ على آثار سلفها وتقديسها ، ومن ذلك أن الشعب الانجليزى مع تغير كثير من كلماته وطرق إملائه عن اليهودى عصر شاعرهم العظيم شكسبير ، فإنه لم يسمح لطابع ما ولا لناشر أن يكتب أشعار شكسبير بغير لغة العصر الذى عاش فيه . لأن شعره أصبح فى نظره مقدسا ، لا يجوز المساس به حتى فى طريقة إملائه ، أفلا يكون أولى بالمسلمين ، بل الواجب عليهم ، وهم يقدسون كتابهم أشد من تقديس الانجليز لشعر رجل عظيم منهم أن يحافظوا على إملائه كما هو ، لما سبق ، واللعنى الذى أشار إليه ابن خلدون فيما تقدم . اللهم وفقنا للصواب ، واحفظ كتابك من التعرض للتغيير والتبديل .

أما الأستاذ السباعى عامر فيستند فى معارضة كتابة المصحف الشريف بالإملاء الحديث إلى أمرين : الأول أن هذا الإملاء الحديث قد يتغير فى المستقبل ، فكيف يكون الحال عندئذ ... ؟ هل يتغير رسم المصحف أيضا فيصبح القرآن الكريم عرضة للتبديل والتغيير ... ؟ أم يبقى على رسمه الإسلامى الحديث - الذى أصبح قديما - فنعود كما نحن الآن ... ؟ أليس من الخير أن نبقى رسم

تبركا ، ويتبعون رسمهم صواباً أو خطأ . فاتباع رسم الصحابة أولى ، لأن منزلتهم أعلى من منزلة أكبر صالح من غيرهم ، فعليك باتباع آثار الصحابة .

ثم بعد كتابة ما تقدم أرشدنى بعض إخوانى إلى ما جاء فى مقدمة تفسير القرآن الكريم لفضيله الأستاذ الجليل الشيخ عبد الجليل عيسى فوجدت فيها : لما رغب كثير من المسلمين فى كتابة القرآن على طريقة الإملاء الحديثة تصدى لمحاربة هذه الرغبة مؤمنون بصيرون بالعواقب . غيرون على قدسية الكتاب الكريم . وكان الصواب حليفهم فى محاربة هذه الرغبة ؛ لأن القرآن هو عمدة هذا الدين ، وطرق الإملاء الحديثة تختلف باختلاف أقطار المسلمين ، بل قد تختلف باختلاف جوانب القطر الواحد ، فإذا فتح باب كتابة بالإملاء الحديث ، تسرب له ما تسرب للكتب السابقة من التحريف والتغيير ونال من قدسيته ما نال من قدسيته ، فأثر فى قيمتها الدينية والعلمية .

وقد يحسن ألا نغادر هذا المقام قبل أن نسجل لفئة نيملة بدرت عن محكمة استئناف مصر منذ أمد ليس بالبعيد ، نقلها إلينا رجلى فاضل عن الأستاذ على منصور المستشار بمجلس الدولة ، تلك هى أن المحكمة حكمت بمصادرة مصحف كتب بما يخالف إملاء

المصحف كما كتبه الصحابة والمسلمون من عهد عثمان إلى الآن . ٩٠ .

والامر الثاني : هو إسقاط رأى ابن خلدون الذى استدل به الأستاذ البيهقى . فإن ابن خلدون ليس حجة فى القراءات ولا فى علوم القرآن . وقد وضع ابن خلدون أسسا للتاريخ فى مقدمته ثم نقضها فى تاريخه . على أن رأى ابن خلدون فى إجازة رسم المصحف بالإملاء الحديث يعارضه رأى الأئمة الأعلام من كبار الصحابة والتابعين وغيرهم . وليس رأى ابن خلدون نديداً لرأى هؤلاء جميعا ، ولا هو خيرا منهم . بل هم خير منه .

ثم يقول الأستاذ السباعي - وهو كفيف - : وقد أشرت فى كتابي « الألفية فى اللغة الانجليزية » إلى ما يوجد فى هذه اللغة من الخلاف بين ما يكتبونه وبين ما ينطقون به بقولى : أما بنو جرجمى فليس يغلب

توافق بين الذى قد يكتب لديهم وبين ما به لفظ بل يكثر الخلاف حسب ما حفظ من ذاك قولهم « ونس » ، فحقق فإن دى فى الخط لافى المنطق ودنايت ، « ورايت » قد زيد فى كليهما إمسا وحى فلتعرف وربما تلقاه فى الختام كإل ولم فى الميم ثم اللام

ومثله « آر » ، « وإن » فى الراء والنون ، هكذا يراه الراى والاسم قد يخلو من المسمى

كاد لإتش ، فى الهاء وقيت الغما إلى أن قلت :

وإن ترد ما شذ عما مرا أرهقتى من عند أمرى عسرا وصادقا تقول ما من قاعدة إلا وأشيا عن حماها حائدة كثيرة مرجعها للصم لا للقياس وصحيح الفهم والمشكلة بعد هذه الأرجوزة الطريفة لا تحل بذكر ما قال العلماء فى هذا الموضوع فإنه معلوم ، والمهم أن نتليس فيما قال العلماء رأيا يميز كتابة المصحف بالإملاء الحديث تسهلا على القارى العادى فإن اطمأنت قلوبنا إليه أخذناه وإلا أغفلناه .

نصويب آيقين بالجزء السابق :

وردت فى مقال الأستاذ محمد درجب البيهقى الذى نشر بالجزء السابق - آيتان محرفتان ونعيد كتابتهما هنا صحيحتين ، والآتان السكريماتان بصفحة ٥٨٨ وهما : « ولا تياسوا من روح الله » ، « أفلم يياس الذين آمنوا » .

لا تظلموا الربيع :

قرأت فى عدد الجمهورية الصادر فى يوم السبت ١٢ - ١١ - ١٩٦٠ تحت عنوان :

أجل كيف نستطيع أن نرى لإنتاج الأدباء في هذه الفترة بالجوهر ، وبيننا اليوم منهم قم لايجرو أحد أن يتطلع إليها أمثال : طه حسين ، والعقاد ، والزيات ، وغيرهم من أئمة الأدب .

ثم لو كان الدين جامدا ، لو قفت تعاليمه ، وتجمدت في جزيرة العرب ، بل في مكة والمدينة ، ولما استطاعت أن تنساب إلى الآفاق البعيدة فتغمرها ، أو بعبارة أخرى : لو كان الدين جامدا لما ظهرت في رحابه حضارتنا الإسلامية بما فيها الأدب - التي سيطرت على معظم دول العالم قرونا عديدة ، وتلذت عليها هذه الحضارات التي تتدله بها تاركين الأصل الذي نبت في ربوعنا . هذا بالنسبة للدين عامة ، أما بالنسبة لما خصصته بالذكر من سنن الوضوء والزكاة المقدسة . فأسفأ ومعدرة بالنيابة عن هؤلاء الأفاضل الذين درسوا اللغة وقواعدها بسنن الوضوء والزكاة المقدسة ، لقد شرفت اللغة ، وشرفت قواعدها ، إذ درست بسنن الوضوء ولو درست أيضاً بنواقضه ، لثالت من الشرف ما لا يستطيع أن يحققه لها المسرح والسنيما على وضعهما الراهن .

وبعد : فالدين بما فيه من سنن الوضوء والزكاة المقدسة يمد يده بما يسهم في تربية المواطن الصالح ، بما في ذلك المسرح والسنيما .

عبد الله محمد الفرمادي

حديث الأسبوع هذه العبارة : « ويعود توفيق الحكيم بذاكرته إلى السنوات الأولى لهذا المسرح الجديد فيقول : كانت الحركة الأدبية في ذلك الحين : حوالى سنة ١٩٣٠ حركة منفلوطية لغوية جامدة . معظم القائمين عليها من خريجي الجامعة الأزهرية ، الذين كانوا يقرءون الأدب بالدين واللغة وقواعدها بسنن الوضوء والزكاة المقدسة التي لا تقبل النقاش أو الجدل ، وكان من المستحيل على عقلية كهذه أن تقبل أن يؤلف للمسرح . إذ المسرح والتمثيل كانا أشياء ينظر لها على أنها وسائل وضاعة وانحلال . »

وقد حاولت أن أجد لهذه العبارة وجها حسنا أحملها عليه ، فلم أجد ، ولم أستطع أن أفهم منها إلا أمرين :

أولها : أن الحركة الأدبية في سنة ١٩٣٠ كانت منفلوطية لغوية جامدة .

وثانيهما : أن سبب هذا الجود هو الدين الذي لا تصلح فرائضه ولا سننه ولا مثله وأخلاقه أن تكون مادة للأدب المتطور .

وليس من ريب في أن هذين الأمرين يجانبان الحقيقة ، أما الأول : فلأن الأفذاذ الذين خلدوا ذكرهم بما تركوه لنا من روائع في الشعر والنثر ، هم أسانذة سنة ١٩٣٠ وما قبلها ، وكيف نستطيع أن نصف أدب شوقي وحافظ والمازني والرافعي والبشري وغيرهم من أعلام الأدب بالجود .

الفهرس

- صفحة
- ٦٦١ مكثوا الأزهر في إفريقيا الجديدة !
- ٦٦٥ الأستاذ أحمد حسن الزيات
- ٦٦٥ ترجمة المفردات أو العبارات ؟
- ٦٦٧ للأستاذ عباس محمود العقاد
- ٦٦٧ الدولة التي صنعها الإنسان ، والأمة التي خلقها الله
- ٦٧٢ للأستاذ الدكتور محمد البهي
- ٦٧٢ آفة . . . في القرآن الكريم
- ٦٨٢ للأستاذ محمد محمد المدني
- ٦٨٢ ثورة العالم الإسلامي اليوم
- ٦٨٥ له مقهور له الأستاذ أحمد أمين
- ٦٨٥ فتحات القرآن : مسئولية المرء عن إضلال نفسه
- ٦٩١ للأستاذ عبد اللطيف السبكي
- ٦٩١ تطوير الفقه الإسلامي
- ٦٩٨ للدكتور محمد يوسف موسى
- ٦٩٨ الإسلام والحياة للمعاصرة في أحاديث الرئيس
- أيوب خان
- ٧٠٤ للأستاذ محمود الشرقاوى
- ٧٠٤ النحو والمنطق
- ٧١٠ للدكتور تمام حسان
- ٧١٠ إصناف عالم أزهري : التجديد في العروض
- ٧١٦ للأستاذ علي الهامري
- ٧١٦ من روائع الفكر الروحي : أخلاق السكون
- وأخلاق الحركة عند الفيلسوف الفرنسي بروجسون
- ٧٢٠ للأستاذ محمد فتحي عثمان
- ٧٢٠ النظرية العامة للإثبات في الحدود - ٢
- ٧٢٣ للأستاذ محمد عطية راغب
- ٧٢٣ الدعوة بين التجديد والتقليد
- ٧٣٠ للأستاذ عبد الحالق عضية
- ٧٣٠ الإسلام في نيجيريا
- ٧٣٦ للأستاذ عطية صقر
- ٧٣٦ الأزهر في سير أعلامه : سبب بن علي المرصني
- ٧٤٤ للأستاذ محمد رجب البيومي
- ٧٤٤ الخدمات الاجتماعية لطلاب العلم في الإسلام
- ٧٥٠ للأستاذ حسن عبد العزيز نصر
- ٧٥٠ الفقه والقضاء
- ٧٥٣ للأستاذ عباس محمد العقاد
- ٧٥٣ ما يقال عن الإسلام : الإسلام في إفريقيا الشرقية
- ٧٥٧ للأستاذ إبراهيم محمد نجما
- ٧٥٧ مختارات من الشعر القديم والحديث : العابد الثالث
- ٧٥٩ للأستاذ إبراهيم محمد نجما
- ٧٥٩ آراء وأجاديث : زعيم المسلمين في القليلين -
- العلم والفن في نظر الإسلام - واجب العلم
- القوى نحو أخيه الضعيف - تعلم اللغات الأجنبية -
- عادات بين مسلمي القليلين - زواج المسلم بغير
- للسلمة - لا يجوز لكره البنت على زواج لآترضاه
- ٧٦٦ الكتب : عرض لكتاب « اللغة الشاعرة »
- للأستاذ الدكتور عبد الله درويش - الرد على
- ابن النغيلة اليهودي - شعراء نجد المعاصرون -
- الفقه والتصوف - المستقبل للإسلام - قضايا
- الفكر في الأدب المعاصر للأستاذ محمد عبد الله السنان
- ٧٧٤ أنباء الأزهر : الرئيس يشكر شيخ الأزهر -
- إسلام حنفي في لكسميك - الأستاذ الأكبر
- يستقبل وكيل هرشولد - الأستاذ الأكبر
- ووزير تجارة الصومال - وزير التربية والتعليم
- في الملايو - الوحدة الطبية تكرم مديرها
- السابق - مهندس سنغالي يتخرج في الأزهر -
- الإسلام والحياة وحقوق الإنسان - مدير
- مكتب الأمم المتحدة
- ٧٨٢ بريد الحجة : في ذكرى ابن تيمية - تعقيب على
- مقال - مجلة راية الإسلام والشريعة - ابن يعيش
- وديكارت - إلى الأستاذ محمد علي النجار - اليوم
- الذي يساوي خمسين ألف سنة - حول كتابة
- للصحف بالإملاء الحديث - تصويب في الجزء
- السابق - لا تظلموا الدين

The Qur'an advises to behave politely and to hold high characters. God specifies his prophet Mohamed with these qualities. God says : "For thou art of a noble nature. But thou shalt see and they shall see" (Surah, The pen V. 4).

No quality equals this quality in the Qur'an.

It was told in "Hadith" by means of Mohamed Ibn Nasr Al-Marwazy that a man came for the prophet, and stood in front of his face, and then asked him "Oh messenger of God" What is the best quality? Mohamed answered "God temper". Then the man turned to the prophet's right and repeated his question but the prophet gave the same answer, then the man turned to the prophet's left and asked him the same question but the prophet gave the same answer. Then the man stood behind the prophet, and addressed him the same question. Mohamed the prophet, insisted on the same reply turned his face to him and said Don't You understand Good temper!

Then, good temper, according to the Qur'an is the key of many Problems. Ill-natured people fail to succeed in life. They are exposed to failure

due to their insolence, foul mouthedness, and ribaldry.

Some interpreters of the Qur'an consider good temper including great bashfulness, piety, favour, patience, mercy, cheerfulness, and gratitude. The good natured person is one who avoids slander, avarice, envy, and grudge. He hates for God's sake, and loves for God's sake. He becomes angry for God, and becomes contented for God.

The Qur'an advises the people to give the trusts to their owners, and not to delay to accomplish this task.

For this purpose God says, "Verily God enjoined you to give back your trusts to their owners, and when ye judge, between men, to judge with fairness. Excellent is the practice to which God exhorteth you. God heareth, beholds" Surah "The women". V. 58 and others.

In this way the Qur'an is a sacred book above suspicion. That this verily is the word of an apostle worthy of all honour! And that it is not the word of a poet, how little do ye believe! Neither is it the word of a soothsayer how little do ye receive warning! It is a missive from the Lord of the worlds.

with the wind and become unalbe to proceed in the field of civilization, and progress.

The Koran advises the people to take the opinion of one another. It considers counsel the foundation of any prosperous country. The Qur'an asks the Muslims not to bethink one self but be zealous to one's opinion.

God Says "And who hearken to their lord and observe prayer, and whose affairs are guided by mutual counsel, and who give alms of that whith which we have enriched them" "Surah The counsel V. 38".

In this way the people can pick up the threads of a happy life free from personal aim, and individual gluttonies.

The Koran advises the people to fulfil their promises, whether they concern financial debts, or spiritual pledges, or any thing else.

It is a matter of fact that faithless damage friendly relations among the people. Perfidy drags away confidence from the hearts. Treachery creates hatred, abhorrence, and strong aversion instead of amity and friendship.

This vice leads to shatter the means of treatment amongst the people and removes the roots of security and tranquillity.

God says "Verily God enjoineth justice and the good and gifts to kindred, and be forbiddeth wickedness, and wrong, and oppression. He warneth you that haply ye may be mindful.

Be faithful in the covenant of God when ye have convened, and break not your oathes after ye have pledged them, for now have ye made God to stand surety for you. Verily God hath knowledge of what ye do "Surah The Bee V. 90 - 91"

The Qur'an advises us to deal with our parents kindly, and to feel mercy towards them because they enduce to the extreme without complaint for our sake.

This virtue is an universal one which leads the society to happiness and progress, and held in high respect in all the holy books.

God says "Thy Lord has ordained that ye worship none but him, and kindness to our parents whethr one or both of them attain the old age with thee, and say not to them Fie, neither reproach them, but speak to them both with respectful speech, and defer humbly to them out of tenderness and say Lord have compassion on them both, even as they reared me when I was little" Surah "The night journey. V. 22 and others".

God says "Consume not your wealth among yourselves in vain things, nor present it to judges that ye may consume a part of other men's wealth unjustly, while ye know the sin which ye commit Surah The cow" V. 188".

The Qur'an orders the Muslims to take always permission when they enter other houses, and exhorts them to ornament themselves with this virtue because the act of entering a house without permission annoies its tenants, and enable the coming from knowing what the tenants are not ready to appear.

God says "ye who believe! enter not into other houses than your own untill ye have asked leave, and have saluted its inmates. This will be best for you, haply you will hear this in mind" Surah "the light". V. 27 "

The Qur'an incites the people to co-operate with one another, because dispute leads to failure and disappointment.

Contest always scatters the power with which the country can face all obstacles in its way, and soon can get rid of them all. It can remove with the power emerged from co-operation all the difficulties which hinder its progress.

By means of co-operation the

country can attain its patriotic aims, and national hopes. We can extract many examples from the Arab countries strife. Whenever the Arab nations co-operate with one another they are ready to overwhelm thier foes, attain victory and crown their efforts with success.

God orders the Muslims to take the neccssary steps, and precautions against their enemies.

God says "Make ready then against them what force ye can, and strong squadrons wherely ye may strike terror into the enemy of God and your enemy, and into others beside them whom ye know not, but whom God knoweth. All that you shall expend for the cause of God shall be repaid you, and ye shall not be wronged" Surah "The Spoils V. 60".

Thus the Qur'an advises to spend on that purpose without hesitation, or avarice. The Qur'an gives pledges to those who spend to reward them on the day of judgement.

Whenever the country achieve this policy it is held in high respect amongst all the world. whenever the country delay to protect its self, and enables the worms of dispute to gnaw at its bones, its efforts go

VIRTUES FROM THE QUR'AN

. BY

Dr. Gamal Addin Arramadi

Amongst the high Virtues which the Qur'an includes is the Virtue of moderation. The Qur'an incited us to avoid extravagancy, extravagance, parsimony and stinginess.

The Qur'an invokes a curse on the extravagant, and disdains the avaricious. The Qur'an asks the people to be equinox and take the moderate side.

God says "And let not thy hand be tied up to thy neck. not yet open it with all openness, lest thou sit thee down in rebuke, in beggary. (Surah the night journey V. 29).

No doubt that the extravagant person will fall abruptly in a catastrophe, and will be unable to stand up again. The person who expends his money in follies, voluptuousness, corporal desires, will complain soon bankruptcy, poverty, and need,

Extravagant countries are exposed to economic collapses, and corruption.

Not only the miser is liable to lead a miserable life, and prevents

himself from enjoying life, and having its acute necessities, but also he is contemptible everywhere, for his rough aspect, and disdainful attitude.

The Qur'an prohibited the Muslims from giving authority to the foolish to spend money, because they spend it blindly, and without any atom of reason, but with insavity.

The Qur'an considers the money of the foolish among the income of the government, because one who loses one's reason is liable to give the money to the wicked who stop at nothing to use this money for nasty purposes.

For this reason the Muslim government does not hesitate to interdict these people, put an end to their silliness and stupidity, and only gives them what is essential to afford their lives.

The Qur'an prohibits to lay hands on the money of the sane without any right for fear of breaking the civil law, and arousing controversies, and alcrations which lead to vehement litigations.

non-Muslim as long as he makes sure of it.

When we consider the two women as one man in the course of certainly, it does not mean that she is weak in mind. Shaykh Muhammed Abdou says, "Woman has no bearing on Fiscal treatments and commercial exchange. Therefore she is not considered an authority in this field; as for domestic affairs she is more active and mindful than man because such business is suitable to her nature and abilities".

The abovementioned verse was sent in accordance with the nature of women who mostly do not attend buying or selling occasions and who have no interest in commercial businesses. Conversely so long as the verse has been sent as a rule of certainty, then it would be valid and applicable in an environment in which women work in commercial and financial businesses. In such environment judges should consider women on the same footing as men in ascertaining and assuming facts.

Besides. Jurists have stipulated that in some cases, testimony of women only is accepted, and generally these instances are not customarily within man's purview, such as laying, virginity and other

affaires relating to the knowledge of women, while at the same time there are other instances in which the testimony of man alone is accepted.

Further more we do not need to wander in the realms of thought and fantasy when the Quran declares that woman's testimony is like that of the man in the case of any charge of adultery launched by one of the spouses against the other. In this connection it says: "And for those who launch a charge against their spouses, and have (in support) no evidence but their own, their solitary evidence (can be received) if they bear witness four times (on oath) by God that they are solemnly telling the truth. And the fifth oath (should be) that they solemnly invoke the curse of God on themselves if they tell a lie. But it would avert the punishment from the wife, if she bears witness four times (on oath) by God that he (her husband) is telling a lie. And the fifth should be that she solemnly invokes the wrath of God on herself if he (her accuser) is telling the truth" (Sura, 29. Verse, 6 — 9).

This is justice in Islam in distributing the common rights between man and woman, which proves and emphasizes that they are partners in life and humanity in general.

the previous sustenance to maintain her dignity and prestige. The Quran says.

“For divorced women maintenance (should be provided) on a reasonable scale. This is the duty of the righteous”.

As regards the man he is burdened with responsibilities of a great magnitude; he should manage his own life, maintain his children and wife, and should undergo the difficulties and hardships of life. In addition he is responsible for the maintenance of his parents and his poor relatives.

After all, what is man's superiority over woman? He is shouldering the greatest responsibilities from which the woman is exempt. He is shouldering the greatest responsibilities from which the woman is exempt. How fortunate the woman has been placed and how unfortunate man is! This is the foundation upon which Islam has dealt the distribution of shares in respect of inheritance of which the woman is entitled to a half share while the man is allotted a full share. However these considerations are of no relevancy and have no affinity with their partnership in life.

Woman's testimony.

The Quranic verse which says, “And if there are not two men, then a man and two women” Sura 2 Verse

282, has not been revealed to show the way of giving testimony but rather to guide along the straight and certain way whereby the dealers are sure of their preservation of their rights. In this connection the Quran says, “O' you who believe; when you deal with each other in transactions involving future obligations in a fixed period of time, reduce them to writing. Let a scribe write down faithfully as between the parties. Let not the scribe refuse to write: as God has taught him so let him write. . . And get two witnesses, out of your own men and if there are not two men, then a man and two women, such as you choose for witnesses so that if one of them errs, the other can remind her” Sura 2 Verse 282.

The above verse provides the best guarantee and assurance whereby the rights would be maintained. This does not mean that the testimony of a single woman or of many women backed by no man would be disregarded; because the ultimate aim of the law is clear evidence. IbnEl Qayyem, the great scholar, declared that evidence is legally of a wider sense than testimony and that all what leads to truth or reveals secrets is evidence recognised by judges. Therefore the judge considers the unequivocal proof and the testimony of the

the following in support of their contention,

"And who kills a believer by mistake, it is ordained that he should free a believing slave and should pay compensation to the deceased's family". (Surah, 4. V, 92).

It is unanimously agreed amongst all that this verse is both applicable to man and woman alike and hence the compensation payable to a woman must necessarily be the same as that payable to man.

Woman's Inheritance.

There are still many who hold and the opinion that the position of a woman is less than that of the man consequently she is given half of the share allotted to a man in an inheritance. They argue that this share was laid down in the Holy Quran and cite the following in this connection.

"As regards your children's inheritance: to the male a portion equal to that of two females" Sura 4 Verse 11 and "And if there are not two men, then a man and two women" Sura 2 Verse 282.

In fact the share of a woman in an inheritance is not based on the said argument but rather on another basis relevant to the nature of woman and her function in society.

The nature of a woman is such that it necessitates that man should provide the sustenance of his wife, children and poor relatives; that he should also pay the woman's dowry as an expression of his desire to marry her and that the woman should take care of the house, and attend to her requirements such as pregnancy, laying and nursing the children.

In the light of these circumstances it can be noted that it is obvious that the woman is more fortunate than the man when compared to him. Islam prescribes to her an unlimited dowry.

"Even if you had given the latter a whole treasure for dower, take not the least bit of it back" Sura 4 Verse 20.

It shoulders man with her sustenance, including lodging, clothes, servants and all that she unlavishly needs. After being divorced, it ordains man to support her in a manner similar to her Previous marital life during the period of "AL-IDDAAH" (a period of three months of seclusion upon dissolution of a marriage whether by death or divorce to determine the question of any issues being born to her so as to determine the Paternity of the child if born after a dissolution of a marriage). Islam further entitles a divorced woman to a certain sum of money payable by the man in addition to

dealt with in the said verse by prescribing the law of equality and by recommending mercy.

Man and Woman are equal in compensation.

As long as man and woman are partners in life, sharing the same blood; shouldering the same responsibilities and subject to the same punishments or rewards in similar cases, it has been said that the verses concerning the unintentional killing of man should be applied to the unintentional killing of a woman. This is because whoever purposefully kills a man or woman, he shall forever abide in Hellfire in addition to incurring the wrath of God.

However if we refer this case to the Qur'an the Constitution of the Muslims, we will find that the verse dealing with compensation for killing is the same in respect of man and woman. For example the following verse states.

"Never should a believer kill a believer but (if it so happens) by mistake, compensation is due: if one slave kills a believer it is ordained that he should free a believing slave, and pay compensation to the deceased's family". (Surah, 4. V, 93.)

This verse obviously declares that compensation should be paid, in case of an unintentional killing of a

man or woman, to the deceased's family without any distinction between male or female in this respect. However there was a difference of opinion among religious authorities as regards the quantum of compensation payable. The question that was in issue was whether compensation was payable in equal manner to both males and females alike or whether compensation for females was only half of what was payable to males. This question has been reviewed by Imam Al-Razi and he has referred to both views on this matter in his comprehensive interpretation of the Holy Qur'an wherein he says as follows "Many jurists see that woman's compensation is half of what is payable to man". Other Jurists have expressed the opinion that compensation payable to a woman is the same as that payable to man.

The grounds on which those who advocate the payment of half to a woman are that Omar, Ali and Ibn Mas'aud had considered and applied this; further the woman's share of inheritance being half of what man inherited so must it be in the case of compensation which should be payable in the same manner. Those who argue that compensation is payable in equal terms with man state that this was manifest in the Quranic verse previously mentioned and cite

to the same degree as the man as for instance, the following sura says:

"We ordained there in for them life for life" (Surah, 4. V, 48) and "O' you who believe; the law of equality is prescribed for you in cases for murder" (Surah, 2. V, 178).

Therefore the punishment in the Hereafter, for murder, on a woman is the same as that meted to a man.

"If a man kills a believer intentionally, his recompense is Hell, to abide therein (for ever); and the wrath and the curse of God are upon him, and a dreadful penalty is proposed for him" (Surah, 4. V, 93).

In this verse, God, the Almighty has ordained such penalty or punishment according to the quality of faith in which man and woman are undoubtedly partners. The Islamic Legislators, however, agreed amongst each other that this is applicable to men and women alike.

"O' you who believe; the law of equality is prescribed for you in cases of murder; the free for the free, the slave for the slave, the woman for the woman" (Surah, 32. V, 178).

Some readers who have read of the above, perhaps may assume the idea that a man should not be punished by way of the penalty of death for the murder of a woman

and vice versa. There is no doubt that such a misunderstanding would certainly cause an increase of crimes of murder resulting in the extermination of the human being and a serious threat to human society and endanger the existence of the two principal elements, i.e. the male and the female.

In fact the verse is meant to eradicate the custom of the pre-Islamic Arabs who indulged in murder as a mode of revenge or retaliation for the slain and not to build their punishment on the principles of "AL-QUISSAS". It was their custom not only to take revenge against the murderer himself but also against one superior than him. If for example a slave had murdered another slave, apart from the murderer himself, the master of the slave would also face death as a result. If a woman had been murdered by another of the same sex, the revenge will not be limited to the woman who murdered but will be extended to the killing of a man of the tribe to which the woman murderer belonged.

Therefore the revenge will not be limited to the women who actually committed the murder, but would be extended to the killing of a man of the tribe to which the woman belonged.

This pre-Islamic custom has been

not their fathers'affair".

Nevertheless Islam empowers the father and the guardians the right to raise any objection to a marriage if the woman deviates in choosing her husband, or to prevent the marriage when they are absolutely sure of her unwise decision and wrong choice and that she is about to marry a man who is incapable of maintaining her. This is simply because a marriage contract has an affinity with the family affairs; therefore guardians should have some interest in it in order to maintain the dignity and prestige of the family. Thus they are permitted to interfere whether it be by an objection or by prevention, only in so far as the dignity and the prestige are at stake if the contract of marriage was to be performed.

In this respect Ibn El Kayyem has said: "A woman's consent to marriage is ordained by God in Whose religion we believe, and is in conformity with the Hadiths and the Traditions of the Messengers of God and also with his commandments, the principles of the Law and with the welfare of his people. The father has no right to deal with the possessions of his daughter who is mature and sound' no matter how few these possessions may be, unless she appeases; and he is not allowed

to enforce her to spend any trifle amount therefrom unless she acquiesces. Then how could he be said to impose his will and power to foist a marriage on her? It is a well established fact that spending all her possessions is far more easier than imposing the man on her and whom she does not like".

This is the right of the woman in entering into contracts and in dealing with all civil and personal sanctions as laid down by the Quran, the Prophetic Traditions and the origins of Islamic Law.

Man and woman are partners in Life :

In Islam, therefore, we notice that women are obliged to study everything that comes in useful in life for the reason that she is not only held responsible to her self, but also to her family and the society in which she lives. Consequently as a direct result of this urge to seek knowledge, we find that there are in society today amongst women, the scientist, the medical practitioner, the writer, jurist and the devout. This has been attributed to her partnership with man in life and her effect on this partnership has obviously manifested itself in many aspects of Islamic Legislation. It must be noted that she is criminally responsible

"When you divorce women and they fulfil their term of IDDAT (a limited period of seclusion upon termination of a marriage whether by death or by divorce) do not prevent them from marrying their (former) husbands, if they mutually agree on equitable terms" (Surah, 2 Verse, 232).

"There is no blame on you if they dispose of themselves in a just and reasonable manner" (Surah, 2 Verse, 234).

The genuine Prophetic Traditions have stipulated that a woman's endorsement and consent should be obtained for her marriage. Such Traditions made it incumbent for the previously married woman to declare her consent openly while in the case of the virgin girl, it would suffice to express her consent and approval by means such as tacit silence or assent by means of an insinuation, because she is comparatively timid. The Messenger (O. W. B. P.) says: "The previously married woman is more responsible of herself than her guardian but the virgin should be asked opinion and her tacit silence or consent is interpreted as her tacit acceptance".

It is not reasonable or customary that the consent of an individual is considered in the validity of some actions.

As long as the virgin is similar to the previously married woman with regard to her judgment and puberty, it is then illogical to differentiate between both of them such as to enforce the virgin to marry one whom she does not like or to consider her exercise of the marital contract as invalid and void.

Furthermore we find in some books of the Hanafi Sect that the woman has the right to make her marriage contract because she is deemed capable as long as she is sound and mature. Therefore she enjoys an absolute liberty to deal with her money and to choose her husband and likewise. Similarly Al-Bukhari and Muslim, the Traditionists narrate that previously married woman called Khansaa daughter of Gozam was unwillingly married and her father made the marital contract. She came to the Prophet complaining and the Prophet dissolved her marriage.

Abdullah son of Abbas also narrated that a woman slave belonging to Abu Bakr had come to the Messenger of God and told him that her father had forced her to marry against her will; then the Messenger informed her that she was at liberty either to continue her marital life or to divorce her husband. She said: "I have approved what mother had done to me but I only wanted to show women that their marriage is

apparent therefore that the position of the contractual capacity of the woman has been quite lucidly stated by Islam and the woman is treated in the same manner as the man in all contractual relations. We are not aware of any Muslim jurist who has contradicted this attitude in Islam who has conceded that the texts in Islam on this subject relate purely to man and not to a woman.

In conferring this contractual capacity on a woman, Islam has considered as a human being both capable and competent to manage her own contractual obligations since the Western woman in the present civilization and the alleged man's rights have not yet reached the standard of women in Islam and has not enjoyed this human right.

Woman's right in entering into matrimonial contracts:

The subject of the woman's right in entering into matrimonial contracts has been discussed at various times and many opinions have been expressed. One could imagine certain voices that would arise from certain quarters and seek to ask: How could it be said that Islam gives the right to a woman to enter into civil contracts while together with some Islamic Schools, it deprives the right to enter into a

marriage contract for herself or for somebody else? The other question is how does one reconcile this position with that of the right of the guardian of a virgin female to enforce her to marry another without her consent and whom she does not like. There is no doubt that the woman's self is dearer to her than any other material possession, then one is inclined to ask the question as to what would one feel with regard to the deprivation of her right to express her opinion in a matter which concerns her and which is vital to her whole existence in life.

The answer to these questions is that in reviewing the position of women in Islam, we have adhered to the Teachings of the Quran which is the foremost and primary source of Islamic legislation. The Quran grants the woman to make her marriage contract and express her opinion regarding the man she is to be married; and at the same time it warns men from infringing the woman's right in this regard. The following verses will clearly and lucidly give an illustration of the true position.

"If a husband divorce his wife (irrevocably), he cannot, thereafter remarry her until after she has married another husband" (Surah, 2. Verse, 230).

inherit her legal portion on the ground that it has afforded her an opportunity of volunteering in war.

It is a well attested fact that the Prophet (O. W. B. P.) had granted women the same rights as men, with regard to their share of the spoils and held that it was justified in killing any woman who was in the ranks of the enemy's ranks.

Therefore Islam has fixed a portion from the inheritance for women, whether she be a mother, wife, daughter or sister, and detailed their portion according to their cases. In this regard the Quran says: "From what is left by the parents and those nearest related there is a share for men and for women, whether the property be small or large, - a detremined share" (Surah, 4. Verse, 7).

It has blamed the heathens for their shameful attitude towards women as follows : "And they assign daughters for God ! Glory be to Him And for themselves (sons, the issue) they desire. When news is brought to one of them, of (the birth of) a femal (child), his face darknes, and he is filled with inward grief. With shame does he hide himself from his people, because of the bad news he has had ! Shall he retain it

on sufferance and contempt, or bury it in the dust ? Ah ! what an evil (choice) they decide on" (Surah, 16. Verse, 57—59).

The Quran openly declares that both male and femal are a blessing bestowed by God upon His bondmen which ordains them to be thankful : "And God had made for you mates (and companions) of your own nature, and made for you, out of them, sons and daughters and grandchildren, and provided for you sustenance of the best" (Surah, 16. Verse, 72).

Islam thereafter granted every woman the right to enter into contracts and other transactions such as the buying and selling of goods etc. It must be categorically stated that Islam has not in any way violated nor affected the contractual capacity of a woman in the exercise of such transactions after she has shouldered both personal and common responsibilities.

Islam therefore permits her to exercise the right of ownership and possession, and to deal with freely whatever she possesses, to appoint an attorney to act on her behalf in legal proceedings and she exercised the right to guarantee others transactions and enjoyed the right to be guaranteed in her transaction. It is

Prophet, says, "It was the habit of the Prophet to take some women with him in times of war to supply the warriors with water and to nurse the wounded".

However, nursing the sick, healing the wounded and serving the army had been a primitive and easy matter during the reign of the Prophet, but now it has become an intricate and difficult task which requires certain preparation and training. Women, therefore, in order to perform this noble duty would have to study the various methods pertaining to such duties.

In this connection certain Jurists have expressed the opinion that if the nation is attacked, then participation in times of war would be the task of every individual, whether man or woman, in society. The burden of the defence of the nation rests on all irrespective of the fact whether they be man, woman or boy. The following lines will clearly illustrate this point, "God Ye forth, (whether equipped) lightly or heavily, strive and struggle with your goods and your persons, in the cause of God" (Surah, 9. Verse, 41).

This is the first and foremost field in which we find that Islam has decreed that women should participate and cooperate with man. This principle has been drawn up

since the Call of Islam and since the Muslims began to defend their faith. But the present world is experiencing a period of diversity and transition which directly influence all conditions and institutions. Therefore, in order to maintain the dignity of women, if it becomes necessary for her to make her contribution towards the common struggle, we must put her in the proper place which will protect her from any indecency or frivolity, and also from the evil intentions of ill-hearted people who may be members of the army or of the society to which she belongs.

This is a matter which could be easily organised by leaders with foresight and wisdom and who have a sense of honour and who believe that the moral virtues and the immaculate conceptions are the path to prosperity, success and victory.

Woman in the Pre-Islamic Era:

The attitude previously mentioned has been representative of the Islamic view which destroyed the foundations upon which the heathen Arabs had built and adopted their policy of depriving the woman of her right of inheritance under the pretext that she could not defend her motherland. But Islam has annulled this rule and given her the right to

of sound thinking and capable of expressing a considered opinion and wellfounded views.

Teaching of Women.

There is no doubt that the responsibilities which rest on the shoulders of a woman affords her an opportunity and a right to ascertain and study everything that would enable her to perform her obligations that arise from the responsibilities which she is called upon to undertake. She is called upon in the light of these responsibilities, to enjoin justice and forbid evil, and lead a life of piety, righteousness and virtue.

Therefore, Islam has tasked the woman with the knowledge of creeds and worship as well as with the knowledge of the permissible and the forbidden regarding diet, drinks and other activities of life.

We do not recognize any religious distinction whatsoever between man and woman regarding their capacity in performing their religious duties except that the woman is requested to perform her religious obligations prior to the man due to the fact that she reaches the age of puberty before him.

In some instances Islam has exempted women from performing

certain religious duties, but this does not mean that she is incapable of performing these duties but it is rather an indication that Islam aims at mere mitigation to afford her an opportunity to rest calm and pay attention to her household duties and the upbringing of her children. These duties are the performance of the Friday Prayer and the participation in AL-JIHAD (the religious defence) respectively, but if she prefers to attend the congregational prayer or to take part in the war, there will be no restrictions against her doing so.

Participation of Women in War:

This is a caption laid down by the AL-BUKHARI, the Traditionist, in his book which deals with the Prophetic Traditions wherein he narrates that a woman in the age of the Prophet said, "We have fought with the Messenger of God, peace and mercy of God be upon him, we had been giving hand to the warriors, supplying them with water, nursing the wounded and burying the dead martyrs".

Another woman narrates, "I have participated with the Messenger of God in seven battles, looking after their goods, serving their meals, nursing the wounded and the sick". ANAS, one of the companions of the

up to this moment but I think you are no longer his wife". she said "But he has not uttered the divorce formula". The woman continued her discussion with the Prophet which was protracted, until she said " I have little children who would starve if I took them and would be lost if he took them". Then she raised her hands upwards and turned her face towards heaven and said, "O' God : I am pleading to you, I beg of you to reveal a verse concerning my case at the tongue of your Messenger". No sooner had she finished her Petition when the four verses tackling this problem were revealed. In this connection the Quran says.

"God has indeed heard (and accepted) the statement of the woman who pleads with you concerning her husband and carries her complaint (in prayer to God); and God (always) hears the arguments between both Parties amongst you; for God hear and sees (all things)". (Surah, 58. Verse, 1).

These verse are meant to denounce these who address their wives in such terms, to put an end to these fallacies and lies and to declare that AL-ZIHAR (the assimilation of one's wife to his mother) is neither divorce not a cause for separation.

"Nor has He made your wives

whom you divorce by ZIHAR your mother" (Surah, 33. Verse, 4) and "If any men among you divorce their wives by ZIHAR (calling them, mother), they cannot be their mothers; none can be their mothers except those who gave them birth. And in fact they use words (both) iniquitous and false". (Surah, 58. Verse, 2).

Moreover, you could see in the first verse of the chapter of AL-MUGADALAH how God actually elevates the status of women, how he appreciates and respects her opinion, how he makes her an interlocution to the Prophet when He equalizes both of them in his saying, "And God (always) hears the arguments between both sides amongst you", (Surah, 58. V, 1.) and how He legalizes her opinions and makes it an article of the comprehensive and eternal Muslim Law. You would certainly realize that the verses concerning AL-ZIHAR and its injunctions in the Islamic Law as well as in the Glorious Quran, and that the chapter of AL-MUGADALAH are not but natural consequences emanating from women's thought, a divine eternal decree in which we observe throughout a handsome picture of a woman's position in Islam. A woman is not a mere flower whose sweetness a man enjoys but on the contrary she is considered a rational being capable

Hypocrites, men and women, (have undarstanding) with each other. They enjoin evil and forbid what is just, and are close with their hands. They have forgotten God; so He has forgott-en them. Verily the hypocrite are rebellious and perverse. God has promised the hypocrites, men and women, and the rejectors of faith, the Fire of Hell: therein shall thay dwell; sufficient is it for them ; for them is the curse of God, and an enduring punishment ". (Surah, 9 V. 67 - 68 .) .

It is of paramount importance to note that the enjoining of good and the forbiddance of evil is one of the most important responsibilities in Islam in which man and woman are equal. Therefore the teaching of Islam stipulates that the woman should be passive and leave the enjoining of good and the forbidding of evil to man only under the pretext that it is a matter for him alone as he is stronger than her. This is attributed to the fact that man has his own circle and woman has her own, and life can by no means be prosperous unless both of them coordinate and cooperate. If either of them becomes egoist or takes a passive attitude, then life would inevitably deviate from the straight path.

Woman's views in Islam :

Furthermore Islam has raised

the status of women and decreed that in return of her responsibilities, her views, like those of men should be respected so long as they are valid and sound. If Islam attested the views of some men, it also chose some views pertaining to women.

The Chapter of AL MUGADALAH (the woman who pleads) started with four verses which were revealed on the occasion of an event that ocured between a man called AWS son of AL-SAMET and his wife KAWLA daughter of THAALAB. AWS said to his wife, " You are to me like my mother" - it was the habit of the Arabs in the pre-Islamic era that if a man addressed his wife in the said manner, he was not permitted to have sexual reletions with her - and then he invited her to have sexual intercourse but she refused him and said, "By God's name, I would not allow you to contact me sexually, after wat you have said, until God and His Messenger judge between both of us". Then she come to the Messnger of God, on whom be peace, and said, "O' messenger of God, I tell you that AWS married me while I was a desired girl but when I became old and ugly he made me like his mother ; and if you have any solution, O' messenger of God, to this Problem, please say it to me". The Messenger, peace and mercy of God be on him, said, " I have no solution to your problem

female and have faith, they will enter Heaven, and not the least injustice will be done to them". (Surah, 17. Verse, 124).

and He also says "And their Lord accepted of them, and answered them. Never will I suffer to be lost the work of any of you, be male or female: you are members, one of another" (Surah, 32. Verse, 195).

Let us Pause here for a moment and consider what was contemplated by God in the foregoing verse "You are members, [one of another" and how he restrains the superiority of man by making him a part of the woman. Nothing whatsoever could illustrate the sense of equality between man and woman better than the said verse which demonstrates the nature of both of them without any distinction. The Holy Quran refers to that notion in the following words : "To men is allotted what they earn, and to women what they earn". (Surah, 4 Verse, 32).

This is the Islamic Law as ordained by God; the woman is responsible for what she does and the man is responsible for what he does; and neither of them is responsible for the other's sins. God, Glorious be He, says, "God sets forth, for an example to the unbelievers, the wife of Noah and the wife of Lut: they were (respectively) under

two of our righteous servants, but they were false to them (husbands), and they profited nothing before God on their account, but were told, "Enter you the Fire along with (others) that enter". And God sets forth as an example to those who believe, the wife of Pharaoh: Behold she said, "Oh My Lord! build for me in nearness to You, a mansion in the Garden, and save me from Pharaoh and his doings, and save me from those who do wrong".

Woman's responsibility is common and comprehensive.

Thus we have already seen that woman has personal responsibilities towards her religious duties and herself. Yet Islam considers her as having general responsibilities as regards enjoining good, the exhortation to justice, the guidance to virtues and the forbiddance of vices. The Qur'an has openly declared these responsibilities and made the woman similar to man therein. It says, "The believers, men and women protectors, one of another; they enjoin what is just, and forbid what is evil; they observe regular, prayer practise regular charity and obey God and his Apostle. On them will God pour His mercy: for God is exalted in Power, Wise". (Surah, 9 V. 71).

And goes further to state, " The

is in harmony with the necessities of nature. Under Islam the mother is considered the first nurse who brings up the child and nurses him up to a stage after which the father is deemed the second nurse who is responsible for the sustenance and maintenance of his family.

Similarly it stipulates that the money should be earned through just and lawful means and spent reasonably and neither extravagantly nor niggardly. Furthermore it stipulates that the relationship should be on the basis of amity and cooperation without exploitation or subjugation.

Response to the Call of Life.

We note that Islam is the comprehensive answer to the Call of Life and it is the straight path to those who understand it and relate it to its original sources.

Those critics who state that Islam is no longer adaptable to the present needs fall into the following two categories :

(i) Men who received the Islamic teachings from persons who misunderstood it and who strayed from the straight path, and held what they believed in as religion.

(ii) Men who know Islam well

and its values, but who would not accept it due to their inherent prejudices and their bitter antagonism towards it. These persons indulged in unwarranted and fallacious criticism and attributed to Islam a false notion to suit their vicious whims.

It is incumbent upon zealous Muslims to adhere to their old Traditions and to convey the Divine Message to the world. They have to abandon and disregard the age of immitation and to adopt the attitude to progress rather than stagnation. They must re-read the Book of God and the Traditions of the Holy Prophet in order to get a clear perspective and proper understanding of the religion.

Woman is responsible.

Islam holds the woman responsible for her actions; she is considered independent and responsible for her own actions, her religious duties, her family and her society. She enjoys as much responsibility as man and is rewarded for her meritorious deeds as well as punished for her misdeeds. Man's obedience does not accrue to her benefit so long as she deviates from the correct path and similarly his disobedience does not affect her so long as she leads a virtuous, pious and righteous life. In this connection the following words of Almighty God is worthy of note, "If any do deeds of righteousness, be they male or

acquire to realize the virtuous standard of humanity. This is more fully illustrated in the following, "Oh Mankind, reverence your Guardian Lord, Who created you from a single person, created of like nature his mate, and from them twain, scattered (like seeds) are countless man and women" (Surah, 4. V, 1.). And "Oh Mankind, we created you from a single (pair) of a male and female, and made you into nations and tribes, that you may know each other (not that you may despise each other). Verily the most honoured of you in the sight of God is (he who is) the most righteous of you" (Surah, 49. Verse, 13).

The Quranic Teachings give man and woman an honoured place and enjoin their children to bestow kindness towards their parents; "Serve God, and join not any partners with Him! and do good to parents." (Surah, 4. Verse, 36)

The Quran goes further and demonstrates the exhaustive efforts and endeavours and the burden of the mother in bringing up her children and which the father is exempt from, and is aptly described as follows, "And we have enjoined on man (to be good) to his parents! travail upon travail did his mother bear him, an in years twain was his waning" (Surah, 31. Verse, 14.)

The mother's position is further illustrated in the answer of our Holy Prophet (O. W. B. P) when he was asked by a man, "Who deserves my good company?", the Prophet said: "Your Mother". The man repeated "Who is next?", to which the Prophet again replied "Yaur Mother". Once again he asked the Prophet "Who is next?" to which the Prophet again replied "Your Mother". Then the man asked again "Who is next?" to which the Prophet said "Your Father".

Legislation is in accordance with Nature :

What is really meant to be conveyed by the aforementioned paragraphs when the Quran ordained children to show respect to their parents and in particular to bestow kindness upon the mother, is the fact that this is in conformity with the nature of creation, and the nature of women whose hearts are filled with tenderness and sympathy. This is amply demonstrated during her period of pregnancy, and lactation, the early upbringing and care of her children till they reach the age of maturity.

If we compare the Islamic teachings with the nature of creation, we shall find that the Islamic law is based upon a logical reasoning and

without further campaigns mainly based on false pretences as a defence of women's rights. To achieve this they began to propagate their deceptive and base methods to lure women and win them to their side. Furthermore, false doubts have been created in many minds regarding this aspect and inaccurate pictures have been portrayed in many minds as to the real status of women in Islam.

The Western Woman :

Islam in fact, has given woman all good and kept her away from any evil. It has just illustrated what is meant by liberty and to what extent she is entitled to enjoy this liberty and freedom not as conceived by Western civilization. I am quite sure that the Western woman, when she realizes her human nature, would shed tears on the lost prestige, honour and happiness. Any woman, whosoever would certainly realize, sooner or later, that the only shelter to which she might restore and in which she might feel secure and honoured are the divine teachings of Islam whose antagonists are desperately endeavouring to defile or depict Islam as mere fetters enchaining women and depriving her of her natural rights.

In the following pages we shall

endeavour to portray the real position enjoyed by a woman in accordance with the teachings of Islam as laid in the Holy Qur'an with a view to guide people regarding the rights, the injunctions and the status of women and the place accorded to her in society. She is considered as the foundation upon which the edifice of Islamic Society is built, and should her rightful place be in any manner be affected or weakened, then society loses its strength and its integrity.

The origin of Man.

The Holy Qur'an attributes the existence of mankind to the partnership of man and woman, and does not distinguish between them. With the passage of time mankind became grouped into clans, tribes, families and individuals. Accordingly man enjoyed a state ofaternity while the woman enjoyed a state of maternity. The Glorious Qur'an considered this as a blessing bestowed upon man and made it incumbent upon him to be thankful to his Creator and ordained him to be pious, virtuous, righteous and dutiful to God.

To illustrate this point of view, we may state that there lies no distinction between man and woman in humanity. The only distinction which elevates one another is the virtuous characteristics which either of them

THE POSITION OF WOMEN IN ISLAM

by

His Eminence Shaykh Mahmoud Shaltout

Rector of Al-Azhar University

Women in the Quran

The Glorious Qur'an has dealt with Woman's affairs in more than 10 Suras (Chapters) two of which are called the major and minor suras of women, i.e. the Woman's sura and the Divorce Sura. The subject of women has been dealt with in the chapters of the Cow, The Table, The Light, The Confederates, the Woman Who pleads, the woman to be examined and the Prohibition.

This clearly indicates that Islam protects women and affords them a status whereby they enjoy rights and privileges in Islamic society. This status, however, was not accorded to any woman before the advent of Islam, in any divine law or man made society. Nevertheless the position of women in Islam has been the subject of much discussion and one of the most controversial topics. Various opinions have been expressed and some of them for instance, assume that Islam filched her rights,

degraded her status and made her a trivial means of enjoyment at the disposal of men, but the Qur'an says:

"And women shall have rights similar to the rights against them, according to what is equitable"(Surah 2. Verse, 228).

In point of fact the subject has not been discussed in a just and equitable manner but rather viewed with religious bias and prejudices. In other words, it has been looked at with a jaundiced eye.

Personal Affairs :

Among the bitter consequences that resulted from foreign occupation of our land and the Imperialists, systematic inroads our institutions and beliefs has been the rejection by Muslims of the criminal and civil laws ordained by Islam. Nothing was left in the Islamic Law except certain rules governing family and women in particular. Even this remainder of Islamic legislation has not been left

bring their attention to the mistakes before the spread of the opinions and the books.

Had the false Traditions not been available to those who cannot distinguish between them and the true ones, the suspicion about faith could have been limited.

The Fourth Revolution, then, serves one of the Revolution's aims. It is also a necessity in the process of Reformation and in the nature of religion as well as in the responsibility of Al-Azhar.

When this Fourth Revolution matures with its sister, it can cast off the dirt and purify God's Religion from the poison of innovation and sects and

congregations in order that people may imbibe it filtered. Then, such a Revolution will be apt to construct for the Arabs an ideal society which walks on God's path, guided by truth, surrounded by knowledge and conscience. When the construction of such a society is completed, you will not find any longer the evils committed in the governmental departments, nor the catastrophies taking place in the houses, nor the queer characters seen in the streets, nor the shortcomings in our transactions. Therefore the reformers will be pleased to see the harvest of the Revolution, the citizens will be proud of the Nation's status, and the believers will rejoice in the victory granted them by God.

unorganized divided heritage into three sections: the first for interpretation and explaining the Glorious Quran in the light of true Traditions and real science; the second for Traditions, collected from the trustworthy books, assisted in explanation by the sciences of history, sociology, ethics, and philosophy; the third for jurisprudence. This last section will include the right verdicts and true doctrines. The text of this section should be articles like law being explained in legal terms in such a way that it refers to the origin and mentions the branches without interpolation or vagueness.

These three sections will be the subject of study, the reference for judicial purpose, and the source of legal decision. From these three texts, some abridged books may be written for the schools and to be spread among the public. These abridged books can also be translated along with the texts into most of the Oriental Languages as well as into the famous languages of the West and then be sent to every country that knows Islam or desires to know about it.

Except for those writings on the three sections, all the previously written books on jurisprudence, interpretations and collections of traditions should be reviewed and divided

into two categories: those which contain truth may remain in the libraries as references for specialists and historians; and those which contain false knowledge should be done away with as did Othman with every Quran except his own. For, preserving the fabricated Hadiths and false beliefs is very injurious, dangerous and misleading.

I remember that a great scholar, who passed away, presented a thesis in French to the Sorbonne on "The Status of Women in Islam". The writer in his thesis did injustice to the Prophet's characteristics, religion and moral life. When he was disputed, the writer supported his claims by Traditions mentioned in "Tabakat Ibn Sa'ad" and in "Al-Shifa" by Al-Qadi Iyad. When his evidence was rejected because those Traditions were not true, the writer said, "How can I know that such Traditions are not true in view of the fact that I quoted respectable writers and widely read books?".

Every now and then people read different opinions and different books written by such scholars who are misled and deceived by such books. The critics of Traditions most likely do not have the chance to

It is a pity and plague for Islam that, when its people became weak and its sovereignty decreased, many foreign elements penetrated its body to the degree that everyone was able to interpret it to suit his desires

The religious revolution, then, as I mentioned, aims at liberating the mind from the impotent leadership and blind imitation. It also aims at purifying the traditions from the false Hadiths - after that the jurisprudence can be rewritten in the light of the original Islamic sources, Qur'an and true Hadiths to suit the conditions and circumstances of time as well as to face the problems of civilization. Finally, this purified true Islam can be Exhibited in its attractive form and straight style.

That is what should be considered by the Republic in National Planning for the next ten years; for the Constitution's declaration, that Islam is the official national religion, does not make sense unless the effect of religion can be seen in the processes of socialization, education, legislation, and morality.

To execute such a vital policy, no institution can function or perform this duty as efficiently as AL-AZHAR. AL-AZHAR, the radiating centre of Islamic thought and culture, has a unique history, position and capacity,

and is the most capable institution for disseminating the great Message and orienting the big nation. This can be done if Al-Azhar is entrusted with the plan drawn by the Revolution to play the role defined by the General Conference of the National Union, "The Conference - believing in the vital role carried on by the Honourable Azhar in respect of our Holy struggle defending Arabism and our spiritual values - declares its insistence this great Islamic Institute in order that it continues to be the light-house which sends its spiritual and scientific rays to every part of the world. And as to enable it to join the evolutionary movement of our present time, the Conference recommends that AL-AZHAR should be secured the means by which it can become a useful Institute for serving our spiritual and national aims and to liberate our Arabic Nation as well as to materialize its overall unity in the frame of true national conception".

The central core of the Message of Al-Azhar is to reserve the Islamic heritage and purify it from strange beliefs, false doctrines and harmful innovations. After that, Al - Azhar should spread true Islam all over the world via education, writing, translation, and missionary work.

Its means to this end, in my opinion, is to work on collecting this

and those selfish opportunists despite the fact that our nation has improved in the last eight years to the degree that, internationally we are heard whenever we speak, are given when we demand, find the result of our work, and harvest the fruits of our plant in the shade of a democratic regime and socialistic system both of which guarantee the individual as well as the nation the cooperation of each other. A Fourth Revolution, therefore is necessary to function as the intuitive spirit of this threefold one, serving as its guiding ray. This needed revolution is the religious one.

Perhaps the pious taste does not tolerate mentioning revolution beside religion. The connotation of revolution for a long time gave it the meaning, of rebellion, precipitancy, tyranny, persecution and assassination. But the Nasserite revolution - the first of its kind in human history - has changed this old connotation. It now denotes liberation, purification, construction, evolution and reformation, for it did not colour its white page with bloody spots, nor did it cover the black spots of the previous regime with anything less than good manners.

According to this new interpretation of revolution, we need a religious revolution. Religion by nature and definition is a continuous revolution against corruption and evil, and

war against injustice and inequity. As long as those evils exist on earth revolution should continue and war should be declared. All that is needed is to increase the flame of religion and brighten its light in order that our general Revolution may find in its heat a source of strength and in its light the origin of guidance.

The reformer who is chosen, in the series of reformers, to revive what has been forgotten, define what has become vague, and reconstruct what collapsed, is the man who can uncover the word of God and define the message of Muhammad. Such a man realises that corruption in government and in politics, and that feudalism have weakened the religious impulse. Thus, the light of Islam became dark in the conscience of the Muslim whose religion does not resemble that of the early Islamic generations who conquered the world.

Islam today became a strange mixture of old traditions, false sufism, handed-down myths, and alien customs which deceive the believers that Islam is not concerned about this life, and the Muslim is not concerned about material things. Such people think that their superstitious beliefs represent the spirit of religion and lead to the path of heaven and the mercy of God. They do not lack support of some false opinions or fabricated traditions.

OUR THREEFOLD REVOLUTION NEEDS A FOURTH ONE

by

AHMED HASSAN EL-ZAYAT

Editor - in - Chief

The United Arab Republic lives today in a threefold Revolution as its great agitator, Gamal Abdel Nasser truthfully said; a political revolution to provide freedom and stabilize liberation on the basis of unity and neutrality; a social revolution to furnish democracy and build society on the basis of equality and fraternity; and an economic revolution to ensure socialism and establish wealth on the basis of justice and cooperation.

This threefold revolution is the center of the laborious wise power of the nation. It was initiated by a strong flexible hand which sought ruling as a means of reformation, tearing down for rebuilding and ploughing for planting. Thus, the whole nation from Aswan to Al-Qamsheli, is dynamic in its will and determination.

But this constructive revolutionary power alone, no matter how much it produces or initiates, cannot

provide the suitable surroundings for the human being unless we consider him a mere animal - with just a stomach but no heart; with just emotion but no mind - rather than human, who on the ladder of God's creation, occupies the middle range between beast and angel. His physical entity attaches man to earth, while he is connected with the sky by his spiritual attainment.

Yes, it is possible that the threefold revolution, with its physical and mental power, may soften the iron, cultivate the stone, conquer the Nile, spread knowledge, make life more comfortable for the worker and the peasant, and supply the army and the police with more powerful weapons. All this is possible, but the threefold revolution cannot fill the closed heart with piety nor can it revive the dead conscience. The evidence is that there are still amongst us the bribe, the defalcator, the thief, the forger, the loose character, the subversive, the hypocrite, the traitor,

ملحق

للجزء السابع من مجلة الأزهر

الصادر في رجب سنة ١٣٨٠ هـ .

« في موضوع الربا ورأى العلماء فيه »

ملحق بمجلة الأزهري

لعدد رجب سنة ١٣٨٠ هـ

بعد طبع الجزء السابع من مجلة الأزهري لرجب من عام ١٣٨٠ هـ اطلعنا على العدد الحادي عشر وملحقه من مجلة لواء الإسلام لشهر رجب من هذا العام فقرأنا فيه مقالا لفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت عنوانه : « نظرة الإسلام للربا » ، منقولاً عن مجلة الهدى النبوي ، وقد بنى عليه من بنى أن لفضيلة الشيخ الأكبر رأيين في الربا .

وليس في ذلك من بأس فإن للفقيه أو للشرع أن يرى رأياً ثم يجد من المصلحة أن يعدل فيه أو يعدل عنه ما دام مستقنذا فيما يرى إلى دليل شرعي . والعلماء يعرفون أن الإمام الشافعي له مذهبان : مذهب في مصر يخالف مذهبه القديم في العراق ، وكلا المذهبين مؤيد بالقرآن والسنة ، على أن فتوى الشيخ الأكبر لم تكن بدعاً من آراء العلماء الثقات ، ولا معارضة لروح الدين الذي شرعه الله لسكل قوم ولكل زمن ، فقد قال الفخر الرازي في تفسيره :

« المسئلة الثالثة : اعلم أن الربا قسمان : ربا الفسيئة ، وربا الفضل ، أما ربا الفسيئة فهو الأمر الذي كان مشهوراً متعارفاً في الجاهلية ؛ وذلك أنهم كانوا يدفعون المال على أن يأخذوا كل شهر قدراً معيناً ويكون رأس المال باقياً ثم إذا حل الدين ، طالبوا المديون برأس المال ؛ فإن تعذر عليه الأداء زادوا في الحق والأجل ؛ فهذا هو الربا الذي كانوا في الجاهلية يتعاملون به ، وأما ربا النقد فهو أن يباع من الحنطة بمنوين منها وما أشبه ذلك ، إذا عرفت هذا فنقول : المروى عن ابن عباس : أنه كان لا يحرم إلا القسم الأول ، فكان يقول : لا ربا إلا في الفسيئة ، وكان يجوز بالنقد ... وحجة ابن عباس أن قوله : « وأحل الله البيع » . يتناول بيع الدرهم بالدرهمين نقداً ، وقوله : « وحرّم الربا » لا يتناول ؛ لأن الربا عبارة عن الزيادة ، وليست كل زيادة محرمة ، بل قوله : « وحرّم الربا »

إنما يتناول العقد المخصوص الذي كان مسمى فيما بينهم بأنه ربا ، وذلك هو ربا النسئة ، فكان قوله : « وحرم الربا » مخصوصا بالنسئة ، فثبت أن قوله : « وأحل الله البيع » يتناول ربا النقد ، وقوله : « وحرم الربا » لا يتناوله ؛ فوجب أن يبقى على الحل ، ولا يمكن أن يقال : إنما يحرمه بالحديث ؛ لأنه يقتضى تخصيص ظاهر القرآن بخبر الواحد وهو غير جائز ، وهذا هو عرف ابن عباس . وجاء فى كتاب الأشباه والنظائر للشيخ زين الدين بن نجيم الحنفى ^(١) ما يأتى : الحاجة تنزل منزلة الضرورة عامة كانت أو خاصة . ولهذا جوزت الإجارة على خلاف القياس للحاجة ولذا قلنا : لا تجوز إجارة بيت لمنافع بيت لانحداد جنس المنفعة فلا حاجة ، بخلاف ما إذا اختلف ، ومنها ضمان الدرك جوز على خلاف القياس ، ومن ذلك جواز السلم على خلاف القياس ؛ لكونه بيع المعدوم دفعاً للحاجة المفاليس ، ومنها جواز الاستصناع للحاجة ، ودخول الحمام مع جهالة مكشفه فيه وما يستعمله من مائه ، وشربه السقاء ، ومنها الإفتاء بصحة بيع الوفاء حين كثر الدين على أهل بخارى وهكذا بمصر ، وقد سموه بيع الأمانة ، والشافعية يسمونه الرهن المعاد ، وهكذا سماء به فى « الملتقط » وقد ذكرناه فى شرح الكنز من باب خيار الشرط . وفى القنية والبغية : « يجوز للحتاج الاستقراض بالربح » .

وقال الشيخ محمد عبده : « وتعريف الربا للعهد : أى لا تأكلوا الربا الذى عهدتم فى الجاهلية » وكذلك يقول : « ... قد علم مما تقدم فى تفسير آيات الربا : أنها نزلت فى وقائع كانت للرايين من المسلمين قبل التحريم ، فلما راد بالربا فيها ما كان معروفافى الجاهلية ^(٢) من ربا النسئة ، أى ما يؤخذ من المال لأجل الإنساء أى التأخير فى أجل الدين ، فهذا . . . ما ورد القرآن بتحريمه لم يحرم فيه مسواه ، وقد وصفه فى آية آل عمران التى جاءت دون غيرها بصيغة النهى وهى قوله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة » وهذه أول آية

(١) صفحة ٤٦ من الكتاب .

(٢) صفحة ٩٤ > ٣ تفسير الإمام الشيخ محمد عبده .

نزلت في تحريم الربا ؛ فهو تحريم لربا مخصوص بهذا القيد ، وهو المشهور عندهم (١) وللشيخ الإمام فتوى معروفة في تحليل ما يؤخذ من فائدة على الأموال المودعة في صندوق التوفير . وهذا نص فتوى فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر : —

الأسهم والسندات

ضرورة الأفراد وضرورة الأمة

(س) : من المشاريع الهامة التي تعود بالخير على المسلمين ما يحتاج إلى قرض من المصرف يتقاضى عنه المصرف ربحاً ، فهل يحجم المسلمون عن ذلك على أنه ربا ، ويترك المجال لغير المسلمين - وما حكم الشرع في الأسهم والسندات ؟ .

* * *

(ج) : لاشك في أن القرآن حرم على المؤمنين التعامل بالربا ، والربا حدد بالعرف الذي نزل فيه القرآن بالدين يكون لرجل على آخر ، فيطالبه به عند حلول أجله فيقول له الآخر : أخر عني دينك وأزيدك على مالك ، فيفعلان ذلك (وهو الربا أضعافا مضاعفة) فهناهم الله عنه في الإسلام .

وواضح أن هذا الصنيع لا يجري عادة إلا بين معدم غير واجد ، وموسر يستغل حاجة الناس غير مكترث بشيء من معاني الرحمة التي يدني الإسلام مجتمعه عليها ، والتي لو عدمت في المجتمعات لأصبحت كغابات الحيوانات المفترسة ، وهذا

النوع من الربا لا تقبل إنسانية فاضلة الحكم بإباحته ، وقد قابل القرآن الكريم حرمة في جميع الآيات التي وجد فيها ، بالصدقة التي تبذل في مساعدة الفقة المحتاج . وتشير هذه المقابلة إلى أن تلك الحالة ، كان جديراً بها أن تجرى فيها الصدقة ، وهي التبرع المحض ، فإن لم تكن صدقة فلا أكثر من الرد بالمثل ومن النظرة إلى الميسرة : « يحق الله الربا ويربي الصدقات » (١) لا تطلبون ولا تطلبون ، وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة ، وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون ، (٢) . أما الزيادة والمضاعفة فيها ، فهما ظلم وعدوان ، وهما من موجبات المقت والغضب عند الله ، وابتغوا النار التي أعدت للكافرين .

الضروقات والحاجات :

والفقهاء تمسحاً مع توسيع نطاق التراحم ، والبعد عما يفتح على الناس باب التراحم المادي في الضغط على أرباب الحاجات ، توسعوا كثيراً فيما يتناوله الربا ، وكان لهم في ذلك مشارب مختلفة وآراء متعددة ورأى كثير منهم أن الحرمة فيما يحرمون تتناول المتعاقدين معاً : المقرض والمقترض ، وإن اعتقد أن ضرورة المقرض وحاجته مما يرفع عنه إثم ذلك التعامل لأنه مضطر ، أو في حكم المضطر ، والله يقول : « وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه » (٣) .

وقد صرح بذلك بعض الفقهاء ، فقالوا : يجوز للحتاج الاستقراض بالربح وإذا كان للأفراد ضرورة أو حاجة تبليح لهم هذه المعاملة . وكان تقديرها ما يرجع إليهم وحدهم وهم مؤمنون بصيرون دينهم فإن للامة أيضاً ضرورة أو حاجة ، كثيراً ما تدعو إلى الاقتراض بالربح ؛ فالمزارعون كما نعلم تشتت حاجتهم في زراعاتهم وإنتاجهم إلى ما يهيئون به الأرض والزراعة . والحكومة كما نعلم تشتت حاجتها

(١) الآية ٢٧٦ من سورة البقرة .

(٢) الآية ٢٧٩ ، ٢٨٠ من سورة البقرة .

(٣) الآية ١١٩ من سورة الأنعام .

إلى مصالح الأمة العامة ، وإلى ما تعد به العدة لمساخفة الأعداء المغيرين ، والتجار تشتد حاجتهم إلى ما يستوردون به البضائع التي تحتاجها الأمة وتعمرها الأسواق ، ونرى مثل ذلك في المصانع والمنشآت التي لاغنى لمجموع الأمة عنها ، والتي يتسع بها ميدان العمل فتخفف عن كامل الأمة وطأة العمال المتعطلين . ولا ريب أن الإسلام الذي يبني أحكامه على قاعدة اليسر ودفع الضرر ، والعمل على العزة والتقدم ، وعلاج التمثل يعطى للأمة في شخص هيئاتها وأفرادها هذا الحق ، ويبيح لها - ما دامت مواردها في قلة - أن تقترض بالربح تحقيقا لتلك المصالح التي بها قيام الأمة وحفظ كيائها .

تقرير الحاجة والمصلحة لأولى الرأي :

غير أنى أرى أن يكون تقدير الحاجة والمصلحة مما يؤخذ عن (أولى الرأي) من المؤمنين القانونيين والاقتصاديين والشرعيين ، ويكون ذلك في ناحيتين : ناحية تقدير الحاجة ، وناحية تقدير الأرباح ، واختيار مصادر القروض ، فلا يكون قرض إلا حيث تكون الحاجة الحقيقية ، ولا يكون قرض إلا بالقدر المحتاج إليه ، ولدفع الضرورة والحاجة ، ولا يكون قرض إلا من جهة لا تضمر استغلالنا واستعمارنا ، ولو أن الأمم الإسلامية تكافقت على وضع أساس اقتصادي يحقق مصالحها ، وبقيها شر التحكم الأجنبي لوجدوا من مبادئ الإسلام الاقتصادية ما يجعلهم في مقدمة الأمم اقتصادا وقوة وحضارة .

أما الفرق بين الأسهم والسندات ، فهو أن الأسهم من الشركات التي أباحها الإسلام باسم المضاربة ، وهي التي تتبع الأسهم فيها ربح الشركة وخسارتها ، وأما السندات وهي القرض بفائدة معينة لا تتبع الربح والخسارة ، فإن الإسلام لا يبيحها إلا حيث دعت إليها الضرورة الواضحة التي تفوق أضرار السندات التي يعرفها الناس ويقرها الاقتصاديون .

مدير المجلة ورئيس التحرير
 أحمد حسن الزيات
 العنوان
 إدارة اجماع الأزهر
 بالقاهرة
 ت : ٤٦٤١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعية

يشترك في التحرير
 عباس محمود العقاد
 مدير التحرير
 محمود الشراقي
 بدل الاشتراك ج ٦

تصديده عن شيخنا الأزهر في أول كل شهر عمري

الجزء الثامن — شعبان سنة ١٣٨٠ هـ — يناير ١٩٦١ م — المجلد الثاني والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

من الفتوة الإسلامية

بمناسبة ذكرى صلح الحنين

بفهام : أحمد حسن الزيات

روعت أوروبا وأخذها المقيم المقعد حين علمت أن صلاح الدين قد استرد مدينة القدس وقوض مملكة اللاتين في فلسطين وسورية. وورد على انجلترا وفرنسا من قوة الجيش المصري وقدرة العاهل الأيوبي ما أقلقهما على حاضر الإقطاع الصليبي في الشام ومستقبل الاستعمار الأوربي في الشرق ، فألبتا عليهما الفروسية المسيحية بقساوتها وضراوتها وتعصبا وحقدتها وغدرها لتعلم أظفار الجيش الظافر ، وتحبس عنان القائد الطموح . وكان موقف فيليب وريكاردوس من صلاح الدين هو موقف حفيديهما جى موليه وإيدن من عبد الناصر . والسبب الأول للوقوفين واحد ، هو خطر الجيش المصرى القوى على الغزو الصليبي الذى بدأ فى آخر القرن الحادى عشر واستمر حتى منتصف القرن العشرين .

أقبلت جيوش الغزوة الصليبية الثالثة إلى الشام سنة ١١٨٩ م يقودها سبعة وعشرون

وملكاً وأميراً يتقدمهم فيليب أغسطس ملك فرنسا، وريكاردوس قلب الأسد ملك بريطانيا، وفريدريك باربروس ملك بروسيا، فبدأت بحصار عكا، ثم انتهت بعد ثلاث سنوات بهدنة الرملة. وحسبي من حديث هذه الغزوة أن أجلك من صفحاتها صفحة الفتوة أو الفروسية التي تجلت في شجاعة صلاح الدين وشهامته ونبله:

طلب إليه الملوك الصليبيون قبل القتال أن يجتمع بهم ليسمع منهم ويسمعوا منه. فسار إليهم في كتيبة من أقوياء جنده وسألهم ماذا يريدون. فقالوا له: إن أوربا رمتك بما لا قبل لك به من ملوك وجيوش وقادة. وإن من الخير لك ولقومك أن تجل عن بيت المقدس وإلا ذقت وبال أمرك.

فقال صلاح الدين: إنكم تعتزون بكثرة العدد ونحن نعتز بقوة الإيمان، وإنكم تحبون الدنيا وتعلقون بها، ونحن نحب الآخرة ونعمل لها. ولن ينتصر من أحب الحياة، ولن يهزم من طلب الموت.

* * *

قال العماد الأصفهاني كاتب صلاح الدين في كتابه (الفتح القدسي): «وصلت في مركب ثلثمائة امرأة إفريقية مستحسنة متزينة، قد اجتمعن من الجزائر، وانتدبن للجزائر، واغتربن لإسعاف الغرباء، وقصدن بخر وجهن تسهيل أنفسهن للأشقياء، وأنهن لا يمتنعن من العزبان، ورأين أنهن لا يتقربن بأفضل من هذا القربان، وزعن أن هذه قرابة مافوقها قرابة، ولا سيما فيمن اجتمعت فيه

ملكاً وأميراً يتقدمهم فيليب أغسطس ملك فرنسا، وريكاردوس قلب الأسد ملك بريطانيا، وفريدريك باربروس ملك بروسيا، فبدأت بحصار عكا، ثم انتهت بعد ثلاث سنوات بهدنة الرملة. وحسبي من حديث هذه الغزوة أن أجلك من صفحاتها صفحة الفتوة أو الفروسية التي تجلت في شجاعة صلاح الدين وشهامته ونبله:

طلب إليه الملوك الصليبيون قبل القتال أن يجتمع بهم ليسمع منهم ويسمعوا منه. فسار إليهم في كتيبة من أقوياء جنده وسألهم ماذا يريدون. فقالوا له: إن أوربا رمتك بما لا قبل لك به من ملوك وجيوش وقادة. وإن من الخير لك ولقومك أن تجل عن بيت المقدس وإلا ذقت وبال أمرك.

فقال صلاح الدين: إنكم تعتزون بكثرة العدد ونحن نعتز بقوة الإيمان، وإنكم تحبون الدنيا وتعلقون بها، ونحن نحب الآخرة ونعمل لها. ولن ينتصر من أحب الحياة، ولن يهزم من طلب الموت.

فنهض ملك إنجلترا من بين الملوك وقال للزجمان: قل لصلاح الدين: إني أنا قلب الأسد والقوة عندنا هي كل شيء. وسأريه البرهان. ثم دعا بقضيب من الحديد قطره ثلاثة سنتيمترات ووضع طرفه على منضدة وطرفه الآخر على منضدة، ثم سل سيفه

وأجناده ليتعرف حالهم ويطمئن بهم . فافتقدته الفتاة في خيمته ذات ساعة من الليل فلم تجده . فخرجت تبحث عنه فضلت الطريق ودخلت في معسكر المسلمين ، فظها الحراس جاسوساً فرماها أحدهم بهم فسقطت على الأرض تتلوى وتئن . وانفق حينئذ أن مر صلاح الدين في طوافه بهذا المكان فسمع الآنين فاقرب من مصدره فإذا الفتاة مضرجة بالدم فاقدة الوعي ، فاحتلمها على ذراعيه إلى أول خيمة في المعسكر . ودعا لها بطبيب أخرج النصل من ثغرها وتهددها بالعلاج حتى برئت . وكان صلاح الدين يسأل عنها الحين بعد الحين . فلما مثلت بين يديه بعسد البرء راعه ما رأى من جمالها فأضمر حبها في قلبه ، وأزله على الرحب من عطفه .

وفي إحدى الأماسى عرض قواده عليه بعض كبار الأسرى وهو في خيمته ففرقت الفتاة من بينهم قائداً من خواص قلب الأسد فاستأذنت السلطان أن تتحدث إليه فأذن فلما سأله عن مولاه أخبرها أنه سمع اليوم أثناء المعركة أن خصومه من الفرنسيين والانجليز قد قرروا اغتياله في هذه الليلة ولولا أنه وقع في الأسر لذهب إليه يحذره ، فجزعت الفتاة على ملكها ، ولم تملك سوا بق دمعها ، فاسترسلت في البكاء . فسألها صلاح الدين عما بها ، وعما قاله الأسير لها ، فأفضت إليه بحلية الأمر .

غربة وعزبة . وتسامع أهل عسكرنا بهذه القضية ، فمجبوا كيف تعبدوا بترك النخوة والحمية . . ومضى العماذ يذكر ما ذا كان يفعل أولئك النسوة في استغواء الأعرار واستراق الأخبار واستلاب الأنفس . وتكتيب الغواني في جيوش الاستعمار سياسة سنتها فرنسا ونهجتها انجلترا ، وصادفت هوى في نفوس الصهيونيين فطبقتها على نطاق واسع في السياسة والتجارة والحرب ، ولا يزال إخواننا الفلسطينيون يذكرون سوء عقابها في التهديد لقيام إسرائيل .

كان من بين هؤلاء الحسان المجندات فتاة استخلصها الملك ريكاردوس لنفسه فكانت تقوم على خدمته في خيمته ، ونعنى براحته مع أخته وزوجته ، وكانت الفتاة على حظ عظيم من جمال الوجه ورقة القلب وخفة الروح ، فأحبها قلب الأسد كل الحب ، وأخلصت هي له كل الإخلاص ، فكانت عينه على أقرانه وأذنه بين قواده ، فعلمت من طريقها الخاص أن فريقتا من القادة قد ضافوا بجدة طبعه وشراسة خلقه فاتمروا به ليمتلوله . فأخبرته بما علمت ، فاتهم الخبر وأبى أن يصدق أن أحداً من خلق الله يجرؤ على مواجهته بالسيف . وكان من عادة ريكاردوس أن يطوف بالليل على قواده

لأن احتوشوه في الظلام وطوقوه بالكثرة فأيقن أنه هالك . وفي هذه اللحظة الحرجة جاءت نجدة صلاح الدين فصرعهم من حوله . ثم طلبوا إليه أن يصحبهم إلى السلطان فصار معهم مطمئن القلب لاعتقاده بأن الملك الذي ينقذ عدوه من القتل ، يستحيل عليه أن يسلم ضيفه إلى الأسر .

وكان لقاء السلطان للملك لقاء جميلا نبيلاً كأنهما لم يقتتلا طوال اليوم ، ولن يقتتلا طوال الغد ! وبالعصر صباح الدين في إكرام ضيفه فدعا بحبيبته إليه . فلما رآها تخرج من خيمة السلطان خالجه فيها الشك وساوره عليها الغضب ، ولكن بطل الإسلام ورمز الفتوة أخبره بما كان منها وبما حدث لها فضمها الملك مسروراً إلى صدره ، وخرج بها مخفوهاً إلى معسكره .

* * *

كان صلاح الدين قد أحب الفتاة كما قلت ، وكان في مقدوره ومن حقه أن يتخذها سبية حرب ، ولكنه حين علم منها أن الملك يحبها وأنها تحبه لم ينس أنه صلاح الدين . فحبا صورتها من ذهنه ، وغلب في أمرها وفاءه على حبه ، كما غلب في أمر ملكها مروءته على بغضه !

أحمد حسن الزيات

لأنه لم يكن صلاح الدين مطبوعاً بحكم نشأته وعقيدته على خلال الفتوة الإسلامية لاغتياب هذه المؤامرة التي ستكفيه شر عدوه وهو عماد الحرب الصليبية وفارسها الأول ، ولكنه فعل ماشر في آفاق الغرب فضله ، وخلص على وجه الزمان ذكره ! أرسل إلى مكان المؤامرة الذي عينه الأسير سرية من أشجع فرسانه لينقذوا ريكاردوس من كيد خصومه .

وكان قلب الأسد قد خرج على عادته بعد المعركة يتفقد أحوال جنده . وكان قد خرج في هذه الليلة وحده ، لأن القواد الثلاثة الذين كانوا يرافقونه في جولاته أسر أحدهم وقتل الآخران في اليوم نفسه ، أخذ يمشي في ساحة القتال ساهماً حزينا يتوسم الوجوه ويتسمع الأناث فيترحم على القتلى ويتألم للجرحى ، وينحن على من يعرفه منهم فيودعه بالرحمة أو يشجعه بالأمل . حتى رأى قائداً ملقى على وجهه ، فجثا على ركبتيه يقلبه فعرف فيه قائداً فرنسياً كان يقدمه ويكرمه ، فاستد حزنه عليه وأطال وقوفه عنده . فلما أدار ظهره إليه لينصرف نهض من رقدته ونفخ في بوق صغير فإذا رجال يقومون من بين القتلى ويحدقون بريكاردوس وقد شهروا السيوف ! فدهش الملك من المفاجأة أول الأمر ثم تذكر سيفه فأعمله فيهم وكاد يأتي عليهم لولا

بيان للمسلمين

من الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت

إخواني وأبناء المسلمين :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ؛ وبعد :

فإن الاستعمار الغاشم الذي طبع دائما على سلب الناس حرياتهم وأمنهم، وعلى زعزعة مبادئهم ومعتقداتهم تمكيننا له في كل بلد ينزل إليه . ليمتص خيراته ، ويستغل إمكانياته ، ويحرم أصحاب الحقوق من حقوقهم ، بل يشردهم عن أراضيتهم ، هذا الاستعمار يوم أن ازداد وعى الناس وقوى إيمانهم بحقوقهم في الحياة ، ورأى سلطانه يتقلص ، وسيطرته تنكش ، اتخذ لنفسه مخاب تحقيق أهواءه ونزواته ، وسيطرته واستعباده فكان أن أقام عصاة ماتت فيها المشل والقيم ، وضاعت فيها معاني الإنسانية ، تلکم هي إسرائيل التي سرعان ما اغتصبت حق الناس في الحياة فاستولت على أراضيتهم وشردت الآمنين من أوطانهم ، واستباححت لنفسها كل عبث ، لم تعرف خلقا ولم يتحرك فيها ضمير . وفي كل يوم من أيام حياتها المجرمة نرى اعتداءاتها المتكررة على كل صقع من أصقاع الأرض ، ومن ورائها الاستعمار الذي لا يقف طمعه عند حد ، يحركها كيفما شاء وأينا أراد ، وما يوم الاعتداء

الآثم على بورسعيد عنايبعيد ، بعد أن كان لهم في فلسطين وشهادتها ولاجئها ماسطره التاريخ خزيا وعاراً عليها وعلى أولئك الذين يزعمون أنهم رعاة حقوق الإنسان ، وبناء مبادئه ، مع أنهم لا يراعون في الله إلا ولا ذمة لأنهم لا يؤمنون ، واسكنهم برهم يمجحدون كما أنهم لا يحسون بالإنسانية ولا يقيمون لها وزنا ، وهذه فرنسا إحدى دعائم الاستعمار التي زعمت أنها وضعت حقوق الإنسان لتكفل له حريته ، وتحقق له العدالة في مجتمعه ، والمساواة بين أفرادها ، فأين هذه الحقوق وهي لا تزال تستولى على الجزائر المسالمة وعلى حريتها التي فطرها الله عليها ؟ . بل وأين ذلك من اعتدائها على الإنسانية جمعاء في تفجيرها القنبلة الذرية في وسط أناس لهم حق الحرية والأمن والحياة غير مبالية بما يترتب على ذلك من إضاعة الحياة الآمنين من أبناء البشرية . وبلجيكا أيضا التي تعيث في أرض الكونفغو الفساد تفرق بين أبناء الأمة الواحدة لتسود هي ولتبقى تمتص من دمايتهم ، وتأكل من خيراتهم وتحرم أهلها حق الحياة ، وبريطانيا في الجنوب العربي وفي كل مكان تستطيع يدها أن تمتد إليه .

فإلى كل مسلم أوجه حديثي هذا توجيهاً مبعثه الإيمان بالله والخيرة على ديننا ، وإن هؤلاء لأصحاب عداوات قديمة منذ كان محمد صلى الله عليه وسلم يرفع راية الإسلام وينزل عليه الوحي ، فكان من مهمتهم أن يحرقوا كتاب الله ؛ ليضلوا الناس عن طريقهم المستقيم وليكتبوا الدعوة الإسلامية ، فهم اليوم يمارسون ما كان يفعله آبائهم ، فاحذروهم وأجمعوا كلمكم واجعلوها سيوفاً باترة قاطعة لأطماع هذه الفئة الضالة الباغية ، وأعملوا جميعاً على قلب رجل واحد ؛ لتحفظوا مصدر سعادة البشرية ، كتاب الله العظيم ، فإنه لاخير للمسلمين إلا به ولا سعادة لهم إلا عن طريقته ، وأن تردوا هذه الطبعة التي حرقتها إسرائيل ولا تقبلوها .

وإن الأزهر اليوم ، وجميع الهيئات الإسلامية في الجمهورية العربية المتحدة لتناشد دينكم وضمائم الحية في أن تقفوا جميعاً لوقف هذا العمل الإجرامى الذى يراد به طعن دينكم طعنة تقضى عليكم وعلى كياناتكم .

والأزهر الذى قام على حفظ كتاب الله وسنة رسوله كفى بأن يمدكم بما تحتاجون إليه من كتاب الله إمداداً صحيحاً وإن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ، ، يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحبيكم ، . حقق الله القصد وأن المسلمين جميعاً في مشارق الأرض ومغاربها على حفظ كتاب الله ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

محمود شلتوت

شيخ الجامع الأزهر

فلاستعمار هو ولم يتغير ولم يتبدل ، بالنسبة للمعتقدات ويتجلى ذلك في قالة بعضهم يرفعها إلى ساداته ، أنه لا بقاء لنا في أرض يوجد فيها القرآن . ولقد تمكشفت نوايا إسرائيل الخبيثة وقصدها السيء على دينكم في طبعها القرآن الكريم ، كتاب الله العظيم في صورة محرقة ، قامت بتوزيعها في إفريقيا وآسيا ، تريد بذلك القضاء على دينكم ومعتقداتكم وذلك حينما فشلت في أن تهدم بنيان المسلمين وكيانهم عن طريق السياسة والاستعمار ؛ ذلكم لأن السيطرة على القلب وعلى العقل هى المعول المهادم الذى يقوض بناء الأفراد والأمم . ومن الذين هادوا يحرقون الكلم عن مواضعه ، ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع ، وراعنا لياً بألسنتهم وطعنا في الدين ، .

ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين ، لم يأتوك يحرقون الكلم من بعض مواضعه ، يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه ، وإن لم تؤتوه فاحذروا ، ومن يرد الله فتنته قلن تملك له من الله شيئاً ، أولئك الذين لم يرد الله أن يطرهم قلوبهم ، لهم في الدنيا خزي ، ولهم في الآخرة عذاب أليم ، .

فإلى كل مسلم في أنحاء المعمورة ، له من دينه وإيمانه غيرة على مصدر هذا الدين وعلى المصباح الذى يضيء لنا الطريق ، وعلى كتاب الله الذى أنزله هدى ونوراً للعالمين ؛ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ، ...

الحُرُوفُ الْعَرَبِيَّةُ "صِلَحُ الْحُرُوفِ لِكِتَابَةِ اللَّفَائِي"

لِلأَسْتَاذِ عَبَّاسِ مُحَمَّدٍ الْعَفَّادِ

لِكِتَابَةِ الْأَلْفَاظِ وَالْأَصْوَاتِ ؛ لِأَنَّهَا تَوْدِي
مِنْ أَنْوَاعِ الْكِتَابَةِ مَا لَمْ يَعْهَدْ مِنْ قَبْلِ فِي لُغَةٍ
مِنْ لُغَاتِ الْحَضَرَةِ .

فَالْحُرُوفُ اللَّاتِينِيَّةُ تَسْتَعْمَلُ لِلكِتَابَةِ فِي عَائِلَةِ
وَاحِدَةٍ مِنَ الْعَائِلَاتِ لِللُّغَةِ الْكِبْرَى ؛ وَهِيَ
الْعَائِلَةُ الْهِنْدِيَّةُ الْجُرْمَانِيَّةُ .

وَهَذِهِ الْعَائِلَةُ الْهِنْدِيَّةُ الْجُرْمَانِيَّةُ هِيَ الْعَائِلَةُ
الَّتِي يَقُومُ فِيهَا تَصْرِيفُ السَّكَمَاتِ عَلَى «النَّحْتِ» ،
أَوْ عَلَى إِضَافَةِ الْمَقَاطِعِ إِلَى أَوَّلِ السَّكَمَةِ
أَوْ آخِرِهَا ، وَتَسْمَى مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بِاللُّغَاتِ
«الْغُرُوبِيَّةِ» مِنْ الْغُرَاءِ اللَّاصِقِ فِي أَدَوَاتِ
الْبِنَاءِ وَالنَّجَارَةِ .

أَمَّا الْحُرُوفُ الْعَرَبِيَّةُ فَهِيَ تَقُومُ بِأَدَاءِ
الْكِتَابَةِ بِهَذِهِ اللُّغَاتِ وَبِكَثِيرٍ غَيْرِهَا فَهِيَ
تَسْتَعْمَلُ لِكِتَابَةِ الْفَارْسِيَّةِ وَالْأُورْدِيَّةِ وَهَمَا مِنْ
لُغَاتِ النَّحْتِ ، أَوْ مِنْ عَائِلَةِ اللُّغَاتِ الْغُرُوبِيَّةِ .
وَتَسْتَعْمَلُ لِكِتَابَةِ التُّرْكِيَّةِ وَهِيَ مِنَ الْعَائِلَةِ
الطُّورَانِيَّةِ وَيَرْجِعُونَ فِي تَصْرِيفِ أَلْفَاظِهَا إِلَى
النَّحْتِ تَارَةً وَإِلَى الْإِشْتِقَاقِ تَارَةً أُخْرَى ،
فَهِيَ وَسْطُ بَيْنِ اللُّغَةِ الْفَارْسِيَّةِ وَاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ .

إِنَّ الْأُمَّ الَّتِي تَعْتَمِدُ عَلَى الْحُرُوفِ الْعَرَبِيَّةِ
فِي كِتَابَتِهَا أَكْثَرُ عِدْدًا مِنْ كُلِّ مَجْمُوعَةٍ عَالِمِيَّةٍ
تَعْتَمِدُ فِي الْكِتَابَةِ عَلَى الْحُرُوفِ الْأَبْجَدِيَّةِ ،
مَاعِدًا مَجْمُوعَةً وَاحِدَةً ، وَهِيَ مَجْمُوعَةُ الْأُمِّ الَّتِي
تَعْتَمِدُ فِي كِتَابَتِهَا عَلَى الْحُرُوفِ اللَّاتِينِيَّةِ .

لِأَنَّ الْحُرُوفَ الْعَرَبِيَّةَ تَسْتَعْمَلُ لِكِتَابَةِ
اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَاللُّغَةِ الْفَارْسِيَّةِ ، وَاللُّغَةِ
الْأُورْدِيَّةِ ، وَاللُّغَةِ التُّرْكِيَّةِ ، وَاللُّغَةِ الْمَلَاوِيَّةِ ،
وَبَعْضُ اللُّغَاتِ الَّتِي تَتَّصِلُ بِهَا فِي الْجُزُرِ
الْمُتَفَرِّقَةِ بَيْنَ الْقَارَاتِ الثَّلَاثِ : لِإِفْرِيْقِيَّةِ وَآسِيَا
وَإِسْتَرَالِيَا .

وَنِسْبَةُ الْكَاتِبِينَ بَيْنَ هَذِهِ الْأُمِّ أَقَلَّ فِي هَذَا
الْعَصْرِ مِنْ نِسْبَةِ الْكَاتِبِينَ بَيْنَ أَبْنَاءِ الْأُمِّ الَّتِي
تَعْتَمِدُ عَلَى الْحُرُوفِ اللَّاتِينِيَّةِ .

وَلَسَكُنَ الْأَمْرُ فِي صَلَاحِ الْحُرُوفِ لِلْكِتَابَةِ
لَا يَعْوَدُ إِلَى كَثَرَةِ الْأَفْرَادِ الَّذِينَ يَكْتَسِبُونَهَا ،
بَلْ إِلَى أَنْوَاعِ اللُّغَاتِ الَّتِي تَوْدِي أَلْفَاظَهَا
وَأَصْوَاتَهَا .

وَعَلَى هَذَا الْإِعْتِبَارِ تَكُونُ الْحُرُوفُ الْعَرَبِيَّةُ
أَصْلَحَ مِنَ الْحُرُوفِ اللَّاتِينِيَّةِ أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً

التي تؤديها حروف العربية لم يزل ضبطها للألفاظ أدق وأسهل من ضبط الحروف اللاتينية التي تستخدم لكتابة عائلة لغوية واحدة، وهي العائلة الهندية الجرمانية .

فالأسباني يقرأ الانجليزية على حسب قواعد لغته فيحرفها كثيراً ويبلغ من تحريفها مبلغاً لانهده في نطق الفارسي الذي يقرأ الأوردية أو التركية أو العربية ، ولا نعهده في نطق العربي الذي يقرأ الفارسية بحروفها ولو لم يكن على علم بمعانيها ، ولكنه إذا عرف معناها لم يقع في خطأ من أخطاء النطق ولم يكن هناك خلاف بينه وبين أبناء الفارسية في كتابتها وقراءتها .

هذه حقيقة لا جدال فيها ، ينبغي أن نحضرها أمامنا لنعرف مدى التحويل المفرط في شكوى الشاكين من صعوبات الكتابة العربية المزعومة ؛ فإن حروفنا إذا قيست بغيرها لم نجد لها نظيراً بين حروف الأبجديات على تعددها وكثرة التحسينات التي أدخلت عليها . وينبغي أن نحضر هذه الحقيقة في أيامنا هذه بصفة خاصة ؛ لأنها غابت عن أذهان بعض الباحثين في مشكلة الكتابة عند طوائف من الأمم الشرقية الإسلامية يميل بعضها إلى اختيار الحروف اللاتينية ، لكتابة ألفاظه وترجماته المنقولة إليها .

وتستخدم الحروف العربية بطبيعة الحال لكتابة لغة الضاد المميزة بمخارجها الواضحة ، الدقيقة ، بين جميع اللغات ، وهي أعظم لغات الاشتقاق التي اشتهرت باسم العائلة السامية .

وتكتب بالحروف العربية لهجات ملاوية تفرع على لغات المقاطع القصيرة والنبرات الصوتية المنغومة ، ويختلفون في نسبتها إلى إحدى العائلات الثلاث حتى اليوم ؛ لأنها مستقلة بكثير من الخصائص وقواعد التعريف ، ولعلها عائلة مستقلة من العائلات اللغوية الكبرى تشعبت فروعها لتفرق الناطقين بها بين الجزر المنعزلة .

وقد استطاعت هذه الأمم جميعاً أن تؤدي كتابتها بالحروف العربية دون أن تدخل عليها تعديلاً في تركيبها ولا أشكالها المنفردة ، ولم تتصرف فيها بغير زيادة العلامات والنقط على بعض الحروف ، وهي زيادة موافقة لبنية الحروف العربية وليست بالغريبة عنها ؛ لأن العرب أنفسهم أضافوا النقط والشكل عند الحاجة إليها ، وليست زيادة شرطة على الكاف بأعرب من زيادة النقط على الحروف مفردة أو مثناة وفوق الحرف أو تحته ، للتمييز بين الأشكال المتشابهة أو المتقاربة . وعلى كثرة اللغات ، والعائلات اللغوية ،

الكتابة العربية عيب واحد يصعب استدراكه على الكاتب العربي ويتيسر استدراكه على الكاتبين بالحروف اللاتينية ، حتى حركات الإمالة التي يبالغون فيها وهي عندنا أهون خطبا من نظائرها عند الأوربيين ... فإن حرف الألف (A) وحرف الياء (I) يمالان على غير قاعدة مطردة بين الانجليزية والفرنسية والهولندية ، وقد استطاع حفاظ القرآن الكريم أن يضبطوا مواضع الإمالة والإشمام في القراءات المختلفة ضبطا لا يعسر تعميمه بعلاماته عند الحاجة إليه في سائر الموضوعات .

وعلمنا أن نسط من حسابنا تهويل المهولين باختلاف لطق الحروف على حسب اللهجات الفصحى أو العامية ؛ فإن الملايين من أبناء العربية يكتبون الجيم بشكلها الأبجدي المعروف وينطقها ابن القاهرة وابن الصعيد وابن دمشق كل منهم على حسب منطقته الذي نشأ عليه ، وليس في شيء من ذلك ما يدعو إلى تغيير شكل الحرف ولا إلى تغيير قواعد الكتابة ، وإنما هي عادات نعرف ويحسب حسابها بغير مشقة ولا كلفة كما نرى ونسمع كل يوم منذ أجيال ، وكما هو معمود ومتواتر في كل لغة من لغات الحضارة بين المكتوب والمفوظ وبين المفوظ في إقليم والمفوظ في إقليم آخر ، (البقية على الصفحة التالية)

فقد أخذت طائفة من قبائل الصحراء الإفريقية في كتابة سجلاتها التجارية ومراسلاتها المتداولة بينها وبين سكان الشواطئ بالحروف الفرنسية ، وأخذت فئة من الملاويين في كتابة أمثال هذه السجلات والمراسلات بالحروف الهولندية أو الحروف الانجليزية ، وظهر بين كتابها من يستخدم هذه الحروف في الموضوعات الأدبية والفكرية .

فمن الواجب أن نذكر هنا أن عوامل السياسة والاقتصاد هي التي جنحت بذلك الطوائف إلى اختيار الحروف اللاتينية ولم يكن سبب هذا الاختيار نقصا عسير العلاج في أصول الكتابة العربية ، ولولا عوامل السياسة أو الاقتصاد لما اختار فريق من الملاويين حروف الانجليزية واختار فريق آخر حروف الهولندية ، على حسب العلاقات بين البلد الملاوى وبين إحدى هاتين الدولتين .

ومن المعلوم أن صعوبات النطق بين الألفاظ الانجليزية والألفاظ الهولندية تتجسم في بعض الحروف كالجيم والياء كما تتجسم في حروف العلة عند مواضع الإمالة والإشمام على نحو يسهل تداركه فيما يكتب بالحروف العربية .

فلا ذنب لحروفنا العربية ولا للأبجدية العربية بحملتها في هذا التحول من هذه الحروف إلى ما عداها ، ولا يحسب على

الدولة التي صنعها الإنسان والأمة التي خلقها الله

للأستاذ الدكتور محمد البهي

— ٢ —

الأمة التي خلقها الله :

« كنتم خير أمة أخرجت للناس ؛ تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله ، تلك هي الأمة التي خلقها الله وذلك هو المجتمع الذي كونه الإرادة الإلهية . وهي الأمة التي عرفت المعروف والمنكر ، وأمرت بالمعروف ونهت عن المنكر ، وآمنت قبل ذلك بالله . فهي أمة لها رشد إنساني ، ولها سلوك أخلاقي . هي أمة أدركت وتهذبت : أدركت ما يجب أن يفعل وما يجب أن يترك ، وأدركت الحقيقة الأولى الكبرى : وهي الحقيقة الإلهية . وتهذبت : ففعلت ما يجب أن يفعل . وتجنبت ما يجب أن يترك ، هي أمة

لها إرادة ولها اختيار . تفصل فصلا واضحا بين أنواع السلوك الإنساني وتتخذ منه أحسنه وأقربه إلى تمثيل الإنسانية وإلى تحقيق خصائصها . هي أمة إنسانية ؛ تسلك سبيل الرشيد الإنساني . ولكنها لا تسير في ضوء تحديد الإنسان للحياة ، وإنما تسير في ضوء هداية الله . هي لا تتعثر في سلوكها الطريق ؛ لأنها لا تتبع الإنسان المحدود : الإنسان الذي يخطئ ويصيب : الإنسان الذي إن حاول أن يتجرد عما يؤثر عليه في حكمه لا يتجرد وإنما يقع تحت التأثير بمؤثر ما ؛ لأنه وليد بيئة معينة ، ووراثه خاصة ، وتوجيه حزبي أو طائفي ، أو مذهبي .

من صعوبات اللغة العربية وهي عند القياس أهون الصعوبات وعند البحث الرصين المنصف تشهد للأبجدية العربية بأنها أصح من سواها لكتابة جميع اللغات ؟

عباس محمود العقاد

ولو كان كل من الإقليمين منسوبا إلى وطن واحد ودولة واحدة ، ومن راقب ذلك في اختلاف النطق الأمريكي والنطق الانجليزي أو في اختلاف نطق العاصمة ونطق الريف أو استخدام الصحافة واستخدام الإذاعة لم يكثر لذلك التحويل الذي لج فيه الشاكون

سلوكهم الخلقى والإنسانى بضميرهم وبما لهم من قوة ذاتية تدفع نحو العمل داخل أنفسهم - حملوا مسئولية الرعاية ، بحيث أن كل فرد فيها راع لنفسه ، أو لنفسه ولغيره : (كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته ، فالرجل راع وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها وهى مسئولة عن رعيتهما ، والخدام راع فى مال سيده وهو مسئول عن رعيته) . فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، وبمسئولية الرعاية هذه التى يحملها كل فرد فى هذه الامة توافرت عناصر الحرية الفردية ، كما توافرت عناصر الترابط المشترك بين الأفراد جميعا . إذ نطاق الحرية الفردية عندئذ ضمير الفرد وشعوره بمسئولية التصرف الذى يأتى به . أما عناصر الترابط المشترك فهى منبثقة من « الرعاية » التى أضيفت لكل فرد فى محيطه الخاص ، أو فى محيط آخر ليشمله ويشمل غيره وهو إذ يعرى نفسه فى محيطه الخاص يوفر لغيره حرمان الوجود المشترك . إذ رعاية الفرد لنفسه هى فى أن يعرف حدود نفسه سواء بحسب إمكانياته ، أو بحسب نطاق الحياة التى يعيش فيها .

وكما ذكرنا - أن اعتمد مجتمع هذه الامة على الضمير القائم على الإيمان بالله والخشية منه اعتمادا أوليا ، فهو فى حاجة مع ذلك إلى السلطة التنفيذية ، ولكن - كما ذكرنا أيضا -

أفرادها لا يساقون إلى اتباع المعروف وتجنب المنكر ، وإنما يسرون مختارين فى طواعيتهم لهذا أو لذلك ، أمة أفرادها يدفعون إلى العمل وإلى الحركة بدافع ذاتى هو دافع الضمير القائم على الإيمان بالله والخشية منه ، والله الذى يؤمن به الأفراد ويخشونه هو مركز القيم العليا كلها ، ومركز السكالات التى يتقرب إليها الأفراد بالتوجه نحوها وتمثلها فى تصرفاتهم وأعمالهم .

ومجتمع هذه الامة إذن هو مجتمع ليست فيه « رقابة » ، وليس فيه « جهاز تتبع » ، وليس فيه « قهر وجبر » . ولذا لا يحتاج إلى سلطة تنفيذية كمقاعدة أساسية ، على نحو تلك التى يحكمها نظام الدولة . وإن وجدت فيه سلطة التنفيذ - وجوداً ضرورياً أيضاً - فهى لدفع الشذوذ ، ولدفع الانحراف الذى لا يخلو منه مجتمع ما . ولكن اعتماد الأمن والطمانينة فى هذا المجتمع فى العلاقات بين الأفراد يقوم أولا وبالذات على الضمير ، وعلى إدراك القيم ، وعلى إدراك الفرق بين المعروف والمنكر ، وليس على تلك السلطة الخارجة عن ذوات الأفراد .

فهى أمة لها غاية خلقية إنسانية ، ومن أول قيامها تحدت أهدافها وغاياتها فى الحياة : وهى الإنسانية ، والتهذيب .

وأفراد هذه الامة فى الوقت الذى نيط

يأخذ مكانه في العمل على استقرار العلاقات بين أفراد المجتمع . وكذلك استبعد الإسلام أن تقع هذه الجرائم - عند ما تقع - من مؤمن بالله ، أى من فرد يكون عنده الضمير ، القائم على الإيمان بالله والخشية منه . فيقول الرسول عليه السلام : « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، » .

وإذن ركن السلطة التنفيذية ، الذى هو أحد أركان نظام الدولة فى المجتمع الحديث - يوجد أيضاً فى مجتمع الأمة التى خلقها الله . ولكن مع العناية بالضمير وشغل القلب بالإيمان بالله . والإيمان بالله هو الطريق الموصل للإيمان بالإنسانية وبالأخوة فيها ، وبما يترتب على ذلك من تعاون فى سبيل الخير ، ومحبة الفرد للفرد بحيث يجعل غيره فى مستوى نفسه ، فى حق التمتع بالحياة . وإذن ما فقده نظام الدولة من ضمير لدى الأفراد . معتمداً اعتماداً كلياً على السلطة التنفيذية وحدها ، توافر هنا بجانب السلطة التنفيذية نفسها ، وأيضاً مع توافر الكرامة الإنسانية للفرد ، التى تتمثل فى الحرية الفردية : الاختيار فى الحكم أو فى العمل . وبذلك بعد مجتمع الأمة التى خلقها الله عن أن يكون مجتمعاً يساق ويدفع من خارج

لا تلعب هنا هذه السلطة الدور الذى لها فى أهميته وأصلاته فى نظام الدولة فى المجتمع الحديث .

فالإسلام الذى تحدد منه معالم الأمة التى خلقها الله - أعطى الوالى حق إقامة الحدود ، على مرتكبي الجرائم فى المجتمع ، وهى الجرائم التى تمثل اعتداء على الحرمات الفردية من نفس ، ومال ، وعرض . ووكل إليه تنفيذ هذه الحدود بالنظام الذى يراه كفيلاً بتحقيق الغاية المرجوة من إقامتها . وهى توفير الاطمئنان لأفراد المجتمع على حياتهم ، وأموالهم ، وأعراضهم .

وهذا الذى أعطاه الإسلام للوالى من حق إقامة الحدود ، هو « حق التنفيذ » الذى هو ركن من أركان نظام الدولة فى المجتمع الحديث . ولكن الإسلام مع ذلك ركز اهتمامه الأول فى الاعتماد على الضمير . تلك القوة الذاتية الدافعة للفرد عن طريق الإيمان بالله ، عند ما كلف الوالى أيضاً فى الوقت نفسه درء الحدود بالشبهات إذ يقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « ادرءوا الحدود بالشبهات » . ومعنى درء الحدود بالشبهات الرغبة فى عدم تنفيذ العقوبات الخاصة بالجرائم التى أسماها بالحدود ، إلا عندما يتوفر اليقين على ارتكابها من فاعليها وفى ذلك إفساح للضمير ، فى أن

التي خلقها الله يختلف عن وجود السلطة القضائية ، في نظام الدولة في المجتمع الحديث ولهذا الاختلاف يتميز عنه لمصلحة العدالة ، وبالتالي لاستقرار العلاقات بين أفراد المجتمع .

فالإسلام إذ يطلب العدل في الحكم والقول بين المؤمنين وبين غير المؤمنين ، ويقرن هذا الطلب في كل آية طلب فيها العدل بأن يراعى الله ، وبأن يكون القاضي أو القائل على ذكر منه عندما يقضى أو عندما يقول ، ولذا نراه يعقب بقوله : « إن الله نعماء يعظكم به ، وبعهد الله أوفوا » ، « ذلك وصاكم به » ، « واتقوا الله إن الله خير بما تعملون » ، فهو يذكر بالله ؛ ليجنب الإنسان في قضائه ، وفي حكمه ، وفي قوله ، الهوى والميل . وهذا يرد إلى ضميره فيحكم إليه قبل أن ينطق بحكمه وبقوله . وهنا اعتمد حق القضاء ، على الضمير ، كما يعتمد طبعا على الفقه ، ومعرفة ما حله الله وما حرمه ، وما شرعه للناس جملة .

بينما السلطة القضائية ، في نظام الدولة في المجتمع الحديث ، تعتمد أيضاً على الفقه ، وعلى الضمير ، ولكنه فقه الإنسان وضمير الإنسان ، وليس شرع الله ، وليس الضمير القائم على الخشية من الله ، والفرق بين شرع الله ، وفقه الإنسان ، هو الفرق بين

أفراده ، ويكون أشبه بمجتمع الكائنات الأخرى التي قدر للإنسان بحكم طبيعته أن يسودها ، وأصبح معبراً عن المجتمع الإنساني الذي تسوده خصائص الطبيعة الإنسانية .

وكذلك إن وجد حق التنفيذ ، في مجتمع الدولة التي أرادها الله — على نحو ما شرحنا — فإنه يوجد فيه أيضاً حق القضاء والفصل بين الناس في الخصومات التي تنشأ بينهم . ويراعى فيه العدل كما هو مفروض أن يراعى أيضاً في السلطة القضائية التي هي الركن الثاني في نظام الدولة في المجتمع الحديث . فالقرآن الكريم يقول : « وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، إن الله نعماء يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً » ، ويقول أيضاً : « وإذا قلتم فاعدلوا ، ولو كان ذا قربى ، وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون » . فهو يطلب أن يكون الأمر عدلاً بين المؤمنين في الحكم والقول ويتشدد في طلب ذلك بحيث لا يتأثر العدل في الحكم والقول بمحسوبة ولا هوى ، كما يطلب أيضاً العدل إذا كان الحكم لغير المؤمنين ، فيقول : « ولا يجرمكم شأن قوم على ألا تعدلوا . اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خير بما تعملون » . ولكن وجود حق القضاء ، في مجتمع الأمة

طريق اختيار السلطة التنفيذية لرجالها . وإنما هو موكول إلى جماعة تتكون عن طريق انتخاب الطبيعة ، أى عن طريق الانتخاب الذاتى الذى تبرز فيه الكفايات الفردية ، وتكون هذه الكفايات وحدها الأمانة على الانتخاب والتميز ، وهذه الجماعة هى « أولو الأمر » ، فى قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ، وأطيعوا الرسول ، وأولى الأمر منكم » ، فإن تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله والرسول ، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً . أولو الأمر هم الذين تفوقوا ، باجتهادهم فى فهم ما أنزل الله ، وتفقهوا فى كتاب الله وتميزوا فى استنباط الأحكام للوقائع والأحداث التى لم تقع بأشخاصها على عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ؛ قياساً على وقائع وأحداث أخرى تسرى على أحكامها ، وعرف الأمر فيها بحلها أو بحرمتها ، هؤلاء هم المجتهدون ولذا كان اجتهادهم إن أجمعوا عليه ، حجة تتبع . وتجب طاعتهم ؛ لأنها من طاعة الله ورسوله .

وعندئذ ربط الإسلام طاعة الفقه الذى يستنبطه الفقهاء المجتهدون ، بطاعة الله وطاعة رسوله وهنا تكون الطاعة للتشريع طاعة قائمة على إقناع وإيمان معاً . وبذلك يقل الانحراف والشذوذ عنها ؛ لأنها لم تفرض من الخارج ،

المطلق والمحدد ، والفرق بين ما يتأثر وما لا يخضع للتأثير ، والفرق بين ضمير الإنسان والضمير القائم على الخشية من الله ، هو الفرق بين قوة تتحدد بعوامل البيئة وبالوراثة ، وبنفوذ السلطة التنفيذية ، وبين قوة تعلو عن هذا التحديد ، وتستوحى توجيهها من الله وحده .

وعنصر الفقه ، وعنصر الضمير فى القضاء أمران ضروريان فى تحقيق العدالة . ولكن نوع الفقه ، ونوع الضمير أشد ضرورة فى تحقيق العدالة نفسها ، بل ربما يتوقف عليه وحده وقوع العدل أو عدم وقوعه .

ولتقدير الضمير الذى هو قائم على الإيمان بالله والخشية منه فى قيمة العدالة ، وتحقيق العدل ، يقول الرسول عليه الصلاة والسلام للبتخاضمين عنده : (إنما أنا بشر ، وقد يكون بعضكم ألحن بحجته من بعض فأقضى له فمى قضيت له بشئ من مال أخيه ، فإنما أقطع له قطعة من النار) .

وبجانب « حق التنفيذ » ، و « حق القضاء » ، فى مجتمع الأمة التى خلقها الله يوجد أيضاً « حق التشريع » ، مما يقابل السلطة التشريعية فى نظام الدولة فى المجتمع الحديث ، و « حق التشريع » ، ليس موكولاً هنا لطائفة تتكون عن طريق الاقتراع الشعبى ، أو عن

هذين المبدأين تتوفر الحرية الفردية وكرامة الأفراد كبشر ، في الوقت الذي تكون فيه العلاقات النفسية بين الأفراد قائمة على التعاون والمحبة ، والاخوة . وذلك أقصى ما يطلبه المجتمع البشري ، وأقصى ما تحققه قيادة لإنسانية لمجتمع بشري .

ولست الامة التي خلقها الله هي أمة إلهية ولا مجتمعها مجتمعاً له قداسة ، ولا القائمون على الأمر فيه ، تعصمهم نسبتهم إلى كتاب الله عن الخطأ . وإنما هي أمة أفرادها بشر ، ومجتمعها مجتمع بشري ، والقائمون على الأمر فيها أناسي يجوز عليهم الخطأ والصواب . وليست الحكومة التي تقوم في مجتمع الامة التي خلقها الله حكومة إلهية ، يجب طاعتها دون أن تسأل ، ويستمتع لها دون أن تناقش إعمالها حكومة تخضع للشورى ، وتبقى طالما تصيب ، في الحكم وفي رعاية علاقة الأفراد بعضهم ببعض .

والإنسان في مجتمع الامة التي خلقها الله . هو إنسان عليه أن يباشر ملكاته وطاقته ، وعليه أن يسمى ، وعليه أن يفكر ، وهو يصيب مرة ، ويخطئ أخرى .

و فقط الفرق بينه وبين إنسان المجتمع الحديث أنه لا يغتر بإنسانيته ولا يخضع باستقلال عقله . بل عليه - بجانب استخدام عقله وملكاته البشرية - أن يستوحى كتاب

ولم تكن محددة ومقننة من بشر لأنهم بشر بحسب . وإنما لأنهم بشر حكموا الله فيما نفقوا ، وفيما أتوا به من أحكام .

وهنا نخرج من هذه الموازنة بين الدولة التي صنعها الإنسان والامة التي خلقها الله ، بأن نظام الحكم ، وأن نظام توجيه الأفراد في المجتمع الذي يعتمد على الأسس التي لا بد من رعايتها في المجتمع - وهي أسس التنفيذ والقضاء ، والتشريع - وهي موجودة في كلا المجتمعين ؛ لأن ذلك ضرورة تقتضيها سياسة المجتمع في أية صورة من صورته . وبعد وجود هذا النظام للحكم في المجتمع الحديث لحقت به عيوب ، تجعله غير كفيل بتحقيق أهداف المجتمع من الاستقرار بين الأفراد ، وإتاحة الفرص المتكافئة للجميع . وفي الوقت نفسه يجعل من أفراد المجتمع مجموعة من الأفراد تساق دون أن تصان لها الحرية الفردية ، والكرامة الإنسانية بمعناها الأولى وهي تلك الصلة التي تجعل الإنسان ذا اختيار وذا سيادة وذا اقتنع .

وقد سبق أن وضحنا هذه العيوب التي لحقت بنظام الدولة في المجتمع الحديث ، وقد تلافاها نظام الحكم في مجتمع الامة التي خلقها الله . وأهم ما يتميز به مجتمع هذه الامة ، رعاية الضمير الإنساني ورعاية الإيمان بالله . وعن

إله . وليس كتاب الله إلا تخطيطاً عاماً لصالح البشرية . فإن وجد تحديد لكتاب الله ووجدت إساءة في هذا التحديد ، فذلك صنعة الإنسان لا تمت لكتاب الله بصلة .

وفي مجتمعنا الشرقي الإسلامي ، لم يستطع الإنسان المسلم حتى هذه اللحظة أن يدرك إدراكاً واضحاً أن الثنائية التي قامت في أوربا بين الكنيسة والدولة ، لا تتصل بالإسلام ولا بنظامه .

أما نظام المجتمع في الأمة التي خلقها الله ، فقد جعل الإنسان كله - جسمه وروحه - مجال عنايته . وبذلك عني بجسمه كما عني بالروح ، واتخذ من الإنسان وحدة واحدة ، يتبع قيادة واحدة . وحمله حملاً معنوياً - عن طريق الضمير - إلى أن يكون يدفعه نحو الحركة ، ونحو توثيق العلاقات بينه وبين غيره ، ونحو الاطمئنان والاستقرار ، من نفسه لا من غيره .

ولعل شرماً ابتلى به نظام الدولة في المجتمع الحديث هو « الثنائية » بين الدين والدولة ، بين سلطة الكنيسة كسلطة دينية ، وبين سلطة الدولة كسلطة مدنية .

أما الأمة التي خلقها الله ، فمجتمعها غير موزع بين سلطين ، وإنما نظامه قيادة واحدة ، وتوجيه واحد .

« صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة » .

المكتور محمد البهري

المدير العام للثقافة الإسلامية

وفي مجتمعنا الشرقي الإسلامي ، لم يستطع الإنسان المسلم حتى هذه اللحظة أن يدرك إدراكاً واضحاً أن الثنائية التي قامت في أوربا بين الكنيسة والدولة ، لا تتصل بالإسلام ولا بنظامه .

الإسلام ليس كنيسة ، ورجال الفقه وعلماءه ليسوا كهانا . بل المسلمون جميعاً سواء ، هم مسلمون ، ثم بعد ذلك أصحاب حرفة أو أصحاب مهنة . ليست في الإسلام جماعة تمارس سلطة باسم الإله ، ولا هيئة تحدد منطقة نفوذ لها في الإنسان إما في روحه وإما في جسده . وإنما هم جميعاً أبناء أمة واحدة . هي تلك التي أشار إليها القرآن الكريم في قوله : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » .

والإسلام بعد ذلك ، ليس مشغولاً عن تحريف الإنسان إياه ، ولا عن إساءة فهمه له . ومسئولية الإسلام في قرآنه فقط : « وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ، إن الله شديد العقاب » .

إن نظام الدولة في المجتمع الحديث اتخذ

الله

في القرآن الكريم

للأنساذ محمد محمد المدني

— ٢ —

١ — بعض الناقدين للإسلام يقولون : في كل عالم : من عالم النبات إلى عالم الحيوان إلى عالم الجهاد ، إلى عالم السكواكب إلى غير ذلك من العوالم؛ فإنه يرى آثار الرحمة الإلهية واضحة ويكفي أن ننظر إلى ذلك مثلاً في خلق الجنين وتكوينه ورزقه وحفظه في رحم أمه وولادته وإرضاعه إلخ.. لنرى أن الله يغمره بالرحمة والتربية غمراً ، وأنه بعد ذلك يتعهد في كل خطوات حياته إلى أن ينتهي ، بألوان من التعهد والعناية لا تذكر بجوانبها عناية الأب بانهته ؟

٢ — والواقع أن هؤلاء النقاد إما غافلون أو متغافلون عما وصف به الإسلام رب العالمين .

فإن الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه العزيز : « والله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون » .

وقبل أن ندخل في بيان ما توحى به هذه الآية نسارع فنقول : إن الله تعالى سمي نفسه « رب العالمين » ، وكلية رب هذه تدل على معنى التربية والتعهد وتنطبق على ما لله تعالى من فضل على جميع العوالم ، بإعدادها وإمدادها فمن تأمل كيف أنعم الله بالتهيئة والإمداد

٣ — وإذا نظرنا بعد ذلك إلى ما توحى به الآية الكريمة وهي قوله تعالى : « والله الأسماء

هذا المسلك الصوفي مسلك حسن من غير شك ، ولكنه في نظري ليس أحسن المسالك وإنما يحتلى المؤمن عظمة ربه كاملة إذا شغل نفسه بمظاهر صفات الله كلها وتقلب بفسكره فيها فيتأمل مظاهر الرحمة والنعمة ، ويتأمل مظاهر البأس والنقمة ، ويتأمل مظاهر العلم ومظاهر الحكمة ، ويتأمل مظاهر العدل ومظاهر الجبروت ، وهكذا .

وقد يدلنا على هذا المعنى أن القرآن الكريم حين يذكر صفات الله تعالى يذكرها غالبا متتابعة دون عطف بحرف ، فيقول : « إن الله عزيز حكيم ، . « إن الله غفور رحيم ، ، « والله عليم حكيم ، . وأظهر مثال لذلك هو ما جاء في آخر سورة الحشر حيث يذكر الله تعالى مجموعة من أسمائه الحسنى متتابعة مترادفة دون تفريق بين سابق منها ولاحق فيقول : « هو الله الذي لا إله إلا هو ، الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون . هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى ، يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ، .

٤ — فأخذ الأمور على وجهه من الجانية هو الذي جعل هؤلاء النساقين ينظرون إلى أن الإسلام يصف الإله بالأوصاف الخفية ويغفلون أو يتغافلون عن الأوصاف الأخرى أو الأسماء الأخرى . ومن واجهم أن يعلوا

الحسنى ، فإننا نستطيع أن ندرك كيف حرص القرآن الكريم على أن يصف لنا الإله بمجموعة من الأسماء أو الصفات التي نستطيع أن نقول : إنها يناهض الخير والعدل والحق والجمال والجلال ، فهو لا يريد أن نرى من الإله جانبا واحدا فيكون إدراكنا لعظمته جانبيا ، أى مرتبطا بجانب ، ولكنه يريد أن نرى من الإله كل الجوانب ؛ لأن من رأى جانبا واحدا ، أو بعض الجوانب ، لم يكن مدركا للعظمة من جميع نواحيها ، وبعبارة أخرى يعلننا الإسلام أن ننظر إلى صفات الله كلها كمجموعة ولا نكتفى بالنظر إلى جانب واحد منها ، وإلا كنا قاصرين عن إدراك كمال الله تعالى أو مقصرين فيه .

يرى أن بعض المتصوفة كان من شأنه أن يتأمل في صفات الله واحدة بعد واحدة ، فربما استغرق بضع سنين لا ينظر إلا في صفة « الرحمن ، أو « الرحيم ، فيتأمل في آثار الرحمة الإلهية تأملا عميقا ، ويقف عند كل أثر من هذه الآثار وقفه الخاشع المعجب ، ويستمر على ذلك لا يشغل نفسه بتأمل صفة أخرى من صفات الله لمدة أعوام حتى إذا امتلأ بهذه الصفة قلبه ، وعمق الإيمان بها في أعماق نفسه ، انتقل إلى صفة أخرى كصفة « العزيز ، مثلا ، فجعل يتأمل مظاهر هذه العزة في السكون وفي الناس مدة أخرى وهكذا ...

ولله المثل الأعلى، فمن نظر إلى صفة واحدة من صفاته فإنه لا يستطيع أن يزعم أنه أدرك الله في كماله وجلاله .

هـ - وفي الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أن لله تسعة وتسعين اسماً - مائة إلا واحداً - من أحصاها دخل الجنة » .

والمفسرون يوردون هذا الحديث وما في معناه حين يتكلمون عن تفسير قوله تعالى : « والله الأسماء الحسنى فادعوه بها » ، ولكنهم مع ذلك يوردون أحاديث أخرى تدل على أن لله تعالى أكثر من هذا العدد من الأسماء الحسنى ، ومن أشهر الأحاديث التي تدل على ذلك ما رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود وفيه (أسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحداً من خلقك . أو استأثرت به في علم الغيب عندك) ولذلك يحاولون التوفيق بين هذه الأحاديث ، بأن الحديث الأول غير حاصر للأسماء في هذا العدد ، وإنما يذكر هذا العدد فقط ، وبعضهم يستخلص هذا العدد من القرآن فإذا رأى العدد زاد عن تسعة وتسعين حاول إرجاع بعض الصفات إلى بعض وأنها في معنى واحد باعتبار الأصل ، مثل (الغافر والغفار والغفور) و (الشاكر والشكور) ونحو ذلك .

أن الكمال المطلق يقتضي أن يتصف الكامل بجميع الصفات الحسنى وإلا لكان ناقصاً في جانب كاملاً في جانب ، فنحن إذا علمنا أن فلاناً من الناس شجاع ولم نعلم بغير هذه الصفة فيه ، فإننا ربما تصورناه مهيباً مفزعاً خيفاً ، ولكن إذا علمنا أن هذا الشجاع يتصف بأوصاف أخرى مثل : الجود والرحمة والعلم والحكمة فإن قيمته تزداد في نظرنا ، ونطمئن إلى أن شجاعته ليست من النوع الخطر ، على معنى التهور مثلاً ، وكذلك لو علمنا أن فلاناً من الناس رحيم القلب ، ولم نعلم بغير ذلك من صفاته فربما تصورناه لشدة رحمته متراخياً أو ضعيفاً عن غيره ، أو طمعنا في رحمته فلم نخف من سطوته ، ولكننا لو علمناه مع الرحمة قوياً شديد البأس في موضع البأس ، ازداد تقديرنا له ، وازدداً علماً بجوانبه وإدراكاً لمجموعة صفاته التي بها يتميز عن غيره .

وإذا أردنا أن نعبّر عن هذا المعنى بعبارة أخرى ، فإننا نقول : قد يوجد مزيج من الدواء هو مجموعة من مقادير مختلفة من أنواع وعناصر مختلفة ، فإذا عرفناه على هذا التركيب باسم معين ، فلا يمكن أن نطلق هذا الاسم على آخر فقد بعض عناصره ، أو فقد نسبة المقادير التي ركب على حسابها .

وفطره على طبع وفطرة تجعله عالماً بالاسماء كلها ، ولا يصح أن نفهم أنه عليه الاسماء أى ألقاب الأشياء بعد مناقشة الملائكة ؛ لأنه حينئذ بمثابة أن يعترض عليك أحد فى تفضيل فلان عليه فتريد أن تبرهن له على أن فلانا هذا خير منه ؛ فتعابه بشئ لا تعلمه المعارض ، فإن له ولكل عاقل أن يقول لك : أنت علمته ولم تعلمنى ، ولو علمتني مثله لكنت مثله أو يقول : لئن وإياه متساويان ولكنتك منحه علما لم تمنحني إياه ، وجددت له هذا العلم حين سألتك عن سر تفضيله ، وهذا لا يعطيه مزية وأفضلية من دوني .

هذه خلاصة الفكرة عن الاسماء فى قصة آدم ، وهى تقرب من الاسماء بمعنى المعانى فآله وصف نفسه بأن له الاسماء الحسنى ، أى جميع المعانى الفاضلة الخيرة ، التى لا يرقى إليها من سواه ؛ لأن الحسنى مؤنث الاحسن ، فكأنه قال ما من صفة من الصفات الحسنة إلا وهى فى الله تعالى ، وصادرة منه وهو ينبوعها الأول ، وهى فيه جل شأنه على الوجه الأكمل والاحسن لا يشاركه فى ذلك مشارك .

وبهذا التفسير نعلم أن الأحاديث ليس لها غرض فى الحصر والعدد وإنما تريد بيان الكثرة على حد « سبعين مرة » أو « سبعة وسبعين » ، إلى غير ذلك مما جاء على

ولى رأى فى هذه المسألة أبدية فى إيجاز : وهو أن الآية السكرية « والله الاسماء الحسنى فادعوه بها » لا تقصد إلى تحديد أسماء معينة أو صفات معينة تشير إليها بذلك ولا تقصد إلى معنى الاسم الذى هو لفظ يطلق على الذات لتعريفها ، كما نسمى إنسانا من الناس محمداً مثلاً ، وإنما تقصد الآية - والله أعلم - إلى تقرير أن الله تعالى هو مصدر كل المعانى السكاملة المعبر عنها بالاسماء الحسنى فما من معنى من معانى الخير والحق والجمال والجلال إلا وهو لله أصلاً ومن الله مبدأ ومصدراً .

والتعبير بالاسماء هنا شبيه أو قريب من التعبير بالاسماء فى قصة آدم حيث يقول الله عز وجل : « وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين » ، فليس المراد هناك ما تبادل إلى أذهان كثير من المفسرين من أنه عليه اسم كل شئ حتى القصعة وكذا وكذا .. ، ولكن المراد - والله أعلم - أنه علم آدم ، أى علم الإنسان وركز فى طبعه ومواهبه وسائل التعرف للحقائق واكتناه الأشياء والمعارف والخواص ، وهذا ما ميزه به على الملائكة الذين لم يهبهم هذه الموهبة ، ولم يطبعهم على ما طبع عليه الإنسان منها ، وقوله تعالى : « وعلم آدم معناه » : وكان علم آدم ، أى علمه

ويوازن بين الإسلام والمسيحية التي وصفت الإله بأنه الأب ، وهو لفظ مفيد لمعنى الخنو والرحمة .

نعود إلى هؤلاء كره أخرى فنقول لهم : بأى حق تتحدثون عن تنزيه الله ، وأتم الذين نسبتم إليه ما ينافي التنزيه في كتبكم ؟ .

- لقد ذكرت التوراة في الإصحاحين : الثاني والثالث من سفر التكوين قصة آدم وحواء وخروجهما من الجنة ، وذكرت أن الله أجاز لآدم أن يأكل من جميع الأشجار إلا ثمرة شجرة معرفة الخير والشر وقال له : لأنك يوم تأكل منها موتا تموت ، ثم خلق الله من آدم زوجته حواء ، وكانا عاريين في الجنة ، لأنهما لا يدركان الحسن والقبح ، وجاءت الحية ودلتهما على الشجرة وحرصتهما على الأكل من ثمرها ، وقالت : إنكما لاتموتان ، بل إن الله عالم أنكما يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتعرفان الحسن والقبح ، فلما أكلتا من ثمرة الشجرة انفتحت أعينهما ، وعرفا أنهما عريانان ، ففضعا لأنفسهما مئزرا ، فرآهما الرب وهو يتمشى في الجنة ، فاخبتا آدم وحواء منه ، فنادى الله آدم أين أنت ؟ فقال آدم : سمعت صوتك فاخبتأت لأنى عريان ، فقال الله من أعلمك بأنك عريان ؟ هل أكلت من الشجرة ؟ .

ثم إن الله بعد ما ظهر له أكل آدم من الشجرة قال : هو ذا آدم صار كواحد منا عارف

مألوف العرب في إفادة الكثير بالسبعين والتسعين ... إلخ .

٦ - وإذن فالأسماء الحسنى التي تذكر في القرآن والحديث ما هي إلا عبارات عن هذه المعاني التي تصور السكال المطلق في الله في كل جانب .

ولهذه الأسماء إichاءات إلى السكال ؛ فإن الإنسان والله إلى الآله أى منجذب إليه متخلق بأخلاقه ، والإيمان يزيد هذه الطبيعة في الإنسان ، فهو يتأثر مولاه ويتبعه ، فإذا علمت أن الله رحيم ، فقد علمت أن الرحمة كمال يجب أن ينشد . وإذا علمت أن الله عليم ، فقد علمت أن العلم كمال يجب أن ينشد . وهكذا . حتى صفات الانتقام والأخذ الشديد هي أيضا مثل تحتذى ، على أن توضع في مواضعها كما يضعها الله تعالى في مواضعها ، فإذا كان أحد من الناس يحسن أخذ الظالم المستحق للأخذ ، ويحسن كيف يشتد في أخذه انتقاما من شدة ظلمه ، فإن هذا يعد وصفا حسنا فيه إذا وضعه في موضعه .

وقصارى القول أن للأسماء الحسنى التي يتسم بها الله جل جلاله إichاء بعظمة الله وجلاله ، كما أن لها إichاء بأخلاق الجمال والسكال .

٧ - بعد هذا نعود إلى الذين ينقدون الإسلام بأنه يصف الإله بأوصاف تخيف

وإذن فإبراهيم في نظر هؤلاء متصف بصفة الكذب، وبصفة السكوت على انتزاع زوجته منه .

وفي قصة لوط يذكر أن زنى بابنتيه بعد أن سقاهم خمرأ ، وأنه أحبلهما ولدين : أحدهما (مؤاب) أبو المؤابيين ، والثاني (بن عمى) وهو أبو (بنى عمون) .

وفي قصة اسحاق أنه أراد أن يعطى بركته أحد أبنائه وهو عيسو ، فخادعه يعقوب ، وأوهمه أنه عيسو وسقاه خمرأ ، فأعطاه هو البركة ، ولم يعطها لعيسو ، ولما راجعه عيسو في ذلك ، قال له ما منّا : لقد انتهى الأمر .

وفي ذلك معنى أن الأنبياء يزنون ويسكرون ويخدعون ، وأن بركة الرب تعطى جزافا ، والنبوة تؤخذ عن خديعة ... وهكذا .

فمن أين لهم هذا الهراء وهذا التخريف . وكيف مع هذا يعيرون على الإسلام ما وصف به الإله الحق ؟ .

محمد محمد المرنى

عميد كلية الشريعة

بالحسن والقيح ، والآن يمد يده فيأكل من شجرة الحياة ، ويعيش إلى الأبد ، فأخرجه الله من الجنة ، وجعل على شرفتها ما يحرس طريق الشجرة . وذكر في العدد التاسع من الإصحاح الثاني عشر : أن الحية القديمة هو المدعو إبليس والشيطان الذى يضل العالم كله .

انظر كيف تنسب كتبهم إلى الله أنه كذب على آدم وخادعه في أمر الشجرة ، ثم خاف من حياته وخشى معارضته إياه في استقلال مملكته فأخرجه من الجنة ، وأن الله جسم يتمشى في الجنة ، وأنه جاهل بمكان آدم حين اختفى عنه ، وأن الشيطان المضل نصح آدم ، وأخرجه من ظلة الجبل إلى المعرفة وإدراك الحسن والقيح (ص ٣٦ من كتاب البيان في تفسير القرآن) .

وإننا لنجد هذا اللون كثيراً في كتب العهدين القديم والجديد ، ونرى كيف يصفون الأنبياء ، فإبراهيم كذب على فرعون ، وعرفه أن سارة أخته بينما كانت زوجته ، فاتخذها فرعون زوجة له ، وآتى إبراهيم أموالاً من غنم وبقر وحمير وعبيد إلخ ، ولما علم فيما بعد أنها زوجة إبراهيم ، ردها له وعاتبه في أنه لم يعرفه بهذه الحقيقة .

نَفَايِصُ الْقُرْآنِ

الْقَضْبُ مَجْلِبَةٌ لِسُوءِ الظَّنِّ وَاللَّئِمِّ
وَالْإِكْرَاهُ مَعْذَرَةٌ فِي الْمِظَا
وَالِاسْتِغْفَارُ طَهْرَةٌ مِنَ السَّوَابِ
لِلْأَسْتَاذِ عَبْدِ اللطيفِ السَّبْكِيِّ

(١) « ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا ، قال بئسما خلفتموني من بعدي !! أعجلتم أمر ربكم ؟ وألقى الألواح ، وأخذ برأس أخيه يجره إليه .
(ب) قال : ابن أم !! إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ، ولا تجعلني مع القوم الظالمين .
(ج) قال : رب اغفر لي ولأخي ، وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين » .

ونسج لهم تاريخاً من مناهجهم في الحياة ، ومن شئونهم في الدين ، ومواقفهم أمام رسالات الأنبياء .

وإنك لتجد السكتب زاخرة بالقول فيهم ، وتجد القرآن يتناولهم بالشىء الكثير ، حتى لتشعر - صادقا في شعورك - أنهم رموز حية لشياطين الإنس . وأن جانهم لا يؤمن ، وإن غلبت عليهم المودة والزلفى ، وتلدس في غير ريبة أن عهدهم وإن وثقوه عهد منقوض وفي سياستهم مع موسى عليه السلام أمثلة تنبيك عن طبائعهم واتجاهاتهم في دنيانا فضلا عما كان لهم مع غير موسى من الأنبياء ، وماضيهم لا يختلف عن حاضرهم ، وهم فيما سلف أشبه بما نراه منهم اليوم ، وربما كانوا في غدم شرا مما عرفنا عنهم .

حياة موسى عليه السلام كانت مرحلة زمنية حافلة بالأحداث والعجب ، وفي كل جانب منها فصول تلقنها الإنسانية في مصابرة ، وعرفت منها الدنيا ما لم تكن رأت في أحقابها الأولى . فإذا تجاوزنا الحديث عن طوره الأول - في عهد فرعون وما أحاط به من مخاوف - إلى الحديث عنه رسولا إلى بنى إسرائيل ، وما كان من شئونهم مع موسى وجدنا متسعا للقول ، وأحداثا يستغرق ذكرها أو قاتا ، ويثير الحيرة في أمر هؤلاء اليهود .
نعم !! تاريخ اليهود حافل بالعجب ، وقضاياهم بارزة في صفحة هذا الوجود .

فإن يكن لهذه الطائفة بين سائر الشعوب نشاط في الدنيا ، وجولات في المجال الاقتصادي فكان الله خلقهم على نمط خاص بهم في التفكير

ويحضروا معه ما يتلقاه من ربه ، وترك هارون مع القوم ينتظرون .

وفي طريقهم إلى الوادى المقدس تعجل موسى في سيره ليسبق ، ووعد أصحابه اللقاء عند الميقات .

وفي هذا سؤال الله تعالى ، وما أعجلك عن قومك يا موسى ؟ ، وفيه جواب موسى ، قال : هم أولاء على أترى وعجلت إليك رب لترضى .

مكث موسى وأصحابه ثلاثين ليلة ، ثم عشرة أخرى ، أراد الله زيادتها في الموعد ولم يكن هارون ومن معه يعلون بتلك العشر الليالي فراب القوم غيابه ، وأخذوا ينتفضون عليه ويتحللون من دينهم ، ويسارعون في الكفر كما كانوا يشتهون من قبل ، وبعد تلقى موسى للتوراة ، وقبل انصرافه إلى أكثرية القوم في مقرهم الأول مع أخيه هارون وزيره . أخبره الله أن القوم غمرتهم الفتنة في غيابه ، وأن موسى السامرى أحد أتباعه ، دبر لهم فتنة الكفر التي ارتكسوا فيها .

ومع أن موسى كليم الله ، وصاحب الخطوة بالحديث إلى ربه لم يستفسر عن تفصيل الفتنة ، لأنه يعهد في الكثير من يهوده ذبذبة الفكرة ، ووهن العقيدة ، فشغله لهم لذلك وقفل راجعا ليتدارك القوم في محتهم .

(١) عاد فأبصر أكثر قومه حول تمثال

ولكن الله لن يرفع لهم راية ، ولن يعلى لهم شأننا كما سجل عليهم غضبه ، وهددهم بشر وعيده في القرآن ، ولن يخلف الله وعيده معهم . حينما اجتاز موسى بهم البحر ، وتجلت فيهم المعجزة بإغراق فرعون وجنوده ، ونجاة موسى وأتباعه من طغيان الفراعنة : ما كادت أقدام اليهود تستقر على أرض سيناء حتى اقترحوا على موسى أن يتخذ لهم أصناما يعبدونها كما رأوا هناك جملة كفاراً يعبدون الأصنام ، يا موسى ! اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة . . .

فنهزم موسى عن ذلك التقليد ، وذكرهم نعمة الله عليهم بالنجاة من فرعون ، وكانوا في ضنك من حكمه عليهم بمصر ، وفي شقاء من مطاردته لهم وقتل أولادهم واستحياء نسائهم . . ولكن طبائع الشر كامنة فيهم ، فما انصرفوا عن طلبهم ذاك إلا تحيينا للفرصة وانتهازاً للوسيلة ، وذلك دأب النفوس المتمردة الخبيثة .

وحينما استقر بهم موسى حيث استقروا في سيناء ، وعد الله موسى أن ينزل عليه كتاباً يتلقاه بالوادى المقدس - وهو المعروف بطوى - بجبل الطور في تلك الصحراء .

وفي الموعدة التي وعد الله موسى أخذ معه سبعين رجلاً من خيارهم ليصحبوه إلى الميقات

من الذهب لعجل من البقر يعبدونه .

فكانت ظاهرة الغضب في أمور ثلاثة :

١ - أنكر على قومه في شدة ، قال :
بئسما خلقتهم من بعدى !! أنجلتم أمر ربكم ؟ ،
يريد بئس العمل الذي عملتموه في غيابي عنكم
وهل استبظأتم حضوري فتعجلتم أمر ربكم ،
ولم تنتظروا عودتي بما آتيكم به من عند الله .

٢ - وألقى الألواح ، وضع التوراة
حيث وضعها ، في شيء من التسرع والانفعال
لما رأى عليه قومه ، وكان المفروض أن
يتهدى ويتشد في وضعها ، ولكن الغضب
قد بلغ منه مبلغه .

وهنا توسع أناس ، وعلقوا على هذا
الإلقاء بأن التوراة تحطمت ألواح منها
وذهب جانب كبير من أصولها الأولى ،
ولكنها روايات لا يبنى عليها علم صحيح .

٣ - الأمر الثالث ، وأخذ برأس أخيه
يجره إليه ، لما ظنه موسى بأخيه أنه تسامح
مع القوم فلم يجرهم عن عبادة العجل ، ولم
يقم فيهم بالإرشاد كما أوصاه موسى .

وطبيعي أن يساء الظن بمن كان معهوداً
إليه في أمر ثم لا يفي به على الوجه المطلوب .

(ب) ولكن هارون أبدى معذرتة لموسى
وأقنعه بقوله : وابن أم !! إن القوم استضعفوني
وكادوا يقتلونني ، فلا تشمت بي الأعداء ، ولا
تجعلني مع القوم الظالمين .

طابت نفس موسى وسكت عنه الغضب ،
إذ أصبح على بينة من الأمر ، واقتنع بأن
أخاه هارون لم يتساح ، بل نصح وقام
حتى كادوا يقتلونه ، وأن موسى السامري
ومن انتقصوا معه قد تغلبوا ، وصنعوا
العجل من الذهب ، وأخذوا يعبدونه كما
كانوا يتهاقنون على الشرك سابقا .

(ج) وإذا كان موسى ظاناً بأخيه غير
الواقع ، وكان هارون معذوراً في شأنهم
فلم يسع موسى إلا أن يبادر إلى الله بطلب
العفو عنه وعن أخيه بما كان من غضبه وسوء
ظنه بهارون ، وبما يكون من تخلف هارون
عن الذهاب إلى موسى وإخباره كما عتب عليه
ذلك في قوله : يا هارون !! ما منعك إذ
رأيتهم ضلوا ألا تتبعني ، فمع وضوح المعذرة
لموسى وهارون في موقفه أناب موسى إلى الله
بالدعاء ، قال : رب اغفر لي ، ولأخي ،
وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين .
وكذلك شأن الاتقياء يطلبون المغفرة ولو لم
يكن ذنباً . ويطلبون الرحمة لهم وللناس في كل
حين ؛ لأن النفوس الخيرة تشعر دائماً أنها
دون السكال في القيام بحق الله ولو كانت كاملة
وتطلب المزيد من رحمته تفضلاً منه تعالى :
لا استحقاقاً على الله ، بخلاف الجهلاء الذين
يحفزهم الخيال والحق على الاعتزاز بأنفسهم ،
فيقول المرء منهم عند النعمة : ربني أكرمني -

فالا نفعال من موسى إزاء هؤلاء غير معيب منه ، ولا كثير عليه لما يحتاجون من زجر وتقويم ...

وربما كان الغضب في كثير من الأحيان أجدى من الحلم في علاج أمثال اليهود ...

ووضع الندى في موضع السيف بالعلماء

مضر كوضع السيف في موضع الندى

وقد أوضح العلماء أن الغضب في حقيقته

جمرة نفسية تتوقد في الصدر ، ولذلك كان

علاجه في هدى الرسول صلى الله عليه وسلم

أن من غضب فليضطجع ، فإن لم يذهب غضبه

اغتسل . وبما ورد في ذلك : (إذا غضب أحدكم

وهو قائم فليجلس . فإن ذهب عنه الغضب وإلا

فليضطجع) وقوله صلى الله عليه وسلم كذلك :

(إن الغضب من الشيطان ، وإن الشيطان خلق

من النار ، وإنما تطفأ النار بالماء ، فإذا غضب

أحدكم فليتوضأ) وهكذا مما نصح به الرسول

في مقاومة الغضب بالجلوس من قيام ،

وبالاضطجاع ، وبالوضوء ، وبالاغتسال ،

ومهما يسكن للغضب من أسبابه ومبرراته

ففضل الحلم مشهود به ، وثواب الاحتمال

مضمنون في قول الله سبحانه مدحاً في المتقين :

« والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ،

ومن قبيح هذا قول الرسول صلى الله عليه

وسلم : (الحلم سيد الأخلاق) .

وقد تعرض الفقهاء للغضب إذا طلق

زوجته في غضبه ، فكثير منهم لا يعتبر

لاستحقاق ذلك الإكرام ويقول عند النعمة

ربي أهانني ، وأنا لا أستحق الإهانة وكان

من هذا القبيل أن يستهين الكفار بالإيمان ،

ويقولوا عن المؤمنين ولو كان خيراً ما سبقونا

إليه ، فهذا شموخ الحق الذي يعيبون الإيمان .

« وإذا لم يمتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم » .

وفيما تقدم توجيه لنا إلى ناحية الغضب والإكراه

فالعصب نزعة بشرية طبيعية في الإنسان ،

وهي لا تنقص شأن الأنبياء ؛ لأنهم أناس

كغيرهم ولكننا نختلف في هذه النزعة شدة ،

وهوادة ، وهذا فرق ما بين الحليم والغضوب

وما كانت هذه النزعة لتأخذ على نبي من

الأنبياء حلّه المفروض ، إلا أنهم يغادرون

على دين الله ويغضبون الله ، وكذلك كان

موسى ، بل كان أكثر الأنبياء انفعالا كما

يقول بعض المفسرين .

وواضح أن لموسى عذره في مزيد استيائه

لأنه بعث في قوم ليسوا جهلاء فقط وإنما

هم خبيثاء ماكرون ، وجبناء مستنلون لا

يحترمون لأنفسهم شخصية ، وكان مقامهم

في حكم فرعون أورثهم المهانة ، وعليهم

الخداع ، فضلا عن أنهم لا يوفون بعهده ،

ولا يشكرون نعمة ، ولا يتخلفون عن رذيلة

ولا يأمرن بمعروف ، ولا يمتنأهون عن

منكر ... وتلك أوصافهم التي يحكيها عنهم

الله الذي خلقهم وابتلاهم بتلك النقائص .

الغضب مانعاً من وقوع الطلاق ، وفريق

يرى الغضب مانعاً من وقوع الطلاق في حالة
شدة الغضب ؛ لأن المرء لا يكون مدركاً
لما قال بل أخبره غيره بما حصل منه ،
ففي تلك الحالة فقط يعتبر كالمجنون
فلا يؤاخذ ، والإكراه كذلك له أثره
في محاسبة المرء على عمله .

ومن قضية هارون عليه السلام أنه لم يكن
متساعاً مع قوميه في تعهدهم ، وهو نبي
ووزير لأخيه موسى في رسالته فلم تسكن عليه
تبعة في انحرافهم وما ارتكبوا من خطأ جسيم
لأنه مكره ؛ إذ هددوه بالقتل ، فتجاشأهم
لأنه لو تبادى وقتلوه ، لكان ملقياً بنفسه
إلى التهلكة دون ثمة لهذا .

وكذلك تشريع الله للناس يعفيهم من
تبعة الإكراه على المخالفة إذا نفذت الحيلة
وعجزت المحاولة ، والله لا يكلف نفساً إلا وسعها
والمكره عاجز ولا شك وفي ذلك يقول
النبي صلوات الله عليه وسلامه : (عني لأمتي
عن الخطأ - غير المقصود والنسيان ،

وما استكروها عليه) .

بل القرآن نفسه يتحدث عن الإكراه على
الكفر بالقتل مثلاً ، إلا من أكره وقلبه
مطمئن بالإيمان ،

فتلك حالة صادقت فسحة في الدين ، وعفوا
من جانب الله .

ولكن يراعى في الإكراه المعنى من التبعة
ألا يجد الإنسان منفذاً منه ، فالمكره في دينه
مطالب بالهجرة إلى وطن آمن سوى وطنه
إذا عجز عن الجهاد والقيام بواجبه .

والمدافع عن ماله أو عرضه إذا اقتضاه
الأمر أن يقتل المعتدى عليه فله قتله والتخلص
من عدوانه ؛ لأنه يعتبر مكرهاً على فعله هذا
من جانب المعتدى نفسه ، ومهما يكن من
تجاوزنا فباب التوبة مفتوح لمن ينيب إلى ربه
بالتوبة والله يعفو عن السيئات ، ويهدينا إلى
صراطه المستقيم .

عبد المظيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

فقير وغنى

مررت بالفقير فقال لي : أبحث عن طعام لمعدتي
ومررت بالغنى فقال : أبحث عن معدة لطعامي !

كيف نصل إلى تطوير الفقه الإسلامي

للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

الحشر على الخير فيهم ولهم ، فقال فيهم سبحانه : « إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » .

ولكن العرب صاروا إلى ما صاروا إليه من كرامة وعز ومجد ، وعلا سلطانهم على كل سلطان ، بفضل الإسلام الذي جاءهم بالعقيدة الحقة بعد أن كان الناس منها في أمر مريب ، وبالشريعة العادلة الصالحة لكل جيل وعصر إذا فهمت على أصولها ، وعمل رجالها على تطويرها في حدود كتاب الله وسنة رسوله لتكون حقاً صالحة لكل زمان ومكان .

وهكذا كان يعمل رجالنا الأولون من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم وهكذا كان يعمل فقهاؤنا الخالدون أئمة المذاهب المعروفة ، وهكذا كان يعمل تلاميذ أولئك الفقهاء والأعلام الذين نهجوا نهج أئمتهم واتبعوا طريقهم . وفي تلك العصور المجيدة كانت شريعة الله ورسوله هي القانون الذي ينزل الناس جميعاً على أحكامه ، وكان فقهاء كل عصر يتفهمون مسائله ومشاكله ويعملون

في هذه الأيام المباركة ، وفي هذا العهد الطيب الذي لا يعرف رجاله الوقوف والجود ، بل هم دائماً في حركة مطردة ومسير دائم إلى الإمام ، نرى أن على رجال الفقه والقانون واجبات ثغلاً لا يجب أن يقوموا بها ، وأن يعملوا لتحقيقها جادين ومستعنين بما يقوم في سبيلهم من صعاب وعقبات .

ولعل أهم هذه الواجبات وأجلها خطراً ، هو أن يكون بعضهم لبعض معيناً وظهيراً على إقالة الفقه الإسلامي من عثرته والنهضة به وعلى تطويره ؛ ليسكون حقاً صالحاً لهذا العصر الذي نعيش فيه ، وبذلك يكون الأساس الاسمي الأول لكل ما نحتاج إليه من نظم وقوانين .

إن شعارنا اليوم هو « القومية العربية » ، وبهذا نستمسك ونفخر ونعتز ؛ فإن العرب هم — كما يقول ابن المقفع — الذين أدبتهم نفوسهم ، ورفعتهم همهم ، وأعلتهم قلوبهم ، وأستهم ، حتى دفع الله لهم الفخر ، وبلغ بهم أشرف الذكر ، وختم لهم بملكهم الدنيا على الدهر ، وافتتح دينه وخلافته بهم إلى

بأخرى كانت ثابتة مستقرة قبلها ، وذلك
أخذاً بأصول الفقه ، ومنها العرف
والاستحسان والمصالح المرسله ؛ وبهذا
تطور الفقه حقاً فى هذه الأحكام ، وكان
هذا خيراً كثيراً .

ونذكر من هذه الأحكام . على سبيل
التمثيل لا الحصر ، إجازتهم أن يأخذ معلم
القرآن أجراً على عمله ، وكذلك إمام المسجد
وخطيبه ، مع أن مثل هذه الأعمال ما كان
يجوز أخذ أجر على القيام بها ؛ لأنها من
الأعمال الدينية التى يفرض القيام بها على
القادر عليها قربة لله تعالى .

ومن هذا القبيل أيضاً ، ما كان من إجماع
الصحابه رضى الله عنهم أيام سيدنا أبى بكر
الصدىق على جمع القرآن وكتابته ، رعاية
للصلحه العامة للإسلام والأمة ، بعد أن
توقف الصدىق أول الامر عن الإقدام على
هذا العمل ، وكان يقول : كيف أفعل شيئاً
لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟
ولكن عمر ظل به يراجع حتى شرح الله
صدره له .

ثم جاء سيدنا عثمان رضى الله عنه ، ورأى
اختلاف المسلمين وقد تنامت بهم الديار فى
البلاد المختلفة ، فأمر بجمعه فى مصحف واحد
فرق منه نسخاً فى البلدان ، ثم أمر بحرق
ماسواه من الصحف ذوات القراءات المخالفة .

على إيجاد حلول وأحكام لها تتفق والقرآن
والسنة .

ثم مرت القرون ، وضعت الهمم ،
وران على قلوبنا وعقولنا حب التقليد
بل السكف به فإذا بالفقه الإسلامى يجمد
على ما تراه فى بطون الكتب وإذا به ينزوى
عن الحياة ، وإذا بنا نهرع للفقه الغربى نأخذ
منه ونجعل القوانين التى اتخذت منه ، هى
الفيصل فى شئوننا وننسى ذلك التراث المجيد
الذى ورثناه عن أسلافنا الأجداد وهو تراث
صلحت الإنسانية به قروناً طوالاً ، ولا يزال
ما فيه من تشريعات صالحاً لقيادة الإنسانية
أكبر الدهر لوجد رجالاً ! .

* * *

هذه كلمة تبين لنا أنه أن لنا أن نتحرك ونعمل
وأن نبذل كل ما نستطيع من جهد لتطوير
الفقه طبقاً لأصوله ، وبذلك لا يجمد أحد
من رجال القانون والتشريع حاجة إلى الأخذ
عن قوانين الغرب ، هذه القوانين التى قد
يقوم عليها أمر من وضعت لهم ، ولكنها
لا يمكن أن تصلح لنا ، وذلك لاختلاف
ما بيننا وبينهم فى العقيدة والتقاليد .

وإننا بهذا الذى نطلبه جاهدين منذ
سنوات ، لا نريد بدءاً من الأمر ، فقد سبقنا
الفقهاء الأصلاء فى العصور المختلفة ،
إلى استبدال كثير من الأحكام التشريعية

جامدين أمام النصوص التشريعية ، بل رأوا أن الأحكام التي تؤخذ منها قد تتغير مع الزمان وذلك لتغير عللها التي أدت إليها ، أو لأن المقاصد التي كانت تراد بها أصبحت لا تتحقق إلا بأحكام أخرى رأوا من الواجب استخدامها .

ومن مثل ذلك جعل عمر الطلاق الثلاث بلفظ واحد طلاقاً ثلاثاً تبين به الزوجة بينونة كبرى ، وإسقاطه سهم المؤلفة قلوبهم ، والحكم الذي صار إليه على وعثمان بجواز التقاط ضالة الإبل ، وما صار إليه كثير من التابعين من ضمان المودع بلا تغير منه .

٣ - تركهم العمل في كثير من الحالات بالنصوص العامة أو المطلقة حين يظهر أن العمل بها يناهض المصلحة الحقيقية ، فكان أن عمد كبار التابعين إلى تقييد النص أو تخصيصه أو ترك ظاهره . ومن هذا القبيل إجازة التسعير ، ورد شهادة القريب لقريبه وأحد الزوجين للآخر .

ومذه الطريقة الحكيمة التي سار عليها أولئك الفقهاء الأعلام من الصحابة والتابعين ، والتي أدت إلى النتائج الطيبة التي أشرنا إلى بعضها ، هي - كما قلنا في كتابنا : فقه الصحابة والتابعين ، الذي ظهر منذ ست سنوات - الطريقة المثلى التي تجعل من الفقه الإسلامي كائناً حياً على مدى الزمان ، وتجعله نظاماً

ومن ذلك أيضاً إجازة الإمام مالك سجن المتهم ، وإجازة أصحابه ضربه أيضاً ؛ ليسكون ذلك عاملاً لإقراره وظهور الحقيقة ، مع أن الأصل هو أن المتهم برئ . حتى تثبت إدانته ، وإذن يجب أن يكون بمنجاة من الأذى قبل أن تثبت جانيته .

هذا ، والعمل الجليل الذي ندعو إليه يقتضى بلا ريب منهجاً مرسوماً مدروساً ، وأول خطوة من خطوات هذا المنهج هي اقتفاء أثر فقهاء الصحابة والتابعين رضي الله عنهم ، وإن الذي ينظر في فقه هؤلاء الفقهاء الأعلام نظرة فاحصة عميقة يتبين له بوضوح - كما أشرنا إليه في الكلمتين السابقتين -

طريقتهم في معرفه أحكام ما كان يحدث من نوازل ووقائع ، كما يتبين النتائج التي وصلوا إليها ، ونذكر الآن القليل من هذه وتلك :

١ - أنهم كانوا لا يلجئون إلى الاجتهاد بالرأى إلا إذا لم يجدوا في نصوص الكتاب المحكم والسنة الصحيحة حكم الواقعة التي يبحثون عن حكم الله فيها ، ومن ثم كان ترجيحهم في الفتوى بالرأى في كثير من هذه الحالات .

٢ - أنهم أيقنوا أن الله لم يشرع الأحكام عبثاً ، بل لعلة اقتضتها ومقاصد تتحقق بها ، ومصالح حقيقية تعود على الفرد أو المجتمع منها ، ومن ثم ، نراهم لا يققون

والمذهب الظاهرى . ففى هذه المذاهب ثروة فقهية ضخمة ، وفيها ما ينبغى أن ننفيد منه فى نهضتنا التشريعية .

وفى ذلك يقول الأستاذ الجليل الدكتور السنهورى : « هذه الشريعة الإسلامية ؛ لو وطئت أكفافها ، وعبدت سبلها ، لكان لنا فى هذا التراث الجليل ما ينفخ روح الاستقلال فى فقهنا وفى قضائنا وفى تشريعنا ، ثم لأشرفنا نطالع العالم بهذا النور الجديد فنضئ به جانبا من جوانب الثقافة العالمية فى القانون (١) .

ومتى تم لنا معرفة الفقه الإسلامى معرفة طيبة فى مذاهبه العديدة المختلفة كان علينا أن نقوم بدراسته دراسة تاريخية مقارنة ؛ بين بعض هذه المذاهب والبعض الآخر من ناحية ، وبينها مجتمعة وبين القوانين الحديثة والفقه الحديث من ناحية أخرى .

إن هذه الدراسة التاريخية المقارنة ، تجعلنا نؤمن بأن الله لم يخص بالحق فقيها معينا أو مذهباً فقيها معينا وحده ، وتضع مادة خصبة للذين يقومون بوضع القوانين الحديثة فيفيدون منها ، وربما دفعهم هذا إلى جعل الفقه الإسلامى هو المصدر الأول لما يضعون

خالداً يصلح به العالم فى الحاضر والمستقبل كما صلح به فى الماضى البعيد .

ونقول اليوم : إنها الخطوة الأولى التى يجب أن نخطوها لنصل إلى ما نريد من تطوير هذا الفقه الخصب الزاخر بمقومات الحياة أبد الدهر .

والخطوة الثانية تقتضى من رجال الفقه والقانون جهداً كبيراً أيضاً ، وتعاوناً مشتركاً من الجانبين ، وبهذا وذاك نصل بفضل الله إلى ما نريد لقوميتنا وشريعتنا من الخير الكثير .

إن كتب الفقه المنشورة تكاد تكون « مغلقة » ، أمام كثير من رجال الفقه ورجال القانون ؛ وذلك لتعسر البحث فيها ، وصعوبة الوصول إلى مواضع المسائل التى اشتملت عليها ، وكثير من هذه المسائل يحجى فى مواضع لا يكاد الباحث يظن وجودها فيها . وهذا مما يفرض علينا وجوب نشرها نشرأً علمياً صحيحاً ، وفهرستها فهرسة دقيقة ، حتى نيسر للباحثين الوصول إلى ما يريدون البحث عنه ؛ وعلينا هنا ألا تقتصر على نشر كتب مذهب واحد ، أو على المؤلفات فى المذاهب الأربعة المعروفة ، بل يجب نشر أمهات كتب المذاهب الأخرى أيضاً ؛ مثل مذاهب الزيدية والإمامية من الشيعة ،

(١) من الكلمة الافتتاحية لكتاب نظرية الالتزامات ، الجزء الأول فى نظرية العقد .

العراق الجديد ، إلا قانونا مناسباً للوقت الحاضر لمصر أو العراق . والقانون النهائي الدائم لسكل من مصر والعراق ، بل لسكل البلاد العربية ، إنما هو القانون المدني الذي نشقته من الشريعة الإسلامية بعد أن يتم تطورها .

وقد تكون البلاد العربية عند ظهور هذا القانون قد توحدت ، فيأتى القانون يدعم وحدتها ؛ وقد تكون في طريقها إلى التوحيد فيأتى القانون عاملاً من عوامل توحيدها ، ويبقى على كل حال رمزاً لهذه الوحدة . (١)

والخطوة الثالثة ، وهى الأخيرة التى بها نصل إلى ما ندعو إليه ، هى فتح باب الاجتهاد للقادر عليه ؛ فإن سبب ما أصبنا به من جمود ووقوف عن مسيرة الزمن فى هذه الناحية ، هو إقفال باب الاجتهاد منذ قرون طويلة ثقيلة ، وبذلك تخلف فقهاء واضطرونا للأخذ من الفقه الغربى ولسنا بهذا ندعو إلى التنكر لتراث الماضين ، فإنه لا يفعل ذلك إلا جاهل أحمق ، بل ندعو إلى السير فى الطريق الذى ساروا فيه ، مع الاستفادة مما خلفوه لنا من ثروة ضخمة لا يقادر قدرها . عسى أن نعرف حكم

من تشريعات وقوانين تناسب العصر الذى نعيش فيه .

على أننا نرى بحمد الله تعالى غير قليل من رجال القانون عرفوا للفقه الإسلامى قيمته ، وأخذوا فى الكتابة فيه والإفادة منه ، وعلى رأسهم العلامة الدكتور السنهورى ؛ هذا الرجل العظيم الذى ظهر له حتى اليوم ستة أجزاء من كتاب واحد فى التشريع الإسلامى وهو كتاب « مصادر الحق فى الفقه الإسلامى » بحث فيه هذه الناحية بحثاً علمياً دقيقاً مقارنة .

لقد أحس الأستاذ الكبير ما نحسه من وجوب تطوير الفقه الإسلامى حتى يكون منه قانون عام للبلاد العربية الإسلامية ، وقرر فى بعض ما كتبه — عن إيمان عميق — بأن الفقه الإسلامى لا يقل عن القانون الرومانى فى العرافة ودقة المنطق والصياغة والقبول للتطور ، وأنه مثله صالح لأن يكون قانوناً عالمياً كما كان فى الماضى ، وأنه — إذا أحييت دراسته وانفتح فيه باب الاجتهاد — قين أن ينبت قانوناً حديثاً لا يقل فى الجودة ومسيرة العصر عن القوانين اللاتينية والجرمانية .

ثم بعد أن قرر ذلك نجد يقول ما نصه : « والهدف الذى نرمى إليه هو تطوير الفقه الإسلامى وفقاً لصناعته ، حتى نشق منه قانوناً حديثاً يصلح للعصر الذى نحن فيه ... وليس القانون المصرى الجديد ، أو القانون

(١) راجع : العالم العربى : مقالات وبحوث ، الكتاب الثانى ، بحث القانون المدنى العربى ص ٢٨ - ٢٩ : نشر الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية مطبعة مصر سنة ١٩٥٣ م .

ومتى تم تكوين المجمع على هذا النحو ،
بجمع المركز الرئيسى المسائل والمشاكل التى
يجب بحثها وبيان أحكامها الشرعية ، ثم يرسل
بها إلى جميع الأعضاء ليقوم كل منهم ببحثها
حسب طاقته ويجتمع المجمع بكامل أعضائه
كل عام مثلاً للنظر فيما وصل إليه كل من
الأعضاء متفرقين ، وليقرروا أخيراً الأحكام
التي ينتهون إليها ، ويكون لهذه الأحكام الصفة
التشريعية الاجتماعية ، وتكون تشريعات
واجبة الالتزام للمسلمين جميعاً .

لأنه بفضل هذا المجمع نصل إلى معرفة أحكام
المعاملات التي جددت في هذا العصر ، مثل
معاملات سوق العقود ، ومعاملات البنوك ،
ومعاملات الشركات على اختلاف أنواعها
وأعمالها ، ومعاملات الجمعيات التعاونية
ونحوها ...

وبعد : إننا بذلك نكون قد أدبنا ما علينا
لشريعة الله ورسوله ، وما عاينا للعصر الذى
نعيش فيه ، ونكون فقهاء أحياء حقاً ،
لا فقهاء جامدين أو مقلدين بغير علم .
ومن الله العون والسداد ، ولن يضيع
سبحانه وتعالى أجر العاملين ؟

الله ورسوله فيما جددت في أيامنا من مسائل
ومشاكل ومعاملات لم تعرض لهم في عصورهم .
إن الزمن - كما قلنا في كتاب سابق لنا -
يتغير ، والمعاملات تجد وتنطور ، فكان أن
وجد منها كثير لم يكن موجوداً بالأمس ،
فليس لنا أن نتمسك عن بيان حكم الفقه
الإسلامى في كل منها ، معللين بأن الفقهاء
الماضين لم يتكلموا عنها ، وكيف كان لهم أن
يتكلموا فيها وهى لم تعرض لهم ! بل إن علينا
أن نجتهد في ذلك مستفيدين من جهود الماضين
ومعتمدين قبل كل شيء على كتاب الله المحكم
وسنة رسوله الصحيحة .

والسبيل الوحيد - فيما أرى - لتنظيم الاجتهاد
ولتكون الأحكام التشريعية التي نصل إليها عن
طريقه صالحة - هو إنشاء ما يمكن أن يسمى
« مجمع الفقه الإسلامى » ، ويختار أعضاؤه
من صفوة الفقهاء من جميع بلدان العالم
الإسلامى ، ويكون معهم أعضاء آخرون من
رجال القانون الذى عرفوا الفقه الإسلامى
وآمنوا به ، ويكون المركز الرئيسى لهذا المجمع
بالقاهرة مثلاً ، كما تكون له مكاتب في البلاد
الأخرى .

الدكتور محمد يوسف موسى

جهالة وضلالة

للأستاذ محمود الشرقاوى

[لم أراه غير الإسلام ديناً ، حفظ أصله وخط فيه أهله]

« الإمام محمد عبده » « * »

منكر . ويلبس بعضهم الثياب البيض والأحزمة السمر والعمائم الحجر .

وهم يقفون أو يسرون فى حركات عنيفة شاذة . وظل جمعهم هذا متوالا متابعا من المسجد حتى امتد إلى منطقة كبيرة من الأحياء التى تحيط به . وتأذى الناس من ذلك وضافت سبلهم الواسعة فترة طويلة كان خيرا لهم أن يفيدوا منها ، أو يستريحوا . وقرأت بعد ذلك فى الصحف شكوى الناس من ذلك وتعجبهم ، وكان هذا المشهد لجماعة من رجال الطرق ، يحتفلون بمولد شيخهم . وشاركهم فى هذا المسير بعض ضباط الشرطة وجنودها .

ولكى ندرك تأصل هذه الآفة وعمق هذه الجهالة فى مجتمعنا ، نذكر صفحة عن ذلك سجلها شيخ من كبار المؤرخين فى القرن الثامن عشر . بل هو عمدة المؤرخين المصريين جميعا

شهدتُ وشهدتُ القاهرة فى الشهر الماضى مشهداً عجيباً ، ينأى عنه الخلق ، ويأباه جد الحياة ، وينكره الدين . بل هو فى الدين جهالة جهلاء وضلالة عمياء .

شهدتُ آلافاً كثيرة تركت عملها فى الحقل والمصنع والمتجر ، وتجمعت فى مسجد سيدنا الحسين تضج وتعج ونفور . ثم خرجت منه متتابعة فى صفوف ، يندس بينها من يعلم الله خلقه ودينه . وقد يكون غير بعيد عن التهمة والسجن والمخدرات .

كانت صفوف القوم متتابعة متزاحة يختلط فيها النساء بالرجال فى زحمة منكرة غير مأمونة ولا مستساغة ولا مقبولة ، يحمل بعضهم الدفوف وبعضهم الطبول وبعضهم الريارات . ولدفوفهم وطبولهم دوى قوى

(*) ابن رشد وفلسفته لفرح أنطون : ص ١٧٣

والموالات . ومنهم من يقول أبیاتاً من بردة البوصیری فی مدح النبی علیہ السلام ، و یجاوبہم آخرون مقابلون لهم بصیغة الصلاة علی النبی ومنهم جماعة من المغاربة ، یجلسون صفین متقابلین ، وینطقون بلغتهم ، کلاماً معوجاً بنغم خاص ، وطريقة جروا علیها ، وین أیدیہم طبول ودفوف یضربون علیها ، علی قدر النغم ، ضرباً شديداً ، مع ارتفاع أصواتہم . و تقف جماعة أخرى مقابلة لاضاری الدفوف واضعین أکتافہم فی أکتاف بعض ، لا ینخرج واحد عن الآخر ، یتلون وینتصبون ، ویرتفعون وینخفضون ، و یضربون الأرض بأرجلہم ، کل ذلك مع الحركة العنيفة ، والشدة الزائدة ، بحيث لا یستطیع ذلك إلا کل من عرف بالآید والقوة ، وهذه الإیقات ، والحركات ، تجری علی نمط الضرب بالدفوف ، فیقع بالمسجد ، من هذا کله ، ضجيج کبیر ، ودوی عظیم ، وإلی جانب هؤلاء کثیر من الفقراء ، والمنشدين ، کل له طریقته ، ونشیده . ثم یقول : (هذا مع من ینضم إلی ذلك من جمع العوام ، وتحلقہم بالمسجد ، للحديث والہذیان ، وکثرة اللغظ والحسکایات ، والأضاحیک ، والتلفت إلی حسان الغلمان ، الذین یحضرولن للفرج ، والسعی خلفہم ، والافتتان بہم ، ورمی قشور اللب ، والمسكرات ، والمأكولات فی المسجد ،

وهو الشیخ عبد الرحمن الجبرقی . وهی صفحة لا تسجل فقط ، بل هی تشير وتفصح وتبیر . وتبین للناس کیف اتخذ ، ویتخذ ، کثیر من الأفافین والعاطلین وأصحاب الحيلة ، کیف اتخذ هؤلاء ، وغیرہم مقامات الأولیاء ومزاراتہم وسیلة رخیصة للعیش والإزراء وتحقیق مآرب أخرى .

و کان القاهریون وغیرہم ، یحتفلون ، کما یحتفلون الآن ، بمولد الحسین ، والسيدة زینب ، والإمام الشافعی ، والسيدة نفیسة ، وکثیر غیرہم من الأولیاء والصالحین ، کما یحتفلون جمیعاً بمولد السید البدوی فی طنطا ، والسید ابراهیم الدسوقي فی دسوق . ولتتخذ مولد الحسین مثلاً لما کان یجری فی غیرہ من الموالد .

فالجبرقی یتحدث فی الجزء الرابع من کتابہ عن نشأة الاحتفال بهذا المولد . فیقول : إن هذا المولد ابتدعه مباشر لوقف المسجد الحسینی کان یسمى السید بدوی بن فتیح ، أصابه مرض ، فنذر ، إن شفاه الله ، أن یقیم هذا المولد ، وکان المولد أول الأمر ، هو إضاءة المسجد وقبته ، بالقنادیل والشموع ، وترتیب فقهاء یقرءون القرآن نهاراً ، ویتدارسونہ . وآخرون یقرءون لیلاً ، دلائل الخیرات . ثم تغیر الحال ، وانضم إلی الفقهاء کثیر من الجہلۃ ، وأهل البدعة . فمنہم من یقیم حلقات الذکر ، ویردد اسم الله ، محرفاً ، وینشد له المنشدون القصائد

الرأس والسوءتين غالباً، وكان له أخ صاحب دهاء وحيلة. وكان دائم المنازعة والخصومة لأخيه الشيخ. ثم بدا له فيه أمر. فقد وجد الناس، على عادة أهل مصر، يعتقدون في أخيه الولاية والكرامة، ويلتمسون منه البركة. فحجر عليه، ومنعه من مغادرة البيت، وألبسه ثياباً. وأظهر للناس أنه قد أذن للشيخ بلبس الثياب لأنه تولى قطباً، وتكاثر الناس، وخاصة النساء، يسعون إلى بيت الشيخ والتبرك به، والإصغاء إلى ألفاظه وتخليطاته وتأويلها بما يلائم رغبة نفوسهم. وتكاثرت مع هؤلاء المريدين والزائرين، الهدايا والنذور والأموال. وكان أخوه، صاحب الدهاء والحيلة، يذيع في الناس من كرامات الشيخ ومعرفته أسرار النفوس ما يشاء. وامتلاً بيت الشيخ وأخيه بالأموال والخيرات. وزاد جسم الشيخ، كما يقول الجبرتي، ضخامة. من كثرة الأكل والفراغ والراحة، حتى صار مثل «البو العظيم»، وظل هذا حال الأخوين حتى مات الشيخ سنة ١٢٠٧ هـ فأقام له أخوه ضريحاً ومقاماً، وزاد في ذكر كراماته وفوضاته، وخصص له المقربين والمنشدين والمداحين، يشيدون بولايته وقطبانيته، ويذكرون أوصافه في قصائدهم، وهم «يتواجدون ويتصارخون ويمرغون وجوههم على شباكه وأعتابه، ويغرفون بأيديهم من الهسواء المحيط به، ويضعونه في جيوبهم وعقبهم»، وهذا الشيخ البكري هو

وطواف الباعة بالمأكولات على الناس فيه، وسقاة الماء، فيصير المسجد، بما اجتمع فيه من هذه القاذورات، والعفوش، ملتحقاً بالأسواق الممتهنة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وكان يجتمع إلى هذه الموالد، العامة، والسوق، وأهل الحرف السافلة، ومن لا يجد ما يأكله. يحملون القناديل، والشموع والطبول، والزمرور. وينطقون بتكلام محرف يظنون أنه ذكر، وتوسلات يثابون عليها. فإذا اعترضهم معترض، أو تصدى لهم لأنهم، رموه بالاعتزال والخروج والزندقة. ثم يمضون ليلتهم ساهرين فإذا أصبح الصبح، عجز كل عن أداء عمله.

ويقول الجبرتي: إن هذا المولد، استمر الاحتفال به عشر سنين، وناذره، السيد بدوى فتيسح، لم يزد إلا مرضاً ومقتاً. ثم بطلت إقامته عندما دخل الفرنسيون القاهرة. وسكنهم بعد ذلك، أمروا بإقامته. (لأن ذلك يوافق هوى العامة؛ لأن أكثرهم مطبوع على المجون والخلاعة، وتلك هي طبيعة الفرنسيين).

ومن الذين ترجم لهم الجبرتي من أصحاب الأضرحة والموالد، الشيخ على البكري ويعرفه سكان القاهرة، كما يعرفون مولده ومسجده بالقرب من جامع الرويعي. وكان السيد على البكري، كما يصفه الجبرتي، رجلاً أبله، يمشي عرياناً في الطريق، مكشوف

أموة على درج دكان ، أو مرتفع من الأرض
تسكلم بفاحش القول ، بالعربي ، والتركي .
والناس يصغون ، يقبلون يذها ويتبركون
بها ، (١) .

وهذه الجهالة والضلالة من الانحرافات
التي تحتاج إلى تقويم وإلى شجاعة ، والتي يكثُر
نقد الناقدين لها من رجال الفكر الديني ورجال
الإصلاح الاجتماعي أيضا .

وكثيراً ما شكوا المخلصون للدين والعقيدة
من هذه الآفة المخربة للخلق وللجتمتع ، المنافية
للدين . وكثيراً ما ألقت اللجان وصدرت
القرارات تحاول أن تخفف بعض الشر الذي
يقع في الاجتماعات التي تقام في هذه الأضرحة
وحولها ، وفي موالد الأولياء والمشايخ ،
ولكن هذا الشر لا يحسم بتكوين اللجان
وإصدار القرارات ، بل بهتذيب النفوس
وتنوير العقول والإبانة الواعية الشجاعة عن
دين الله ، وهذه بعض مهمة الفكر الديني
للعقيدة وللناس وللجتمتع .

ولا نريد أن نطيل الحديث في ذلك ، فهو
أمر واضح يعرفه وينكره كل من اتصل بهذه
الشئون وهذه البيئات . ولكن من الخير
أن نورد إحصائية رسمية تبين مدى الخطر ،
ومدى الشناعة التي ما تزال حقيقة واقعة في
حياتنا ومجتمعنا . وهذه فقرات من هذا التقرير .

الذي قال فيه البدرى الحجازي قصيدته التي
يقول فيها :-

ليتنا لم نعش إلى أن رأينا
كل ذي جنة ، لدى الناس ، قطبا
ولم يكن الشيخ من أسرة البكري . بل جاءته
هذه النسبة لأنه كان يسكن في سويقة البكري .
الشيخة أموة :

وعندما كان الشيخ على البكري يمشي في
الطرق عريانا ، قبل أن يحجبه أخوه ،
تعلقت به امرأة تسمى الشيخة أموة .
وصارت تسير خلفه أينما سار ، وهي تلبس
إزارا . وأخذت هي الأخرى تخلط في ألفاظها
عندما تدخل معه إلى بيوت الناس . واعتقد
الناس أيضا في ولاية الشيخة أموة ،
وأسرعوا إلى مهاداتها بالمال والملابس ،
وقالوا : إن الشيخ لحظها وجذبها فصارت من
الأولياء ، وزاد ذلك من تطرفها ، فزعت
ثياب النساء ولبست ملابس الرجال وصارت
ظلا للشيخ ، لا تفارقه أبدا . وكلما سارا
تبعهما الأطفال والعوام ، ومنهم من اقتدى
بهما فززع ثيابه ، وتحنجل ، في مشيته . وكل
من فعل ذلك قال الناس إن بركة الشيخ مسسته
جذبتة . وزاد الحال . ونشأ أمر الشيخ والشيخة
حتى كان يسير خلفهما جمع كبير من أوباش
الناس والصغار . وصاروا ، عندما يمرّون
بالأسواق ، يخطفون ما يحلو لهم من شيء .
ولهم في سيرهم ضجة عظيمة . فإذا جلس الشيخ
في مكان ، اجتمع حوله خلق عظيم ، ووقفت

(١) ص ١٣٣ - ١٣٥ من كتابنا : [دراسات
في تاريخ الجبرتي ، عصر في القرن الثامن عشر]
المجلد - ١ - الطبعة الثانية .

المطالب، وهناك الذين يشفون من الأمراض، وهناك من يرد الغائب، ومن يزيل العقم، ومن يرزق البنات بأولاد الحلال .

وصحيح أن عدداً من هذه الأضرحة لمشايخ صالحين مجتهدين في الدين .

ولكن الباقي لشيوخ وهميين لا يعرف أحد تاريخهم أو ماضيهم .

وتصوير الدين بصورة الرهبانية هو عمل مشايخ هذه الأضرحة .

إنهم يحاولون إقناع السذج بأن الإسلام هو التوجه إلى الآخرة على ما هو شائع في ديانات الهند والصين . . ولا بد من محاربة هذه البدعة وإلا فإنها مع مضي الزمن سوف تشيع بين الناس روح الكسل باعتبار أن ما هو كائن إنما هو كائن بالفعل عمل الإنسان أم لم يعمل .

وهناك من بين هؤلاء المشايخ من يزين للناس حب الفقر والرضا براث الثياب، ثم أن هناك ما هو أخطر من هذا كله وهو انتشار الخرافات والحزبيلات والأساطير .

ثم يقول رئيس اللجنة التي وضعت هذا التقرير وجمعت هذه الإحصاءات ما يلي :

«إن التقارير والإحصائيات في لجنة التخطيط تؤكد أن انتشار مثل هذه الخرافات أدى إلى وجود كثير من الطاقات المعطلة في الميدان الاجتماعي . ولو استطعنا أن نستغل حب الناس للدين لتوجيههم وتثقيفهم ، لاستطعنا

كل يوم يظهر فجأة شيخ جديد لا يعرف تاريخ حياته . . ويقام له ضريح . . ويجمع حوله الأنباغ والمريدون مثل جبريل والكليخ والصديق والست أم زايد وركابي ودانش وشديكة وأبو روح والشيخ عواض بن إسحق الظهلو شى وأبو اليزيد البسطامى الذى ادعى البعض أنه كان شقيقاً للنبى فى الرضاعة . .

ثم يورد التقرير تعداداً للأضرحة التى تقام لأولياء خياليين أو مزعومين ، وعن الموالد التى تقام لهم ، واطراد الزيادة فى هذا التعداد اطرادا غير طبيعى فيقول :

« فى عام ١٩٥١ كان عدد الأضرحة ١٩٢ وفى عام ١٩٥٩ أصبح عدد الأضرحة فى بعض المناطق فقط ٥٦٨ ضريحاً بواقع ١١٠ أضرحة فى المنوفية و ٦٩ فى المنيا و ٥٥ فى الإسكندرية و ٩٠ فى بنى سويف و ٤٤ فى أسوان و ١١١ فى البحيرة و ٨٩ فى القاهرة .

ومع زيادة عدد الأضرحة زادت عدد الموالد التى تقام فى كل عام حتى وصل عددها إلى ٨٩٢ مولداً .

وقد أصدرت هذه البيانات لجنة رسمية فى وزارة الشؤون الاجتماعية هى لجنة التقاليد والعادات ، ثم علقت عليها بما يلى :

« إن اعتقاد الناس فى المشايخ لا يقف عند حد إيمانهم بأنهم شيوخ صالحون .. بل إن الاعتقاد يتأدى إلى حد اعتبارهم أصحاب سر إلهى وكرامات لا حدود لها ولا قيود ، فهناك من يقضى المطالب مهما كانت هذه

تؤيده وتمسكه في الأرض ، حتى يحل بأهله
البلاء ويكونوا من الهالكين .

وأعجب من هذا أنك ترى هؤلاء المعترفين
بهذه البدع والأهواء . ينكرون على منكرها ،
ويسفّهون رأيها ، ويدعونها عبثاً أو مجنوناً
إذ يحاول مالا فائدة فيه عندهم . فهم يعرفون
المنكر ، وينكرون المعروف ، ويدعون -
مع ذلك - أنهم على شيء من العلم والدين .

وأعجب من هذا الأعجب أن منهم من يرى
إزالة هذه المنكرات والبدع . ومقاومة هذه
الأهواء والفتن : جناية على الدين ... !
ويحتج على هذا بأن العامة تحسبها من الدين ،
فاذا أنكرها العلماء عليهم نزول ثقتهم بالدين
كله ، لا بها خاصة . ! ! وبأنها لا تخلو من
خير يقارنها ، كالذكر الذي يكون في المواسم
والاحتفالات التي تسمى بالموالد ، وكلها بدع
ومنكرات حتى إن الذكر الذي يكون فيها
ليس من المعروف في الشرع [(١)] . وهذه هي
كلمة الحق الذي يجب أن يقولها المخلصون .

وقد قرأت وعلبت أن الحكومة منعت
هذه المنكرات في مولد السيدة زينب . فعسى
أن تكون هذه بداية للقضاء عاها قضاء تاماً
في جميع الموالد والبلاذ .

محمود الشرفاوى

سكرتير التحرير

أن تقضى على هذه الخرافات وتقضى معها
على الطاقات المعطلة ، (١) .

ونعتقد أن ما أوردناه من تقارير
وإحصاءات وتعليقات فيه كفاية لإدراك
ما لهذا الانحراف وهذه الجهاالة من الخطر ،
وإدراك ما يجب أن يعمل به الفكر الدينى لتقويم
هذا العوج ودفع هذا الشر المنكر الخطير
عن العقيدة وعن المجتمع .

بعض رجال الفكر الدينى ، وبعض
المشتغلين بالشئون العامة والطرق الصوفية
يرون مجازاة العامة في هذه الأمور ، على رغم
إنكارهم لها .

وإلى هؤلاء أسوق هذه الكلمات ، التي
تصور موقفهم ، وتكشف بتفنيده :

[قال سبحانه : وإن اتبعتم أهواءهم من
بعد ما جاءك من العلم إنك إذن لمن الظالمين] (٢)
ونحن نقرأ هذا التشديد والوعيد ونسمعه
من القارئ ، ولا نزدجر عن اتباع أهواء
الناس ومجاراتهم على بدعهم وضلالاتهم ،
حتى إنك ترى الذين يشكون من هذه البدع
والأهواء ، ويعترفون ببعدها عن الدين ،
يجارون أهلهم عليها ، ويمارجونهم فيها .
وإذا قيل لهم في ذلك قالوا : ماذا نعمل ... ؟
ما في اليد حيلة ... ! العامة عمى ، آخر الزمان .
وأمثال هذه الكلمات هي جيوش الباطل ،

(١) التقرير والإحصاءات والتعليق - التي
وضعاها بين اقواس - نشرت في جريدة الاهرام
بتاريخ ٨ فبراير ١٩٦٠ . (٢) ١٤٥ البقرة .

(١) الشيخ رشيد رضا : مجلة المنار ، ص ١٢٧
من الجزء ٧ .

آراء العلماء في الربا

لعالم باحث

الربا الظني ؟ وهل الربا الذي يجري عليه التعامل بين الناس اليوم هو الربا القطعي الذي كان العرب في الجاهلية يتعاملون به ، بحيث يقع من يتعامل به تحت طائلة الوعيد الإلهي الفظيع للذين يأكلون الربا ؟ أو هو غيره ؟ وإذا كان هو : فماذا يصنع المسلمون الآن وقد قدفهم تيارات النظم الاقتصادية العصرية في الوقوع في بليته حتى أصبحوا لا يستطيعون أن ينقذوا أنفسهم منها ؟ وما هو المخرج وبلادنا قد صارت بوضعها الاجتماعي كحلقة في سلسلة التعامل الاقتصادي العالمي لا يمكن لها أن تنفك منها ، وقد دفعها الاضطراب إلى مجارة غيرها في نظمها ؟ وما هو موقف الإسلام تلقاء هذا الاضطراب الذي وقع فيه أهله ، وهو الذي يوافق مصالح الآخرين به في كل زمان ومكان ؟ وهل وضع قواعد وأحكاما تخرجهم مما يقعون فيه من الحرج في مثل هذا الأمر ؟ وهل تتغير الأحكام بتغير الزمان ؟ وما الحكم فيما إذا تعارض النص والمصلحة ؟ ثم هل روعي بعد ذلك كله نهضة بلادنا بعد الثورة : وحاجتها إلى

انبعث في هذه الأيام جدل طويل في بعض المجلات الإسلامية بمناسبة فتوى أصدرها صاحب الفضيلة شيخ الأزهر ، أباح فيها للفرد المضطر أن يتعامل بالربا ليسد حاجته الضرورية — أما ما تحتاج إليه الدولة من قروض لتستعين بها على صلاح شئونها ، فيرجع الأمر في تقدير الحاجة إلى أهل الرأي ، وما يروونه من المصلحة .

وكان شيخ الأزهر قد أتى - بهذه الفتوى - أمرا إذا يفترى به على الإسلام ، أو أنه قد أحل للناس الحرام .

وقد بدا في جدل هؤلاء الذين اعترضوا على فتوى الشيخ أنهم قد أرسلوا كلامهم بغير تحقيق على . ولا إدراك للمصلحة : عامة كانت أو خاصة ، على حين أن الأمر في نفسه خطير يحتاج إلى طول البحث ، والآنفة في الدرس ، على أن يتولى ذلك علماء محققون يعرفون ماذا يقولون ، ويدركون عاقبة ما يقررون .

ذلك بأن الذي يتصدى لهذا الأمر يجب عليه قبل كل شيء : أن يبين للناس ما هو الربا القطعي الذي جاء القرآن بتحريمه ، وما هو

لأنهم إذا كفروها بما تصف ألسنتهم بأن هذا حلال وهذا حرام فإن تكفيرهم إياها ، يمتد ولا ريب إلى حكومتنا ؛ لأنها تعقد القروض الضخمة كل يوم لإصلاح مراقبتها - وإنشاء مصانعها ، وشراء القمح وغيره لغذاء أهلها وكل هذه القروض - كما هو معلوم - تأخذها بالفائدة (أى بالربا) فهي واقعة إذن لا محالة على قولهم فيمن تقع عليهم لعنة الله - والعياذ بالله .

وإنا نأتى هنا بنظرة في الخطبة التي ألقاها الأستاذ العالم الشيخ عبدالعزيز جابريش في المؤتمر الذي عقد في سنة ١٣٢٦ هـ بقاعة مدرسة عبد العزيز^(١) لأن السياق يقتضيها : ذلك أنه بعد أن ذكر ما قرره كبار العلماء من أن الربا القطعي المحرم لذاته هو (ربا النسئمة) قال :

إن أمامنا أمرين : الأول : أن تتابع جماعة المسلمين في تحريم الربا القليل احتياطاً أو تحرز^(٢) كما حرمنا الكثير المضاعف

(١) ألفت هذه الخطبة في ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٢٦ هـ .

(٢) ذكر الشيخ جابريش في هذه الخطبة أن الربا الذي ليس فيه مضاعفة - كأن يحصل القرض بفائدة قليلة ، لم يؤخذ تحريمه من الكتاب الكريم ، وإنما أخذ من الفائدة الأصولية الفاضية بإعطاء الدليل حكم لا الكثير - سداً للدوائر وإغلاقاً لباب ص ١٢ من كتاب ميزان الذهب .

القروض لإصلاح شأنها ، وأن هذه القروض لا يمكن الحصول عليها إلا بالفائدة أى بالربا ؟ كل ذلك لم يعرض له الذين اعترضوا على فتوى شيخ الأزهر وإنما وقفوا جميعاً عند نقطة واحدة وهي قولهم كما يقول العوام : إن الربا كله حرام وأن ما أفتى به شيخ الأزهر يخالف أحكام الإسلام .

ولو أنهم درسوا هذا الأمر على نور ما ترمى إليه أغراض الدين ونظروا فيه إلى ما تقتضيه في هذا العصر مصالح المسلمين ، لانتهوا إلى إقرار شيخ الأزهر على ما أفتى به . إن أمر الربا قد درسته بعض الحكومات الإسلامية في هذا العصر الدراسة الواجبة الصحيحة وقدرت الضرورة قدرها لكي تخرج أممها من العسر الذي وقعوا فيه ، فأباحوا لها التعامل بالربا ، وكذلك فعلت حكومتنا عندما رأت أن الضرورة تقضى عليها بالاقتراض بالربا .

على أننا بعد ذلك كله نسائل الذين يقفون اليوم في وجه فتوى شيخ الأزهر ، ومن على شاكلتهم عن رأيهم في أمر هذه الحكومات التي قررت التعامل بالربا بعد أن رأت الضرورة ماسة إليه والحاجة الملحة تدعو إليه .

هل يقفون في وجه هذه الأمم حتى ترجع عن أن تعامل بالربا ؟ وهل يكفرونها إذا لم ترجع إلى رأيهم ؟

الإسلامية مسألة مدنية وقع فيها الخلاف والاضطراب منذ العصر الأول ، وما زالت تزداد إشكالا وتعقيداً بكثرة بحث العلماء ، إلا مسألة الربا - أما ما جاء في النصوص القرآنية فيها فبين كالشمس لا مجال للشبهات فيه ، وأما السنة العملية القطعية فيها فهي تنفيذ لحكم الكتاب الإلهي ، وأما الأحاديث النبوية القولية فهي قسبان : -

الأول : نص صحيح الرواية قطعي الدلالة في حصر الربا فيما حرمه الله منه في كتابه وهو (ربا النسيئة) الذي لم تكن العرب تفهم منه غيره ؛ لأنه هو المعروف عندهم دون غيره وهو حديث أسامة المرفوع المتفق عليه ولا ربا إلا في النسيئة ، هذا لفظ البخاري ولفظ مسلم (إنما الربا في النسيئة) .

الثاني : نهى النبي عن البيوع التي قد تؤدي إليه لسد الذريعة دون ارتكابه كنهيه صلى الله عليه وسلم عن خلوة الرجل بالمرأة الأجنبية سداً للذريعة الزنا المحرم بنص كتاب الله تعالى وهو حديث عبادة^(١) وغيره وهو الذي سموه ربا الفضل .

بعبارة القرآن الكريم ، والمخرج إذن من هذه الشدة التي كادت تزهق النفوس أن نلجأ إلى المقارنة الشرعية ...

الثاني : أن تقتصر على تحريم ما حرم الله في كتابه - وهو ربا النسيئة المضاعف الذي نزل في القرآن ، وليس في العرب إذ ذاك ربا سواه . وهنا نخالف الجمهور بحكم العقل أو بحكم الضرورة ، فنتجاوز عما قل من الفائدة التي لا تماثل الدين قدراً ولا تؤدي إلى غبن المدين غبناً فاحشاً . كما فعلت الحكومتان الإسلاميتان العثمانية والفارسية . وأن القول بتكفير مستحل هذا النوع القليل ينبنى عليه تكفير خلفاء المسلمين وفقهائهم وعلمائهم ؛ فإن قضاة الترك الشرعيين في البلاد العثمانية يقومون بتنفيذ الأحكام في البلاد التي تحت رياستهم ! فليتأمل المسلمون فيما عسى أن تكون عاقبتهم ، وليتدبروا ، فإن الخطر وراءهم محيط^(٢) .

وهذه كلمة صغيرة استخرت الله في كتابتها خدمة لديني ولبلدي وللمسلمين عامة أرجو أن تفضل مجلة الأزهر بنشرها لعلها تجد أذناً صاغية وقلوباً واعية .

قال ابن كثير في تفسيره : باب الربا من أشكال الأبواب على كثير من أهل العلم . وقال أحد العلماء الكبار : ليس في الشريعة

(١) حديث عبادة بن الصامت رواه الشيخان ونصه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والبر بالبر ، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، والملح بالملح ، مثلاً بمثل ، سواء بسواء ، يدا بيد ، فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدا بيد » ، ورواه مسلم

روى ابن جرير الطبري عن مجاهد (١) أنه قال في الربا الذي نهى الله عنه (٢) . كانوا في الجاهلية يسكون للرجل على الرجل الدين فيقول : لك كذا وكذا وتؤخر عني فيؤخر عنه .

وقال ابن جرير : وإنما قيل للربى مربى لتضعفه المال الذي كان على غريمه حالا ، أو الزيادة عليه فيه لسبب الأجل الذي يؤخره إليه فيزيده إلى أجله الذي كان له قبل حل دينه عليه ، ولذلك قال جل ثناؤه : يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة ، وبمثل الذي قلنا ، قال أهل التأويل .

وقال أيضاً عند الكلام على قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة ، واتقوا الله لعلمكم تفعلون ، (ص ٥٥ ج ٤) .

عن مجاهد في قول الله عز وجل : يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة ، قال : (ربا الجاهلية) حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال : سمعت ابن زيد يقول في قوله : لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة ،

(١) قال قتادة وخصيف : أعلمهم بالتفسير مجاهد وقال ابن جريج لأن أكون أسمع من مجاهد أحب إلى من أهلى ومالى ، قال مجاهد : ربما أخذلى ابن عمر بالركاب - أى بركابه .
(٢) في تفسير قوله تعالى : الذين يأكلون الربا « إلخ » .

هذا هو الربا بنوعيه كما بينه بعض العلماء . المحققين - ولكن الذين أولعوا بتكثير الأحكام في الحلال والحرام ، وضعوا لأنفسهم قواعد للاستنباط ومناطات التشريع أدجوا بمقتضاها الربا المحرم القطعى بالنص الإلهي - المتوعد عليه فيه بالوعيد الشديد لما فيه من الضرر الفظيع والظلم العظيم - في البيع المنهى عنه لسد الذريعة ، ومنهم من سوى بينهما - ولم يكتفوا بذلك بل وضعوا بآرائهم أحكاماً جديدة في الربا ليس فيها نص من الشارع ، قطعى ولا ظنى ، ولا تتفق مع أصول الدين ولا حكم التشريع - وبذلك كثروا مسائل الربا وخرجوا بها عن محيط المعقول والمنقول معا ، فجعلوها من التعبديات التي لا تثبت إلا بنص صريح قطعى من الشارع . هـ .

ربا الجاهلية المحرم بالقرآن :

ولا بد لنا هنا من أن نبين ما هو الربا الذي كان معروفاً عند عرب الجاهلية وجاءت الآيات القرآنية بتحريمه تحريماً قاطعاً . إن اللام في الربا هي للعهد وأشير بها إلى ما هو المتعارف عند نزول القرآن بينهم أى ربا الجاهلية .

== عن أبي سعيد الخدري ولفظه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والبر بالبر ، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، وللح بالبح ، مثلاً يدا بيد ، فمن زاد أو استزاد فقد أربى ، والآخذ والمطى فيه سواء .

ذلك ورد عليهم قولهم بقوله الحق: «وأحل الله البيع وحرم الربا» .
وروى مالك عن زيد بن أسلم في تفسير آية آل عمران قال :

كان الربا في الجاهلية أن يكون للرجل على الرجل حق إلى أجل فإذا حل قال : أتقتضى أم ترى ؟ فإن قضاء أخذه ، وإلا زاده في حقه وزاد الآخر في الأجل .

قول ابن القيم في الربا :

ثم قال المفسر المحدث الفقيه الأصولي ابن قيم الجوزية في كتابه إعلام الموقعين عن رب العالمين ما نصه :

الربا نوعان : جلي وخفي ، (فالجلي) حرم لما فيه من الضرر العظيم ، (والخفي) حرم لأنه ذريعة إلى الجلي . فتحريم الأول قصداً ، وتحريم الثاني وسيلة .

فأما الجلي فربا النسبة ، وهو الذي كانوا يفعلونه في الجاهلية ، مثل أن يؤخر دينه ويزيده في المال ، وكلما أخره زاد في المال حتى يصير المائة عنده آلافاً مؤلفة وفي الغالب لا يفعل ذلك إلا مع عدم محتاج - وبذلك - يشتد ضرره وتعظم مصيبته . إلخ .

وأما ربا الفضل ، فتحريمه من باب سد الذرائع لما يخافه عليهم من ربا النسبة وذلك أنهم إذا باعوا درهما بدرهمين ، ولا يفعل

كان أبي يقول : إنما كان الربا في الجاهلية ، في التضعيف وفي السن : أن يكون للرجل فضل دين فيأتيه إذا حل الأجل فيقول له : تقتضي أو تزيدني ، فإن كان عنده شيء يقضيه قضى ، وإلا حوله إلى السن التي فوق ذلك ، فإن كانت ابنة مخاض ^(١) يجعلها ابنة لبون ^(٢) في السنة الثانية ثم حقة ^(٣) ثم جذعة ثم هكذا وفي المعنى (الذهب والفضة) يأتيه فإن لم يكن عنده أضعفه في العام القابل ، فإن لم يكن عنده أضعفه أيضاً ، فتكون مائة فيجعلها إلى قابل مائتين ، فإن لم يكن عنده جعله أربعاً مائة يضعفها له كل سنة أو يقضيه قال : فهذا قوله : « لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة » .

وقال القرطبي في مسائل آيات البقرة من تفسيره المشهور (جامع أحكام القرآن) الرابعة عشرة) قال تعالى : « إنما البيع مثل الربا ، أي أن الزيادة عند حلول الأجل آخر اكتمل حل الثمن في أول العقد - وذلك أن العرب كانت لا تعرف ربا إلا ذلك ، فكانت إذا حل دينها قال للغريم . إما أن تقضى وإما أن تربى ، أي تزيد في الدين ، فحرم الله سبحانه

(١) ابنة المخاض ابنة الحول ودخلت في الثانية .

(٢) اللبون ولد الناقة إذا استكمل الثانية ودخل في الثالثة .

(٣) الحق ما كان من الإبل ابن ثلاث سنين ودخل في الرابعة والانتى حقة .

بما لم يتوعد بمثله على ذنب آخر — أنه ربا النسئة الذي كان معروفا في الجاهلية كما قال من ذكرنا عباراتهم : من أعلام العلماء لا مجرد التعبد بالآراء والأقوال ممن لا تعد آراؤهم وأقوالهم حجة بإجماعهم وإجماع الأمة كلها .

الربا الذي ليس فيه مضاعفة

علت مما تقدم أن الربا الذي كان معروفا في الجاهلية إنما هو ربا النسئة المضاعف وأما الربا الذي ليس فيه مضاعفة — كأن يحصل القرض بفائدة قليلة لم يؤخذ تحريمه من الكتاب الكريم وإنما أخذ من القاعدة الأصولية القاضية بإعطاء القليل حكم الكثير سدا للذرائع وإغلاقا للباب بالمرة .

ومعلوم أن قاعدة إعطاء القليل حكم الكثير سدا للباب ليست القاعدة الإجماعية أى لم يجمعوا عليها .

كلمة هامة في هذا الأمر الخطير :

عندما اشتدت الحركة الوطنية سنة ١٩٠٧ ضاق صدر الإنجليز بها ، وأرادوا أن ينتقموا من أهالي مصر بسببها فأوعزوا إلى عميدهم اللورد كرومر إلى جميع البنوك في مصر بأن يسحبوا أموالهم ولا يتعاملوا مع المصريين فحدثت أزمة مالية شديدة خنقت البلاد خنقا ففكر بعض العلماء النابهين أن يعالجوا هذا

هذا إلا للتفاوت الذى بين النوعين ، إما فى الجودة وإما فى السكة وإما فى الثقل والخفة وغير ذلك ، تدرجوا بالربح المعجل فيها إلى الربح المؤخر وهو عين ربا النسئة . وهذه ذريعة قريبة جدا ، فمن حكمة الشارع أن سد عليهم هذه الذريعة ومنعهم من بيع درهم بدرهمين نقدا ونسيئة ، فهذه حكمة معقولة وهى تسد عليهم باب المفسدة .

وقال الفخر الرازى ص ٥٨ - ج ١ عن ابن عباس : إنه كان لا يحرم إلا ربا النسئة ، وكان يجوز ربا النقد (كأن يباع إردب قمح بإردبين) ، وحجة ابن عباس أن قوله : « وأحل الله البيع » يتناول الدرهم بالدرهمين نقداً ، وقوله « وحرم الربا » لا يتناوله ؛ لأن الربا عبارة عن الزيادة وليست كل زيادة محرمة بل قوله تعالى : « وحرم الربا » إنما يتناول النقد المخصوص الذى كان مسمى فيما بينهم بأنه ربا .

يعلم من ذلك كله أن الربا الذى كان يتعامل به العرب فى جاهليتهم ليس بينه وبين دين الربا الذى يتعامل به الناس اليوم أى سبب فلا هو مثله ولا هو يشبهه .

النتيجة : فما هو الربا القطعى الذى حرمه الله :

ظهر لك مما بيناه قبلا أن الحق فى الربا الذى نهى الله تعالى عنه فى كتابه ، وتوعد فاعله

و موافق لمصالحهم ما تمسكوا به ، ولكن من الناس من يظن أن إباحة الربا ركن من أركان المدنية لا تقوم بدونه ، فالأمة التي لا تتعامل بالربا لا ترتقي مدنيته ولا يحفظ كيانه ! وهذا باطل في نفسه ، إذ لو فرضنا ، أن تركت جميع الأمم أكل الربا فصار الواجدون فيها يقرضون المعدمين قرضا حسنا ، ويتصدقون على البائسين والمعوزين ويكتفون بالسكسب من موارد الطبيعة كالزراعة والصناعة والتجارة والشركات ومنها المضاربة - لما زادت مدنيتهم إلا ارتقاء ببنائها على أساس الفضيلة والرحمة والتعاون . . وقد قامت للعرب مدنية إسلامية لم يكن الربا من أركانها فكانت خير مدنية في زمنها - فما شرعه الإسلام في منع الربا هو عبارة عن الجمع بين المدنية والفضيلة - وهو أفضل هداية للبشر في حياتهم الدنيا .

الوجه الثاني : النظر فيها من الجهة العملية بحسب حال المسلمين الآن في مثل هذه البلاد ، فإننا نرى كثيرين يوافقوننا على أنه لو وجد للإسلام دول قوية وأمم عزيزة تقيم الشرع وتهتدى بهدى القرآن - لأمكنها الاستغناء عن الربا ، ولكانت مدنيته بذلك أفضل ! فلا اعتراض على الإسلام في تحريم الربا ، لأن شرعه لا يمكن أن يبيح الربا وهو دين غرضه تهذيب النفوس ، وصلاح حال المجتمع ، لا توفير ثروة بعض الأفراد من أهل الأثرة .

الأمر الخطير ففقدوا مؤتمر بقاعة مدرسة عبد العزيز وألقوا فيه خطبا رائعة بحثوا فيها مشكلة الربا التي تأخر المسلمون في اقتصادهم بسببها لعلمهم يخرجون بحل لهذه المشكلة يبيح إنشاء بنوك تفرج ما وقع الناس فيه من ضيق . وكان من كبار من خطبوا في هذا المؤتمر الشيخ عبد العزيز جاويز وحفي ناصف - والسيد رشيد رضا - رحمهم الله جميعا ، وكانت خطبة هذا السيد في يوم ٢٩ ربيع الأول سنة ١٣٢٦ بهذه القاعة - وقد قال حفي ناصف عن هذه الخطبة :

إنها أحسن ما سمعته في هذا المقام وإنما على إنجازها يصح أن تكون فصل الخطاب ^(١)

خطبة العلامة الكبير السيد محمد رشيد رضا : ^(٢)

إن الله تعالى قد حرم ربا النسئة الذي كانت عليه الجاهلية تحريما صريحا ، ونهى عنه نهيا مؤكدا ، وورد في الأحاديث الصحيحة تحريم ربا الفضل والنهى عنه .

فالبحت في هذه المسألة من وجهين :

الوجه الأول : النظر فيها من الجهة النظرية المعقولة فنقول :

إن كل ما جاء به الإسلام من الأحكام الثابتة المحكمة فهو خير وصلاح للبشر ،

(١) ص ١٢٦ من كتاب ميزان القديس .

(٢) ألفت هذه الخطبة لنفسه من سبعين عاما

وكأنها ألفت اليوم .

أكثر أهل هذا القطر ، والإمام أبو حنيفة الذى يتحاكون على مذهبه كافة^(١) ومثلهم فى ذلك أهل المملكة العثمانية التى أنشئت فيها مصارف (بنوك) الزراعة بأمر السلطان^(٢) - وهى تقرض بالربا المعتدل مع إجراء حيلة المبايعة التى يسمونها المبايعة الشرعية .

(١) كان المصريون حينئذ يتعاكرون فى الأمور الشرعية على مذهب أبى جعفر .

(٢) كان مسلمو البوسنة والمهرسك قد أرسنوا إلى المشيخة الإسلامية بالدولة العثمانية ، يسألونها رأيا فى إنشاء مصرف إسلامى يلازم سد الحاجيات البلاد واحتفاظا بمصالحهم الاقتصادية - وبب هذا السؤال أن إنشاء المصارف من الوسائل المختلف عليها فى الشريعة الإسلامية فأحيل هذا السؤال على باب الفتوى الجليلة ، فصدرت من لها ٢٨ شوال سنة ١٣٢٨ هـ الجواب المهم الآتى : « إن السؤال للقدم من فخر الدين دغير فيك بتاريخ ١٠ شوال سنة ١٣٢٨ هـ للضمن بيان المحسنات والفوائد الكثيرة العائدة من إنشاء المصارف بالممالك الإسلامية ، وللمستفتى عن جواز أو عدم جواز إنشائها الذى سبق أن أحاله قضية شيخ الإسلام على دار الفتوى ، قد فرى - وبعد الاطلاع على النصوص الشرعية حررنا الجواب الآتى :

إن مشايخ الإسلام السابقين قرروا أنه ما دامت الأموال المودعة بهذا المصرف ، والتى تستقرض أو ترد ، والمبالغ التى تؤخذ أو تترك بأى صورة ، ما دامت تعود بربح قليل وتفسير حسب إحصاى الطرق التى نص عنها فقهاؤنا للسكرام ، فهى والحالة هذه محالة ص ٢٥ ، ٢٦ ج ٣ مجلة الهداية .

وفى قاموس القوانين ص ٤٦٣ طبعة محمود بك أن الدولة العثمانية أباحت للقضاة أن يحكموا بالفائدة بشرط أن لا تبلغ مثل الدين الأصلى .

ما هو الحل لحياتنا الحاضرة :

ولسكنهم يقولون : إننا نعيش فى زمن ليس به أمم إسلامية ذات دول قوية تقيم الإسلام ، وتستغنى عن يخالفها فى أحكامها ، وإنما قام العالم فى أيدي أمم مادية قد قبضت على أزمة الثروة فى العالم حتى صارت سائر الأمم والشعوب عبيلا عليها ، فمن جارها منهم فى طرق كسبها - والربا من أركانها - فهو الذى يمكن أن يحفظ وجوده معها ومن لم يجارها فى ذلك انتهى أمره بأن يكون مستعبدا لها ! فهل يبيع الإسلام ، لشعب مسلم هذه حاله مع الأوروبيين كالشعب المصرى أن يتعامل بالربا ليحفظ ثروته وينمىها فيكون أهلا للاستقلال ؟ أم يحرم عليه ذلك والحالة حالة ضرورة - ويجب عليه أن يرضى بما - تنزاف الأجنبى لثروته ، وهى مادة حياته ؟

هذا ما يقوله كثير من مسلمى مصر الآن : والجواب عنه - بعد تقرير قاعدة : أن الإسلام يوافق مصالح الآخذين به فى كل زمان ومكان - من وجهين ، يوجه كل واحد منهما إلى فريق من المسلمين :

أما الأول : فيوجه إلى فريق المقلدين - وهم أكثر المسلمين فى هذا العصر ، فيقال لهم : إن فى مذاهبكم التى تقلدونها مخرجا من هذه الضرورة التى تدعونها - وذلك بالحيلة التى أجازها الإمام الشافعى - الذى ينتمى إلى مذهبه

كيف نحل ضرورة الأمة للتعامل بالربا :
 الربا وإيكاله غيره - فلا كلام لنا في الأفراد -
 وإنما المشكل تحديد ضرورة الأمة أو حاجتها -
 فهو الذي فيه التنازع ، وعندى أنه ليس لفرد
 من الأفراد أن يستقل بذلك - وإنما يرد مثل
 هذا الأمر إلى أولى الأمر من الأمة أى أصحاب
 الرأى والشأن فيها ، والعلم بمصالحها عملاً بقوله
 تعالى في مثله من الأمور العامة (٤ : ٨٣) :
 « ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر
 منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم » .

والرأى عندى أن يجتمع أولو الأمر من
 مسلمي هذه البلاد - وهم كبار العلماء والمدرسين
 والقضاة ورجال الشورى ، والمهندسون
 والأطباء ، وكبار المزارعين والتجار ،
 ويتشاورا بينهم في المسألة ثم يكون العمل بما
 يقررون أنه قد مست إليه الضرورة ،
 أو أُلجأت إليه حاجة الأمة هـ .

خاتمة :

بذلك نختم هذه السكلمة بنتائج ما بيناه فيها
 مع ذكر آيات وأحاديث وقواعد أصولية
 استنبطها فحول العلماء من الشريعة الإسلامية
 لاتصالها بما بيناه من قبل ولكي ينتفع
 القراء بها :

قال الله تعالى : « يريد الله بكم اليسر ولا
 يريد بكم العسر » .

وأما الثانى : فيوجه إلى أمل البصيرة في
 الدين ، الذين يتبعون الدليل ، ويتحرون
 مقاصد الشرع فلا يبحثون لأنفسهم لخروج
 عنها بحيلة ولا تأويل ، فيقال لهم :
 إن الإلزام كله مبنى على قاعدة اليسر ،
 ورفع الحج والعسر ، الثابتة بنص قوله
 تعالى : « ٢ : ١٨٥ » يريد الله بكم اليسر
 ولا يريد بكم العسر ، وقوله « ٥ : ٦ » ما يريد
 الله ليجعل عليكم في الدين من حرج .
 وأن المحرمات في الإسلام قسمان :

الأول ما هو محرم لذاته لما فيه من الضرر
 وهو لا يباح إلا لضرورته - ومنه ربا
 النسيسة ، المتفق على تحريمه ، وهو بما تظهر
 الضرورة إلى أكله ، أى إلى أن يقرض
 الإنسان غيره . فياً كل ماله : ضاعافاً مضاعفة
 كما تظهر في أكل الميتة وشرب الخمر أحياناً .
 والثانى ما هو محرم لغیره : - كربا الفضل
 المحرم لئلا يكون ذريعة وسبباً لربا النسيسة
 وهو يباح للضرورة - بل وللحاجة
 كما قاله الإمام ابن القيم وأورد له الأمثلة من
 الشرع . فقسم الربا إلى جلى وخفى وعسده
 من الخفى .

ما يجب على الأفراد :

فأما الأفراد من أمل البصيرة فيعرف
 كل من نفسه هل هو مضطر أو محتاج
 إلى كل هذا .

باب المصلحة أوسع من باب الضرورة .
 ٣٢ — (الحاجة تنزل منزلة الضرورة)
 عامة أو خاصة ، ومن هذا القبيل تجوز البيع
 بالوفاء لما كثرت الديون على أهل بخارى
 مست الحاجة إلى ذلك فصار مرعياً .
 ٣٩ — (لا ينكر تغير الأحكام بتغير
 الأزمان .

قواعد أصولية من غير المجردة :

١ — أساس الشريعة الإسلامية د درء
 المفسد وجلب المصالح .
 ٢ — العلة في تحريم كل حرام هي المضرة
 في (الدين أو النفس أو العقل أو العرض أو
 المال) فما لا ضرر فيه لا يحرم .
 ٣ — أساس المعاملات في الشريعة : أن
 كل محرم ضار وكل نافع حلال .
 المحرم لذاته - وهو ما كان ضاراً بذاته -
 إذا كان بما يضطر إليه ، كأكل الميتة ولحم
 الخنزير وشرب الخمر ، ومنه ربا النسبة ،
 يباح للضرورة .

٤ — والمحرم لسد الذريعة كروية الطبيب
 لعورات الرجال والنساء لأجل التداوي
 أو رؤية المرأة الأجنبية يباح للمصلحة الراجحة
 ولا يشترط فيه الضرورة .

٥ — جرى الأستاذ الإمام (محمد عبده)
 في مناظراته القولية والكتابية :

وقال الله تعالى : « ما يريد الله ليجعل عليكم
 في الدين من حرج » .
 وقال الله تعالى : « فمن اضطر غير باغ
 ولا عاد فلا إثم عليه » .
 وقال الله تعالى : « قد فصل لكم ما حرم
 عليكم إلا ما اضطررتم إليه » .
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا ضرر
 ولا ضرار) رواه مالك في الموطأ ومرسله أحمد
 وابن ماجه .
 وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم :
 قواعد (١) .

المادة ١٧ — المشقة تجلب التيسير ، يعني
 أن الصعوبة تصير سبباً للتيسير ويلزم التوسيع
 في وقت المضايقة : يتفرع على هذا الأصل
 كثير من الأحكام الفقهية كالقرض والحوالة
 والحجز وغير ذلك ، وما جوزه الفقهاء من
 الرخص والتحقيقات في الأحكام الشرعية
 مستنبط من هذه القاعدة ١٠

١٨ — (الأمر إذا ضاق اتسع) ، يعني
 أنه إذا ظهرت مشقة في أمر يرخص فيه
 ويوسع .

٢١ — (الضرورات تبيح المحظورات)
 (الضرورات تقدر بقدرها) (٢)

(١) من المجلة التي تحتوى على القوانين الشرعية
 بالدولة العلية الصادرة في غرة المحرم سنة ١٢٨٦ هـ .
 (٢) تقرير الضرورة لفرد يرجع إلى نفسه وإيمانه
 وتقديرها للجماعة يرجع إلى أهل الرأي فيها .

يتعامل به الناس اليوم بغير شك وهو محرم لذاته وبياح للضرورة .

وربا ظنى وسموه ربا الفضل - وهو محرم لسد الذريعة - وبياح للمصلحة الراجحة وبيننا كذلك : كيف السبيل إلى خروج المسلمين الآن من حرج التعامل بالربا الذى أصبح من النظام الاقتصادى العالمى واضطر المسلمون إلى اتباع هذا النظام ؛ لأنه صار ضرورة من ضروريات الحياة وإذا لم يتبعوه أصبحوا أذلة ضعفاء بين الأمم وأتينا بالقواعد الأصولية التى وضعها الإسلام لحل مشكلة الربا بعد أن أصبحت بلوى عامة حتى يتحقق القول : بأن الإسلام صالح لكل زمان ومكان وأنه لا يقف فى سبيل أى نظام ما دام نافعا للناس وليس فيه ضرر .

وأنه بما أوردناه فى كل ذلك يكون ما أفتى به شيخ الأزهر هو ما يجب العمل به فى هذا العصر ، وأنه لم يخرج فى فتواه عن قواعد الإسلام وما يريده الله من اليسر على عباده ، وأنه ما يريد أن يجعل عليهم فى الدين من حرج ، وأنه لم يكن بدعا فيما أذاعه على الناس ، بل هو مؤيد فى ذلك بما قرره كبار العلماء فى هذا الأمر منذ عشرات السنين ، هذاننا إلى الصراط المستقيم . ووفقنا إلى ما فى الخير والصلاح إنه سميع مجيب .

على أن الإسلام قد جاء بإصلاح يوافق مصلحة البشر فى كل زمان . وهذا التوفيق ينبئ على ما جاء فى كتاب الله وسنة نبيه التى مضت بالدوران مع المصلحة فى كل حال بحسبها لا على ما جاء فى كتب الفقهاء .

٦ - قاعدة للإمام مالك : وجوب الاستمسك بظواهر النصوص فى العبادات ، ومراعاة المصلحة العامة ومقاصد الشرع فى أحكام المعاملات .

ميراث غير صحيح :

قبل أن نفرغ من إيراد ما اخترناه من الآيات القرآنية والقواعد الأصولية نقول : إن رجال الدين جميعاً يجرى على ألسنتهم عند ما يتكلمون فى الربا ، حديث يعتبرونه صحيحاً وهو غير صحيح ذلك الحديث هو :

(كل قرض جر نفعا فهو ربا) .

* * *

هذه بحالة بينما فيها الربا فى الإسلام كما حققه نحول العلماء ، وأنهم قد خرجوا فى تحقيقهم إلى أنه ينقسم قسمين : قطعى وظنى وأن القطعى هو (ربا النسئة ، وهو الذى كان يتعامل به العرب فى جاهليتهم وحرمه الله تحريماً قاطعاً - وهذا الربا غير الربا الذى

الآثار الأدبية في إنتاج الفلاسفة

للدكتور محمد غلاب

في منتجاتهم حتى تتجلى أمامه أعمق النظريات الفكرية، يتصوع من عباراتها شذا الشعر الفاتن أو يعقب من أساليبها عبير النثر الساحر، فمن هؤلاء مثلاً پارمينيديس؛ إذ أن منتجاته العقلية تنحصر في قصيدته الفلسفية الكبرى التي عنوانها «عن الطبيعة»، والتي أخضع فيها النظريات العويصة الشديدة التعقد للألفاظ السلسة السهلة، وصاغها في قصيدة بديعة التنظيم رشيقة التنسيق، جذابة الأسلوب، محتوية على كثير من التشبيهات الخيالية والاستعارات والمجازات، ولكن بهيئة احتفظت للحقيقة الفلسفية بجوهرها الكامل. ولا ريب أن في هذا برهاناً ناصعاً على أنه لم يكن في مذهبه الفلسفي متوجاً ولا متلجلاً، وإنما كان متمكناً من آرائه، قابضاً على زمام أفكاره. تتألف هذه القصيدة من مقدمة ومقالتين: ففي المقدمة يتحدثنا الشاعر الفيلسوف في أسطورة شيقة عن صعوده في مركبته إلى السماء والنقائه بآبئة الشمس أو إلهة الحقيقة وإرشادها إياه إلى ما يبغيه من الوصول إلى اليقين وفي المقالة الأولى يعرض فكرة الوجود ويبسطها ويحللها ثم يستنتج منها المحامد

احتفظ مؤرخو الحركات الأدبية العالمية بمكان فسيح من مؤلفاتهم لعدد من الفلاسفة في عصور مختلفة مهما تكن النظريات التي عاجلها دقيقة عميقة. ومنشأ ذلك إما أن أولئك الفلاسفة قد صاغوا نظرياتهم في صور أدبية خالصة كالقصائد والمحاورات والروايات والمسرحيات والاساطير، وإما أن أساليبهم بسحرها وقنتها ووضوحها - قد تلاأت في سماء الأدب فاحتلت فيها منزلة رفيعة جديدة بالاعتبار.

نعم، إن هناك فريقاً من الفلاسفة - كالمدرسين في العصور الوسيطة، واسينوازا وكانت، وهيجيل، ومن إلهم - كانت منتجاتهم مفرطة في التجريدية والجفاف، معرأة من الرشاقة الأدبية. وهؤلاء يؤلفون جماعة منعزلة، ولكن تاريخ الفلسفة الطويل الحافل يفيض في كل العصور بالفلاسفة المغمين بالفن الأدبي، المفتونين بالأساليب الأنيقة، والتعبيرات الرشيقة. فالفلسفة الإغريقية في العصور الأولى تقدم إلينا فلاسفة من أفذاذ الشعراء كأبيدوكليس، وپارمينيديس وإكسينوفانيس الذين لا يكاد الباحث ينظر

إلى الطريق المساجد ، طريق الآلهة ، ذلك الطريق الذى يقتاد العلماء من الفانين إلى أعمق جميع الأسرار ... وكانت فتيات ترشدنا فى سيرنا ، وهن بنات الشمس اللواتى غادرن دار الليل إلى دار النور ، واللواتى زحزن الحجب بأبهيدهن من فوق أفواذهن ، وكان الصفير يسمع من محاور العجلات التى تسكاد تلتهب فى مراكزها ؛ لأن الحركة الدائرية كانت تضغطها من الجانبين كلها ضاعفت الجياد سرعتها ، وكانت العناية التى يتجه إليها سيرنا هى المكان الذى يوجد فيه بابا طريق الليل والنهار ... ولما كانت العدالة الحازمة هى التى بيدها مفاتيح هذين البابين ، فلم يكن من أولئك العذارى إلا أن اتجهن إليها بعبارات عذبة وأقنعنها فى مهارة بأن تزحزح رتاج الباب ففعلت وانفتحت العضاضتان على مصاريعهما بعد أن دارت الرزات فى أنقوبها ، وعلى الفور دفعت العذارى المركبة والجياد فى سهولة من هذا الباب ، فاستقبلتنى الإلهة استقبالا حسنا ، وتناولت يدي التبنى ووجهت إلى هذه العبارات : أيها الشاب أنت الذى ترشدك قائدات من الآلهة ، استمع فليس مصيرا مشؤوما ذلك الذى جاء بك إلى هذا الطريق المجهول من الأناسى ، وإنما هو العدالة والقانون . وينبغى أن تحيط بكل شىء . فتعرف الفكرة المضبوطة عن الحقيقة البعيدة

التي يجب أن يمتاز بها . ولا ريب أن طبيعة البحث المثبتة فى هذه المقالة أميل إلى النظر العقلى ، وأكثر صعودا نحو التجرد . ولهذا كان ما ورد فيها من طرائق الجدل ، وعناصر الفكر ، ومبادئ المنطق جديدا مبتكرا إلى حد حمل الباحثين على القول بأن المؤسس الأول للجدل العقلى هو پارمينيديس . وقد بقيت من هذه المقالة شذرات كثيرة استطاع النقاد بفضلها أن يكونوا عن آراء هذا الفيلسوف النظرية فسكرة لا بأس بها .

وفى المقالة الثانية يبسط آراءه عن العالم الحس وعن كيفية إدراكه . ولا شك أن هذه المقالة الثانية هى أكثر شرحا لعالم الحس . وطريقة معرفته ، وقيمة العلم به إلى جانب العالم العقلى ، ولكن الشذرات التى بقيت من هذه المقالة ضئيلة مبتورة لم تمكن العلماء من إصدار حكم صريح على آراء پارمينيديس فى عالم المحسّات .

ولما كانت الناحية الأدبية هى التى تعنينا هنا ، وكانت مقدمة هذه القصيدة هى اللوحة الأمينية لشاعرية هذا الفيلسوف والصورة الصادقة لمزله الأدبية ، فقد أردنا أن ننقل لك منها نموذجا لتقف على خيال هذا الشاعر والروح الشعرية عنده . وإليك هذا النموذج :

« إن الجياد التى كانت تجسر مركبتى نقلتنى إلى حيث كان حماسى يشتهى ، إذ أنها أصعدتنى

البنة موضع مساواة ، لا بين الكتاب ولا بين الفلاسفة .

تتمايز محاورات هذا الحكيم بأنها مشتملة - في أكثريتها الغالبة - على قوة حيوية جديدة بالملاحظة والتسجيل ، وبأنها أشد ما تكون واقعية ودنوا من الحياة العملية رغم ما تعزوه الكافة إلى مؤلفها من الانغماس في الأخيلة والأحلام . ومن آيات ذلك أن المفسرين الذين يضع على أسننتهم آراء خصومه هم أشخاص حقيقيون عاصروه أو عاصروا أستاذه سقراط وناقشوه مناقشات واقعية ، وكان لهم حقاً نفس تلك المذاهب التي عزاها أفلاطون إليهم . وتلك خطة لها دلالتها وقيمتها ، إذ هي ترمي إلى تسجيل مذاهب ذلك العصر وتحليلها ، وتمحيصها ونقدها ، وتأيد الصالح منها ، ونقض الفاسد ، وتقويض ما فيها من معاقل الزيف وحصون الضلال . وما لا ينبغي الإغضاء عنه هنا أن هذه المحاورات الشيقة التي تتخذ إما صور المسآسى العميقة ، ولما صور المهازل الرشيقة ، تعنى أتم العناية وأقصاها برسم الزمان والمكان وتصوير الأحداث والظروف والأشخاص تصويراً دقيقاً محدوداً لا تعزب عنه أية واقعة مهما صغرت ولا يغيب عنه أى تفصيل مهما ضؤل . وتلك هي نهاية الفن الرائع ، وقصوى درجات الاقتدار الساطع . ومن

عن الخطأ ، وتعريف الآراء العابثة التي تحتل رموس الأناسى ، والتي لا تسودها أية عدالة ، وهكذا تعرف كيف يجب أن تحكم على كل شيء بطريقة متزنة .

أما عملاق الفلاسفة الأكبر ، وأستاذهم الأجد أفلاطون ، فقد كان في عصره سيد الكتاب بلا منازع ، وحسبنا أن نشير هنا إلى قول أحد معاصريه عنه : « لكانى بالنحلة تصب جناها على لسان أفلاطون » . وما لا ريب فيه أن محاوراته الفلسفية التي نيفت على الثلاثين ، تعتبر من عيون النثر الفنى الرافى الذى ترك في العالم الأدبى آثارا ليس في مسكنة الزمان محوها أو النيل منها ، وذلك بسبب رفعة مبانيها ، وسمو معانيها ، وصورها الأخاذة . ولا غرو فإنه — بفضل هذه الصور الأدبية الرائعة التي كانت ولا تزال تفيض بالحيوية — قد استطاع أن يمنح أعمق النظريات وأعوص الفكر من السهولة والبس ما جعلها في متناول العقليات العادية ، وفي هذا يقول عنه أحد النقاد الأقدمين : « لو أن مذهب أفلاطون كتب بغير أسلوب أفلاطون لما فهم منه أحد شيئاً » .

بلغ الفن الحوارى عند أفلاطون من الكمال حداً رفعه إلى مرتبة الصف الأول من كتاب العصور الأثرية كما كان أول أعلام العقل بلا منازع . ولا ريب أن هذا الكمال المرموق طالما كان موضع محاكاة ، ولكنه لم يكن

الفجر ليدعوه إلى سماع پروتا جوراس ولكنه لما كان يعلم شعور هذا الحكيم نحو السوفسطائيين ، كان يخلج في نفسه شيء من الاضطراب . ومن ثم فإنه حين يسأله ماذا ينتوى أن يفعل بسماعه پروتا جوراس يجيب وقد احمر وجهه من الخجل قائلاً : إنه من الواضح أنى أفسكر فى أن أصير سوفسطائيا . وما يلفت النظر فى هذا المقام نزاهة أفلاطون بإزاء خصومه لاسيما السوفسطائيين الذين صورهم فى محاوراته فأجاد تصويرهم إلى حد أن خيل إلى القارىء أنه قد بعث شيوخهم من مرافدهم ، وحال بين شبانهم وبين الفناء فكانت محاوراته بالنسبة إليهم كأنها يد القدر التى خطت لهم سطور الخلود .

وأبدع ما يسترعى الانتباه فى شأن هؤلاء الاعلام ، أن فليسوفنا قد خلد معهم فصاحتهم وبلاغتهم ، وأدبهم الرائع ، وأسلوبهم الساطع ، وبيانهم الساحر ، وحوارهم الباهر ، وأنه لم يغمطهم من حقوقهم كبيرا ولا صغيرا ، فاعترف بمجدهم وسجل امتيازاتهم ، وسلك بإزاتهم أعدل المسالك وأنبلها . ولم يحارب منهم سوى الجوانب المفعمة بالأخطاء والاضاليل ، واطالما أثبت على ألسنتهم أرقى الصيغ وأرشق العبارات ، وأبدع المعانى وأعظم الدلالات . ولقد أجاد تحليل آرائهم ، وتعيين مذاهبهم ،

دلائل تلك الدقة تصويره أصدقاء سقراط ، إذ يقدم إلينا مثلا كريتون صديق سقراط منذ الطفولة ، وهو شخص عظيم الوفاء إلى حد البذل والفدائية ، ولكنه قوى العاطفة ، سريع الانفعال ، شديد التأثر بما يحوطه من أحاسيس الحياة لا يملك مشاعره عند اصطدامه بأحداثها ووقائعها بما لا يلتئم مع فطرة سقراط الرزينة الهادئة . ولذا هو يوجه إليه العبارة التالية : « أو يا عزيزى كريتون . إن حماسك كان يمكن أن يكون أكثر تقديرا لو أنه كان أشد تعقلا ، .

وكذلك هو يصور لنا فيدون تلميذاً ودعيا عطوفا يجلس إلى جانب قديمى سقراط فى ساعاته الأخيرة . في رسم لذلك الموقف صورة خليقة بأن تستمطر العبرات من العيون .

وما تجب العناية به هنا أن أفلاطون فى هذه المحاورات يقدم إلينا لوحة أمينة ناطقة بالصور الواقعية لشباب أثينا المترف المثقف الذى يمازى بكثير من الخلال الساحرة والصفات الفاتنة كالصفاء والذكاء ، والبساطة والنشاط ، والتحمس ، للنقاش . والتأهب للحوار ، والشغف بسماع دروس مشاهير الأساتذة أيا كانت مذاهبهم وآراؤهم . ومن نماذج هؤلاء الشبان خارميديس ، وإيسليس ، وفيدوروس ، وهيبوكراتوس الذى يصوره لنا المؤلف مهرولا إلى منزل سقراط عند

طفيل ، فإنك ستهتف معنا قائلا : « إن من البيان لسحرا » .

ولقد كنت أحب أن أقف بك هنية عند رسائل إخوان الصفاء ؛ لأقدم إليك نموذجا من نماذج الرشاقة والأناقة ، والعذوبة والركة والدقة ، ولكن المجال لا يسمح لي الآن بهذه الوقفة ، وهو يكرهني على مغادرتها دون توفيتها ما تستحقه من عناية . وحسي أن أقول عنها : إن كل تصوير لها لابد أن يشتمل على قصور أو تقصير ، غير أننا لا نود أن نغادر هذا المجال دون أن نقف بك وقفة وجيزة عند قصة « حى بن يقظان » ، التي بلغت من الروعة حداً فتن كتاب الأوربيين ودفعهم إلى محاكاتها ، وإليك هذه الوقفة :

تأثر ابن طفيل في مباني الرسالة بخيال ابن سينا ، وتأثر في معانيها وآرائها بمذاهب : أرسطو ، والفيناغورية والأفلاطونية الحديثتين ، فجاءت هذه الرسالة خيالية شيقة في صورتها وأسلوبها ، فلسفية عميقة في موضوعها ومراميها على نحو رسائل أفلاطون والأفلاطونية الحديثة التي كان مؤلفوها يصوغونها في صيغ أساطير قديمة ، ويضعون لها أبطالاً يجرّون على ألسنتهم آراءهم وآراء خصومهم . أما غاية المؤلف من هذه الرسالة فلم تكن - كما فهم عبد الواحد المراكشي -

وعزا إلى كل منهم ما صدر عنه موزونا بالقسطاس المستقيم الجدير بتليذ سقراط وحامي الفضيلة ، ورافع علم الأخلاق . ومن الدقة التي تبهّر عين العقل الناقد أن هؤلاء السوفسطائيين الذين رسمهم حكمينا في محاوراته لا يتماثلون في أى شيء سوى إجماعهم على جحود الحقيقة العامة المطلقة ، واتفاقهم في الهزيمة أمام منطق سقراط .

وإذا غادرنا الفلسفة الإغريقية واتجهنا إلى الفلسفة اللاتينية ألفيناها تقدم إلينا تحفا من الشعر كتلك القصيدة الشهيرة التي صاغ فيها الشاعر الموهوب لو كريس مذهب أستاذه إبيقور فجلاء تجلية جديرة بالإعجاب . وكذلك لا نستطيع أن نغضى عن شيشيرون الذي بذل جهود الجبابة في أن ينحى عن الفلسفة المجادلات المجردة ، وجعل يعلم مواطنيه في محاضراته الفصيحة ، ومنتجاته البليغة ، روح الفلسفة الإغريقية وآراءه الخاصة في معانيها ومراميها .

وإذا تركنا الأقدمين وعرجنا على فلاسفة الإسلام ، ألفينا بين منتجاتهم السحر الساحر ، والفتنة الفاتنة ، وليس عليك إلا أن تاقى نظرة عاجلة على النصوص ، أو المدينة الفاضلة ، أو التوفيق بين الحكيمين للفارابي ، أو على القصيدة العينية لابن سينا ، أو رسائل إخوان الصفاء ، أو حى بن يقظان لابن

ولكن السيدة خشيت بطش شقيقها ، فوضعت الطفل في صندوق ثم ألقت به في البحر ، فقدفت به الأمواج إلى جزيرة غير مأهولة عند خط الاستواء (١) ، وهناك ساقط إليه الأقدار ظلية كانت قد فقدت ولدها فسمعتة يصرخ ، فحنت عليه وأخذت ترضعه حتى شب ونضج بين الوحوش . وفي تلك الجزيرة أعقب المؤلف على بطل روايته أطوار المعرفة المختلفة التي تبدأ بإدراك الحسيات ثم تنتقل منها إلى إدراك المعقولات المؤثرة فيها ، وهذا الرأي يتناسب بلا ريب مع حالة الطفل الساذج الناشئ في جزيرة موحشة ، ولكنه أيضاً متأثر برأى أرسطو الذي يتخذ الطبيعة وسيلة إلى إدراك ما وراء الطبيعة ، ويستخدم المحسّات في فهم المعقولات .

ولقد أحدث هذا الكتاب في عالم الفكر ضجيجاً عظيماً : ففي البيئات العربية كان مصدراً هاماً لنظرية التوحيد التي بدأها ابن ماجة ونماها ابن طفيل . وفي البيئات الأوروبية فاز هذا الكتاب أيضاً بحظ عظيم من الاهتمام فترجمه إلى العبرية موسى التاربوني في منتصف القرن الرابع عشر ، وترجمه إلى

محاولة عرض كيفية بدء الخلق أو بيان أصل النوع الإنساني فيما يرى الفلاسفة ، وإنما غايته الأساسية هي إيضاح رأيه في كيفية المعرفة ، وهو يتلخص في أن الإنسان يستطيع أن يصل إلى إدراك الحقائق ولو كان قد نشأ في عزلة تامة ، ولم يتلق أية ثقافة خارجية ، ولم يخضع لأقل أثر من غيره إلا أثر العقل الفعال الذي ينير عقله ، وكذلك يستطيع أن يدرك هذه الحقائق ويتذوقها إذا لقنه غيره إياها ، ولكن على شرط أن يكون هذا الإنسان من الخاصة الذين منحهم السماء موهبة فلسفية كحي بن يقظان بطل رواية فيلسوفنا الذي أدركها وحده ، وكصديقه (أسال) الذي أدركها أولاً بوساطة الدين ثم بوساطة (حي) وذلك لأن العامة ليس لديهم الاستعداد لإدراك هذه الحقائق ؛ ولأن المجهود الذي يبذل في تهذيبهم يذهب عبثاً كما ذهب مجهود (حي) وصاحبه في تهذيب أهل الجزيرة الأخرى .

بدأ ابن طفيل بعد فراغه من المقدمة ، في الرواية نفسها ، فأوجد لنا حي بن يقظان من غير أب ولا أم ، أو من إحدى الأشجار التي تثمر أغفالا ، أو من سيدة ضن بها شقيقها عن أن يزوجها من غير كفء ، فأحببت شاياً يدعى « يقظان » وتزوجت منه سرّاً فكان (حي) ، ثمرة هذا الزواج ،

(١) تعتمد ابن طفيل أن يضع بطل روايته في جزيرة عند خط الاستواء ؛ لأنها هي المنطقة المعتدلة في رأيه حتى لا يخضع الطفل لآثار الإفرطات الجوية ، ولكن العلم الحديث أثبت أن منطقة خط الاستواء ليست كما فهم هذا الفيلسوف .

أما القرن الثامن عشر فإن جميع فلاسفته كانوا يحرصون على أن يكونوا من الأدباء حرصهم على الانتساب إلى أهل الفكر ، وقد نجحوا في هذا نجاحا باهرا ، إذ إن ذا الذي يجحد في عالم الأدب والفلسفة كليهما ، أسماء : لوك ، وفولتير ، وديديرو ، وجان جان روسو ، ومونتيسكيو وغيرهم ؟ .

وكذلك في القرنين التاسع عشر والعشرين استمر الفلاسفة يكتبون السكافة ، لا للصفوة كما كان الفلاسفة المنزمتون يفعلون وجعلوا يعنون بالمصور الأدبية عنايه فائقة ولطالما — سطعت في هذين القرنين أسماء الأدباء المفكرين الذين تبسطوا في دراسة عدد وفير من نظريات عصرهم : الواقعية والروحية ، والتوفيقية والتلفيقية والتطورية ، والبراجمية ، والبيرجسونية ، والوجودية وما إلى ذلك . ومن هذه الأسماء اللامعة : « رينان » ، « تين » ، « داسينسر » ، « فيكتور كوزان » ، « نيتشه » ، « لامينيه » ، « دپول بورجيه » ، الذي عاجل في رواياته أراء « تين » ، « دمارسيل بروس » ، الذي صير البيرجسونية في متناول عقلية السكافة . وأخيرا « دپول سارتر » ، الذي بسط تفاصيل المذهب الوجودي في رواياته ومسرحياته .

اللاتينية بوكوك الانجليزى ونشره في أسكفوردمع النص العربى فى سنة ١٦٧١م ثم فى سنة ١٧٠٠م ثم ترجمت هذه الترجمة اللاتينية إلى اللغة الانجليزية مرتين ، ثم ترجم النص العربى إلى الانجليزية أيضا ونشر فى سنة ١٧١١م ولا ريب أن إحدى هذه الترجمات هى التى يسرت للكتاب الانجليزى « دانيلى دى فويه » التأثير بخيال ابن طفيل حتى يحاكي رسالة حى ابن يقظان فينشئ فى سنة ١٧١٩م على غرارها رواية الفخمة « روبينسون كروزويه Robinson Crusoe » التى يشاهد فيها الباحث لوحة أمينة للرقى المنهجى والوظائف الأخلاقية الملموسة فى رواية ابن طفيل .

وترجم هذا الكتاب إلى اللغة الهولندية فى سنة ١٦٧٢م . وقد ترجمه إلى الألمانية « بريتيوس » فى سنة ١٧٢٦م ثم ترجمه إلى نفس اللغة « إيشون » فى سنة ١٧٨٣م . وإذا ودعنا عصر الفلسفة الإسلامية ، ونظرنا فى فلسفة النهضة الأوروبية والفلسفة الحديثة ، ألفينا أن الفلاسفة الإنسانيين لا سيما الأفلاطونيين منهم كإرسيل فيسان أو الشاعر العظيم : بيطارك ، قد عادوا إلى تجديد العلائق الوثيقة بين الفلسفة والأدب وكذلك ألفينا أن « دخطابة على المنهج » لـ « ديكارت » ، Descartes و « الفكر » لـ « باسكال » Pascal ينتميان إلى الأدب بقدر ما يعالجان الفلسفة .

الإسلام في تايلاند

للأستاذ عطيه صعد

والدين الغالب في البلاد هو البوذية ،
ويوجد عدد من المسيحيين اعتنقوا هذه
الديانة مؤخرا بجهود المبشرين ، ولكنهم
يقولون كثيرا عن المسلمين .

وقد دخل الإسلام هذه المملكة من
طريقين : الصين والأرخبيل الماليزي . وقد
انتشر الإسلام بوضوح أيام الفتح المغولي
الذي حكم الهند من سنة ١٥٢٦م إلى ١٨٥٧م
وبقول أحد المستشرقين : إن قبائل «شامس» ،
التي أنشأت مملكة «شاميا» ، جنوبي آنام
حاليا ، كانت تدين بالإسلام عند ما أخرجها
الصينيون والآنميون من البلاد ، وتعيش
هذه القبائل الآن في شبه الجزيرة وفي سيام ،
ولكنها ارتدت إلى ديانتها البدائية ، ما عدا
جماعة منهم تقيم شعائرها الإسلامية مع
الاحتفاظ بالتقاليد البرهمية .

والنفوذ السياسي في البلاد للبوذيين ، كما أن
النفوذ التجاري للصينيين ، والمسلمون بين
هؤلاء لم يصلوا إلى حقهم الكامل في الناحية
السياسية ، ومتخلفون جداً في الميدان
الاقتصادي . فكبار الموظفين من البوذيين ،

في شبه جزيرة الهند الصينية ، وبين ممالك
كبوديا ولاوس وبورما تقسع مملكة كانت
تعرف باسم «سيام» ، ثم عرفت بعد سنة
١٩٣٩م باسم تايلاند Thailande ومعناه
بلاد الأحرار . وتبلغ مساحتها نحو
٥٣١ر٥٢١ كيلو متراً مربعاً ويروى أرضها
نهران هما : ميكونج ومينام ، ويبلغ عدد
سكانها نحو ٢٣ مليوناً كما جاء في إحصاء
سنة ١٩٥١ م . وهم خليط من السياميين
الأصليين الذين يكونون الأغلبية الساحقة ،
ومن الصينيين الذين يبلغون نحو ٣ ملايين ،
ومن الأوربيين الذين يقرب عددهم من
٥٠ ألفاً أغلبهم فرنسيون .

وبين هذه الملايين يعيش نحو ثلاثة ملايين
من المسلمين ، كما قدر عددهم وزير خارجية
تايلاند في تصريحه بمؤتمر باندونج ١٩٥٥م .
ويعيش أكثرهم في الولايات الأربع الجنوبية ،
وتوجد منهم جماعات صغيرة منتشرة في ضواحي
الولايات الوسطى يبلغون نحو ٢٠٠ ألف ،
وفي العاصمة «بانجكوك» يوجد حوالى ١٠٠
ألف مسلم .

مطلقا في الشؤون السياسية ، بل لا يستغلون مركزهم في نفع المسلمين ، فنشاطهم في هذه الناحية محدود جداً أغضب عليهم أكثر المسلمين التقدميين . ويعاون هذا المستشار في مهمته مجلس مكون من ١٢ عضواً على غرار المجلس الملى .

كما تدل التقارير أيضا على أن للمسلمين هناك اتجاهين : الأول يتزعمه طائفة يعرفون بالعلماء ، استمدوا ثقافتهم البسيطة من مكة وغيرها ، وعددهم كثير ، وأفقهم ضيق ، وتفكيرهم محدود ، لا يفهمون الإسلام على وجهه الصحيح ، فهم يحرمون مثلا تعلم اللغة الوطنية ، ولا يشجعون من التعليم أى نوع إلا التعليم الدينى البحت ، لحسب الإنسان ليفوز برضوان الله أن يديم تلاوة القرآن الذى لا يفهم معناه ، ولا يستطيع أن يطبق أحكامه بالطبع ، بل لقد بلغ من شره هذه الفئة — كما تقول التقارير — أنها توحى إلى التلاميذ بأن إكرام العلماء وبرهم بالهدايا والصدقات أولى وأفضل عند الله من إكرام الوالدين وصلة الأرحام ، ولذلك يؤثرهم بالزكاة وما يستطيعون من قرب . وهذه الطائفة تحظى بعطف الحكومة التى ترى فى مسلمهم هذا رجوعا بالمسلمين إلى الوراء ، وزحزحة لهم عن معترك الحياة ، وهو ما يريده المسئولون وسادتهم الغربيون

ولا يكاد مسلم يشغل وظيفة أو يلتحق بالسلكية الحربية إلا إذا غير اسمه إلى اسم بوذى ، ولا يعرف باسمه الإسلامى إلا بين قومه وعشيرته ، والبرلمان الذى يقوم على مجلس واحد يضم ٢٤٠ عضواً ، لا يمثل المسلمين فيه إلا عضوان فقط ، ولو روعيت نسبة المسلمين وهى ١٥ ٪ من السكان ، لكان لهم فى البرلمان أكثر من ٣٠ عضوا . وتقوم اقتصاديات المسلمين على الزراعة ومزاولة المهن البسيطة وبعض الوظائف ، فإن ٧٠ ٪ منهم يعملون فى حقول الأرز ومزارع المطاط ، و ٢٥ ٪ يعملون فى البساتين وصيد الأسماك والتجارة وشغل بعض الوظائف ، و ٥ ٪ منهم فى الجيش . والموجودون بالمدن يزاولون الحرف والصناعات البسيطة ، و يقيمون فى مساكن متواضعة ينقصها النظام والنظافة .

وتعين الحكومة ممثلا للمسلمين فى كل منطقة بكثر عددهم فيها ويسمى هذا الممثل بلغتهم Pard ham أى الرئيس . وهؤلاء الممثلون ينتخبون من بينهم المستشار الدينى العام ، ويسمى بلغتهم Ghula Rajmentrie وهو يعد شيخ الإسلام هناك . وقد جاء فى التقارير أن هؤلاء المستشارين يختارون غالبا من الطبقة الرجعية . وأنهم يدينون للحكومة بالطاعة والولاء ليضمنوا مراكزهم ، وهم لا يتدخلون

كانت البوذية تلقى التشجيع الكبير عن طريق دراسة نصوصها في منهج الأدب .

ومن هنا ففكر المسلمون أخيراً في تكوين جمعيات وإنشاء مدارس خاصة لهم ، غير أنه يتحتم على هذه المدارس أن تتبع المنهج الحكومي ، وألا تدرس الدين في الأوقات المقررة للمناهج ، ويلتحق بهذه المدارس مسلمون وغير مسلمين ، وتتلقى إعانات من الحكومة ، وليس للمسلمين من حظ في هذه المدارس إلا أنها تحت إدارتهم ، ويمكنهم أن يدرسوا الدين لأبنائهم فيها في غير أوقات الدراسة ، ويعودوهم على أداء العبادات .

وقد أنشأ المسلمون لهذا الغرض ٣٠٠ مدرسة يتردد عليها نحو ٥٠ ألف تلميذ ، ويقوم بالتدريس فيها نحو ١٢٠٠ مدرس ، غير أن مستوى التعليم فيها ضعيف جداً ، وذلك لأن معظم المدرسين لا يحملون شهادات فنية عالية ، ولجهل المشرفين على المدارس وعدم فهمهم الفهم الصحيح لرسالة الإسلام ونفوذه إلى كل مناحي الحياة ، ولتشجيع الحكومة للبوذية وحدها دون الديانات الأخرى .

ولعدم كفاية هذه المدارس وعدم مرونتها يلجأ الكثيرون من أبناء المسلمين إلى المدارس الحكومية أو التبشيرية التي تصور الإسلام بصورة مشوهة لا تجد من يصححها ، وقد

الذين يلقنونهم هذه الدروس ويرسمون لهم هذه الخطط .

والاتجاه الثاني: يتزعمه الشباب المثقف الذي يستمد ثقافته من باكستان وغيرها من البلاد التي أخذت بحظ من المدنية والتقدم ، وهؤلاء يريدون الإسلام نقياً من الخزعبلات والأضاليل التي يرمون بها الطائفة الأولى ، ويودون أن يكون منهم رجال ذوو شأن في مضمار الحياة السياسية والاقتصادية كغيرهم من المواطنين ، وذلك عن طريق العلم وفروعه المتعددة ، وعن طريق الجد والكفاح والمغامرة ، ولكن ينقص هذه الجماعة الموارد المالية الكافية ووجود سند من النفوذ السياسي . وبين هاتين الطائفتين نزاع دائم وجدال مستمر حول مسائل لا تتصل بجوهر الدين كالصيام برؤية الهلال وبالحساب ... ويرى بعض المهتمين بالشئون الدينية أن هؤلاء الشباب يتصرفون على ضوء المذهب الأحمدى الذي أنشأه غلام أحمد القادياني في الهند وباكستان .

والتعليم العام في البلاد إجبارى من سن السابعة إلى الثانية عشرة ونسبة الأمية ١٠٪ والمدارس كلها - سواء منها الحكومية والأهلية - تسير تبع المنهج الحكومي ، وهو يحرم تعليم أى دين في أوقات الدراسة ، وإن

الملايويين وفي بيوتهم ومعاملاتهم الخاصة ، أما اللغة العربية فخطها قليل جداً من التعليم والاستعمال ، وتوجد صحيفة إسلامية وحيدة تسمى « الهدى » يشرف عليها الشيخ إبراهيم قرشى .

والمسلمون هناك جميعهم سنيون يتعبدون على مذهب الإمام الشافعى ، مما يؤكد الصلة بينهم وبين سكان الأرخبيل الماليزى حيث ينتشر هذا المذهب . وفى وادى نهر ميكونج يعيش $\frac{1}{4}$ مليون مسلم يرجعون فى شئونهم الدينية إلى مجلس العلماء فى جاوة .

وهم يتحاكون فى مسائل الأحوال الشخصية حسب القانون العام ، ولهم أن يطلبوا التحاكم إلى الشريعة الإسلامية ، فيكتب القضاة إلى ممثلى المسلمين يطلبون منهم الفتاوى فى المسائل التى تعرض عليهم . وتعدد الزوجات قليل فى المدن ويكثر نوعاً فى القرى ، وللحاجة إلى المعونة فى فلاحه الأرض . والطلاق نادر لأنه يعد عاراً كبيراً . وينقص المسلمين هناك مستشفى إسلامى ، ذلك أن المرضى يتخرجون من دخول المصحات الحكومية والتبشيرية ، لوجود التحيز والطائفية فى المعاملة ، ولعدم ملائمة الأطعمة لهم . ومن مات فى هذه المصحات لا تجرى عليه الطقوس الإسلامية ، بل تدفن جثته بعد أن تحرق .

هذا وقد رأت الحكومات فى السنوات

أنشئت فى بانجكوك كلية إسلامية ، أرسل إليها الأزهر مناهج الدراسة للقسمين الابتدائى والثانوى .

والعطلة الأسبوعية فى هذه المدارس هى الأحد كالنظام العام ، إلا أنها فى الولايات الجنوبية يوم الجمعة ، وذلك لكثرة المسلمين هناك .

وتعليم البنات لا يلقى تشجيعاً من المسلمين مع شدة الحاجة إليه ؛ ذلك أن الشبان يلجئون إلى الزواج من البوذيات لثقافتهم ، واستطاعتهم القيام بالواجبات المنزلية ، وتطورهم مع العصر الحديث ، وقد عرف بعض المستنيرين هذه الحقيقة فأنشؤا أقساماً للبنات فى بعض المدارس كمدسة « رشكارون Rashkarone » ، وهى مدرسة تابعة لجمعية أنصار السنة الإسلامية ، نظام الدراسة فيها ٤ سنوات للرحلة الابتدائية ، و ٣ سنوات للرحلة الثانوية الأولى ، و ٣ سنوات للرحلة الثانوية الثانية ، ثم بعد ذلك سنتان للرحلة الإعدادية للجامعة ، وبهذه المدرسة قسم داخلى للطلبة الوافدين من الأقاليم يتسع لنحو ٦٠ تلميذاً ، وبها حوالى ٣٠٠ تلميذة من المسلمات وغيرهن .

واللغة السائدة فى البلاد هى السيامية ويتكلمها المسلمون كلغة رسمية ، كما أن اللغة الملايوية لها حظ من الانتشار ، ولكن بين

بكراتشي - وكان رئيسا لوفد سيام - إلى واجب الدول المستقلة ، نحو الأقليات الإسلامية في البلاد غير الإسلامية .

والواجب يحتم على المسلمين أن يعملوا شيئا لإنقاذ المسلمين هناك من الجهل الذي فرضه عليهم جماعة لم يفهموا الإسلام فهما صحيحا ، ولتصحيح الفكرة الإسلامية في هذه المنطقة التي ينشط فيها المبشرون ، ولأخذ بيد القبائل البدائية التي تعيش في المنطقة التي تسمى بالأراضي العالية ، حيث لا يوجد هناك مطلقا أى نوع من الإرشاد الدينى الصحيح ، ويتأكد هذا الواجب على الدول والشعوب القريبة من هذه البلاد ، والتي تستطيع أن تخاطب القوم بلغتهم بسهولة ، وتعالجهم على ضوء العادات والإمكانات التي توجد هناك ، والأزهر هنا قد فتح أبوابه للوافدين من هذه الجهات ، وهو يعدم إعدادا سليما يستطيعون به بعد عودتهم إلى بلادهم أن يكونوا مشاعل نور وهداية لإخوانهم الحيارى وسط التيارات ، التي تثيرها الأطماع الاستعمارية ، وتستغلها الإرساليات التبشيرية ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

عظيمة صفير

من علماء الأزهر

وبالمكتب الفنى للوعظ

الآخيرة أن تخفف من القيود المفروضة على الديانات الأخرى ، فتمكن المسلمون من مواصلة النشاط الدينى بشكل أوسع ، فأكثرُوا من بناء المساجد والمدارس وإنشاء الجمعيات فهناك نحو ١٥٠ مسجدا نصفها في العاصمة ، لكل مجموعة من الأسر مسجدها الخاص ، وبجواره مقبرة إسلامية . ويوجد هناك نحو ٢٤ جمعية ، غير أن أكثرها معطل من زمن بعيد ، ومن أهم هذه الجمعيات : -

١ - جمعية الإصلاح ، التي أسسها منذ نحو ٢٥ سنة الشيخ أحمد الخطيب ، وهو رجل مسن ويتمتع بنفوذ إسلامي واسع .
٢ - الجمعية السلفية ، التي أسسها أيضا الشيخ أحمد الخطيب ، لتدريس الكتاب والسنة ، ولها دار اجتماعات كبيرة ، وتدير مدرسة مشهورة ، ولها فرع خاص بالسيدات المسلمات ، لقي معارضة كبيرة من بعض المسلمين .

٣ - جمعية أنصار السنة الإسلامية ، التي أسست مدرسة رشكارون المتقدمة .

٤ - جمعية الشبان المسلمين .

وقد اندمجت هذه الجمعيات في رابطة واحدة سميت : « رابطة مسلمي تايلاند » ، يرأسها الأستاذ عبد الوهاب عبد الله مصطفى ، وهو شخصية محترمة في الوسط الإسلامى وبين الرؤساء ، وكان عضواً في البرلمان ، ثم حرم من عضويته لما دعا في المؤتمر الإسلامى

العاطفة الدنيّة عند البارودي للأستاذ على العمّار

ما بين سنتي ١٨٣٨ ، ١٩٠٤ م عاش محمود
سامي البارودي ، حياة حافلة بكل ما تمتاز به
حياة رجل من عظماء الرجال ، وقد ذاق فيها
النعيم ، والبؤس ، والضيق ، والحفّض ،
وارتفع إلى ذروة المجد ، ونزل إلى هوة
السجن والأسر ، وكان — منذ نطق لسانه
بالقريض — معبراً صادق التعبير عن كل
خلجة من خلجات نفسه ، وكل ظاهرة مرت
بأفق حياته ، ولهذا نعرف البارودي من
شعره على صورة تنطبق تمام الانطباق على
ما رواه لنا التاريخ من سيره وأخباره ،
كما يقول :

فانظر لقولي تجدد نفسي مصورة
في صفحتيه ، فقولي خط تمثال

وحصافته التي حدثنا عنها التاريخ ، من ذلك
وصاته : —
أكرم ضميرك عن عدوك جاهدا
وحذار لا تطلع عليه رفيقا
فلربما انقلب الصديق معاديا
ولربما رجع العدو صديقا
وإذا بلغ التوافق بين خلائق المرء وشعره
هذا المبلغ ، فتلك آية التعبير الصادق المبين ،
أو تلك آية الشاعرية ، والملكة الفنية ، —
كما يقول الكاتب الكبير الأستاذ العقاد .
وقد كرر البارودي في ديوانه ، المعنى الذي
أشار إليه الأستاذ العقاد ، وهو أن شعره
صورة لنفسه ، ومن ذلك قوله : —

تدبر مقالى ، إن جهلت خليقتي
لتعرفني ، فالسيف يعرف بالإثر

وهذه آية الشاعرية الأولى لأن الشعر تعبير ،
والشاعر هو الذى يعبر عن النفوس الإنسانية
فإذا عجز عن وصف نفسه كان عن وصف
غيره أعجز ، وكذلك ترى في الديوان ترجانا
لكل خالجة من خواج هذه النفس الشاعرة ،
وأثرا من آثار حياته الظاهرة والباطنة ،
فليس الذى في الديوان شجاعة البارودي
ومرحه وصبوته فحسب ، بل دهاؤه وإربته

تدبر مقالى ، إن جهلت خليقتي
وكان البارودي في غنى ، ألا يسجل على
نفسه هذا ، فإن في شعره ما يحرص بعض الناس
على ألا يعرفوا به ، ولكن الرجل كان صادقا ،
وكان يؤثر أن تظهر نفسه على حقيقتها ،
فطالما ذم النفاق والمنافقين : —
وفي الناس من تلقاه في زى عابد
وللغدر في أحشائه عقرب تسرى

إذا أمكنته فرصة نزعته به

إلى الشر أخلاق نبتن على غمر
كان البارودى من أبناء الجراكسة ، وهم
آنذاك من أهل الخفض والنعم ، قد وانتهم
فرص الحياة ، وجرت لذاتها بين أيديهم
كما يشتهون ، وقد انغمس أكثرهم فى هذه
الحياة العابثة اللاهية ، ولكن هذا الفتى
اليتيم ، الذى مات أبوه وخلفه فى السابعة
من عمره ، عزف عن هذه الحياة ، وأخذ
نفسه بحياة الجد ، ووجد بعد أن تخرج
فى المدرسة الحربية ، ولم يجد عملاً ، وجد فى
كتب المتقدمين مرتعاً لنفسه ، ومرتاداً
لهواه ، كما وجد فى أبناء الطبقة المتوسطة التى
تأخذ نفسها بالفضيلة ، وتعيش فى جو إسلامى
محافظ ، وتتجافى عن سفساف الأخلاق ،
وعن تبدلات أبناء العلية ، وجد فى هذه
الطبقة أصدقاء لروحه ، ووسطا لوائهم أخلاقه
وطبائعهم . وما هو إلا أن وفد على مصر
السيد جمال الدين الأفغانى ، حتى كان البارودى
أحد تلامذته ، وظل يتردد على هذا السيد
الجليل فى منزله حتى روى من علمه ، ومبادئه ،
وأخلاقه ، وقرس السيد فى هذا الشاب
الطموح المنوئ ، والمؤمن النقى العقيدة ،
فأحبه . وامتدحه ، وقال فيه كلمته المشهورة ،
التي تعتبر شهادة يعتز بها البارودى ، قال
السيد الأفغانى عن البارودى : « هو أفضل
من عرفت من المسلمين » .

وإذا رجعنا إلى شعر البارودى فى هذه
الحقبة ، من أول شبابه إلى أن نفي
إلى سرنديب - نجده يتضمن أنماطاً من أخلاق ،
وربما كان بعضها يناقض بعضاً ، ولكن
الذى يتعمق هذه الأشعار ، ليستخلص منها
شيئاً للتاريخ ، يظهر له أن الرجل لم يحرم نفسه
من طيبات الحياة ، وربما أصاب شيئاً
مما يتحرز عنه الرجل المتدين ، ولكن الشيء
الذى لا ينكر أنه كان شديد الحفاظ على الأخلاق
الفاضلة ، ذكراً لشعائر الدين .

ونادى مناد للصلاة بسحرة

فأحيا الورى من بعد طى إلى نشر
فبادر لميقات الصلاة ومل بنا
إلى القصف ما بين الجزيرة والنهر
إذا قضينا واجب الدين حقه

فليس علينا فى الخلاعة من وزر
فهو يذكر الصلاة ، ويطلب إلى رفيقه
المبادرة إليها ، ولكنه - مع ذلك - يأخذ
حظه من الخلاعة ، مادام قد قضى واجب
الدين حقه .

ولو استشرنا شعر البارودى لوجدنا أن هذه
الخلاعة لا تعدو أن تكون طهراً مباحاً ، فهو
يحدث عن نفسه بأن شيمته تأبى الدنيا ،
وأنه لم يأت فى الحب زلة تعاب عليه ، أو تغض
من ذكره فى المحافل .

ولكننى طوقت فى عالم الصبا

وعدت ولم تعلق بفاضحة أزرى

والسن قد تقدمت به ، والجو الذى يعيش فيه ، جو محافظ لاجال فيه للهو ولا عبث ، ويشغل هناك بالوعظ والإرشاد ، يخطب القوم ، ويعلمهم ، فيساعد كل ذلك على إبراز عاطفته الدينية ، قوية واضحة ، وتظهر هذه العاطفة ، فى معارض مختلفة ، وفى مناسبات متعددة ، فترى اتجاهه إلى الله فى كثير من شعره ، ونرى أحاديث عن الزهد ، وأخيراً نجد مدحته الرائعة فى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وإذا كان قبل النفي ، يناجى ربه فيقول :
لك الحمد إن الخير منك وإننى

لصنعك يارب السموات شاكر
فأنت الذى أوليتنى كل نعمة
وهذبتنى حتى اصطفيتى العشائر

فقترب لى الخير الذى أنا راغب
وباعدنى الشر الذى أنا حاذر
فليس لمن تقصيه فى الناس نافع

وليس لمن تدنيه فى الناس ضائر
ولا لامرئ ألهفته الرشداً خاذل
ولا لامرئ أوردته الغى ناصر

فإنه بعد النفي يتوجه بكل نفسه إلى الله
أن يخلصه مما فيه ، ويرى أن أمله فى الله
هو كل شئ :

ولى أمل فى الله تحيا به المنى
ويشرق وجه الظن والخطب كاشر

بل يبالغ فيصف نفسه بأنه لا يرى عابثاً ،
ولا مزاحاً ، ولا تصحب الفتاة الروح ،
وإنما يلهم بذكر الحرب ، وهمه فى طلاب
العلا ، وأن سواء هو الذى يطرب بتجنان
الأغاريد .

ويتحدث عنه كاتب مقدمة ديوانه ، - وهو
عالم من علماء الأزهر - فيقول : « كان لا يحب
الفحش ، ولا ينطق به ، ولا يرضى أن يذكر
أحد فى مجلسه بنقيصة ، ولا يذكر من أحوال
من عاشرهم إلا المحاسن والفضائل ، ويقول
- يعنى البارودي - : لا أجد بقلبي بغضا
لأحد ولو أساء إلى .

ومن هنا نعلم قلة الهجاء فى ديوانه ،
على أن ما جاء فيه من أهاج لم يعرف معها
من قبلت فيهم .

ولا ينسى ، وهو يعدد أخلاقه ، أن يرسل
هذه الكلمة :

وأخلصت للرحمن فيما نوبته
فعاملنى باللطيف من حيث لا أدري
وهذه اللغثة تدلنا على مكان الإخلاص لله
فى نفسه ، وأنها نفس لم تخل من صدق
العاطفة الدينية .

وتخفق الثورة العرابية ، وينفى البارودي
إلى جزيرة (سرنديب) ويبقى هناك سبعة
عشر عاماً ، يتذكر ماضيه ، وأهله ، ووطنه ،
ويسجل كل ذلك فى شعر قوى رصين .

فهل دفاعى عن دينى وعن وطنى
ذنب أذان به ظلما وأغترب
وهذا له دلالة النفسية على مدى العاطفة
الدينية عند كل من الشعارين .

وتتجلى عاطفته الدينية فى أصدق صورها
فى مدحته التى عارض عارض بها البوصيرى
فى مدح الرسول فإن حديثه فيها عن عواطفه
حديث يزخر بانفعالات الشوق والحنين ،
والحب ، نستمع إليه ، وهو يذكر لهفته
على زيارة الرسول فيقول :

يا حادى العيس إن بلغتني أملى
من قصده فاقترح ماشئت واحتكم
سر بالمطايا ولا ترفق فليس فى
أولى بهذا السرى من سائق حطم
ولا تخف ضلة وانظر فسوف ترى

نورا يريك مدب الذر فى الآلم
هذى منأى وحسبى أن أفوز بها
بنعمة الله قبل الشيب والهزم
ويقول فى موضع آخر :

تالله ما عاقنى عن حيكم شجن
لسكننى موثق فى رتعة السلم (١)

(١) السلم : الأمر : وهذا البيت - وله نظائر
فى القصيدة - يدل على أنها قيلت فى اللنى ، فلا معنى
لقول بعض السكاكين إنه لا يعلم متى قيلت القصيدة
لأن بعض أبياتها صريح فى أن البارودى كان فى
سرنديب وقت إنشائها .

إذا المر . لم يركن إلى الله فى الذى
يحاذره من دهره فهو خاسر
أو يقول :

يظننى من يرانى ضاحكا جذلا
أنى خلى وهمى بين أضلاعى
ولا وربك ما وجدى بمندرس
على البعاد ، ولا صبرى بمطواع
لكنتى مالك حزمى ومنتظر

أمرأ من الله يشفى برح أو جاعى
وإذا كان شوقى قد قال فى أول قصيدة
قالها بعد رجوعه من المنفى يخاطب الوطن :
أدير إليك قبل البيت وجهى
إذا فहत الشهادة والمتابا
ولو أنى دعيت لكنت دينى

عليه أقابل الحتم المجابا
فيرتكب حماقة غريبة ؛ لأنه يلقى قصيدته
فى حفل أقيم لتكوين جمعية للبر ، ومع ذلك
يصرح أمام الجماهير بأنه يدير وجهه إلى وطنه
قبل أن يديره إلى بيت الله الرحمن ، وأن
دينه الذى يقابل عليه الموت هو الوطن ،
مع أنه يقول فى آخر القصيدة (ولولا البر
لم يبعث رسول) . إذا كان شوقى ارتكب
هذه الحماقة فإن البارودى يقدم دينه على وطنه
حيث يقول :

لم أقترف ذلة تقضى على بما
أصبحت فيه فماذا الويل والحرب

أن المترجمين لهم يعنوا بهذه الناحية في شعره ،
والذين ذكروها منهم لم يطمئنوا إلى صدورها
عن طبيعة في نفسه ، ولا سيغ شعره في الزهد ،
فقد كتب أحد علماء الأزهر يقول : « فأما
شعره في الزهد وغيره من الحكم والنصائح
وما إليها ، فهو لا يمت إلى طبيعة في نفسه ،
إذ أن نفسه من النفوس التواقفة الطاعية
الطموح ، وإنما لجأ إليه بعد أن تحطمت في
يده سهام العظمة القاهرة ، والقوة القادرة ،
كما يلجأ الذين تتقدم بهم السن ، ويحالون إلى
المعاش — إلى العبادة والتزهد في الحياة ،
على أن حكمه ومواعظه من النوع الذي ينشأ
عن التجارب وطول الخبرة ومجاعة الأقدمين
لا من الأنواع التي تولدها نظرات فلسفية
وعلمية (١) .

وبعد ذلك بسنوات كتب أحد أساتذة
دار العلوم ، يردد نفس الفكرة ، ويقول ،
« ولعل قوله في الزهد يرجع إلى تلك الحالات
النفسية التي غلبه فيها اليأس على أمره ، وهو
وحيد شريد يعاني غصص الفراق والنفس ،
وإلا فهذه النفس الطموح التي خاطرت
وغامرت وتطلعت إلى الملك وتلذذت وتعمت
بالحياة كانت بعيدة عن الزهد في الحياة ،
ولعلها لم تزهد إلا مرغمة .

وبما يتصل بهذا الموضوع مدحه لرسول
الله صلى عليه وسلم . وحكمه على العموم قريبة

فهل إلى زورة يحيا الفؤاد بها
ذريعة أبتغيها قبل مخزى
بل نرى هذا المعنى يستعلن في قصيدة كلما
منحت له فرصة مما يدلنا على أنه صادر عن
عاطفة قوية ، والشاعر المتسكف يجعل لكل
معنى من القصيدة موضعا يبرزه فيها ، طبيعة
الأعمال العقلية . أما المعاني العاطفية فهي
تجىء دون تصنع أو تعمل ، وتظهر في أثر
الشاعر أو الكاتب كلما واتها الفرصة للظهور
ومن ذلك في هذه القصيدة مما يتصل بهذا
المعنى ، أن البارودي بنى قصيدته على نظم
السيرة المحمدية كما وردت في سيرة ابن هشام
فلما جاء إلى القصة المشهورة ، وهي الاختلاف
في وضع الحجر الأسود ، ورضى المختلفين
بأول داخل عليهم ، ودخول محمد بن عبد الله
مصادفة ، ورفع الحجر ووضعه في موضعه
تفقت من البارودي هذه الأمية :

يا ليتني والأمانى ربما صدقت
أحظى بمعتقد منه وملتمزم
وقد علل البارودي - في هذا الموضع -
تقبيل الحجر الأسود ، بأن يد النبي مسته :
لولم تكن يده مسته حين بنى

ما كان أصبح ملثوما بكل فم
وهو تعليل يدل على مدى حب الشاعر
للرسول ، وإيمانه به .

هذا . وقد لفت نظري وأنا أراجع ترجمة
البارودي في بعض البحوث التي كتبت عنه ،

المأخذ ليست فيها فلسفة عميقة ولا تدل على مذهب في الحياة^(١).

والذى يتأمل ما قدمناه من ظروف الحياة التى عاش فيها البارودى ، ومن المؤثرات التى أثرت على نفسه ، ثم يطالع ديوانه فيرى أن الرجل كان فى كثير من حالاته عزوفاً عن الملذات ، وكان — كما يقول — لا يميل إلى الوفرة ، ولا يعد المال ربا :

رضيت من الدنيا وإن كنت مثيرا

بعفة نفس لا تميل إلى وفر
ويرى أن المال لا ينفع صاحبه ما لم تحمده العشائر ، وأن أسباب السيادة ليست بالغنى وأنه بلغ المسكارم وهو عار من المال ، ولو أراد المال لجاءه وافراً ، ولكنه أبى ، أن يأتى ما يعاب به . أقول الذى يتأمل كل هذا يجد أن المعانى التى جاءت فى زهديات البارودى ليست غريبة عليه ، وما كان الطموح فى يوم من الأيام ليصرف شاعراً مثل البارودى عن حقائق الحياة ، وأنها زائلة ، وأن ما فيها من جاه ومال وشباب ، كل ذلك زائل .

حقيقة أن البارودى ردد ما يحكم به السن من وقار وبعد عن الهوى والضلال لجاء مثل قوله :
أبعد ستين لى حاج فأطلبها

هيئات ما لمرى بعد الصبا حاج
إن ابن آدم فى الدنيا على خطر
لا يستقيم له ظل ومنهاج

[١] مجلة الأزهر . المجلد الرابع عشر ص ٣٤١ .

لا أحفل الطير إن غنت وإن نعت
سيان عندى صفار وشحاح
ومثل قوله :

بلغت مدى خمسين وازددت سبعة
جعلت بها أمشى على قدم الخضر
فكيف ترانى اليوم أخشى ضلالة

وشبى مصباح على نوره أسرى
ولكن هذا يؤيد ما تراه من صدق العاطفة عنده ، ولا ينفيه ؛ لأن الإنسان إذا أدرك الحقيقة الكبرى فى الحياة ، ولو كان بعيداً عنها — والبارودى لم يكن بعيداً — فإن تعبيره عنها يتسم بالصدق ، ولا يمكن أن نقول : إن هذا التعبير لا يمت إلى طبيعته بصلة .

والذى عندى أن البارودى كان ذا عاطفة دينية قوية منذ صدر شبابه ، وأن طموحه وطلبه للبلك وتنعمه بطيبات الحياة لا يتعارض مع هذه العاطفة ، فلما رمت به الأحداث فى المنفى كان لهذه العاطفة أن تظهر واضحة قوية ، لاسيما وقد غذاها البارودى بما نذب نفسه له من تعليم أهل سرندىب القرآن ، ووعظهم^(١) وإرشادهم إلى الدين القويم .

[١] ظهر أثر الوعظ فى معانى البارودى وأساليبه ، فجاء كثير من شعره كأنه خطب منبرية كما ظهر الاقتباس من القرآن كقوله :

يأبى الناس اتقوا ربكم
واخشوا عذاب الله والآخره
واعتبروا من غفلات الهوى
واعتبروا بالأعظم الناصرة
وكما ظهر الاقتباس من الحديث الشريف .

وعجيب قول عالمنا الأزهرى : إن حكم البارودى من النوع الذى ينشأ عن التجارب وطول الخبرة لا من النوع الفلسفى ، وما هو النوع الفلسفى إن لم يكن ينشأ عن التجارب وطول الخبرة ، ومتى كانت هذه الحكم التى جاءت بها التجارب صادقة ، فهى النظرات الفلسفية التى تعتر بها الحكمة .

ثم من حكم البارودى حكم كثيرة تتصل بالحماسة والحرب ، وعلو الهمة ، وعزة النفس وما إليها ، فكيف ساغ لهذا السكاتب أن يرمى حكم البارودى جملة بأنها لا تمت بصلة إلى طبيعة نفسه .

وأخيراً نجد البارودى فى أخريات حياته يعكف على تهذيب شعره ، ويبدو أنه لم يرض عن بعضه ، يدلنا على ذلك تحرزه فى مقدمة الديوان من أن يؤخذ عليه شئ . فى عقيدته ، فقد اعتذر عن إسناد الأفعال إلى الدهر ، حيث يقول : (وقد يقف الناظر فى ديوانى هذا على أبيات قلتها فى شكوى الزمان فيظن بى سوءاً من غير روية يجيلها ، ولا عذرة يستعينها ، فإنى إن ذكرت الدهر ، فإنما أقصد به العالم الأرضى ؛ لكونه فيه من قبيل ذكر الشئ باسم غيره لمجاورته إياه كقوله تعالى : « وأسأل القرية ، أى أهل القرية .

ولا أقول هذا تبرؤاً من الوهم ، ولا اعتماداً على صحة الفهم ، فإن المرء وإن كثرت إحسانه

لا يسلم من الزلة لسانه ، وقل من توغل فى حرجات^(١) القريض فنجا أن يغص بالجريض) . ونختتم هذا الحديث بقول البارودى :

فاضرع إلى الله واستوهبه مغفرة
تمحو الذنوب ، لجأنى الذنب يعتذر
واجمل ولا تنتظر توباً غداً غد
فليس فى كل حين تقبل العذر

وقوله فى آخر مدحته للرسول :
يا غافر الذنب ، والألباب حائرة
فى الحشر ، والنار ترمى الجو بالقدم
حاشا لفضلك وهو المستعاذ به
أن لا تمن على ذى خلة عدم

إنى لمستشفع بالمصطفى وكفى
به شفيعاً لدى الأهوال والقهم
فاقبل رجائى ، فمألى من ألوذ به
سواك فى كل ما أخشاه من فقم
وصل رب على المختار ما طلعت
شمس النهار ولاحت أنجم الظلم
والآل والصحب والأنصار من تبعوا
هداه واعترفوا بالعهد والذمم
وامتن على عبدك العاصى بمغفرة

تمحو خطاياهم فى بدء ومختم

على العمادى

[١] الحرجات : الشجر الملتف ، والجريض : الرقيق الذى يغص به

أَعْدَاءُ الْعُرْوَةِ وَالْإِسْلَامِ

لِلأُسْتَاذِ عَبْدِ الرَّحِيمِ فَوْدَه

« لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا » .
(قرآن كريم)

إلى قيامها ، وبذلك وبعد ذلك ينطلقون إلى الشمال والجنوب والشرق والغرب ، وينتقمون من أعدائهم الذين شردوهم وطاردوهم ، وكانوا لا يخفون عن أهل الكفر هذا الأمر إذا قامت بينهم ملاحاة وشعروا أمامهم بذلة الضعف أو الهزيمة ، بل كانوا يتعللون بأنه سيكون لهم عليهم الفتح والنصر كما يفهم من قوله تعالى : « ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم ، وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به » .

وكان كفركم به استجابة للنزعة العنصرية المنحرفة التي عرفوا بها منذ عرقهم الدنيا حتى الآن ، والتي دفعتهم إلى التحريف والتزييف في التوراة ، فهم فيما يزعمون شعب الله المختار ، وهم فيما يزعمون « أبناء الله وأحباؤه » ، وهم مهما فجرُوا وغدروا يقولون « لن تمسنا النار إلا أياما معدودات » ، وعلى هذا الأساس الذي صنعه الوهم الكاذب لا يؤمنون

تسلل اليهود إلى الحجاز وأقاموا في أماكن متفرقة فيه ينتظرون مجدا كانوا يحملون به ، ونبوة كانوا يتطلعون إلى تحقيقها ، وقد شيدوا حول المدينة القلاع والحصون ، وحاف بعضهم الأوس وبعضهم الخزرج على ما كان بين الأوس والخزرج من خلاف مستمر . وقتال يستحرج بين الحين والحين ، بقصد أن يبقوا في هذه الأماكن ، يثيرون الفتن ، ويحركون الدسائس ، ويسعرون نار الحرب بين هاتين القبيلتين لتبيدهما أو تضعفهما ، وبذلك تبقى لهم شوكتهم وقوتهم حتى يظهر النبي « الذي يحدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل » ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحمل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ، وكانوا يرجون أن يكون هذا النبي منهم ، فإذا ظهر وجددهم على أتم الأبهة والاستعداد لإقامة الملك الذي يحملون به ، والدولة التي يتطلعون

ثم لأنهم على أى حال أقرب إليه من أولئك الذين يعبدون من دون الله ما لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضر .

ورأى النبي صلى الله عليه وسلم — لأنه رسول السلام والإسلام — أن يعقد محالفة بين جميع سكان المدينة تجمعهم على الدفاع عنها والتضامن في حماية الأرواح والأموال فيها ، فكتب بهذه المحالفة صحيفة نص فيها على أن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم وأن جميع سكان المدينة متضامنون في حماية الناس وصيانة أرواحهم وأموالهم ، وأنهم جميعا جهة واحدة ضد من يعتدى عليهم ، وأنهم لا يصح لأحدهم أن يظعن الآخر بمقد صلح منفرد دون رغبته وعلبه ، وأن المدينة دار أمان للجميع إلا من ظلم وأثم ... إلخ .

ولكن ، متى كان اليهود أوفياء بالعهود وهم كما يقول الله فيهم : « الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض » .

لقد نشط المهاجرون المسكينون في التجارة وأصبحوا ينافسونهم فيها حتى أشكوا أن ينزعوا منهم السيادة الاقتصادية ، فكيف يصبر هؤلاء على ذلك والمسال عندهم هو الإله المطاع ...

وقد كف المسلمون عن التعامل بالربا فانقطع عنهم مورد الكسب الحرام وأكل أموال الناس بالباطل ، وهم الذين لم ينتهوا

إلا بما أنزل عليهم ، فكيف يؤمنون بمحمد وهو عربي من ذؤابة العرب . وكيف يؤمنون بالقرآن وهو بلسان عربي وقد أنزل على إنسان عربي ... ؟ لأنه لا يعينهم أن تكون صفات هذا النبي مطابقة لما عندهم من حقائق صفاته في التوراة ، ولا يعينهم أن يكون الكتاب الذي أنزل عليه « مصدقا لما بين يديه » من التوراة والإنجيل ، إنما يعينهم أن يكونوا هم دون غيرهم المصطفين الأخيار ، وأن تكون لهم دون غيرهم القيادة والسيادة على الناس لأنهم شعب الله المختار ، « وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله ، قالوا نؤمن بما أنزل علينا ، ويكفرون بما وراءه ، وهو الحق مصدقا لما معهم » .

ومن ثم شعروا بخيبة أمل مرة حين ظهر أن النبي ليس منهم ، وزاد شعورهم بالمرارة والخيبة حين رأوا العرب في المدينة يخفون إلى لقائه ويفرحون بمقدمه ، ويلتفون حوله ، ولكنهم كتموا — على الرغم منهم — هذا الشعور وأخفوه تحت ستار المسالمة والمساهمة ، وانظروا يتربصون بالنبي وبالذين آمنوا به دائرة السوء .

وكان طبيعيا أن يطمع النبي في إسلامهم ؛ لأنهم أهل كتابه ؛ ولأن إيمانهم بكتابهم يقتضيهم أن يؤمنوا بما في الكتاب الذي جاء به لأنه مصدق لكتابهم ومطابق له في جملة ما اشتمل عليه من عقائد وقواعد ،

إلشعال نار الحرب ، لولا أن رأى النبي صلى الله عليه وسلم لإنذارهم وتحذيرهم من عواقب استهتارهم بحرمات المسلمين ، فقد كانت إحدى نساء الأنصار جالسة بسوق الصاغة فغافلها يهودى وعقد ذيل ثوبها بغطاء رأسها وهى لا تراه ، فلما قامت انكشفت سوءتها فصاحت تستغيث ، وأسرع رجل من المسلمين إلى اليهودى فقتله وقام جماعة من اليهود إلى المسلم فقتلوه .

ولما بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم دعا رؤسائهم وحذرتهم من عواقب هذه الحوادث فاستخفوا بوعيده وتهديده وقالوا : (يا محمد : لا يغرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم ، والله إئن حاربنا لتعلمن أننا نحن الناس) .

بذلك — وبغير ذلك — لم يبق لهؤلاء أن يحتموا بظل المعاهدة وقد نقضوها وأعلنوا غيظهم من انتصار المسلمين على مشركى مكة فى غزوة بدر حتى لقد قال كعب ابن الأشرف — وكان من شعرائهم — حين سمع زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة يبشران أهل المدينة بالنصر : والله إئن كان محمد أصاب هؤلاء لبطن الأرض خير من ظهرها ، ولما تيقن الخبر خرج إلى مكة يحرض على رسول الله ويبيكى أصحاب القلب من قريش الذين قتلوا فى بدر .

عنه ، ولم يسمعوا قول الله فيه : « وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل » .
ولولا إنهام الربانيون والأخبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون ، وقد كان المسلمون يصلون إلى بيت المقدس فإذا هم يتحولون إلى المسجد الحرام ويقولون وجوههم نحوه عملا بقول الله : « فويل وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره » ، وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون .

وكان هؤلاء يترصدون بالمسلمين دائرة السوء فى حرب تنسفهم نسفا أو تعصف بهم عصفا فإذا المسلمون يعودون من غزوة بدر منتصرين ظافرين سالمين غانمين .

هذه العوامل وغيرها كانت تنفخ فى نار الحقد والكراهية ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم ، فلم يستطيعوا الصبر على ما تتميز به قلوبهم من الغيظ . وكان ما يحكيه القرآن بقوله « قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر » .

مع بنى قينقاع :

وبدأ بنو قينقاع سلسلة من حوادث الاستفزاز والغدر وكانت أول حادثة تسكنى

إلى ماسمع ورأى منهم ، فرأوا الفرصة سانحة للفتك به والتخلص منه ، وخلا بعضهم إلى بعض فقالوا : إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه ، فمن رجل يعلو سطح هذا البيت فيلقى عليه صخرة فيريحنا منه ، وأسرع واحد منهم فتطوع باقتراف هذه الجريمة ، وصعد البيت ليقبض على النبي الصخرة وهو بين أصحابه أبي بكر وعمر وعلي ، ولكن الله - وقد وعد نبيه بقوله : « والله يدعكم من الناس ، - أوحى إليه بما يضمن هؤلاء من نية الغدر والمكر ، فنهض عليه السلام وغادر المكان قبل أن يتم تدبير الشيطان .

وفهم أصحابه واليهود من حولهم أنه ذهب لقضاء حاجة ثم يعود . . . ولكنه لم يعد . فلحق به أصحابه وعدلوا منه في المدينة ما كان من نية الغدر وتدبير الشر ، وكان مالا بدأن يكون . فقد أمرهم النبي بالنهي لحربهم ، ولما رآهم اليهود قادمين إليهم أسرعوا إلى حصونهم يتجمعون فيها ، ويعتصمون بها ، ثم رأوا رسول الله يضرب الحصار عليهم ويأمر بقطع نخيلهم وتحريقها ، ففرعوا وصاحوا يا محمد : قد كنت تنهى عن الفساد وتعيب على من صنعه . فما بال قطع النخيل وتحريقها ؟ ووقع في بعض النفوس شيء من هذا الكلام . ثم تبين أن هذا العمل لم يكن برأى النبي صلى الله عليه وسلم وإنما كان بإذن الله لحكمة خاصة بهؤلاء الذين عرفوا بشدة الحرص على

ولم يبق أمام النبي وقد أعذر وأندر ورأى منهم مع ذلك التمرد والتهديد بالحرب إلا أن يضعهم أمام أمرين : الجلاء عن المدينة لتظل ساكنة آمنة . أو الحرب التي لوحوا بها وصرحوا بأنهم الناس فيها ، ولهذا مضى بجموع المسلمين فحاصروهم في ديارهم خمسة عشر يوما حتى اضطروا إلى التسليم والجلاء عن المدينة إلى أذرعات على حدود الشام .

مع بني النضير:

وكان دور المسلمين مع يهود بني النضير كدورهم مع يهود بني قينقاع من حيث البداية والنهاية ، فمدّ ذهب صلى الله عليه وسلم إليهم يستعينهم في دفع دية قتيلين من حلفائهم : بني عامر . عدا عليهما عمرو بن أمية الضمري ليشأر أو ليدرك بعض الثأر لأربعين مسلما قتلوا غيلة بعد أن اطعموا إلى جوار بني عامر : قوم هذين الرجلين ، ولم يكن عمرو يعلم أن هذين الرجلين أخذوا عهداً من النبي صلى الله عليه وسلم ، ومع هذا أبى النبي إلا أن يتحمل ديتهم ، ورأى أن يستعين بحلفائه بني النضير في دفع هذه الدية .

ولما ذهب إليهم قابله متظاهرين بالفرح والترحيب ، وسمعوا منه ما يريد منهم فقالوا : نعم يا أبا القاسم . نعمينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه . ثم جلس عليه السلام إلى جوار جدار بيت من بيوتهم مطمئنا

المال وحب الدنيا ، فقد نزل في ذلك قول الله :
« ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على
أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين » .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد بعث
إليهم - قبل أن يطبق الحصار عليهم - إنذاراً
بالجلاء عن منطقة المدينة إلى حيث يشاءون
ففرعوا وجزعوا ، ولكن عبد الله بن أبي كبير
المنافقين في المدينة حرضهم على رفض الإنذار ،
ووعدهم أن يعاونهم إذا اشتبكوا في حرب
مع المسلمين ، ولهذا استأسدوا وتمردوا ،
ورفضوا الإنذار حتى ضرب عليهم الحصار ،
ثم طال بهم انتظار المعونة من المنافقين في
المدينة دون جدوى ، فلم يجدوا بدا من
التسليم والجلاء .

وكان صلى الله عليه وسلم عظيماً كريماً
كشأنه في كل موقفه ؛ فأباح لهم أن يحملوا
ما تستطيع إبلهم حمله من الأموال والأمتعة
دون السلاح ، ثم تولى محمد بن مسلمة الأنصاري
الإشراف على إخراجهم ، فحملت النساء
والصبيان على المهاد والعلين الديباج
والحرير والخز الأخضر والأحمر وحلى الذهب
والفضة ، وحملت الأمتعة على ستمائة بعير .

وخرج بنو النضير في ضجة الدفوف
والمزامير متظاهرين بالفرح فنزل بعضهم
في خير ، وبعضهم تابع الرحيل إلى
الشام ، وقد ظهر من القرائن التي سبقت
جلاءهم وظهرت أثناء حصارهم وبعد رحيلهم

أن مؤامرتهم على النبي لاغتياله لم تكن إلا
سبباً واحداً من عدة أسباب تكون في مجموعها
خطراً على المدينة ، وعلى المسلمين يجب توقيه
وتلافيه ، فقد أظهروا الفرح بهزيمة المسلمين
في غزوة أحد كما أظهر بنو قينقاع الغيظ
بانتصارهم في غزوة بدر ، وقد أكثروا
من الكلام في المسلمين والتهوين من أمرهم
بعد هذه الغزوة التي منى فيها المسلمون بالهزيمة
في أول الأمر ، كما أكثر بنو قينقاع الكلام
المغيظ المحق في المسلمين بعد انتصارهم في
غزوة بدر ، وقد ظهر تحالفهم مع المنافقين
من أعداء المسلمين في المدينة ، كما ظهر اتصال
بنو قينقاع بالمشركين من أعداء المسلمين
في مكة ، وتحريضهم على قتالهم واستئصالهم .
هذا وكثير غيره ، مما يؤكد انتفاضهم على
المعاهدة التي كتبت بها الصحيفة ميثاقاً وثيقاً
بين جميع السكان في المدينة وضواحيها .

وقد فضح الله أمر هؤلاء وأمر هذه
الخيانة فقال جل شأنه : « ألم تر إلى الذين
نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من
أهل الكتاب : لئن أخرجتم لنخرجن معكم
ولا نطيع فيكم أحداً أبداً ، وإن قولتم
لننصرنكم والله يشهد لئنهم لكاذبون . لئن
أخرجوا لا يخرجون معهم ، ولئن قوتلوا
لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار
ثم لا ينصرون » .

(البقية على صفحة ٨٧٩)

النحو بين التجديد والتقليد

للأستاذ عبد الخالق عظيمه

- ٣ -

وإذن فهو برىء مظلوم فأطلقوا سراحه ،
وابحثوا عن الفاعل الحقيقي تجدوه مخفياً
ومختبئاً ومستتراً في زاوية من زوايا الفعل ،
هذا هو منطق النحاة فضعوا بحـ. نبه منطق
التليذ ومنطق الفعل ثم انظروا الأمر بعد
ذلك كيف يكون ؟ .

لا يفهم التليذ أو غير التليذ من اللص
قتل التاجر ، إلا أن اللص مخبر عنه بقتل
التاجر أو محكوم عليه بقتل التاجر .

سيبويه عبر في مرة بالمسند والمسند إليه
ولسكنه لم يجمع الأبواب الثلاثة
في باب واحد .

وإذا بقيت لكل باب أحكامه الخاصة فما
هي الثمرة التي نجنحها من وراء هذا الجمع .

لقد ذكر الأساتذة أحكام تأنيث الفعل
مع الفاعل جوازاً ووجوباً وأحكام تقديم
المبتدأ والخبر وموضع ذلك . التحرير
١٠٧ - ١٠٨ - ١٠٩ .

ولاشك أن الحديث عن حذف المبتدأ
والخبر جوازاً ووجوباً وموضع ذلك مما
يخص باب الابتداء وحده .

٨ - عبر سيبويه عن المبتدأ والخبر
والفعل والفاعل بالمسند والمسند إليه
في الجزء الأول ص ٧ ونقل ذلك الأستاذ
إبراهيم مصطفى في إحياء النحو ثم كرر ذلك
الدكتور شلبي ص ٨٤ .

والأستاذ برانق ص ٥٤ ثم يقول باستعمال
هذا المصطلح نكون قد جمعنا ثلاثة أبواب
في باب واحد وباعدنا بين تلاميذنا وبين
أموه كانت تنبهم عليهم ولا يفهمون لها
تعليلاً والأستاذ عبد العليم إبراهيم المفتش
الأول للغة العربية أسهم في هذه الحملة
بمحاضرتين ، وفي الحق أنه صاغهما صياغة
أدبية بارعة والذي تأخذه عليه أنه أبعد
في الخيال جداً حيث يقول ص ٩٨ والاتجاه
الجديد فوق ذلك يعني التليذ من ذلك القلق
النفسي الذي يستحوذ عليه ويستبد به حينما
نريده على أن يفهم أن هناك فرقاً بين قتل
اللص التاجر ، واللص قتل التاجر ، في قتل
اللص التاجر ، اللص فاعل فهو قاتل مجرم
وإذن فاقبضوا عليه ، وخذوا على يديه ، وفي
اللص قتل التاجر ، اللص مبتدأ وليس بفاعل ،

فكان عليه أن يبدأ إعرابه بقوله : الطائر مسند إليه ... وبذلك يتكرر لفظ مسند في إعراب هذه الجملة سبع مرات ، وما رأى الأستاذ عبد العليم الذي أراد أن يقاضل بين الاتجاهين فقال ص ٩٧ — ٩٨ : الاتجاه الأول يقتضى أن تذكر في تحليل هذه الجملة (محمد لعب) ثلاثاً وعشرين كلمة معظمها مصطلحات جافة ، على حين أن الاتجاه الجديد لم يكلفنا إلا ست كلمات .

ولست أدري أظل الأستاذ عبد العليم على رأيه هذا بعد أن سمع إعراب زميله في محاضراته ، وعاین وقعه في آذان المستمعين ، إن مثل هذا التكرار الممل مما لا يحسن أن نرمي به في وجه الطالب الإعدادي ، ومن أين لنا الطالب الذي يستطيع ترديد هذا الإعراب .

قلت إن التعبير بالمسند والمسند إليه لا يناسب المبتدئ والتعبير بالفعل والفاعل والمبتدأ والخبر أوضح وأدل على المراد ، والأستاذ برانق يستدل على يسر هذا التجديد بطريقتين :

الطريق الأول ظني : وهو ما يتكلم به علماء التربية وما يعرضونه من نظريات .

الطريق الثاني قطعي : وهو التجربة نفسها ونتيجة التجربة .

وقد بدأت الوزارة بالسير على هذا المنهج

وكيفية بناء الفعل للجهول مما يخص نائب الفاعل وحده ، وإذا سلمنا أنه لا فرق في المعنى بين قتل اللص التاجر ، واللص قتل التاجر فهل نسلم بأنه لا فرق بينهما في الإسناد وبين قتل التاجر .

إن التلميذ المبتدئ يستشعر الفرق فيعود إليه ذلك القلق النفسي الذي تحدث عنه الأستاذ عبد العليم بسبب جمع هذه الأبواب الثلاثة في باب واحد .

ولعل أطرف ما صادفني في الدفاع عن هذا التيسير ، ما ذكره الأستاذ برانق في إعراب قوله : الطائر مقصوص جناحاه على أنه نموذج يحتذى في الإعراب قال في محاضراته ص ١٠٩ كلمة مقصوص في الجملة الأولى مسند والمسند إليه جناحاه والمسند والمسند إليه (مقصود جناحاه) مسند إلى المسند إليه الأول الطائر . لقد مثل علماء البلاغة لتنافر الكلمات بقول الشاعر :

وقبر حرب بمكان قفر

وليس قرب قبر حرب قبر

وقالوا إنه لا يتهيأ لأحد أن ينشده ثلاث

مرات متواليات دون أن يتعتع .

وأنا أطلب من القارئ أن يردد إعراب الأستاذ برانق ثلاث مرات متواليات ثم يحكم على يسر هذا التجديد أو جفوته ، على أن يراعى أن الأستاذ برانق ترك إعراب الطائر .

المبسر، وقام على تدريسه المدرسون بعد ما وجهوا فتنجحوا نجاحاً كبيراً ١٢٠-١٢١ .
والأستاذ محمد رضوان ١٥٢ يقول : إن الطفل وهو في سنواته الأولى يستخدم علاقة الإسناد في حديثه حين يتكلم ، ويتفهمها حين يستمع إلى غيره من الناس ، ويدرك معناها في حديثه واستماعه لإدراكاً سليماً . وإذن فهذه العلاقة ليست جديدة عليه .

ويقول في موضع آخر ١٤٨ : إن المنهج الجديد يتفق مع المبادئ التربوية والنفسانية ويستدل لذلك بنظرية نفسانية حديثة تسمى نظرية الجشتالت .

لقد عاب أساتذتنا على النحويين أنهم فلسفوا النحو فأفسدوه ، ثم يأتي الأستاذ فيتصيد نظرية الجشتالت ليدافع بها عن هذا التفسير المزعوم . وسأكتفي بذكر هذه القصة - قال ابن السيد البطليوسي في كتابه المسائل والأجوبة :
جمعني مجلس مع رجل من أهل الأدب فنازعني في مسألة من مسائل النحو ، وجعل يكثر من ذكر الموضوع والمحمول ، ويورد الالفاظ المنطقية فقلت له : أنت تريد أن تدخل صناعة المنطق في صناعة النحو ، وصناعة النحو تستعمل فيها مجازات ومساحات لا يستعملها أهل المنطق : وقد قال أهل الفلسفة . يجب أن تحمل كل صناعة على القوانين المتعارفة بين أهلها ، وكانوا يرون أن إدخال بعض الصناعات في

بعض إنما يكون من جهل المتكلم ، أو لقصد المغالطة والاستراحة بالانتقال من صناعة إلى أخرى ، إذا ضاقت عليه طرق الكلام الأشباه والنظائر ٣-٧٣ - ٧٤ مع التلخيص ٩ - رأى ابن مضاء أنه لا حاجة لتقدير الضمير المستتر في الفعل أو في الوصف ١٠٠ - ١٠٣ .

ونادى بهذا الرأي جمهور أساتذتنا دون أن يشيروا إلى سبق ابن مضاء بهذا الرأي . كما رأوا أن الضمائر المرفوعة المتصلة بحروف لا أسماء . وقد نوه الأستاذ برانق بالمأزني الذي قال بهذا الرأي وهو أستاذ المبرد وأحد ثلاثة لم يكن مثلهم في زمانهم . ويهمننا الآن أن نبحت ماذا أفاد اختيار هذه الآراء تيسير النحو . النحويون قسموا الجملة إلى جملة فعلية وجملة اسمية .

وجاء الأساتذة فسلخوا من الجملة الفعلية الفعل الرفع ضميراً مستتراً أو ضميراً متصلاً ، فلم يجعلوه جملة فعلية ، وعلى هذا كانت أنواع الحال عندهم كما يأتي .

(١) فعل وحده . (٢) جملة فعلية . (٣) جملة اسمية . (٤) ظرف . (٥) جار ومجرور ، وكذلك الأصل والصفة والخبر . (ينظر التحرير ٣٣ - ٣٤ - ٣٩ - ١٦٧)
فوادوا نوعاً جديداً في كل باب من الأبواب السابقة .

ابن عصفور أنها لغة ضعيفة ، البحر ٣-٥٣٤ .
لقد استشهد الأساتذة لهذه اللغة بالقرآن
والحديث والشعر ، فهل جاءوا في هذا
الاستشهاد بشواهد لم يذكرها النحويون ؟ كلا
ما زادوا على أن ردّدوا ما ذكر في كتب
النحو المتداولة ، وقد ذكر ابن الشجري في
أماله شواهد كثيرة ، ثم أضاف إلى ذلك
ما جاء على هذه اللغة من شعر أبي الطيب المتنبّي ،

أمالى الشجري ١- ١٣٢ - ١٣٣ - ١٣٤ .
قال النحويون : إن هذه اللغة قليلة وضعيفة
فلا يحسن تخريج القرآن عليها ، ولا سيما مع
وضوح التخریجات الأخرى ، فهل نسمي هذا
تعسفا ؟ .

يقول الدكتور شلبي ٦١ : وأبرز هذه
المحاولات جميعا وأظهرها محاولة الأستاذ
إبراهيم مصطفى ، إذ تعدّ في رأى الشعلة التي
أنارت السبيل لكل من فكر في محاولة جديدة
لتبشير النحو ، ومن هنا أود أن أعرض
الخطوط العريضة لهذه المحاولة الكبرى .
ومنهج الأستاذ فيها - منهج الأستاذ إبراهيم
مصطفى .

١ - مراقبة ما ورد في القرآن الكريم
خاصا بالموضوع الذى يدرسه وعدم الاقتصار
في ذلك على قراءة حفص المشهورة .

٢ - استقرار الشواهد العربية من الشعر
والنثر وكلام العرب . . إلخ .

والضائرات المتصلة مرفوعة كانت أو منصوبة
أو مجرورة لها دلالة واحدة ، فإذا عرض
للتليذ أن يسأل :

لماذا جعلنا الضائرات المرفوعة المتصلة حروفا
دون الضائرات المتصلة المنصوبة والمجرورة ؟
والحرفية والاسمية إنما مرجعهما إلى ما تدل
عليه معنى الكلمة فبماذا نجيبه ؟ .

وهل يتفق هذا الاختيار مع ما قاله
الأستاذ برانق .

إن الوزارة رأت أن لا تزحم المناهج
باصطلاحات لا يجنون من ورائها فائدة .

وهل يتفق أيضاً مع ما قالوه : إنهم آثروا
التعبير بالمسند والمستند إليه ليجمعوا الأبواب
الثلاثة تحت باب واحد ؛ لأن معناها واحد
لا يختلف .

١٠ - صادفت اللغة التى سماها النحويون
بلغة أكلوهم البراغيث هوى فى نفوس أساتذتنا ،
فقالوا : إن هذه اللغة يعزّزها القرآن فى قوله :
« وأسروا النجوى الذين ظلموا » ، ثم عموا
وصموا كثير منهم ، ويعزّزها الحديث والشعر
الأستاذ عبد العليم / ١٠٠ .

ويقول الأستاذ برانق ٦٨ : إن النحويين
تعسفوا فى تأويل الآيتين ، ليخرجا عن
هذه اللغة .

سيبويه الذى نقل هذه اللغة قال عنها : وهى
قليلة ١ - ٢٣٦ ، وذكر الأستاذ أبو الحسن

هذا هو كل ما ورد من قراءات محتملا
لهذه اللغة وتأويله على غيرها سائغ .
وأن هذا القدر الضئيل من السكثرة الطائفة
في الآيات الأخرى التي لا احتمال فيها لهذه
اللغة ؟

فهل تنسكب النحويون طريق الجادة بحملهم
القليل على الكثير ؟ ولعل الأساندة يذكرون
قول سيدنا عمر لعبد الله بن مسعود : أقرى
الناس بلغة قريش فإن ؛ القرآن لم ينزل بلغة
هذيل .

* * *

١١ — عرض الأستاذ برائق للتأليف في
النحو فقال رقم ٦٩ - ٧٠ : ألف الأعاجم في
النحو وأخضعوه للفلسفة والمنطق ، ثم قال
كيف كان يعلم النحو — علم النحو أول ما علم
في النصوص الأدبية التي كانت تدرس في مجالس
الأدباء وأما إليهم كما فعل المبرد في كتابه الكامل ،
وكما فعل أبو علي القالي في أماليه ، وكما فعل
المرتضى في أماليه أيضا ثم استقل بذاته وصار
علما يلقنه المعلم لتلاميذه على أي نحو يراه .

* * *

لقد استقل النحو بذاته يا أستاذ قبل أن
يؤلف المبرد كامله ، فكتاب سيويه كان يدرس
قبل ذلك ، والمبرد نفسه ألف كتابه المقتضب
وهو كتاب كبير في النحو قبل أن يؤلف
السكامل ، وجميع المسائل النحوية التي ذكرت

لقد ارتضينا يا دكتور هذا المنهج ونريد
أن نسير على ضوئه ونحتسك إلى قضائه .
تعالوا نستقصي ما وصل إلينا من قراءات
للقرآن الكريم ثم ننظر حظ هذه اللغة من هذه
القراءات . فإن كان نصيبها موفور أحكمنا آتئذ
على النحويين بالتعسف وبما شئتم من الأحكام .

* * *

لقد يسر الله لي وأعاني على استقرار لكل
ما وصلنا من قراءات للقرآن الكريم متواترها
وشاذها وسواء ما ورد منها في كتب القراءات
أم في غيرها ، وتترت ما جمعته على أبواب
النحو والصرف ، وسجلت ذلك في ثلاثة مجلدات
كبيرة سعة المجلد قرابة ألف صفحة .

وها أنذا أثبت جميع ما ورد محتملا لهذه
اللغة في القراءات المختلفة .

١ — وأسروا النجوى الذين ظلموا .

٢ — ثم عموا وصموا كثير منهم .

٣ — لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند
الرحمن عهداً .

جوز الزحشرى أن تكون هذه الآية على
هذه اللغة ورد عليه أبو حيان بردود كثيرة
الكشاف ٢/٢٣٣ ، البحر المحيط ٦/٢١٧ .

٤ — قد أفلح المؤمنون قرأ طلحة بن مصرف
قد أفلحوا المؤمنون وهى من الشواذ ، شواذ
ابن خالويه رقم ٩٧ الكشاف ٢/٢٤٢ البحر
المحيط ٦/٣٩٥ .

في الكامل المذكورة في المقتضب وإن اكتفى المبرد في الإحالة على المقتضب بأحد عشر موضعاً .

وكان يقول قد فسرنا هذا على غاية الاستقصاء في الكتاب المقتضب .

أما أبو على القالى فلم يعرض في أماليه لشيء من مسائل النحو ، وإنما كان يهتم بشرح بعض الالفاظ اللغوية :

وكذلك أمالى السيد المرتضى ليس فيها شيء يذكر من النحو ، ومجاليه كانت تدور حول تفسير بعض الآيات ثم لا يهتم بالجانب النحوى .

وإذا أراد الأستاذ التمثيل بكتب الأمالى التى جمعت الأدب والنحو على غرار الكامل فليذكر أمالى ثعلب وهى المعروفة بمجالس ثعلب ، وأمالى ابن الشجرى فهما نحو كثير ، ولقد فهرست مسائلها النحوية فشغلت ثلاثين صفحة . ومثل هذا الخطأ التاريخى خطأ آخر وقع فيه الأسانذة في الجزء الثانى من النحو الإعدادى ص ٥٢ فقد نقلوا من رحلة ابن بطوطة ما يأتى : وصلت يوم الخميس التاسع من شهر رمضان المعظم عام ستة وعشرين وثلاثمائة وألف إلى مدينة دمشق الشام ، هكذا كتب التاريخ بالحروف .

ويا لله شدة ! ابن بطوطة الذى ولد عام ٥٧٠٣ هـ يمتد عمره إلى أن يكون معاصراً لنا . قلت ربما يكون هذا الخطأ قد وقع في طباعة

رحلة ابن بطوطة ونقله أسانذتنا دون أن يصوبوه .

ورجعت إلى الرحلة أستوضحها الأمر فوجدت النص في الرحلة هكذا .

وصلت يوم الخميس التاسع من شهر رمضان عام ستة وعشرين إلى مدينة دمشق الشام — ٥٠٩ هـ الطبعة الأولى ثم قلت قد يكون الخطأ في مذهب الرحلة الذى ، طبعته الوزارة بتحقيق المحرّمين العوارى وجاد المولى ولكن لم أجد فيه هذا الخطأ — مذهب الرحلة ٦٨ .

ولو رجعت أسانذتنا إلى الوراء قليلاً لوجدوا أن ابن بطوطة قال خرجت من طنجة مسقط رأسى في يوم الخميس الثانى من شهر الله رجب الفرد عام خمسة وعشرين وسبعائة ثم أخذ يتابع رحلته ، ويؤرخ لها فقد أظله عيد الفطر في تونس ، وعيد الأضحى في طريقه إلى طرابلس وأواخر شهر المحرم من عام ستة وعشرين . . ، فزيف أسانذتنا التاريخ بهذه الزيادة .

وهل نقول : إن هذا تيسير في التاريخ كما كان ذلك تيسيراً في النحو .

كتاب تقرره الوزارة في مدارسها ويحمل أسماء سبعة من كبار الاستاذة ، يتقدمهم الأستاذان : إبراهيم مصطفى ومحمد برانق ثم يقع فيه مثل هذا الخطأ المشين وليتهم اقتصروا على نص ما في الرحلة فلم يزيدوا في نصوص

لابن هشام اقتصر في التمثيل على الماضي المنفى بما، وكذلك فعل الأشموني، أما ابن عقيل فقد اقتصر في التمثيل على المضارع المنفى بما .
ونظير هذه المسألة ما ذكره الأسانذة في الجزء الثاني من النحو الإعدادى ص ٥٤-٥٥ .
فقد قالوا :

يكون الفعل معتلا إذا كان في آخره أو وسطه حرف من أحرف العلة ، وهى الألف والواو والياء — وقالوا :
إذا تأملت فى كل منها لم تجد حرف العلة فى آخره أو فى وسطه ، ولذلك تسمى هذه الأفعال أفعالا صحيحة .

فالمعتل عند الأسانذة ، ما كان فى وسطه أو فى آخره حرف علة ، أما ما كان فى أوله حرف علة نحو وعد ويثس فلا يسمى معتلا فى اصطلاح الأسانذة ، وهذا لون آخر من ألوان التجديد . ولو قالوا كما قال النحويون المعتل ما فى أصوله حرف علة ، والصحيح ما ليس كذلك لأوجزوا وأوضحوا .

مثلا للممدود وجمعه فى التحرير ص ٢٢
بجدأة وحدآت ، ولم يقل أحد بأن نحو جدأة من الممدود لأن الممدود ما آخره همزة قبلها ألف زائدة ، وقد ظل الممدود بعيدا عن منطقة التجديد كما يعلم ذلك من الرجوع إلى النحو المنهجي ص ٨٤ .

المؤلف هذه الزيادة التى نقلته من القرن الثامن إلى القرن الرابع عشر .

١٢ — تحرير النحو العربى كان ثمرة جهرد ثمانية من كبار الأسانذة وقصدوا إلى أن يكون مرجعا قريبا للعلم يجمع تلخيص قواعد النحو ويشمل ما أقر من اقتراحات الإصلاح والتيسير .

وليس فى الكتاب من جديد سوى التعبير بالمسند والمسند إليه وحرفية ضمائر الرفع .
وليس فيه من جهد يذكر ، فقد ذكروا القواعد كما ذكرت فى كتب النحو ومثلوا لها بأمثلة النحويين .

وهذه بعض ملحوظات على الكتاب :
فى المواضيع التى يقترن فيها جواب الشرط بالقاء ، قالوا ص ٩٧ : أو فعلا ماضيا منفيا بما ، أو فعلا مضارعا منفيا بلى ، فيوحى كلامهم بأحد أمرين .

(أ) أن ما النافية لا تدخل على المضارع كما أن لن لا تدخل على الماضى

(ب) ما النافية تدخل على المضارع ، ولكن المضارع المنفى بها لا يقترن بالقاء لأن وقع جوابا للشرط .

وكلا الاحتمالين باطل ، فما النافية تدخل على الماضى وعلى المضارع ، ويجب معها اقتران الجواب بالقاء وقد صرح بذلك الرضى فى شرح الكافية ص ١٤٥ وغيره .

وقد يكون مبعث هذا الوهم أن التوضيح

وليس ذلك بالباب في كلام العرب، وفي المقتضب للبرد ١٧٦: فأما ما جاء من فعل على أفعال فمشبه بغيره خارج عن بابه.

ومثل هذا في جميع كتب الصرف.

ولكم الله يا مدرسي الابتدائي والإعدادي فقد فرض عليكم ترديد هذه الاصطلاحات، وإن خفي عن المبتدئ معناها. وأشهد لقد عجزت (وأنا المتخصص في النحو منذ ربع قرن) عن أن أجعل هذه المصطلحات تأخذ طريقها إلى عقل ابني ووعيه.

ويبدو لي أن كبار المفتشين يرون أن لهم أن يقولوا وعلى غيرهم أن يسمع ويطلع، ثم على دار المعارف أن تنشر. وعلى مؤسسة المطبوعات الحديثة (الوجه الآخر لدار المعارف) أن تلتزم التوزيع. وبرغمي أن أتمثل بقول المرحوم الشيخ عبد الله عفيفي:

قالوا الجديد فقلنا ما جديدكم

وما حوى من جديد الرأي والفكر
دعوى تطول وأهام عموهة
ومنطق كجديد الشيب في الطر

وقيل: هاتوا الجديد الحر فابتدروا

شنا من القول إن تنفخه ينكسر

ولست أنكر أن النحو في حاجة إلى تيسير بل أرى أن النحو أحوج العلوم إلى التيسير وسأبين في كلمة مقبلة إن شاء الله كيف يكون تيسير النحو.

محمد عبد الحامد عيسى

وياسبحان الله! أيسكون التعبير بالفعل والفاعل والمبتدأ والخبر وإسمية ضمائر الرفع قيوداً وأصفاداً وسلاسل وأغلالاً، ويظل النحو راسفاً في قيوده مكبلاً بأغلاله حتى يأتي أسانذتنا فيفكوه من إساره ويطلقوه من عقاله بتأليفهم كتاب تحرير النحو العربي. ١٣ - كتاب الاتجاهات الحديثة: مجموعة محاضرات ألقاها كبار المفتشين في مؤتمر جمع مفتشي اللغة العربية.

والناظر في هذا الكتاب تطالع فيه كلمة الأبحاث في مواضع كثيرة منه في أول صفحة وفي آخر صفحة وفي ثناياه.

تكررت في محاضرة الدكتور محمود خاطر أربع مرات، وجاءت في محاضرة الدكتور شلبي، والاستاذ عبد العليم، وفي مقدمة الكتاب وفي توصيات المؤتمر.

ونسمع كلمة الأبحاث تصدر عن السادة الأطباء وغيرهم فتقبلها منهم. أما أن تتكرر في محاضرات كبار المفتشين، وتلقى في جموعهم من غير أن ينكرها منكر فذلك فالأرضاء لأسانذة تخصصوا في اللغة العربية ويقومون على حمايتها وحراستها.

وفعل الصحيح العين لا يجمع على أفعال وقد ورد السماع في بعض ألفاظ، وليس من بينها بحث وأبحاث، ففي لسان العرب جمع البحث على بحوث وفي كتاب سيلبويه ١٧٦/٢: واعلم أنه قد يجيء في فعل أفعال مكان أفعال،

الإسلام والمسلم

للمكتوب جمال الدين الرمادي

كما حدث عندما تملاً أهل مكة مع غيرهم من العرب على قتال الرسول ، بيد أنه لم ينصح بالاعتداء فقال عز وجل : « ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » .

فالإسلام إذن لم يسلك سبيل القتال إلا لهذه الأغراض ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث بعثاً قال : « تألفوا الناس ، وتأثروا بهم ، ولا تغيروا عليهم حتى تدعوهم ، فها على الأرض من أهل بيت ، من مدر ولا وبر إلا أن تأتوني بهم مسلمين ، أحب إلى من أن تأتوني بأبنائهم ونسائهم وتقتلوا رجالهم » .

وقد عاهد سيف الله المسلول خالد بن الوليد أهل الحيرة على الصلح دون تعنت أو ظلم ودون استبداد أو بطش ، ودون تحكّم القوى في الضعيف أو سيطرة المنصور على المخدول فجاء في كتاب العهد : « هذا ما عاهد عليه خالد بن الوليد نقيب أهل الحيرة ، ورضي بذلك أهل الحيرة وأمرهم به . عاهدكم على مائة وتسعين ألف درهم تقبل في كل سنة جزاء على أيديهم في الدنيا ، رهبانهم وقسمهم إلا من كان منهم على غير ذى يد ، حبيسا

كان الإسلام ولا يزال دين الأمن والسلام والسكينة والصفاء والمودة والإخاء ، ولم يكن في وقت من الأوقات دين حرب أو نزال أو مشاحنة وبغضاء ، إنما كان يهدف أولاً وقبل كل شيء إلى السلام بل إنه في لفظه مشتق من مادة واحدة مع السلام .

وقد قامت دعوة بعض المستشرقين على أن الإسلام انتشر بحد السيف ، ولكن الواقع أن الإسلام لم يكن في وقت من الأوقات يستخدم السيف للتحكم في رقاب الضعفاء أو التسلط على أعناق الأبرياء ، إنما كان السيف وسيلة لتأمين الدعوة ، ولكنه مع هذا أبان للؤمنين عدم ضرورة القتال إذا لم يكن هناك ضرورة لذلك . قال تعالى : « فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم ، وألقوا إليكم السلم ، فما جعل الله لكم عليهم سبيلا » .

كما قال تعالى في سورة الأنفال : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم » .

وقد حض الإسلام على تأمين الدعوة والدفاع عنها ضد من يقف في سبيلها حتى لا يخشى من يريد الدخول في الإسلام الفتنة عن دينه ،

وعندما فتح عمر بن الخطاب الشام صالح أهل د إيلياء ، وأمن أهلها على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وأعطاهم عهدا بذلك وهو المعروف بالعهد العمرية وقد أوردتها محمد بن جرير الطبري في تاريخه وهذا نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى عبد الله : عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان ، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملها : أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينقص منها ولا من خيرها ولا من صابهم ولا من شيء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود ... »

« وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص ، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بيوتهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم ، وعلى بيوتهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن كان بها من أهل الأرض — فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية

عن الدنيا تاركاً لها... وعلى المنعة وإن لم يمنهم فلا شيء عليهم حتى يمنهم » .

ولم يكتف بذلك بل قال : « وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات ... إن كان غنيا فافتقر ، وصار أهل دينه يتصدقون عليه ، طرحت جزيته ، وعيل من بيت المسلمين وعياله ما أقام بدار الهجرة ودار الإسلام » .

ويذكر التاريخ أن المسلمين كانوا يعوضون الناس عند الضرر الذي يلحقهم خطأ من المسلمين . ومثال ذلك أن ذميا جاء إلى عمر ابن الخطاب في أثناء فتوح الشام « وشكا إليه أن بعض المسلمين قد قطعوا غنبا من كرومه دون إذن منه ، فخرج عمر من المعسكر فإذا به يرى مسلما خارجا من السكرم وقد حمل بعض العنب على ذراعه فصاح به في غضب وحدة : « وأنت أيضا قد شرعت ترتكب مثل هذه الحماقات ؟ » فاعتذر الرجل بأنه لم يفعل ذلك إلا لاشتداد جوعه فأمر عمر بأن يعوض الرجل عما فقد من غنبيه حتى أرضاه .

وعندما شرع عمر بن الخطاب ينظم إدارة العراق عقب فتحها استدعى زعماء البلاد غير المسلمين إلى المدينة ليستشيرهم ويستأنس آرائهم . وجاء في المقرئى أنه كان يفعل ذلك فيما يتعلق بمصر فاستشار المقوقس عظيم القبط في أمور شتى .

عام ١٩٠٧ مؤتمراً لهذا الغرض قرر ألا تبدأ الأعمال الحربية إلا بعد إخطار سابق لا لبس فيه ، يكون إما في صورة إعلان حرب مسبب أو في صورة إنذار نهائي يذكر فيه اعتبار الحرب قائمة بين الطرفين . هذا إذا لم تجب الدولة الموجه إليها الإنذار طلبات الدولة التي توجهها .

وهذا القرار الذي أصدره مؤتمر لاهاي في أوائل القرن العشرين جاء في القرآن الكريم منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان فقال تعالى : « وإما تخافن من قوم خيانة ، فانذروهم على سواء : إن الله لا يحب الخائنين » .

وأوجب الإسلام احترام العهود والمواثيق وتنفيذها بدقة وأمانة حتى مع الوثنيين : « إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين » .

ولقد كان فريق من أهل الكتاب يوفون بعهودهم إلى أهل ملتهم ولاكنهم لا يرون الوفاء واجبا بعهودهم مع المسلمين : « يقولون ليس علينا في الأميين سبيل » . فجاء القرآن الكريم ناعياً عليهم هذا التفريق مبيناً أن الوفاء بالعهد واجب لإنساني كبير فقال تعالى : « بلى من أوفى بعهده وأتقى فإن الله يحب المتقين » .

ومن شاء سار مع الروم ، ومن شاء رجع إلى أهله - وأنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحدد حصادهم . وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية » .

وقد كتب هذا العهد في العام الخامس عشر للهجرة وشهد عليه : خالد بن الوليد ، وعمر بن العاص ، وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان .

وهكذا كان الإسلام دين مودة وإخاء لا دين عنف واستبداد ، وإذا كانت الأمم الحديثة قد شرعت بعض القوانين الدولية والمواثيق السياسية في القرن التاسع عشر أو القرن العشرين فإن الإسلام قد شرع هذه القوانين قبل هذه الدول بقرون طويلة ومن ذلك ما جاء في صدد إعلان الحرب إذ أن الدول كانت تتحرش بجيرانها على حين غرة ودون سابق إنذار ، فتطلق المدافع وتهوى القنابل على السكان الآمنين وهم يزاولون أعمالهم اليومية فلا يستطيعون حماية أنفسهم وأهلهم ، إنما يصبحون مندهولين محطمين إزاء هذا الخطر الداهم وتلك الفاجعة الكبرى التي حلت بغتة بساحتهم فأذاقتهم هولاً يشيب منه الولدان .

تنهت الدول إلى هذه الناحية في مستهل القرن العشرين فهددت في لاهاي في هولندا

وتحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجراً كريماً . بل إنه جعل السلام اسماً من أسمائه عز وجل فقال في سورة الحشر : « هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام » كما دعا بالسلام على الأنبياء والمرسلين فدعا بالسلام على نوح وعلى إبراهيم وعلى موسى وهارون وعلى آل ياسين وعلى المرسلين .

وهذا يدل دلالة قاطعة على أن السلام دائماً هو جوهر من جواهر الإسلام وهو الذى أصبح اليوم هدفاً من أهداف الدول المتمدينة ومن أجله تشرع القوانين وتوقع المواثيق وتؤلف المجالس وتعقد الجلسات فى الأمم المتحدة مرة وبمجلس الأمن مرة أخرى وبحكمة العدل الدولية إذا حزب الأمر بين الطرفين .

والمعروف أن هذه المنظمات جميعاً تهدف إلى السلام وقد تكون مجلس الأمن وهو هيئة متفرعة من الأمم المتحدة بل أداة تضطلع بمسؤولية المحافظة على السلم والأمن الدوليين والنظر فى تسوية المنازعات واتخاذ التدابير اللازمة لصيانة السلم إذ لم تجد الوسائل السلمية .

والواقع أن هدفه الذى يرى إليه إنما هو هدف الإسلام الأول الذى يرنو إلى السلام ويصبو إليه . زد على ذلك أنه يختلف عنه فى تحكم الدول الكبرى فى الدول الصغرى . والإسلام من هذا براء ، وإذا رمز الغربيون إلى السلام بفرع الزيتون تارة وبالخام

وإذا أقيمت المنظمات الدولية من أجل السلام فقامت عصبة الأمم على أثر انتهاء الحرب العالمية الأولى ثم انتهى أمرها بالفشل ثم أقيمت الأمم المتحدة عقب الحرب العالمية الثانية وانعقاد مؤتمر يالطا ومؤتمر سان فرانسيسكو وقامت هذه المنظمات تدافع عن السلام حتى نصت فى مواثيقها عليه . وكما جاء فى ديباجة ميثاق الأمم المتحدة ، فإن الإسلام دعا إلى السلام قبل ذلك وإلى التعاون والتعارف بقاءً فى كتابه العزيز وبأبوابها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، كما ناشد القرآن الكريم المسلمين لإحسان معايشة غيرهم من أهل الأديان والمذاهب إلا فى حالة العدوان وفى القرآن الكريم : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم ، أن تبرهوا وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم ، وظاهروا على إخراجكم ، أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ، . وقد جعل الله السلام حالة من حالات النعيم فى الجنة فقال تعالى فى سورة الواقعة : « لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً . إلا قِيلَ سَلاماً سَلاماً » وقال فى سورة ق : « ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود » وقال فى سورة الأحزاب :

السلام ورعاية حقوق الإنسان فإن هذه الحقوق جاء بها الإسلام كذلك فقرر مساواة الجنس البشرى في أصله ومنبته ، يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء . كما حض الإسلام على الكرامة فقال عز وجل : « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » .

وهكذا يستطيع من ينعم النظر في كتابه العزيز أن يدرك أن تلك الحقوق الإنسانية التى جاءت بها المواثيق الدولية الحديثة من أجل المحافظة على حرية الفرد والسلام الدولى قد جاء بها من قبل كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

المكتوب جمال الدين الرمادى

تارة أخرى فلقد أقسم الله في كتابه العزيز بالتين والزيتون وطور سينين كما كان الحمام آية على السلام . وفي المسجد الحرام آلاف مؤلفة منه يحرم الله قتلها ويحرمها وتجوب أسرابه زرافات ووحدا في أجواء المسجد الحرام شرقا وغربا وشمالا وجنوبا .

ومن ذلك يتبين لنا أن للسلام رموزا في الإسلام منذ العصور الأولى وهذا يدل على مبلغ حرص المسلمين عليه وإيثارهم له ، ونمساكهم به ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا . فإذا ارتفعت عقيرة العالم اليوم بالسلام فليس هذا بجديد ولا بمستحدث ، وليس هذا بشئ . تفتقت عنه عقول العلماء في هذا العصر؛ خدمة للبشرية ورعاية للإنسانية إنما هذا شئ متأصل في الإسلام قد جرى فيه مجرى الدماء في العروق والروح في الأجساد .

وإذا حرصت المنظمات الدولية على استتباب

(بقية المنشور على صفحة ٨٦٦)

فقد فعلوا مثل ما فعل بنو قينقاع وبنو النضير ، بل فعلوا ما هو أكبر وأكثر خيانة وجرما وظلما في غزوة الأحزاب ، مما سنرى تفصيله في عدد قادم إن شاء الله ، وما سنرى فيه صدق قوله تعالى « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا » . أراح الله العرب والمسلمين منهم .

عبد الرحيم فوده

وقد حزن عبدالله بن أبى وحزن المنافقون معه لجلاء بنى النضير وإن لم يجسدوا الجراءة على إظهار حزنهم . شأنهم في ذلك شأن المنافقين في كل عصر ودهر ، وبذلك تطهرت المدينة في الداخل بإخراج بنى قينقاع ، واستراحت من بعضهم في الخارج وهم بنو النضير ، وبقي بنو قريظة على مقربة منها يتمتعون بأمن المعاهدة التى كتبت بها الصحيفة ولكن إلى حين .

مثل من زرع الكتاب الأوربيين

مكانة الإنسان في الإسلام

لأستاذ بروف القرضاوي

إلا بقليل من التقدير ، ويزرع القرآن إلى إقناعه بمهانة أصله الجسدي ؛ فيصف خلق الفرد وتكوينه تفصيلا :

« ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما ، ثم أنشأناه خلقا آخر . »

فليس للإنسان أى غر في بداياته ؛ فهو ليس مكونا من مادة مهيمنة فحسب ؛ بل هو ضعيف عديم الحس ساعة ينحدر إلى هذه الحياة - ولا يحفظه في وجوده المخوف بالخطر

إلا إرادة الله .. وهو عرض لسهام الأمراض والآلام ، وهو يكابد الجوع والعطش شاء أم لم يشأ ، وهو يريد المعرفة ولكن الجهل نصيبه ، وهو يريد أن يتذكر ولكنه ينسى ، وإنه ليدبر ما يدبر من خطط الفكك ولا يبلغ قط حد الاطمئنان على الحياة أو المركز ..

ويتأمل الغزالي أمره قائلا : « وما نهايته إلا الموت الذي يرده إلى خمود الحس المصاحب لبداياته والذي يعرضه للتجفيف الكريه المنفر ،

كتاب باسم « حضارة الإسلام ، للمستشرق النمساوي الأصل ج . ا . فون جرو نيباوم ... ترجمه الأستاذ عبد العزيز توفيق جاريد ضمن مشروع « الألف كتاب ، الذي تشرف عليه « إدارة الثقافة العامة ، بوزارة التربية والتعليم . »

وفي الكتاب أخطاء كثيرة عن الإسلام في عقيدته وتشريعه وحضارته وتاريخه وهو ما لا يمكن أن يخلو منه مستشرق لا يؤمن بالإسلام ديناً ، ولا بالقرآن وحياً ، ولا بمحمد رسولا ، فلا بد أن يفسر هذا الدين وآثاره بما يلائم اعتقاده فيه .

وقد عقب الأستاذ المترجم على بعض هذه الأخطاء ، ولكنه أوالا لم يستوعب وثانياً .. لم يوف التعقيب حقه .. وثالثاً فصل التعقيب عن أصله ، وجعله في آخر الكتاب .

ولسنا في مقام النقد للكتاب كله الآن ، وإنما نكتفي بإيراد مثل من انخراف المؤلف عن السداد بما لم يعقب المترجم عليه :

قال في فصل (الإنسان الكامل) ص ٢٨٣ . « والإسلام منذ بدايته لم يعترف للإنسان

وقواه بعد الضعف ، وعلمه بعد الجهل ،
وخلق له الأعضاء بما فيها من العجائب
والآيات بعد الفقه لها ، وأغناه بعد الفقر ،
وأشبعه بعد الجوع ، وكساه بعد العرى ،
وهده بعد الضلال ، فانظر كيف دبره وصوره
وإلى السبيل كيف يسره . وإلى طغيان الإنسان
ما أكفره ، وإلى جهل الإنسان كيف
أظهره فقال :

« أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة
فإذا هو خصيم مبين ، ، ومن آياته أن خلقكم
من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون . »

فانظر إلى نعمة الله عليه كيف نقله من تلك
الدلة والقلّة والحسّة والقذارة (خسة التراب
وقذارة النطفة) إلى هذه الرقعة والكرامة
فصار موجوداً بعد العدم ، وحياً بعد الموت ،
وناطقاً بعد البكم ، وبصيراً بعد العمى ،
وقوياً بعد الضعف ، وعالماً بعد الجهل ،
ومهدياً بعد الضلال ، وقادراً بعد العجز ،
وغنياً بعد الفقر ، فكان في ذاته « لاشئ » ،
وأى شئ أخس من لاشئ ، وأى قلة أقل
من العدم المحض - ثم صار بالله شيئاً .

هذا ما ذكره الغزالي عن الإنسان فيما اقتضاه
مقام معالجة الكبر والمتكبرين ، وهو لا يثمر
النتيجة التي انتهى المؤلف إليها .

ولو أنصف المؤلف لاستشهد بما ذكره
الغزالي في مناسبات شتى ، بين فيها مكانة

وإن أدنى تأمل في مصادر الإسلام ليرد
على المؤلف دعواه ، أن الإسلام لم يعترف
للإنسان إلا بقليل من التقدير ، ويدحض
استدلالة الواهن على ما ادعاه .

وقد اعتمد المؤلف في هذه النقطة - كما ذكر
في مراجعه - على كلمات ذكرها الإمام الغزالي
في كتاب « الكبر » من الإحياء . . . ومثل
هذه الكلمات التي ذكرها الغزالي لاتصلح معتمداً
لتقرير مبدأ خطير يتعلق بمكانة الإنسان
في الإسلام ؛ فهو إنما ذكرها في بيان الطريق
إلى معالجة الكبر ، وفي مخاطبة المستكبرين ،
ولكل مقام مقال كما يقولون .

إنه يريد أن يذكر هذا المتكبر بأيام ضعفه
يوم كان جنيناً في بطن أمه ، بل حين لم يكن
شيئاً مذكوراً ؛ ليعلم أنه لا قيام له بذاته ،
ولا استغناء له عن ربه « هل أتى على الإنسان
حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً .
إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه
فجعلناه سميعاً بصيراً . إنا هديناه السبيل ،
إما شاكراً وإما كفوراً » .

قال الغزالي بعد ذكر هذه الآيات (١) :
ومعناه أنه أحياء بعد أن كان جماداً ميتاً ؛
تراباً أولاً ، ونطفة ثانياً ، وأسمعه بعد ما كان
أصم ، وبصره بعد ما كان فاقداً للبصر ،

(١) ص ٣٠٩ من كتاب الكبر ربيع المهلكات -
طبعة مصطفى البابي الحلبي سنة ١٣٤٦ هـ .

فهى التى يومئذ إليها قوله تعالى : « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى » ، إذ بين أنه أمر ربانى خارج عن حد عقول الخلق . وأوضح من ذلك قوله تعالى : « فإذا سويته ونفخت فيه من روحي » ، ولذلك أئجد له ملائكته .

ويشير إليه قوله تعالى : « إنا جعلناك خليفة فى الأرض » ، إذ لم يستحق آدم خلافة الله تعالى إلا بتلك المناسبة .

ولإيه يرمز قوله صلى الله عليه وسلم : « إن الله خلق آدم على صورته » ، حتى ظن القاصرون أن لاصورة إلا الصورة الظاهرة المدركة بالحواس ، فشبهوا وجسموا وصوروا - تعالى الله رب العالمين عما يقول الجاهلون علواً كبيراً - .

ولإيه الإشارة بقوله تعالى لموسى عليه السلام مرضت فلم تعدنى ، فقال : يارب ، وكيف ذلك ؟ قال : مرض عبيدى فلان فلم تعده ، ولو عدته وجدتنى عنده .

وهذه المناسبة لا تظهر إلا بالمواظبة على النوافل بعد إحكام الفرائض ، كما قال الله تعالى - يعنى فى الحديث القدسى - : « لا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه » ، فإذا أحبته كنت سمعه الذى يسمع به . وبصره الذى يبصر به ... إلخ .

* * *

الإنسان فى الكون ، وقيمته عند الله وخصائصه الروحانية العالية ، وحسبنا من ذلك ما ذكره فى كتاب « المحبة » من ربيع « المنجيات » من إحيائه ؛ فهو بعد أن ذكر أن من أسباب المحبة المناسبة والمشاركة ، لأن شبيهه الشئ منجذب إليه ، والشكل إلى الشكل أميل ، قال : (١)

وهذا السبب أيضاً يقتضى حب الله تعالى لمناسبة باعنة . لا ترجع إلى المشابهة فى الصور والأشكال ، بل إلى معان باطنة ، يجوز أن يذكر بعضها فى الكتب ، وبعضها لا يجوز أن يسطر .

فالذى يذكر : هو قرب العبد من ربه عز وجل فى الصفات التى أمر فيها بالافتداء والتخلق بأخلاق الربوبية ، حتى قيل : تخلقوا بأخلاق الله ؛ وذلك فى اكتساب محامد الصفات التى هى من الصفات الإلهية . من العلم والبر والإحسان والطف وإفاضة الخير والرحمة على الخلق ، والنصيحة لهم ، وإرشادهم إلى الحق ، ومنعهم من الباطل ، إلى غير ذلك من مكارم الشريعة ؛ فكل ذلك يقرب إلى الله تعالى ، لا بمعنى طلب القرب بالمكان بل بالصفات .

وأما ما لا يجوز أن يسطر فى الكتب - من المناسبة الخاصة التى يختص بها الأدنى -

(١) ص ٢٦٣ من كتاب المحبة ربيع المنجيات .

الخلق والإيجاد ، وعلاقة التعليم والهداية ، واختارت الآيات لفظ « الرب » لما يشعر به من التربية والرعاية والترفيه في مدارج الكمال : « اقرأ باسم ربك الذي خلق ؛ خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم » .

بين القرآن في كثير من آياته علاقة الإنسان بالله ، وهي علاقة القرب القريب ، الذي حطم أسطورة الوسطاء والسامرة المرتزقين بالاديان . ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ، « وإذا سألك عبادي عني فإني قريب ، « فأينما تولوا فثم وجه الله ، « وهو معكم أينما كنتم » .

وبين القرآن مكانة الإنسان عند العوالم الروحية العلوية ، وهي مكانة اشترأت إليها أعناق الملائكة ، وتناولت إليها نفوسهم فما بلغوها : مكانة خليفة الله في الأرض « قالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ، ونقدس لك ؟ قال : إني أعلم ما لا تعلمون ، : مكانة من عليه الله الأسماء كلها ، وأمر ملائكته بالسجود له تحية وإجلالا « إذ قال ربك للملائكة : إني خالق بشرأ من طين . فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين . فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس ، .

إن الآية التي استدل بها المستشرق - والتي بينت أطوار خلق الإنسان من نطفة فعلقة فمضغة إلخ - لا تهدف إلى إقناع الإنسان بمهانة أصله الجسدي - كما يقول - وإنما تهدف هي وما يماثلها من آيات إلى الرد على قوم أنكروا الآخرة والبعث بعد الموت ، واستبعدوا أن يحيا الإنسان بعد مارم وبلى ، فجاءت هذه الآيات تلفت أنظار منكري النشأة الأخرى إلى النشأة الأولى ، وتنبه العقول الغافية إلى قدرة الله الكبير الذي خلق الإنسان من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ، ولنقرأ قوله تعالى : « ويقول الإنسان : أنذا ما مامت لسوف أخرج حيا ؟ ألا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا ١٩ » . « أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين . وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال : من يحيى العظام وهي رميم ؟ قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم » . فهل يفهم منصف من سياق هذه الآيات تحقير الإنسان ؟ وأن الإسلام لا يعترف له إلا بقليل من التقدير ؟ .

لقد عني القرآن بالحديث عن الإنسان في عشرات من آياته ، وعشرات من سوره ، وحسبنا أن أول فوج من آيات الوحي الإلهي استقبله قلب رسول الله - وهي خمس آيات - لم تغفل شأن الإنسان ، وعلاقته بربه : علاقة

تلك المسؤولية التي صورها القرآن تصويراً أدبياً رائعاً فقال : « إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان ، تلك المسؤولية التي جعلت مصير كل إنسان بيده إما إلى جنة وإما إلى نار » بل الإنسان على نفسه بصيرة ، « من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها » .

ذلك بعض ما ذكره القرآن عن مكانة الإنسان ، وإن نيه لغناء لمن أراد الإنصاف ، وحسب الإنسان شرفاً هذان النداءان المباشرين من الله إليه بعنوان الإنسانية : « يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك » ، « يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فلاقه » .

برسف القرضاوى

وكانت عاقبة عدو الإنسان الذي تمرد على أمر ربه بتحيته والسجود له هي اللعنة والطرد الأبدي قال : اخرج منها فإنك رجيم . وإن عليك لعنتى إلى يوم الدين ، .

وبين القرآن مركز الإنسان في هذا الكون المادى العريض ، وهو مركز السيد المتصرف ، الذى يتخلى له ما فى السموات وما فى الأرض جميعاً ، الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ، وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره ، وسخر لكم الأنهار ، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار ، وآتاكم من كل ما سألتموه ، .

وما الذى بوأ الإنسان هذه المكانة فى الكون - على ما فيه من أجرام ضخام - ؟ إنه استعدادده لحمل الأمانة الكبرى : المسؤولية . . التكليف

مسئل كريم

كان أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، ينظر ليللاً فى شئ من الرعية فى ضوء سراج ، فجاء غلامه يحدثه فى شأن من شئون بيته ، فقال له عمر : أطفئ السراج ثم حدثنى ؛ لأن هذا الدهن من بيت مال المسلمين ، ولا يجوز استعماله إلا فى مصالحهم .

شريعة الله الحائلة

للاستاذ إبراهيم عبد الباقى

أما أنه خسارة على الأمة فننطق معكوس، وحكم باطل تحيله بداهة العقل، ويبطله الواقع المحس، فإن إبقاء القاتل لا يطفى نيران العداوة ويبقى الأذى بالثأر أبد الآبدين حتى تنفى عائلات. والموتور لا ينام عن وتر، وضعيف اليوم ربما يكون قويا فى الغد.

وإن من محاسن هذه الشريعة الإسلامية أنها لا تخالف طبيعة الإنسان ولا تصادم أية مصلحة اجتماعية أو فردية ولا تناوئ التطور ولا تخصمه، بل تمتشى معه وتسايره، ولقد تعاقبت عليها دهور قامت فيها حضارات ومجتمعات. وسعدت شعوب وشقيمت، وأبرمت قوانين ونقضت، ولا تزال تتجلى فى جلاب العظمة والرفعة، وتترأى فى مظهر القوة والمنعة، فيها لكل حادثة حكم ولكل ضلعة هداية ولكل ظرف تقدير، وإن النظريات العلمية والآراء الفلسفية لا يعضى عليها إلا قليل من الزمن حتى تأذن الأيام ببطلانها، وتأتى على عكسها، خلا الشريعة الإسلامية فلا تزال تتحدى الزمن، وتغالب الأيام فمحال أن يصيبها شلل أو تدركها الشيخوخة، ما دام

نظرة فى عالمنا الحاضر تريك نظرة الشريعة الإسلامية وما أبعداها من نظرة؟ وحكمتها وما أبغها من حكمة؟ ترى الشريعة الإسلامية إعدام القاتل، ويجوز العفو عنه والدية.

أما شريعة اليهود فلا تجيز العفو، وشريعة النصارى لا تجيز القتل. فشريعة الإسلام وسط بين الاثنين، كما أنها ليست جسدية بحتة ولا روحية محضة، وقديما قيل: خير الأمور الوسط. هذا ولقد جنح بعض المشرعين الغربيين إلى استبدال عقوبة القتل بعقوبة أخرى مجبذين رأيهم بأن إعدام القاتل أثر من آثار الوحشية وخسارة على الأمة، هذه حججهم ولكن التجارب فندت مزاعمهم وردتهم على أعقابهم خاسرين؛ إذ أن الوحشية إنما هى فى هذا القاتل الذى استباح دم أخ لأمر ما، ومن استباح دم نفس واحدة سهل عليه غيرها. قال سبحانه: «من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا».

فرائض فلا تضيعوها وحد حدوداً فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها، فهذه رحمة منه سبحانه من غير نسيان وإهمال. ألا وإن مما خالف فيه الناس تعاليم نبينهم أنهم انصرفوا عن الكتاب والسنة وعبدوا الله بأراء علماء لا يسنون من الخطأ، وحسروا الشريعة في المذاهب الأربعة ولو كان ذلك فيه مخالفة لصريح السنة وظواهر الكتاب. وأعجب من هذا وذاك أنهم أبطلوا الاجتهاد ولم يعللوا أن في ذلك إهداراً للعقل ووأداً للفكر وركوداً للشريعة الخالدة، وعدم صلاحيتها لكل زمن وجيل، إنها لأحدى السكبر أن يحكم هؤلاء بإعدام العقل الذى هو هبة الله للإنسانية فيبطلون عنصر المرونة التى اختصت بها الشريعة الإسلامية. ومن أراد المزيد فليطلع على مقال قيم فى هذا الموضوع كتبه الأستاذ محمود الشرقاوى سكرتير تحرير مجلة الأزهر (شوال سنة ١٣٧٩ هـ أبريل سنة ١٩٦٠ م) تحت عنوان «المذهبية والتقليد».

أما السياسة الاجتماعية والمدنية فقد طبعها المسلمون فى العصور الأولى للإسلام وساروا على منهجها فاستطاعوا أن يؤسسوا حضارة زاهية ويكونوا مجتمعاً صالحاً ويرفعوا الراية الإسلامية فى الصحارى والقفار والبر والبحر،

ففى عنصر المرونة التى تنطبق على كل جيل وقبيل؛ لأن الزمان متجدد لا يقف، وهى الشريعة إلا هداية روحية، وسياسة اجتماعية ومدنية.

أما الهداية الروحية فبنائها على العبادات التى فيها غذاء النفوس وإصلاح القلوب وإيقاظ الضمير وإخراج الناس من ذل العبودية لإلا الله وحده، يرجون رحمته ويخافون عذابه فلكل عبادة من العبادات الصحيحة أثر فى تقويم الأخلاق وتهذيب النفوس متى أقيمت على وجهها الصحيح، كما أن الأصل فى العبادة البطлан حتى يقوم دليل على الأمر، إذ لا حرام إلا ما حرم الله ولا واجب إلا ما أوجبه الله، ولا مندوب إلا ما ندبه الله، ولا مكروه إلا ما كرهه الله، ولا دين إلا ما شرعه الله — أما الأصل فى العقود والشروط فالصحة إلا ما أبطله الشرع أو نهى عنه، وهذا هو القول الصحيح فإن الحكم ببطلانه حكم بالتحريم والتأثير وهذا لا يكون إلا من الله تعالى. فكل شرط وعقد ومعاملة سكت عنها الشرع فإنه لا يجوز القول بتحريمها فإن سكت عنها فهذه رحمة منه من غير نسيان أو إهمال، فعن أبى ثعلبة الخشنى رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ^(١): «إن الله فرض

وناقة لرجل من مزينة فأبى بهم عمر فأقروا فأرسل إلى عبد الرحمن بن حاطب فجاء فقال له إن غلبان حاطب سرقوا ناقة رجل من مزينة وأقروا على أنفسهم فقال عمر : يا أبا كثير بن الصلت اذهب فاقطع أيديهم . فلما ولي بهم وهم ، ناداه عمر ثم قال : والله لولا أنى أعلم أنكم تستعملونهم وتجميعونهم حتى إن أحدهم لو أكل ما حرم الله عليه حل له ، لقطعت أيديهم ، وأمين الله إذا لم أفعل لأغر منك غرامة توجعك ، ثم قال : يا مرنى بكم أريدت منك نافتك ؟ قال : بأربعائة . قال عمر : اذهب فأعطه ثمانمائة . وذهب أحمد رضى الله عنه إلى موافقة عمر .

المثال الثانى (١) أن عبد الرحمن بن الحكم الأموى أحد ملوك الأندلس باشر بإحدى نساته فى رمضان ثم ندم على جريمته وجمع الفقهاء وسأهم عما يكفر به . فقال له يحيى ابن يحيى تلبىذ الإمام مالك بن أنس وفقية الأندلس فيما بعد : تكفر بصوم شهرين متتاليين ، فلما خرجوا قال له بعض الفقهاء لم لم تفتة بمذهب مالك وهو التخيير بين العتق والصيام والإطعام ، فقال يحيى : لو فتحنا له هذا الباب لسهل عليه أن يباشر كل يوم ويعتق رقبة ، ولكن حملته على أصعب الأمور لئلا يعود .

ويخاطبوا ملوك الأرض ، ويعبروا المحيطات ، ويشقوا الجبال ، ويتغلغلوا فى أحشاء أوروبا حتى دانت لهم الملوك وما كان ذلك إلا من قوة مبادئ الدين القويمة الرشيدة التى لم تكن مقتبسة من أحد ولا مما تعارفه البشر . وإنما كانت من مشكاة الوحي الإلهى الذى لا يأتىه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزىل من حكيم حميد . هذا وقد أجمع علماء الأمة سلفهم وخلفهم على أن أصول التشريع أربعة : الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والاجتهاد . أما القياس فإيراء جمهرة العلماء وبعضهم يقيده والاجتهاد إنما يكون فى الأمور التى ليس فيها نص من الكتاب والسنة ولا إجماع الصحابة ، فالعلماء يجتهدون فى استنباط الأحكام من السكليات التى تناسب كل عصر وجيل ، وأما العوام فيجتهدون فيما يلقى إليهم فيختارون ما تطعن إليه نفوسهم من الدليل ، أما التعصب المذهبي فليس من الدين فى شيء ، وهذا الاجتهاد لا يكون فى العبادات لأنها تمت أصلا وفرعا ، أما المعاملات فقد جاءت كلية لم تنص على الجزئيات ، وفوضت للعلماء أن يستخرجوا منها الأحكام التى تناسب تطوار الزمان وارتقاء العمران ، واختلاف البيئة ، وفى ذلك يقول عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه : تحدث للناس أفضية بقدر ما أحدثوا ، والأمثلة فى ذلك كثيرة منها :

أنه كان غلبان لحاطب بن أبى بلتعة سرقوا

و أراى مضطرا إلى أن أبين أن السنة هى الدرجة الثانية من الكتاب ، وأن السنة العملية مقدمة على السنة القولية فى عهد الرسول والنصابة . أما بعدهم فلا ، وكان الإمام مالك رضى الله عنه يقدم عمل أهل المدينة على قول الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه يرى أنهم ثقة وعملهم من عمل الرسول صلى الله عليه وسلم .

ولكن لما تأيدت دولة الحديث من بعده ظهر أن ثلث أقوال الرسول تخالف مذهب الإمام مالك ؛ لأنه كان من تابعى التابعين . وقد مضى على عمل الرسول عليه السلام أكثر من قرن ، فهذه المدة الطويلة حدثت فيها أعمال مخالفة لأعمال الرسول صلى الله عليه وسلم مما لا يجعل عمل أهل المدينة حجة مطردة بل يكون حجة إذا وافق كلام الرسول صلى الله عليه وسلم . رحم الله الإمام وعلماؤ الدين وجزاهم خيرا عن الإسلام والمسلمين .

أما اجتهاد غير علماء الدين من أولى الأمر فإنما يكون فى الأمور الإدارية والقضائية والحربية وكل ما يتعلق بسياسة الأمة وشؤون الدولة ، وقد تركها الله تعالى للعقل البشرى لأنه يستطيع أن يهتدى إليها بالتجارب والممارسة

المباحة والذائد المشروعة ، وكل ما كان فى دائرة الطيبات من غير إفراط ولا تفريط ، قال سبحانه (١) : « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، . ولم تقتصر على تنظيم العلاقات بين العبد وربّه بل تجاوزته إلى تنظيم العلاقات بين الناس بعضهم ببعض بما شرعته من آداب وتشرّيع ، وقد وقفت من المعاملات موقف المصلح الاجتماعى والشارع القانونى فجعلت المعاملات المالية مبنية على قاعدتين : الأولى لا ضرر ولا ضرار ، والثانية دورانها على العرف فى دائرة الطيبات : أحلت البيع والشراء والمضاربة والعارية والإجارة والشفعة والسلم والمزارعة وغير ذلك مما لا غنى فيه ولا حيف على أحد المتعاقدين ، وحرمت الربا والعقود الفاسدة لما فيها من الأضرار الجسيمة أو كان ضررها أقرب من نفعها . كذلك نظمت القوانين الجنائية والمعاهدات الحربية تنظيمًا لم تسبقه شريعة من الشرائع السأوية ولا الوضعية .

شهد بذلك كثير من الأجانب المستشرقين . « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون » (٢) .

إبراهيم عبد الباقي

[١] سورة الاعراف رقم ٣٢ .

[٢] سورة البقرة رقم ١٣٨ .

وإجمال القول أن الشريعة الإسلامية قد أفرغ الله فيها جميع ما ينشده البشر من المتع

الخرائط الاجتماعية لطلاب العلم في الإسلام

للأستاذ حسن عبدالعزیز نصر

(بقية ما نشر في العدد الماضي)

المكرم للغرباء وأهل الطلب كثيرة واسعة ، وأغرب ما يحدث به : أن سارية من سواريه - هي بين المقصورتين القديمة والحديثة - لها وقف معلوم ، يأخذه المستند اليها للذاكرة والدرس .

ويذكر أيضاً : أن بالجامع المكرم عدة زوايا على هذا الترتيب ، يتخذها الطلبة للنسخ والدرس والافتراء عن ازدحام الناس ، وهي من جملة مرافق الطلبة ، ويذكر أن الحركة العلمية لا تنقطع في هذا المسجد - نهارة ولا ليلاً - وأنه كان يجري فيه على أزيد من خمسمائة إنسان كل يوم ممن يقرءون القرآن الكريم - وهذا من مفاخر هذا الجامع المكرم فلا تخلو منه القراءة .

ويذكر عن أوقاف الشام فيقول : ومرافق الغرباء بهذه البلدة أكثر من أن يأخذها الإحصاء . ولا سيما لحفاظ كتاب الله عز وجل ، والمتتمين للطلب . فالشأن بهذه البلدة لهم عجيب جداً ، وهذه البلاد المشرقية كلها على هذا

أما في الشام فقد وصف أبو البقاء البدرى صالحة دمشق وما فيها من المعاهد العلمية فقال : ومن محاسن الشام الصالحة ، مشحونة بالزوايا والترب والمدارس ، حيث إن بها قسبة دون ميل ، تمتشى فيها بين ترب ومدارس ببناء جميل . وذكر أيضاً : أنه في كل شرف من دمشق عدة من المدارس والمساجد ، ولكل واحد ما يكفيه من الأوقاف ، وذكر ما يبذله أهل دمشق لطلاب العلم فقال : وتقرب أهلها إلى الله تعالى ببناء المدارس ، رغبة في جوار المجرد الفقير البائس ، ورتبوا له من الخبز واللحم والطعام والزيت والحلوى والصابون والمصروف في كل شهر على الدوام .

وذكر ابن جبير عن جامع دمشق : وفيه حلقات للتدريس ، للطلبة والمدرسين ، فيها لإجراء واسع . وللأسكية زاوية للتدريس في الجانب الغربي ، يجتمع فيها طلبة المغاربة ، ولهم إجراء معلوم ، ومرافق هذا الجامع

الرسم لكن الاحتفال بهذه البلدة أكثر ، والاتساع أجود .

وعلى هذا نراه ينصح طلاب أهل المغرب أن يرحلوا إلى بلاد الشرق فيجدوا لهم كل مساعدة في الحصول على العلم فقال « فن شاء الفلاح من نشأة مغربنا فليرحل إلى هذه البلاد ، ويتغرب في طلب العلم ، فيجد الأمور المعينات كثيرة ، فأولها فراغ البال من أمر المعيشة وهو أكبر الأعوان وأهمها ، فإذا كانت المهمة فقد وجد السبيل إلى الاجتهاد ولا عذر للبصر ... »

وهذه الحركة العلمية شاهدها ابن بطوطة الذي زار الشام بعد ابن جبير بقرنين من الزمن - كان ذلك بفضل ما أرصد لها من الأوقاف الكثيرة ، وتقديم المساعدات المختلفة لطلاب العلم وذكر أن أهل دمشق يتنافسون في عمارة المساجد والزوايا والمدارس ، حتى أن بعضهم كان يهتم بتعليم الرجال الذين تعدهم من التعليم ولم ينالوا نصيبهم من العلم - فقد رأى في صالحة دمشق « مدرسة تعرف بمدرسة ابن عمر موقوفة على من أراد أن يتعلم القرآن الكريم من الشيوخ والكهول ، وتجري لهم ولبن يعلمهم كفايتهم من المأكل والملابس » .

وأحصى النعمي ما كان في دمشق من معاهد العلم فإذا هي (سبع) دور قرآن ، و (١٩) داراً للحديث ، و (٥٩) مدرسة للشافعية ،

و (٤٥) مدرسة للحنفية ، و (١١) مدرسة للحنابلة ، و (٣) مدارس طب ، فضلاً عن التدريسات التي كانت في المساجد والزوايا - هذا ما كان في مدينة واحدة من مدن الشام .

أما في القاهرة فكانت معاهد العلم فيها كثيرة ، بحيث عجز ابن بطوطة عن إحصائها ، فذكر عنها بأنه « لا يحيط أحد بحصرها لسكوتها » كما أن بعض الجوامع فيها كانت أشبه ما تكون بالسكليات في هذه الأيام ، نظراً لما يدرس فيها من العلوم المختلفة . فالجامع الأزهر لم ينقطع منه التدريس منذ أسسه الفاطميون ، ثم تنوعت فيه حلقات التدريس في زمن الأيوبيين ومن تلاهم ، وأخذوا يوقفون له الأوقاف الكثيرة ، حتى صار عدد طلابه في القرن الثامن الهجري (٧٥٠) طالباً من مختلف الأجناس ، وتقرر فيه نظام الأروقة ، فكان فيه لكل طائفة رواق ، والجامع عام بالدروس المختلفة ، بأنواع العلوم كالفقه والحديث والتفسير والنحو والأدب والفلسفة والحكمة ، والطلاب مكفولون بما أوقفه أهل البر والإحسان من محبى العلوم والمعارف ، وفضلاً عن هذا فإن أرباب الأموال كانوا يقصدون من فيه بأنواع البر من الذهب والفضة والفلس ، وتحمل إليهم أنواع الأطعمة والخبز والحلاوات وغير ذلك -

فكان في المدرسة الصالحية سنة ٦٤١ هـ
دروس أربعة للمذاهب الأربعة وعدة معيدين
ولها أوقاف كثيرة .

وكانت المدرسة الظاهرية التي بناها بيبس
البندقدارى (٦٦٠ - ٦٦٢) من أجل
مدارس القاهرة . فيها مدرسون للمذاهب
الأربعة ، ومدرس لعلم الحديث ومدرس
للقرآن ، وخزانة كتب تشتمل على أمهات
الكتب فى سائر العلوم ، وبجانها مكتب
للأيتام ، ولهم الجراية المستمرة والكسوة .

وفى سنة ٨١٠ هـ بنى الأمير جمال الدين
الاستادار مدرسته . وجعلها من أعظم مدارس
القاهرة ، وجعل لها الشبايك من النحاس
المكشّات بالذهب والفضة ، وأبواب مصفحة
بالنحاس البديع الصنعة المكشّفة . وجمع فيها
من المصاحف والكتب فى الحديث والفقه
وغيره من أنواع العلوم جملة ، وكان فيها عشرة
مصاحف طول كل مصحف ، منها أربعة أشبار
إلى خمسة فى عرض يقرب من ذلك ، أحدها
بخط ياقوت والآخر بخط ابن البواب ، وفيها
خطوط منسوبة ، ولها جلود فى غاية الحسن ،
معمولة فى أكياس الحرير الأطلسى ، ومن
الكتب النفيسة عشرة أحمال .

ورتب فيها أربعة شيوخ لتدريس فقه
المذاهب الأربعة ، ومدرسا للحديث ، وآخر
للتفسير ، وقرر عند كل مدرس طائفة من
الطلاب ، وبني بها مكتبا للأيتام .

ولا يزال الأزهر فى مقدمة المراكز العلمية
الإسلامية ، فكثرت معاهده ، وتنوعت
مناهجها ، وبلغ عدد من يدرس فيه عشرات
الآلاف كل ذلك بفضل أوقافه الكثيرة .

وكانت الحركة العلمية فى جامع الحاكم
لا تقل عن الأزهر . وفى سنة ٧٠٢ هـ أعاد
بناءه بيبس الجاشنكير ، ورتب فيه دروساً
أربعة لإقراء الفقه على المذاهب الأربعة ،
ودرساً لإقراء الحديث ، ودرساً للنحو ،
ودرساً للقرآن السبع ، وشيخاً لإفادة
العلوم ، وعمل فيه خزانة كتب جليلة وجعل
فيه عدة شيوخ لتلقين القرآن الكريم ،
ومعلماً يقرئ أيتام المسلمين وأجرى على
جميعهم معالم دارّة .

وكانت التدريسات فى جامع ابن طولون
سنة ٦٩٦ هـ كما فى جامع الحاكم المار ذكره
إلا أنه يزيد عليه أنه كان به مدرس يدرس
الطب ، ومدرس للتفسير ، وبلغت مستغلات
وقفه عشرين ألف دينار .

وقد أحصى المقرئى سنة ٧٤٩ هـ الحلقات
العلمية التى كانت فى جامع عمرو بن العاص ،
فإذا هى بضع وأربعون حلقة لإقراء العلم
- ولها الأوقاف المستمرة .

هذا بعض ما كان فى جوامع القاهرة . أما
المدارس فكانت كثيرة ، وكلها عامرة
بالتدريس .

كانت في الكثير من مساجدها ، فتجد فيها حلقات العلم المختلفة ، ونجد في بعضها ما في المدارس من الإجراءات على المدرسين والطلاب .

وأعظم مدارس بغداد : النظامية ، والمستنصرية .

أما النظامية فتعد بناها نظام الملك سنة ٤٥٩ هـ ، وكانت أشبه ما تكون بالكلية في هذه الأيام ، فيها مدرسون لمختلف العلوم والمعارف ، وفيها مساكن للطلاب ، ولهم جميعاً من الإجراءات والخصصات ما يكفيهم ويسهل عليهم أمر الدرس ، وهي أول مفخرة من مفاخر نظام الملك الذي بنى المدارس في كثير من بلاد الإسلام ، ويسر أمر التعليم للطلاب .

أما المدرسة المستنصرية ، وهي التي بناها الخليفة المستنصر بالله العباسي سنة ٦٢٥ هـ . فكانت من مدارس العالم المشهورة ولا تزال بنايتها باقية إلى اليوم .

وإذا نظرنا إلى التنظيمات الدقيقة التي كانت في المستنصرية ، فإننا نجد أنها لا تقل عما نراه اليوم في الجامعات ، وهي تمتاز عن الأخيرة بأنها مفتوحة للفقير والغني وللغريب وابن البلد ، أسكن سواء لهم حق الدرس فيها ، وحق التمتع بالجرايات التي شرطها الواقف وإليك ما كان فيها .

وأجرى لكل من في المدرسة ثلاثة أربال من الخبز في كل يوم ، وثلاثين درهماً فلوساً في كل شهر ، وجعل لكل مدرس ثلثمائة درهم في كل شهر ، ورتب فيها بعد هذا شيخاً للإقراء وإماماً وقومة ومؤذنين وفراشين ومباشرين ، وأوقف لها أوقافاً كثيرة .

أما في الإسكندرية ، فقد حدثنا ابن جبير عن أوقاف صلاح الدين الأيوبي فيها فقال : « ومن مآثر هذا البلد ، ومفاخره العائدة في الحقيقة إلى سلطانه ، المدارس والمحارس الموضوعة فيه لأهل الطلب والتعب ، يفدون من الإفطار النائية ، فيلقى كل واحد منهم مسكناً يأوي إليه ، ومدرساً يعلمه الفن الذي يريد تعلمه ، وإجراء يقوم به جميع أحواله ، واتسع اعتناء السلطان بهؤلاء الغرباء الفارين حتى أمر بتعيين حمامات يستحمون فيها متى احتاجوا إلى ذلك ، ونصب لهم مارستاناً لعلاج من مرض منهم ، ووكّل بهم أطباء يتفقدون أحوالهم ، وتحت أيديهم خدام يأمرونهم بالنظر في مصالحهم التي يشيرون بها من علاج وغذاء . »

أما مدارس بغداد فكانت كثيرة ، وقد ذكر ابن جبير أن عدد مدارس الشرقية منها (الكرخ) ثلاثون مدرسة ، ومأمها إلا وهي يقصر القصر البديع عنها ، كما أن التدريسات

وفي المدرسة مخزن فيه الاطعمة والاشربة والكسوة والشمع والصابون والادوية — وكلها تقدم إلى الطلاب والمدرسين متى احتاجوا إليها .

وكان في المدرسة من كل طائفة إمام يصلي بهم ، وقارىء للسبعة وداع يدعو .

وفي المدرسة ناظر يتولى أمور أوقافها ، يساعده مشرف وكاتب ، وفيها معارية وفراشون وبوابون وحامى ومزين وقيم وطباخ وخازن الآلات وخزنة الديوان ومزملاتى ومؤذن ونقاط ، ولكل منهم جرايات ومشاهرات .

وفي المدرسة مكتبة تحوى آلاف الكتب المختلفة التى يحتاجها المدرسون والطلاب ، ولها من يقوم بأمرها : خازن ومشرف سوى المقيمين والفراشين والخدم .

وذكر المؤرخون أن الخليفة المستنصر بالله أمر بنقل كتب إلى خزنة المكتبة يوم فتحها ، فنقل إليها من الربعات الشريفة ، والكتب النفيسة المحتوية على العلوم الدينية والعربية ما حمله (٢٩٠) حمالا - سوى ما نقل إليها بعد ذلك ، وذكر بعضهم أن عدد الكتب التى أمر الخليفة المستنصر بإيداعها إلى مكتبة المستنصرية كان ثمانين ألف مجلد ، ورتبت أحسن ترتيب مفصلا لفنونها بحيث يسهل تناولها ، ولا يتعب مناوها .

شرط الخليفة أن يكون عدد طلاب الفقه فيها مائتين وثمانية وأربعين طالبا ، من كل طائفة اثنان وستون ، وأن يجرى لهم المشاهرات الوافرة والإجراءات المستمرة من الخبز واللحم والحلوى والفواكه واللبن والصابون .

وفى دار الحديث ، يتولاها شيخ على الإسناد ، وقارىء عشرة طلاب حديث ، ولهم من الجراية ما لطلاب الفقه .

وفى ثلاثون صبياً أيتاما ، يتلقون القرآن المجيد من مقرر متقن صالح ، ويحفظهم معيد معه . ولهم جراية مستمرة .

وفى شيخ نحوى يشغل عليه عدد من الطلاب يعلم العربية . ولهم من الجراية المستمرة ما لغيرهم .

وفى المدرسة من يشغل بعلم الفرائض والحساب إلى غير ذلك .

وفى المدرسة طبيب حاذق مسلم ماهر ، وعشرة طلاب من المسلمين ، يشغلون عليه بعلم الطب ، ولهم جراية مستمرة مثل ما لغيرهم .

وبنيت للطبيب صفة فاخرة مقابلة للبدرة يجلس فيها يطب لمن يعرض له مرض فى المدرسة . ويعطى المريض ما يصف له الطبيب من أدوية وأشربة من الصيدلية التى كانت فى المدرسة . كما كان الطبيب يتردد إلى مرضى المدرسة فى بكرة كل يوم يتفقدهم .

عامرة إلى اليوم مع أنه مضى على بعضها عدة قرون . فالشاهد الرضوى في النجف ، ومدرسة أبي حنيفة ببغداد ، وجامع الزيتونة بتونس ، وجامع القرويين بالمغرب ، والجامع الأموى بالشام ، وغيرها من المعاهد العلمية التي حافظت على مركزها بفضل ما أوقف لها .

هذا التنظيم الدقيق لخدمة العلم والأخلاق ، وضعه المسلمون ، وجعلوه ركناً هاماً من أركان الحضارة التي شادوها ، وأناروا للعالم سبل الهداية في القرون المظلمة ، في الوقت الذي كانت أوروبا فيه تتخبط في دياجير الظلام ، ويعتقد أهلها أن الجبر نوع من السحر ، وأن الساعة الدقاقة يحركها شيطان ، وحين كانت القراءة والكتابة محصورين في رجال الدين والنبل ، بينما كان أهل الأندلس يقرؤون ويكتبون وقلبا نجد بينهم من لا يحسن القراءة والكتابة وتكاد الأمية تكون معدومة بينهم .

هذه نبذة عن الخدمات الاجتماعية لطلاب العلم عند المسلمين في بعض المدن . ولو أردنا استقصاء البحث في غيرها لاحتاج الأمر إلى بحث طويل ؟

حسن عبد العزيز نهمر

أما أوقافها : فقد ذكر بعضهم أن قيمة ما وقف عليها يساوى ألف ألف دينار ، وبلغ ارتفاع وقوفها في العام نيفاً وسبعين ألف مثقال من الذهب ، وحتى قبل عما أوقف لها من القرى فقط ، أن ثمن الثبن من غلات ريعها يكفي المدرسة وأهلها .

هذا ما كان في المدرسة الإسلامية قبل ثمانية قرون ، وهو يدلنا على مدى اهتمام القوم بالعلم وأهله ، وبذلم الأموال الوافرة في سبيل إراحة الطلاب وتسهيل أمر الدراسة لهم .

وأن هذا التأمين الاجتماعي للعلم وأهله ، صار من الأركان التي لا يمكن أن تستغنى الدولة عنه ، فما أوقفه ملك أو أمير أو تاجر يبق وقفاً مهما تبدلت الأوضاع السياسية للبلد ، فيبقى المعهد كما كان ، وأوقافه محبوسة عليه لا تمتد إليها يد ، ولا يتسلط عليها غاصب ، فشرط الواقف كنص الشارع . ولذا نجد بعض المؤسسات العلمية الإسلامية التي مضى عليها ما يزيد على ألف سنة ، لم تزل محافظة على مركزها العلى ، وهذا الجامع الأزهر خير دليل على ما نقول ، وهو لم يزل في توسع ببنائه ومعاهده وعدد طلابه وشيوخه ، كل هذا بفضل الأوقاف الكثيرة التي رصدت له . وما يقال عن الأزهر يقال عن كثير من المدارس القديمة والتي هي

لغويات

للأستاذ محمد علي النجار

قولهم ثلاثمائة وتسعمائة

وليس معنى الشذوذ هنا الضعف والخروج عن الفصاحة اللغوية ، فإن هذا هو الفصح لا يقبل غيره . فلا تقول خمس مئات أو أو مئتين ، ولو قلته كنت مخطئاً وجه الصواب ، وإن كان هو الأصل والقياس ، قرب قياس انحارحه العرب وخالفوا عن أمره ، بل قد يؤثر هذا عن العرب فيحمل على الشذوذ في الاستعمال . ومن هذا قول الفرزدق :

ثلاث مئتين للبلوك وفي بها
ردائي وجلت عن وجوه الأهاتم
وقول الشاعر :

ثلاث مئتين قد مررن كواملا
وها أنا هذا أشتى مرة أربع
وينبغي أن يعلم أن المائة إذا وقعت تمييزاً لهذه الأعداد كان معناها المئات . ونرى سيبويه يقول : « وليس بمستنكر في كلامهم أن يكون اللفظ واحداً والمعنى جميع ، حتى قال بعضهم في الشعر من ذلك ما لا يستعمل في الكلام . قال علقمة بن عبدة :

سأل الأستاذ محمد إبراهيم في الجزء السابق من مجلة الأزهر ، عن الذي دعا العرب إلى أن أفردوا تمييز الثلاث وما بعدها إلى التسعة إذا كان مائة . فتراهم يقولون : ثلاثمائة وأربعمائة ، وكان القياس على النظائر أن يجمعوا المائة فيقولوا : ثلاث مئات وتسع مئات مثلاً ؛ كما يقولون : خمسة آلاف وتسعة آلاف .

وأذكر أن هذا الاختلاف نبه عليه النحويون في أوائل تدوينهم للنحو ؟ . فسبويه في الكتاب ١ / ١٠٧ يقول : « وأما ثلاثمائة إلى تسعمائة فكان ينبغي أن يكون مئتين أو مئات ، . ومعنى هذا أن قولهم : ثلاثمائة جاء في العربية على خلاف ما كان ينبغي لهذا الضرب من العدد ، وأن في هذا شذوذاً عن النظائر . وتراه يقول بعد في هذا الموطن : « فقد يشذ الشيء في كلامهم عن نظائره ، ويستخف الشيء في موضع ولا يستخفونه في غيره ، .

الشبه ، فيذكر أن الثلاث مع المائة وما بعدها إلى التسع بعدها عقد ليس من لفظها ، وهو الألف ، وكذلك أحد عشر إلى تسعة عشر بعدها عقد ليس من لفظها وهو العشرون ، ومثلها في ذلك العشرون إلى التسعين بعدها عقد ليس من لفظها وهو المائة ، ولما كان تمييز الأحاد عشر والتسعة عشر والعشرين إلى التسعين مفردا حمل عليها تمييز الثلاثة إلى التسعة إذ امتزجت بالمائة فأنت المائة مفردة ، فأما الثلاثة إلى التسعة مع الألف فليس فيها هذا ، ألا ترى أن التسعة مع الألف أى تسع المائة بعدها عشرة آلاف وهو عقد من لفظ تسعمائة وأسلوبه بخلاف تسعمائة فبعدها ألف كما سبق .

فإن قال القائل : إذا كانت هذه الأعداد شبيهة بعشرين وأحد عشر فهلا كان تمييزها منصوبا ؟ فالجواب أن لهذه الأعداد شبا بالثلاث إلى التسع التي ليس تمييزها المائة إذ كان الجميع يشتركون في أن بعدها عقدا ليس من لفظها ، فهنا بعدها الألف وفي تلك الأعداد يليها العشرة ، فحملت ثلاثمائة على ثلاث نساء في الإضافة إلى التمييز وجره ، وهكذا أربعائة إلى تسعمائة .

ويقدم ابن الحاجب في شرح كافيته وجها آخر لسبب هذا الشذوذ ، فهو يرى أنه لو ميزت هذه الأعداد بجمع المائة فمئيل : ثلاث

بها جيف الحسرى فأما عظامها
فبيض وأما جلدها فصليب
وقال الشاعر :

لا تنكر القتل وقد سُدينا
في حلقكم عظم وقد شجينا
وقال الآخر :

كلوا في بعض بطنكم تعفوا
فإن زمانكم زمن خميص
فقوله : جلدها في البيت الأول يريد جلودها . وهو يصف طريقا شاقة على السالكين تسقط فيها الإبل إعياء فتهلك وهي حسرى ، فتأكل السباع والطير ما على العظام من اللحم فتبدو بيضاء واضحة ، وتبقى الجلود صلبة يابسة إذ لم تلين بالدباغ . وقوله في البيت الثاني : في حلقكم يريد : في حلقكم فوضع الواحد موضع الجمع . وقوله في البيت الثالث : في بعض بطنكم يريد : في بعض بطونكم .

وهنا يبرز السؤال العتيد ، وهو : لم اختار العرب هذا الوضع أى استعمال المفرد في معنى الجمع مع المائة ، ولم يحجروا هذا مع الألف ، فقالوا : خمسمائة ولم يقولوا : خمسة ألف ؟

وقد أشار سيبويه إلى الجواب عن هذا السؤال في إيجاز ، فذكر أن هذه الأعداد شبهت بعشرين وأحد عشر فجاء تمييزها مفردا ويشرح السيرا في كلام سيبويه ويبين وجهه

من جاء بالحسنة فدر عشر أمثالها :

وسأل الأستاذ أيضاً عن وجه تذكير العدد في الآية الكريمة مع إضافته إلى الأمثال وواحدها مذكر ، وكان الواجب التأنيث .
ويذكر النحويون في الجواب عن هذا أن المعدود هنا محذوف دل عليه ما قبله ، وهو الموصوف بأمثالها ، والتقدير : فله عشر حسنات أمثالها وهذا يبنى على قاعدة في العدد وهي أنه إذا كان المعدود صفة نائية عن الموصوف اعتبر حال الموصوف لاحتال الصفة .
ويرى أبو على الفارسي من أعلام النحاة أن الأمثال اكتسب التأنيث من المضاف إليه وهو ضمير الحسنة ، على حد قوله : ذهب بعض أصابعه ، وكما جاء في قراءة : تلتقطه بعض السيارة ، وهي قراءة الحسن ومجاهد وغيرهما ، وهي من شواذ القراءات .

في الناصبة وتأنيث النفي :

ويعترض الأستاذ على قول النحاة : إن لن نفيد تأنيث النفي باعتراضين ، الأول قوله تعالى : « فلن أكلم اليوم إنسيا » ، والثاني قوله تعالى : « ولن يتمنوه أبداً » . ففي الآية الأولى قيد النفي باليوم ، وهذا يناهز التأنيث . وفي الآية الثانية يكون قوله (أبداً) تكراراً مع ما أفاده (لن) ؛ والقرآن ينزه عن مثل هذا .

مثات لقييل في بعض المواطن : ثلاث مثات امرأة ، وهنا يجتمع تأنيثان وجمع والجمع مؤنث ، فيكون هنا اجتماع ثلاثة تأنيثات فيما هو كالكلمة الواحدة أي المركب الإضافي وهم يستقلون اجتماع الأمثال ، بخلاف ما إذا قيل : ثلاثمائة امرأة ، وتراه لم ينظر إلى تمييز الثلاث بالمتين ، وهو الجمع الآخر الوارد في الشعر كما سبق ، لأن التمييز بجمع المذكر السالم لا ينقاس كما أبانه الرضى ، ولما لم يجتمع مثل هذا في قولك خمسة آلاف امرأة جا. وافية على القياس ولم يشذروا فيه .

ويرى الرضى في شرح كافية ابن الحاجب أن المائة إذا وقعت تميزاً تخطر في الذهن المائة الواقعة بعد التسعين ، وكأنا ما هي شيء واحد ، والمائة الواقعة بعد التسعين وما قبله مما هو على صورة جمع المذكر السالم لا يحسن أن تأتي بصيغة جمع المؤنث السالم أي مثات لما هنالك من التناظر بين الجمعين ، فلهاذا عدل عن مثات في هذا المقام إلى مائة .

ويرى القارىء : أن تعليل ابن الحاجب والرضى مبنيان على أن وقوع مثنى في التمييز لا ينقاس ، وأنه لو كان هناك جمع تكسير للمائة كما هناك جمع تكسير للألف لما ساغ هذا الشذوذ .

الأنموذج ، لإحداهما مطبوعة في مطبعة الجوائب ، والأخرى في مطبعة المدارس الملكية فإذا فيه : « ولن نظيرة لا في نفي المستقبل ، ولكن على التأكيد ، فلعل ابن هشام وقعت له نسخة فيها : « ولكن على التأييد » . وفي ارتشاف الضرب لأبي حيان : « ولا تدل على نفي الفعل في جميع الزمان المستقبل ، نقل ابن مالك أن الزخشرى خص النفي بالتأييد ، وإلى أرى أن الزخشرى لو كان يقول بذلك لكان أخلق المواطن بذكره تفسير قوله تعالى في سورة الأعراف لن تراني ، إذ يكون هذا حجة لمذهب الاعتزال في استحالة الرؤية ، وقد علمت أنه في هذا المواطن يذكر أنها للتأكيد .

وقد أورد النحاة على القول بالتأييد الاعتراضين اللذين أوردتهما السائل وأجابوا عن الآية الأولى بأن تأييد النفي إنما هو عدم التقييد ، فأما عند التقييد كما في الآية فلا ، إذ أن النفي قيد باليوم الحاضر . وأجابوا عن الآية الثانية بأنه لا تكرار فيها ، إذ التكرار إنما يكون بإعادة اللفظ نفسه أو إعادة مرادفه ، و (أبدا) و (لن) ليسا مترادفين ، إذ أن (لن) تفيد النفي والتأييد ، و (أبدا) لا تفيد النفي ، وعلى فرض التكرار فهو من باب التوكيد وهو كثير في القرآن الكريم .

(البقية على صفحة ٩٠٥)

وإني أسوق هنا آراء النحاة في (لن) . يقول سيبويه في الكتاب ٣٠٥/٢ : « ولن نفي لقوله : سيفعل » يريد أن لن تفيد نفي الحدث في الزمن المستقبل . ويقول ابن يعيش في الكلام على لن : « وهو تقيض سوف وذلك أن القائل إذا قال : سوف يقوم زيد فنفى هذا : لن يقوم زيد ، وترى أن سيبويه لم يزد على أنها تفيد النفي في المستقبل ، ولم يعرض فيها لتأييد ولا تأكيذ .

وجاء الزخشرى فذكر أن لن تفيد تأكيذ النفي وتشديده . ذكر هذا في المفصل والكشاف فهو يقول في المفصل في مبحث الحروف « ولن لتأكيد ما تعطيه لا من نفي المستقبل تقول : لا أبرح اليوم مكاني . فإذا وكدت وشددت : قلت ، لن أبرح اليوم مكاني . قال الله تعالى ، لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين ، وقال : « فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي » ، وقال في الكشاف عند قوله تعالى في سورة الأعراف : لن تراني : « فإن قلت : ما معنى لن ؟ قلت : تأكيد النفي الذي تعطيه لا . وذلك أن لن تنفي المستقبل . تقول : لا أفعل غدا ، فإذا أكدت نفيا قلت : « لن أفعل غدا » وقد تبعه ابن الحاجب والرضي .

وينسب ابن هشام في المغنى إلى الزخشرى أنه في كتابه الأنموذج في النحوي أن لن تفيد تأييد النفي . وقد رجعت إلى نسختين من

النفقة وصلتها بقانون الوضع الجديد

للأستاذ عباس طه

على الزوج لزوجته ولو في بيت أبيها ما لم يطالبها الزوج بالنقل وتمنع بغير حق ، وفرضها كذلك في حالة ما إذا كان الزوج موسرا وكانت لامرأته خادمة تجب عليها نفقتها بقدر ما يسكفها على حسب العرف ، بشرط أن تكون الخادمة متفرغة لخدمتها لاشغل لها غيرها . وإذا زفت إليه بخدم كثير استحققت نفقة الجميع إن كان ذا يسار ، وإذا رزق أولاداً لا يكفيهم خادم واحد يفرض عليه نفقة خادمين أو أكثر على قدر حاجة أولاده . وفي حالة ما إذا مرضت المرأة مرضاً يمنع من مباشرتها بعد الزفاف والنقل إلى منزل زوجها أو قبله ثم انتقلت إليه وهي مريضة أو لم تنتقل ولم تمنع نفقتها بغير حق فلها النفقة عليه ، فلو مرضت في بيت الزوج ثم انتقلت إلى بيت أهلها فإن طالها الزوج بالنقل ولم يمكنها الانتقال لمخافة أو نحوها فلها النفقة .

وقد أوجب التشريع الإسلامى النفقة

منذ ثمانية عشر عاماً تقريباً رأت اللجنة المنوط بها وضع مشروع قانون العقوبات بوزارة العدل ، رغبة منها في حماية الأسر ، إضافة نص بمعاقة كل من يلزم بالانفاق على أحد من ذوى قربه ، ويمتنع عن أداء هذا الواجب بالحبس مدة لا تزيد على سنة ، أو بغرامة لا تزيد على مائة جنيه : غير أن القانون خرج على الناس لا يحمل هذه العقوبة مما أفضى إلى التقاعس عن الاستجابة إلى أحكام المحاكم في مواد النفقات .

وفي هذا البحث نفصل ضروب النفقة تنويراً للأذهان وتنوياً بفضل شريعة القرآن في بناء العمران .

نوع التشريع الإسلامى النفقة إلى ثلاثة أنواع : نفقة واجبة على الزوج لزوجته ، ونفقة واجبة للأبناء ومن في حكمهم على الآباء ومن في حكمهم . ونفقة واجبة للأبوين ومن في حكمهما على الأبناء ومن في حكمهم .

ففرض في باب النفقة الزوجية تلك النفقة

والآم في حالة إعسار الأب أولى من سائر الأقارب بالانفاق على ولدها ، فإذا كانت موسرة مع إعسار الأب أمرت بالانفاق على ولدها ولا يشاركها الجد ، فإذا كان الأبوان معسرين ولهما أولاد يستحقون النفقة أمر بها القريب من منزلتهما كما أسلفناه . فإذا أبنى الانفاق عليهم مع يسره أجبره القاضي عليها ويكون لانفاق الكبير في هذه الحالة ديناً على أبيهم المعسر يرجع به القريب عليه إذا أيسر سواء كان المنفق أما أوجداً أو غيرهما ، فإن كان الأب معسراً أو زمنياً عاجزاً عن الكسب فلا رجوع لأحد عليه بما أنفق على ولده ، وإذا كان أبو الصغير الفقير معسراً وله أقارب موسرون من أصوله فإن كان بعضهم وارثاً وبعضهم غير وارث وتساووا في القرب والجزئية يعتبر الأقرب جزئية ويلزم بالنفقة . فإن كان له أم وجد لأم فنفقته على الأم ، وإن كان أصوله وارثين كلهم فنفقته عليهم بقدر استحقاقهم في الإرث ، فلو كان له أم وجد لأب فنفقته عليهما أثلاثاً : على الأم الثلث وعلى الجد الثلثان . فإن كانت أقارب الطفل الفقير المعدم أبوه بعضهم أصول وبعضهم حواش فإن كان أحد الصنفين وارثاً والآخر غير وارث يعتبر الأصل لا الحاشية ويلزم بالنفقة سواء كان هو الوارث أم لا .

عباس ط

البقية في العدد القادم

للابناء على الآباء بأنواعها الثلاثة : فأوجب للإبن النفقة على الأب الحر ولو ذمياً لولده الصغير الفقير ذكراً كان أو أنثى حتى يبلغ الذكر حصد الكسب وحتى تزف الأنثى إلى بعلمها : وأوجب على الأب النفقة لابنه الكبير الفقير العاجز عن الكسب كز من وذى عاهة تمنعه عن الكسب ، ومن كان من أبناء الإشراف أو من في حكمهم ، ولا يستأجره الناس في عمل من شأنه أن يغض من سمعة بيته أو يزرى بكرامته ، وللأنثى الكبيرة الفقيرة ولو لم تسكن بها زمناً أو عاهة إلا إذا تزوجت ، فإذا تبين أن الأب ليس عاجزاً عن الكسب أو به عاهة تحول دون استدراار النفقة على غيره ألحق بالميت ، وتجب في هذه الحالة النفقة على من يليه في المرتبة مع تحقق شرائط الوجوب ، ومعلوم أن النفقة تعتمد الجزئية والإرث في وجوبها أما إذا كان الأب معسراً ولا زمناً به ولا عاهة تحول دون اكتسابه فلا تسقط عنه النفقة لمجرد إعساره لولده ، بل مفروض عليه أن يكتسب وينفق بقدر الكفاية ، فإن نفقة الأقارب معتبرة عند الفقهاء ضرورة طارئة ، وإنما تقدر الضرورة بقدر ملاستها ، فإن أبنى مع قدرته على الاكتساب يجبر على ذلك ويجبس في نفقة ولده ، فإن لم يف اكتسابه بحاجة الولد أو لم يكتسب لعدم تيسر الكسب أمر القريب بالانفاق على الولد بالنيابة عن أبيه ليرجع على الوالد إذا أيسر مستقبلاً :

مَائِقَالُ عَنِ الْإِسْلَامِ

كلام عن الإسلام والعرب

في كتابين حديثين

للأستاذ عباس محمود العقاد

أن اسم الإسلام نذير بالخطر يكفي أن يذكر لهم ليدركوا أنهم مهددون بما يوقظ النائم وينبه الغافل ولا يحتاج بعده إلى نذير .

وفرغت من الفصل فلم أجد فيه وجها من وجوه المشابهة غير أن الإسلام دعوة والشيوعية دعوة ، أو هي كما سماها (دين دنوي) يقوم على عقيدة (إيمانية) تجرى مع الشعور ولا تجرى مع المنطق والمعرفة البرهانية وهذا كل ما هنالك من مشابهة بين النذيرين ١٠ .

وقد زعم المؤلف أن خطة ستالين في (تشييع) القارة الآسيوية أو إكراهها على قبول الشيوعية ليست إلا تكراراً لخطط القادة الآسيويين أمثال محمود الغزنوي وطغرل بك وألب أرسلان ، وأن هذه الخطط جميعاً تعتمد على سلاح الدولة وسلاح العقيدة وتتخذ العقيدة أحياناً وسيلة لقلب الدولة كما تتخذ الدولة أحياناً أخرى وسيلة لقلب العقيدة .

لكن ما هو وجه الشبه بين دعوة تخاطب الناس من كل طبقة وبين دعوة تلغى الإنسانية

كتابان من المطبوعات الحديثة قرأت فيها كلاماً عن الإسلام والعرب ، وعن تقدير الحضارة العربية .

ففتحت أحدهما فوجدت في صدره فصلاً مطولاً بعنوان : « إسلام القرن العشرين » ، فخطر لي أن المؤلف يتكلم عن تطور الإسلام في هذا القرن ويشرح آراء المجددين المصلحين من أئمتهم أو عادات المسلمين المعاصرين مع المقابلة بينها وبين عادات المسلمين في القرون التي سبقت القرن العشرين .

ولكنني لم أقرأ من الفصل بضعة أسطر حتى ظهر لي أن المؤلف إنما يتكلم عن الشيوعية الماركسية ويحذر العالم الغربي من أخطارها لأنها - كما يقول - غزوة جديدة تهدد في كيانها كما تهدد الإسلام في القرن السابع لليلاد . . ١ . وإنه لتضمن من المؤلف أوضح وأبلغ من التصريح ؛ لأنه يعلن رأيه ورأى قرانه المقصودين في موقفهم من الإسلام ، وبين لنا أن هناك قوماً من بني جلدته يحسون

مقرظوه : إنه ناقد ثاقب النظر يرى بنظره إلى بعيد . ١ .

* * *

أما الكتاب الآخر فاسمه « العرب » واسم مؤلفه « هارى أليس » وهو كاتب صحفى قضى فى الشرق الأوسط حقبة غير قصيرة مشغلا برقابة الأحوال ومراسلة الصحف العلنية ، وكتابه أشبه بكتب الدراسة فيما يعرض له من التاريخ القديم ، وأشبه بمقالات السياسة فيما انتهى إليه فى ختام فصله الأخير .

يبدأ المؤلف تاريخه الموجز من العصور السابقة للأديان الكتابية ، ويعتبر تاريخ العرب أصلا لتواريخ الحضارات التى عمرت طويلا بين النهرين وبين البحرين ، أى البحر الأحمر وبحر الروم .

ثم يوجز الكلام عن دعوة الإسلام فيقول ، بعد خليط من الحقائق والأوهام : إن سنة ٧٣٢ م وافقت ذكرى وفاة النبي محمد (صلوات الله عليه) فبلغت بدعوته أقصى المغرب وكادت أن تصل إلى أقصى المشرق ، ولم يكن السيف وحده قوام الدعوة بل كان كثير من أبناء البلدان المفتوحة يقبلون على الإسلام لتفضيلهم إياه على عقائدهم ، أو لأن الدخول فى الإسلام يرفع عنهم الضرائب التى تجبى من غير المسلمين ، ولكن

ولا تعرف لها تاريخا أو مستقبلا غير تاريخ طبقة واحدة ؟ .

وما هو وجه الشبه بين دعوة تصحيح المجتمع أو تعالج أدواؤه وبين دعوة تهدم المجتمع ولا تبقى منه بقية تربط بين حاضره وماضيه ؟ .

وما هو وجه الشبه بين دعوة نخهى عدد الضحايا من أعدائهم ومقاومها فلا يزيد على بضعة ألوف فى مائة سنة ، وبين دعوة نخصى عدد ضحاياها فى موطنها وحده فيزيد على عشرين مليوناً فى بضعة سنوات ؟ .

وما هو وجه الشبه بين الصديق والفاروق ، وبين لينين وستالين ؟ .

إن كل شئ فى الإسلام والشيوعية يختلف أشد الاختلاف غير اسم الدعوة أو اسم العقيدة ، إن صح وصف المؤلف للشيوعية بأنها عقيدة دنيوية .

ولكن الشبه المهم الذى جمعه المؤلف تحت عنوان فصله إنما هو فى « النذير » الصريح باسم الدعوتين ، وكفى به عنوانا يغنى عند قرائه المقصودين ، وعندنا نحن ، عن صفحات ومجلدات ! .

هذا الكتاب اسمه « الشيوعية من وجهة العلوم الاجتماعية والنفسية » واسم مؤلفه الأمريكى جـول مونيروت ، ويقول

باللغة العربية إلى الغرب من القارة الآسيوية عن ثلاثين مليوناً بين جزيرة العرب ووادي النهرين وسائر أقطار الهلال الخصيب ، وقد يبلغ العارفون بالعربية من غير العرب عدة ملايين .

والخصلة الأخرى التي ينساق إليها المؤرخ الغربي عن سوء فهم منه للظواهر الفنية أحياناً هي التطفيف من نصيب الذوق العربي الخالص من نهضة الفنون والثقافة في الدول الإسلامية أو « الامبراطورية » الإسلامية كما يسميها

فقد يكون المهندسون أجانب عن السلالة العربية الخالصة ، ولكن الذوق العربي بلا جدال هو الذوق الذي غلب على هندسة المعمار في كل قطر من أقطار المشرق والمغرب ، وما من أحد ينظر إلى العمدان والأقواس التي تحمل القباب ثم يشك في قيامها جميعاً على أساس من إلهام « النخلة » بقوامها المديد التحيل وقبتها المعرشة وأقواسها المتناسقة على جهاتها الأربع ، وليس التقابل بين الأشكال الهندسية على النسق المعروف عند الإفرنج باسم (الأرابيسك) إلا تكراراً في فن البناء للتقابل بين القوافي والأعاريض والشطور في فن القريض .

ولا نكران لنقد الناقدين من جهابذة الفن الذين يأخذون على فن « المعمار » العربي

لا يفهم من ذلك أن المسلمين الذين دخل آباؤهم في الإسلام فراراً من الضريبة كانت عقيدتهم الإسلامية هينة عليهم ، بل كان هؤلاء المسلمون يذودون عن دينهم مستميتين مستشهدين كلما هوجمت ديارهم بعد سقوط « الامبراطورية الإسلامية » ، حوالى القرن الثالث عشر لليلاد .

قال : « وإن العرب الذين كانوا قبل الإسلام بدوا جفافة جلبوا إلى دولتهم الواسعة هديتين جليلتين : إحداهما الديانة التي نشرها محمد (عليه السلام) ... والأخرى اللغة العربية ... فأصبح اللسان العربي واسطة المعاملة كما أصبح واسطة التعليم والثقيف ، فزاد عدد الكتب التي كانت تظهر باللغة العربية بين القرن التاسع والقرن الثاني عشر لليلاد على جملة الكتب التي ظهرت يومئذ بجميع اللغات الأخرى ... ولم يخالف المؤلف ديدن زملائه في خصلتين ملازمتين لاكثر الكاتبيين عن الإسلام والعرب من الأوربيين ، فإنه ليستريح إلى الإفلال من عدد المتكلمين باللغة العربية فيحصيهم بنحو خمسين مليوناً وهو يستطيع أن يعلم بغير حاجة إلى البحث الطويل أن خمسين مليوناً يتكلمون العربية ويعيشون في إفريقية الشمالية وحدها دون سائر الأمم الإفريقية الأخرى وراء مراکش والجزائر وتونس وليبيا ووادي النيل ، ولا يقل المتكلمون

أما أن تجريد المعمار العربي من الرسوم الحية لم يكن يرجع إلى فقدان التعاطف بين العربي وسائر الخلائق الحية ، فهو حقيقة لا تخفى على من يروى القليل من الشعر العربي فضلا عن الكثير . فإن الشاعر الذى لا ينسى الناقة ولا الفرس ولا الربيع والمرعى قبل عصر الحضارة خليق أن يحس الحياة والأحياء تحت قبة السماء ، ولا ينظر أن يخلق إحساسه بها تحت قباب الهياكل والقصور .

ويبتذل المؤلف من حديثه عن عصر الحضارة إلى حديثه عن قضايا العصر الحاضر ، فلا يفوته أيضا أن يدلى بدلوه في تلك السخافة التي تعاهد عليها زملاؤه الصحفيون ، أو المؤرخون العصريون من أبناء الغرب كلما ذكروا قضية فلسطين . . . فهي عندهم قضية كسبتها عصابات إسرائيل من الأمم العربية في ميدان القتال وانتصرت فيها بجيشها وسلاحها على دول العرب محتجعات ، ولم يكن أحد بعيدا عن الشرق الأوسط - يجمل أن إسرائيل كانت تحارب بسلاح الدول الغربية ومالها ، وكانت تلقى التشجيع من تلك الدول فتزحف على الأرض المحرمة ويصبح احتلالها تلك الأرض دأما واقعا ، ودحقا مكتسبا ، على حين يضطر العرب إلى الجلاء عن أمتهم بأمير السادة المسلمين على حكوماتهم وجيوشهم ، ثم يقتل وسطاء الهيئات الدولية الذين

خلوه من صور الكائنات الحية ومن صور النبات في أكثر الأحيان ، ولسكن هؤلاء النقاد ينسون أن مذهب المعمار العربي قابل للدفاع عنه من الجانب الفني الخالص وإن ظنوا أن الدفاع عن هذا المذهب مقصور على الجوانب الدينية ، فقد رأى الفيلسوف الكبير « عمانويل كانت » أن الفن الخالص يتمثل في المعمار العربي وحده ، وقلبا يتمثل على هذا النحو في فنون المعمار الأخرى ، لأن جماله مستمد من جمال الأشكال الهندسية غير مستعار من الصور والأشياء التي يقاس جمالها بغير مقاييس الهندسة ومقاييس البناء ، ومن الإنصاف للذوق العربي أن نذكر أن أشكال الهندسة أقرب إلى قوام الجدار والسقف والعمود الحجري من الصور الحيوانية أو النباتية ، فإذا حسنت التحلية بصور الأحياء أو صور النبات فأحرى أن يوكل ذلك إلى نقش الرسوم التي تعلق بالواحا على الجدران ، كأنها بعض الأثاث الجميل بين سائر المقتنيات الفنية التي تحتويها الحجرات والبيوت .

ومادام الأمر لا يرجع إلى فقدان التعاطف بين الإنسان وسائر الخلائق الحية فلا معابة فيه على الذوق ولا على الشعور ، ولكنه تقسيم لمواضع الجمال الفني حيث ينبغي أن توضع من جدران البيوت أو مقتنيات البيوت .

وبيت القصيد من هذا كله ينجلي عند ختام الكتاب من الأسطر القليلة التي عقب بها المؤلف على كلامه عن النفط في البلاد العربية وعن القوة التي تستفيدها هذه البلاد من تزامم الأمم على آبارها وإدراكهم لخطر مراكزها في معترك السياسة العالمية، وهذه هي أسطر الختام منقولة بحروفها :

... كلما ازدادت ثقة العرب بقوتهم
وجب عليهم أن يثقوا بشعوب الغرب التي
تعودوا أن يسيئوا بها الظنون منذ أيام
الوصاية والانتداب، وعلى الغربيين — من
جانبهم — أن يذكروا أنه قبل قرون عديدة
سبقت وصول الرجل الأبيض إلى أمريكا
كان العرب سادة الدنيا وزعماء حضارتها ؟

عباسي محمود العقاد

يكفون إسرائيل عن العدوان أو يترددون
في استجابتها إلى دعواها فلا ينالها من جراء
قتلهم جزاء ولا يحول بينها وبين المزيد من
معمونة السلاح والمال.

إن البعيدين عن الشرق الأوسط يعلون
ذلك فلا ينساقون إلى القول بانتصار إسرائيل
عن حسن نية، ولا يقررون هذه السخافة
إلا وهم يتعمدون المغالطة ويسترون الجريمة
المشتركة بين حكوماتهم وعصابات الصهيونية
العالمية، فإذا بدرت تلك السخافة من مقيم
في الشرق الأوسط مطلع على الأخبار من
مصادرها فهو في الواقع يتدع تلك
السخافة ويعمل على ترويجها ولا يتورط فيها
مضطرا إليها بعد اختراعها وترويجها.

(بقية المنشور على صفحة ٨٩٨)

تأييد نبي الكلام طول اليوم كما لو قالت :
لا أكلم اليوم إنسيا أبداً أي في جميع أوقات
اليوم، وكذلك قوله تعالى لن تراني . لا يفيد
استحالة الرؤية ونفيها في الآخرة على القول
بأن لن تفيد التأييد وأن موسى عليه الصلاة
والسلام إنما سأل الرؤية في الدنيا فقوله ،
« لن تراني » أي في الدنيا ، فهي تفيد تأييد نبي
الرؤية في الدنيا فأما الآخرة فلا حديث عنها .

محمد علي النجار

وابن يعيش في شرح المفصل يرى مذهبا
آخر في التأييد . فتأييد النبي عنده بلن يكون
على حسب الفعل المثبت قبل ورود لن
فإذا قال القائل : سأسافر فقلت : لن تسافر
فعني ذلك تأييد نبي السفر المطلق ، وإذا قال
سأسافر غدا فقلت : لن تسافر غدا ، فعني ذلك
عنده تأييد نبي السفر في الغد أي في جميع
أوقات هذا الزمن ، وعلى ذلك قول مريم
عليها السلام : فلن أكلم اليوم إنسيا . معناه

مُحَمَّدٌ أَمْرُ الشَّجَرِ الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ

ذَكَرَى الْوَحْدَةَ

لِلأَسَازِئِدِ مُحَمَّدٍ رَجَبِ الْبَيْوَمِ

[روح صلاح الدين البطل الخالد يتحدث عن
الوحدة الرائعة بين مصر وسوريا] .

طُرْتُ عَنْ عَالَمِ الْعِيَانِ وَحَلَقْتُ
أَتَخْطِي الذَّرَى لِأَسْحَافٍ فِي النُّو
حَيْثُ تَأْوِي فِي قُبَّةِ الْخُلْدِ أُرْوَا
تَأْخُذُ الْعَيْنَ بِالسَّنَا وَيَفُوحُ الْآ
فَتَسْمَعُ نَبْأَةَ هَفَّتِ الْأَسْمَا
كَهَفَّتْ عَذْبَةً فَلَاحَ وَقَارُ
قَالَ : مِنْ سُنَّةِ الطَّبِيعَةِ أَنْ يَدُ
يَدْلُهُمُ الدَّجَى فَتَنْتَفِضُ الْآ
فَإِذَا النُّورُ رَاقِصٌ رَقْصَةَ الْمَو
سَيَعِيدُ التَّارِيخُ مَا كَانَ بِالْأَمْسِ
قُلْتُ : أَفْصَحُ ، فَرُبَّمَا كَانَ مِثْلِي

مِلْياً عَلَى ضِفَافِ الْغُيُوبِ
رَ عَلَى قُبَّةِ الْفَضَاءِ الرَّحِيبِ
حُ الْبَهَائِلِ مِنْ بُنَاةِ الشَّعُوبِ (١)
رَجُ مِنْ حَوْلِهَا بِأَذْكَى الطُّيُوبِ (٢)
عُ مِنْهَا إِلَى كَبْشِيرِ حَبِيبِ
يَتَجَلَّى مِنْ وَجْهِ شَيْخِ مَهِيبِ
سَمَ وَجْهِ الْحَيَاةِ بَعْدَ الْقُطُوبِ
مَالُ شَوْقاً إِلَى صَبَاحِ قَشِيبِ
جَ عَلَى مَسْرَحِ الْخُضْمِ الرَّغِيبِ (٣)
سَ قَتِيدُو ذُكَاةٍ بَعْدَ الْمَغِيبِ
فِي اكْتِسَاهِ اللَّبَابِ غَيْرَ لَبِيبِ

قال كان الشام العزيز لعمري
رحف الغرب يستحث الرزايا
بحر الأرض بالدماء وفاض الد
عاصف يمحق الزروع ويرى

مثل مصر يشكو سعار الخطوب
مزبدات في موج جيش صليبي
مع من فوقها كخيث صليب !
أهلات القصور بالتخريب

(١) البهائل : السادة . (٢) الطيوب : جمع طيب . (٣) الرغبة : الواسع :

رام سحق الإسلام في موطن الإسلام
فشكت يثرب ، ومكة دوت
والمحاريب كالمآذن تدعو
عصفت نخوق وفارت عروقي
قلت لا بد أن أوحّد قومي
فالتقت مصر والشّام معا في
وحشدت الصفوف حولي وداهمت
كم كمي من البواسل عندي
الصناديد هاجهم هائج الشر
يغتنى من دماهم وهج الحقد
أكبر الحقد إذ يشب على با
إنه الثّار للكرامة يحو
رؤّع الغاصب الدّخيل لرحف
حاول الكر واثبا فرأى الكر
فانشى ينشد الفرار فأطبقتنا
فستاوى على الدروب قتلا
هكذا الوحدة الآية أهدت
قلت : من أنت ؟ قيل هذا صلا
حدثني نفسى به إذ عرفت البطل
وجلا بسمة فلاح وقار
ثم والى الحديث : مر زمان
فإذا الشرق والعروبة أربا
نق البوم في مرابعها السحم
للصوص الأوغاد عادوا إلى الشّرق فساموه قسوة التعذيب
ذهبوا بالدم الصليب نواحيه فأضحت وحشية التذهيب

لام إذ شن جأحات الحروب
بالنّجيب الزّنان إثر النّجيب
دعوة الضارع الشّجى الحريب
فتقدمت لانتقام رهيب
وبهم أتقى مهبة الكروب
وحدة ضمت ثخين الندوب
قوى الظالمين غير هيوب
علم الضاريات صدق الوثوب
خففوا إلى الحمى المسلوب
وللحقد حرقة كاللهيب !
غ أثير في قلب شهم غضوب
حسرة العار بابتهاج القلوب
سد في وجهه طريق الهروب
نذيرا بهول يوم عصيب
عليه بجاحم من شعوب (١)
دنست منه طاهرات الدروب
راية النصر للشرى المغلوب
ح الدين فاهتز خافق بالوجيب
الفد من صدى الأسلوب
يتجلى من وجه شيخ مهيب !
سارت الشمس فيه نحو الغروب
ض تدجت بحالك غريب (٢)
ودوت غربانها بالنّجيب (٣)
الصوص الأوغاد عادوا إلى الشّرق فساموه قسوة التعذيب
ذهبوا بالدم الصليب نواحيه فأضحت وحشية التذهيب

سلبوا خيره ليحيوا بما غا
 وذوه إن اشتكوا صولة البغي
 حذق الغرب كل دهياء تربى
 ففرنسا كانجلترا تستقيحان
 فصموا وحدة العروبة كي يهوا
 ثم زادوا ففجروا في فلسطين
 علة أعضلت وليس سوى الو
 خاطر جاش في فؤادى فغرد
 لتميت أننى أدع الخلد
 ثم آتى الحياة كي أجعل الخ
 ما أحب الحياة يجتازها الليث
 غير أن الهتاف في مصر دوى
 صاح فيها « الرئيس » بالوحدة
 وضعنا محكم الأساس لصرح
 أرأيت السحاب جاد على البحر
 فعلا الموج ناثرا يقذف اللج
 ما بصادف من الحوائل يحطمه
 هكذا الوحدة الآية غالت
 زحزحت كل عائق وترامت
 بزغ الصبح صبحها فتهاد
 وغداً يغمر الضحى كل شعب
 إن من سنة الطبيعة أن يد
 يدلم الدجى فتنتفض الآمال
 يقفر الموج من تعاشبه الخضر
 ثم يأتى الربيع مؤتلق الوجه

لوا من الرفقة والرءاء الخصب
 ننتهم بشاعة الترهيب !
 شرها الجم حنكة التجريب (١)
 بمصر وأختها كل حوب (٢)
 على أهلها حداد النيوب
 براكين من لظى مشوب !!
 حدة في برء دائها من طيب
 ت أناجيه كالخيال الحبيب
 بما فيه من صفاء وطيب
 لم عياناً يزيل مض الكروب
 يباس جسد وعزم صليب
 فتسمعته بقلب طروب :
 الكبرى فألقى « شكرى » أعز مجيب
 شاق صدّ كل ريح هبوب
 بفيض من الحيا المسكوب
 ويرى بدافق شؤبوب :
 فينهد كأنهيار الكشيب :
 شانئها في زحفها المروبو
 تستحث الخطى لنصر عجيب
 ي الشرق زهواً في ضوئه المحبوب
 عربى يبنى اقتياد الشعوب !
 سم وجه الحياة بعد القطوب
 شوقاً إلى صباح قشيب
 فما فيه غير محل جديد
 فيكسوه كل زاه رطيب

قال ما قال واستراح فراح
سل في عصره السيوف فلما
وتقدمت أستزيد فشعت
قلت : هذا تفاؤل قال بل
قلت : أين الدليل ؟ قال جلى
ومضى في تساؤل هفت الآ

الخلد بيان ساحر موهوب
ورد الخلد سل سيف الخطيب
بسمه لآلات^(١) يبشر خلوب
حق أكيد يجب زيف الربوب
ليس في حاجة إلى تنقيب
لماع منه إلى بشير حبيب

* * *

قال : هل ثم أجنبي دخيل
قال : هل ثم ذلة وانهار
قال : هل في الصفوف بعض اختلاف
قال : ما كان موقف الغرب منكم
أبرم الخطبة الدينية للغز
قال : حدث عن اليهود بإسر
هاجمهم سؤدد العروبة فارتا
أيقنوا أن وحدة ذات بأس
قال : ما تبثغون ؟ قلت سلام
قال : أين السبيل ؟ قلت حياذ
نحن في شرعة المساواة أنذا
قال : فيما ذكرت أقوى دليل

قلت : كلا ، قد بان كل غريب
قلت : بل عزة الحسيب النسب
قلت : إجماع معشر مستجيب
قلت : أمسى بلوعة المنكوب
و وولى بصفقة المغلوب
ائيل قلت ابتلوا بشر حزيب^(٢)
عوا يشقون سابغات الجيوب
سوف تودى برهطهم عن قريب
تتصافى لديه كل القلوب
حال بين التشريق والتغريب
د فم شذ ، بام بالثريب^(٣)
زاد من غبطتى فيا نفس طيبى

* * *

ومضت لحظة فشطت عن العـين
فأثيت الحياة أعلن ما كا
أرصد الوحدة التى تشمل العر
آه من لى بساعة كالتى مرت

تداول عالم محجوب
ن لقوى ولم أكن بكذوب
ب جميعاً مع الغد المرقوب^(٤)
سريعاً على ضفاف الغيوب

محمد رجب البيرونى

بريد المجلة

إلى الأستاذ محمد زكى عبد القادر :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته . وبعد :
فإننا نعتقد أن الغيرة على الأزهري تكاد
تسكون طبيعة في نفس كل مسلم بل في نفس
كل عربي ، فلا عجب - يا أخى - أن يخط قلبك
ويسجل ما تراه واجبا على أمتنا نحو هذا
المعهد العتيق الذى جعله الله قوة واضحة الأثر
في مجتمعنا بل في العالم الإسلامى عامة .

ونحن إذ نحى فيكم روحكم الغيور ، لنرجو
من صميم قلوبنا أن يقتضى بكم غيركم ممن يملك
سبيل التقدير والتوجيه في هذه الفترة الحاسمة
على الأزهري وما يشعه من نور وهداية ومعرفة
على المسلمين في جميع البقاع .

والحق يا أخى أن الأزهري في عهده الجديد
ليس في عزلة ، ولا هو يعرف العزلة وإنما
هو وطيد الصلة بالمجتمع - مجتمعنا الأكبر
الذى يتسع لرسالة محمد بن عبد الله ، ذلكم
أنه ما من مشكلة دينية أو اجتماعية أو ثقافية
أو توجيهية ، إلا كان له فيها رأى ولعلبائه
فيها فكرة ، ولهم فيها نشاط . وأنه ما من
مناسبة من المناسبات الوطنية أو العالمية إلا
أسهم فيها بكل إمكانياته ومقوماته .

لقد وقف الأزهري سدا عاليا فترة حاولت
فيه بعض المبادئ الهدامة أن تندفق إلى أرضنا

الطيبة فحال دون هذه المبادئ أن تجد
السبيل إلى صرحنا المسكين فأصدر البيانات
القوية ، ونظم الدراسات التوجيهية للسادة
الواعظ ، بما كان له الأثر الطيب والنتيجة الرائعة .
إننا جادون دائما في أن نربط بين الأزهري
كشعلة مضيئة فياضة بالعلم والمعرفة وبين
مقتضيات الحياة التى يراها الناس أمرا ضروريا
في حياتهم وفى اتجاهاتهم ، فلأول مرة يصدر
الأزهري كتابا في الفتوى يجمع بين احتياجات
المسلمين على اختلاف أجناسهم ويحقق الترابط
بين ما جد من أمورهم وبين الشريعة الغراء ،
ولأول مرة يصدر الأزهري مؤلفات قيمة تحيط
بجميع النواحي الإسلامية المستمدة من
كتاب الله وسنة رسوله في قالب أخاذ يستميل
النفس والمشاعر إلى ما حقق الإسلام من عدالة
وتوجيه ، معالجة بذلك مشاكل المسلمين
الدينية والاجتماعية بل السياسية أيضا . فهذا
كتاب « من توجيهات الإسلام » ، وكتاب
الإسلام عقيدة وشرعة ، ، والإسلام
والعلاقات الدولية ، الخ .

إن رسالة الأزهري التى تنفذ إلى القلوب
والتي تنبثق منها القوة الفعالة لا بد لها من
أيد أمينة تعاون على حملها ونشرها في العالم
أجمع حتى يتم الترابط الوثيق بين حالة الأزهري

مقال الجبهه والسيعة :

لاتزال الضجة قائمة بين علماء المسلمين وعقلاهم على الكتاب الشديد الذى وجهه لبراهيم الجبهان إلى فضيلة الأستاذ الأكبر فى مجلة (راية الإسلام) التى تصدر فى الرياض باعتباره داعياً إلى التقريب بين المذاهب الإسلامية . فقد تلقى مكتب شيخ الأزهر سيلاً من البرقيات والرسائل من مختلف البلاد العربية والإسلامية يحتج فيها مرسلوها على ما جاء فى هذا المقال من الطعن فى مذهب الشيعة فى الوقت الذى يعمل فيه زعماء المسلمين على توحيد الكلمة وتوكيد الوحدة . والمقال فى ذاته لا يستحق هذا الاهتمام لأنه رأى كاتب غير مسئول أخطأ الصواب فيما كتب ، ومجلة غير رسمية خانها التوفيق فيما نشرت . وليس الكاتب سعودياً فقد تبرأت السعودية من فعلته ، ولا كويتياً فقد أخرجه الكويت من أرضه . والوحدة الإسلامية أقوى من أن ينال منها مثل هذا العبث ، والطائفة الشيعية أوسع صدرأ من أن تضيق بهذه الجرأة . وقديماً افترى أهل الفتن مخدوعين أو مدفوعين فذهب الباطل وبقي الحق .

هذا وقد تلقينا صورة من الكتاب الذى رفعه جماعة من أهل العلم فى التجف إلى فضيلة الأستاذ الأكبر حول هذا الموضوع هذا نصه : فضيلة العلامة الجليل الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر سلمه الله تعالى : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد ، فقد قرأنا

ومقتضيات الحياة على اختلاف مقاصدها وأنواعها . ومع وجود عناصر الخير وحب النهضة للأزهر كدعامة قوية من دعائم الخير فى أمتنا ، نجد الصحافة ، وهى الأيدى الأمانة التى ينبغى أن تعاون الأزهر على أداء رسالته خير أداء . نجدها - مع تقديرنا لمهمتها الإنسانية الكريمة - لا تعطى الأزهر حقه الكامل من الاهتمام والتقدير ، فهل تتخيل يا أخى أن البيانات الناهضة ، والتوجيهات السامية التى يخرج بها الأزهر على الناس تضن الصحف بنشرها ، وإذا ما نشرت فقد تختزل إلى حد قد لا يمكن القارى من الوصول إلى الغرض المقصود .

إننا نعتقد أن الصحافة من أقوى الأجهزة التى تعين على نشر الوعي ، وتثبيت قواعد النهضة التى نرجوها لأمتنا ، والأزهر فى حاجة إلى هذا الجهاز الموجه . يحتاج إلى معاونة المخلصين من أبناء الصحافة التى ينبغى أن تؤمن بالأزهر كعامل فعال من عوامل نهضتنا ، وقوة روحية من قوى الخير .

إننا لنطمئنكم على هذه القوة النابعة من الأزهر ، نطمئنكم على أنه اليوم أشد منه قوة بالأمس ، مع بقاءه حفيظاً أميناً على تراث أمتنا ، ومعينا يرد كل مسلم وينتهل منه كل محب للإسلام ، وسيظل أبداً راعى المثل والقيم والمبادئ ، فلا تستطيع المبادئ الهدامة أن تجد لها مكاناً فى أمتنا .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟
عبد الحكيم سرور
مدير مكتب شيخ الجامع الأزهر

التجني والافتئات والدس الرخيص على أعز مقدساتنا وأغلاها من هذا المتكلم باسم الإسلام وهو أبعد ما يكون عن تمثل روحه ومبادئه بلغة لم يسبق أن انحدر إليها أحد من عملاء الكفر والإلحاد قبله ، أليس معنى ذلك أن أسياده من المستعمرين بدموا يحسون عمق ما تركته دعوتكم الإصلاحية في كيانهن من غور وبخاصة بعد أن عززت من قبل إخوانكم علماء النجف والأزهر وقم ، وتنادى لها المصلحون في كل مكان شاعرين بحسنى مثل هذه الدعوة في القضاء على جذور التفرقة من الأساس واعتبار المسلمين جهة واحدة أمام مطامعهم الاستعمارية والتبشيرية في بلادنا .

إننا يا فضيلة الشيخ لم نكتب إليكم هذا الكتاب لتردوا على هذه الآفات فإنكم أسمى من أن تهبطوا إلى مستوى أمثاله وإنما كتبنا إليكم لتنشروا على الناس بياناً يعرى أمثاله من عملاء الاستعمار ويؤكد دعوتكم الجليلة لتوحيد الكلمة ويحذر المسلمين من أن يندس في صفوفهم أمثال هؤلاء فيلهوهم عن قضيتهم الكبرى في مكافحة الاستعمار بمختلف اتجاهاته وتطهير البلاد من جراثيمه الفتاكة . أخذاً الله بيدكم لنصرة الإسلام والمسلمين وأبقى لكم التأييد والتسديد والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

* * *

حول تجرير العروضي :

في عدد « رجب » من مجلة الأزهر الغراء ،

الكتاب الذي وجهه إلى فضيلتكم المدعو إبراهيم جبهان ونشرته مجلة راية الإسلام ، الصادرة في الرياض بعددها الخامس .

وهذه المجلة كما تدل عليها مواضيعها وتبنيها لأمثال هذا الكاتب إنما هي راية نشرت على الإسلام وتسترخلفها أعداء الإسلام وخصومه ممن ساءهم أن يتنادى المصلحون من علماء النجف الأشرف والأزهر الشريف أمثالكم إلى العمل على توحيد كلمة المسلمين والقضاء على الرواسب المفرقة التي خلفتها القرون المظلمة بروحى من الأعياب السياسية ، وجاء المستعمرون ودعاة الكفر والإلحاد فعمقوا جذورها وأثقلوها بأرزام باعة الضمائر بمن تسومروا على الإسلام بما استأجروه من أقلامهم وذلك حين أحسوا بخطر الدعوة الإسلامية على مصالحهم في البلاد الإسلامية فأرادوا إلهاة المسلمين عن واقعهم وإبعادهم عن روحية مبدئهم المقدس بإثارة معارك جانبية من قبل هؤلاء المأجورين ولو قدر لها أن تستمر لكان من أولى ضحاياها الإسلام نفسه فضلاً عن البلاد الإسلامية ومقدساتها .

ولاشك أنكم قرأتم ذلك الكتاب وشعتم فيه رائحة (النفط) كما شمنا منه ذلك وأدركتم مغزى صدوره في هذا الوقت بالذات حيث تكشفت ملاح الصراع بأجلى صورها بين الكفر بمختلف اتجاهاته الاستعمارية والإلحادية والطبقة الواعية من المسلمين على اختلاف مذاهبهم وإلقابهاذا تفسرون صدور مثل هذا

المكتبات ، كما روى لي ذلك الشيخ العماري نفسه ، والعمدة عليه ، فقد أوضح لي أن الشيخ بدوي - رحمه الله - طبعه لحسابه في إحدى المطابع وتولى توزيعه بنفسه بصفة ملازم على طلابه ، وأن الشيخ العماري أسعده الحظ باقتناء نسخة منه . وقد ذكر لي الشيخ العماري أن بعض الأساتذة الفضلاء مثل الأستاذ الشايب ، لديه نسخة من هذا الكتاب وقد اتصلت به ، فبحث في مكتبته والآن لم يعثر عليه ، وكذلك لم أعثر على الكتاب في دار الكتب الأزهرية ولا في مكتبة كلية اللغة العربية .

هذا وقد أخبرني فضيلة الشيخ محمد سرحان الأستاذ بكلية اللغة العربية : أن الكتاب لم يكمل ، وأن لديه الملازم الأولى منه . وهي كل ما طبع من الكتاب .

وإضافة إلى ذلك فقد ذكر الشيخ على استبعاد اتصالي بالشيخ بدوي ؛ لأنني كما ذكر في مقاله كنت مازلت طالبا بالثانوي ولكنه استبعد عدم اتصال الدكتور أنيس بالكتاب لأنه كان يقوم بتدريس العروض في كلية اللغة العربية وقتاً ما وقد اتصلت بالدكتور أنيس ففني ذلك تفياً باتا واستغرب أن يكون قد اطلع على كتاب ولا يذكره في ثبت مراجعه لكتاب موسيقى الشعر . على حين أنه ذكر من بين تلك المراجع كتاب «أهدى سبيل في علم الخليل» للأستاذ محمود مصطفي هذا وموسيقى الشعر قد ظهر منذ أكثر من عشر سنوات . وكتب عنه الدكتور شوقي ضيف في مجلة الثقافة عام ١٩٤٩ - والأساتذة العراقيون في مجلة

نشر الأستاذ الفاضل الشيخ على العماري تعقيبا على مقال في العدد الأسبق من المجلة جمادى الآخرة ، والذي كان عنوانه «المصطلحات العروضية» وقد لخص الأستاذ العماري - مشكوراً - الأسس العامة للتخفيف من المصطلحات العروضية وهي الأسس التي ذكرتها في مقال . كما ذكر ملخص الفصل الخاص بذلك ، من كتاب موسيقى الشعر للدكتور إبراهيم أنيس .

وقد أشار الأستاذ العماري إلى أن ملخص نظريتي ونظرية الدكتور أنيس منقول عن كتاب العروض والقوافي للرحوم الشيخ عبد الفتاح بدوي .

ولقد توقعت حين ابتدأت في قراءة مقال الأستاذ العماري أن أجد مستنداً يثبت النقل ، أو نصاً متشابهاً ، أو فكرة متحدة ، فلم أجد . ولقد اشتبه الأمر على الأستاذ العماري ، فظن أننا نحن الثلاثة قد اتفقنا في الفكرة .

وعلى فرض هذا كان من المتوقع حيث لم يجد اتفاقاً في التعبير أو تحديد الفكرة ، أن يعزو هذا إلى توارد الخاطر ، ولكنه على العكس تسرع فأصدر حكمه - ساعه الله - باستبعاد فكرة توارد الخواطر .

والحقيقة التي نود إيضاحها هنا تتعلق بمسألتين : الأولى كتاب الشيخ بدوي ، والثانية نظرية التجديد في العروض .

أما المسألة الأولى : فإنني أقرر أنه لم يقع لي كتاب المرحوم الشيخ عبد الفتاح بدوي ولم أسمع به إلا حين قرأت مقال الشيخ العماري . والكتاب لم تنشره إحدى

بحسب الحاجة إلى أن تعقبه بمجهودات أخرى .
أو بعبارة ثانية . أتوقع أن تسنح لي الظروف
أو لغيري باعتناق فكرة التيسير وحلها
من زاويته الخاصة . سواء أكان ذلك الغير
عربيا أم مستشرفا ، فالعلم لا وطن له . وكلنا
يذكر أن العلوم الأدبية عند العرب لم تكن
مجهود فرد واحد ، بل كانت مجهود أفراد
متعددين ، فالتحقيق مثلا لم يضعه سيديويه وإنما
كان مجهود ثلاث طبقات قبله من النحويين .

دكتور محمد الله درويش

الأستاذ المساعد بكلية دار العلوم

حول كتاب: المصحف بالإمام محمد بن جرير

جاءنا من الأستاذ عبد المحسن سليمان
المشرف على قسم القراءات بالأزهر ، رد على
الأستاذ محمد رجب البيومي فيما نشره عن كتابه
المصحف بالإمام الحديث قال فيه بعد مقدمة
لا تدخل في باب المجادلة بالحسنى :

« كتب القرآن في المصحف في عهد الرسول
صلى الله عليه وسلم . وكتب في عهد الخليفة
أبي بكر الصديق ، وكتب في المصاحف
في عهد الخليفة عثمان بتكليف منه يزيد بن ثابت
واشترك معه الصحابة - ولا يخفى أنهم كانوا
كتاب الوحي - وأقرهم الرسول وأبو بكر
على ما كتب في صحفهم ثم تمت كتابة المصحف
في عهد سيدنا عثمان على الرسم المعروف
بالعثماني بإجماع الصحابة - ولهذا الإجماع
أصبح الرسم العثماني سنة متبعة لا يقف أمامها

الرسالة . ولم يشر واحد منهم إلى هذه المسألة ،
فلماذا لم يكتب عنه الشيخ العماري الآن ؟ .

وأما المسألة الثانية ، وهي التي تتعلق بفكرة
تجديد العروض تتلخص في أنني أنهى فناء ،
قيامي بتدريس هذا العلم في كلية دار
العلوم أخذت أبحث عن طريقة تبسط
قواعده ، فراجعت كثيراً من الكتب
ومن ضمنها « موسيقى الشعر » واهتديت
إلى أساس يمكن أن يتخذ نقطة بدء للتبسيط .
وفكرت مغايرة لفكرة الدكتور أنيس ،
وهما مغايرتان لفكرة الشيخ عبد الفتاح بدوي
كما يذكرها الشيخ العماري .

ففكرة الشيخ - رحمه الله - ترجع البحور كلها
لبحر واحد . وفكرة الدكتور أنيس تختصر
عدد التفعيلات . أما فكرتي المتواضعة ،
فتركزت على أساس عدم الربط ، وفك الصلة
بين الدوائر وبين البحور ، وكذلك عدم ربط
الزحافات بالتفاعيل وذكرت بعض النتائج
التي تترتب على ذلك .

فالنظريات الثلاث - إن ساء لنا أن نسماها
بذلك - تختلف بعضها عن بعض . وإن كان
الهدف واحداً وهو تبسيط العروض .

وزيادة على ذلك فإنه لم يخطر ببال مطلقاً
أن أدعى لنفسى سبق أو التفرد في هذا المضمار ،
بل على العكس ذكرت في آخر مقالتي : أنني
استفدت من بحوث المتقدمين ومن بينها بحث
الدكتور أنيس ، فبحسبى يعتبر مكمل له ، وإن
اختلفت الزاوية التي ينظر منها كلانا للموضوع .
ثم أردفت ذلك بأن هذا مجهود مبدئي

القرآن في هذه الرواية — وهكذا على سبيل المثال لا على سبيل الحصر .

إن الإمام مالكاً رضي الله عنه حذرنا من الإقدام على مثل ما يقترحه الكاتب ، وهو تابع للتابعين - وإمام دار الهجرة وحذرنا من كتابته بالرسم الإملائي حيث يقول الإمام الشاطبي في العقيلة : (وقال مالك القرآن يكتب بالكتاب لولا مستحدثاً سطر) إنا نحسب أن يطالب الكاتب بإعادة فتح مكاتب تحفيظ القرآن في القرى وغيرها وتشجيعها كما كانت قديماً . كانوا يحفظون القرآن صغاراً وكباراً عن ظهر قلب — والقرآن هكذا يرسم منذ عهد الصحابة للآن لم يقف حائلاً بينه وبين حفظه — فأين نحن الآن من التلامذة الذين كانوا يحفظونه في سن مبكرة - رحم الله تلك الأيام التي لوقام فيها المبتدئ وقرأ (أفلم ييأس الذين كفروا) لقامت الدنيا وقعدت - فما بال الكتاب الذين يدعون العلم اليوم وهم لا يعلون لقد أخذ الكاتب ومن شايعه إلى ابن خلدون ونسب أو تناسى أن التغيير الذي حدث في عهد أبي الأسود والخليل بن أحمد لم يكن في صلب الرسم ، ولكنه كان في الشكل والنقط ، وبديهي أن الشكل والنقط ليسا توقيفين ولم تجمع عليه الصحابة ولم يكن موجوداً في عهد الخلفاء ، ولا في عهد عثمان رضي الله عنه حتى يقرهم عليه كما أقرهم على الرسم . وإلى ذلك أشار الإمام الشاطبي بقوله :

رأى فيلسوف أو ملحد بعد ذلك . وإلى ذلك أشار العالم الشنقيطي في كتابه المسمى بكشف العمى بقوله :

رسم الكتاب سنة متبعة
كما نحا أهل المناحي الأربعة
لأنه إما بأمر المصطفى
أو باجتماع الراشدين الخلفاء
وكل من بدل منه حرفاً
بأه بكفر أو عليه أشقى
فإذا ما كتب المصحف بالرسم الإملائي
الحديث كافتراح الكاتب فمعنى ذلك أن تكون
القراءة تابعة للكتابة — إذا ماذا نفعل في
مثل - كهيعص وفي (يوم يأتنا تكلم)
والظنوننا ، — لا شك أننا سنثبت الياء في
(يأتي) ونحذف الألف في (الظنون) تبعاً
للقاعدة الإملائية ، ولا شك أن اللفظ القرآني
سيتغير . إن رسم القرآن الكريم معجز كما هو
معجز في معناه . . . وقد كتب هكذا ليحمل
الروايات الصحيحة التي نزل بها القرآن
الكريم ، فمثلاً (وإيتاء ذى القربى) (والعلو)
وهكذا بزيادة الياء والواو إشارة إلى قراءة
حزرة عند الوقف : (وملك يوم الدين)
بحذف الألف إشارة إلى قراءة من حذف
الألف . والألف مقسدة عند من يثبتها
وحذف الياء في قراءة (ما كنا نبغ) إشارة
إلى لغة هذيل — ولو أثبتناها لضاع اللفظ

(جسر دوه كما يهوى كتابته

ما فيه شكل ولا نقط فيحتجرا)
ومن هنا جاز الشكل والنقط لأنه لم يغير من
الرسم شيئاً ، أما تغيير الرسم فلا فرق بينه وبين
ما عزمت عليه وقامت به إسرائيل من تحريف
في طبع المصحف وتوزيعه ، بل هو فرصة
لتنفيذ أغراضها في ظل هذا الغبار المصطنع .
إن الهجاء الإملائي عرضة للتغيير والتبديل
حسب ما تقتضيه العصور ، والقرآن ليس
كذلك ، تنزيل من حكيم حميد ، لا يتبع
الأهواء ، ورسمه هكذا حق مؤبد (والحق
أحق أن يتبع) .

إننا نتظر بعد ذلك أن يعلن شخص آخر
أن التلاميذ الأجانب لا يعرفون القرآن
بالرسم العربي ، ولذلك فإنه يقترح أيضاً أن
يكتب المصحف بالرسم الانجليزى أو الألمانى
ولإلغاء الرسم العثمانى .

وإنما نحن نزلنا الذكر وإنال له لحافظون ،
ورحم الله الإمام البيهقى إذ يقول في كتابه
شعب الإيمان : (من يكتب مصحفا فينبغى
عليه أن يحافظ على الهجاء الذى كتبوا به
تلك المصاحف ولا يتخالفهم فيه ولا يغير
عما كتبوه شيئاً ، فإنهم كانوا أكثر علما ،
وأصدق قلباً ولساناً وأعظم أمانة فلا ينبغى أن
نظن بأنفسنا استدرا كالعليهم) انتهى بلفظه .

والاستاذ محمد رجب البيومى يقول :

حاولت أن أجد فيما نشر بالجزء الأخير
من مجلة الأزهر حول مقالى عن تغيير رسم
المصحف العثمانى ما يقنعنى من رأى فلم أوفق ،
إذ أن من عارض فكرتى من القراء قد سلك
فى النقد مسلكاً خطايا يعوزه البرهان الدقيق ،
وماذا نقول فيمن يتمسك بالرسم العثمانى ، لأن
المدرسين الأوائل من عهد عثمان لم يغيروه ،
ولأن نقولاً كثيرة لبعض الأئمة تدعو إليه ،
وتشدد فى وجوب اتخاذها ؛ ولأن بعض
المستشارين بمجلس الدولة أيدهم فى حكمه
القضائى ، أليس فى مقالى السابق ما يدحض
ذلك كله ؟ فهل أكرر ما سطرت من جديد ،
أو أدعو الناقدين إلى معاودة القراءة عن زودة
ولمعان ، وإذا كانت الدهشة قد استولت عليهم
حين وجدوا عالماً أزهرياً يدعو إلى تغيير رسم
المصحف ، فماذا تصنع بهم الدهشة حين يعرفون
أن عالماً أزهرياً جهورياً كالاستاذ حسين والى
قد دعا إلى ذلك ، وهو رئيس لجنة الفتوى
بالأزهر وأحد أعلام جماعة كبار العلماء
وأئمة المجمع اللغوى !! على أننا لا نتعبد
بالأسماء ، ولكننا نسجل على أنفسنا أننا
متبعون لا مبتدعون !! .

محمد رجب البيومى

choisir l'opinion juridique la plus appropiée et de donner la préférence à l'avis le plus heureux.

L'historien El Kandi rapporte dans son ouvrage intitulé "Al Woultès Wa Al Koudates" (Les Walis et les Juges) qu'un juge, adepte de l'Ecole Chaféite, vivait au Caire au temps du grand savant Al Imam Al-Tahawi. Ce juge était connu par son intégrité, sa foi solide et sa liberté de fonder son jugement sur l'avis qu'il estime équitable prenant les avis de toutes les doctrines sans se borner à l'une d'elles et il prouva; son tintement un jour il sollicita l'opinion du grand savant relativement à une question d'ordre juridique charéï. Le savant lui demanda : " Vous sollicitez mon opinion ou celle d'Abou Hanifa ? ".

"Et pourquoi donc cette interpellation ?, " demande le juge.

El Tahawi répliqua : "J'ai cru que vous me preniez pour un imitateur."

"Non, répond le juge, . Nul n'imité que le fanatique ou le sot."

Or, cette grande fortune juridique n'a été cachée aux hommes que par l'ancienne forme de rédaction. Aujourd'hui que la civilisation a évolué et que la mentalité a changé, il convient que les livres et l'enseignement aillent de pair avec les exigences du siècle.

Chers Auditeurs,

J'ai fini avec la troisième épreuve que traverse actuellement la langue arabe, sauf que dans celle-ci l'attitude de l'Azhar doit être positive. Il doit, pour détourner cette épreuve, opposer l'action à l'action, la vigilance à l'intrigue, et la propagande à la propagande.

Il doit se tenir toujours en éveil pour confondre ceux qui essaient, soit par passion, soit par ignorance, d'altérer la langue de Musulman et d'affaiblir le lien qui unit les Arabes.

Les Azharistes qui ont si bien gardé le dépôt de Dieu et porté aux peuples la missive de son Prophète durant plus de dix siècles, sont à même de détourner le danger de ces écoles libertaires et de cette anarchie littéraire pour protéger la langue et la religion, et, ce, en se jettant de tout cœur dans la lutte et en se souvenant qu'ils sont les soldats de Dieu qui les opposent à l'ennemi à chaque moment, en quelque lieu et sous n'importe quelle forme. Ils doivent ainsi vivre pour la mort en soldats, travailler pour la vie, comme les généraux et se détourner des biens de ce monde comme les Apôtres.

Hommes de l'Azhar, Croyants et Fidèles :

Le Très Haut a promis d'assurer à la langue arabe la vie, ne son éloquence par la vie du Coran et c'est par vous, comme par nous, vos aides, que Dieu Soit Loué, a tenu sa promesse.

poètes continua à faire usage de l'arabe correct, pour tenir la correspondance des rois, ou pour composer des livres à l'usage des classes instruites et cultivées. c'est ainsi que la langue vulgaire domina la vie de la nation et prit le dessus dans les affaires publiques comme dans ses différents buts. car la langue populaire est libre et n'admit pas les restrictions. Elle est naturelle et rejette tout art. Elle reçoit tout ce qu' on lui donne, emprunte à toute langue et à toute forme d'expression, selon n'importe quelle règle. Pour se comprendre entre eux, les hommes préfèrent le facile. Ils sont de l'usage qui est à leur portée. le retard apporté par une langue à suivre la marche du temps et à s'accorder avec la vie signifie pour elle l'inertie. Or, la fin certaine d'une langue inerte est la mort résultant de l'avantage pris sur elle par les dialectes populaires qui finissent par prendre ses lieu et place.

L'Académie de langue Arabe s'est rendue compte de ce danger et a donné suite à une proposition que j'ai faite et qui tend à :

1) libérer l'application des règles de grammaire de façon à régir indistinctement le régulier et l'irrégulier.

2) libérer également de la restriction du temps et des lieux, les mots qui ont été introduits dans la langue par oui-dire, de façon à ce que l'on admette, comme arabes, les

mots que l'on entend de nos jours des différentes classes de la société, comme les maçons, le menuisiers et autres gens de métiers ou d'arts.

3) Ouvrir aux contemporains la porte de formation et d'introduction dans la langue arabe de nouveaux mots, et ce en ayant recours, soit aux préfixes, suffixes et dérivés, soit à l'improvisation.

4) Reconnaître en conséquence, comme arabes, les nouveaux mots qui seraient ainsi introduits dans la langue, au même titre que les anciens.

C'est en s'inspirant de ces directions et d'autres que l'Académie a préparé son dictionnaire "Al Wassit" qui paraîtra prochainement.

Quant à l'innovation dans la jurisprudence en [matière religieuse (Al Ijtihad)], les portes de cette science ont été originellement ouvertes par des savants maîtres qui furent à la hauteur de leur tâche. Mais, une fois que ces [sciences ont été complétées et établies à travers les siècles, sur des bases solides et sur des opinions sages à même de satisfaire tous les besoins sociaux, à répondre aux questions des adeptes de toutes les écoles doctrinales et à donner solution à tous les problèmes qui surviennent, les savants, se sont passés de l'innovation ayant des richesses en abondance et leurs efforts se sont dirigés vers une autre variété de jurisprudence, celle de trier et de

La différence entre les livres de l'Azhar et les livres modernes d'enseignement, est celle existante entre une boutique à Ghourieh et une maison de commerce à Kasr El-Nil. Il se pourrait que la vieille boutique contienne des marchandises et des objets d'art introuvables au grand magasin mais le fait de les tenir cachés dans un coin invisible et de ne pas les exposer convenablement diminue leur valeur et en détourne l'acheteur.

Or, si nous étalons les trésors de l'Azhar dans une belle exposition qui attire par ses leçons, ses conférences, ses mémoires et ses livres, nous rendons ces trésors accessibles aux étudiants qui pourront en profiter et en saisir les beautés, sans peines ni dur labeur.

* *

La mission de l'Azhar s'asseyait, comme je viens de le dire, sur deux bases : la religion et la langue. Mais les moyens qu'il doit employer pour remplir sa double mission sont tout à fait différents. La religion est parfaite parce qu'elle est l'œuvre de Dieu, mais la langue est imparfaite étant l'œuvre de l'homme. La perfection divine ne s'altère ni par le lieu ni avec le temps. Elle n'est hostile ni à la civilisation ni à la science. Elle est toujours neuve, toujours bonne et à jamais immuable.

Par contre, l'imparfait est sujet à la décomposition, à l'inertie et au

retard comme il est l'objet de la croissance, du renouvellement et de l'évolution. C'est pourquoi, l'innovation est une nécessité que la nature exige, car la langue ne peut demeurer immuable à l'instar de la religion, ni se tenir indépendante au même titre que le vivant. Elle est constituée par un ensemble de mots par lesquels chaque peuple exprime ses besoins, et les besoins ne finissent jamais, et les idées ne s'épuisent pas non plus. Les humains ne peuvent donc pas demeurer muets alors qu'ils voient et constatent que les besoins se renouvellent, que les idées renaissent, que la civilisation leur fournit journellement une nouvelle invention et que la science leur réclame des termes nouveaux.

Rien ne justifie ce mutisme sauf que les Bédouins, qui étaient assiégés dans les limites du temps et de l'espace, n'ont, en leur temps, pu prévoir ces choses pour leur donner les dénominations adéquates. De fait de la négation du droit pour les "Mouwalladines" (Arabes créoles) d'introduire de nouveaux mots dans la langue, (ce droit ayant été exclusivement réservé aux Arabes régions sisées à l'intérieur de l'Arabie - Al-Amssar jusqu'à la fin du 2ème siècle de l'Hégire, et, aux bédouins du désert jusqu'à la fin du 4ème siècle il est résulté que la langue vulgaire déborda l'éloquente et que, seule la classe des savants, des lettrés et des

des livres d'Al-Azhar comme Al-Akkad, El-Rafféi, Chawki et Hafez Ibrahim en Egypte — Al-Boustani, Al-Yazigui 'Al-Chidiac, Moutrane et Al-Khoury au Liban — Al-Maghrabi, Al-Chéhaby, Al-Gabri, et Al-Santawi en Syrie — Maarouf Al-Rassafi, Al-Zahaoui, Kachef El-Chatta, Al-Chabibi, et Al-Assari en Iraq — et enfin Al-Nashashibi et Al-Sakakini, en Palestine.

Mes Chers Auditeurs,

Je suis un fervent partisan d'une réconciliation entre la langue arabe éloquente et le dialecte parlé. A l'Académie de Langue Arabe, j'ai demandé à inclure dans la langue pure. les mots et les expressions dont fait usage le dialecte populaire pour désigner les noms des objets et des choses que la civilisation a introduites dans la Vie publique, ce qui limitera l'étendue de la différence existant entre les deux façons de s'exprimer et finira par les amalgamer en une seule langue grâce à la presse, à la radio et à l'école et ce en empruntant, à l'arabe pur, la correction, l'élégance, l'éloquence et la noblesse, et, au dialecte, la finesse, le naturel, la vitalité, la nouveauté et la précision.

Quant à admettre que notre langue devienne comme celle des peuplades sauvages, c'est à dire sans règles, ni beauté, ni perfection, sans aucun lien qui rattache le passé au présent et à l'avenir et à l'avenir et sans aucune unité qui nous réunit; cela constituerait une erreur grave

que personne ne saurait admettre et une fausse opinion que nul sage ne pourrait y souscrire.

Par contre, si nous laissons les choses en l'état où elles se trouvent, nous aboutirons au débordement du dialecte populaire, car, l'oreille s'y étant habituée et les règles en étant naturelles, on n'aurait pas besoin pour l'apprendre d'un livre, d'un professeur ou d'une école, mais bien d'un concierge, d'un domestique ou d'une rue.

Comme je l'ai déjà expliqué, le fait par langue populaire de l'emporter sur la langue éloquente signifie le détachement des lettres de la religion et du présent du passé ainsi que l'affaiblissement des liens qui unissent les Arabes entre eux.

D'autre part, je suis persuadé que pour remédier à cet état de choses et venir en aide à notre belle langue, il nous faudra pénétrer profondément ses secrets, comprendre à fond ses règles et apprendre complètement ses lettres. Cela exige, de notre part, de l'effort et du travail. Nous devons bien préparer le maître et le sujet. Nous devons recourir à l'expérience pour établir les méthodes et les programmes, et au goût et à la logique, pour composer les livres. Or les livres que nous avons eu en main pour nous instruire et dont nous nous servons encore sont des trésors des sciences auxquels manquent cependant la facilité, la mise en ordre et la beauté de la présentation.

Ils en veulent à ceux qui leur conseillent de modérer leur hâte, qui les soumettent à un dur labeur ou qui leur expliquent que nul, dans le passé comme dans le présent, n'a pu devenir écrivain, poète, romancier ou auteur, sans avoir au préalable étudié et approfondi les règles fondamentales de sa langue, règles qui permettent d'écrire et de discourir correctement.

Si, en lisant un journal ou un livre, vous n'y relevez aucune faute de nature à découvrir le secret de la fraude, c'est bien grâce à l'effort et à la science de ces soldats inconnus, ces Azharistes de mérite qui veillent jour et nuit dans les bureaux de presse et de publicité et qu'on nomme les "prôtes". Ils passent leur plume à l'encre rouge sur les fautes, redressent les erreurs et éliminent les mots inusités ou étrangers et donnent de la force aux expressions faibles.

Nous ne trouvons aucune objection à ce qu'on simplifie aux étudiants et aux élèves les règles de grammaire, de syntaxe et de rhétorique; mais le mal réside dans l'éténdue de ces simplifications. Aucun mal à supprimer, des manuels destinés aux débutants, les règles des "sous-entendus", des "justifications" et de la philosophie, de la langue, ou à éliminer les diverses possibilités ou variétés d'analyses que la langue a conservées, eu égard à la diversité des dialectes des arabes de la

Gahileya, dialectes qui ont bouleversé la langue arabe à tel point qu'ils ont même servi à justifier toutes les erreurs. Mais, tout le mal consiste à dégarnir les sciences arabes de tous les attributs de la force, de la fertilité et de l'art pour en faire un squelette qui jouit de la légèreté, de la forme et de la simplicité et auquel manquent les muscles, les nerfs et l'âme.

Que resterait-il de ces sciences ainsi diminuées et aussi sujettes à l'oubli? Peu de chose bien loin de suffire à la vie d'une langue et à l'existence d'un art littéraire. Ces restes peuvent suffire à passer un examen ou à obtenir un diplôme. Mais ils ne peuvent certainement pas suffire à former ceux que l'Azhar a pu former avec ses livres et ses savants cheikhs, tels que :

1) Mohamad Abdou, Saad Zaghloul, Al-Manfalouti, Al-Bichri et Taha Hussein.

2) Ceux instruits à Dar El-Ouloum, tels que Abdel-Aziz Jaouiche, Al-Mahdi, Al-Khodary, Al-Sacandri et Al-Garem.

3) Ceux qui ont fait leurs études à l'Ecole des Juges Charéïs, à n'en citer qu'Ahmad Amine, Azzam, et El-Kholi.

4) Ceux qui ont été étudiants à l'Ecole Normale Supérieure "Dar Al-Mouaallimine", tels que Choukri, Al-Mazini et Abou-Hadid.

5) Ceux enfin qui ont fait usage

advint aussi que les flots de la littérature européenne ne débordèrent avec leurs nouvelles écoles pleines de futilités et de fiel et que ces écoles influencerent ces jeunes qui n'ont reçu qu'une molle et insuffisante culture arabe. Epris de l'enseignement de ces écoles, ces candidats se détournèrent de leur propre culture et oublièrent leur histoire. Ainsi, les "Françaisés" parmi eux connaissent, Victor Hugo; mais ne connaissent pas "Al-Moutanabbi", étudient "Voltaire" mais non "Al-Jahez", lisent "Lamartine" et ne lisent pas "Al-Badie Al-Hamazani": D'où cette sujétion imposée par notre jeunesse à nos lettres, au profit des lettres de l'Occident. Les formes de leur style sont celles des Européens, leurs écoles littéraires sont celles des auteurs occidentaux, ainsi que les mesures de leur art critique.

Ils voudraient même que la langue arabe, fille du désert découvert, du soleil levant et de la nature franche et souriante, adoptât le symbolisme, fils de l'horizon nuageux, de la langue béguaieuse et de l'âme en complexe. Ils voudraient aussi que l'existentialisme, fils des moeurs en décomposition, du goût inverse et des sens libres, soit admis par la langue arabe, de la divine missive qui a ennobli l'homme et qui l'a distingué de l'animal, en lui retraçant des limites établies par la religion et les moeurs, limites qu'il est raisonnable, ni outrepasser tant qu'il demeure croyant.

Mes Chers Auditeurs,

Entre les lettres et la science, l'espace est vaste et la différence est bien grande :

Les lettres appartiennent à l'âme et la science aux hommes. Les lettres sont citoyennes d'une même patrie ; et la science n'a point de patrie. Les lettres comme l'âme dans le corps et coulent comme le sang dans les veines. Elles forment la personnalité de l'être pour qu'il vive indépendant par lui-même et distinct des autres. Elles révèlent et affirment la personnalité d'un peuple qui se distingue par les hommes qui le forment. Les lettres comportent une race, une langue, un goût, un milieu, une mentalité, une croyance, une histoire et des traditions.

Tout autre chose est la science.

Il nous est naturellement permis d'emprunter aux autres une part de leur science pour parfaire notre insuffisance et compléter ce qui nous manque ; mais il n'est point permis de leur emprunter ce qui représente nos âmes et nous-mêmes, soit une part des lettres. Le perfectionnement de l'étude de la langue arabe d'après les méthodes vraies et productives ne coûte pas aux candidats plus d'efforts que l'étude du français ou de l'anglais. Malheureusement ils vivent dans le siècle de la vitesse et visent le proche facile. Ils ont hâte d'acquérir la science et de produire.

assimilent leur l'ange, et approfondissent ses lettres et qui savent Pourquoi telle expression doit-elle prendre telle forme plutôt qu'une autre. Et, si ces belles figures venaient à disparaître, auraient-elles des successeurs capables de garder le dépôt de la langue et porter loin la mission des lettres ?

C'est à l'Azhar qu'ils appartiennent de répondre. C'est lui qui, par sa nature et sa raison d'être, se trouve être le rempart, le refuge et le sauveur de la langue arabe dans le passé comme dans le présent.

Quant aux autres écoles, tout porte au pessimisme en ce qui les concerne. Elles appliquent une méthode pratique presque vide de règles et un enseignement superficiel et insuffisant qui ne visent que le succès, aux examens, de l'étudiant ou de l'élève, par n'importe quel moyen. On y voit les cours se résumer en précis, et les Précis en résumés sténographiés. Qu'en reste-t-il dans la mémoire ? Des réminiscences d'idées flottantes et nuageuses, floues et imprécises, le tout ajouté au dégoût de l'étudiant de produire un effort utile pour cultiver la langue et la plume et pour approfondir le fond et soigner la forme. Il se contente en somme du peu qui lui permette le passage d'une année à l'autre ou l'obtention d'un certificat ou d'un diplôme.

Une fois que le jeune débutant

quitté ces écoles, n'emportant qu'une faible notion de sa langue, mais se sentant cependant doué par la nature, et enclin vers les lettres il rejette les trésors de l'art littéraire arabe pour se tourner vers les chefs d'œuvre de l'art de l'Occident. Il s'applique à en approfondir l'étude et à en saisir les beautés. Une fois qu'il les assimile, sa mémoire en déborde et ses sens se réveillent. Il a la volonté et le désir d'écrire quelque chose d'utile et il a le sentiment d'avoir la faculté qui crée et l'image qui plaît et qui réjouit; mais il ne possède pas la langue qui exprime ni la plume qui touche. Furieux et pris d'une rage impuissante, il a l'audace de prétendre que la langue arabe serait impropre à exprimer la pensée et que l'analyse des mots serait un obstacle infranchissable. Il va jusqu'à devenir extrémiste en incitant les écrivains à se libérer absolument de toutes règles et à écrire comme bon leur semble.

Quant à l'autre espèce, le candidat ordinaire, celui-ci redevient illettré comme à l'origine s'il lit il ne lit que le facile et ne le cherche que dans un roman populaire, qui anesthésie les sens, ou dans une revue humoristique qui éveille les passions. Les romans et les revues de cette nature étant ainsi trop recherchés, les écrivains légers se mirent à offrir en abondance des brochures contenant le produit d'une basse littérature nuisible et inutile. Il en

à en former des langues distinctes, et qu'une fois qu'ils débordaient la langue éloquente, aucune compréhension ne serait plus possible entre Arabes, ce qui affaiblira le culte, rompra les liens de l'unité, dispersera la force et permettra au colonisateur d'engloutir les pays arabes, sans peines ni difficultés.

Cette propagande a été vouée à l'échec par le fait de la faiblesse de la colonisation et grâce au réveil des nations arabes.

Quant à l'ignorance, qui constitue l'autre origine du mal, elle succéda à la colonisation dans sa propagande criminelle. Par ignorance, il faut entendre le fait par les Arabes d'ignorer leur langue et de rejeter ses sciences et ses lettres. C'est ici qu'apparaît le crime des écoles civiles récentes qui ont échoué, après bien d'expériences et un temps plus ou moins long, à former le lecteur qui comprend ce qu'il lit, l'écrivain qui sait ce qu'il écrit, et le penseur qui réfléchit. La preuve la plus palpable de cet échec est le cas de l'élève qui fréquente ces écoles. Il y passe dix années d'études à apprendre la grammaire. Une fois qu'il quitte, il se sent incapable d'écrire ou de s'exprimer correctement. S'il se sent doué par la nature, il ne trouve de mieux, que d'écrire en arabe vulgaire et d'inciter les autres à limiter et à s'affranchir des règles et des restrictions de la langue, substituant ainsi l'anarchie à l'ordre, et l'erreur à la correction.

Autrefois, l'arabe et les sciences y afférentes étaient enseignés à l'Azhar et par ses filiales "Dar El Ouloum" et l'Ecole des "Juges Char-éis", ainsi que dans d'autres écoles qui appliquaient ses méthodes tant en Egypte, qu'au Liban, en Syrie et au Maghreb. Cet enseignement était profond et permettait à l'étudiant doué et appliqué de comprendre ce qu'il lisait, d'approfondir ce qu'il savait, de motiver ce qu'il critiquait et d'analyser ce qu'il goûtait. Si plutôt, les théories acquises étaient complétées par la pratique, le candidat doué se révélait prosateur de mérite, poète de talent ou critique de valeur. Par contre, le candidat sans talents littéraires, mais doué toutefois de patience et de jugement, devenait un savant qui préparait les moyens, facilitait les sources, dirigeait les talents et raffermisait les pas.

C'est à ces deux sources que le mouvement littéraire puise ses éléments vitaux qui lui permettent de se développer pour fleurir, de croître pour se propager et de s'élever pour durer. C'est à cette catégorie des adeptes des anciennes méthodes de l'Azhar qu'appartiennent les véritables hommes de lettres qui ont sauvegardé l'héritage de cette langue, qui ont renouvelé la jeunesse de l'art littéraire et qui ont jeté les bases de cette restauration littéraire récente. Heureusement, il en reste un certain nombre dans les pays arabes. Nobles figures et fins littérateurs qui

De plus, clairvoyance se révéla par l'envoi en Europe de ces étudiants choisis pour y parfaire leur éducation, tels que : Ibrahim Al-Nabarawi, Ahmad Hassan Al-Rachidi, Mohamad Aly Al-Bakli, Rifaa Al-Tahtawi et Aly Moubarak.

Ce nouveau bienfait, à enregistrer, contribua au relèvement de la langue arabe.

La langue arabe traversa donc ces deux épreuves consécutives et s'en tira indemne, grâce à l'Azhar. Ce fut pour le plus grand bien du Livre de Dieu et de sa religion.

Mais la langue arabe passe actuellement une troisième épreuve qui menace de la bouleverser, de parler atteinte au Coran, de couper la religion de sa base, détacher l'Arabe des siens, descendre l'art littéraire du Parnasse de son inspiration et du temple de ses dons où résident le sublimisme, la grandeur, la noblesse, pour la jeter dans la fange du matérialisme où résident la bassesse, le dévergondage et la dépravation.

Cette épreuve est celle venant de l'école dite "libre" ou plus exactement de l'école des libertaires qui met la langue vulgaire au dessus de la langue éloquente, qui préfère les lettres populaires à celles des grands lettrés, les sujets qui excitent à ceux qui éclairent. Elle enseigne que l'écrivain et le poète sont libres

d'écrire comme bon leur semble et qu'ils n'ont pas à se conformer aux règles et aux préceptes de la grammaire, de la syntaxe, de la littérature de la poésie, ni non plus aux règles de la morale.

Cette épreuve a pour origines la colonisation et l'ignorance.

La colonisation s'est rendue compte que la religion et la langue forment les deux liens qui unissent les Musulmans de tous les pays et que, tant que la nation de Mohamed demeure unie par ces liens, l'indépendance des pays arabes doit, tôt ou tard, s'accomplir. Aussi, c'est pour arrêter cette marche vers l'indépendance que la France a toujours essayé de détourner les Berbères de leur religion.

A ces fins, elle décréta Loi connue sous le nom d' "El-Zahir" et s'employa à faire la guerre à la langue arabe, en l'éliminant des écoles et des administrations de l'Etat. Toutefois, la religion de Dieu fut plus forte que "le Zahir" de la France, et la langue du Coran fut plus tranchante que celle de l'épée.

Quant à l'Angleterre, elle fut plus astucieuse et plus diplomate. Elle se contenta de propager le dialecte populaire par l'organe des orientalistes, des fonctionnaires et des missionnaires, car elle se rendait compte que ces dialectes différaient totalement les uns des autres jusqu'

Nous ne citerons que le Firoz-abadi, Abil-Séoud, Al-Fanari, Moulla Khesrou, Al-Gami, Al-Khiali, Khoja Zadé, Moulla Mesquine, Moulla Loutfi, Hajji Khalifa, Tachokéri Zadé, et Ibn Kamal Pacha.

Les sultans ottomans eux-mêmes étudiaient l'arab et ses lettres au même titre que le Turc. Parmi eux, on compte des poètes qui composaient en langue arabe ou qui renaient par coeur plus d'un poème.

A titre d'exemple, nous citons un beau poème lyrique composé par le Sultan Ahman Ier :

"J'ai aimé, sans pouvoir y arriver ni captiver,

une gazelle qui fait la guerre .

"Avec ses yeux armés d'épées et de son regard qui m'a blessé au fond du coeur.,,

Les savants turcs ne commencèrent à négliger et à délaisser la langue arabe que sous le règne des sultans Mahmoud II et son fils Abdel-Hamid Ier, et à l'époque où ces deux monarques restaurèrent la langue turque en simplifiant ses règles et en rendant l'accès facile. Depuis lors, cette langue fut dénommée "langue ottomane". Vous voyez ainsi que la langue arabe a passé six siècles entre l'agonie et la mort, dont trois sous la domination mongole et trois autres sous la domination ottomane. Durant ces six

siècles, elle cessa de vivre aux Indes, au Khorassane, en Iraq, en Andalousie et dans les pays ex-Romains, pour continuer à survivre dans les pays arabe en y menant la vie d'un malade qui se débat devant la mort et dont il ne reste plus que le souffle. C'est justement ce souffle que l'Azhar a retenu a nourri, a fortifié et lui a prodigué tous les soins salutaires.

Puis, le jour où les ténèbres de la domination ottomane se dissipèrent et que Dieu voulut que le soleil de la civilisation réapparaisse dans la Vallée du Nil, la langue arabe de son inertie et de sa faiblesse. Elle se remit à vivre. C'est dans l'Azhar qu'elle avait trouvé secours et asile, et c'est à l'Azhar qu'elle doit sa vie et sa résurrection,

L'épreuve de l'occupation napoléonienne ayant passé, une nouvelle ère de prospérité s'ouvrit et un nouveau mouvement de restauration se dessina du fait de l'indépendance de l'Egypte.

Cette nouvelle ère de progrès, qui date de l'avènement de Mohamad Aly, est redevable de tout à l'Azhar, menur du peuple dans sa révolution et guide du gouvernement dans ses réformes. Il était représenté à cette époque par ses brillants savants : Khali El-Bakri, Abdallah El-Charkaoui, Mohamad El-Mahdi, Soliman El-Fayyoumi et Hassan El-Attar.

C'est par ses avantages et prérogatives que l'Azhar devint, sans conteste, le grand maître de la culture dans tous les pays arabes et musulmans pendant les 7ème, 8ème et 9ème siècle de l'Hégire et c'est ainsi qu'il a pu sauver et conserver l'existence même de la langue arabe et empêcher la décadence des lettres et des sciences. Sans l'Azhar, tout lien, entre l'ancien et le nouveau monde littéraire, aurait été incontestablement rompu.

Mais, ce n'est pas tout : une autre épreuve menaça la langue arabe du fait de l'invasion turque ; et cette fois aussi c'est à l'Azhar que revient le mérite de l'avoir détournée. Au début du 10ème siècle, et plus exactement en l'an 923 de l'Hégire, le Sultan Salim conquiert l'Egypte et la Syrie. et, de ce fait, le Califat devint Ottoman et non plus Abbasside. La capitale de l'Islam devint Constantinople et non plus le Caire, et la langue officielle devint ainsi le Turc. Le conquérant séjournerait huit mois en Egypte pour la dépouiller de ses plus précieux joyaux : à savoir ses livres et ses objets d'art, héritage laissé par les artistes de génie, tous anciens élèves de l'Azhar dont les oeuvres remontaient aux trois siècles précédant l'invasion turque. De plus, ces conquérants ont vite fait de substituer leur langue à la langue arabe dans les diverses administra-

tions de l'Etat et de persécuter l'arabe dans les écoles, à tel point qu'ils faisaient enseigner, en turc les règles de la grammaire arabe, en Syrie et en Iraq. Il en est résulté qu'un flot de mots et de termes antiques et de pure arabe disparurent de la composition en vers et en prose. D'où en épais nuage de ténèbres et de despotisme qui couvrit les âmes et un dédain de la part des gouvernants pour tout ce qui est science ou savoir, arrêtant ainsi tout progrès et tout mouvement littéraire ou scientifique.

Cependant, ayant sont rendu Turque en Egypte (politique, administration, armée, enseignement, ...), les envahisseurs n'osèrent toucher ni méconnaître l'Azhar, car ils furent saisis de sa majesté et de son passé glorieux. Ils vinrent, recueillis, frapper à sa porte pour solliciter aide et conseils, toutes les fois qu'ils se trouvaient en difficulté ou qu'un événement grave surgissait. Le Sultan Salim lui-même l'a visité plus d'une fois, soit pour y prier, soit pour y implorer la bénédiction divine.

Bien avant l'invasion ottomane, l'Azhar avait déjà conquis la Turquie, non par la force des armes, mais par ses livres, ses sciences et ses lettres. Plus d'un Turc y a étudié et perfectionné ses connaissances en arabe jusqu'à pouvoir y composer des vers ou écrire des livres.

6) Il a assuré et assure à ses professeurs et à ses élèves les moyens de vivre et de s'instruire en leur fournissant le logement le couvert, l'habillement et les livres ;

7) Il a ouvert ses Portes aux réfugiés qui ont fui les Mongols pour sauver leur foi, leurs sciences et leurs lettres. Cet exode des savants vers l'Egypte, de tous les pays d'orient et d'occident, contribua dans une large mesure à l'épanouissement des sciences et des lettres. Il nous rappelle l'exode des savants du christianisme de constantinople à Rome, ce qui contribua à la renaissance des sciences et des lettres en Italie ;

8) Les rois Ayoubites l'ont soutenu et encouragé matériellement et moralement, car, bien qu'ils fussent Kurdes, ces rois parlaient la langue arabe et avaient adopté les lettres et les coutumes arabes. Bon nombre d'entre eux s'est rendu célèbre en poésie, en sciences ou en histoire, tels les rois Al Moawad Emadéddine et Al Afdal Aly Ibn Salahéddine. Ce dernier roi, qui était faible et simple, fut détrôné par Adel Abou Bakr et son frère El Aziz. Il a eu alors recours à ses talents de poètes pour solliciter l'aide du Calife Abbasside. Il lui adressa en pure langue arabe un bon poème digne d'être cité.

(Citation du poème en langue arabe) .

De leur côté, les rois Mamelouks donnerent à l'Azhar tout leur appui car ils avaient adopté l'Egypte comme patrie, l'Islam comme religion et l'arabe comme langue. On compte parmi ces rois plus d'un excellent poète, à n'en citer que le Calife Kanse El Chouri.

Ces Mameloukes favorisèrent les savants, encouragèrent les hommes de lettres, les professeurs et les auteurs, aidant ainsi Al Azhar à former, sous leur égide ces grands maîtres et ces auteurs de génie doués par la nature et inspirés par Dieu qui confièrent à leurs oeuvres les trésors de leur sagesse et la richesse de leur savoir.

Nous n'en citons que les plus célèbres; Gamal El Dine Ibn Mansour, Gamal El Dine Ibn Hicham, Chamséddine Al Nouéri, Ibn Fadlallah Al Omary Chamséddine Al Zahali, Al Hafez Ibn Hogre Al Assalgui, Abil Abbas Al Kalakachandi, Taquiéddine Al Maqrizi, Badraddine Al-Ainyi, Sérageddine Al-Balkini, Badrédine Addamassini, Chamséddine Assakh-aoui, Kamaléddine Addoumaiyri, Galaléddine Assiouiti, Taquiéddine Al-Kouchaiyri, plus connu sous le nom de Ibn Dakik El-Omdah.

des dépendances de l'Empire Ottoman en l'an 925 de l'Hégire.

Vous voyez par là que les Arabes ont été ainsi contraints, pendant 560 ans, à n'avoir ni pouvoir, ni royaume et que, tant de leurs pays que leurs richesses morales et matérielles devinrent la proie des Mongols, des Turcs, des Persans, des Cherkess, et, plus tard des Espagnols. Etant tous sauvages et illétrés, ces vandales détruisirent les monuments et objets d'art et se livrèrent au viol. Mais, le coup le plus dur a été porté à la langue, à ses sciences et à ses lettres; car ces vandales incendièrent les bibliothèques, fermèrent les écoles, démolirent les observatoires et tuèrent les savants.

Il en fut de même à Boukhara et en Andalousie, où Tatares, Européens et Croisés se sont réveillés de cruauté et de vandalisme.

Si donc la langue arabe aurait disparu par les malheurs des temps, à l'instar de ses soeurs sémites, sa mort aurait été dans la nature des choses et dans la logique de l'histoire. Elle demeura pourtant la langue de la religion, des sciences, de l'Etat et de la nation, tant au Maghreb, en Egypte et en Syrie, qu'à la presque île arabe et dans tous les pays arabes. De plus, n'était ce le fanatisme des Persans et l'orgueil des

Turcs, elle aurait continué à être la langue de tous les Musulmans.

C'est donc grâce à l'Azhar que cette langue a continué à vivre malgré les épreuves du temps et la chute du pouvoir des mains de ses enfants. Elle a subsisté grâce à cette institution et aux prérogatives suivantes :

1) L'Azhar est de pure essence arabe par sa nature et son milieu;

2) Il est situé à égal distance entre le Proche et le Moyen Orient; ce qui fait de lui le rendez-vous des uns comme des autres;

3) Il est près du Hégaz et sur le chemin des pèlerins et des savants explorateurs de l'Afrique et de l'Andalousie;

4) Il a formé un grand nombre de savants, maîtres, jurisconsultes et littérateurs qui ont réuni et groupé les principes épars de la langue, des sciences et de lettres en de grands volumes semblables aux encyclopédies;

5) Il occupe dans les cœurs de tous les Musulmans et de tous les hommes d'Etat un rang de sainteté, ce qui lui a permis de résoudre certaines difficultés d'ordre politique et social;

le Judaïsme pour l'Hébreu, le Christianisme pour le Syriaque, et l'Islam pour l'Arabe, ces trois langues auraient cessé d'exister. Toutefois, la différence entre ces trois existences est celle existant entre l'âme et le souffle de l'agonie, ou entre l'être vivant et ses traces.

L'Azhar, qui est l'héritier de la prophétie, le protecteur de la foi et le propagateur du Culte ne peut qu'assoir sa noble mission sur ces deux bases : La religion et la langue. Cette mission a été si bien remplie que le monde de l'Islam lui confia son commandement et lui décerna son auréole de gloire.

Il est vrai que d'autres écoles ou mosquées pourraient prétendre avoir pris part, avec l'Azhar, à l'évolution et à l'épanouissement des sciences relatives au Coran et à la langue, telles que les écoles et les mosquées institués par les sultans au Caire, à Damas, à Alep, à Baghdad, à Nagaf, à Cordoue, à Zaitounah et en Cyrène, et dont les plus célèbres étaient : Al-Nasriah, Al-Kamhia, Al-Salahieh, Al-Mouaidia, Al-Mansouria, Al-Chaikhounia, Al Zahiria, Al Kamiliyah et Al Nizamiah,

Cependant, ces écoles, dont la plupart a cessé d'exister, ne purent, leur vie durant, et prises ensemble ou séparément, disputer à l'Azhar

l'honneur insigne d'avoir assuré jusque'à nos jours l'existence de la langue comme interprète de la science et comme lien unissant les Musulmans.

Mes chers auditeurs.

La langue du Coran a traversé deux épreuves noires qui auraient pu consommer sa perte, sans le secours divin :

La première de ces épreuves fut l'invasion des Mongols survenue au milieu du septième siècle, époque à laquelle le Royaume des Abbassides était déchiré par l'antagonisme des Persans et des Turcs et par les querelles entre Chiïtes et Sunnites. Ces circonstances portèrent atteinte au prestige et à la majesté du Califat et permirent à Holaco de lui, porter le coup fatal en l'an 656.

De plus, le Royaume des Omayyades en Andalousie fut déchiré par les barbares et les esclaves affranchis qui le partagèrent entre eux en petits Etats, ce qui a permis aux Européens de l'avaloir bouchée par bouchée et de l'engloutir ensuite en trois fois en l'an 898.

Ce fut ensuite le tour du Royaume des Fatimites en Egypte et en Syrie, qui tomba entre les mains des Ayoubites puis des Mamlouks pour ensuite devenir une

Il en est de même pour la Bible et l'Evangile qui ne se lisent dans le monde de Chrétienté que traduits dans la langue du pays où on les lit. Or, ces Livres n'ont laissé qu'une faible influence sur les oeuvres littéraires des pays de Chrétienté, jusqu'au jour où ils ont été traduits en la langue latine et au vieux teuton.

Il n'en est pas de même pour le Coran : car les Muslmans ont toujours cru, et avec raison, que la langue arabe dans laquelle il a été révélé fait partie intégrale de l'essence même de l'Islam, parce qu'elle a servi d'interprète à l'inspiration divine, de langue à son saint livre de moyen à sa predàcafiou, et de mircal à son Prophète. Cette langue a été par la suite polissée par le Prophète grâce à ses discours et à ses enseignements "Hadith", comme elle a été propagée par l'Islam et rendue éternelle par l'éternel Coran.

Le Coran n'est vraiment le Qurân qu'en cette langue et la prière n'est point la prière s'elle n'était pas récitée en elle Aussi, s'empressent ils de l'apprendre, de la parler, de s'en servir pour écrire, d'en devenir fanatiques de prendre sa défense. C'est ainsi qu'elle prit lieu et place de persan en Iraq, du Grec en Syrie de Copte en Egypte et du Berbère au Maqreb. Ainsi est elle devenue à

époque Abbaside (son époque la plus prospère) la langue de la religion celle de la science, de la politique et de l'administration dans la plus grande partie de l'ancien monde, les Musulmans, quelle que fut leur race, pouvaient se transporter dans n'importe quelle contrée de leur monde islamique comme s'ils se déplaçaient dans leur propre patrie, ne trouvant aucune difficulté à parler à traiter une affaire.

Puis, les Musulmans s'adonnèrent entièrement au Coran. Il devient leur prière dans la Mosquée, le régulateur de leur vie dans la maison, comme dans le travail, et l'organisateur de leur gouvernement. Ses préceptes s'enracinèrent dans leurs âmes et ses inspirations se confondirent avec leur nature. Il imprima ses traces sur leurs langues, leurs coeurs et leurs règlements. Aucun autre livre divin n'a produit autant d'influence sur ses adeptes.

Il en est résulté que la culture musulmane se trouve assise sur deux bases ; à savoir : la religion et ses diverses sciences et la langue et ses arts connus. Ces deux bases se serrent et s'entrelacent, car, sans la langue arabe, l'Islam s'obscurcit et s'affaiblit, et, sans l'Islam, l'arabe perd son élan et sa vie.

Les langues sémitiques doivent leur subsistance aux religions : Sans

Saint que les mots arabes sont devenus plus doux, la composition plus raffinée et l'expression plus précise. C'est dans le divin Coran que la langue a puisé la force de la logique, la variété des idées et la profondeur de la pensée. C'est le Coran qui a été à la base des sciences nouvelles jusqu'alors inconnues ; telles que les lois charitable et les préceptes littéraires dont les matières ont été conservées par les règles et les dictionnaires et dont le cercle a été élargi par les mots choisis et les termes appropriés. C'est ainsi que prirent naissance la grammaire (Al-Sarf), la syntaxe (Al-Nahou) et le "dérivé (Al-Ichtiqaq) pour empêcher que les fautes soient commises lors de la lecture du Saint Livre.

D'autres sciences virent le jour telles que les figures de style et de rhétorique et des idées ('Al-Maani,' 'Al-Bayane', Al-Baddie,) et ce en vue d'arriver à comprendre et à faire ressortir les beautés divines et inimitables du Coran. C'est dans ce même but qu'on s'est mis à l'étude de la langue, des racines et de l'étymologie des mots ('Ilm Al-Lougha) et de la littérature ou art littéraire ('Al-Adab'). Quant aux sciences du "Handith" (maximes, sagesses et commandements enseignés par le Prophète), du "Oussouls" (bases organiques des sciences juridiques), du "Fikh" (enseignements des lois

religieuses), et enfin du "Tafsir" (interprétation du Coran), ces sciences n'ont été créées qu'en vue d'y puiser les lois qui doivent régir le monde de l'Islam.

C'est donc le Coran qui a unifié la langue arabe, qui l'a propagée partout et qui l'a conservée pendant 14 siècles environ sans usure ni faiblesse ni alteration aucune, ainsi que le proclame Dieu Lui-Même lorsqu'il dit : "C'est Nous Qui avons révélé le Coran et c'est Nous certainement qui Le" conservont.

Or, pour apprendre le Coran, il faut nécessairement apprendre sa langue.

De l'étude de l'histoire des religions l'on constate que nulle religion divine ou terrestre, à part l'Islam, n'a conservé la langue originaire de son Livre. Seul le Coran a porté sa langue arabe à toutes les nations de l'Orient et de l'Occident durant 1380 années; et, cette langue a conservé, à travers les siècles et les pays, son entité, sa force et son génie.

Les Livres des autres religions ne se lisent que traduits, sauf dans le pays où le Livre a été écrit. Seuls les servants de ces religions, ou peu d'entre eux, détiennent ou connaissent la langue d'origine. Ainsi, les livres de Bouddha ne se lisent, en Chine ou au Japon, que traduits en Chinois ou en Japonais.

triste où l'ignorance se propagea, le Califat s'affaiblit, le secours disparut et le peuple courba les échine.

L'Azhar signifie aussi la deuxième "Kibla", (le point de mire) vers laquelle les Musulmans dirigent leurs prières et leurs coeurs, dans tous les pays du monde, pour chercher, la faveur de ses lumières, le Chemin de la vérité et la voie vers Dieu.

L'Azhar signifie le refuge du peuple opprimé toutes les fois que le despotisme le secoue et que le gouverneur l'opprime. C'est en lui que ce peuple a toujours trouvé un asile sûr et un protecteur puissant.

L'Azhar signifie cette Université mondiale vers laquelle affluent, de tous les continents, les étudiants de toutes les races, et de toutes les couleurs pour étudier les lois et les règles de la religion et pour qu'ensuite, rentrés dans leur pays, ils y prêchent le bien et appellent à la vertu, ne visant par là ni fortune, ni grandeur, ni célébrité.

C'est le lieu benin et hospitalier qui abrite les pieux, les ascètes, les prédicateurs, les récitateurs de Coran et les porteurs des bénédictions.

L'Azhar signifie la base spirituelle redoutée par les colonisateurs qui ont tant fait pour la réduire, mais qui désespérés de la saper pour

en éviter la force et le prestige, lui, tendirent une main flatteuse pour l'attirer et en exploiter l'influence.

C'est le foyer national qui attisa toutes les révolutions contre la corruption, qui a formé les porte-étendards des guerres saintes et qui a servi de tête et de main aux mouvements libérateurs des Arabes, en leur insufflant l'âme et en leur prêtant la force. Il a fait la guerre à l'invasion française sous le commandement de six de ses savants Ulémas. Il s'est révolté contre le despotisme Turc, sous le commandement de son recteur Abdallah El-Charkaoui, contre la tyrannie du Khédive, sous le commandement de son fils azhariste Ahmad Orabi et contre l'occupation britannique, sous la conduite de son autre fils azhariste Saad Zaghloul.

L'Azhar signifie donc tous ces faits grandioses que j'ai cités et d'autres faits aussi nobles que méritoires.

Cependant, je ne vous parlerai ce soir que de l'oeuvre bienfaisante de l'Azhar en ce qui a trait à la langue arabe.

Mes chers auditeurs.

L'oeuvre bienfaisante de l'Azhar, en ce qui a trait à la langue arabe, trouve sa source dans les bienfaits du Coran. C'est grâce à ce Livre

COMMENT L'AZHAR A ETE ET DEMEURE LA FORTERESSE DE LA LANGUE ARABE

PAR

MAITRE AHMAD HASSAN AL-ZAYYAT

Mes Chers Auditeurs,

Nous voici réunis au sein de l'Azhar. De ce mot, "Al-Azhar", où enfend une illustere Université Musulmane où l'on enseigne les sciences de la religion et de la langue. Mais, pour le croyant, méditant qui s'en souvient ou qui y pénètre, tenant l'âme en éveil et muni de dispositions naturelles pour a se faire des liens. Spirituels avec son passé lumineux et son histoire chargé de gloire, le mot "Al-Azhar" évoque des indices, des souvenirs et des réminiscences qui remplissent l'âme de recueillement, de majesté et de ravissement. Oui, le mot "Al-Azhar" est un de ces mots généraux qui renferme tant de signifiapions, sa prononciation révèle et réveille; et son sens rayonne et inspire: c'est un temps et un espace; c'est une religion, un monde et une histoire.

L'Azhar signifie entre ses autre sens le phare qui s'éleva sur le chemin du grand appel vers Dieu, dont l'édifice

est resté inébranlable au plus fort de cataclysmes et dont la lumière s'est propagée malgré les tourments des tempêtes C'est lui qui a conduit les peuples de l'Islam, dans les nuits des malheurs et dans le tourbillon des guerres, vers le salut, la dignité et l'unité. L'Azhar signifie pour nous le rempart qui a protégé et sauvegardé la culture arabe durant plus de mille ans, en veillant sur elle et en augmentant les richesses pour les distribuer aux assoiffés de la science. en Orient comme en Occident: et ce, aux jours où l'ignorance et la mécréance venaient de saper les bases de cette langue, à Baghdad et en Andalousie.

Al-Azhar signifie aussi le rempart derrière lequel s'abrita la langue arabe pour se couvrir des attaques de la "Chéoubia", et de dialect-vulgaires secte turco-persane hostile à (tout ce qui est arabe) à l'époque à laquelle la langue arabe devint étrangère et à laquelle le pouvoir passa aux mains des Turcs; époque bien

to choose the suitable judgments and rules.

Gentlemen : such jurisprudential legacy was not soundly understood because of the old style of writing. Today civilization has developed and mentality has changed and it is necessary that both education and books should be in accordance with the necessities of the present age.

Gentlemen : That is the third tribulation which Arabic is undergoing today and which is no less harmful than its two predecessors. Therefore Al Azhar should take a positive measure in this regard to foil the conspiracies, to launch a counter campaign and to be in a state of alertness against those whose ignorance and whims despoil the language of the Quran to undermine the bonds of the Arabs.

The Azharites, who carried this noble mission and conveyed the Noble Message of the Prophet for more than ten centuries, are quite prepared to defend their language and religion so long as they are sincere in their struggle and as long as they consider themselves God's soldiers by whom God defeats the hostile enemy at any time in battle,

As a result they live to sacrifice their lives as soldiers, work as leaders and abandon the world lust like the prophets.

God, the almighty, has guaranteed for the Arabic the survival of its eloquence and brilliance as long as the Quran exists. By your endeavours and ours, O' sincere Azharites, God has fulfilled his promise and He is the best of Truthful.

Errata

In the last issue of Al-Azhar Magazine the para. 4, page 17 has been as follows :
" It is not reasonable or customary that the consent of an individual is considered in the validity of some action".

Addenda

This paragraph should have been read as follows : "It is not reasonable or customary that the consent of an individual is to be considered in the validity of some actions meanwhile his personal practice in connection with the same actions is disregarded".

the Editor

of religion due to the fact that language is a collection of words whereby people express their thoughts and opinions. Such thoughts and opinions do not end and the People cannot stay dumb forever while seeing the objectives and meanings reproduce and develop as a result of the new discoveries of science and civilization.

However those who had existed after the rise of Islam and were not purely Arabs, were not entitled to invent new words in the language. This privilege was confined to the trustworthy pure Arabs of the urban society till the end of the second century after Hijra; and to the Beduins of the desert till the end of the fourth century after Hijra. This gave birth to the overwhelming prevalence of the colloquial language over the classical one and tightened the sphere of the classical in the classes of savants, literary figures, poets and writers to use it in their writings to the Kings and the elite.

This was because the people preferred in understanding the easy style and use the common and attainable. And when the language lags behind and is no longer adaptable to the needs of time and the current daily life; it would obviously mean that it is stagnant and will face its inevitable end which is complete

annihilation and will be superseded by the colloquial dialects.

The synod of Arabic language has become aware of this danger and therefore adopted a suggestion which I offered as to open the door for the contemporary grammarians to invent words in the language according to the rules of derivation; to release the linguistic analogy from any traditional obstacle; to liberate the hearing from the fetters of time and space to comprise everything that is used by the different classes of society such as masons, carpenters and other artisans; and to legalise the invented words and make it similar to the old ones. On this basis, the Synod of Arabic Language has made its medium lexicon which will appear shortly afterwards.

The case of religion is quite different. Its doors were widely open for the well equipped and prepared savants who expressed their free opinions and views. These various opinions were abundantly expressed and made the Islamic Jurisprudence full of sound judgments and good rules which sufficed the needs of the Muslims and solved their social and legal problems. Therefore the Islamic Jurisprudence had been quite satisfactory for the needs of the Muslims and they devoted their endeavours

style and its words have no rules for guidance whatsoever. Consequently its attainment does not require any book or school but can be achieved by any doorkeeper or servant or layman. In other words, it means the separation of literature from religion, severing the ties between the past and the present and weakening the bonds amongst the Arabs.

I am of the opinion that it cannot be effectively amended except by the old method, namely, the full comprehension of its secrets, the adequate apprehension of its grammatical rules and the wholehearted memorization of its literatures. The implementation of this requires the unflagging efforts and continual seriousness, as regards the preparation of efficient teachers, sufficient knowledge and fruitful experience as regards the curriculum, good taste and sound logic as regards the making of books.

The Azharite book which we have studied and to which we still make our references, is a treasure of knowledge but lacks the easiness, good classification and representation. The difference between such books and the modern ones is like the difference between a spice shop in Al Ghorreyah (a Popular quarter in Cairo) and a commercial house in Kasr El Nil (the centre of the city of Cairo).

The old shop may have precious ornaments or trades but bad exhibition of which weakens the vogue therein and decreases its value.

Practically speaking, if we present the Azharite books in an interesting and palatable manner, they be lessons or lectures or notes or books, then this would render its fruits attainable and would facilitate the task of the students to comprehend without difficulty or hardship.

The mission of Al Azhar, as I have already mentioned, is built on two pillars, namely, religion and language. But it actually carries this mission out in a different manner. This is due to the fact that religion is perfect being the work of God while language is imperfect because it is the product of man. So long as religion is perfect and divine, it cannot be affected by the environment or by the passage of time or by civilization and science. It is ever new, ever valid, and ever solid. In contrast with this, the language being imperfect, is subject to corruption, stagnation and backwardness. Likewise it is subject to increase, reconstruction and development.

Therefore the development of the language is a necessary and natural matter. Because the language cannot be like the established facts

Nevertheless the concise remainder of these sciences cannot afford the existence of both language and literature. It is true that modern educational institutions provide for the graduation of a considerable number of students in the sphere of Arabic language but they are by no means similar to those graduates of prominence from Al-Azhar and savants like Mohammed Abdou, Saad Zaghloul, Al Manfalouti, Al Bishri, and Taha Hussein. Nor are they like the graduates from Darul Aloum such as Shaweesh, Al Mahdi, Al Khodari, Al-Sakandari and Al Garem; nor do they bear any semblance to the graduates of the Higher School of Islamic Jurisdiction like Ahmed Amin, Azzam and Al Khouli. Furthermore, they differ from the graduates of the Supreme School of Teachers (Al-Mullimeen) like Al Mazni, Shukri, and Abou Hadeed. They are also distinct from those who have received their education and knowledge from the books of Al-Azhar, such as Al Aqqad, Al Refei, Shawki and Hafiz in Egypt; the Bustanis, the Yazzigis, Al Shedyak, Matran and Al Khouri in Lebanon; Al Maghrabi, Al Shehabi, Gabri and Al Tantawi in Syria; Al Rassafi, Al Zahawi, Kashif El Ghetaa, Al Shabibi and Al Athari in Iraq; Al Nashashibi and Al Sakakini in Palestine.

Gentlemen ; frankly speaking, I am one of the supporters of the reconciliation between the classical and the colloquial Arabic. My method in the Synod of the Arabic Language is to supply the classical Arabic with the words and expressions of modern civilization which colloquial language is full of, in order to bridge the gulf between the dialects. By virtue of such a trend and through the medium of the press, broadcasting and education, these two dialects will become one integral language which comprises the characteristics of the classical Arabic of the correct style, abundance, eloquence and brilliance; and the characteristics of the colloquial Language of adequacy, natural character, dynamism, refreshment and obviousness.

But with regard to the trend that calls for the negligence of the grammatical rules and which deprives the language of its brilliant style and makes it void of any eloquence; and consequently it cannot serve as the link between our past and the future, and is unable anymore to gather us in our general terms; it must be said that such trend cannot by any means be propagated by any serious man, and cannot be listened to by any sound individual. If we left things to continue this way, then the colloquial language would prevail because of its frequent repetition in

environment while science is universal. Literature is like the soul to the body or like the blood which flows in a human being's veins which creates the personality of the independent individual and portrays the picture of the unique people. Literature constitutes certain breed, language, taste, environment, mentality, belief, history and traditions while science is something different from the above-mentioned. Therefore it is permissible for us to borrow from others what might perfect our science but we are by no means allowed to borrow any type of literature to be representative of ours.

The study of Arabic in fact, after graduating from Colleges, in an authentic and productive manner does not demand much effort and time as the study of French and English. But they seek in the age of speed the easy and feasible objectives in so far as science and production are concerned. Whenever criticism is levelled against them in respect of their method of approach to studies, it is very often met with grudge and spiteful sentiments. Wise critics claim that authors who are unaware of the rules of their respective language are not considered neither in modern nor olden literature as true authors or poets or novelists.

When people read newspapers and books and do not grasp any

grammatical errors which might reveal the ignorance of the author and thereby expose him to the general reading public then one must remember the unknown soldiers of the Azharites who are called correctors and who devote night and day in the Press publishing houses correcting grammatical mistakes and strengthening the style of the Arabic language.

It is no harm to facilitate the task of the students of the Arabic language in respect of the rules of Grammar, Morphology and Rhetoric but it is harmful and detrimental to exaggerate the importance of such practice. It is therefore better to mitigate the difficulties of the various interpretations and justifications through which grammarians had philosophized grammar, and to eradicate the contradictory forms of declension which are nothing but mere remainders of the different dialects of the pre-Islamic era and which convert the right to mistake and vice versa and thereby tend to confuse the minds of the general readers.

But it is detrimental by all means to deprive the sciences of Arabic of their characteristics of strength, fertility and expansion in the same manner as the skeleton which possesses a form but lacks the soul and flesh.

impassable obstacle. He resorts to the extreme when he calls for absolute liberty to the writer to express the way he likes.

This is the state of the graduate who has literary inclinations by nature. As for the common graduate, unfortunately, he continues his shallow knowledge by reading the simple works as represented in the colloquial stories which deceive common sense; or in the humorous magazines which stimulate sexual cravings. The readers are so excessively interested in this type of literature that worthless writers have indulged immensely in the production of such pornographic and base literature and which is most harmful to society. In addition to this there is also the prevalence of the Western literature with all its doctrines, trends and defects which have a great influence upon the minds of youth who have had access to this fragile and worthless literary culture.

Such half baked knowledge has made them ignorant of their own literature and their language and past history. Those adherents of French culture and literature, for instance, are fully aware of Hugo and do not know who is Al-Mutanabbi; they study Voltaire and not

Al-Gahiz; and read La Martine not Al-Badee. Hence as a result of this trend and attitude, there arises the dependence of our literature on the literature of the Western writers. This dependence has affected the literature of our young writers. Therefore one could notice that their style, critical views and opinions are very often identical or else similar to these of their Western contemporaries. Even Symbolism, which is the outcome of the complexed self and the clouded horizon, has found admirers here who are endeavouring to propagate it in the Arab World which is known as the land of the barren desert, of the shining sun, and of simple nature. Similarly attempts are being made to apply the principles of Existentialism, which is the product of dissolute morality, abnormal taste and libertine instinct, to Arabic which is the language of the Divine Revelation that honoured man and made him superior to animal by virtue of certain privileges of religion and morality.

The case of literature is not the same as that of science. This is because literature relates to noble instincts and sentiments and balanced minds while science is meant for all people without any distinction. Literature is the outcome of certain

of poetry, prose and criticism. From these two categories the literary movement derived its inspiration as well as its vital factors to become flourishing, advanced, brilliant and eternal.

This old method had produced many distinguished literary figures who were responsible for the preservation of the language, gave it a new life and laid the foundations of a modern literary renaissance. There are in the Arab world still a small group of these literary men of noble repute who are discovering the secrets of their language and deeply engrossed in their literature. But it must be remembered that their places in the literary world would fall vacant at some future date and there would arise a problem, namely, would there be successors to undertake this mission of literature and would they be entrusted with the legacy of the language? It is Al-Azhar alone that could supply the answer to this query. It is by virtue of its characteristics the only refuge and asylum of the language in the past and in the future.

As for the other institutes, it must be frankly stated that these institutes render the impression of pessimism. This must be attributed to their poor curriculum which has but the slightest rules of grammar and to the superficial and scanty

education which has no object except to make the student pass an examination. The original volumes, for instance, are summarized and the concise books are further abridged leaving nothing left in the memory of the student save vague language which makes no sense. In addition to this the distaste of the youth to look for the serious and useful studies of the language and literature which hampers them to penetrate into the original sources and attracts them only to search in the subsidiary branches which satisfies their needs just to enable them to pass an examination and obtain a certificate. When the student graduates with this poor educational background and finds himself amidst the treasures of Arabic literature, he develops a tendency to disregard such works because he lacks the qualifications which such treasures of literature demand. Instead he resorts to the cheap literature of the West to quench his thirst and takes it as an example to be followed. As soon as he finds himself capable of producing some piece of literary work, he finds that although he is possessed with the creative faculties, he cannot find the correct language to express his thoughts nor can he develop a style which would impress his readers. Consequently he becomes disgusted and rebels and assumes that the rules of the language are no longer valid and that the declension of the word is an

discreet only launched a campaign against classical Arabic but encouraged and promoted the colloquial form of the language at the hands of British officials, missionaries and orientalists. This is due to the fact that the colloquial dialects varies from place to place in the Arab lands to such an extent that each dialect could be considered an indigenous and independent language. And if the classical language, which is the common language, is defeated by any dialect, then understnading would be difficult and impossible, the faith would weaken, relationships would sever, unity would be dissipated and strength would vanish. It would thus be easy for the Imperialists to devour the Arab countries one by one without experiencing any form of difficulty or resistance.

Fortunately this destructive movement has ended in utter failure as a result of the vigilance of the Arabs and this spelled the doom of the Imperialists in the East.

The second tribulation which beset the Arabic language was ignorance which followed imperialism in this criminal trend. By ignorance is meant the ignorance of the Arabs of their language and their neglect of its sciences and literature. This is the offence of the modern school

which failed after passing considerable time and many experiences, to produce the reader who can understand what he reads, the writer who has a cultural background and the intellect who is the real originator.

The proof of this failure is manifest from the fact that the student devotes more than ten years during the course of which he had been incessantly studying Arabic and when the time approaches for him to express his opinions, he finds himself in a difficulty to express his thoughts whether it be orally or in writing. When his literary aptitude urges him to express his ideas in writing, he resorts to the colloquial language rather than the classical and calls for the negligence of the grammatical rules to make disorder, errors and disability prevail.

The science of Arabic language has been studied in Al-Azhar, Darul Aloum and other similar educational institutions in Lebanon, Syria, Iraq and Morocco. Such studies were marked by profound characteristics which enabled the Promising and industrious students to understand, apprehend, justify and analyse well. It is this fruitful study which produced good and prolific writers, poets and critics. It also produced the professional literary figures who had been guiding the literary men in respect

Al-Hzhar, as destiny would have it, was solely responsible to overcome all these tribulations and turmoil. God, the Almighty had willed this to preserve His Book and His religion.

There is however another recent development which has been gradually taking proportions of much alarming magnitude that nevertheless calls for attention. This recent development which besets the Arabic language is about to perplex tongues, annul the validity of the Quran, defile the genuine sources of religion and dissolve the bonds enchainning Arabs to their legacy. It would pollute the purity, sublimity and magnitude of literature as derived from the Revelation of God and would degrade it and cause it to be relegated to the lowest standard of materialism, meanness and indecency. This distress is exemplified in the linguistic libertism which propagates and prefers colloquial to classical Arabic; which appreciates the common literary works while rejecting the sophisticated classical works of literature and which welcomes the exciting subject and not the guiding and enlightening one. This latest subversive trend in literature urges the writer when he writes and the poet when he versifies, to pay no attention and disregard the rules of grammar or morphology, rhetoric or rhyme or even the moral principles.

However this state of affairs has two underlying factors or causes, namely imperialism and ignorance. As regards Imperialism, it must be mentioned that it has realized the fact that the bonds which link the Muslims all over the world, no matter how distant and different their countries may be, are fundamentally the religion and the language. The Imperialists at one stage considered the nationalist movements of the Arab and Muslim countries as mythical but now they emphatically believe that so long as the Muhammedan nation remains united and integral by virtue of the religion of Islam and the Arabic language, it will inevitably achieve its independence and will sooner or later put an end to the exploitations of imperialism.

France, therefore has continually attempted to keep and wean the Berbers in Algeria away from their religion by propagating false ideas and pretences, and persist in endeavouring to prevent the Arabs from the sources of their language by expunging it from the schools and governmental offices and organisations.

But the teachings of God have been stronger than the French trials and the language of the Quran more powerful and decisive than that of the sword. England being cunning and

but nevertheless these attempts proved futile as a hole. However, during this period the Arabic language had been removed from its firmaments of India, Khorasan, Iraq, Romiland and Andalusia. In the Arab domain it had experienced a very critical and pitiful stage and was almost on the verge of extinction and being completely forgotten and neglected. But there always remained a ray of hope that some support would be given or forthcoming from whatever source to retrieve it from the abysmal state into which it had fallen.

This support which was needed at a very crucial stage ultimately came from Al-Azhar which gave immeasurable support and restored the Arabic language to its pristine state of glory and due to which assistance Arabic still survives. Hence Azhar became known as the saviour of the Arabic language to the Arabs and the Islamic world. Al-Azhar nurtured it, gave it strength, and protected it. When the shadow of the Ottoman Rule receded, God the Almighty, willed that the sun of awakening should rise again to cast its brilliant rays over the length and breadth of the Nile valley and thereafter the Arabic language rid itself of its subduing forces; and its historic career and unique and powerful characteristics were restored. Al-Azhar has ever remained the shelter of Arabic and

the principal cause of its survival and resurgence.

Since the French occupation till the reign of Muhammed Ali, Al-Azhar had been the source of inspiration to the populace in their struggle and to governments in their reformatory movements. In its guiding role and in the forefront of its activities were many illustrious and eminent Rectors such as Khalil El Bakri, Abdullah El Attar and many others of great repute.

With its vast resources of energy it has gone ahead with laudable plans and it must be noted with great pride and deep appreciation that it has led a pioneer movement in that it sent many promising students to Europe to further their intellectual advancement. The first mission was composed of the best talents such as Ibrahim El Nabarawi, Ahmed Hassan El Rashidi, Muhammed Ali El Bakli, Refaah El Tahtawi, and Ali Mubarak. This was another great characteristic of this glorious institution which had strived to preserve the Arabic language as an integral one.

Gentlemen: it is therefore quite evident and manifest to you all in the light of the aforementioned facts stated that Arabic had been subjected to great stress and threat of extinction during two successive reigns and that

grammar through the medium of Turkish in both Syria and Iraq. Consequently there was a spread of colloquial language with words interpolated profusely while the eloquence and brilliance which were ever present in the poetry and prose of the learned and erudite of the past, made a quick exit from the intellectual and cultural works in the sphere of literature. This period was plunged into persecution and darkness and the talented lights that once shone were soon extinguished and an era of gloom pervaded the whole atmosphere mainly due to the lack of enthusiasm and desire for knowledge in the rulers.

The Turks however dominated the machinery of government in Egypt in the domain of political, military, administrative and educational affairs. Their efforts to subdue Azhar ended in disaster for the reason that they were deeply impressed with its cultural and religious magnitude and glory. Hence they held it in reverence and esteem, and they sought from it whatever support that was forthcoming and looked forward to it for inspired solutions to their problems. Sultan Selim himself had visited it considerably to seek in prayer the divine blessings for his reign.

It should be noted that Azhar

made inroads to the Turkish lands in the sphere of culture by disseminating its knowledge of literature through books and this resulted in the interest shown by Turks to study the Arabic language. In fact many Turkish individuals studied and spoke the Arabic language and even published books in Arabic. There arose eminent personalities and scholars such as Alfayrouzabadi, Abou Al Soud, Al-Fanari, Mala Khesrou, Al Gami, Khugah Zadah, Mala Meskeen, Maia Lotfi, Haji Khalifa, Tashkebri Zadah and Ibn Kamal Pascha.

The Turkish Sultans themselves had studied Arabic and Literature to the same degree and standard as Turkish literature. The Arabic language had never been weak or neglected under the Turkish rule except in the reigns of Sultan Mahmud the Second and his son Sultan Abdul Majid the First when they revived the Turkish language and accorded it a great place and even called it the Ottoman Language.

You can conclude, Gentlemen, from what you have now heard, that Arabic had undergone many attempts directed towards its extinction during the era of Moghul rule and Ottoman domination which lasted about three hundred years respectively

it and aided it because they had chosen Egypt as their home, Islam to be their religion and faith, and Arabic to be their language. They also had amongst them poets like Sultan Qansawah Al Ghuri. The Mamelukes extended their moral and material support to the religious authorities, literary figures, scholars and authors and encouraged the intellectual advancement. Under their auspices Azhar had produced eminent scholars who pooled their knowledge and propagated their ideas and published them. From amongst these scholars there were many prominent and illustrious personalities such as Gamaluddin son of Manzour, Gamaluddin son of Hisham, Shamsuddin El Zahabi, Al-Hafiz Ibn Hagar Al Asqalani, Abou El Abbas El Qaulqashandi, Taqeyyuddin El Maqrizi, Badruddin El Aini, Seraguddin El Balquini, Badruddin El Damassini, Shamsuddin El Sakhawi, Kamaluddin El Domayri, Galaluddin El Syouti and Taqeyyuddin Al Qushayri who is known as IBN DAQIQ EL EID. Such intellectual advancements have focussed the attention on Al Azhar and during the seventh, eighth and ninth centuries it was acknowledged by the Arab and Muslim nations as the centre of cultural and religious activity in the Islamic world and providing an unsurpassed leadership.

Throughout its ancient and

historic period and to the present day, it has maintained the existence of the Arabic language, preserved the standard of literature and disseminated religious and cultural thought and had it not been in existence, the link between the ancient and modern literature would have been dissolved and disappeared.

The second tribulation which had eclipsed Arabic and from which it emerged safe and integral, thanks to the efforts of Al-Azhar, had been the Turkish invasions in the beginning of the 10th century when Sultan Selim assumed control over Egypt and Syria in 923 A. D. Then the Caliphate became Ottoman and not Abbassite and the capital of Islam shifted from Cairo to the city of Constantinople, and the Turkish language became the official language instead of Arabic. Sultan Selim the invader, ruled supreme in Egypt for 8 months and during which period he had plundered the most precious monuments of books, ornaments and antiquities executed by the most skillful artists and brilliant authors who had graduated from Azhar and produced their works during the three centuries preceding the Turkish invasion.

The invaders propagated their own language in the schools and in the administrative machinery of the government in such haphazard manner that they taught the Arabic

It has been Al-Azhar which maintained the existence of this language inspite of the lost power and prestige. This is simply because God the Almighty, has previledged this Glorious Al-Azhar by certain merits which have marked characteristics in it. Some of these merits partly belong purely to the Arabic nature of the studies by virtue of its early establishment and environment, and of its situation in the center between the near and middle easts. Consequently it has become the threshold of Muslims from all parts of the world. Another merit attributed to it is its proximity to Hedjaz and thus it has become the route to Mecca for those on pilgrimage and other nomad scientists from Africa and Andalusia. Further Al-Azhar has produced many great scholars well versed in Islamic studies and Arabic literature, who had compiled the fragments of Arabic sciences and literature in great volumes which look like Encyclopaedia. Al-Azhar has also enjoyed a great status which might have reached the degree of sanctity in the hearts of all Muslims and rulers and which had played a great part in solving many political as well as social problems. It has catered to the needs of the professors and students and has extended its benevolence for the cause of humanity and has further suppor-

ted or afforded financial assistance to the needy students in respect of living accomodation, clothing, board and tuition fees. It has granted asylum to those who had run away from the Moghul invasion which had swept away Khorasan and Iraq and spared their lives, religion, knowledge, literature and books. Those learned immigrants both from East and West sought asylum in Cairo and achieved scientific discoveries and made great contribution to the advancement of cultural affairs. They were in many respects similar to the Christian scientists who had immigrated from Constantinople to Rome, and who had been the pioneers of the scintific as well as the cultural age.

Amongst the many reasons which contributed to the great success of Al-Azhar, it must be remembered that the AYYUBIS had to a large extent afforded both moral as well as financial support in a very effective manner. Although they had been KURDS yet they had spoken Arabic and studied its literature and from amongst them there emerged the genius poet, scholar, historian, such as King Muayyed Emaduddin Abou El Fedda and King Afdal Ali Ibn Salahuddin.

It is also worthy of note that Mameluks had taken great pains to preserve Al-Azhar. They had supported

no longer exist, could not individually or collectively rival Al-Azhar in its everlasting favour on the Arabic language as being the medium of sciences and the common link which bound all Muslims to this date.

Gentlemen: Arabic, the language of the Quran, has undergone two bitter and lethal trials. First the tribulation of Moghul invasion in the second half of the seventh century when the Abbassite Caliphate in Iraq weakened as a result of the competition between Persians and Turks, of the conflict between the Shiis and the Sunnis and of the lack of respect and prestige of the Caliphs which all together had paved the way for Hulaco to destroy the abbassite Caliphate in 656. Furthermore, the deterioration of the Ommayyad dynasty in Andalusia when the Berbers and subjects took over their kingdom and divided it into statelets. such disintergration had facilitated the path for the Frankish to swallow up these statelets one by one till they absorbed them completely in 898. In addition to these catastrophes the Fatimate dynasty in Egypt and Syria collapsed and fell into the hands of the Ayyubis and then to the Mameluks who assumed control until their power was wrested by the Ottoman Turks in 923.

You can realise, gentlemen,

from these historical events that the Arabs had spent 560 years with no power or kingdom. Their legacy and homes had been subject to common pillage and exploitation by the Moghuls, Turks, Persians, Greeks and by Spanish shortly afterwards.

These non-Arab invaders had been illiterate and marauding hords who had indulged in vandalism and passions; and ultimately brought about the downfall of the language and its literature as well as its sciences. They wantonly scorched libraries, annulled schools, exterminated scientists and learned intellects. Further, there was the conquest of the Tartars and their ravages in Bokhara Baghdad, the Crusaders in Syria and th Frankish in Andalusia. Had the Arabic language been abolished and joined its two co-semitic languages, it would not have been considered out of the nature of things or an innovation in the logic of history.

Nevertheless it has survived as the language of religion and science, of the government and peoples in Morocco, Egypt, Syria, and the Arab Peninsula. Had it not been for the arrogance of the Turks and the fanaticism of the Persians, it would have been spoken by Muslims all over the world.

to defend it, and to propagate it until it had replaced the Persian language in Iraq, the Rumi in Syria, the Coptic in Egypt and the Barbarian in Morocco.

During the Abbassite Caliphate, the golden age of the Arabic Language, it became the language of religion, literature, science, politics, administration and civilization. The Muslims whosoever had been travelling from one country to another in the Islamic world felt as if he were going from one place to another in his native land and he never faced the difficulty of being understood nor did he experience any hardship in dealing or adversity of living.

Muslims, Arabs and Persians alike, had been absolutely following the teachings of the Holy Qur'an. It has been their petition and supplication in the mosques, their discipline in their homes, their way of life and their constitution. It has penetrated deeply into their souls and nature, and has affected their tongues, traditions and minds in such a manner that never had a parallel in the history of divine scriptures.

Henceforth, the Islamic culture has been based upon two basic principles: the religion and its various sciences; and the language with its different branches. The relation between these two pillars has been mutual and interacting at the highest

pressure in the sense that Islam without Arabic is obscure and backward and Arabic without Islam shrinks and dies away. Therefore they are closely knit together or inter-related.

It must be stated that all Semitic Languages are chiefly indebted in their survival to religion. Judaism, Christianity and Islam have been the causes of the survival of Hebrew, Syriac, and Arabic respectively. Yet the difference between the survival of Arabic and the survival of both Hebrew and Syriac is like the difference between the body and the soul.

Al-Azhar being the heir of Prophethood, protector of the Faith, and the propagator of the Call, has established its mission on those two pillars. i.e. religion of Islam and the Arabic Language. Thanks to God's help and care, Al-Azhar has undertaken this glorious mission in such a manner that it has gained the place of leadership in the Islamic world. It might be said that its laurels in the sphere of religion and language might be shared more or less by some schools and mosques founded by the Sultans in Cairo, Damascus, Aleppo, Baghdad, Cordova, Qayrawan and Zaytounah, such as the schools of Nasseryeh, Qamheyyah, Salahyyah. Muayyad, Mansouryyah, Shaykhyouriah, Zaherryah, Kamellyyah and Nezamyah. However such schools, which

also invented to illustrate the unimitatability of the Quran while the Prophetic Traditions, origins of jurisprudence, interpretations of the Quran, were introduced to explain religious injunctions.

Thanks to the Quran, the Arabic language is being spoken by all the Arabs and has been disseminated everywhere. It has been preserved for almost 14 centuries without being altered or affected or stagnant. This is in accordance with God's saying: "We have, without doubt, sent down the Quran; and We will assuredly guard it (from corruption)" (Surah. 15, V. 9). It is therefore quite clear that the preservation of the Holy Quran necessitates the preservation of its language.

If one takes a short glance at the history of the divine and secular religions, he will realize that there is no religion which has been carried from the extreme east to the extreme west by its own language except the religion of Islam and the Arabic language which has marvellously achieved this object for 1380 years while at the same time remaining strong, dynamic, integral and maintaining its own characteristics.

In contrast with this the original books of the other religions had been only read in the very land in which these religions appeared, but when

they spread to other lands, they were read through translations while the original books were read by a few religious figures.

Buddhist books, for instance, are read by the followers of this sect in both China and Japan through their respective languages. Likewise, Torah and the Bible are read in the Christian world through the different languages of every individual christian nation. Therefore they had but a slight impact upon the different literatures until they were translated into the Latin language. Then they had a strong influence on the European literatures.

However this is not so in the case of the Qur'an. This is due to the fact that the Muslims have actually believed that the language of the Qur'an is a part of its essence and the fact that it was an expression of the Revelation of God; the language of His Book; a Miracle of His Messenger; and the language of His Call. The Messenger in turn elevated it by his Traditions; the religion diffused it and the Qur'an made it eternal.

The Qur'an is not actually called Qur'an unless it is recited in Arabic and the prayer is not perfectly performed unless it is said in Arabic. Therefore the people hastened to study it and speak it and to publish books in it, to be enthusiastic about it, to

Muslims throughout the world turn their hearts seeking guidance therefrom to lead the way of God and along the path of truth. Al-Azhar, too, represents the asylum of the obsessed people in which they find a staunch protection when they are subject to tyranny or despotism.

Conversely, Al-Azhar is a universal university to which students from every nation, breed and colour come to further their religious studies to Propagate the Divine Call when they return back to their countries. Al-Azhar has been the sacred place in which the worshippers, ascetics, preachers, the memorizers of the Holy Koran and the blessed people had lived.

Al-Azhar has been the spiritual base which frightened the imperialists who implicitly and explicitly attempted to bring about its downfall and destruction in order to be safe and secure. When they failed to achieve this object, they began to compromise and flatter it in order to take advantage of it.

Al-Azhar has been the national institution which fought against corruption, brought forth national leaderships and contributed effectively to the awakening of the modern Arab world and its people. It has inspired it and strengthened it. Perhaps if we look back into the pages

of past history, we would find six learned Azharites who had opposed the French invasion, one resisted the Turkish tyranny, viz. Shaykh Abdullah Al Sharkawi, the legendary figure Ahmed Orabi who had opposed the Khedival oppression, and Saad Zaghlul who had fought against British Imperialism. Hence all these previously mentioned may be conceived from the word of AL-AZHAR. However tonight I shall confine my lecture to the Arabic Language in particular and not to any other subject.

Gentlemen: the care of Al-Azhar towards the Arabic language arises from the care of the Glorious Quran towards it. If we enumerate the benefits and merits bestowed by the Quran on the Arabic language, we would find that the words in it become mellifluous, its construction melodious, its meaning adequate, its logic powerful and its vocabulary rich and copious.

It has brought forth religious and literary sciences which preserved its vocabulary by virtue of grammatical rules and lexicons. The Quran has further expanded the domain of terminology and Arabic expressions. Consequently many sciences have been produced, such as, Morphology, Arabic Grammar, and philology, to prevent the Arabic tongue from grammatical mistakes. Rhetorics were

AL-AZHAR: ITS RÔLE AS THE GUARDIAN OF THE ARABIC LANGUAGE

by

AHMED HASSAN EL-ZAYAT

Editor - in - Chief

We are now assembling in Al-Azhar auditorium. The notion which occurs first our mind when we mention the word of Al-Azhar is that it is an Islamic university in which sciences of religion and language are being taught. But when the conscious and scrutinizing believer mentions or enters it while at the same time being prepared by nature to contact his spiritual legacy, his shining past and his eventful history - he would undoubtedly remember the glorious memories, magnificent recollections and solemn implications. Al-Azhar is a comprehensive and meaningful word which has spiritual and moral significances. It constitutes time, place, religion, life and history.

Al-Azhar stands as the lighthouse which has been raised as a guidance through the history of the Great Call, and which has been firmly established unshaken by the tremors and earthquakes. Its light has ever shone to guide the Muslim peoples during the dark ages and

under adverse circumstances to enjoy the sense of safety, dignity and unity. Al-Azhar has been the shelter which maintained the existence of Arabic culture more than thousand years past. It has been watching over it, expounding it and extending it to the seekers of knowledge, from East and West alike, who resort to it in quest of knowledge. In other words Al-Azhar has been the radiating centre of Islamic thought and culture. Meanwhile this Arabic culture had been destroyed by ignorance and blasphemy in Baghdad and Andalusia. Furthermore, Al-Azhar stands as the refuge to which the Arabic language has resorted from the inroads of sectarianism, colloquial language and Turkish when the rulers had been alien to the people, when ignorance had prevailed, the caliphate had weakened and the real possessors of land had been subject to utter humiliation.

Moreover Al-Azhar has been the second niche to which all

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
المصنوع
إدارة أجمع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦٩١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

الجزء التاسع - رمضان سنة ١٣٨٠ هـ - فبراير ١٩٦١ م - المجلد الثاني والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

الزوميات والصيام

للأستاذ عباس محمود العقاد

ويقول الدكتور كامل حسين في تحليل
كلف المعرى بالزام ما لا يلزم : إنه
وكان بطبيعته متديناً غاية التدين . . . ودليل
التدين أمران : أن يعمل الإنسان أعمالاً
صالحة ليس مضطراً إلى عملها إلا بدافع من
نفسه ، وأن يمتنع عن أمور سيئة لا يمنعه
منها إلا وازع من نفسه . . . فالتدين في الواقع
ليس إلا لزوم ما لا يلزم إيجاباً وسلباً .

هذان تفسيران لطريقة المعرى في نظم
الزوميات تلتقيان في معنى واحد ، وهو تطوع

يقول الدكتور طه حسين في كلامه على
الزوميات : « إن لزوم ما لا يلزم هو شعار
أبي العلا . في جميع أطوار حياته بعد رجوعه
من بغداد . فقد ألزم في شعره ونثره وسيرته
أشياء لم يلتزمها من قبل ، ولم يكن من الحق
عليه التزامها ، وإنما آثرها حين راض نفسه
على تكلف المشقة واحتمال المكروه . فالزوم
في الزوميات أن تكون القافية على حرفين ،
أي أن يلتزم حرفاً لو أسقطه لما كان متجاوزاً
قواعد القافية . »

في عصره وأن طريقته هذه لم تكن هي الطريقة الوحيدة بين شعراء عصره وأدبائه ، فإنهم كادوا جميعاً أن يلتزموا شيئاً لا تلزمهم إياه قواعد العروض أو قواعد الكتابة ، وقد عرضوا لنا من هذه الناحية ظاهرة عصرية تحتاج إلى تفسيرها ولا يغنيها فيها تفسير طريقة اللزوميات أو مزاج أبي العلاء .

فلماذا هذا الولع بما لا يلزم بين أبناء الجيل كله ومن يليهم من الشعراء والكتاب إلى القرن السادس أو بعده بقليل ؟

لاخفاء بسبب هذا الولع إذا نحن تذكرنا أن القرن الرابع للهجرة هو القرن الذي جاء بعد عصر المخضمين ، وشاعت فيه شبهات العجمة وغلبة السيادة الأعجمية على البلاد العربية فتحوّل طغت فيه لغة العرب بلغة الدخلاء والمولدين وقيل فيه: إنه طليعة عصر المتأخرين ونهاية عصر الأوائل الذين يحتج بهم ويجوز للأديب أن يستشهد بكلامهم للتمييز بين الفصيح والأعجم ، وبين العربي والدخيل .

إن تسمية أدباء ذلك العصر باسم المتأخرين والمولدين هي الشبهة التي وقفت في نفوسهم وكلفتهم أن يدفعوا تلك الشبهة بالمبالغة في التزام ما لا يلزم على شتى الوجوه والأساليب وكلفتهم - مع هذا - أن يصطنعوا شعر الحكمة والمثل السائر ، مخافة أن يقال : إن السلف قد

المعري لاحتمال الشدة التي لا يحتملها غيره إلا مطيعاً للسلطان المفروض عليه . فهو في التزامه ما لا يلزم في نظم الشعر ، يجري على العادة التي التزمها في ملازمة دأره ، وفي الصيام عن اللحوم ومآكل الترف والنعمة ، وفي العزوف عن غرور الجاه والثراء ، ويجوز أن يكون هذا الالتزام كما نرى نوعاً من « التحدي » للبصائب والمحن كأنه يقول لها : « بيدى لا بيد عمرو » . كما يجوز أن يكون ذلك أنفة من الزحام الذي يعجز عنه ويقدر أنه يعرضه للعبث والسخرية وهو الذي استكثر على وقار أبيه أن يخف للزحام في موقف الحشر حين رثاء في أوائل صباه فقال :

ويا ليت شعري هل يخف وقاره

مع الناس أو يأبى الزحام فيستأني
وقول الدكتور كامل حسين : إن التزام ما لا يلزم ظاهرة من ظواهر الفريضة الدينية قول صحيح يصدق على سليقة التدين وعلى أصل من أصوله العميقة وهو الرضا بالتضحية والفداء والصبر على المشقة والصيام عن الملذات . وكلا التفسيرين يوافق المعهود من خلق المعري ومن سيرة حياته ، وقد يغنى عن المزيد في تفسير اللزوميات لولا ملاحظة لا بد منها عند النظر إلى أدب المعري وأدب معاصريه ، وهي أن المعري لم يكن وحيداً

ذهبوا بالحكمة وجوامع الكلم ولم يترك
المتقدمون قولاً للتأخرين .
ولقد كان أبو العلاء أشدهم حرصاً على
عروبه ودفعاً لشبهة التخلف في لغته وأدبه ،
ونفراً بالتقدم على غيره ، ولم ينظم شعراً في
الفخر إلا جعل « هذا التقدم » أول مفاخره
فيه ، فهو القائل :
وإني وإن كنت الأخير زمانه
لآت بما لم تستطعه الأوائل
وهو القائل ويريد مكانته كما يريد وجهته
وقبلته إقبالاً وإعراضاً مع الكبراء والأمراء :
ورائي أمام والأمام وراء
إذا أنا لم تكبرني الكبراء
وهو الذي جعل اللغة ومشكلاتها وأسرار
كلماتها وألغازها شغله الشاغل في رسائله
ومصنفاته . وقال الدكتور كامل حسين ، بحق :
لإنها حلت عنده محل ألغاز الأساطير وأسرار
العبادات عند اليونان الأقدمين .
فإذا كان مزاج المعري هو الباعث الأول
له على تحديد الحزن وأنفته من الزحام فمزاج
العصر كله هو الذي كان يوحى إلى الشاعر
« المتأخر » أن يقول : إنه صانع لما لم يصنعه
الأوائل ، وقادر على التزام ما لم يلتزموه ! .
وكان غيره من شعراء القرن الرابع يلتزمون
شيئاً لم يلتزمه الأوائل ، فيقول (أبو الفتح
البرقي) في شعره :

إذا أقر على رق أنامله
أقر بالرق كتاب الأنامل له
ويجانب في قافيته فيقول :
ولا تعد لحديث إن طبعهم
موكل بمعاداة المعادات
وهو القائل في منشوره : « من أصلح فاسده
أرغم حاسده ... والمنسية تضحك من
الأمنية ... وعادات السادات سادات
العادات » .
ويمضي الملتزمون ما لا يلزم على هذا السنن
حتى نرى الحريري ينظم الأبيات من حروف
مهملة أو حروف معجمة أو يوالى بين
الحروف حرفاً مهملاً يتلوه حرف معجم .
أو ينظم البيت من بحر ين وقافيتين
كما قال :
يا خاطب الدنيا الدنية لإنها
شرك الردي ، وقرارة الأكداد
دار إذا ما أضحكك في يومها
أبسكت غداً ، تبا لها من دار
ويزيد بعض المتأخرين فيلتزم القافية
ثلاث مرات أو أكثر في البيت الواحد كما
قال النابلسي من التسميط .
جزيل السخاء ، جميل العطاء
جليل العلاء ، من النجم أهدي
سريع الجواب ، رفيع الجناب
وسيع الرحاب ، حبا الوفد رفدا

وكان بديع الزمان يلتزم ما لا يلزم على طريقته فيبدأ الكتاب من ختامه ويعيده بعد تمامه ، ويحكى الكتاب والشعراء في ضروب من الالتزام ، على هذا النظام وعلى غير هذا النظام .

وقل من شعراء القرن الرابع وما بعده من لم ينظم القصائد الطوال في الحكمة والمثل السائر ؛ ليدفع عن المتأخرين شبهة التقصير عن شأو المتقدمين .

فالبدستى المتقدم ذكره هو صاحب النونية الحكيمة — التي يقول في مطلعها :

زيادة المرء في دنياه نقصان
وربحه غير محض الخير خسران
والتهامى صاحب المراثية الحكيمة التي يقول منها :

طبعت على كدر وأنت تريدها
صفوا من الأكدار والأقدار
ومكلف الأيام ضد طباعها
متطلب في الماء جذوة نار
والطغرائى يقابل لامية العرب بلامية العجم
ويقول فيها من الحكمة :

أصالة الرأى صانتنى عن الخطل
وحلية الفضل زانتنى لدى العطل
أعمل النفس بالآمال أرقبها
ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل
وغير هؤلاء بين أواخر القرن الثالث وأواخر القرن السابع كثيرون من شعراء الاقتنان في لزوم ما لا يلزم على أنماط وأشكال ومن شعراء الحسك والأمثال لكيلا يقال :
لنهم دون المتقدمين في هذا المجال .

وكل هؤلاء شركاء للبعرى في سبب أصيل من أسباب الولع بالترام ما يلزم واصطناع الحكمة والمثل وليس بمنع مع هذا أن يكون للبعرى سببه الذى غلبت عليه فطرة التدين والتضحية المقصودة للتحدى والاعلمتنان إلى الحرمان . . . فإن النفس البشرية شبيهة بحكمة من الدوافع والموانع ، تجمع بين النقائص ولا يتمتع عليها أن توفق بين التضحية ونقيضها من الفخر وحب الاستعلاء ؟

عباسى محمود العقاد

نداء من لاجئ . . . !

أخى فى الشرق والأجداد ، والتاريخ ، والدين .
حنانك إن ليل التيه يعصف بى ويطوينى .
أخى قد عربد الإعصار ، مد يدك واحمينى .
ومزق عن يدى قيدى ، فقيد الذل يضوينى ! .

كَيْفَ كَانَ الْأَزْهَرُ حَصْنًا لِللِّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ

بقلم : مُحَمَّدُ حَسَنُ الزُّنَاتِ

ويعنى الأزهر فيما يعنى ، الحصن الذى اعتصمت به اللغة العربية من عدوان الشعوبية والعامية والتركية حين استعجم اللسان واستترك السلطان وفشت الجهالة ، وضعفت الخلافة وعز الناصر وذل الأهل .

ويعنى الأزهر فيما يعنى القبلة الثانية التى يوجه المسلمون فى جميع أقطار الأرض قلوبهم إليها يتلسمون على هداها الطريق إلى الحق والسبيل إلى الله .

ويعنى الأزهر فيما يعنى الملاذ للشعب المظلوم كلما عسفه الطغيان وبغى عليه الحكم فى أى منه إلى ركن شديد وحام قادر .

ويعنى الأزهر فيما يعنى الجامعة العالمية التى يؤمها الطلاب من كل أرض ومن كل جنس ومن كل لون ليتفقهوا فى الدين ولينسذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ، لا يبعثون من وراء ذلك مالا ولا جاها ولا شهرة .

ويعنى الأزهر فيما يعنى الخائفة التى آوت العباد والزهاد والوعاظ وحفظ القرآن وحملة البركة .

ويعنى الأزهر فيما يعنى القاعدة الروحية التى كان يخشاها المستعمرون فحاولوا سراً وعلناً أن يدمروها ليتقوها ، فلما استيأسوا

أن المعنى الذى يبدد إلى الذهن من لفظ الأزهر أنه جامعة إسلامية تدرس فيها علوم الدين واللغة ، ولكن المؤمن المتأمل الواعى إذا ذكره أو دخله وكان مهياً بطبعه للاتصال الروحى بماضيه المشرق وتاريخه الحافل انثالت على خاطره منه دلالات وذكريات وطبوف تملأ النفس خشوعاً وجلالاً وروعاً ، فالأزهر كلمة من السكم النوايغ الجوامع ، فى لفظها استيعاب ووعى ، ولمعناها إشعاع ووحى ، فهى زمان ومكان ودين ودنيا وتاريخ ، يعنى الأزهر فيما يعنى المنار الذى ارتفع فى طريق الدعوة العظمى ثم ثبت بنيانه على رجب الزلازل وانتشر ضوؤه على عصف الرياح ، وقاد الشعوب الإسلامية فى ظلمات الخطوب والحروب إلى ملتقى السلامة والكرامة والوحدة .

ويعنى الأزهر فيما يعنى المعقل الذى حفظ الثقافة العربية ألف سنة ونيفا ، يسهر عليها ويزيد فيها وينفق منها على طلاب المعرفة فى الشرق والغرب ، على حين دمر الجهل والكفر حصونها فى بغداد والأندلس .

« نص المحاضرة التى ألقيت فى قاعة المحاضرات الكبرى للجامعة الأزهرية .

مشكله ، والحديث والأصول والفقه والتفسير لاستنباط أحكام الشرع منه ، وهو الذى وحدها على كل لسان ، ونشرها معه فى كل مكان . وحفظها أربعة عشر قرناً إلا قليلاً لا تفسد ولا تجمد ولا تتغير مصداقاً لقول الله تعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » . وحفظ القرآن يستلزم حفظ لغته ، والناظر فى تاريخ الأديان السماوية والأرضية لا يجد ديناً حملته لغته التى أنزل بها أو كتب فيها إلى أقصى الشرق وأقصى الغرب فى مدى ١٣٨٠ سنة ثم بقيت محافظة على قوتها وجدتها ووحدةها وطبيعتها الملائمة للإسلام ولغة العرب . أما سائر الأديان فلا تقرأ كتبها الأصلية إلا فى لغة البلد الذى ظهرت فيه . فإذا نقلت إلى بلد آخر عن طريق الدعوة قرئت مترجمة إلى لغته ، واختص بمعرفة الأصل طائفة قليلة من رجال ذلك الدين ، فمدونة الأسفار البوذية المسماة بالسلاط الثلاث لا يقرأها أتباع هذه الملة فى الصين واليابان إلا منقولة إلى الصينية واليابانية ، والتوراة والإنجيل - وهما كتابان منزلان - لا يقرآن فى العالم المسيحى إلا فى لغة كل قطر من أقطاره ، لذلك ظل تأثيرهما فى الآداب الأخرى ضئيلاً حتى ترجما إلى اللاتينية والتوتونية القديمة فظهر أثرهما قوياً فى الآداب الأوروبية .

من تدميرها أو لإضعاف تأثيرها سالموها وناقوها ، ثم جهدوا أن يستميلوها ليستغلوها . ويعنى الأزهر فيما يعنى ، الصرح الوطنى الذى أوجع الثورات على الفساد ، وخرّج القيادات للجهاد ، وقام من نهضة العرب الحديثة مقام الرأس واليد ، يمدّها بالروح ويرفدها بالقوة . ثار على الغزو الفرنسى بقيادة ستة من علمائه ، وثار على الطغيان التركى بقيادة شيخه عبد الله الشرفاوى ، وثار على الظلم الخديوى بقيادة ابنه أحمد عرابى ، وثار على الاحتلال البريطانى بقيادة ابنه سعد زغلول .

كل أولئك يعنيه لفظ الأزهر ، وأكثر من أولئك يلزم معنى الأزهر ، ولسكنى بسبيل الحديث عن نصيب اللغة العربية من فضل الأزهر فلا أخوض فى حديث غيره .

إن فضل الأزهر على اللغة العربية مستمد من فضل القرآن الكريم عليها ؛ وبعض فضله أنه كسبها عذوبة فى اللفظ ورقة فى التركيب ودقة فى الأداء وقوة فى المنطق وثروة فى المعانى . وكان سبباً فى استحداث العلوم الشرعية والأدبية التى حفظت مادتها بالقواعد وفى المعجمات ، ووسعت دائرتها بالألفاظ والمصطلحات ، كالنحو والصرف والاشتقاق لدفع اللحن عنه ، والمعانى والبيان والبديع لتقرير الإعجاز فيه ، وعلى اللغة والآداب لتفسير غريبه وتوضيح

ومن هنا كانت ثقافة الإسلام قائمة على ركنين أساسيين هما الدين بعلمومه المختلفة واللغة بفنونها المعروفة ، وهذان الركنان يشدان أحدهما الآخر ويمسكهما ، فالإسلام بغير العربية ينهم ويضمحل ، والعربية من غير الإسلام تنكش وتزول ، واللغات السامية مدينة ببقائها للدين ، فلولاء اليهودية ما بقيت العبرية ، ولولاء المسيحية ما بقيت السريانية ، ولولاء الإسلام ما بقيت العربية ، ولكن الفرق بين بقاء العربية وبقاء العبرية والسريانية هو الفرق بين الروح والذماء أو بين العين والأثر . والأزهر وهو وارث النبوة وحامى العقيدة وناشر الدعوة لا يمكن أن تقوم رسالته إلا على هذين الركنين ، وقد أداها بتأييد الله وتوفيقه تأدية أحلته من العالم الإسلامى كله محل الزعامة .

على أن فضله على علوم القرآن وعلوم اللسان قد يشاركه فيه بالكثير أو بالقليل طائفة من المدارس والجوامع أنشأها السلاطين فى القاهرة ودمشق وحلب وبغداد والنجف وقرطبة والقيروان والزبونة ، كالناصرية والقمحية والصلاحية والمؤيدية والمنصورية والشيخونية والظاهرية والكاملية والنظامية ؛ ولكن هذه المدارس التى عفى على أكثرها الزمن لم تستطع فى حياتها منفردة أو مجتمعة أن تطاول الأزهر فضله

وليس كذلك الحال فى القرآن ، فإن المسلمين اعتقدوا بحق أن لغته جزء من حقيقة الإسلام ، لأنها كانت ترجمانا لوحى الله ولغة لكتابه ومعجزة لرسوله ولسانا لدعوته ، ثم هذبها النبى الكريم بحديثه ونشرها الدين بانتشاره وخلدها القرآن بخلوده . فالقرآن لا يسمى قرآنا إلا فيها ، والصلاة لا تكون صلاة إلا بها ، لذلك سارعوا إلى تعلمها والتكلم بها والتأليف فيها والتعصب لها والدفاع عنها والدعوة إليها حتى حلت محل الفارسية فى العراق والرومية فى الشام والقبطية فى مصر والبربرية فى المغرب ، وأصبحت فى عصر بنى العباس وهو عصرها الذهبى لغة الدين والأدب والعلم والسياسة والإدارة والحضارة فى أكثر الدنيا القديمة ، وأصبح المسلم على اختلاف جنسه ينتقل من قطر إلى قطر فى عالمه الإسلامى كما ينتقل من بلد إلى بلد فى وطنه الأسمى ، لا يحدد مشقة فى التفاهم ، ولا صعوبة فى التعامل ، ولا شدة فى المعيشة . ثم شغل المسلمون - عربهم وعجمهم - بالقرآن وفرغوا له ، فكان دعاءهم فى المسجد ولفظاتهم فى البيت ، ومنهاجهم فى العمل ، ودستورهم فى الحكومة ، فسرى هديه منهم مسرى الروح ، وجرى وحيه فيهم مجرى الطبع ، وأثر فى ألسنتهم وأفئدتهم وأنظمتهم تأثيراً لم يؤثره كتاب سماوى آخر فى أهله .

التار في بخارى وبغداد، والصليبيون بالشام،
والفرنج بالآندلس، فلو أن الزمان عفى على
اللغة العربية وألحقها بأخواتها السامية لما
كان ذلك خارقاً لطبيعة الأشياء ولا بدعا
في منطق التاريخ، ولكنها بقيت على الرغم من
هذه الخطوب لسانا للدين والعلم، ولغة
للحكومة والأمة في بلاد المغرب ومصر والشام
وببلاد العرب والجزيرة، ولولا نعمة الترك
وعصيدة الفرس لكانت لغة المسلمين كافة.
والفضل في بقائها بعد إدمار الزمان والسلطان
عن أبنائها، إنما كان لهذا الأزهر الجليل
الذي اختصه الله بمزايا تميز بها على غيره، منها
صبغته العربية الخاصة بحكم نشأته وبيئته،
وموقعه الوسط بين الشرقين الأدنى والأوسط؛
فكان ملتقى المسلمين من هنا ومن هناك،
ومنها قره من الحجاز فكان طريق الحجاج
والرحالين من علماء إفريقية والآندلس. ومنها
تخريج طائفة كبيرة من أعلام الفقه وأعيان
الأدب جمعوا شتات اللغة والعلوم والآداب
في أسفار أشبه بدوائر المعارف، ومنها مكانته
التي بلغت من قلوب المسلمين والحاكمين مبلغ
القداسة وكان لها أثر بالغ في حل بعض
المشكلات السياسية والاجتماعية، ومنها
كفايته الأساتذة والطلاب مؤونة العيش بأن
كفل لهم الغذاء والكساء والمأوى والكتاب،
ومنها إيواؤه الناجين بحياتهم ودينهم وعلبهم

الخالد على اللغة العربية في بقائها لسانا للعلم
ورباطا للمسلمين إلى اليوم.

تحيفت الخطوب السود لغة القرآن
في محنتين أشفت فيهما على الموت
لولا أن تداركها الله بفضلها : محنة الغزو
المغولى في منتصف القرن السابع حين انتكث
قتل العباسيين في العراق بتنافس الفرس
والترك، وتحارب الشيعة والسنة، وذهب
جلال الخلافة من النفوس، فقوص هو لاكو
عرشها سنة ٨٥٦ هـ، وتضعضع أمر الأمويين
في الآندلس بتغلب البربر والموالى على
ملكهم وتقسيمه بينهم إلى دويلات سهل على
الفرنج ازدرادها قطعة قطعة حتى ابتلعوها
لقمة سائغة سنة ٨٩٨ هـ . . . ودالت دولة
الفاطميين في مصر والشام فوقعتا في أيدي
الأيوبيين، ثم صارتا إلى المماليك وظلنا تحت
سلطانهم حتى دخلنا في حكم الأتراك
العثمانيين سنة ٩٢٣ هـ، فأتى على العرب
ستون وخمسة عام لم يكن لهم فيها
سلطان ولا ملك، فأصبحت ديارهم وآثارهم
نهباً مقسماً بين المغول والترك والفرس
والجركس ثم الأسبان بعد قليل، وكان أكثر
هؤلاء الأعجم وحشيين أميين غفروا الدور
وهمكوا الحدود ونجعو اللغة وآدابها وعلومها
بتحريق المسكبات وتعطيل المدارس وتقويض
المراسد وتقتيل العلماء . ناهيك بما فعله

غضبوا عليا حقه إذ لم يكن
بعهد النبي له يشرب ناصر
فاصبر فإن غدا عليه حسابهم
وابشر فناصرك الإمام الناصر
والجزالة ظاهرة في شعر الملك السكردى
ظهور الرككة في شعر الخليفة العربى ١.

كذلك أقول فى المالك فقد أيدوه وأمدوه؛
لأنهم اتخذوا مصر وطنا ، والإسلام ديننا ،
والعربية لغة ، وكان من بينهم شعراء عاجلوا
القرىض وأجادوه كالسلطان الغورى ،
هؤلاء المالك قد عضدوا العلماء وقربوا
الأدباء ، وشدوا أزر المعلمين والمؤلفين ،
حتى خرج الأزهر فى ظلمهم أولئك الأئمة الذين
استودع الله صدورهم ذخائر العلم والحكمة
فأودعوها السكتب ، وأخرجوها للناس :
بكمال الدين بن منظور ، وجمال الدين بن
هشام ، وشمس الدين النويرى ، وابن فضل الله
العمري ، وشمس الدين الذهبي ، والحافظ بن
حجر العسقلاني ، وأبى العباس القلقشندي ،
وتقى الدين المقريزى ، وبدر الدين العيني ،
ومراج الدين البلقيني ، وبدر الدين الدمايني
وشمس الدين السخاوى ، وكمال الدين الدميرى ،
وجلال الدين السيوطى ، وتقى الدين القشيرى
المعروف بابن دقيق العيد .

لهذه المزايا انتهت إلى الأزهر فى القرون
الثلاثة السابع والثامن والتاسع زعامة الثقافة

وأدبهم وكتبهم من غارة المغول حين
اكتسحوا خراسان والفرس والعراق ، فكان
من مهاجرة هؤلاء العلماء من الشرق والغرب
إلى القاهرة من البحث والابتكار ما كان لمهاجرة
علماء المسيحية من القسطنطينية إلى روما
من البعث والازدهار . ومنهما مناصرة الأيوبيين
له بالمال والتعصيد ؛ لأنهم وإن كانوا أكرادا
قد تكلموا بلغة العرب وتأدبوا بأدب العرب
ونبع من بينهم الشاعر والعالم والمؤرخ ،
كالمملك المؤيد عماد الدين أبى الغداء ، والمملك
الأفضل على بن صلاح الدين ، وكان هذا
المملك ضعيف الرأى كثير الغفلة فغلبه عمه
العادل أبو بكر وأخوه العزيز عثمان على ملك
الشام ومصر ، فكتب إلى الخليفة الناصر
العباسى كتابا يشكو إليه فيه ذلك وقد بدأه
ببيستين من الشعر أجاد فى نظمهما كل
الإجادة وهما :

مولاي إن أبا بكر وصاحبه

عثمان قد أخذنا بالسيف حق على

فانظر إلى حرف هذا الاسم كيف اتقى

من الأواخر ما لا فى من الأول

يريد بأبى بكر عمه ، وبعثمان أخاه ، وبعلى

نفسه ، فأجابه الخليفة الناصر بقوله :

وإنى كتابك يا ابن يوسف معلنا

بالصدق يخبر أن أصلك طاهر

راهم ما أحسوا من جلاله وما سمعوا عن مجده ، فوقفوا على أبوابه خاشعين يلتمسون منه العون على ما ينجم من أحداث ، والرأى فيما يشكل من الأمور .

والسلطان سليم نفسه قد زاره مرارا فصلى فيه وتبرك به . ومن قبل قد غزا الأزهر بلاد الأتراك بعلبه وأدبه وكتبه فعرّب طائفة منهم تعلدوا العربية وتكلموا بها وألفوا فيها كالفيروز آبادى وأبى السعود والفسارى وملا خسرو والجامى والخيالى وخوجه زاده وملا مسكين وملا لطفى وحاجى خليفة وطا شكيرى زاده وابن كال باشا . وكان سلاطين العثمانيين أنفسهم يدرسون العربية وآدابها كما كانوا يدرسون التركية وآدابها ، ومنهم من قرّض الشعر العربى ورواه كالسلطان أحمد الأول فقد روى له قصيدة غزلية مطلعها .

طبي يصول ولا وصول إليه

جرح الفؤ بصارمى لحظيه

ولم تضعف عناية علماء الترك بالعربية إلا فى عهد السلطان محمود الثانى وابنه السلطان عبد المجيد الأول حين أحياها اللغة التركية وقربا مواردها وبسطا قواعددها وسمياها اللغة العثمانية ، فأتمت ترون أن اللغة العربية قد أتى عليها ستة قرون قضتها بين الاحتضار والموت ، ثلاثة منها فى العصر المغولى ، وثلاثة أخرى فى العصر العثمانى ، انحلت فيها من الهندوخراسان والعراق وبلاد الروم والأندلس ، وبقيت

فى جميع البلاد العربية والإسلامية ، لحفظ وجود اللغة ، ورفع سقوط الأدب ، وجمع شمل العلم ، ولولاه لا انقطع ما بين الأديين القديم والحديث .

أما المحنة الأخرى التى امتحنت بها العربية وكان للأزهر الفضل فى وقايتها وسلامتها فهى محنة الغزو التركى فى أوائل القرن العاشر حين استولى السلطان سليم على مصر والشام سنة ٩٢٣هـ فاصبحت الخلافة العثمانية لآبسية ، وعاصمة الإسلام القسطنطينية لا القاهرة ، واللغة الرسمية التركية لا العربية ، ومكث الغازى سليم فى مصر بعد الغزو ثمانية أشهر سلبها فيها أنفوس أعلاقتها من الكتب والتحف والآثار لنوابغ الفنانين والمؤلفين الذين تخرجوا فى الأزهر وأنتجوا فى مصر مدى القرون الثلاثة التى سبقت الغزو العثمانى ، وأخذ الغزاة يغلبون لغتهم على اللغة العربية فى الدواوين ، ويطاردونها فى المدارس ، حتى كانوا يعلمون قواعد اللغة العربية باللغة التركية فى الشام والعراق ففشا فى اللغة العامى والدخيل ، وذهبت أساليبها من النظم والنثر ، وخيم الظلم والظلام على النفوس فخذت القرائح ، وضعفت رغبة الحسكام فى العلم ، وانقطعت أبواب الطلب له ، واستطاع الترك أن يتركو كل شىء فى مصر من سياسة وإدارة وتعليم وجيش إلا الأزهر ، فقد

وهذا المحنة الثالثة تجتازها اللغة اليوم وتوشك أن تبلبل اللسان وتعطل القرآن وتقطع الدين عن أصله ، وتفصل العربي عن أهله ، وتهبط بالأدب من جبل الوحي وهيكلك عطار حيث الترفع والسمو والتبذل ، إلى حضيض المسادية حيث التسفل والتبذل والفحش .

تلك هي محنة الإباحية اللغوية التي تغلب العامية على الفصحى ، وتؤثر أدب العامة على أدب الخاصة ، وتفضل الموضوع المثير على الموضوع المنير ، وتريد أن يكتب الكاتب وينظم الشاعر كما يشاء ، لا يتقيد بقاعدة من نحو ولا قياس من صرف ولا نظام من بلاغة ولا وزن من عروض ولا مثال من خلق . ولهذه المحنة أو المشكلة أصولان : الاستعمار والجهل . أما الاستعمار فلأنه رأى أن الرابطة بين المسلمين على اختلاف أقطارهم وتباعد ديارهم هي الدين واللغة ، وما دامت أمة محمد روحاً واحداً بالإسلام ، ولساناً واحداً بالعربية ، فإن استغلالها موقوت وإن طال ، وإن استقلالها آت وإن تأخر ، لذلك سعت فرنسا سعيها الدائب في الجزائر لفئة البربر عن دينهم بإصدار الظهير المعروف ، وقطع العرب عن لغتهم بطردها من المدارس والدواوين . ولكن دين الله كان أقوى من ظهير فرنسا ، ولغة المصحف كانت أمضى من لغة السيف . واكتفت إنجلترا على عاداتها من الدهاء

في الإفطار العربية بقاء المريض أشرف على الموت ولم يبق منه إلا رفق ذلك الرفق هو الذي كفله الأزهر وتعهده فغذاه وقواه ورعاه ، حتى إذا انجذب عن مصر قنات الحكم العثماني وأراد الله لشمس الحضارة أن تشرق مرة أخرى على وادي النيل زایل اللغة الوهن وسرت فيها الحياة ، ففي الأزهر كان ملاذها وغياها ، وفي الأزهر كان بقاؤها وانبعائها .

كان الأزهر بعد انتهاء تلك الغمرة باحتلال نابليون ، وابتداء هذه النهضة باستقلال محمد علي ، قائد الشعب في السكفاح ورائد الحكومة في الإصلاح . تمثلت قيادته في شيوخة الأجلاء خليل البكري ، وعبدالله الشراوى ، ومحمد المهدي وسليمان الفيومي . وحسن العطار . وتجلت ريادته في طلابه النجباء الذين أرسلوا إلى أوروبا ليستفيدوا ويستزيدوا ، كإبراهيم النبراوى ، وأحمد حسن الرشيدى ، ومحمد على البقل ، ورفاعة الطهطاوى ، وعلى مبارك ، وتلك يد أخرى لهذا المعهد الجليل على اللغة العربية ، ساعدها على النهوض ، كما حمها من قبل دون السقوط .

هاتان هما المحنتان اللتان عانتها العربية في عهدين متواليين ، ثم جعل الله نجاحها منهما بفضل الأزهر حفظاً لكتابها وصوناً لدينه .

في الأزهر ودار العلوم ومدرسة القضاء الشرعي وفيما يجري على منبهجه من معاهد لبنان وسورية والعراق والمغرب دراسة عميقة تمكن الطالب المجتهد المستعد من فهم ما يقرأ وفقه ما يعلم وتعليل ما ينقد وتحليل ما يدور . فإذا اتصل النظر بالعمل واقرن الحكم بالتطبيق وصادف ذلك استعدادا في المتعلم ظهر الكاتب الذي يكتب فيجيد ، والشاعر الذي ينظم فيبدع ، والناقد الذي يحكم فيصيب ، أما إذا فتر الاجتهاد وضعف الاستعداد ظهر الأديب العالم الذي يهيء الوسائل ويقرب المناهل ويوجه المواهب ويسدد الخطى ، ومن هاتين الفئتين تستمد الحركة الأدبية عناصرها الحيوية فتقوى لتزدهر وتنمو لتنتشر وتسمو لتخلد . وكان من خريجي هذا المنهج القديم أولئك الأدباء الأصلاء الذين حفظوا تراث اللغة وجددوا شباب الأدب وأسسوا هذه النهضة الأدبية الحديثة ، ولا يزال من هذه الطبقة الكريمة فئة قليلة في أقطار العروبة تستبطن لغتها وتعمق أدها وتعرف لماذا تكتب الجملة على وضع دون آخر ، فإذا خلا المجتمع بعد أجل طويل أو قصير فهل يخلف من بعدهم خلف يحملون أمانة اللغة ويبلغون رسالة الأدب ؟

الجواب عن هذا السؤال عند الأزهر وحده ، فهو يحكم طبيعته وعلة وجوده معتم

والكياسة بمحاربة الفصحى فدعت إلى العامية بلسان موظفيها ومبشرها ومستشرقها ؛ لأن اللغات العامية تختلف في البلاد العربية اختلافا شديدا يكاد يجعل من كل لهجة منها لغة مستقلة ، وإذا انهزمت أمامها اللغة المشتركة وهي الفصحى استحال التفاهم وضعفت العقيدة وانقطعت الصلة وتفرقت الوحدة وتبددت القوة واستطاع المستعمر أن يلتقمها لقمة لقمة فلا يغص ولا يشبعي . ولكن هذه الدعوة فشلت بضعف الاستعمار في الشرق ، وقوة الوعي في العرب . وأما الجهل وهو الأصل الآخر لمحنة اللغة العربية فقد خلف الاستعمار في هذه الدعوة المجرمة ، والمراد بالجهل جهل أبناء العربية بها ، وعزوفهم عن علومها وأدها ، وهو جناية المدرسة المدنية الحديثة ، فقد فشلت بعد طول الزمن وكثرة التجارب في تخريج القاري الذي يقرأ بفهم ، والكاتب الذي يكتب عن علم ، والمفكر الذي يفكر عن أصالة ، وليس أدل على هذا الفشل من أن الطالب يتعلم النحو عشر سنين دأبا ثم لا يستطيع بعد ذلك أن يعبر عن فكره تعبيراً صحيحاً لا بلسانه ولا بقلبه ، فإذا دفعه استعداده الأدبي إلى الكتابة أثر العامية على الفصحى ودعا إلى التحلل من القواعد والقيود ليجعل الفوضى نظاما والخطأ مذهبا والعجز شركة . كانت علوم العربية تدرس

تلك حال المتخرج الأديب بطبعه أما المتخرج العادى فانه يعود أميا كما بدأ ، لا يقرأ إذا قرأ إلا السهل ، ولا يطلب هذا السهل إلا فى قصة عامية تخدر الشعور ، أو فى مجلة فكاهية تنبذ الشهوة ، حتى نشأ من إفراط القراء فى هذا الطلب ، إفراط الكتاب الخفاف فى عرض الأدب للذيذ الذى لا ينفع ، أو الأدب الماجن الذى لا يرفع ، ذلكم إلى طغیان الأدب الأوربي بمذاهبه ونزعاته وترهاته على عقول الناشئين الذين تفقوا هذه الثقافة الأدبية الهشة ففتنتهم عن أدبهم وصرفتهم عن تاريخهم ، فالمفترسون منهم يعرفون هوجو ولا يعرفون المتنبي ، ويدرسون فولتير ولا يدرسون الجاحظ ، ويقروون لامرتين ولا يقرءون البديع ، ومن هنا نشأت هذه التبعية التى فرضها الشباب على أدبنا لأدب الغرب ، فأسا إليهم الكتابية اليوم هى أساليب الكتابية فى الغرب ، ومذاهبهم الأدبية هى مذاهب الأدب فى الغرب ، ومقاييسهم النقدية هى مقاييس النقد فى الغرب ، حتى الرمزية وهى بنت الألف الغائم والفس المعقدة واللسان المغمض يريدون أن تتبناها العربية بنت الصحراء المكشوفة والشمس المشرقة والطبع الصريح ، وحتى الوجودية وهى بنت الخلق المنحل والذوق المنحرف والغريزة الحرة ، يحاولون أن تقبلها العربية لغة الرسالة الإلهية التى كرمت الإنسان

اللغة ومنجاها فى الماضى والمستقبل ، أما المعاهد الأخرى فكل شئ فيها يبعث على التشاؤم : منهج تطبيق بكاد يخلو من القواعد ، وتعليم سطحي مقتضب لا هدف له إلا اجتياز الامتحان العام بأية وسيلة ، فالمطولات تختصر ، والمختصرات تختزل ، فلا يبقى بعد ذلك فى ذاكرة الطالب إلا رموز على معان غائمة غائمة لا هى مستقرة ولا هى واضحة . ذلكم إلى زهادة فى الجدى النافع من ثقافة اللسان والقلم تقعد النشء عن تعمق الأصول وتقصى الفروع ، وتقنعهم بالقدر الذى ينقلهم من سنة إلى سنة أو من شهادة إلى شهادة ، فإذا ما تخرج الناشئ بهذا الحظ المنكود من اللغة وكان فى نفسه ميل إلى الأدب ، وفى طبعه استعداد للكتابة ، انصرف عن كنوز الأدب العربى ، لأن مفاتيحها ليست عنده ، وأقبل على روائع الأدب الغربى يحاكيها ويستوحىها حتى إذا امتلا ذهنه وفاض شعوره وأراد أن ينتج شيئا يفيد الناس وجسد فى نفسه الملسكة التى تخلق وفى حسه الصورة التى تتمتع ، ولكنه لا يجد فى لسانه اللغة التى تعبر ، ولا فى قلبه الأسلوب الذى يؤثر ، فيضيق ويسخط ويثور ، ويزعم أن قواعد اللغة غصة لا تساغ ، وأن إعراب الكلمة عقبة لا تذلل ، ثم يتطرف فيدعو إلى إطلاق الحرية للكاتب فيكتب كما يشاء .

أو الكتاب ولا يقعون فيها على الخطأ الذي يفضح المستور ويكشف الغش . فالفضل لأولئك الجنود المجهولين من الأزهرين الذين يرابطون ليل نهار في دور الصحافة والنشرويسموئهم المصححين ؛ فإنهم يسمرون بأقلامهم الحمر على المعوج فيستقيم ، وعلى المعجم فيعرب ، وعلى الركيك فيعوى .

لا بأس أن ييسر النحو والصرف والبلاغة على الطلاب : ولكن البأس كله في المدى الذي بلغه هذا التيسير ، لا بأس أن نخفف على غير المتخصصين من عبء التقديرات والتعليقات التي فلسف بها النحاة المعجوه ، ومن حفظ وجوه الإعراب التي بقيت في اللغة أثراً لاختلاف اللهجات في الجاهلية فموشى القواعد وجعلت كل خطأ صواباً وكل صواب خطأ ، ولكن البأس كله في أن تجرد علوم العربية من خصائص القوة والخصوبة والبراعة لتصبح أشبه بالهيكل العظمي ، فيه الخفة والبساطة والشكل ، وليس فيه العضل والعصب والروح . إن ما يبقى من هذه العلوم بعد النقصان ، وما يبقى من هذا المنقوص بعد النسيان ، لا تحيا به لغة ولا يبقى عليه أدب ، فإذا استطاع يوماً أن يجيز امتحاناً أو ينيل شهادة فلن يستطيع أبداً أن يخرج أمثال من خرجهم الأزهر بشموخه وكتبه ، كمحمد عبده ، وسعد زغلول ، والمفلوطي ، والبشري ،

وفصلته من سائر الحيوان بحدود من الدين والخلق لا يتعدها وهو عاقل ، ولا يتحداها وهو مؤمن .

ليس الأمر في الأدب كالأمر في العلم ، الأدب للنفس والعلم للناس ، الأدب مواطن والعلم لا وطن له ؛ الأدب روح في الجسد ودم في العروق يكون شخصية الفرد فيحيا مستقلاً بنفسه ، ويبرز شخصية الشعب فيحيا متميزاً بأفراده ، الأدب جنس ولغة وذوق وبيئة وعقلية وعقيدة وتاريخ وتقاليد . والعلم شيء غير أولئك كله ، فإذا جاز طبعاً أن نأخذ من غيرنا ما يكمل نقصنا من العلم ، فلا يجوز قطعاً أن نأخذ من هذا الغير ما يمثل أنفسنا من الأدب .

إن دراسة العربية على النهج الصحيح المنتج بعد المدرسة لا يسكلف المتأدبين من الجهد والزمن أكثر مما تكلفهم دراسة الفرنسية والانجليزية : ولكنهم في عصر السرعة يطلبون القريب ويتوخون السهل ويتخطفون العلم ويتعجلون الإنتاج ، ثم يحقدون على من يلزمونهم التأني ويحشموهم الدرس ويقولون لهم إن أحدنا لا يعرف في تاريخ الآداب القديمة والحديثة من يعد في لغته كاتباً أو شاعراً أو قصاصاً أو مؤلفاً ، وهو لا يعرف من قواعدها الأساسية ما يقيم لسانه وقلبه ، وإذا كان الناس يقرءون الصحيفة

تربطنا بماض ، ولا نصلنا بمستقبل ، ولا تجمعنا
في وحدة ، فذلك مذهب لا يقول به رجل
وهو جاد ، ودعوة لا يستجيب لها إنسان
وهو عاقل .

فإذا تركنا الأمور تجري كما تجري انتهت
بنا إلى تغلب العامية لأن أساليبها غالبية على
السمع ، وقواعدها جارية على الطبع ، فلا
يحتاج تحصيلها إلى كتاب ومعلم ومدرسة ،
ولنما يحتاج إلى بواب وخادم وشارع وتغلب
الأساليب العامية معناه كما قلت فصل الأدب
عن الدين وقطع الحاضر عن الماضي وتوهين
الصلات بين العرب . وفي يقيني أن أسر العربية
لا يصلح آخره إلا بما صلح به أوله : فقه
أسرارها كل الفقه ، وفهم قواعدها أدق الفهم ،
وحفظ أدبها أشد الحفظ ، وذلك يستلزم
الجد والجهد في إعداد المعلم ، والعلم والخبرة
في وضع المنهج ، والمنطق والذوق في تأليف
الكتاب ، والكتاب الأزهرى الذى تخرجنا
عليه وما زلنا نرجع إليه كنز من المعارف
لا يعوزها إلا سهولة مأخذها وحسن تنسيقها
وجمال عرضها ، فالفرق بينه وبين الكتاب
الحديث في العرض كالفرق بين حانوت من
حوانيت العطارة في الغورية ، وبين من
بيوت التجارة في قصر النيل ، قد يكون في
الحانوت القديم ما ليس في المتجر الحديث
من السلع التواجر والطرف النوادر ، ولكن

وطه حسين ، ولا أمثال من خرجتهم
دار العلوم كشاويش ، والمهدى . والخضرى
والسكندرى والجارم ولا أمثال من
خرجتهم مدرسة القضاء الشرعى . كأحمد
أمين وعزام والخولى . ولا أمثال
من خرجتهم دار المعلمين العليا ، كالمازنى
وشكرى وأبو حديد . ولا أمثال من خرجتهم
كتب الأزهر كالعقاد ، والرافعى ، وشوقى ،
وحافظ فى مصر . وكالبنسنانين واليازجيين
والشدياق ومطران والخورى فى لبنان .
وكلمغربى والشهابى ، وجبرى ، والطنطاوى ،
فى سورية . وكالرصافى ، والزهاوى وكاشف
الغطاء ، والشيبى ، والآثرى ، فى العراق ،
وكالناشيبى والسكاكينى فى فلسطين .

إنى أدعو إلى التوفيق بين الفصحى
والعامية ، ومذهبي فى مجمع اللغة العربية
إمداد الفصحى بما تزخر به العامية من ألفاظ
الحضارة وتراكيبها التى دخلت فى الحياة
العامية حتى تضيق مسافة الخلف بين اللهجتين
وينتهى بهما الأمر بفضل الصحافة والإذاعة
والتعليم إلى لغة واحدة عامة فيها من الفصحى
السلامة والجزالة والبلاغة والسمو ، وفيها
من العامية الدقة والطبيعية والحيوية والتجدد
والوضوح . أما أن تكون لغتنا كلغة المصج
لا تقوم على قواعد ، ولا تجري على أنظمة ،
ولا تشعرنا بهمال ، ولا تحفزنا لكمال ، ولا

الحرس إلا أن البدو المحصورين في حدود الزمان والمكان لم يتنبأوا بحدوث هذه الأشياء، ولم يضعوا لها ما يناسبها من الأسماء .

نشأ من إنكار حق الوضع اللغوي على المولدين وحصره فيمن يعتد بعريبتهم من عرب الأمصار حتى آخر المائة الثانية ، أو أعراب البوادي حتى آخر المائة الرابعة ، أن طغت اللغة العامية طغيانا جارفا حصر اللغة الفصحى في طبقات العلماء والأدباء والشعراء والكتاب يكتبون بها الملوك ، ويؤلفون فيها للخاصة ، وسيطرت على حياة الأمة في شئون العامة وأغراضها المختلفة ؛ لأن العامية حرة تنبذ على القيد ، وطبيعية تنفر من الصنعة ، فهي تقبل من كل أنسان ، وتستمد من كل لغة ، وتصوغ على كل قياس . والناس في سبيل التفاهم يؤثرون السهل ، ويستعملون الشائع ، ويتناولون القريب . وتختلف اللغة عن مسaire الزمن وملاءمة الحياة معناه الجود . والنهاية المحتومة لجود اللغة اندراسها بتغلب لهجاتها العامية عليها وحلولها محلها ، وقد تنبه بجمع اللغة العربية لهذا الخطر فقرر فيما قرر استجابة لاقتراح عرضته ، فتح باب الوضع اللغوي للحدثين بوسائله المعروفة من الاشتقاق والتجوز والارتجال ، وإطلاق القياس ليشمل ما قيس من قبل وما لم يقس . وتحرير السماع من قيود الزمان والمكان

اختفاهما في ركن غير ظاهر ، وعرضها في معرض غير لائق ، يضعف الإقبال عليها ويقلل الاستفادة منها ، فإذا عرضت الكنوز الأزهرية عرضا جميلا مشوقا في الدروس والمحاضرات والمذكرات والكتيبات كان ذلك عسيا أن يدنى قطفها من الطلاب على غير مؤونة ولا كد ذهن .

إن رسالة الأزهر قائمة كما قلت على ركنين من دين ولغة ، ولكن الأمر في تأديته إياها جدمختلف . الدين كامل لأنه من عمل الله ، واللغة ناقصة لأنها من عمل الإنسان ، والكامل الإلهي لا يتأثر بالمكان ولا بتغير الزمان ولا يضيق بالحضارة ولا يبرم بالعلم ، فهو جديد أبدا ، صالح أبدا ، ثابت أبدا . أما الناقص فهو عرضة للفساد والجود والتخلف ، وموضع للزيادة والتجديد والتطور ؛ لذلك كان الاجتهاد في اللغة وعلومها أمرا تحتمة الضرورة وقتضيه الطبيعة ؛ لأن اللغة لا يمكن أن تثبت ثبوت الدين ، ولا أن تستقل استقلال الحى ، فهي ألفاظ يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ، والأغراض لا تنتهى ، والمعاني لا تنفذ ، والناس لا يستطيعون أن يظلوا خرسا ، وهم يرون الأغراض تتجدد والمعاني تتولد ، والحضارة ترميهم كل يوم بمخترع ، والعلوم تطلبهم كل حين بمصطلح ، ولا علة لهذا

ولم هذا السؤال ؟ قال الطحاوى ظننتك تحسبني مقلدا فقال القاضي : لا يقلد إلا عصى أو غي . هذه الثروة الفقهية الضخمة لم يحجبها عن الناس إلا أسلوب التأليف القديم ، واليوم وقد تطورت المدنية وتغيرت العقلية ينبغى أن يطابق التعليم والكتاب مقتضيات العصر . هذه هي المحنة الثالثة التى تعانىها اللغة العربية اليوم .

وهى لا تختلف عن سابقتها إلا فى أن موقف الأزهر منها يجب أن يكون إيجابياً : يقابل العمل بالعمل ، ويرد الكيد بالكيد ، ويقاوم الدعاية بالدعاية ، ويقف بالرصاد لكل من يسول له جهله أو هواه أن يبعث بلغة الإسلام ، ويوهن رابطة العرب . والأزهريون الذين حملوا أمانة الله ، وبلغوا رسالة نبيه أكثر من عشرة قرون يستطيعون أن يدروا خطر هذه الإباحية عن اللغة والدين متى صدقوا الجهاد وذكروا أنهم جند الله يرمى بهم العدو فى كل وقت وفى كل أرض وعلى أى صورة ، فيعيشون للبوت كالجنود ، ويعملون للحياة كالقادة ، ويعزفون عن الدنيا كالرسل ، والله سبحانه وتعالى قد ضمن للعربية بقاء البيان بقاء القرآن وعلى أيدى أبناء الأزهر - المؤمنين برسائله - صدق الله وعده ، إن الله هو خير الصادقين ؟

أحمد حسن الزيات

ليشعل ما يسمع اليوم من طوائف المجتمع كالبنايين والنجارين وغيرهم من أرباب الحرف والصناعات ، واعتاد الألفاظ المولدة وتسويتها بالألفاظ القديمة ، وعلى هذه المبادئ وغيرها وضع معجمه الوسيط الذى سيظهر قريباً .

أما الاجتهاد فى الدين فقد فتحت أبوابه أول الأمر لمن تجهز بجهازه واعتدله بعده ، حتى إذا زخر الفقه الإسلامى على اختلاف مذاهبه ومبادئ عصوره بالآراء المحكمة والوجوه المحيطة ، وجد فيه المسلمون جواباً شافياً عن كل سؤال يخطر على الذهن ، وحلاً جامعاً لكل إشكال يعرض فى المجتمع ، وحكماً عادلاً فى كل قضية ترفع إلى القضاء ، فاستغنوا بغزارته وإحاطته عن الاجتهاد فيه ، وانصرفوا إلى اجتهد من نوع آخر هو الاجتهاد فى اختيار رأى المناسب ، وترجيح الحكم الموفق . جاء فى كتاب الولاية والقضاء للسكندى أن قاضياً شافعى المذهب كان بمصر فى عصر الإمام الطحاوى وكان يتخير لأحكامه ما يرى أنه يحقق العدل من آراء الأئمة ولا يتقيد بمذهب من المذاهب ، وكان مرضى الأحكام لم يستطع أحد أن يطعن عليه فى دينه ولا فى خلقه ولا فى حكمه ، سأل هذا القاضي الإمام الطحاوى عن رأيه فى واقعة من الوقائع فقال الطحاوى : أنسألتى عن رأي أو عن رأي أبى حنيفة ؟ قال القاضي :

شَهْرُ الْقُرْآنِ

لِلْأُسْتَاذِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدٍ الدِّينِيِّ

- ١ - رمضان هو ذكرى بلوغ الإنسانية مرحلة الرشد العقلي .
- ٢ - على جميع أرباب العقول أن يتدبروا القرآن .

لذلك ربط الله تعالى بين القرآن الكريم ورمضان ، فجعل من هذا الشهر الذي نزل فيه كتابه عيداً وموسماً لهذا الكتاب ، أو لهذا الرشد البشرى الذى يؤذن به ختم الرسالات بهذا الكتاب ، يذكر به ، ويعيده أمام المؤمنين تاريخهم الأول يوم كان الرسول فيهم ، وكتاب الله تعالى ينزل عليه ، وأصحابه رضى الله عنهم يسمعون منه ، ويوم كان هذا الكتاب مصدر عقيدتهم ، ومصدر تشريعهم وهدايتهم ، والنور المبين الذى يعتمدون عليه فى سلوك سبل الحياة المعقدة المظلمة .

ولم يرد الله تعالى أن يكون هذا الربط بين القرآن وشهر رمضان مجرد مرور هذا الشهر وتذكر الناس بمروره أنه هو الشهر الذى نزل فيه القرآن ، ولكنه أراد أن يكون التفاتهم إليه قويا فجعل هذا الشهر ظرفاً لعبادة روحية عظيمة الأثر فى التربية النفسية ، وعلى خلاف العادة فى الشهور كلها . وهى عبادة الصوم من أول يوم إلى آخر يوم فيه ، فلا يمكن بعد ذلك أن ينسى رمضان ولا أن يمر بالناس مروراً فائراً وله هذا الأثر الواضح فى نظام حياتهم ، ولا بد أن يفكر الناس

القرآن الكريم هو المنحة الإلهية الخالدة للبشر بعد بلوغهم مرحلة النضج العقلي ، وصلاحياتهم لأن يتلقوا آخر رسالة من السماء ، لا تحتاج مع هذا النضوج إلى رسالات أخرى .

فقد كانت الرسل تبعث ، والكتب تنزل ، قبل رسالة الإسلام ، تعهداً للناس بين الحين والحين بهداية السماء ، وأخذاً لهم بأسلوب التدرج والتنقل من تشريع إلى تشريع ، ومن رسول إلى رسول ، وفقاً بهم أن يدفعوا إلى الخطوة الكاملة دفعاً قبل أن يتهيئوا لها ، وملاحظة اظروهم الزمانية والعقلية فى عصورهم الأولى ، فلما نضجت البشرية واستوت وحصفت بما مر بها من تجارب طويلة ، وما أنزل عليها من رسالات هادية ، وما كشفت من آيات الدلالة الكونية وأنست السماء منها الرشد ، بعث الله خاتم النبيين بخاتمة الشرائع ، وأنزل عليه آخر الكتب فكان هذا الحادث العظيم الفذ فى تاريخ الإنسانية نقطة تحول وانبعاث إلى حياة جديدة يعتمد فيها الناس على أنفسهم فى هدى ما أنزل إليهم من ربهم ، دون أن يتربحوا رسالة سماوية أخرى .

التفسير بالرأى ، فمثل ما رواه الترمذى عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار) . وما رواه أيضا عن جندب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ) . ومن مثل ما روى عن أبي بكر الصديق من أنه سئل عن تفسير (الأب) في قوله تعالى : « وفاكهة وأبا ، فقال : أى أرض تقلنى وأى سماء تظلىنى إذا قلت في القرآن برأى .

وهذه الروايات محمولة عند المحققين من العلماء على أن الرأى المذكور فيها هو ما كان صادرا عن الهوى ، أو ما كان من قبيل الخواطر التى ترد على الذهن دون تحقيق لها ، وتأمل فيها لمعرفة صحتها أو فسادها ، فإن هذا اقتحام للقرآن وتسور عليه ، فلو فرض أن صاحبه أصاب كبدا الحقيقة فهو غلطى من جهة أنه أقدم على ما لم يستعدله . ولم يدخل فيه على بصيرة ، على حد (رمية من غير رام) . وأما الأدلة الدالة على وجوب النظر فى القرآن والتدبر فيه فكثيرة .

١ — منها قوله تعالى : « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون » ، فقد أفادت هذه الآية ترتيب أمرين اثنين على إنزال الذكر .

أحدهما : تبين الرسول للناس ما أنزل إليهم ، وهو التفسير بما ورد عن الرسول . صلى الله

فى الرابطة بينه وبين كتاب ربهم ، وفما يجب عليهم من الانتفاع بعبرته التاريخية ، وأن يقيموا عليه شأنهم فى جميع أحوالهم ، كما كان عليه سلفهم من قبل .

لذلك كان المسلمون وما زالوا ، يعتبرون شهر رمضان هو موسم القرآن ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو ، وكان جبريل يدارسه إياه فى رمضان من كل عام ، وكانت صلاة التراويح فرصة جمع عمر ابن الخطاب بها المسلمين على قارى واحد ، فكانوا يستمعون إليه فى صلواتهم طوال الشهر وظل المسلمون كذلك إلى يومنا هذا ، وكانت مجالس القرآن فى رمضان هى الطابع المميز لهذا الشهر ، فالتناس يستمعون إليه فى البيوت والمساجد ويستمعون إلى دروس تفسيره ويتفهمون عبره ومغازيه .

وملاحظة لهذه المناسبة ، يحسن بنا أن نعطى قراء هذا العدد الذى يصدر فى أول رمضان فكرة مركزة عن موضوع من موضوعات الدراسة القرآنية ، هو تفسير القرآن بالرأى . فقد وردت روايات تدل على حرمة الاقتحام على القرآن ، والتكلم فى معانيه بغير علم . وألفاظ هذه الروايات موهمة أنه لا يجوز تفسير القرآن بالرأى ، مع أن هناك كثيرا من الأدلة يفيد جواز النظر فى القرآن بل وجوبه وجوب التدبر فى آياته .

فأما الروايات التى قد يفهم منها عدم جواز

٢ - ومنها أن عائشة رضی الله عنها قالت : ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر من كتاب الله إلا آيات معدودات عليه جبريل إياهن . ولا بد أن يكون المقصود من التفسير في هذا الذي قالته عائشة ما وراء بيان الأحكام الشرعية التي تضمنها القرآن ولحقها تفسير من الرسول بفعله أو قوله .

فإذا لاحظنا هذا علمنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يحرص على أن يعطى الأمة تفسيراً عاماً للقرآن الكريم ، بالمعنى الفني للتفسير ، وبتعبير آخر لم يحرص على أن يضع أمام الأمة معنى لكل لفظ ورد في القرآن ، أو لكل عبارة تركيبية جاءت فيه ، كما حاول بعض المفسرين أن يفعلوا حين أرادوا أن يفسروا كل تركيب برواية مأثورة ، فجاء التفسير بالمأثور بجرأ خضياً متلاطم الأمواج فيه كثير من الأقوال عن الصحابة والتابعين ، ولا يمكن أن يكون ذلك كله مروياً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما قالته عائشة من أن تفسيره قليل ؛ ولما يوجد في هذه الأقوال كثيراً من تخالف وتضارب ، فلو كان مصدرها السماع لرجع بعضهم إلى بعض ، ولا يتصور أن يكون الرسول قد قال الشيء وخلافه ، وبذلك يتبين أن أصحاب هذه الأقوال إنما قالوا ما استنبطوه بأرائهم وما ظهر لهم وفي ذلك يقول الغزالي والقرطبي : لا يصح أن يكون كل ما قاله الصحابة في التفسير مسموعاً

عليه وسلم ، ويدخل فيه جميع الأحكام التشريعية التي جاء بها القرآن الكريم ولحق بها بيان من النبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك كإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان ، فكل ذلك ورد به القرآن على سبيل الإجمال ، وبينه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله وفعله ، فكان بيانه تفسيراً للبراد به وشرحاً شرعياً لمعناه .

والثاني من الأمرين اللذين رتبا على إنزال الذكر : رجاء تفكير المؤمنين المفهوم من قوله تعالى : « ولعلمهم يتفكرون » والمراد تفكيرهم في الذكر وما جاء به من تشريع أحكام ، وبيان سنن وضرب مثل ، ولفت نظر ، وإشارة إلى حقائق أو معارف وغير ذلك ، وهذا هو تفسير القرآن الكريم بالرأى أى بما يراه المتفكر المتدبر فيه ، ويلحق بذلك كل ما استنبطه العلماء من كتاب الله في ميادين العلم والنظر والتشريع اعتماداً على ما يقيد به الكلام بعبارة ، أو بإشارته ، أو بدلالته ، حسب اصطلاحاتهم الأصولية وهذا هو الإمام الشافعى يقول : لقد تطلبت دليلاً على حجية الإجماع فظفرت به في قوله تعالى : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً » . وكذلك يقال في استنباط الحكم بشرعية القياس الأصولى من قوله تعالى : « فاعتبروا يا أولى الأبصار » . وفى الاستدلال بالآيات على أحكام الدين عامة .

وما آثرهم ومثلهم الرفيعة ، وذلك من معنى قوله تعالى : « ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلمهم يتذكرون . قرأنا عربيا غير ذي عوج لعلمهم يتقون » . فقوله : « لعلمهم يتذكرون » ، حث على النظر والتدبر ، وقوله :

« قرأنا عربيا غير ذي عوج » . هو منهج إجمالي للأسلوب الذي يجب اتباعه في تفهم القرآن والتذكر به ، وهو أن يلاحظ أنه قرآن عربي ليس فيه انحراف ولا اتجاه إلى ما لا يعرفه العرب الذين أنزل عليهم وجعلوا حملته ورافعي لواء دعوته ، وقوله : « لعلمهم يتقون » . هو توجيه لهم في التمسك بطابعه ، وتحذير من الالتواء عنه ، وذلك أيضا معنى قوله تعالى : « وكذلك أنزلناه حكما عربيا ، ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا واق » .

وأما قوله صلى الله عليه وسلم : (والتسوا غرائب) ففيه دلالة على أن القرآن ذو غرائب وأسرار ، وأن الأمة كلها ، وفي جميع عصورها ، مخاطبة بذلك ، مكلفة بأن تلتبس هذه الغرائب ولا يكون ذلك إلا عن طريق التدبر والتفهم وطول النظر وإعمال الفكر .

وعن أبي عبد الرحمن السلي قال : حدثنا من كان يقرئنا من الصحابة أنهم كانوا يأخذون من رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر آيات ، فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلوا ما في هذه من العلم والعمل .

من النبي صلى الله عليه وسلم . (وروى البخاري في صحيحه عن أبي جحيفة قال : قلت لعلي هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله ؟ قال : لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لا أعلمه إلا فهما يعطيه الله رجلا في القرآن) .

وقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا لابن عباس فقال : (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل) قال القرطبي : فإن كان التأويل مسموعا كالتنزيل فما فائدة تخصيصه بذلك ؟ . وقد ورد الحث الشديد في الكتاب والسنة على تدبر القرآن والتفكير في معانيه ومقاصده وأهدافه .

ومن ذلك قوله تعالى : « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها » . ففي هذه الآية توبيخ شديد على ترك التدبر وإظهار الذين لا يتدبرون القرآن بمظهر الذين وضعت على قلوبهم الأقفال فهم محجوبون عن أن تتفتح قلوبهم لهدايته ، وأن يدركوا أسرارها ، وما أبلغ قوله : « أم على قلوب أقفالها » حيث جعل الأقفال خاصة بالقلوب ، وليست أقفالا للقلوب وغيرها فكأنها نوع من الحجب خصصت به قلوب الذين لا يتدبرون .

وفي الحديث عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (أعربوا القرآن والتسوا غرائب) ومعنى (أعربوا القرآن) أقيموه على نهج العرب فلا تملوا به وتحرفوه عما عهدته العرب اتباعا لفطرتهم الصافية ،

أن ينظروا فيه إلا عن طريق ما روى لهم وما سمعوه؟ إن الفائدة حينئذ تتمحض في مجرد تلاوته والتبرك به ونحو ذلك، ولكن كتاب الله تعالى إنما أنزل ليكون هدى للناس في مختلف شئون حياتهم العملية والعلمية من عقائد وتشريع وآداب وإشارات إلى سنن الله في الكون ونحو ذلك، وهذا كله لا يكون إلا بتدبره، والتأمل فيه، ومحاولة التعمق في استخراج ذخائره، وقد ورد أن القرآن لا تنقضي عجائبه، فإذا كان التفسير بالمأثور فقط كانت عجائب القرآن محدودة منقضية؛ لأن الروايات ختمت ولم يعد هناك جديد يرشد إلى عجائب جديدة، فلم يبق إلا أن القرآن تظهر منه بالتدبر والتأمل كل يوم عجائب؛ لأن العقول تتفاوت، والأيام تتقلب، ويبدو للناس في زمان ما لم يكن قد بدا لهم في زمان آخر. وإذن فالرأى الصواب هو: جواز تفسير القرآن بالرأى، ولكن لمن كان مستعداً لذلك متهيئاً له بعقله وعقله ومعرفة لغة العرب وما لهم من أساليب في كلامهم، وبشرط أن يكون نظره غير مشوب بالهوى أو التعصب وألا يتبع ما يرد عليه من الخواطر دون درس لها وتأمل فيها، لمعرفة مدى قوتها، ومناسبتها للقرآن الكريم.

محمد محمد المرنى

عميد كلية الشريعة

وقال على بن الحسين رضى الله عنهما: آيات القرآن خزائن، فكلما فتحت خزينة ينبغى لنا أن ننظر ما فيها. ولذلك قال العلماء: إن تدبر القليل من القرآن أفضل من قراءة الكثير بغير تدبر. وهذا كله يدل على أن الله تعالى ييسر لكل قارئ أن يتفهم المعاني؛ لأن الناس مطالبون بقراءة القرآن متدبرين لافرق بين العامة والخاصة وفي ذلك يقول الله تعالى: «ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر، أى أن القرآن ميسر للذكر، وكل إنسان يستطيع أن يقتبس منه على قدر فكره وقوة عقله، والله تعالى ينصر على ذلك بقوله: «فهل من مدكر». فلا ينبغى أن يحال بين أحد وبين أن يتدبر في كتاب الله تعالى.

وقال الغزالي: إن من موانع الفهم للقارئ أن يكون قد قرأ تفسيراً واعتقد أن لا معنى لكلمات القرآن إلا ما تناوله النقل عن ابن عباس ومجاهد، وأن ما وراء ذلك تفسير بالرأى فهذا من الحجب العظيمة. . . ولقد علمنا أن الله تعالى وعد بحفظ كتابه الكريم بقوله: «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون». وهذا وعد متحقق لا شك فيه، وهو منسحب على جميع العصور والأزمان، فلنا أن نقول: ما فائدة هذا الحفظ والتخليد إذا لم يبع للتأخرين أن ينظروا فيه كما نظر المتقدمون؟ أو إذا لم يبع لهؤلاء وأولئك

نِجَاحُ الْقَرَارِ

ضراعة الأخيار شفاعة للمذنبين

الأستاذ عبد اللطيف السبكي

(١) « واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا .
(ب) فلما أخذتهم الرجفة قال : رب ! لو شئت أهلكتهم من قبل
ولم أبق ! !
(ج) أنهلكنا بما فعل السفهاء منا ؟ ؟ إن هي إلا فتنتك ، تضل بها
من تشاء ، وتهدي من تشاء . . أنت ولينا فاغفر لنا ، وارحمنا
وأنت خير الغافرين . »

١ - من شعب القصص عن موسى عليه السلام طلبه - أولاً - ثم طلب قومه ثانياً - رؤية الله تعالى شأنه رؤية عينية . . وآيات الكتاب الكريم تفيدنا أن طلب الرؤية حصل مرتين .
الأولى - في الميقات الذي كان موعوداً لموسى أن يتلقى فيه التوراة .

الثانية - كانت بعد نزول التوراة وحدث فتنة السامري بصناعة العجل من الذهب ، واتخاذهم إلهاً يعبدونه في غيبة موسى عنهم .
وحديثنا عن الأولى من باب توفية الموضوع وأما الثانية فهي التي نتجه إليها بشئ من الإيضاح والتعليق .

٢ - حينما حضر موسى إلى الوادي المقدس

« طوى ، في طور سيناء ، ومكث المدة المحدودة أربعين ليلة يتعبد فيها ، وحان موعد المناجاة مع الله ، وتجلى فضل الله بمكلمته طمع موسى في المزيد من تكريم الله له ، فتعلق أمله برؤية الله كما سمع كلامه على الوجه الذي يعلم الله وحده صفته ، فقال : « رب أرني أنظر إليك » .

فكان الجواب تلطفاً بموسى ، وتعليماً له أن هذا طموح في أمر لا يتعلق به الأمل ، ولا تطبيقه أنت « لن تراني ، ولكن انظر إلى الجبل ، فإن استقر مكانه فسوف تراني » ، وهذا إشعار لموسى أن شأن الرؤية خطير ، وأن ما يبدو لك من الجبل يكفيك إقناعاً بمقدار ما طلبته ، وبضعفك عن احتمالها بجانب

والجبل الذى هو أضخم شيء ترونه ، فلما تجلّى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً ، ومعنى تجلّى ربه للجبل :

تكشف الله للجبل تكشفاً جزئياً ، تدريجياً بقدر ما تقضى به الحكمة الإلهية ، فلم يتحمل الجبل رهبة التجلى ، ومهابة القدسية لعظمة الله تبارك شأنه .

(ب) الموقف الثانى - فى طلب الرؤية - وهو موضوعنا - لم يكن من موسى نفسه ، وقد سبقته له العبرة من شأن الجبل ... بل كان من قومه بعد انزلاقهم فى فتنة السامرى وعبادتهم لعجله الذى صنعه وعبدوه .

صار الجبل دكاً ، بمعنى ساخ فى الأرض ، وتطامن حتى لم يصر جبلاً شاخاً . . . وعندئذ سقط موسى مغشياً عليه من هول ما رأى .. وأيقن أن طلب الرؤية كان تعلقاً بأمل فوق احتمال البشرية .

١ - أمر الله موسى أن يختار بمن معه طائفة يحضر بها إلى موقف المناجاة فى طور سيناء ، ليعتذروا ، ويتوبوا إلى الله من عبادة العجل ، فاختر موسى سبعين رجلاً من خيارهم فى اعتباره ، ولما بلغوا الميقات وسمعوا بأذانهم نجوى موسى لربه لم يتجهوا إلى الاعتذار كما جاءوا ، ولا حرصوا على التوبة من جريمة قومهم التى جرفتهم ، بل تمردوا على موسى ، وتحذوه ، وقالوا : ان تؤمن لك حتى نرى الله جهرة ١١ .

ولما أفاق موسى من غشيته ، وتنبه إلى لطيف الله به ، ورعايته بالخير له : قال سبحانه إني نبت إليك وأنا أول المؤمنين .

لم يكن موسى مذنباً فى طلب الرؤية ، بل كان طامعاً فى المزيد من فضل الله عليه بالرؤية لذاته على أى صفة ، كما سمع كلامه العلوى على أى نظم شامه الله .

فإذا يكون شأن أولئك المتناقضين ؟ ٢ - لهم سابقة فى طلب الآلهة يعبدونها من دون الله ، ولهم سابقة فى عبادة العجل ، رغم أن هارون وعظهم وأنكر عليهم ، وأن موسى عاتبهم على فعلتهم ، ووبخ السامرى فى شدة ، وهدده بعذاب الله ثم هذه

وإنما بادر موسى بتسبيح الله وتنزيهه عن كل شبه ، وبادر بالتوبة من تسرعه فى الطلب دون أن تكون الرؤية موعوداً بها مع المكالمة التى كانت على وعد سابق ، وأعلن موسى إيمانه ، بل أنه أول المؤمنين فى وهن ، لا لأنه كان جريئاً فيما طلب .

وعبرتنا فى هذا الموقف أن تكون

تتجلى عاطفة الخير من جانب موسى عليه السلام ، فيتدارك الموقف بضراسته إلى الله ، وبدعواته الطيبات ، ويستعطف ربه فيقول « رب ! لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي ، يعني يا رب : ليتك أهلكتهم وأهلكني معهم قبل حضورهم معي إلى هذا المكان ، وقبل مشاهدتي لهذا الهول ، وقبل تعرضي لاتهام القوم ، « أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ؟ » هل تكون نقمتك علينا جميعا بسبب ما فعل السفهاء منا ؟ لا تجعل بلاءك عاما لنا ، والطف بنا في محنتنا هذه .

« إن هي إلا فتنتك ، تضل بها من تشاء ، وتهدى من تشاء . »

ما هذه المحنة إلا اختبار منك ، يتميز به المؤمن الحق عن غير المؤمن ، ويتكشف لنا به ما خفي من أمورنا ، فيثبت به على الدين من صدق في دينه ، ويرضى بما جرى من قضاء الله في خلقه ، وينحرف إلى الفتنة من كان مزعزع الإيمان ، فيتضح هذا من ذاك ويكون المنحرفون مستحقين للنقمة « ليحص الله الذين آمنوا ، ويمحق الكافرين ، وفي هذا التوسل من موسى إشارة إلى ما سبق في المناجاة حين نزول التوراة من قول الله سبحانه « إنا قد فتننا قومك من بعدك ، وأضلهم السامري ، »

فتلك الفتنة هي الاختبار الذي يتعلل به

سابقة جديدة بعدولهم عن التوبة إلى التحدى بطلب الرؤية لذات الله .

لو كان إيمانهم بالله إيمانا متأصلا في قلوبهم ، أو لو كان تصديقهم لموسى عن طمأنينة لما تعثروا في هذه الكسفيات ، ولا تهاقوا على تلك السفاسف ، ولكن إيمانهم من أول الأمر إيمان اللاجئ من فرعون وجبروته ، والمحتنى بموسى ربنا ينقذهم من مذلة الاستعباد .

فإذا ما ابتعدوا عن سلطان فرعون في مصر ، واطمأنوا إلى حياة آمنة في سيناء عاردهم التمرد ، وبدا فيهم لؤم الطبيعة ، وخساسة الأنفس ، ونقضوا ما تعاهدوا عليه في ساعة ضعفهم ، وفي وقت طواعيتهم للرسول ، وماذا يستحق هؤلاء في موقفهم هذا ؟

٣ - أخذتهم صاعقة محرقة ، مدوية ؛ ارتجف لها الجبل ، وماتوا بها مغضوبا عليهم من الله ، فكيف استقبل موسى هذه المفاجعة لمن كانوا في صحبته ، وقومه يعملون أنه ذاهب بهم ليتوبوا ، وأنهم عائدون معه آمنين ؟

خشى موسى - أولا - أن يكون هذا الشر مجتاحا للآخرين الذين لم يذنبوا بعبادة العجل ، والذين لم يتحدوه بطلب الرؤية لله تعالى .

وخشى - ثانيا - أن يساء به الظن من أهليهم الذين لا يعملون تمردهم عليه ، وهنا

لهم الهداية ، وكما يطلبون لأنفسهم الخير يطلبونه للجميع : إلا إذا أذن الله لهم بغير ذلك ، كما دعا نوح على قومه أخيرا .

وحينما دعا موسى بما دعا كان قوى الرجاء فى الإستجابة ، واثقا أن الله ذو رحمة على العالمين ، ولذلك لم يكتف بطلب الغفران والرحمة ، بل توسع فى ضراسته فقال : « وأكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة إنا هدنا إليك !! » ، يعنى حقق لنا جميعا حسنة فى الدنيا وهى الهداية ، ونعم الحياة ، وحقق لنا فى الآخرة حسنة وهى القبول والرضوان ونعم الجنة . . ويقول « إنا هدنا إليك » ، يعنى رجعنا إليك باعتذارنا عما فرط من بعضنا . ولكن الله يحيب موسى بما يفيد عدالة الله فى جزاء عباده فيقول سبحانه : « عذابي أصيب به من أشاء ، ورحمتى وسعت كل شيء » ، يعنى عذابي ليس شاملا بل هو لمن أشاء تعذيبه من خلقى ، وهم الكافرون الذين لم يستجيبوا للدعوة رسلى ، والعصاة الذين لم يتوبوا ولم أغفر لهم .

أما رحمتى فقد وسعت فى الدنيا كل شيء حتى شملت المخالفين من عبادى ، فهم يتمتعون فى الدنيا بأرزاق وأموال وبنين ، وبصحة وحياء وغير ذلك ، وهذه الرحمة مظهر فضلى على عبادى جميعا وإن لم يشكرونى جميعا ، والله يعطى الدنيا لمن يحب ، ولمن لا يحب .

موسى فى طلب التجاوز من جانب الله عن إهلاك الجميع .

وكأنه يقول : يارب !! هذا اختبار اقتضته حكمتك ، ولا يمكن أن يكون عبثا ، بل لا بد له من نتيجة ، وهى نجاة البعض من المنكوص فى الكفر ، وإخفاق البعض ممن علمتهم غير ثابتين على عهدك ؛ فلا نعترض على نظامك ، ولكننا نرجو النجاة من غضبك بسبب جريمة من أجرم ، بل نسألك اللطف بالجميع ، فأنت اللطيف بعبادك ، وأنت ولينا ، فأغفر لنا وارحمنا ، وأنت خير الغافرين .

أنت المتولى أمور الجميع ، فأغفر لنا بسترِكَ الجميل ما يعلق بنا من شوائب المخالفة حتى نكون أطهاراً من حوبة المعصية ، وأهلاً لتكريمنا بلطفك ورضوانك وإن تقصيرنا فى طاعتك لا يغالب عظيم فضلك يا خير الغافرين ، ويا أرحم الراحمين .

٤ — هذا : وإنك يا قارئ !! لتعهد فى ذوى العطف من رحماء الناس ألا يضيق صدرهم بإساءة المسيء ، بل ينتظرون الهداية وينظرون إلى مرضاة الله فيتجاوزون عن المساءة رجاء فى صلاح الحال .

فما بالكَ بالأنبياء ، وهم أرحم عباد الله بعباد الله ؟ ؟

تراهم يتراحمون على المخالفين ، ويسألون

وفي هذا الجواب غنية لموسى عن طلب جديد في هذا الصدد ، وتحديد لمطامع الناس في المغفرة .

هذا جانب من القصص عن موسى عليه السلام ، عرفناه من طريق كتاب الله الكريم على لسان رسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه ومنه نتعلم - أولاً - ألا يشتط المرء في طلبه كما اشتط بنو إسرائيل في طلب الرؤية لله تعالى وتعلم ثانياً - أن المرء يعتبر بما جرى لغيره حتى لا يذهب ضحية المجازفة كما ذهب بنو إسرائيل بالصاعقة ، وتعلم ثالثاً - أن أفعال السفهاء شؤم على سواهم ، وأن دعاء الطيبين قد يخفف من غضب الله على السفهاء كما دعا موسى لقومه ، وتعلم - أخيراً - وهو أكد ما نتعلمه - أن الله ذو فضل على بني آدم وإن كانوا يهوداً لم يتركوا موبقة إلا انغمسوا فيها ولا عهداً إلا تقضوه ولا يزالون يطلعون مع كل يوم بأقبح الأعمال ، وشر الأحداث والله يزيد في طغيانهم ، ولكنه بالمرصاد لهم .

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

ولكن العدل الإلهي يقتضى تفاوت الناس في حظهم من رحمة الله في الآخرة التي هي دار الإقامة والخلود على الحالة التي قسمت لهم فيها . والعدل الإلهي يأبى التسوية بين من أسلم وجهه لله وهو محسن ، وبين من حارب الله بعصيانه غير مكترث بما جاءه من النذر والآيات .

وإزاء هذا تكون الرحمة في الآخرة حظوظاً مقسومة ، يتفاوت الناس فيها كما تفاوتوا في الدين ، وفي الإخلاص في الأعمال .

وتكون رعاية الله للأخيار من عباده متجلية في رحمة خاصة بلا زائدة على سواهم من لم يبلغوا شأوهم ، بل السابقون إلى طاعته سابقون غيرهم في منازل الجنة ونعيمها .

وهذا هو قوله تعالى : « فأسأ كتبها للذين يتقون ، ويؤتون الزكاة ، والذين هم بآياتنا يؤمنون ، فلا يخلفون عن دين الله ، ولا يكذبون بما جاءهم من عند الله حاضراً وغائباً ، فهم هؤلاء هم المؤمنون بالغيب والشهادة ومن آمن بالغيب بما جاء من عند الله فمعد أوفى على الغاية .

الحقوق والواجبات في الإسلام

للدكتور محمد يوسف موسى

١ - الواجب قبل الحق :

إلا إذا كان قد أدى ما يقابله من الواجب ، وبذلك تقوم العلاقات المختلفة بين الناس جميعا على أسس سليمة ، وقواعد ثابتة عادلة ، وبذلك يسعد الفرد والمجتمع والأمة .

وإذا كان الأمر هكذا ، فإن الإسلام يتكلم عن الواجبات أكثر مما يتكلم عن الحقوق ، ويجعل القيام بالواجب أساسا لطلب الحق والحصول عليه . ونرى مصداق ذلك في القرآن العظيم والسنة النبوية الشريفة ، كما نرى مصداق ذلك أيضا في الحياة العملية التي نعيشها .

وكل حق يقابله واجب ، هذه قاعدة مطلقة ، لا استثناء فيها ، وهي تحكم علاقة الإنسان بربه سبحانه ، كما تحكم علاقات الإنسان العديدة المختلفة بغيره من الناس على اختلاف طبقاتهم الاجتماعية . ولكونها قاعدة يرضاها المنطق والعقل السليم ، نرى الشرائع السماوية التي شرعها الله لعباده قد اتفقت عليها في كل زمان ومكان .

وكذلك نرى القوانين الوضعية التي وضعها الإنسان في قديم الزمان وحديثه ، وفي الشرق والغرب على السواء ، قد اتفقت عليها أيضا .

وهكذا رسمت الشرائع الإلهية والقوانين الأرضية للناس طريق الحياة ونظام السلوك ، وبينت ما يجب على كل إنسان أدائه لنفسه ولغيره ، ليكون مواطنا صالحا ، كما بينت ماله من حقوق ، وبذلك لا يعتدى أحد على أحد ، ولا يظلم الناس بعضهم بعضا .

وإذن فليس من العدل ولا من المنطق أن يطلب إنسان حقا من حقوقه عند الناس

ففي القرآن يقول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » ، ويقول : « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » ، ويقول : « آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ، فالذين آمنوا منهم وأنفقوا لهم أجر كبير » .

هنا نجد بعض ما لله سبحانه وتعالى من واجبات في الطرف الأول ، ونجد في الطرف الثاني بعض ما تفضل الله به علينا ، ووعدنا به من الخير ، وسماه حقا لنا . فإذا

المعاصي ، والتصديق بالخلف من الله وحسن الجزاء على ما نعمل من خير - نجد تقابلا بين هذا كله ، وبين ما جعله الله حقا لمن يقوم بهذه الواجبات من تيسير دخول الجنة وتمتعه بما فيها من نعيم مقيم .

وكذلك في الآية الأخيرة ، التي ذكرناها آنفا ، نجد التقابل بين واجب الإيمان بالله وعمل الصالحات ، وبين ما يكون جزاء عن ذلك من نصر المؤمنين والتمكين لهم في الأرض ، وتأمينهم بعد خوف على دينهم وأنفسهم وأموالهم ، وذلك إذا قاموا بما يجب عليهم الله القوى العزيز .

ولذا كان الأمر هكذا في القرآن العظيم : أداء للواجب أولا ، ثم فوزا بما نسميه حقا ثانيا ؛ فإن الأمر كذلك في سنة الرسول صلى الله عليه وسلم .

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم ، في حديث صحيح رواه مسلم وأحمد وأبو داود وغيرهم من رجال الحديث : (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا ، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ؛ ومن يسر على معسر ، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ؛ ومن ستر مسلما ، ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه) .

ففي كل فقرة من هذا الحديث الجامع لكثير من ضروب الخير ، نجد التقابل واضحا بين

كان منا الإيمان بالله حق الإيمان الذي يؤدي إلى العمل ، وإذا نصرنا شرائعه وتعاليمه بالعمل بها والدفاع عنها - إذا كان منا ذلك ، كان حقا علينا أن نرجو النصر على الأعداء ونثبت الأقدام عند اللقاء .

ولذا أدينا ما علينا في أموالنا من حق معلوم للسائل والمحروم ، وأنفقنا منها في سبيل الله ، كان لنا أن نرجو أن يتحقق لنا ما وعد الله به من الأجر الكبير والثواب العظيم ؛ ومن أوفى بعهده من الله ، ومن أصدق منه قيلا !

وبعد ذلك يقول عز وجل في سورة الليل : « فإما من أعطى ، واتقى ، وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى » كما يقول في سورة أخرى : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ؛ يعبدونني لا يشركون بي شيئا ، » .

ففي آيات سورة الليل نرى تقابلا بين واجبات علينا - بلا ريب - أداؤها لله وللجتمتع الذي نعيش فيه ونفيد منه ، وبين ما نسميه حقوقا لنا إذ تفضل الله سبحانه وتعالى فوعدنا بها ؛ بين واجب البذل من المال للعسرين وذوى الحاجات وفي سبيل الله ، وانقاء حرمات الله وما نهى عنه من

فإن خرج عن أمر الله ورسوله ، وأمر بما هو معصية لا ريب فيها ، ولم يحكم في الرعية بالعدل ، لم يكن له أن يطلب حقه ، وهو أن تسمع له الرعية وتطيعه .

وبناء على هذا الأصل العام ، يعنى أن الواجب قبل الحق ، يروى أبو عبيدة القاسم ابن سلام ، فى كتابه القيم (الاموال) ، أن رجلا من البادية سألوا واليهم أبا عبيدة ابن الجراح أن يرزقهم من مال الأمة الذى تحت يده ، فقال : لا ، حتى أرزق الحاضرة ، فمن أراد بمحنة الجنة فعليه بالجماعة .

ويفسر هذا التصرف الحكيم قول سيدنا عمر بن عبدالعزيز لعماله : مر للجند بالفرصة وعليك بأهل الحاضرة ، وإياك والأعراب ، فإنهم لا يحضرون محاضر المسلمين ، ولا يشهدون مشاهدتهم .

يريد رضى الله عنه أن لأهل البادية العون فى أوقات الشدة ، ولكنهم ليسوا كأهل المدن الذين تجب لهم فرائض مالية ثابتة فى كل حال ، وذلك لما يقدمون من خدمات وعون دائم للأمة إذ يعيشون بين الناس ، لا كأهل البوادي الذين لا يعينهم أمر غيرهم كالأولين .

٢ - نحو الله سبحانه وتعالى :

إن القاعدة التى افتحننا بها هذا البحث

الواجب وبين الحق ؛ بين الواجب الذى يجب أدائه أولا ، وبين الحق الذى يكون ثانيا . وشتان بين هذه الواجبات التى من اليسير القيام بها على الإنسان ، وبين ما يناله عن كل منها من الجزاء العظيم فى الدنيا والآخرة ! . وكذلك من هذه الناحية أيضا ، ما جاء عن الرسول من قوله : (من سره أن يبسط له فى رزقه ، وأن ينسأ له فى أجله ؛ فليقل الله وليصل رحمه) ، وقوله : (من توكل على الله كفاه) ، وقوله : (من اتقى الله وقاه كل شيء) ، وقوله : « من تواضع لله رفعه الله » . إن فى هذه الأحاديث ، وأمثالها كثير ، جثا لنا من الذى لا ينطق عن الهوى على القيام أولا بما علينا من واجبات الله وإخواننا فى الدين والوطن والإنسانية ؛ وحينئذ يكون لنا الحق فى أن نفوز بما نرجو من البسطة فى الرزق ، والفسحة فى الأجل ، ووقاية الله لنا من السوء ، وعونه لنا فى كل حال .

وفى سياسة الأمة بصفة عامة نجد الأمر كذلك أيضا ؛ هذا هو سيدنا أبو بكر رضى الله عنه يقول فى أول خطبة له بعد أن ولى الخلافة : (أطيعونى ما أطعت الله فيكم ، فإن عصيته فلا طاعة لى عليكم) . وهذا معناه أن للخليفة حق الطاعة على الأمة جميعا ، ولكن هذا الحق العام الذى لا بد منه مشروط بأن يقوم هو أولا بما يجب عليه نحو الله والرعية

وإذا كانت نعم الله علينا ليس إلى إحصائها من سبيل ، فإن واجباتنا نحوه سبحانه وتعالى ليس لإحصائها أيضا من سبيل ، وأول هذه الواجبات هو الإيمان به حق الإيمان ؛ إيمانا يملأ النفس والقلب حتى لا يعيش المؤمن إلا به وله ، ويدفعه إلى العمل الصالح في كل حال وذلك لحخير المؤمن نفسه ، والمجتمع الذي يعيش فيه ، والأمة التي ينتسب لها .

وأساس هذا الإيمان أن يسلم المرء وجهه لله ، وأن يخلص له في عبادته كأنه يرى الله الذي يراقبه ، وألا يرجو غيره ، أو يخاف سواه ، فإن من أمارات الإيمان الصحيح الرجاء والخوف منه سبحانه وتعالى .

الرجاء الذي لا يدعو إلى اليأس من مغفرة الله وواسع رحمته ، فإنه لا يأس من رحمة الله إلا القوم الخاسرون ؛ والخوف الذي لا يكون سبيلا إلى التفريط اعتمادا على أن رحمته تعالى وسعت كل شيء ، فإن من لا يخاف حرى بأن يقع في كثير من الذنوب والآثام .

إن من الناس من يرى أنه مؤمن بالله تعالى ولكنه مع هذا يخاف رئيسه مثلا أكثر من خوفه من الله مالك الأمر كله ، ومن بيده ناصية الناس جميعا . وإن منهم من يرفع رجاءه إلى بعض ذوى الجاه والنفوذ ويعتقد أنه إن وصل إلى واحد من هؤلاء

كل حق يقابله واجب ، وأن الواجب ينبغي أن يؤدي قبل الحق ، تحكم ما بين الناس من علاقات ، كما تحكم كذلك ما بيننا وبين الله سبحانه وتعالى من علاقات أيضا .

إن الله العليم الحكيم هو الذي يقول في محكم كتابه : « هل جزاء الإحسان إلا الإحسان » ويقول : « إنما تجزون ما كنتم تعملون » ، ويقول بصفة عامة : « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » ، ومن أصدق من الله حديثا .

ومن البدهى أن الله هو الذي أوجدنا من العدم ، وسوانا وجعلنا في أحسن تقويم وآتانا من ضروب النعم ما لا نستطيع له عدا ، وإذا ، يكون في الذروة من الواجبات التي علينا ما يكون منها لله سبحانه وتعالى .

فهو جل وعز الذي يحس المؤمن أنه بجانبه في كل حال من العسر واليسر والشدة والرخاء ، وهو الذي يعينه إن نزل به ضيق ، ويشد أزره إن ألم به ضعف ، ويرشده ويسدده إن زلت به القدم .

وهو الذي يربط على قلبه ويواسيه ويجزله الأجر إن حلت به مصيبة فذكر الله وصبر على ما أصابه ، ويبعث الأمل والرجاء في نفسه إن طاف به اليأس ، ويغفر له إن أذنب ثم تاب إليه وأناب ؛ وهو الذي ، كما جاء في كتابه الكريم « يحجب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء » .

الرجل يقاتل شجاعة ، ويقا تل حية ، ويقا تل رياء ، فأى ذلك فى سبيل الله ؟ فقال : (من قاتل لتسكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله) . ومن الواجب علينا لله سبحانه وتعالى ، بعد تقواه ومراقبته ، أن نستقيم فى كل ما نقول ونعمل ، ولذلك أمر الله رسوله بقوله : « فاستقم كما أمرت ومن تاب معك » وقال فى سورة أخرى : « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون » .

وبجانب هذا ، يروى الإمام مسلم فى صحيحه أن رجلا من الصحابة قال للرسول : يا رسول الله ، قل لى فى الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدا غيرك ، فقال : (قل آمنت بالله ، ثم استقم) .

وبعد ! تلك بعض الواجبات التى علينا لله سبحانه وتعالى ، وبأدائها وإخلاصنا فيها نكون حريين بعون الله ورعايته وإحسانه فى كل حال ؛ فهو الذى يقول وقوله الحق ووعد الصديق : « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » ، ويقول : « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب » ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه » ، ثم يقول : « ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا ، ذلك أمر الله أنزله إليكم » ، ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا . . (الحديث موصول بإذن الله) .

الركنور محمد يوسف موسى

فقد وصل إلى ما يري جوه ، مع أن واحدا من هؤلاء لا يملك لنفسه شيئا فكيف بغيره .

نقول بأن الواحد من هؤلاء الذين يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية ، والذين يعتمدون فيما يرجون على أمثالهم من عبيد الله أكثر مما يعتمدون على الله ، ليسوا مؤمنين حق الإيمان بالله ، وليسوا من الذين يقومون كما ينبغى بما يجب عليهم لله الذى بيده ملكوت السموات والأرض وما بينهما .

إنه ليس للمؤمن بالله أن يستز بغيره ، أو يستند إلا إليه ، أو يستعين إلا به ، أو يقدم لأحد غيره - مهما يكن سلطانه ونفوذه وقوته - شيئا من ضروب العبادة التى يجب أن تكون خالصة لله مالك الملك وحده . ولهذا يقول الله فى كتابه الكريم : « وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ؛ وذلك دين القيمة » ، كما يقول : « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » .

إن الله افترض علينا الفرائض المعروفة ، وإن مناط اعتبارها وتقديرها منه سبحانه وتعالى هو الإخلاص فيها ؛ فلا نكون أدينا واجب عبادته إلا إذا أقناها كما ينبغى ، وأخلصنا فى أدائها ، وقصدنا وجه الله وحده فيها .

وفى هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسامكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم) وجاء فى الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن

إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ

لِلْإِسْلَامِ مُحَمَّدٌ الشَّرْقَاوِي

كرّم الله شهر رمضان وخصه بالمنزلة العظيمة فلم يذكر في القرآن سواء من الشهور باسمه الصريح : « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » (١). وميّزه بالمسكنة التي لا تقارب ولا تداني فبدأ فيه نزول القرآن الكريم ، كما تقول الآية .

وكرمه المسلمون منذ هداهم الله بهداية الإسلام فجعلوه موسم الصلاة والعبادة وتلاوة القرآن . كما جعلوه موسم السبر والمودة والمعروف ، اقتداءً بالنبي الكريم : (كان صلى الله عليه وسلم أجود الناس . وأجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل .

وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة) (٢) .

ومن حق العابدين الصائمين أن يعرفوا العبادة المقبولة ليحرصوا على أدائها فما كلّ عبادة يقبلها الله فيثيب عليها

(١) ١٨٥ سورة البقرة .
(٢) رواه ابن عباس : صحيح البخاري ص : ١٩٨ الجزء ٤ - الألفية .

وقد فصل ذلك الحارث المحاسبي في بيان صادق فقال :

« وإنما الوجه الذي هو أشد الرياء وأعظمه لإرادة العبد العباد بطاعة الله عز وجل ، لا يريد الله عز وجل بذلك . كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : (أن تعمل بطاعة الله تريد الناس) ... وكذلك يروى أبو هريرة

عن النبي صلى الله عليه وسلم : (إن الله تبارك يقول : أنا أغنى الأغنياء عن الشريك ، من عمل لي عملاً أشرك فيه غيري فأنا منه بريء . وهو الذي أشركه) . فأبان بذلك أن من الرياء لإرادة الله عز وجل وإرادة خلقه .

« وقال طاووس : (جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله الرجل يتصدق ويحب أن يحمد ويؤجر ، فلم يدر أثنى صلى الله عليه وسلم ما يقول ، حتى نزلت هذه الآية : « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً » ، فأنزلها الله عز وجل جواباً لقول السائل ، إذ سأل : من أراد الله عز وجل وأراد حمد المخلوقين .

المواسية، وأبالصمت الرقيق المهذب العطوف، مقصد أسى تدعو إليه وتأمر به هذه الآية الكريمة عند بذل الصدقة وتقديم العون والمعروف. أما من يصحب بذله بالمن والأذى فمثله كما صورت الآية الكريمة.

ونتيجة عمله أنه لم يكسب ثواباً ولم يعمل خيراً ولا معروفاً. مع أنه أنفق وبذل وتصدق. وهذا تحديد للصدقة المقبولة. وتربية، أى تربية، للضمير والإحساس. وتهذيب، أى تهذيب، للخلق.

والصلاة - فريضة وقطوعاً فوق الفريضة المكتوبة - من أقرب القربات إلى الله. ولكنها الصلاة التي يعرف لها صاحبها حقها، من الخشوع والخضوع والإخلاص. الصلاة التي وصفها الله بأنها: تنهى عن الفحشاء والمنكر، وبعض الصلاة - صلاة المرائين المنافقين - قال الله إنه لا خير فيها: «لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس» (١).

وجاء في الحديث الشريف: (إن العبد إذا صلى فأحسن الصلاة سعدت ولها نور، فإذا انتهت إلى أبواب السماء فتحت أبواب السماء لها، وتشفع لصاحبها، وتقول: حفظك الله كما حفظتني، وإذا أساء في صلاته فلم يتم ركوعها ولا سجودها، ولا حدودها سعدت

وقال عمر رضي الله عنه لمعاذ بن جبل ورآه يبكي: ما يبكيك...؟ قال: حديث سمعته من صاحب هذا القبر، يعنى النبي صلى الله عليه وسلم، سمعته يقول: (إن أدنى الرياء: الشرك). والحديث الذي يروى: «يسير الرياء شرك» (٢).

والصدقة من أقرب القربات إلى الله في رمضان وفي غيره. ولكن الصائمين العابدين يعرفون أن للبر فضائل وآداباً وأن هذه الفضائل والآداب قد تكون مقدمة على العمل الآلى المادى من البر. لأن العمل نفسه قد تكون له دوافع من الأثرة والأنانية والتظاهر.

تأمل قول الله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى، كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر، فمثله كمثل صفوان عليه تراب، فأصابه وابل فتركه صلداً لا يقدرون على شئ مما كسبوا، والله لا يهدي القوم الكافرين» (٣).

فقد فُعل من هذه الآية الكريمة أن الفضائل والآداب التي تلبس الصدقة والبر وبذل المال، هى أهم وأفضل من المال المبذول نفسه - على حب النفس للمال وحرصها عليه - فستر الصدقة واصطحابها بالكلمة الطيبة

(١) ملخصاً عن ص: ١٣٦ - ١٣٧ من: «الرعاية لحقوق الله» للمحاسبى. وهو شيخ الامام للترالى.

(٢) سورة البقرة.

(٣) سورة النساء.

أندرون ما المفلس ... ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع . قال : إن المفلس في أمي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته . فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه ، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه . ثم طرح في النار ^(١) .

والصائمون العابدون الذين يرجون أن يقبل الله صومهم وعبادتهم يجب أن يذكروا ويتدبروا حديث رسول الله عليه السلام الذي يقول : (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه) ^(٢) وحديثه الذي يقول : (رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع . ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر) ^(٣) .

وأن يذكروا ويتدبروا أن بعض الصلاة المقبولة التي يعرف لها صاحبها حقها ويلتزم جوهرها وآدابها وغايتها ، خير من صلاة كثيرة يتطوع بها صاحبها ولكنه لم يعرف لها حقها ولم يلتزم جوهرها وغايتها :

- (١) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب .
(٢) أخرجه البخاري عن أبي هريرة : صحيح البخاري ، كتاب الصوم .
(٣) أخرجه ابن ماجه عن أبي هريرة : ابن ماجه ، كتاب الصوم .

ولها ظلة ، فتقول : ضيعك الله كما ضيعتني ، فإذا انتهت إلى أبواب السماء غلقت دونها ، ثم لفتت كما يلف الثوب الخلق ، فيضرب بها وجه صاحبها ، ^(١) .

والتوجه إلى المشرق والمغرب في الصلاة ليس وحده برأ ما لم يقترن بالإيمان والبذل والوفاء والبر والصبر وغير ذلك من الفضائل : ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب . ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين ، وآتى المال - على حبه - ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس . أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ، ^(٢) .

والصائمون العابدون الذين يرجون أن يقبل الله صومهم وعبادتهم ، يجب أن يذكروا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن : « المفلس » ، وأن هذا المفلس من عمل الخير ومن الثواب يوم القيامة ، قد تكون له صلاة يظنها مقبولة وهى مردودة : (عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

- (١) أخرجه الطبراني فى الأوسط والبيهقى فى الشعب من حديث أنس رضى الله عنه .
(٢) ١٧٧ البقرة .

يدع اليتيم ، ولا يحض على طعام المسكين،^(١) فهي تجعل الذى يدع اليتيم ويزجره ويؤذيه. والذى يبخل على المسكين فلا يحض على إعطائه ويعطيه ، لا تجعله الآية رقيق الإيمان ولا مذنباً ولا عاصياً . بل تجعله مكذبا بالدين . ثم تذكر الآية الكريمة أن قوما يصلون، ولكن الويل لهم - مع صلاتهم هذه - لأنهم ساهون عنها ، ولأنهم قد اتصفوا باثنتين من صفات الرذيلة : المراءاة وحبس المعونة عن محتاجها : « فويل للبصليين الذين هم عن صلاتهم ساهون ، الذين هم يراءون ويمنعون الماعون ،^(٢) وفي الآيات الكريمة

(٣١) : ٣٠ الماعون . ويقول الإمام الشيخ محمد عبده فى تفسير هذه السورة : « إن كثيراً من الناس ، بل الأغلب فيهم ، يقولون إنهم يستقدون بالدين ويصدقون بالله وبما جاء به رسله وبالحياة الآخرة ، وينتعلون لأنفسهم المزايا على غيرهم ، ويظنون أنهم المطصّفون ، وأن من يخالفهم قد حقت عليه كلمة الشقاء . ويكتفون فى هذه الدعوى ببعض أعمال وسما الدين وإن لم يكن لها فى قلوبهم أثر كالصلاة وما يشابهها مما لا ينقص مالا ولا يحشم مشقة .

« وسواء كان المحقر للحقوق ، البخيل بالمال والسعى ، مصلياً أم غير مصلى . فصلاته لا تنفعه ولا تخرجه من صف للمكذّبين بالدين » . ثم يقول الشيخ عبده بعد ذلك كلاماً أوضح وأصرح لا يريد أن نطيل الاقتباس بذكره . فليرجع إليه من يشاء : [ص ١٦٩ - ١٦٤ من تفسير جزء عم ، الاميرية سنة ١٣٢٢ هـ] .

(عن أبى هريرة قال : قال رجل : يا رسول الله : فلانة ، يذكر من كثرة صلاتها وصيامها وصدقها . غير أنها تؤذى جيرانها بلسانها قال : هي فى النار . قال : يا رسول الله : فإن فلانة : يذكر من قلة صيامها وصدقها وصلاتها وأنها تصدّق بالأنوار^(١) من الأقط^(٢) ولا تؤذى جيرانها بلسانها . قال : هي فى الجنة)^(٣) .

فالعبرة ليست بالعدد والكثرة ، بل بالإحساس والضمير والوازع .

فذلك امرأة كثيرة الصلاة والصيام والصدقة وهى مع ذلك من أهل النار ؛ لأن عبادتها هذه لم تهذب نفسها ولم تهجزها عن أذى جيرانها . وهذه امرأة أخرى قليلة صلاتها وصيامها وصدقها ، وهى من أهل الجنة . لأن هذا القليل من العبادة عصمها عن أذى الجار .

بل هناك أمر يتصل بأصل الإيمان نفسه ، وهو هذه الآية الكريمة من سورة الماعون : « أرايت الذى يكذب بالدين . فذلك الذى

(١) فى : « النهاية من غريب الحديث والأثر » . التور : إماء من صفر أو حجارة قد يتوضأ منه . وقد يشرب فيه . يشير الحديث إلى أنها كانت تصدق بالشيء القليل .

(٢) الأقط ، أو الأقط : شيء يتخذ من اللبن الخبيث . وهو من ألبان الإبل خاصة ، أو اللوز . (٣) سند أحمد ، الجزء ٢ ص ٤٤ .

قالوا سلاماً . والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً ، (١) .

وأن يحرصوا على أن يكونوا من عباد المؤمنين : « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقا ، لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم ، (٢) .

« ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا ، (٣) .

« إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ، والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور ، (٤) .

صدق الله العظيم ، وتقبل من المتقين .

محمود الشرفاوى

سكرتير التحرير

من أدوات التوكيد ما نرى . وقد صاغها الله في أسلوب لا نجد أروع منه ولا أقوم ولا أقوى تأثيراً في الضائير ووقعا على القلوب .

ومن ذلك حديث النبي عليه السلام الذى يقول : (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) (١) والذى يقول : (ليس المؤمن بالذى يشبع وجاره جائع إلى جنبه) (٢) وذلك الذى يقول : (وأيما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائع فقد برئت منهم ذمة الله تعالى) (٣) .

نريد من الصائمين العابدين أن يكونوا من عباد الله الذين نسبهم إلى رحمته فسامهم « عباد الرحمن » : « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان . حديث :

٧١ وفي رواية « لجاره » بدل « لأخيه » .

(٢) عن ابن عباس . الجامع الصغير ص ٢١٧ ، الجزء ٣ .

(٣) مسند أحمد ، الجزء ٢ ص ٤٤ .

(١) ٦٣ - ٦٤ الفرقان ، إلى آخر السورة .

(٢) ٦١ الأنفال .

(٣) الإسراء : ٢٥ .

(٤) فاطر : ١٠ .

رمضان في تاريخ مصر الإسلامية

للأستاذ محمد رجب البيومي

من صيام وقيام وزكاة ، وقد كان عمر ابن الخطاب رضى الله عنه أول من أضاء المساجد طوال الليل بالمدينة ، وعنه سرى هذا التقليد الحميد إلى شتى العواصم ، حتى قال على كرم الله وجهه : (نور الله على ابن الخطاب في قبره كما أنار مساجد الله) ومصر من بين العواصم التي رحبت مبدئياً بهذا التقليد المشرق ، ثم بالغت فيه بعد ذلك مبالغة جعلت جميع المنازل والميادين تموج بالنور وكأن ليلاً في رمضان نهار وضاء !

وقد قدر لها أن يحكمها في بعض سنواتها الزاهية أحمد بن طولون ، وكان رجل خير ، يجمع إلى الحزم والبطولة صفاء النفس ورقة الفؤاد ، وإخلاص الضمير ، وقد نظر إلى شهر رمضان نظرة عميقة مخلصة فرآه حقلاً خصيباً لاستثمار الفضائل ، وإنماء المكارم ، فهو في لبابه مظهر التعاون الإنساني بين الناس ، ومجال البر والخير والتراحم والتواد ، فليس الحرمان به عن الطعام هدفاً مقصوداً لذاته ، ولكنه وسيلة قوية إلى تضامن النفوس ، وتحاب القلوب ، وإذ ذاك أمر بدعوة الأغنياء والحكام في مختلف الأقاليم إلى منزله في أول

تحفل الدول الإسلامية جميعها بشهر رمضان احتفالاً تأتلق به البهجة ، وتغمره البشاشة ، فالمسلمون يتهيئون إلى لقاءه فرحين مغتبطين ، وبأخذون في إعداد لوازمه وواجباته قبل أن يآزف موعده ، فإذا أشرق هلاله وجد الاستقبال الحافل ، والترحيب الجزيل ، ومصر كانت ولا تزال من أسبق الشعوب إلى الاحتفاء بمقدمه ، والتنويه بجلاله ، منذ أشرق عليها نور الإسلام إلى عهد الراهن ، وقد تدرج احتفالها به تدرجاً طبيعياً وفق قانون التطور والارتقاء ، فهو في أيامها الأولى عقب الفتح العربي كان هادئاً وقوراً ، تظهر دلالاته في المساجد المضاءة ، والصلوات المتتابعة ، والأذكار المخلصة ، دون أن تتخذ له مواعيد حافلة تملأ الطريق ، إلا ما كان من الذهاب إلى المقطم يوم الرؤية للتأكد من طلعة الهلال ، ثم الرجوع ثانية إلى المساجد ، ولم تك مصر بدعاً في وقارها الهادئ إذ ذاك ، فقد كانت المدينة عاصمة الدولة الإسلامية في عهد الخلافة الراشدة تسكن بالاحتفال النفسى لا الرسمى ، فالقلوب متجهة إلى السماء ، والمشاعر مخلصة في التسبيح والصلوات ، والنفوس مستبشرة بما أتبع لها

ثم تدفقت بين يديه خيرات الوادى الخصيب تدفقا غمر كنوزه المختلفة بطوفان يفيض ولا يغيض، فرأى أن يحتفل بالمواسم الدينية احتفالا تظهر به أبهة الخلافة وجلال السلطان وهجة الإسلام. وكان لرمضان من هذه المباهج الفاتنة حظ أى حظ: فقبل أن يأزف ميعاده تقفل أبواب الخانات، ويحرم بيع المسكرات، وتأخذ المساجد في أسباب التجميل والزينة، فتطلى الجدران، وترمم الصدوع. وتفرش البسط الفاخرة، وتعد القناديل والشموع والمجامر، ثم يطوف القضاء بأنفسهم على بيوت الله فيشاهدونها بعد أن أخذت زينتها وبهاءها، ويضعون عنها تقريراً أميناً يرفع إلى دار الخلافة، فإذا كانت ليلة الرؤية خرج الخليفة من باب الذهب متحلياً بأجل اللباس، وحوله الوزراء بملابسهم المزركشة. وخيولهم المظهمة، ذات السروج المذهبة، وقد أشرعت الرماح المحلاة، والسيوف المزينة، ورفرفت الأعلام والرايات، ومن ورائهم فرق الجند المختلفة تصدح بالموسيقى العذبة، ويتلوها كبار الوجهاء من علماء وقضاة وأدباء، وكتاب وتجار، وصيارفة وصاغة، وقد تنافس الناس في إقامة الزينات على البيوت والمتاجر والمصانع، فأشرقت الأنوار، وتوهجت الثريات، وتطلعت النساء من المشريات يحمين الموكب الحاشد بالزغاريد والأغنيات، ويمر المحفل

يوم منه، ثم قدم إليهم موائد الإفطار حافلة آهلة، وجمع إليها حشداً من الفقراء والمستورين، وما فرغ المفطرون من طعامهم حتى وقف ابن طولون وأعلن أنه دعا الأمراء والحكام لينظروا إلى ما يجب عليهم من السخاء طيلة أيام الشهر، فهم مسئولون أمامه عن إطعام الفقير وتعهد المسكين، ثم أصدر بذلك قراراً وزعه على البلاد المتفرقة في القطر الواسع، وتهدد من لا يمثل أمره بأشد العقاب والنكال، فصار رمضان لعهده في أكرم صورته وأنبها، وأصبح على يديه مثابة خير ومورد إحسان، حتى إن بعض الحكام كان يبعث أعيانه إلى بيوت الفقراء ليحملوهم بالقوة إلى موائده ثم يتوبوا بعد الإفطار وقد شغلوا أيديهم بما يطعم الأبناء والنساء، وقد مر أول يوم من أيام رمضان بهمال البناء في مسجده، فرآهم يشتغلون حتى يؤذن المغرب، فتألم لذلك وقال: متى يتمكن هؤلاء الضعفاء من شراء الطعام لأسرهم وإعداده؟ ثم أمر بصرفهم جميعاً حين يؤذن العصر، فكانت سنة جديدة يحتذيها من حكم البلاد من بعده، وسطرت له مع غيرها بأحرف من نور... رحمه الله.

وجاءت الدولة الفاطمية، وهى من الترف والنعمة والثراء بمحل لا يوصف، حتى اشتهر المعز لدين الله بذهبه، وضرب به المثل في الكثرة فقيل: (ذهب المعز وسيفه).

وفي كل ليلة يبدأ القراء فيتلون بعض السور
السكرية ، في ترنيم ساحر ، وترتيل أخذ ،
فإذا انتهوا من قراءتهم نهض المؤذنون فأخذوا
يكبرون ويهللون ، ويشيدون بفضائل الشهر
وبركاته ، خاتمين لحونهم بالدعاء للخليفة والثناء
عليه ، ثم يفسحون المجال للوعاظ ، فيتحدثون
عن فضائل الصيام ويفسرون آيات القرآن ،
ويرددون الرقائق من الأحاديث النبوية
والروائع من العظات الدينية ، فإذا فرغوا
من واجهم نصبت حلقات الذكر ، فنهض
إليها الكبراء من العلية مسبحين ذاكرين ،
فإذا انتصف الليل تهيأ القوم للسحور ،
فأكلوا واستطابوا ، ووزعت عليهم الحلوى
والفطائر ليحملوها إلى منازلهم مسرورين ،
ومن يسعده الحظ بالجلوس على مائدة الخليفة
في السحور ذاق من أطيب المأكول والمشرب
ما يظل سمر حديثه بين الرفاق ، ثم يرجع إلى
أهله وقد حمل أطيب ما يقدم والد لأبنائه
من تحف وأطاف ، وتستمر ليالي الفاطميين
على هذا المنوال الرائع عدة ليالي الشهر الكريم .
أما مصر الأيوبية فقد شاء لها القدر أن
تضطلع بععب الدفاع عن البلاد الإسلامية
أمام الجيوش الصليبية الزاحفة في حملاتها
المتتابعة ، فلم يجد صلاح الدين من وقته وماله
ما يبذله في الاحتفال بسهرات هذا الشهر
الكريم ، وإذا كان الجهاد يحجز للمسلم أن
يفطر فلا يصوم فإنه من باب أولى يحتم عليه

بين القصرين إلى أن يخرج من باب الفتوح ،
ثم يدخل باب النصر عائدا إلى باب الذهب ،
حيث يجلس الخليفة في قصره ، فيستمع آيات
الكتاب الكريم يرتلها أشهر القراء ، ثم يوزع
الصدقات والهدايا ، ويكتب إلى الولاة
وحكام الأقاليم مبشرا بقدوم الشهر الكريم .
وفي أول يوم من أيام الشهر توزع
الاعطيات الثمينة على الأمراء والحكام ،
فتهدى إليهم أطباق الحلوى تتوسطها صرر
الذهب ، ويدعو الخليفة كل يوم فريقا من
رجال الدولة قبيل الغروب ، فيستمعون قليلا
إلى المرتلين والمشددين ، حتى إذا أذن المغرب
دارت أكواب لزيب والتمر والتين فيشربون
مفطرين ، ثم ينهضون إلى صلاة المغرب جماعة
فيسرعون في أدائها ، ويرجعون إلى أماكنهم
ليجدوا موائد الإفطار قد زينت بطاقات
الزهر ، ووضعت عليها الماء كل والفواكه
 وأنواع الحلوى على هيئة صور ، وتمائيل ،
وقصور ، فإذا انتهوا من إفطارهم جاء الخدم
فحملوا ما بقي من الطعام - وإنه لكثير -
ووزعوه على طوائف الفقراء والمساكين
فنالهم أكثر مما يشتهون .

ثم ينتقل الحاضرون بعد الإفطار إلى بهو
القصر ، وهو فسيح متسع ، يشرف على
الحدائق الظليلة ، فيتمتعون بسمر شهى رائق
حتى تؤذن العشاء ، فينهض الجميع إلى صلاة
القيام ، ويعودون إلى مجلسهم بين يدي الخليفة

أن يهمل كل احتفال بسهرات رمضان ولياليه فاقصر الأمر على إضاءة المساجد والمآذن ، وقد ظن بعض المؤرخين أن الدولة السنية الجديدة بمصر ، ترى ما كانت تصنعه الدولة الشيعة المنقرضة من أهمة الاحتفالات بالمواسم الدينية حراماً محظوراً ، فتجنبته لحرمة ، ولم تشأ أن تتورط فيه ، وهذا وهم لا يسنده الواقع ، إذ أن كثيراً من الأيوبيين حكماً وقادة ، كانوا يحتفلون بهذه المواسم حين يفرغون بعض الشيء من غارات الصليبيين فالملك المظفر صاحب إربل وزوج أخت صلاح الدين كان أعظم ملك احتفل بالمولد النبوي الشريف^(١) ، وحسام الدين لؤلؤ قائد الأسطول الحربي لعهد صلاح الدين الأيوبي ، كان يحتفل بشهر رمضان احتفالاً مشهوراً ، فيملاً ثلاث سفن كبيرة بالطعام كل يوم ، ويدخل الفقراء إليه في صفوف منظمة وهو قائم مشدود الوسط ، ويده مغرفة وأطباق ، فيعطى كل صائم حظه من السائل والجاف ، ويبدأ بالرجال فالنساء فالغلمان دون أن يتزاحم أحد عليه لا طمئنان كل فرد إلى وصول حقه إليه ، مستمراً على عادته تلك طيلة أيام رمضان !! فلو كانت الدولة الأيوبية ترى تحريم هذه الاحتفالات الدينية ما نهض بها ملك عظيم من خلصائها ، وقائد خطير من

كبار رجالها كما قد قيل ، ولكن الحرب الطاحنة قد شغلت المسلمين عن كل شيء وأيسر الأمر أن تشغلهم عن المواكب والاجتماعات. على أن دولة المماليك قد تداركت ما تركه الأيوبيون من أهمة واحتفاء ، ففي ليلة الرؤية يخرج قاضي القضاة ، ومعه القضاة الأربعة المذاهب الشرعية ، ووراءهم رؤساء الطوائف والصناعات من تجار وحدادين وسباكين وحائكين وشماعين لرؤية هلال رمضان من فوق منارة قلاوون ، فإذا ثبتت الرؤية أضيئت الأنوار على المتاجر والدكاكين ، والمآذن والمنارات ، وسار قاضي القضاة في موكب رائع يجمع عليه القوم في المقدمة ، وجمهرة العامة في الوسط والنهاية ، تحف بهم الشموع والفوانيس ، ويتقدمهم الجند وحمل المشاعل والمباخر ، حتى يصلوا إلى ميدان القلعة ، فيروا السلطان في سرادقه المنصوب ، وإذا ذلك يتقدم إليه الخليفة وقاضي القضاة بالتهنئة ، ثم ينهض السلطان ليستعرض أحوال الدقيق والخبز والسكر وطوائف الغنم والبقر المخصصة لصدقات رمضان ، وتبر من أمامه بعد أن يتم عرضها من قبل في مختلف الشوارع والدروب ، بين تصفيق المشاهدين ، وزغاريد الحاضرات ، وقد كانت دروس الدين تلتق بالمساجد بين المغرب والعشاء أيام الأيوبيين على غير سنن مرسوم ، فتم المماليك على كبار العلماء قراءة صحيح البخاري بالجامع الأزهر

(١) لما حديث شامل عن هذا الملك العظيم

وأوصافها فلا يتفقدوها أحد من المشاهدين ،
ويتحول الحى الحسينى بعد العصر من أيام
رمضان ، إلى سوق عامرة مكتظة ، إذ أن
القاهريين فى القرن الماضى كانوا يرون زيارة
مسجد الإمام الشهيد كل يوم قبيل المغرب
منسكاً يحتتم به الصوم ، والجالئون من الباعة
يرون ازدحام الناس بالميدان الحسينى فين يدونه
تكديساً بعرباتهم المثقلة ، وسلعمهم المختلفة ،
حتى يؤذن المغرب فيسرع كل صائم إلى منزله ،
ويخلو الميدان المكتظ لجأة من أهليه ، وما
هى غير ساعة حتى يعود كسابق عهده قبل
الغروب ، فتغص المساجد بالمصلين ، والشوارع
بالمارة ، والمقاهى بالسامرين .

أما الريف فقد كان ولا يزال المظهر المحترق
لاستقبال رمضان ، فإضاءة المساجد والمآذن
تسبق اليوم الأول من الشهر معلنة قدومه ،
وطواف المسحر فى الأزقة والحارات بطلته
ومصباحه تقدم صورة أخرى من تقاليد
رمضان ، وكذلك استمرار الذبائح يومياً
بالقرى بعد أن كانت لاتشهدها إلا فى المواسم
المتفرقة مرتين أو ثلاثاً فى العام الطويل ،
وإلقاء العظات الدينية بالمساجد عصرأ وبعد
صلاة الغروب ، والتفاف الأطفال جماعات
حول المشذنة ينتظرون الصيحة الأولى من
الأذان ، فإذا دوت فى الفضاء تبعها صياح
وضجيج ، ثم قراءة القرآن قبل الإفطار
فى مجالس عامة تعقد فى منازل الأغنياء وذوى

من أول ليلة إلا أن تختم أحاديثه ليلة العيد
فى احتفال مهيب يحضره السلطان والخليفة
وقضاة المذاهب ثم توزع الخلع والهبات على
العلماء والفقهاء والطلبة داخل المسجد ، وعلى
الأيتام ، والأرامل والمرضى ، والمهاجرين
خارجه ، فيكتمل الليلة العيد من السرور
والبهجة ما يجعل يومها التالى عيداً بروحه
ومعناه قبل أن يكون عيداً بتاريخه وساعاته .
ولعل من الطريف أن نذكر أن الأوقاف
على رمضان لم تعرف قبل العصر المملوكى ،
فالماليك أول من رصدوا فى حجج أوقافهم
العقارات والأطيان الزراعية لتنفق غلاتها
فى إقامة الشعائر الدينية ، وتوزيع النفحات
المالية ، طوال أيام رمضان ، ١ وذلك لن
يكون إلا عن عناية حافلة واهتمام أكيد .

وقد اطردت العناية بهذا الموسم الجليل بعد
العصر المملوكى ، فى أيام محمد على لم يهتم
المصريون بالاحتفال الرسمى الذى يتصدره
المحتسب والقاضى حين ينهضان مع الجند
والأتباع إلى رؤية الهلال ثم يذيعان النبأ ١١
ولكن الشعب يؤلف موكبه بنفسه ، فكل
أصحاب حرفة من الحرف كالطحانين والخبازين
والجزارين والزياتين والعطارين ، يلتفون
حول شيخ الحرفة ، ويتتابعون فى موكب
شعبى يطوف بالشوارع الهامة ، وأمام كل
حرفة ما يميزها عن غيرها ، لتعرف بدلائلها

الطويلة، التي تبتدىء بعد الإفطار مباشرة، وتستمر حتى يصلى الفجر بالمسجد، على أن الإذاعة تقدم في برامجها الحافلة السمين والغث فهي تعتمد كثيراً إلى إذاعة المسليات الهابطة ترفهاً عن المستمعين من أغنية تافهة أو تمثيلية ضاحكة، وأخرى بها أن ترتفع في أكثر ما تذيعه بالسامعين، لا أن تكون في أكثر ساعاتها مدعاة لهو وفراغ. وأذكر أنها عمدت في رمضان الأسبق إلى كتاب عيسى ابن هشام فمسخته مسخاً يبرأ منه المؤلف، ويرحب به السوقى اللاهى وكان في عرضه على حقيقته إعلاء للسامع، ورعاية لمكانة الصوم وتقدير للوعى الناهض، وقد حمدنا لها أن قدمت كل يوم بعض الفصول الروحية من الحديث، وندعوها هنا أن تتوسع في هذه الناحية بحيث يكون الطابع الروحى أكثر من غيره، ولها في فصول المراغى وشكيب وشلتوت والرافعى والزيات وفريد وجدى وعزام والعقاد مدد لا ينقطع، وذخيرة تغنى وتلهم وتدعو إلى سبيل الحق بالحكمة والموعظة الحسنة.

وبعد: فإذا كان الاحتفال برمضان في عهدنا الأخير قد وكل في أكثر أحواله إلى الإذاعة العربية - والتليفزيون أخيراً - فإننا نطمح أن يجد لديهما سعة الأفق، وكال التوجيه، ورائع التقدير.

محمد رجب البيومى

اليسار، وتسمى «التصيرة»، ويؤمها المستمعون والمتطلعون إلى الإفطار من ذوى الحاجة وأبناء السبيل، فإذا أديت العشاء عقدت مجالس القرآن مرة ثانية في المنازل، وتوافد الزائرون من كل ناحية يستمعون ويشربون البارد أو الساخن وفق الزمن والطقس، حتى يحين وقت السحور فيقدم صاحب المنزل مائدته لمن يريد ثم يتجه المجتمعون إلى صلاة الفجر بالمسجد، وتزدحم الشوارع الضيقة بالمساة، حتى لكأن النهار قد سبق ميعاده بساعات، ولفجر رمضان في القرى من الروعة والجلال ما لا يبلغه الوصف، فالمسجد أهلى غاص، والترتيل موقع منسق، والصلاة تكتسب من الخشوع والإقبال روعة لا توجد في غير فجر الصيام وتراويحه بعد العشاء، فإذا كادت أيام الشهر أن تنصرم وزعت زكاة الفطر على الفقراء في عطف وتواد، واحتفل باليوم الأخير (وقفه العيد) احتفالاً تضاعف فيه الذبائح وترتفع الأجور أو تنخفض وفق الإقبال والإعراض، وما زال الريف في الجمهورية العربية المتحدة مغرس الإيمان، ومنبت الخشية والصلاح، وقد كادت هذه المظاهر الجميلة تزول بعض الشيء من القاهرة والريف، لتقع أسباب الرقاهية، وانصراف الصائمين في رمضان إلى المذباح يقطعون معه سهراتهم

فريضة الصيام وتطورها في المجتمعات الإنسانية

للدكتور جمال الدين الرمادى

الإمساك عن الطعام :

والإمساك عن الطعام والشراب يتبع على وجوه شتى فمنه المطلق الذى يشمل جميع المأكولات والمشروبات كصيام الصائين والمناوية والمسلمين ، ومنه المقيد الذى يتم بالكف عن بعض أنواعها كبعض أنواع الصيام عند المسيحيين ومن المتصوفة المسلمين من يصومون طيلة حياتهم عن الطعام والشراب ، ولا يفطرون إلا عند الغروب ، ويعتقدون أن الصوفى من صفا من الكدر ، وامتلأ من الفكر ، وانقطع إلى الله عن البشر ، واستوى عنده الذهب والمدر .

مناجات الصوم :

ويصوم بعض الشعوب فى مناسبات عديدة منها حدوث ظاهرة غريبة تستهوى الناس وتحير العقول ، وتذهل النفوس . مثل حدوث الكسوف أو الخسوف ، أو ثوران البراكين ، أو حلول الزلازل ، لقد كان الإنسان يعتقد أن حدوث مثل هذه الأمور يعتبر غضبا إلهيا منصبا على الدنيا ، ومن فيها وما فيها ، فكان يتقرب إلى الله تعالى

أقبل شهر رمضان فى هيئته ووقاره ، يتهاذى على الدنيا ، ويقيه بين الشهور والأيام ويحرص المسلمون على الصيام فى هذا الشهر المبارك تقربا إلى الله عز وجل ، وتأدية لفريضة هامة من فرائض الإسلام .

وللصيام حلاوته وعدوبته . ومنفعته وأهميته ، ولقد حرصت شعوب الأرض منذ نشأة الخليقة على الصيام ، ولكن تعددت أشكاله باختلاف الأمم والشرائع ، وكان عندهم فى أغلب الأحوال تهديبا للنفس وترويضاً للحس وعاملا على السمو والارتقاء .

ولعل الكف عن الكلام هو أغرب أنواع الصيام ، وقد ذكر العالمان سبنسر وجيلين فى كتابهما عن سكان استراليا الوسطى حالات كثيرة من هذا القبيل ، منها أن المتوفى عنها زوجها يجب أن تظل مدة طويلة تبلغ أحيانا عاما كاملا صائمة عن الطعام ، ويظهر أن بعض الديانات القديمة كانت تسوغ مثل هذا الصيام بدليل قوله تعالى فى سورة مريم : « إني نذرت للرحمن صوما فنن أكلم اليوم إنسيا . فأشارت إليه . »

الهنود الحرات التي يتألف منها السكان الأصليون
لأمريكا الشمالية .

وقد فرضت ديانة البوذيين الصيام من
شروق الشمس إلى غروبها في أربعة أيام من
كل شهر قمرى هي أيام اليوبوزانا Uposatha
وتقع في مبدأ كل منزلة من منازل القمر الأربع
كما أوجبت الراحة التامة ، وحرمت مراوطة
أى عمل حتى إعداد طعام الإفطار ، ويصوم
الحرسانية والكلدانيون والصائبة أحد
وعشرين يوما في تشرين الثانى « نوفمبر » منها
تسعة أيام لرب البخت ، ويفتون في كل ليلة
الخبز ، ويخلطون معه الشعير والتين واللبن ،
ويرشون عليه الزيت .

والصوم عند المسيحيين هو الانقطاع عن
الطعام والشراب مدة محدودة من النهار ، ثم
يتعاطى الصائم ما كولات خالية من الدسم ؛
تذليلا للنفس والجسد ، وتنويرا للعقل ،
وله فوائد منها أنه يشعرهم بحالة المحتاجين
لسكى يرثوا لحالمهم ، ويشعروا بخطاياهم ،
والصيام أنواع عند المسيحيين ، منه صيام
يوم الأربعاء من كل أسبوع ، لأنه تمت فيه
المشورة على موت المسيح ، ويوم الجمعة من
كل أسبوع لأنه صلب فيه - كما يعتقدون -
وصوم الميلاد ومدته ٤٣ يوما ، ويمتنع الصائم
فيه عن الأكل والشراب حتى الساعة الثالثة
بعد الظهر ، وهناك صوم تينوس ، والصوم

عن طريق الصوم ، كما أن بعض الشعوب
يصوم إذا مات توفى عزيز لديها أو انتزع من
أهله انتزاعا ، ويصوم بعض الشعوب ابتغاء
التكفير عن الذنوب المقصودة أو غير
المقصودة ، أو التحلل من بعض الواجبات
أو الالتزامات الدينية التي لا يتمكن بعضهم
من أدائها على الوجه الأكمل ، وكما صامت
شعوب من أجل التقرب إلى الله تعالى حتى
يمس الإنسانية برحمته من جراء وباء خطير ،
يحصد النفوس حصدا أو طوفان غزير يدمر
المدائن والقرى أو قحط شديد أو حريق
هائل يأتي على الأخضر واليابس .

وقد يتخذ الصوم تمهيدا لعبادة أخرى
لجعلها مقبولة أو عنصرا هاما من عناصرها
ومن ذلك الصوم الذى يسبق أو يصاحب
تقديم القرбан ، أو إيتاء بالندور ، أو الوفاء
الزكاة وإخراج الصدقات .

وكثير من الديانات الهندية المؤسسة على
تقديس الشمس توجب على متبعيها الصيام
كل يوم من غروب الشمس حتى شروقها ،
ورؤية جرمها بالسماء ، فإن صحبتها السحب
عند طلوعها وجب مواصلة الصيام حتى تبزغ
ومن الغريب أن هذا النوع من الصيام متبع
عند عشائر السناتيموك Snataimuk من
قبائل الساليش Saliches وهي إحدى قبائل

الأيام الأخيرة من شهر رمضان ، فجعله اعتكافاً وثيقاً ، وهو الذى طالما صام وانقطع عن الزاد زاهداً متعبداً ، ملهما الإيمان فى غار حراء . فكان يغدو صائماً مصلياً مسجحاً تالياً كتاب الله القدير ، احتراماً لفريضة الصوم وإكراماً لكتاب الله الذى أنزل فى هذا الشهر ، طامعاً فى التقرب إلى الله تعالى ، وكان يقول وهو خاشع متبتل من خشية الله : (المعرفة رأس مالى ، والعقل أصل ديني ، والحب أسامى ، والشوق مركبي ، وذكر الله أنيسى ، والثقة كنزى ، والحزن رفيقى ، والعلم سلاحى ، والصبر رداً ، والرضا غنيمتى ، والفقر غفري ، والزهد حرقى ، واليقين قوتى ، والصدق شفيعى ، والطاعة حسبي ، والجهد خلقي ، وقرة عيني فى الصلاة) .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا أفطر قال : (اللهم لك صمتا ، وعلى رزقك أفطرتنا . فتقبل منا إنك أنت السميع العليم) . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (من قال اللهم لك صمت ، وعلى رزقك أفطرت ، وعليك توكلت ، كتب له من الأجر بعدد من صام ذلك اليوم) وكان إذا أكل قال : (الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وأشبعنا ، وآوانا فكفاناً) وكان يقول لعلى رضى الله عنه : (إذا شربت ماء فقل الحمد لله

الكبير ، ومدته ٥٥ يوماً ، وصوم السيدة العذراء ، والبرامون الذى يسبق عيدى الغطاس والميلاد إلخ .

تربية النفس :

والواقع أن الصيام عند المسلمين تربية للنفس ، وإيقاظ للدوافع السكائمة فى نفس الإنسان ، وتعديل سلوكه وميوله وغرائزه الفطرية تعديلاً صالحاً ، وقد شرع الإسلام الصيام تخليصاً للنفس من أدران المادة ، ورياضة لها حتى تستقيم على منهاجها السوى فتعدل عن بذل قواها لمزاحمة الغير والتسلط عليه بغير حق ، وإلى بذلها لتنظيم نفسها ، والتسلط على إرادتها ، وهو فرض على كل مسلم عاقل مقيم طاهر قادر على الصوم .

وكان النبي عليه السلام وأصحابه يتناولون عند الغروب تمرات ثم يقومون للصلاة ، فإذا أدوها عادوا لتناول ما تيسر من الطعام دون إفراط ، ومكثوا للعشاء فصلوها ، ثم قاموا إلى مضاجعهم أو إلى عبادتهم حتى قرب الفجر ، ثم هبوا لتناول ما تيسر من الطعام ، ثم توضأوا واستعدوا لصلاة الصبح فإذا قضوها ذهبوا إلى أعمالهم حتى الظهيرة ، فيقبلون إلى نحو العصر ، ثم يقومون للصلاة منتظرين الغروب .

ولقد خصص النبي اعتكافه فى العشرة

وقال شاعر آخر :

وقطائف محشوة بطائف

طافت بها أكرم بها من طائف

شبهتها نضرت على أطباقها

بوصائف قامت بجنب وصائف

وقال الجزار الشاعر في وصف الكسفاة :

ومالى أرى وجه الكسفاة مغضبا

ولولا رضاها لم أرد رمضانها

وهكذا كان رمضان وكانت أطايبه مهمة

للأدباء والشعراء غير أن الصيام ليس هو

الصيام عن الطعام ، فقد صدق الرسول

الكريم حين قال : (كم من صائم ليس له من

صومه إلا الجوع والعطش) وحين قال كذلك :

(من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله

حاجة في أن يدع طعامه وشرابه) فلا بد

ألا يقترن الصيام بمعصية أو يصاحبه إثم

أو تحف به غيبة أو نسيمة ، أو يكتشفه

شر من الشرور .

الصوم صحابة ودواء للمجتمع :

وقد أثبت الطب فائدة الصوم في إراحة

الجسم مما يعانيه من جهد متواصل في العمل

ووقاية النفوس من التهور واليأس من مواجهة

الصعاب - كما يعد تدريبا لخلايا الجسم - ومها

خلايا المخ والأعصاب على التقشف -

والاحتفاظ بحيويتها ونشاطها . لأن الامتناع

الذى سقانا ماء عذبا فراتا برحته ولم يجعله
ملحا أجاجا بذنوبنا تكسب شاكرا) .

وقد ألهم رمضان الأدباء والشعراء واعتبره

بعضهم حبيبا عزيزاً ، لا يودون فراقه ،

ولا يبتغون الانصراف عنه ، أو التخلص

منه فقال العتابي الشاعر :

شهر الصيام غداً مواجهنا

فليهجن رعية النسل

أيامه كوني سنين ولا

تفنى فلست بسائم منك

كم قال شاعر آخر :

قد جاء شهر الصوم فيه الأمان

والعتق والفوز بسكنى الجنان

شهر شريف فيه نيل المنى

وهو طراز فوق كم الزمان

طوبى لمن قد صامه واتق

مولاه في الفعل ونطق اللسان

واهتم الشعراء بوصف لياليه وأسماره

وتقاليد وعاداته كأكل القطايف والكسفاة

وما إليها وجاء ذكرها في شعر كشاجم وابن

الرومي وغيرهما ، ووصف بعضهم القطايف

بحقاق العاج أو الوصائف فقال شاعر :

لله در قطايف محشوة

من فستق دعت النواظر واليدا

شبهتها لما بدت في صحنها

بحقاق عاج قد حشين زبرجدا

عن الطعام والشراب يؤدي إلى هبوط مقدار السكر في الدم - أى مقدار الغذاء اللازم لهذه الخلايا ، ويجدى فى حالات المرض وتصلب الشرايين كما ثبت أن الامتناع عن الأطعمة الدهنية الدسمة يقلل من البثرة الدهنية والإكزما الدهنية ، والالتهاب الجلدى الدهنى كما أن الامتناع عن تناول ألوان معينة من الطعام يفيد فى معالجة أمراض زيادة الحساسية مثل الأكزما والارتيكاريا ، والحكة الجلدية وما إليها .

كما أثبت علم النفس أن الصوم تربية صحيحة للنفس وكبح لشهواتها ، وهذه التربية الصحيحة للنفس هى الدعامة الأولى للفضيلة كما يرى العلماء والفلاسفة فالمفكر الفرنسى الشهير جان جاك روسو يعتقد أن التربية الصحيحة هى ترقية الفضيلة فى الإنسان . ولا تباين ذلك إلا بطرق عملية لا يقاظ القوى الطبيعية الكامنة فى النفس وترقيتها ، ويرى الفيلسوف د كانت ، أن التربية سبيل لترقية الإنسان إلى درجة الكمال

أما هيرت سبنسر Herbert Spencer فيرى أن التربية توجه عنايتها إلى الناحية النفسية

الخلقية ، وتكوينها تكويناً اجتماعياً صحيحاً يتفق والتعاليم الدينية .

ولو أن تدرسنا الصوم دراسة وافية لأدركنا أنه أكبر حافز على تربية النفس وترويضها ، وخلق الإرادة الحازمة ، والصبر على المحاربه وما تأتى به حوادث الأيام من الشدائد والمحن وهو ما دعا إليه الإسلام قبل أقطاب الفلسفة والتربية فى أوروبا .

وما أصدق الرسول الكريم حين قال : (الصيام جنة ، فإذا كان يوم صوم أحدكم ، فلا يرفث ، ولا يصخب ، فإن سابه أحد أو قاتله ، فليقل إني امرؤ صائم) والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك . للصائم فرحتان يفرحهما . إذا أفطر فرح ، وإذا لقي ربه فرح بصومه) .

فما أخلقنا أن تتعلق بهذه التربية السكرية ، ونتمسك بهذا الهدى النبوى المبين ، وهذه الموعظة الربانية الحسنة ، موعظة الصوم فى هذا الشهر المبارك .

دكتور

جمال الدين عبد الحميد

بغداد

بغداد يا دار للسلام على الوجود
فشبائك المقدم يقتحم السدود
مجد العروبة من ديارك لن يبدد
حفظ الأمانة عبر ماضيك التليد

الأستاذ الأكبر الشيخ إبراهيم حمروش

للأستاذ محمد علي النجار

نص الكلمة التي ألقيت في حفل التأسيس
لدى أقامه مجمع اللغة العربية في يوم الأربعاء

كان ساهراً على رعاية الكلية، خبيراً بما فيها، لا يشذ عنه شيء من أحوالها. حريصاً على أن تتبوأ المركز اللائق بها، فكان يختار لها المدرسين الكفاءة من الأزهر وغيره، وكان ينظم امتحان مسابقة لدخول الطلاب فيها، ولم يكن ذلك مستنواً في قانون الأزهر، ولكنه الحرص على أن يكون طبقة ممتازة من الطلاب. ولقد كان يطوف بحجر الدراسة في اليوم غير مرة، ويسأل الطلبة في دروسهم، ويقف على درجة تقدمهم وتخلفهم، ويطلب لكل مقام بما يقتضيه.

ولقد مرت فنن سياسية وأعاصير هوج كان الطلبة يسلكون فيها في بعض الحين مسلك الشطط والنزق، فكان يعالج الأمر بالحزم والكياسة، يخلط الشدة باللين، والمخاشنة بالمخاسنة، فيعود الطلبة طوعاً وبغيره، يأترون بأمره ويقفون حيث أحب. ولقد بلغت كلية اللغة العربية أوج مجدها، وكانت غرس يديه.

وترك كلية اللغة إلى كلية الشريعة في ٢٤ من أكتوبر سنة ١٩٤٤م فأصلح من شأنها،

أعزز على أن أقوم بتأبين الأستاذ الأكبر الشيخ إبراهيم حمروش (١) وأن أقف هذا الموقف أعد فيه مأثره، وأعرض حياته الحافلة بكل جليل، فتزيدني ذكره أسفاً وأسى، وتبعث في من البث والحزن ما أجهد أن أنساه فلا ينسى. ولقد حرصت أن أجنب هذا المقام فلم يقدر لي. فاللهم ارزقنا الصبر والعزاء على هذا المصاب الجلل.

ولقد تعلقت بأسبابه، ووصلت حبلى بحبله في سنة ١٩٣٧ حين عملت في التدريس في كلية اللغة العربية وكان عييدها، فأولاني من عطفه، وأخذ بضبعي، وكان لي منه الخير الكثير. صحبتني إذن، وقد استوى على صهوة المجد والشرف الباذخ. فهو من رجالات الأزهر وأولى الأمر فيه، وهو عضو في مجمع اللغة العربية، وهو حجة في علوم الدين واللغة. كان جامعاً بين الحزم في سياسة الكلية وتدبير الأمور في الأزهر، والاضطلاع بالمطالب العلمية التي يتطلبها المجمع والأزهر.

(١) ولد الشيخ إبراهيم حمروش في ربيع الأول ١٢٩٧ هـ أول مارس ١٨٨٠ م - وتوفي في ٢٦ جادى الأولى ١٣٨٠ هـ - ١٥ نوفمبر ١٩٦٠ م.

« وهذه مصر ، بلادكم العزيزة ووطنكم المحبوب تناديكم جميعا ، شييا وشبانا ، رجالا ونساء ، أقباطا ومسلمين ، أن تكونوا ساهما مسددة نحو عدوها ، وأن تلقوا الغاصب صفا واحدا كأنكم بنيان مرصوص ، بقلوب

لا تعرف إلا الوطن والدفاع عن حوزته .
« وأذكركم - حتى لا يغيب عن أذهانكم - تاريخ هذا الغاصب الرابض في دياركم ، وما اعتاده من سياسة التفريق طلبا للسيادة ورغبة في السلطان وبسطا للنفوذ ، لمصلحته هو لا لمصلحة أحد سواء . وأذكركم جميعا مسلمين وأقباطا بماضيكم المجيد . فقد قتم كتلة واحدة تظالبون باستقلال البلاد واستكمال حريتها ، وتبوئها مكانة سامية بين الأمم . وأشهدتم العالم كله على وحدتكم واتلافكم .

« وإني أعيدكم بالله من التفرق واختلاف الكلمة ، فتضيع جهودكم الكبيرة التي بذلتوها في سبيل عزتكم وعزة بلادكم .

« واعدوا أن النصر المؤزر لقضيتنا رهن باتحاد صفوفنا واجتماع كلتنا ، ووقوفنا جميعا في وجه عدونا ، حتى تظفر بلادنا بما تصبو إليه من السيادة والحرية والاستقلال ، ويتمتع أهلها جميعا بالأخوة الصادقة والاطمئنان على أموالهم وأنفسهم .

وحين اشتد حق الإنكليز في القنـاة والإسماعيلية فأنزلوا عذابهم على القرى

وقوم من أودها ، وثقف من قناتها ، وكان له فيها أثر محمود حتى استقال من رياستها في ٢٣ من ديسمبر سنة ١٩٤٥ م على أثر أمور في الأزهر لم ترضه . ولكنه بقي عضوا في جماعة كبار العلماء .

وأُسند إليه منصب مشيخة الأزهر في ٣٠ من ذى القعدة سنة ١٣٧٠ هـ (٢ من سبتمبر سنة ١٩٥١ م) وبقي متقلداً هذا المنصب الجليل حتى يوم ٩ من فبراير سنة ١٩٥٢ م . وكان الوطن في أيام توليه مشيخة الأزهر في محنة مع الإنكليز في قناة السويس وفي حاجة إلى جمع الصفوف وتوحيد الكلمة ، فكان للشيخ المهم الموفور في هذه الدعوة الشريفة .

فراه ينشر على الناس في يوم ١٥/١/١٩٥٢ كتابا يقول فيه :

« أيها المصريون ، أتوجه إليكم في هذه الظروف التي غشيتكم فتنها ، وحزبتكم شدتها ، أن تكونوا إخوانا في الوطن متأخين متحابين ، رائدكم الإخلاص لبلادكم وأنفسكم ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم .

« وإن شر ما تتبلى به الأمم في محنتها أن تفرق كلمتها ، وأن تنحل وحدتها ، وتنقطع أواصر المودة بين جماعاتها ، فيشق العدو الطريق إليها ، وينفذ بسهامه إلى صدور أبنائها .

الآمنة أصدر الشيخ منشورا جاء فيه :
 « إن شعب وادي النيل الباسل في كسفاحه
 السلى لإخراج المعتصبين المحتلين من بلاده لم
 يجاوز حقه الشرعى في الدفاع عن عقيدته
 والمطالبة بحريته ، ولكن هذا الدفاع لم يرق
 في أعين المحتلين من الإنجليز ، فعملوا بكل
 الوسائل العدوانية على توهين وحدته ،
 واندسوا في صفوفه ، يشيعون الأراجيف
 لتفريق كلمته . فلما واجههم الشعب وحدة
 متراسة ، وقام في وجههم على قلب رجل واحد
 يطالب بحقه في الحياة الحرة طاشت أحلامهم
 وجشوا إلى القوة الغاشمة يسلطونها على الآمنين
 في ديارهم ، وعلى النساء في خدورها ، وعلى
 الأطفال في مهادها ، .

« وكلما زاد الشعب تمسكا بحقه وصبرا على
 هذا العنت زاد عسفهم ، وتعددت مظالمهم ،
 حتى خرجوا على كل شرعة ، وبزواكل ماعرف
 من أعمال التشكيل التي اشتهرت بها محاكم
 التفتيش ، وما قام به النازيون من أعمال
 وحشية ، فأزالوا القرى الآمنة من الوجود
 بدباباتهم ، وهدموا البيوت بمدافعهم الثقيلة ،
 وشردوا النساء والأطفال الأبرياء ، وانتهكوا
 كل الحرمات ، واعتدوا على المساجد
 والكنائس ، ولم يبق جرم إلا ارتكبه ،
 ولا شناعة إلا فعلوها . ولم تقف شناعتهم
 عند حد ، فراحوا يطلقون النار على حفظة

الآمن ورجال الشرطة ، ويقتلونهم تقتيلا في
 راحة النهار ، وبأسرون من نجا منهم
 « وإنى باسم الأزهر علمائه وطلابه لأعلن
 استنكارى لهذا الإجرام الفظيع الذى
 انتهكت فيه الأعراض ، واستبيحت الأموال
 واعتدى على حرية الإنسان وحقه المشروع
 فى أن يطالب بحريته واستقلاله ، واحتج
 بشدة على هذه الأعمال العدوانية التى تنافى
 جميع الشرائع والأديان . وأهيب بالضمير
 العالمى أن يشور على هذا الوضع المهين لكرامة
 الإنسان ، وأن يهب لوقف هؤلاء المستبدين
 عند حدهم ، ليعلموا أن فى العالم ضمائر تتحرك
 لنصرة الحق ، ونفوسا ثور للأخذ بيد
 العزل المكافين لنيل حرياتهم

« ولعلم الإنجليز أن هذه اللفظائح التى يصبونها
 على رموس أبنائنا ان تلين للشعب قذاة ،
 ولن ترده عن المطالبة بجلائهم الناجز عن
 وطننا العزيز ، وأن وادى النيل كله لن يسكت
 بعد اليوم على ضيم يراد به ، ولن يفرط فى
 حق من حقوقه ، مهما ابتلى بالشدائد ومهما
 ضحى من أرواح غالية

« وإنى إذ أستمطر رحمة الله ورضوانه
 على شهدائنا الأبرار أتوجه إلى أبناء الوطن
 جميعا مناشدا إياهم أن يشدوا من عزائمهم ،
 ولا يجعلوا لهذه الأحداث أثرا فى نفوسهم ،
 فلا يهنوا ولا يحزنوا ولا يضعفوا ، وهم

دخل الوقت كان أكبر همه أن يؤدي الصلاة ،
وفي يوم وفاته قدر له أن صلى العصر ،
ولم يلبث أن وافاه الحام .

وحاور الشيخ في الأزهر فأخذ عن الشيوخ
المتفيعين الذين كان الأزهر ملآن بهم . وكان
الشيخ ذكيا ثقفا لقفا عرف بالذكاء والزكاة
طول دهره ، فحصل تحصيلًا عجيبا ، وفطن
لدقائق العلوم ، واستحكمت عنده الملكة
الأزهرية .

وقد تلقى الفقه الحنفي عن الشيخ أحمد
أبي خطوة واختص به ، وكان يثني عليه
كثيراً ، وأخذ عن الشيخ محمد بن حيت وأخذ
النحو على الشيخ علي الصالحى المالكي .
ولزم الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده في
دروسه فأخذ عنه أسرار البلاغة ودلائل
الإعجاز والبصائر النصيرية في المنطق .
وقد يرجع إلى تلمذته للشيخ محمد عبده الفضل
في تحرر فكره واتساع أفقه وحسن التصرف
فيما يعلم .

وكان إلى جانب اشتغاله بعلوم الدين واللغة
يشتغل بالعلوم الرياضية ، وكان رياض باشا
رحمه الله قد أعد مكافآت مالية لمن يفوز في
امتحانات الرياضة ففاز الشيخ في هذه
الامتحانات غير مرة .

وقد أتم تحصيله في سنة ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦)
وتقدم لامتحان شهادة العالمية وكان صغير

الأعلن إن شاء الله . فلا بد للجهاد من
تضحية وللحرية من ثمن . يأبى الذين آمنوا
اصبروا وصابروا وربطوا واتقوا الله
لعلكم تفلحون .

وإن النيل من الإنجليز وجبههم بالغليظ
من القول في ذلك العهد لم يكن بالسهل الهين ،
ولا يقاس به عهدنا الحاضر الذى نعمنا فيه
بجلائهم وذهاب سلطانهم عنا . فقد كان
الإنكليز لا يزال لهم من السلطان على صاحب
القصر ورجاله الشيء الكثير ، وكان القدرح فيهم
لا يطور به من ذوى المناصب إلا من
لا يتمسك بمنصبه ، ويؤثر الحق على زينة
السلطان وجلاله الكاذب ، وأكبر الظن أن
إقالته من المشيخة ترجع إلى هذا المنزع السياسى
الذى ضاق به الإنكليز .

وإلى أقص هنا سيرة الشيخ ونشأته
حتى استوى سيد اجليلا .

ولد الشيخ في قرية الخوالد التابعة لمركز
إيتاى البارود من أعمال مديرية البحيرة
في العشرين من شهر ربيع الأول ١٢٩٧ هـ
(أول مارس ١٨٨٠ م) ونشأ فيها حفظ
القرآن الكريم حين بلغ الثانية عشرة من
عمره ، وأرسله والده إلى الأزهر ، وكان
يحكى أن والده إذ ودعه حين ذاك أوصاه
أن يحافظ على الصلاة لأول وقتها ، وحافظ
الشيخ على هذه الوصاة طوال حياته ، فإذا

في هذه المدة فيقول : كان الشيخ جميل السيرة موقفا غير متزمت في هديه ، يلقي الدرس في ترتيب عجيب وسياق لطيف يأخذ بألباب السامعين ، يبعد عن الحشو والتطويل واللغو من القول ، ولا يطيل في المباحث اللفظية ، له نعمة حلوة في الإلقاء تجذب الطلاب . وفتحت مدرسة القضاء الشرعي في ذلك العهد ، وكان على أمرها عاطف بركات رحمه الله ، وكان يختار لها من الأزهر المبرزين الفوقه ، فذكر له الشيخ فاختاره ، وكان ذلك في سبتمبر سنة ١٩٠٨ فبقى فيها إلى ١٢ يولية سنة ١٩١٦ م . وقام فيها بتدريس الفقه وأصول الفقه ، فتخرج عليه الثقات الكفاة الذين تقلدوا مناصب القضاء ، والإفتاء ، أذكر منهم الشيخ فرج السنهوري ، والشيخ حسنين مخلوف ، والشيخ حسن مأمون . والشيخ علام نصار ، وغيرهم كثير . وولى بعد المدرسة منصب القضاء الشرعي ، فكان القاضي الفاضل الذكي البصير بالأحكام ومكايد الخصوم ، الصانع بالحق ، الناطق بالفضل ، وكان أخوه الشيخ أحمد حمروش قاضيا ، وكذلك كان عمه الشيخ عبد الحميد حمروش قاضيا ، فهو من أسرة تأل فيها هذا المنصب الرفيع . ولقد عرفه في ساحة القضاء الشيخ المراغي رحمه الله ، فلما ولى مشيخة الأزهر نقله إلى الأزهر يستعين به

السن بين أقرانه في ذلك الحين . وكان امتحان العالمية في أصول الفقه يكون في مسألة من مسائل مقدمة جمع الجوامع ، ورأى شيخ الأزهر الشيخ عبد الرحمن الشربيني تجاوز المقدمة والامتحان في مسألة أخرى حتى لا يقصر الطلبة جهودهم على المقدمة ، فعين مسألة للامتحان في القياس فتخلف عن الامتحان كثير من جاء موعد امتحانهم ، فأبيح التقدم لمن بعدهم وتقدم الشيخ ففاض في امتحان دقيق كان شيوخوا يحسدوثنا عن عصره وكان الطالب يقضى في الامتحان سحابة نهاره ، ولكن الشيخ لم يتجاوز ثلاث ساعات ، وكان الامتحان في أربعة عشر علما . وعقب تخرجه نظم في سلك مدرسي الأزهر في ٢١ من نوفمبر سنة ١٩٠٦ . وكان رحمه الله أحيانا يتحدث بما أفاء الله عليه من النعمة ، وما كان عليه الأزهر فيقول : كان مرتب المدرس في الأزهر خمسة وسبعين قرشاً في الشهر ، ولقد كان أول ما تسلبته بعضاً من هذا القدر إذ كان دخولي في التدريس في أعقاب الشهر ، ولقد كان فرحى بهذا المال الذي هو أول مال اكتسبته من الأزهر عظيماً : إذ كان فيه وصل لحبلى بحبال علماء الأزهر . وقد اختير لتدريس الرياضة بعد ، وكان يتقاضى على ذلك خمسين ومائة قرش في الشهر ، وهو مع ذلك يدرس العلوم الدينية واللغوية . ويذكر بعض من تلقى العلم عنه

إلى أن اختلطت العرب بغيرها وفسدت اللغة وما أدخله غير العرب بعد فساد اللغة والاختلاط بالأعاجم سموه مولداً ، وهناك قسم آخر يسمى بالعالمى ، وهو ما أخذ من غير مادة عربية ، أو من مادة عربية ولكن بتحريف وتبديل لا تجهزه قواعد اللغة .

« بقى الكلام الآن فى أمر هو محل نزاع الباحثين وموضع اهتمامهم ، وهو أن المعانى الجديدة ، والمستحدثات العصرية كثرت وتعددت بعد أن وقف التعريب ، وأصبحت اللغة العربية لا تنهض بالدلالة على تلك المعانى ولا تقوم بحاجة التعبير عنها ، فهل للوجودين أن يعربوا ألفاظ المعانى والمستحدثات تمشياً مع الحاجة ، ودفعاً للضرورة ورفعاً لعبق نقص اللغة العربية عن الاضطلاع بحاجة أبنائها ، ؟ »

« ذهب فريق إلى التعريب ، وقال : إن اللغة كائن حتى كسائر الموجودات وكل موجود حتى يتدرج فى الرقى ، وكما تدرج أهل اللغة يجب أن تدرج اللغة ، وإن التعريب يؤدى إلى اتحاد لغة العلم ، ويحفظ للبشر اسمها ، ويبقى له ذكره . »

« وذهب فريق إلى أنه لا حاجة إلى التعريب وأن اللغة العربية يمكن أن تنهض بالدلالة على المعانى الجديدة باتخاذ الوسائل المؤدية إلى ذلك ، فعندنا مهجور فى اللغة لا يستعمل الآن ، وينقله إلى المعانى الجديدة يقوم بالدلالة

فى أمره ، فكان له فى الأزهر اليد الطولى فى شؤونه وتقلب فى مناصبه حتى صار شيخاً لكلية اللغة العربية فى ١٣ يونية سنة ١٩٣١ . وتتوج حياته العلمية فى الأزهر بدخوله فى جماعة كبار العلماء فى ٢٨ من صفر سنة ١٣٥٣ هـ (١٠ من يونية سنة ١٩٣٤ م) . وقد قدم لنيل هذه الدرجة رسالة جليلة فى « عوامل نمو اللغة » تدل على تحقيق ودقة نظر فيما تناول من المسائل ، يقول فى مقدمتها : « وبعد : فإن اللغة العربية بفضل عواملها المتعددة رحب صدرها ، واتسع نطاقها ، وكثرت مادتها ، وتنوعت أبنيتها ، وصار لها جمال المنطق وجلال الدلالة وحسن الديباجة ولطف العبارة ، وقد وسعت بذلك العوامل علوم اليونان والفرس وغيرهما ؛ وصارت لغة العلم والدين . »

« وقد كتبت كلمة فى التوليد بالزيادة والإبدال والقلب والاشتقاق والترادف والاشتراك والمجاز والنحت والارتجال والتعريب . »

وأذكر هنا مبحث التعريب فى ختام الرسالة ليكون نموذجاً لمباحثها . وعنوان البحث : « أثر التعريب » : « فى التعريب زيادة مادة اللغة بالألفاظ الدخيلة فيها ، وقد أجرت العرب على بعضها أحكام الألفاظ العربية من القلب والاشتقاق وغيرهما ، وقد جرى العلماء على تسمية ما أدخله العرب بالمعرب ،

والمستحدثات العصرية فلا تقدم على التعريب حفظاً للغتنا العربية التي هي أداة فهم القرآن والحديث اللذين هما أساس الدين وعماده . وإن لم يمكن أن تقوم اللغة بعد اتخاذ الوسائل بالدلالة على جميع المعاني أقدمنا على التعريب بقدر الحاجة فقط ، مع المحافظة على اللغة الفصحى ، بأن نذكر اللفظ ونذكر بجانبه معناه ، وأنه مما عرب للدلالة عليه ، ونبين تاريخ التعريب ، فيكون ما وضعه المتقدمون معروفاً ، وما ألحق باللغة معروفاً ، فتتحقق المحافظة على الموروث عن السلف .

وأراني قد ألمت ببعض حياته في الأزهر ، وسألم ببعض حياته في المجمع .

دخل الشيخ — رحمه الله — المجمع لأول نشأته في سنة ١٩٣٤ م فاختير في معظم لجانه ، وشارك في بحوثه ، وكان من الرعيل الأول الذين أرسوا قواعد المجمع وأقاموا عمده . وكان له فيما يعرض في اللجان ومجالس المجمع ومؤتمره الرأي السديد والبصر النافذ واللمحظ الناقد والبحوث المستفيضة في الشؤون العلمية . ومن آرائه أن اللفظ المولد إذا اشتهر يستعمل في غير اللغة والآداب .

وعرض المجمع في بعض جلساته لرسم المصحف وطلب إلى الشيخ أن يكتب رأيه ، فكان رأيه الوقوف عند الرسم المعهود له ، ولا يذبح كتابته بالرسم العادي ؛ لأنه عرضة للتغيير والتبديل في كل عصر ، فلو أبيع هذا

على بعضها ويتداول بين الناس فتحيا به اللغة العربية . وعندنا المجاز ، وهو يدل على غير الموضوع له بواسطة العلاقة والقرينة وعلاقاته كثيرة متعددة ، وعندنا المشتق ، ومنه قسم مطرد . وبهذه الوسائل يمكن اللغة العربية النهوض بالدلالة على المعاني الجديدة .

« على أن في التعريب فشو الكلمات الدخيلة في اللغة ، وهو يودى باللغة الفصيحة ، ويذهب بجملها ورواقها . وفي ضياع اللغة الفصيحة تعطيل الأداة الصالحة لفهم القرآن والحديث ، وهما عماد الدين وإلهما يرجع المسلمون .

« وفي جواز التعريب ضياع أخص مميزات الجنس العربي ؛ لأن الجامعة الجنسية لا تكون بغير اللسان العام الذي يتفاهم به الجميع على السواء . فلو تساهل كل شعب في استعمال ألفاظ أعجمية لضاعت روابط الجنسية ، وأصبح لكل شعب لسان خاص .

« وأما أن التعريب يوحد لغة العلم ويحفظ للبتخترع اسمه فكلام لا يلتفت إليه ؛ فإن اتحاد لغة العلم إنما يكون إذا اتحدت أبجديات الأمم وهي مختلفة جداً . وحفظ اسم البتخترع لانبأى به إذا كان في عدم الالتفات إليه صيانة اللغة العربية .

« هذا حاصل كلام الفريقين باختصار . وأرى أنه إذا أمكن باتخاذ الوسائل المتقدمة أو باتخاذ وسائل أخرى غيرها أن تنهض اللغة العربية للدلالة على جميع المعاني

فعل متعدّد معنى فعل آخر متعدّد ، فقال الشيخ :
أذكر قول الشاعر :

علقتها تبنا وماء باردا

وقد قال اللاغويون : إن علف هنا مضمّن
معنى أطعم ، وكلاهما متعدّد .

وكان بيته حجة أولى العلم ينهلون من موره
العذب ، ويجدون ما طاب من حديث في
دقائق العلم بمزجها بفكاهة حلوة وطيب سمر ،
وكان الشيخ طيب النفس بعيدا عن التزمّت
مؤنسا للجليل لا يمل بمجلسه . وفي يوم الجمعة
الذى توفى بعده اجتمع الشيوخ عنده عقب الصلاة
لجري البحث في تفسير قوله تعالى : « إنا عرضنا
الأمانة على السموات والأرض ، . وأفاض
الشيخ في الحديث فيها ، وكان الشيخ يفسح
السلام لمن يتكلم ويعقب برأيه السديد .

وكان رحمه الله عطوفا على ذوى الحاجات
يسعى في قضاء حاجهم بما له من جاه عند
أولى الأمر لا يدخر وسعا في ذلك ، ولقد
رعى أسرا عضها الدهر بناه ، وأناخ عليهم
بكلّكله ، حتى استقام أمرها ، وبان رشدها .
وإن الأزهر والمجمع ليكيان فيه التقى
والصلاح والعلم الجم والفضل الغزير ، فرحه
الله رحمة واسعة ، ورزقنا العزاء والأجر على
التأسي بفقدته ، وأسكنه في جنات النعيم ؟

محمد علي النجار

لتعدد رسم المصحف ، وكان مظنة لأن يعزى
إليه الاختلاف لحفظ القرآن وصونه يقضى
بإبقاء رسمه على السكتبة الأولى .

وقدم أحد الأعضاء المراسلين بحثا في كلمة
« الضرر » ، رأى قصره على الزمانة وفقد البصر
وأنه مصدر لفعل لازم على زنة فرح ، وإن لم
يجي . هذا الفعل في المعاجم ، وأنه لا يقال :
أصاب فلانا الضرر في ماله أو في حيمه بما ليس
بداء لازم وخطأ الجوهرى في جعله الضرر
اسما بمعنى الضر ، وارتاب في الحديث :
لا ضرر ولا ضرار ، وأثار مسألة الاحتجاج
بالحديث في اللغة فقدم الشيخ بحثا رد به
حجج هذا الباحث وأورد من الشواهد
مالا يقبل الجدل ؛ كقول جرير :

فإن تدعهم فمن يرجون بعدكم

أو تنج منها فقد أنجيت من ضرر
وقول أبي تمام :

لو كان في البين إذ بانوا لهم دعة

لكان فقدهم من أعظم الضرر
وله بحث قيم في التضمنين ونيابة بعض
الحروف عن بعض ، وبحث في الاشتقاق الكبير .

وكان الشيخ - رحمه الله - عجيب الاستحضار
لما يقرأ ويسمع ، كثير المحفوظ من الشعر ،
حسن الاستشهاد به في المقامات المناسبة ،
جرى مرة في لجنة الأصول الحديث في
التضمنين ، وأنكر بعض الحاضرين أن يضمن

المسلمون في الهند

للأستاذ أبو الحسن علي الندوي

لهم في هذا القطر العظيم ، ليست لهم حضارة خاصة ولا ثقافة واسعة ولا آداب سامية ، ولا مؤسسات علمية ولا نشاط ولا إنتاج في العلم والآداب ، إنما هم كالرعاع أو أمة قد أفلست في كل مقومات الحياة وفي كل ما تعز به أمة من علم وأدب ، ودين واجتماع ، وأخلاق ومروءة .

بل كان بعض الإخوان يسأل هل في الهند مساجد ؟ هل فيها مدارس دينية ؟ هل عندكم علماء ؟ هل يوجد هناك من يحسن أن يقرأ القرآن ؟ هل هنا من يفهم العربية ؟ أسئلة تدل على أن معلومات إخواننا العرب عن المسلمين في الهند بسيطة جدا ، وتدل كذلك على أنه قد أثر تقع كبير حول المسلمين في الهند .

ويدل كذلك على تقصير علماء الهند في القيام بمهمة التعريف بهذا القطر العظيم وبهذه الأمة الإسلامية العظيمة التي مثلت دورا رائعا في تاريخ الإسلام وتاريخ العلم العام ، وأضافت ثروة ذات قيمة عظيمة إلى مكتبة الإسلام

كنت في رحلتي في الشرق الأوسط أواجه سؤالا يتكرر ويوجه في كل مجلس وفي كل مناسبة ما عدد المسلمين في الهند ؟ فأجيب إنهم أربعون مليونا ، وهناك يندشش الناس ويندفع بعضهم قائلا يا سلام . . . أربعون مليونا ، فلو لا ثقتهم بالضيف ولولا الجدل في الجواب والصرامة لاسرعوا إلى التكذيب أو الشك على الأقل ؛ لأنهم كانوا ينتظرون أن يكون المسلمون في الهند ، بعد ما سمعوا من موجات الهجرة الكبيرة وعدد النازحين الضخم ، أنهم سيكونون مليونا واحدا فضلا عن أربعين مليونا ، إذن فلا غرابة في استغرابهم . لقد كانت هذه مفاجأة لا تفارقني أينما حللت ونزلت ، مفاجئة للطرفين ، مفاجئة للمسلمين عن عدد المسلمين في الهند ومفاجئة للغير لا استغرابهم .

وهناك مفاجئات أخرى فيما يتصل بالمسلمين في الهند ، فالذين كانوا يعرفون أن في الهند عددا كبيرا من المسلمين - على قلة هؤلاء - كانوا يعتقدون أن المسلمين لا شأن

آزاد البلكرامى، والشيخ عبدالعزيز الدهلوى والشيخ رفيع الدين الدهلوى والشيخ إسماعيل ابن عبد الغنى الدهلوى، والملا نظام الدين اللكهنوى، ومولانا عبد العلى بجر العلوم والشيخ محمد قاسم النانوتوى .

وأنجبت كذلك علماء لا يضارعون فى كثرة المؤلفات والإنتاج، كالأمير السيد صديق حسن خان والشيخ عبد الحى اللكهنوى، والشيخ أشرف على التهانوى . وقد أنتجت من الملوك رجالا يتفردون فى حسن سياستهم وتنظيمهم للدولة وسن القوانين العادلة لكثير شاه السورى وأورنك زيب عالمكير، وفى الإصلاح والعدل كناصر الدين محمود غياث الدين بلبن، وفى حماية العلم والعلماء كاسكندرين بهلول اللودهى والسلطان إبراهيم الشرقى. وفى كثرة الفضائل العلية والخلقية كالسلطان مظفر الحليم الكجراتى والسلطان محمود الكجراتى. ومن الوزراء الجامعين لأشتات الفضائل كعبد العزيز آصف خان، ومحمود كاواك، وعبد الرحيم خان خانان .

ولا تزال الهند مأهولة بشعب مسلم قوى فى دينه، غنى فى علمه ورجاله، مخصب فى عقله، متوقد الذهن نشيط، مصمم على الإقامة فى وطنه الذى خدمه ألف سنة وأغناه فى العلم والحضارة والدين والاجتماع، وكانوا من صانعيه .

العامة، وأتحفتها بطرف غالية تتجمل بها المكتبة العربية وتزدهى على سعتها وغناها، وتفردت ببعض العلوم الإسلامية، التى كانت ولا تزال فيها الهندزعيمة العالم الإسلامى وحاملة لوائها عدة قرون كعلم الحديث والفقه وأصوله فى القديم، والسيرة النبوية وعلم الكلام وشرح النظام الإسلامى فى هذا العصر .

وأنجبت رجالا شهد لهم علماء العرب بالفضل وعكفوا على كتبهم ومؤلفاتهم ينقلون ويقتبسون، ويستدلون ويحتجون، كالإمام الصغانى اللاهورى صاحب العباب الزاخر، والسيد مرتضى البلكرامى الزبيدى دفين مصر صاحب تاج العروس، والشيخ أحمد السرهندى صاحب الرسائل الخالدة فى الحسك الشرعية والإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بالشيخ ولى الله الدهلوى صاحب حجة الله البالغة .

وهنا لك كتب أفاد منها العلماء فى الأقطار العربية واعترفوا بفضلها، ككتاب تبصير الرحمن وتيسير المنان للشيخ على المهانمى وكفر العمال للشيخ على المتقى، وكشاف اصطلاحات الفنون للشيخ محمد على التهانوى، أما الفتاوى الهندية فلا تزال معروفة فى دوائر القضاء الشرعى وأوساط المشتغلين بالفقه الحنفى والإفتاء . وقد أنجبت كذلك علماء يندر نظيرهم فى الذكاء وسيلان الذهن والابتكار العلمى، كالشيخ محمود الجونبورى والسيد غلام على

لم تمكنهم شئونهم الخاصة من دراسة تاريخ الهند وحاضر المسلمين وغابهم ولكنى - والحق يقال - وجدت فيهم عدداً لا يستهان به من المتابعين لأحوال الهند والمطالعين على آثارها الإسلامية ، الذين لا يزالون يشيدون بفضلها في بعض العلوم الإسلامية وحراستها لأمانة الحديث الشريف بعد ما ركبت ريحه في البلاد العربية .

وقد رأيت حرصاً كبيراً في كل بلد عربي على معرفة الهند وتطلعاً إلى أحوال المسلمين فيها وعناية خاصة بشئونهم ، وانجذاباً إليهم بحكم الدين والثقافة الإسلامية ، بسبب ما عرف به المسلمون في الهند قديماً وحديثاً ، من الغيرة على الإسلام والتعصب للعلوم الإسلامية العربية ، والحرص على الوحدة الإسلامية . كل ذلك يدفعني إلى أن أتحدث إلى إخواني في الشرق الأوسط عن الهند الحبيبة إليهم ، وعن إخوانهم المسلمين فيها قديماً وحديثاً ، ويتناول هذا الحديث نواحي شتى في الحياة العلمية والاجتماعية والدينية .

ما أضافوه إلى ثروة اليهود وما أضافوا

عليها من إسهامات :

سأتحدث عما حمله المسلمون إلى هذه البلاد الحبيبة مع دخولهم فيها كدعاة مرشدين ، أو غزاة مجاهدين ، أو ملوك فاتحين ، أو علماء

إن من الجفاء أن تبقى هذه البلاد الغنية برجالها وأعمالها ، وماضيها وحاضرها مجهولة عند أصدقائها في الخارج مطمورة في صفحات التاريخ ، ولكن التبعة في ذلك على أبنائها قبل أن تكون على أصدقائها ؛ لأنهم فرطوا في تقديم هذه البلاد وما تمتاز به من فضل وعلم وحياة ونشاط إلى الناطقين بلغة الضاد ، وانطؤوا على نفوسهم ، وعاشوا في عزلة عن العالم .

ولكنى إذا ذكرت أبناء الهند بالتقصير في جنب بلادهم الأم ، فإنى أعتذر إلى روح مؤرخ الهند الكبير الذى خلف لأبناء البلاد العربية مكتبة كاملة في تاريخ الهند ووصفها وقام وحده بما تقوم به المجامع العلمية في أوروبا برجالها وعدتها ، ألا وهو العلامة السيد عبد الحمى الحسنى ، مدير ندوة العلماء الأسبق ، الذى ألف في تراجم أعيان الهند كتابه : « نزهة الخواطر » ، في ثمانية مجلدات كبار تشتمل على نحو خمسة آلاف ترجمة ، وفي تاريخ الهند العلمى والتعليمى كتابه : « عوارف المعارف » ، وفي خطط الهند وآثارها كتابه : « جنة المشرق » ، فإنه قد قضى ما عليه وزاد ، جزاه الله عن المسلمين في الهند خير ما يجزى العاملين المخلصين .

أرأى قد قسوت بعض الشيء مع إخوانى الكرام في الأفطار العربية العزيزة ، الذين

للسلم عن طريق الخلافة والوصاية العالمية التي كلف بها المسلمون ، وكانوا يتخدمونه بكل ما أوتوا من ذكاء ونبوغ وقوى ومواهب ، وكانوا يعتقدون أن كل ما يضيفونه إلى ثروتها إنما يضيفونه إلى ثروتهم ، ويحسنون

إلى أنفسهم وأجيالهم القادمة ؛ لأنهم أهل البلاد وأمة المستقبل ، وكان نظرهم إلى البلاد يختلف بطبيعة الحال عن نظر الأوروبيين المستعمرين الذين يجلبون خيراتها إلى بلادهم الخاصة ، ويجلبون البلاد كبقرة مستعارة لا تقيم عندهم وسوف لا يجدون إليها سيلا ، ذلك سر عناية المسلمين بهذه البلاد وحرصهم على تقدمها ورفاهها .

دخل المسلمون في الهند وهي تعز بحضارة أصيلة عريقة في القدم وفلسفة عميقة وعلوم رياضية دقيقة ، وخيرات عظيمة من حبوب وثمار وفواكه ومواد خامة ، ولكنها كانت على كل ذلك تعيش في عزلة قد فصلتها عن العالم المعمور الجبال في جانب ، والبحار في جانب آخر ، وكان آخر من دخلها من العالم المتقدم هو الإسكندر الكبير ، وهكذا انطوت هذه الأمة العظيمة على نفسها وعاشت قرونا طويلة في عالم محدود محصور ، لا تستورد شيئاً من الأفكار ، والديانات ، والنظم ، والصنائع ، والعلوم من الخارج ، ولا تصدر إليه شيئاً . دخل المسلمون في الهند وهم أرقى أمة

محققين ، من خيرات وحسنات ، وتحف وطرف ، وعن بعض ما أضافوه إلى ثروتها الدينية والعلمية ، والخلقية والاجتماعية ، والصناعية والمدنية في عهدهم الطويل الجميل الزاهر

دخل المسلمون في هذه البلاد بدافع ديني مجرد من كل مصلحة ومنفعة ليحملوا إلى أهلها رسالة الإسلام الرحيمة العادلة وليخرجوا الناس من ضيق الدنيا إلى سعتها ، وليضعوا عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ، كما فعل أولئك الدعاة المخلصون الذين ارتقى في أحضانهم مئات ألوف من الأشقياء المعذنين ، وأحبوهم أكثر من آبائهم وأولادهم ، كالسيد علي الهجویری ، والشيخ معين الدين الأحمیری ، والسيد علي بن شهاب الهمدانی الكشمیری ، ودخلوها حيناً آخر كغزاة فاتحين ، وملوك طامحين ، كالسلطان محمود الغزنوی ، وشهاب الدين محمد الغزنوی ، وظهير الدين بابر التيموری ، وقد كانوا مؤسسى دولة عظيمة ازدهرت مدة طويلة ، وخدمت البلاد ، وتقدمت بها في نواحي الحياة المختلفة .

وكان كل من هؤلاء وأولئك مصمماً على الإقامة في البلاد أو على الاتصال بها اتصالاً مباشراً مستمراً ، معتقداً أن الأرض لله يورثها من يشاء ، وأن كل ما كان لله فهو

ولكن لا شك أنها أفادت الهند كثيراً ، ولطفت من شدة النظام الطبقي السائد وكانت باعثاً قوياً على رد الفعل ضد هذا النظام ، وحافزاً للدعاة إلى الإصلاح الاجتماعي ونسخ اللبس المنبوذ .

وكانت الثالثة احترام المرأة والاعتراف بحقوقها وكرامتها كعضو محترم من أعضاء الأسرة الإنسانية وشقيقة الرجل . وعظمة هذه الهدية في بلاد كانت السيدات يحرقن أنفسهن بالنار على وفاة أزواجهن ولا يرى ولا يرى المجتمع لمن حقا في الحياة بعد الأزواج أقول : إن عظمة هذه الهدية في مثل هذه البلاد واضحة لا تحتاج إلى تحقيق .

نقل المسلمون إلى الهند علوماً جديدة كذلك من أجلها وأنفعها - إذا تركنا العلوم الإسلامية التي لا تتوقع من الهند - علم التاريخ فقد كانت البلاد فقيرة في التاريخ ، ليس في مكتبتها كتاب تاريخ بالمعنى الصحيح ، إنما هنالك صحف دينية أو ملاحم مقصورة على حرب أو عهد كهنا يهاتر ورامائن ، أما المسلمون فقد كونوا في التاريخ مكتبة هائلة من أوسع المكتبات التاريخية في العالم . ونظرة في كتاب معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف ، للعلامة السيد عبد الحى الحسنى تظهر ما كان للمسلمين من نشاط غريب وإنتاج ضخم في تاريخ الهند وفي التاريخ العام .

في الشرق بل في العالم المتمدن المعمور في ذلك العهد يحملون ديناً جديداً سائغاً معقولاً سهلاً سمحاً ، وعلوماً اختمرت وتوسعت ، وحضارة تهذبت ورقت حواشياً ، يحملون معهم محصول حقول كبيرة كثيرة ، ونتاج حضارات متنوعة متعددة ، يجمعون بين سلامة ذوق العرب ولطافة حس الفرس وبساطة الترك ، وكانوا يحملون للهند وأهلها غرائب كثيرة وطرافاً غالية ، وكان أغرب ما كانوا يحملونه في الدين توحيد الإسلام النقي الذي لا يرى الوساطة بين العبد وربّه في العبادة والدعاء ، ولا يعترف بتعدد الآلهة والمظاهر والظلال وحلول الله جل وعلا في بعض البشر وظهوره ويؤمن بالإله الواحد ، الفرد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، له الخلق والأمر ، وله الكبرياء في السموات والأرض .

أما في الاجتماع فكان أعجب ما حملته المسلمون معهم هي المساواة الإنسانية التي لم يكن للهند عهد بها ، فلا نظام طبقات ، ولا منبوذ ولا نجس بالولادة ، ولا جاهل يحرم عليه التعلم ، ولا تقسيم أبدى للحرف والصناعات ، فالتناس يعيشون معاً ويأكلون معاً ، ويتعلون سواء ، يختارون ما يشاءون من الحرف والصناعات ، وقد كان ذلك صاعقة للذهن الهندي ، والمجتمع الهندي ،

الصناعات الوطنية تروى بها لبضائعهم الأجنبية .

وكانت البلاد على رغم خصبها وغناها قليلة الفواكه والثمار وأكثرها برية لم تلق العناية اللازمة حتى جاء المغول وهم أصحاب ذوق رفيع وأبناء بلاد كثيرة الفواكه والثمار فأدخلوا فيها فواكه كثيرة وثمارا جديدة يعرفها المستقصى من كتاب « توزك بابري » و« تذك جها نكيري » وقاموا بعملية التلقيح والتهديب لبعض الثمار الهندية حتى جاءت أشهى وألذ وألطف كما كان الشأن مع « المانجو » فلم يكن يوجد منه إلا ما ينبت بالبذر فلقحوه حتى جاء ما يسمونه في الهند « قلى » وكان منه أنواع في العهد الأخير لعلماء تزيد على أنواع التمر في بلاد العرب .

وكذلك الفن الإسلامى فن ممتاز في الهند تتجمل به الهند وتتطاول على البلاد الأخرى ولا يزال (تاج محل) آية في الهندسة والبناء ودليلا ناطقا على ما بلغوه من رقة الذوق ولطافة الحس والإبداع في الفن .

أما بعد : فقد كان ما اكتسبته الهند من المسلمين أعظم وأعلى مما استفادته المسلمون منها وكان دخولهم في هذه البلاد فتحا جديدا في تاريخها وحياتها ومكسبا عظيما .

كان المسلمون في الهند أوفياء لوطنهم لا يتشاغلون عن خدمته والتقدم به في ميادين

وقد اكتسبت الهند من المسلمين بصفة عامة توسعا في الخيال وجدة في التفسير ومعانى جديدة في الأدب والشعر لم تسكن تخطر على بال لولا عملية التوليد العقلى والتلقيح للفكرى والأدبى وكان مما منح المسلمون الهند هذه اللغة الجميلة الواسعة التى أصبحت لغة التفاهم ولغة العلم فى الهند التى عرفت بكثرة اللغات واللهجات أعنى لغة أردو .

وكان تأثير المسلمين فى المدنية والصناعة وأساليب الحياة أبرز وأقوى منه فى نواح أخرى ، فقد أدخلوا فى هذه البلاد حياة جديدة تختلف عن الحياة القديمة فى هذا القطر كما تختلف الحياة فى أوروبا اليوم عن الحياة فى القرون الوسطى .

كان الهنود يعيشون حياة بسيطة كأمة منقطعة عن العالم ليس عندهم توسع فى المطاعم والملابس . وأكثر لباسهم من الكرياس والقطن الثخين العادى والصوف الخام ولكن سرعان ما تقدمت البلاد فى الأطعمة والملابس وتنوعت تنوعا كبيرا . وقد حدث التاريخ أن الحاكمة كانوا ينسجون القطن والصوف على ثلاثين طرازا فى عهد الملك المغولى أكبر وهو عهد متقدم ، أما فى العصور الأخيرة فقد وصلت صناعة النسيج إلى حد يستدعى العجب حتى جاء الإنجليز وقضوا على

واعترفوا لصاحبه بالفضل والإمامة في هذا الشأ، قال السيوطى : إنه كان إماما في اللغة والفقه والحديث . وكذلك كتابه « مشارق الأنوار » ، في الحديث من الكتب المشهورة المقبولة في العالم الإسلامى وقد ظل مدة طويلة من كتب التدريس .

ومنها كتاب : « كنز العمال » ، للشيخ على ابن حسام الدين المتقى البرهانى نوري من رجال القرن العاشر ، وهو ترتيب جمع الجوامع للسيوطى ، وهو من الكتب التى انتفع به علماء الحديث كثيراً واعترفوا لصاحبه بمجهود عظيم وفر عليهم وقتاً كبيراً وأغناهم عن مراجعات كثيرة . قال الشيخ أبو الحسن البكرى الشافعى من أئمة العلم في الحجاز في القرن العاشر : إن للسيوطى منة على العالمين وللمتقى منة عليه .

ومنها كتاب يجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار للشيخ محمد بن طاهر الفتى (٩٦٦ م) قال العلامة السيد عبد الحى في نزهة الخواطر : جمع منه المؤلف كل غريب الحديث وما ألفت فيه فجاء كالشرح للصحاح الستة وهو كتاب متفق على قبوله بين أهل العلم منذ ظهر في الوجود وله منة عظيمة بذلك العلم على أهل الإسلام وكذلك كتابة تذكرة الموضوعات من الكتب السائرة المتداولة في الموضوع .

العلم والصناعة والمدنية ، أوفياء لدينهم وثقاتهم الإسلامية العربية لا يتخلفون عن ركبها ولا يتقطعون عنها وقد نراهم في بعض قرات التاريخ في مقدمة القافلة ومأخذ الزمام . إن الجمع بين ثنائى تناقضان كثير أو تلتقيان قليلاً ، وإن الوفاء لوطنين - مادى وروحى - مهمة عسيرة معقدة لا نعرف شعباً من شعوب الإسلام نجح فيها نجاح مسلمى الهند .

إن مؤلفات المسلمين في الهند في العلوم الإسلامية لا تحصى كثرة ، وذلك موضوع كتاب كبير ككتاب الفهرست لابن النديم أو كشف الظنون للجلبي ، وكتاب « معارف العوارف » في أنواع العلوم والمعارف ، للعلامة السيد عبد الحى الحسى . يعرف العالم مركز الهند في الثقافة الإسلامية ، وقسط علمائها ومؤلفيها في حركة التأليف والنشر ، إنما أقصر هنا في هذا الحديث الوجيز على الكتب التى تخطت شهرتها - حدود الهند وسارت بذكرها الركبان ، واحتفى بها علماء العرب وأذكر مؤلفيها .

من هذه الكتب العالمية كتاب « العباب الزاخر » ، للإمام حسن بن محمد الصغانى اللاهورى من رجال القرن السابع الهجرى الذى عد من مراجع اللغة العربية وغرس كتبها ، وقد اعتنى به أئمة اللغة قديماً وحديثاً واعترفوا له بالدقة والإتقان وغزارة المادة

الذى هو أشهر من أن يعرف وهو مكتبة لغوية علمية عظيمة فى عشر مجلدات كبار وقد اشتهر أمر هذا الكتاب فى حياة صاحبه فاستكتب منه الخليفة العثمانى نسخة وسُلطان دار فور نسخة ومملك الغرب نسخة وطلب منه أمير اللواء محمد بك أبو الذهب نسخة ، وجعلها فى مكتبة مسجده الذى أنشأه بالقرب من الأزهر وبذل فى تحصيله ألف ريال ، ومن الكتب التى اعتنى بها العلماء فى الأقطار الإسلامية وعدوها من خيرة ما كتب فى الموضوع كتاب « إظهار الحق » للشيخ رحمة الله الكيرانوى (١٣٠٩ م) وفقه اللسان للقاضى كرامت حسين الكهنوى (١٣٣٥ م) ومعجم المصنفين للشيخ محمود حسن التونكى من رجال هذا العصر .

ومما يجب ذكره أن الهند الإسلامية أنجبت رجالا مبتكرين وعماليق فى الفسكرك الإسلامى والعلوم العقلية فى عصور عقلت فيها الأقطار الإسلامية الأخرى وغشيتها سحابة من الجمود والإعياء الفكرى ، فقد أنجبت فى القرن الحادى عشر الإمام أحمد بن عبد الأحرك السرهندى ، وفى القرن الثانى عشر الإمام ولى الله الدهلوى ، وفى القرن الثالث عشر العلامة رفيع الدين بن ولى الله الدهلوى صاحب كتاب تكميل الصناعة وكتاب أسرار الحجة الذى بين فيه سرىان الحب فى الأشياء كلها ،

ومنها كتاب « كشاف اصطلاحات الفنون » للشيخ محمد أعلى التهانوى من رجال القرن الثانى عشر وهو كتاب عظيم تلقاه المشتغلون بالعلم فى بلاد العرب بالقبول وأثنوا عليه لأنه كمعجم للصلطلاحات العلمية يغنى عن مراجعة آلاف من الصفحات ومئات من الكتب وهذا موضوع لم يكن فيه كتاب كبير على شدة الحاجة إليه .

ومنها بل من أعظمها كتاب حجة الله البالغة للإمام ولى الله الدهلوى (١١٧٩ م) فى أسرار أحكام الشريعة وفلسفة التشريع الإسلامى ، وهو كتاب مبتكر فى موضوعه لا يوجد له نظير فى المكتبة العربية على سعتها ، وقد أجله علماء هذا الموضوع وأعيد طبعه فى مصر مراراً ، ومما تجب الإشارة إليه أن هذا الكتاب يتسم بنصاعة العربية وقوة العبارة وانسجامها وبعدها عن السجع البارد وتقليد الحريرى الذى كان فائساً فى عصره ، وقلما نجا منه مؤلف وكاتب فى القرون الأخيرة . وهو يعد - بحق - المثال الثانى للنشر الطبعى السلسال والتعبير العلمى العامر بعد مقدمة ابن خلدون فى عصور الخطاط العربية وغلبة العجمة والصناعة على الكتاب والمؤلفين فى العالم الإسلامى ، ومنها كتاب تاج العروس شرح القاموس للسيد مرتضى بن محمد البلكرامى المشهور بالزبيدى (١٢٠٥ هـ)

أدبية لا يحفل بمؤرخ الأدب العربي أن يغفله إذا أراد أن يستوعب الحركة الأدبية في الأقطار الإسلامية ويذكر مدراسها المختلفة .

مظاهر نشاطهم العلمى والمبني

ومراكزه الكبيرة :

إن أكبر معهد ديني في الهند الذي يستحق أن يسمى أزهر الهند هو معهد ديوبند الكبير وقد بدأ هذا المعهد كدرة صغيرة لا تسترعى الاهتمام ثم لم تزل تتوسع وتتفخم بفضل جهود أسانذتها والقائمين عليها وإخلاصهم وزهدهم في حطام الدنيا حتى أصبحت جامعة دينية كبيرة بل كبرى المدارس الدينية في قارة آسيا وكان افتتاحها في قرية ديوبند من القرى التابعة لمدينة سهارنبور في مسجد صغير سنة ١٣٨٣ هـ أسسها العالم الجليل المخاض الشيخ محمد قاسم النانوتوى المتوفى ١٣٩٨ هـ وكان الاعتماد فيها على الله ثم على تبرعات فقراء المسلمين وعامتهم ورزقت من أول يومها رجالا عاملين مخلصين وأسانذة خاشعين متقين فسر فيها روح التقوى والاحتراس والتواضع والخدمة ولم يزل نطاق المدرسة يتسع وصيتها يذيع وشهرة أسانذتها في الصلاح والتقوى والتبحر في علم الحديث والفقه تطير في العالم حتى أمتها الطلبة من أنحاء الهند ومن الأقطار الإسلامية

وأوضح للناس أطواره والشيخ إسماعيل بن عبد الغنى الدهلوى صاحب كتاب العبقات . ولم يزل شعار المسلمين في الهند منذ العهد الأول : الاعتناء الكامل باللغة العربية والتعصب لها . وقد حافظوا عليها كلغة التأليف والعلم ، وكان فيها مؤلفون كبار كالسيد صديق حسن خان أمير هوبال والشيخ محمود حسن التونكى والسيد عبد الحى الحسنى والشيخ حميد الدين الفراهى الذين ظلوا أطول عمرهم يؤلفون بالعربية ، وكان فيها شعراء مقلدون كالقاضى عبد المقتدر الكندى الدهلوى (سنة ٧٩١) والشيخ أحمد بن محمد التهانيرى (٧٣٠) والشيخ غلام آزاد البكرامى صاحب السبع السيارة (١٣٠٠) والمفتى صدر الدين الدهلوى (١٣٨٥) والشيخ فيض الحسن السهارنبورى (١٣٠٣) والشيخ ذو الفقار على الديوبندى (١٣٣٣) وأدباء محققون كالأستاذ عبد العزيز الميمنى والشيخ أبو عبد الله محمد السورتى .

ولا يزال المسلمون متمسكين باللغة العربية يدرسون أمهات كتبها في مدارسهم التى يسمونها « المدارس العربية » ويؤلفون ويكتبون فيها ، وقد خرجت دار العلوم التابعة لندوة العلماء طائفة من الكتاب البارعين في اللغة العربية وأوجدت نشاطا أدبيا ملحوظا في الهند ومحصولا ذا قيمة

الصالحين والرجال العاملين في ميادين العلم والدين ولعلمائها ومخرجيها آثار جليلة في شرح كتب الحديث وخدمة هذا الفن الشريف وتمتاز هذه المدرسة وأساتذتها وطلبتها ببساطة في المعيشة والقناعة بالكفاف وحسن السمعة وتقابل مدرسة ديوبند وشقيقتها وما كان على شاكتهما من المدارس الدينية القديمة الجامعات المدنية العصرية التي أسسها المسلمون في عليكره ودهلي وحيدرآباد لتعليم أبناء المسلمين وشبابهم العلوم العصرية واللغات الأجنبية وإعدادهم للوظائف الرسمية والمراكز الحكومية وللإسهام في حياة البلاد وخيراتها وإدارتها . وأشهر هذه الجامعات وأقدمها وأعظمها تأثيرا في عقلية المسلمين وسياساتهم جامعة عليكره أسسها الزعيم المسلم سرسيد أحمد خان وقد أصيب المسلمون على أثر فشل الثورة العظيمة التي قاموا بها سنة ١٨٥٧ بمحمود علي واجتماعي وتسرب اليأس إلى نفوسهم وفقدوا الثقة بأنفسهم ومستقبلهم وأصابهم دهشة الفتح وأسأت الحكومة الانجليزية الظن بهم واستغنت عنهم في وظائفها وإدارتها فأصبح المسلمون - الذين كانوا يملكون زمام البلاد في العهد الماضي القريب - لا نصيب لهم في سياسة البلاد وإدارتها ولا نشاط لهم ورأى السيد أحمد خان ، وكان رجلا شديدا التأثير مرهف الحس - أن علاج ذلك هو تعلم

الأخرى حتى بلغ عددهم في الزمن الأخير إلى خمسمائة وألف وزيادة وبلغت ميزانيتها إلى ثمانمائة ألف وخمسين ألف روبية سنويا ويقدر عدد الذين اشتغلوا في هذه المدرسة بالعلم بأكثر من عشرة آلاف والذين نالوا الشهادة منها بنحو خمسة آلاف والذين ارتووا من مناهلها من خارج الهند كياغستان وأفغانستان وخبوأنوجارا وقازان وروسيا وأذربيجان والمغرب الأقصى وآسيا الصغرى وبنيت والصين وجزائر الهند والحجاز والاقطار العربية نحو خمسمائة وكان للتخرجين من دار العلوم تأثير كبير في حياة المسلمين الدينية في الهند وفضل كبير في نحو البدع وإزالة المحدثات وإصلاح العقيدة والدعوة إلى الدين ومناظره أهل الضلال والرد عليهم وكانت لبعضهم مواقف حمودة في السياسة والدفاع عن الوطن وكلمة حق عند سلطان جائر .

وشعار دار العلوم ديوبند التمسك بالدين والتصلب في المذهب الحنفي والمحافظة على القديم والدفاع عن السنة .

ويلي دار العلوم الديوبندية في كثرة الطلبة والتمتع بالثقة مدرسة مظاهر العلوم في مدينة سهارنور التي تأسست في سنة ١٣٨٣ أيضا وهي تشارك دار العلوم في العقيدة والمبدأ والشعار وقد خرجت عددا كبيرا من العلماء

والتعليم وبحصول ذوق قيمة في الأدب والعلوم .
وتمتاز الجامعة العثمانية في حيدرآباد أنها
أول جامعة درست العلوم العصرية في أوردو
لغة الهند العلمية وعينت بنقل العلوم الحديثة
وترجمة الكتب المهمة في الفلسفة والعلوم
الطبيعية والطب والسياسة والقضاء والتاريخ
إلى لغة الأوردو ووضع المصطلحات العلمية فيها
وبذلك أدت خدمة عظيمة للمسلمين وثقافة
الهند .

وتوسط بين المدارس القديمة التي تتمسك
بالقديم وترى العدول عنه ضربا من التحريف
ونوعا من البدع وبين الجامعات المدنية التي
تقدس الجديد وتستعين بكل قديم تتوسط
بين تلك وهذه دارالعلوم التابعة لندوة العلماء
التي تأسست في لكةهنو سنة ١٣١٢ هـ بيد العالم
الرباني الشيخ محمد علي المونكيري وزملائه
المخلصين الذين خافوا على المسلمين من المخافطين
الجامدين ومن العصريين المتطرفين ومن اعتزال
العلماء عن الحياة وتخلّفهم عن ركب الثقافة
والعلم ، ومن العصبية المذهبية والمشاجرات
الفقهية التي قويت ونشطت في العهد الأخير .

تأسست ندوة العلماء ودارالعلوم التابعة لها
على مبدأ التوسط والاعتدال والجمع بين القديم
الصالح والجديد النافع وبين الدين الخالد الذي
لا يتغير والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم ،
وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف

اللغة الانجليزية التي قاطعها المسلمون والظهور
في مظهر سيد البلاد في الزي واللباس والحضارة
والاجتماع وتولى الوظائف الحكومية حتى
يزول مركب النقص . وقد نجحت جامعة
عليكركه في رسالتها نجاحا كبيرا وأقبل عليها
أبناء الأوسر الشريفة الارستقراطية في عدد
كبير وتخرج منها رجال كثيرون شغلوا
وظائف كبيرة في الحكومة وتمتعوا بثقتها
وقد لعبت الجامعة وأبنائها دورا مؤثرا في
حياة المسلمين وسياسة البلاد ومنها نعت
حركة القومية الإسلامية تقابل حركة القومية
الهندية والوطنية يتزعمها رجال في الطبقة
الارستقراطية من المسلمين .

وقد انفصل عن جامعة عليكركه بعض
أبنائها وخيرة متخرجيها أيام حركة الخلافة
الوطنية وأسسوا جامعة شعبية مستقلة في
سياستها وتعليمها يتزعمها الزعيم الإسلامي
الكبير مولانا محمد علي وقد انتقلت من
عليكركه إلى دهلي واشتهرت باسم الجامعة المليية
الإسلامية يمتاز أساتذتها ورجال إدارتها -
وعلى رأسها الرجل التعليمي العالمي - الدكتور
ذاكر حسين خان مدير الجامعة المليية السابق
ومدير جامعة عليكركه فيما بعد - بنزعتهم
الوطنية وروح التضحية والإيثار ظلوا مدة
طويلة يكافحون التيار ويعيشون في شظف
وعسر ، وكان لهم نشاط ظاهر في ميدان الثقافة

وعلم التوحيد لأهل العصر الجديد والسيرة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام والتاريخ . وقد أنشأ المتخرجون من الندوة جمعية دار المصنفين في « أعظم كبره » وهي من المؤسسات العلمية الكبيرة في الهند نشرت كتباً كثيرة متنوعة في الدين والأدب والتاريخ لا تستغنى عنها مكتبة في الهند وهي تصدر مجلة عليية راقية شهرية باسم « معارف » .

ومن المؤسسات العلمية الكبيرة في الهند التي كان لها فضل كبير في إحياء الكتب العلمية وبعضها من مدافنها في المكتبات العتيقة ونشرها في العالم الإسلامي دائرة المعارف في حيدر آباد التي نشرت عدداً من كتب الحديث وأسماء الرجال والتاريخ عرفها العالم الإسلامي والأوساط العلمية من عهد بعيد وتسامع بها العلماء والمدرسون فكانت خدمة جليلة للعلم والدين وبرهاناً على ما كان ولا يزال للسلبيين من انصال روحى فكرى بالثقافة الإسلامية وحب عميق لها .

إذا كانت المؤسسات العلمية والنشاط الفكرى والإنتاج العلمى دليلاً على حياة أمة ونموها وقابليتها للبقاء فالمسلون في الهند أمة حية لهم ماضٍ معدود وحاضر مشهود ومستقبل موعود ووقه الأمر من قبل ومن بعد ؟ .

أبو الحسن على الحسن النورى

(لكهنؤ (الهند)

في العقيدة والنصوص وقامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية وأن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير والتجدد فيجب أن يتناولها الإصلاح والتجديد في كل عصر ومصر وأن يزداد فيه ويهذف منه بحسب تطورات العصر وحاجات المسلمين وأحوالهم .

عنيت دار العلوم بصفة خاصة بالقرآن الكريم وتدرسه ككتاب كل عصر وجيل والرسالة الخالدة وعنيت باللغة العربية التي هي مفتاح فهمه وأمانة خزائنه ووجهت عنايتها إلى تعليم هذه اللغة الكريمة كلغة حية من لغات البشر يكتب بها ويخطب لا كلغة أثرية دارسة لا تتجاوز الأحجار والأسفار كما كان الشأن في الهند وقللت قسط بعض العلوم القديمة التي لا تنفيد كثيراً وأبدلتها ببعض العلوم العصرية التي لا غنى عنها للعالم العصرى الذى يريد أن يخدم دينه وأمته واجتهدت أن تخرج رجالاً مبشرين بالدين الإسلامى الخالد لأهل العصر الجديد شارحين الشريعة الإسلامية بلغة يفهمها أهل العصر وبأسلوب يستهوى القلوب أمة وسطاً بين طرفي الجمود والجحود وقد نجحت في مهمتها نجاحاً لا يستهان بقيمته فأنجبت رجالاً هم خير مثل للعالم المسلم العصرى لهم آثار جميلة خالدة في الأدب الإسلامى

آراء العلماء في الربا

لعالم باحث

- ٢ -

قال : الطوفي رضى الله عنه ^(١) في شرحه
لحديث أنى سعيد الخدري (لا ضرر ولا
ضرار) ^(٢) : إن هذا الحديث يقتضى رعاية
المصالح لإثباتاً ونفياً ، إذ الضرر هو المفسدة ،
فإذا نقاها الشرع ، لزم إثبات النفع الذى هو
المصلحة ؛ لأنها نقيضان لا واسطة بينهما ،
وأدلة الشرع أقواها : النص والإجماع .
ثم هما : إما أن يوافقا رعاية المصلحة ،
أو يخالفها ، فإن وافقاها فيها ونعمت
ولا تنازع ، إذ قد اتفقت الأدلة الثلاثة على
الحكم ، وهى : النص والإجماع ورعاية
المصلحة المستفادة من قوله عليه السلام :
(لا ضرر ولا ضرار) . وإن خالفها ،
وجب تقديم رعاية المصلحة عليهما بطريق
التخصيص والبيان لها ، لا بطريق الافتيات
عليهما والتعطيل لها . إلخ ...

(١) فى رسالة الطوفى فى أصول الفقه طبعت فى
سنة ١٩٠٦ ونشرت بالجلد التاسع من مجلة النوار
من ص ٧٤٥ - ٧٧٠ .
(٢) روه ابن ماجه والدارقطنى وغيرهما مستندا
ومالك فى اللوامأ مرسل وهو من الأربعين النووية .

سقط منى سهواً فى المقال الذى نشر فى الجزء
الماضى من مجلة الأزهر بعنوان آراء العلماء
فى الربا) مقدار صفحتين فى أمر مهم وهو
(تعارض النص والمصلحة) .

والذى سقط : هو ما قرره الإمام الجليل
نجم الدين الطوفى الخنبلى من (تقدم المصلحة
على النص والإجماع) عند التعارض مستدلاً
على ذلك بأدلة من الكتاب والسنة ،
ويأجج ما عدا الظاهرية ، وقد جعل مدار
تعليل الأحكام الشرعية على هذه المسألة ،
ودعم ذلك بالاستدلال عليها بالنظر العقلى ،
وسقط منى سهواً أيضاً ما رآه فيلسوف الإسلام
السيد جمال الدين الأفغانى من أن للإمام - إذا
رأى المصلحة - أن يجيز الربا المعقول .

ولأن ما تكلم به هذان الإمامان فى أمر
(المصلحة) لم يتكلم أحد من الفقهاء بمثله ،
فنحن نكتب ما سقط من كلتنا الأولى ،
ليكون تماماً على ما كتبناه قبله ، وليزداد
الأمر وضوحاً وتحقيقاً به .

وكانت هي المعتبرة ، وعلى تحصيلها المعول . ولا يقال : إن الشرع أعلم بمصالحهم فلتؤخذ أدلته - لأننا نقول : قد قررنا أن المصلحة من أدلة الشرع ، وهي أقواها وأخصها ، فنلقدها في تحصيل المصالح .

« ثم إن هذا إنما يقال في العبادات التي تخفى مصالحها عن مجارى العقول والعادات ، أما مصلحة سياسة المكلفين في حقوقهم فهي معلومة لهم بحكم العادة والعقل ، فإذا رأينا دلائل الشرع متقاعداً عن إفادتها ، علمنا أننا أحلنا في تحصيلها على رعايتها ، كما أن النصوص لما كانت لا تنفي بالأحكام ، علمنا أننا أحلنا بتامها على القياس ، وهو إلحاق المسكوت عنه ، بالمنصوص عليه بجامع بينهما^(١) .

وما دنا بسبيل الكلام عن (المصلحة) وهي التي يقوم عليها نظام الاجتماع كله ، ولها في التشريع الإسلامى هذا الشأن العظيم ، فإننا نعزز ما قرره الطوفى برأى جليل لمصلحة الشرق الإمام المجتهد السيد جمال الدين الأفغانى^(٢) في الربا ومراعاة المصلحة هذا نصه : « حرم الله الربا بنسكته غاية في الحكمة وهي : أن

(البقية على ص ٩٩١)

هذا الذى قرره الطوفى في رعاية المصلحة - هو كما قال أحد الأئمة الكبار - أدق وأوسع من القول (بالمصالح المرسله) وأدلته أقوى ، وقد صرح هو بذلك فقال :

« واعلم أن هذه الطريقة التي قررناها مستفيدين لها من الحديث المذكور ليست هي القول بالمصالح المرسله على ما ذهب إليه مالك ، بل هي أبلغ من ذلك ، وهي : التعويل على النصوص والإجماع في العبادات والمقدرات^(١) وعلى اعتبار المصالح في المعاملات وباقي الأحكام . »

ثم قال بعد بيان ذلك :

« وإنما اعتبرنا المصلحة في المعاملات ونحوها ، دون العبادات وشبهها ؛ لأن العبادات حق للشارع خاص به ، ولا يمكن معرفة حقه ، كما ركباً ، وزماناً ومكاناً إلا من جهته ، فيأتى به العبد على ما رسم له ، ولأن غلام أحدنا لا يعد مطيعاً خادماً له إلا إذا امتثل ما رسم له سيده ، وفعل ما يعلم أنه يرضيه . فكذلك ههنا ؛ ولهذا لما تعبدت الفلاسفة بعقولهم ورفضوا الشرائع أسخطوا الله عز وجل ، وضلوا وأضلوا . »

وهذا بخلاف حقوق المكلفين ، فإن أحكامها سياسة شرعية وضعت لمصالحهم ،

(١) المراد بالمقدرات ، ما قدره النفس بقدر معين كالحدود والكيفيات .

(١) الكلام الطوفى بقية نفيسه يرجع إليه في رسائله المطبوعة أو في مجلة المنار .

(٢) ص ١٩٥ من كتاب خاطرات جمال الدين تأليف محمد الخزومى باشا للطبوع في المطبعة العلمية ببيروت سنة ١٩٣١ .

الإسلام في كورِيا

للاستاذ عطية صقر

وفي القرن التاسع عشر حدث تنافس على استعمارها بين الصين واليابان ، انتهى بفرض الحماية اليابانية عليها سنة ١٩٠٧ ثم التبعية التامة لها سنة ١٩١٠ ، وبعد الحرب العالمية الثانية احتلها الحلفاء ، فكانت كوريا الشمالية تحت النفوذ السوفيتي ، وأعلنت جمهورية شعبية ديمقراطية في مايو سنة ١٩٤٨ ، بينما وقعت كوريا الجنوبية تحت النفوذ الأمريكي .

وفي الفترة ما بين سنة ١٩٥٠ ، ١٩٥٣ قام نزاع مسلح بين الحكومتين القسائمتين بغية توحيد البلاد ، ولم ينته هذا النزاع إلى نتيجة مرضية إلى الآن ، وظلت البلاد منقسمة إلى الجزئين المذكورين يفصل بينهما خط العرض ٣٨° .

وقد سافرت في سنة ١٩٥٠ فرقة من الجيش التركي للانضمام إلى قوات الأمم المتحدة ، واشتركت في هذه الحرب التي لا ناقة لها فيها ولا جمل ، ولكن رب ضارة نافعة ، فقد شاءت إرادة الله أن تكون هذه الفرقة فاتحة خير ، ومبعث نور لمن يتطلعون

في أقصى الشرق وبين بحر اليابان والبحر الأصفر ، تقع شبه جزيرة تشاء الأقدار أن ينبت فيها فرع جديد في دوحة الأمة الإسلامية ، لم يبلغ بعد من العمر إلا ست سنوات ، خلقته ظروف لم تكن في الحسبان ، أملت الأحداث السياسية الجارية في ذلك الوقت . تلك هي شبه جزيرة كوريا ، التي يبرهن وجود الإسلام فيها على أن هذا الدين في زحفه المقدس يعلو فوق مستوى التشكيلات المنظمة التي تتخذها الأديان الأخرى ، تريد بذلك أن تطفئ نوره أو تعرقل سيره ، أو تحدد من مده .

كانت هذه البلاد مسرحا لنزاع مسلح بين الدول المجاورة أكثر من عشرين قرنا من الزمان ، فكانت مستعمرة صينية في القرن الأول قبل الميلاد ، ثم توحدت أجزاؤها تحت رياسة أسرة وطنية من القرن السابع إلى القرن التاسع ، واحتلها المغول وضمت إلى الصين في القرن الثالث عشر ، ثم حكمتها أسرة دلي ، الوطنية من القرن الرابع عشر إلى العصر الحديث .

الهندي الذي ينبت في أقصى الجنوب من البلاد ، أو إلى رجل أجنبي غريب وفد إلى بلادهم كالأشخاص الذين تردد ذكرهم الأساطير .

ظلت الفرقة التركية تؤدي واجباتها الدينية ، دون أن يتقدم إليها أحد من المواطنين ليعرف شيئاً عن هذا الدين الجديد ، إلى أن كانت سنة ١٩٥٥ ، حيث دخل نور الإسلام أول قلب من الكوريين الأصليين ، ذلك أن طالبين من كوريا أتتا دراستهما العالية في كليات الجامعات اليابانية ، وسمعا في أثناء الدراسة عن دين الإسلام الذي ظهر في الشرق البعيد ، فتاقت نفسيهما لتكميل معارفهما عن هذا الدين ، الذي لم تسعفهما الكتب ولا المسلمون في اليابان بحاجتهما منه ، وهما يريدان معلومات صادقة وأتية من قومه الذين نشئوا في ربوعه الأولى ، ومارسوه في حياتهم العملية زمناً طويلاً ، فسمعا بعد عودتهما من اليابان عن "فرقة السادسة التركية ، المشتركة في جيش الأمم المتحدة في سيول ، ، فتوجها إليها ، وأعلنا إسلامهما على يد إمام هذه الفرقة ، وتحمسا للدعوة إلى الإسلام ، فكونا مع بعض الأصدقاء جمعية لهذا الغرض وألقوا على الأهل عدة محاضرات ، استمدوا معلوماتها من الفرقة التركية ، فانضم إليهم عدد من المعجبين بهذا الدين .

إلى المعرفة والهداية ، والاطمئنان إلى دين جديد يملأ الفراغ الذي تعانیه نفوسهم ، بعد أن بدوا يتحررون من أسر الديانات القديمة المتوارثة ، بفضل النهضة العلمية التي لم تعد تقبل من المعارف والأفكار إلا ما أيده العقل وشهد له المنطق . فكان لتكبيرات المنبثقة بصوت ندى من فوق المنارة البيضاء ، التي تملأ المسجد المؤقت الذي أنشأته الفرقة التركية سنة ١٩٥٢ ، أثرها البالغ في لفت الأنظار إلى هذا الدين الجديد .

الديانة السائدة في هذه البلاد هي البوذية إلى جانب الطاوية والشنتوية ، وقد صبغت البوذية حياة الناس بصيغتها في النواحي المادية والأدبية ، الحسية والمعنوية ، ثم وصلت إليهم أولى بمئات التبشير بالدين المسيحي سنة ١٨٨٤ ، وما زالت تؤدي عملها منذ نحو ٧٧ عاماً ، واستطاعت أن تضم إليها نحو ربع مليون نسمة من مجموع السكان البالغ عددهم ٢٨ مليوناً .

وكان الدين الإسلامي يسمع عنه في هذه البلاد ويعرف باسم "مكدكيو ، أي دين محمد ، لأن كلمة Kyo معناها في اللغة الكورية "دين أو تعليم" ، وعندما يسمع هذا الاسم كانت الأذهان تنتقل إلى تصور الصحراء المجردة ، ذات الشمس المحرقة ، أو إلى أشجار الجوز

في بدء إسلامنا تؤدي واجباتنا الدينية في فناء الكلية الزراعية . وأحيانا في مدرسة شونجر يايجرى المركزية ، وذلك لعدم وجود مسجد ولو بشكل متواضع ، ولحسن الحظ بعد مدة وجيزة من إنشاء جمعيتنا سمح لنا بأداء الصلاة في مسجد الفرقة التركية ، وأهم مشكلة تواجهنا هي عدم وجود مسجد خاص لنا . وقد أننا مسجداً متواضعاً قأمل في المستقبل القريب أن نبني مكانه مسجداً فخماً ينير لشعبنا طريق الإسلام . ٥١ .

أنشئ المسجد في ديسمبر سنة ١٩٥٧ ويؤم المصلين فيه إمام اسمه الزبير ، ويجتمع المسلمون لأداء الصلاة الجامعة فيه مرتين كل أسبوع ، يوم الجمعة ويوم الأحد ؛ لأن ظروف حياتهم اليومية لا تمكنهم من حضور جميع الصلوات طوال الأسبوع . وهم يتعبدون بالطبع على مذهب الإمام أبي حنيفة وهو مذهب الفرقة التركية ، وإن كانت مسألة المذاهب الفقهية والاعتقادية لم تنضج لهم بعد ولعل من الخير أن يبحثوها حتى تستقر قواعد إسلامهم على أساس متين يتحمل هزات الجدل والبحث والمقارنة .

ولعل عدد المسلمين قد زاد بعد التاريخ الذي أنشئت فيه الجمعية وهو سنة ١٩٥٥ ، ولم يصلنا إلى الآن تقدير رسمي لعددهم ، وعامتهم من الطبقات المتوسطة التي تزاو

تكونت هذه الجمعية في سبتمبر سنة ١٩٥٥ في ضواحي مدينة « سيول » ، عاصمة كوريا الجنوبية ، وكان عدد أعضائها في سنة ١٩٥٧ يبلغ ١٥٠ شخصاً ، ورئيس الجمعية هو السيد كيم يودوه Kim Yoo Do ، ونائب الرئيس هو السيد / كيم جين كيو Kim Jin- Kyu ، ويتحدث أحد أعضاء هذه الجمعية عن ظروف تكوينها فيقول (١) : —

لقد أنشأنا جمعيتنا الإسلامية ، وساعدنا على تكوينها ومزاولة نشاطها إمام الفرقة التركية بعد موافقة حكومته ، وقد أخلص في ذلك كل الإخلاص ، وقنا من جانبنا نحن الأهالي بطلب الموافقة على تكوينها والقيام بهذا النشاط الديني من وزارة التربية ، ومن مكتب الإدارة العامة لحكومتنا ، فنجحنا في ذلك ومنذ ذلك الحين أمكننا أن نجتمع حولنا نحو ١٥٠ مسلماً ، وهم يزدادون كل يوم ، وأنا موقن أن عدداً كبيراً من الأهالي سينضمون إلى الإسلام في المستقبل القريب . ومع هذا نحن لا نتمجل ذلك ، فإننا نعلم يقيناً ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم ، وما قام به من جهود طوال الأعوام الثلاثة عشر الأولى من دعوته . وكل أمر لا بد أن يكون صعباً في بدايته ، وأنا أعتقد أن النجاح أساسه الصبر والتحمل . وكنا

ويقول أحدهم عن المرأة وتعدد الزوجات: إن سبب التعدد أنه بعد سنوات من بدء الغزوات مات كثير من المسلمين ، وتركوا وراءهم نساءهم إلى جانب عدد كبير من نساء الكفار اللاتي أسرن في هذه الحروب ، فكيف يعيش هؤلاء النسوة إلا في ظل مبدأ تعدد الزوجات ، ومع ذلك فقد شرط الإسلام على الرجل العدل في معاملة الزوجات

والقدرة على الإنفاق ، وليس هناك حل لهذه المشكلة غير هذا الحل . وقد ضمن محمد عليه السلام ، للمرأة مكانة ممتازة ، لجعل الجنة الكريمة تحت أقدام الأمهات .

وإذا كانت أفكار المسلمين عن الإسلام بهذا الشكل ، فإن هذه الخلية الناشئة لو مدت إليها يد المساعدة لتكاثرت ونمت ، وأنتجت خيراً كثيراً في هذه المناطق ، التي تعاني فراغاً نفسياً لا يملؤه إلا عقيدة صحيحة ، تتفق مع الفطرة والمنطق ، وتتلاقى مع العلم الذي يوزن به كل فكر في هذه الأيام . ولا توجد هذه العقيدة في الديانات القديمة

التي تسلطت على أوهامهم عشرات القرون ، ولا في المسيحية التي يرون أنها دين الغرب ، الذي يمتقونه أشد المقت بعد قبلة ناجزاكي وهيروشيما . والفرصة الآن سانحة لدين الإسلام لو وجد من يؤمن به إيماناً يدفعه إلى عمل شيء جدي لهذه الشعوب الحائرة ،

الأعمال الكتابية ، واستغلال المناجم . وهم يقرءون القرآن في ترجماته اليابانية والانجليزية ، ويأسفون أشد الأسف لعدم وجود ترجمة كورية له .

وفكرة المسلمين هناك عن الإسلام فكرة طيبة ، وهي مع ذلك تحتاج إلى قدر كبير من التوجيه السليم . وإليك نماذج من أقوالهم عن الإسلام :

يقول عثمان شانغ جيوسان Osman Chang Gyu خريج كلية الهندسة في هان يانج Han Yang إن يكون الإسلام مجهولاً ما بقيت في الأرض حياة ، لقد حاولت أن أجد ديناً يناسب مجتمعنا وبحث عن ذلك كثيراً ، وعندما سمعت عن الإسلام أتيت مسرعاً إلى جمعية مسلمي كوريا ، لأعرفه وأتلم مبادئه ، ولقد وجدت أنه هو الدين الحي Living Religion وجذبني إليه عدة شواهد ، أبرزها أن محمداً رسول الله ليس إلا رجلاً كعامة الناس ، وأن الإسلام يقوم على الحق والمنطق والعلم ويوفى بجميع حاجات بلادنا .

ويقول نيازي يونج جين Kim Niyazi الطالب بالجامعة المركزية : الناس يقولون كثيراً : الإسلام دين الصحراء ، ولكنهم لو عرفوا الإسلام حق المعرفة سيدركون بسرعة أنه دين الحياة ، ودين الإنسانية ، ودين الديمقراطية .

ونحن نضم صوتنا إلى صوت الإمام ،
ونناشد المسلمين في جميع الأقطار أن يؤدوا
واجبهم نحو إخواننا في هذا المكان القصى ،
ليعرفوا أن لهم إخوة سمعوا نداءهم ، ولبوا
دعوتهم ، ولتكن المراسلات بهذا العنوان :

The Korean Islamic Society
No 320 Rimun - Dong Dong Daemun
Suburbs of Seoul.

وأعتقد أن مجلة الأزهر ستكون سفير
صدق بيننا وبين هذه الجمعية ، بما تحمل
من معارف طيبة وبخاصة ملحقها المحرر
بالانجليزية ، والله هو الهادى إلى سواء السبيل .

عطية صفر

المتركة نها للبشرين ، يتصيدونهم بما
أعدوه من شباك أحكمتها يد الاستعمار
والاستغلال .

ولقد أذاع إمام المسجد سنة ١٩٥٧ نداء
يقول فيه (١) : على أكتافنا نحن - الكوريين -
يقوم واجب الدعوة إلى الدين ، وأعتقد
أنا لو شرحنا للشعب الكورى القواعد
الأساسية للدين الإسلامى ، فإن كل كوريا
الجنوبية ستعتنقه . وأملنا كبير فى مزيد
المساعدة إلينا بالكتب الانجليزية والنشرات
التي تعالج موضوعات الإسلام .

(1) Green Flag Rev. Feb. 1957 .

بقية المنشور على صفحة (٩٨٦)

به موقظ الشرق وأستاذة جمال الدين الأفغانى
إلى منقذ الشرق وإمامه جمال عبد الناصر ،
ليؤيده فى القيام بأعباء توريته المباركة ، التي
ألقنها الأقدار على عاتقه ، ليمضى قدما
- ما استطاع - فى طريق إصلاح بلاده ،
وإعلاء شأنها ، وأن يقتضى فى سبيل ذلك
ما يشاء أن يتمتض من المال - بغير مبالاة
ولا خشية - مادام يريد الإصلاح والله الموفق ؟

لا يؤكل أضعافا مضاعفة وهو ما وقع عليه
التحريم ، لكي يكون للإمام مخرج - إذا
اقتضت المصلحة بالتساع للحكم بجواز الربا
المعقول ، الذى لا يشغل كاهل المدينين ،
ولا يتجاوز فى برهة من الزمن رأس المال ،
ويصير أضعافا مضاعفة .

وكان هذا رأى الأخير الذى انبعث
من وراء الغيب منذ سبعين سنة ، قد توجه

دين السلام

للأستاذ أحمد الشرباصي

ونخبه ، وفي عباداته ومعاملاته ، وفي أقواله وأعماله ، وأول ما يطا لعنا من ذلك أن لفظ « الإسلام » ، نفسه مشتق من السلام ، ولذلك يورد الراغب الأصفهاني في « مفردات القرآن » هذه العبارة : « والإسلام الدخول في السلم ، ومص - در أسلمت الشيء إلى فلان إذا أخرجته إليه ، ومنه السلم في البيع ، والإسلام في الشرع على ضربين : أحدهما دون الإيمان وهو الاعتراف باللسان ، وبه يحقن الدم ، حصل معه الاعتقاد أولم يحصل وإياه قصد بقوله : « قالت الأعراب آمنا ، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا » . والثاني فوق الإيمان ، وهو أن يكون مع الاعتراف اعتقاد بالقلب ووفاء بالفعل ، واستسلام لله في جميع ما قضى وقدر ، كما ذكر عن إبراهيم عليه السلام في قوله : « إذ قال له ربه : أسلم ، قال : أسلمت لرب العالمين » وقوله تعالى : « إن الدين عند الله الإسلام » وقوله : « توفي مسلماً ، أي اجمعلي عن استسلم لرضاك ، ويجوز أن يكون معناه : اجمعلي سالماً عن أسر الشيطان ، حيث قال :

أصبحت كلمة « السلام » شعاراً دولياً يتردد في أكثر من محفل من محافل السياسة العالمية ، وأخذ ساسة الدول المختلفة يرددون كلمة « السلام » ، قائلين إن السلام هو الأمل الأول والأخير لهم كي تسعدم شعوبهم المتطلعة إلى السلام ، الراغبة في حياة الرخاء والأمان . ومع أن الحديث عن « السلام » قد صار قسطاً مشتركاً بين أهل الشرق والغرب ، في المجالات الحكومية والشعبية ، مازال قارأ في أذهان فريق من الناس أن شعار الدعوة إلى « السلام » صبغة خاصة ببعض الدول دون بعضها الآخر ، وكأن هذا الفريق يحسب أن الدعوة إلى السلام شعار ابتكرته في العصر الحاضر هذه الدولة أو تلك ، ولو أراد هؤلاء الإنصاف للحق والتاريخ لقالوا : إن الدعوة إلى السلام في صورته المثالية العلية الإيجابية القوية هي شعار الإسلام منذ أكثر من ألف عام ... !

نعم إن الإسلام أحق العقائد والدعوات بأن يسمى دين السلام ودعوة الأمان وطريق الاطمئنان ، وإن نور السلام ليشع في الإسلام حيثما وليت وأينما اتجهت : يشع في مظهره

وقد شرع الإسلام لأبنائه تحية متبادلة
مشكورة ، مألوفة معروفة ، فكانت هذه
التحية هي : « السلام عليكم ورحمة الله » .
ولم يجعل تحية السلام مقصورة على الحياة
الدنيا ، بل انتقل بها إلى الدار الآخرة ،
فجعل التحية التي يقال لأهل الجنة هي : « سلام
عليكم بما صبرتم فنعيم عقبي الدار » . وتحية
الله لعباده المسكرين يوم القيامة هي السلام :
« تحيتهم يوم يلقونه سلام » .

ويقول القرآن : « دعواهم فيها سبحانهك
اللهم وتحيتهم فيها سلام » . ويقول : « خالدين
فيها يأذن ربهم تحيتهم فيها سلام » . ويقول :
« يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم
تعملون » . ويقول : « وقال لهم خزنتها سلام
عليكم طيبتم فادخلوها خالدين » . ويقول :
« ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود » .

وحينما علم الإسلام أبناءه أن يعطوا نبيهم
حقه من التكریم قال القرآن : « إن الله
وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين
آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ، أي أظهروا
شرفه وعظموأ شأنه وقولوا « السلام عليك
أيها النبي » ، ونحن المسلمين نقول في التشهد من
كل صلاة « السلام عليك أيها النبي ورحمة الله
وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين » .
ونجد أن السلام كان لونا من ألوان التكریم
الإلهي لرسله ، فوجد في سورة الصافات هذه
الآيات : « سلام على نوح في العالمين » ،

« لاغوينهم أجمعين ، إلا عبادك منهم المخلصين » ،
وقوله : « إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم
مسلمون » ، أي منقادون للحق مذعنون له ،
ويحكم بها النديون الذين أسلبوا ، أي انقادوا من
الأنبياء الذين ليسوا من أولى العزم لأولى العزم
الذين يهتدون بأمر الله ويأتون بالشرائع^(١) .
والله الذي أنزل هذا الدين وشرعه لعباده
يسمى بالسلام : « هو الله الذي لا إله إلا هو
الملك القدوس السلام » ، أي الذي لا يناله
شيء من العيوب أو الآفات التي تلحق الخلق
والذين يؤمنون بالإسلام يسمون بالمسلمين :
« هو سماكم المسلمين من قبل » .

والإسلام يدعو - حين يدعو - إلى تثبيت
الآمن وتحقيق السلام فيقول القرآن :
« يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة
ولا تتبعوا خطوات الشيطان لأنه لكم عدو
مبين » . ويجعل العاقبة هي الانتهاء إلى مقر
السلام دار النعيم : « والله يدعو إلى دار
السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم » .
وحينما سمى الله الجنة « دار السلام » ، كأنه
أراد أن يجعلها المثل الأعلى للسلام ، كي تتطلع
عيون العباد إلى هذا المثل فيتخذونه قدوة عليا
ويسعون نحوه بخطواتهم السلمية في حياتهم ؛
ولما سميت الجنة دار السلام - كما قال العلماء - لأن
فيها السلامة الحقيقية الكاملة (إذ فيها بقاء بلا
فناء ، وغنى بلا فقر ، وعز بلاذل وصحة بلا سقم) .

بل علم الإسلام أبناءه أن يتلقوا تحية السلام من يلقها ، ولو كان في داخله على غير وجهتهم أو عقيدتهم ، ويعاملوه على أساس السلام دون إثارة الشك في أمره ما لم ينفضح يقول القرآن : « يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً تذبغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ، إن الله كان بما تعملون خبيراً . » ويحدثنا القرآن أن إبراهيم ودفع أباه الكافر بسلام التوديع والمشاركة ، فقال : « قال سلام عليك سأستغفر لك ربى إنه كان نبي حقيقاً . »

وحدثنا الإسلام حديث الإجلال والإكبار عن أفضل ليلة في الحياة ، وهي الليلة التي نزل فيها القرآن تحفه الرحمة وتزفه الملائكة ، وهي ليلة القدر ، فإذا من الصفات البارزة لتلك الليلة العظمى أنها : « سلام هي حتى مطلع الفجر . » وفي الإسلام عبادات وقواعد منها الصلاة والزكاة والصوم والحج ، وأكثر هذه العبادات وقوعاً وتكراراً في حياة المسلم هي الصلاة لأنها تتكرر بفروضها وسننها المؤكدة نحو اثنتي عشرة مرة في كل يوم ، ويختتمها المسلم في كل مرة بتسليمتين أى أنه يكرر عبارة : « السلام عليكم ورحمة الله » أربعاً وعشرين مرة في كل يوم ، والصلاة رحلة إلى الله ، يرتفع فيها المسلم إلى حماء ، وينقطع

« سلام على إبراهيم ، ، « سلام على موسى وهارون ، ، « سلام على إيلياين ، ؛ وتختتم السورة بهذه الخاتمة العامة في شأن السلام على جميع الرسل : « و سلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين . » وفي سورة مريم نجد القرآن يقول في شأن يحيى بن زكريا : « و سلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً ، وفي نفس السورة يقول القرآن على لسان عيسى بن مريم : « و السلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً . »

والإسلام يعلم المسلم ألا يدخل بيتاً إلا بعد أن يؤذن فيه بالسلام : « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلبوا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون ، . وهذا السلام مطلوب من المسلم حتى ولو دخل بيوته وبيوت أقربائه وأحبائه ، فالقرآن يقول : « ليس على الأعمى حرج ، ولا على الأعرج حرج ، ولا على المريض حرج ، ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه أو صديقكم ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً ، فإذا دخلتم بيوتا فسلبوا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة ، كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون ، . »

عليه ، حتى يضرب الناس به المثل في الأمن والسلامة فيقولون : آمن من حمام مكة (١) ، ومن غزلان مكة ، ويقول أسلافنا القدامى : إن هذا شائع على جميع الألسنة ، لا يرد ذلك أحد ممن يعرف الأمثال والشواهد .

وهذا الحمام بأمنه وسلامه يعلم الناس كيف يكون السلام ، ويوحى إليهم بنسيان البغضاء والخصام ، ويحرضهم على السهولة والوداعة والصفاء ، وهذا الحمام نفسه كأنه يحس قيمة السلام فلا يعتدى ولا يجور ، ولذلك روى المجاحظ أنه يبلغ من تعظيم الحمام لحرمة البيت الحرام أن أهل مكة يشهدون عن آخرهم أنهم لم يروا حماما قط (٢) . سقط على ظهر الكعبة لإلزامه علة عرضت له . وهناك بعض المصادق في قصص السيرة النبوية تحدثنا بأن الحمام كان رمز الأمان والسلام في ساعة الهول والفصل ، فهذا هو رسول الإنسانية محمد مع صاحبه الأول أنى بكر يقضيان هذه الساعة : « إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ، وجاء الحمام أو الياقوت - والياقوت نوع من الحمام كما قالت اللغة ونص عليه السابقون - فباض وأقام على واجهة الغار ، فكانت الحمامة الرقيقة الأليفة من أسباب الوقاية الربانية ومن جنود الله التى لا تعد ولا تحصى .

فيها عن شهواته ودينه ، ثم يعود إلى هذه الحياة ، ويقبل على الدنيا من جديد ، فإذا أول شعار يلقي به الحياة والأحياء هو : السلام عليكم ورحمة الله ، ولا يقول هذا عن يمينه فقط ، بل ويقول عن شماله ليشمل بسلامه من كان هنا ومن كان هناك ، والمسلم في أثناء صلاته يدعو ربه ويناجيه ويخلص خواطره لبارئه وهاديه ، ثم يقبل بعد التطهر الحسى بالنظافة والوضوء والنقاء في جسمه وثوبه ومكانه ، وبعد التطهر النفسى في أثناء الصلاة ، يقبل ليبدأ أهل الدنيا من كل نواحيها بالسلام ، كأن السلام هو ثمرة ذلك التطهير المتكرر في كل يوم مرات ومرات ، أو كأن السلام هو الهدية التى يحملها المصلى إلى الناس من لدن قيوم السموات والأرض ، ورحمن الدنيا والآخرة ، وبارئ الخلق أجمعين .

وكثير من الناس يتعارفون اليوم على اتخاذ الحمام ، شعاراً للسلام ، وقد يظن ظان أن هذا التعارف لون من الابتسكار الجديد أو الابتداع الحديث ، مع أن أمتنا المؤمنة أسبق إلى هذا التعارف وأدنى إليه وأولى به ، وأجدادنا منذ القدم يصفون الحمام بأنه من « الطير الميامين » ، ويتخذونه شعاراً للبودة والتآلف ، وهذا هو حمام الكعبة والبلد الحرام مكة ، إنه ذو قدم راسخة في تاريخ الأمن والسلام ، فحمام الحرم وادع آمن ، لا يسان ولا يهان ولا يعتدى

(١) معجم الأمثال للبيداني ، ج ١ ص ٨٦ مطبعة السنة المحمدية .

(٢) الحيوان للعجاظ ، ج ١ ص ١٩٣ مطبعة الحلبي

في النهاية - أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يمجبه النظر إلى الأترج (النفاح) والحام الأحمر^(١).

كما روى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه كما يذكر الجاحظ في الحيوان - أنه أراد أن يذبح الحام ثم قال: (لولا أنها أمة من الأمم لأمرت بذبجها، ولكن قصوها) ونهى عثمان عن اللعب بالحام.

وكان يرتفع ثمن الحمامة الواحدة في هذه الأمة حتى يبلغ خمسمائة دينار واستعمل أسلافنا الحام من قديم الزمان في حمل رسائل الود والمحبة، لأنهم أدركوا وقرروا أنه أسرع الطيور في التودد والتآلف، إذ تخرج الحمامة من عشها فتلتقي بجماعة من الحام فتسعى عشها وولدها، وتصاحب رفيقتها، وقد تلتقى الهلاك في سبيل إرضاء المودة في نفسها^(٢).

ويقول الجاحظ - المتوفى في وسط القرن الثالث الهجري، أي منذ أكثر من ألف عام - : (ومن مناقب الحام حبه للناس، وأنس الناس به) ويقول أيضا: (والحام طائر ألوف مألوف ومحجب وموصوف بالنظافة) ووصفه بالثبات على العهد، وحفظ ما ينبغي أن يحفظ، وصون ما ينبغي أن يسان^(٣).

[١] النهاية في غريب الحديث ج ٣ ص ٢٦٢ مطبعة بولاق.

[٢] الجواهر ج ٣ ص ٢١٢.

[٣] مواضع متفرقة من الجزء الثالث من كتاب الحيوان.

بل روى بعض المؤرخين أن حمام مكة أظلم رسول الله عليه الصلاة والسلام يوم فتح مكة، فدعا له النبي بالخير والبركة، فإن صحت الرواية كان هذا دليلا على أن الله تعالى أراد أن يكون يوم الفتح المبين يوم أمان وسلام، تظله أجنحة الحام وهو رمز السلام. وفي قصصنا الدينية أن الحمامة كانت رائدا لسيدنا نوح عليه السلام، أرسلها لتكشف له موضعا يصلح مرفأ للسفينة عقب الطوفان وأعطاه الله طوقها الذي في عنقها حلية لها وثوبا على إرشادها^(٤).

وهل نسبنا حمامة الفسطاط الذي اشتهر به عمرو بن العاص، فاتح مصر باسم الله وباسم الإسلام؛ فقد جاءت أثناء الفتح حمامة فاتخذت من أعلى فسطاطه - وهو الخيمة - عشًا لها، فلم يقبل عمرو فيها بعد أن يقوض فسطاطه حتى لا يزجج الحمامة، بل تركه وتتابع العمدة من حوله، حتى تكونت مدينة الفسطاط بسبب هذه الحمامة، فكان الإسلام يبتدىء تاريخه في مصر بحمامة ويفتح حصونها بهذه الحمامة الواعدة، ويرسل قصتها مع الفسطاط وصاحبه ثلا شرودا يرويه الجيل بعد الجيل ليدل على سماحة الإسلام وورق أبناء الإسلام، وانبثاق السلام أينما سار دعاة الإسلام.

وفي حديث مرفوع - كما يروى ابن الأثير

[١] المصدر السابق، ج ٣ ص ١٩٥.

وفي ديارنا نحن ظهر محمد ، وبشر بدعوته التي كانت تحيتها : « السلام عليكم » . فنحن أولى الناس بدعوة السلام ، ونحن بمكان الصدارة والأصالة حين ندعو إلى السلام ونعمل للسلام . نعم نحن بعقائدنا أصلاء ، فمن ذا الذي يزعم أننا دخلاء ؛ ونحن بعون الله في الخير أقوىاء فمن ذا الذي يريدنا على أن نكون ضعفاء ؟ ونحن بديننا وإيماننا شرفاء أعزاء فمن ذا الذي يريدنا على أن نكون أدنياء : « والله العزة والرسولة وللؤمنين » .

إننا نريد السلام لأنفسنا ولإخواننا وجيراننا ، ونريده للناس جميعا ، نريده لأصدقائنا ولغير أصدقائنا ماداموا لم يستجيبوا . ولكننا لا نريد السلام الذليل المهين ، بل نريد السلام الإيجابي ، السلام الذي لا يبغي ولا يظلم ، ومع ذلك يحرس ويصون ، وإذا كنا ننتف ونقول : (نسلم من يسالمنا ونعادي من يعاديننا) فمن الميسور لنا أن نركب هذا المنهاج من هدى قرآنا ، نصادق من يصادقنا ؛ لأن خالقنا يقول : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » . ونعادي من يعاديننا ؛ لأن خالقنا يقول : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » . ١ ...

« وقل : سلام ، ١ ... »

أحمد الشرباصي

وقد كرر الإسلام الأمر بالعدل والدعوة إليه ، وهو بهذا يكرر الأمر بالسلام والدعوة إليه ؛ لأن العدل هو أقوى حوافز السلام ؛ ولأنه لو أنصف الناس استراح القاضي ، فقال القرآن : « إن الله يأمر بالعدل ، وقال : « وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، وقال : « وأمرت لأعدل بينكم ، وقال : « اعدلوا هو أقرب للتقوى ، ومن أجدادنا عشرات وعشرات من الحاكمين العادلين الشرفاء الذين زانوا صفحات التاريخ بإنصافهم وعدلهم ، وما نسينا الحاكم العادل « خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز ، الذي حكم الديار ووحده الأقطار ، وأشاع العدالة ونشر الإخاء والسلام ، حتى توسع مجوه في تصوير عدله وسلام عهده ، فقالوا : إن الذئب كان يلقي الشاة في أيامه فلا يمسها بأذى أو سوء .

أما بعد : فإننا نريد السلام لأنفسنا وللناس ، نريد السلام العام الشامل ، نريده صادرا من أعماق نفوسنا ومن صميم عقائدنا ، نابعا من تاريخنا ومبادئنا ، منبثقا من هدى قرآنا وسنة نبينا ، مشعرا الناس كلهم أنه أصل من أصولنا وقاعدة من قواعدنا ، نحن فيه أئمة أصلاء ، ولنا فيه بالتابعين أو المقالدين ، ففي ديارنا نحن ظهر عيسى وبشر بدعوته التي كانت تحيتها هي : (السلام لكم)

شئ من النقد...

للأستاذ على الماري

قد يكون من الخير لقراء مجلة الأزهر أن تفتح لهم هذا الباب ، فإن رسالة المجلة هي خدمة الدين واللغة ، والدفاع عنهما ، والمناضلة دونهما ، ومن أكثر البحوث عوناً على هذا بحوث النقد ، ليس فقط النقد العلمي وإنما للنقد الأدبي - كذلك - عظيم الأثر في هذا المجال . وقدima استعان العالم الجليل أبو بكر الباقلاقي على إثبات إعجاز القرآن بطرف من النقد الأدبي ؛ فقد نقد قصيدتين لشاعرين من كبار شعراء العربية في قصيدتين من أشهر قصائدهما ، وأحظاهما عند الأدباء .

نقد امرأ القيس أمير الشعراء في العهد القديم ، في معلقته الموضوعة على رأس المعلقات العشر ، وقد بالغ في نقدها ، فتناولها بيتاً بيتاً ، وأظهر ما في كل بيت من ضعف أو قوة ، وإن كان غالب اتجاهه إلى تخريج القصيدة حتى بلغ منه - وهو العالم الوقور - أن عمد إلى السخرية ، فنراه يعلق على قول امرئ القيس :

ونحن سنعمد إلى ثلاث قصائد لثلاثة

توضح فالمقراة لم يعف رسمها
لما نسجتها من جنوب وشمال
يلقب بقوله : « لم يقنع بذكرحد ، حتى حده بأربعة حدود ، كأنه يريد بيع المنزل ، فيخشى إن أخل بحد أن يكون بيعه فاسداً ، أو شرطه باطلاً ^(١) ١١ ، قال هذا بعد أن أوسع البيتين نقداً من الناحية البيانية ^(٢) .

ونقد البحترى نقداً لا ذعاً مرأ في قصيدة كان البحترى يعتز بها ، ويذكر أنها أجود شعره ، وكان يسمى بعض أبياتها « عروق الذهب » ، وهو الشاعر الذي بالغ بعض الناس في تمجيده على حد ما قال الباقلاقي : ومنهم من يدعى له الإعجاز غلوأ ، ويزعم أنه يناغى النجم في قوله علواً ، والملحدة تستظهر بشعره ، وتكثر بقوله ، وترى كلامه من شبهاتهم ، وعباراته مضافاً إلى ما عندهم من ترهاتهم ^(٣) .

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول لخومل

(١) إعجاز القرآن ص ٣٣٧ . ط . دار المعارف .

(٢) المصدر السابق ص ٢٤٤ .

(٣) المصدر السابق ص ٣٧٣ .

في الإطراء ، ونغلو في المديح ، فقد مضى الزمن الذي كان كل شاعر فيه (أشعر الشعراء) وما يؤسف له أنه لا يزال عندنا أصحاب أمزجة حادة يسرفون في المدح إذا أحبوا ، ويسرفون في الذم إذا أبغضوا ، ولا يرجعون في ذلك - حين تراجعهم - إلا إلى أمرجتهم ، وأحكامهم التي لم تبن على أسس من نظر وتمحيص ، فليس من العدل والخدمة الحققة للأدب العربي أن يخرج شوقي - مثلاً - من دائرة الشعراء - كما حاول بعض النقاد المحدثين - كما أنه ليس من الإنصاف للحقيقة وإكبارها أن نجعل شوقياً وأمثلة آله الشعر ، كما يحلو لبعض الزملاء أن يقولوا - فما يزال التوسط محموداً في كل شيء ، وما يزال المدى بعيداً ، دون بلوغ درجة الكمال في بلاغة التعبير ، وسمو المعاني .

وسأبتدى بقصيدة البارودي ، وهي قصيدة قالها في منفاه ، بعد أن رأى طيف صغيرته سميرة ، فسجل هذه الرؤيا ، وتحدث عن ذلك الطيف الذي قطع إليه الفيافي والبحار واخترق حجب الظلام ، يحسده الشوق ، ويزجره الحنين . هذا الطيف الذي لم يتلبث حتى يبيل الوالد الواله الحزين ظمأه ، بل ألم إلها ما عابراً .

ثم تسله هذه الحالة إلى الحديث عن الدنيا وأنها زائلة ، والمصير إلى الله ، ويرى - كما

من كبار شعراء نهضتنا الحديثة ، ونبين ما فيها من محاسن وعيوب ، ولم نقصد إلى هذه القصائد بالذات اختياراً منا ، وإنما اختارها غيرنا على أنها أجود ما لهؤلاء الشعراء ، في حين أنها جميعاً ليست أجود شعرهم ، بل ليست من أجوده ، وقد قُدرت هذه القصائد لتدرس في أعلى فرقة من الأقسام الثانوية بالأزهر على أنها نماذج رائعة من شعر هؤلاء الشعراء ، والعلماء الذين قدموها للدراسة لم يخلوا عليها بفيض من الثناء ، ولم يقصروا في التنبيه على ما فيها من روعة التصوير ، وقوة التعبير ورشاقة المعاني ، وسحر الصور البيانية وأخذها بالآل باب . إلى آخر هذه الأوصاف الفضفاضة .

وقد رأيت أن الواجب العلمي والأدبي ، يقتضيني أن أعرض لهذه القصائد بالنقد لئلا نخدع النفس عنها . وليس في نقدها ما يحبط من مكانة هؤلاء الشعراء ، فإن لهم محاسن كثيرة في قصائد أخرى غيرها .

البارودي وشوقي وحافظ ، من كبار شعراء العربية . نهضوا بالشعر ، وبعثوه من رقده بعد أن تخلف عن الحياة زمناً طويلاً ، ولكنهم - مع ذلك - لم يسلبوا آثارهم من قصور ، ومن قصور خطير في بعض الأحيان ، فعلياً حين ندرس آثارهم ألا نقضل مواضع المحاسن ولا جودة الصناعة ، كما علينا ألا ننسرف

العز ، فإذا أخفق فلا عليه ، فمبلغ نفس عذرهما مثل منجح .

ثم يلتفت إلى نفسه فيراها فاضلة أمينة لم يغرها المال ، ولم تقبل الضيم ، فماذا يستطيع أعداؤه أن يتكذبوا به عليه ، وما قيمة المال حتى يحمله على التنازل عن إباته . . إن المال ليس بذى غناء إلا إذا أعطى منه القريب والصديق ، والبارودى ذو نفس طموح لا يقعد بها النعيم عن المعالي ولا يذلها الفقر ، وهو ثابت الجنان ، فصيح اللسان ، يقول والخطب مدلم ، ويصول والموت يتخطف الأبطال ، وهو نبيل النفس لا يبطره الغنى ، ولا يحزن للفقر . . فالغنى لا يسترخى الخسيس ، والفقر لا يفضح طاهر العرض ، والمال عند صغير النفس عيب جديد يضاف إلى معايه ، فهو كالسيف المغلول ، حليته عيب فيه حين يحتاج صاحبه إلى الضرب به فينبو ، ويخزي صاحبه . وليس يعيب الشاعر أن تنسكرك له الدنيا ، وتلقى به فى هذا المنفى البعيد ، فليس هو أول بطل حطم الزمان سيفه ، ولا أول سيد دارت عليه الدوائر ، فلكل صارم نبوة ، ولكل جواد كبوة .

وينتهى أخيراً إلى الأمل يراود نفسه بأن الحق سيظهر ، وأن السرائر ستبدى ما فيها من حقوق ، وهى غمرة ستنجلي ، ويسلبه هذا

يرى غيره - أن الدنيا تعقب الإحسان بالإساءة ، بل إن إحسانها وسيلة لإساءتها ، فهى تفعل بالناس كما يفعل الجزار بالبهيمة ، يسمنها لينجحها ، فهى تغدق عليه النعم لتفنيه وكأنها موتورة من الناس ، فهى تطلب ثأرها ، وما زالت كالخرباء لها كل حين لون ، وحرى بصاحبها أن يأخذ حذره منها .

والبارودى - كما يقول - صحب الدنيا بالصبر ؛ لأنه لم يجد مندوحة عنه ، فهذا الصبر - عنده - ليس شيئاً لأنه لا يملك غيره ثم يعود فيرى أن فى هذا الصبر عذراً ، فإنه فقد المعين ، وأخفق فى الآمال ، وإذا أظلمت الدنيا فى عينيه ، وكشر الخطب عن أنيابه لجأ إلى الله ، فإن من يلجأ إلى الله فى الشدائد كان مآله إلى الخسران ، وكل من لم يصبر على حلو الحياة ومرها فهو طائش العقل .

وينتقل البارودى - بعد ذلك - إلى الحديث عن الهمة والعزيمة فيقول : إن النفس الصغيرة حاجتها قليلة ، والقلب الكبير همومه كثيرة . وما أيسر الحياة . لو كان كل ما فيها لقمة العيش ، ولكن الماجد لا يرضى الدنية وإذا كان الإنسان يخشى كل شيء - من خوف الردى ، فكل شيء يلقاه يجد فيه ضرراً ، ولا غرو فإن الشر قد يأتى من الخير ، ومن صحة الإنسان ما فيه سقمه ، وعلى صاحب الهمة أن يتقحم الأمور ، ويغامر فى طلب

في المال ، ثم ينتقل إلى التأمي بالأبطال ،
وإلى الأمل في ظهور الحق ، وأخيراً يلتفت
إلى يوم الحساب ، وينبه الشامتين والحاquدين
إليه .

وقد أجاد في ضرب بعض الأمثال كقوله
عند الحديث عن المال ، وأن كثرت لا تستر
خسة صاحبه :

إذا ما ذباب السيف لم يك ماضيا
فليت وصم لدى الحرب ظاهر
وكقوله عند الحديث على أن الإنسان
قد يأتيه الشر بما يظن فيه الخير :

فمن صحة الإنسان ما فيه سقمه
ومن أمنه ما فاجأته المخاطر
وكقوله يؤكد ويقرب إدراكه للعلا وهو
خلو من المال : (فقد يشهد السيف الوغي
وهو خامر) .

وفي القصيدة بعض الصور البيانية البديعة
كقوله : (والنجم بالافق حائر) كناية عن
شدة الظلمة ، وكقوله في التعبير عن شدة
الهلول : (وأحلام الرجال عواذب) ،
(وأفواه المنايا فواغر) . وعن شدة الغاية
التي يمضي إليها الناس وهي يوم القيامة :

تطول بها الأنفاس بهرا وتلتوى
على فلسكة الساقين فيها المآزر
وقد كسا بعض المعاني القديمة ثوبا جديدا
جعلها تأخذ النظر - في بادئ الرأي -

إلى تنبيه الناس إلى الحقيقة الكبرى وهي أن
الجميع يقطعون إلى غاية شديدة الأوهام ،
يرى الناس فيها ألوانا من الكروب وهناك
يعلو الحق ، ويسفل الباطل .
وعما قليل ينتهي الأمر كله

فما أول إلا ويتلوه آخر

وتمتاز القصيدة بما يمتاز به شعر البارودي
من قوة الأسلوب وصفاء الديباجة واختيار
الكلمات - في أكثر الأبيات - وفيها أبيات
بلغت في هذه الناحية مبلغا عظيما ، كقوله :
قوول وأحلام الرجال عواذب
صوول وأفواه المنايا فواغر
وكقوله عن الدنيا :

لها ترة في كل حي ومالها
- على طول ما تجنى على الخلق - واطر
وأغراض القصيدة - وإن تعددت - إلا
أنها متآخية ، فالحديث عن الطيف أسله
إلى الحديث عن الأولاد ، وأسله هذا إلى
الفراق ، ثم إلى وصف الدنيا ، ومن وصفها
انتقل إلى الصبر وإلى الأمل في الله ، ثم
أفضى به حاله إلى أن يتحدث عن السيادة وما
يلاقيه طلابها من متاعب ، وطبعي أن يأتي
هنا الفخر بالنفس ، وبالشجاعة وبالأمانة ،
وقد وصف نفسه بأنها أبت الخيانة ولو
قبلتها لكثرت مالها فيجره الحديث إلى القول

كقوله عن الدنيا :

كثيرة ألوان الوداد مليه

بأن يتوقاها القرنين المعاصر
وبعض هذا الذى قدمنا يتفق مع نظرة
البارودى إلى الشعر ، حيث يقول فى مقدمة
ديوانه عن الشعر الجيد : « وخير الكلام
ما ائتلفت ألفاظه ، وائتلفت معانيه ، وكان
قريب المأخذ ، بعيد المرى ، سليما من وصمة
التكلف ، بريئا من عسرة التعسف ، غنيا
عن مراجعة الفكرة ، فهذه صفة الشعر الجيد ،
ولكن

١ - أكثر معاني القصيدة - إن لم
تكن كل معانيها - مأخوذ مما قال الأقدمون
فليس فى القصيدة ابتكار ، والأخذ لا يعد
عيبا على الإطلاق بل هو عيب عندما يقصر
الأخذ عن أخذ عنه ، وقد بالغ القاضى
الجرجاني فى الدفاع عن سرقات المتن ؛ لأن
ضلعه كانت معه ، ففرق - أولا بين المعانى

العامة والمعانى الخاصة وهو كلام سليم . وقال :
إن الأخذ فى المعانى العامة ، والمعانى الخاصة إذا
تداولت ، لا يدخل فى مفهوم السرقة ، وإنك
(لو سمعت قائلا يقول إن فلانا الشاعر أخذ
من فلان قوله لا مرحبا بالشيب ، وحبذا
الشباب ، وكيف لوعاد ، ويا أسنى لفراق
الأحبة ، وما لذت العيش بعدهم ، وفاضت
عيني صباغة لذكرهم ، لحكت بجمله ، ولم تشك

فى غفلته ^(١) ثم قال : (والسرقة - أيدك الله -
داه قديم ، وعيب عتيق ، وما زال الشاعر
يستعين بخاطر الآخر ، ويستمد من قريحته
ويعتمد على معناه ولفظه ^(٢)) والتمس العذر
لأهل عصره والعصر الذى يليه ، واعتبرهم
أبعد عن المذمة ، لأن من تقدمنا - قال -
قد استغرق المعانى ، وسبق لإيها ، وآتى على
معظمها ^(٣) . ثم قال : ولهذا السبب حظر
على نفسى ، ولا أرى لغيرى بت الحكم على
شاعر بالسرقة . إلا أنى إذا وجدت فى شعره
معانى كثيرة أجدها لغيره حكمت بأن فيها
مأخوذا لا أثبت بعينه ، ومسروقا لا يتميز
لى من غيره وإنما أقول قال فلان كذا ، وقد
سبقه إليه فلان فقال كذا والذى دعاه إلى
ذلك أن الشاعر كما يقول - قد يتعب خاطره
وذهنه فى تحصيل معنى يظنه غريبا مبتدعا ،
ثم يجده إذا تصفح الدواوين بعينه أو يحده
مثالا له .

والحق أن القاضى بالغ فى الدفاع عن
صاحبه فى هذا الموضوع ، فإن من كان كالمتنبى
فى علمه ، وحفظه لا يقال : لأنه يجمل المصادر
التي أخذ منها بعض معانيه ، وهذا ما نقوله
فى البارودى ، ولو أننا استبعدنا مسألة

(١) الوساطة ص ١٥٠ ط . صبيح .

(٢) المصدر السابق ص ١٧٠ .

(٣) ص ١٧١ .

في التفضيل إنما هو الذوق البحث، والسليقة السليمة، بل قد يوجد من الكلام في غير المقارنة عما يبلغ في حسن اللفظ، مبلغا يأخذ بمجامع القلوب، فإن حاولت التعبير عن صفة ذلك الحسن استعصت عليك العبارة، وضاق عنها نطاق الإمكان، حتى قالوا: إن ذلك كالحسن في وجوه الملاح يعرف ولا يوصف، ألا ترى أنه قد يكون فرسان سليمان من كل عيب موجود، فيهما سائر علامات العتق والجودة والنجاة، ويكون أحدهما أفضل من الآخر بفرق لا يعلمه إلا أهل الخبرة والدربة الطويلة، وكذلك الجاريتان البارعتان في الجمال المتقاربتان في الوصف السليمتان من كل عيب، قد يفرق بينهما العالم بأمر الرقيق حتى يجعل بينهما فضلا كبيرا، فإذا قيل له أو للنحاس: أنى لك هذا التفضيل لم يقدر على عبارة توضح الفرق بينهما. وإنما يعرفه كل واحد منهما بسليقته. وكثرة دريته، وطول ملاسته، فكذلك الشعر، يتقارب البيتان الجيدان النادران فيعلم أهل العلم بصناعة الشعر أيهما أجود إن كان معناهما واحدا، أو أيهما أجود في معناه إن كان معناهما مختلفا، ذكر هذا المعنى محمد بن سلام، ودعبل بن علي الخزازي في كتابيهما^(١).

(البقية على صفحة ١٠١٥)

السرقه؛ لأنها لا تعنينا كثيرا، لكان لنا في المقارنة بين معاني البارودي ومعاني غيره من سبقوه نظر وتفضيل، وعند النظر في صنيع البارودي نجده قصر في أكثر المعاني، فمثلا قوله عن الدنيا:

ومن نظر الدنيا بحكمة ناقد

دري أنها بين الأنام تقامر

سبقه في هذا المعنى أبو نواس فقال:

إذا امتحن الدنيا لييب تسكشفت

له عن عدو في ثياب صديق

ويبت أبن نواس أدق وأروع، فأبو نواس

جعل الدنيا مخادعة تظهر لك الود، وتخفي

لك البغضاء. وهي تحكم ذلك، وتبالغ في

التغويه، حتى تحتاج إلى اللبيب. وإلى امتحانه

للكشف عنها، أما أن الدنيا تعطى هذا

وتاخذ من ذاك فذلك أمر ظاهر لا يحتاج

إلى حكمة ناقد، بل النظرة العابرة توصلنا إلى

كشف هذا الخلق فيها، وقد أجاد الأول

في التعبير عن هذا المعنى دون أن يتكلف

ما تكلفه البارودي فقال:

وقد تعدل الدنيا فيمسي غنيها

فقيرا، ويغني بعد يؤس فقيرها

وأحب قيل أن أسترسل في هذه الناحية

أن أذكر هنا كلمة للشيخ حمزة فتح الله قال:

(متى تقاربت المعاني في بيتين أو أبيات،

أو جملتين أو جمل، عسر التعبير عن علة

كون هذا أجود من ذاك، وكان المعول عليه

[١] المواهب اللطيفة ص ١٢٢، والعبارات في مقدمة طبقات قول الشعراء بيسط أوسع مما أورده الشيخ حمزة فتح الله ص ٧٢٦ ط. دار المعارف.

النحو بين التجديد والتقليد

للأستاذ عبد الخالق عظيمه

- ٤ -

مناقب الدكتور أيوب :

البحث النحوى وطرق رسم القواعد وكانت منه بوارق أو ضحها بارقة وأحفلها بالآمل ما يقوم به الدكتور أيوب فى هذا الكتاب وإنى لأرى فى هذا الجهد إصلاحاً يوشك أن يكون شاملاً وألمح نور فجر صادق يضى. مناهج البحث اللغوى العربى .

وقد شاء للدكتور أيوب تواضعه أن يعلق على كلام الأستاذ إبراهيم مصطفى بقوله :

يجدرنى الإشارة إلى أن أول كتاب ظهر فى العالم العربى فى العصر الحديث لنقد نظريات النحو التقليدية هو كتاب إحياء النحو بقلم الأستاذ إبراهيم مصطفى .

لقد ثار الدكتور أيوب على النحويين ثورة عارمة جاحمة وفى فورة غضبه رسم لهم صورة شائنة على حد قول الشاعر :

شوها خلقتها فى وجهها نمش فى عينها عشم فى ساقها حمش

ولم ير لهم فضلاً يذكر ولا جوداً يشكر .
والجديد فى نقد الدكتور أنه يهتم النحويين بسرعة النحو اللاتينى فهذا النحو العربى الذى مضت عليه قرون وقرون ليس نحواً عربياً وفرض على العربية فرضاً قال فى مقدمة كتابه :

وهذه حلقة أخرى فى سلسلة التجديد فى النحو وهى من صنع الدكتور عبد الرحمن أيوب ماجستير ودكتوراه فى الدراسات اللغوية من جامعة لندن ومدرس بكلية دار العلوم أخرج لنا كتاباً سماه دراسات نقدية فى النحو العربى وقدم لهذه الدراسات الأستاذ إبراهيم مصطفى فمآخر بها وقال :

هذا مطلع فجر واضح الإسفار يضى. نوره مناهج البحث اللغوى العربى ويشرق من ناحية كلية دار العلوم من أفق مرتقب الإشراف من جو الهداية منهج بارع جديد فى البحث النحوى مكن لصاحبه ما لم يهياً لسكثير غيره من الباحثين فى علوم العربية ثم تسكلم عن أطوار تجديد النحو فقال :

تجديد تمثل فى تقريب النحو وتيسيره وتخليصه من الجدل اللفظى وأوضح عمل له عمل المرحوم حفنى ناصف وزملائه وتجديد تمثل فى اصطناع طرق التربية وسبل البيان والعرض وكان أوضحه عمل المرحوم الأستاذ الجارم وزميله وتجديد تمثل فى تغيير مناهج

هذا هراء فلسفى لا أكثر ولا أقل إن صح أن يوصف الهراء بأنه فلسفة .

وقال فى ص ١٧٩ عيب النحاة ينحصر فى خضوعهم لنظريات فلسفية ليست ذات قيمة لغوية من ناحيته .

وقصورهم عن استيفاء جوانب البحث من ناحية أخرى .

وقال فى ص ١٥٢ النحويون كانوا محكومين باعتبارات فلسفية لا علاقة لها باللغة .

واعترض على تعريف النحويين للحرف بقوله ص ٩ :

لقد وقع النحاة فى هذا الخطأ لأنهم كانوا فى الواقع متأثرين بالفلسفة الإغريقية عن الموجودات أكثر مما كانوا يدرسون خصائص الألفاظ العربية ذاتها ثم كرر هذا الزعم على هذه الصفحات ٢٨ - ٧٣ - ١٢٨ - ١٦٥ . وقد أشرك الدكتور نحاة الغرب مع نحاة العرب فى تقليدهم لفلسفة الإغريق قال فى ص ١٢٨ .

لم يكن النحاة العرب وحدهم مقلدين لفلسفة الإغريق فعلى نفس الطريق سار النحاة من الغربيين .

كما يرى الدكتور أن النحويين لا ينظرون عند اصطناع قواعدهم إلى الواقع اللغوى ولا يعيرون النظر فى استعمال العرب أدنى التفات وإنما يبنون قواعدهم على أساس من اعتبارات عقلية وهمية .

كان هم كل مؤلفى قواعد اللغة أن يفرضوا عليها النحو اللاتينى .

وأعجب من هذا وأعرب أن يزعم الدكتور أن للاستعمار الأوروبى إصبعا فى فرض النحو اللاتينى على العربية .

قال فى المقدمة أيضا : وظل الحال على هذا حتى جاء عصر الاستعمار الأوروبى لبلاد آسيا وإفريقيا وواجهه الغربيون ضرورة التعرف على لغات الشعوب التى يستعمرونها وحاول بعض المؤلفين أن يصنعوا لهذه اللغة الجديدة نحواً على نسق النحو اللاتينى .

زعم الدكتور أنه أمسك بتلابيب النحويين متلبسين بسرقة النحو اللاتينى فما أدلته على هذا الانهاك الخطير ؟

لم يرتكز فى دعواه المريضة إلا على هذه السمكيات قال فى ص ١٠ تقسيم النحاة للكلمة متأثر بتقسيم إفلاطون وقال فى ص ٩٢ تقسيم العلم إلى مرتجل ومنقول أخذه النحويون عن أرسطو الذى قال هو الآخر به .

وقال فى ص ١٢٨ تقسيم الجملة إلى اسمية وفعلية تقسيم مشابه لتقسيم الجملة اللاتينية .

وزعم الدكتور أيضا أن النحويين أخذوا الفلسفة الإغريقية كما أخذوا النحو اللاتينى .

قال فى حديثه عن التعليق والإلغاء ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .

هنا تطل فلسفة إفلاطون بقرنها .

وإنما كان ذلك بعد بذل الجهد في الاستقصاء والاستقراء فاستطاعوا أن يضعوا الضوابط لمفردات اللغة وصيغها وأسايلها وما جاء على الكثير وما خرج عن أصله إلى غير ذلك مما ينطق بفصلهم ويتحدث عن حسن بلاهم فهل نستكثر عليهم بعد هذا تقسيم الجملة إلى اسمية وفعلية والعلم إلى منقول ومرئجل ما أيسر مثل هذه التقسيمات وما أغناهم عن أن يتوجهوا إلى النحو اللاتيني يترسمون خطاه :

رمانى بأمر كنت منه ووالدى

بريتا ومن أجل الطوى رمانى

وبين اللغات قدر مشترك من الألفاظ تحدث عنه علماء اللغات ويقول أبو الفتح في الخصائص ٣/ ٢٨٥ .

ويقال إن التنور لفظة اشترك فيها جميع اللغات من العرب وغيرهم .

فهل يعتبر الدكتور هذا الاشتراك من السرقات وتحدث كتب الأدب كثيراً عن توافق الخواطر ووقوع الحافر على الحافر بين الشاعر والشاعر .

ولكن الدكتور لا يعترف بمثل هذا للنحويين .

ارتكز الدكتور في تأليف كتابه على كتابين - ابن عقيل والاشموني ولم ينظر في غيرهما من كتب النحو وقد ذكر أسرار العربية

ذكر ذلك في المقدمة وكرره على هذه الصفحات ١٥٢-١٥٥-١٥٦-٢٢٤-٢٢٥ وردنا على دعاوى الدكتور أن نقول له : إن رواة اللغة ونقلها إنما التقطوها من أفواه حرشة الضباب وأكلة اليرابيع وتشدد الأصمى فلم ينقل عن ذى الرمة لأنه طالما أكل المالح والبقل في حوانيت البقالين - الخصائص ٣ / ٢٩٥ .

هذه هي اللغة التي نظر فيها النحويون وعولوا عليها في الاستشهاد .

ولا يستطيع أحد أن ينكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أفصح العرب ومع هذا لم يحتج النحويون لقواعدهم بالأحاديث النبوية الشريفة لأن رجال الحديث أجازوا الرواية بالمعنى فاحتمل الحديث أن تكون بعض ألفاظه لراو لا يحتج بكلامه في اللغة .

فلهذا الاحتمال الضعيف أسقط النحويون الاحتجاج بالأحاديث النبوية ولم يحتج بالحديث إلا بعض المتأخرين كابن خروف وابن مالك خزانة الأدب للبغدادى ١ / ٥ - ٦

وقد اشتط كثير من النحويين فلحن بعض القراء وقد سجلت هذا الغلو في صحائف وسأطوى ذكرها لأنى أعتبرها بمثابة بقع سوداء في صحائف أعمالهم وما ظفر النحويون بقواعدهم عفوا صفا ولا وافقهم رهوا سهوا

ولأبي حيان استقرارات أخرى وليس هنا موضع الحديث عنها .

كنا نود من الدكتور أن يصنع مثل ذلك في بعض مسائل كتابه ولا سيما وقد يسهل لنا الطباعة النظر في دواوين العرب والرجوع إليها .

٢ — عرض الدكتور لنقد علل الإعراب والبناء عند النحويين ثم قسم المبني والمعرّب تقسيماً جديداً بلغت الأقسام عنده قرابة ثلاثين فصلاً ولا أريد أن أعرض لتقسيماته بالنقد وأكتفي بذكر حديث طريف نسب إلى الخليل بن أحمد بين فيه قيمة التعليقات عامة ومنزلتها من النحو .

قال أبو القاسم الزجاجي المتوفى سنة ٣٣٧ هـ في كتابه إيضاح علل النحوص ٦٥ - ٦٦ .
وذكر بعض شيوخنا أن الخليل بن أحمد رحمه الله سئل عن العلل التي يعتل بها في النحو فقيل له أعن العرب أخذتها أم اخترعتها من نفسك فقال :

إن العرب نطقت على سميتها وطباعها وعرفت مواقع كلامها وقامت في عقولها علله وإن لم ينقل ذلك عنها وعللت أنا بما عندي أنه علة لما عللته به فإن أكن أصبت العلة فهو الذي التمس وإن تسكن هناك علة غير ما ذكرت فالذي ذكرته محتمل أن يكون علة له

للأنباري في موضع واحد ولم يحاول أن يرجع إلى أصول علم النحو أو الأدب الجاهلي أو الإسلامي ليعرف مدى صدق هذه القواعد وإطرادها . لم يصنع شيئاً من هذا فيستدرك على النحاة وإنما وجه عنايته إلى اهتمامهم بأخذ النحو اللاتيني والفلسفة الإغريقية وبأنهم لم ينظروا إلى واقع كلام العرب .

وسأختار مسألة واحدة أوازن فيها بين موقف الدكتور أيوب وموقف غيره من النحويين .

ذكر الدكتور في كتابه أن غالبية النحويين تمنع تقديم خبر ليس عليها ، تناول الدكتور هذه القاعدة في يسر وسهولة ولم يحشم نفسه مشقة الاحتكام إلى الأسلوب العربي .

أما أبو حيان وهو من نحاة القرن الثامن فقد وقف عند هذه القاعدة وقفة احتكم فيها إلى أساليب العرب فقرأ جملة من دواوين العرب لذلك الغرض قال أبو حيان :

وقد تبتعت جملة من دواوين العرب فلم أظفر بتقديم خبر ليس عليها ولا بمعموله إلا ما دل عليه ظاهر هذه الآية (ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم) وقول الشاعر :

فيأبى فما يزداد إلا لاجاجة
وكنت أيبا في الخنا لست أقدم
البحر المحيط ٢٠٦/٥ .

قال في ص ١٥٧ - ١٥٨ أود بادي ذى بدء أن أذكر أمراً قد يبدو من الوضوح بحيث لا يحتاج للذكر ، ذلك هو عدم دقة اختيار النحاة للألفاظ حتى توحى بمعان قد لا تكون مقصودة لهم على الإطلاق وأريد بهذا لفظ حذف ، وهو يشعر أن المحذوف كان موجوداً ثم حذف بشكل مقصود بعد ذلك . وقد كان من الأدق أن يستعمل النحاة عبارة عدم ذكر المبتدأ أو الخبر بدلا من عبارة حذف المبتدأ أو الخبر .

وقال في ص ٢٤٢ - ٢٤٣ ولعل من سوء الحظ أن أطلق النحاة لفظ فاعل على الركن الاسمي للجملة الفعلية فقد أضاف ما في هذه الكلمة من دلالة قاموسية صعوبة لازوم لها . إن ملاحظة الدكتور هنا أقرب إلى الماحكة اللفظية منها إلى النقد العلى ، وشتان بين الاختيارين .

٣ - في حديثه عن التعليق والإلغاء تكلم عن العلل المنطقية ، ثم قال ترى هل يحكم النحاة هذا المنطق فى استنباط قواعد اللغة أم يحكمون الواقع اللغوى الذى لا يلتزم بهذا النوع من التفكير المنطقى ، إن أمثلتهم التى ذكروها فى الأشموني وابن عقيل على الأقل ليست من أقوال العرب المأثورة ولا من أشعارهم . ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .
مثل الأشموني للإلغاء بهذه الشواهد :

ومثل فى ذلك مثل حكيم دخل دارا محكمة البناء عجيبة النظم والأقسام وقد صحت عنده حكمة بانها بالخبر الصادق أو بالبراهين الواضحة فكلما وقف هذا الرجل الداخلى الدار على شئ . منها قال إنما فعل هذا هكذا لعلة كذا وكذا ولسبب كذا وكذا أهلة سنحت له وخطرت بباله محتملة أن تكون علة لذلك . لجائز أن يكون الحكيم البانى للدار فعل ذلك للعلة التى ذكرها هذا الذى دخل الدار وجائز أن يكون فعله لغير تلك العلة ، إلا أن ما ذكره هذا الرجل محتمل أن يكون علة لذلك فإن سنحت لغيرى علة لما علته من النحو هى أليق بما ذكرته بالمعلول فليأت بها .

قال الزجاجى وهذا كلام مستقيم وإنصاف من الخليل رحمة الله عليه ، وينظر الاقتراح للسيوطى ٥٧ - ٥٨ .

وفى الخصائص ٨٧/١ - ٨٨ واعلم أنا - مع ما شرحناه وعيننا به فأوضحناه من ترجيح علل النحو على علل الفقه وإلحاقها بعلل الكلام - لاندعى أنها تبلغ قدر علل المتكلمين ولا عليها براهين المهندسين .

وعاب الدكتور على النحويين أنهم لا يحسنون اختيار الألفاظ المعبرة عن اصطلاحاتهم ، وضرب مثلاً لذلك بحذف المبتدأ والخبر - والتعبير بالفاعل .

ومثل الأشموني أيضاً للتعليق بقوله تعالى .
ولقد علموا لمن اشتراه - وإن أدرى
أقرب أم بعيد ما توعدون - لنعلم أى
الحزبين أحصى - ولتعلن أينما أشد عذابا -
وسيعلم الذين ظلموا أى مقلب ينقلبون ،
وإن أدرى لعله فتنة لكم .

هذه هي شواهد الأشموني التي قال عنها
الدكتور أيوب : لأنها ليست من أقوال العرب
المأثورة ولا من أشعارهم وإن أراد الدكتور
شواهد أخرى للإلغاء فأذكر له :
أبا الأراجيز يابن اللؤم توعدى
وفي الأراجيز خلت اللؤم والخور
للعين المنقرى يهجو العجاج ، ابن يعيش
٨٤ / ٧ .

من رأيت المنون عرين أم من
ذا عليه أن يضام خفير
لعدي بن زيد العبادى أمالى الشجرى ٩١/١
هما سيدانا يزعمان وإنما
يسودانتا أن يسرت غناهما
للديري - خزنة الأدب ٢ - ٤٣
ولستم فاعلين إخال حتى
ينال أفاصى الخطب الوقود
لعقيل بن علفة - شرح الرضى للكافية
١ - ٢٦٠ - خزنة الأدب ٤ - ١٢
وهو من أبيات الحماسة أيضا .

أرجو وآمل أن تدنو مودتها
وما إخال لدينا منك تنويل
والبيت لكعب بن زهير من قصيدته
المشهورة بآنت سعاد .
كذلك أدبت حتى صار من خلقي
أنى رأيت ملاك الشيمة الأدب
والبيت لبعض الفزاريين وهو من أبيات
الحماسة - خزنة الأدب ٥/٤ .
آت الموت تعلون فلا ير
هيبكم من لظى الحروب اضطرام
وقد تسكلم عليه العيني - خزنة الأدب
٤٠٢ / ٢ .
شجاك أظن ربع الظاعنين
ولم تعبأ بعدل العاذلين
تسكلم عليه العيني خزنة الأدب ٤١٩/٢ .
ومثل الأشموني للتعليق بهذه الشواهد .
ولقد علمت لتأتين منيتي
إن المنابا لا تطيش سهامها
والبيت من شواهد سيويه ٦٠/١ ونسب
للبيد - خزنة الأدب ٤/١٣ .
وما كنت أدرى قبل عزة ما البكا
ولا موجعات القلب حتى تولت
وهو لكثير عزة خزنة الأدب ٣٧٨/٢ .
وقد علم الأقوام لو أن حاتما
أراد ثراء المال كان له وفر
والبيت في ديوان حاتم الطائي / ٧٢ .

لفظ مسند إليه وهو مصطلح لا يشير إلى وجود لفظ يدل على حدث كما لا يشير إلى موضع خاص في الجملة ولو حافظ النحاة على هذا الاصطلاح وتجنبوا الاصطلاحات ذات الدلالة القاموسية القوية لما ألبس عليهم الأمر كل هذا الإلباس .

يدعى الدكتور أن سيويوه لم يعبر عن الجملة الاسمية والفعلية إلا بتعبير واحد مسند ومسند إليه وكذلك علماء البلاغة فلم يعرفوا هذه المصطلحات — مبتدأ وخبراً — فعلاً وفاعلاً وهذه دعوى جريئة من الدكتور لم يرجع فيها إلى كلام سيويوه ولا إلى كلام علماء البلاغة .

ونرجع إلى كتاب سيويوه فنجد فيه ما يأتي: هذا باب الابتداء فالمبتدأ كل اسم ابتدئ ليبني عليه وقال في ١ — ٢٧٩ هذا باب ما يكون فيه المبتدأ مضمراً .

وقال في قول العرب ١ — ١٤٧ من أنت زيدا قد علم أن زيدا ليس خبراً ولا مبتدأ . وقال في ١ — ٢٦ هذا باب ما تخبر فيه عن النكرة بنكرة

وقال في ١ — ١٤ هذا باب الفاعل الذي لم يتعده فعله إلى مفعول .

هذا باب الفاعل الذي يتعده فعله إلى مفعول .

وفرق بين أن يعبر سيويوه بقوله مسند

وأما شواهد التعليق في القرآن الكريم فسكثيرة جداً .

ويدعى الدكتور أن النحويين عنوا بالأفعال الناسخة من جهة بيان أثرها الإعرابي فقط قال في ص ١٨٠ — ١٨١ ليس من شك في أن وظيفة الأفعال الناسخة لا تنحصر في مجرد أثرها الإعرابي ولكن لها وظيفة أخرى خاصة بدلالة التركيب الذي توجد فيه ...

وقد أشبع النحويون القول في معاني الأفعال الناسخة سواء أكانت ناقصة أم تامة وليرجع الدكتور إلى شرح الكافية للرضي في هذه الصفحات ٢ — ٢٧٠ — ٢٧١ — ٢٧٢ — ٢٧٣ — ٢٧٤ — ٢٧٥ وشرح

ابن يعيش ٧ — ٩٧ — ١٠٣ .

٤ — يورخ الدكتور للجملة فيقول في ص ١٥٠ وقد مرت الجملة النحوية في دورين : أما المبكر منهما فلم يفرق بين نوعها الاسمي ونوعها الفعلي تفريقاً حاداً بل اعتبرها كما يعتبرها البلاغيون إسناداً مكوناً من مسند ومسند إليه وكان سيويوه إمام النحاة ممن قالوا بهذا — وأما الدور المتأخر فقد انفصلت فيه الجملة الاسمية عن الفعلية وبوبت الأحكام لكل منهما وفصلت على ما ترى بين أيدينا اليوم .

ثم قال في ص ٢٤٣ ولم يواجه النحاة الأول ولا علماء البلاغة هذه الصعوبة عندما استعملوا

كان خضوعاً لشكلية منطقية هي تحتم وجود الموضوع والمحمول معاً حتى يمكن للقضية

أن تكون قضية ص ١٥٨ - ١٦٥ .

ويذهب الدكتور إلى ضرورة القول بوجود نوع من الجملة العربية الإسنادية ذات الركن الواحد ص ١٥٩ .

ويرى في نيابة الجار والمجرور عن الفاعل أن الإسناد هناك فعلى ذوركن واحد ٢٦٤ .

كما يرى ذلك في نحو لست بقائم ص ٥٤ . واعتقادي أن نقد الدكتور هنا نقد شكلي

لا يمس الموضوع فما زلنا في حاجة إلى معرفة المواضع التي يكون الإسناد فيها ذاركن واحد حتى تقيس عليها وتكلم على نهجها .

والنقد الموضوعي لهذه المواضع أن يستقرى دواوين العرب ليرى هل استوعب

التحويون جميع الأنواع أو فاتهم شيء منها فيستدرك عليهم .

أما حديثه عن الجملة ذات الركن الواحد ، فهو كلام لا غناء فيه ، ثم إنه مسبوق في هذا

بكلام الأستاذ إبراهيم مصطفى الذي قال إن النحاة لم يعرفوا الجملة الناقصة ، وقد ذكرناه

فيما مضى .

٦ - يعترض الدكتور على كلام النحويين في تقديم المبتدأ والخبر فيقول في ص ١٥٧

إن ما يخشاه النحوي من التباس المبتدأ بالخبر ليس أمراً ذال بال لدى المتكلم الذي لا يشعر

ومسند إليه في مرة واحدة وبين أن يلتزم ذلك كما يدعى الدكتور .

ونرجع إلى دلائل الإعجاز للشيخ عبد القاهر الجرجاني فنجد فيه حذف المبتدأ ص ١١٢ -

ويتحدث عن الخبر في ص ١٣٢ فيقول : خبر هو جزء من الجملة لا تتم الفائدة دونه وهو

خبر المبتدأ كما تطلق في قولك زيد منطلق . ويقول في ص ٨٣ في التقديم والتأخير -

كخبر المبتدأ إذا قدمته على المبتدأ والمفعول إذا قدمته على الفاعل كقولك : منطلق زيد

وضرب عمراً زيد . ولو رجعنا إلى كتب أبي العباس المبرد

وهو من النحويين المتقدمين لم نجد فيها إلا هذه الاصطلاحات المعروفة بمبتدأ وخبراً ، وفاعلاً

وفاعلاً فقد فرق حديث الابتداء في المقتضب على هذه الصفحات : ١٢٥ ، ٢٥٠ ، ٣١٤ ،

٣١٨ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٤٠٦ ، ٤٥٤ . وفرق الحديث عن الفاعل على هذه

الصفحات : ٣ ، ١٣٢ ، ١٥٩ ، ٣٢١ ، ٣٨٣ ، ٣٤٣ .

ولم يذكر مرة واحدة لفظ مسند ومسند إليه . وكذلك فصل في كتابه الكامل - رغبة

الآمل ٢٠٢ / ٣ فهل يقال بعد هذا : إن المتأخرين ابتدعوا هذه الاصطلاحات ؟

٥ - عرض النحويون لمواضع حذف المبتدأ والخبر ويرى الدكتور أن ذلك إنما

البراغيث فيقول ص ١٥٢ وضع النحاة قاعدة للمطابقة بين طرفي الجملة لإحداها للجملة الاسمية والثانية للجملة الفعلية فقد قالوا إنها لازمة في الأولى بين المبتدأ والخبر وبأنها ممتنعة في الثانية إذا كان الفاعل أو نائبه مثنى أو جمعا حيث يتحتم في هذه الحالة بقاء الفعل في صيغة المفرد ولم يكن النحاة في هذا التفريق محكومين بالواقع اللغوي بمقدار ما كانوا محكومين باعتبارات فلسفية لا علاقة لها باللغة .

كنا ننتظر من الدكتور أن يرجع إلى الأدب العربي ويثبت أن لغة أكلهم البراغيث شائعة كثيرة ويذكر لنا شواهد لم يتعرض لها النحاة وقد عرضت لهذا في كليته السابقة . ثم إن سيديوه تسكلم عن أحكام المطابقة

في هذه الصفحات ١ / ٢٣٥ - ٢٣٦ - ٢٣٧ - ٢٣٨ فلم يأت المتأخرون بجديد .

أعرب النحويون قوله تعالى : وأراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم ، بأن جعلوا أراغب مبتدا وأنت فاعل سد مسد الخبر ولم يجيزوا أن يكون مبتدأ وأراغب خبره لما يلزم على ذلك من الفصل بين الخبر ومعموله بالأجنبي وهو المبتدأ . لم يرتض الدكتور هذا الإعراب وأخذ يتحدث عن عدم واقعية التفكير النحوي في ص ١٥٥ - ١٥٦ ونقول له : إن الفصل بالأجنبي بين العامل ومعموله ممنوع عند النحويين في أبواب كثيرة دل على ذلك الاستقراء .

حتى بفكرة إسناد المبتدأ للخبر أو الخبر للمبتدأ ، وقد يدرك المتفلسف الفرق بين إسناد الأخوة لزيد في المثال . زيد أخوك ، وتبين إسناد زيد لأخوك في المثال أخوك زيد ولكنني أشك في إدراك المتكلم أو عنايته على الأقل بمثل هذا الفرق . هذا مثال آخر لانشغال النحوى بقاعدته ومدى حساسيته بها وهي حساسية بالغ فيها حتى أهمل تقدير الجوانب الواقعية في الاستعمالات اللغوية .

وردنا على الدكتور أن نقول له إن العربي قد راعى هذا الأمر فالنظم تقديم المبتدأ على الخبر إن خاف اللبس بأن صلح كل منهما أن يكون مبتدأ أو خبراً قال زياد الأعجم .

قُبيلة خيرها شرها

وأصدقها الكاذب الآثم
الأغانى ١٥ / ٣٩٣ طبع دار الكتب
فقدم المبتدأ ولو قدم الخبر هنا لاختلف المعنى ولما قامت قرينة تميز المبتدأ من الخبر قدم حسان الخبر في قوله :

قبيلة الأم الأحياء أكرمها
وأعذر الناس بالجيران وأفها
ديوان حسان / ٣٥٢
وبيت حسان نظير شاهد النحويين :

بنونا بنو أبنائنا وبنائنا
بنوهن أبناء الرجال الأباعد
٧ - يتحدث الدكتور عن لغة أكلهم

معين فلكمة أنا وأنت مثلاً تصلح لى ولك ولاخى ولأبى ولأبى بل وللدلالة على ملايين من المتكلمين .

إذا قلت يا دكتور أنا مجدد النحو فأنا هنا لا أطلق على غيرك ولا يراد بها أحد سواك .

١٠ - يقول الدكتور عن لات ص ١٨٧ .

وعندنا أن لات مكونة من لا واسم الإشارة فى الذى يختص بالمؤنث وهذا أمر تاريخى تطور إلى الكلمة لات ...

ولات بوصفها الحالى لا تزال تتضمن معنى اسم الإشارة المؤنث ولهذا يشترط فيها عدم ذكر اسمها لأن هذا الاسم فى الواقع هو مدلول جزء الكلمة الذى كان فى الأصل اسم إشارة لمؤنث وهو التاء . وذلك مثل ولات حين مناص .

وهذا التطور التاريخى لا دليل عليه يا دكتور إنما يعتمد على الحدس والتخمين ويعجبنى فى مثل هذا رد أبى على الفارسي على الفراء فى دعوى بامثلة بقوله : هذا لا يعرف إلا بوحى أو خبر نبى خزانة الأدب ٣ - ١٧٩ . وقول الرضى أيضاً فى شرح الكافية ٢ - ٣٧ كل ذا قريب من دعوى علم الغيب .

ثم إن الكثير فى لات أن يذكر معها الخبر وقد يذكر معها الاسم وقرئ فى قوله تعالى : ولات حين مناص ، برفع حين . ويرى الدكتور أنه لا مانع من أن يرفع

وينظر المقتضب ٣١٥ - ٣٨٣ - ٤٠١ -
الخصائص ٣ / ٢٥٥ - ٢٥٦ أمالى الشجرى
١٤٠ / ١ - ١٩٠ - ١٩١ - ١٩٢ مغنى اللبيب
١٢١ / ٢ البحر المحيط ١ / ٢٧٤ .

فإذا أراد الدكتور أن ينقض هذه القاعدة فعليه أن يأتينا بشواهد من كلام العرب .

٨ - يتحدث الدكتور عن استتار الضمير فيقول فى ص ٧٦ - ١٥٨ : إنما قالوا بذلك خضوعاً للقضية الفلسفية .

ولقد كفانا الدكتور مثونة الرد عليه فقد قال هو باستتار الضمير فى موضعين من كتابه ونسب ما ذكره هنا قال فى ص ١٠٦ يجب أن تشمل جملة الصلة على ضمير يعود على الموصول ويسمى بالعائد ولا بد أن يتفق مع الموصول فى الجنس والعدد جاء الذى قام - جاءت التى قامت وقال فى ص ١٣٨ - ١٤١ : لا بد أن تحتوى جملة الخبر على ضمير يعود على المبتدأ ويسمى بالرابط .

٩ - تشكك الدكتور فى تعريف الضمير واسم الإشارة فقال فى ص ١١٧ ولا بد لنا أن نسلم بأن التنكير بمعنى عدم تعيين الكلمة لمُدلول معين بالذات جزء من معنى كل الكلمة مهما كانت درجتها من التعريف وذلك لأن كل كلمة تصلح لأن تطلق على أكثر من ذات واحدة وضمير المتكلم والمخاطب وأسماء الإشارة وهى من أعرف المعارف لا تدل على

الدولة علينا من مال وما حصلنا من خبرة .
وكم كنا نود نحن أيضاً أن تكون بحوث
الدكتور مرتكزة على سعة الاطلاع والنظرة
الفاحصة في أصول كتب النحو وليست
قائمة على الحدس والتخمين والنظرة الخاطفة
في ابن عقيل والاشموني .

وهذا النحو الذي يحقر شأنه الدكتور
ويزدرية قد نوه بشأنه وأعلى مكانته كبار
المستشرقين . والعجيب أن الدكتور يباهى
بأن تهيأت له فرصة الاتصال ببعضهم
وسأقتصر على كلام اثنين من المستشرقين .
قال دى بور المستشرق الهولندى فى كتابه
تاريخ الفلسفة فى الإسلام ترجمة الدكتور
أبى ريدة ص ٤٠ :

علم النحو أثر رائع من آثار العقل العربى
بما له من دقة فى الملاحظة ومن نشاط فى جمع
ما يفرق وهو أثر يرغم الناظر فيه على التقدير
له ويحق للعرب أن يفخروا به . وقال المستشرق
الألماني يوهان فك فى كتابه العربية ترجمة
الدكتور عبد الحليم النجار ص ٢ :

ولقد تكفلت للقواعد التى وضعها نحاة
العرب فى جهد لا يعرف الكلل وتوضحية
جديرة بالإعجاب يعرض اللغة الفصحى
وتصويرها فى جميع مظاهرها من ناحية
الأصوات والصيغ وتركيب الجمل ومعانى
المفردات على صورة محيطة شاملة حتى بلغت
كتب القواعد الأساسية عندهم مستوى
من الكمال لا يسمح بزيادة لمستزيد .

الفعل لفظين يدلان على الفاعل فتكون الألف
والثاء . فى نحو ضربت فاعلين وتكون تاء التأنيث
فى نحو ضربت فاعلة و فاعلة فاعلاً أيضاً .
ويرى أنه لو جعلنا الألف فى ضربت تاء
التأنيث والتأنيث فى ضربت حرفين لوجب أن
نجعل الضمائر كلها حروفاً . ٧٥ - ٧٦ .
ولعل بما يطيب خاطر المشتغلين بالدراسات
النحوية أن الدكتور أيوب لم يقصر طعنه على النحو
العربى وإنما تناول الثقافة العربية كلها بالطعن .
قال فى مقدمة كتابه : فالنحو العربى شأنه
فى ذلك شأن ثقافتنا التقليدية فى عمومها
يقوم على نوع من التفكير الجزئى الذى يعنى
بالمثال قبل أن يعنى بالنظرية .

ولست أدري ماذا يقصد الدكتور
بالتفكير الجزئى هل يريد أن يحدد دعوة
رينان الفرنسى فى طعنه العقلية السامية
بأنها عقلية مفرقة تتناول الجزئيات ولا تصل
إلى الكليات - أم ذا يريد ؟ .

ويباهى الدكتور ببحوثه وباتصاله بقيادة
الفكر الغربى فيقول فى مقدمته : وكم كنت
أود لو أنصف القائمون على شئون الجامعات
فى بلادنا فأولوا الأبحاث الجديدة بعض
ما يولون جداول الدروس من أهمية وكم
كنت أود وقد تهيأت لى ولعدد من زملائى
فرصة الاتصال الطويل ببعض قادة الفكر
اللغوى المحدثين أن تمكن لنا شكليات المناهج
والنظم الجامعية من إنتاج يتفق مع ما أنفقته

ولسنا - والحمد لله - متعصبين لنوع معين من القواعد وقد قلت في كلمة سابقة : إن النحويين ليسوا معصومين وأن باب الاجتهاد في النحو ما زال مفتوحا على مصراعيه ونقلت نصوصا صريحة من القرن الرابع والثامن في ذلك وإني أعجب من أن يتحدث الأ- تاذ إبراهيم مصطفى في تقديمه كتاب الدكتور أيوب عن سد باب الاجتهاد في النحو وما قال بذلك أحد وما وقفنا عليه فيما بين أيدينا من كتب النحو .

والاجتهاد الذي ندعو إليه ونحض عليه لا تمنى له سوى أن يكون ثمرة دراسات واسعة وقراءات في أصول كتب النحو وتبع لأساليب العرب . محمد عبد الحاق عيسى

قواعد النحو هي سبيلنا الوحيد لضبط كلام العرب والتحدث بالعربية ولنا - مع شدة حاجتنا إليها - على استعداد لأن نتخلى عنها ونقتاساها إذا استطاع دعاة التجديد أن يتدعوا لنا قواعد أيسر منها تغني غناها وتسد مكافها .

أما أن يكون منتهى ما يصل إليه التجديد استبدال اصطلاح خفي بآخر جلي فذلك مالا نقبله منهم وليس بين اصطلاحات النحو ما هو أصرح وأوضح من المبتدأ والخبر والفعل والفاعل ولكن السادة المجددين لا يبصرون ذلك .

وفي تعب من يحسد الشمس ضوءها ويجهد أن يأتي لها بضرب

(بقية المنشور على ص ١٠٠٣)

بعض رسائله ما معناه : إنه قلبا يوجد كاتب أو شاعر أو مؤلف أو مصنف يقرأ اليوم ما كتبه أمس لا ويقول : ليت كذا كان كذا . إلخ والسكالم لله تعالى وحده ولمن كلمهم من خليقته ، فليكن ذلك منك على ذكر . . قلت . والأمر قريب من قريب ، والذي نستطيعه في مثل هذا الموقف أن نتجرد عن الهوى ، وأن نطيل إمعان النظر ، وأن نهتدي بآراء من سبقونا في هذا الشأن . والتوفيق من الله . (للحديث بقايا)

وقد نقل صاحب العمدة العبارات بنصها عن ابن سلام الجعفي (٢) .

ثم قال الشيخ حمزة ، في موضع آخر ، « وبعد : فلسنا نحجر على ممن في المعاني أو نقاد البباني لمكان التماس ما يدفع ما قلناه ، أو العثور على محاسن للفضول ترى على محاسن الفاضل ، فيصير المفضول فاضلا ، وبالعكس ، لأن هذا مجال واسع ، ولأنما المراد هداية الطلبة إلى كيفية سلوك هذه الفعاج ويرحم الله عبد الرحيم الفاضل ، إذ قال في

النفقة وصلتها بقانون الوضع الجديد

للأستاذ عباس طه

بقية المنشور في العدد الماضي

أن للقاضي في هذه الحالة أن يقدر الملابس المحيطة بتلك الحالة الواقعة ، فإذا تعذر استدانة الأم على العقار أو العروس وتحققت حالة استثنائية وهي خشية تعرض الأولاد للجوع والفاقة . جاز أن يباع العقار وأن تباع تلك العروس بالقدر الذي يدفع عن الأولاد غائلة المحصة ، والضرورة تقدر بقدرها ، بدليل أن الفقهاء أجازوا في بعض الحالات للولد الذي لم يبلغ حد الكسب أن ينفق من مال أبيه الغائب إذا كان هذا المال من جنس النفقة على قدر كفايته من غير رجوع في ذلك إلى قضاء القاضي .

وتبدو رحمة الشارع الحكيم مقرونة بالعدل الشامل في حالات كثيرة من أبواب النفقة كحالة ما إذا كان الولد الفقير معسرا وله أب غني ، فقد أوجب - نفقة زوجته على أبيه الموسر إذا ضمنها في العقد ، وأوجبها عليه إطلاقا على أن يرجع بها على ولده إذا أيسر ، لأنها تكون ديناً في ذمته لا تبرأ منها إلا إذا أداها بعد يساره فإن بلغ حد الاكتساب فإن كان ذكراً جاز للأب أن يؤجره على ما يحتمل ممارسته من الأعمال ، أو يدفعه إلى حرفة ليكتسب بها . و ذاك ينفق منها أبوه عليه ، وما بقي من كسبه يحفظه أبوه

فلو كان للولد جد لأب وأخ شقيق فنفقته على الجد ، ولو كان له جد لأم وعم فنفقته على الجد لأم . فإن كان كل من الأصول والحواشي وارثاً يعتبر الإرث وتجب عليهم النفقة على قدر أنصابتهم في الإرث ، فلو كان للصغير أم وأخ عصبي أو أم وابن أخ كذلك أو أم وعم كذلك فنفقته عليهما أثلاثاً : الأم الثلث وعلى العصبية الثلثان .

فإن غاب الأب وله أولاد بمن تجب نفقتهم عليه وله مال عندهم من جنس النفقة جاز للقاضي أن يأمر بالإففاق منه عليهم ، وكذلك الحال إذا كان للغائب مال مودع عند أحد أو في بعض المصارف المالية أو كان له دين من جنس النفقة وأقر المودع عنده أو المدين بالمال أو لم يقر وقرائن المشاهدات قائمة على وجود تلك الوديعة عند المودع وبالدین عند المدين بواسطة صكوك ومستندات تثبت ذلك .

أما إذا كان مال الغائب ليس نقوداً من جنس ما يحكم به بأن كان عقاراً أو عروضاً فلا يباع منه شيء بالنفقة ، بل تؤمر الأم بالاستدانة عليه الأولاد ، لكن حقق صاحب ملتقى الأبحر وصاحب كتاب أنفع الوسائل

وليه يتفرع حال آخر وهو ما إذا قضى القاضى للزوجة على زوجها أو للحاضنة على أب الصغير أو أحد قرابته الواجب عليه نفقته فهى فى حكم نفقة الزوجة فى عدم سقوطها بمضى شهر فأكثر من تاريخ الفرض حتى ولو فرضت بغير استدانة من القاضى، وعليه عمل كثير من المحاكم الآن، وهو الأرفق بمصالح المتقاضين وأمس بحاجاتهم المتجددة بخلاف سائر المحارم. فإن فرض القاضى تلك النفقة للصغير على أبيه ومضت مدة دون أن تقتضيه الأم من الأب حتى مات فإن كانت مستنداته بأمر القاضى كان للأم الرجوع بها فى تركه أبيه كما يرجع بها عليه لو كان حيا، فإن لم يقض القاضى باستدانة هذه النفقة وكان فى ذمة والد الصغير متجمدا حتى مات، سقط هذا المتجمد ولم يجوز للأم أن تطالب به ورثة الميت. فلما تطور التشريع فى الأحوال الشخصية وروعى قدر الإمكان ما يجب للأسرة من حرمة، عنى المشترعون بإيجاد ضوابط كانت أوسع نطاقا، وأكثر تبسيرا وأفضل تحريبا لصوالح الأسر وحياطة الأحوال الشخصية بسياج قوى يكفل لها الخير فى أوسع حدوده ويدرا الشر فى أضيق صورته.

عباس طه
المحامى

ليس له بعد بلوغه. وإن لم يف كسب الغلام بمرافقه الضرورية كان على أبيه الموسر لإتمام كفايته منها. وإذا استغنت الأنثى كذلك بكسبها من الحياكة أو الغزل مثلا أو نحوهما فنفتها فى كسبها إن وفى بحاجتها، وإن قصر كسبها عن شئونها الضرورية فعلى أبيها إتمامها. وإن شكت الأم امتناع الأب عن الإنفاق أو التقير على ولدها منه جاز للقاضى أن يفرض النفقة ويأمر بإعطاء الصغير لأمه لتنفق عليه حتى إذا تحققت خيانتها فى الإنفاق عليه تحرى القاضى أمثل الطرق فى إيصال النفقة إلى الولد. وهنا يرى بعض الفقهاء أن تسلم النفقة إلى الأم وجبة بعد أخرى من وجبات اليوم، أو تسلم لها النفقة على دفعتين فى اليوم، واحدة فى الصباح وأخرى فى المساء. لكن ما عليه عمل المحاكم اليوم هو غير ذلك كما هو مشاهد، لأن فى عمل المحاكم تبسيرا أعم على الناس وترقيها لهم أخلق بالمصلحة من هذا الرأى، فإن وقع الصلح بين الأم وزوجها على الأولاد فيما يتعلق بالإتفاق عليهم أو صالحت الحاضنة أبا الصغير عليه لذلك، وقع الصلح صحيحا فى حالة واحدة وهى ما إذا كان المصطلح عليه قائما بكفاية الأولاد، أما إذا كانت غير داخلة فى تقدير أسقطها القاضى من حساب الصلح وفرضها بالقدر الملائم، وإن كان القدر المصالح عليه أقل من نفقة الكفاية زادها القاضى إلى ذلك القدر الذى يكفيهم.

مَحْنَةُ الشَّجَرِ الْقَدِيمِ وَالْحَنِينِ

في الطريق إلى الله:

شَاطِي وَ التَّوْبَةُ

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

لها الليالي خفايا	أونوحُ شكلى أهاجتُ	كفتارةُ للخطايا	وشاطيُ في يديه
للإثم فيه بقايا	أو وخزةُ من ضمير	بأدمعى وشقايا	ذهبتُ يوما إليه
نلمعَ فثتهُ الرزايا	أو صرخةُ من يتيم	دفتُها في حشايا	وبالمعاصي اللواتي
حملتُ هول المنايا	حشرتُها .. وكأني	صحبها في سُرايا	وبالذنوب اللواتي
إلى المتاب خطايا	وجئتُ ندمانُ أُنجمي	تَبَتَّلِي وهدايا	ورحتُ ألقى لدينها
وضلَّ خلفي ورايا	حيرانُ ضلَّ أُمَامِي	تناهَشَتُهُ المنايا	فصرتُ قبرا غريبا
أرضى له وسمايا	وضلَّ أفقى. وضجَّتْ	منهَضَّرات صبايا	زفوا عليه غصونا
دمعى، ويبكى بُكَايا	أبكى، وبكى، ويبكى	لَقَعَتْهُمَا مِنْ غَايَا	وحملوه طيورا
مُولُولٍ مِنْ أَسَايا	وفي يدي غناء	تضم بعض الخطايا	وصرتُ بعض صلاة
غَرَفْتُهُ مِنْ دَمَايا	وحفنةُ من دعاء	تَمَشَّى الذنوبُ عرايا	وتوبة في خطاها
مُرْمِزٍ فِي دُجَايا	مُعَمِّغٍ فِي صَبَاحِي	للإثم صارت مطايا	كانها من خفايا
سَجِينَةٍ فِي الْحَفَايا	كانه صوتُ رؤيا	أضحتُ لديه مرايا	أو أنها من ربايا
في الليل ينفخُ نايا	أو حزنُ طير غريب	جريحتهُ تتعايا	ذهبتُ يوما ونفسي
صداه نفسُ الرازيا	أو مُستجيرُ تلي	مدمدمٌ فِي الْخَنَايا	وللمعاصي عواءُ
يرد صوتُ البلايا	أو مستغيثُ عليه	تغافلته العشايا	كانه صوت ذئب
دعاؤه من دعايا	أو ضارِعُ فِي زَوَالِ	من الهجير كخطايا	أَوْحَ أَفْئِي شَوْتَهَا

خواتم عافت

للشاعر محمد أحمد العزب

ورأيت في عينيه أشواق . وأشواقى وجدنى
وصراخ أيامى المبيض هز آفاقى ودرنى

قلبى الذى أودى به الحرمان مشدود إليه
وخريف أحضانى المبعثر فى الثرى باك عليه
ويداى باحثان فى ليل الشroud على يديه
لو كان لى . . لارقت أيامى ضراعات لديه

لكننى أصحو . وأغفو . وهو ما زال ظنوننا
أترأه يسرف فى الدلال لكى أزيد به جنونا
إلى أحبك يا صغيرى خاطرا ، حلوا ، حنونا
أفلا أحبك ملء أحضانى تناغينى اللحونا

بهواك . لو أقبلت رفاف العواطف والشعور
تنساب فى بساتنك العذراء أسرار العصور
لنثرت فوق دروبك البيضاء آلاف الزهور
ومهدت من قلبى لوثبك ملعباً ضاحى البكور

أم يا ترى أنى أناغم فيك وهما ضائعا ؟
وأعيش منك على ربي الأحلام حلما دامعا
يعوى الفراغ بقلبي الذاوى رهيبا جائعا
وأنا هنا ... قبس يغالب فى الدجون زعازعا

جن المساء ، ولم أزل حيرى على الدرب البعيد
أقلس الدف الحنون يشع من عيني وليد
وأكد أتهب الخطى للفجر . . للأمل الشهيد
لكننى أبداً أعود وفى يدى صدق النشيد

جن المساء . ولم يزل مهد الصغير . بلا صغير
لا شيء غير حطام أمنية هناك على السرير ١١
وضباب أشواق بمنزلة الأغاني والعبير
وطيوف آمال مبعثرة على العهد الوثير

عينان ترتعشان فى الأفق المنعم بالنجوم
وأنا أصيح إلى بكاء صغير جارتنا النجوم ١١١
وأحس لذع النار فى قلبى . . وولولة الغيوم
فأصم سمى دونه وأضيع فى حلك الهموم

أبدا يحوم خلف أستار النوافذ خاطرى
متقلبا بين المهود البيض مثل الطائر
فيضمها بجناحه الرفاف ضمة عابر
ويعود تخنق الهواة بدمعه المتناثر

وأنا مخبلة العواطف أرهف الحرمان حبي
إن لاح لى طفل ظمئت إلى ابتسامته بقلبي

هذى أنا . . صوت نطم في حواشيه الصدى
وسراب دنيا من خيالات تلتفتها الردى
وحطام سوسنة تلاشى العطر فيها والندى
ودموع ليل أطفأت فيه الدياجى فرقدا
أأعيش عمرى في ضباب الوهم بلهاء الرجاء ؟
كالطيف لا غدى لى . ولا ماضٍ أخلفه وراء ؟
يا للجراحات التى تتمص " أعماق الظاء !
وتلفنى فى ليل آلام جريح الكبرياء !
العشب فى صدر الحقول طفولة متناغية
والزهرة الغيداء بنت الدوحة المتهايدة

محمد أحمد العزب

كلية اللغة

بقية شاطئ التوبة ،

يقول يا رب هذا	لئى وهذا بقايا	ولا لغيرك . . درى	يا رب يوماً ندايا
وذاك كدربى وهذى	على الطريق عصايا	إليك أنت صباحى	مصعد ومسايا
ماكنت أعمى . . ولكن	أعمى المغنى شجايا	عبدان فى الذل تاهيا	ونهنكا بالخطايا
دق الدفوف . . فطارت	أرضى له وسمايا	فاسكب ضياءك لى	ظمان ضل صدايا
وطرت عبداً ، أنادى	فى سحره مشتهايا	لم أدر . . من أى نبع	أستقى الأسى من أسايا
ربما عفوك . . لى	للنور مدت يدايا	والشط . . لا ماء فيه	يطفى اللفظ فى حشايا
بسطت للنور قلبى	وجئت ألقى هوايا	رُحماك . . بارب لى	وزورق والخطايا
وأشتكى طى صدرى	درباً سحيق الطوايا	فى مجلة . . ليس فيها	من الضياء بقايا
به بدأت . . ولكن	لم أدر ما منتهايا	جفت وغاضت . ولكن	ما زال فيها رجايا
لم أدر بأسى فيه	ولا عرفت رجايا	غفرت أم لم . . فانى	مازلت أدعوك يا (١)
ولا عرفت كذوبى	ولا عرفت هدايا		
ولا عرفت ظلامى	ولا عرفت مضايا		

محمد أحمد العزب

(١) يارب - يارب .

مَائِقَاتُ الْعَنْزَالِ سَلَامِي

الشرق الأدنى الاسلامي

للأستاذ عباس محمود العقاد

ومن بحوث هذه المجموعة بحث تكلم فيه الدكتور فيض عن جوهر التعاليم الإسلامية كما بسطها الشاعر الفيلسوف محمد إقبال والوزير العالم أبو الكلام آزاد ، وخلاصة هذا البحث أن رسالة محمد إقبال تقوم على إحياء سنن الإسلام ، الفعال ، واجتناب الصوفية ، السلبية ، التي شاعت بين المسلمين في عصور التخلف والجمود ، وأن حكمة الإسلام جميعا تتلخص في الفاتحة كما فسرهما أبو الكلام آزاد . لأنها خلاصة الإيمان بالربوبية والهداية والأدب القويم والتبعية التي بناط بها الثواب والعقاب في يوم الدين وبحث آخر من بحوث المجموعة يعرض للدعوة الغربية في الأمة التركية ويشرح الفرق بين المنظرين في حركة الاستغراب ، وبين القائلين باقتباس الحضارة الغربية مع الترفق والاعتدال ، ويكاد الباحث أن يرد هذا الفرق إلى مدلول كلمة « ملة » عند الحزبين فإنها تشمل معنى الدين عند المتحفظين في اقتباس الحضارة الغربية ولا تفيد غير معنى

أشرفت على تنسيق هذا الكتاب وتوزيع موضوعاته جامعة « تورنتو » بكندا . وأصدرته ملحقا لمجلتها الربعية ، أي التي تصدر أربع مرات في السنة ، وعمدت في كتابته إلى ثمانية من علماء الدراسات الإسلامية يحاضرون طلبة الجامعات في مسائل الشرق الإسلامية ، ومنهم سير هاملتون جب المستشرق المعروف وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، والأستاذ فيض الذي كان سفيرا الهند بالقاهرة ووكيلا لجامعة جامو وكشمير ، والأستاذ مانجو رئيس القسم التركي بدار الإذاعة البريطانية ، والأستاذ بكنجهام عميد الدراسات الإسلامية بجامعة مانشستر ، والأستاذ نيازي بركيز عضو معهد الدراسات الإسلامية بجامعة ماجيل ، والأستاذ سافوري الذي يحاضر طلاب جامعة لندن باللغة الفارسية في الشؤون الإفريقية والشرقية . والأستاذ ويكنز مؤلف كتاب (ابن سينا العالم والفيلسوف) والأستاذ كلشا بجامعة أدنبره .

الغربيين يعتبرون هذه الحالة حالة فراغ ينتظر الامتلاء Vacuum كأنهم يحسبون أن خروج ديلة من أحد الأقطار الشرقية يتبعه دخول دولة أخرى أو يظل ذلك القطر « فارغا ، لا يستطيع أبنائه أن يملئوه بنظام يعوضه من النظام الأوربي المفقود .

ومما يدعو الساسة الغربيين إلى هذا التفكير شيوع الاعتقاد بين مراقبي الأحوال في البلاد الشرقية بانقضاء العهد الذي كان الإسلام فيه « قوة فعالة ، في تكوين النظم الاجتماعية والسياسية ، باعتباره « قسطاسا ، مرجيا من الشعائر المعمول بها والفرائض المتبعة والعادات السارية في شئون المعيشة اليومية .

يقول السير هاملتون : إن هذا التفكير لا يطابق الواقع ؛ لأن المسلم هو المسلم في رأى نفسه وليس هو المسلم على صبغة يصبغه بها الأجانب عنه حسبا يتصورونه من شعائره وفرائضه وعاداته ، ولا يصح أن نفهم أن المسلمين ابتعدوا عن حظيرة الإسلام وهم أنفسهم يشعرون بأنهم مسلمون يغارون على العقيدة الإسلامية ويريدون البقاء في حظيرة هذه العقيدة .

يقول : وليس بين البلاد الإسلامية بلد أعلن عن رغبته الصريحة في الاستغراب أو « التغرب ، باستثناء البلاد التركية ، ولكن البلاد التركية أيضا لاتعلن هذه الرغبة

الوطن أو الأمة عند أنصار « التغرب ، المطلق من قيود التحفظ والاعتدال .

وبلى ذلك بحثان عن الأدب التركي الحديث ولا سيما أدب القصة ، وعن الأدب الفارسي الحديث ولا سيما أدب الشعر ، ويقترن به بحث آخر عن البلاد الفارسية عامة منذ إعلان الدستور وقيام الحكومة النيابية .

وقد خصصت مجلة الجامعة بحثاً من هذه البحوث للأدب العربي الحديث ، انتهى كاتبه إلى المسائل الدينية التي توفر عليها بعض الأدباء المحدثين ، فكان من رأيه أنها تدل على تجدد الثقة بالنفس بين كتاب العرب المسلمين ، وليست لها صبغة الشعائر والعبادات .

أما البحث الشامل للوجهة العامة بين أطراف الشرق العربي الإسلامي من جميع نواحيه فهو الموضوع الذي قدمت به المجموعة وعهد به إلى السير هاملتون جب فوفاه حقه من الدراسة العلمية مع الزام الحيدة الواجبة في المسائل السياسية ، وتنجلي هذه الحيدة من تعليق الكاتب على آراء الساسة الغربيين ومجلة المفكرين الاجتماعيين التي يصورون بها « حالة ، للشرق الإلامى بعد استقلال شعوبه عن سيطرة الدول الغربية ثم يدنون عليها تقديرهم لمصير هذا الشرق كما يتصورونه أو يتمثلونه .

فالسير هاملتون جب يرى أن الساسة

به أن يؤسسه على قواعد النظم الأوربية الحديثة ، ويتميز هذا المجتمع الجديد بظهور قوة اجتماعية غير قوة السادة حكام القرن الثامن عشر وغير قوة خلفائهم الذين حاولوا أن ينقلوا إلى الشرق نظم الغرب وأنماطه الحكومية .

هذه القوة الجديدة لا تنزع إلى التخلص من ديانتها كما تفهمها وتشعر بها على الرغم من ظنون الأجانب الذين يقيسون غيرة المسلم بمقياس الشعائر و « الطقوس » ، المرعية ، فإذا استدعى العصر الحاضر تغييرا في مبادئ المجتمع فإنما هو التغيير الضروري الذي تفرضه طبيعة العصر ويؤدي إليه اشتراك خبراء الصناعة والاقتصاد ، والتعاون بين هؤلاء الخبراء وبين المستنيرين الكفاة لتوجيه الأعمال والاضطلاع بمطالب الحياة الحديثة ، ويختتم السير هاملتون جب بحثه الموجز بهذه العبارة التي نترجمها بحرفها :

قال : « لئننى لا أرى أية علامة في الشرق الأوسط على احتمال قريب لقيام دولة شيوعية ... أو قيام دولة ديمقراطية من طراز أية دولة غربية ، ولا بد لكل هيئة من هيئات الحكم في العالم العربي يراد لها الاستقرار المعقول أن تجمع بين إرضاء الشعور العربي والشعور الإسلامى في وقت واحد ، .

عباس محمود العقاد

اليوم بتلك الثقة التي أعربت عنها منذ عشرين سنة ، وفيما عدا هذا الاستثناء الضعيف يغلب على أبناء العصر من المسلمين الذين ينتمون على مساوى العصر الحاضر أن يحملوا الغرب أوزار هذه المساوى ولا يعلقوا آمالهم في الإصلاح بمشابهة الغرب والافتداء بأئمه في جملة أحوالها .

وقد تابع الكاتب مراحل التطور منذ مائة وخمسين سنة فقال إن الأمم الإسلامية - منذ ثلاثة أجيال - مرت بمرحلتين قبل المرحلة الأخيرة ، وهى المرحلة الحاضرة . فالصدمة الأولى زعزعت دعائم التقاليد الغابرة فانقضت المرحلة الأولى بانقضائها وخلفتها مرحلة النظم الغربية المستعارة ، إلى أن ظهر فشلها فانقضت هى أيضا بانقضاء عهد الأموال الأجنبية .

واليوم يعود الشرق الإسلامى إلى موارده و يقيم مجتمعاته على أسس الاقتصاد الحكومية أو على الأسس التي تنجح المشروعات الشعبية في إقامتها وتدعيمها ، ولا غنى عن خبرة الصناعة والإدارة ومعونة المثقفين والمستنيرين لتوطيد المشروعات الشعبية .

فالمجتمع الجديد مجتمع غير المجتمع الذى استقر زمنا في أيدي حكام القرن الثامن عشر ، وغير المجتمع الذى استقر زمنا بمعونة « رأس المال » من الخارج وحاول القمامون

الكتاب

نقد وتعریف

بقلم — محمد عبد الله السمان

١ - منهج التربية في القرآن :

وحدة الإله المعبود ، ووحدة النظم والنواميس التي تشمل كل مافي الكون ، ثم وحدة القوة ، والأمم والمنشأ والمصير ، هذه الوحدة الشاملة هي أساس العقيدة في القرآن .

ثم تحدث عن منهج الفكر ، فالقرآن كان فتحاً جديداً في تاريخ الفكر : حرر العقل ، وأعلن الثورة على التقاليد والأهواء ورجال الدين .

وتحدث المؤلف عن منهج العبادة ، فدلّل العبادة في القرآن شامل لا يقتصر على الفرائض لأن الحياة في منهجه وحدة ، كل ما فيها لله ، لا يفصل بين طريق الدنيا ، وطريق الآخرة . ثم تحدث عن منهج الدعوة والداعية ، والدعوة هي الإسلام - والداعية هو رسول الله صلوات الله عليه ، وكيف استطاع الداعية مستعينا بدعوته - أن ينقل جيلاً من الناس من حياة استقرت فوق الحضيض ، إلى حياة استقرت فوق الثريا .

وتحدث عن ميزان القيم ، فالقرآن منهج حياة متكامل ، تنبثق أخلاقه وعباداته

للاستاذ محمد شديد .

نشرت هذا الكتاب في حوالي ٣٧٠ صفحة مكتبة الآداب بالقاهرة ، وقد جعله المؤلف في حوالي عشرة أبواب تناولت في إطناب : الرعيل الأول الذي تربى في المدرسة الأولى في دار الأرقم ، هذه المدرسة التي خرجت قلة من الناس ، أسس بها رسول الله فيما بعد خير أمة أخرجت للناس ، أنشأت حضارة وإنسانية .

وفي الباب الثاني : تحدث عن منهج الفطرة فالنفس البشرية حصن أحكم وأفقاله ، ولغز معقد حير الفلاسفة ، وعمل القرآن الأول ، هو رد هذه النفس البشرية إلى فطرتها السليمة وتحريرها مما علق بها من أضرار الوراثة والبيئة .

وفي الباب الثالث : تحدث المؤلف عن منهج المعرفة والعلم فالمنهج القرآني في التربية يقوم على الإيمان بحقيقة الوحدة في الكون ،

ذلك مما يحتم علينا تقديره وتكرار الشكر
لدراساته .

٢ - المعاملات الحديثة وأنظمتها :

لصاحب الفضيلة الشيخ عبد الرحمن عيسى .
المؤلف هو أستاذنا مدير تفتيش العلوم
الدينية والعربية بالأزهر ، والكتاب عرض
موجز لحكم الشرع في المعاملات الحديثة ،
ويكاد يعتبر هذا الكتاب الأول من نوعه
كما يقول فضيلة الأستاذ الكبير وكيل الجامع
الأزهر في تقديمه له ، إذ أسوعب جميع
المعاملات الحديثة على وجه التقريب ، والتي
هي بين أخذ ورد وإجازة ومنع بين فقهاء
المسلمين قديما وحديثا .

في مدخل الكتاب بحث « عن الربا
 وأنواعه ، أحاط به إحاطة دقيقة ، وأوضح
منهج المؤلف في هذا الكتاب بالنسبة لمشكلة
الربا ، ثم تناول الكتاب البنوك بأنواعها
ومعاملاتها ، ثم تناول صندوق التوفير
بالبريد ، وأجاز شرعا التعامل معه ، باعتبار
هذا التعامل مضاربة والمضاربة جائزة شرعا .
أما الشركات بشق أنواعها . فقد عرضها
الكتاب عرضا جيدا ، ولم بحجة إتقانها للمأما
عميقا ، فالشركات نوعان : شركات الأشخاص ،
وتشمل هذه الأشكال القانونية : شركات
التضامن ، التوصية البسيطة ، المحاصة ، ويرى

وشرائعه من عقيدته ، فهي الأصل ، ومن
ثم جعلها ميزانا لأقدار الناس وقيم الحياة .
ثم ختم كتابه فتحدث عن التربية في ظل
الأحداث ، فقد كان أسلوب تنزيله أساسا
لنجاح التربية وعمق أثرها في النفوس ، جعل
من كل هزيمة عبرة ، ومع كل نصر درسا ،
ولكل موقف تحليلا .

لقد بذل المؤلف مجهودا مشكورا في مؤلفه
ولكن موضوع الكتاب كما هو واضح من
عنوانه دراسة موضوعية ، إلا أن المؤلف
- وإن كان أحسن اختيار عناصر موضوعه -
كان ينقصه أن يجعل القرآن يستأثر بالدور
الأول في المنهج التربوي . ففي الفصل الأول
« جولة مع الرعيل الأول ، وقد استفد
حوالي ثمانين صفحة ، لم يكن ربط هذا الرعيل
بتربية القرآن واضحا ملبوسا ، كما كان مثلا
ملبوسا في الفصل الأخير « التربية في ظل
الأحداث » . وقد أكثر المؤلف من إيراد
القصص التي لا تتصل بموضوعه ، كما
أن أوجه المقارنة بين منهج القرآن في التربية ،
وبين غيره مما لم يكن به المؤلف ، كما أن
المؤلف اعتمد على تخريج الأحاديث في كتب
التفسير ، دون ما نظر إلى درجتها من الصحة
والضعف ، وقد ذكر من مراجعه ، ماذا
خسر العالم بالخطا المسلمين اللودودي ،
وهو لأبي الحسن الندوى وجهد المؤلف بعد

ليأمره لشبهات حول الشركات والتأمين ورده
لهذه الشبهات . .

وبقي بعد ذلك أن نقول : إن مثل هذا
الموضوع الدقيق الشائك كان في حاجة إلى إسهاب
وتبسيط ، ولعل ارتباط فضيلته بمنهج مقرر
حملة على هذا الإيجاز لتيسير مدخله على الطالب
وفضيلة المؤلف اضطر إلى الاعتماد على القياس
في كثير من مناقشاته للوضوح ، لاسيما وأن
معظم مسائله من المستحدثات .

ولفضيلة المؤلف بعد ذلك تقديرنا ، فقد
سد كتابه فراغا طال أمده في دراسة المعاملات
الحديثة على ضوء الإسلام .

وقد قدرت الإدارة العامة للثقافة الإسلامية
بالأزهر مكانة هذا الكتاب فقررت توزيع
عدد كبير منه على الأفطار الإسلامية
للانتفاع به .

٣ - الإسلام دين ودنيا :

للأستاذ عبد الرزاق نوفل

هذا الكتاب الخامس من سلسلة « مع
الإسلام التي تصدرها مؤسسة المطبوعات
الحديثة بالقاهرة والمؤلف معروف في
الأوساط الثقافية والإسلامية ببحوثه التي
لفتت الأنظار ، والتي تربط بين الإسلام

المؤلف الجواز شرعا في جميعها ، أما النوع
الآخر ، فهي شركات الأموال ، وتشمل
هذه الأشكال القانونية أيضا : شركات
المساهمة ، التوصية بالأسهم ذات المسؤولية
المحدودة ، وجميعها جائز شرعا ما دامت تمارس
عمليات تجارية وصناعية ، ولا تمارس عمليات
الإقراض والاقتراض بالربا .

وتناول الكتاب بعد ذلك الجمعيات التعاونية
بشئ أشكالها واتجاهاتها ، وهي جائزة شرعا ،
ثم تناول بورصة الأوراق المالية ، وسندات
قرض الإنتاج ، وهي من الأعمال المباحة
شرعا ، ثم تناول أوراق اليانصيب ، وأوراق
يانصيب السباق ، وأباح الأول وحرم الآخر
لأنه نوع من الميسر ، وتناول بعد ذلك عمليات
التأمين بأنواعه ، وحكمه الجواز شرعا ، وختم
المؤلف كتابه برأى الإسلام في المزارعة
وشركة المواشي وهو الجواز أيضا .

هذا عرض سريع للكتاب وهو مجهود
شاق بذله فضيلة أستاذنا في تعرف حقائق هذه
المعاملات - كما يقول فضيلة الشيخ إبراهيم
البرمبالي أستاذ التفسير بكلية أصول الدين
في كلمته عن الكتاب أيضا ، والواقع
أن الكتاب وضع فيه سعة أفق المؤلف
والمسامحة الواسع بهذه الموضوعات الشائكة ،
كما وضع جرأته في الحق ، وكان جميلا من فضيلته

دراسته لهذا الموضوع في كون الإنسان خليفة الله في الأرض، وأن السماء والأرض والنجوم كل أولئك مسخر له، والواجب عليه أن يعمل على الإصلاح ويتجنب الفساد، ويعمل على المحافظة على النوع الإنساني . . وما إلى ذلك - أما الشهوة التي تمثل الجانب الحيوى في الجسد، والصراع الدائم بينها وبين الروح فهذا مما لم يطرقه المؤلف، لاسيما وأن بعض المسلمين من الصوفية كانوا يتغنون - في إخماد شهواتهم مستعينين بقوة الروح .

نعم - لقد أحاط المؤلف بموضوع الكتاب إحاطة شاملة، وكنا نأمل أن يجرى دراسة أكثر منه تجميعا للشواهد القرآنية المزدحمة لتدخل في إطار واحد تحت عنوان واحد، وللمؤلف بعد ذلك جهوده الموقفة في دراساته الإسلامية .

الوصايا العشر :

الأستاذ خالد محمد خالد .

نشر هذا الكتاب الجديد للأستاذ خالد مكتبة وهبة بالقاهرة، وهو كتاب جديد في موضوعه : بالنسبة للكاتب الأستاذ خالد محمد خالد وقد يختلف كثير من الناس في كتابات الأستاذ خالد، إلا أن كثيراً أيضاً من معارضيه يتمتعون بقسط وافر من

والعلم الحديث فهناك : القرآن والعلم الحديث، الإسلام والعلم الحديث، الله والعلم الحديث، ثم المسلمون والعلم الحديث، هذه الكتب التي احتلت لنفسها مكانة مرموقة، ونرجو أن نوفق في القريب، إن شاء الله، لتقديمها معا ووضعها فوق مشرحة النقد الحر .

جاء هذا الكتاب الأخير في عشرة فصول : العرب في الجاهلية وكيف انتقل الإسلام بهم من الدعة والخنول إلى النهوض والعمل، ثم الإسلام دعوة إلى الدين والدنيا معا، والوسيلة في الإسلام، وكيف كانت حاجزاً بين الإفراط والتفريط في الدين والدنيا معا ثم اهتمام الإسلام بالجسد والروح كليهما، ثم علوم الدين والدنيا في الإسلام .

وفي الفصل السابع : دعوة الإسلام إلى العمل والعبادة، وفي الثامن : مكان القوة في الإسلام، وفي التاسع : الدين والدنيا في حياة الرسول، وفي الفصل الأخير صور من حياة المسلمين الأول، وأنهم كانوا رواد دين ودنيا . لقد عني المؤلف بالشواهد من القرآن فزحم بها الموضوع حتى كادت الأفكا رالتى من أجلها سيقت للشواهد تختنق، واضطر مع كثرة الشواهد أن يبعد قليلا عن الإطار الذى رسمه لفكرته فثلاثي الفصل الرابع : اهتمام الإسلام بالجسد والروح، كنا ننتظر من المؤلف ألا تنحصر

- ٨ - تقبل وجودك وطوره .
 ٩ - ول وجهك شطر الله ، فإنه حق .
 ١٠ - وطله مسئوليتك بالحرية ، وحصن حياتك بالعدل .

وإذا كان الأستاذ خالد قد جال بنا جولة طيبة في وصايا العشر ، إلا أنه في الوصية التاسعة « ول وجهك شطر الله ، فإنه حق ، وضع يدك في يده فإنه نعم النصير » ، في هذه الوصية كان أكثر دقة وعمقا وتحليلا ، لا سيما حين أشار إلى أن الله سبحانه - ليس موضوع الدين لحسب ، بل هو موضوع العلم والفلسفة ، والأدب والفن وموضوع الحياة كلها ، وحين ذكر أن قضية الإيمان بالله لا تتعرض للخطر بسبب تحكيم العقل ، والله سبحانه حين دعا الناس إلى التعرف عليه ، لم يقدم نفسه إليهم في ألغاز وأساطير ، بل قدم حقيقته عن طريق ما يشاهدون من آثار ، ودعاهم أن يستغلوا عقولهم في الاهتداء إليه .

كنا نود أن تكون كل وصايا المؤلف في مثل مستوى الوصية التاسعة ، وأن يكون للإسلام جولة كبرى في جميعها ، إلا إذا كان المؤلف قد أثر السلامة كما ، كنا نود أن لا يسوق المؤلف كشاهد ، شعر ابن العربي ، الذي زعم فيه أن قلبه أصبح قابلا كل صور العقيدة السليمة والزائفة والزائفة ، وذلك ليتخذ السكاتب منه مسندا

الزمت ، والذي لا يختلف فيه اثنان أن للأستاذ خالد رأيا حرا ، وهذا أساس متين يجب أن تقوم عليه شخصية العالم المفكر أولا ، والمجتمع المفكر الحر يجب أن يتسع صدره لكل رأى مفكر حر ، فإذا صدم أصلا من أصول العقيدة ، فسوف لا تهتز العقيدة لحظة واحدة ، وإذا أصاب وضعا من الأوضاع الاجتماعية السليمة المتينة فسوف يتحطم قبل أن يمس هذا الوضع .

وقد يظن ظان أن الوصايا العشر في كتاب المؤلف هي الوصايا العشر المذكورة في التوراة ، والواقع أنها وصايا عشر جديدة ، لبناء الشخصية لتسلك طريقها في الحياة ناجحة ، وهذه هي وصايا :

- ١ - أهلت عصور الحب فودع الكراهية .
- ٢ - لا تدع الخوف يفكر لك أو يشير عليك .
- ٣ - اسبح قريبا من الشاغل . وارتركب أنظف الأخطاء .
- ٤ - أحل روح الرواد وابحث عن الدروب غير المطروقة .
- ٥ - لا نعش وعلى عينيك عصاة ، وامض بصيرا .
- ٦ - عش صديقا طيبا .
- ٧ - اقرأ في غير خضوع ، وفكر في غير غرور .

بإيجاز للجميع فيضيف معلومات جديدة لطالب العلم .

كما أن المؤلف لم يلزم شرح بعض الألفاظ والكلمات الصعبة التي وردت في الكتاب ، وكان الأجمل به أن يشرحها ليعين على فهم النص كما وعد في منهج الكتاب ، فلا أظن الطلبة أن يدركوا بدون مشقة : يوم ذى قار ، واهجر في مليا . يمضغان عليك . أمست بفالج وهكذا .

والمؤلف لجأ في إيراد الشواهد أحيانا إلى شعر ابن الفارض ، على ما في بعضه من الغاز ترتفع فوق مستوى الطالب ، وبقي الكتاب بعد ذلك منهجا جليل القدر في دراسة علم المعاني ، وقد بدا فيه واضحا مجهود المؤلف الفاضل .

• • •

٦ - في ظهول العقيدة :

للأستاذ محمد عبد العزيز أحمد .

هذا الكتاب يقول المؤلف - بدافع من الأمانة العلمية - في مقدمته : إنه كلمات وآراء نشرت أكثرها في فجر الشباب ، ووجهتها إلى الشباب ، أدعواهم إلى حق الله والنفس والمجتمع . . . أدعواهم إلى العقيدة السليمة والسلوك الرفيع ، والوطنية الفاضلة .

هذه الكلمات والآراء جاءت تطبيقا صحيحا

لفكرة الحب للجميع ، وذيق ابن العربي ليس في حاجة إلى دليل .

٥ - توضيح المعاني في البلوغ :

لفضيلة الأستاذ علي العار

المؤلف من كتاب مجلة الأزهر المبرزين ، وهو مدرس بالأزهر الشريف ، وكتابه هذا - وإن كان خاصا - إلا أنه في موضوع وثيق الصلة بالثقافة الإسلامية والعربية .

تناول الكتاب دروس المعاني : الخير والإنشاء ، المسند والمنسد إليه ، القصر الفصل والوصل ، الإيجاز والإطناب والمساواة .

كان المؤلف في شرحه لدروس المعاني : وسطا بين طريقتين ألفهما الطلاب في كتب البلاغة الأولى ، العناية بالقواعد والإيجاز في إيراد الشواهد ، والثانية على العكس ، أما المؤلف فقد عنى عناية ملبوسة بالقاعدة والشاهد معا .

وكان المؤلف موفقا حين شرح شرحا مبسطا ما ورد في الكتب من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية ، والأشعار المختارة ، بما يعين على فهم النص وتذوقه .

وكان موفقا أيضا حين اختار من التريينات نماذج وأجاب عنها إجابة وافية ، وذلك ليعين على تثبيت القاعدة في الأذهان .

إلا أن المؤلف ترجم لبعض أصحاب الشواهد وترك البعض الآخر ، وكان الأكمل أن يترجم

لهدف الكاتب ، تناولت العقيدة في جوانبها الثلاث : الله ، والإنسان ، والمجتمع ولكنها تناولت أيضاً الوطنية والسياسة والأدب ، والأنظمة والمذاهب الفكرية ، وختمت بمقال

عن الانجليز في ميزان السياسة ، وخواطر عن الصهيونية ، ثم كلمات مختارة في صلاح النفس والضمير ، كما تناولت الكلمات ذكريات المؤلف في الوطن العربي وفي رحاب الجامعة .

كان في استطاعة المؤلف أن يعنى بتخطيط كلماته وآرائه ، فيلم شمل بعضها على بعض ، ويبعث الروح الجديدة في كلماته القديمة ليجعل منها لبنة قوية في بناء العقيدة ، إلا أن المؤلف لجأ إلى تقسيم كلماته إلى إسلاميات ووطنيات واجتماعيات وذكريات ، ولكنه لم يلتزم إبداع كلماته كل في الإطار الذي وضع لها ويلائمها .

فمثلاً جاءت هذه الكلمات متجاورة : تحية العيد ، كفاح فلسطين ، ثورة على الفاجرين

وهم المجاهرون بالفطر في شهر رمضان ، مناجاة الفضيلة ، رسالة إلى أحد شباب العراق ، وأنت لا ترى أية رابطة بين هذه الكلمات ، ولا أى تناسق يمكن أن يؤلف بينها .

والكاتب جارى الناقلين على المدنية الحديثة من أشباه المتدينين ، فهو يتحسر ، لأن المدنية بقدر ما سمحت من نواحيها المادية والنظرية ، لم تعن بالأخلاق والفضائل ، ولم تقم وزناً للروح والمثل العليا .

ما أشقى العالم اليوم بهذه المدنية التي عرفت كيف تخترع قنبلة تدمر الحضارة ، وتقضى على الملايين ، ولم تستطع أن تخترع دواء للزكام . .

هذا كلام لا ينصره جانب من المنطق ، وللعاطفة التدينية فيه أثرها ، هذا ولم يدع السكتاب كلمات قوية جياشة بعمق الفكرة وسلاسة الأسلوب .

كرامة العلم

طلب هرون الرشيد إلى الإمام الشافعي أن يحضر إليه فقال : يا أمير المؤمنين . العلم لا يأتي ولكن يؤتى إليه .

أَنْبَاءُ الْأَزْهَرِ

الأكبر كثيرون من كبار العلماء ورجال السلك السياسى وطلاب الأزهر وغيرهم .

وكان أول بلد نزله فضيلته : الملايو فاستقبل فيه استقبالا حافلا .

وأقام السيد جعفر البار مساعد وزير الاستعلامات بحكومة اتحاد الملايو مأدبة عشاء تكريماً لفضيلته ، وشهد المأدبة السادة الوزراء وأعضاء سفارة الجمهورية العربية المتحدة ورجال الدين الإسلامى ورجال الحكومة .

وقد ألقى فضيلة الأستاذ الأكبر كلمة أعرب فيها عن سروره البالغ لهذه التحية من أهل هذا البلد الكريم وبخاصة الشبان منهم الذين يحملون مسئولية الدفاع عن الدين والوطن ، وقال : « إن الأزهر على استعداد لتقديم كل مساعدة لإخواننا فى الإسلام ،

ورد السيد جعفر البار بكلمة قال فيها : إنه يأمل أن يقوم رجال الأزهر بمزيد من الزيارات للملايو على نطاق أوسع لتعزيز العلاقات بين المسلمين .

رحلة فى سبيل الإسلام :

غادر فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر مطار القاهرة فى الساعة الواحدة إلا ربعا من صباح الأربعاء ١٨/١/١٩٦١ فى رحلة إلى الملايو وأندونيسيا والفلبين لتوثيق عرى الأخوة والمحبة بين المسلمين على رأس وفد مكون من السادة الاستاذة :

الدكتور محمد محمد البهى

مدير الإدارة العامة للثقافة الإسلامية

والدكتور أشرف غربال

المستشار بوزارة الخارجية

والشيخ محمد عبد التواب

مفتش عام الوعظ

والأستاذ أحمد نصار

مدير مكتب شيخ الجامع الأزهر

والأستاذ محمود سليمه

المحرر بوكالة أنباء الشرق الأوسط

والشيخ محمود خليل الحصرى

شيخ عموم المقارىء بالجمهورية العربية المتحدة وقد اشترك فى توديع فضيلة الأستاذ

وأدى فضيلة الأستاذ الأكبر فريضة الجمعة يوم ٢٠/١/١٩٦١ في مسجد عاصمة الملايو وقد غص المسجد بالآف من المصلين. وألقى فضيلته تفسيراً لآيات الهجرة التي تلاها عليهم الشيخ محمود خليل الحصري، وتحدث فضيلته إلى المصلين شارحاً لهم رسالة الأزهر في شتى أنحاء العالم الإسلامي.

وكانت كلية كلاج، قد أقامت لفضيلته حفل استقبال فخماً تكريماً لفضيلته ولأعضاء البعثة المرافقة، وكان في مقدمة المستقبين لفضيلته السيد عبد الرحمن بن الحاج طالب وزير التربية والتعليم بالملايو.

وأقامت سفارة الجمهورية العربية المتحدة في الملايو حفل استقبال تكريماً لفضيلة الأستاذ الأكبر حضره الوزراء والسفراء وكبار الشخصيات في كوالالمبورسا.

وزار فضيلة الأستاذ الأكبر السيد عبد الرحمن الحاج طالب وزير التربية والتعليم بالملايو رداً على زيارته لفضيلته وإقامة حفل تكريم له، وقد دامت المقابلة مدة طويلة بحثت فيها حاجة الملايو من الأسانذة الأزهريين، كما بحثت فيها المنح الدراسية التي سينظمها الأزهر لطلاب الملايو.

وزار فضيلة الأستاذ الأكبر السيد تنكو عبد الرحمن - رئيس وزراء الملايو - وقد دامت المقابلة ساعة وكانت ودية للغاية،

وتناول البحث فيها الشؤون الثقافية الدينية بين الملايو والأزهر، وقد وعد السيد رئيس الوزراء بإيفاد أستاذ من الملايو لتدريس اللغة الملايوية في الأزهر. وفي المساء أقام فضيلته حفل استقبال بمناسبة سفره إلى (جاكرتا) ليعتض في أسبوعين في زيارة رسمية.

الأستاذ الأكبر في أندونيسيا

وبعد أن قضى فضيلته ثلاثة أيام في الملايو غادرها إلى أندونيسيا.

وقبل مغادرته المطار صرح فضيلته بأنه سيعقد مؤتمراً من مختلف البلاد الإسلامية لبحث تفسير القرآن فيما يتعلق بالاقتصاد الدولي. وقد سأله السيد تنكو عبد الرحمن رئيس وزراء الملايو عن حكم الإسلام في مصارف الزكاة. كما سأله رئيس الإدارة الاقتصادية عن استثمار رأس المال فأجاب عن السؤال الأول بأن أموال الزكاة يجوز الانتفاع بها في أي مكان خارج الدولة أو المنطقة التي جمعت منها، وصرفها في خارج الدولة مشروط باستغلالها من أجل المصالح العامة للمسلمين أو في الدعوة من أجل الإسلام. وأجاب عن السؤال الآخر بأن الإسلام لا ينهى عن استثمار المال في المشروعات العامة وشراء الأسهم والسندات لصالح الاقتصاد العام، إذ أن القرآن لا يحرم ذلك.

الاستاذ الأكبر في ما كرنا :

وصلت الطائرة المقلّة لفضيلة الاستاذ الأكبر إلى مطار جاكارنا في الثامنة من مساء من يوم ٢٢ / ١ / ١٩٦١ وكان في استقباله حوالي ٥ آلاف من شيوخ أندونيسيا وشبابها وممثلين لمختلف الهيئات والمدارس والجامعات . وقد انتظم الطلبة وفرق الكشافة في صفوف طويلة ، وعندما هبط فضيلته من الطائرة تقدم إليه وزير الشؤون الدينية نيابة عن الحكومة وبعض الوزراء وكبار موظفي الدولة مرحبين فضيلته أعظم ترحيب .

وفي استراحة المطار احتفى بالشيخ الأكبر لفيف من الخطباء ، وفي صباح اليوم التالي بدأ الاستاذ الأكبر بزيارة السيد وزير الشؤون الدينية في مكتبه وعلى طول الطريق اصطف المسلمون لتحية فضيلته وقد تجمع موظفو الوزارة أمام مكتب الوزير وخارجه حيث وضعت مكبرات الصوت ، ورحب السيد الوزير بفضيلته في كلمة قال فيها :

« إني أشكر الله العليّ القدير وأذكر بالفخر والاعتزاز أنني سعيد كل السعادة لاستقبال شيخ الإسلام ومرافقيه بمكسبي ، وقد كنا نترقب هذه الزيارة منذ العام الماضي . والآن وقد تحققت وتحقق أملنا العظيم فإني

أعود لأكرر الشكر وأحمد الله على هذه الفرصة العظيمة . »

ثم استعرض سيادته أعمال وزارته الدينية وأنها تألفت عقب قيام الجمهورية الأندونيسية المستقلة بفترة وجيزة ، وأنها تهتم كل الاهتمام بالأمور الدينية ، فبالدين وحده يمكن تحقيق الأمن والسلام . وكل ما أصدرته الدول الكبرى من بيانات ، وما جاء فيها من إيضاحات ومحاولات لم تستطع حتى الآن تحقيق الأمن والسلام العالمي . ونحن لا نستطيع أن نكره الناس على اتباع الدين والتمسك به ، فلا إكراه في الدين ، ، ولكن في اعتقادنا أنهم سيؤمنون بما جاء في الدين على أنه الطريق الوحيد لأمتهم وسلامهم . وقد يعتقد الناس أن مسؤولية وزارة الشؤون الدينية محدودة وبسيطة ، ولكنها في الواقع هامة ولازمة ، لأنها لا تترك شيئاً من الأمور الدنيوية إلا بحثته ووصلت فيه إلى نتيجة ، وكلنا يعرف أن حوالي ٩٠ ٪ من الشعب الأندونيسي يعتقد الإسلام ، ونعرف أيضاً أنه حتى الآن غير متمسك تمام التمسك بالدين وأعتقد أن هذه المسألة ليست في أندونيسيا وحدها ولكنها في جميع أنحاء العالم . ومن هنا نشأت مسؤولية هذه الوزارة . وبأندونيسيا عدد كبير من المدارس الإسلامية ويوجد بها أماكن للعبادة لا يمكن حصرها والوزارة فعلاً لا تعرف عددها وهذا يمكن

فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها، أنقذكم من نار التفرقة ومن نار الحزبية الفاشلة . ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، هذه مبادئنا يتكون منها المحور الديني لنا من غير زمان ومن غير مكان ومن غير أشخاص .

واعلموا أن المسلم للمسلم وإن تباعدت بينهما الديار كالدين تغسل إحداهما الأخرى ، وكالبنان يشد بعضه بعضا .

لقد انشرفت صدورنا بأندونيسيا وبأخلاق أبناء أندونيسيا بعد أن ترقبنا وانظرنا طويلا فرصة اللقاء حتى جاء اليوم الذى أراده الله لهذا اللقاء ، وقد بدأت رحلتنا فى شهر رجب وهو شهر الإسراء والمعراج الذى أسرى فيه المولى سبحانه وتعالى بحبيبه محمد ، وعرج به إلى السموات العلى فرأى من آيات الله الكبرى ما رأى ، ثم جاء شهر شعبان الذى حضرنا فيه إليكم وهو مقدمة لشهر رمضان وما فيه من ذكريات إسلامية عظيمة أولها نزول القرآن الذى هو أصل التوحيد وأصل العبادات ، وهكذا بدأت رحلتنا ، وكان هذا اللقاء الكريم فى أيام كريمة على الله

أبنائى .. حضرنا اليكم ولنا الشرف الكبير فى زيارتكم . فهى زيارة المؤمن لأخيه المؤمن

أن نقول إن الإسلام لا يزال بخير وأن دولة أندونيسيا الإسلامية ستعيش بخير ما دامت تواصل عنايتها بالإسلام ومبادئه . وقد رحب سيادته البررة الثالثة بفضيلة الأستاذ الأكبر متمنيا على يديه تحقيق آمال الإسلام وقيام الأمة الإسلامية العظيمة . ثم تحدث فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت قائلا :

« أبنائى شباب الشعب الأندونيسى ، سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد فأليكم تحية مباركة منى ومن زملائي ومن إخوانكم فى الأزهر ومن إخوانكم فى الجمهورية العربية المتحدة ومن السيد الرئيس جمال عبد الناصر إلى أخيه السيد الرئيس أحمد سوكارنو ، فالجميع وإن تباعدت ديارهم واختلفت لهجاتهم وقعدت لغاتهم كما أراد الله فنحن أمة الإسلام ، أمة واحدة . فالإسلام لا يعرف المكان ولا الأشخاص . إننا أمة واحدة بعقيدتنا وهى « لا إله إلا الله محمد رسول الله ، والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ، . تلك هى مبادئنا وهذه عقيدتنا ، فائقوا الله ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم

وقد صدر على أثر هذه المقابلة بيان مشترك بما دار بينهما من المسائل والأحداث جاء فيه أن مشيخة الجامع الأزهر ووزارة الشؤون الدينية الأندونيسية اتفقتا على التعاون الوثيق في شؤون التعليم بصفة عامة ودراسة الدين الإسلامى بصفة خاصة . وسيتبادل الجانبان المدرسين والطلبة الأبحاث والمحاضرات الخاصة بالدين الإسلامى .

وسيرعى الجامع الأزهر الشؤون التعليمية والثقافية للطلبة الأندونيسيين المتحقين بكليانه ، وسيستقبل خريجي المدارس الثانوية الأندونيسية بدون امتحان .

وذكر البيان أن الجامع الأزهر سينشئ جامعة إسلامية عالمية بالتعاون مع البلدان الإسلامية الأخرى .

الاستاذ الأكبر يزور الكلية المحمدية :

وفي الساعة الثانية بعد ظهر ذلك اليوم توجه ركب فضيلته إلى الكلية المحمدية فاستقبله أسانذتها وطلابها بالتكبير والترحيب ، وقدم إليه رئيس مجلس إدارتها نيابة عن الكلية هدية علمية نفيسة . وقد تحدث إليهم الأستاذ الأكبر شاكرآ لهم هديتهم وذاكرآ لهم أن الإسلام في أول عهده قام على أكتاف الشباب ، وإن له لأملا كبيرا أن يعود إليه عزه ومجده على أيدي هذا الشباب الناهض المؤمن من

وقد بدأها بزيارة السيد وزير الشؤون الدينية فانشرت صدورنا أيضا لهذه الوزارة وما اعترمت عليه من دراسات دينية والقيام على شؤون الدين الروحية والمادية ، ونحن هنا في بلدكم الكريم وبين شعبكم العظيم نذكر بكل شمر مؤتمرا باندونج وما أشاع على العالم أجمع من نور الحرية والسلام حتى أصبحت الدول الآسيوية الأفريقية تقف مزهوة تنفض عن كاهلها غبار الذل والاستعباد ، وأصبحت تتطلع إلى السلام العالمى الدائم ومنصل إليه بفضل الرئيسين العظميين أحمد سوكارنو وجمال عبد الناصر .

وإني إذ أحمل من أبناء أندونيسيا في القاهرة تحياتهم اليكم جميعا وتحية كل طالب إلى أبيه وأمه وأخيه أقول بلسانهم إنهم لا يشعرون بأنهم في بلد غير بلدهم ، فلا يشعرون بغربة أو بعد عن أوطانهم ؛ فوطنهم الجمهورى العربية المتحدة كما أن وطننا هو الجمهورية الأندونيسية الحبيبة .

« قل إننى هدى فى ربى إلى صراط مستقيم ديننا قىما ملة إبراهيم خنيفا وما كان من المشركين . قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » . وأختتم فضيلته كلمته بالدعاء للرئيسين جمال عبد الناصر ، وأحمد سوكارنو بالتوفيق فى خدمة الإسلام والمسلمين .

إن هذه الزيارة فرصة كبيرة للاتصال بالشعب الأندونيسي وسترون كيف أن الجامعات الإسلامية تحن وتشاق لرؤية شخصكم الكريم، وهي تحتاج أيضاً كل الاحتياج إلى معونتكم- الأدبية والثقافية، تحتاج للأساتذة والسكتب الإسلامية، ونحن ننظر هذه المعونة في أقرب وقت إن شاء الله.

كما تحدث عميد التربية عن تبادل الزيارات بين الجامعة الإسلامية والأزهر. ثم تحدث أحد طلبة الجامعة وطالب بالمعونة الثقافية العاجلة من أساتذة وكتب خاصة وأن جامعتهم تعرض لثقافات تأتي إليهم من الدول الغربية والدول الشيوعية بينما هي مستعدة استعداداً طيباً للثقافة الإسلامية الصحيحة، وأعرب عن أمل الطلبة في أن تكون هذه الزيارة دعماً للعلاقات الثقافية على نطاق واسع بين الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية الأندونيسية.

وبعد أن تعددت كلمات الترحيب وقصائد الشعر من أساتذة وطلاب الجامعة تحدث الأستاذ الأكبر قائلا: «أبنائي وإخواني أساتذة وطلاب الجامعة الإسلامية الحكومية، لقد حضرت الآن إلى الجامعة الإسلامية بعد أن قمت بزيارة وزارة الشؤون الدينية فلاحظت الارتباط العظيم بين التسميتين لأن الشؤون الدينية لا تتقدم ولا ترفع إلا بالإسلام

أبناء أندونيسيا، ودعاهم وجميع فروع السككية بالتوفيق في أن يغرسوا مبادئ محمد صلى الله عليه وسلم في قلوب الشعب الأندونيسي العظيم.

ثم قصد الركب مقر الجامعة الإسلامية الحكومية بجيبوتات وهي تبعد عن العاصمة بحوالي ١٧ كيلو متراً، وقد استقبله مديرو وعمداء كليانها بالهتاف بحياة الإسلام والمسلمين وبشيخ الأزهر والأخوة الإسلامية. وكان في استقباله أيضاً الشيخ آدم خالد رئيس حزب نهضة العلماء ورئيس مجلس إدارة الجامعة.

وبدأ الحفل بتلاوة من لقرآن الكريم تلاها أحد طلاب الجامعة، وبكلمة ترحيب من السيد عميد كلية التربية جاء فيها: «أن الجامعة الإسلامية الحكومية تحييكم أطيب تحية وتشكركم على تفضلكم بزيارة هذه الجامعة، وهي زيارة مباركة طيبة. فلكم الفضل والشكر على زيارتكم أندونيسيا التي تبعد آلاف الأميال عن بلدكم الطيب الكريم، وذلك بفضل القوة الإسلامية والجامعة الأزهرية وهي الرابطة الثقافية والعلمية لأن كثيراً منا قد تخرج من الجامعة الأزهرية، ونحن هنا يستقبل الأخ الصغير أخاه الكبير. وفي الحقيقة نحن مدينون للجامعة الأزهرية التي ندعو الله أن يحجزها عنا خير الجزاء.

بطريقة « بربل » من عمل طلاب معهد المكفوفين بالقاهرة الذين يدرسون بالأزهر والتابعين لجمعية النور والأمل .

في يومئذ :

استقبل الرئيس سوكارنو بعد ظهر يوم (١٩٦١/٢/٦) فضيلة الأستاذ الأكبر بقصر مردكا ، واستغرقت المقابلة نصف ساعة حضرها السيد وزير الشؤون الدينية ، وقد صرح السيد وهيب وهاب وزير الشؤون الدينية للصحفيين أن كلا من السيد الرئيس سوكارنو وفضيلة الأستاذ الأكبر كان يبدو عليه السعادة لهذه الفرصة الطيبة التي كان الجميع يتطلع إليها .

وقد عبر الرئيس سوكارنو عن أمله لفضيلة الأستاذ الأكبر في أن تكون الجمهورية العربية المتحدة مصدر قوة للروح الإفريقية والعربية وأن تكون أندونيسيا مصدر قوة للروح الآسيوية ، وبذلك تسير أفريقيا وآسيا بهذه الروح الصادقة في طريقها إلى سلام دائم .

وقد وجه السيد الرئيس سوكارنو الدعوة إلى فضيلة الأستاذ الأكبر ليؤم أول صلاة تقام في (مسجد الاستقلال) - وهو أكبر مسجد في أندونيسيا ، وذلك عند ما يتم بناء هذا المسجد العظيم .

والعلم ، فكان الارتباط بين الجامعة وبين الوزارة التي أنشئت لتحقيق آمال المسلمين الدينية والدنيوية . ويسرني أن أقول إن هذه أول مرة أرى في الدول الإسلامية وفي غيرها تسمية الجامعة باسم الدين والحكومة فهي الجامعة الإسلامية الحكومية . وإنني لأرجو أن تعم هذه التسمية وأن يكون العنوان مشتركا في الجامعات الدينية الإسلامية ، فالحكومية يجب عليها أن ترتبط بالجامعات حتى في تسميتها وإلا كان كل منها في معزل عن الآخر ، كما أرجو أن تستعير الدول الإسلامية هذه التسمية وتطلقها على جامعاتها فتتضح فعلا العلاقة بين الجامعة والحكومة .

وقد قدمت الجامعة الإسلامية في حفل عظيم درجة الدكتوراه الفخرية لفضيلته تقديراً لخدماته الإسلامية والسلمية . وألقى فضيلته محاضرات في جميع المدن والجامعات والمعاهد التي زارها . دعا فيها إلى السلام والتمسك بتعاليم الإسلام .

في بانمرونج :

وزار فضيلة الأستاذ الأكبر معهد المكفوفين بباندونج وقد عزف له الطلاب على آتم الانجكلانج ، قطعة موسيقية جميلة ، وقد أهدى فضيلته إلى المعهد مصحفا مكتوبا

ثم تقدم السيد مدير الجامعة فقدم
الدكتوراة الفخرية لفضيلة الأستاذ الأكبر
وسط عاصفة من التصفيق .

وقد ألقى فضيلة الأستاذ الأكبر كلمة
في هذا الحفل قال فيها : إن الرابطة التي بيننا
عمادها العلم والمعرفة وهما أساس الإسلام
والوحي الذي نزل على محمد عليه الصلاة
والسلام وإنكم حين تكرموني فإنكم تكرمون
الجامعة الإسلامية في القاهرة التي ظلت هذه
القرون الطويلة تعمل جاهدة للربط بين العالم
الإسلامي كما تكرمون الجمهورية العربية المتحدة
التي احتضنت جامعتنا الأزهرية .

واستطرد قائلاً : وإنكم اليوم قد وثقتم
العلاقات بين شعبي الجمهورية العربية المتحدة
وأندونيسيا ، وإنني لأرجو أن يزداد
التعاون بيننا ارتباطاً ، كما أرجو أن يوفق الله
الزعيمين العظميين جمال عبدالناصر وسوكارنو
إلى تحقيق العزة لشعبيهما وللإسلام وإلى خدمة
البشرية جمعاء .

وبعد أن انتهى فضيائه من كلمته أقيم حفل
شاي تكريماً لفضيلته والسادة مرافقيه
تبدلت فيه الكلمات الودية بين أعضاء الوفد
وعداء الجامعة وأساتذتها .

فى مسجد شرماء التمبر

قام فضيلة الأستاذ الأكبر بزيارة مسجد
الشهداء الذى أقيم فى جوجارنا تخليداً لذكرى

وفى أثناء المقابلة بين الرئيس سوكارنو
وفضيلة الأستاذ الأكبر - قدم إليه فضيلته
نسخة من القرآن الكريم مهداة من فضيلته
وموقعا عليها باسمه ، كما أهدى إليه فضيلته
مسبحة و (ألبوم صور) يضم الصور التي
أخذت عند احتفال الأزهر بالرئيس سوكارنو
بالقاهرة عند منحه درجة الدكتوراه الفخرية
من الأزهر خلال زيارته للجمهورية العربية
المتحدة .

الأستاذ الأكبر فى جوجارنا :

قامت الجامعة الإسلامية الحكومية
بجوجاكرتا بمنح الدكتوراة الفخرية إلى
فضيلة الأستاذ الأكبر وقد قامت هذه المناسبة
حفلاً كبيراً شهده السلطان همانو كوبنو التاسع
حاكم جوجا - والدكتور سونارينو مدير
الجامعة وعمداؤها وأساتذتها وكبار رجال
التعليم وعدد كبير من الطلاب .

وقد استهل الحفل بتلاوة القرآن الكريم ،
ثم ألقى الدكتور سونارينو كلمة رحب فيها
بفضيلة الأستاذ الأكبر .

ثم ألقى الأستاذ مختار يحيى عميد كلية أصول
الدين فى الجامعة الإسلامية كلمة استعرض فيها
حياة الأستاذ الأكبر وجهاده الطويل فى سبيل
الإسلام منوها بمؤلفاته وآرائه التى انتفع
بها المسلمون فى كل مكان .

الاستاذ الأكبر قد شاهد بنفسه خلال زيارته للأماكن المختلفة في أندونيسيا الكثير من المعاهد والمؤسسات الإسلامية، والمراكز التعليمية الثقافية مما يؤكد أن الإسلام في أندونيسيا يتقدم في حرية تامة دون عقبات تقف في سبيله

الاستاذ الأكبر في سومطرة :

زار فضيلته مدينة (ميدان) بسومطرة . وكان في استقباله في المطار حاكم الجزيرة وكبار المسؤولين .

وأقيم حفل كبير بمجمع سومطرة احتفالاً بتقديم درجة الدكتوراه الفخرية لفضيلته . ثم زار بعد ذلك مختلف المدارس الدينية بجزيرة سومطرة ، ووضع الحجر الاساسي لإحدى المدارس الجديدة . وقد أقام حاكم الجزيرة مأدبة غداء تكريماً لفضيلته . ثم استقل فضيلته الطائرة عائداً إلى جاكرتا .

الاستاذ الأكبر في جاوا الغربية :

وقد أقام الكولونيل المشهودى - حاكم جاوا الغربية في منزله حفل عشاء لفضيلته تكريماً له ، وقد دار الحديث في كثير من المسائل الدينية والدينية ودعاه إلى الاحتفال بليالي شهر رمضان .

شهداء حركة التحرير ، وقد ألقى فضيلته في الجروع التي احتشدت في المسجد بمناسبة زيارة فضيلته تحدث فيها عن العلاقات الوثيقة بين الشعبين العربى والأندونيسى وعن مكانة الشهداء ، وامتدح العمل الجليل الذى يهدف إلى تخليد ذكرى الشهداء بإقامة المساجد . ودعا إلى تخليد ذكرى الشهداء بمثل هذه المنشآت الدينية كما دعا الشباب إلى الجهاد في سبيل الله .

وقد أهدى فضيلته إلى مكتبة المسجد نسخة من القرآن الكريم وبعض مؤلفاته وقام بعد ذلك بزيارة الجامعة الإسلامية الأهلية ، حيث حضر مأدبة العشاء التي أقامها رجال الجامعة تكريماً لفضيلته .

وزير الشؤون الدينية بطلب من الرموز

أسوءاً أنهر :

وطلب السيد وهيب وهاب وزير الشؤون الدينية بأندونيسيا من فضيلة الاستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر أثناء تكريمه في حفل استقبال أن يتفضل بمد زيارته أسبوعاً آخر لأن عدداً كبيراً من الأمكنة في شوق عظيم للقاء فضيلته ، ومن بين هذه الأماكن بنجارماسيك ، ماكاسار ، كوتاراجا ، وبالمبانج .

وقد عبر السيد الوزير عن سروره لأن فضيلة

استاذ الأكر في الفيليبين : منحه الاستاذ الأكر درجة مستشار فخري :

كما أقيم لفضيلته احتفال في الجامعة الإسلامية بالمدينة ، حيث منح درجة مستشار ثرى للجامعة ، وألقى فضيلته محاضرة عن « تعاليم الإسلام ومبادئه » .

هذا وقد غادر فضيلته « مانيل » ، قاصداً إلى « هونج كونج » ، حيث يعود يوم الأربعاء القادم إلى القاهرة .

مقر جدير لجمعية المحافظة على القرآن الكريم :

افتتح في الشهر الماضي المقر الجديد لجمعية المحافظة على القرآن الكريم في القاهرة لمناسبة مرور ثلاثين سنة على تأسيسها .

وكان حفل الافتتاح برئاسة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر ، وألقى فضيلته بهذه المناسبة الكلمة التالية :

بسم الله الرحمن الرحيم
إخواني وأبنائي :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ، وبعد :
فإن القرآن الكريم كتاب الله الذي أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ليخرج به

وصل إلى (مانيل) فضيلة الأستاذ الأكر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر عائداً من زيارته لمدينتي ميندانا وماروا بالفيليبين .

وفي المساء حضر فضيلته مأدبة العشاء التي أقامها السناتور ألونزو زعيم المسلمين بالفيليبين تكريماً له ، وكان فضيلته قد سافر أمس إلى ماروا مستقلاً الطائرة الخاصة لرئيس الفيليبين وبرفقته السناتور ألتو وبعد هبوط الطائرة في المطار الذي يبعد ١٨ كيلو متراً عن المدينة استقل السيارة إليها يتبعه رتل كبير من السيارات استقلها كبار الشخصيات الإسلامية الذين اشتركوا في الترحيب به في المطار .

وقد نزل فضيلته في ضيافة محافظ المدينة وعقد مساء الخميس ٩ / ٢ / ١٩٦١ مؤتمراً إسلامياً كبيراً حضره آلاف المسلمين في المدينة وممثلون لجميع المسلمين في الفيليبين .

وقد ألقى فضيلته كلمة تحدث فيها عن « الإسلام دين السلام » ، ووافق أعضاء المؤتمر على قرار بشكر الرئيس جمال عبد الناصر على إيفاده فضيلة الأستاذ الأكر لزيارة الفيليبين ليصل ما بين المسلمين في البلدين الشقيقين .

من أجل ذلك كله عملت الأمم الاستعمارية في كل وقت على أن تباعد بين الشعب وبين حفظ القرآن، وأن تصرفهم عن فهمهم له وعن تدبر أحكامه وعن الاقتداء بمثله، لتكون الأمة المختلة مطواعة لمبادئ الاستعمار، سهلة في الاستغلال. ويكفي أن تعرفوا قالة قائلمهم - حين رفع تقريراً لسادته عن إقامته في مصر : ، إنه لا استقرار لنا ولا إقامة في بلد يوجد فيه القرآن .

إخواني وأبنائي :

لقد آمن الأولون بأن القرآن مصدر القوة لحفظه ، وطريق الخير لفهمه ، ووعوا ما فيه ، ووضعوه في المحل الأول من مكانة التقديس والعناية ، وأقبلوا على حفظه ودرسه لاستخراج نفاثه ، والتحلى بجواهره . فكان لهم السلطان ، وتفجرت لهم أنهار السعادة ، وطفقوا يقطفون من ثمارها ما جعلهم في مقدمة الأمم رقيقاً وحضارة .

إن القرآن - وهو حياة القلوب - يخلق فيها الوعي الصادق ، والإحساس المرهف الدقيق ، ويجعل منها قلوباً بيضاء ناصعة لا تطوى على دغل ولا حسد . كما لا تقبل المذاهب الوافدة ولا المبادئ الخداعة التي ما دخلت مكاناً إلا أفسدته وقضت عليه ، فلو أن الأمم الإسلامية عادت إلى سيرة أسلافها ، وتمسكت بكتاب ربها فعلمه بنوها وأولادهم وبناتهم ، وحفظه رجالهم ونساؤهم -

الناس من الظلمات إلى النور ، فقد عاش الناس - قبل نزول القرآن - في ظلمات بعضها فوق بعض ، لا يرون نورا من الحق ولا يهتدون سبيلاً ، بل غابت عنهم الحقائق وضاعت فيما بينهم الحقوق - حتى إذا ما نزل القرآن - كان الهداية العظمى والنور المضيء والأمر الموجه والنهائي عن مواطن الشر والفساد .

واقعدكان ربيع القلوب وضياءها ، ومصباح هذه الأمة الذي أنار لها ليها الداجي وخط لها الطريق المستقيم الذي تسير فيه على هدى من الله .

ولطالما كان القرآن - للحافظين له الفاهمين لمعانيه وأحكامه الواعين لمبادئه - سنداً قوياً جعل منهم أولى قوة وبأس شديد لا تلين قناتهم لعدو ، ولا يستبد بهم إنسان ، بل يعيشون دائماً في إطار تملؤه الحرية القوية التي فطر الله الناس عليها ، فيسعدون بالحياة لأنهم يعيشون في استقرار من مبادئ قوية غرسها في نفوسهم القرآن ، فهم رحماء بينهم ، تراهم في صدق تعاون وصادق محبة وتعاطف أكيد ، يتجاوبون في الإحساس والشعور ، فهم دائماً على قلب رجل واحد لا يبغيون من وراء ذلك إلا أن يكونوا أمة واحدة مترابطة تتقف سداً منيعاً في وجه الشر والبغى والطغيان .

ومن حكم بغيره قسمه الله ، هو الذكر الحكيم والنور المبين ، والصراط المستقيم ، وجعل الله الدين عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوم ، ولا يزيغ فيستعجب ، ولا تنقض عجايبه ، ولا يخلق على كثرة الرد .

فأبشروا إذن يا من حبستم أنفسكم على القرآن معلمين ومعلمين ومشجعين ، فإن لكم من الله أجرا عظيما ، واسألوا الله من فضله فإنه يجزل لكم العطاء ، وثقوا أن الله معكم ويؤيدكم وينصركم ، ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوى عزيز .

وإن أملنا لعظيم في أن يقبل المسلمون على حفظه ، وتفهم ما فيه وتفهمه أولادهم ، وكونوا مع القرآن يكن الله معكم قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ، ومن عصى فعليا وما أنا عليكم بحفيظ ، اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

بعثة الأزهر في الصومال :

جاءنا من الصومال أن بعثة الأزهر فيه أقامت احتفالا دينياً كبيراً ببليلة الإسراء والمعراج حضره السيد آدم عبد الله عثمان رئيس جمهورية الصومال والسيد رئيس الوزراء ورئيس الديوان الجمهوري وبعض الوزراء وأعضاء

لشبه المجتمع على الفضيلة ونشأ على الخلق القويم ، ولأحيا في النفوس الضائير الحية اليقظة التي تستمد قوتها من فاطر السموات والأرض ، وحينئذ لا ترى في المجتمع الإسلامي غشا ولا سوء ولا ضعفا ولا فسادا .

وما أخرى الأمة الإسلامية أن تتخذ من القرآن نبراسا يضيء لها طريقها ، وأن تنفقه أحكامه وتجعل منه دستور حياتها لتسمو بروح الله روحها ، وتشرق بنور الله قلوب أبنائها . والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين . وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ؛ يعبدونني لا يشركون بي شيئا ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون .

وصدق الرسول - صلى الله عليه وسلم - إذ يقول : (إن الله أنزل على القرآن أمرا وزاجرا ، وسنة ومثلا مضروبا ، فيه نبؤكم وخبر من كان قبلكم ، ونبا ما بعدكم ، وحكم ما بينكم . لا تنقض عجايبه ، هو الحق ليس بالهزل ، من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن خاصم به فليج ، ومن قسم به أقسط ، ومن عمل به أجر ومن تمسك به هدى إلى صراط مستقيم ، ومن طلب الهدى من غيره أضله الله ،

عن الجمهورية العربية المتحدة حديثاً مليئاً بالإعجاب والتقدير .

ولقد كانت لمبنى معهدنا هذا نفحة عظيمة من نفحات هذا اليوم المبارك فقد أمر السيد الرئيس حفظه الله بتكلمة هذا البناء وسارعت وزارة الأوقاف مشكورة بالمساهمة الفعالة الناجزة وما انتهت زيارة الرئيس المحبوب حتى وصل المبلغ المطلوب وكان لهذا الصنيع الكريم المشكور ثناء على كل لسان ودعاء من كل قلب وتقدير من كل غيور على الدين والأخلاق .

ولقد قال السيد الرئيس في برقية من سيادته إلى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر حول تشييد مبنى معهد أسوان : « إنه لمن توفيق الله العلى الكبير وفضله العميم أن أزرنا بعونه وأمدنا بنصره حتى هيا لنا الأسباب وأزال العقبات وتم بحمده ورعايته وضع اللبنة الأولى في إقامة السد العالى كما سيتم بناء المعهد الدينى ليكون صرحاً روحياً بجانب الصرح المادى .

وها نحن اليوم نلتقي في حفل افتتاح هذا المبنى الفخيم العظيم عملاً لقلوبنا البشر والسرور ، وكأنى بأرواح السابقين الأولين من أهل الأزهر في مئات السنين التى سلخها من عمره المعهد المبارك تطل على حفلنا هذا تشاركنا الفرح وتقاسمنا البهجة وتظهر معنا السرور والغبطة .

الجمعية الوطنية والنواب ورؤساء الأحزاب والهيئات الدينية فى الجمهورية الصومالية .

وأقامت جمعيات دينية كثيرة فى مقدشو احتفالاتها بهذه الذكرى المباركة أقيمت فيها كلمات تضمنت الإشادة بنشاط الأزهر فى الصومال .

مبنى جريد لمعهد أسوان :

احتفل فى الشهر الماضى بافتتاح مبنى المعهد الدينى الجديد فى أسوان برياسة السيد محمد سعد الدين زايد محافظ أسوان وحضور أعضاء مجلس الأمة وكبار الموظفين ومثل الهيئات والطوائف . وألقى فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد حسن مسلم شيخ المعهد ونائب فضيلة الأستاذ الأكبر فى الحفل كلمة الافتتاح الآتية :
إنه لمن عوامل الفرح والسرور أن يفتتح المبنى الجديد لمعهد أسوان الدينى فى هذا اليوم الكريم المبارك الذى يعتز به الوطن كله ألا وهو يوم العيد القومى لانبثاق فجر الصناعة من أسوان . فإنه فى مثل هذا اليوم من العام الماضى أرسى السيد رئيس الجمهورية حجر الأساس لمشروع السد العالى فكان لهذا العمل المجيد دوى مجلجل فى قاصى الأرض ودانها فى شرقها وغربها وفى شمالها وجنوبها واهتزت لوضع أساس هذا المشروع الصناعى العظيم أطراف الدنيا فأخذ العالم كله يتحدث

لم تفعل تخطفها السبل المضللة وزجت بها
في هاوية سحيقة ليس لها قرار .

ولانه لمن وسائل اليسر والخير والبركات
على الأزهر خاصة وعلى الوطن والمواطنين
عامة أن قيض الله للأمة بطلا قويا مخلصاً
ذا عزم وحزم وإيمان وصلابة في الحق هو
السيد الرئيس جمال عبد الناصر حفظه الله .

ولقد كان من مآثره الدينية ومن حسناته
القوية رعايته لهذا المبنى وعنايته بأمره حتى
اكتمل وأصبح صرحاً شامخاً صالحاً لاستقبال
طلاب العلم من هذه البلاد الفسيحة التي تنتمي
إلى محافظة أسوان والتي تمتد من السابعة
يادفو شمالاً إلى أذندان في حدود السودان
جنوباً في رقعة من الأرض تمتد قرابة أربعائة
وخمسين كيلو متراً .

وإني أذكر هنا بالتقدير والثناء عمل
جمعية المحافظة على القرآن الكريم بأسوان
معنا وعمل السادة الوعاظ في إنشاء هذا المبنى
فشكر الله لهم وشكر لجميع المساهمين والمعاونين
في إبراز هذا المبنى الكريم .

وحفظ الله جمهوريتنا العربية المتحدة
ورئيسها المحبوب .

والسلام عليكم ورحمة الله ؟

إن الأزهر العتيق الذي تجاوز الألف
من عمر الزمن والذي ينتمى إليه هذا المعهد
الكريم كان ولا يزال مشعل النور والمنهل
العذب لعلوم الشريعة واللغة وأصول الدين .
ولقد كان يرسل أشعته العلمية القوية على هذه
الدنيا في آماد سحيقة لم يكن بها مشعل من العلم
غير مشعل الأزهر ولم يكن بها رحاب لطلاب
المعارف غير رحابه .

إن هذه الجامعة الإسلامية الكبرى جامعة
الأزهر التي ينتمى إليها الآلاف المؤلفة من
العلماء ومن طلاب العلم في مختلف المعاهد
من أبناء جمهوريتنا العربية المتحدة تضم
في جنباتها آلافاً أخرى من أبناء الأقطار
الشقيقة وإن مدينة البعوث الإسلامية التابعة
للأزهر ينتمى طلاب العلم فيها إلى أكثر من
خمسین دولة من دول الأرض وبهذا يستبين
ما للأزهر ومعاهده من أثر في الحركة الفكرية
العالمية ومن توجيه كريم للمسلمين في مشارق
الأرض ومغاربها ، فإنه الرباط الأكبر الذي
يربط شعوب العروبة والإسلام والكوكب
الأغر الأبلج الذي يرسل نوره قويا مشرقاً
يأخذ بمجامع القلوب ، ولا يمكن للبشرية
أن تسير في الطريق السوي والمنهج المستقيم
إلا إذا اهتدت بنور الرسائل السماوية
ووقفت عند حدود الحق والعدل وإن

برئ المجتلة

حكم الطاعة وتكييفه شرعا :

لا شك أن قرار المرأة في بيت زوجها وطاعتها له ثابت بمقتضى عقد الزواج لأنه عقد ملزم للطرفين للرجل بالمهر والنفقة ، وللرأة بتسليم نفسها والطاعة ، ويدل لذلك قول الفقهاء : تجب النفقة بثلاثة أسباب : بالزوجية والقرابة والملك (١) .

وأصرح من ذلك قول ابن عابدين في التعليق على قول الشارح (فتجب للزوجة بنكاح صحيح ، فلا نفقة على مسلم في نكاح فاسد لانعدام سبب الوجوب ، وهو حق الحبس الثابت للزوج عليها بالنكاح) .

إذا فالطاعة والقرار في بيت الزوجية حق على المرأة للرجل بمقتضى عقد الزواج الذي يستلزم ثبوت موجب ما لم يقصر الرجل أو يتكاسل في طلب هذا الحق ، بذلك جرى العرف ، واستقر أمر الناس ، والمعروف عرفا كالمشروط نصا ، مع أننا لم نجد أمرا مجمعا عليه من سلف الأمة وخلفها مثل هذا الأمر ، لم يشذ عن ذلك فرد ولم يخرج عليه عالم ولا جاهل ، وليس للرأة أن تمتنع عن

(١) فتح القدير باب النفقات .

تسليم نفسها للزوج بحال إذا طلب الزوج ذلك ، ما دام الزوج قد وفاها حقوقها من معجل صداق أو نحوه ، كما أنه ليس لها أن تنشر على زوجها أو تخرج من بيت الزوجية بغير وجه حق مشروع ، فإذا امتنعت المرأة عن تسليم نفسها أو نشرت بالخروج من بيت الزوجية بعد التسليم ، فللرجل في هذه الحالة أن يمتنع عن الإنفاق عليها جزاء وفاها على إهدارها لمقتضى العقد . خاصة وأن شرط النفقة تسليم نفسها أو تمكينه من السكنى معها في بيتها ، أو مطالبتها بالدخول في بيت الطاعة أمام القاضى ليحكم له بذلك ، وليس قضاء القاضى في هذه الحالة أسرا محتاجا إليه لأن ذلك ثابت بمقتضى العقد ، وإنما هو إغذار للرأة أن ليس لها حق يخول لها الامتناع ، وإجبارها على الوفاء بمقتضى العقد . وللسلطة التنفيذية أن تسلك الطرق القانونية في إجبار المرأة على تنفيذ الحكم بشأن العقود المدنية الأخرى التي لا تجسد إنكاراً من أحد ، أو تتخلص المرأة من ذلك بطلبها الخلع على مال تدفعه للزوج كتمويض عن إخلالها بمقتضيات عقد الزواج .

ومع كل هذه الصيحات التي نسمعها من المرأة لا نسمع لها دليلاً تستند إليه ، أو برهاناً تعتمد عليه إلا منافاة ذلك لكرامة المرأة ، ولحقوق الإنسانية مع أن مثل ذلك لا يثبت حقاً ، ولا ينفي تهمه .

وقد يكون في هذا الحديث الذي نسوقه تعلقة للمرأة وهو ما رواه البخاري والذسائي عن ابن عباس قال : جاءت امرأة ثابت ابن قيس بن شماس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله : إني ما أعتب عليه في خلق ولادين ولكنني أكره الكفر في الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أترددين عليه حديثه قالت : نعم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إقبل الحديث وطلقها تطليقة حيث لم يجبرها عليه السلام على الطاعة .

والجواب عن ذلك يسير إذ أن زوجها لم يسبق منه طلبها في بيت الطاعة كما أنه سلك معها أحد الطريقين المشروعين في مثل هذه الحالة .

أصغر عبر الوهاب مجاهر

خريج الشريعة

ومدرس بمدرسة شبين الكوم الثانوية بنات

الأزهر مصنع الإسلام :

الأزهر الشريف هو المعهد الإسلامي الأعظم الذي لا يزال يحمل رسالة الإسلام كاملة إلى أمم الأرض كلها على اختلاف أجناسها

هذا وحكم الطاعة وتنفيذه غاية العدالة ، إذا علمنا أن الزوج إذا أعسر بنفقة الزوجة طلقته منه بأمر القاضي أو استدانت عليه أو حبس في النفقة إذا ظهر غناه ومطله .

فلم تستبيح المرأة إذن حبس الزوج عند مطالبته بالنفقة وتنسكرك على الرجل استعمال حق ثابت له بمقتضى الشرع ؟ لا شك أن هذا أمر يجافي الإنصاف وينافي العدالة أغرى المرأة به ما وصلت إليه من نيل بعض حقوق كانت محرومة منها وبعبدة عن متناولها ومساعدة بعض كتاب ممن أعطوا أنفسهم حق تصرف الأمور والتسكلم فيما لهم وفيما ليس لهم من أمور لا يدركون معناها ، ولا يعرفون حقيقتها .

ولولا أن حق الرجل بضيق بحبس المرأة حتى تعود إلى عيش الزوجية ويعود الحبس على الموضوع وهو تمكن الرجل من امرأته بالنقض ، لكان حبس المرأة في السجن لا يبت الطاعة حتى تفتدى نفسها أو تعود إلى بيت الزوج غاية العدالة ومقتضى الحق .

ومن هذا كله نعلم أن الشرع لم يظلم المرأة ، ولم ينقصها حقاً من حقوقها المشروعة بل كان رفيقاً بها غاية الرفق متسامحاً معها إلى أبعد حدود الإنصاف لو أنها عقلت وأدركت !

بل إن الرجل لا يلجأ إلى طلب الحكم بالطاعة إلا إذا طالبت المرأة بالنفقة مع نشوزها ظالمة له معتدية على حقه .

الأرض ، فأصلح الحياة بعد أن كان الفساد قد استشرى في جوانبها وامتد في أنحائها .. ولا غرو فإن هذه الجامعة الأزهرية العظمى تحمل الرسالة الأخيرة إلى أهل الأرض رسالة الأفكار المثالية والأخلاق العالية والسلوك الحسن والمقومات الإسلامية العظيمة والحضارة الإسلامية التي تفاخر بها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . وصدق الله العظيم « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً » .

واليوم وصاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر قد قام برحلته المباركة إلى بعض الأقطار الإسلامية واطلع على أحوال المسلمين وما يقاسون ويعانون من مشاكل اجتماعية ودينية ومذهبية فإن آمالهم أضحت منوطة بالأزهر وأنظارهم غدت إليه متطلعة وقلوبهم به متعلقة . فهل يحقق الأزهر الشريف أمل المسلمين في العالم الإسلامي الكبير وهل يستجيب لدعوتهم في التوجيه والإرشاد فيسكون قائدهم إلى كل خير ونهضة شاملة حتى يحقق هذا العالم الإسلامي مطالب العالم الإنساني وحاجاته ويعالج مشاكله وعمله وما يستجد من حوادث في المجتمع الإسلامي بحلول نافعة مفيدة وأساليب سليمة صحيحة تقوم على الكتاب الكريم والسنة الهادية الرشيدة ؟

إن الإسلام إذا وجد رجالاً يحدونه كان

وتباين لغاتها وتعدد عناصرها وقد حافظ على التراث العربي والإسلامي طيلة عشرة قرون أو يزيد وما من عادية كانت تحتاج العالم الإسلامي إلا وتصدى لها الأزهر بمثلاني رجاله الأحرار فهزمها وقضى عليها قبل أن يستفحل خطرهما ويعظم ضررها . وإن الدليل لقائم الآن فقد علم العالم كله جريمة العصابات الصهيونية المجرمة بإقدامها على تحريف القرآن الكريم وإرساله إلى البلاد الإسلامية النائية قاصدة بذلك تهديم عقيدة المسلمين وتحطيم كياناتهم وشل حركتهم الإسلامية المباركة وسرعان ما نهض الأزهر المعمور ليرد على هذه العصابة المجرمة فعبأ جيشه العرمرم الفذ وجند رجاله الأبطال وعلى رأسهم الأستاذ الأكبر ليحذر المسلمين في مختلف ديارهم من هذه الجريمة المنكرة التي قامت بها عصابات صهيون الغادرة . وهكذا أثبت الأزهر أنه حصن الإسلام المنيع ومأوى الدعوة إذا ما ادلهم الخطب وحزب الأمر ودم المجرمون حمى الإسلام والعروبة ..

وما لاريب فيه أن العلوم قد انتهت إلى هذا الأزهر المعمور من جميع أنحاء العالم الإسلامي وأسليت الحضارة إليه زمامها وحطت في أروقته رجالها وسلته الأمانة الغالية فكان أميناً عليها محافظاً على تراث الإسلام عاملاً على نشره وبعثه في أمم

ليبعث الروح الإسلامى من جديد وتسعد الإنسانية كما سادت من قبل بهذا الدين الحق دين الإنسانية جمعاء . يقول الأستاذ حسن جاد المدرس فى كلية اللغة العربية من قصيدة هنا فيها الأستاذ الأكبر بمناسبة تعيينه شيخاً للجامع الأزهر :

أعد لأزهرنا قدسى منصبه
فطالما اهتز من ذل وخذلان
وصد عنه تعلات يروجها
مروج الزيف من زور وهتان
اجعله جامعة معنى وتسمية
فما نعلل عن حق بعنوان
وأتق فى مسمع الدنيا بصيحته
حتى يردد مسراها السماكن
ولا تخيب رجاء فيك منعقدا
فأنت أدرى بالآلام وأشجان
حسن عمر عمر

مول كتاب المصحف :

يرى الأستاذ محمد رجب البيوى تيسيرا لتلاوة المصحف - أن يكتب بقواعد الإملاء الحديث ، تارकिन الرسم العثمانى ، وسرد أمثلة من هذا الرسم تظهر مدى المخالفة بين الرسمين ، وهذه الأمثلة التى ساقها نقسمها أربعة أقسام متبعين كل قسم بما نراه .

١ - الكلمات : يا يثس - يتلوا -

أصلح المبادئ للحياة وأرقى النظم المعاصرة للبشرية اليوم فإن العدل الذى جاء به الإسلام والسياسة التى رسمها لاتباعه هى أقوى الدعائم التى ظهرت وتظهر فى هذه المعمورة ، يقول الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات حفظه الله ذخرا للإسلام والمسلمين : أعتقد أن العروبة إذا اتحدت كانت بقوميتها أساسا لنهضة الشرق وأن الشرق إذا نهض كان بطبيعته أضخم للسلام من الغرب ، وأن الإسلام إذا تجدد كان بسياسته أصح لإقرار العدل من كل نظام وأن الأزهر إذا أصح كان بثقافته أهدى إلى تربيته من أى جامعة ، وقد تحقق بعون الله وقوته تجديد الأزهر فهو اليوم يدرس لأبنائه الذين يرعاهم ويربهم ويعلمهم من البحوث الإسلامية وغيرهم كل أنواع العلوم والفنون وشتى المعارف والآداب ، لذلك فنحن معشر المسلمين فى غنى بثقافتنا الإسلامية العربية التى تحمل الخير والرحمة والسلام إلى الإنسانية ، عن حضارة الغرب التى تهدد العالم بالدمار والحزب وتنذر البشرية بالزوال والفناء ، والقائم على حراسة هذه الحضارة الإسلامية البناء اليوم هو الأزهر المعمور قبله المسلمين فى العلوم والآداب والفقه والحديث الخ . . .

فاللهم إنا نضرع إليك أن تهيم للإسلام رجالا عاملين فى سبيل نشر هذه الرسالة

أنا ، وبهما قرأ أبي ، وألف أنا تثبت كتابة ونطقا عند الوقف ، وعلى مثل هذا شواهد في اللغة العربية .

٣ - الكلمات : ثمودا - سلاسل . يرى كتابتها : ثمود - سلاسل ، ونحن نقول : إن هناك نوعا من الكلمات في المصحف يدل برسمه على لهجة عربية يقرأ بها ، ومن ثم قالوا : إن كل قراءة وافقت رسم المصحف فهي صحيحة ، وهاتان اللفظتان قرئتا بالتونين .

٤ - الكلمة : الظنوننا : يرى كتابتها الظنون ، ونحن نقول : أولا ، إن مثل هذه الألف معروف في اللغة ومنه : د أقل اللوم عاذل والعتابا ، .

ثانيا : لو كتبت الكلمة على ما يراه لنطقت نونا من غير ألف عند الوقف وهو ما يخالف قراءة حفص التي رسم بها المصحف . وأخيرا للأخ الفاضل الشكر على رغبته في تيسير تلاوة القرآن .

عبد المجيد حامد صبح

المدرس بمدرسة النهضة الإعدادية بالمنصورة

لأذبحه - بأيد - لشيء ، وهذه يرى كتابتها على ما توجه قواعد الإملاء الحديث خالية من الحروف الزائدة ، ومثل هذه لا تنازع الاستاذ فيها ، ولا نرى حاجة - بله الضرورة - إلى الاستمسك بها . على أن لنا هنا ملاحظتين أولاهما قلة هذا النوع في المصحف وأخراهما أن الإملاء الحديث لم يخل من مثل تلك الزيادة ، بل النقص كما في مثل : هذا وهؤلاء - أولئك ولكن والأولى .

٢ - الكلمات بمصر - لكننا . وهذه يرى كتابتها هكذا : مصر - لكن ، وهنا نرى أن الأخ قد غفل - ولا أقول : قد جهل ، فهو من قد علت - عن حقيقة الكلمتين فكلمة مصر ، في قوله تعالى : اهبطوا مصرا منونة : لذلك نلزمها الألف رسما ونطقا عند الوقف ، كما نقول نزلت بلدا فليس يصح أن نقول : بلد ، ومصر في هذه الآية غيرها في قوله : أليس لي ملك مصر ، فهذه علم بمنوع من التونين ، وتلك نكرة منونة . وكلمة : لكننا ، ليست أداة الاستدراك

فقط : لكن ، رسمت في المصحف بزيادة ألف ، ولكنها كلمتان : لكن والضمير :

أبناء الثقافة

والاستاذ على منصور المستشار بوضع رسالة عن القاديانية، ومبادئها وخروجها على تعاليم الإسلام وسترسل هذه الرسالة إلى السفارات العربية في أوروبا لتقاوم بها نشاط القاديانية .

• أنشئ في د أكر، عاصمة غانا مكتب ثقافي عربي يتحول قريبا إلى مركز ثقافي يضم مجموعة كبيرة من الكتب العربية .

• في مسابقة « شباب الجامعات » ، نجح في الشعر اثنان وعشرون مقدما . كان أول الجميع من الأزهر والطالب محمد أحمد العزب • يصدر قريبا كتاب جديد للأستاذ أمين الخولي عنوانه « تجديد الدين » .

• تقوم وزارة التربية والتعليم في الجمهورية العربية المتحدة ، بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلن الأمريكية للطباعة والنشر، بالعمل على تخطيط برنامج لترجمة الكتب والمراجع التي يحتاج إليها طلبة الكليات غير النظرية والمعاهد الفنية ، على أن يتم ذلك في ثلاث سنوات .

• أصدر سماحة السيد مرتضى العسكري من كبار علماء النجف الأشرف بالعراق كتابا

• رشح بجمع اللغة العربية الأستاذ أحمد حسن الزيات لنيل جائزة الدولة التقديرية في الأدب وشرح المجمع الأستاذ الدكتور عبد الحميد بدوي لنيل هذه الجائزة في العلوم الاجتماعية .

• في الشهر الماضي احتفلت روسيا وشاركتها في ذلك الأوساط الثقافية والأدبية في العالم بمرور خمسين سنة على وفاة تولستوى القصاص والمصلح الإنساني العظيم مؤلف : الحرب والسلام وأناكارينا ، وتولستوى دراسات عن الإسلام تنقسم بالشجاعة والإنصاف والتقدير لدين الله الخالد . ووجدت في أوراقه إشارات إلى أنه وضع كتابا عن النبي محمد عليه السلام وقد وجدت أصول الكتاب بعد وفاته ولكنه لم ينشر ، لا في عهد القيصرية ولا في عهد الشيوعية .

• تلقت الهيئات الرسمية في القاهرة تقارير من بعض سفارات الجمهورية العربية في أوروبا الغربية تتضمن أبناء عن نشاط كبير تقوم به « القاديانية » بين الطلبة العرب في جامعات تلك البلاد .

وقد كلفت وزارة الأوقاف الدكتور عبد الحليم محمود والشيخ السيد سابق

وفي الصومال اتجه لاستعمال الحروف العربية في الكتابة وآخر لاستعمال الحروف اللاتينية .

• عقد مؤتمر عام في كلية دار العلوم لدراسة تيسير قواعد اللغة العربية .

وحضر المؤتمر ممثلون عن الجامعات في الجمهورية العربية المتحدة ورجال وزارتي التربية في الإقليمين ، والأزهر .

• تقرر قبول عشرة من طلاب تايلاند لدراسة الثقافة الإسلامية واللغة العربية في الأزهر . ويصل هؤلاء الطلاب إلى القاهرة في وقت قريب .

• يفتح قريباً معهد عال لدراسة اللغات الإفريقية والآسيوية يقبل فيه خريجو كليات الأزهر .

• احتفل في برلين بمرور ١٥٠ سنة على إنشاء جامعة « هومبولت » ، واشترك في هذه الاحتفالات مدير جامعة عين شمس ووكيل جامعة القاهرة ممثلين للهيئات الثقافية في الجمهورية العربية المتحدة .

• تمت في الباكستان ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الإفريقية « السواحلية » ،

• افتتحت في بيروت الجامعة العربية ، تم فيها إنشاء كليتي الآداب والحقوق واختير أسانذتها من أسانذة كليتي عين شمس والإسكندرية . وهذه الجامعة هي الرابعة في لبنان وأحدثها إنشاء . والأولى هي

عن : د عبد الله بن سبأ ، وهو بحث وتحقيق فيما كتبه المؤرخون والمستشرقون عن ابن سبأ وقصص إسلامية أخرى منذ القرن الثاني الهجري حتى اليوم .

• تقرر إنشاء ٢٥ جامعة صغيرة في محافظات الإقليم الجنوبي خلال السنوات الخمس القادمة . تنشأ الأولى منهما في المنصورة والثانية في أسوان وتفرع من هذه الجامعات مراكز في المدن والقرى الرئيسية . وتقام كل جامعة على ثلاثة أفدنة ويشارك الاتحاد القومي مع وزارة الثقافة والإرشاد في تنفيذ هذا المشروع .

وتضم كل جامعة من هذه الجامعات عدة منشآت منها مكتبة عامة ومجموعة من غرف البحث والدراسة والاطلاع . ومكتبة خاصة للسيدات وأخرى للأطفال وقاعة للتأليف الدراسية الدائمة ، ووحدة صحية وملاعب رياضية .

كما تقرر إنشاء مكاتب دينية في المساجد ، وأخرى عامة في القهوات .

• صرح السيد علي محمد هراية وزير الاستعلامات الصومالي ، الذي زار القاهرة أخيراً ، بأن حكومة الصومال قررت استعمال اللغات العربية والإيطالية والانجليزية لغات أصلية إلى أن تتم كتابة الأحرف الجديدة للغة الصومالية التي تستعمل في الحديث ولكنها لا تكتب .

للمستشرق الفرنسى د موديس بويج ،
موضوع الكتاب الأول : « نظرية المعرفة
عند الغزالي » ، والثانى موضوعه « مؤلفات
الغزالي ورسائله » ، التى زادت على الأربعمائة .
وسيقم المجلس الأعلى للفنون والآداب
مهرجانا لمناسبة ذكرى الغزالي المئوية
التاسعة يعقد فى دمشق .

• زار القاهرة السيد « همايون كبير » وزير
العلوم والثقافة فى الهند لإجراء مباحثات
ثقافية مع المسؤولين فى الجمهورية العربية
المتحدة ، ولحضور الاحتفال الذى أقامه
وزير التربية التنفيذى لمناسبة مرور مائة
سنة على مولد الشاعر الهندى الكبير
طاغور .

وطاغور هو الأديب الشرقى الوحيد الذى
نال جائزة نوبل العالمية .

والسيد همايون كبير هو رئيس مجلس الهند
للروابط الثقافية الذى يشرف على مجلة
« ثقافة الهند » ، التى تصدر باللغة العربية .
• زار القاهرة المستشرق السوفيتى بوجين
بيلايف بدعوة من وزارة الثقافة
والإرشاد القومى .

وتباحث الأستاذ بيلايف مع المسؤولين
فى الجمهورية العربية المتحدة فى مشروع
لنشر المخطوطات العربية الكثيرة الهامة
التي توجد فى مكتبات الاتحاد السوفيتى .

الجامعة الأمريكية التى أنشئت من مائة
سنة . ثم جامعة سان جوزيف الفرنسية ،
ثم الجامعة اللبنانية .

• قبل الأزهر منحة دراسية لأربعة من
خريجيه للدراسة فى الجامعات الأمريكية .
واختير لهذه الدراسة كل من الأساتذة
عبد المحسن الببلى لدراسة علم الاجتماع ،
وإبراهيم محمود شلبى للتربية وعلم النفس ،
ومحمد فوزى السعيد للفلسفة ، ومحمد كامل
تاج الدين للغة الإنجليزية .

• أمر جلالة الملك سعود ملك المملكة
العربية السعودية بإنشاء جامعة إسلامية
فى المدينة المنورة .

• زار القاهرة فى الشهر الماضى السيد بديع
الدين محمود وزير المعارف والثقافة فى
سيلان واجتمع بالسيد وزير التربية
والتعليم المركزى لبحث التعاون الثقافى
بين الجمهورية العربية وسيلان .

كما اجتمع بفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ
محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر ، حيث
بحث مع فضيلته مشروع لإنشاء معهد
للدراستات الإسلامية والعربية بكونجوليمده
الأزهر بالأسانذة ، ويضع مناهجه .

• ظهر كتابان باللغة الفرنسية عن حجة
الإسلام الغزالي . أحدهما مؤلف عربى من
لبنان هو الدكتور فريد جبر ، وثانيهما

مَجَلَّةُ الْأَنْزَهَرِ

مجلة شهرية جامعة

بَصْدُكَ عَنْ مَشِجْنَا الْأَنْزَهَرِ فِي ذُو كُلِّ شَهْرٍ عَرَبِيٍّ

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
المستشار
إدارة اجتماع الأزهر
بالقاهرة

ت : ٤٦٢١٤

يشارك في التحرير
عبد الله محمود العقاد
مدير التحرير
محمود الشراوي
بدر الاستاذك ج

الجزء العاشر — شوال سنة ١٣٨٠ هـ — مارس ١٩٦١ م — المجلد الثاني والثلاثون

سَمَاءُ الْمَرْمَرِ إِلَى الْمَرْمَرِ

رَمَضَانُ سَنَةٌ لَا شَهْرٌ !

بقلم : أحمد حسن الزيات

في الطعام والشراب ، ويتدفقون في اللهو والأنس ، ويسرفون على بطونهم بالأكل حتى تمرض . وعلى جيوبهم بالبذل حتى تفرغ . حتى إذا خرجوا منه إلى شوال خرجوا من الواحة إلى الصحراء ، ومن الهداية إلى التيه ، لا يملكون الزاد الذي يبلغهم الأمن ، ولا يجدون الدليل الذي ينجيهم الضلال .

كان أكثر هؤلاء مفطرين وإن صاموا : لأنهم كانوا يستيحون النظرة الآثمة والكلمة البذيئة والفعلة القبيحة ، فليس من المعقول أن يكون لرمضان سلطان عليهم أو ذخرا لديهم أو أثر فيهم ؛ إنما الحديث عن أولئك الذين قضوا أيامه الغر ولياليه البيض ، في رغبة كرهادة

مضى رمضان ربيع الروح كما يمضي نيسان ربيع الطبيعة . وإذا كان نيسان يخلف من ورائه في الأرض الخصب والنماء والكلاء والثمر والنضارة فيرتع في خيره الإنسان والحيوان سائر العام كله ، فهل يعيش المسلمون بعد رمضان على زاد من تقواه وعدة من قواه وذخيرته من بره تعصمهم من نزوات النفس وشهوات الجسد بقية عامهم إلى أن يعود ؟ .

المفهوم من حكمة الصوم في شريعة الله أن يكون هذا ؛ ولكن الواقع أن رمضان في دنيا أكثر الناس ثلاثون عيسداً تبتدى بليلة الهلال وتنتهى بيوم الفطر ، يتمتعون فيها بملذات الحس ومسرات العيش ، فيتفننون

أصبحت أطهر ، وأن أخلاقكم صارت أكرم ،
وأن أهواءكم غدت أرفع ؟

وهل تحسون أثر أولئك كله في دنياكم
الخاصة والعامة ، فأتم اليوم أشد قربا من الله
وأوثق صلة بالناس وأطيب نفسا بالحياة ؟
اسألوا أنفسكم هذه الأسئلة ثم أجيبوا عنها ،

وأنا واثق من أن أجوبتكم ستكون
بالإيجاب ، ولما لما حزتم على انقضاء
رمضان ، وأسفتم لانقطاع الخير فيه ، فإن المرء
لا يحزن إلا على عزيز ، ولا يأسف إلا على نافع .
فلماذا إذن لا تجمعون سائر الأشهر كشهر
رمضان ؟ لماذا لا تستمرون في الصيام عن ظاهر
الإثم وباطنه ؟ فتغلوا أيديكم عن الأذى ،
وتصونوا ألسنتكم عن الكذب ، وتطهروا
أفئدتكم من الفحش ، وتنزهوا مكاسبكم
عن الحرام ، وتبرئوا أعمالكم من الغش ،
وقد جرّبتم ذلك في رمضان فنفعت التجربة
وحسنت العاقبة ؟

لماذا لا تضيقون الكلفة في القهوة لتوسعوا
النفقة في البيت ، وتقتصدون قليلا في الأنا
بالأصدقاء لتوفروا كثيرا من الأنا
بالأسرة ، وقد فعلتم ذلك في رمضان فاعتدلت
الحال وطابت المعيشة .

هذا السكير الذي استطاع أن يهجر الخمر
ثلاثين يوما وثلاثين ليلة ، فزكا قلبه ، وامتلا
جيبه ، وصح بدنه ، لماذا لا يواصل العيش
بعد رمضان على هذا المنهج ، وقد علم

طوبى ووضاءة كوضاءة عدن ، لا يرون فيه
إلا خيرا يتدفق في البيوت ، وبشرا يتهلل
في الوجوه ، وذكرأ يتعالى في المساجد ،
ونورا يتألق في المآذن ، وسمرا يتنقل
في الأندية ، ثم حافظوا على شعاره المفروضة
وتقاليد المسنونة ، فالسكير يهجر الكأس ،
والمقامر يترك الورق ، والشرير يؤجل الشر ،
والمجرم ينسى الجريمة ، وكلهم يتشبهون بأهل
الصلاح وذوى السمات فيمسكون السبحة ،
ويتقون الشبهة ، ويضعون المعروف ؛
فإذا بدأ الربع الأخير من رمضان ودعوه
وعلى وجودهم غشاوة من الأسى على بركات
تريد أن تنقضى ، وخيرات توشك أن تنقطع ،
كأنما يعتقدون أن باب السماء في غيره مغلق ،
وأن وجه الأرض من بعد ربيعته جديب ،
ثم تمثله محتضرا يقامى غصص الموت ،
فيتجمع عليه الصائمون في البيوت ، والمصلون
في المساجد ، والمؤذنون فوق المآذن ،
والمسحرون على الأبواب ، وكلهم يقولون
سرا وجهرا : لا أوحش الله منك يا شهر
البر والذكر والفكر والدعاء !

إليكم أتم أيها الذين صاموه بالتقوى ،
وقاموه بالإخلاص ، وودعوه بالحشرات ،
وشيعوه بالدموع ، أوجه هذه الأسئلة :
هل أتم يوم ودعتموه خير منكم يوم
استقبلتموه ؟

هل تشعرون بعد أن أدبتم فريضة هذا
الركن الشديد من أركان الإسلام أن نفوسكم

وهذا الموظف الذى عود أنامله طوال هذا الشهر أن تساقط حبات المسبحة ليسبح ، وأن تبسط سجادة الصلاة فى كل وقت ليصلى ، فنسى أن يمد عينيه إلى جيب المواطن ليرتشى ، أو يديه إلى خزانة الدولة ليختلس ، وذكر أنه إنسان كمله الله بالعقل ، وجمله بالخلق ، وهذبه بالضمير ، لم لا يذكر فى شوال أن أنامله التى تمسك القلم وهو مفطر كانت تمسك المسبحة وهو صائم ، وأن ربه الذى كان يخشاه فى رمضان لا تأخذه سنة ولا نوم فى سائر الأشهر ؟

إن رمضان سنة لا شهر ، وذخيرة لا نفقة ، ومصحة لا ملهى ، ورياضة لا متاع . تروض فيه أنفسنا على الخير لترن عليه ، ونعالجها به من الشر لتبرأ منه . وليس الغرض من علاج النفس والجسم فيه أن ينقض أثره الطيب بانقضائه ، فإن ذلك يخالف حكمة الشارع من الصوم ، ويناقض منطلق الأشياء فى الواقع ، فإن المريض الذى يطلب العافية فى مدينة من مدن المياه الطبية لا يطلبها للذة التى يقضيها فى المصحة ، وإنما يطلبها لتكون عمادا قويا لما وهن من جسمه وزاد أحميا لما بقي من عمره . وما أبعد المسلم عن الإسلام إذا اعتقد أن الصلاة لا تنهى عن الفحشاء والمنكر إلا وهو فى المسجد ، وأن الصوم لا يعصمه من اللغو والأذى إلا وهو فى رمضان ، وأن الصدقة لا تطهره ولا تزكيه إلا وهو فى العيد ! خذوا إذن من ربيع النفس

بالاختبار أن هذا الهجر قد نفعه ولم يضره ، وتيسر له ولم يتعسر عليه ؟

وهذا المدخن الذى ترك التدخين ثلاثين يوما فأراح صدره ، وسكن أعصابه ، وقوى شهيته ، لماذا لا يستمر صائما عنه ليله ونهاره . وقد رأى أن فى طاقته الاستغناء عنه والحياة بدونه ؟

وهذا القوى الذى كان وهو صائم يمر باللغو كريما ، فيقابل الذنب بالمغفرة ، والسبئية بالحسنة ، والقطيعة بالصلة ، فوصل السلام بين قلبه والأمن ، وقرب الوثام بين نفسه والسعادة ، لماذا لا يحرص على هذا الخلق وهو مفطر بعد ما جنى من خيره فى أربعة أسابيع ما لم يجنّه من غيره فى العام كله ؟

وهذا التاجر الذى راضه الصوم على أن يقف نفسه عند حدود الله فى التجارة ، فلم يطفف السكيل ، ولم يخسر الميزان ولم يقارف الاحتكار ، ولم يغش البضاعة ، ولم يرفع السعر . ثم تحقّق من جدوى ذلك عليه فى رضا ربه وراحة ضميره ومصلحة وطنه ، لماذا لا يلزم نفسه ذلك فى كل وقت بعد أن استمر أطمع الحلال وأدرك لذة الحق ؟

وهذا الغنى الذى ذاق فى رمضان ألم الجوع ، وكابد مشقة الحرمان ، ثم استطاع بالصدقة أن يخفف عناء الفقر عن فقير ، ويدفع شر الحاجة عن محتاج ، لماذا لا يشعر دائما أن الجوع بعد رمضان باق ، وأن العوز فى أكثر الناس قائم ، وأن للسائل والمحروم حقا لا يتقيد أداؤه بيوم ، ولا يتخصص قضاؤه بصوم ؟ .

اللغة العربية

بين لغات الحضارة العصرية

للأستاذ عباس محمود العقاد

لا يساوينا ولا يلحق بنا في مأثرة من مأثر الشرف والقدرة والصلاح .

وجاء بعدهما زمن وقفنا فيه بين بين .
وسمحننا فيه ببعض الذم وبعض الثناء في آن ،
ولعلنا سنقترب مع هذا الزمن إلى حالة
صالحة ليست هي إلى الغلو في التبكيك ولا
إلى الغلو في التيه والفخار ، ولكنها حالة
النقد المميز والتشخيص الدقيق لما نحن عليه
من صحة وسقم ، ومن حاجة إلى الإكثار
أو حاجة إلى الإقلال .

كل أولئك أدوار لازمة محمودة العاقبة
في أوقاتها . فالتبكيك لازم للإيقاظ
والإنهاض ، والفخر لازم لاستعادة الثقة
بالنفس والاعتماد عليها والاستعداد للحرية

حضرنا زمنا - في مطلع الشباب - كنا
نستمع فيه إلى خطب المساجد وخطب المنابر
الأدبية والسياسية ، وفقرأ الصحف
والنشرات ، فلا نخرج عما سمعناه وقرأناه
بغير معنى واحد متكرر ، يبتدىء وينتهي
بالنعي البالغ على الأمة وتشديد التنكير على
الحاضرين والغائبين من أبنائها ، ووصفهم
كافة بالجهل والغفلة والتخلف عن سائر الأمم
في كل حميد مشكور من الأخلاق والعادات ،
عاداتها وخصالها .

وحضرنا زمنا بعده تبدلت فيه هذه النغمة
وانتقل بنا خطباؤه وكتابه من غاية الذم
إلى غاية الثناء ، فنحن أشرف الأمم وأقدر
الأمم وأصلح الأمم ، وغيرنا من الأمم

وبهذه النية وعلى هذه العزيمة تكونون
خلقاء أن تنهأوا بجزنكم في وداع شهر الصوم
وبفرحكم في استقبال عيد الفطر ، فإن الحزن
على رمضان تقوى وبر ؛ لأنه حزن على خير
مضى وأنس فات ، وإن الفرح بالعيد عبادة
وشكر ؛ لأنه فرح بشرى نزول الوحي
وذكرى يوم بدر .

أصم من الزينات

ما تأخذ الأرض من ربيع الطبيعة : خذوا
لعبوس حياتكم من طلاقته ، ولسموم
طبيعتكم من طرأته ، ولجذب دنياكم من
خصوبته ، ولاضطراب عيشكم من سكينته ،
ولا عوجاج سلوككم من استقامته ، ولميوعة
بجتماعكم من صلابته ، ولشقات كلبتكم من وحدته ،
وذلكم هو الزاد الإلهي الذي تخرجون به
من رمضان لغذاء القلب والروح ، وخدمة
الوطن والأمة ، وعدة العمل والجهاد .

ومن دواعي الرضى — بحمد الله — أن يسعدنا علم اللغات الحديث فيما نبتغيه من ثقة ومن معرفة بالحقيقة . فإن هذا العلم الذى تولاه على أيامنا أناس من غير أبناء الضاد يعطينا معياراً صادقاً نعرف به مكان هذه اللغة العربية بين لغاتهم الشائعة ، ومنها العريق والمستحدث منذ قرون لا تحسب من الآماد الطوال فى أعمار اللغات .

كان نقاد الآداب واللغات عندهم يحسبون أنهم يعطفون على اللغة العربية غاية العطف الذى يقفون عنده ولا يستطيعون الزيادة عليه ، حين يقرون لها بأنها لغة جميلة وينكرون عليها أنها لغة عالية ، فى طبقات اللغات الحية ، ولكن علوم اللغة التى يقررها نقاد الآداب واللغات تثبت لها ، العلو ، فى الطبقة ، كما تؤكد لها صفة الجبال التى لم ينكروها عليها ... وبالمعيار المستفاد من هذه العلوم اللغوية نعرف لها مكانتها بين اللسانة الناطقة ، ونقول فيها - بغير لسان الفخر - ما ينبغى أن يقوله الناقد العربى والأجنبى بلسان التحقيق .

إن الفوارق الفكرية أصعب من فوارق الجغرافيا والثروة تعليلاً بأسباب الارتقاء والتطور ، ولكن معيار اللغة - وهى تدرج فى أطوار التكوين - أبرز من الفوارق الفكرية جميعاً ؛ لأنها قابلة للضبط والتقسيم وأدنى إلى التقسيم بالضوابط والعلامات من فوارق التفكير والبواعث النفسية ، وقد

بعدها الصالحة ، ويلزمنا بعد الثقة بالنفس أن نقصد فيها فلا ننتهى بها ولا تنهى بنا إلى الغرور الباطل ، والادعاء الوخيم .

ومثل هذه الأدوار قد مر باللغة العربية فيما يحسب لها وما يحسب عليها ، وما هو من حقها فى كلا الحسابين .

عرف الناطقون بالضاد قديماً أنها أفصح اللغات ، وكاد الفخر بها أن ينادى إلى إنكار الفصاحة على سائر اللغات .

وجاءنا عصر الترجمة الحديث فرجعنا إلى نقيض ذلك الفخر وكاد العجزة من المترجمين أن يحسبوا عليها عجزهم فيهبطوا بها من طبقة اللغات الحية إلى طبقة الرطانات التى حق عليها الركود وسوف يحق عليها الدثور والنسيان ، ثم أفضينا - بعد فترة - إلى أوائل دور الاعتدال بين الأمل فيها واليأس منها ، فقال شاعر كبير على لسانها قبل خمسين سنة :
وسعت كتاب الله حكماً وحكمة

وما ضقت عن آى به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آله

وتنسيق أسماء لمخترعات ١١
وهذه - كذلك - أدوار لازمة لها ما بعدها فلا بد من الشعور بالمقص ولا بد من علاجه ، ولا بد من الثقة المستعادة عن علم أو عن يئس عليه ، نعرف بها الحقيقة لننتفع بمعرفتها ولا نبتغى بها أن نسوقها مساق الفخر الذى لا سند له غير أنه يرضينا .

معاني الجمع والتثنية والإفراد ، وقد تسمى لغات التجميع أحيانا باللغات المنفصلة Isolating لأن الكلمة فيها تنفصل بصيغة واحدة لا تتغير حروفها ، وإنما يتغير المعنى بضم صيغة منها إلى صيغة أخرى ، بترتيب متبع أو بغير ترتيب يلتزم في جميع الأحوال. ومن فروع هذه اللغات ما تكون أسماءه وأفعاله من جملة تألف من عدة مقاطع وأجزاء ، وتسمى لذلك بلغات التركيب الكثير Polysynthetic .

أما لغات الاشتقاق فهي اللغات التي يعم فيها الفعل الثلاثي في كل مادة وتجري قواعد الصرف فيها على المخالفة بين الأوزان بحسب معانيها ، ويكثر فيها اختلاف الحركة في أواخر الكلمات انبعاثا لموقعها من الجملة المفيدة. ويشيع النحت في اللغات الهندية الجرمانية كما يشيع التجميع في اللغات المغولية ولغات القبائل الأمريكية الأصلية ... أما الاشتقاق فهو من خصائص اللغات السامية ، وتكاد اللغة العربية من بينها أن تتفرد بعموم الاشتقاق واطراده ، مع تحريك أواخر الكلمات حسب مواقعها من الجمل المفيدة .

وربما اتفق اللغويون على قواعد عامة عملت في تطور هذه اللغات جميعا ولم تختص بها لغة دون سائرها .

ومن هذه القواعد العامة أن الكلمات الانفعالية التقليدية أسبق من الكلمات الإرادية

تكون علامات اللغة مما يستعان به على جلاء الفوارق عند التباها على نقاد الفوارق النفسية والاجتماعية .

واللغات في تصنيف بعض علمائها تنقسم على حسب الأجناس والسلالات التي تتكلمها ولكنه تقسم بغيره الاختلاط لاشتراك الأمم في لغة واحدة ، أو عائلة لغوية واحدة مع انتمائها إلى أصول متباعدة ، وخير منه أن نقسم اللغات على حسب تكوينها وتكوين قواعدها وعوامل التصريف في مفرداتها وتراكيبها وهو تقسيم يضبط الفوارق ضبطا كافيا للموازنة بينها والمقابلة بين عوامل الفهم والاختيار وعوامل التقليد والاضطرار في تراكيبها وتعبيراتها .

وتنقسم اللغات من حيث التكوين إلى لغات النحت ولغات التجميع ولغات الاشتقاق .
فلغات النحت هي التي تتكون فيها الأسماء والأفعال والصفات بإدخال المقاطع الصغيرة عليها أو إلحاقها بها ، وتسمى لغات النحت أحيانا باسم اللغات الغروية في اصطلاح الأوربيين : Agglutinating لأن مفرداتها تلتصق لصقا لتنويع معانيها ، كما تلتصق أدوات البناء بالغراء .

ولغات التجميع هي اللغات التي تعتمد على اللصق كما تعتمد عليه اللغات الغروية ولكنها تعتمد قبل ذلك على التنعيم ، لتنويع المدلول . والتمييز بين الصفات والظروف ، وبين الأدوات والأجناس ، وغيرها من

وضع الكلمات ، سواء بالمحاكاة الصوتية أو بالتكرار على غير قياس .

وشيوخ القاعدة في فعل كل مادة وفي الأسماء والصفات من هادليل على سبق التفكير في التعبير ، وتعميمه على الأحداث والمعاني غير موقوف على أصوات الانفعال والمحاكاة ، ويتبع ذلك شيوع الاستعارة وإمكان الجمع بين الوضع الحقيقي والوضع المجازي في كلام المتكلم ، لتوسيع المعاني وبناء الكلمات على المضاهاة بين المدلولات .

إن دلائل التطور العريق الذي امتازت به لغة الضاد تحقيق على يقرره غير أبناء اللغة ، وليس بالفخر القومي الذي يعلنه أبناؤها وحدهم ، بغير دليل .

ومن قبل بسطنا القول عن صلاح الحروف العربية لكتابة اللغات من شتى العائلات اللسانية ؛ لأنها صلحت لكتابة اللغات السامية واللغات الطورانية واللغات الهندية الجرمانية ، ولم تؤخذ عليها عيوب لم توجد نظائرها ، وأعيب منها في الحروف الأجنبية . ولولا أن العادة تدفع الناس وراء الكلام المردد إلى التسليم السريع وتوهمهم أنهم في غنى عن تحقيق ما يسمعون وتكرر أصدائه على الأسماع ، لما ظهر لأحد أن هذه الحقائق المقررة مفاجأة للأسماع تدهشها كما تدهشها أعجب المفاجئات .

عباس محمود العقاد

الفكرية ، ويريدون بالكلمات الانفعالية ما يصدر عن الإنسان عفوا من الأصوات والصيحات التي تعبر عن الفرح أو الفزع أو الدهشة ، وما تكون الكلمة منه أحيانا من قبيل المحاكاة الصوتية : Onomatopoeic كاسم البلبل والكوكو ، وألفاظ الدق والقطع والوسوسة وما جرى مجراها .

ويريدون بالكلمات الإرادية الفكرية كل ما يقصده المتكلم ويجري فيه على القياس والاستعارة ، وإطلاق القاعدة الواحدة على التشابهات لفظا أو التشابهات لفظا ومعنى . وأكمل اللغات - على سنة التطور والتقدم - تلك اللغات التي انتظمت قواعدها الصوتية Phonologia وقواعدها الصرفية Morphologic وقواعد التراكيب والعبارات .

ثم يضاف إلى الظواهر الصوتية في قياس تطور اللغات ظاهرة التمييز والتخصيص في الصفات إجمالا وفي المفردات على التعميم ، كالتمييز بين المذكر والمؤنث والجناد ، وبين المفرد والمثنى والجمع ، وبين جمع القلة وجمع الكثرة ، وبين الصفات العارضة والصفات الملازمة ، وهي جميعا من المزايا التي تمت للغة العربية على مثال لم تسبقها إليه لغة من لغات الحضارة .

فقيام اللغة على القواعد الفكرية دليل يثبت لها سبق على لغات الارتجال الجزاف في

الإسلام هو دين الدولة الرسمي

ويجب أن ينص على ذلك في الدستور

للأستاذ محمد محمد المديني

حتى ذلزل المؤمنون وظلوا يتساءلون : متى نصر الله ؟ .

والآن وقد رأينا بأعيننا هذا الروح الكريم يسرى في الأمة العربية ، ورأينا العقلية الجديدة التي انبعثت من هذه النهضة تعتبر العروبة ، أساسا دستوريا يجب أن يكون هو المادة الأولى من كل دستور في أي شعب عربي ، ويجب أن يكون هو المحور الذي تدور حوله آمال الوحدة والاتلاف ؛ فإننا نستبشر خيرا ، وننتطلع إلى آفاق واسعة من العظمة والمجد والسمو في ظل المثل الرفيمة والقيم الحقيقية .

وقد شرعت الجمهورية العربية في وضع دستورها ، وعهد الرئيس إلى المجلس الذي يمثل الأمة ، ويجمع جميع طوائفها وألوان التفكير فيها ، بأن يضع هذا الدستور مستلهما روح النهضة ، مستهديا بتاريخ هذه الأمة ، مترسما آمالها في المستقبل وما لها من رسالة في العالم ، واختار المجلس من أعضائه الكرام من يدرسون هذا الأمر الخطير

من الوثبات الإصلاحية التي وثبتها هذه النهضة الجاهلية الناصرية ؛ بعث الشعور بالقومية العربية ، أو إيقاظ الوعي القومي العربي كما يطيّب لكثير من البكائين أن يعبروا عن هذا المعنى الآن ، ولا شك أن العروبة هي أصلنا العريق ، وأنها تجمع بين الناطقين بالضاد في خصائص ذات قيمة عملية وأثار فعالة في النهوض بالأمم ، وتمكينها من السير في ركب التقدم العالمي والحضارة الإنسانية ، بل من السير في مقدمة هذا الركب والمشاركة في قيادته ، ولسنا نقول ذلك تعصبا لعروبتنا ، أو اعتزازا بقوميتنا ولكن نقوله ونجد في تاريخنا المجيد صفحات ناصعة تشهد بصدقه ، وتضرب كثيرا من الأمثلة على صحته .

وإننا لنحمد الله تعالى أن أرانا هذا الروح أو هذا الوعي قبل أن نخرج من هذه الدنيا ، فلقد مرت بنا عشرات من السنين ما كنا نرى فيها ولا نسمع إلا أنين العروبة تحت أثقال الاضطهاد والإضعاف والتشكيل

مؤلفا من صنف واحد من الناس ، هم جميعا على شاكلة واحدة في التفكير ، وعلى مبدأ واحد في العقيدة الدينية ، ولكن المجتمعات الطبيعية هي التي تكون موطناً متسعاً لكل منهج من مناهج التفكير ، ويكون لها من المرونة والساحة ما يجعلها صالحة لأن يجد فيها كل ذي عقيدة مجالا حراً يزاول فيه نشاطه العقلي ، ويتجه فيه اتجاهه الروحي دون مصادرة .

ولكن هذا لا يمنع تألف المجتمعات من كثرة متفاهمة متلاقية ، تجمعها روابط فكرية عقيدية ، وقلة تعيش بجانب هذه الكثرة وتحت ظلها أمنة مطمئنة ، بل هذا هو الأصل في المجتمعات ، فإن الفرق بين مجتمع ومجتمع هو أن الكثرة في هذا المجتمع متفاهمة متلاقية على نوع معين من العقائد والأفكار والأهداف ، والكثرة في مجتمع آخر متلاقية على نوع آخر ، وأفكار وأهداف أخرى . ثم إنه لا عيب على الكثرة في مجتمع ما ، إذا هي تطلبت السيادة لأفكارها ومنهجها وعقائدها ، ولم تسمح في هذا الجانب بأن يعبث بها ، ويقترا عليها ؛ وإنما يعيبها أن يخرجها ذلك إلى لون من ألوان العvisية التي تنهى بها إلى اضطهاد ما يخالف فكرتها ، أو محاولة الإرغام على عقيدتها .

ولقد كان المجتمع الإسلامي الأول ، وهو مجتمع المدينة على عهد رسول الله صلى الله

الشان ، ويحضرون مشروعه ، فكان حقا على كل ذي رأى أن يمد هذه اللجنة برأيه في مختلف النواحي ، حتى يحى الدستور وليد تفكير دقيق محيط ، ويكون محققاً لأهداف أمتنا العزيزة ، معبراً عما تجيش به الصدور تمام التعبير .

وهأنذا أدلى بدلوى في شأن هام من الشئون التي يجب أن تهتم بها لجنة الدستور :

إني لأعرف أن هناك فريقاً من الناس يرد لو استطاع أن يبتعد بالدستور عن أن يقرر مبدأ النص على رسمية الإسلام كدين للدولة ، ووجهته في ذلك أن الجمهورية العربية المتحدة تتألف من مسلمين وغير مسلمين ، وأن الآمال منعقدة بأن المستقبل المرجو للعرب في مختلف شعوبهم هو مستقبل الوحدة أو الاتحاد ، وهناك شعوب عربية فيها كثرة أو ما يقرب من كثرة تدين بغير الإسلام ، فربما كان من المستحسن أن يشعر هؤلاء بأنه ليس هناك حوائل تحول بينهم وبين إخوانهم العرب ، فليترك النص على دين معين في الدستور مراعاة لذلك .

هذا معنى يراود بعض الأذهان من غير شك ، ولنهى صرحاً في عرض هذه الفكرة لتتمكن من الرد عليها ، وبيان وجهة نظرنا فيها .

إننا نقول لأصحاب هذا التفكير :

لا يمكن أن يكون مجتمع من المجتمعات

أن تكون غامضة غير واضحة ، أو أن يكون هناك من يرجف عليها . ويضع بين العقول وبينها حجاباً تحول دون اكتشافها ومعرفتها . لذلك عني القرآن الكريم ببيان عقيدة الإسلام في كثير من الآيات ، ولم يمنعه من بيان هذه العقيدة تعدد الأديان في مجتمعه ، ولا تطلعه لأن ينضوى العالم كله تحت لواء دعوته ، ولم يأت في هذا البيان إلا بالحقائق التي لا ينكرها أحد من هذا الدين أو ذاك . فانظروا إلى مثل قوله تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ ، وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ قَبْلُ ، وَمَنْ يَكْفُرْ بآيَاتِهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا . »

فهذه الآية موجهة إلى جماعة المسلمين ، والمراد بها تقرير أصول الإيمان الصحيح ، والعقيدة الكاملة التي جاءت بها كل رسالة إلهية ، وهي تلتخص فيما يأتي :

(١) الإيمان بالله ، وذلك يقتضي الإيمان بوجوده ، وبجميع صفاته التي ترجع إلى أنه تعالى متصف بكل كمال ، متزه عن كل نقصان ، وأن جميع ما في الكون ، خاضع لألوهيته ، مستند إلى فضله في إيجادهِ وإمداده .

(٢) الإيمان برسوله ، وقد يفسر هذا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وهو المتبادر من

عليه وسلم ، مجتمعاً طابعه العام هو العقائد والمبادئ والأفكار التي جاء بها الإسلام ، وكانت الكثرة للكثرة في المسلمين ، والقوة للفعلية المؤثرة المدبرة - أو بعبارة أخرى - الهيمنة الحاكمة - للمسلمين ، ولكنه كان مع ذلك مجتمعاً مشتركاً يضم فريقاً كبيراً من اليهود لهم دينهم وتقاليدهم وأحياءهم وعشائرتهم ، ويضم أفراداً من النصارى وإن لم يكونوا إلى مثل ما كان عليه اليهود من الكثرة والنفوذ والمداخلة للمسلمين ، وكان هذا المجتمع متمتعاً بالحرية الفكرية إلى درجة أنه كان موطن نضال وجدال بين المسلمين وأهل الكتاب من يهود أو نصارى ، وأن الإسلام كان يلاقى من هذا النضال ألواناً من الصعاب يحتملها في صبر وثبات .

وكان على الإسلام أن يضع السياسة للتوجيهية لهذا المجتمع وأن تكون له باعتباره دين الكثرة سلطة للتنظيم والتقنين ، وهذا هو ما حدث فعلاً ؛ إذ كان التشريع لهذا المجتمع مصدره الكتاب والسنة وولاية أمر المسلمين .

وكان على الإسلام في جانب العقيدة أن يبين دعوته ، وأن يعلن على الناس عقيدته ، وأن يجعلها بذلك واضحة معروفة فإن الحقائق إذا ظهرت ووضحت ، كانت هي الداعية إلى نفسها والمدافعة عن نفسها ، وإنما يضرها

التعبير بقوله (ورسوله) فإنه هو الرسول الحاضر المأمور للخاطبين ، وقد يفسر بأنه جميع الرسل ومن بينهم سيدهم وخاتمهم ، على سنة المفرد المضاف الذى يعم ، فالمراد على هذا : آمنوا بالله ورسله ، ولكنه عبر بالمفرد فقال « ورسوله » ليشير إلى أن جميع الرسائل تمحضت فى رسالة الرسول الأخير ، وأن الرسائل وإن تعددت فى العصور إنما هى رسالة واحدة لا تختلف فى الأصول ، وأن من آمن برسالة الرسول الأخير فقد آمن بالرسالات كلها ، وإذن فالمطلوب هو الإيمان بالله ورسله ، ثم إنها تتحدث عن الكتاب الذى نزل على محمد ، والكتاب الذى أنزل من قبل ، أى الكتب السابقة على القرآن ، وقد ذكرت أيضا بلفظ المفرد والمراد كل كتاب سماوى إلهائياً بأنها كلها من حيث ما جاءت به من الحقائق ، ومارمت إليه من الهداية بمنزلة كتاب واحد .

(٥) الإيمان باليوم الآخر ، وبكل ما جاء عنه فى كتاب الله وفى السنة ، على ما ذكرنا ، من الجنة والنار ، والوزن والحساب ، وغير ذلك كما جاء دون تفصيل لما لم يفصل ، ولا زيادة ولا نقص ، فهذا هو المنهج السليم فى شئون الغيب والآخرة ، لأنه لا مجال للعقل إثباتاً أو نفيًا فى ذلك ، وما دنا تؤمن بالله فيجب أن تؤمن بكل ما صح بحجته عن الله ، على الصورة التى جاء بها ، فمن زاد عليها أو نقص منها ؛ فقد جاء بشئ من عنده .

وهكذا نجد هذه الآية كما نجد آيات كثيرة غيرها تفصح عن عقيدة الإسلام إفاصاحاً تاماً ولا تأتى فى هذا الإفصاح بما تنكره العقول أو الأديان الصحيحة ، ولا يمنعها من ذلك تعدد الأديان فى المجتمع ، لأنها إنما تقر عقيدة الكثرة ، أما القلة فلها أن تؤمن بما شاءت وترفض ما شاءت ، متحملة مسئولية هذا وذاك أمام الله دون ضغط ولا إكراه .

فلهذا نقول للجنة الدستور فى صراحة وقررة : أعلنوا أن الإسلام هو دين الدولة ، واعلموا أن إخواننا غير المسلمين إنما هم فى ذمة الله ورسوله ، لهم ما لنا ، وعليهم ما علينا ، ونحن جميعاً سواء فى الوطن ، والحقوق .

(٣) الإيمان بجميع الكتب المنزلة لافرق بين كتاب وكتاب .

(٤) الإيمان بعالم الغيب الذى ذكر منه فى هذه الآية بعض ما فيه ، وهم ملائكة الله على ما وصفهم به الله فى كتابه المفيد لليقين ، وفيما يطمئن القلب إلى وروده حقاً عن رسوله الأمين .

محمد محمد المرنى

عميد كلية الشريعة

نِجَاتِ الْقُرْآنِ

المؤمنون بالحق منيُصرون وإن قَالُوا
والمتشبثون بالباطل مخزولون وإن كُتِرُوا
والمثل في بني إسرائيل ...
للأستاذ عبد اللطيف السبكي

(١) وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو ممددهم

هَذَا بِأَشَدِّ ٢٢

(ب) قَالُوا : معذرة إلى ربكم - ولعلهم يتقون .

(ج) فلما نسوا ما ذكروا به أنجبنا الذين يبهلون عن الدوء .

(د) وأخذنا الذين ظلموا بعباد بئيس بما كانوا يفسقون

١ - في كل أمة مجاهدون صابرون ، ويجاهدون في إرشادهم ، ويتلذذون منهم أسوأ
وفي كل أمة خبياء مفسدون .

وقد عودنا الله بحكمته وقدرته أن يؤيد
أهل الحق ولو كانوا قلة ، لأن الحق صفته
- تعالى - بل من أسمائه ، والحق شرعته
في أفعاله وشرعته في خلقه ، فالله هضون
إلى الحق جنود الله ، والناكصون عن الحق
أعداء الشيطان وأعداء الله ... وإنما ينصر
الله جنده ، ويهزم أعداءه .

وإنه لمن فضل الله على الناس أن يهيئ
في كل بيئة من يتعاهدها بالتوجيه ، ليظلوا

٢ - ومع ما غلب على بني إسرائيل
من فسوق ، وما تحكم فيهم من ضلال
كان رسلم وأخيارهم يدهبون على نصحهم ،
على بصيرة من أمرهم ، فلا تتجه الحياة بهم
إلى البهيمية ، وينحدرون عن مقام الإنسانية
- ثم لعل استمرار الدعاة على دعوتهم ،

الرسالة ، وبذل الهداية يأبون الانصراف واليأس ويلتمسون لأنفسهم سببين كريمين . قالوا : « معذرة إلى ربكم - ولعلمهم يتقون ، يريدون : أنه مثابرتنا على الدعوة لهؤلاء المتتمردين لنبرأ إلى الله من تبعة التتبعير أولا وطمعا في هدايتهم ثانيا . فربما جنحوا إلى التقوى بسبب مواصلة الإرشاد .

ثم ظل الدعاة على منهجهم ، وظل العصاة على غيهم فماذا كانت النتيجة ؟ جواب هذا السؤال في قوله تعالى :

« فلما نسوا ما ذكروا به أنجيناهم الذين يهون عن السوء ، وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئس بما كانوا يفسقون ، .

لما بقي المخالفون على تناسيهم للنصح الموجه إليهم ، حتى كأنه غير معهود لهم ، وقعت فيهم سمة الله ، وجرت عليهم حكمته فأخذهم بعذاب بئس شديد عليهم ، سى . الاثر في كيانهم وفي سمعتهم ، وذلك بسبب فسقهم .

وكان عدلا من الله أن يقصر عليهم جزاء عملهم . وأن ينجي من ذلك العذاب البئس دعاة الخير الناهين عن عمل السوء .

ه — ولكن ما هو العذاب البئس الذي جلبته عليهم معاصيهم ؟ ؟ .

وجواب هذا في قوله تعالى : ثانيا . « فلما عتوا عما نهوا عنه ، قلنا لهم كونوا قردة خاسئين ، يعني لما أسرفوا في المخالفة حتى لم

وتحملهم في سبيلها مرارة العنت أمارة أخرى على رعاية الله لعباده . وتلفه بهم ، إذ لم يعالجهم بالهلاك من عنده بل يثبت فيهم أحباب الدعوة ، ويخفف عليهم متاعها ، وصعابها ، حتى يبلغ الأمر مبلغه من نجاح أو يأس ، ويتطوى من الزمن ما يكفي للخبرة والمطاوله ثم يكون قضاء الله في خلقه على ما أراد لهم من عاقبة مقدورة بالخير أو السوء .

٣ — وكان في بني إسرائيل طائفة ثالثة طيبة غير الناصحين ، ينظرون إلى العصاة منهم نظرة اليأس من هدايتهم ، وينظرون إلى الدعاة الاخيار نظرة الإشفاق ، والترفق ، ويحاولون أن يصرفوهم عن دعوة هؤلاء الأشرار الماكرين ، ويقولون : « لم تعظون قوما الله مهلكهم ، أو معذبهم عذابا شديدا . . يعني : لافائدة من إرشاد قوم مصرين على إفسادهم ، ونقضهم للعهود التي تؤخذ عليهم والمفروض أن يهلكهم الله حتما بيلا يحتاجهم في دنياهم ، أو يعاقبهم بالعذاب الشديد في أخراهم ، أو يجمع عليهم هلاك الدنيا وعذاب الآخرة .

فموقف هؤلاء موقف المحايدين لا يرتكبون ما يرتكبه المخالفون ، ولا ينهضون بالنصح مع الناصحين ، بل يرون أن يعرض الناصحون عن ذلك المجهود الضائع .

٤ — ولكن الناصحين المتعلقين بأداء

مخلفاتهم ، فهم قد انقضوا ، وبقيت ذكرياتهم في كتاب الله تيكيتا خلفهم . .

ويرى بعض المفسرين أنه نسخ أدبي يراد به الطمس على عقولهم فلا تدرك صوابا ، وعلى كرامتهم بين الناس بما يذكر الله عنهم حتى جعلهم في منزلة القردة والخنازير . .

وإن كان لهذا التأويل مجال فإنه يخفض من قيمة العبرة المقصودة .

ومالا يحتاج إلى تأويل أجدر با قبول مما يحتاج إلى تأويل . .

هكذا كانت العقوبة الواقعة ، أو إحدى العقوبات لبنى إسرائيل .

بل لم يقف بهم الأمر عند هذا الحد ، فقد توعدهم الله بشر يلزمهم إلى نهاية الحياة فقال : « وإذ تأذن ربك ليعيثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ، ثم أخبر أنه سيقطعهم أئماً مختلفة ، فمنهم أمة طيبة مستجيبة للرسول من بعد ، ومنهم أمة دون ذلك ، وساء ما يعملون .

٧ - وإذا كان هذا المسخ قضاء الله في اليهود المخالفين فأين الفريق الثالث المحايدين لم تعرض لهم نصوص الآيات ، فهل ذهبوا ضحية الفتنة التي أتاها واقتربها العصاة من قومهم ؛ لأنهم لم يجرؤهم عنها ، والفتنة تصيب فاعلها وغيره ، والراجح أنهم كانوا من الناجين مع الدعاة المرشدين ، فلم يستخهم

بتركوا ما أمروا بفعله ، بل تجاوزوا في العنت إلى أن فعلوا كل محظور نهوا عنه كان أمرا الله فيهم أن يكونوا قردة خاسئين .

غضب الله عليهم بعد مصابوهم طويلا ، وبعد الحلم الذي أغراهم الحق بسببه ، فسسخهم قردة خاسئين .

٦ - وهل هذا المسخ حقيقى فصاروا قردة فى أشكالهم ، وخسثوا بإبعادهم عن رحمة الله ولطفه بهم ؟ ؟

ظاهر الآية أنه مسخ حقيقى ، ويؤيد هذا الاتجاه أنه ذكر فى مواطن أخرى : « ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين ، وفى آية : أنهم صاروا قردة وخنازير .

وليس كثير أعلى الله أن يفعل ذلك بمن أمعنوا فى عصيانه . وفى نقض عهوده ، وفى تقتيل أنبيائه ، وفى ابتداعهم لشرور لم يسبقهم إليها من هلك قبلهم من أشقياء الأمم .

ولا موجب لصرف الآيات عن ظاهرها بل فى الأخذ بالظاهر إيضاح لجرائمهم ، وتجسيم للعبرة بهم ، وتشنيع على من يستمرى المعصية ويستخف بأثرها . وهذه الذكري المشؤمة يتعظ الناس بما يفعل الله فى الظالمين فعلا حقيقيا لا مجازيا . .

ولا يلزم أن يكون هؤلاء الممسوخين ذرية منهم ، ولا أن يكون لهم أثر نحسه نحن فى

وكذلك يجحد الناس في مناكب الأرض
آثارا تفسر لنا قصص القرآن عن الغابرين ،
وتزيدنا إيمانا بأنه القصص الحق من عند الله ..
وما يذبخي أن يتشاغل الذهن عن استحضر
ها تيك الأحداث في ذكرياته .

والقرآن يذكرها كثيراً في أساليب
متعددة ، ويقرنها بظلمهم ، وفسقهم وما كانوا
يصنعون .

وهل نحتاج إلى تصريح أقوى من قوله
تعالى : « وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئس
بما كانوا يفسقون » .

أو نحتاج إلى زجر بأوضح من قوله تعالى :
« قلبا عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كنوا قردة
خاسئين ؟ » ، وقوله عن قبيلة عاد - مثلاً -
« ... الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها
الفساد ، فصب عليهم ربك سوط عذاب ،
إن ربك لبالمرصاد » .

وهكذا أراد الله أن يكون في شأن اليهود
قصص يقشع له الضمير الحى ، وأن تكون
ذكرياتهم وخزات في مشاعر الإنسانية .

ولم تعد العبرة بما عرف عن اليهود محبوسة
في القصص التاريخي ، بل شأنهم في الدنيا ،
والأعيهم هنا وهناك تشهد بما شهد الله فيهم
« ولا تزال تطلع على خائنة منهم » .

وأحدثهم في حاضرنا تفيد أن العالم كله
على بينة من مخازيهم ، حتى الذين يمالئون

الله ، ولا آخذهم على حيادهم ، لأنهم لم يسكتوا
عن رضا وموافقة حتى يعتبروا شركاء في
الجرائم ، أو يعتبروا من المتخاذلين الذين
وصفهم بقوله تعالى : « كانوا لا يتناهون عن
منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون » ،
بل سكتوا عن يأس وهم غاضبون بقلوبهم
على العصاة ، ومستكثرون أن يستمر
النصحاء على نصحهم .. والحق في شأن هذه
للطائفة الثالثة أنها كانت معنية بالدعوة
والنصح ، وما تخلفت عن هذا إلا يأسا ،
وعلى هذا تعتبر من الذين ينهون عن سوء
فعلا ، فلا تكون فرقة ثالثة من أول أمرها ،
بل باعتبار موقفها المحايد أخيرا .. وعلى أى
توجيه فليسوا الغاسقين الهالكين الممسوخين .

٨ - وفيما ذكرنا من هذا القصص دلالة
أكيدة على أن المعاصي سبب في المشامة ،
وكثيراً ما يتحدث كتاب الله عن هلاك
الهالكين بسبب مآثمهم ، وعن عذابهم في
الآخرة بعد ابتلائهم في الدنيا وطالما يحثنا
القرآن على السير في الأرض لننظر آثار
المهلكين ، وكيف كانت عواقبهم بعد أن
كان لهم في دنياهم جبروت ، وثراء ، ومتاع ،
فأصبحوا أثراً بعد عين ، وإذا كانت الأزمات
قد عفت على كثير من مشاهد حياتهم فلا
تزال هناك بقايا في نواحي ديارهم ، ولدينا
رموز من آثار الفراعنة ، شاخصة وشاحنة .

على شاكلتهم من الأشرار .

هذا ، وقد تركز في أذهاننا سلف أن المآثم والاحراف سبب الوبال والعذاب ولكن بعض الناس لا يرى ذلك مطرداً في أرباب الفساد ، وقد أوضح أولو العلم أن شيوع الرذائل في الأمم شؤم على مجموع الأمة ، وأن الله يدل الدولة بسبب تحملها ، وبجافاتها لدينها ، وهذه سنته في الخليقة ، وهذه توجهاته على لسان جميع رسله ، وهذه هي العبر التي يتحدث بها التاريخ من واقع الحياة ، حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون ، هالكون . أما معاقبة الأفراد بسبب انحرافهم فقد يحصل هذا في دنياهم ، وقد يمهلمهم الله إلى الآخرة .

وكم من آثم تعثرت به الحياة ، وأحرق به الشؤم بسبب انحرافه ! ! وكم من آثم ظل سادراً في لهوه ، وعاش رافلاً في خطئه حتى خرج من دنياه حاملاً أوزاره ، نادماً على ما فاتته ، وقد فات أوان الندم .

وبعد: فقد بين الله مناهج الحياة ، وضرب الأمثال بمن سبقوا ، وأكد صادق وعده ووعيده للأفراد ، وللأمم ، ولم يبق إلا أن نحسن الاستجابة .

ونحن نسأله التوفيق لنا أفراداً وجماعات ، وأن يعصم الجماعة الإسلامية من كيد خصومها بحوله وقوته .

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

اليهود ، ويتخذونهم أعواناً في المنافع ، أو يسخرونهم في مناوأة الغير فهم أعرف باليهود من سواهم ، ولكنها الغايات .

وقد تكرر في القرآن وعيد الله لبنى إسرائيل بما يلازمهم من هوان ، ومذلة وقلق ، وما من شك في أن حياتهم متأرجحة وأنهم غير قانعين بما هم عليه ، وأنهم في سورة تزعمهم دائماً لإشفاقاً على أموالهم ، وعلى كياناتهم ، وعلى تمزيقهم في جوانب الأرض . وهذا بلاء لا يستهان به في الحياة .

ومهما تربثت بهم الأحداث ، أو تطامنت لهم الدنيا ، أو احتضنهم دعاة الاستعمار : فإن الله صادق الوعيد فيهم ، ولا جرم ، والزمن كاشف عما تضرره الأقدار بعد .

هذا — وقد ذكر المؤرخون أن بني إسرائيل المعنيين في التاريخ هم أهل التوراة الذين درجوا على أرض سيناء وهم بنو يعقوب بن إسحاق عليهما السلام .

أما الذين دخلوا في اليهودية كدين لهم من أبناء الأمم الأخرى فليسوا من صميم بني إسرائيل الذين نسجوا ذلك التاريخ الملوث وخلفوا هاتيك الذكريات المخزبات .

وما قصدنا من هذه اللوحة إلا مجرد التمييز بين عنصرهم من ناحية الجنسية والوطنية .

أما في العقيدة فلا خيار لفريق على فريق ، وهم سواء في مسابقة الأباطيل والانهماك في الإفك والضلال ، وقبحاً للجميع ، ولمن

النسخ في القرآن الكريم

للأستاذ محمد سعد جلال

١ — يلج الدارس لموضوع النسخ من خلال الأقوال التي نجدها منقولة عن الصحابة والتابعين، كابن عباس وابن مسعود، وعكرمة، وبجهد، والحسن، وقادة وغيرهم: ومن تأصيل الأئمة وعلماء الأصول من سنيين وشيعة وظاهرية ومعتزلة، أن مسألة النسخ كانت واقعة مستقرة في التفكير الإسلامي، وأن الجو الفكري المتبادل بين المختلفين في مواد المسائل المنسوخة والناسخة إنما ينهض شاهداً على أن موضوع النسخ من الموضوعات التي سلم بوجودها المسلمون من أول الأمر في الشريعة الإسلامية. وأن أية محاولة طارئة، ومتأخرة في الزمن، ترمى إلى القول بعدم وجود النسخ في الشريعة، أو في القرآن، إنما هي محاولة مفتعلة على ذلك الوضع المستقر لفكرة النسخ، مهما اصطنع لها أصحابها من المبررات ومهما تهاهم من محاولات الاستدلال: إنه لمن الصعب أن نصدق أن ابن مسعود، وابن عباس وعلى ابن أبي طالب وغيرهم يتكلمون في النسخ ويختلفون فيما بينهم اختلافات تصل إلى حد إعلان المباهلة حول بعض الآيات، فيقول

ابن مسعود في بعض واقعات النسخ باهله أن سورة النساء القصوى نزلت بعد سورة النساء الطولى، أى فنسخت الآية التي يعينها — ثم يكون النسخ في آيات القرآن أو في السنة أمراً غريباً وخطأ واقعاً في الدين، ومهما لاحظنا أن من المنقول عنهم في النسخ والمنسوخ مالا ينطبق عليه حد النسخ عند الأصوليين فإن حديث هؤلاء الصحابة والتابعين عن النسخ حديثاً مستقراً متبادلاً فيما بينهم، في الوقائع التي يدارسونها كاف وحده في الدلالة على وجود مبدأ النسخ - وثبوته في الشريعة الإسلامية.

٢ — وحين يتحدث الكتاب المسلمون عن المنكرين للنسخ لا يذكرون في المقام الظاهر من حديثهم إلا اليهود، ويشيرون بمنتهى عدم الاكتراث إلى بعض مجمل من المسلمين لانعرف أشخاصهم ولا زمان وجودهم ولا مستند رأيهم على التحديد كقول الفخر الرازى: «ويروى عن بعض المسلمين إنكار النسخ، ولا يعنى بالزيادة في تعريفهم على هذه الإشارة الوجيزة، وكقول الإمام البردوى — على بن محمد — وقد أنكر

كان شخصا آخر ينضم إلى أبي مسلم في إنكار النسخ ؛ لأن القائلين بالنسخ أنفسهم يبذلون نفس المحاولات للتوفيق بين الآيات التي تعطي انتعاض بظاهرها ، نأياً عن طريق النسخ ؛ لأن النسخ باتفاق العلماء آخر ما يصار إليه في فهم آيات القرآن ، فلعل أبا بكر الأصم هذا كان من هذا الفريق ، على أننا وقعنا مصادفة - في الأحكام - لابن حزم على نص قاطع في تحديد موقف أبي بكر الأصم .

في أثناء نقول ابن حزم لأقوال العلماء الذين يهدرون العمل بخبر الواحد . ذكر نقلاً عن الأصم يتضمن اعترافه بالنسخ يقينا .

قال ابن حزم : قال أبو بكر بن كيسان الأصم البصري : « لو أن مائة خبر مجموعة قد ثبت أنها كلها صحاح إلا واحداً منها لا يعرف بغيته أيها هو - قال - فإن الواجب التوقف عن جميعها - فكيف وكل خبر منها لا يقطع على أنه حق متيقن ولا يؤمن فيه الكذب ، والنسخ ، ^(١) والغلط انتهى كلام الأصم ، وظاهر أن موضع الشهادة فيه على ما تلمس هو كلمته الأخيرة ، ولا يؤمن فيه الكذب ، والنسخ ، والغلط ، فهذا إقرار منه بموضوع النسخ .

بعض المسلمين النسخ : لكن لا يتصور هذا القول من مسلم مع صحة عقد الإسلام .

وتستطيع أن تقدر ما في هذه العبارة اللينة ، من تليظ الحكم ، وقسوة النظر على من ينكر وجود النسخ في الشريعة : وهذا القول لا يتصور من مسلم مع صحة عقد الإسلام .

٣ - ولنبحث عن هذا البعض المجمل ، الذي أشار إليه الرازي ، والإمام البزدوى رضى الله عنهما : إن عبد العزيز البخارى شارح البزدوى دلنا على هذا البعض المنكر للنسخ في نقل البزدوى وسماء : « أبو مسلم الأصفهاني محمد بن بحر ،

فمن يكون يا ترى ذلك البعض المجمل الذي عناء الفخر الرازي ، هل هم جماعة آخرون غير أبي مسلم ؟ أم المقصود أبو مسلم نفسه ؟ إن الفخر الرازي لا يكشف لنا عن هذه المسألة - وفي أثناء درسنا للآيات التي يقع فيها الاختلاف حول النسخ والمنسوخ ، في تفسيره الكبير - لا يذكر لنا إلا اسم أبي مسلم في الجانب الذي يتأول فيه الآيات المنسوخة ، ليخرجها عن حد النسخ .

وفي بعض المرات ذكر لنا اسماً آخر ، هو اسم أبي بكر الأصم ، أثناء التوفيق بين بعض الآيات المتنازع على نسخها ، ولكن هذا لا يكفي لأن تظن أن أبا بكر الأصم ،

(١) المراد بالنسخ نسخ حديث بحديث آخر : كقوله صلى الله عليه وسلم : « كنت نبيتم من زيارة القبور فزوروها » .

الآيات الناسخة والمنسوخة نعود إليها فيما بعد، ولكنه لم يقدم لنا بالذات الأصل الذي اعتمده في إنكار النسخ، إن معرفة هذا الأصل ذات خطر كبير في تكييف الموضوع والحكم فيه - ولا سيما بالنسبة لمن يحاولون تقليد أبي مسلم في طريقة التوفيق بين الآيات المنسوخة والناسخة، ويحسبون الخطب في ذلك سهلاً، مع أن انكشاف الأصل الذي بنى عليه أبو مسلم «منع النسخ»، قد يكون على درجة من ظهور البطلان ومصادمة النصوص، كاقول بالبداة أو غيره - يقتضى رد مذهبه رداً قاطعاً بغير التفات إلى أسلوبه في التوفيق بين الآيات، موضوع النسخ.

وقد يدلنا هذا المعنى على مبلغ المجازفة عند من يسارع إلى الأخذ بالجانب التطبيقي لمذهب لا تعرف أصوله ولا قواعده التي حصل التطبيق على أساسها غير المنظور.

٦ - اهتم المسلمون بالرد على منكرى النسخ اهتماماً كبيراً، كما يظهر ذلك في كتب الأصول عامة ولم يكن مبعث اهتمامهم مخالفة أبي مسلم لكماقتهم لأن الرد على إنكار مبدأ النسخ كان سابقاً على حياة أبي مسلم؛ ولأن أبا مسلم لم يعتبر هو الشخصية الخطيرة، في إنكار النسخ عند المسلمين.

بل أشير إليه بسبب طابع الانفرادية الذي حمله رأيه على إنكار النسخ، بعد ما استقر

٤ - إذن نستطيع أن نحزم بأن الاستقراء العلني إلى الآن وبحسب المصادر التي بأيدينا لم يستطع أن يقدم لنا من بين علماء المسلمين اسماً معيناً يذهب إلى إنكار النسخ غير أبي مسلم - ذلك المفكر الذي يثير ضجة كبيرة في عالم التفسير والفقه، بنظريته المبتدعة في إنكار النسخ. وقد ترك أبو مسلم من المصادر التي يتحتم أن يكون ضمنها هذه النظرية - كتابين أحدهما كتاب «جامع التأويل لمحكم التنزيل»، وهو تفسير ضخم يقع في نحو أربعة عشر مجلداً - كتبه على طريقة المعتزلة، وفي نقول جولد زيهر: «أنه يبلغ سبعة وعشرين مجلداً». وقد مدحه بعض الكاتبين القدماء بأنه لم يؤلف مثله - وهي عبارة تقليدية لانفيذ غير التزكية - لكن هذا الكاتب أشار بعد هذه التزكية إلى أن ضخامة الكتاب من بعض الفضول.

وثاني الكتابين «كتاب الناسخ والمنسوخ»، ومبلغ على أن هذين الكتابين لم يصل إلينا، وإلا لكانا قد وجدنا في رحابهما الواسعة، ومادتهما المباشرة، معرفة أوسع، وأدق، وذات أصالة بهذه النظرية الجديدة التي خرج بها صاحبها على الناس، في أواخر القرن الثالث ومطلع القرن الرابع الهجري.

٥ - وقد استطاع الفخر الرازي أن يقدم لنا نماذج لمحاولات أبي مسلم في التوفيق بين

خافيا ، ومنه قوله تعالى : « وبدأ لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ، أى ظهر لهم من عاقبة أمرهم فى الآخرة ما كان خافيا عليهم فى الدنيا .

قالوا : إن الأمر بالشئ يدل على حسن الأمور به والنهى عن الشئ يدل على قبح الأمور به .

فإذا أمرنا الله بشئ كان ذلك الشئ الأمور به حسنا وصالحا ، فإذا عاد ونهانا عنه بذاته بعد ذلك كان ذلك النهى دليلا على أن ذلك الفعل الذى كان قد أمرنا به فى الماضى لم يكن حسنا ولا صالحا ، وإنما كان قبيحا وفسادا ، وأن قبحه وفساده كان خافيا على الله فى أول الأمر حين أمر بفعله ثم بدا له من بعد ظهور قبحه وفساده فعمد إلى النهى عنه ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

فهذا هو البداء وهو يستلزم لإدخال النقص على علم الله . فما أدى إليه من النسخ يكون باطلا ويمتدعا .

٨ - وقد كان الجواب عن هذه الشبهة

حاضرا ميسورا عند علماء المسلمين :

ذلك أن لخصوصية الزمان أثرا فى حسن الأشياء وقبحها بالنسبة للسكف فى زمان وصالحا له ، فبأمره الله به ثم يكون نفس الشئ فى زمان آخر بالنسبة للسكف شرا وفسادا

فإنهى الله عنه ، وقد يكون من أوضح الأمثلة على ذلك فى تصرفات الناس اليوم . الرياضة

الامر فى القرون : الأول ، والثانى ، والثالث عند علماء المسلمين ، على جواز النسخ ووقوعه فى الشريعة والقرآن .

ولنما اهتم المسلمون بمناقشة فكرة النسخ والرد على منكريه بسبب عمل اليهود ، لأنهم من أول أمر الإسلام ، أظهروا طعنهم على النبي - صلى الله عليه وسلم - من أجل النسخ ، واعتبروا وجود النسخ دليلا على بشرية القرآن : كما حصل مثل هذا الطعن من قريش على النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى ابن عباس أيضا ، على أن الطعن من قريش لم يكن هو الذى يستفز المسلمين باستمرار . فالمفروض أن مثل هذه المطاعن التى كانت تصدر عن قريش انقطع صداها بانتصار الإسلام فى الجزيرة العربية كلها .

ولكن الأمر ذا البال فى هذه القضية ، إنما كان هو طعن اليهود المستمر على الإسلام من جهة مسألة النسخ هذه .

ولذلك رأينا اسم اليهود وحدهم هو الاسم الظاهر المتعمد فى معرض المناقشات الإسلامية فى هذه المسألة .

والشبهة الأساسية التى يتعلق بها المذكورون للنسخ هى أن النسخ من قبيل البداء والبداء على الله محال فما هو البداء .

٧ - البداء فى أصل اللغة : الظهور بعد الخفاء . يقال بدا سور المدينة بعد أن كان

جوانبه في أحكامه ، وأخباره وبلاغته فلا يتناول الخطأ من وجه .

والنسخ ليس من قبيل الخطأ ، ولا من قبيل الإبطال لأحكام القرآن ، وإنما هو من قبيل البيان لأحكامه ، والإعلام بانتهاء مدة بعضها لتحل محلها أحكام غيرها ، وكذلك شأن السنة .

١٠ - بعد ذلك نتجه إلى بيان أدلة القائلين بإثبات النسخ : أثبتوا جوازه بالعقل وبنص القرآن على وقوعه وباستخراج مواد وقوعه في القرآن فعلا .

لا يمنع العقل من إمكان وقوع النسخ ، لأنه ممكن لذاته ، إذ لا يترتب على افتراض حصوله محال فكان جائزا - وبهذا تبينت الخطوة الأولى في إثبات الإمكان الفعلي وبطل زعم اليهود بامتناع النسخ عقلا ، إذ ليس بين ما هو ممكن عقلا ، وما هو محال عقلا إلا انتفاء ترتب المحال على ما نفترض وقوعه في حيز الوجود فعلا ، من الأشياء التي يدعى إمكانها .

وهذا الأسلوب في الاستدلال مما لا تشيع معرفته عند مثقفي العصر ، حيث يشبهه على أذهانهم كثيرا الفرق الدقيق بين نوعين من المستحيل ، فلزم أن نفرغ بعض الضوء من نور الله ، على المسألة ليزداد وضوحا ،

البدنية ، مثل الكرة والمصارعة وحمل الأثقال فإن هذه الأنواع من الرياضة قد تكون حسنة وصالحة في زمان الفتوة والشباب ، فيأمر بها الأمر ، ثم تكون مزاولة بعضها عند تقدم السن وضعف القلب ، هـلا كما محققا ، فينهي عنها ، وليس بين أمره ونهيه سبيل إلى إنكار العقول ، فكيف إذا صدر مثل ذلك من الحكماء الخبير .

٩ - وأما أبو مسلم فالحق أن فلسفته وأدلتها لم تنقل إلينا وإنما نقل إلينا جانب من تطبيقات مذهبه فقط ، ولأنه لبعيد جدا - من أجل ذلك - أن نفترض أنه قد كان لأبي مسلم فلسفة صحيحة ، أو حجج مقبولة غابت عنا ، وأقصى ما نجد في الباب أنهم ذكروا حجة في الجانب الذي يتجه إليه ، وهي قوله تعالى في وصف القرآن الكريم : « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » قالوا عنه في تقرير هذه الحجة : إن النسخ لإبطال لحكم القرآن ، والقرآن منزّه عن الإبطال فلا نسخ له ، والسنة كالقرآن في وجوب التنزه عن الإبطال لعدم القائل بالفصل بينهما . فلا نسخ فيها أيضا .

وليس الأمر كما قال صاحب هذا القول - فعني الآية أن هذا الكتاب العزيز منزّه عن وقوع الخطأ فيه من جميع أقطاره ، وعامة

الأمور الممكنة في ذاتها المستبعدة بحكم ما جرت به العادات ، وألف العقل من سير الأحداث الكونية الرتبية ، يسميه علماءنا رضى الله عنهم - مستحيلا عاديا .

وأمر آخرى يحكم العقل باستحالتها ذاتها على الإطلاق كاستحالة الجمع بين المتناقضين بالشروط المعبرة لذلك - وكاستحالة إله آخر مع الله - فكل من هذين المثليين يسمى مستحيلا عقليا . وهو المستحيل الحقيقي في استعالات البرهان .

والفرق بين النوعين مما يطلق عليهما اسم المستحيل ، أن المستحيل العقلي غير قابل للوجود من حيث ذاته . فيكون ممكنا من هذه الناحية .

والضابط المميز لكل منهما أن المستحيل العادى إذا فرضت وجوده لم يترتب على فرض وجوده محال ثان - فلو فرضنا أن الجبل قد انقلب زئبقا ، وأن المحيط قد تحول ذهابا فلن يترتب على تحقق هذا الفرض في الوجود محال ، بعكس ما لو افترضنا أن للبارى شريكا فإن هذا الفرض - إن تحقق - يستلزم محالا ثابتا يترتب على تحققه ، وهو انعدام العالم ، ذلك الموجود أمامنا حصا وعيانا .

بهذا الإيضاح اليسير المستطرد ، أمكننا أن نلاحظ ما يحكم العقل باستحالاته وما لا يحكم العقل باستحالاته من الأشياء وأممكننا أن

وليتقرر بمنهجها صحة الاستدلال في نفوس السائلين في مواضع كثيرة .

الأمور التي ينكرها العقل تنقسم إلى قسمين بحسب السبب الداعى لهذا الإنكار :

أمر ينكرها العقل لأنه لم يألف وقوعها أو لم يألف نفعا في تاريخ تجاربه الطويلة ومشاهداته المتسلسلة وانطباعاته الذهنية المعتادة ، فهذه الأمور قد يسميها في حال الوقوع أو في حال النفي بالمستحيالات - فالذهن لم يألف مثلا أن ينقلب المحيط ذهابا ، ولا أن يتحول الجبل زئبقا ، ولا أن ينشق القمر فلقتين ، فيسمى ذلك كله إذا عرض عليه مستحيلا مع أنه ممكن في ذاته ويحتمل حصوله وإن كان العقل قبل التأمل والنظر - يكاد يرفض احتمال حصوله لشدة غرابته ، وبعده عن مألوفه .

ويقرب هذا المعنى أننا لو سألنا العقل البشرى من قبل مائة عام عن عجائب الراديو والتلفزيون والعقل الألكترونى ، لحكم بأن ذلك مستحيل ، وإنما كان يستمد الحكم بالاستحالة على هذه العجائب ، من تصوراته العادية ، ومألوفاته السابقة ، مع أنه قد ثبت الآن - بعد انكشاف قوانين كونية جديدة

- أن هذه - المستحيالات في بادىء نظر العقل قبل مائة سنة مثلا - إنما هي ممكنات في ذاتها تمثل واقع حياتنا الراهنة - فمثل هذه

والمراد بالخير - على كلا الوجهين في الآية - على ما يختار هو : ما كان أكثر مصلحة للمكلف سواء أكان أخف أو أثقل من الأحكام - لأن الله يصرف المكلف في أنواع التكليف ، على حسب ما يرى له من المصلحة لا بحسب هوى المكلف . وداعية نفسه .

وبيان الآية على هذا الوجه المستقيم - كما ذهب إليه جمهور المفسرين . والأصوليون حجة تامة في إثبات النسخ جوازاً ووقوعاً .

لكن الشيخ محمد عبده أخذاً ببعض كلام محيي الدين بن عربي المتصوف المشهور ، أورد تشكيكاً على مفاد الآية . قال : إن المراد بالآية في هذا الموضع إنما هو « المعجزة » ، وهو أولاً قول بعيد عن المعنى المتبادر للفظ الآية حتى قال بعضهم : إن الآية حين تذكر في القرآن يراد بها عرفاً الآية القرآنية ، وأبين من ذلك أن سبب النزول الذي نزل عليه الآية قاض بعدم ترجيح معنى للآية غير مدلول الآية القرآنية .

ذلك أن سبب نزول الآية كما نصر علماء التفسير هو طعن اليهود على النبي صلى الله عليه وسلم في أمر النسخ : قالوا « ألا ترون إلى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينههم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولاً ويرجع عنه فنزلت الآية » ، إذن فقد كان موضوعها يمثل حالة واقعة .

نلاحظ أن استبعاد فكرة النسخ على الشريعة أو استغرابها ، أمر ليس من شأنه أن يؤدي إلى إنكار وقوعه وقد دلت نصوص الشريعة وواقع هذه النصوص على ثبوت النسخ فعلاً .

١١ - ورد من آيات القرآن في إثبات النسخ آيتان هما أظهر الآيات دلالة على الموضوع وقد استدلل بهما عامة العلماء : أولاهما - قوله تعالى « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها » .

المراد بالآية هنا هي الآية القرآنية - وإلى ذلك ذهب عامة المفسرين ، وعلماء الأصول .

والمراد بالنسخ الإزالة ، أو التبديل . والمراد بلفظ « ننسها » ، في أقرب التفاسير أحد معنيين - إما ذهابها عن الذكر وإما تركها على موضعها .

ويكون بيان الآية على المعنى الأول - كما ذهب إليه الحسن والأصم وأكثر المتكلمين : ما ننسخ من آية وأنتم تقرءونها ، أو ننسها أي - نذهب بها عن أذهانكم مما كنتم تتداولون قراءته فيما بينكم ، نأت بخير منها أو مثلها .

ويكون بيان الآية على المعنى الثاني حين يفسر النسخ بالتبديل ، والإنشاء بالترك ما يبدل من آية على وجه من وجوه التبديل أو نقرها في مكانها نأت بخير منها أو مثلها .

التبديل معناه رفع الشيء مع وضع غيره .
 محله . وتبديل الآية رفعها ووضع غيرها مكانها
 وهو النسخ ، ويستحيل أن يكون « معنى الآية »
 في هذا الموضوع غير الآية القرآنية لسبعة أسباب :
 أولاً : سبب النزول كما قدمنا .

ثانياً : التبادر الهاجم على النفس الذي
 لا ينكره من نفسه كل عارف باللغة .

ثالثاً : دلالة قوله حكاية عنهم : « إنما أنت
 مفتر » ، فإن الظاهر من نعت الافتراء أنه
 لا يكون متعلقاً إلا بما هو من جنس الكلام .
 ولا يعقل أن يكون الافتراء متعلقاً بالآيات
 إذا فُرت الآية بالمعجزة . ويساعدنا على
 ذلك الاستعمال المستمر في القرآن وفي كلام
 العرب ، كقوله : « ومن أظلم ممن افترى
 على الله كذباً » .

رابعاً : قوله « قل نزله روح القدس » ،
 فإن المعروف عن روح القدس أو الروح
 المقدس وهو جبريل - أنه كان ينزل بالآيات
 القرآنية : بدلالة نص القرآن في موضع آخر
 « نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من
 المنذرين . بلسان عربي مبين » .

خامساً : دلالة الآية اللاحقة لهذه الآية
 مباشرة وهي : « ولقد نعلم أنهم يقولون
 إنما يعلمه بشر ، لسان الذي يلحدون إليه
 أعجمي » ، فإن هذا السياق يدل على وحدة
 (البقية على ص ١٠٨٤)

والآية إذا وردت على سبب من أسباب
 النزول لا يجوز اطراح سبب نزولها في فهم
 معناها كما أنه لا يجوز رفض سبب النزول
 بغير حجة ظاهرة لأن الأصل في أسباب
 النزول وغيرها مما ينقله لنا أهل العلم
 الموثوق بهم الصحة والقبول حتى يتوهم دليل
 على رفضها ، ولو جاز لنا أن نرفض رواية
 من هذه الروايات التي ينقلها إلينا أهل العلم
 بالتشهي وخالفه المزاج لرفضنا كثيراً من
 النقول الدينية المعتمدة .

١٢ - وأما الآية الثانية فهي أقطع نص
 في الدلالة على غرض قال تعالى : « وإذا
 بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل ،
 قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون .
 قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت
 الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين » .

وسبب نزول الآية ما روى عن ابن عباس
 - رضى الله عنهما قال - كان إذا نزلت آية
 فيها شدة ثم نزلت آية فيها لين تقول كفار
 قریش - والله ما محمد إلا يسخر بأصحابه : اليوم
 يأمر بأمر وغدا ينهى عنه ، وإنه لا يقول
 هذه الأشياء إلا من عند نفسه . فأنزل الله
 قوله تعالى : « وإذا بدلنا آية مكان آية » .
 ويلاحظ أن ذلك كان في مكة وأن وقائع
 النسخ قد بدأت في مكة أيضاً كما نبه على ذلك
 الإمام الشاطبي .

مصطلحات سيبويه

في أصوات العربية

للدكتور تمام حسان

الأوتار الصوتية أو عدم اهتزازها . ثم منها الأثر الآتي من هيئة حجرة الرنين الرئيسية في عملية النطق وهي الفم . فأما أثر تسريح الهواء فيعطينا الشدة والرخارة والتركيب والتوسط ، وأما أثر اهتزاز الأوتار الصوتية أو عدمه فيعطينا الجهر والهمس ، وأما أثر هيئة حجرة الرنين القموية فيعطينا النفخيم والترقيق . ويقصر المقام هنا عن شرح كل هذه المصطلحات ، فمن شاء أن يرى ذلك مفصلاً فليرجع إلى كتابي ، منهاج البحث في اللغة ، .

والمخارج العربية كما نفهمها في أيامنا هذه في ضوء تشريح الجهاز النطقى والمناهج الآلية التي تستخدم في علم اللغة الحديث هي المخرج الحنجري والحلقى واللهاوي والطبقي والغاري والثوى ثم الأسنانى اللثوى ، والأسنانى ، والشفوى الأسنانى ، والشفوى ، والأنفى . فالحنجري مخرج الهمزة والهاء ، والحلقى مخرج العين والحاء ، واللهاوي مخرج القاف ، والطبقي مخرج الغين والحاء والكاف ، والغاري مخرج الجيم والشين والياء ، والثوى مخرج اللام والراء ، ويشترك مع الأنفى في إخراج

جرى العرف العلوى في دراسة الأصوات منذ القديم على تقسيم أصوات اللغة بحسب اعتبارات اقضتها طبيعة النطق . ويمكن رد هذه الاعتبارات إلى أساسين هامين : أولهما حركى عضوى ، وثانيهما صوتى . فأما بحسب الأساس الأول فإن العلماء يقسمون أصوات اللغة ويصنفونها بحسب المخارج وهي أما كن يمكن تعيينها في أعضاء النطق بوسائل مختلفة . ثم يصفون كيفية الحركة التي ولدت النطق ؛ وهذه الحركة لا تخرج في مجموعها عن التحكم في مجرى الهواء أو تضيق مجراه ، بحيث ينحبس تماماً أو يحول مجراه إلى الأنف في الحالة الأولى ، وبحيث يشق طريقه شقاً في الحالة الثانية ، أو بحيث يخرج دون تدخل في مجراه ، وهي الحالة الثالثة من حالات الهيئة العضوية للنطق . يستطيع العلماء إذن أن يعينوا على هذا الأساس مكان النطق وهيئة الحركة التي يتم بها النطق . وأما على الأساس الثانى وهو الصوتى ، فإن العرف جرى بتقسيم الأصوات باعتبارات سمعية مختلفة : منها الأثر الآتى من صورة تسريح الهواء الرئوى ، ثم منها الأثر الآتى من اهتزاز

النون ، والأسنانى الشوى مخرج السين والصاد والزاي والتاء والطاء والذال والصاد ، ثم الأسنانى مخرج الشاء والظاء والذال ، والشفوى الأسنانى للفاء ، ويأتى الشفوى بعد ذلك للباء والواو ويشترك مع الأنفى فى إخراج الميم . وقد يتفرع من بعض هذه أصوات فرعية بحسب الموقع .

هذه مقدمة ، لابد منها للنظر فى مصطلحات سيبويه ومحاولة فهمها فى ضوء علمنا الحديث بهذه الدراسة اللغوية . وقد يكون من النافع هنا أن نأتى باقتباس من سيبويه يوضح لنا نظرتة إلى ترتيب هذه الأصوات من القاصى إلى الدانى على نحو ما فعلنا ، وسنجد فرقاً يسيراً بين ترتيبه لها وترتيبنا إياها . يقول « هذا باب عدد الحروف العربية ومخارجها ومهموسها ومجهورها وأحوال مجهورها ومهموسها واختلافها . فأصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفاً : الهمزة والالف والهاء والعين والحاء والغين والخاء والكاف والقاف والصاد والجيم والثين والياء واللام والراء والنون والطاء والذال والتاء والصاد والزاي والسين والظاء والذال والتاء والفاء والباء والميم والواو . وتكون خمسة وثلاثين حرفاً بحروفهن فروع ، وأصلها من التسعة والعشرين ... إلخ ، وأول ما يصادفنا هنا أن سيبويه يطلق الحرف ويريد به ما يشمل

الصوت والحرف . والفرق بينهما فى علم اللغة الحديث أن الصوت هو العملية الحركية ذات الأثر السمعى وهو من أداء المتكلم فى نشاطه اللغوى العادى اليومى : فكلنا ينطق فى كلامه أصواتاً لغوية مسموعة . وأما الحرف فهو وحدة تصنيفية يقول بها دارس اللغة حين يقسم العدد الأكثر من الأصوات إلى العدد الأقل من الحروف ، إذ قد يشتمل الحرف الواحد على أكثر من صوت واحد ، كما يشتمل حرف الميم على أصوات مختلفة منها ذر الإظهار وذو الإخفاء وذو الإقلاب ، وكما يشتمل حرف النون على عدد من الأصوات يأتى كل منها فى بيئة صوتية خاصة ، حتى إن بعض أصوات النون كالذى فى « ينظر » ينطق بإخراج اللسان كما يخرجها فى الظاء . ويلاحظ كذلك فى سرد سيبويه للحروف بحسب ترتيب مخارجها من القاصى إلى الدانى أمور :

١ - ذكر الالف بين ذوات المخارج ونحن نعتبرها نتيجة لهيئة حجرة الرنين الفموية لا لإفعال ولا تضيق فى مخرج بعينه ، شأنها فى ذلك شأن العلل والحركات .

٢ - آخر القاف فى الترتيب عن الغين والحاء والكاف مع أن القاف مخرجها عند اللهاة ومخرج الشلاث الأخريات فى الطبق وهو الجزء الرخو من سقف الفم أمام اللهاة مباشرة .

هذه مقدمة ، لابد منها للنظر فى مصطلحات سيبويه ومحاولة فهمها فى ضوء علمنا الحديث بهذه الدراسة اللغوية . وقد يكون من النافع هنا أن نأتى باقتباس من سيبويه يوضح لنا نظرتة إلى ترتيب هذه الأصوات من القاصى إلى الدانى على نحو ما فعلنا ، وسنجد فرقاً يسيراً بين ترتيبه لها وترتيبنا إياها . يقول « هذا باب عدد الحروف العربية ومخارجها ومهموسها ومجهورها وأحوال مجهورها ومهموسها واختلافها . فأصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفاً : الهمزة والالف والهاء والعين والحاء والغين والخاء والكاف والقاف والصاد والجيم والثين والياء واللام والراء والنون والطاء والذال والتاء والصاد والزاي والسين والظاء والذال والتاء والفاء والباء والميم والواو . وتكون خمسة وثلاثين حرفاً بحروفهن فروع ، وأصلها من التسعة والعشرين ... إلخ ، وأول ما يصادفنا هنا أن سيبويه يطلق الحرف ويريد به ما يشمل

الثنايا العلى مخرج الفاء ، وما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو ، ومن الخياشيم مخرج النون الخفيفة .

ويتضح من هذا النص المأخوذ من كتاب سيويه أمور :

١ - أنه يطلق اصطلاح «الحلق» على كل مايلي وسط اللسان إلى الخلف فيشمل به مخارج الحنجرة glottis ، والحلق Pharynx ، واللهاة uvula ، والطبق velum ، وكل ما نطق من الأصوات في هذه الأماكن فهو حلقى في نظره ؛ غير أنه يفرق بين أقصى الحلق وأوسطه وأدناه تفريقا فرعيا يستخدمه عند إرادة البسط . وكأن هذه المنطقة عند سيويه كانت منطقة المجاهل ومن ثم اكتفى من ذكر أعضائها بالوصف بالأقصى والأوسط والأدنى دون أن يسمى هذه الأجزاء . وله في ذلك كل العذر ، بل أعجب له كيف استطاع أن يصل إلى ما وصل إليه من درجات الدقة برغم ما أحاط به من الظروف .

٢ - صرفته عنايته في نطق الضاد بتسريح الهواء من جانبي اللسان عند الأضراس عن ملاحظة الصلة بين طرف اللسان وبين الثنايا في أثناء هذا النطق ، وحق نقطة الاتصال هنا أن تكون هي المخرج ، ولست أدري لم لم يغفل عن هذه الصلة في نطق اللام ولا سيما المفخمة فعين مخرجها الصحيح مع أن تسريح الهواء

٣ - قدم الضاد في الذكر والمخرج وحقها أن تذكر في موضع متأخر بأن توضع في نهاية المجموعة التي قبل الظاء مباشرة .

يقول سيويه : « ولحروف العربية ستة عشر مخرجا ؛ فللحلق منها ثلاثة : فأقصاها مخرجا الهمزة والهاء والألف ، ومن أوسط الحلق مخرج العين والحاء ، وأدناها مخرجا من الفم الغين والحاء ، ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف ، ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلا وما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف ، ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء ، ومن بين أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس مخرج الضاد ، ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فوق الضاحك والتاب والرابعة والثنية مخرج اللام ، ومن طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا مخرج النون ، ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلى اللام مخرج الراء ، وما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء والدال والتاء ، وما بين طرف اللسان وفوق الثنايا مخرج الزاي والسين والصاد ، وما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء والذال والثاء ، ومن باطن الشفة السفلى وأطراف

في نطق اللام يكون من جوانب اللسان كذلك . وقد ترتب على هذا الخطأ أن رأينا سيويوه قلعا في كلامه عن الضاد ويبدو هذا القلق في محاولته تعيين موضع لها في ترتيب الحروف بحسب المخارج كما يتضح ذلك في الموازنة بين النصين السابقين إذ جعلها في النهر الأول سابقة على مجموعة الجيم والشين والياء وجعلها في الثاني لاحقة لها .

٣ - يريد بما فوق الثنايا مخرج اللثة . ويسميا بعضهم مغازر الأسنان .

٤ - يتصد بأصول الثنايا الوجه الداخلي للأسنان الأربع العليا حتى اتصل بمغازرها وهو ما نسميه في اصطلاحنا المخرج الأسناني ، ولا يعقل أن يكون قد قصد به الثنيتين العلويتين فحسب ، لأن طرف اللسان حين ينطبق في النطق على الثنيتين يصعب أن يراح ويعزل عن الرباعيتين . وهذا وجه جمع الثنية في كلامه دون ثنيتها .

والمعروف أن للأوتار الصوتية من حيث الوضع أحوالا أربعة ؛ فهي إما أن تكون مقفلة إقفالا تاما فيمنحسب الهواء من ورائها فلا يتسرب أبدا كما يحدث من المرء عند العناية وعند رفع حمل ثقيل ، وكذلك عند نطق الهمزة مشكلة بالسكون ، وهي في هذه الحالة لا تحدث صوتا مطلقا ولا تكون في حالة جهر ، وإما أن تتلاصق بخفة فتدع

للهماء الرئوى فرصة التسرب من بينها فهتز عند مرره من بينها محدثة أثرا سمعيا نسميه الجهر ، وإما أن تتقارب دون التصاق فيحتك الهواء الرئوى بها حين صعوده إلى خارج فيحدث ما نسميه الهمس ؛ ويكون هذا الهمس مسموعا كحين تسر إلى صديقك بخبر . وإما أن تتباعد فلا يسمع صعود الهواء من بينها كما في حالة التنفس العادي الهادئ . وإذا أردت أن تختبر صوتا ما لترى ما إذا كان مجهورا أو مهموسا فانطقه مشكلا بالسكون وضع أطراف أصابعك على الحنجرة تحت الذقن وفيها الأوتار الصوتية ، فإن أحسست باهتزاز وارتعاش تحت أطراف أصابعك فهذا الصوت مجهور وإلا فهو مهموس . يقول سيويوه : « فأما المجهورة فالهمزة والالف والعين والغين والقاف والجيم والياء والضاد واللام والنون والراء والطاء والدال والزاي والذال والباء والميم والواو فذلك تسعة عشر حرف وأما المهموسة فالهاء والخاء والكاف والشين والسين والتاء والضاد والثاء والفاء . فذلك عشرة أحرف » .

وقد ذكرنا أن نطق الهمزة إنما يتم بواسطة إقفال الأوتار الصوتية إقفالا تاما ثم تفتح هذه الأوتار فتجا سريعا مفاجئا فيحدث بذلك انفجار هو الذي يسمى الشدة التي هي غير الرخاوة ، ولا يمكن أن يكون مع إقفال

وهي في نطقنا الحاضر مهموسة فليست أجزؤ
على تخطي . سيويه في ذلك ؛ لأن بعض العرب
كالسودانيين ينطقون في يومنا هذا قافا بمجورة
أقرب ما تكون إلى الغين ، ولعل سيويه
يتكلم عن أخت لهذه القاف كانت تنطق
في أيامه ولو علت يقينا أن القاف في أيامه
كانت تشبه القاف التي تنطقها الآن في مصر
في كلامنا الفصيح ما توانيت عن تخطيئه .

وأما اعتبار الطاء مجورة فليست أظن
سيويه فيه لإحطاطا ، فكل طاء ينطقها العرب
في أيامنا هذه مهموسة ، ولو كان لجيل سيويه
من العرب طاء مخالفة لبقيت ولو في لهجة
عربية منعزلة غير هامة . وإذ لا نجد طاء
مجورة في كلام العرب المعاصرين ولا على
ألسنة القراء فلا بد أن نميل إلى اعتبار سيويه
مخطئا في وصف الطاء بالجر على أنني يجب
أن أتحرز قليلا في اعتبار القراء المعاصرين
مقياسا للنطق العربي القديم لأن من المؤكد
أن الضاد العربية التي كانت اللغة تمتاز وتسمى
بها قد تغيرت في قراءة القرآن المعاصرة
وأصبحت الضاد في قراءة القرآن اليوم دالا
مفخمة شديدة ، ويخرج الهواء عند نطقها على
خط الوسط في الفم . ولم تعد رخوة ولا
يخرج الهواء في انطقها من جانب اللسان .

ثم يقول سيويه : فالجمهرة حرف أشبع
الاعتماد في موضعه ومنع النفس أن يجري

الأوتار الصوتية جهر ، ومن ثم يخطئ سيويه
ومن نقل عنه من بعده في اعتبار الهمزة
حرفا مجورا . فإذا كان لنا أن نتلص الأسباب
التي أوقعت سيويه في هذا الخطأ فلن
نستطيع إلا التخمين ، والذي يبدو لي عند
التخمين أن سيويه حين نظر في الهمزة وجدها
ذات أحوال متقلبة في نطق العرب ، فهي تارة
محققة وتارة مسهلة في صورة مد وتارة ميسرة
في النطق مسببة عن اختلاف ضغط الهواء
الصاعد أكثر مما هي مسببة عن حركة الأوتار
الصوتية ، وهي التي بين بين ، وتارة تكون
للقطع وأخرى تكون للوصل ، فلما لم يستطع
أن يجمع هذه الأحوال جميعا تحت وصف
واحد أثر أن يغلب الأكثر من هذه الأقسام
على الأقل . ولا شك أن المسهلة والواصلة
والتي بين بين أكثر عددا من المحققة وذات
القطع ؛ ثم لا شك أن الثلاث الأوليات وقد
خرجت عن صورة الهمزة إلى صورة العلة
أو الحركة أصبحت مجورة ، وأن الأخيرتين
هما المهموستان . ومن هنا رأى سيويه أن
يضع الهمزة على سبيل التغليب في فصيلة
الأصوات المجورة ناسيا أن هذه الثلاث
ليست همزات في صورتها الحاضرة وأنها مد
أو حركة ، وأن وصف الهمزة لا ينطبق إلا على
المحققة بينها .

وأما وضع القاف بين الحروف المجورة

معروفا عند سيويه ، كما لم يكن معروفا لديه كيف يحدث الجهر والهمس بالتفصيل ولا أظنه كان يعلم شيئا من طبيعة عمل الأوتار الصوتية . ومن ثم ظن سيويه (على احتمال) أن الجهر والهمس مع ارتباطهما بتفاوت كمية الجهد في الصدر إنما يحدثان في المخرج ؛ فهذا المخرج يحدث فيه الجهر عند زيادة كمية الجهد الصدى على حد تعبيره عند إشباع الاعتماد كما يحدث فيه الهمس عند إضعاف الاعتماد . وبهذا يتضح معنى الاعتماد في تعريفه للجهر فيما سبق . ويتضح كذلك في تعريفه للهمس بقوله : « وأما المهموس فخرق أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه . وأنت تعرف ذلك إذا اعتبرت فرددت الحرف مع جرى النفس ، ولو أردت ذلك في المجهورة لم تقدر عليه ، وقد ردد ابن سينا في « أسباب حدوث الحروف ، لفظ الاعتماد بنفس هذا المعنى .

ويبدو أن سيويه يفرق تفريقا مقصودا بين اصطلاحى « الصوت » و « النفس » ، فيطلق لفظ الصوت على أى أثر سمعى مجبور أو مهموس يأتى الأذن من طريق النطق ، ثم يريد بالنفس الهواء المتسرب تسربا ملحوظا حين النطق ببعض الأصوات اللغوية كالفاء والحاء والسين وغيرها وهو الذى يسمى فى اصطلاح علم اللغة الحديث aspiration .

معه حتى ينقضى الاعتماد عليه ويجرى الصوت ؟ فهذه حال المجهورة فى الحلق والغم ، إلا أن النون والميم قد يعتمد لهما فى الغم والخياشيم ، فتصير فيهما غنة . والدليل على ذلك أنك لو أمسكت بأنفك ثم تكلمت بهما لرأيت ذلك قد أدخل بهما . ولقد سبق منذ قليل أن أوضحنا أن الجهر والهمس يتوقفان على اهتزاز الأوتار الصوتية التى فى الحنجرة أو عدم اهتزازها ، فما الذى يقصده سيويه بالاعتماد فى الموضع ؟ يمكن عند النظر فى استعمال سيويه لهذا اللفظ أن نرى أن سيويه كان يرى فى قضية الجهر والهمس رأيا آخر غير الذى أوضحنا . فالذى يبدو أن سيويه كان يرى الجهر والهمس حادثين من تفاوت كمية الجهد الذى يحس به فى صدره أثناء النطق . والمعروف أن حركة الحجاب الحاجز - وهى مظهر هذا الجهد - أوضح فى الجهر منها فى الهمس ، كما يتضح من نطق السين والزى مشككتين بالسكون فى نفس واحد على التعاقب . ومرجع ذلك من الناحية العضوية إلى أن الأوتار الصوتية كما ذكرنا تتلاصق بخفة عند الجهر فتعوق هواء الرئة عن الخروج بعض الشيء ، ولكنها تتقارب دون التصاق فى حالة الهمس فيكون تسرب الهواء منها أيسر ، وتكون حركة الحجاب الحاجز من ثم أقل عنفا . ولكن هذا التفسير العضوى لم يكن

فهو يعرف اللام بقوله : « ومنها المنحرف ، وهو حرف شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت ، ولم يعترض على الصوت كاعتراض الحروف الشديدة ، وهو اللام ، فاللام شديدة في رأيه لأن اتصال طرف اللسان في نقطة بما فوق الشايات كان يمكن أن يمنع جرى الصوت فيهما ، لولا انحراف اللسان ترك للصوت فرصة الجريان من جانبه ، وليس كالرخوة لأن طرف اللسان لا يتجافى عن موضعه وليس يخرج الصوت من موضع اللام ولكن من ناحيته مستدق اللسان فوق ذلك ، . والراء « حرف شديد يجرى فيه الصوت لتكريره الخ ، .

والرخوة في نظر سيويه جريان الصوت في نطق الحرف لضيق المخرج دون إقفاله . فهو يقول : « ومنها الرخوة ، وهى الهاء والحاء والعين والحاء والشين والصاد والضاد والزاي والسين والظاء والثاء والذال والفاء . وذلك إذا قلت الطس وانقض وأشباه ذلك أجريت فيه الصوت إن شئت ، والعين في نظره بين الرخوة والشديدة ، تصل إلى التردد فيها لشبهها بالحاء .

واللين كما في الياء والواو وهو اتساع المخرج لهواء الصوت ، والهوى الذى للألف هو اتساع المخرج أكثر من ذلك . وأما الإطباق فهو ارتفاع اللسان إلى الحنك الأعلى أثناء النطق بمخرج آخر وهو ما سميته

ويظهر أن سيويه ظن الصوت من طبيعة لا تتصل اتصالاً وثيقاً بطبيعة النفس ، فأوجد في اصطلاحه تقابلاً بل تضاداً بين هذين المفهومين بحيث جعلهما يلتقيان في نطق صوت واحد . فالنطق في نظره إما أن يشتمل على صوت وإما أن يشتمل على نفس . فإذا عرفنا ذلك اتضح لنا التعريفان السابقان كل وضوح .

ويأتى بعد ذلك فهم سيويه للشدة والرخوة . يقول سيويه : « ومن الحروف الشديدة ، وهو الذى يمنع الصوت أن يجرى فيه وهو الهمزة والقاف والسكاف والجيم والطاء والتاء والذال والباء . وذلك أنك لو قلت الحج ثم مددت صوتك لم يجر ذلك ، . ثم يقول : « ومنها حرف شديد يجرى معه الصوت لأن ذلك الصوت غنة من الأنف ، فإنما تخرجه من أنفك واللسان لازم لموضع الحرف ، لأنك لو أمسكت بأنفك لم يجر معه الصوت ، وكذلك الهميم ، . فإذا ذكرنا أن الصوت في رأيه هو الأثر السمعى مجهوراً كان أو مهموساً ، وأنه جعل النون والميم من بين الحروف الشديدة ، وأنه قال يجرى الصوت معها دون بقية الشديدة ، أدركنا ما يعنيه بالشدة . فالشدة في نظره إقفال المجرى الفموى وإن كان يجرى الأنف مفتوحاً . ويتضح ذلك من وصفه اللام والراء بالشدة ،

- قبل ذلك الطبّق ، اشتدّقته من الإطباق وعكسه الانفتاح . يتضح لنا بما سبق :
- ١ - أن الجهر في رأى سيديويه مرتبط بالجهد الذي يحسه الناطق في الصدر والذي يتسبب عنده تضايق هواء الرئتين على المخرج فيحدث الجهر في المخرج نتيجة لإشباع الاعتماد أى ضغط الهواء على المخرج .
- ٢ - أن الهمس ضعف الاعتماد
- ٣ - أن الاعتماد هو ضغط هواء الرئتين على موضع اتصال الأعضاء للناطق .
- ٤ - أن الشدة لإقبال المجرى الفموى في طريق هواء الرئتين وإن انفتح مجرى الأنف .
- ٥ - أن الرخاوة تضيق المجرى الفموى تضيقا يسمح بحدوث أثر صوتي احتكاكي .
- ٦ - أن اللين والهوى هما توسيع مجرى الهواء مع تفاوت في الدرجة .
- ٧ - يستعمل المخرج والموضع استعمالا واحدا .
- ٨ - الإطباق عنده ارتفاع اللسان إلى الحنك الأعلى وعكسه الانفتاح .
- ولا ينسى سيديويه أن يشرح فائدة دراسة الأصوات العربية بالنسبة لدراسة اللغة فيقول : « وإنما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات لتعرف ما يحسن فيه الإدغام وما يجوز فيه . وما لا يحسن فيه ذلك ولا يجوز فيه ، وما تبدله استعمالا كما ندغم ، وما تخفيه وهو بزنة المتحرك ، ولكن لدراسة الأصوات قوائد أخرى أعم وأهم ، قد نبينها في مقال آخر إن شاء الله . »
- دكتور تمام مصاد
- أستاذ مساعد بكلية دارالعلوم

(البقية على ص ١٠٧٦)

في مختلف سور القرآن قريبا من عشر مرات بأساليب مختلفة .

سابعا : وأيضا فإن المعجزة إذا وقعت فلا يمكن رفعها ولا تبديلها ، وبجى آية أخرى أو معجزة أخرى لا يكون تبديلا لها ، بل يكون إضافة إليها ، أما الآية الكلامية فظاهر أن ترفع من موضعها ويحل غيرها محلها . وحسبنا هذه المعاني التي بينها من وجوه دلالة الآية على النسخ ، وأظننا فيها ؛ لى نقطع عن طريقها كل شاذ ، وكل تأويل باطل ؟

محمد صادق مصلح

الموضوع وأن طعن قريش على النبي إنما كان يتناول مادة القرآن من حيث مصدره ومن حيث أغراضه فلا محل لدلالة (الآية) - على غير الآية الكلامية - في هذا السياق .

سادسا : ومن ناحية أخرى لا يساعدنا الواقع التاريخي على أن النبي - صلى الله عليه وسلم كان يأتي بالآيات بمعنى المعجزات - ثم يبدلها فيرفع معجزة . ويحل محلها معجزة أخرى . بل كانت سنة القرآن ، أن يغلق في وجوه السائلين باب الاستجابة للتزويل الآيات الكونية وقد ثبت هذا المعنى

كتابان غربيان عن الإسلام والمسلمين

للدكتور محمد غلاب

١ - بقطعة العالم الإسلامي للطبيب الألماني (فارنو) .

٢ - الإسلام والجبال للطبيب الفرنسي بيير بونصواي .

ممتازة . ودقة فائقة ، وعناية تامة . أهم حركات البلاد الإسلامية ونهضاتها التاريخية في الجمهورية العربية المتحدة والهند وإيران وتركيا .

يشير المؤلف بديا في المقدمة تاريخية عاجلة إلى بناء العالم الإسلامي وتأليف كيانه ، ونمو امتداده الحرب والتجاري والسياسي والعقلي والعلى ، فيسجل في هذه الإشارة من مجد السلف ما يدفع الخلف إلى مواصلة الجهد ومضاعفة النشاط . وبعد أن ينتهي من تدوين ذلك الجلال التليد يقفز إلى أواخر القرن التاسع عشر فيشهدنا ثورة د عرابي ، المقفعة بالإخلاص والشجاعة والوطنية والعزة والقومية ، والوقوف في وجه السلطة الطغيانية . وسيرتها الاستعمارية . ثم ينزل المؤلف إلى القرن العشرين ليصف ما اندلع فيه من ثورات العالم الإسلامي التحررية الباعثة على الإعجاب ، بل الإجلال ، وهو عهد لتصويره هذا فيقول :

أما الآن كتابان عميقان من أدوع منتجات الفكر الغربي وأكثرها دقة ونزاهة وأحفظها على الروح العلمية وأحرصها على الحقيقة التاريخية ؛ لذلك رأيت أن أقف بك عند كل واحد منهما هنيئة لأطلعك على هذا اللون الذي يقضى الواجب الإسلامي قبل كل شيء بترجمته وإذاعته بين المسلمين ليروا كيف أن فريقا لا يستهان به من أفاض علماء الغرب ومفكرهم يكتبون عن الإسلام والمسلمين كتابة قيمة تشرف عقلياتهم ، وتخلد أسماءهم وتسجل للإسلام عظمته وجلاله .

أما أول هذين الكتابين فعنوانه : بقطعة العالم الإسلامي ، تأليف الكاتب الألماني د فارنو ، وهو كتاب عصري نشر في سنة ١٩٥٤ ويحتوى دراسة واسعة نزيهة مؤيدة بالمستندات القوية والأرقام الدقيقة تعقب فيها المؤلف بقطعة ملحوظة ، وحكمة

والهند هما محور الحركات الإسلامية الناهضة .
 وإذ ذاك يأخذ المؤلف في تحليل تلك
 الحركات النهوضية في دقة وتحديد وتقدير
 للأمور دون أن يحيد عن احترام الإسلام
 وقداسته ، وما اشتملت عليه أصوله وتعاليمه
 من الوسائل المثلث لتحقيق السيادة والسعادة
 ولا يقصد ألبتة بالسيادة الطغيان واستعباد
 الغير ، أو الاستبداد بالأمم والجماعات
 أو الأفراد ، ولا يرمى من وراء السعادة
 إلى الرقاهية أو الميوعة ، وإنما أراد بهما
 معنيهما الفلسفيين والأخلاقيين اللذين هما
 على قمة الرفعة والسمو ، فقصد بالسيادة
 التحرر من عبودية الجشع والبهيمية ، فرض
 سلطان الروح على المادة ، وأراد بالسعادة
 سعادة الضمير والمجتمع . وبهذا ينتهى إلى
 أن هذا الدين يشتمل على جميع المثل العليا
 والمبادئ السامية التي لا نظير لها في أى دين
 آخر ، والتي هي كفيلة بمنح أتباعه الحق في
 قيادة الأمم وتزعيم الشعوب عن جدارة
 واستحقاق .

ومما يسترعى الانتباه أن المؤلف يعالج
 — في نزاهة ودقة وصرامة — خطة العالم
 الغربي بإزاء العالم الإسلامى ، ويبين ما اشتملت
 عليه تلك الخطة من الأناية البغيضة وفقدان
 العدالة الذاتية . بل فقدان المعالم الإنسانية

إن تلك المدنية العتيقة التي حسبها أوروبا
 قد خضعت لها خضوعاً أبدياً ، قد استيقظت
 من سباتها ، ونفضت عن نفسها غبار
 العصور . ولا ريب أن العالم الإسلامى قد
 ظفر من هذه المدنية بمكانة ملحوظة ، ومكان
 عال ، إذ أنه يشبه أن يكون قارة قائمة بين
 أوروبا وآسيا ، ومن ثم فإن يقظة هذه
 القارة الضخمة التي تعدل سبع سكان الكرة
 الأرضية ، سيكون لها تأثير حاسم في تقرير
 مصير العالم ، ولذا يصح أن تمنعت هذه
 اليقظة بعظمى ثورات القرن العشرين .

وأما ما كان ، فإن المؤلف يجزم بأن الحورين
 العالميتين قد أعانتا العالم الإسلامى على تحطيم
 القيود التي كبله بها الاستعمار ، وتفتيت
 الإطارات التي أحاطه بها الظلم والطغيان
 وأتاحت له الفرص المواتية ، ليسترد مكانته
 الرفيعة ، ويستعيد منزلته العالية ، ويسترجع
 بمخالبه حقوقه من بين فكي الاستعمار .

ولقد اقتضت هذه الحركة التي تهدف إلى
 العودة للنزلة الطبيعية ، وترى إلى الظفر
 بالحقوق كاملة وثبتين متمزجتين لا سبيل إلى
 التفريق بينهما ، وهما الوثبة الدينية والوثبة
 السياسية . وهنا يجزم المؤلف بأنه إذا حاول
 البعض الفصل بين النهضات الدينية والنهضات
 السياسية في الأديان الأخرى ، فإن ذلك
 بالنسبة إلى الإسلام غير ممكن . وهو يرى أن مصر

فيها أن الإسلام يتفق أكثر من المسيحية مع الأنظمة الزمنية الصالحة للحكومات والمجتمعات ، وأن الإسلام في جوهره فوق الأوطان والقوميات ، وأنه يلعب دور عنصر الجمع والتأليف والتميم ، ولا ريب أن هذه هي غاية المؤتمر الإسلامى وهدفه الأعظم .

أما ثانى هذين الكتابين فعنوانه : « الإسلام والجرال » ، تأليف الكاتب الفرنسى المعاصر « بيير بونسواى » ، والجرال فى عرف أولئك المؤلفين الذين تناولوا هذا الموضوع بالدرس والبحث هو : شئ مادى رمز به لمرسماوى لم تكشف حقيقته إلا لصفوة بمنازة اختارتها العناية الإلهية من بين أهل الأديان السماوية ، وأماطت عنها الحجب والاستار فتبينت أن ديانتها إذا لم يلحقها التحريف الذى يودى إلى الانحراف ، فإنها ستجد أن مصدرها كلها واحد لا يقبل التعدد ولا التغاير على أى نحو من الأنحاء ، وأن أتباعها جميعهم إخوة نشأوا من أصل واحد ووجهوا من لدن السماء إلى غاية واحدة ، وبالتالي سيجدون فى مبادئ هذه الديانات دعوة حارة إلى المحبة والوئام والسلام ، وإلى إذعان الأخ الاقل علماً ونوراً ، لنصيحة الأخ الأعلم وإرشاده . ويقرر هذا المؤلف أنه قد وجدت بالفعل فى العصور الوسيطة هذه الصفوة الممتازة

أحياناً مما يجعل الثورة فى مقدمة الأمور المشروعة ، بل الواجبة المحتومة .

وهو يسجل على الأخص أن تلك الثورات لم يكن يقدر لها النجاح لولا أنها مؤسسة على مشاعر داخلية غير قابلة للمقاومة ، سداها العبقريّة ، ولحمها الإيمان . وأن مصر قد ضربت الرقم القياسى فى هذا بثورتها الأخيرة : وهنا يقف المؤلف عند ثورتنا الحالية وقفة جاذبية وانعطاف ناشئين عن إعجاب ، بل لإجلال ؛ لأنها تهدف إلى تطهير البلاد من نظام فاسد متعطن ، وترمى إلى تحريرها من استثمار بغيض متعسف ، ولأنها وضعت أمور البلاد فى أيدي أبنائها الحقيقيين .

وما أبدع إلحاح المؤلف هنا على أجنبية الأسرة البائدة وجهلها التام بدين البلاد ولغتها وأخلاقها ، وتقاليدها ، وعرفها ، وتراثها الأدبى ، وقوامها الروحى ، وإلحاحه كذلك فى أن الضباط الأحرار هم من صميم الشعب وأعماقه إلى حد أنه يجزم فى رشاقة أن وجوه الكثيرين منهم تذكر المرء بوجوه التماثيل القائمة فى دار الآثار المصرية .

ولا يفوت هذا المؤلف أن يسجل أن ثورة ٢٣ يولية كانت ثورة سلمية هادئة ، جديرة بأرقى المدينيات وأسمائها . ولا غرو ، فهل هناك مدنية أسمى من مدنية مصر ؟ . وأخيراً يختم بحوثه بملاحظات عامة يؤكد

أمكنة واسعة تتحدث فيها عن الفطرة التي فطر الله الناس عليها حديثا كله احترام وإجلال ، ولما كانوا قد تبنوا من بحوثهم الطويلة المستأنية أن الإسلام هو دين الفطرة بالمعنى الكامل لهذه العبارة ، فقد اختصوه بالصدارة في هذه البحوث ، ولكن ينبغي أن نعلم أن هذه الدراسات لا تعنى بالإسلام لتحكم عليه من نواحيه الظاهرية ، بل هي تشغل به من تلك الوجهة الخاصة التي يتضح فيها أن الإسلام - بوساطة رسالته الفوق الطبيعية التي تعرضها تعاليمه الخبوءة عرضا وافية - مستعد لتلقى جميع صور الإيحاءات الحقيقية ، والإلهامات العلوية ، وإنه يستطيع أن يؤول جميع النصوص السماوية والرمزية لسكى يوفق بينها في مراميها الرفيعة ، ويدخلها في نظام إسلامى يمكن أن يشمل إطاره الكون بتمامه .

ولاريب أن هذا التعبير من جانب مؤلفنا عن « إطار الإسلام الشامل للكون بتمامه » قد ذكرنا بعبارة الأستاذ ماسينيون في كتابه : « محاولة حول أصول المفردات الاصطلاحية للتصوف الإسلامى » حيث يقول ما نصه :

« إنما بفضل التصوف كان الإسلام ديناً

دوليا وعاما . إنه دولى بفضل الأعمال التقية التي قام بها الصوفية في زياراتهم لبلاد غير المؤمنين ، أى بفضل المثل الرائع الذى قدمه

من أهل الأديان السماوية ، وأنها قد تيقنت من أن الإسلام هو أرشدها وأحكمها ، وأنه هو المنوط بزعامتها وقيادتها إلى الخير وأنه بالتالى هو الذى يجب أن يخطو الخطوة الأولى نحو الوئام والسلام ، وأنه قد قام أثناء عدة قرون في هذا الوئام بدور الملهم والمرشد ، وأن تلك الصفوة - على اختلاف أديانها في الظاهر - كانت مقنعة برسالة الإسلام في هذا المضمار : « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضاً أربابا من دون الله » .

ولقد كانت هذه الصفوة تنظر إلى الإسلام على أنه جماع النبوة العالمية وأنه هو النبوة التشريعية الأخيرة التي ستسود قبل نهاية الزمن ، وأن النبي محمدا هو خاتم النبيين وأنه تلقى من السماء جوامع الكلم . ومن ثم فإن الإسلام يشتمل على وسائل روحية لأنواع من التجارب الخاص مع الصور الفطرية الأخرى التي تندرج مع مؤسسيها - كوسى وعيسى - في نظام إسلامى كلى رفيع من أنظمة الكون ، ومن ثم أيضا كان الإسلام هو الوسيط الكونى .

هذا الكتاب هو حلقة من سلسلة مؤلفات غربية حديثة اتجه مؤلفوها لأمر ما ، إلى الدراسات الفطرية ، وهي تفسح بين صفحاتها

لدى الصفة الغربية لاسيما منذ ظهور دينيه جيون ، : (الشيخ عبد الواحد يحيى) ، وإن كان ذلك لا يمنع من أن يكون هذا الانحراف قد بدأ يظهر للبستينين من الغربيين منذ العصور الوسيطة كما يشير إلى ذلك هذا الكتاب حين يحدثنا عن أقصوصة انتقال السر الساموى من الغرب إلى الشرق مقرر الحقيق بعد أن عجزت أوروبا عن الاسترشاد به ، والإفادة منه بإعلان انحرافها عن النظام الكونى والفطرة العامة للذين كان الواجب يقضى عليها بأن تظل وفيه لها لو أنها اتبعت كتابها الساموى الحقيقى .

ولا يفوتنا قبل أن نغادر هذا المجال أن نشير إلى تلك الفكرة الضالة التى سجلها ذلك الكاتب العصرى المضحك والتى رد عليها الأستاذ العقاد فى العدد السابق من مجلة الأزهر بما فيه الكفاية ، والتى لانعرض لها إلا من ناحية أن « الشئ » بالشئ يذكر ، كما يقولون ، والتى مؤداها « أن الشيوعية غزوة جديدة تهدد العالم الغربى فى كيانها كما هددته الإسلام فى القرن السابع للميلاد ... » وأن خطة ستالين فى تشييع القارة الآسيوية وإكراهها على قبول الشيوعية ليست إلا تكراراً لخطط القادة الآسيويين أمثال : محمود الغزنوى ، وطغرل بك ، وأب أرسلان ، وأن هذه الخطط جميعاً تعتمد على سلاح الدولة وسلاح

نساك المسلمين من شيوخ الطرق : الكبروية ، والشرطية ، والنقشبندية الذين كانوا يتعلون لغات الهند ، وسكان جزائر الهند الشرقية ، ويندجون فى حياتهم ، هذا المثل هو الذى هدى أولئك للقوم إلى الإسلام أكثر مما فصل الغزاة ، وإنه عام ؛ لأن الصوفية هم أول من فهموا الأثر الخالد الفعال للدين الحقيقى ، وهو وجود توحيد عقلى طبيعى لجميع بنى الإنسان .

ونحن نحسب أن شهادة الأستاذ ماسينيون بأن « الأثر الخالد الفعال للدين الحقيقى هو وجود توحيد عقلى طبيعى لجميع بنى الإنسان ، هى شهادة لا يستهان بها ، بل هى قيمة لا ينبغي الإغضاء عنها .

ومن ذلك أيضاً ما يحدثنا به المستشرق الهولندى سنوك هور جرونج فى كتابه « سياسة هولندا تجاه الإسلام » ، إذ يقول : « إن الإسلام بفضل تصوفه قد وجد وسيلة صعوده إلى مكانة مرتفعة يستطيع منها أن يرى أبعد من الآفاق الخاصة ، أى أن هذا التصوف مشتمل على شئ من دولية الدين . » وما هو جدير بالعناية أن مؤلف هذا الكتاب يلح فى أن يبرز للعيان أن فكرة انحراف الغرب عن جادة الصواب ، وفكرة ابتعاده عن كل ما هو إلهى ابتعاداً تزداد فداحته على مر الأيام . قد جعلتا تنصحان

بين ظهرانينا ، وترغنا - بعوامل الحياة المختلفة - على قراءتها ، فيتأثر بها البسطاء والأبرياء من مواطنينا تأثرا وخيم العاقبة .

والنوع الآخر هو هذه الكتب القيمة والدقيقة أمثال الكتابين اللذين تناولناهما هنا . وهذا النوع لا يكاد يجد مشجعا ولا نصيرا ، رغم أن أبسط الواجبات يقضى بتشجيعه والعمل على نشره بين ربوع المسلمين بكل الوسائل الممكنة .

والآن - وإلى أن تتم بقطة الأمانة الإسلامية ويتنبه المهيمنون على الثقافة إلى هذا الخطر - ينبغي أن نقرر أن جميع هذه النماذج من الكتب الغربية التي تسجل سمو الإسلام ، يجب أن تعتبر كتباً نافعة لا يصح لنا نبذها أو إهمالها ما دام أنها تبرز ناحية من نواحي هبة الإسلام ، وجانباً من جوانب عظمتها الباهرة أمام العالم الحديث .

الدكتور محمد غنيم

العقيدة ، وتتخذ العقيدة أحياناً وسيلة لقلب الدولة ، كما تتخذ الدولة أحياناً أخرى وسيلة لقلب العقيدة .

ونحن لا يسعنا إلا أن نقول لهذا المؤلف : إن المدققين من العلماء والباحثين الغربيين أمثال الأستاذة : ماسينيون ، وسنوك هورجرونيج ، وبير يونسواي قد أجمعوا على أن الإسلام لم يغز العالم القديم بالعنف ولا بالقسر ، بل غزاه وسيغزو العالم الحديث أيضاً بالفضائل العالية ، والمبادئ السامية ، والمثل الرائعة .

فينبغي - إذا كنت تكتب لوجه الحقيقة في ذاتها - أن تحذو حذو بني جلدتك من النزهاء ، ولا تتبع الأغراض والأهواء ، فتضل عن سواء السبيل .

يبين مما تقدم أن هناك نوعين من الكتب يعرضان للإسلام والمسلمين ، وأن أحدهما لا يساوى في السوق العلوية الورق الذي يكتب عليه ، ولكن مؤسسات الدعاية السياسية الثرية النشيطة تنشر هذه الكتب

الإسلام والمسلمون في أمريكا

للدكتور محمود يوسف الشواربي

بها أكثر من جمعية إسلامية واحدة وأن ينسق النشاط العام لجميع مسلمي أمريكا عن طريق اتحاد عام لهذه المجالس الإسلامية على أن يشمل إلى جانب ذلك الجمعيات الإسلامية الفردية الموجودة في مناطق مختلفة من الولايات المتحدة .

ولقد تم بالفعل قيام هذا الاتحاد العام الذي لا يشمل الجمعيات الإسلامية في الولايات المتحدة فحسب بل يشمل الجمعيات الإسلامية في كندا كذلك ولقد أخذ هذا الاتحاد العام يقيم مؤتمرات إسلامية سنوية في كبرى المدن الأمريكية

ولقد كان للسيد عبد الله عجرم الفضل في تنظيم الاتحاد العام للجمعيات الإسلامية وعقد أول مؤتمر للمسلمين في المدينة التي يقطنها وهي مدينة (سידار رايدز) بولاية إيووا التي لا تبعد سوى ٨٠ ميلا غرب نهر المسيسيبي الشهير الذي يشبه نهر النيل في كثير من الوجوه .

ويرجع الفضل إلى السيد عجرم في تكتيل الجالية الإسلامية المحدودة العدد في ولاية إيووا ثم وجه بعد ذلك عنايته نحو جمع شمل

لإن المسلمين في الولايات المتحدة ليسوا مركزين في ولاية بعينها من مختلف الولايات الأمريكية التي يبلغ عددها ٥٠ ولاية، ولكنهم موزعون على عدد كبير من الولايات في مختلف أنحاء أمريكا، ومن الطبيعي أنه كلما وجدت مجموعة منهم في مدينة من المدن فإنها تأخذ في إنشاء جمعية إسلامية ترعى شؤونهم وتقوى من أواصر المودة بينهم وتنهض بالصالح العام للمجموعة دينيا واجتماعيا وماديا .

ومن الأمثلة التي يسوقها على ذلك مدينة نيويورك نفسها . فهذه المدينة بالذات تعتبر كبرى المدن الأمريكية ويقطنها حوالى عشرة ملايين من الناس . ولهذا فإنه لا غرابة أن نرى بها ما يزيد على بضع وعشرين جمعية إسلامية .

بيد أنه يجب أن نذكر هنا أن كل جمعية من هذه الجمعيات ترعى مصالح المسلمين من أبناء دولة من دول العالم الإسلامى ، ولهذا السبب اتجه التفكير إلى إنشاء مجلس إسلامى يفسق الجهود بين هذه الجمعيات المختلفة .

ولقد اتبعت الفكرة نفسها حيث تنشأ مجالس إسلامية في المدن الكبرى التي توجد

والمسلمون حيث يكونون في أى عصر يعيشون مسئولين أفراداً وجماعات عن تعليم أنفسهم وتدريبها على اتباع المثل العليا للإسلام ونشرها ، وهذه المثل هي العزة والكرامة ، وتقدير قيمة جميع أفراد البشر وإشاعة الحب والأخوة بين جميع الناس .

من ذلك يتضح جلياً أن قيام الاتحاد العام للجمعيات الإسلامية في الولايات المتحدة وكندا . قد عقدت عليه آمال كثيرة فهو المؤسسة الوحيدة الدائمة التي تتكون من صميم الجاليات الإسلامية التي تتألف من المواطنين الأمريكيين أنفسهم والتي يمكن عن طريقها نشر الثقافة الإسلامية على أوسع نطاق ممكن بين المسلمين والأمريكيين ، وتوطيد العلاقات بين مسلمي مختلف الولايات الأمريكية ، وكذلك بينهم وبين إخوانهم في العالم الإسلامي .

ويعمل الاتحاد العام للجمعيات الإسلامية في الولايات المتحدة وكندا جاهداً على النهوض بالنواحي الدينية والثقافية والاجتماعية للمسلمين في تلك البلاد والعمل على نشر التراث الإسلامي وتفسير تعاليم الإسلام وشرحها ونشر مبادئه السامية التي يشترك فيها مع الأديان الأخرى لزملائهم من غير المسلمين من الأمريكان .

ولقد عقد الاتحاد موتمره الرابع في لندن بولاية أوستاريو بكندا حيث انتخب السيد

المسلمين وتنظيم نشاطهم في اتحاد عام يحفظ عليهم كياناتهم ، ولقد تم ذلك بالفعل ووجهت الدعوة لعقد أول مؤتمر إسلامي في أمريكا في مدينة (سيدار رابيدز) في يوم ٢٨ يونيو سنة ١٩٥٢ وحضره حوالى ٤٠٠ مسلم من مختلف أنحاء الولايات المتحدة وكندا وانتخب السيد عبد الله عجرم رئيساً لهذا المؤتمر وظل يوالى نشاطه حتى تم عقد المؤتمر الإسلامي الثاني لمسلمي الولايات المتحدة وكندا في شهر يوليو سنة ١٩٥٣ بمدينة (توليدو) بولاية أوهايو .

ولقد عقد المؤتمر الإسلامي الثالث بمدينة شيكاغو وذلك في شهر يوليو سنة ١٩٥٤ وحضره ما يقرب من ألف مسلم من مسلمي أمريكا وكندا . ولقد دعيت كضيف شرف في هذا المؤتمر . وهناك تناقشا جميعاً في وجوب إنشاء اتحاد عام للجمعيات الإسلامية في الولايات المتحدة وكندا ، وقفنا بوضع القانون التأسيسي لهذا الاتحاد . وتم انتخاب السيد عبد الله عجرم أول رئيس له .

ولقد أصدر ذلك الاتحاد في ذلك العام بياناً بدستوره جاء فيه (نحن أعضاء الجاليات الإسلامية في أمريكا تنفيذاً لأوامر القرآن الكريم : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » ، نعلن إنشاء اتحاد الجمعيات الإسلامية في الولايات المتحدة وكندا .

وأما المؤتمر الثامن للاتحاد فقد عقد خلال شهر يوليو سنة ١٩٥٩ في مدينة بتشمان بولاية إنديانا وقد حضره ما يزيد على ألف مسلم من مختلف أنحاء الولايات المتحدة وكندا وانتخب السيد محمد خليل رئيسا للاتحاد .

ويعرف السيد محمد خليل بين إخوانه بدمائه خلقه ، وهو شخصية محبوبة وقد وفدت أسرته من لبنان في أوائل هذا القرن واستقر بها المقام في مدينة ديترويت بولاية ميتشجان . والرئيس الحالي للاتحاد موظف ببلدية ديرويت ويبلغ من العمر ٣٦ عاما وهو من كبار الرياضيين المعروفين في تلك المدينة .

ولقد عقد الاتحاد مؤتمره التاسع في أستارو بكندا وأعيد انتخاب السيد محمد خليل رئيسا للاتحاد للمرة الثانية .

وفي صيف العام الماضي أي شهر أغسطس عام ١٩٦٠ استضافت الجمهورية العربية المتحدة كلا من السيد قاسم علوان والسيد محمد خليل وهما الرئيس السابق والرئيس الحالي للاتحاد العام للجمعيات الإسلامية في الولايات المتحدة وكندا حيث شاهدها أم المنشآت والهيئات الإسلامية في كل من إقليمي الجمهورية .

كما أقامت لها جمعية التعريف الدولي بالإسلام حفلة استقبال حيث تعرفوا خلالها على أعضاء الجمعية بالقاهرة وقابلوا الكثيرين (البقية على صفحة ١١٠٧)

حسن ابراهيم رئيسا له وهو شاب ممتاز ولد في أمريكا من أب مسلم لبناني مهاجر ، وأم إيطالية ، ويعمل الآن محاسبا بمدينة (سوثنند) بولاية إنديانا . وقد عمل ضابطا بالجيش الأمريكي قبل ذلك لمدة عشرة أعوام .

ولقد عقد المؤتمر الخامس للاتحاد في يولية سنة ١٩٥٦ بمدينة نيويورك ، كما عقد مؤتمره السادس في مدينة ديترويت بولاية ميتشجان ، وذلك في شهر يوليو من عام ١٩٥٧ حيث انتخب الأستاذ قاسم علوان رئيسا للاتحاد في ذلك العام وهو من مواليد أمريكا ويعتبر والده السيد أحمد علوان من أوائل المهاجرين المسلمين حيث ترك لبنان عام ١٩٠٢ واستقر بمدينة آشلند بولاية كوتسكي بأمريكا . ولقد خدم السيد قاسم في الجيش الأمريكي إبان الحرب العظمى الثانية ثم عاد فآتم دراسته الجامعية حيث حصل على درجة البكالوريوس في إدارة الأعمال . ولقد زاول عدة أعمال مختلفة بعد انتهاء دراسته . ثم استقر به المقام أخيراً في مدينة توليدو بولاية أوهايو . حيث افتتح مطعماً كبيراً يديره بنفسه .

ولقد عقد الاتحاد مؤتمره السابع في يوليو سنة ١٩٥٨ بمدينة واشنطن حيث أعيد انتخاب السيد قاسم علوان رئيسا للاتحاد للمرة الثانية .

مصر وفلسطين كانتا وحدة

للأستاذ حسن عبد العزيز نصر

الوزير اليازورى

لدى قاضى القضاة فيها ليعود إلى مكانه فى بلده فلم ينجح ، وفى هذه الأثناء وصل إلى عدة الدولة الأستاذ رفق أمين سر والدته الخليفة المستنصر ، فأعانه وأدخله دارالقضاء ولما قتل أبو سعد التستري ، متولى أمور أم الخليفة ، أشار عليها رفق باليازورى ففعلت ، وجعلته مدير خاصتها ووزيرها المستشار فى كل أمورها ، فتوطد مركزه وقوى حزبه ، وفى هذه الأثناء عزل قاسم ابن عبد العزيز بن النعمان المغربى عن القضاء بمصر ، غشى الجرجرائى الوزير من اليازورى أن يقوى أمره فيأخذ الوزارة منه فمزم على أن يشغله بالقضاء ، فأحله محل القاضى المعزول ، على أن يظل أيضاً مدير خاصة والدته الخليفة .

وما زال يرتفع مقامه ويعلو صيته إلى أن دعى ليتولى الوزارة حينما صرف عنها الوزير أبو البركات الجرجرائى ، فلم يقبلها لأن الأمور كانت حينئذ مضطربة ، وكانت الفوضى شاملة الدواوين والإدارة الحكومية ، فعين غيره وزيراً بالنيابة ، حتى يجد الخليفة حلاً

كانت بلاد الشام أيام الفاطميين - وبخاصة فلسطين - تابعة لمصر ، فكان يحمل خراجها إليها ، وتعد ولاية من ولاياتها ويعد أبناؤها مصريين لهم ما لإخوانهم المصريين ، وعليهم ما عليهم ، لا يقف حائل يحول دون تحقيق طموحهم وترقيتهم فى المناصب الحكومية ، فالقاضى الفاضل ، وقاضى القضاة أبو الفرج النابلسى وأصلاح الصفدى ، استطاعوا أن يصلوا فى مصر إلى أرقى المناصب الحكومية ولكنهم كانوا فى نجاحهم دون أبى محمد الحسن بن على ابن عبد الرحمن اليازورى ، ذلك الوزير الخطير الذى استطاع أن يرقى إلى رتبة الوزارة وأن يلقب بأرفع الألقاب ويعطى أفضل النعوت .

واليازورى هذا منسوب إلى يازور (١) . لإحدى قرى فلسطين على الساحل ، ولد هذا الوزير فيها حينما كان أبوه متولياً قضاءها ، فلما مات خلفه فى منصبه ، ثم عزل ، فسافر للحجاز وأدى الفريضة ، ثم قصد مصر وسعى

(١) تقع هذه القرية بين إفا والرمة . وهى الآن أهلة بالسكان .

اليازورى منه ، وراجع سفير المعز بالقاهرة بشأن رسالة مولاة ، فلم تجد مراجعته نفعا ، وأصر الصنهاجى على شق عصا الطاعة حتى كاتب الدولة العباسية يعلن لها الدعوة فى المغرب . فلما تحقق اليازورى من خيانة الصنهاجى وأن خطره قد استشرى ، بعث إلى زغبة ورياح (وهما قبيلتان عربيتان كانتا تحلان إفريقيا) ، هدايا وطرفاً ، وأموالاً كثيرة ، وأصلح بينهم ووجد صفوفهم وجمع كتبهم وأمرهم بمناجزة الطاغية الصنهاجى ، فقاموا بما أمرهم به خير قيام وطاردوا الصنهاجى من مكان إلى مكان ، وهو كالظلم المذعور يفر من مريض إلى مريض حتى ألقاؤه قهراً إلى المهديّة ^(١) ، وسدبت نساؤه وشنت جمعه ، وأخذت أمواله إلى القاهرة فوزعت على الفقراء وطيف بغلانيه فى الشوارع لإدخال الرهبة فى نفوس من تحدّثه نفسه بالانتقاض على المملكة ، وبعد قليل من هذا الانتصار العظيم تمرد بعض قبائل العرب فى البحيرة ، فسير إليهم اليازورى ناصر الدولة ، لثقتة به ، ولكونه عربياً - فسار ناصر الدولة للبحيرة . يقود جيشاً كثيفاً ، وكان حاسدوه كثيرين وجلهم من المغاربة والمرتزة والأتراك والسودان ، وكانوا يسعون للقضاء

لانتفراج الأزمة الوزارية المستحكة ، وكان بين القبائل العربية والمغاربة وحشة وجفوة ، وكان يمثل القبائل العربية فى بلاط الخليفة رجل عربى من بيت ملك شامخ ، هو ناصر الدولة الحمدانى فخشى ناصر الدولة ^(١) - إن طال الزمن على فراغ الوزارة - أن يعين فيها رجل يكون مناوئاً لمصالح العرب . فشجعه على قبولها وأرسل إليه الرسل يحثه على ذلك ، وبعد لآى وتردد قبلها اليازورى فى سنة ٤٤٢ هـ ، تخلى عليه ولقبه باللقاب التشريفة ، فنهض فيها نهضة مباركة ، واستطاع أن يرد العدل إلى نصابه والأمر إلى مواضعها .

وكان اليازورى يحافظ على كرامة الخلافة وعلى شرف المنصب الذى يتقلده ، وقد جرت العادة فى زمنه على أن كل رسالة يتلقاها الوزير الفاطمى من البلاد التابعة لمصر ، تمر مع اسم مرسلها بكلمة (عبدكم) ، فكانت ملوك الأطراف توفيه حقه من التسجيل ، ولم يشذ عن هذه القاعدة إلا المعز بن باديس الصنهاجى أمير إفريقيا ، فقد أرسل إليه رسالة مهرها بكلمة (صنيعتكم) ، فغضب

(١) ناصر الدولة هذا ، غير ناصر الدولة صاحب اللوصل ، هذا وقد قتل ناصر الدولة « الفاطمى » شرقة إذ هاجه الأتراك وهو جالس فى صحن بيته متلقماً بالعبادة وبادروه بالسيوف حتى قضا عليه .

(١) المهديّة ، هى التى اختطها المهدي ، مؤسس الدولة الفاطمية ، وتقع الآن فى تونس .

وأعملوا فيها السلب والنهب ، وحوكم ونفى في بغداد ، وحرّم عليه دخولها فاستشاط غضبا وقصد الشام ، فاجتمع لديه كل ناظم وانضم تحت لوائه كل موتور ، فأعلن الثورة على الدولة العباسية ، وكاتب اليازورى في ذلك ، ولكن اليازورى كان يتصف بهدوء الأعصاب والتزمت والحذر - وهى صفات لازمة لكل زعيم - فلم يندفع وراء شىء غير مضمون العاقبة ، بل تردد وأحجم عن الجواب حتى وجد الأمر حقيقة لاشك فيها ، فطمع حينئذ فى أن تقوم الدعوة لمولاه فى عاصمة العباسيين ، وسير حينئذ إليه الأموال الكثيرة والجنود فعظم أمر البساسيرى بهم واستشرى خطره على الدولة العباسية .

وزحف قاصداً فتح بغداد فخرج إليه المسلحون ينعونه بما أراد ، فكسر شوكتهم ، ولما علم أن بغداد قد خرج منها طغرى بك تابع الزحف بقوة عظيمة من المصريين والسوريين والفلسطينيين ، فافتتحها عنوة فى أوائل ذى القعدة سنة ٤٥٠هـ بعد معارك دامية كان القتال فيها بين الفريقين ليل نهار وأعلن - أى البساسيرى - حينئذ خلع الخليفة العباسى ، كما أعلن إقامة الدعوة الفاطمية ، ثم تابع الفتح وإقامة الدعوة فاستولى على واسط والبصرة ، وأرسل شعار الخلافة إلى الخليفة الفاطمى ، واستقر

عليه ، فأرجفوا فى المدينة أن العساكر أيدت ، وأن المتمردين فادمون للقاهرة ، فاضطرب الناس ، واستعدوا للطوارئ ، وانتشر الخوف فيهم ، ولكن اليازورى ظل هادئاً لم تحركه العواصف الهائجة ، ولم يثر روعه ما أرجف به شائشوه ، وإنه لجالس فى حديقة قصره وإذا بالهمام الزاجل يسقط بجانبه يحمل خبر انكسار بنى قرة فى كوم شريك^(١) انكساراً فاحشاً فركب اليازورى لساعته ليخبر القصر الملكى بالانتصار ، فاستقبله المستنصر فرحاً مسروراً ، لما علم بخذلان العصاة والسكى يمحوماً علق فى ذهن العامة من أراجيف المرجفين ، أصدر رقعة تشتمل على تفخيذه وتزيد فى ألقابه ، فكان منها أن قطعت قول كل مبغض .

وفى هذه المدة كان الفساد ينخر جسم الخلافة العباسية العليلية ، وكانت دولة آل بويه تحتضر ، فانتهاز أحد مماليكها ويسمى البساسيرى ، ونازع آخر ملوكها السلطنة ، ونصب نفسه أميراً للأمرأ ، ولم يكن الخليفة راضياً عن البساسيرى لاسيما حين علم الخليفة بأنه يكاتب الفاطميين سرّاً ليقم لهم الدعوة فى بغداد ، واستغل السنيون هذه الفرصة ، فهجموا على دار البساسيرى ،

(١) اسم مكان فى البعيرة وقعت فيه هذه المعركة الفاصلة .

والخليل بفلسطين^(١) .

فقبض عليه في أول المحرم سنة ٤٥٠ هـ وأبعده مع زوجته وأولاده إلى (تنيس^(٢)) حيث ظل محبوساً فيها حتى أنفذ إليه الخليفة سيقافاً قطع رأسه ، ثم أرسلت جثته إلى القاهرة فألقيت في مزبلة ثلاثة أيام ، أخرج بعدها وغسل وجنط وكفن ودفن ، وهكذا

(١) قامت الدعوة الفاطمية في بغداد حين فتحها البساسيري ، ولا معنى لأن يقيم البساسيري الدعوة للفاطميين ، بدون أن يكون مبعوثاً منهم محارباً يعلمهم ورجالهم خاضعاً لأمرهم .

(٢) كانت تنيس قدما مدينة كبيرة ، ومقامها في الوجه البحري قريبا من دمياط ، ولما ولي مصر هنبسة بن اسحق الضبي الخارجي النقي الورع - وكان مكروها من الرعية لورعه - . . . نزل الروم دمياط يوم عرفة سنة ثمان وثلاثين ومائتين فملكوها وما فيها وقتلوا بها جما كثيرا ، وسبوا النساء والأطفال وأهل الذمة ، فنهض إليهم الوالي في قسمن من جيشه مع جمع كبير من الناس ، فلم يدركوهم ، ومضى الروم إلى تنيس فأقلبوا بأشتومها ، فلم يبقهم هنبسة ، فقال يحيى ابن الفضل للمتوكل :

أترضى بأن يوطأ حريمك عنوة

وأن يستذل المسلمون ويحربوا

حمار أتى دمياط والروم وب

بتنيس منه رأى هين وأقرب

مقيمون بالأشتوم يبيعون مثلما

أصابوه من دمياط والحرب ترتب

فلا تفسنا إذا بدار مضبغة ،

بمصر ، وإن الله قد كاد يذهب

له الأمر في العراق وضرب السكة باسم الفاطميين ، وهكذا استطاع الوزير اليازورى بواسطة البساسيري وغيره أن يقيم الدعوة لسيده على منابر المشرق والمغرب وأن يضرب بمقامع من حديد ، على يد كل من تحدته نفسه بالثورة ، واستقامت الأمور له وهدأت أحوال المملكة ، إلا أن الوزير اليازورى كان محسوداً وحساده كثيرين ، وكانوا من طوائف عدة وجنسيات متباينة ، كان محسوداً من المغاربة بطانة الفاطميين ، وكان محسوداً من الأتراك ، وهم الوصوليون الذين يأبون على غيرهم ما يريدونه لأنفسهم .

وكان مبغوضاً من السودان ، أحوال الخليفة لأنه لم يفضلهم على غيرهم ، وهكذا تألبت عليه هذه الفرق لتحط من قدره ، وتنزله من دست الحكم ، ودأبت على دس الدسائس وصنع المؤامرات ، وترويج الوشائيات ، حتى صدق المنتصر فأقلعه عنه ، ولم يبق عليه إلا أن ينتقم منه ، بعد أن وثق به مدة تسع سنوات خدمه فيها اليازورى أجل الخدمات فجعل ملكة شاعراً والأمن فيه موطلاً ، فاتهمه بأنه يرأس طفرل بك السلجوقي ، ويحسن له الحجي . لهدم الدولة الفاطمية ، كما ألصق به تهمة إرسال الأموال الفاطمية إلى القدس

ذهب اليازورى ضحية لإخلاقه لمولاه . وكان الساعى فى ذلك أخلص أوفياته وأصفياته ونعنى به البابى الوزير الذى خلفه فى منصبه .

وقد أجمع المؤرخون على أن تولية اليازورى الوزارة كانت رحمة على المصريين الذين كانوا هدفًا لكل طامع فى ثروتهم ، فم فى زمنه الرخاء ، وزالت الشدة التى كانت تخيم على البلاد قبل حكمه .

يقول الدكتور حسن إبراهيم حسن « وبعد زيارة نصرى خسرو بقليل خلت بالقاهرة الأيام السيئة ، وعادتها المصائب التى لم تشهر بها قبل قرن من تأسيسها وقبض على نواصى العناصر المتألبه المعادية فى هذه الأثناء الوزير اليازورى مدة تسع سنين ، وبذل قصارى جهده فى معالجة خطر المجاعة التى كانت تهدد البلاد ، تلك المجاعة التى يصحبها

غالبًا الوباء والبؤس العام ، وما يتبع ذلك من الفوضى والجرائم ووجد اليازورى فى مخازن الغلال التى كان مسئولياً عليها ما أبعد ذلك الخطر مدة حياته ، غير أنه بعد قتله بقليل ، لم يكن هناك من يقف فى وجه هذه العناصر المتطاحنة . ويبين لنا مبلغ ترزعزع مركز الحكومة بعد قتل اليازورى ، ما كان من تعاقب أربعين وزارة مختلفة فى تسع سنوات ، .

• • •

هذا هو وزيرنا اليازورى الذى سعى لى يوحد الأقطار العربية بزعامه مصر ، وكان ذلك قبل تسعة قرون فلم يكتب لعمله التمام .

حسى عجم العزيز نهمر

(١) فى ابن ميسر س ١٠ أن البابى سعى فى قتل اليازورى كل السعى ، وقابل إحسانه بهذا الجزاء ، ويقال : إنه جرد لايه من قتله بغير أمر للمنتصر ، فلما اطلع الخليفة على ذلك أعظمه وحقه على البابى ، وعزله بعد شهرين من تولية الوزارة . وفى ابن منجب س ٦ : أن اليازورى كان لا يأذن بدخول أحد عليه يوم الجمعة إلا للبابى للاقته عليه ، ولم ينتفع اليازورى بشئ من ذلك ، لما قبض عليه ، ورد التدبير إلى هذا الوزير بل سيره إلى تنيس واجتهد فى قتله .

شعر الفاضل الفاضل

للدكتور أحمد أحمد بدوي

والواقع أنك لا تكاد تجد قطعة تخلو من لون من ألوان هذه الصناعة التي أتقن الفاضل الفاضل سبكها .

وإلى جانب ذلك لا يسرف الفاضل في استعمال الألفاظ الغريبة ، وعبارته محكمة النسيج ، ومعانيه واضحة إلا في القليل .

وكان لعصره أثر كبير في شعره ، وإذا كان هذا الشعر الذي بين أيدينا لم يتحدث إلا قليلا عن الحروب الصليبية التي دارت في عهد صلاح الدين ، وكان الفاضل وزيره ، فذلك لأنه أشبع تلك الرغبة فيما كتبه من رسائل كانت لها قيمة كبيرة في عصره .

وتعددت أغراض شعره ، ولهذا أرى من الخير أن أخص كل غرض بكلمة :

الغزل :

فن من الفنون التي أكثر منها الفاضل الفاضل ، قاله لا يشرك به غرضا غيره أوقاله في مفتتح أغراض أخرى ، وهو كالغزل التقليدي المتوارث : حديث عن الرضا

اشتهر القاضى الفاضل فى الأدب العربى برسائله النثرية وطريقته الفاضلية فى الكتابة وحجب ذلك شهرته بالشعر ، مع أن الرجل كان حريصاً على أن يكون كاتباً شاعراً معاً ؛ فله ديوان شعر كبير جمع فنون الشعر المعروفة فى عصره .

وكان الفاضل يؤمن بمجد الشعر وخلوده ، ويرى الدهر عاجزاً عن القضاء عليه ، وعد الفاضل من مفاخره أنه ذو شعر خالد على الزمن .

وشعره يمتاز ، كما يمتاز نثره بحب الصناعة اللفظية ، فهو لا يكاد يدع نوعاً منها ، إذا تآتى له استخدامه ؛ ولهذا الناحية من خصائص شعره أعجب رجال الصناعة به ، ومثلوا لألوانها المختلفة بشعره ، مسجلين له أعظم تقدير وإعجاب ، أما أولئك الذين لا تعينهم هذه الصناعة فلا يرتفعون فى تقدير شعره إلى هذا المستوى ، كصاحب قلادة النحر ، فإنه قال : دوله فى النظم أشياء حسنة ، (١) .

والغضب ، والقرب والبين ، ولذة الوصل
وضنى الحجر ، وثقل الوشاة ، وبغض العذال
والرقباء ، وعدم الإصغاء إلى لومهم وما
يزعمونه من النصح .

وليس ما قاله الفاضل من ذلك كله ناشئاً
عن رغبته في التمرن على بليغ القول من غير
أن يكون صادراً عن عاطفة حقيقية صادقة ،
بل إنك لتحسّر بحرارة هذه العاطفة تظهر
في الحين بعد الحين ، وأظهر ما يتجلى فيه
ذلك ما أنشأه في حبيبته المريض ، إذ يقول :

يا يوسف الحسن الذى أنا مذشكا
في سجن يوسف من أسى وتأسف
ياسقمه ، رفقاً بمدنف جفنه
وترفقاً أيضاً بقلب المدنف

لو كان من رسم القلوب تصرف
أخفيت من جسمى لك القلب الحنى
أو كانت الحى تقيّد نارها
بالماء كانت من دموى تنطقى

أو حين يقول :

لكل حبيب يا حبيب رقيب
ومن كل جسم للسقام نصيب
ولانى فى أهلى ودارى ، لما أرى

عليك من السقم الغريب - غريب
أغيب برغمى ، ثم أحضر عنده
فأنظر آثار الضنى ، فأغيب
أو حين يقول :

ما منك لى خلف ولا عوض
لانى لجوهر ذانك العرض
أفديك بالقلب العليل ، وبالطر
ف الذى بك ليس يغتمض

وأقول إذ عادوك من مرض
بالعائدين ، ولا بك المرض
ولا عجب ففرض الحبيب خليك أن يثير
فى النفس أعنف العواطف وأصدقها .

وقد أشاد القاضى الفاضل بالجمال ، وماله
من صفات تلذ السمع ، وتشوق البصر .
ومن أكبر ما تغنى به هذه الهالة من النور ،
أشع من وجه الحبيب ، فتغمره بالسناء ،
وتحيطه بالضياء ، فتسمعه يقول .

زارت ، فزارك فى الظلام ضياء
عشيت به عن لمحها الرقباء
ويقول :

ومضى شمس الوجه لم يهد الهوى
فى خاطرى إلا سراج ضيائه
ويقول :

بأبى بدر يضئ به
خاطرى لئلا لاج أو غربا
ويقول :

وأفرط أنواراً ، فضل مكانه
وأفرطت إشفاقاً ، فضل مكانى
وتغنى بالقدود اللينة ، والخصر الأهيف ،
والعيون النجل ، والحواجب المقوسة ،

والخيلان تزيد بياض الخلد بهجة وجمالا ،
والأسنان كالأفحوان ، والحدود كشقائق
النعمان :

ضرب اللثام على شقية
ق ، والشفاه على قداح
وأظن ورد الخلد يس
حتى من مراشفه براح
ويقول :

يا هـللا ، إذا أنار ضللتنا
وقضيا إذا ثلثي ثلثانا
بيننا جلنار خدك يبدو
إذ رأينا في صدرك الرمانا
ومن أجل ما قاله في ذلك وصفه لين
الحدود ونعومتها التي لم يذقها بغير عينه :
وما ذاق إلا ناظري لين خدها

وعن وصفه قلت : الحدود نواعم
وأسرف الفاضل كثيراً في تشبيه شعر
الصدغ بالعقرب ، وولد من ذلك معاني
كثيرة كانت معيناً لمن جاء بعده من الشعراء ،
يقتبسون منها ، ويستقون من ينبوعها ،
ويطول في القول إذا أنا تتبعته في هذه المعاني ،
وحسبي أن أشير إلى غزارتها ؛ فهذا الشعر
حينما جزء من ليل هام بالحبيب ، فتقبل خده
وأسبل عليه جزءاً منه :

سرت فسكان الليل قبل خدها
فأبقى به قطعاً ، وأسبل عقرباً

فما استغربت في موطن الحب غربتي
فهذا الدجى في صبحها قد تغربا
وهذه العقرب تحول بينه وبين روض
الخد ، فهي الحاجز بينه وبين السعادة :

على كل خير مانع ، وبحسنه
برق ، ويجفو . رقة للراقب
فيمنع ورد الخلد شوك ملاصق
ومن دون روض الخلد شوك العقارب

وهي عقرب عجبية في لسبها :
فقربها أبعد من لسبها
وبعدا أدنى من السب
وعجبية في خلقتها :

ما عقرب إلا لها شوكة
وعقرب الخلد لها وردة
وهي من المسك ، ولكن جمر الخلد لا
يأكلها ، أو هي بقية من ليلة لم يوقظها الفجر :
وعقرب في الخلد من مسكة
أمسك أن يأكلها الجمر
بقية من ليلة للرضا
نامت ، وما أيقظها الفجر
إلى غير ذلك من خواطر صورها .

كما أكثر من الحديث عن ورد الحدود
وتلهبها .
وحيناً يجعل في صف الحسن ، فيراه مجلى
لقدره الله :

سر ، لا تقف ، واستعن بأجده
حجة السحب إلى وكر مغرب ، وطر
ما أنت يا شيخنا الكبير كمن
أضحى كبير الجمال في الصغر
ووصف لنا القاضى بين ما وصف حديث
الحبيب ، ووعدته ، وعتابه ؛ أما حديثه
فالروض :

رب بستان حديث بيننا
فتح العتب به ورد الخجل
بل هو در يقتنى ، وإن الألفاظ تخرج
من فمه متعثرة ؛ لأنها سكرت بخمر
ريقه العذب :

فيالك من در من اللفظ مقتنى
وبالك من خمر من اللفظ تعصر
بمجمع ألفاظا بخمرة ريقه
سكارى الخطى فى ذيلها تتعثر
وأما وعده فسراب :

قالوا : نعل ، إن بقيت ، بوعدته
هيات ، غيرى غره بسرائه
وهو مع ذلك يقنع به ، ويرضى :

لقنعت من عدة
ووصل بالخيال وبالحال
ويتمنى هذا الوعد الكاذب :

يا مانعى حتى مواعيده
من لى بوعد منك كذاب
بل يرى فى الوعد الممتول لذة ونعما :

شرفت آيات خالفه
وللى تميزها ندبا
آية فى الحسن تشهد لى
كان من آياته عجبا
أوهو بعض ولدان دار النعيم ، أكثر
جمالا من القضيب والحقف والظبي
والهلال :

لا كمثل القضيب ، والحقف
ف ، وريم النقا ، ووجه الهلال
تلك أسماؤكم ، وسميتوها
لوجوه أخرى ذوات جمال
وعلى قاتلى لباس من الحس
ن تعالى عن الطراز للعلى
وحيناً يوازن بين من يهوى وبين القمر ،
فيرى القمر أقل بهجة وحسنا :

فليرغم القمر الذى
فى وجهه أثر الرغام (١)
إن قلت : حسن الوجهه نا
ل فلم ينل حسن القوام
ما كان مضروب الغما
م نظير مضروب اللثام
ويقول فى أخرى :

أقسم يا بدر لو عقلت ، وقد
أبصرت تلك الأنوار لم تنر

وياأمرنى من لا أطيق بهجرها
وحسبى به لو كان ينظرها حسبى
يشير على جسمى بفرقة قلبه
بقيت كذا هل كان جسم بلا قلب
فلا غرابة أن يرذل القلب برحيل الحبيب
فهو وطن وفى لأهله ، يرذل برحيلهم ،
ويقيم بإقامتهم :
أمتصجبا قلبى ، وكان محله
وإن كان من جور الفراق محيلا
عجبت لدار من وفاء بأهلها
أجدت ، وقد راموا الرحيل رجلا
وقد أوحى الفراق إلى الفاضل بخواطر
كثيرة من الشوق واللوعة لفقد الأحباء
والقلوب معهم :
وكم بت عطشاننا إلى مورد السلى
وإن كنت فى بحر الدموع غريقا
فريقين ودعنا : فريقا أحبة
تعز علينا ، والقلوب فريقا
ولا روح فى الشكوى وأية راحة
بما سر أعداء ، وساء صديقا
ويرى دارهم قد نقشت على قلبه وعينه ،
فلا يبرح رسمها ماثلا أمامه ، أما الضوء
الذى ينير الحياة فقد رحلوا به ، ولا تستطيع
الشمس والقمر أن يعوضا عما فقد :
لنى فقدت أحببى نظرا
ووجدت بعدهم الثوى (١) أثرا

يا من ينفرنا بمظلمهم
وبه جرت قدما رسومهم
فى المطل معنى لست تعرفه
لا زال ممطولا غريمهم
دع مظلمهم ، فالمطل يذكره
وعسى على الذكرى نديمهم
فى المطل تعذيب يطيب له
يا طيب ما فيه نعيمهم
وأما العتاب فهو - مع قسوته - محبب
إليه ، لأنه عنوان الحب ، ودليل الصلة
القلبية القوية :
حشد الذنوب على يوم عتابى
حتى لا ذكرنى بيوم حسابى
أهلا بهذا العتب ، فهو مبشرى
لنى لأحبابى من الأحباب
يشعر الفاضل بأن الحبيب يسكن القلب
ويمسكه هذا الخاطر ملكا قويا ، فيحس
كأن الحبيب يشعر بما يحول فى نفسه من أمان
وإحساسات :
ذكرتك ذكرى ، أنت فى القلب ربما
شعرت بها فى القلب كيف تجول
ويعجب كيف استطاع أن يسكن القلب ،
وفيه نيران متقدة من الحب :
أسكان قلبى ، كيف جاوِرتهم الأسى
به ، وهو نار بالدموع تسيل
بل هو قلبه الذى لا يستطيع هجرانه :

تركوا على عيني ديارهم
وعلى فؤادي الشوق والفكرا
ظعنوا بنور لست أسأله
لا الشمس بعدهم ولا القمر
ويرق حين يرسل التحية إلى الحبيب
المفارق، فيقول :
يا لمعة البرق ، بل يا هبة الريح
روحي بحسنى إلى من عنده روعي
خذى لهم من سلامي عنبرا عبقا
وأوقديه بنار من تباريحي
ناشدك الله إلا كنت مخبرة
عنى بأنهم ذكرى وتسيحي
وإذا كان الفراق يثير فيه اللوعة والأسى ،
فلا جرم كان يخافه ، ويخشى نذره ، ويتمنى
أن لو أخلف الدهر هذه النذر :
أرى نذرا للبين صرح وعدما
على إذا ما الدهر أخلفها نذر
وليس بكثير في الحب خوف الفراق ؛ فإن
الحبيب هو الذى يكسب الدنيا بهجة ،
ويعملؤها جمالا . ويبحث فيها الأمل ، ويحيى
ميت الأمانى ، وقد صور الفاضل هذا
الإحساس فى قوله :
وقد كانت الدنيا التى لم يكن بها
إذا اخضر منها جانب جف جانب
بدت لى بها دنياى خضراء كلها
فلا منظر إلا وفيه مأرب

وإذا كانت الدموع تلازم بعض أحوال
الحب ، فقد أطال الفاضل فى الحديث عنها ،
ووصفها ووصف مصدرها ، فالدموع هى
التي تكشف الشوق وتصفه :
ولولا دموع يكشف الشوق وصفها
لما وصف الشوق الذى فى واصف
والدمع كتاب الحبيب لا يكذب ، يرسله
لحب ، ليقبل ترابا سار عليه الحبيب :
كتاب إليه من فؤاد معنون
وما كان فى العنوان لاعن ولا إلى
ومن رأى قلبى أن يقبل تربه
فيرسل نقر الدمع عنه مقبلا
وليس هذا الدمع سوى دماء تسيل منه ،
بروى بها ورد الحدود :
ترى من دموعى قبل ترجع من دم
سقيت ، فأطلعت الأفاح شريفا
فلما جرحت القلب صارت مدامعى
دماء ، فأورت وجنتيك شقيقا
ويرى تلازما بين الحب والدموع :
ما دام وجهه ينجلي عن روضة
فعلى عين تنجلي عن منهل
وهى التى تطرز ما كسته الصبا لديار الحبيب
من التراب بعد فراقهم لها ، وعنوان
ما بقلبه من هموم وأشجان ، وهو يعجب كيف
تسح عينه الدمع بحارا ، ثم لا يفرق الحب ،
بل ظل حيا قويا :

ويرى فى العذل جلاء يصقل الحب :
وما الحب إلا الحسام الصدى
إذا العذل مر به يصقل
وحينا يثور ، فيرى فى اتباع العذل
حزما ، ويراها هدى لو أن له قلبا يصنى ،
أو أذنا تسمع :

لعمرى لقد بصرت لو نفع الهدى
وحقا لقد أسمعت إن سمع الصم
أعذل ، ما الحزم إلا اتباعه
طريقك ، لكن ربما قلب الحزم
ووقف القاضى الفاضل على الديار يتعرفها
ويسألها ، كما وقف الأقدمون ، ولكنه
لم يكثر من ذلك ، ولم يطل فيه والديار التي
ييكها ديار تغفيا الرياح ، ولم تبق على
رسومها ، فتسمعه يقول :

عرفت داركم ، والركب ينكرها
قلبي ، وإن جهلت عيني ، يخبرها
ما كادها الريح قدما حين ينسفها
وإنما خلفهم أمسى يسيرها
يادار كنت لأنلاك الهوى فلما

فما استطعتك أقللا كما أسمرها
وحينا يغلب عليه مذهب أبي نواس ، فيأبى
الوقوف على الأطلال العاقبة ، ويقول :
ويستوقف العشاق فى الربع إن عفا

سواى ، على ربع عفا لا أوقف
ويأخذ القاضى عن بشار مبالغته فى وصف

وقد أغرق الدنيا بدمع جفونه
ولم يتفق فى ذلك أن يغرق الحب
وأكثر كذلك من الحديث عن العذل
والعذل ، فهو يحتمل الآلام فى سبيل الحب ،
ويخفى كربه فى قلبه كى لا يسر العذول بإظهار
آلامه :

وفى القلب كرب لا أسر عذوله
بقول إذا ما ضقت بالكرب : واكربى
ويشعر بالعذول ثقيل الظل ، لا يطيق
لكلامه حلا ؛ تلس هذا الإحساس فى جمع
القاضى بين العذول والجبل فى قوله يخاطب
العاذل :

وما يخف على قلبي حديثك لى
لا والذى خلق الإنسان والجبل
ويخبر العذول بأنه لن يصغى إلى حديثه ،
ولو أفتق فى لومه عاما كاملا :

دع اللوم يا عاذلى
فما أنت بالعادل
ولا تكثرن الملام

وأقصر ، فهذا الكلام
على الصب مثل الكلام (١)

ولو قت فى كل عام
تسلم إلى القابل
فما أنا بالقابل

يا ليلة بات فيها البدر معتق
والناس بالبدر والظلماء في شغل
بقنا نفص عموداً للحديث ، فإن
فصلتها فبتشذير من القبل
قل في الزلال إذا وافي على ظمأ
فقد دلت على التفصيل بالجل
وقوله :

وبات يحيتيني على رغم كاشح
بما لم أكن - لولا الرضا - أتمناه
بخمرين : خمر فوق وردة خده
برق ، وخمر في أقاح تناباه
قولي ضياء الصبح من خوف نرعه
وولي ظلام الليل خوف محياه
وقد غبت من فرط السرور بقره
كأنى ما ألقاه ليلة ألقاه
وأجاد القاضى الفاضل في تشبيهه بمغنية
مجيدة ، ووصفها ، ووصف مجلس غناها ،
ووصف العود في يدها ، إذ يقول :
تلد بجنتها أعين
وفيهما الذى تشهى الانقص
لها نظرة إذ تحسني بها
يغض لها عينه النرجس
وجاءت بعود لها خاطب
فزم لهيبته المجلس
إذا هي جست مضت بالصوا

ب ، فالناس من بعدها حبس

نفسه بالضالة ، حتى لا تكاد تقينه العين
وإذا كان الفاضل ضئيلاً فقد أسرف مبالغاً
في وصف هذه الضالة حين يقول :
مثل الكتاب ضنى ، ومثل يراعه
بل خطه ، بل شكله المتفانى
لم يبق منى في العيون بقية
والله يبق لى الذى أفنانى
كما نلس هذه المغالاة في وصف آلامه
وهوموه ، إذ يقول :
وما الغيث إلا من دموى ساكب
ولا الرعد إلا من حنى ناعم
ولا العمر إلا من أسى مترام
ولا البرق إلا من زفيرى لاح
وحينا يصف أساء وصفا معتدلاً فيقول :
لو كان منه باسم إلى الصباح
ما كتم التقطيب عنى الأفاح
فألعين عن رياض رضا
ولا لبرح (١) عن فؤادى براح
لامرحاً صرت ، ولا مشتهى
أفقدنى فقد الملاح المراح
ويتسم أكثر غزل القاضى الفاضل بمسحة
من الألم قل أن تفارقه ، فأكثره أنين وشكوى ،
وقل أن تجد فيه فرحة اللقاء أو سرور
الوصل ، كقوله :

(١) البرح : الشدة والأذى .

لها معجز إن تأملته
فما سر إعجازه مبلس^(١)
أما العود من قبلها أخرس
وفي يدها ينطق الآخرس
كان المدامة من لحظها
ونار الغرام بها تقبس
ولا يخرج القاضي الفاضل في تشبيهاته الغزلية
عما ألفته العريسة من التشبيهات ، ولكنه
في كثير من الأحيان يحور ويولد ، حتى يصبح
التشبيه طريفا مقبولا ، وها هو ذا يشبه وجه
من يحب بالهلل ، فيميل به عن الطريق
المألوف ، ويقول :
قلت إذ قلب المدلل وجها
طالبا من سمائه شوالا

وعيون الراتين قد أبصروه
فتناسوا به الهلال ، وهالا :
خذ مراة ، وانظر حياك منها
يبعد منها السحاب منك هلالا
وهكذا يجري القاضي الفاضل في أكثر
تشبيهاته في الغزل .
ولا يفوتني قبل أن أتم فصل غزله أن أشير
إلى أمنية تمنّاها ، ودفعته إليها رغبته في قرب
حبيبه ، فكان ذلك سبباً للدعاء عليه ، فقد تمنى ،
وحبيبه مريض ، أن يكون أحد مضاجعه ،
وآلا تفارق الحى حبيبه أبدا ، فقال :
ألا ليتني إحدى مضاجع سُقَّر
وباليتها ليست تجافى له جنبا
(البقية في العدد القادم)

الراكتور أحمد أحمد بدوي

(١) أبلس : يئس وتعب .

(بقية المنشور على ص ١٠٩٣)

المتحدة إلى القاهرة حيث يعقدون مؤتمرهم
وينزلون ضيوفا على الجمهورية العربية المتحدة
ثم يزورون بعد ذلك أهم مدن دول الشرق
الغربي وخصوصاً الأماكن المقدسة فيها
وبالأخص مكة المكرمة والمدينة المنورة
وبيت المقدس فلا يسعنا إزاء ذلك إلا
الترحيب بهم فأهلا بهم بين ذويهم وسهلا بهم
داخل أراضهم .

الراكتور محمود يوسف الشواربي

من قادة الفكر الإسلامي وتناقشوا معهم
في رسالة الجمعية وكيف يجب أن توالى هذه
الرسالة الإنسانية حتى تتأكد الصلة بين
المسلمين في بلاد العالم الإسلامي وبين إخوانهم
المقيمين في أمريكا .

ولعله يسر القارئ الكريم أن المؤتمر
التاسع للاتحاد قرر أن يعقد مؤتمره العاشر
في يوليو من عام ١٩٦١ بمدينة القاهرة وستنظم
رحلة جوية لجميع أعضاء المؤتمر من الولايات

شئ من النفس...

للأستاذ على الماري

- ٢ -

ظني تقتضيه لما نصبت له
في آخر الليل أشراكا من الحلم
ثم اغتدى وبنا من ذكره سقم
باق ، وإن كان معسولا من السقم

وله :

ما زارك الخيال ولكنه
بك بالفكر زرت طيف الخيال

ثم جاء البحترى فأكثر من الحديث عن
الطيف ، حتى نسب إليه فقيـل : (خيال
البحترى) ومن ذلك قوله :

أراني لا أفـك في كل ليلة
تعاود فيه المالكية مضجعي

أسر بقرب من مُلم مسلم
وأشجى بين من حبيب مودع

ويقول صاحب العمدة : إن أول من
طرد الخيال طرفة بن العبد في قوله :

فقل لخيـال الحنظلية ينقلب
إليها فإني واصل جبل من وصل

ومن قول البحترى في الخيال :

تابع في هذا العدد الحديث عن
قصيدة « الطيف » للبارودي وهي تنيف
على ستين بيتا ، وليس منها في الغرض الذي
قيلت فيه غير أربعة عشر بيتا ، وقد ظهر
أخذ البارودي عن المتقدمين واضحا في هذه
المعاني ، وهو لم يأخذ عن المتقدمين أحسن
معانيهم ، وإنما أخذ أهونها ، ونجب أن
نعرض صورة موجزة كل الإيجاز للحديث
المتقدمين عن الطيف .

قال الشريف المرتضى في أماليه : أول من
ابتدأ هذا المعنى - القول في الطيف - قيس
ابن الخطيم ، وكل الناس فيه عيال عليه ،
في قوله :

ما تمنى يقضى فقد توثنيه
في النوم غير مُصرد محسوب^(١)
كان المنى بـلقائها فـلقيتها

فلهوت من لهو امرئ مكذوب
وقال أبو تمام :

زار الخيال لها ، لا ، بل أزاركه
فـكـر ، إذا نام فـكـر الناس لم ينم

(١) التصريد : التقليل ، وفي السق ، دون الرى .

أما البحرى فصّرف القول ، فهو في كل
ليلة تزوره المالكية في النوم يسر ، ويشجى ،
يسلم عليه الحبيب ثم يودعه ، ويعجب كيف
اهتدى إليه هذا الطيف ، في ظلمات الليل ،
وكيف وصل ودونه أرض مجهولة واسعة ،
يضل سالكها ، وينقطع السائر فيها دون
الوصول إلى غايته ، ولكن هذا الخيال ،
تجاوز الرمال ، والجبال والسهول ، ولم يعأ
بظلام الليل ... وهكذا .

فإذا صنع البارودى ، ابتداء بأن طيف
سميرة (تأوب) وهو لفظ البحرى ،
ثم جعله يطوى سترته الظباء ، ويتخطى
الأرض ، ويتحمل أهوال الظلام ، ويعجب
كما يعجب البحرى : كيف وصل إليه ،
ودونه محيط من البحر الجنوبي زاخر ؟
وتقصير البارودى ، ليس فقط في هذا
الاتباع الواضح ، وإنما هو في عدم تسجيله
ما يتحدث به الطيف من انفعال في النفس ،
فالبارودى لم يدخلنا قلبه لنرى فيه مشاعره
وأحاسيسه التى أثارها الطيف ، بل جعل
يحدثنا عن رحلة الطيف ، من مصر إليه ،
ثم عودته سريعا ، وعن صاحبة الطيف التى
لم تدر ما الليل وما السرى ، وقد جهدت أن
أعرف الحالة النفسية التى كان عليها البارودى
في نومه عندما زاره خيال سميرة ، هل كان
متألما حزينا ؛ هل اضطربت أوصاله حين

هذا الحبيب فرحبا بخياله
أنى اهتدى والليل في سرباله
بل كيف زار ودونه مجهولة
من سبب قفر يمحور بآله
سار تجاوز من شقائق عاج
بعد المدى ، من سهله وجباله
وكذلك :

أمنك تأوب الطيف الطروب
حبيب جاء يهْدِي من حبيب
تخطى رِقة الواشين (شرقا)
وبعد مسافة الخرق المجوب (١)
يكاذبني وأصدق دادا
ومن عجب مصادقة الكذوب
هؤلاء الشعراء تناولوا معانى الطيف ؛
فصاحبة قيس تعطى في المنام ما تمنعه في اليقظة
وأن المنى في لقاءها تحققت بقاء خيالها ،
والشاعر لها ، ولكنه هو امرئ مكذوب
لاحقيقة له ، وأبو تمام جعل الخيال زائرا ثم
أضرب لجعل الفسك هو الذى جلب الخيال وقد
نصب لهذا الطيف شبكا من الأحلام فاصطاده
ولما جاء الصبح ذهب الخيال ، وترك سقما ،
ولكنه سقم حلو ، وهو تعبير جميل
(معسولا من السقم) .

(١) السبب : للفازة . اللور : الاضطراب ،
والأل : السراب . وطالج : اسم مكان .
(٢) الخرق : الأرض الواسعة . المجوب :
للقطوع

فقد خلط بين المذهبيين ، لجعله أولا متأوبا ،
جائيا إليه بقطع الليالي ، ثم جعله تابعا من
الخواطر (وما الطيف إلا ما تربه الخواطر)
ثم عاد إلى المعنى الأول فقال إنه تخطى إليه
للبحار والقفار ، والليل والنهار ، فلم يثبت
على مذهب واحد ، مما يدلنا على أنه يغالى
فى التقليد ، فيغفل عن التناقض بين المعاني ،
على أن قوله (وما الطيف إلا ما تربه
الخواطر) - وإن تضمن ، أنه دائما يذكر
بنته هذه ، فطيفها إبراز لما فى نفسه - هو
أشبه بالتعاريف المنطقية .

ومن اتباع البارودى وتقصيره قوله :

ولولا تكاليف السيادة لم يجب

جبان ، ولم يحو الفضيلة نائر

فقد أخذه من قول المتنبي :

لولا المشقة ساد الناس كلهم

الجود يفقر والإقدام قتال

والفرق بينهما جد واضح ، لا يحتاج

إلى بيان .

وقوله :

فلا أنا إن أدنانى الوجد باسم

ولا أنا إن أقصانى العدم بأسر

وقد سبق إلى هذا المعنى - وأجاد - حاتم

ابن عبد الله الطائى ، حيث يقول :

رضينا زمانا بالتصعلك والغنى

وكلا سقناه بكأسهما الدهر

قام من نومه فلم يجد شيئا أمامه ؟ هل قال
كما قال الشاعر العربى الأول :

وانى لأستغشى وما بى غشية

لعل خيالا منك يلقى خياليا

على أى حال ، لم يدخلنا الشاعر نفسه ،

ولم يطلعنا على وجدانه ، فقط ، بيت واحد

أشار به إلى ارتياحه لوجود الطيف حيث قال :

الم ولم يلبث وسار وليته

أقام ، ولو طالت على الدياجر

أما أوصافه ، فهى (من الظاهر) وأعتقد

أنها لا تأثير لها على أحد ، فنفس القارئ

لا تتفعل إذا لم ينقل إليها الشاعر انفعاله .

وواضح من شعر المتقدمين أن بعضهم

يجعل الطيف تابعا من الفكر . وعلى ذلك

جاء قول أبى تمام : (لا ، بل أزاركه فكر) .

وبعضهم يجعله وافدا من خارج النفس ،

يتخطى إليها الأهوال ^(١) ، أما البارودى

(١) بهذه المناسبة ، عرض سويد بن أبى كاهل

البشكرى للطيف فى قوله :

هيمج الشوق خيال زائر

من حبيب خفر فيه قدع

شاحط جال إلى أرحلنا

عصب الغاب طروما لم يرع

آنس كان إذا ما اعتادنى

حال دون النوم منى فامتنع

وقد ضبط شارحا الفضليات « أحمد شاكر ،

وعبد السلام هرون » كلمتى « شاحط وآنس »

بالكسر ، وقالوا : إنها لغتان لحبيب ، والقدى

هندى أنهما بالرفع وصفان للخيال .

ومن ذلك قوله :

فقد يستجم المال والمجد غائب
وقد لا يكون المال والمجد حاضر

فهو ينظر إلى قول المتنبي ، ويعارضه :

فلا بحسد في الدنيا لمن قل ماله

ولا مال في الدنيا لمن قل مجده

ويوافق قول الآخر :

قد يدرك المجد الفتى ورداؤه

خلق ، وجيب قيصره مرقوع

وسر جمال هذا البيت الأخير ، أن الشاعر

أولا نصر على الذى يدرك المجد ، مع الفقر

وهو (الفتى) فليس كل إنسان يستطيع هذا

وثانيا صور هذا الفقر بصورة تبعد الأمل

في أن يدرك هذا الفتى المجد ، أما كثرة المال

عند البارودى ، وقلته ، أو عدمه ، فليس

فيه هذه الصورة ، التى قصد الشاعر أن

يكون عليها من يدرك المجد لعلو نفسه ،

وصدق عزيمة ، ثم المجد حاضر ، والمجد

غائب ، أضعف بكثير من (يدرك) لانه

ليس فيها نص على أن الفقير قد انصف بالمجد

إلا بطريق السكناية ، والحقيقة هنا أقوى ،

فلو قال ، قد يصبح الفقير ماجدا مثلا ،

لكان أحسن من قوله (والمجد حاضر) .

وفى البيت خطأ آخر ، وهو إدخال (قد)

على الفعل المتنبي ، قال صاحب القاموس :

« وقد الحرفية مختصة بالفعل المتصرف

فما زادنا بأوأ على ذى قرابة

غفانا ولا أزرى بأحسابنا الفقر

ومن عرض لهذا المعنى واجاد' هدية بن

كخشم العذرى :

ولست بمفراح إذا الدهر سرنى

ولا جازع من صرفه المتقلب

فالصياغة فى النصين أقوى من صياغة

البارودى ، والمعنى واضح فيهما ، و (إذا)

فى قول هدية أجود من (إن) فى قول

البارودى ، لدلالة إذا على التحقق ، ودلالة

إن على الشك ، وقد نفى هدية شدة الفرح ،

كما نفى الجزع ، لأن الذى يعاب به الإنسان

أن يبطره الغنى ، أو يخضعه الفقر ، كما نفى

الجزع ، لأن الذى يعاب به الإنسان أن

يبطره الغنى ، أو يخضعه الفقر كما نفى حاتم

أن يكون الغنى زاده كبرا على ذوى قرابته ،

أو أزرى الفقر بأحسابه ، ثم إنه قال إنه

ذاق الغنى والفقر ، ورضى بهما ، والبارودى

نفى أن يتسم عند الغنى ، وليس هذا مما

يعاب على أحد ، ولكنه يريد المبالغة ،

ثم إنه ذكر أدنى وأقصى ، دون أن يعديهما

العقول ، فلا يدرك القارىء م أدناه الغنى ،

ومم أقصاه الفقر ، هل أدناه من الناس ،

أو من طيبات الحياة - مثلا - وذكر المعقول

هنا ، مع أنه برفع الغموض ، يعطى معنى

جديدا ، والنسج - كما هو ظاهر - ضعيف .

ولكن إذا قل النصير وأعوزت
دواعي المني فالصبر فيه المعاذر
إذا المرء لم يركن إلى الله في الذي
يحاذره من دهره فهو خامر
وإن هو لم يصبر على ما أصابه
فليس له في معرض الحق ناصر
فع أنه أخذ معنى البيت الأول من قول
أبي العتاهية :

ليس لمن ليست له حيلة
موجودة خير من الصبر
ومعنى البيت الثاني من قول المتنبي :
كل حلم أتى بغير اقتدار
حجة لاجيء إليها التمام
مع هذا قد أخطأ فهم معنى بعض الالفاظ ،
واضطرب في شعوره العام ؛ فهو لم يحمد
صبره لأنه على كره ، ثم جعل هذا الصبر
حلما في البيت الثاني ، ومعلوم أن العجز لا يعد
حلما ، ولا يسمى حلما ، وهذا ظاهر من
بيت المتنبي ، ثم عادت مدح الصبر على الإطلاق
في البيت الأخير ، وجعل في الصبر المعاذير
إذا لم يجد الإنسان نصيرا في البيت الرابع ...
ولولا أن الحديث بطول لذكرنا أكثر
معاني البارودي ورجعناها إلى أصلها ، مع
بيان تقصيره عن السابقين .

٣ - معاني البارودي - في جملتها -
عادية ، لاحتياج إلى إمعان نظر وربما خفيت

الخبري المثبت المجرد من جازم وناصب
وحرف تنفيس ، وأما قول الشاعر (وقد
لا تعدم الحسنة ذاما) فهو شاذ .
ومن أخذ البارودي قوله :
فما الفقر إن لم يدنس العرض فاضح
ولا المال إن لم يشرف المرء ساتر
ومن الذين سبقوه بهذا المعنى السموول
بن عاديا :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه
فكل رداء يرتديه جميل
وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها
فليس إلى حسن الثناء سبيل
وكل ما فعله البارودي أنه جعل معنى
يبقى السموول في بيت واحد ، وهذا الإيجاز
إن كان فضيلة فهو يصغر أمام عذوبة ألفاظ
السموول ، وإيضاحه المعنى ، وتأكيده أن
لا سبيل إلى الثناء الحسن ، إذا كانت النفس
صغيرة ، مهما كان عندها من مال وجاه ،
وتعميمه في جمال كل هيئة يظهر فيها الإنسان
إذا تنزه عرضه عن اللؤم .

٢ - وقد تحدث البارودي عن الصبر
حديثا مضطربا فقال :
صبرت على كره لما قد أصابني
ومن لم يجد مندوحة فهو صابر

وما الحلم عند الخطب والمرء عاجز
بمستحسن كالحلم والمرء قادر

فلا أرى حاجة إلى هذه العبارة الأخيرة (هي سوافر) فالسفور الظهور، وقد ذكر أن هذه الكواكب تألفت في الأفق، والتألق يتضمن الظهور وزيادة. ومن ذلك (الدنيا بين الأنام تقامر) فالعبارة قلقة، فنحن نعرف أن المقامر هو لاعب القمار، ولا نذكر تعبيراً فيه أن إنساناً قامر بين اثنين، والبارودي يريد أن الدنيا تداول بين الناس، فتمطى هذا ما تحرمه ذاك. . . ولكن الكلمة لا تفيد هذا المعنى بوضوح، مع اضطراب العبارة.

وقد تكون الكلمة كالكلف في الوجه الجميل، فيفسد جماله، فالطيف هذا الكائن اللطيف الذي سرى ليلاً، يناسبه أن تحدوه نزوات الشوق؛ لأن الحذاء — وهو الغناء للإبل لتسير — مناسب هنا، ولكن ليس من المناسب أن تزجره هذه النزوات (٥)، فالزجر السوق بعنف والأصوات المزعجة الحادة التي تدفع الإبل إلى السير حين تميل إلى الإبطاء والتريث، وليس مما يتفق مع غرض البارودي أن يصور الطيف بصورة من يحتاج إلى الزجر، فوق عنف الكلمة وعدم ملائمتها للطيف، وفي القصيدة كلمات غير مستقرة في موضعها، وإنما هذا الذي سقناه أنموذج منها، قال أبو بكر الباقلاني

على بعض القارئين ولكن ذلك غير راجع لدقتها ولطفها، وإنما يرجع إلى عدم فهم معاني الألفاظ، فإذا فهمها القارئ لم يجد في المعنى دقة، ولا بد للشاعر أن يرتفع بالقارئ عن المعاني العادية، وفي ذلك يقول (بول فاليري) : « إن الشعر هو الكلام الذي يراد منه أن يحتمل من المعاني، ومن الموسيقى أكثر مما يحتمله الكلام العادي، والشاعر المجيد حقاً، يمتاز من غير المجيد بأنه إذا تحدث إليك لم يمكنك أن تسير معه كما تسير مع نفسك، وإنما يضطرك أن تفكر وأن تجهد نفسك في أن تفهمه وتحسه وتشعر به. »

وهذا الرأي قديم في بلاغتنا العربية، وما حديثهم — ولا سيما الشيخ عبد القاهر — في التشبيه القريب المبتذل، والبعيد الغريب إلا صباغة منه.

٤ — الشاعر الفحل لا يضع كلمة إلا إذا قصد من ورائها فائدة، وقد ينقض كلامه قبل القافية فإذا احتاج إليها أفاد بها معنى جديداً، والأمثلة على ذلك كثيرة من الشعر الجيد، ولكننا نجد في هذه القصيدة قوافي لم يدع إليها داع غير تكملة البيت، وتحقيق القافية، من ذلك قوله :

فهن كعنقود الثريا تألفت

كواكبه في الأفق فهي سوافر

(٥) في قول البارودي : تخطي إلى الأرض وجدا وماله ... سوى نزوات الهوى حاد وزاجر

٦ — بعض صورهِ اليمانية غث بارد ،
من ذلك قوله (ويسفل كعب الزور) وقد
عاب النقاد على أبي تمام قوله :
وكم أحرزت منكم على فيج قدما

صروف النوى من مرهف حسن القد
حيث أضاف القد إلى النوى ، فجاء
بتشبيه بعيد ، وإنما أوقعه فيه قصد
المائلة بين القد والقد ، وكذلك عيب
عليه قوله :

بلوناك أما كعب عرضك في الوري
فعال ، وأما خد مالك أسفل
فقلوه (كعب عرضك) و (خد مالك)
كما يستقبح ويستنكر ، ومراده من ذلك أن
عرضك مصون ، ومالك مبتذل إلا أنه عبر
أقبح تعبير .

ومن ذلك نقد القدماء لهذا البيت :

وجذنت رقاب الوصل أسياف هجرها

وقدت لرجل البين نعلين من خدى

فقد قيل : ما أهجن (رجل البين) وأقبح
استعارتها ، ولو كانت الفصاحة بأسرها فيها ،
وكذلك (رقاب الوصل) . قلت ويثلك
هذين (كعب الزور) في قول البارودي .

ومن التعبيرات القاصرة قوله : (ويا قرب
ما التف عليه الضائر) فقد جعل الضائر
تلتف على الأحباب ، والتفاف الضائر
تعبير غير سائغ ولا مقبول .

في كتابهِ إعجاز القرآن : « وعذوبة الشعر
تذهب بزيادة حرف ، أو نقصان حرف ،
فيصير إلى الكرازة وتعود ملاحظته بذلك
ملوحة ، وفصاحته عيا ، وبراعته تسكفا . »
ه — أخذ النقاد القدامي على
الفرزدق قوله :

إذا التقت الأبصار أبصرت وجهه
مضيئاً ، وأعناق الكماة خضوع
فقالوا : أساء القسمه ، وأخطأ الترتيب ،
وإنما كان يجب أن يقول أبصرت سامياً ،
وأعناق الرجال خضوع أو أبصرت لونه
مضيئاً وألوان الكماة كاسفة ، وعملاً بهذه
النظرية تقول إن البارودي أخطأ الترتيب
في قوله :

نقل دواعي النفس وهي ضعيفة
وتقوى هموم القلب وهو مغامر
حيث قابل القلة بالقوة ، ومطالب النفس
بعزائم القلب ، وفي قوله :

هنالك يعلو الحق ، والحق واضح
ويسفل كعب الزور ، والزور عائر
فقد كان يجب أن يقول ، والحق ناهض
والزور عائر أو : والحق واضح والزور
غامض ، كما قال الأقدمون : الحق أبلج ،
والباطل لجاج . وفي الحق ، نظرة الأقدمين
دقيقة ، وجديرة بالاعتبار والتقدير ، فالذوق
السليم يتطلب الموازنة بين المتقابلات ، فإذا
قوبل اللفظ بما ليس لئلا له كان الكلام نايياً .

وكلة (عاريا) في قوله :

فلا غرو أن حزت المكارم عاريا

فقد يشهد السيف الوغى وهو حاسر
كلمة ساقطة ، وهو يريد أنه عار من المال ،
ولكن عدم تقييد الكلمة يوم معنى غير
جميل ، وبهذه المناسبة أقول : إن البارودي
كرر كلمة السيف في هذه القصيدة ، حتى أمل ،
حقيقة أن السيف لا يفارق خيال البارودي ،
ولكن حين يكثر تردد كلمة بعينها
تفقد قوتها :

٧ — من أغلاطه النحوية دخول الواو
على الفعل المضارع بعد إلا في قوله :
وعما قليل ينتهى الأمر كله

فما أول ، إلا ويتلوه آخر
ونظم الكلام فما أول إلا يتلوه آخر ،
وكذلك إدخال قد على الفعل المضارع المنفى
كما سبق ، ومن أغلاطه اللغوية استعمال كلمة
(ترامت) في قوله :

فقد حاطنى في ظلة الحبس بعد ما

ترامت بأفلاذ القلوب الخناجر

فقد استعمالها بمعنى رمت ، والذي في
لسان العرب . ترامى به الأمر إلى كذا أى
صار ، وأفضى إليه ، وكأنه تفاعل من
الرمى . أى رمته الأقدار إليه ، وترامى القوم
بالسهم إذا رمى بعضهم بعضا ، وقد ارتمت
به البسلاط وترامت ، وترامت تتابعت ،
وازدادت ، وترامى الجرح إلى فساد أى
تراخى ، وصار عفنا فاسدا ، وترامى أمر
فلان إلى الظفر أو الخذلان صار إليه ،
وتراماه الشباب أى تم ، واستعمال البارودي
يفيد أن الخناجر يقذف بعضها بعضا بأفلاذ
القلوب ، وهو فاسد ، وفي قوله :

عقيلة أتراب توالين حولها

كما دار بالبدر النجوم الزواهر
يريد أخواتها ، والأخوات لا يقال لهن
أتراب ، لأن التراب المقارن فى السن ، وتوالين
معناها تتابعن ولا معنى للتتابع حولها ، إلا
على تأويل بعيد ؟

على العمارة

أسد بن الفرات الفقيه الغازي

للاستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

« انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا في سبيل الله بأموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون » .

هذه دعوة الإسلام التي دفعت المسلمين جميعاً ، علماء وفقهاء ومحدثين وجنداً لأن يبيعوا أنفسهم وأموالهم في ساحات المجد والفخار في البر والبحر في السهل والجبل ، يطلبون العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ولم تحل بين علمائهم وفقهائهم وبين الخروج للغزو بمالهم العلم وحلقات الدرس ، ولم يتعدهم عن الجهاد تصدر الفتيا ولا نأمت ظهورهم بالفقه ، والحديث الذي ساحوا الأقطار في سبيل التحقق من صحته .

فيذهب إلى « زيادة الله » يعرض عليه رغبته ويطلب منه السماح له بالتطوع في صفوف المجاهدين . ويحاول « زيادة الله » أن يثني الشيخ عن عزمه ذا كراً : أنه يجاهد في تعليم المسلمين دينهم وشريعتهم ، وأن هذا لا يقل عن جهاده في قتال أعدائهم ، ولكن هيئات ، فقد عقد الشيخ التنية ووطد العزم .

وأمام إصراره اختاره الوالي أميراً على الجيش الغازي لما يعرفه فيه من عزم ومضاء وهمة عالية ، وبذلك اجتمع « لأسد بن الفرات » مشيخة القضاء وإمارة الجيش .

* * *

فيما الشيخ القاضي « أسد بن الفرات » يجلس للفتيا بين الناس ما قامت عليه الشريعة الإسلامية من أصول وقواعد ، والناس مأخوذون بعلمه عاكفون على درسه ، والشيخ يعلو صيته وترفع شهرته بين الأقطار ، وقد قارب السبعين من عمره . إذا بمؤذن يستنفر المسلمين للجهاد في سبيل الله ، فقد عزم « زيادة الله »

الفقيه المالكي (عبد الرحمن بن القاسم) ^(١) ما سمعه من فقه الحنفية ، فأفتاه فيه بحكم مالك . وهما في القيروان تولى القضاء وشرع يضع للمجتمع الأسس الفقهية في المعاملات .

ولما أذن مؤذن الجهاد وتولى د أسد بن الفرات ، إمارة الجيش ، تراحم الناس من حوله كما كانوا ينزاحون عليه في درسه ، وتنافسوا في طلب الغزو معه ، ولا غربة في ذلك ، فهو الذي كثيرا ما غزا بهم ميادين العلم والدين ، يرشدهم ويهديهم .

ولما اكتملت عدة الغزو ، خرج بجنده إلى مقر الأسطول الإسلامي الإفريقي (بسوسة) وقد تجمعت السفن ، وحشدت الخيول ، ودقت الطبول ، ونشرت الألوية ، وخفقت البنود ، وتكاثفت الجموع في فرح عارم وشوق جارف إلى الموقعة ، وقد تملكك الناس نشوة الفتح . وتمثل أمامهم المجد

(١) هو الفقيه المالكي عبد الرحمن بن القاسم المصري تلمذ على الإمام مالك عشرين سنة حتى نضج في فقهه وأخذ عنه وعن « الليث » وعن « مسلم بن خالد » ومن آثاره « المدونة » في فقه المالكية وهي فتاوى سأله عنها ابن الفرات ونقلها إلى المغرب . وكان ابن القاسم معروفا بجانب علمه بالقوى والورع والزهد ، حتى أنه كان لا يقبل جوائز السلطان وإليه يرجع الفضل في انتشار المذهب المالكي بمصر . وتوفي بمصر سنة ١٩١ هـ .

ولد (ابن الفرات) سنة خمس وأربعين ومائة من الهجرة في (حران) بديار بكر ، ثم انتقلت به أسرته إلى تونس ، وهناك نشأ نشأته العلمية الفقهية ، فقد أخذ الفقه عن الفقيه المالكي د علي بن زياد ، ثم درس الحديث والآثر . فلما وثق من نفسه وأدرك أنه قادر على الجلوس للتدريس ، جلس يعلم الناس بتونس والقيروان .

ولكن ما لبث أن أحس أنه بحاجة إلى التزود من مذهبه ولقاء العلماء والسماع منهم والانتفاع بعلمهم ، فرحل إلى المدينة حيث أدرك الإمام (مالك) وتلقى عنه موطأه . وروى عن مذهبه ، ثم رأى أن يقارن بين هذا المذهب ومذهب أبي حنيفة الذي عرف بفقه الرأي والقياس ، فانتقل إلى العراق حيث لقي القاضي (أبا يوسف) و (محمد بن الحسن) صاحب أبي حنيفة ، وسمع منهما فقه أبي حنيفة وناقشهما في الأصول والقواعد التي اتخذها أبو حنيفة أساسا لمذهبه . وقد أعجب به (أبو يوسف ومحمد) ففلقا عنه أيضا موطأ الإمام مالك .

وبعد أن أفاد من سياحته علما وفهما وحذقا وتجربة وشافه العلماء وقارن بين مذاهب الفقه وروايات الحديث ، قرر العودة إلى موطنه عليه وفقهه (القيروان بإفريقية) .

وفي طريق عودته مر بمصر وعرض على

فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ، فمن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم .

وهناك في صقلية في ميدان المعركة شرع الشيخ (أسد) يتودد للمعركة ، فذلك الحصون وهدم القلاع وحطم قوى المدافعين وبعث في قلوب الناس الخوف والفرح وانتصر على مدينة (أغرار) أحد حصون الجزيرة .

ولما بلغ (سرقوسة) وكانت من أقوى حصون صقلية ، حاصرها حصارا شديدا ، ولكن الأجل لم يممهله حتى يتم فتحها ، فقد انتشر الطاعون بين الجنود فمات (ابن الفرات) هلى أسوارها ومات معه عدد كبير من الجند ، ولم يفته وهو على فراش الموت أن يوصى قواده وجنده بإتمام الفتح ، كما عهد بإمارة الجيش إلى (محمد بن أبي الجوارى) الذى دخل (سرقوسة) واستولى على غيرها من بلدان الجزيرة .

وقد كان هذا الفتح حافزا لعزائم المسلمين الذين فتح لإخوان لهم منذ مائة وعشرين سنة بلاد الأندلس وأصبحت لهم فيها دولة قوية ، دفعهم هذا للنظر إلى آفاق جديدة ، فأعدو العدة لغزو إيطاليا واستولوا على جنوبها وملكوا مدينة (نابولى) عروس إيطاليا كما بلغوا ضواحي روما .

المنتظر ، وأسد واقف ينظر إليهم ، فلما رأى هذا المشهد الرائع أخذته الأريحية فاعتلى سفينة القيادة التى أعدت له ووقف خطيبا يحدث الجنود المتأهبين للقتال عن عصاميته ويوضح لهم أن الذى رفعه إلى هذه المسكنة من علو الشأن وإمارة الجيش ، هو العلم والبحث والدرس ، وأنه ليس من آباءه قائد ولا حاكم ولا وال ولا أمير ولا سلطان . خطب الجنود فألهب فيهم العزائم وبعث في نفوسهم الثقة بالنصر فقال :

« أيها الناس ، واقه ما ولى لى أب ولا جد ولاية قط ، وما رأى أحد من سلفى ما رأيت ولا بلغ ما بلغت ، وكل الذى أعندنى وهياًنى ، قلبى وعلى فأجهدوا أنفسكم وأتعبوا أبدانكم فى طلب الحق وفى تدوين العلم ، وجالدوا عدوكم واصبروا على الشدائد فإنكم بذلك تنالون نغز الدنيا وسعادة الآخرة . »

وتحرك الأسطول الإسلامى من شواطئ إفريقيا فى شهر ربيع الأول سنة ٢١٢ متجها إلى صقلية مزودا بالإيمان محصنا باليقين واقفا من النصر الذى وعد الله به عباده المجاهدين وهياً لهم فى مواطن كثيرة ، مندفعين إلى بيع أنفسهم فى سبيل الله الذى يقول :

« إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله؛

والمؤرخون والقواد ، وقد بقيت آثار المسلمين زمنا طويلا ، ويقول (جوستاف لوبون) صاحب (حضارة العرب) :
« إن إمامة الثقافة والصناعة بقيت للمسلمين حتى سنة ١١٩٤ ميلادية ، وكانت المراسيم تكتب بالعربية . »

هذه لمحة خاطفة عن سيرة رجل من رجال الإسلام بدأحياته فقيها يعلم الناس أمور دينهم ، وختمها قائدا يفتح البلدان ويدك الحصون ، وكان يقول عن نفسه : (أنا أسد - وهو خير الوحوش ، وابن الفرات وهو خير الماء ، وجدى سنان وهو خير السلاح .

عبد المومود عبد الحافظ

== ذكرت صقلية والآسي

سيج للنفس تذكراها

فإن كنت ، أخرجت من جنة

فإنى أحدث أخبارها

ولما رأى ذلك (يوحنا الثاني) بابا روما في ذلك الحين ، خشي أن يستولى المسلمون على روما ويصبح معقل المسيحية في أيدي المسلمين فنماوضهم على دفع الجزية ليعودوا من حيث أتوا .

كما كان استيلاء المسلمين على صقلية وأهم مسدن إيطاليا سبيلا إلى سيادتهم المطلقة على البحر الأبيض مما جعل (البنادقة) يخشونهم فسانعهم وطلبوا ودهم زمنا طويلا .

كالم يكن فتح العرب لصقلية فتحا حريا أو دينيا فقط بل كان فتحا للعلوم والحضارة والفنون والصناعات . إذ قامت فيها نهضة شاملة على أيدي الفاتحين وسلالة الغازين وأبناء المسلمين ، فظهر في صقلية الإسلامية العلماء والباحثون والشعراء^(١) والحكام والمهندسون

١ - منهم الشاعر المبدع (ابن حمدوس) الذي

يقول في صقلية بعد أن أخرج المسلمون منها : ==

التعليم القومي والتعليم الأجنبي

يقول رابندراناث تاغور الحكيم والشاعر الهندي :

التعليم بلغتنا هو الذي أنعش روحنا وأحيانا ، ورأى أن التعليم ينبغي أن يكون كالأكل ، بمعنى أنه عندما يسيخ الأكل اللقمة الأولى تقنبه معدته إلى عملها قبل أن تمتلي ، ويمكن حينئذ عصيرها من أن يؤثر كما يجب . ونقيض ذلك التعليم الأجنبي : فإن اللقمة الأولى تؤذن الطاعم بخلع سطرى أسنانه أو تزلزل فمه ، وفي اللحظة التي يبتدى يعرف فيها أن اللقمة ليست من جنس الحجارة - وإنما هي من السكر وقابلة للهضم - يكون قد ولى نصف عمره ، وبينما هو يعالج مضغ كتابتها ونحوها تبقى روحه جائعة ، فإذا تذوقها تكون شهيته قد ذهبت .

رجل الدين وثقافة عصره

للأستاذ محمود الشرفاوى

الإنسانى . ولكن الناس كان يرضيهم ، بل يغيب طمهم ، هذا الوضع ، وكانوا يشعرون بأن رجل الدين جزء مكمّل لحياتهم الاجتماعية ، بل جزء ضرورى حيوى ، يشعرون بفراغ كبير إذا اقتدوه ، ويقدمون له ما يستطيعون من البذل والمعونة والكرامة ليسدّ في مجتمعهم وحياتهم هذا الفراغ . وهذه فترة من فترات التاريخ الاجتماعى والدينى للإنسانية كلها ، مرت بها كل جماعة ومر بها كل دين .

ولم تكن ممارسة هذا « العلم » عيباً في رجل الدين . ولكن العيب والخطأ هو في أن ينصرف العالم عن هذا « العلم » ويضعه حيث يجب أن يكون في متحف ، التاريخ . ويبقى بعض رجال الدين على عقيدة أن هذه المخلفات البدائية ما تزال من « العلم » الذى يمارسه رجل الدين .

وقد كان مفهوم « العلم » في بعض العصور يختلف كل الاختلاف عن مفهومه الحديث ، وعما يجب أن يكون في واقع الأمر . كان مفهومه عندهم يتصف بصفتين بارزتين . أولاهما أنه قائم على الاستيعاب والحفظ . وحظ « العالم » من الاستظهار أعظم كثيراً

كان رجل الدين ، إلى عهد قريب ، يشغل إلى جانب الدين « العلم » فهو الذى يعلم الصيادين في « الكتاب » وهو الذى يصلى بالناس ، ويفتيهم في طلاقهم وأيمانهم ومراريهم ، ويزوج شبابهم ويصالحهم في خصوماتهم . وهو ، في نفس الوقت ، الذى يكتب لهم « التحويلة » والحجاب . ليتخير بهما المحرم ويعلقهما المريض ، وهو الذى يكتب على « الطبق » ليغسل ما كتب فيشرب ماءه المريض فيشفى بإذن الله . ويكتب للعقيم رموزاً في سطور فتحمل بإذن الله أيضاً . ولعل هذا كله ما يزال رجل الدين يمارسه في بعض بلاد الشرق . ولم يكن ذلك عيباً في رجل الدين ، بل كان فضيلة وكرامة . كان هذا الذى يمارسه هو « العلم » في أقدار الناس ومعارف الحياة يوم ذاك . وكانت ممارسة رجل الدين لهذا « العلم » هى المشاركة العملية في الحياة العامة والأثر الذى يقدمه رجل الدين للناس فيدخل به على نفوسهم الطمأنينة والبهجة والخير أيضاً . حقيقة أن هذا الوضع وهذا « العلم » نفسه أثر من آثار اختلاط السحر بالسكّهانة في فجر التاريخ

وبعد الإجماع، كثرت، عنب
كذلك تفاح، ومثله الرطب
ومعه الخيار، والجوز
قثًا، ورماني، كذلك الجوز
ونجد الشيخ عبد الله الشرفاوي لا يكفيه
أو يرضيه أن يكون فقيهاً من أكبر فقهاء
الشافعية، فيضع كتاباً في تاريخ مصر (١).
لا يملك من يقرؤه نفسه من الضحك العريض
والعجب المنكر والسخرية البالغة، ونجد
غير هؤلاء أمثلة كثيرة لهذا الخلط العجيب
بين أنواع العلم وألوان المعرفة.

وهذه، كما قلنا، فترة مرت بها الجماعات
والديانات والنحل والمذاهب وليس شئ
منها معيماً، في زمنه وحينه ويثته.

ولكن الفكر الديني، والعلم الديني أيضاً،
كأن حتى متطور، ويجب أن يدرك رجاله
ذلك، ورجال هذا الفكر لم يحق القيادة
والتوجيه. وعليهم، بمقتضى ذلك، تبعات
ثقيلة هي تبعات (الأمانة) والقيادة والسيادة.
ومن هذه التبعات أن يكون القائد الموجه
متصلاً بحياة عصره: ثقافة وإدراكاً ومتابعة

جداً من حظه من الفهم والتأمل والإدراك.
والثانية الإحاطة والشمول. فكلما كان الرجل
محيطاً بعدد كبير من العلوم. أو بطرف
من كثير من العلوم، كلما ارتفع قدره ورجح
وزنه بين العلماء، كان ذلك شأنهم في علوم
اللغة والآداب. فنحن نجد، مثلاً، عالماً
يشتق اسمه، أو لقبه، من أوائل أسماء العلوم
التي يعرفها، أو يزعم أنه يعرفها، فيسمى نفسه
«كشاجم»، ويقول إن كل حرف من حروف
هذا اللقب يشير إلى علم من هذه العلوم.
«حرف الكاف، يشير إلى أنه كاتب، وحرف
«الشين»، يعني أنه شاعر وحرف «الالف»،
يشير إلى أنه أديب. و«الجيم»، تشير إلى أنه
منجم و«الميم»، متصوف.

وكذلك كان شأنهم في علوم الفقه. فنحن
نجد الشيخ الأجهوري، مثلاً، لا يكفيه
أو يرضيه أن يكون فقيهاً فقط. وما ذلك
بالشئ القليل. بل يقنع نفسه في شئ غريب
من العلم أو من المعرفة، هو الطب،
أو أدب المسائدة، فينظم أبياتاً من الشعر
يذكر فيها ما يجب أن يقدم على الطعام
من ألوان الفاكهة، وما يؤخر، وما يجب
أن يتوسط. فيقول هذه الأبيات: —

قدم على الطعام توتاً، خوفاً

ومشمشاً، والتين، والبطيخا

(١) اسمه: «تحفة الناظرين فيمن ولي مصر
من الولاة والسلطين»، طبع للطبعة الوهمية
بالقاهرة سنة ١٢٨١. (انظر تلخيصاً له في الجزء
الأول من كتابنا «دراسات في تاريخ الجبرق»،
مصر في القرن الثامن عشر، ص: ٥٤-٥٧ من
الطبعة الثانية).

والمعرفة والحرية والجرأة القائمة على سعة الأفق والثقة بالنفس .

فقد ذكر ابن حجر في الإصابة أنه كان يقرأ التوراة . وروى ابن سعد في الطبقات الكبرى ، عن شريك التابعي الجليل أنه قال : (رأيت عبد الله بن عمر يقرأ بالسريانية) . وكذلك روى السكندى في كتابه : « تاريخ مصر وقضائها » ^(١) أن خير بن نعيم ^(٢) كان يسمع كلام القبط بلغتهم ، ويخاطبهم بها . وكذلك يسمع شهادة الشهود منهم ، ويحكم بشهادتهم كما سمعها منهم بنفسه .

والآيات للكريمة والأحاديث الشريفة التي تتحضر على تعلم العلم ، من كل نوع ، يحفظها ويعرفها كل دارس وباحث .

والأمثلة على ذلك كثيرة من تاريخنا الإسلامي في عهود السيادة والحرية والجرأة القائمة على الفهم وسعة الأفق والثقة بالنفس كما قلنا من قبل .

* * *

الفهم وسعة الأفق والثقة بالنفس ، والإحاطة السكاملة الشاملة الواعية العميقة لثقافة العصر : ثقافة « قريتنا الكبرى » في ماضيها القديم وحاضرها القائم ، هذا الفهم وهذه الثقافة يجرنا الحديث عنهما إلى الحديث

وشمولا وعمقا . أى أن يكون محيطا بحياة الناس في عصره إحاطة تامة ، كما وكيفاً ، كما يقول العلماء . ولا أقصد « حياة الناس » في بلده ووطنه وحدهما . بل أقصد ما هو أوسع من ذلك وأشمل ، فنحن الآن في عصر أصبح العالم كله تكاد « حياة الناس » فيه أن تكون متصلة بل متلاحمة ، مهما اختلفت أوطانهم بين المشرق والمغرب ، واختلفت ألوانهم بين الأبيض والأصفر والأسود ، واختلفت أديانهم بين الإسلام والنصرانية واليهودية والوثنية . يكاد العالم كله الآن أن يكون (قريتنا الكبرى) كما يقول «توم بين» ^(١) .

ورجل الدين ، كما قلنا ، له حق القيادة والسيادة والتوجيه ، أو يجب أن يكون له ذلك . فمن واجب هذا القائد السيد أن يحيط بحياة الناس في « قريته » الكبرى تلك ، وأن يتأثر بها حتى يؤثر فيها . وأول شيء نريد أن يحيط به رجل الدين هو « الثقافة » ، ثقافة « القرية الكبرى » ، لا « ثقافة » بعينها يراها هو ويكتفى بها ويدور حولها .

وليس ذلك بدعاً في تاريخنا الديني ولا في سيرة رجال الدين من سلفنا في عصور النور

(١) مفكر انجليزى حاصر الحرب الامريكية الاستقلالية وناصرها ضد وطنه انجلترا وكان من مؤيدى الثورة الفرنسية ضد الملوك والكنيسة وسجن في باديس فكشفت في سجنه كتابه «عصر العقل» .

(١) ص : ٣٤٩ [القيل] .

(٢) تولى قضاء مصر من سنة ١٢٠ إلى ١٢٧ .

سيليقي رجل الدين هذا عننا ورهقا وثمة أيضا . ولكنّه الواجب ، و « الأمانة » . وكل متصدر لعمل عام ، يجب أن يصبر ويحابه ، فهذا هو جزاء الإخلاص والشجاعة والصدق والإيمان بالدعوة والرسالة والرأى والبعد عن المدارة والمتابعة والرياء الذى هو من الشرك .

الإنتساب للدين والرأى شئ . والإيمان به والتسليم له والشجاعة فيه شئ آخر ، وفى رسالة القديس بولس التى وجهها لأهل روما كلمة صادقة هى : « إن الحتان لا يجعل الإنسان ابنا لإبراهيم . وإنما أبناء إبراهيم من يسلكون فى خطوات الإيمان ، ومن أعظم الإيمان الشجاعة والإخلاص للعقيدة والرأى ومجاهدة المخدوعين والخادعين بكلمة الحق . والعامة فى كل عصر وموطن يعكس ، ون على مألوفهم يشق عليهم أن يخرجوا منه ولو كان باطلا بين البطلان . والناس أعداء ماجهولوا . ونحن نعلم أن ما نطلبه وندعو إليه ونحرص عليه لأنفسنا ولغيرنا من المخلصين ليس شئاً هينا ولا يسيرا . ولكننا نعلم أيضا أن الرسالة العامة ، والأمانة والتصدى لإرشاد الناس وخدمتهم والبيان عن دين الله الحق ، كل ذلك يستحق أن باقى فى سبيله المؤمن المخلص ما يلقي من العنت والرهق والتهمة أيضا

وفى تاريخ الناس وتاريخ العقيدة المثل

عن « الأمانة » و « الواجب » : الأمانة للدين وللحياة وللنفس وللناس . هؤلاء الناس الذين يتطلعون إلى « رجل الدين » هادياً ومرشداً ومبصّراً ونذيراً والذين يجعل رجل الدين نفسه قوِّاً عليهم وخادماً فى الوقت نفسه . و « الواجب » الذى يحرص رجل الدين — أو يجب أن يحرص — على أدائه غير منحرف ولا مشوب ولا خوَّار ولا زائف ولا ناقص . والحديث عن هذه « الأمانة » ، وهذه « الواجب » ، ينتهى بنا إلى الحديث عن المواجهة والمجاهدة والصراحة والصدق ، بل إلى الحديث عن « التحدى » ، إذا لزم الأمر . التحدى لبعض الضلالات والجهالات التى يؤمن بها بعض الناس وكثير من العامة يعتقدون أنها من الدين وما هى منه فى شئ . و « التحدى » ببعض الآراء يخشاها بعض الناس وكثير من العامة يخافونها على الدين وهى لا تضره ولا تسيء إليه ولا تجانبه ، وليست الخشية منها إلا انسياقاً وراء المألوف ، والمتعارف ، والمتبوع .

رجل الدين المخلص المؤمن بعقيدته ودعوته ورأيه — مادام هذا الرأى قائماً على أساس من الدين — يجب أن يؤمن أيضا بالشجاعة والمواجهة والمجاهدة فى إظهار رأيه هذا . والمدافعة عنه والمناخفة فى سبيله ، مادام يعتقد أن إفشاء هذا الرأى فيه خير للناس وخير لدينه وعقيدته .

هكذا تصور الأناجيل قصة الصلب وغضب الجماهير وعلماء اليهود على نبي الله المسيح .

* * *

ولنضرب مثلاً من الحياة القائمة : فقد رأينا قبل شهور في القاهرة أن موسيقياً هو أعظم عازف في أوروبا وأمريكا أشهر إسلامه على يد شيخ الأزهر (١) ، وسماه الشيخ محمد الأزهرى ، وباركه واختار له من يفقه في الدين ، وبقي الشيخ محمد الأزهرى ، الذى كان اسمه من قبل مستر ليروس ، يعزف موسيقاه ويغنى لمستمعيه في « هلتون » وهم يشربون ويصخبون ، وقد يرقصون ويتخاصرون .

ونظرة رجل الدين حيال هذا المثل تختلف : صاحب النظرة المحيطة المتصل بحياة عصره وثقافته ، يؤمن بأن الفن والموسيقى جزء لا غنى عنه في ثقافة العصر وفي حياة الناس ، بل هو زاد لأرواحهم وقلوبهم ، ويعرف أن أصحابها من أرق الناس إحساساً وعاطفة ، وأكرمهم خلقاً وأقومهم ضميراً ، فهو عند ذلك يبارك إيمان هذا المسلم الجديد ، ويرضى منه بقوله : « لئن أرى في الإسلام عظمة الدين الحى وجلال الوحدةانية ، ويغبطه منه أنه ، كما قال أيضاً ، يصلى الفريضة ويقرأ (البقية على صفحة ١١٣١)

والعبرة . فقد صدم السيد المسيح عواطف المخدوعين والمنافقين وتجار الدين من اليهود وجهر في وجوههم بكلمة الحق . فكانت مصادمته عواطف الجماهير ، حتى في ضلالتهم وأباطيلهم ، جريئة لم يغفروها له . حتى كان عندهم أعظم جرماً من « براباس » : الشرير القاتل السفاح . ١ .

فنحن نرى في قصة الأناجيل عن صلب السيد المسيح أن « بيلاطس » الحاكم الوثني كان من حقّه أن يعفو في يوم العيد عن واحد من المسجونين . وكان بيلاطس يتحرج من قتل السيد المسيح ولكنه يتحرج أيضاً من الظهور بمظهر المخالف لرغبة الشعب ، ورجال الدين . فأخرج لهم السيد المسيح وإلى جانبه براباس القاتل . وخيّرهم في أن يعفو عن واحد منهم يختارونه . فكان رأى المخدوعين والمنافقين وتجار الدين من اليهود أن يعفو عن القاتل ويأمر بصلب السيد المسيح . وكلما حاورهم بيلاطس في رأيهم هذا وجادلهم وسألهم : ماذا فعل بكم هذا المسيح ؟ صاحوا به : ليصلب .. ليصلب . وكان جرم السيد المسيح في نظر هؤلاء الجماهير أنه « خرج على تقاليدهم ، فكان جرمه هذا أعظم هولاً من القتل وسفك الدم ظلالاً .

ورأى الحاكم الوثني « بيلاطس » ألا مفر من صلب السيد المسيح . والعفو عن براباس القاتل السفاح . ١ .

(١) نشرنا خبر إسلامه واجتماعه بالأستاذ الأكبر في ص ٦٥٥ من مجلة الأزهر . عدد جادى الآخرة من هذه السنة .

وقائع ونصوص:

استدراك وتعقيب^١

للأستاذ محمد رجب البيوي

عميداً للأسرة المالكة فهو يحرص على تتبع ما يقال عن ملوكها وأمرائها في الصحف والكتب ، وقد خصص له أجراء من القراء يوافقونه بكل ما يشم منه رائحة نقد أو مؤاخذة ولم يكن لتفكيره المحدود - يعتقد بادي - ذي بدء أن الرسالة وهي صحيفة الأدب تتعرض للسياسة والحكم ، فظلت ردحاً طويلاً بمنجاة من ثورته ، رغم ما كانت تفيض به من نقد صارخ وهجوم حاد على الأمراء الدخلاء والإقطاع الوبي ، فكان الزيات يملأ افتتاحياتها بالثورة الصارخة كأن يقول بالعدد ١٨٥ (١٨ / ١ / ١٩٣٧) معرضاً بالأمير يوسف كمال : « ما الذي يحبس هذا الأمير المترف أن ينفق على سلاح وطنه مثل ما ينفق على سلاح صيده ويبذل في سبيل أمته بعض ما يبذل في سبيل شهرته .

يريد الوطن الضعيف الأعزل من أولئك الذين ربههم على دلال السرف ، وقلوبهم في أعطاف النعيم ، نحن جلودهم بخيره ، وأفعم خزائنهم بذهبه ، وبسط ملكهم على أكثر أرضه ومد نفوذهم على معظم بنيه ، أن

قرأت المقال المخلص الصادق الذي كتبه الأستاذة الدكتورة نعمات أحمد فؤاد تحت عنوان مولد رسالة بعدد فبراير سنة ١٩٦١ من المجلة ، فأعجبني نزاهته الآمنة ، وإنصافه الرشيد ، ولكنني وقد كنت أحد أعضاء أسرة الرسالة أراه في حاجة إلى تعقيب يفصل ما كان بين الرسالة وأمراء الإقطاع في أسرة محمد علي من صيال وثورة ، إذ أن الكتابة الفاضلة قد اكتفت بالبعض عن الكل ، والرسالة ملك للتاريخ الأدبي المعاصر إذ كانت ديوان العرب المشترك ، وسجل الأدب الحديث وكتاب الشرق الجديد ، ومن حقها على كتابها أن يظهروا للناس ما يعلون ، وقد عودني الأستاذ الزيات ألا يحذف حرفاً واحداً من جميع ما أنشره لديه ، وإنى لأرجوه متشدداً أن يتيح لمقالى هذا مكانه من النشر ، ولن أكون فيه أدبياً أحل وأعلل ، ولكنني تمسكاً بالحيدة التامة سأكون راوية فقط أذكر الحادثة والنص ، مستنداً إلى المصدر والتاريخ :

كان الأمير السابق محمد علي يرى نفسه

وفي نفس اللحظة تكلم دلسيس عن مشروع
قناة السويس فوافقه سعيد ونسى وصايا
أبيه . .

ولم يكد الأمير يقرأ المقال حتى اتصل
في ثورة هاجمة برئيس الوزراء ، ليطلب
معاينة الرسالة ، وكان الرئيس السابق محمد محمود
صاحب الأمر في البلاط ، وفضيلته الأولى
ترفعه المتكبر على الأمراء والنبلاء ، فرد
في حزم : إن الرسالة قد ترجمت مقالا قرأه
جميع الناس في الشرق والغرب ، فإذا استطاع
الأمير أن يمنع المقال في أوروبا فليمنعه في مصر !
وقد طوى محمد علي نفسه على أسف وثورة
لرد الرئيس وأخذ ينتهن الفرص والأسباب .

ثم جاء مقال (فلاحون وأمراء) بالعدد
(٣٠٩) ١٩٣٩/٦/٥ وقصته مشهورة ذائعة
تناولتها الدكتوراة الفاضلة بالحديث ، وقد
وقف فيها محمد محمود موقفا مشرفا إذ أمر
بإشراك الوزارة في أعداد الرسالة ، وهاج
القصر الملكي ومعه الأمراء والنبلاء ووصلت
الضجة إلى صاحب الرسالة . فأشار عليه بعض
الأصدقاء أن يهادن القوم وقتاً ما ، ولكنه
واجه الموقف في تحد سافر ، وواصل حملته
في الثورة على الكبراء والدخلاء وظهرت
أعداد الرسالة في سنة ١٩٣٩ تحمل طابع
النقمة على الدخلاء والإقطاعيين ، ولك أن
تقرأ افتتاحية العدد (٣١٠) لتجد الزيات

يعززه ليني عليهم ، ويسلحوه ليدافع
عنهم . .

أقول : كانت هذه القذائف وأمثالها تنطلق
من افتتاحيات الرسالة دون أن تجلجل في سمع
الأمير الكبير ، حتى جاءه النبأ ذات يوم أن
الرسالة تطعن في سعيد ، صاحب مأساة
القناة فتقل ملخصا لكتاب فرنسي يقول فيه
مؤلفه (الرسالة ٢٣٥ - ١/٣ / ١٩٣٨) :
« إن محمدا عليا لم يعجبه أن يرى ولده
سعيدا ذا جسم ضخم كثير اللحم والشحم ،
فحرم عليه ألوانا من الطعام وأمر ألا يقدم
إليه شئ منها ، ثم عهد به إلى فردند دلسيس
صديقه الخيم فعليه ركوب الخيل وحبب إليه
قنونا من الألعاب والرياضة البدنية . ولكن
هذه الرياضة كانت تجهد الأمير الصغير وتورثه
جوعا شديدا ، ولم تكن متادير الطعام الذي
تقدم إليه لترد مسغبته ، فكان ينسرق من
القصر ويهرول إلى منزل فردند فتقدم له
أطباق المسكرونة فيقبل عليها إقبالا شديدا ،
ومن هنا تضاعف هيام سعيد بفردند ، فلما
ولى أمر مصر بعد عباس كان فردند قد ترك
القطر وتقلب في مناصب سياسية هامة .

وما إن علم بتربع صديقه سعيد على أريكة
مصر حتى أرسل إليه يهنئه ، فأرسل سعيد
يستدعيه ، وكانت ذكريات أطباق المسكرونة
أول حديث دار بينهما بعد هذا الفراق الطويل

الدخلاء دون أن يجدوا طريقاً لمحاربة الرسالة،
 فرئيس تحريرها من أعلام الفكر في لغة العرب،
 وكتابتها صفوة الأدباء في الشرق، والمنصفون
 من رؤساء الوزارة يرعون لها مكانتها العالية
 بين المثقفين، ورسالتها الموجهة في دنيا الفكر
 والعزة والتحرر...! ولكن حدثاً رائعاً
 لم يستطع الأمير محمد علي صبراً عليه، فقد
 أخذت الرسالة لأول مرة في تاريخ الصحافة
 المصرية تنشر تاريخ الزعيم البطل أحمد عرابي
 على نحو يتجه إلى إدانة توفيق بالخيانة وتهمة
 القصر بالجريمة، وتوفيق والد محمد علي
 وأقرب الناس إليه. فكيف يسكت عن سبه
 واتهامه في صحيفة ذائعة نفوذ العقول، وتوجه
 بجري التفكير!! وقد أخذت مقالات الأستاذ
 الجريء محمود الحفيف بالرسالة تتوالى في قوة
 وإخلاص، وكل مقال يزيل اللثام عن جريمة
 أو يكشف القناع عن مأساة، وصورة عرابي
 البطل تزين كل عدد من الأعداد!! والأمير
 حائر مذهوش يتجه إلى القصر فيجده - لنزاع
 كان بين فؤاد ومحمد علي - لاهتم بتوفيق اهتماماً
 حاسماً يوقف النشر، وإنما هم إذ ذاك
 أن يحفظ سير فؤاد وإسماعيل وإبراهيم
 ومحمد علي الكبير!! والمقالات الرنانة تدوى
 في مجلة شهيرة جهورية حتى تصل إلى العشرين!!
 ويوحى تسلسلها المنتظم أن الأستاذ الحفيف
 ومن ورائه الزيات سيمدان حبل الحديث

يقول في ١٢/٦/١٩٣٩ عقب مقال (فلاحون
 وأمرأ) مباشرة دون إهمال:

«ليس لأغنيائنا وطن وإنما لهم قصور
 لإنلاف النعمة، ومزارع لعصر الفلاح،
 وبرك لصيد البط، وسيادين لسباق الخيل،
 وأندية لقتل الوقت، ومنازه لإظهار الآبهة
 وما عدا ذلك من أرض الوطن ومعنى الوطن
 فهم لا يعرفونه ولا يفقهونه، هل سمعت أن
 غنيا من الأغنياء، أو أميراً من الأمراء
 قال إن له وطناً فتبرع له بطائرة للجيش،
 أو بجائزة في المعارف، أو بملجأ في الأوقاف.
 ثم يقول في افتتاحية العدد (٣١٢)

١٩٣٩/٦/٢٦ بعد أسبوعين فقط:

«إن حالنا أشبه بحال الأمير أو الغني الذي
 أرتى الملك عفواً من غير حيلة، واستولى
 على ريعه صفواً من غير كلفة، فشعوره به
 شعور بأثره لا بعينه، وحرصه عليه حرص
 على ثمره لا على شجره... فأنا من حق أن أقول
 للأمير الذي يملك ثروتنا وسمعتنا على القنون
 والمجون، وللغني الذي يخدمهضتنا بالكزازة
 واللؤم: إنكم علق تعيشون على دماء الناس،
 وأنكاد نتلذذون بكفران النعم، ولصوص
 نعيث أيديكم في مال الأمة، خيانتكم على الأرض
 غرور ولهو، ونسبكم إلى الوطن زور
 وباطل».

هذه صيحات مزبحة كانت تقض مضاجع

العدل في قضية عرابي ثلثي قرن حتى أبانه الكاتب النزيه محمود الخفيف فإذا عرابي زعيمنا الصادق وقائدنا الشجاع ، وموظنا المبكر وأن هذا الكتاب أول كتاب في بابه .

وقبل أن أترك هذه الحادثة أسجل إعجابي بالكاتب النزيه والمؤرخ الغيور أستاذنا محمود الخفيف فقد أصدر كتابه الأمين في وقت تكالب فيه المتعلقون على تنزيه توفيق وتسفيه عرابي فجاء كتابه صبحا وضيئا يمحو الظلام .

على أن الأستاذ الزيات لم ينس ثأره من محمد علي فقد هاجمه مهاجمة عنيفة ، وكانت مأساة الكوليرا في سنة ١٩٤٧ سبيله إلى ذلك ، إذ فتك الوباء بالضعفاء من الفقراء فتكا ذريعا ، وانتظر الناس من الإقطاعيين أن يمدوا يد العون للبنكوبين فما استشعر الرحمة أحد من هؤلاء ١١ وظهر الأمير السابق بحديث ثقيل كربه في جريدة الأهرام يعلن فيه تمسكه بآداب الدين ، وتعاليم الإسلام ، ويحمد الله

على هدايته وتوفيقه فيما أحرز من نجاح ، وأصاب من اضئنان ١١ وكان هذا الكلام نشازا مزججا في هذه المحنة الشعبية الالهية ، فقرأه الزيات ونقده نقدا لا ذعا في افتتاحية العدد (٧٤٨) ١١/٣/١٩٤٧ ، وفيه يقول :
« يقول الأمير : إني أشهد الله على أن كل توفيق

حتى يكشف كل مستور فاضح من الخيانة والإجرام ، وكانت الحرب العالمية الثانية على الابواب ، فاتجه الأمير إلى السفارة البريطانية ، يعلمها أن مقالات عرابي بالرسالة ستثير الشعور في الشرق العربي ضد الانجليز فهم أبطال الاحتلال وتوفيق صنيعتهم الأول ، واقنع السير مايلز لامبسون (اللورد كليرن فيما بعد) فأمر الرقابة أن توقف النشر ، وصدر العدد (٣٢٨) من الرسالة ، وبه هذه الكلمات :

« اضطررنا لقطع سلسلة البحث في تاريخ عرابي نظراً للظروف الحاضرة ، وسنعود إلى وصلها في الوقت المناسب . »

ولم ير الأستاذ الخفيف بعد ذلك أن ينشر مقالات متتابعة عن عرابي فتعرض إلى ما تعرضت له المقالات الأولى من مصادرة ، ولكنه كتب مؤلفا ضخما عن الزعيم ثم نشرته مرة واحدة مطبوعة الرسالة ، واستقبله الزيات استقبالا حافلا فخصص له افتتاحية العدد (٧٣٤) ١٩٤٧/٧/٢٨ وفيها يقول :

« هذا الكتاب هو الحق الذي اختفى منذ خمسة وستين عاما لم يظهر في خلالها على لسان ولا قلم حتى ظهر أخيراً على ضوء هذا اليراع اللبيل رائع البيان ، ساطع الحجّة ، والحق كالصبح لابد أن ينبجج مهما يتناول الليل ويحولك ظلامه ، لقد استعجمت مذاهب

ما يتفجر حما مشتعلة ١١ وقد أوصله أجراء الأمير إليه ، فقرأه في غضب ، واتصل بالنقراشي رئيس الوزراء ، فطمأنه في رفق مصطنع ، إذ أن هوى النقراشي رحمه الله كان مع الرسالة ، وقد عرض ذات مرة على الأستاذ الزيات أن يرأس تحرير جريدة الدستور اليومية بمرتب ضخم فاعتذر الأستاذ بأن سياسته قومية لا حزبية ، وأن الرسالة تشغله عن كل شيء .

والحق أن ظروف صاحب الرسالة وبيئته الريفية قد ألزمته إلزاما بمحاربة الإقطاع في مصر ، فقد شهد عن كذب مآسيه ، ورأت نفسه الشاعرة آلاف الضحايا من المعدمين ، وآحاد الجناة من الأمراء وذوى الألقاب ، ولأنه ليتحدث صريحا عن بيئته الريفية فيقول في الرسالة (٢٨٩) ١٦ يناير سنة ١٩٣٩ :

« أعرف في بعض مرا كز الغربية عشرين بلدة يملكها من الشرق أمير ، ومن الغرب باشا ، فليس لأحد من الأهلين فيها شر أرض ولا جذع شجرة ، إنما هم أجراء أو مستأجرون سخرتهم الغفلة والاستكانة لرجلين كسائر الرجال ، ليس لبطنيهما سعة البحر ، ولا لعزميهما قوة الدر ، ولكن لهما عينين كعين الجحيم لا تمتلئ » ، ونفسين كجوف الرمل لا يرتوى ، فهما يعصران من أجساد هذه الألوف الجاهدة ذهابا يكتنز ، وقصورا تشاد

أصبته ، وكل خير نلته منذ نشأتني إلى اليوم كان مرجعه انتباهي بأوامر الدين وانتهائي بنواهييه .

جميل . من سمو الولي أن يعتقد الدين ويعمل به ويتعصب له ، في وقت نسي الناس فيه الله ، فعبد الأمراء الشهوة ، وألكه الأغنياء المال ، ولكن لماذا اقتصر أمير الأمراء من فضائل الإسلام على المحبة والسلام والصلاة والصيام ، وقد كنا نطمع في صدق إيمانه وسمو بيانه أن يذكر كذلك الزكاة والإحسان والبر والتعاون ليعلم أولئك الأمراء الذين أسلبوا ولم يؤمنوا أن الدين عمل ومعاملة ، وثقيف وتكليف ، وإيثار وتضحية ، نعم كنا نطمع في سمو الأمير أن يدعو إلى الجهة العملية من الدين عسى أن يستجيب له أولئك الذوات المدللون المرفهون الذين مبزهم الوطن كرها على بنييه . وآثرهم الشعب جهلا على نفسه ، وحق الله ضئيل بجانب حق الشيطان الذي يولم الولائم الفاجرة ، ويقيم السموات الداعرة ، ويجود على انجلترا الخثون من غير طلب ، وينفق على تركيا العقوق من غير حساب ، ولكن حق الله على ضآلته ثقل لأنه ينفق على العامل والفلاح ، وحق الشيطان على ضخامته خفيف لأنه ينفق في الميسر والراح ، .

وهذا كلام نادر ، فيه من الهجوم واللذع

ساء حالك ، أنا فقير لأنى مصاب فى جيبى ،
وأنت فقير لأنك مصاب فى معدتك ، فأنا
أشتهى ولا أجد ، وأنت تجدد ولا تشهى
وحرمانى مؤقت ، وحرمانك مؤبد ، وجيبى
المفتوق يرتقه الرفاء بقرش . ومعدتك البالية
لا يجدها الطبيب بمليون ، ١١ .

وقد أخذت حملات الرسالة على الإقطاع
وأمرام الأسرة تمتد شيئاً فشيئاً حتى تحولت
فى سنتها الأخيرتين إلى مظاهرة رنانة ! ولن
أتحدث عن تنديد الرسالة بالأميرة فتحية
فقد تعرضت لها الدكتورة نعمات بالتفصيل ،
ولكنى أعلن أن الرسالة قد تنبأت بالثورة
المباركة حين كتب الأستاذ الزيات مقالة
هى يارياح الخريف بالرسالة (٩٥٤)
١٥ / ١٠ / ١٩٥١ وقد هاجم فيها أساليب
الحكم والسياسة ، ثم قال عن أميرة
محمد على :

« هى يارياح الخريف هى ، هى واقلى
ذلك النبات الدنى الذى يتطفل على أشجار
الوادى فيتغذى على أصولها ويتسلق على
فروعها ، حتى إذا أدرك الهواء والضياء
والرفعة النف بعساليجه وكلاييه على أعاليها
التفاف الأفعوان ، فيكظم أنفاسها فلا
تنسم ، ويشل حركتها فلا تميمس ، ثم يقول
مشيراً بأطرافه الرخوة إلى كل عابر ! ألسنت
أنا الأمير وهذا الشجر هو الفلاح ، وإذا

وسلطانا يهرب ، وقطعانا تسعى ومراكب
تطير ، ولذا نذ تنال ، وهما لا يتركان لفلاحيهما
المساكين ما يمسك الروح ويستر البدن ،
يأخذون الدور التى يأوون إليها ، والبهائم
التي يزرعون عليها ، فإذا فزعوا إلى فضل
الأمير أو الباشا زم بأفقه واستكبر أن يفتح
عينيه على هذا الهوان والقدر ، ولعله ساعته
كان يمسح خرطوم كلبه أو يرجل عرف
جواده . »

هذه الدراية التامة بمأساة الاجراء من
الفعلة ، والضحايا من العملة جعلته يعرض
قضاياهم الأليمة وصورهم الدامية عرضاً
يستنزف الدموع ! فهو يختلط بهم فى قريته ،
ويؤاكلهم فى بيته ثم يروى عن أحدهم فيقول
بالرسالة (٤٤٨ - ٢ فبراير سنة ١٩٤٢) :
« كان لى عند الباشا ثمن أربعين مقطفا
ضفرتها من الخوص لدائرته ، فلما جئته
أقتضيه الثمن أنكره وأكبره ، وتهجم على
بالكلام العنيف ، وقال محتجاً لسبابه
واغتصابه : إن ضفر الخوص عمل العاجز ،
وإن رجلا فى مثل صحتك وقوتك لا يجدر به
غير الفاس والسكرىك ، فقلت له فى هدوء :
يا باشا إن نصيحتك إياى على نفاستها
وقد استها لا تبرر أكلك حتى ، ومن اليسير
على أن أنزل لك عن هذه القروش ثم لا أنقص
شيئاً ، ولكنك قد تزيد شيئاً وكلنا زاد مالك

أخشب الطعام ولا يغتذى ، ويلبس أخشن الثياب ولا يستتر ، ويعمل أشق الأعمال ولا يكافأ ، وينتج أعظم الإنتاج ولا يشارك . . وبعد : فهذه حقائق ونصوص مؤيدة بالمرجع والتاريخ ، وإن أقدمها صحيفة لامعة في سجل رأى الحر ، والأدب الحى ، والصحافة الهادفة ، وإذا كانت مقالات فولتير وروسو قد بشرت بثورة فرنسا فلم لا تكون مقالات الرسالة قد بشرت بثورة ٢٣ يوليو ، نجاة ثمرة مشتهة من شجرة مباركة ! بل إن أحد زعماء الثورة العراقية قد اعترف صراحة على صفحات أخبار اليوم بفضل الرسالة عليه بما يثبت أن أثر الرسالة عام في كل مكان يقرأ العربية ويعتز بالقرآن .

محمد رجب البيومي

لم يسخر لى الله الشجر فكيف أنمو ؟ وإذا لم يسخر الفلاح للأمير فكيف يسمو ؟ . . وفى مقالة أخرى بالرسالة تحت عنوان (ثوروا على الفقر قبل أن يثور) (١٩٥١/١/١٥) استعراض لحفلات عيد ميلاد رأس السنة تلك التى يقيمها الأمراء والباشوات فى سرف فاحش ، من مآدب ومرافق فاضت بالنعيم وتلايلات بالجواهر ، والتحت بالرقص ، وطفحت بالخير ، وضجت بالجواز ، والتهبت بالقبل وعرضت على الأنظار الطامحة ألوفا مؤلفة من الجنهات المصرية ، تمثلت فى الأجساد المترفة للبطة حللا وفراء وعقودا ومشابك وخواتم ، مع مقارنة مبكية بالفلاح الذى يكابد كرب العيش ، وغصص الغافة ، ومض الأمراض ، وغت الملاك ، فيا كل

(بقية المنشور على ص ١١٢٤)

وبعض آخر من رجال الدين ينظر إلى جانب معين فى القضية ، فيرى ملابسة الرجل وشهوده لأمر من المنكر وإعانة عليه ، وقد يقول إن الغناء والموسيقى حرام ، ويكفيه ذلك قولا فى القضية .

محمود الشرفاوى

سكرتير التحرير

القرآن . ويجد صاحب هذه النظرة المحيطة فى بعض ما فعل النبي عليه السلام معتمداً له وسنداً ، ويستأنس به ^(١) .

(١) انظر مثلاً حديث : « إيمان ثقيف » وقدم وفدهم على النبي عليه السلام معتمداً له من مسند الإمام أحمد ، ص : ٢١٨ .

وانظر قصة : « فنى من الأنصار كان يصلى مع النبي عليه الصلاة والسلام ولا يدع شيئاً من الفواش إلا ركبه » . . . الخ فى ص : ٢٩٨ من تفسير السكشاف ، الجزء ٢ من طبعة للطبعة الأميرية .

الحسن البصري الزاهد العابد

للككتور جمال الدين الرمادي

وعديم النوم والوسن ، نموذجاً حياً للفقير الزاهد ، في متاع الدنيا وزينتها ، وزخرف الحياة وبهجتها ، وشهوة النفس ورغبتها .
ولقد تشكل الزهد في الإسلام بطابعين طابع الخوف وطابع الحب ؛ ومثال الأول الحسن البصري الذي تحدث عنه اليوم - ومثال الثاني رابعة العدوية التي أخرجته من الخوف من عذاب النار ، والشوق إلى ثواب الجنة إلى حب الله وطاعته والانس به ، والإقبال عليه ، والشوق إليه . فقالت في إحدى مناجياتها : إلهي إذا كنت أعبدك رهبة من النار ، فأحرقني بنار جهنم ، وإذا كنت أعبدك رغبة في الجنة فأحرم منها ، أما إذا كنت أعبدك من أجل محبتك فلا تحرمني يا إلهي من جمالك الأزلي .

أما الحسن البصري فكان من طابع الزهد الأول ، وقوامه الخوف من العذاب ، والامل في الثواب ، وليس أدل على إمعانه في الخوف ، وخشيته ورهبته من أن الشعرا في صاحب الطبقات الكبرى قال عنه : كان قد غلب عليه الخوف حتى كأن النار لم تخاف إلا له ، وساقه هذا الخوف إلى حزن عميق يكتشفه

حينما عرف الغزالي التصوف في إحياء علوم الدين قال : إن التصوف أمر باطن لا يستطلع عليه ، ولا يمكن ضبط الحكم بحقيقته ، بل بأمور ظاهرة يعول عليها أهل العراق في إطلاق اسم الصوفي ، والتفضيل أن يلاحظ في الصوفي خمس صفات : الصلاح والفقر وزى الصوفية ، وألا يكون مشغلاً بحرفة ، وأن يكون مخالطاً لهم بطريق المساكنة . وقد وافق كثير من علماء المتصوفة الغزالي على تعريفه ، بل لقد اشترط بعضهم اشتراطات أخرى شديدة على المتصوفة ولا محل لذكرها الآن .

ولكن المهم أن هنالك فئة من الزهاد والعباد سبقوا حركة التصوف ونهجوا في حياتهم نهجاً أشبه بنهج المتصوفة ، ومهد زهدهم وعبادتهم إلى خروج التصوف إلى معناه المعروف في تاريخ الأديان ، ومن هؤلاء الزهاد والعباد الحسن البصري المسلم الزاهد في القرن الأول الهجري وشطر من القرن الثاني لا يتعدى عشر سنوات . فقد كان الحسن للبصري أو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن ، حليف الخوف والحزن وأليف الهم والشجن ،

وكان الحسن البصرى يتوق إلى الجنة ،
ويغفو قلبه إلى نعيمها العظيم وخيرها السابغ
وفضلها العميم ، وكانت عيناه تدمعان حينما
يتلو القرآن الكريم ويتذكر قوله تعالى :
« إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم
بأن لهم الجنة ، أو قوله « ونودوا أن تتركهم
الجنة أو رثتموها بما كنتم تعملون ،
أو غير ذلك من الآيات البينات التي تشوق
المؤمنين في جنة عرضها السموات والأرض
أعدت للذين آمنوا » .

غير أن الحسن البصرى كان يرى أن الجنة
لا يمكن أن تهدي إلى الناس إهداء أو تسدي
إليهم إسداء ، أنه لا بد من سعى في سبيلها ،
ولا بد من جهاد من أجلها ولا بد من سلوك
طريق يؤدي إليها ، وهذا للطريق قوامه
العمل الخالص . وفي هذا يصرح الحسن
البصرى لابن آدم قائلا : (يا بن آدم . عملك :
عملك فإنما هو لحك ودمك . فانظر إلى أي
حال تأتي عملك ، لأن لأهل التقوى علامات
يعرفون بها : صدق الحديث . والوفاء بالعهد ،
وصلة الرحم ، وحسن الخلق ، مما يقربك
إلى الله عز وجل ...) .

وكان الحسن البصرى يرى أن كل نعيم
دون الجنة حقير . وكل بلاء دون النار يسير ،
وكان ينظر إلى الموت نظرة حميفة ، ورأى
رجلا يأكل بين المقابر فزجره ، ووبخه

اكتنافاً ويطويه طيا من كثرة التفكير والتأمل
والتدبير . فقال : (إن المؤمن يصبح حزينا ،
ويعمى حزينا ، ولا يسمعه إلا ذلك . لأنه
بين خافتين . بين ذنب قد مضى لا يدري ما الله
يصنع فيه ، وبين أجل قد بقي لا يدري ما يصيبه
من المهالك) .

كما قال : (الرجاء والخوف مطية المؤمن) ،
وقال كذلك : (إن المؤمن يصبح حزينا ،
ويعمى حزينا ، ويتقلب باليقين في الحزن ،
ويكفيه ما يكفي العنيزة : الكف من القم ،
والشربة من الماء) .

وهكذا كان الحسن البصرى تظله دائما
سحابة من الحزن ، وغيمة من الشجن ، ويدفعه
وازع من الخوف ، وأمل من الرجاء ،
غير أنه كان يضرر للحياة القلبي والكراهية ،
ويعلم لها المقت والنفور ، وينصح الناس
بالتجرد منها ، والزهد فيها . والانصراف
عن ملذاتها وشهواتها التي تجعل من الناس
بهيمة تسعى وتدب على الأرض ، فقال :
(يا بن آدم أنت اليوم في دار هي لا فطنك ...
ثم تقضى بأهلها إلى أشد الأمور وأعظمها
خطراً ، فاتق الله يا بن آدم ، وليكن سعيك
في دنياك لآخرتك ، فإنه ليس لك من دنياك
شيء إلا ما صدرت أمامك ، ولا تدخرن
عن نفسك مالاً ، ولا تبسغ نفسك ما قد
علبت أنك تاركة خلفك) .

واشتعلت القلوب المؤمنة تعلقاً به وحرصاً عليه . وقد ظل الحسن البصرى ينشر مذهبه بين أتباعه ومريديه حتى شاعت طريقته ، كما شاع أسلوب رابعة العدوية في زهدنا ، وأخذ أتباع هذين المذهبين من الزهد ينتشرون هنا وهناك ، في أرجاء البلاد الإسلامية . طيلة القرنين الأول والثاني الهجرى . حتى اجتمع شملهم والتأم شتاتهم في هيئة منظمة أو شبه منظمة تعرف بالصوفية . ولم تلبث أن ظهرت طرائق متعددة للتصوفة وأساليب مختلفة ولكنها اجتمعت بين صفوفهم . وهنا يحق لنا أن نقول : إن الحسن البصرى لم يكن متصوفاً بالمعنى المعروف ، إنما كان زاهداً عابداً ، والزهد غير الفقر والتصوف ، ويقول السهروردى في كتابه : عوارف المعارف ، : إن التصوف اسم جامع لمعانى الفقر والزهد ، ولكن بزيادة أوصاف وإضافات بدونها لا يكون الصوفى صوفياً ، ولو كان زاهداً فقيراً ، فالتصوف أعلى من الفقر والزهد ، وإن كان منظوياً عليهما ، ومستقداً إليهما ؛ لأنهما يمهدان إلى النفحات الروحية ، والإشراقات الإلهية ، والتصوف علم لبواطن القلوب . وقد تعددت أقوال الصوفية وتباينت تعريفاتهم في مفهوم معنى التصوف وتفرقوا في ذلك شيعاً وأحزاباً في القرون المختلفة .

وقال : (أما في حال هؤلاء الأموات ما يكفيك عن تذكر الأكل) ومر عليه شاب وعليه بردة ، فدعاه فقال : (إيه يابن آدم معجب بشبابه - معجب بجماله - معجب بثيابه ، كأن القبر قد وارى بدنك ، وكأن قد لاقيت عمك ، فداو قلبك ، فإن حاجة الله إلى عباده صلاح قلوبهم) .

وقد دفع الزهد الحسن البصرى إلى الانصراف عن مظاهر الحياة المادية ، وما يقبها من مال وعرض ، وضياح وجاه ونفوذ ، فقال : (بنس الرفيقان الدرهم والدينار) .

وقد بنى أحدهم بماله داراً ضخمة ، ودعا الحسن إلى دخولها فدخل فنظرها ثم قال : (أخربت دارك . وعمرت دار غيرك . لا غرك من في الأرض ، ومقتك من في السماء . طأ الأرض بقدمك ، فإنها عن قليل قبرك ، إنك لم تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك) .

وهكذا أسس الحسن البصرى مذهبه القائم على الزهد الخاضع لسلطان الحزن ، والبكاء ، والخوف من النار ، والحنين إلى الجنة ، والشوق إلى نعيمها المقيم ، ووصفها الجليل الذى لا رآته عين ، ولا سمعته أذن ، ولا مر على لسان ، وجاء ذكره في القرآن الكريم ، فتاقت النفوس الطيبة إليه ،

لله شهادة بالقسط ، وهذه القوامة لله على النفس هي التحقق بالتصوف .

ومن يتأمل في هذه الأقوال يلاحظ أنها لا تختلف كثيراً عن أقوال الحسن البصرى في الحياة والزهد ، وتطهير النفس ، وإبشار الفقر ، والتقرب إلى الله عز وجل ؛ بيد أن الحسن كان يطوى هذا كله بغلالة من الخوف والرغبة والآسى والحزن ، وهذا ما كان يميز زهده وتعبده .

وقال الغزالي : (كان الحسن أشبه الناس كلاماً بكلام الأنبياء ، وأقربهم هدياً من الصحابة ، اتفق العلماء في حقه على ذلك) . وقال ابن عربى : (الحسن عندنا من أئمة أهل طريق الله جل جلاله ، ومن أهل الأسرار والإشارات) وقال الحافظ : (كان يستثنى من كل غاية ، فيقال : فلان أزهّد الناس إلا الحسن وأفقه الناس إلا الحسن ، وأفصحهم إلا الحسن) .

ونظر إليه راهبان فقال أحدهما لصاحبه : (مل بنا إلى هذا الذى سمته سمة المسيح ، فعدلاً إليه ، فألفياه مفترشاً لذقه راكعاً وهو يقول : يا عجبا لقوم أمروا بالزاد ، وأذنوا للرحيل ، ما الذى ينتظرون . .) ؟

دكتور . جمال الميرى الرمادى

لم يكن الحسن البصرى إذن متصوفاً إنما مهد لظهور التصوف بما سلكه من سلوك الزاهد المتبتل وبما تفوه به من حكم كالدر المنثور ، والزهر المنضود ، حتى قال الجنيد المتصوف فى تعريف التصوف : هو أن يمتك الحق عنك ويحييك به وتسكون مع الله بلا علاقة ، كما قال آخر : (التصوف هو الدخول فى كل خلق سنى ، والخروج من كل خلق دنى) . وقال آخر : (هو استرسال النفس مع الله على ما يريد) وقال سهل الصوفى : (من صفا من السكر ، وامتلأ من الفكر ، وانقطع إلى الله دون البشر : واستوى عنده المال والمدر) . وقال آخر : (الصوفى كالأرض يطرح عليه كل قبيح ، ولا يخرج منه إلا كل مليح) . وقال السهروردى : (الصوفى هو الذى يكون دائم التصفية لا يزال يصفى الأوقات عن شوائب الأكداد بتصفية القلب عن شوب النفس ، ويعينه على هذه التصفية دوام افتقاره إلى مولاه ، فبدوام الافتقار ينقى من السكر ، وكلها تحركت النفس ، وظهرت بصفة من صفاتها أدركها ببصيرته النافذة وفر منها إلى ربه ، فبدوام تصفيته جمعته ، وبحركة نفسه تفرقه وكدره ، فهو قائم بربه على قلبه ، وقائم بقلبه على نفسه . قال الله تعالى : دكونوا قوامين

زواج المسلم بغير المسلمة

للأستاذ أحمد الشرباصي

لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة
إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون .

ولأن الزواج في الأصل هو د صحة العمر ،
حاطه الإسلام بحوافظ وسواند كثيرة تبعده
عن الإكراه والجهالة ، وعدم الكفاءة
والتناسب ؛ ولا يستقيم أمر الزواج إلا إذا
توافر للزوجين التقارب في المعتقدات والآراء
والأفكار ؛ ولذلك كان الأصل والعادة أن
يختار الزوج زوجته من بيئته وعقيدته
وطريقته ومستواه المادى والأدبى في الحياة ،
وكان الأولى بالمسلم أن يتزوج مسلمة مثله
لانفاقهما في الدين الذى يؤدى إلى اتفاق
المشاعر والعواطف والأفكار ، ولئلا يكون
الزوج بغير المسلمة فاتحة إلى تأثر الزوج
بدينها إن استسلم لها ، أو لإساءته إليها إن
وقف منها موقف الإباء والتشدد ، ولئلا
يساء استغلال الزواج إذا كانت الزوجة من
غير دولة الزوج ، ولعل هذا هو ما دفع
الدول إلى تحريم الزواج من أجنبيات على
الذين يقومون بواجبات سياسية لبلاطم
كالسفراء والقناصل وغيرهم .

الزواج بغير المسلمة موضوع ثار ويثور
من حين إلى حين ، تارة في الصحف والمجلات ،
وتارة في النوادى والمجتمعات ، ومن الخير
أن يقال فيه كلمة الإسلام واضحة مؤيدة بالدليل
والبرهان ، ليستبين للناس وجه الحق فيه ،
وذلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حى
عن بينة . وإن الله لسميع عليم .

لقد برأ الخالق العظيم هذا الكون ، وأوجد
هذه الحياة ، وكان لا بد من وسيلة مجدية
وعالية لتعمير الكون وإبقاء الحياة واتصال
هذا الجنس البشرى الذى يعد سيد المخلوقات
فوق هذه الأرض ؛ وقد شرع الله الزواج
لتحقيق هذا الهدف ، وجعله عقدا
تباركه يد الله وتلحظه عنايته وتحوطه
رعايته ، فهو شركة بين اثنين يوثق رباطها
اسم الله ، وهو مشاركة في السراء والضراء ،
وتعاون في أمور الحياة ، وأنس ومودة ،
وعشرة ومحبة ، وصحبة تمتد على الأيام حتى
يكون الشأن فيها أن تكون صحة العمر بطوله ؛
ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا

ذلك بقول الله تعالى: «ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم، وقوله أيضا: «لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين، لأن عطف المشركين، على «أهل الكتاب» يدل على أن أهل الكتاب غير المشركين»^(١)، لأن العطف يقتضى المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه.

وقد أجمع الأئمة على أنه لا يجوز للسلم أن يتزوج مشركة أو من لا تدين بدين، فلا يحل له أن يتزوج عابدة صنم أو وثن أو شمس أو كوكب أو حيوان أو إنسان، ولا يحل له أن يتزوج الملحدة التي لا تعترف بوجود الله ولا بوجود الدين الإلهي، أو الدين السماوي — بتعبير الفقهاء — والمراد بالدين السماوي هنا الدين الإلهي الذي له كتاب عند الله في عهد هذا الدين، وله رسول جاء ذكره في القرآن الكريم بالتفصيل أو الإجمال. والنهي عن زواج المشركات — ويقاس عليهن الملحدات — جاء صريحا في القرآن الكريم، حيث يقول الله تعالى: «ولا تتكحوا المشركات حتى يؤمن، ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم».

قال الفقهاء: فلا يجوز حينئذ أن يتزوج المسلم وثنية أو برهمية أو بوذية أو نحوها، إذ ليس لهؤلاء كتاب إلهي منزل من عند الله، وليس لهم نبي مرسل من قبل الله تعالى

كما أن فتح الباب على مصراعيه أمام تزوج المسلم بغير المسلمة قد يؤدي إلى تزايد عدد الفتيات المسلمات اللواتي لا يجدن أزواجا لهن؛ كذلك من خطر الزوج بغير المسلمة أن الزوج لا يطمئن على مصير الأولاد، لأن الولد مولع بتقليد أمه قبل تقليد أبيه، وقد يؤدي هذا إلى تأثر الولد بدين أمه، فينشأ غير قويم الإسلام، مع أنه يتبع أباه من ناحية الدين؛ لأن الولد يتبع خير الأبوين ديناً.

ونحن نستعرض تاريخ الصدر الأول من المسلمين فنجد الأغلبية الساحقة منهم يتزوجون مسلمات، ولا نجد هم يتزوجون غير مسلمات إلا في حالات فردية نادرة، وذلك لأنهم يعتبرون الإسلام هو الطابع الأساسي الذي يطعمهم بالصبغة العامة لهم: «صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون».

ولكن من حقنا أن نتساءل: ألا يجوز للسلم أن يتزوج غير مسلمة. وهذا التساؤل يؤدي بنا إلى تساؤل آخر: ومن هي غير المسلمة؟ إن غير المسلمة نوعان، لأنها إما أن تكون كتابية، أي من أهل دين سماوي له كتاب من الله، وله نبي يبلغه، وإما أن تكون مشركة بالله، أو لا تدين بدين.

ويقول بعض العلماء: إن ظاهر لفظ الشرك، لا يقتناول أهل الكتاب، ويستدلون على

ظاهرها خاص باطنها، لم يفسخ منها شيء، وأن نساء أهل الكتاب غير داخلات فيها، (١).
والشيعة ترى غير هذا الرأي، يقول الطبرسي المفسر الشيعي في تفسيره للآية: «وهي عامة عندنا في تحريم مناهضة جميع الكفار من أهل الكتاب وغيرهم وليست بمفسوخة ولا مخصوصة» (٢).

وكذلك استدل الفقهاء على تحريم تزوج المسلم بالمشركة بقوله تعالى: «ولا تمسكوا بعصم الكوافر». والعصم جمع عصمة ويراد بها العقد، والكوافر جمع كافرة، أى لا تمسكوا أيها المؤمنون بمجل النساء الكوافر وأسبايهن، وهذا أمر من الله تعالى بتطبيق المسلمين لنسائهم الكافرات حينئذ، وفيه أيضا نهى من الله للمؤمنين عن الإقدام على نكاح النساء المشركات، ولقد كان لعمر زوجتان مشركتان فطلقهما عقب نزول الآية وطلق طلحة بن عبيد الله زوجة له مشركة، كما طلق المؤمنون حين نزولها كل امرأة كافرة كانت تحت رجل منهم. وقال ابن زيد: إذا كفرت المرأة فلا تمسكوها خلوها، وقعت الفرقة بينها وبين زوجها حين كفرت.

والحكمة في تحريم زواج المشركة ومن لا دين لها قد أشارت إليها آية البقرة النهائية عن زواج

ويقول ابن جرير الطبري عند تفسير الآية السابقة: «اختلف أهل التأويل في هذه الآية، هل نزلت مراداً بها كل مشركة، أم مراداً بحكمها بعض المشركات دون بعض؟ وهل نسخ منها بعد وجوب الحكم بها شيء أم لا؟ فقال بعضهم: نزلت مراداً بها تحريم نكاح كل مشركة على كل مسلم، من أى أجناس الشرك كانت عابدة وثن، أو كانت يهودية أو نصرانية أو مجوسية أو غيرهم من أصناف الشرك، ثم نسخ تحريم نكاح أهل الكتاب». وذكر الطبري الروايات في ذلك ثم قال: «وقال آخرون: بل أنزلت هذه الآية مراداً بحكمها مشركات العرب، لم ينسخ منها شيء ولم يستثن، وإنما هى آية عام ظاهرها خاص تأويلها».

ويقصد بخصوص تأويلها أن المراد بها اللاتي أشركن ولا كتاب لهن يقرأنه، وساق الروايات في ذلك ثم قال: «وقال آخرون: بل أنزلت هذه الآية مراداً بها كل مشركة من أى أصناف الشرك كانت، غير مخصوص منها مشركة دون مشركة، وثنية كانت أو مجوسية أو كتابية. ولا نسخ منها شيء». وساق الروايات في ذلك ثم قال: «وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية ما قاله قتادة من أن الله تعالى ذكره، عني بقوله: «ولا تمسكوها المشركات حتى يؤمن»، من لم يكن من أهل الكتاب من المشركات، وأن الآية عام

(١) تفسير ابن جرير، طبعة الحلبي، ج ٢

ص ٣٧٦ و ٣٧٧.

(٢) تفسير الطبرسي طبعة صيدا ج ١ ص ٣١٨.

فيشوه مظهر الإسلام من جهة ، ولا تستقر بينهما الحياة الزوجية من جهة أخرى .

ولاشك أن التنافر بين الإلشراك والإسلام شديد واضح واسع ، فالمسلم المؤمن في نهاية الخط من جهة اليمين : يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، ويعبد الله الواحد الأحد الذي ليس كمثل شئ وهو السميع البصير ، والمشرِك أو الملحد في نهاية الخط من جهة اليسار . ينحط عنده إلى أسفل سافلين . فلا إيمان ولا اعتقاد ولا عبادة ، فكيف يلتقي مسلم ومشرِك أو ملحدة تحت سقف بيت واحد ، ليظلا في شركة الزواج التي تمتد في الأصل والغالب طول الحياة ، حتى إنها تسمى « حجة العمر » ؟ .

إن أساس الاستقرار في الحياة الزوجية هو التفاهم والتلاقى في الآراء والأفكار ، ولا شك أن اتحاد العقيدة هو الباب الطبيعي الواسع للاتحاد في المشارب والطباع والتفكير . ولنتصور مثلاً زوجين أحدهما مسلم يرى من واجبه أحياناً أن يتقرب إلى ربه بأن يذبح بقرة ليأكل منها ويضحى ، أو يتصدق ويفي بنذره لله ، ومعه زوجة له ضلت في تفكيرها واعتقادها ، فهي تعبد هذه البقرة ، ولا تمسها بسوء ، ولا تصدها عن تصرف ولو كان مسيئاً ، لأنها تعتقد أن هذه البقرة مقدسة لا تمس ، فكيف يتفق هذان الزوجان في الحياة أو يستقر لهما بيت الزوجية ؟ .

المشركات حيث قال الله فيها : « أولئك يدعون إلى النار ، لأن المرأة المشركة أو التي لا تدين بدين إلهي تخلب لب زوجها ، وتجره إلى شركها أو إلحادها ، وتفتنه عن دينه ، وقد تذرِع إلى ذلك بجملها ورقها وتديرها . فينسى الزوج تماسكه الديني ، ويتساهل في أمور عقيدته وعبادته ، فإذا هو يستحسن ما تستحسن زوجته ، ويستقبح ما تستقبح ، فيقوده ذلك إلى الإعجاب بوثنيها وشركها وإلحادها ، ويترك دينه وراه ظهرياً ، فيفرض به ذلك إلى عقاب الله وعذابه بالنار : « أولئك يدعون إلى النار » .

جاء في تفسير المنار : « أشار بأولئك إلى المذكورين من المشركين والمشركات ، أى من شأنهم الدعوة إلى أسباب دخول النار بأقوالهم وأفعالهم ، وصلة الزواج أقوى مساعد على تأثير الدعوة ؛ لأن من شأنها أن يتساع معها في شئون كثيرة ، وكل تساهل وتساع مع المشرك أو المشركة محذور محذور الشر ، بما يخشى منه أن يسرى شئ من عقائد الشرك للؤمن أو المؤمنة بضروب الشبه والتضليل التي جرى عليها المشركون » (١) .

ولوفرنا أن الزوج كان من الصنف الشديد في دينه المعتم بيقينه ، لكان هناك احتمال قوى أن يؤدي به هذا التماسك إلى الصرامة مع زوجته لو ثنيها وإشراكها في شئ معاملتها ،

(١) تفسير المنار ، طبعة للنار ، ج ٢ ص ٣٥٣ .

ويقول الأستاذ الأكبر الشيخ شلتوت :
 « إن أفضل أنواع الزواج ما تلاقت عليه
 الرغبات ، وخلصت له القلوب ، وتناجت به
 الأرواح ، ومن ضرورة ذلك أن تتفق العقيدة
 وتناسب الأخلاق وتتحدا لأهداف ، وفي ظل
 ذلك التناسب يبسط الزواج على الحياة الزوجية
 نسج السكن والمودة والرحمة ، فتطيب الحياة
 وتسعد الأبناء والأسرة ، ولا يتحقق ذلك
 على الوجه الأكمل في نظر الإسلام إلا إذا اتفق
 الزوجان في الدين والعقيدة ، وكانا مسلمين
 يأتمران بأمر الإسلام وينتهيان بنهيه ، ويشد
 الإسلام ما بين قلوبهما من رباط .

أما إذا كان الزوج غير مسلم والزوجة
 مسلمة ، أو كانت الزوجة غير مسلمة والزوج
 مسلماً ، فإن الحكم في الإسلام له وجه آخر ،
 فهو بالنسبة للغرض الأول - وهو أن يكون
 الزوج غير مسلم والزوجة مسلمة - الحرمة
 القطعية والمنع البات ، وهو من الأحكام
 التي أجمعت عليها الأمة من عهد الرسول
 إلى يومنا هذا ، وصار منعه في الإسلام
 من الأحكام التي يقول عنها الفقهاء : إن العلم
 بها ضروري ، يحكم على من أباحه بالخروج
 من الدين ، وليس هذا موضوع حديث اليوم ،
 ولما يتعلق لنا غرض الآن ببحثه ، وإنما
 غرضنا الكلام على الغرض الثاني وهو تزوج
 المسلم بغير المسلمة . وبيان الحكم في هذا الغرض
 يجب أن نفرق أولاً في غير المسلمة بين

المشركة التي لا تقرب إليه ولا بكتاب سماوي .
 والكتابية التي تقر بالآلودية وتعترف
 بمبدأ رسالات الله إلى خلقه ، وتؤمن بيوم
 البعث والجزاء . والإسلام يرى بالنسبة
 للمشركة أن زواجها باطل ، ولا يحل لمسلم
 أن يبنى معها حياة زوجية ، وقد جاء ذلك
 المنع في صريح القرآن الذي لا يحتمل أفهاماً
 ولا آراء ، ومن هنا كان محل إجماع أيضاً
 بين علماء الإسلام ولم يعرف لأحد منهم
 رأي يخله ، وذلك قوله تعالى : « ولا تنكحوا
 المشركات حتى يؤمنن ، ولأمة مؤمنة خير من مشركة
 ولو أعجبتكم » (١) .

وقد روى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
 قد فرق بين حذيفة ابن اليمان وزوجه له كانت
 غير مسلمة ، ولعل هذه الرواية تتعلق بزواج
 حذيفة من مجوسية ، فقد جاء ذلك في بعض
 الروايات ، وهناك رواية أخرى أكثر
 وأشهر تقول إن التي تزوجها حذيفة كانت
 كتابية (٢) ، وقد تعرض لهذه الرواية عند
 مناسبتها فيما بعد

هذا حكم تزوج المسلم بغير المسلمة إذا كانت
 مشركة أو ملحدة لا تدين بدين ، وأما حكم
 تزوجه بغير المسلمة إذا كانت كتابية فله
 حديث آخر ... ٩

أحمد الترمذي

(١) كتاب الفتاوى ، مطبعة الأزهر ص ٢٥١ .

(٢) انظر تفسير ابن كثير ، طبعة الحلبي ،

الاسلام دين العلم والتطور

للأستاذ عباس طه

حالتها الراهنة فحسب بل تهى لها وسائل التقدم وتعبد لها طرقاً وتمدها فيه بقوة معنوية فوق قواها .

إن الإسلام قد فرض التطور على أهله فرضاً ودفعهم إليه دفعا ، وإلا فكيف تفسر انتقال المسلمين بعد أخذهم هذا الدين من عداد الأمم الجاهلية المسودة إلى مصاف الأمم العاملة السائدة ، أستغفر الله بل إلى صف فوق الصفوف صارت فيه وحدها حافظة للعلم والحضارة والفنون دون سائر الأمم ؟ وقد اعترفت الأمم كافة لها بالزراعة قرونا طويلة كانت فيه تؤم عواصمها وتأخذ عنها العلم والحكمة ، وأسرار الصنائع والفنون ، أليس هذا لأن الإسلام يفرض على متبعيه التطور فضا .

إن قول الله تعالى : « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » ، وقوله : « وقل رب زدني علما » ، وقوله : « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم (طلب العلم فريضة على كل مسلم) : وقوله (خذ الحكمة ولو من مشرك) وقوله (الحكمة ضالة المؤمن يفتشها أنى يجدها) ، كل هذه الآيات والأحاديث فرضت على المسلمين العلم ودفعت بهم إلى باحاته دفعا ، والعالم يؤدي إلى مدارج الترقى لا محالة بل هو طريقه الوحيد في كل أدوار البشر .

إن تطور الجماعات في الناحيتين الأدبية والاجتماعية من الأمور التي يجب أن يعنى بها القانونيون لأنها من أمس الأمور بحياة الأمم . وما أوتيت الأديان من مأمنها ودب إليها الوهن إلا من ناحية لإغفال قادتها هذه الناحية في تعاملهم ، ناحية التطور في كل مجال من مجالات النشاط العلمى والعملى .

والذى حدا بأولئك القادة إلى سد طرق التطور في وجوه أتباعهم أنهم تخيلوا أن التطور يخرجهم عن الأصول القديمة ويفضى إلى ضياع ما اتسموا على حفظه سليما من كل تحول ، وغفلوا عن أن التطور الصحيح إذا عدا على شيء فإنما يعدد على الباطل ، أما الحق فيزيده جلاء وللا . فإذا كان الذى يتمسكون به حقا فلا خوف عليه من أى تطور . وإن كان باطلا فعبثا يحافظون عليه ؛ فإنهم إن استطاعوا دفع الغير والأحداث عنه جيلا أو جيلين اضطروا في النهاية للقهرى إزاء القوى الغالبة .

أما شريعة الإسلام من هذه الناحية فلا أقول إنها احتاطت لها فحسب ، ولكنى أقول إنها قد فرضت التطور على أهلها فرضاً ودفعتهم إليه دفعا لأنها شريعة عهد الرشد للأمم ، وقد علم الله أن الأمم في هذا العهد تطفر في الترقى طفرا وتقطع المراحل إليه قفرا ، فهي بحاجة إلى شريعة لا تناسب

الاستكشافية إلى شواطئ أمريكا وأن كريستوف كولومبس الذي اعتبر مكتشفها قد عثر هنالك على أشياء مادية تدل على وصول العرب إليها قبله .

وقد شهد كبار المؤرخين الاجتماعيين أن العرب وصلوا في بعض الفنون والصناعات إلى شأو لم يبلغه الأوروبيون بعد ، قال العلامة الفرنسي جوستاف ليبون في كتابه (تمدن العرب) : « العرب مع ولوعهم بالبحوث النظرية لم يهتموا تطبيقها على الصناعات والفنون ، فقد أكتسبت علومهم لصنائعهم جودة عظيمة جداً تعتبر مفخرة المفاخر في سالف الدهور . وإتنا وإن كنا لم نزل نجعل أكثر الطرائق التي سلكوها لذلك فإننا نعرف نتائجها وآثارها ، فنعرف مثلاً أنهم احتفروا المناجم واستخرجوا منها الحديد والنحاس والزئبق والحديد والذهب وأنهم برعوا جداً براعة لم يلحق لهم فيها شأو إلى الآن ، .

نقول : إذا كانت أوربا على ما وصلت إليه من الإبداع الفنى والصناعى تشهد على لسان أكابر مثلى العلم والفنون فيها بأن المسلمين وصلوا من الكمال العملى فى كثير من الصناعات إلى أبعد مما وصلت هى إليه . فإن ذلك لا يمكن أن يكون ثمرة تعاليم دينية جامدة متحجرة . تلك آثارنا تدل علينا ، فانظروا بعدنا إلى الآثار

هل قنع الإسلام بهذا القدر من ترغيب الناس فى العلم ، وإجبارهم على التعويل عليه ؟ لا . ولكنه لم يدع لونا من ألوان التأثير فى العقول ، ولا باعثا من بواعث التوثب فى النفوس إلا استخدمه فى هذا السبيل حتى قال النبى صلى الله عليه وسلم : (كن عالما أو متعلما ولا تكن الثالث قتهلك) وقال : (لموت عالم واحد أشد عند الله من موت قبيلة) وقال : (فتميه واحد خير من ألف عابد) وقال : (يوزن مداد العلماء بدماء الشهداء فيرجحه) . هذا كله وأمثاله مما يكاد لا يحصى يفسر ما حدث من الانقلاب العظيم فى جماعة العرب ، وإلا فمن ذا الذى كان يتخيل أن أولئك الجاهلين بعد فترة من الزمان لا تعتبر فى حياة الأمم شيئا يذكر ، يصبحون وفى أيديهم قبس العلم يشعوا إلى نوره أهل العالم أجمع يأخذون عنهم ما جعلهم الله أمناء عليه دون خلقه ، فكانوا الحفظة لميراث الإنسانية من ناحية والواسطة فى إحيائه وتسهيل الانتفاع به من ناحية أخرى .

إن الدين الذى يصرح بأن عقل آيات الله وإدراك أسرارها من حظ أهل العلم وحدهم دون سواهم فيقول : « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون » ، يجب أن يوصف بأنه دين العلم غير منازع .

قال بعض المؤرخين : إنه قد ثبت أن العرب وصلوا فى رحلاتهم الجغرافية وجولاتهم

مَائِقَاتُ عَنِ الْإِسْلَامِ

تَطَوُّرُ الْإِسْلَامِ

لمؤلفه ريموند شارل الفرسي
نقد وتعليق: الأستاذ مالك بن نبي

(و) عوامل النهضة الإسلامية .

(ز) غداً .

(ح) الإسلام والخطر الشيوعي .

المبحث العام :

مواد الكتاب :

عناصر المسألة :

(١) المجتمع الإسلامي التقليدي :

١ - المرأة والرجل .

٢ - المجتمع والنظم .

(ب) المصلحون والعصريون ، في الإسلام

(ج) القومية الإسلامية .

(د) التطور الحالي في المجتمع والنظم

الإسلامية :

١ - التطور السياسي .

٢ - التطور الاقتصادي .

٣ - التطور الاجتماعي .

٤ - التطور من حيث الأحوال القانونية .

٥ - التطور الثقافي .

٦ - تطور المرأة .

(هـ) تطور المغرب الحالي .

إننا لا نحسن تقدير الأشياء ، لو قدرنا

أن المستشرق الذي يكتب عن الإسلام ،

يكتب من أجل أن يعرف الفضيلة الإسلامية

لمواطنيه في البلاد الأوربية .

إنما يتصرف المستشرق الذي يكتب عن

الإسلام والمسلمين بمقتضى دوافع أخرى ،

لا تخلو من سمو عند ما تدفعه المهنة فيكتب

كأستاذ في جامعة مثل «جيب» أو تدفعه الميول

الفكرية ، فيكتب كمجرد عالم مثل «فلوغل» .

وقد يجد المسلم في إنتاج هذا العالم أو ذاك

الأستاذ ما يفيد ، لأن أحدهما مهما تكن

نواياه - أضاء مثلاً بعض نقاط الضعف التي

أن الكاتب أصبح بمقتضى مصطلحه الخاص يسلك المسلك الذى تعودناه من سائر الكتاب الغربيين الذين يقعون فى نفس الخطأ ، حيث يسوقهم المصطلح إلى تغيير لا شعورى فى الموضوع فيختلط فى إدراكهم ما يتصل بواقع اجتماعى من واقع المسلمين يحتل التغيير (أو التطور كما يقول صاحب الكتاب) فى اتجاه النمو أو التدهور ، بمقتضى عوامل زمنية معينة ، يختلط بقيم مطلقة تتصل بواقع آخر ، هو الإسلام ، لا يعتريه التغير والتطور بالمعنى الذى نفهمه فى عالم الظاهرات .

وهذا الاختلاط يودى إلى الحكم على الدين بما يقترفه أهله ، أو بعبارة أخرى الحكم على فضائل الخالق بما توحيه مساوىء المخلوق ، بينما يعطيه القرآن المقياس الصحيح فى هذا الموضوع فى الآية الكريمة : « ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك » .

خطأ المنهج :

إن كتاب الغرب الذين مارسوا الدراسات الإسلامية لا يطبقون فى هذه الدراسات مبدأ التطور رغم أن ثقافتهم تقبلته فى تراث القرن التاسع عشر ، سواء فى علوم الطبيعة منذ « داروين » ، أو فى العلوم الاجتماعية والاقتصادية منذ « برودون » .

يتأثر بها المجتمع الإسلامى ، ولأن الآخر كرس حياته من أجل ترتيب مفردات المصحف حتى يجعل القرآن الكريم فى متناول من لا يحفظه من المسلمين وغير المسلمين .

وإذن فلنتساءل على ضوء هذا المبدأ : هل يفيدنا كتاب مسيو ريموند شارل ، بصورة ما؟ الجواب ، مع الأسف : أنه لا يفيدنا ، ولا أظنه يفيد غيرنا ، مهما يكن التقدير الذى وضعناه فيه .

التقرير الأول :

فلو قدرنا هذا الكتاب على أنه دراسة لوجب علينا أن نلاحظ أن الخطأ تسرب إلى هذه الدراسة من ثلاث نواح :

١ - من العنواين نفسه الذى ترجمناه بحرفيته عن قصد .

٢ - من منهج الكتاب .

٣ - من معادلة الكاتب الشخصية التى تتدخل فى كل سطر من الكتاب .

خطأ العنواين :

إن الكاتب يتناول كلمة « إسلام » فى عنوانه للدلالة على « المجتمع الإسلامى » الذى هو الموضوع المقصود بالذات فى كتابه .

وليس للملاحظات أى أهمية لو كانت تشير إلى مجرد خطأ لفظى ، بينما هى تعنى

الكاتب الذى يخصص جهده إلى خدمة العلم والحقيقة .

فهو رغم المعلومات الزاخرة المتنوعة التى أودعها فى كتابه ، يرغفنا على نكران عليه ، أو الروح العلمية عنه لأننا لا نراه أقر حقيقة فى سطر من سطوره أو فى صفحة ، من صفحاته إلا وجد أنه يناقضها فى السطر الذى يتبع أو فى الصفحة التالية ، بعد صفحات معدودة .

فبعد أن يكون قرر فى الصفحة الثامنة مثلا ، إن الإسلام هو الدين الوحيد الذى يتزايد اليوم ، عدد معتقيه فى العالم ، نجده (صفحة ٧٩) يقرر أن «دين محمد ، قبل الأديان الأخرى مهدد بموجة العلمانية التى تكتسح العالم اليوم .

فمعادلة الكاتب تعوضه هكذا ، إما ليضع بيده ، وبصورة لاشعورية مناقضات لا يقف عندها انتباهه ، وإما ليلحق مناقضات صورية ، عندما يحاول (صفحة ٣٨) أن يصور للقارى مناقضته فى روح الإسلام الذى يضع الخالق «فوق» مخلوقاته ويراه فى نفس الوقت «مع» مخلوقاته فلا يفهم المسيوريمند شارل كيف أن المسلم يضع الله فوق كل مقام ، وفى نفس الوقت يراه أقرب إليه من جبل الوريد .

وهكذا نجد الكاتب يتخطب فى قيود

ففى الكتاب ، مثل المسيوريموند شارل لا يدرسون الواقع الاجتماعى الإسلامى الحاضر . على أنه حالة : طرأت لمجتمع فى نقطه معينة من تطوره ، ولكن يدرسونه على أنه هو واقع العالم الإسلامى ، الواقع المقدر لهذا المجتمع لاسبب طوارىء الطريق وحوادث التاريخ ، ولكن بمقتضى معطيات مستقرة فى تركيبه لا يمكنه أن يتخلص منها فهم رغم تشبههم بقانون التطور فى صورته النظرية لا يدرسون واقع العالم الإسلامى اليوم ، على أنه حالة متطورة ولكن على أنه حالة قارة ، فيعطون بذلك اهتماما إلى جانب الاستقرار والسكون والخنول أكثر مما يعطون إلى جانب الحركة والتغير ، وهذا يؤدى إلى نظرة تشاؤمية إلى مستقبل العالم الإسلامى إما لأنه لا يستطيع أن يحرك سكونه وجوده ويغيرهما إلى حركة ، وإما لأنه لا يستطيع تعديل الحركة إن كان فيها خطأ أو انحراف .

معادلة الكاتب لشخصيته

وعلى تقدير أن الكتاب تتخلله دراسة فإن الخطأ يتسرب إليه من الناحية الذاتية .

إن مسيوريموند شارل لا يكتب بحرية الفكر واثراح الصدر المطلوبين من

فقرأ أحيانا ينال من الإسلام بكيفية
تسهرنا أن الرجل ينتظر من وراء ذلك ردنا
عليه، وأحيانا يطلق نيرانه ضد فكرة العربية،
فيتزايد شعورنا أنه يريد تعطيل القافلة الجادة
في الطريق ، وأحيانا أخرى نراه يوجه
طلقاته إلى شخص الرئيس جمال عبد الناصر ،
لما أن يقرن اسمه متعمدا ، باسم بوريقية
مثلا ، عند ما يشعر أن وضع الفرد في مستوى
الإنسان ، يمكن أن يحدث من طرفنا رد فعل
منتظر ، يبرر عمله ويذكره في نظر مولاه الذي
يشغله ، ولما أن يفرد اسم الرئيس في صفحات
أخرى ، فيوجه إليه مثلاتهم « الفردية » ،
ود الدكتاتورية ، كي تنشج أعصابنا . وتنطلق
بما يشفي غليل هذا الكتاب الغريب .

وعند ما تنتهي من القراءة نشعر أن الكاتب
عند ما خطط لكتابه ، حسبما نرى من
خلال الفهرست الذي وضعناه في صدر هذا
التقرير ، كان في الحقيقة يخفي وراء هذا
التخطيط الظاهر ، تخطيطا خفيا تضمنه
معادلة الشخصية ، التي أراد استثمارها
الاستثمار ، حتى أننا لو أردنا نحن أن نرسم
هذا التخطيط الحقيقي لرسمناه في ثلاث عقد
نفسية :

- ١ — حقد ريمند شارل على الإسلام .
- ٢ — حقد ريمند شارل على العرب .

الشخصية ، التي تحرمه من الوصول إلى الحقائق
القيمية ، وتحرمنا من الاستفادة من معلوماته
لأنه ما أورد حقيقته في سطر من سطره
إلا وأعقبها بباطل ينسخها ، ويشعرنا بأن
العلم ليس مجرد معلومات تكسد كتاب .

التقرير الثاني

ولكن اعتبارنا للكتاب ، على أنه دراسة
قد يتسرب إليها الخطأ من أبواب معينة
كما بينا ، يضعف خلال القراءة من سطر إلى
سطر ومن صفحة إلى صفحة .

فكلما تقدمت في القراءة زاد عندى الشعور
بأن الكتاب ألفه صاحبه في نطاق عملية
استعمارية مخططة اشترت إليها في كتاب نشرته
أخيرا بهذه الأسطر :

كلما وضعنا أنفسنا في فصل كهذا (أى في
فصل جد وبناء) فإن الاستثمار سوف يكلف
الإخصائيين في لعبة الظل ليصور لنا معركة
خيالية تصرف المسؤولين في البلاد الإسلامية
عن المشاكل الحقيقية . .

إن مسيو ريمند شارل ، فيما يبدو لي من
خلال قراءة كتابه أحدهؤلاء الإخصائيين ،
يريد الاستثمار استغلال مادته الشخصية
ليجربنا بعيدا عن ساحة البناء ، ويلبينا عن
المشاكل القائمة أمامنا في معركة حياة أو
موت ، بمعركة شفهائية .

٣ — حقد ريموند شارل على زعيم العرب جمال عبد الناصر .
والآن فلو تتبعنا الكتاب صفحة صفحة ،
وسطرا سطرا ، كتطبيق لخطوة استعمارية ،
لا صلة لها بالعلم أو بالدين ، من خلال
معلومات كاتب مسخر ، لأمكنا أن نضع
عن طريق التحليل كل جملة من الكتاب تحت
هقعة من عقد صاحبه الثلاث .

فلو أردت مزيد وضوح ودقة فيما أرى
بشان هذا الكتاب ، لقلت إن التقدير الثانى
يبدو لى أقرب للواقع بالنسبة لى اليه .
فلا بد أن تقدر أن الاستعمار بالمرصاد إزاء
كل ما يهب من الأفكار فى البلاد التى
يفترض — حسب لغته — أن له فيها مصالح
خاصة يراها .
ولا غرابة إذن أن يقوم الاستعمار فى مثل
تلك البلاد ، بأعمال شبيهة بعملية تحويل مجرى
المياه ، عند بناء السدود .
فى نطاق الصراع الفكرى ونظراً لأسلوبه
الخاص ، تقوم عملية التحويل لمجرى الأفكار
طبقاً لما توحى به مصلحته .
وهذا يعنى أن كتاب ريموند شارل لا يبعد
أن يكون مشروع تحويل ، وضع بخصوص
بعض الكتاب المسلمين كى لا يستمروا فى
طريقهم ، فى العمل الذى خططوه لأنفسهم .
فالاستعمار يريد ، بصفة عامة ، أن لا يكتب
هؤلاء الكتاب فى طبيعة المشاكل القائمة
اليوم فى المجتمع الإسلامى ، بل أن يكتبوا
طبقاً لخطط مرسومة فى باريس ولندن
وراشنطن يقوم بتنفيذها أمثال ريموند شارل ،
كى يحقق بذلك سلطة خفية على توجيه الحياة
الفكرية فى البلاد الإسلامية .
وهذه صورة من صور الصراع الفكرى .

من شعر إقبال

الأرض بستان البلبل للترنم والغناء
والقبة الزرقاء ميدانى إلى غير انتهاء
أنا ناسك بين الطيور وخلوقى عرش الهوا
لا يبتسنى الشاهينُ وكرأ إن منزله السماء

بهذا العدد تنتهى السنة الثانية والثلاثون من هذه المجلة ،
وموعداً إن شاء الله فى أول المحرم من السنة المقبلة .

مَحْنَا فَرْ الشَّجَرِ الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ

نَوْمَة صَاحِبَة

هند

لِلْأَمِيرِ عَمْرٍاءِ الدِّينِ الْأَمِيرِ

سَأَسْمُو عَلَى زَيْفِ هَذِي الْحَيَاةِ
إِلَى مَعْرِجِ الْعِزَّةِ النَّائِيَةِ
وَأَهْجُرْ ضَوْضَاءَ لَا تَنْتَهِي
تَشِيرُ وَتَحْرِقُ أَعْصَابِيهِ
إِلَى مِهْمَاتِ الظَّلَامِ الْعَمِيقِ
إِلَى حَيْرَةِ اللَّيْلِ السَّاجِيَةِ
إِلَى مَنَبَعِ الصَّفْوِ خَلْفَ السَّمَاءِ
إِلَى مَرْتَعِ الْأَمْنِ وَالْعَافِيَةِ
أَزِيدُ فَتَوَرَّى ، وَأَطْفَى لُظَى
شَعَوْرِي ، وَأَكْبَتُ أَشْعَارِيهِ
أَبْلَدُ حَتَّى ، أَجْمَدُ نَفْسِي
أَغْيِضُ ، وَأَكْتُمُ أَنْفَاسِيهِ
وَأَغْدُو سَكُونًا بَعِيدَ الْمَدَى
بِشَعٍّ طُمَأْنِينَةٍ رَاضِيهِ
وَيُضْفِي عَلَى الْكُونِ مَعْنَى الْحَيَاةِ
وَنَآمًا ، وَمَرَحَةً نَامِيهِ
وَإِذَا ذَاكَ بَعْدَ الْهَدَى وَالْهَدْوِ
وَعَوَصِي عَلَى لَانِهَابَاتِيهِ

سَارْجَعُ كَالْفَجْرِ ، بَعْدَ الْفَنَاءِ
الْمُؤَكَّدِ ، وَالنُّومَةِ الصَّاحِبَةِ
سَارْجَعُ خَلْفًا فَتِيًّا سَوِيًّا
وَقَدْ كَهَنْدَسْتُ ، عُزْلَتِي ذَاتِيهِ
كَفَضْتُ عَنْ كِيَانِي غِبَارَ الزُّيُوفِ
وَجَلَّتْ حَقِيقَتِي الْعَارِيهِ
وَأَلْقَتُ الْجَوْهَرَ الْمُسْتَكْنَى
بِكُنْهِي بِضَوِّيْ أَغْوَارِيهِ
وَيُطْلِقُنِي قُدْرَةً فِي الْوُجُودِ
تُؤَدِّي رِسَالَةَ إِيْمَانِيهِ
رِسَالَةَ جَمْعِ السَّكِينِ الثَّقِينِ
رِسَالَةَ بَعْثِ الْمُنَى الْغَالِيَةِ
رِسَالَةَ مَجْدٍ إِلَى اللَّهِ يَرْقِي
تَحَقُّقَهُ أَمْنَةً هَادِيهِ
جِهَادٍ عَلَى الدَّهْرِ يَمْلَى الْخُلُودِ
وَيَصُدُّ فِي الزَّعْزَعِ الْعَانِيهِ
وَالْحَرِّ فِي رُوحِهِ نَفْحَةُ
مِنْ اللَّهِ ، مِنْ رُوحِهِ الْبَاقِيهِ

عَمْرٍاءُ الدِّينِ الْأَمِيرِ

دعاء إلى الله

« إلى الذين يعضون إلى الأمام ، نحو النور المقدس . . نور
الحق والخير ، والحرية والسلام ؛ لا يدركهم الناس ، ولا يتركهم
الرجاء . . . إليهم في كل مكان ... أهدى هذا الدعاء . . »

يا خالق الكون ، ورب السماء :
أدعوك من قلبي أحر الدعاء :
مهي لنا الخير كما نشتهي
إذا طغى الشر ، وماج البلا.
وانشر علينا يا إله الورى
من نورك الأسنى أرق الضياء
واجعل حياة الناس أنشودة
تشيع فيها نغمت الهنا.
واسق الحيارى من رحيق الهدى
إن الحيارى في الصحارى ظلا.
* * *

ويا إلهي نحن في عالم
يلفته الهول بنار الشقاء
يوقد فيه الحرب أشرارهُ
وليس يصلها سوى الأبرياء
مق أرى العالم لا ينطوى
إلا على ما سنه الأنبياء ؟
الناس في أنفائهم إخوة
يسقون فيه من رحيق الصفاء
* * *

ويا إلهي قد أردنا الصلا
والخير ، والمجد ، وعز البقاء
وقد حططنا القيد ، واستعذبت
أرواحنا الظمأى حياة الفداء
وقد ملكنا أمرنا بعد ما
كنا أسارى في يد الأعداء
واليوم نفني بيد مجدنا
وباليد الأخرى نصون البناء
قابض قوى العزم في روحنا
با باعث القوة في الأقوياء
وكن لنا عوناً على من بغى
إذا دعا الداعى ، ودوى النداء
واجمع على الوحدة أوطائنا
لتكمل الفرحة يوم اللقاء
* * *

هذا رجائي يا إله الورى
لحقق اللهم هذا الرجاء
ابراهيم محمد نجا

الكتاب

عبد الله بن سبأ

لفضيلة الشيخ مرتضى العسكري ، ونشر
مكتبة الإمام الكاظم بالعراق .

هذا الكتاب الذى ورد إلى مجلة الأزهر
من العراق ، يعتبر مدخلا أو تمهيدا لمؤلف
قد يكون كبيرا ، والهدف منه ، تسليط
أضواء كثيرة على شخصية دخلت تاريخ
الإسلام ، فى أدق مرحلة من مراحل
الأولى .

أراد المؤلف أن يكون هذا الكتاب بحثا
وتحقيقا فيما كتبه المؤرخون والمستشرقون
عن ابن سبأ ، منذ القرن الثانى الهجرى
حتى اليوم ، أما هذا المدخل فتناول : منشأ
القصة السبائية ، وسلسلة رواياتها ، وقصة
السقيفة ، وقصصا أخرى وثيقة الصلة
برأوى القصة السبائية ، والتي تلقى عنه أبرز
كتاب السيرة وهو الطبرى ، وهذا
الراوى هو سيف بن عمر التميمى البرجمي
الكوفي المتوفى عام ١٧٠هـ فى خلافة الرشيد .

والمؤلف الجليل المرتضى العسكري
يستحق منا تقديرا كبيرا لهذا الجهد الشاق

الذى بذله فى بحثه هذا ، محاولا عن طريق
الاستدراج أن يؤكد أن عبد الله بن سبأ
شخصية خرافية ، أو على الأقل يؤكد أن
الأحداث للضخام التى نسبت إليه مزورة
عليه ، ودليله الذى استقاء من مراجعه هو
زلزلة الثقة فى راوى قصة ابن سبأ ، وهو
سيف بن عمر المذكور آنفا ، وفى سبيل
ذلك قدم لنا مجموعة كبيرة من رواياته
وسلط عليها مضخات من التناقض . .

ونحن يسرنا أن يؤكد لنا المؤلف الجليل
إلغاء شخصية ابن سبأ من التاريخ ، ولكن
فضيلة المؤلف صاف بنا على صفحات كتابه
حول قضية أخرى هى بمثابة الجرح العميق
لسنننا نحن المسلمين اليوم بحاجة إلى إثارته .

فأيا شئ يدعوننا اليوم إلى بحث مسألة
الخلافة الإسلامية الأولى وكيف تأمر أصحاب
رسول الله على إقصاء على بن أبى طالب
كرم الله وجهه عن حقه الشرعى فى الخلافة
الأولى لقرباته من رسول الله صلوات الله
وسلامه عليه ؟

إن المؤلف الغاضل قدم لنا صورة أئمة
فى هذه القضية . أبرز فيها الخليفين : أبابكر

لتطرب أسماع المسلمين بالحناء وأنغامه دون
أن تطرب أفئدتهم بسحر عباداته وعذوبة
ألفاظه ، وسمو معانيه .

فلنكن اليوم في حاضر الإسلام لأنه أحق
بالعمل . أما أصحاب رسول الله فلندع
خلافاتهم التي قد مضى عليها زهاء أربعة عشر
قرناً - وقد أفضوا جميعاً إلى ما قدموا ،
وصار أمرهم مفوضاً إلى ربهم .

٢ - المحرم والحرام في الإسلام :

للأستاذ يوسف القرضاوى ونشر دار
إحياء الكتب العربية .

هذا البحث كلف به الأستاذ القرضاوى
تحقيقاً لرغبة مشيخة الجامع الأزهر . في طبع
كتب مبسطة تترجم إلى اللغات الأجنبية
للتعريف بالإسلام وتعاليمه .
اللتزم المؤلف في وضعه منهجاً من ثلاثة
عناصر :

أن لا يكون متزمتاً ، وأن لا يكون متحلاً .
أن لا يتعمد بمذهب فقهاء من المذاهب
السائدة في العالم الإسلامى .

أن يعنى بالتدليل والتعليل والموازنة . مسعينا
بأحدث الأفكار العلمية والمعارف العصرية .
وفي الفصل الأول عرض الكتاب لمبادئ
الإسلام في الحلال والحرام : الأصل في الأشياء
الإباحة - التحليل والتحريم حق الله وحده -

وعمر ، نهازين للفرص ، ومتآمرين على
على بن أبى طالب ، وهذا التآمر ظل في قلب
عمر حتى آخر لحظات حياته حين أوصى لسته
من أصحاب رسول الله بالخلافة ، منهم على
وعثمان . .

كما حاول المؤلف الفاضل أن يجعل من
المرتدين في عهد أبى بكر جبهة مسلمة معارضة ،
وإن امتناعهم عن دفع الزكاة لم يكن
إلا خروجا على طاعة الخليفة ولم يكن ججودا
لفريضتها ، كما ألقى بعمر تهمة التحريض على
اغتيال سعد بن عباد في الشام حين هجر المدينة
دون أن يبايع أبى بكر . .

إن الصورة عن أجل أصحاب رسول الله
التي قدمها فضيلة المؤلف ، صورة تحز في
النفس ، وتهز كيان العقل ، وحسب القارىء
المسلم العادى أن يعلق بذهنه أن الحكم
الإسلامى في مرحلته الأولى قام على أسس
من الزيف والاحتيال وفقدان الضمير
وانحدار الخلق ، والانهازية والاستغلال .

ياسامحة المؤلف : إن الإسلام اليوم
نزجراحه الشخيمة الحائرة : بعض دوله تنبذه
وراء ظهورها ، وشعوبه ترهقها ، إما سياط
الاستعمار الغاشم ، وإما سياط الدكتاتورية
الفاجرة ، ودينه الذى رضيه الله للمسلمين
يتعثر ويتقلص حتى أصبح مجرد صلوات
يؤديها العجزة في المساجد ، وقرآن يتلى

موضوع مناقشة وجدل ولذلك لم يستطع الأستاذ القرضاوى أن يلم بالحلل والحرام بما يتصل بأعمال الجوارح والسلوك الظاهر ، ونزاه تعرض لشركات التأمين ، وترك أعمال المصارف والبنوك والبورصة وما إليها مثلاً . ثانياً : إذا كان الهدف من وضع الكتاب ترجمته إلى الإنجليزية لتعريف المسلمين في أوروبا وأمريكا بالإسلام ، كان على المؤلف أن أن يتعرف على الكثير من تقاليد وعادات المجتمعات هناك حتى يبين رأى الإسلام فيها ، وهذا ما لم يكن واضحاً في كتابه هذا .

ثالثاً : اضطر الأستاذ القرضاوى إلى عرض أوجه الخلاف في كثير من المذاهب ، وهذا مما يشوش ذهن لاسيما في بلاد واعية تحتاج إلى إيجاز وتيقن ، وهذا مما كان يحتم عرض قضية الحلل والحرام في رسائل متباعدة .

٣ - **الاسموم والمبادئ المستوردة :**
للأستاذ عبد المنعم النمر ، ونشر دار القلم بالقاهرة .

هذا كتاب جديد للدولف ، تناول موضوعاً دقيقاً خطيراً له أهميته ، ولقد تناول الكتاب قضية الإيمان والإلحاد في الشرق والغرب ، كما تناول فكرة الشيوعية : ميلادها وموقفها من الإسلام والمسلمين ، وناقش قضية العلم والعقيدة ، وأن التطور لا ينأت وجود الله

تحريم الحلل قرين الشرك بالله - انتفاء الشبهات - الضرورات تنبيح المحظورات ، وما إلى ذلك .

وفي الفصل الثانى عرض الكتاب للحلال والحرام فى الحياة الشخصية للسلم ، فى الأطعمة والأشربة ، الصيد ، الخمر ، المخدرات ، فى البيت ، فى الكسب والاحتراف .

وفى الفصل الثالث عرض الكتاب للحلال والحرام فى الزواج وحياة الأسرة ، فى مجال الغريزة ، وفى الزواج ، والعلاقة بين الزوجين . وفى الفصل الرابع والأخير ، عرض الكتاب للحلال والحرام فى الحياة العامة للسلم ، فى المعتقدات والتقاليد ، وفى اللهو والترفيه ، وفى العلاقات الاجتماعية . وفى علاقة المسلم بغير المسلم .

هذا وقد اقتصر المؤلف فى كتابه هذا على ذكر الحلل والحرام فى أعمال الجوارح ، والسلوك الظاهر ، أما أعمال القلوب ، وحركات النفوس والعواطف والإرادات ، وما إلى هذه فلم يكن مما هدف إليه الكتاب ، وذلك كما ذكر المؤلف فى خاتمة الكتاب .

بقى أن نقول — أولاً :

إن موضوع الحلل والحرام فى الإسلام لا يمكن أن يستوعبه كتاب يمكن للقارى أن يستعرضه فى ساعات ، مهما راعى المؤلف فى كتابته الإيجاز والتركيز ، والموضوع

خالق في هذا الزمن ، الذى ظهرت فيه نظرية التطور ، وقول لينين : الماركسية هى المادية ومن ثم فهى معادية للدين . . .

لقد أجاد الأستاذ النور في آخر كتابه حين دعا بغيره وإخلاص إلى وضع تشريعاتنا الإسلامية موضع الاعتبار ، إلا أننا كنا نود أن يمرض علينا بمضا آخر من المبادئ المستوردة إلى جانب الشيوعية ، حتى لا يختلط على القارئ كتابه هذا بكتابه السابق الإسلام والشيوعية ، وإن كان ثمت فرق شاسع بين هدفيهما .

٤ - الفسخ في الشريعة الإسلامية

للأستاذ عبد المتعال الجبري ، ونشر دار العربية بالقاهرة .
هذا البحث له خطورته ، فهو يتناول موضوعا دقيقا ، كثرة فيه الخلاف بين أئمة الفسك الإسلامي قديما وحديثا ، بل لقد وصل الخلاف في موضوع النسخ إلى درجة التعصب والتطرف ، حتى لقد قال الإمام القرطبي عن النسخ : لا يستغنى عن معرفته العلماء ، ولا ينكره إلا الجهلة الأغبياء .

يتجه المؤلف في بحثه إلى إنكار النسخ وقد اهتمد في منهجه في هذا البحث على أن لكل باحث الحق في أن يكتب ما يشاء عن القرآن بما فهمه واقتنع به مادام غير معارض في فهمه

كما نقض دعوى الشيوعية بأنها تعمل على المساواة بين الناس .

وعرض الكتاب بعد ذلك لموقفنا نحن المسلمين من الإسلام ، وكيف طرحنا تعاليمه جانبا ، وأتخنا الفرصة للمبادئ الهدامة المستوردة تغزونا في عقرب دارنا .

وفي إيجاز أجاب المؤلف عن هذا السؤال : هل يكفل الإسلام قيام نهضة ؟ وفي سبيل ذلك عرض لموقف الإسلام والمسلمين من العلم ، وموقف الإسلام من العمل ، وأكد أن التكافل روح المجتمع الإسلامى ، ثم ختم الكتاب ببحث مركز عن هذه القيم الثلاث : الحرية والإخاء والمساواة ، ومكانتها في الإسلام .

والأستاذ عبد المنعم قدم لنا صورة واضحة عمالقيته الأديان وأتباعها من بطش الشيوعية لا سيما الإسلام والمسلمون ، واستطاع من كلام هوبز وكارل ماركس وانجلز ولينيه أن يوضح الخطوط البارزة التي تحدد عناصر الهجوم على الدين ، إلا أنه لم يناقش موقف الإسلام من هذا الهجوم إلا في إحداها وهى اتهام الدين بطبع الكادحين بطابع الصبر والاستسلام ، وكان أجدر بالمناقشة قول هوبز : وجودى هو المؤكد وما عداه خرافة ، وقول ماركس : لا إله ، والحياة مادة ، وقول انجلز : لا محل مطلقا لوجود

على أن يستعرض لنا مجموعة من آراء المفسرين مع يسير زهيد من المناقشة .

وكنا نود أن يحصل المؤلف على عدد أكبر من آراء الفقهاء القدامى ، تقف بجانب رأيه على الأقل وقد استطاع فعلاً أن يجتذب بعضها ولكن ليس عن طريق الخط المستقيم . إنى وإن كنت من غير القائلين بالنسخ في الشريعة الإسلامية ، ومؤيداً للأستاذ الجبرى إلا أن هذا لا يمنع أن أقول :

إن مراجع الكتاب قليلة بالنسبة لموضوعه وأن محصولة من الآراء المتعصبة لفكرة النسخ قليل أيضاً .

والذى لا نكران فيه بعد ذلك . أن هذا الكتاب دراسة عميقة دقيقة لما خطورتها ، وقد بذل المؤلف فيها مجهوداً يستحق عليه تقديرنا ، وأعجبني فيه استعداد حيثيات حكمه لكل معترض ، والكلمة الأخيرة - هى : إن التريب للدراسة والعناية بورق طبع الكتاب له تأثيره في ذهن الدارس والقارى على السواء .

• - من رسائل ابى تيمية :

العالم الفاضل والمسلم الغيور سماحة الشيخ محمد نصيف من أعيان جدة ، أطال الله بقاءه في خدمة الإسلام وعنايته بترائه الخالد ، أرسل إلينا برسالتين من رسائل ابن تيمية في كتاب ، هما : رسالة الفتوى الحموية الكبرى ، والرسالة المدنية في تحقيق المجاز والحقيقة في صفات الله تعالى ، أما الرسالة الأخرى

نصا قرآنياً أو حديثاً نبوياً قطعى الدلالة ، ولا غارجاً على الأصول العامة للفقهاء والدين . في الباب الأول عرض مذهب القائلين بالنسخ وفنئده ، وعرض لتفسير آية ما ننسخ وعرض المؤلفات في النسخ ، والمنسوخ ، سواء أكانت قديمة أو حديثة ، وعرض منشأ القول بنسخ القرآن ، وناقش أدلة المثبتين للنسخ في القرآن .

وفي الباب الثانى تناول مناقشة الآيات المنسوخة مبطلا دعوى النسخ فيها ، ناقشها آية آية ، وناقش دعاة القول بالنسخ من كبار الأئمة الاعلام أمثال : ابن حزم ، وابن كثير والسيوطى ، وشمس الأئمة الحنفى ، والخازن والبغوى ، وابن حزم الظاهرى .

وفي الباب الثالث والأخير ، ناقش الأستاذ الجبرى فكرة نسخ غير القرآن للقرآن والعكس ، وأكد في مناقشته خطأ هذه الفكرة ومجانبتها للحق ، وأن بعض الفقهاء تكلف في الأحكام ، تكلفاً كثيراً ما كان يخرجهم عن الصواب .

هذا الكتاب دراسة واعية ناضجة بدون شك ، ولكن المؤلف عمد إلى التعرض لكل آية في القرآن قد تعرضت لفكرة النسخ أو حتى لمجرد شبهة من شبهات النسخ في القرآن ، فاستنفذ هذا الجزء الأكبر من الدراسة من صفحة ٩٥ إلى صفحة ٣٣٤ ، وقد حمله هذا

تحتاج إلى مجهود ضخم ، حتى تكون أقرب إلى طلاب الثقافة الإسلامية . .

ويا حبذا لو حققت هذه الرسائل تحقيقا واسعا شاملا ، فقد كتب ابن تيمية ليناقد عقليات بمتازة على جانب كبير من العلم ، ولم يكن يكتب للعامة يفيدون منها في تعرفهم على هذه القضايا المعقدة وموقف الإسلام منها .

٦ - ابن القيم :

للأستاذ عوض الله جاد حجازي أستاذ الفلسفة المساعد بكلية اللغة العربية . هذا الكتاب دراسة شاملة لأحد أعلام الفكر الإسلامي ، ممن تركوا تراثا فكريا خصباً ، لم يزل الغذاء العقلي لكثير من طلاب الثقافة الإسلامية .

تناول المؤلف في الباب الأول عصر ابن القيم وترجمة له ، وطابع الانتخاب في التفكير الإسلامي ، وسبب الإنتاج الكثير لابن القيم ، وموقفه من عقيدة السلف ومنهجه في التأليف . وفي الباب الثاني تناول عقلية ابن القيم ، ورأيه في مشكلة الصفات ومناقشته للجهمية والمعتزلة ومشكلة الشر وقضية النفس وقضية أبدية الجنة والنار .

هذا هو إطار الكتاب الذي وضع فيه المؤلف شخصية ابن القيم واضحة المعالم واستحق به أن ينال تقدير اللجنة التي ناقشته .

فهى تلخيص الرسالة الحوية بقلم صاحب الفضيلة الشيخ محمد الصالح العثيمين ، وسمى تلخيصه باسم : فتح رب البرية بتلخيص الحوية ورسالة الفتوى الحوية ، هى إجابة للعلامة ابن تيمية عن سؤال من أحد مسلمي مدينة حماة بالشام عما يقوله الفقهاء والأئمة في آيات الصفات وأحاديثها .

والواقع أن ابن تيمية صال وجال في هذه الرسالة . وبلغ من التعمق أقصاه . وناقش آراء المجسمة والمشبهة والمعطلة والغلاة والرافضة ومن إليهم ، من الفرق التي ضلت الصراط السوى في أخطر جانب من جوانب العقيدة . أما صاحب الفضيلة الشيخ العثيمين فقد وفق توفيقاً مشكوراً في تلخيص الرسالة ، حتى قربت بهذا التلخيص إلى الأذهان .

وأما فضيلة الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة المدرس بالمسجد الحرام بمكة المكرمة ، فقد قام بعرض الرسالة الحوية والرسالة المدنية ، وهى التي حقق فيها ابن تيمية المجاز والحقيقة في صفات الله تعالى ، ورأى ابن تيمية في صفات الله تعالى إثباتاً لإثباتاً يناسب ذاته ، وتستحق من الكمال ما تستحق ذاته ، ويرفض أن يصرف اللفظ عن حقيقته إلى مجازه ، فإن لله مثلاً يداً ، ولكنها يداً لا تشبه يد المخلوقين وبقى أن نقول : إن بحوث ابن تيمية التي تتصل بجانب العقيدة لا زالت

٧ الربا :

للعامة الشيخ محمد رشيد رضا ونشر مكتبة القاهرة بالأزهر .

كتب مقدمة لهذا البحث وعامة له الأستاذ الكبير السيد محمد بهجة البيطار عضو المجمع الفقوى الآن ، والمجمع العلمى العربى بدمشق سابقا .

والشيخ رشيد رضا كتب هذا البحث المستفيض عن الربا ليكون رداً على استفتاء ورد من حيدر آباد بالهند عن مشكلة الربا وموقف الإسلام منها .

والشيخ رشيد يرى أن ربا الفسقة محرم لذاته ، ولا يباح إلا عند الضرورة ، كالميتة ولحم الخنزير ، وأما ربا الفضل فتحريمه وسيلة وليس قصداً ، فهو لسد الذريعة أى لكيلا يكون وسيلة إلى ربا الفسقة وما حرم سداً للذريعة أبيع للحاجة أو للصلة الراجعة .

وفى هذه الصولة من صولات الشيخ رشيد استعرض كثيراً من آراء الفقهاء والمحدثين ورجال التفسير ، وحقق مسألة المشتبهات بين الحلال والحرام ، وناقش بعد ذلك الآراء المعارضة والعقليات المقلدة ، لجاء البحث دراسة مستفيضة .

إلا إننا كنا نود أن تأتى هذه الدراسة فى طباعة تليق بمكانتها ، وأن يكون لتعليق العلامة الأستاذ البيطار مكان فيها .

محمد عبد الله السمان

وأعجبنى فى المؤلف إلمامه الشامل بشخصية ابن القيم ، وتحديد الخطوط البارزة التى تكون هذه الشخصية ، وأعجبتنى أكثر من ذلك نزاهة المؤلف وحياده وحرية رأيه وشجاعته ، والذين تعودوا أن يترجعوا لهذه الشخصيات التى لها مكان راسخ فى مجال الفكر الإسلامى ، هؤلاء إما يكونوا متعصبين لها أو عليها ، والقليل منهم هو الذى يضع الشخصية موضع النقد الحر ، بغض النظر عن رسوخ مكانتها وقداستها ذاتيتها .

إلا أن المؤلف لم يراع فى كتابه هذا التنسيق المتبع بين صلب الكتاب وهوامشه فالكتاب ليس تراثا يجوز الهوامش أن تفسح لنفسها فيه مكانا ، ولكن الأحرى بالمؤلف ألا يلجأ إلى الهامش إلا فى الضرورة القصوى ، حين يحتاج إلى تفسير لغوى أو ترجمة لأحد الأعلام . أو لفت نظر إلى شىء خارج عن نطاق الدراسة نفسها .

وفى الكتاب أخطاء مطبعية كثيرة وشبهات لغوية كنا نود أن لا نشوه هذه الدراسة القيمة والمؤلف حاول أن يجعل من ابن القيم شخصية مستقلة الفكر والرأى ، مع أنه صورة من شخصية أستاذه وشيخه ابن تيمية ، سواء فى منهجه الفكرى ، أو أسلوبه العلمى .

لقد استعان المؤلف بكثير من المراجع المعتمدة ، وهذا بما أضفى على الدراسة أضواء الاحترام والتقدير .

بريد المجلة

مرقمة

١ - مول محمد العروضة :

علق الدكتور عبد الله درويش على ما كتبه في عدد (رجب) من مجلة الأزهر ، وقد كنت على أن ألوذ بالصمت لأن للدكتور درويش مكانة في نفسي ، لحلقه ، وفضله ، وعله ، ولكنني وجدت في كلته أموراً لا يحسن السكوت عليها ، فأنا أكتب هذه الكلمة ، وأنا كاره .

١ - يقول الدكتور إن الأمر اشبه على فظنت أن ثلاثهم متفقون في الفكرة ، وأني تسرعت فأصدرت الحكم باستبعاد فكرة توارد الخواطر ، والحق أن الأمر لم يشبهه على ، وأن في النصوص التي أوردتها ، ما يؤكد التشابه بين الآراء ، وليس على القارئ العادي إلا أن يرجع إلى مقال ليجد مصداق ما أقول ، وقد قلت : إن الشيخ بدوي كان يمهّد للوصول إلى إرجاع البحور كلها إلى بحر واحد ، وقد اتخذ إلى ذلك وسائل ، وأن بعض هذه الوسائل أخذها الدكتور أنيس ، واحتذاها الدكتور درويش فليس اختلاف الغاية بما يمنع الأخذ في الوسائل .

٢ - ويقول الدكتور - نقلاً عن -

إن الكتاب لم تنشره إحدى المكتبات ، وإنما طبعه الشيخ لحسابه ، في إحدى المطابع وتولى توزيعه بنفسه بصفة ملازم ، وأن الشيخ محمد سرحان لديه الملازم الأولى ، وهي كل ما طبع من الكتاب . كما قال الشيخ سرحان . وفي هذا الكلام ثلاث قضايا الأولى أن الشيخ طبع الكتاب لحسابه ، وهذا ما قلته ، ولكن أي ضمير في هذا ، وهل يمنع هذا الاطلاع على الكتاب ؟ والثانية أني قلت إن الشيخ وزعه بصفة ملازم ، وهذا - وأستطيع الدكتور عذرا - ما لم أقله ، بل إنني قلت له : إن الكتاب عندي تام كامل مغلف من يد الشيخ رحمه الله . وأبدت استعدادي لإطلاعه عليه متى أراد ، كما أبدى أحد زملائنا في معهد القاهرة وهو الأستاذ الشيخ أحمد أبو شلابة استعداده لإحضار الكتاب تاماً غير منقوص وهذا الكلام يجعل القضية الثالثة ، وهي أن الشيخ سرحان قال إن كل ما طبع من الكتاب الملازم الأولى ، غير ذات موضوع - كما يقولون :

٢ - النمو بين التجديد والتقليد:

وكتب الشيخ عبدالحال عزيمة المدرس في كلية اللغة العربية مقالات ، في الرد على أصحاب فكرة تجديد النحو أو تيسيره، ونشر هذه المقالات في مجلة الأزهر .

ومنذ عهد قريب ، نشر كاتب آخر ثلاث مقالات طوال في هذا الموضوع وقد ألم الشيخ عزيمة بأراء هذا الكاتب في بحوثه هذه ، وظهر أثرها واضحا في مقالاته ، وكان التقليد العلى السليم أن يشير الأستاذ عزيمة إلى أنه بنى على ما كتب في هذا الموضوع حتى لا يؤخذ عليه أنه أخذ آراء غيره ونسبها لنفسه ، ولكن الشيخ - لا مرام لا أعرفه ولا أستطيع التكهن به - أغفل هذا الواجب إغفالا تاما .

وكان يمكن أن نلتبس للأستاذ عذرا في أنه لم يقرأ تلك البحوث ، ولكن الذى أؤكد أنه الشيخ قابلنى مرة ، وذكر إعجابه بها ، مما يدل على أنه قرأها ، وأمعن النظر فيها .

وعما ينبغي أن أجمله هنا - بهذه المناسبة - أننى كتبت منذ أعوام في مجلة الأزهر بحثا بعنوان (قواعد بلاشواهد) وكان بحثا في بعض مسائل البلاغة التى لا نجد لها شواهد من كلام العرب ، وقد رأيت - آنذاك - أنه ينبغي أن نحذف هذه المسائل ، مادامنا لا نجد لها مستندا ، وإنما هى مجرد افتراضات

٣ - أما أن الدكتور درويش كان طالبا وقت أن طبع الشيخ كتابه فهذا لا يمنع أن يكون اطلع على الكتاب فيما بعد ، وكيف اطلعنا على عروض الخليل ، وبيننا وبينه ألف ومائتا سنة ؟ .

٤ - ولا ينقض عجبى من سؤال الدكتور أنيس ، لماذا لم أكتب عن كتابه للآن ، مع أن كتابه ظهر منذ أكثر من عشر سنوات ، وكتب عنه الدكتور شوقي ضيف في مجلة الثقافة عام ١٩٤٩ ، والأساذة العراقيون في مجلة الرسالة ، كأن من الختم على أن أقرأ كل كتاب تخرجه المطبعة إبان ظهوره ، وإذا قرأته كان من الواجب أن أكتب عنه . وإذا كتبت عنه كان من الواجب أن تنشر لى المجلات ما أكتب . ١١ .

٥ - وقد لحص الدكتور درويش فكرته فى أنها (تركز على أساس عدم الربط ، وفك الصلة بين الدوائر وبين البحور ، وكذلك عدم ربط الزحافات بالتفاعيل) وقد أطلت النقل فى مقالى من كتاب الشيخ عبدالفتاح بدوى ؛ مما يدور حول هاتين المسألتين :

هذا . وقد بدا لى من حديث الدكتور معى أنه صادق فيما يقول من أنه لم يطلع على كتاب الشيخ بدوى ، ولو صحت فراستى هذه فسيكون هذا الأمر على أكبر جانب من الغرابة فى توافق الخواطر .

منطقية ، وقد قابلني بعد نشر البحث أحد الاساتذة الكبار ، وأبدى رغبته في أن أزوره ليصحح لي أخطائي في هذا البحث ، ولكني لم أفعل . . . ثم مضى عام ، ونشر الأستاذ بحثا في مجلة الأزهر ضمنه كل ما قلته في بحثي ، ولم يشر بكلمة واحدة إلى صاحب الفكرة الأولى كما ينبغي أن أنوه هنا — والشئ بالشئ يذكر — بأمانة فضيلة الشيخ محمد علي النجار ، فقد توقف في بعض بحوثه في نسبة أبيات إلى قائلها ، فلما لقيته أخبرته بصاحبها ، فجاء في المقال الثاني ، ونسب الأبيات ، وأخبر أنه أخذ هذا عن أحد تلاميذه ، وذكر الاسم ، وكان من اليسير أن يترك هذا ؛ لأن نسبة أبيات إلى قائلها ليس أمرا ذا بال ، ومع ذلك أبي الشيخ إلا أن يضيف كل شيء إلى صاحبه .

على العماري

مسلمو بورما :

تقع بلاد بورما في شرقي الهند والباكستان ، وكانت قبل سنة ١٩٣٧ م منضمة سياسيا إلى الهند ثم انقطعت عنها وصارت قطرا مستقلا . أكثر سكانها من البوذيين أما المسلمون فإنهم أقل منهم عدداً وأكثر ثروة لأنهم غالبون في مراكز التجارة كلها ومن أشهر مدنها :

- ١ — رانجون Rangoon وهي عاصمة البلاد وفيها برلمان الحكومة وهي مدينة شهيرة في العالم قد نفي إليها واعتقل فيها آخر امبراطور مغولي في الهند بها دير شاه ظفر ، ودفن فيها ، وفيها عيون الذهب الأسود .
- د البترول ، يرسل منها إلى أنحاء العالم — والمسلمون فيها أقل عدداً من البوذيين وهم ينشرون مجلات وجرائد في اللغة الأردية والبورمية . ومن الجرائد اليومية التي تصدر في الأردية دور جديد ، استقلال جنك ، وتصدر شهريا استقلال .
- ٢ — ماندلي Mandalay وهي بلدة كبيرة كذلك وكانت عاصمة للبلاد في الماضي وهي من أشهر مدنها ويسكنها المسلمون .
- ٣ — أكياك Akyab وهي مدينة تقع في مقاطعة أركان على شاطئ البحر ، والمسلمون فيها أكثر عدداً وثروة من غيرهم ؛ لأنهم غالبون في التجارة الداخلية والخارجية وفيها نحو خمسين جامعا وفي كل جامعة مدرسة دينية تعنى بتثقيف الأولاد الثقافة الإسلامية وفيها مدرسة كبيرة تدعى (تكميل العلوم) يتعلم فيها زهاء ٣٠٠ طالب .
- ٤ — بوتهي دنج (Bothideng) وهي بلدة صغيرة — والمسلمون فيها أقل عدداً وأكثر ثروة ، وأكثرهم تجار . وفيها عشرون

فليست هناك حركة دينية خاصة تذكر ولكن جماعة الدعوة والتبليغ تبذل جهودها البالغة في سبيل نشر الدين، وقد غلبت في بعض البلاد على المسلمين الشيوعية وتسرب إليهم الإلحاد - وهنالك حاجة ماسة لتكوين جماعة دينية إصلاحية تعنى بنشر الإسلام في البلاد كلها وتعنى بنشر الثقافة الإسلامية بين أبنائها وأن يكون هنالك معهد يعنى بتعليم الدين الإسلامى مع التعليم العصرى ويكون هذا المعهد خير مجمع للتعليمين - وحينئذ يمكن لهم أن يتمسكوا بعروة الدين والإسلام بقوة وإحكام .

نقى المدين الفرووسى

السوق الإسلامية المشتركة:

١ - يعرض لى وأنا أطالع أنباء التكتلات العالمية في دنيا الاقتصاد موضوع لا أستطيع إلا التفكير فيه ، فنحن أمة تؤلف ما يقارب ربع سكان العالم يعيش في عصر تتطاحن فيه الآراء والعقائد في نفس الوقت الذى تتطاحن فيه في ميادين الاقتصاد والمادة . فهناك ست دول أوربية انتظمت في السوق الأوروبية المشتركة وجارتها بريطانيا لإنشاء سوق تنزعمه ، بالإضافة إلى أن الدول اللاتينية تسعى لإنشاء سوق بينها ، وكذلك الدول الشيوعية تسير وفق هذا الطريق .

جامعا تقريبا ومدرسة إسلامية كبيرة تعنى بتعاليم الدين يؤمها الطلبة من أقصى البلاد حتى طبق صيتها في بورما كلها - وأما الدعوة الإسلامية في هذه البلدة فيرجع فضلها إلى الأستاذ عبد المعين لأنه ينقل بعض كتب المغفور له الشيخ أشرف على ألتهانوى إلى اللغة البورمية .

٥ - مونجدو (Mongdow) هى بلدة صغيرة والمسلمون فيها أقل عدداً وثروة .
٦ - بروم (Prome) تقع على شاطئ البحر لها ميناء صغير عدد المسلمين فيها قليل .

٧ - نول (Nool) هى بلدة صغيرة أيضا أكثر المسلمين فيها يزرعون المطاط وفيها مدرسة دينية ذات صيت (مدرسة أشاعت إسلام) يقصدها الطلبة من بلاد قريبة .
جاندوى ، لاشو ، بهالو ، ما كوى ، موكر وهى مدن يسكن فيها المسلمون وهم أقل عدداً وثروة وليست فيها معاهد علمية إسلامية تذكر وكذلك في أكثر مدن بورما عدد المسلمين فيها قليل .

أحوالهم الاقتصادية : أكثرهم يتجرون في داخل البلاد وخارجها ولهم مصانع كثيرة في مدن مختلفة وأقلهم يزرعون المطاط والقمح والشعير والأرز وما إلى ذلك من الحبوب ، وعند بعضهم حدائق الثارجيل والفواكه الطيبة . أما حالتهم الدينية :

نستطيع أن نلعب دورنا في اقتصاد العالم .
والدنيا كلها تتطلع إلينا بشغف واهتمام لترى
مكان الأمة التي ورثت حضارة الإسلام
وترى شخصيتها ومعالمها . ولكن هل سبقنا
كثيراً ؟ لا أظن إلا أن المستعمر أطلق
أكذوبته بأننا تخلفنا عن الركب ، إن بيدنا
زمام الموقف إذا استفدنا من الوقت وعرفنا
كيف نقفز إلى القمة فالمستحيل خرافة .

٤ — وعلى هذا الأساس أقترح إنشاء
سوق دولية إسلامية تكون معرضاً سنوياً
في مكة المكرمة ، فكعبة المسلمين تنتظر الدور
اللائق بها لتقوم به في جمع المسلمين والدول
الإسلامية تبحث ياتاجها إلى أرض الحرم ،
ليشاهده كل أخ وافر من كل قطر فيعرف على
النماذج التي ينتجها إخوانه في أقطاره الأخرى
ليستقبلها بما يستورده من نفس المصنوعات
من البلاد الأجنبية ، فالدول الإسلامية كانت
دولة واحدة وهذه حقيقة تعيش في أذهان
المسلمين .

ولكن : هل مكة بلد صالح لإقامة معرض
إسلامي فيها ؟ وموسم الحج هل يجوز لنا أن
نلتقي اقتصادياً فيه ؟ يجب على هذا السؤال
الاقتصادي الأول عمر بن الخطاب : هل كنتم
تتجرون في الحج يا أمير المؤمنين ؟ قال رضي الله
عنه وهل كانت معاشهم إلا في الحج ؟ .

أحمد الرعاسي

٢ — إن الشعوب الإسلامية تلتقي روحياً
عبر حدودها الطويلة المترامية ، وإن هذه
أمتكم أمة واحدة ، وتلتقي في مكة سنوياً
في اجتماع عام يحضره ممثلون عن أقطار
الإسلام . هذا اللقاء لماذا لا يستخدم لحير
هذه الشعوب فيكون اجتماعاً حافلاً يضم
مندوبين عن الدول الإسلامية لبحث إنشاء
كتلة اقتصادية تجابه الضغط الاستعماري
الذي يبدو واضحاً في المستقبل القريب .

فنحن أمة ليست فقيرة في خاماتها إذ نملك
نسباً ضخمة في احتياطي العالم من معظم المواد ،
وهذا بما يجعلنا قبة الأنظار من قبل الأسواق
المشتركة الأخرى التي تعول على الدول غير
المستقلة اقتصادياً . ونحن نوجه هذه الدعوة
لإنشاء هذه السوق الإسلامية المشتركة
في الوقت الذي نرى فيه التقارب بين
ملوك ورؤساء الدول الإسلامية يقوى
يوماً فيوماً ، وليس أدل على ذلك من

تبادل الزيارات بينهم وزيادة التفاهم في
نصريحانهم المشتركة ونحن نبارك هذه الزيارات
وندعو الله أن تطرد لحير هذه البلاد ورفعتها
ووحدها لآسيا ومعظم هذه الدول الإسلامية
مستقلة ومتحررة من الاستعمار بشكل نهائي .

٣ — إننا اليوم نخوض حرباً أقسى
من حرب الصواريخ كما قال رئيسنا هي حرب
العلم وبالأحرى احتكار العلم وإذا تساندنا

عليه السلام من أتى بهيمة فلا حد عليه ،
رواه الترمذى . والعمل عليه عند أهل العلم .
وما روى من أتى بهيمة الخ .

فغير ثابت : زاد في التحقيق فقال وأنكره
مالك . وفي الكتاب المسمى بالمقدس في
الإصحاح العشرين من اللاويين : وإذا جعل
رجل مضجعه مع بهيمته ، فالبهيمة يميّتها
والرجل يقتل ، ومذهب الشافعى فيه ثلاثة
أقوال ومنها القتل والحل والتعزير . واختلف
في الأكل منها فبعضهم جوز وبعضهم منع .
من هذا ترى أن هذا كان في شريعة اليهود قلعله
سرى إلى العلماء من هذا خصوصاً وبعضهم
طعن في صحة الحديث الذى رواه البغوى .
سيد على الطوبجى

بيان المراد من كلمة :

جاء في افتتاحية العدد الماضى من المجلة
هذه الفقرة :

« وتكتيب الغوانى فى جيوش الاستعمار
سياسة سنّها فرنسا وتبعها إنجلترا ، وصادفت
هوى فى نفوس الصهيونيين فطبقوها على
نطاق واسع فى السياسة والتجارة والحرب .
ولا يزال لإخواننا الفلسطينيين يذكرون
(سوء عقابها فى التهديد لقيام إسرائيل)
وهذا الكلام واضح فى أن المراد به أولئك
الأغرار الذين فتنهم أموال اليهود ونساء
اليهود ، فباعوا أراضيهم للصهيونيين قبل

مول منه أتى بهيمة يقتل :

جاءت هذه الكلمة فى غضون مقال الأستاذ
محمود الشرقاوى وقد راجعنا المصادر الكثيرة
فرأينا فى مصابيح السنة للبغوى أنه حديث
وجرحه آخرون ، واختلف الأئمة فى ذلك فبعضهم
يقول يعزر وبعضهم يقول يحل ، وبعضهم
يقول يقتل ، وجاءت هذه الجملة فى العهد القديم
فى اللاويين : « لأنه من أتى بهيمة يقتل ،
والعلامة العدوى فى حاشيته على أبى الحسن
فى مذهب المالكية تعرض لهذا الحديث
فقال أنه لم يصح وقال إن هذا مذهب مالك
رضى الله عنه .

وتوضيح هذه المسألة أن البغوى فى
مصابيح الجزء الثانى ص ٢٦٢ روى حديث
« من أتى بهيمة فاقتلوه واقتلواها ، والمنذرى
فى ترغيبه قال : « روى أبو داود عن ابن
عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من أتى
بهيمة فاقتلوه واقتلواها ، .

وهى رواية ابن ماجه والترمذى من رواية
عمرو بن أبى عمر عن عكرمة عن ابن عباس
وقد احتج به الشيخان وغيرهما : وقال الخطابى
قد عارض هذا الحديث نهى النبى عليه السلام
عن قتل الحيوان . وروى البيهقى مثل ما تقدم
والقيروانى فى رسالته على شرح أبى الحسن
قال : ولا يقتل واطى البهيمة وليعاقب لقوله

وإني أسأله ما معنى كآب وإنسان ، هل معنى ذلك أن يكون الرسول رءوفا رحيمًا كآب وإنسان غيره كشرع ورسول ومبلغ ؟ هذا مالا نقره وإنا نستبعد من نبي المساواة الذى يقول لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعتم يدها والناس فى شريعته سواسية كأسنان المشط . أن يفرق بين بناته وبنات غيره فالكل سواء فى نظر الشريعة .

وإذا نظرنا إلى مناسبة الحديث وقصته ولم نقطعه عن سياقه كشفنا عنه الغموض . ولقد جاء فى رواية الزهرى لهذا الحديث زيادة توضح ذلك قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « وإنى لست أحرم حلالا ولا أحلل حراما ولكن والله لا تجتمع بنت رسول الله مع بنت عدو الله أبدا » .

فعلة المنع إذن أن الرسول لا يحب أن تجتمع ابنته مع بنت أبي جهل . وكان من الطبيعى أن يتوجس بنو هشام ابن المغيرة خيفة من رفض الرسول فيتقدم عم الفتاة الحرث بن هشام يستأذن النبي فى ذلك قبل أن يقدم على الموافقة على » .

وكيف تؤمن بنت أبي جهل بمجرد إسلامها أن تدخل بيت على وهو درع كبير من دروع الإسلام - إن الدول لا تبيع لسفرائها الدبلوماسيين وأصحاب الرأى فى جيشها أن يتزوجوا من دول أجنبية .

وعد بلفور وحدث المسألة . وكان ذلك ليذا نأ بها وتمهيدا لها . ولكن أحد الطلاب فهم من هذه العبارة الواضحة أننا نجعل النساء ومن أغوينهن - السبب الأول والآخر فى ضياع فلسطين ويذكرنا بالخيانة فى الدد والرمة والأسلحة الفاسدة ، وجلوب وعبد الله ونورى وهذا مسلم به ، فى أثناء المعركة وبعدها . ولكن حرب الله والنساء وما ترتب عليها من بيع الأراضى العربية للعصابة الصهيونية كان أسبق من هذا كله .

تعدد الزوجات فى الإسلام :

يقول الأستاذ خالد محمد خالد فى مقالة بجريدة الجمهورية : إن النبي رفض أن تكون لابنته ضرة وبدل على قوله بحديث عن المسور ابن مخرجه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : إن بنى هشام بن المغيرة استأذنى أن ينكحوا ابنتهم علياً بن أبى طالب ، وإنى لا آذن لهم ثم لا آذن لهم إلا أن يحب ابن أبى طالب أن يطلق ابنتى وينكح ابنتهم فأما ابنتى بضعة منى يرى بنى ما رابها ويؤذنى ما آذاها . ويعلق الأستاذ خالد بقوله . وإذا كان الرسول وهو يحمل نفسا إنسانية غالبة لم يطلق أن يرى لابنته ضرة . (لأنه كآب وإنسان وجد أن الأمر لا يحتمل أفلا نلتبس العذر للبرأة نفسها - أى امرأة - إذا ما طالبت بوقف التعدد الذى يجعل حياتها جحما لا يطاق ؟ هذا ما قاله الأستاذ

نقيس على هذه المسألة ما يمانها بما لم يرد فيه نص كتسميد القطن وعدم تسميده مثلاً وليس معنى ذلك أن نتكلم بهذه القاعدة في أمور الدين التي وردت فيها نصوص القرآن وسار على هديها الصحابة والمسلمون إلى اليوم ، وإلا كان الأمر فوضى إذا صح لنا أن نقيس أمور الدين على الدنيا وتغاضى عن المنطق وشروط القياس فنقيس الشيء على ما لا يشابهه وبذلك نتحلل من كثير من أحكام الدين ، وعلى فرض صحة قياس مسألة التعدد على هذه القاعدة : أتم أعلم بشئون دنياكم فالحكم يكون خلاف ما أردت ، ألا ترى أن الرسول وهو الحاكم المسئول تركهم لاختيارهم فلو أن أحدهم لم يؤبر نخله لم يوجه إليه لوما ولو أبره لم يوجه إليه لوما ، فلم لا ترك أيضاً مسألة التعدد لم يفهم أعلم بظروفهم الاجتماعية . والله يوفقنا إلى الصواب وطريق المعرفة .

مسينى عبد المجيد هاشم

أستاذ التفسير بمعهد الزقازيق الدينى

أما أن الإسلام دين تطور ومرونة فذلك لامرأ فيه مرونة الإسلام تتحقق في توسيع دائرة التعدد . فالإباحة هي المنطقة الواسعة الكبرى بين الوجوب والتحريم فأنت في ظلها سيد نفسك ومالك أمرك وموكل لاختيارك بأن تفصل الشيء وأن تتركه ، فإذا وضع الإسلام مسألة تعدد الزوجات في هذا المكان فإنما هو المكان اللائق بها ، والمسير بها إلى منطقة أخرى من أحد الطرفين : الوجوب أو التحريم وضع للأمور في غير موضعها وتقييد للتطور والمرونة باسم التطور والمرونة ويقول الأستاذ في مقاله : إن هناك حجة حاسمة تغنينا عن كل حجة ودليل ، ففي ذلك التفويض المطلق الذى منحه الدين للناس حين قال الرسول (أتم أعلم بشئون دنياكم ، وهذه من شئون الدنيا) ونقول له إن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال ذلك في مسألة تأبير النخل حينما سأله في تأبير نخلهم ، فيصح لنا أن

الأصحاب

قال حكيم : الإخوان ثلاثة أصناف : فرع بائن من أصله ، وأصل متصل بفرعه ، وفرع ليس له أصل . فأما الفرع البائن من أصله فأخاء بنى هلى مودة ثم انقطعت ، لحفظ على زمام الصحبة ، وأما الأصل المتصل بفرعه ، فأخاء أصله الكرم ، وأغصانه التقوى ، وأما الفرع الذى لا أصل له فالمموه الظاهر الذى ليس له باطن .

أبناء الأزهر

الحرية التي فطرم الله عليها ، وإلى السلام
الذي يطمئن البشرية على حاضرها ومستقبلها ،
لقد لمست هذه النواحي في كل جولاتي ،
ومن أجل ذلك كان حبهم العميق للرجل
الذي دعا إلى هذه المبادئ التي تتفق وما جاء
في الإسلام ، وتضمنته شريعتنا الغراء .

إن شريعتنا تؤمن بالإنسانية لأنها دعوة
الحق . من الحق جاءت وبالحق نزلت ، تؤمن
بها غير مقيدة بجنس ولا لون ، ولا مرتبطة
بنوع ولا مكان ، الأمر الذي جعل السلام
شعارها والأمن طريقها . ولذا فلن تعرف
الحروب وإنما ستظل دائماً داعية السلام
وراعيته ، ومنشأ ذلك الأخوة التي تتمتع بها
هذه الإنسانية والتي جاءت في كتابه تعالى :
« إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم
شعوباً وقبائل لتعارفوا » .

إن الأمم المتحدة الآن على الرغم من أن
مبادئها الحفاظ على الحرية والدعوة إليها
قد نقصت هذه المعاني فراحت تحارب كل
من تطلع إلى هذه الحرية وطلبها ودعا إليها ،
وحرص على أن يعيش في أرضه آمناً مطمئناً .

الأستاذ الأكبر يعود من رحلته :
عاد فضيلة الأستاذ الأكبر يرافقه أعضاء
البعثة الأزهرية بعد أن لبى دعوة
حكومة أندونيسيا ومسلمي الفيلبين واتحاد
الملايو ، وقد كان في استقبال فضيلته في مطار
القاهرة الدولي السادة سفراء هذه الدول
والمحققون السياسيون والثقافيون
والعسكريون لها ، وفضيلة وكيل الجامع
الأزهر ومدير المعاهد الدينية وعمداء الكليات
ومدير الوعظ والإرشاد وشيوخ المعاهد
وأعضاء هيئات التدريس بالكليات
والمعاهد والطلاب .

وقد أدلى فضيلته بالتصريح الآتي : —
« إنني أشكركم على حسن استقبالكم ، كما
أشكر المولى سبحانه على ما لمست في جميع
الاستقبالات في الدول التي زرتها من محبة
صادقة لكم — يا أبناء الجمهورية العربية —
ولرئيسها وقائدها ، لما يلبسون فيه من معان
ومبادئ ومثل .

أبنائي : إن شعوب الأرض متطلعة إلى

« يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول
إذا دعاكم لما يحيمكم . »

« وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه
ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، حقق
الله لنا النصر ، وعاشت الأمم المكافئة
الداعية إلى الحرية والسلام ... »

وما زال الزائرون يتوافدون على منزل فضيلة
الاستاذ الأكبر مهنيين فضيلته بسلامة الوصول
من رحلته الموفقة .

كما تلقى فضيلته مئات البرقيات والرسائل
للتهنئة بالعودة ، وشهر رمضان .

الأستاذ الأكبر يعود إلى مكتبه :

عاد فضيلة الاستاذ الأكبر الشيخ محمود
شلتوت شيخ الجامع الأزهر إلى مكتبه صباح
الثلاثاء ٢١/٢/١٩٦١ بعد عودته من
رحلته إلى الملايو وأندونيسيا والفيليبين .
وقد توافد على مكتب فضيلته كثير من
المسلمين وعلماء الأزهر وموظفيه وطلابه .

وقد ألقى الاستاذ الدكتور محمد ماضى مدير
عام المعاهد الدينية كلمة عبر فيها باسمه وباسم
أساتذة المعاهد وطلابها عن عميق شعورهم
بعودة فضيلته من رحلته موقفاً فى مهمته
الإسلامية الكريمة .

لقد تغاضت عما جرى فى فلسطين ، وأصمت
أذانها عما يحدث فى الجزائر ، وفرت الأمة
التي سعت فى الحصول على استقلالها والتمتع
بحريتها ، وخلقت منها عملاء ضربت بهم
الحاكم الشرعى ، وقضت عليه ، ولكن
المبادئ دائماً لا تموت . إن دولة الكونفرو
الحريصة على أن تحيا متمتعة بحريتها ستظل
المكافئة للمجاهدة تستمد من المبادئ الإنسانية
ما يقويها ويشد أزرها حتى تطارد عناصر
الشر وتقف فيها عناصر الخير قوية راسخة .

لئن أوجه إلى أبنائى وإخوانى الذين
يؤمنون بالمبادئ القوية فى أنحاء الأرض ،
ثم إلى إخوانى المسلمين فى جميع شعابها
ونواحيها ، أن يقفوا جميعاً للإنسانية صفاً
واحداً وأمة واحدة ، يطاردون روح السيطرة
الباطلة والطغيان الأعمى لتنتصر المعانى والمثل .
« فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع
الناس فيمكث فى الأرض ، . »

وما أقوى ما اشتمل عليه شهرنا المبارك
من معانى الاتحاد والوحدة والاتلاف
والترابط .

ثم على معنى الصبر الذى يقوى فينا روح
الآمل ويدفعنا إلى التعاون فى كل ناحية من
نواحي حياتنا .

بإحياء الفكرة الإسلامية في تلك البلاد التي طالما تعطلت إلى قائد يجمع شملها ويوحد كلمتها .

إن موقفكم هذا - يذكرنا بأولئك الفقهاء العظام الذين كانوا يجمعون بين القيادة والسياسة والدين والحكمة . إن رحلتكم إلى الملايو ، وأندونيسيا ، والفلبين ، تعيد إلى الإسلام سنته الرشيدة التي كان عليها العلماء العاملون . فكم لك في التاريخ من مجد عظيم وفي قلوب العلماء من حب وتقدير .

لندم أيها الشيخ - لابنائك ، لتلاميذك ، ولل فكرة الإسلامية داعياً وسفيراً .

الأستاذ الأكبر يشكر الوفود :

وقد شكر فضيلة الأستاذ الأكبر الوفود التي أقبلت إلى مكتبته لتنهئته بالعودة قائلا : إنني لأشكركم على هذه التحية المباركة التي صادفت شهر رمضان . ويهمني أن تعرفوا أنني قد عدت من أرض أهلها كنت يريد أن ينهض من باطن الأرض ، لا يقبل ماء ولا سمادا إلا من الأزهر . هذا النبات المتطلع إلى الحياة يتلصص منكم التوجيه والإرشاد ، وفقكم الله لإحياء هذا النبات الذي لمستته بيدي ورأيت به بعيني ، وسمعت بأذني .

ثم قال سيادته مخاطبا الشيخ : لقد عهدنا فيكم دائما أن يوفقكم الله في كل مهمة تحملونها على عاتقكم فأنتم شيخ الإسلام ، وقائد النهضة الإسلامية التي تؤدي واجبها في جميع أنحاء العالم الإسلامي ، وإننا إذ ندعو الله أن يعينك على حمل هذه الرسالة وأدائها - نعاهدك على أن نعمل من ورائك دائما لخير الإسلام والمسلمين .

ثم قام فضيلة الشيخ محمد مرسى مفتش العلوم الشرعية فأشاد بجمود فضيلته الموقفة لتوثيق الصلات بيننا وبين هذه البلاد الإسلامية قائلا : لقد كنت يا فضيلة الأستاذ الأكبر همزة الوصل بين الأزهر وبين هذه الشعوب الإسلامية ، وأنا واثق أن كل فرد في هذه الشعوب يسكن للأزهر وللجمهورية العربية المتحدة ولقائدها الرئيس جمال عبد الناصر كل حب وإخلاص بعد قيامكم بهذه الرحلة . ثم استقبل فضيلته علماء كلية الشريعة وعلى رأسهم فضيلة الشيخ محمد المدني عميد الكلية الذي هنا فضيلته باسمه وباسم أساتذة الكلية وطلابها بالعودة من رحلته .

ثم ألقى فضيلة الشيخ سعد جلال الأستاذ بكلية الشريعة كلمة قال فيها : لقد عدت يا فضيلة الأستاذ الأكبر من رحلتكم موقفاً ، فقمتم

والرسائل من كثير من المسلمين والمهيات الإسلامية في جميع أنحاء العالم الإسلامي ، وذلك بمناسبة عودة فضيلته من رحلته إلى الملايو وأندونيسيا والفلبين ، وبشهر رمضان المبارك .

وضع حجر الأساس لمبنى معهد دمياط :

احتفلت محافظة دمياط بالاشتراك مع معهد دمياط الدينى فى اليوم الأول من رمضان بوضع الحجر الأساس لمبنى معهد دمياط الجديد .

وقد ألقى فضيلة شيخ المعهد كلمة تاريخية أشاد فيها برسالة الأزهر ، والمعاهد الدينية ، وقال : إن هذا المعهد الجديد هو إحدى المنشآت التى نفخر بها فى عهد الثورة الكبرى وإذا كان شكرنا للسيد الرئيس جمال عبدالناصر يتضمن شكراً لمحافظة دمياط الجليل ، فإن أعماله الحميدة فى حقل محافظته التى وهب لها عقله وقلبه ونشاطه ، واستعذب فى سبيلها كل صعب - كل ذلك يحملى بالنيابة عن علماء الأزهر وطلابه أن أوجه خالص الشكر لسيادته .

والمعروف أن معهد دمياط أنشئ فى سنة ١٨٨٠ هـ .

إنى لأعاهدكم أن أبذل بقية حياقي فى سبيل نشر الإسلام وخدمة الدين ، والقيام على أصل الشريعة ودراستها ونشرها .

ثم نهض فضيلة الأستاذ الشيخ محمد المدنى عميد كلية الشريعة قائلاً : بالنيابة عن أساتذة الكلية أقبل يد فضيلتكم ، فأبى فضيلته إلا أن يسلم على كل منهم واحداً واحداً .

الأستاذ الأكبر بتبرع بتسعين ألف روية وقد تبرع فضيلة الأستاذ الأكبر فى أثناء رحلته بتسعين ألف روية ، على الوجه الآتى :

٥٠٠٠ ر. هـ لمنكوبى السيول فى أندونيسيا .

١٠٠٠٠ ر. هـ لبيت الأيتام فى جاكارتا .

١٠٠٠٠ ر. هـ للملجأ العميان فى باندونج .

١٠٠٠٠ ر. هـ للمعهد الدينى فى جنتور (فندق مودرن) .

٥٠٠٠ ر. هـ لبيت الأيتام فى (ميدان) شمال سومطرة .

٥٠٠٠ ر. هـ لمدرسة التربية الحديثة فى (ميدان) بمناسبة وضع الحجر الأساس لمنشأتها الحديثة .

تهنئة شيخ الأزهر بالعودة وشهر رمضان :

تلقى فضيلة الأستاذ الأكبر مئات البرقيات

٢ - للمرأة المسلمة أن تحتفظ بأملاكها وتصرف فيها بمفردها بعد الزواج .

٣ - للمرأة مثل الرجل حق الانتخاب والتصويت وترشيح نفسها للهيئات العامة وإبداء رأيها .

٤ - للمرأة مثل الرجل أن تحضر دروس الوعظ والإرشاد كما أن لها أن تعظ وترشد غيرها من الرجال أو النساء على السواء .

٥ - على المرأة أن تؤدي فرائض الإسلام من صوم وصلاة وحج وزكاة مثل الرجل إلا أنها يجب أن تذهب إلى الحج في صحة محرم أو زوجها .

٦ - لا يجوز أن تنفرد المرأة برجل غير زوجها أو محرم وعلى الرجل مثل ذلك .

٧ - يمكن للمرأة أن تسافر للخارج طلباً للعلم أو للعمل على شرط أن تحافظ على شرفها وعفتها وكرامتها .

٨ - يحق للمرأة أن تعمل الأفضل اشتغالها بالأعمال الإنسانية .

٩ - على المرأة أن تحافظ على مال زوجها .

١٠ - عليها رعاية أبنائها وتربيتهم التربية الدينية الصحيحة ..

وأبدى المسلمون في الفلبين لنا حاجتهم إلى إنشاء مركز ثقافي إسلامي وإلى علماء ووعاظ . وهذا قيد البحث الآن، وفي أندونيسيا وقعنا اتفاقية ثقافية لتوثيق عرى الصلات والروابط بين المسلمين هناك والأزهر، ونشجع

الإسلام والاستعمار في الشرق الأقصى

تحدث الأستاذ الأكبر إلى جريدة الأخبار قال : إن المسلمين في هذه المنطقة كانوا ينتظرون هذه الزيارة .. بدا ذلك واضحاً من استقبالاتهم وحفاوتهم في الملايو وأندونيسيا والفلبين ... إن المسلمين هناك في حاجة شديدة إلى معرفة الإسلام وأحكامه عن طريق الأزهر .. وأن آمالهم تركز في ذلك على الجمهورية العربية المتحدة .. وجمال عبد الناصر رئيسها والأزهر الشريف وأن المسلمين في الفلبين كونوا فرقة من المتطوعين ليحاربوا معنا أيام العدوان الثلاثي .

وتحدث الشيخ شلتوت عن حياة المسلمين هناك .. فقال : إن عددهم يبلغ ٨٢ مليوناً في أندونيسيا وثلاثة ملايين في الفلبين وخمسة ملايين في الملايو .. والشئ الذي يحز في نفسي أنني رأيت أصابع الاستعمار واضحة في تأخر المسلمين هناك ، لقد حاول تحريف المفاهيم الإسلامية كدعوتهم مثلاً إلى الزهد والتقصير الشديد والبعد عن العلم والتعليم حتى استطاع إبعادهم تماماً عن الحياة العملية ومظاهر المدنية الحديثة ... وقد وضعت عشرة مبادئ* هناك تعتبر دستوراً للمرأة المسلمة هذه المبادئ هي : -

دستور المسلمات :

١ - لا تزوج المسلمة من غير المسلم .

وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم . . .

ولقد تحدثت فى إحدى المحاضرات فى جاكارنا بأندونيسيا على أثر استفتاءات كثيرة من الملايو وأندونيسيا سواء من الرسميين أو من الشعب عن حاجة المسلمين الملحة لإنشاء مجمع على إسلامى يجمع علماء المسلمين من مشارق الأرض . . ومقاربها

لا فرق بين مذهب ومذهب وإقليم وإقليم لينظر فى ما يمرض للسلمين من مشاكل وخاصة فى النواحي الاقتصادية الحديثة وغيرها التى استحدثت فى العصر الحديث ورأى الإسلام فيها . وقد نص البيان المشترك بيننا وبين الحكومة الأندونيسية على أن يقوم الأزهر بإنشاء هذا المجمع العلمى الإسلامى وهو الآن يأخذ طريقه نحو التنفيذ . ومن الأعمال التى تمت فى الرحلة الاتفاق بيننا وبين الملايو على إشراف الأزهر على امتحان المدارس الابتدائية والثانوية الدينية بالملايو تمهيداً لالتحاقهم بالأزهر . وتوقيع اتفاق مع وزير التربية والتعليم بالملايو على الاشتراك فى مؤسسة تبسج الأزهر لطبع ونشر القرآن الكريم لمواجهة تحريف إسرائيل وطلبوا منا أن يكون الأزهر مصدر الفتوى لكل ما يتعلق بالدين واعترفنا بشهادة الكلية الإسلامية بالملايو .

البعثات التعليمية إلى الأزهر وإرسال الكتب الدينية واللغوية وتبادل الرسائل والبحوث العلمية والمحاضرات الجامعية وإقامة اجتماعات دولية للطلبة المسلمين وأساتذتهم من جميع أنحاء العالم للتعارف وتبادل الآراء والأفكار فيما يخص تقدم المسلمين فى جميع أنحاء العالم .

تنظيم الفصل :

ومضى شيخ الأزهر يتحدث عن أصابع الاستعمار والصهيونية فقال : لقد فوجئت هناك بأن الاستعمار يدعوم إلى كثرة النسل بدعوى أن الإسلام يقر ذلك . . وعرفت أن أحد الوزراء المسلمين لديه ١٥ ولداً وهو عدد قليل بالنسبة للعامة . . وذلك فى نفس الوقت الذى يدعوم فيه إلى التشف . . وذلك بقصد زيادة فقرهم . . ولكنى أعلنت هناك أن الإسلام يأمر بتنظيم النسل . . وإن كان يحرم إيقافه أو تحديده .

وأعلنت هناك أيضاً . . أن الإسلام دين العمل ودين السلام والجهاد وأن الإسلام أبضا دين العلم وذلك ليواجهوا مؤامرات الاستعمار . . وقلت فى جميع المحاضرات التى ألقيتها أن الله سبحانه وتعالى رفع من شأن العلم فى أول وحى أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال تعالى : « اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ »

فهرس أبجدى عام

لموضوعات المجلد الثانى والثلاثين

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
١٧١	الإسلام فى استراليا	٩٦٥	الشيخ إبراهيم حمروش
٧٥٣	الإسلام فى إفريقيا الشرقية	١١٥٥	ابن القيم (كتاب)
٤٨٥	الإسلام فى أمريكا الجنوبية	٤٧٣	أبو الحسن الشاذلى فى معركة المنصورة
٨٥٠	الإسلام فى تايلاند	٥١٥	أبوة وبنوة «قصيدة»
٦٣١	الإسلام فى تركيا	٨٤٣	الآثار الأدبية فى إنتاج الفلاسفة
٩٨٧	الإسلام فى كوريا	٧١٦	أخلاق السكون وأخلاق الحركة
٥٩٦	الإسلام فى الكونغو	٦١٩	أدب الجنس جريمة فى حق الدين والمجتمع
٧٣٠	الإسلام فى نيجيريا	٤١٥	الأدب العربى أذى رسالته ويؤديها
٧٧٤	إسلام صحفى فى المكسيك	٩٤	أديان الدعوة
١٠٩١	الإسلام والمسلمون فى أمريكا	٨٣٢	آراء العلماء فى الربا
٦٩٨	الإسلام والحياة المعاصرة فى أحاديث الرئيس أيوب خان	٩٨٥	الأزهر فى حاضره وماضيه
٨٧٥	الإسلام والسلام	١٠٤	الأزهر والملايو
١١٥٢	الإسلام والمبادئ المستوردة «كتاب»	١٩٢	أزهرى فى روسيا «عياد الطمطاوى»
٣٦٢	الإسلام والمدنية المثالية	١١٢٥	استدراك وتعقيب «عن مجلة الرسالة»
٨٦٢	أعداء العربوة والإسلام	١٤١	الاستعمار فى الشرق الأوسط
٣١٥	إفريقيا الجديدة والإسلام	١٥١٦	أسد بن الفرات الفقيه الغازى
٦٧٤	الله فى القرآن الكريم	١١٤١	الإسلام دين العلم والتطور
٨١٩	إليه يصعد الكلم الطيب والعمل	١٠٢٦	الإسلام دين ودنيا «كتاب»
٩٤٩	الصالح يرفعه	١٠٨٥	الإسلام والجرال لكاتب الفرنسى
٤١٨	الانفعال الخلاق عند الفيلسوف برجسون	بيبروانسواى	
٧٣	إنه عربى	٢٨٣	الإسلام حقيقة وجوهر
		٦٣	الإسلام دين المحبة

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٣٧	أوزان الشعر العربي	٤٦٦	جامعة القرويين بين الماضي والحاضر
٤٢١	الإيمان باقه	٦٠٤	جامعة النجف الأشرف
	(ب)	٨٧	جزيرة لامو : مركز الثقافة الإسلامية
٧٩٧	بيان للسلبين من الاستاذ الأكبر ...		في شرق إفريقيا
	(ت)	٤٨١	جلال الدين السيوطي
٢٠٩ ، ٤٧٦	تأليهة القرن الثامن عشر وهل معتقدوها مسلمون ؟	٨٢٦	جمالة وضلالة
٧١٠	التجديد في العروض		(ح)
٦٦٥	ترجمة المفردات أو العبارات	٥٧	الحركة التنسكية في القرنين الأول والثاني للهجرة
١١٦٣	تعدد الزوجات	٧٩٩	الحروف العربية أصلح الحروف لكتابة اللغات
١١٤٣	تطور الإسلام ، كتاب ،	٣٠٤	حرية العقل والفكر والإرادة
٦٩١ ، ٥٦٩	تطور الفقه الإسلامي	١١٣٢	الحسن البصري الزاهد العابد
٣٦٨	تقسيم الفكر الديني وصلته بالقومية العربية ، كتاب ،	٩٤٤	الحقوق والواجبات في الإسلام
٢٨٧	توجيهات علوية من جانب الله إلى عباده قولهم : توتر العلاقات	١١٥١	الحلال والحرام في الإسلام ، كتاب ،
٦٢٧	توضيح المعاني في البلاغة ، كتاب ،	٢٤٥	حكم الدين في استحضار الأرواح
٥٤١	تفسير على قاعدة	١٠٤٥	حكم الطاعة وتكليفه شرعا
	(ث)	٩١٢	حول تجديد العروض
٤٠٧	ثوراتنا الثلاث تعوزهن رابعة	١١٥٧	حول تجديد العروض
٥٦٤	الثورة الرابعة ضرورة محتومة	٤٥٩	حول التفسير العلي للقرآن
٦٨٢	ثورة العالم الإسلامي اليوم	٢٠٢	حول الخطوة الثانية
٨٩٥	قولهم : ثلاثمائة وتسعمائة	٧٨٨	حول كتابة المصحف بالإملاء الحديث
	(ج)	٩١٤	حول كتابة المصحف بالإملاء الحديث
٥٤٤	جامعة القرويين وإسهامها في حفظ التراث الإسلامي	١٠٤٨	حول من آق بهيمة يقتل
٤١١	جامعة القرويين في الجمهورية العربية المتحدة		

صفحة	الموضوع
٣٩٨	حول نشأة النحو العربي

(خ)

٢٦٧	خاتم الأنبياء
٧٤٤	الخدمات الاجتماعية لطلاب العلم
٨٨٩	في الإسلام
٣٣	الخمر وأخواتها رجس من عمل الشيطان
١٠١٩	خواطر عاقر د قصيدة،

(د)

٦٥٠	دراسات في اللغة العربية للخضر حسين
...	كتاب،
١١٤٩	دعاء إلى الله د قصيدة،
٦٤٨	دعوة الإسلام د كتاب،
٥٠٤	دور المكتب وأثرها في الثقافة الإسلامية
٥٠٨	ديمقراطية الإسلام
٢٧	الدين والعلم الحديث نزعة ضارة خاطئة
٨٢	الدين للضرورة أم للكمال؟
٩٩٢	دين السلام
١٩٥	الدين في عصر الحضارة الصناعية ...
١٥٢	الدين والقومية في إفريقيا الجديدة ...
٢٩٩	الدين حرية
٦٣٩	ديانات العالم السبع العظمى

صفحة	الموضوع
(ذ)	

٩٠٦	ذكرى الهجرة د قصيدة،
١	من ذكريات المحرم - هجرة في سبيل الله
...	وشهادة في سبيل الحق

(ر)

٢٢٤	رأى في نبي الإسلام بين الأنبياء ...
٥٢٦	الربا الذي نزل فيه القرآن
١١٢٠	رجل الدين وثقافة عصره
١١٥٦	الربا د كتاب،
١٠٣١	رحلة في سبيل الإسلام
٦٤٣	رئيس جمهورية باكستان د قصيدة، ...
٦٣٥	رسالة الدين وأثرها في الروح البشرية ...
١٠٥٣	رمضان سنة لا شهر
٩٥٤	رمضان في تاريخ مصر الإسلامية ...

(ز)

٦٧	الزواج في الإسلام
١١٣٦	زواج المسلم بغير المسلمة
٦٢٨	قولهم : زر أضرار القميص

(س)

١١٦٠	السوق الإسلامية المشتركة
٧٣٦	سيد بن علي المرصني

(ش)

١٠١٨	شاطىء التوبة د قصيدة،
------	------------------------------

الصفحة	الموضوع
١١٥٠	عبد الله بن سبأ ، كتاب ، ...
٩٠	العبادة في الإسلام لا يجوز أن تصحبها الموسيقى
٤٤٩	الشيخ عبد الجواد رمضان ...
١٥٩	الشيخ عبد المجيد سليم ...
٦١٧	العدالة الاجتماعية في الإسلام ...
٥٥٩	عداوة الأغنياء للصلحين من آفات المجتمع
٣٩٤	العربية لغة إفريقيا ...
١٦٦	العصر الذهبي للتصوف الإسلامي ...
٧٥٩	العلم والفن في نظر الإسلام ...
٥١١	عقيدة الذات الإلهية في الإسلام ...
٣٧	العقاد الإصهاني ...

(غ)

٨١٥	الغضب مجلبة لسوء الظن والندم ...
-----	----------------------------------

(ف)

١١٩	فتاوى في الشيوعية لأئمة الشيعة في العراق
٩٦٠	فريضة الصيام وتطورها في المجتمعات الإنسانية ...
٧٧٢	الفقه والتصوف ، كتاب ، ...
٧٥٠	الفقه والقضاء ...
٢٠٩	قولهم : فعيل في معنى مفعول ...
٨	فن جديد من فنون الدعوة ...
٣٨١ ، ٢١٨	في سبيل الوطن ، مسرحية ، ...
١٠٢٩	في ظلال العقيدة ، كتاب ، ...

الصفحة	الموضوع
٤٤٥	الشباب العربي والحياة المعاصرة ...
١٠٢١	الشرق الأدنى الإسلامي ...
٣٧٧	الشرق الأوسط في العصر الإسلامي ...
٢٠٥	الشريعة الإسلامية وحقوق الإنسان ...
٨٨٥	شريعة الله الخالدة ...
٥٣٤	الشعب الذي تخدمى القدر وقدر ...
٧٧٠	شعراء نجد المعاصرون ، كتاب ، ...
٦٣٤	شهر القرآن ...
٢٥٩	شهر ربيع الأول في حياة الرسول ...
١٣٣	الثورى في الإسلام ...
٩٩٨ ، ١١٠٨	شئ من النقد ...

(ص)

٣٥٧	صورة من سماحة الإسلام ...
٦٤٧	صيد الخاطر لابن الجوزى ، كتاب ، ...

(ض)

٩٣٩	ضراعة الأخيار شفاعة للذنبين ...
-----	---------------------------------

(ع)

٧٥٧	العابد المثالي (الفجر) ، قصيدة ، ...
٧٧	عامر بن شراحيل الشعبي ...
٨٥٥	العاطفة الدينية عند البارودى ...
٦٢٣	العاطفة الدينية وأثرها في الأدب العربي ...
٥٥٦	عاجو السارق بما أمر به الله ...
٢٢٩	العالم الإسلامي يستنكر اعتراف الشاه بإسرائيل

المصفحة	للوضوع	المصفحة	للوضوع
	(ق)		(م)
١٧٦	القاضى الفاضل «حياته» ...	١٠٦٤	المؤمنون ينصرون بالحق وإن قلوا ...
١٠٩٩	القاضى الفاضل «شعره» ...	٤٣٤	الحجة ...
٦٠٨	القرآن والقومية العربية ...	٥٧٦	محمد بن مالك ...
٧٧٣	قضايا الفكر فى الأدب المعاصر «كتاب»	٣٦٦	محمد رسول الإنسانية ...
	(ك)	٣٥٢	محمد والقرآن فى رأى نيكلسون ...
٥٨٣	كتابة المصحف بالإملاء الحديث ...	٣٧١	محمد والقومية العربية ...
١٣، ١٤٧	الكرامة والعزة فى القرآن الكريم	٦٥٥	محمد الأزهرى الأمريكى ...
٣١٩	كلا . لا ينتفع الميت بعمل الحى ...	٢٩٢	المدائح النبوية فى شعر شوقى ...
٩٠١	كلام عن الإسلام والعرب ...	٦٨٥	مستولية المرء عن إضلال نفسه ...
٩٢١	كيف كان الأزهر حصناً للغة العربية	٢٢٥	المسلمون فى باكستان ...
٨٢٠	كيف نصل إلى تطوير الفقه الإسلامى	٢٢٤	المسلمون فى سيام ...
١٨٤	كيف نصلح النحو العربى ...	٢٢٣	المسلمون فى الفيليبين ...
	(ل)	٩٧٣	المسلمون فى الهند ...
٩١٧	اللزوميات والصيام ...	٤٣٩	مشكلة الخط العربى ...
٢١	لمحات زاجرة من صدر للتاريخ «كتاب»	١٠٧٧	مصطلحات سيويه فى أصوات العربية
٦٤٦	اللع لأبى نصر الطوسى «كتاب»	٤٤٤	المصطلحات العروضية ...
٣٤٨	اللهجات العربية فى آسيا الوسطى ...	١٠٢٥	المعاملات الحديثة وأحكامها ...
٧٦٦	اللغة الشاعرة للعقاد «كتاب»	٣٢٧	معركة بيت المقدس وأثرها فى الأدب
١٠٥٧	اللغة العربية بين لغات الحضارة العصرية	٩١١	مقال الجبهان والشيعه ...
٦٥٠	لماذا أسلت «كتاب»	٢٧٧	مقومات الروحية أمام المادية العالمية
٨٩٧	لن الناصبة وتأيسد النفى ...	٤٢٥	
٦٥٨	لويلا - لا ليلىا ...	٥٥٢	
١٢٩	ليس بعد الدين وأزع ...	٨٨٠	مكانة الإنسان فى الإسلام ...
		٦٦١	مكنوا للأزهر فى إفريقيا الجديدة ...
		٣٣٨	الملامية أو الملامية ...

الموضوع	صفحة	الموضوع	صفحة
قولهم : نساتم في جمع نسيم	٦٢٩	٧٩١ من الفتوة الإسلامية	٧٩١
النسخ في القرآن الكريم	١٠٦٩	١ من ذكريات المحرم - هجرة في سبيل الله	١
النسخ في الشريعة الإسلامية	١١٥٣	وشهادة في سبيل الحق	٣٤٤
نشأة النحو العربي	٤٧	من روائع شاعر الإسلام إقبال : ...	٧٣
النظرية العامة للإثبات في الحدود ...	٦١٣	من مشاهد الهجرة - إنه عربي ...	١٠٢٤
منهاج التربية في القرآن	٧٢٠	من ينابيع الهجرة	٥
النفقة وصلتها بقانون الوضع الجديد	٨٩٩	موالاة الأعداء وموقف الإسلام منها	٢٦٣
نظرية الإسلام الاقتصادية ، كتاب ،	٦٤٩	موجة من الإلحاد في أندونيسيا ...	٥٢٣
نهج البردة	٥٩٠	موقف الإسلام من التطور الاجتماعي	٢٧١
نومة صاحبة قصيدة ،	١١٤٨	وفقا لمقتضيات العقل	٤٢٩
(ه)		موقف الناس بين الدهوة إلى الهداية	٢٩٩
هجرة الرسول	١٠٠	والجنوح إلى الغواية	٢٩٩
هدنة اليقط	٦٠١	مولد الرسول ورسالته	٢٩٩
(و)		« ن »	
الوازع الديني والثقافة العلمية	٥٠٠	نار وأصفاد ، كتاب ،	٥١٧
الوصايا العشر ، كتاب ،	١٠٢٧	النحو بين التجديد والتقليد	٣٢٢
(ي)		٧٢٣	٨٦٧
اليبازوري الوزير	١٠٩٤	١٠٠٤	
يقظة العالم الإسلامي للكاتب الألماني فونو	١٠٨٥	٧٠٤	
اليوم الذي يساوي خمسين ألف سنة	٨٨٧	٥٣٧	

فهرس أبجدى عام

لكتاب هذا المجلد

الاسم	الصفحة	الاسم	الصفحة
أحمد عبد الجواد الدوى	٣٣٩	ابراهيم عبد الباقي	٨٨٥
أحمد عبد المنعم البهى	٣٦٦		٢١٨
أحمد على منصور	٦١٧		٣٨١
أسعد حسنى	٤٦٦	ابراهيم محمد نجما	٦١٩
أنور العطار	١٠٠		٧٥٧
	٤٧		١١٥٤
تمام حسان	٤٣٩	ابن سليم	٨٧
	٧٠٤	أبو الحسن على الندوى	٩٧٣
	١٠٧٧		٣٢٧
	٣٦٥	أحمد أحمد بدوى	٥٧٦
	٤٨٥		١٠٩٩
جمال الدين الرمادى	٦٣١	أحمد أمين	٦٨٢
	٨٧٥		١
	٩٦٠		١٢٩
	١١٣٢		٢٥٩
حسن الأعظمى	٣٤٤	أحمد حسن الزيات	٤٠٧
حسن الشيخة	٤٨١		٥٣٤
	٧٤٤		٦٦١
حسن عبد العزيز نصر	٨٨٩		٧٩٣
	١٠٩٤		٩٢١
			١٠٥٣
حمودة عبد العاطى	٦٣	أحمد الشرباصى	٩٩٢
			١١٤١

الاسم	المنفعة	الاسم	منفعة
عباس محمود العقاد	٩٠١	راشد رستم	٣٥٢
	٩١٧	سعد توفيق حمدى	٥٠٠
	١٠٢١	سليمان دنيا	٥٠٤
	١٠٥٦	سميرة المغربى	٥٣٣
عبد الجليل عيسى	٥٥٦	الصاوى شعلان	٧٣
عبد الحليم محمود	٤٧٣		٣٤٤
عبد الخالق عضيمة	٣٢٣	عباس طه	٢٠٥
	٧٢٣		٣٦٢
	٨٦٧		٥٠٨
	١٠٠٤		٦٣٥
عبد الرحمن العدوى	٢٠٢		٧٥٠
عبد الرحيم فودة	٣٧١		٨٩٩
	٦٠٨		١٠١٦
	٨٦٢		١٠٤٦
	٢١		٩٤
عبد اللطيف السبكى	٢٨٧		١٣٥
	٤٢٩		٢١٤
	٥٥٩		٢٦٧
	٦٨٥	عباس محمود العقاد	٣٧٧
	٨١٥		٤١٥
	٩٣٩		٥١١
	١٠٣٤		٥٤١
	١٨٤		٦٣٩
	٤٤٤		٦٦٥
	٧٦٦		٧٥٣
عبد الله درويش	٩١٢		٧٩٩

الاسم	صفحة	الاسم	صفحة
	١٤١	عبد المنعم محمد الشيخ	٦٠١
	٢٧١		١٩٢
محمد البهي	٤٢١	عبد الموجود عبد الحافظ	١١١٦
	٥٤٤		١٧١
	٦٦٧		٥٩٦
	٨٠٢		٧٣٠
محمد سعاد جلال	١٠٦٩	عطية صقر	٨٥٠
محمد رضا المظفر	٦٠٤		٩٨٧
	١٥٩		٦٤٣
	٣٥٧	علي الجندي	٣٧
	٤٥٩		١٧٦
محمد رجب البيوي	٥٨٣		٢٩٢
	٧٣٦		٤٤٩
	٩٠٦		٥٩٠
	٩٥٤	علي الهامري	٧١٠
	١١٢٥		٨٥٥
محمد سلام مدكور	٦٧		٩٩٨
	٤٩٣		١١٠٨
محمد عطية راغب	٦١٣		٥١٥
	٧٢٠	عمر بهاء الدين الاميري	١١٥٣
محمد عبد الرحمن سيد فهمي	٧٨٧		٣١٩
	١١٢	عمر الجندي	١١٤٨
	٣٨٦	مالك بن نبي	٧٧
محمد عبد الله السمان	٦٤٦		٥١٧
	٧٦٩	محمد ابراهيم الجيوشي	٦٢٣
	١٠٢٤		١٠١٩
	١١٥٥	محمد أحمد العزب	

الاسم	الصفحة	الاسم	الصفحة
محمد يوسف موسى	٣٠٤	محمد علي النجار	٢٠٩ ، ٦٢٧ ، ٨٩٥ ، ٩٦٥
	٤٣٤	، ٨٤٣ ، ٤٧٦ ، ٣٠٩ ، ١٦٦ ، ٥٧	
	٥٦٩	محمد غلاب	١٠٨٥
	٦٩١		
	٨٢٠		
محمود حسن إسماعيل	٩٤٤		٨٢
	١٠١٨	محمد فتحي عثمان	١٩٥
	٢٥		٢٩٩
	١٥٢		٤٨٨
	٢٨٣		٧١٦
محمود الشرقاوي	٤٥٥		
	٥٦٤		
	٦٨٩		١٣
	٨٢٦		١٤٧
	٩٤٩		٢٧٧
محمود شلتوت	١١٢٠		٤٢٥
	٥	محمد محمد المدني	٥٥٧
	١٣٣		٦٧٢
	٢٦٣		٨٠٩
	٥٣٧		٩٣٤
محمود يوسف الشواربي	٧٩٦		١٠٦٠
	١٠٩١		
	٩٠		
مصطفى أحمد الزرقا			
يوسف القرضاوي	٨٨٠	محمد نور الحسن	٤١١